الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

المجلد الثالث

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

المجلد الثالث

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

المجلد الثالث

الإشراف العام : أ. سناء رمضاني

إعداد : نخبة من أساتذة الجامعات

المدقّق اللغوي : أ. لحسن بهلول

الإشراف العلمي : أ.د بن يوسف تلمساني

النّاشر: المجلس الأعلى للّغة العربيّة

الحجم : 30x22

عدد الأعلام : 356

عدد الصّفحات : 544

الغلاف : قسم أنفوگرافيا CREATIPS

الطّبع : تمّ بمطابع CREATIPS

تنسيق النّصوص : دراش إلياس – ونيس يوسف – قريبيس فاطمة الزهراء – سلمى ينينة.

ردمك: 978-9931-681-62-5

منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة ديسمبر 2024.

محفوظة جميع الحقوق

المجلس الأعلى للغة العربية

سوناطراك sonatrach

CréaTips Communication & publicité

دَليلُ تَشفِير بَعض ٱلرُّمُوز وَ ٱلأَصوَات ٱلمَعمُول بِهَا دُوَليًّا

الرمز	الصوت
G =گ	مثال: ورگلة (Ouargla)
V=ڤ	مثال: كوڤيد (Covide)
P =پ	مثال: پرلمان (Parlement)
J =ڃ	مثال: ڃنات (Djanet)
z =ژ	مثال: أژكا (القبر في المازيغيّة)
/	أو
ﷺ	صلّى الله عليه وسلم
و	وُلِد
ت	تُوفي

الأرقام الرّومانيّة:

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII	IX	X

تستخدم في التّواريخ والقرون (القرن VIII) وألقاب المُلوك (الملك يوبا I، الملك يوبا II)

عبد المجيد تبون

رئيس الجمهورية

تَنْوِيهٌ

تعجز مفردات اللّسان، وأساليب البيان عن بلوغ سامي مقام التّنويه بمن سخروا علومهم، وطوّعوا معارفهم، من أجل إنجاز المجلّد الثّالث المخصّص لأعلام الجزائر في الموسوعة الجزائريّة منذ فجر التّاريخ، ورصدوا مسار هؤلاء الأعلام عبر تعاقب الحضارات؛ وكلّهم عزم على متابعة العمل لإنجاز المجلّدات اللاحقة، التي تتجاوز عشرة آلاف (10000) علم، وأخلصوا في كتابة سير هؤلاء الأعلام، وذكروا آثارهم على تنوّعها، وأشاروا إلى إسهامهم في مسار الجزائر في مختلف المجالات، يحدوهم الإيمان الصّادق، بأنّ بناء الدّول وتعزيز أركانها؛ لا يكون إلّا بالعلم والعمل، وقد قاموا بهذه المهمّة الشّريفة بجديّة وموضوعيّة وطواعيّة، فأكْرِمْ بهم من أساتذة باحثين أجلاء! وبِهذه السّانحة نرفع إليهم جميعًا أساتذة ومستخدمين أسمى آيات العرفان، وأنبل عبارات الامتنان.

إنّ هذه الأعمال الكبيرة تأتي في إطار المحافظة على الذّاكرة الوطنيّة التي دعا إليها السّيد رئيس الجمهوريّة (عبد المجيد تبون). وقدّ خصّص يومًا وطنيًا للذّاكرة، وهو الثّامن (08) مايو من كلّ سنة.

فَأَنْعِمْ بِهَا مِنْ ذِكْرَى! وَأَنْعِمْ بِهِ مِنْ قَائِدٍ غَيُورٍ!

البروفيسور صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

المجلد الثالث

ا

■ إبراهيم آق بكد
(و: 1803ه - 1885م/ت: 1432ه - 1962م)

ولـد الشّـيخ بغـات الليبية فـي إقليم آجر ينتمي إلى قبيلة امهرو التي انقسـمت بدورها إلـى فرعين وهما: توبـون وجراجون أمه مية من التّبو وأبوه من أوراغن وأسـتقر منذ صباه مع أهله وعشـيرته في منطقة التّاسيلي بوادي امهرو واهرهار.

لقد كان يبدي معارضة شـديدة للاحتلال الفرنسـي في المنطقة وشـكل جيشا من أبناء المنطقة وخاض به عدة معارك أهمها:

- معركة عين زاباط في 27 جانفي 1916م؛
- معركة عين غوفو في 03 فيفيري 1916م؛
- معركة تين هيضان في 01 أفريل 1916م؛
- معركة واد خان في 06 ديسمبر 1916م؛
- معركـة تاكت – قاعدة عيـن الحجاج–في 23 فيفري سـنة 1917م–شـمال غـرب هضبة التّاسيلي التي تبعد عن اليزي بـ 170 كلم؛
- معركة تنزروفت في 12 مارس 1917م؛
- معركة امسـتان في 12 جويليـة 1918م تقع غرب اليزي بحوالي 190كلم وتعد من أعنف المعارك التي شـهدتها المنطقة بقيادة الشّيخ بكدة، وقد نتج عن هذه المعركة ما يلي:
- القضـاء علـى عـدد مـن أفـراد الجيـش الفرنسي13– قتيل؛
- عـودة القـوات الفرنسـية إلـى حيـث أتت وانسحابها من برج فلاترز؛
- بداية الاتصال بالقائد بكدة قصد التّفاوض معـه وذلـك للخطـر الـذي أصبـح يشـكله ورجاله والتّفاف سكان الطّوارق حوله؛
- إجهاض المشـاريع الفرنسـية في المنطقة والرّاميـة لاحتلالها ومنها التّوسـع والتّغلغل فـي المناطـق الأفريقيـة المجاورة فـي إطار التّنافـس الاسـتعماري الفرنسـي البريطانـي على المنطقة؛
- معركـة إجانتـو تقع فـي وادي ايهان غرب اليزي ب100 كلم.

تعبّـر هـذه المعـارك التـي خاضهـا هـذا البطل مع أهالي المنطقة عن تلاحم السّـكان بقيـادات المنطقـة وكذلـك عـن رفضهـا للاحتـلال ومشـاريعه الرّامية للسـيطرة على المنطقة وإخضاع سـكانها بالقـوة، وقد تأكد للاسـتعمار وأعوانـه مدى خطـورة المقاومة ورفض سكان المنطقة لمشاريعه.

لقد قدم أبناء المنطقة قوافل من الشّـهداء في سبيل استعادة السّـيادة الوطنية من هؤلاء نذكـر على سـبيل المثـال لا الحصر شـهداء إحدى المعـارك التي شـهدتها المنطقة وهي معركة تين هيضان الشّـهيرة في 01 من أفريل سنة 1916م، وهو على النّحو الآتي:

- وان كربي بن قلة بن موساني
- وان كربي بن غالي بن موساني
- غالي بن سيدي علي
- كيري كيري بن كيري.
- بخاد بن محمّد

ومن أسباب انتصار العدو في هذه المعركة قلة العتاد للمقاومين مقارنة بإمكانيات العدو الفرنسـي ورغـم الفشـل إلا أنها تركـت أثرا معنويا عنوانه لا رضوخ للمستعمر والمقاومة إلى غاية تحقيق النّصر.

وأمـام صلابـة عـود المقاومـة وتحديهـا للقـوات الفرنسـية فـي المنطقـة قـام العـدو بإجراءات اقل ما يقال عنها أنها لا تمت بصل للآدميـة بهـدف إرهـاب النّـاس وثنيهم عن الالتّحـاق بالمقاومـة أو تقديم يد المسـاعدة لها فقامت بإلقـاء القبض على زعماء واعيان منطقـة اليزي وقامـت برميهم في بئـر وردمه عليهم وهم أحياء ويعرف اليوم ببئر الشّـهداء يقـع حوالـي 70 كل مـن مدينـة اليـزي ومـن هؤلاء نذكر:

- إبراهيم بن خورهي.
- تاغليفت بن سيدي غلي.
- يحي بن سيدي غلي.
- عبد الوهاب بن أراب
- مولاي بن أجكال.

لـم تثـن هـذه الأعمـال الوحشـية أبنـاء الطّـوارق الأحـرار بـل زادت مـن عزيمتهـم وإصرارهم على المقاومـة مهما كلف الثّمن ذلك، وهو مـا تأكد في الأخير حيث افشـلوا وأوقفـوا مشـاريع الإسـتدمار فـي المنطقـة وأصبحت دوائره تضرب لهم ألف حساب.

وبعد معركـة امسـتان الشّـهيرة تدهورت الأوضـاع الاقتصاديـة والاجتماعيـة فـي المنطقـة بسـبب الحصار الـذي كانت تفرضه قـوات الاحتـلال علـى المنطقـة لإخضاعها واستسـلامها وأمـام هـذه الظّـروف الصّعبـة وخوفا على حياة النّاس اضطر القائد إبراهيم بكدة للاستجابة إلى الهدنة التي كانت فرنسا عرضتها عليه مع بداية سنة 1919م.

وقـد تمـت المفاوضـات بينـه وبيـن الفرنسـيين فـي منطقـة تـارات أسـفرت عن جملة من القرارات:

- تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للسكان؛
- رفع الحصار عن المنطقة وحرية التّجارة؛

– الاعتراف بسلطة إبراهيم بكدة على قبائل آجر.

وفي سنة 1920م استدعي إلى مدينة بسكرة إلى اجتماع جمع فيه قادة الصّحراء وفي هذا الاجتماع قدم شروطه التي تتمثل في ما يلي:

– أنه الممثل والحاكم الوحيد لقبائل آجر؛

– حرية تنقل الأشخاص والممتلكات بالمنطقة.

وكان هدف فرنسا من هذه الخطوة هو كسب قبائل الطّوارق المتمرسة على القتال وكذلك استكمال مشروعها الاستعماري للمنطقة والمناطق المجاورة.

ولما اندلعت الثّورة التّحريرية سنة 1954م لم يدخر الزّعيم والشّيخ إبراهيم بكدة جهدًا في سبيل استعادة السّيادة الوطنية، وعند لقائه التّاريخي مع الزّعيم بن بلة في طرابلس طلب إبراهيم السّلاح فقط لأنه يمتلك الرّجال والجبال كما ذكر وكان له ذلك سنة 1956م عن طريق طرابلس، غير أنه لم يتمكن من القيام بالمهمة لكبر سنه فكلف نائبه مستان للقيام بها، وبعد عودته من رحلة الحج كان لقاؤه مع أهالي المنطقة ومما جاء في كلامه:« إن الثّورة قامت والعرب هم الذين قاموا بها، وإن الفرنسيين ليسوا منا ولسنا منهم، أما العرب هم الذين جاء الخير معهم إلى المنطقة ».

وقد شهدت المنطقة العديد من المعارك التي خاضها مجاهدو المنطقة تحت لواء جبهة التّحرير الوطني منها معركة تارات وأيسين، وبقي الزّعيم إبراهيم بكدة يشجع الثّوار ويدعم الثّورة إلى غاية تحقيق النّصر في 05جويلية 1962وفي هذا التّاريخ زاره وفد عن جيش التّحرير واخبره بالاستقلال فقال: «الحمد لله الذي وصلنا الأمانة إلى أهلها». وبعد ها بأيام يلتحق الزّعيم والمجاهد والمقاوم والبطل إبراهيم بكدة إلى جوار ربه بعدما قدم ما عليه للإسلام وللوطن رحم الله شهداء الجزائر.

عبد الكامل عطية

المصادر:

– محمّد لحسن زغيدي: شخصيات نموذجية في المقاومة والإصلاح والحركة الوطنية والثّورة التّحريرية، ط1، منشورات الحبر، الجزائر،2009.

– إبراهيم مياسي: قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر 2010.

– يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين 19و20، ج2، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996.

– يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصّحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها، أعمال الملتقى الثّالثّ عشر للفكر الإسلامي وزارة الشّؤون الدّينية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1995.

– الجيلالي صاري: الهقار وأبعاد مقاومته، أعمال الملتقى الثّالثّ عشر للفكر الإسلامي وزارة الشّؤون الدّينية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1995.

– إبراهيم العيد بشي: دور سكان الجنوب الشّرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي، في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 11جوان،2013.الجزائر.

■ إبراهيم بن أمحمّد بن إبراهيم بن يوسف، أطفيّش (أبو إسحاق) (و: 1305ه - 1887م/ت: 1385 ه - 1965م)

عالم من بني يزگن بميزاب، أخذ مبادئ العلم بمسقط رأسه عن عمّه قطب الأيمة، وعن الحاج إبراهيم زرقون، ثمَّ توجَّه إلى الجزائر العاصمة، وتتلمذ على الشّيخ عبد القادر المجاوي، ولهمَّته العالية سافر إلى تونس ليستزيد من العلوم العقلية، فأخذ عن الشّيخ محمّد بن يوسف الحنفي، والعلاَّمة الشّيخ الطّاهر بن عاشور ـ صاحب التّحرير، والتّنوير، قال عنه الشّيخ إبراهيم أبو اليقظان: «لمَّا، وصل إلى تونس تحمَّل معنا مسؤولية الإشراف على بعثتنا

العلمية... واقتحم ميدان السّياسة أوان تأسيس حزب الدّستور التّونسي، مع الشّيخ صالح بن يحيى، سنداً للعلاَّمة عبد العزيز التّعالبي، طيلة 1338-1339هـ/ -1919 1920م»، أصدرت فرنسا ضدَّه حكم الإبعاد عن تونس في فيفري 1342هـ / 1923م، فاختار التّوجُّه إلى القاهرة، فاستقرَّ بها، وشرع في أداء رسالته، ونشاطه، في التّأليف، والتّحقيق، والطّبع، والفتوى، ومن منجزاته:

– في الصّحافة: إصداره في مصر مجلَّة «المنهاج» بين سنة 1344هـ/ 1925م، و1349هـ/ 1930م.

– في التّحقيق: قيامه بتحقيق العديد من أمّهات الكتب، وطبعها، منها:

1. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان للسالمي، في جزأين.
2. ثلاثة أجزاء من كتاب (شرح النّيل) للقطب.
1. (جامع أركان الإسلام) للخروصي.
2. (شامل الأصل، والفرع) للقطب اطفيش.
1. (مسند الرّبيع بن حبيب) في الحديث، عدّة مرّات).
2. (المقصورة) في اللغة لابن دريد.

وفي جوان 1359هـ/ 1940م أسندت إليه، وزارة الدّاخليّة مهمَّة الإشراف على قسم التّصحيح بدار الكتب المصريّة، وكان من أجلّ أعماله فيها، إنكبابه على تصحيح، وتحقيق أجزاء من كتاب (الجامع لأحكام القرآن) في التّفسير للقرطبي، وكذا تصحيح كتاب محمّد فؤاد عبد الباقي (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)، وله هوامش، وردود على بعض مقالات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، الطّبعة العربيّة، ومراسلات علمية قال عنها أبو اليقظان: «لو جمعت لكوّنت مجلّدات ضخمة».

في التّأليف: وضعه لكثير من الكتب منها:
1. الدّعاية إلى سبيل المؤمنين، في الدّعوة، والفكر.
2. موجز تاريخ الإباضيّة.
3. المحكم، والمتشابه.
4. رسالة عصمة الأنبياء.
5. رسالة القطب اطفيش ذكرها أبو اليقظان.
6. ورسالة الفَرْق بين الإباضية، والخوارج.
7. وكانت له مشاريع لتآليف عديدة -نطالع عناوينها في رسائله إلى الشّيخ أبي اليقظان إبراهيم - لم تر النّور، بسبب الضّائقة المالية التي ألـمَّت به.

في الفتوى: كان مرجعاً هامًّا في الفتوى، وعلوم الشّريعة الإسلامية، وله إلمام شامل بالمذاهب الفقهية، وتضلُّع أكثر في المذهب الإباضي.

في السّياسة، والعمل الإسلامي: كانت صِلات أبي إسحاق بالحركات الإسلاميّة متينة، عمل في صفوف بعضها مؤسّسا أو مؤازراً أو مشاركاً، نذكر منها مشاركته في:
- تأسيس جمعية الهداية الإسلامية، التي يترأّسها زميله الخضر حسين؛
- نشاطه في جمعية الشّبّان المسلمين، إذ كان بينه، وبين الشّهيد حسن البنا علاقات، وطيدة؛
- كما كان عضواً فعّالاً في جمعية تعاون جاليات شمال أفريقيا؛
- أسندت إليه، وزارة الأوقاف مهمَّة الإشراف على الأوقاف الإباضية بمصر.

تربط أبا إسحاق علاقات، وطيدة مع الدّاعية محبِّ الدّين الخطيب، وكذا سيد قطب، والعلاَّمة محمّد رشيد رضا، وحسن البنا، وغيرهم كثير من أقطاب الفكر الإسلامي المعاصر.

وبالإضافة إلى مصر كان لأبي إسحاق إسهامات فعَّالة في الثّورة العمانيّة، فقد كان عضوا نشطا في مكتب إمامة عمان بالقاهرة، واختاره الإمام غالب ابن علي العماني، ممثّلاً رسمياً لعرض قضية عُمان في هيئة الأمم المتحدة، وسافر لأجل ذلك إلى أمريكا لحضور اجتماعات مجلس الأمن، والدّفاع عن القضية العمانيّة. وكانت له رحلات كثيرة، ومفيدة، منها: رحلته إلى زنجبار (تنزانيا)، وأخرى إلى نفوسة بليبيا؛ وإلى القدس حيث كان ممثّلا لإباضيّة المشرق في المؤتمر الإسلامي بها؛ وأخرى إلى مسقط رأسه ميزاب، قال عنه أبو اليقظان: «رثيته بقصيدة عنوانها: قمر القلب، وقد حضر جنازته جمٌّ غفير من العلماء»، بعد أن، وافاه أجله إثر عملية في الكلى، ودفن بمقبرة المغرب الكبير بالقاهرة حذو صهره الشّيخ قاسم بن سعيد الشّمّاخي.

يحيى بن بهون حاج أمحمّد

المصادر:
- أبو إسحاق: مجلّة المنهاج، مجلد؛
- فخار حمو: كلمة ترحيب بالمجاهدين الكبيرين: الشّيخ أبي اليقظان، والشّيخ أبي إسحاق؛
- معجم أعلام الإباضيّة، جمعية التّراث، المطبعة العربيّة -غرداية، ط1، 1999، ج2، ص44-48.

■ إبراهيم بن علي، بوحديبة
(و: 1354ه - 1936م/ت:1434ه - 2013م)

الأستاذ، والمربّي إبراهيم بن علي بن موسى بوحديبة، من عشيرة «آل امحمّد" بغرداية، الجزائر، ولد يوم الإثنين 03 ذو القعدّة 1354ه، الموافق لـ 27 جانفي 1936م بغرداية، نشأ يتيم الأب منذ عامه السّادس، فقد شارك أبوه في «الحرب العالمية الثّانية» لما كان ضمن مجندي (فرنسا) في حربها ضد (ألمانيا)، وهذا بعدما أُخذ غصبا من متجره في، ولاية (المدية)، حيث مات، ودفن في مدينة «ليون» الفرنسية، تاركا، وراءه أرملة، وثلاثة أبناء، فتكفّل الأعمامُ بالفقيد «إبراهيم"، وعائلتِه، حيث تلقّى أولى دروسه الابتدائية في إحدى المدارس الفرنسية بولاية المدية، وقد عُرِف بجدّه، ومنافسته لزملائه الفرنسيين، وكان غالبا الأوّل في صفِّه.

بسبب عراقيل الدّراسة من جهة، وصعوبة الظّروف المعيشية من جهة أخرى، لم يستطع إكمال دراسته فانتقل مُجبرا إلى حياة العمل، وكان أول ما اشتغل فيه هو ميدان التّجارة

مع أخواله من عائلة بعمور الشّيخ في مدينة الحرُّوش بولاية سكيكدة، شأنه شأن كثير من أترابه في ذلك الوقت، لكنّ طموحه كان أبعد من أن يُقيّد في دكان بين رفوف السّلع، وتعاملات النّقود، فواصل تكوين نفسه في اللغة الفرنسية، وكان عصاميا، وتميّز حتى صار يلقب بـ(Le dictionnaire vivant) أي "القاموس الحيّ".

أوثر عنه تصحيح الأخطاء اللغوية للسُّياح الفرنسيين أثناء المحادثة، فقد كان مرشداً سياحياً ببلدته غرداية. كما عُرف أيضا بشغفه، وحبه للمطالعة، إذ كان لا يكف عن قراءة الكتب، والرّوايات، والجرائد معظم، وقته، ويتابع أيضاً الحصص التّلفزيونية باللغات الحيّة حتى بعد فقدان بصره، فقد كرّس حياته منذ صغره لتعلم اللغة الفرنسية، وتعليمها للأجيال، وكان حريصاً على تشجيع أولاده للاستمرار في ميدان العلم، والتّعلم، وكان غالبا ما يزور أساتذة أبنائه مرات عديدة في العام، حتى يقف على مدى تقدمهم، وتطورهم.

اشتهر بصدقه في أقواله، وأفعاله، وكان نشيطا حازما، ملتزما بالوقت، ومنضبطا في المواعيد، سريع الغضب لكنه ليّن الجانب، وكان محبا للعلم، وأهله، محبا للغير، يهرع لقضاء حوائج النّاس من أرامل، ويتامى، وقاصرين، خاصّةفيما يتعلق بمجال التّعليم.

بعد الاستقلال الوطني عمِل الأستاذ إبراهيم في مركز البريد بولاية الأغواط لمدة عام، إلاّ أن أجواء العمل هناك لم تساعده على المواصلة مما جعلته يتراجع، فقرّر بعدها تسجيل نفسه في مسابقة لتكوين الأساتذة في اللغة الفرنسية، وكان ضمن النّاجحين فيها، وهذا ما فتح له باب الولوج إلى ميدان التّعليم، فكان أول منصب شغله في إكماليةٍ ببلدية المغيَّر، فدرّس بها أعواما، ثم انتقل إلى، ولاية تُقَّرت، ودرّس فيها كذلك أعواما أخرى، ومع بداية السّبعينيات انتقل إلى بلدية الگرارة ليشغل منصب مدير إكماليتها، ولما طَلب منه مدير معهد عمي سعيد الشّيخ «الحاج داود بن قاسم حواش» أن يكون ضمن طاقم التّدريس في معهد عمي سعيد بغرداية المزمع إنشاؤه آنذاك، لم يدّخر جهدا في ذلك فكان من بين الذين، وضعوا حجر الأساس لهذا المعهد الزّاهر، وقاموا بدفعه خطوات نحو الرّقي، والتّقدم.

وإلى جانب التّدريس بالمعهد، فقد درّس أستاذنا أيضا بابتدائية الحاج قاسم بابكر بغرداية، وكذلك بمدرسة الآباء البيض (L'école mozabite) ناحية "تيضفت" بغرداية، ثم انتقل سنة 1984م للعمل في ثانوية "محمّد الأخضر الفيلالي» بغرداية مكلَّفا بالمكتبة، والشّؤون العامّة للمؤسّسة، إلى أن تقاعد عن التّعليم، وصار يقدّم الدّروس التّدعيمية لمن يطلبها في منزله.

وفي عامّ 1987م كان ضمن مؤسّسي جمعية (مساعدّة المعاقين ذهنيا) المعروفة حاليا باسم جمعية (البراءة)، حيث شغل منصب رئيس المركز مع مجموعة من إطارات المنطقة كالسّادة: تزبينت سعيد، وعفو مسعود، وصالح محرزي، ولزوش بكير... وآخرين، وكان من بين الذين سعوا إلى كسر بعض الاعتقادات الخاطئة في المجتمع، خاصّةفي إطار نشاط الجمعية، وظلّ أكثر من عقد من الزّمن يوجه هذه الفئة للتعلّم، والتّكوين، ويسعى لإدماجهم في المجتمع.

عمِل أيضا كمرشد سياحي، وبكل إخلاص، وتفانٍ عمل على تبيين الحقائق للسُّياح عن تاريخ المنطقة من كافة النّواحي التّاريخية، والحضارية (العمران، وتقاسيم المياه، والعادات الاجتماعية...)، فكان خير سفير يقدم لهم الصّورة الواضحة للحضارة العريقة للمنطقة.

شاء الله أن يفقد بصره بعد تناقصه التّدريجي، كما شاء له أن يبقى طريح الفراش، وذلك بعد تعرضه لكسر في فخذه جراء حادث سقوط، إلاّ أن ذلك لم يثنه عن دأبه في مسار العلم، والتّعليم، فقد استغل تمرسه في الفرنسية لترجمة العديد من الكتب بمرافقة الأستاذ «باحمد بن داود دادي بابا»، ومساعدّة ابنيه نصر الدّين، ومصطفى، ومن أهم الكتب التي ترجمها: كتاب «الإباضية مذهب إسلامي معتدل» للشيخ علي يحيى معمر، وكتاب «نبذ التّعصب المذهبي» للعلامة أحمد بن حمد الخليلي، وكتاب «المرأة المسلمة، ودورها في المجتمع»، وكتاب «الأم، ودورها في حمل الرّسالة»، وما تزال مرقونة.

وفي المجال الاجتماعي عُرِف الأستاذ إبراهيم بوحديبة بالعمل الاجتماعي التّطوعي، فكان من بين السّبّاقين في خدمة العشيرة، والمجتمع، وكوّن عديد الصّداقات داخل المجتمع، وخارجه، واستغلّ تلك العلاقات لمساعدّة الآخرين حين احتياجهم لتلقي العلاج خارج الوطن.

انتقل إلى دار الخلود يوم السّبت 01 رجب 1434هـ، الموافق لـ 11 ماي 2013م بمسقط رأسه، عن عمر يناهز 77 عاما بعد معاناة مع المرض.

صالح بن حمو بابا، وموسى.

المصادر:

- لقاء مع حرم المترجم له: انشاشبي فطيمة بنت النّاصر، وابنيه مصطفى نصر الدّين.
- أرشيف مخطوط متنوع للفقيد بحوزة عائلته.
- مجلة الأصالة، والثّقافة، معهد عمي سعيد، غرداية، ع 42، 2015م.

■ إبراهيم بن محمد، طلاي
(و:1348ه - 1929م/ت: 1443ه - 2021م)

الشّيخ الحاج إبراهيم بن محمد طلاي من مواليد 1929 ببني يزكّن ولاية غرداية، نشأ يتيما فقيرا ورعته أمه المرحومة الحاج سعيد لالة بنت عمر.

حفظ القرآن الكريم في المدرسة الجابرية القرآنية، واستظهره في بني يزكّن عند الشّيخ عمر بن بكير شريفي (ت 1995)، ثم واصل تعلمه عند الشّيخ إبراهيم بن بكير حفار (ت 1954) بالمعهد الجابري ببني يزقن والذي كان يديره الشّيخ الحاج محمد بن يوسف ببانو (ت 1988) رحمهم الله، ثم واصل دراساته العليا في جامع الزّيتونة بتونس ونال العالمية في الآداب سنة (1959/ 1379ه).

بدأ التّدريس في المدرسة الجابرية ببني يزكّن عامّ 1948م إلى عامّ 1951م، ثم أرسله الشّيخ ببانو إلى البليدة للتدريس في المدرسة القرآنية الإباضية هناك فطور التّعليم وجدد نظامه.

وتتمثل مشاركته في الثّورة التّحريرية في تدريس الطلبة الجزائريين اللاجئين في منستير التّونسية مدة ثلاث سنوات.

وعندما وضعت الحرب التّحريرية أوزارها عامّ 1382ه/ 1962م رجع إلى الجزائر فعيّن أستاذ اللغة العربية والآداب في ثانوية الفتح بالبليدة من سنة 1964 إلى سنة 1978.

في سنة 1978 عيّن أستاذا للآداب واللغة العربية في ثانوية محمد الأخضر الفيلالي بغرداية.

في سنة 1979 عيّن مفتشا للغة العربية في المستوى الثّانوي لولايات عدة على المستوى الوطني إلى سنة 1992م.

نشاطاته الاجتماعية والوطنية

في سنة 1981م عين عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر.

في سنة 1982م عيّن عضوا في حلقة العزابة ببني يزكّن غرداية.

من سنة 1988 إلى سنة 2006 أستاذ محاضر في قسم التّخصص في الشّريعة الإسلامية بمعهد عمي سعيد بغرداية في التّاريخ الإسلامي وتاريخ التّشريع الإسلامي والآداب واللغة العربية.

شغل عدة مسؤوليات عظيمة في هذا الوطن العزيز نذكر منها:

- عضو لجنة الفتوى للمسجد العتيق ببني يزكّن غرداية
- مرشد في المسجد العتيق في بني يزقن
- كاتب مجلس عمي سعيد الهيئة العليا لحلقات العزابة بوادي مزاب ووارجلان.
- عضو مجلس باعبد الرّحمن الكرثي الهيئة العليا لأعيان وادي مزاب
- عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- عضو لجنة إصلاح ذات البين بوادي مزاب.
- منسق مجلس الأعيان ببني يزكّن
- عضو في إدارة عشيرته «آل اسماعيل» ببني يزكّن.
- نائب مدير المدرسة الجابرية القرآنية ببني يزكّن
- إمام وخطيب صلاة الجمعة بمسجد بني يزكّن منذ سنة 2000.
- عام 2014 تصدر حلقة علم في المعهد الجابري ببني يزكّن.

وقبل كل هذا وأثناء كل هذا وبعد كل هذا هو عالم مؤلف في التّاريخ ومحقق في التّراث ومحاضر في كثير من المناسبات المحلية والوطنية والدّولية.

وقد أثرى المكتبة الوطنية بالمؤلفات التّالية:

- كتاب مجموع قصائد في معجزات الرّسول وسيرته للشيخ إبراهيم بن بيحمان والشّيخ صالح لعلي رحمهم الله – تحقيق (1387/ 1967).
- ميزاب بلد كفاح تأليف 1970م
- طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق (1974 – 2008) جزءان.
- كتاب الذهب الخالصّ المنوه بالعلم الخالص للشيخ اطفيش، تصحيح 1980م.
- تيسير التّفسير –جزء عمّ– تحقيق 1982م.
- كتاب مسائل نفوسة للإمام عبد الوهاب الرّستمي (تحقيق 1991م).
- أجوبة علماء فزان (تحقيق 1991م).
- المدن السّبع في وادي مزاب (تأليف 1992م)
- الدّليل إلى هداية الله (تأليف 1993م).
- حاشية التّرتيب لأبي ستة (تحقيق 1995) 5 أجزاء.
- الدّروس المختارة في الحديث (اختصار للتدريس 1999م) جزءان.
- تيسير التّفسير للقطب اطفيش (تحقيق من سنة 1996 إلى سنة 2003م) 17جزء.
- أصداف الدّر الموضوعة على سورة العصر للشيخ الحاج إبراهيم بن بيحمان (ت 1817) تحقيق: 2004.
- مختصر تيسير التّفسير للقطب اطفيش.
- كتاب الإيضاح ج1 (تحقيق 2009)
- ترتيب لقط البدر التّلاتي (تحقيق 2012)
- أحاديث ليس منّا (تأليف 2013)
- أنوار منبرية (مجموعة خطب الجمعة والأعياد) مرقون.
- إطلالة على كتاب (مجموعة ندوات فكرية في المكتبة الثّقافية) مرقون.
- كتاب نخبة من الكلام النّبوي في الأخلاق

والتّربية للشيخ مصطفى الغلايبي (تصوير 2013م)

سنة 2008 أنشأ مكتبة علمية سمّاها (المكتبة الثّقافية) ببني يزكّن فيها مكتبته المتنوعة ونشّط فيها ندوة فكريّة أسبوعية ودروسا تدعيميّة للطلبة.

وقام شيخنا بعدة رحلات فكرية وعلمية لإلقاء محاضرات في ملتقيات دولية مثل: الكويت، تونس، الجزائر. وللاطلاع والاستكشاف مثل: مصر، إسبانيا، سوريا، فرنسا، عمان، ليبيا. ولأداء مناسك الحج والعمرة في البقاع المقدسة بالمملكة العربية السّعودية، وعضو في بعثة الحج الوطنية.

أسرته: شيخنا جدّ كريم لخمس عائلات محترمة.

وبعد هذا الجهاد النّفيس في سبيل العلم والدّين والحياة اختاره الله إلى جواره الكريم صبيحة يوم الأربعاء 16 محرم 1443/ 24 أوت 2021 بعد أن عانى من مرض الضّعف الجسدي، رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه، آمين. وشيّع إلى مثواه الأخير صبيحة غد الخميس في مقبرة بامحمد ببني يزقن.

حاج أحمد حمو كروم

■ إبراهيم بن موسى، قزريط
(1336ه - 1918م / 1426ه - 2005م)

ينتمي الشّيخ الحاج إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن داود قزريط، إلى عشيرة «آل بامحمّد وُبعزيز» بغرداية، الجزائر، ولد خلال سنة 1336هـ/ 1918م،بعد أحد أعضاء حلقة العزابة البارزين في المسجد العتيق بغرداية، والقائمين على رعاية شؤون المسجد، والأوقاف المختلفة لعقود من الزّمن، وممن ترك بصمات في ميدان النّشاط الاجتماعي بقصر غرداية.

درس في المرحلة الأولى في محضرة المسجد بمسقط رأسه، وفيها تدرّج إلى أن أتمّ حفظ القرآن، وأخذ مبادئ العلوم الشّرعية، وانتقل بعد ذلك إلى مدينة بسكرة رفقة جده لأمه «صالح بوكرموش»، وفيها تتلمذ على يد الشّاعر، والأديب أبي الحسن علي بن صالح المعروف بـ: «الطّالب علي»، ومنه أخذ اللغة العربية، ومبادئ الخط العربي، ومنها انتقل إلى مدينة سطيف حيث تجارة أبيه، وأعمام أبيه في متجر يعرف بـ»متجر الطّلبة»، وفيه أكمل دراسته الشّرعية، وكان من بين رفقائه في الدّراسة السّيدان «الحاج محمّد بن الحاج سعد الله العلواني»، و"الحاج علي أملون".

وفي نفس المدينة التّحق بالمدارس الفرنسية، ونال شهادة الأهلية، وفيها أتقن اللغة الفرنسية مما أفاده في التّعامل في المجال التّجاري، كما كان شغوفاً بقراءة الكتب، والجرائد، وتتبع الأخبار آنذاك عاملاً بالأثر القائل: «على المرء أن يكون بصيرا بزمانه»، وكان ممّا يمتاز به في المجال العلمي الخط الجميل، والأنيق باللغة العربية، والفرنسية، وتصفية الحسابات في تقويم الحركات التّجارية.

حياته العمَلية: بعد أن أتم دراسته رجع إلى مسقط رأسه، وتزوج، وبعد زواجه انتقل إلى الحياة العملية ليكتسب القوت الحلال، وينفق على عياله، وأولاده، فعمل تاجرا في مدينة غرداية مع الحاج سليمان الحاج سعيد –لخبورات- حيناً من الدّهر، وبعد ذلك انتقل إلى التّجارة في مدينة «عين أولمان» رفقة عمّه «عمر» فكوّنا معا حركة تجارية ثلاثية مع عمّه «قاسم» الذي كان يعمل في إحدى المتاجر هناك، واستمرت إلى ما بعد الاستقلال، وفي هذه التّجارة قضى عنفوان شبابه ابتغاء الكسب الحلال رغم الظّروف الصّعبة آنذاك فكان –رحمه الله- قطب الرّحى في تسيير هذه التّجارة، وكان هو المرجع بالنّسبة للقضايا التّجارية، ومشاكلها خاصّةمع الحكومة الفرنسية، خصوصا خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، وحرب التّحرير الكبرى، وكان نعم العون في قضاء مصالح الأعراش القروية المجاورة لبلدة «عين أولمان»، وكان متجره قبلة للمغتربين في فرنسا.

وفي مرحلة الكهولة انتقل إلى مدينة قسنطينة لتجارة حرّة، وفيها استقرّت تجارته، لكن بعد أعوام رجع إلى «مزاب»، وأنشأ حركة تجارية أخرى فيها. ولما تقدّم به العمر ترك التّجارة، واشتغل بالفلاحة، والأعمال الاجتماعية.

خصاله: كان –رحمه الله- يمتاز بالتّواضع، والحياء، وهذا شأن كل من أراد أن ينال الدّرجات العلا في كل المجالات، والرّسول يقول: « طوبى لمن تواضع في غير منقصة»، ويقول أيضا: « الحياء شعبة من الإيمان»، وكان من صفاته أيضا –رحمه الله- السّخاء، والتّضحيةاً حيث كان لا يترك مكانه بالإسهام في الأعمال الخيرية بماله، ورأيه، وجاهه، وهذا دليل على التّضحية، والغيرة على دين الله.

أعماله، ونضاله الاجتماعي: انخرط الحاج إبراهيم بن موسى قزريط في سلك المحضر «عمّور» تحت رئاسة المناضل الكبير، والمجاهد المخلص

«الحاج بكير بلعديس»، وذلك في سن مبكرة بعد زواجه ثم انضم إلى صف «أرجال» مع الطّلبة، وكان مشتغلا بمنصب «تَوَزرَا» أي مرافقة العُرسان الجدد في عشيرته «آت امحمّد"، كما كان من حين لآخر يُعين هيئة الغسالين للأموات باعتباره عضوا في هيئة" إمصوردان" ثم بعد ذلك انخرط في سلك العزابة في شهر أفريل من سنة 1983م، وانضم إلى هيئة الغسالين حيث تفانى في خدمة هذا الوظيف إلى أن أقعده العجز، والمرض.

عُين كذلك، وكيلا للمسجد العتيق بأمر من الوكيل السّابق «السّيد الحاج داود بن قاسم حواش» في يوم مشهود بحضور العزابة، وأعيان عشيرته، وذلك قبل، وفاة الحاج داود حواش بسنة تقريبا، فناضل في هذا المجال، وتفانى في خدمته رغم صعوبته، وثقل مسؤوليته، وأعانه على هذا الحمل أعضاء من حلقة العزابة الذين عُيّنوا، وكلاء معه، وهم السّادة: الحاج قاسم بن علي النّاصري، والحاج عمر بن الحاج أحمد الزّعبي، والحاج علي بن أحمد باعلي، واسعيد، الذين كانوا له نعم العون، والرّفيق في هذا المجال، ولم يتخلّ عن هذا المنصب إلا بعد مرض كبير أشرف به على فراش الموت، وبعد أن فرّج الله عليه سلّم الأمور إلى رفاقه من الوكلاء المساعدين له في هذه المهمة، وكانت من أعماله المشهورة متابعة الأوقاف في المقابر أداء، ومراقبة، وتسجيلا.

ومن أعماله في الحلقة استخلافه للمؤذن الحاج قاسم بن علي النّاصري، وذلك عند سفره إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج أو عند اشتغاله بموسم جني تمور المسجد لأنه الوكيل عليها، ومن أعماله الاجتماعية أيضا نشاطه في مسجد «الشّعبة»، وذلك بمشاركة أعضاء إدارتها في الأعمال، والخدمات الخاصة بالمسجد، وكان – رحمه الله– يلتزم بعمارة العشيرة فيما يتعلق بجلساتها الدّورية، واجتماعاتها، وأعراسها، وأوقافها التّابعة لمقبرة الشّيخ «بابا، والجمة»، ومقبرة الشّيخ «بامحمّد أبي سحابة» –رحمهما الله– ، ولا يتخلى عن هذه المهمة إلا إذا سافر أو أقعده المرض، ويشهد له بذلك الخاص، والعام.

توفي صبيحة يوم السّبت الفاتح من صفر 1426هـ، الموافق لـ 12 مارس 2005م عن عمر يناهز ثمانين سنة، ونيّفا.

أيوب بن سعيد الحاج سعيد.

المصدر:

- جلسة مع ابنه الأستاذ: موسى بن إبراهيم قزريط، بتاريخ: 30 أفريل 2005م.
- مجلة الأصالة، والثّقافة، معهد عمي سعيد، غرداية، ع 32، 2005م.

■ ابن العنابي
(1189ه - 1775م / 1265ه - 1851م)

ولد ابن العنابي سنة (1189هجرية/ 1775ميلادي)، عاصر الثّورة الفرنسية وما نتج عنها من أحداث مست جوانب متعددة من الحضارة الإسلامية، وعاصر في بلاده الجزائر حروباً خارجية خاصة ضد الإنكليز، الأمريكان، الفرنسيين والإسبان وغيرهم.

اسمه الحقيقي هو محمّد بن محمود بن محمّد بن حسين الذي عرف بابن العنابي تارة وبالعنابي تارة أخرى، من أسرة جزائرية كان لها اعتبارها الدّيني والفكري، تولى بعض أفرادها مناصب دينية وسياسية وفكرية، فقد تولى جده الأكبر (حسين بن محمّد) الإفتاء الحنفي كمنصب لشيخ الإسلام لا يفوقه في الاعتبار سوى **الداي** أو رئيس الدّولة، واشتهر جده الأدنى (محمّد بن حسين) بالعلم وحظي بالتقدير الكبير مما رشح ابن العنابي للوظائف، تساعده في كل ذلك، إمكانياته الفكرية التي فرضت احترامه وتقديره.

تثقف ابن العنابي ثقافة واسعة بمفهوم عصره، سواء منها تلك التي تمت بصلة إلى علوم الدّين أم علوم الدّنيا، من الأوائل الذين أخذ عنهم العلم في وطنه، جده، ثم والده، فالمفتي المالكي علي بن عبد القادر بن الأمين سنة 1820ميلادي. وكان تمكن ابن العنابي في العلوم الشّرعية أقوى مع تفتح واع على مشاكل العصر وتفاعل معها، وجاءت ثقافته من اهتمامه الشّخصي بالدرجة الأولى، ومن تقاليد أسرته بالدرجة الثّانية. فتلقى علومه على عدد من كبار الأساتذة يومئذ، كما أمدته تقاليد أسرته بتراث غزير.

أما وظائفه فكان أولها منصب القضاء الحنفي، ولاه الدّاي أحمد باشا هذه الوظيفة بالإضافة إلى مهمة ثانية وهي الكتابة إلى باي تونس، ويختفي اسم ابن العنابي ولا يعود إلا في عهد عمر باشا الذي كلفه (بسفارة للمغرب الأقصى) وبذلك (يتضح أن ابن العنابي لم يكن مجرد عالم بالفقه وما إليه من علوم الدّين، بل كان أيضا دبلوماسيا ناجحاً وخبيراً لشؤون الدّول. وبعد هذه الفترة يكتنف حياته بعض الغموض، وقد أخذت وظيفة المفتي تتعرض إلى تقلبات خلال السّنة الأولى من

الاحتلال الفرنسي للجزائر. وقد أضحى ابن العنابي موضع شبهة من سلطات الاحتلال خاصة عندما أجبره كلوزيل على تسليم بعض المساجد لجعلها مستشفيات للجيش، وقد اتسمت لهجة ابن العنابي بالنقد للسلطات الفرنسية على خرقها للإتفاق الموقع بين الداي حسين باشا والكونت دي بورمون مما جعل كلوزيل يضيق به ذرعاً، فاعتزم على وضع حد له، فتم إلقاء القبض عليه من طرف رجال الدّرك وقادوه إلى السّجن، كما أهينت أسرته بدعوى تدبير مؤامرة ضد الفرنسيين، وإعادة الحكم الإسلامي للجزائر ثم قرر كلوزيل نفيه من الجزائر في مهلة ضيقة، ولم يحصل له (حمدان خوجة) على مهلة عشرين يوما من أجل بيع أملاكه وتصفية ديونه إلا بصعوبة كبيرة، ثم ترك وطنه لآخر مرة قبل نهاية (1831 ميلادية) وانتهى إلى مصر، فأقام بالإسكندرية حيث ولاه محمّد علي باشا وظيفة الفتوى الحنفية بهذه المدينة.

وقد التف حول ابن العنابي تلاميذ وعلماء من الأزهر بعد أن تصدر لتدريس الحديث والفقه، فأجاز الكثيرين من تلاميذه في مصر وتونس وغيرهما، كما كانت له مراسلات كثيرة لكثرة مراسليه الذين يطلبون الرّأي أو الفتوى أو الإجازة، أو غيرها من المراسلات الأدبية، كما اتسمت شخصيته بالروح الدّينية والفكر الاقتصادي، والسّياسي، فكان له دوره الدّيني والسّياسي، لعب دوره الأول وهو يباشر وظيفة الإفتاء ويتصدر للتدريس ويمنح الإجازات لتلاميذه والمعجبين بعلمه، أما الدّور السّياسي فيتمثل في صلته بدايات الجزائر وفي موقفه من الاحتلال الفرنسي لبلاده، وهو الاحتلال الذي نفاه باعتباره عالماً منفياً لأسباب سياسية.

توفي ابن العنابي سنة 1851 ميلادية بمصر، وقد ترك العديد من المراسلات في العديد من المواضيع خاصة الدّينية منها، وأشعارا، وكتبا، أهمها (السّعي المحمود في نظام الجنود)، الذي قال عنه ابن العنابي (أن الأوروبيين نظموا جنودهم ليضروا بالإسلام وأهله، وأمام هذا الخطر الدّاهم، أصبح من المحتم على المسلمين أن يتعلموا منهم ما اخترعوه من صنائع ونظم) وهذا الكتاب مكون من أربعة عشر فصلا، يتعلق بنظم الجيش والأخذ بأسباب الحضارة.

حبيب مونسي

المصادر:

- كتاب «شخصيات جزائرية» للدكتور عمر بن قينة، الطبعة الأولى 1983م
- كتاب (ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي)، الدّكتور أبو القاسم سعد الله، الشّركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.

■ ابن ناجي الغويني
(و: 1355ه - 1936م)

ابن ناجي بن الشّيخ مسعود بن الحاج محمد بن أحمد بن الغويني النّائلي الإدريسي الحسني.

قد ولد سنة 1355هـ. 1936م. شرق صحراء أم العظام.

يقول: بدأت قراءة القرآن منذ الصّبا مع الصّبيان عند أبي، فقد كان يقرئ الصّغار والكبار عند أولاد ناصر (عرش ملاخوة) في الحل والتّرحال على الإبل وفي الخيام، ثم تحولنا إلى عائلة العُقاب (عويسات) سنة 1951م.

فأقرأناهم القرآن في منازلهم بعقلة الجبرية، ثم قرأت بعض القرآن على أبي وبعضه من المصحف، وانتقلت سنة 1955م مع أخي الحاج إلى زاوية الشّيخ المختار بأولاد جلال، فأعدنا القرآن على يد الشّيخ محمد بن الزّبير المتوفى سنة 1960م شيخ

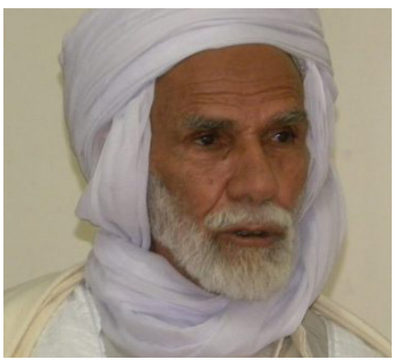

قراء وقته، واستحسن قراءتنا سابقا من المصحف. ثم رجعت سنة 1956م للزاوية المختارية أيضا لقراءة فنون العلم من فقه وحديث ونحو... على يد الشّيخ الإمام أبي الأنوار بن احبوب وغيره.

وسافرت سنة 1961م إلى شيوخ العلم كالشّيخ محمد الأخضر محجوبي في تگرت فقرأت عليه الرّسالة القيروانية وقطر النّدى وبل الصّدى في النّحو، وتحولت إلى الشّيخ الطاهر العبيدي فحضرت درسه في التّفسير، الحزب الأخير من البقرة بقي فيه شهرا، وقرأت على تلميذه بعض قطر النّدى والبلاغة في البيان والمعاني والبديع، واستشرت الشّيخ العبيدي في قراءة الرّسالة فقال لي: اقرأها فإن كلامها كلام نية.

وقد وصلته صورة الشّيخ يوسف النّبهاني رحمه الله فمسح بها على وجهه تبركا، فقلت له: هل يطلب التّمسح بها على الوجه؟ فقال: نعم، فإنها ذكرى.

ثم رجعت إلى الشّيخ عطية مسعودي المتوفى سنة 1989م. شيخ الجلفة. بمساعدة الشّيخ عامر محفوظي المتوفى سنة 2009م. فقرأت عنده فأجازني بما يلي:

"...فإن حامله الطالب الأديب السّيد ابن ناجي بن مسعود غويني قد سبقت له القراءة عن بعض الشّيوخ، وفي الأخير أخذ عني بعض الفنون العلمية، فقد قرأ الرّسالة القيروانية، والجزأين الأولين من مختصر خليل، وختم المقدمة في العقائد للسنوسي، والأربعين النّووية، وقطر النّدى والآجرومية. وكان له فهم وبحث فيما تعلمه، كما كان له تمتع واتصاف بالأخلاق الحسنة والفعال الحميدة، ولم نر منه أيام مكثه وتعلمه إلا الخير. هذا ما عرفناه فيه وشهدنا به وما كنا للغيب حافظين».

وبفيض البطمة سنة 1963م عن الشّيخ الأخضر رحمون المتوفى سنة 1968م. وبمسعد من سنة 1965م إلى سنة 1969م عن الشّيخ أحمد دحماني المتوفى سنة 1978م. وبزاوية الهامل عن شيخها خليل القاسمي ورفاقه من سنة 1987م إلى سنة 1988م. وأجازني قائلا: ...

إنني أروي صحيح البخاري والحمد لله عن عدة شيوخ حفاظ وجهابذة علم...وهذا السّند هو أعلى سند في الدّنيا وقد أجزناكم به. كما أجازني الشّيخ خليل رحمه الله إجازة أخرى في مختصر خليل.

مؤلفات الشّيخ ابن ناجي غويني-

أقول للطالب الرّاغب في المزيد من معرفة القرآن العظيم الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

إني قد جمعت عدة رسائل وكتب منوعة تشتمل على فوائد وفضائل: وسأذكر للقارئ الكريم عنوان الكتاب وصفحاته من تأليف الشّيخ ابن ناجي غويني حفظه الله ونفعنا بعلمه وهي:

- أحاديث ملحقة بهامش التّفسير المسمى بالتّسهيل لابن جزي..مطبوع.
- أحاديث نبوية تفسير آيات قرآنية. نقلتها من الجواهر الحسان في تفسير القرآن. للشيخ عبد الرّحمن الثّعالبي دفين عاصمة الجزائر. مطبوع.
- منظومة في فضل القرآن مطلعها:

يَا رَاغِبًا فِي الْفَوْزِ وَالأَمَـانِ
وَسَاعِيًا فِي الارْتِقَا الْعِرْفَان
عَلَيْكَ بِالنّورِ الْعَـلِـي الرّبَّانِي
أَعْنِي بِهِ التّنْزِيلَ لِلْـــــقُرْآنِ

- منظومة في مبهمات القرآن وهي بهذا العنوان: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن لجلال الدّين السّيوطي رحمه الله. مخطوط
- منظومة في شرح المفردات الصّعبة في القرآن نحو الألفي مفردة بعنوان: توضيح المعاني لمفردات من اللفظ القرآني. مخطوط
- منظومة بعنوان: حملة السّتين هم أولى بعليين. فيها أسماء أحزاب القرآن السّتين مع إضافة بعض الكلمات المناسبة وتوشيحات منشطة مرغبة.مخطوط
- رسالة نثرية بعنوان: العقيدة والآيات المتشابهات..مخطوط
- قواعد وتوجيهات لطلابها منظمات.. مطبوع ونفد عن قرب.
- شرح عقائد ونظم فوائد.مطبوع.
- مجموع لطيف في الدّين الإسلامي الحنيف..مطبوع
- العربية شرفها القرآن مع ما فيها من أغراض وتبيان..."مطبوع".
- المسائل الخلافية وأدلتها عند المالكية... مخطوط
- الاختيارات الرّاجحة من أصول الدّين الواردة في الفاتحة وما يتبعها من فوائد قرآنية واضحة... مخطوط
- تنوير الأجيال اليافعة، بنبذة من فضائل وخصائص العلم وأنواره السّاطعة... مخطوط
- التّبرك المشروع والتّعرف على وجاهة ذوي الجاه المرفوع...مطبوع.
- خطب مختصرة مؤلفة من خطب أئمة الجلفة. مخطوط
- دلائل تشتمل على عدة رسائل... مخطوط
- الأسئلة الدّينية والنّوازل الواقعية الحالية مطبوع
- القراءة على الأموات وما جاء فيها من نفي أو إثبات...مخطوط
- إجابة السّائلين في مسائل علوم الدّين مخطوط
- ديوان شعر بعنوان: نظم حكم ترغيبية وقواعد علمية دينية..مخطوط

هذه الكتب والرّسائل جعلها الله في ميزان حسنات شيخنا ابن ناجي غويني حفظه الله وشفاه ونفعنا بعلمه وحلمه.

بوعمارة بوعيشة

■ أبو الأنوار بن عبد الكريم التّينلاني (1077ه - 1666م/1168ه - 1755م)

هو السّيد أبو الأنوار بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التينلاني، ولد سنة 1077هـ، الموافق لـ 1666م بتينلان من ضواحي أدرار. ينتسب إلى عائلة أموية تنحدر من سلالة الخليفة الثّالث عثمان بن عفان. تعلم في بداية أمره بتينلان إلى أن تلقى العلم عن الشّيخ محمّد بن دين الله التيطافي. امتهن تجارة التّمور بحيث كان يمون بها القوافل المتجهة إلى السّودان، وبلاد التّكرور. أقام مدة بقصر الجديد ثم ما لبث أن انتقل إلى بلاد التّكرور فاحتك بعلماء

الأزواد، فأخذ قواعد السّلوك، والتّربية على يد السّيد الحاج أبي بكر بن محمّد بن عمر بن الوافي الكنتي المتوفي سنة 1140هـ الموافق لـ1728م.

تولى التّدريس، والإفتاء بالتّوازي مع تدبير شؤون تجارته التي توسعت إلى الحد الذي أصبح فيه عاجزا عن إدارتها بمفرده، فطلب من أخيه أن يوافيه بتلك البقاع. لكن سرعان ما عاد إلى الصّحراء الجزائرية، وبالضّبط إلى منطقة أولف، فاشترى البساتين، والأراضي، وبنى له زاوية هناك موجهة للعلم، وإكرام الضّيف- تعرف اليوم باسم حفيده لإبنته هبة الله-، اشتغل فيها بالتّعليم، وإيواء الضّيوف، وعابري السّبيل. وكان من تلاميذه فيها محمّد بن هبة الله، وكان من النّباهة، والتّفوق بمكان، فزوجه من ابنته فاطمة، وجعله، وصيا على ماله.

يشار إليه في الكثير من الفتاوي، والنّوازل، وكان مرجعا في الفتوى، وحجة فيها حتى عند كبار العلماء من معاصريه. ولقد أورد له صاحب الغنية البلبالية العديد من الإجابات عن بعض النّوازل التي عرضت عليه؛ منها نازلة الميت الذي عليه الدّين في حال، وجود الوصي أو تقديم القاضي لمقدم على الأموال هل تثبت الشّفعة للزوجة أو أحد الورثة. إلا أن معظم آثار، وفتاوي السّيد أبي الأنوار لازالتّ دفينة الخزائن، وثنايا المكتبات غير المتاحة للباحثين.

وصفه السّيد عمر بن عبد القادر المهداوي التيلاني، صاحب الدّرة الفاخرة، بقوله: «كان عالما، ومحدثا، وفقيها، ومفتيا. وكان رحمه الله ممن يضرب به المثل في التّصلب في الحقّ، مع دنيا، واسعة أخذ فيها بطريق السّلف، ما زاغ بصره فيها، وما طغى».

توفي يوم الاثنين 25 جمادى الثّانية 1168هـ الموافق لـ 07 أفريل 1755م، بزاوية مولاي هبة الله بضواحي أولف، ودفن بها، فتقبله الله في الصّالحين.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- حوتية محمّد، توات، والأزواد، الجزائر: دار الكتاب العربي للطباعة، والنّشر، 2007.
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للترجمة، والطّباعة، والنّشر، 2007.

■ أبو الحسن علي بن عبد الرّحمان بن محمّد بن، والي الدّزيري ثم الوهراني (و: 1251ه - 1835م/ ت: 1323ه - 1906م)

هو العلامة المقدم الجليل الشّيخ أبو الحسن علي بن عبد الرّحمان بن محمّد بن، والي الجزائري، وجارا، الوهراني دارا، العباسي نجارا (طريقة) الشّهير بلقب «شويوش» تصغير شاويش(). ولد في الجزائر العاصمة بتاريخ التّاسع محرم سنة 1251 هجرية الموافق ل السّادس ماي 1835 كما هو عندنا في سجل التّشريفات – (مخطوط-)

أخذ الشّيخ علي بن عبد الرّحمان عن عدّة شيوخ، ومن أبرزهم:

العلامة أبو الحسن مصطفى بن أحمد المعروف بابن الأمين الحرار، نسبة لخدمة الحرير، كانت، وفاته سنة 1273هـ.

العلامة المتفنن، والفقيه المحدث، والكاتب البليغ، والمدرس المحقق القاضي الشّيخ حميدة بن محمّد العمالي نسبة إلى ناحية مرتفعات جبل عمال قرب الجزائر العاصمة، له ترجمة حافلة في رحلة المشرفي «ذخيرة الأواخر، والأوائل « توفي سنة 1290هـ الموافق لـ1873 م،له كناش في إجازته العلمية، توجد نسخة منه في زاوية البوعبدلي ببطيوة.

ومن شيوخه في العلوم العقلية، والنّقلية محدث الجزائر، ومسندها، وشيخ الجماعة، ومفتي المالكية بها أبو الحسن علي بن عبد الرّحمن بن حفاف الذي تلقى علومه عن أبيه، وعن الشّيخ العربي بن حسن فرصادوا، وعلامة القطر الأفريقي الشّيخ إبراهيم الرّياحي، وأجازه الإمام محمّد صالح بن خير الله الرّضوي البخاري عندما حل بالجزائر سنة 1261هـ، وهي عندي بخط تلميذه القاضي شعيب التّلمساني أجاز هو بدوره محمّد بن سليمان النّدرومي بتاريخ 20 صفر 1331هـ..

أبو المكارم الشّيخ محمّد العربي بن السّائح الشّرقي العمري نسبة، التّجاني مشربا، كان من العلماء العاملين، والأولياء الكاملين، والعارفين الواصلين، والهادين المهتدين، والرّاشدين المرشدين، وهو أحد خلفاء الشّيخ سي أحمد بن محمّد بن المختار بن سالم التّجاني المتوفى عامّ 1230هـ.

نظرا لتمكن الشّيخ من العلوم، والمعارف، فقد أخذ عنه صفوة من الأمة منهم:

عبد الحليم بن علي بن عبد الرّحمن المعروف بابن سماية المولود سنة 1866 م، وأخذ عنه جملة من العلوم، والمعارف، وقد أجازه الشّيخ علي بن عبد الرّحمن نظرا لتحصيله، وخاصة في الصّحيح البخاري.

الشّيخ الحاج بلقاسم ابن الطّيب عبد القادر المدعو أبو كابوا، أخذ معظم علومه، ومعارفه عن الشّيخ علي بن عبد الرّحمن، وكان يثني عليه ثناء جميلا لأنّه لم يعرف حقيقة العلم إلا بمجالسته، توفي الشّيخ

ابن كابوا سنة 1953م، وكانت، ولادته سنة 1279هـ.

الشّيخ الجليل الحاج عبد القادر بن مصطفى ابن عودة محمّد بن قارة الشّريف الحسني من جهة جدته لأبيه، الملود بتاريخ 1862 بمستغانم، وقد أخذ عن الشّيخ علي بن عبد الرّحمن من العلوم، والمعارف خاصّةعندما كان يتردد مترجما على مدينة مستغانم لوجود كثير من أصفائه، وأحبابه هناك، وقد عين الشّيخ بن قارة المستغانمي إماما، ومدرسا في الجامع الأعظم بمستغانم بعد، وفاة الشّيخ محمّد بن عمر المدرس الرّسمي، وكان سنه 25 سنة رحمه الله رحمة، واسعة.

ومن علماء المغرب الذين أخذوا عن الشّيخ أبو عبد الله محمّد سكيرج أخ العلامة القاضي سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج صاحب الرّحلة الحبيبية الوهرانية، وكان لا يذكر شبخه إلا بالصّفات، والأخلاق الحميدة.

ومن علماء تونس الفقيه الأديب المسند الرّحالة أبو عبد الله محمّد الخليفة المدني، أصله من تونس، والمعروف بالمسعودي، روى عن الشّيخ علي بن عبد الرّحمن ثبته، وكان جامعا للكتب، والدّواوين بالشّراء، والاستنساخ فحصل على عدّة صناديق ضاعت، وتفرقت بموته في مكناس المغرب الأقصى غريبا عن، وطنه الأصلي سنة 1313.

العلامة الصّوفي الحاج أبو حفص عمر ابن الطّالب بن سودة أجازه الشّيخ علي إجازة عامّة.

الشّيخ الفقيه المشارك أبو القاسم محمّد الحفناوي صاحب تعريف الخلف برجال السّلف المتوفى سنة 1941 م،

القاضي أبو بكر شعيب بن علي الجليلي، أصله من قرية سبع شيوخ الواقعة قرب الفحول من ناحية تلمسان، أجازه سيدي عبد الرّحمن في الطّريقة، وخاصة صلاة الفاتح، وأشار إلى ذلك القاضي شعيب في إجازته لمحمّد النّابلسي، ويشير له في إجازاته لتلاميذه بالوهراني، نظرا لاستقراره بها.

نظرا لما اشتهر به من شيوخه، وأقرانه من التّضلع في علوم الشّريعة كالحديث، والفقه، والاضطلاع الواسع، وتمسكه بالطّريقة المحمّدية، وخاصة الفتوحات المكية، وجوار المعاني، وما عرف به من التّبحر في فنون الأدب كالعروض، والقوافي، والبلاغة، وحسن السّيرة مع الاستقامة، وعلو الهمة أسند إليه منصب الإفتاء بوهران، وذلك بعد، وفاة الفقيه المفتي الحاج احميدة بن قايد عمر سنة 1870 م، وقد إنتقل إليها مع أسرته، ووالدّته التي توفيت بمدينة، وهران بالرّوضة.

ولما حل بمدينة، وهران، سمي مفتيا بالجامع الكبير أو مسجد الباشا، والذي تسمية العامّة عندنا بمسجد التّرك، وقد أسسه الباي محمّد بن عثمان الكبير سنة 1796 بأمر من باشا الجزائر الدّاي بابا حسن، تخليدا لفتح، وهران الأكبر.

أخذ عنه كثيرون منهم الشّيخ القاضي شعيب، وأجازه، وممن أخذوا عن هذا الشّيخ أعني بن سماية، فقيه الجزائر.

للشيخ عدّة مؤلفات، وقد كان الشّيخ بلقاسم قائما عليها بعد، وفاته، البعض من هذه المؤلفات يوجد في خزائن تلاميذه او تلاميذ تلاميذه، ونظرا للخصوصية لم اذكرهم، ومن هذه المؤلفات:

1 . 1. لقطة المبتدى:

وهو كتاب في علم العروض، ونظرا لقيمته الأدبية اتخذته جامعة القرويين من ضمن الكتب المقررة، وقد صرح بهذا الفقيه محمّد بن أحمد الحرشوي النّدرومي ت 1313هـ/ 1896م في مؤلفه تحفة الأكياس في أجوبة عن كيفية التّدريس بفاس

1 . 1. ثبت:

وهو عبارة عن فهرس لشيوخه، ومرويا ته، وأغلبها عن الشّيخ الحرار العاصمي، توجد نسخة منه عند أستاذنا الشّيخ الفقيه المحدث الدّكتور طالب عبد الرّحمن – عضو المجلس الإسلامي الأعلى –، وقد أجازني بسنده – في الفقه المالكي خاصّة– عن شيخه بخالد بن كابو عن شيخه الحاج بلقاسم بن كابو الوهراني عن العلامة علي بن عبد الرّحمن العاصمي ثم الوهراني بسنده.

1 . 1. كناش:

فهو يشتمل على الأحداث التي شاهدها صاحب الكناشة، وأشعاره، ومساجلاته الأدبية، وفوائده، ويسميها بعضهم الزّمام، والبطاقات. وهي أوراق كالدّفتر تقيد فيها الفوائد، والشّوارد للضبط ("تاج العروس"، ج 4، ص. 347، مكتبة الحياة، بيروت. وهو أشبه أيضا بما عرف بالمشرق من تذكرات

1 . 1. مراسلات:

وقعت له عدّة مراسلات مع شيوخ طبقته، كمراسلة مع الآغا بن عودة المزاري صاحب سعد السّعود، ومنها مراسلات مع بعض تلاميذه كالشّيخ ابن قارة مفتي مستغانم، ومنها مراسلات مع بعض أحبابه من شيوخ الطّريقة الأحمدية كالشّيخ عبد اللاوي، وفاته:

توفي الشّيخ قي 24 رمضان 1324 الموافق لـ 11 نوفمبر 1906م،ودفن في الرّوضة التي تسمى اليوم مقبرة إبن داود الواقعة في الجانب الأيسر للزاوية الطّيبية الوزانية حيث يوجد ضريح سيدي الحسني، وكان ضريح سيدي عبد الرّحمن الجزايري.

بن الدّين بخولة

المصادر:

- مصادر التّرجمة: عند الأستاذ بليل حسني، والتّرجمة الموجودة في موسوعة أعلام الجزائر 1830– 1954 للأستاذ بليل حسني.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض. بيروت: المكتب التّجاري للطباعة، والنّشر، ط 1

■ أبو الفضل محمّد بن أبي القاسم بن عبد الصّمد المشدالي (و:821ه - 1417م /ت: 864ه - 1460م)

ذكره الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي في تاريخ الجزائر العام المجلد الثّاني ص 265 ما نصه: مشدالة

"هو عبقري زمانه، وعلامة عصره، وأوانه الشّيخ أبو الفضل محمّد بن محمّد بن أبي القاسم المشدالي، نسبة إلى مشدالة، وهي بطن من بطون زواوة، ولاية تيزي وزو، ولد رحمه الله في 1417 ميلادية ببجاية ليلة النّصف من رجب عشرين، وقيل إحدى، وعشرين أو إثنى، وعشرين، وثمانمائة للهجرة نشأ أبو الفضل المشدالي على غرار أسلافه، محبا للعلم طموحا للارتقاء شغوفا بالأدب، والعلم، والحكمة له ذكاء نادر قوي الحافظة.

أخذ القرآن، وحفظه بزاوياته السّبع عن، والدّه عبد الله بن محمّد بن القاسم المشدالي في سن مبكرة.

ذكر الشّيخ الجيلالي في تاريخه... بأنه حفظ القرآن في سن مبكرة بدأه في السّن الخامسة، وحفظه بعد سنتين.

أخذ القراءات السّبع على أبيه، وهو عالم بالقراءات ثم على الشّيخ الإمام أبو عبد الله محمّد بن أبي رافع. وقرأ النّافع على الشّيخين:

1. هارون المجاهد، وأبي عثمان سعيد العيسوي، وغيرهما.

1 . 1. قرأ على أبي مرزوق الحفيد.

ولما كانت نفس الشّيخ تحب الارتقاء، والسّمو في نيل مقام أكابر العلماء انكب في حفظ المتون. فبعد حفظه لكتاب الله، وتجويده، وإتقان القراءات اجتهد، وجد في حفظ: الشّاطبتين، ورجز الحراز في الرّسم، والكافية، والشّافية، والخلاصة، ولامية الأفعال لابن مالك، ومتن ابن الحاجب الفرعي، ورسالة ابن أبي زيد القرواني... وأرجوزة التّلمساني في الفرائض، وما يقارب من ربع مدونة سحنون، وطوالع الأنوار في أصول الدّين للبيضاوي، والخوزرجية في علم العروض، وتلخيص ابن البنا في الحساب، وتلخيص المفتاح، وديوان امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والنّابغة الذبياني، وطرفة بن العبد، وعلقمه الفحل.

بعد حفظه لما ذكرنا لازم المشايخ لفهم ما حفظ منها، ولازم أباه كثيرا، وكان كثير الرّجوع إليه. ومما يذكر عنه: أن أباه أمره بمطالعة غزوة بدر ليحاضر بها في اليوم الموعود، فانكب عليها، وحفظها حفظا جيدا من سيرة ابن إسحاق. كما يحفظ النّص القرآني بما فيها من أشعار على ظهر قلب.

إن الأكابر تتوق أنفسهم كالنّحل لشم الأزهار أو كالطّير لرؤية ضفاف الأنهار، وأعالي الجبال فرحل إلى تلمسان سنة 840هـ الموافق لـ 1436م، وكان ممن التقى بهم، وأخذ عنهم:

1 . 1. ابن مرزوق الحفيد:

أخذ عنه التّفسير، والحديث، والفقه، وفنون الأدب، والمنطق، والفلسفات، والطّب.

1 . 1. أبي القاسم العقباني:

أخذ عليه الفقه، وأصول الدّين.

1 . 1. أبي الفضل بن الإمام:

أخذ عليه التّفسير، والحديث، والطّب، والعلوم القديمة، والتّصوف، والحكمة.

1 . 1. أبي العباس أحمد بن زاغو:

أخذ عليه التّفسير، والفقه، والمعاني، والبيان، والحساب، والفرائض، والهندسة، والتّصوف.

1 . 1. أبي عبد الله محمّد بن النّجار المعروف بساطور القياس:

أخذ عليه مختصر بن الحاجب الأصلي، وكان مرجع النّاس إليه في أمر المختصر هذا.

1 . 1. أبي الرّبيع سليمان البوزيدي:

أخذ عنه علوم البيان، والفقه.

1 . 1. أبي يعقوب يوسف إسماعيل:

أخذ عليه الحساب، والفرائض.

1 . 1..أبي الحسن علي بن قاسم:

أخذ عليه الحساب، والجبر، والهيئة، والمقابلة، وجر الأثقال.

1 . 1. أبي عبد الله محمّد البوري:

أخذ عليه علم التّقويم، والميقات بأنواعه من فنون الأسطريات، والصّفائح، والجيوب، والهيئة، والموسيقى، والأوقاف، وعلم المرايا، وما شاكلها.

1 . 1. محمّد بن علي أفشوش التّلمساني:

أخذ عنه علم الطّب.

رجع إلى بجاية ممتلئا علما، ومعرفة في جميع الفنون بل أتقن جميع العلوم من فقه، وأصول، وتفسير، وحديث، ومنطق، وطب، ورحل إلى عنابة ثم إلى قسنطينة، وحضر بها مجالس العلم سامعا منصتا من غير أن يتعرف على أحد، ولا يعرفه أحد. ثم توجه إلى تونس ثم إلى مصر مارا من قبرص على متن سفينة لنصاري جنوة، فنزل في قبرص، وتجول في أرضها، واتصل ببعض الأساقفة هناك، وكانت له مناظرة معهم، وكان ذلك في ذي القعدة الموافق لمارس 1442، ثم انتقل إلى بيروت الشّام، فطاف بها، وتنقل إلى دمشق ثم طرابلس، وحماة ثم قطن القدس مدة، وشاع ذكره في أهل فلسطين، وأجمعوا على تفضيله. ثم حج البقاع المقدسة بمكة سنة 849 هـ الموافق لـ: 1445م، وجاور مكة ثم رحل إلى القاهرة مع الكمال بن البارزي، ولما، وصل إلى القاهرة رفع من شأنه الملك، وقربه، وأكرمه، فأخذ الشّيخ في نشر العلم، والمعرفة، وإملاء الدّروس، وكان موسوعي المعرفة متقنا لقواعدها من معقول، ومنقول، فأدهش بعبقريته الألباب، وبهر العقول، فعلت منزلته عند الخاصة، والعامّة، وكان ممن تعرف عليهم، ونال شرف صحبته... وتتلمذ عليه الإمام السّخاوي، وقد ترجم له في ضوئه.

قال الإمام السّخاوي: ثم حضرت درسه في فقه المالكية بالجامع الأزهر فظهر

لي أنني ما رأيت مثله... وأن من درسه لم يحضر العلم، ولا سمع كلام العرب، ولا رأى النّاس بل، ولا خرج إلى الموجود، والكلام طويل ذكره الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي في تاريخه ج2 ص.268

ذكر السّخاوي في ضوئه، فيما رواه عن البقاعي قال، وحدثني الصّالح أحمد الزّاوي عن بعض فضلاء المغاربة أن ابن مرزوق قال ما عرفت العلم حتى قدم على هذا الشّاب فقيل له كيف؟ قال لأني كنت أقول فيسلم كلامي فلما جاء هذا شرع ينازعني فشرعت أتحرز منه، وانفتحت لي أبواب من المعارف، ونقل البساطي عنه أيضا أنه قال عن أبي الفضل «إن عاش هذا كان عالم المسلمين».

وكان ابن مرزوق، وأبو الفضل بن الإمام يأمران تلامذتهما بالقراءة عليه. فأسرع إليه أغلبهم فتخرجوا عليه. ومن الذين أخذوا عليه أحمد بن زكري الذي آلتّ إليه رئاسة العلم، والإفتاء بتلمسان».

قال عنه بن أبي عذيبة الإمام العلامة أوحد أهل زمانه قدم علينا القدس سنة 1447هـ فأقرأ العضد، وكتب المنطق، والمعقولات، وشهد له الأئمة ببلدنا، وبدمشق، ومصر، وطرابلس – لبنان –، وأنه أوحد زمانه في، وقته، وأنه عديم النّظير في جنس بني آدم، وإنني عاجز عن عبارة أصفه بها فإن كل عبارة هو فوقها «تاريخ الجزائر ص 269.

وكتب الشّهاب الأبدي لوالدّ صاحب التّرجمة أبي الفضل فقال: إن الله خول سيدنا مولانا ملاذ أنسنا أبا الفضل، ولدكم الأسعد من الفتوح الإلهية، والمنن الرّبانية مما امتنحه صالح دعائكم، وحسن طوبتكم، واعتقادكم أن جعله الله بحرا العلوم زاخرة، وعنصرا لفضائل فاخرة، ومحاسن متوالية متضافرة فكم أبدى من دقائم خضعت لها لرّقاب، ونفانس هامت بها ذو الألباب، ومباحث شريفة كشفت دونها الحجاب إلى أن قال... فالوصف يقصر عما هو فيه أبقى الله، وجوده، وزاده في معاليه... انتهى من تاريخ الجزائر العام ج 2 ص 270.

إن كثيرا من العباقرة في العصور القديمة، والحديثة لم يشتغلوا بالتّأليف، وهم أقدر النّاس عليه غير أنهم اشتغلوا بالتّدريس، والتّربية، ومن بينهم الذي نحن بصدد الحديث عنه، أبو الفضل المشدالي.

قال أهل التّراجم بأن له من التّأليف كتاب، واحد، وهو شرح على جمل الخونجي، ولم أعثر عليه خلال مراجعتي لتّرجمته، ونقلا عن الإمام البقاع صاحب نظم الدّرر في تناسب الآيات، والسّور، بأنه شرحه على طريقة حسنة...

وقد ذكره البقاعي في كتابه نظم الدّرر ما نصه... قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمّد بن العلامة القدوة عبد الله محمّد بن العلامة القدوة أبي القاسم المشدالي المغربي البجاني المالكي، علامة الزّمان سقى الله عهده الرّضوان، وأسكنه أعلى الجنان: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السّور، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب، والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السّامع إلى الأحكام، واللوازم التّابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الرّبط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله مفصلا بين كل آية، وآية في كل سورة، وسورة، والله الهادي.

قال البقاعي:، وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدّة بعد، وصولي إلى سورة سبأ في السّنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم في مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه، وبين مسماه عنوانه الدّال إجمالا على تفصيل ما فيه... ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها، فاذكر المقصود من كل سورة، وأطبق بينه، وبين اسمها. وأفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السّورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها...) نظم الدّرر في تناسب الآيات، والسّور، ص 12 للبقاعي ج1

حياة حافلة في الرّحلة في طلب العلم، والمعرفة، ولقاء أهل النّقاء، والتّقى، وأهل المقامات العالية في المشرق، والمغرب، ولكن لابد من الرّجوع إلى الله، وتشاء الأقدار أن يموت بعيدا عن مكان ميلاد بين أهله، وذويه. توفي رحمه الله في بلاد الشّام فريدا غريبا في شهر شوال أو ذي القعدّة من عامّ 864هـ الموافق لـ 1460 ميلادية قبل، وفاة، والدّه بسنتين عليهم من الله سحائب الرّحمة، والغفران، آمين.

إبراهيم مقلاتي

■ أبو بكر بن أحمد بن الميلود بن بلقاسم بن العربي الملقب بالتيجني المضاوي الوهراني (و: 1319ه - 1902م)

أبو بكر بن أحمد بن الميلود بن بلقاسم بن العربي الملقب بالتيجني المضاوي الوهراني. يرجع نسبه إلى قبيلة التّجاجنة حيث كانت جدة أمه السّيدة «لالة رقية» أخت سيدي أحمد التيجاني مؤسّس الطّريقة التيجانية.

ولد الشّيخ أبو بكر بن العربي سنة تسعة عشر، وثلاث مائة، وألف للهجرة (1319ه) الموافق لاثنين، وتسع مائه،

وألف للميلاد(1902م) بقرية عين ماضي، وهي دائرة من، ولاية الأغواط حاليا، وقد نشأ في أسرة محافظة، وقد كان، والدّه مؤذنا بمسجد الزّاوية لمدة تفوق الثّلاثين سنة، وقد التّحق بالكتاب كعادة جميع أقرانه آنذاك، وهو ابن الخمس سنوات، ثم أدخل المدرسة الفرنسية إجباريا سنة1908م، وتخرج منها سنة 1914م متحصلا على الشّهادة الابتدائية، وفي الكتاب أتم حفظ القرآن الكريم قراءة، ورسما، وأداء، وهو ابن السّادس عشرة سنة على يدي شيخيه سيدي محمّد بالمبروك، وسيدي محمّد قريد، وأثناء ذلك كان الشّيخ يعمل مع، والدّه في الزّراعة، وبعدها أخذ في طلب العلم فحضر مجالسّ علماء بلدته، وشيوخها، ونال منهم الحظ الوافر من العلم.

لقد كان الشّيخ أبو بكر بن العربي كثير التّنقل في أرض الوطن، لا يقيم في مكان حتى يذهب إلى آخر فاهتم بنشر تعاليم الإسلام، وتحفيظ القران الكريم فكان محييا للسنة، ومعلما دينيا، ومصلحا اجتماعيا، ثم انتقل من قريته عين الماضي إلى إحدى قرى مدينة تيارت، فأقام هناك حلقات التّدريس، ولبث بها قرابة الثّلاثة أشهر، وبعد زمن انتقل إلى قرية راس الماء بطلب من سكانها للإمامة، والتّدريس، ومكث فيها مدة عشرين سنة من 1930م الى 1950م حيث قام بتدريس النّحو، والصّرف، والبلاغة، والفقه، والتّفسير، والحديث مما سبب له الكثير من المضايقات من طرف السّلطات الفرنسية، وتم طرده من قرية راس الماء منفيا بسبب نشاطه العلمي، والدّيني، والتّربوي، ونضاله السّياسي الوطني حيث أن الشّيخ كان من الأوائل الذين انخرطوا في حزب الشّعب الجزائري ثم حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية، وأخيرا اللجنة الثّورية للوحدة، والعمل، فاختار قرية المالح بولاية عين تموشنت التي سبق، وأن تردد عليها فاستقبله أهلها بكل حفاوة، ومنحوه منصب الإمامة، والتّدريس بالمسجد الكبير بالقرية.

رحل الشّيخ أبو بكر بن العربي إلى المغرب الأقصى أثناء تنقلاته العديدة للقاء علمائها فنزل بمدينة فاس التي اشتهرت بكثرة علمائها حيث التّقى بابن عم، والدّه سيدي محمّد بالميلود فقدمه العلماء هناك مما جعله يتردد على مجالسّهم بانتظام، ثم انتقل إلى الرّباط بطلب من أحد أقاربه، وهو السّيد التّجيني أحميدة أحد أكابر علماء عصره، فأصبح الشّيخ يحضر مجالسّ العلماء، وتعرف على العديد من طلبة العلم هناك، وقد دامت هذه الرّحلة سنة كاملة (1928م)، وبعد ذلك عاد إلى أرض الوطن لزيارة، والدّيه، والاستقرار بها.

بعد اندلاع الثّورة التّحريرية، وبسبب نضاله السّياسي، والإصلاحي عانى الشّيخ من متابعات الاستعمار له خاصّةبين سنتي 1955م، و1956م حيث اعتقل هو، وابنته الصّغيرة بسبب التّحاق ابنه محمّد بالثّورة، ثم أطلق سراحهما بعد ذلك، وخشية أن يلقى عليه القبض ثانية غادر الشّيخ هو، وعائلته في سرية تامة نحو، وهران، وكان ذلك سنة1957م تاركا، وراءه كل ما يملك، والتّقى هناك بالعلامة الطّيب المهاجي، وتوثقت الصّلة بينهما، وعاد الشّيخ أبو بكر بن العربي إلى نشاط التّدريس بالمسجد الكبير بأحد أعرق أحياء، وهران، وكذلك بزاوية الشّيخ عبد الباقي، وبعض المدارس القرآنية ثم زاوية أحمد بناصف سنة 1961م، وخلال ذلك كان على اتصال دائم ببعض القياديين الثّوريين،فكان لهم المرجع، والمستشار فيما يتعلق بأعمالهم الثّورية.

بعد الاستقلال، واصل الشّيخ أبو بكر بن العربي نشاطه الدّيني، والتّربوي متنقلا بين مساجد، وهران، وفي سنة 1965م غادر الشّيخ أرض الوطن متوجها إلى الحرمين الشّريفين لأداء فريضة الحج، وأثناء ذلك دخل بلاد الشّام، وزار عدّة أماكن من معالم، وآثار، ووقف على قبور العلماء منها قبر الإمام محي الدّين بن عربي، وقبر الأمير عبد القادر الجزائري.

شيوخه:

تتلمذ الشّيخ أبو بكر بن العربي على يدي مجموعة من العلماء نذكر منهم:

- الشّيخ العلامة الفقيه أعمر بن سعد، وقد أخذ عنه مختلف الفنون في عين ماضي.
- الشّيخ الفقيه سيدي محمّد السّوسي السّكتاني، وهو من علماء المغرب الأقصى.
- الشّيخ العلامة محمّد بن محمّد المهدي الحجوجي الإدريسي الحسني اتصل به أثناء رحلته إلى مدينة فاس، وهو من كبار علماء المغرب.
- الشّيخ الحافظ الفقيه سيدي محمّد المدني بن الغازي بن الحسني الرّباطي، وهو من كبار علماء المغرب.
- الشّيخ سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس الفاسي.
- الشّيخ الحافظ ابو شعيب بن عبد الرّحمن الدّكالي يوصف بأنه نادرة المغرب، وأحد علمائها.
- الشّيخ عبد الله الفضيلي.
- الشّيخ العباس بناني.
- الشّيخ سيدي محمّد بالميلود، وقد أجاز شيخنا بسند من الأسانيد العالية في رواية الحديث الشّريف.

تلاميذه:

- الشّيخ، وعلي بن دوينة من مواليد 1959 بوهران لا يزال يشتغل بالإمامة، والتّأليف بوهران.
- الشّيخ، ويس عبد القادر من مواليد 1958م بمقاطعة بوسفر التّابعة لوهران.
- ابنه المجاهد محمّد بن العربي المولود في 1934 م براس الماء بولاية سيدي بلعباس.
- الشّهيد التيجيني محمّد الطّاهر السّمغوني الذي عمل محررا بأكثر من جريدة.

ترك الشّيخ أبو بكر بن العربي الكثير من المؤلفات في اللغة، والنّحو، والصّرف، والفقه، والحديث، والعقيدة، ولكن اغلبها لا يزال مخطوطا، ومن آثاره المطبوعة:

- أرجوزة: يتحدث فيها عن أهم المصادر، والمصادر: التي يجب على كل طالب علم الأخذ بها.
- منظومة في تصريف الفعل.
- رسالة شكر: بعث بها الشّيخ أبو بكر بن العربي إلى الخليفة العام للطريقة التيجانية الشّيخ محمود بن البشير التيجاني.

أقوال العلماء، والباحثين فيه.

نال الشّيخ أبو بكر بن العربي إعجاب العلماء لكثرة توسعه في شتى العلوم فقد، وصفه العلامة الطّيب المهاجي «بالموسوعة في كل العلوم»، وقال عنه الشّيخ محمّد بلكبير بأنه»بقية السّلف، والكنز المدفون بوهران»و قال عنه مرة أخرى:»إذا أردت أن أتذكر علماء أسلافنا نظرت إلى الشّيخ أبي بكر رحمه الله».

وقد عكف بعض الباحثين الجزائريين على تتبع آثار، ومخطوطات الشّيخ مثل الدّكتور بوعناني مختار، والدّكتور قدور براهيم عمار مهاجي، والباحث خالدّ يعقوب، وغيرهم.

مليكة صالح

المصادر:

- تصريف الفعل لأبي بكر بن العربي التّجيني المضاوي الوهراني لخالدّ يعقوب رسالة ماجستير جامعة، وهران 2007م
- حياة الشّيخ أبي بكر بن العربي الماضوي الوهراني للدكتور مختار بوعناني مقال بمجلة القلم العدد التّاسع جويلية 2009

■ أبو زيان محمّد الأول
(و: 659ه - 1261م /ت: 707ه - 1307م)

محمّد الأول المكنى بأبي زيان، السّلطان الثّالثّ في سلسلة سلاطين بني زيان. فوالدّه هو أبوسعيد عثمان الأول، وجده هو يغمراسن بن زيان مؤسّس دولة بني زيان. وقد عرفت هذه الدّولة في بدايّة عهدها بدولة بني عبد الواد بعد أن، وضع أسّسها يغمراسن بن زيان بن ثابت بن طاع الله من بني القاسم سنة 633هـ/ 1235 م. لكن بعد أن استولى المرينيون حكام المغرب الأقصى على تلمسان سنة 737ه/ 1337م، ودامت فترة حكمهم لها حوالي 23 سنة، أعيد انبعاثها على يد السّلطان أبي حمو موسى الثّاني فأطلق عليها اسم الدّولة الزّيانيّة نسبة لزيان بن ثابت، والدّ يغمراسن، ومنذئذ عرفت بذلك، وظل اسمها علماً لمملكة من ممالك الإسلام في عهده الزّاهر.

ولد محمّد الأول بتلمسان سنة 659 هـ/ 1261، وكانت حاضرة ملك بني زيان، ومن أبرز مراكز الاشعاع العلمي، والثّقافي في المغرب الأوسط، وجنوب البحر المتوسط. وقد تبارى الأدباء، والكتاب في، وصفها، وهذا ابن خميس أحد أبنائها النّازحين عنها إلى غرناطة يصفها في قصيدة طويلة مطلعها:

تلمسان لو أن الزّمان بها يسخو
منى النّفس لا دار السّلام، ولا الكرخ

تمت مبايعة أبي زيان لتولي الحكم بعد، وفاة، والدّه أبي سعيد عثمان الأول في اليوم الثّاني من ذي القعدّة سنة 703 هـ الموافق لـ 6 يونيو/ جوان 1304 م. وفي عهده كانت تلمسان تتعرض لحصار مريني مرير من طرف السّلطان أبي يعقوب يوسف لمدة ثماني سنوات، وكاد يقضي على الحياة فيها، ويمس بوجود الدّولة الزّيانيّة ذاتها لولا، وفاة السّلطان المريني مغتالاً من طرف أحد الخَدم يدعى سعادة، وهو ما عجل بانسحاب القوات المرينيّة التي كانت تحاصر المدينة. يصف الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي فترة حكم أبي زيان بقوله: « تولى المُلك في أحرج الظّروف، وأعسر الأوقات، فلقد، ولّى عرش بني زيان، وعاصمتهم مهددة بالانقراض، ودولتهم بالانهيار، وحياتهم بالاضمحلال، وذلك لما نزل بهم من الحصار المريني، وما نكبهم من الرّزايا، والفجائع، والآلام فتحمل عبء كل ذلك، وحده، وتزعم قومه مجمعا رأيه على الكفاح، والمقاومة إلى النّهايّة». بينما يقول أستاذ العلوم السّياسيّة الدّكتور عمار بوحوش أن الحصار «جعل تلمسان تعيش أزمة لا مثيل لها في التّاريخ». وتسجل أحداث التّاريخ أن أبا زيان دعا قومه عند مبايعته للخروج، والاستماتة في الدّفاع عن تلمسان، وذلك لكسر الحصار المضروب عنها. ولتسجيل، وقائع تلك الفترة كتب بنو زيان في عهده على نقودهم عبارة «ما أقرب فرج الله».

كما يصف المؤرّخ محفوظ قداش، في كتابه "جزائر العصر الوسيطّ، إن سنة 1307 م، وهي سنة رفع الحصار كانت عصر انبعاث سلطنة تلمسان لأنها كادت تنقرض. ولما استعاد الزّيانيون المبادرة، كان أوّل عمل قام به أبو زيان محمّد الأول هو سعيه لبسط هيبة الدّولة، وترسيخ، وجودها عبر الكيان الجزائري. فخرج في 20 من ذي الحجة 706 ه الموافق لـ 22 يونيو/ جوان 1307 قاصدا منطقة الشّلف، وما جاورها فخضعت له القبائل المقيمة بتلك النّواحي بينما لجأت تلك التي عارضته إلى الصّحراء. وبعد أن بسط الأمن، والأمان عاد إلى تلمسان في رمضان من سنة 707 أي فبراير 1307 م، فوطد أركان دولته، وكسر شوكة القبائل

المناهضة لحكم بني زيان، فاقتدى بنهج من سبقوه، وسار من خلفوه على نهجه.

يصف المؤرّخ عبد الرّحمن بن خلدون دولة بني زيان بأنها « كانت تماثل الأمصار العظيمة»، بينما يقول عنها المؤرّخ أحمد توفيق المدني: « كانت أعظم، وأزهر دولة إسلاميّة تأسّست بهذه الدّيار، فكان نجمها الزّاهر يتألق في الغرب سناه أسطع مما كان نجم بني حمّاد في الشّرق».

ويحدد الشّيخ مبارك الميلي مجالها كالتالي: « مملكة آل زيان هي موطن عبد الواد، وأحلافهم بني راشد الممتدة طولا من البحر إلى الصّحراء، وعرضا من ناحيّة، وادي مينة، وجبال سعيدة إلى ملويّة، وفقيق/ فكيك. ثم ملكوا مواطن توجين، ومغراوة، وفتحوا الجزائر سنة 732 هـ، وبلغوا تكلات قرب بجايّة، ومنها يذهب الخط جنوبا إلى البويرة، ويمر مُصحِراً شرقي حمزة (البويرة)، والمسيلة، ومزاب إلى تيكورارين. وبهذه المملكة من قبائل العرب المعقِل، وزغبة، وأولاد سباع بن يحي من رياح». أما الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي فيصفها بقوله: « تمتد مملكة الجزائر الزّيانيّة غربا إلى مدينة تاوريرت قرب، وجدة، وتبلغ في بعض الأحيان شرقا إلى أعمال قسنطينة، ودلس، وبجايّة، وهي في ذلك تسير حسب تقدم الدّولة، وانتصاراتها على منافسيها من بني أبي حفص، وبني مرين».

توفي السّلطان أبو زيان محمّد الأول في شهر شوال من سنة 707هـ الموافق لـ فبراير 1307م بعد مرض مفاجئ لم يمهله طويلا، ودفن في 21 شوال الموافق لـ 26 أبريل 1307 م. لكن بعض الرّوايات تشير إلى أن، وفاته كانت خلال أيام الحصار، وهو ما لم تثبت الأيام صحته. يقول عنه الشّيخ مبارك الميلي كان «رقيق القلب فاضلا مباركا حسن الملكة». ويصفه الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي بأنه اشتهر بالنّشاط، والحزم، ورقة الحاشيّة، ودماثة الطّبع، فاضلا، حسن التّدبير. وقد خلفه في الحكم أخوه أبو حمو موسى الأول، وكان رابع سلاطين بني زيان.

عامر بغدادي

المصادر:

- تاريخ الجزائر العام، عبد الرّحمن الجيلالي، ج 2، دار الثّقافة، بيروت. 1983م
- تاريخ الجزائر في القديم، والحديث، مبارك الميلي، ج 2، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب.
- التّاريخ السّياسي للجزائر، عمار بوحوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

■ أبو سعيد عثمان الأول
(و:639ه - 1241م/ت:703ه - 1304م)

عثمان بن يغمراسن بن زيان، ويكنى بأبي سعيد، ثاني سلاطين دولة بني زيان. ولد عثمان سنة 639 ه/ 1241 م. والدّه هو يغمراسن بن زيان بن ثابت مؤسّس الدّولة الزّيانيّة. تمت مبايعته بالملك في مطلع شهر ذي الحجة 681 ه الموافق لشهر مارس 1283 م، وذلك بعد، وفاة، والدّه. يعتبر عثمان الأول هو المثبت لأركان مملكة بني زيان بعد أن، وضع يغمراسن أسّسها. وكان، والدّه قد مهد الطّريق لابنه حيث ارتبط مع الحفصيين بالمصاهرة لدرء خطرهم فزوج ابنه، وولي عهده عثمان من ابنة إبراهيم بن أبي زكرياء الحفصي، وأوصاه بتجنب أي صدام مع بني مرين. والتزم الابن بوصيّة، والدّه حيث اتبع نهجا مسالما مع بني مرين ليتفرغ لخصومه من مغراوة، وتوجين. فبادر بإرسال أخيه محمّد سنة 684 ه/ 1285 إلى السّلطان المريني يعقوب بن عبد الحق الذي كان حينها في الأندلس لمهادنته قصد التّفرغ للمهام الجسيمة التي كانت تنتظره. تلك هي الخطة التي اتبعها أبو سعيد، فأظهرت تلمسان في عهده الود مع بني مرين، وتوجهت شرقا لإخضاع الجهات المتمردة التي كانت في الغالب ترتبط بعلاقات، ولاء مع المرينيين. وهكذا، بعد أن جمع كلمة قومه حوله توجه ابتداء من سنة 686ه/ 1287 إلى منطقة مازونة فاستعادها من مغراوة التي كانت متمردة على بني عبد الواد ثم أزاح توجين من منطقة تافركنت. وعسكر حول بجايّة، وكانت تابعة لبني حفص ثم تخلى عنها، ورجع إلى مناطق المديّة، وتنس التي أصبحت ابتداء من 26 ربيع الأول 688ه/ 20 مايو 1289 م تحت حكمه. وبعدها حاصر بلدة برشك، وهي موقع بين تنس، وشرشال لمدة تفوق الشّهر حتى تخلى عنها شيخها ثابت بن منديل. وحاصر بني سلامة جنوب فرندة في القلعة المنسوبة لهم حتى خضعوا لطاعته. كما أخضع بني توجين الذين كانوا موالين لبني مرين. وبأعماله تلك حدّ من شوكة مغراوة، وتوجين، ووسع ملك بني زيان إلى المغرب الأوسط، وأصبحت مملكة بني عبد الواد تمتد في موازاة نفوذ بني حفص.

لم ينظر بني مرين بعين الرّضا لتلك الأعمال التي قام بها السّلطان عثمان الأول في بسط ملك بني عبد الواد على الجزء الأكبر من بلاد المغرب الأوسط، خاصّة، وأنه كان يقيم علاقات طيبة مع أمراء غرناطة بالأندلس فغلت مراجلهم خاصّةبعد أن أخضع القبائل التي كانت سنداً لهم. فجاهروا بعداوتهم لبني زيان، ودخلوا في حرب متواصلة معهم. ومن أكبر، وقائع تلك الحرب نذكر حصار مدينة تلمسان في عهد السّلطان عثمان الأول، والذي دام ثماني سنوات كاملة. فقد قام السّلطان المريني أبو يعقوب يوسف ابتداء من شهر ربيع الثّاني 687 ه/ مايو 1290 م بمحاصرة المدينة لمدة ثلاثة أشهر، ودافع بنو زيان عن حاضرة ملكهم فهزم أبو يعقوب، وانسحب راجعا إلى المغرب الأقصى. ثم

أعاد الكرة أربع مرات، وفي المرة الخامسة ضرب حصارا دائما على المدينة بهدف إخضاعها. وقد دفعته شهوة الانتقام إلى إقامة مجموعة من الأسوار حول تلمسان ليمنع الدّخول إليها، والخروج منها لإرغام أهلها على الاستسلام. وجعل لتلك الأسوار أبوابا يستخدمها في حربه ضدها. كما ابتنى بجوارها مدينة جديدة عرفت بمحلة المنصورة، وذلك سنة 698 ه/ 1299 م. وقد هدم الزّيانيون مبانيها بعد اندحار بني مرين، وطمسوا معالمها باستثناء المسجد الجامع الذي ما تزال صومعته شاهدة على تلك الحقبة من التّاريخ. حقبة كانت مريرة، ومليئة بالحروب، والصّراعات لتقويض ملك بني زيان من طرف بني مرين لكن دون جدوى. وفي أثناء الحصار، أرسل السّلطان المريني فرقة من جيشه إلى داخل البلاد سنة 671 ه/ 1272 م فشردت أهل الشّلف، والونشريس، وحطمت حصون تلك المنطقة، ودخلت مدينة المديّة، ثم عادت إلى تلمسان. ووصف الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي تلك الحقبة بقوله: «رغم كل الشّدائد فقد ثبت بنو عبد الواد ثبوت الجبال الرّاسيات مدافعين عن حرمهم بالمهج إلى أن جاءهم الفرج باغتيال سلطان بني مرين على يد الغلام سعادة».

ما يجدر ذكره أن السّلطان أبو سعيد عثمان توفي أثناء الحصار، وقيل إنه ابتلع سما. وكانت، وفاته يوم السّبت أوّل ذي القعدّة سنة 703 ه الموافق لـ 5 يونيو/ جوان 1304 م.

ويصف الشّيخ مبارك الميلي السّلطان أبي سعيد بأنه «كان شهما مقداما محبوبا ذا سياسة، وصبر». وهو نفس ما يذهب إليه الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي حيث قال عنه: « الملك الشّهم حسن السّياسة، والتّدبير مقداما صبورا على حوادث الدّهر، وضرباته». ويقول الشّيخ مبارك الميلي عن سلاطين بني زيان: « كان ملوك آل زيان يفوقون بني مرين، والحفصيين حربا، وسلما». وإنهم «كانوا لا يتلقبون بألقاب الخلفاء كالمنصور، والمستعين إلا بعض أبناء أبي حمو. وكانوا يولون الأمر بالبيعة الشّرعيّة إلا أبا تاشفين الأول، وسميه الثّاني، وبعض ذريّة أبي حمو فإنهم تغلبوا على الأمر بقوة عصبيّة أو مدد خارجي، والملِك كان هو مصدر كل السّلطات، وولي عهده رديفه (نائبه)، وهو مظهر سلطانه، ونائبه في قيادة الجيوش».

عامر بغدادي

المصادر:

- ـ تاريخ الجزائر العام، عبد الرّحمن الجيلالي، ج 2، دار الثّقافة. بيروت
- ـ كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، 1984
- l'Algerie médiévale Mahfoud kaddache ENAL;1992

■ أبو عبد الله البوعبدلي الرّزيوي (و: 1285ه - 1868م)

العالم العلامة المرشد المربي اللغوي النّحوي المصنف الزّاهد المتصوف سيدي أبو عبد الله بن عبد القادر بن محمّد بن الجَيْلانيّ بن الموهوب البوعبدلّيّ ترجع أصل أسرته إلى الجدّ الأكبر المدعو: أبو عبد الله المغوفل دفين، واد رهيو، قرب مدينة الشّلف.

ولد سيدي أبو عبد الله البوعبدلي عامّ 1285 هجرية، الموافق لعام 1868 ميلادية في دوّار سْوِيدِيَّنْ، بمكان يدعى دار بن صالح عرش بني خلاّد قرب مدينة «هُنَيْنْ»حفظه للقرآن الكريم: تلقى أبو عبد الله البوعبدلي القراءة، والكتابة في القرى التّالية:

- قريته (سْوِيدِيَّنْ) على يد، والدّه تالي كتاب الشّيخ عبد القادر البوعبدلّيّ.
- قرية أولاد البُوعْنَانِي (دشرة الحَمْرَة)، وبهذه الدّشرة حفظ القرآن الكريم، وكان ذلك على يد الفقيه الشّيخ المختار البُوعنَاني أحد أجدادنا ـ رحمهم الله ـ
- قرى، ولْهَاصَة
- السّاحل (سْوَاحْلِيَا)، وبخاصة في قرية (تْيَانَتْ) قرب مدينة الغزوات على يد الشّيخ لخضر الخبشي.
- مدينة تلمسان.
- مدينة مستغانم. إلخ....

توجه سيدي أبو عبد الله البوعبدلي إلى المغرب الأقصى (مراكش) ناحية (بني ازْنَاسَنْ) (ويدعى عند أهل مراكش المغرب الشّرقي)، وهناك تلقّى العلوم الشّرعية، واللغوية مدّة أربع سنوات.

قرأ سيدي أبو عبد الله البوعبدلي رضي الله عنه على العديد من مشايخ حفظة القرآن الكريم أمثال:

- الشّيخ سيدي عبد القادر البوعبدلي رضي الله عنه (أبوه)
- الفقيه سيدي الشّيخ المختار البوعناني رضي الله عنه (بني خلاّد)
- الشّيخ سيدي لخضر الخبشي (ناحية الغزوات)*.
- الشّيخ سيدي شعيب بن علي قاضي الجماعة (تلمسان).
- الشّيخ سيدي محمّد الحرشاوي النّدرومي بمدينة تلمسان.
- الشّيخ العلامة سيدي بن يلس(ألفية ابن مالك) بمدينة تلمسان.
- الشّيخ سيدي قدور بن سليمان بمستغانم.

أجازه الشّيخ سيدي شعيب بن علي قاضي الجماعة بتلمسان، بأبيات شعرية منها هذان البيتان:

أبا عبد الله يا ابن عبد القادر
وقال إله العرش أسباب ذي الفتن
ولا زلت ترقى، والعناية سرمدا
نلاحظكم بأعين ما لها مسن

إن تلاميذ الشّيخ أبي عبد الله البوعبدلي كثّر، ومن بينهم أبناؤه:
- الشّيخ محمّد ـ رحمه الله.
- الشّيخ المهدي ـ رحمه الله.
- نصر الله ـ رحمه الله.
- الشّيخ عبد البرّ ـ رحمه الله.
- الشّيخ عيا القائم على شؤون الزّاوية الآن ـ أطال الله عمره.
- الشّيخ أمحمّد بن داود المسيفي الجبلي النّدرومي الأمين، والحافظ لتراث الشّيخ أبي عبد الله البوعبدلي.
- الشّيخ عليش ـ رحمه الله ـ
- الشّيخ عبد الله النّجاري ـ رحمه الله ـ، والعشرات من غير هؤلاء.

أشرف الشّيخ أبو عبد الله البوعبدلي على تعليم أطفال قرية (المناصْرّة) أرض الغرابة بناحية (سِرَات) الواقعة بين مدينة سيق، وبطيوة ـ القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وتعليم أهل القرية أمور دينهم، ثم تزوّجه أهل القرية إحدى بناتهم.

انتقل الشّيخ إلى قرية بطّيوة أرزيو حوالي ستة 1903م، فأسس فيها مدرسة لتعليم القرآن، ومبادئ الدّين الحنيف، تصدّر للإرشاد، والتّربية عامّ 1921م.

أسس زاوية باسمه تدعى (الزّاوية البُوعَبْدلِّيَّة) بقرية بطّيوة حاليا ـ أرزيو ـ بقرب مدينة، وهران بالغرب الجزائري، وما زالتّ هذه الزّاوية قائمة إلى يومنا هذا، وتجدر الإشارة أن الشّيخ سيدي أبي عبد الله البوعبدلي يعد، واحدًا من الأعضاء المؤسّسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

لم نستطع حصر كلّ ما كتبه العلامة الشّيخ أبو عبد الله البوعبدلي لكثرة مؤلفاته، وفي علو شتّى، ولتوزّعها في أنحاء المعمورة، وما استطعنا أن نقف عليه هو الآتي:
- تاريخ الأنبياء المختصر، طبع بتحقيقنا.
- تاريخ الأنبياء المطول، لم نقف عليه، وهو عند أتباع الطّريق.
- مقصورة الحسن، والبهاء، منظومة في الفرائض، نظمها عامّ 1325هـ، بها (169 بيت)
- شرح مقصورة الحسن، والبهاء (عند أتباع الطّريق).
- حزب بشائر المريد (أدعية، وأوراد) لأهل الطّريق (مخطوط) بقلم الشّيخ نفسه، وبقلم الشّيخ أمحمّد بن داود، نسخ من نسختين، وهو معروف بين أهل الطّريق، وغيره حقق من قبلنا.
- ورد الطّريقة البوعبدلية.
- سمير السّهران في أخبار الجزائر، ووهران (عند أتباع الطّريق)*
- الدّستور الجزائري كيف يكون من الكتاب، والسّنّة في سبع عشرة صفحة من الحجم الكبير، اطّلع عليه الشّيخ أمحمّد بن داود في خزانة السّيد أمحمّد برّحّال،
- ديوان شعر كله في الرّوحيات في مناسبات شتّى (جمع بعضه في كراسة من قبل الشّيخ أمحمّد بن داود)
- بعض المسائل النّحوية، والصّرفية 11 ـ أجوبة في النّحو، والصّرف، والعروض، واللغة
- رسم الألف التي تكون آخر الكلمة (منظومة)
- فتاوى دينية مختلفة.
- طريق القوم.
- العظيم في الذكر (مخطوط مبتور من الأخير).
- رسائل عدّة في التّربية، والسّلوك في شتّى الموضوعات، وقد جمعنا منها العديد.

توفي الشّيكخ سيدي أبو عبد الله البوعبلّيّ البطّيوي الرّزيويّ ـ رحمه الله ـ بمقرّ سكناه بالزّاوية البوعبدلية بمدينة بطّيوة سنة 1372هـ، الموافق للرابع من شهر نوفمبر سنة 1952م.

بخولة بن الدين

■ أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن مسايب (و: 1115ه - 1703م/ت: 1192ه - 1778م)

هو أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن مسايب شاعر الملحون، ولد في أواخر الحادي عشر الهجري، القرن السّابع عشر الميلادي بتلمسان بحي باب زير، انتقلت عائلتُه من الأندلسِ إلى تلمسان بعد سقوط غرناطة عامّ 1492م آخر مملكة إسلاميّة في الأندلس، تعلّم في كتاتيب تلمسان القراءةَ والكتابة، وحفظ القرآن الكريم وبعض مبادئ الفقه الإسلامي على غرار أترابِه في ذلك الزّمان على يد مشايخ تلمسان في ذلك الزّمان، لكنّ تعليمه لم يدمْ طويلاً فقد اضطرّته الحاجةُ إلى البحث عن عمل لإعالة عائلتِه، فعمل في صناعةِ النّسيج؛ فكان يُديرُ المغزل في الدّرْزِ، وهي الحرفة التي كانت يومها قائمة في تلمسان بكثرة، فتعلّم كيفيّة التّأليف بالخُيوط والألوان قبل تأليف الكلمات والموسيقى في الشّعر، وهو ما جعله مشهورًا فيما بعد. تعلّق قلبُ الشّاب ابن مسايب بفتاة تُسمّى عائشة كانت تأتي غالبًا إلى الورشة التي يعمل فيها، فوقع في حبِّها حتّى كتبَ الكثير من القصائد يتغزّل بها ضاربًا بذلك كل الحظر الاجتماعي الّذي كان يسودُ المجتمع التّلمساني المُحافظ، كتب قصائد الحبّ للفتاة سمّاها باسمها «عائشة» ممّا طرحَ له متاعب مع عائلتها، التي قامت بتقديم شكوى لدى السّلطات، وهو ما اضطرَّه إلى الفرار إلى بلاد المغرب،

ولم يكن فرارُه راجعًا فقط لهذا الأمر- كما يقول الرّواة – ففي عهده كانت تلمسان بؤرة الاشتباكات المستمرّة بين العثمانيّين وحكّام المغرب، وقد ندّد الشّاعر بالوجود العُثماني في تلمسان في قصائد متغنّيًا بجمالِ تلمسان.

جاتْ ما بين الصّحْرا والتّل مُجتمـــــع
فارحين مْواليها بِصيَد البّر والبْحـــــرْ
جاتْ ما بين عّطار وقبَّـــــة المَنارْ
مَعَ الصّفصيفْ وعَيْن الحُوتْ وأزروانْ
والخْنادَق والقَلعَة وحْـــنيفْ كـــيفْ دَارْ
والجَنح الأخْضَر والعبَّـــــادْ والعُيـــونْ

قام ابن مسايب برحلة طويلة عبر المغرب والمشرق؛ قصدَ المغرب الأقصى في مرحلة الشّباب بعد أن اشتكته عائلة عائشة التي جهَر بحبّها في شعرِه إلى السّلطة، وهناك تعرّف على معالم مدينة فاس واتّصل بعلمائها ومال إلى التّصوّف في معتقده متأثّرًا بابنِ الفارض، ثمّ قصد مكّة المكرّمة لأداء فريضة الحجّ، رجع إلى تلمسان بعد أن هدأت أوضاعُه، وسمحت له السّلطاتُ العثمانيّة بالعودةِ، وهنا حدث التّغيير في مساره فقد مال إلى التّصوّف ونالتّه التّقوى والورع، وعرفَ بالحكمةِ والذّكاءِ وكثرة تجاربه في الحياة، ألف في آيات التّوسّل لله تعالى ومدح المصطفىﷺ، نادمًا على سنواتِه التي مضت في شبابه.

توفي ابنُ مسايب بتلمسان حوالي عامّ 1768 م، ودُفن بالقرب من ضريح الشّيخ السّنوسي بتلمسان.

ترك الشّاعرُ بن مسايب ديوان شعرٍ مطبوع يضمّ قصائده في الشّعر من مديحٍ ديني، وغزل، وحكمة، وتصوّف، ورثاءٍ، نذكر منها منا قصيدتَه المشهورة في الشّعر الملحون بعنوان الوشّام التي نالتّ رواجًا كبيرًا يقولُ فيها:

يا الوشّام دخيلْ عليك
كن حاذَرْ فاهَم نوصّيكْ
اخفَضْ والخفض يْوَاتيكْ
منيتي بالك تاذها
يا الوشّام
اعمْل كْتَابْ من عَشْر مْيَا
من العرب ونْجوعْ قويّا
والعْساكَر الكليا
جابْها البايْ وجابْها
يا الوشّامْ
اعملْ ألف ألف زنَادْ
والعْساكَرْ حتّى القيّادْ
الطّبولْ تَرْعَدْ تَرْعاد
والخْيولْ تَشّالي بِها
يا الوشّامْ
اعملْ البَا بهْجَة الأسرا
القيب معدل والدّيَارْ
شيّد البَنيان والأسْوَارْ
اعمل العَسّة تَحْضِيها
يا الوشّامْ
اعمَلْ التّا تاجْ مرصّعْ
بالكَواكِب نورُهْ يَسْطَعْ
الشّمْسْ والقمَرْ يتبَعْ
بين الأيّام ولَياليها
يا الوشّامْ
اعمَلْ الثّا ثيثْ في الأوْشام
فايتْ الزّنجي يكون ظْلامْ
طايَحْ للسُّورا والقُدَّامْ
مايَلْ مْخَبّلْ كَاسِيهَا
يا الوشّامْ
اعْمَلْ الجِيمْ مَجْمَعْ الزّين
الغُرَّا والحَاجَب والعَيْن
وَالبْيَاضْ النّاصَحْ مَسْكينْ
طابِعْ حْمُورة خَدْهَا
يا الوشّامْ
اعمل الْحَا حُلّة وحَلّي
غِيرْ من تخَّوف مولى غْلي
يَسْعَد مَنْ يبات مْسلي
عَنْدْها وتْعَرّسْ بِها
يا الوشّامْ
اعملْ الْخَا خَالْ مْوَرَّدْ
عَنْبْرِي فَوْقَ بْيَاضْ الْخَدْ
كُلْ مَنْ شافَهْ وقتْ الصّدّ
خافْ مِنْ لحظَة عَيْنِيها
يا الوشّامْ
اعمَلْ الدّال دَلال بْهيجَ
كَأنّه ياقوت يْوَهَّج وَهِيجْ
فَوْقَ التّيتْ مْخَلّجْ تَخْليجْ
طابَع مْناقَشْ وذْنِيها
يا الوشّامْ
اعْمَلْ الذّال من ذالْ العزّ
كُلْ مَنْ جاهْ منه ينْهَز
جُنْدْ الرّومْ وبرز
خافْ مِنْ العْدُو يُدّيها
يا الوشّامْ
اعمَلْ الرّا رَمْزُ المَحْبوبء
واجْمَعْ الطّالَبْ والمَطلُوبْ
عمَّرْ الجَدْوَلْ بالْمَقْلُوبْ
كُلْ شِي راهْ اسْمَهْ فِيها
يا الوشّامْ
اعْملْ الزّين زَهْرَةْ الأغْصانْ
في الغْلالِي مِنْ البُعْدْ تْبَانْ
والطّيُورْ تْحَنّنْ تَحْنَانْ
كَلْ بُلْبُل جَا مِنْ جِيهَا
يا الوشّامْ
اعمَلْ الطّا طيْرْ في الأدْواحْ
بَيْنَ الأغْصانِ يْصيحْ صْيَاحْ
المْخمّر بِكيُوسْ الرّاحْ
بيها النّفْسُ يْسليها
يا الوشّامْ
اعمَل الظّا ظبْي التّصْبيح
بيه يتونَس كُل مْليحْ
طارْ وربَابْ والعُودْ فصِيح
والكيانَر بين يَديها
يا الوشّامْ
اعْملَ الكَافْ كِتابْ عَجيبْ
شَغَلَ سُلْطانْ حَكيمْ لَبيبْ
كُلْ شي جَابَه بالتّرْتيب
جَابْ تَفْسير مَعانيهَا
يا الوشّامْ
اعمَل اللّامْ لِمَنْ يَقتراهْ
اكتَم السّرّ وافْهَمْ مَعنَاه
شايَن ما يَطْلُبْ مِنْ مُولاهْ
حَاجْته يَبْغي يَقْضيها
يا الوشّامْ
اعمَل المِيمْ مِيَاه تْفُورْ
بالجْنيـنَة دور السّورْ
اعمَل منازَه يا مَعْرورْ
للرْيام تْقَصَّرْ فيها
يا الوشّامْ
اعْمَل النّونْ نوّارْ ظْريف
في الرّبيعْ مْصَنَّف تَصْنيفْ
قَبْلَ أنْ يَدْخُلْ حَرْ الصّيف

جاهَا النّطْحُ وجَـا ليها
يا الوشّامْ
اعْمَل الصّادْ أصْحابْ اللّهْو
وانْطرَبْ مَعَهُمْ بالزّهْوْ
ارْكَبْ سْفَايَن بْحَرْ السّهْـوِ
وسْطَها والدّايـرْ بِها
يا الوشّامْ
اعمل الصّادْ ضِيَا العَيْنِينْ
حَدْ ما يوصَّلْها فِي الزّين
شَمْسٌ وقَمَرء وبْدوزْ آخرين
شارْقينْ عَلى خَدّيـها
يا الوشّامْ
اعمل العين عيون وقّاح
نائمين وشفارهم ذبّـاح
المراشف للبوس مـلاحْ
ريق مثل الشّهْـدا فيها
يا الوشّامْ
اعمل الغين غرفة من عاج
سقفها والطّيقان زجاج
باهيا كالبَـدر الوهـّاج
ءاشْ يجمع شملي فيها
يا الوشّامْ

اعمل الفَا فراش أهل الجُود
فوق منزه عالي مَرفود
الشّمع في الحَسكة موقُـود
والخيال يميـل عليها
يا الوشّامْ
اعمَل القافْ قمر ونْجومْ
والبهـا في الجوْ معلومْ
اعمَـل اللّازم والملـزومْ
كل من فاتْ يراعِـيها
يا الوشّامْ
اعمل السّين سما برفاق
وكل ما يدريوا العشّاقْ
السّما وسَبْـع طْبـاق
في أوقات الله يحضيـها
يا الوشّام
اعمل الشّين شْهورَ وأعْوامْ
ولا تخمَّم فيهم تخْمَامْ
اعمل اللّيـالي والأيـام
كل يوم في القصر اجْليها
يا الوشّامْ
اعْمَل الها هِيفـاتْ مْـلاحْ
نُورْهم يَضْوي كالمِصباحْ

جالسّين كّلّ مْسَا وصْباحْ
عند من يَجمَعْني بهـا
يا الوشّامْ
اعْمَلْ الواوْ وكُنْ ظْريفْ
ركّبْ حروفَكْ للتّأليفْ
بَعْدَ الواوْ اعمَلْ لامْ أليفْ
للظّريفَة الحَلا اهْديها
يا الوشّامْ
يا إلهْ اغْفَرْ لي ما فَاتْ
اغْفَرْ للنّاظِمْ ذِي الأبْيات
بعد مِيا وألْـف مْضَـاتْ
عام عشرين تْكلّمْ بِهـا
يا الوشّامْ
اعْمَلْ الهَمزة هَمْـزَة خَيْـر
اجْمَعْ أيّامي بالتّيْسير
ابنْ مْسايَبْ يْحَبْ التّحَري
مْن جَهنّـمَ وأهْلِـها
يا الوشّامْ.

عبد الناصر بوعلي

المصادر:

- مقتطف من مجموعة «تلمسان زمان» لأبي رشيد بنبلال، الذي كان مُحاميًا ومؤرخًا بوهران.
- ابن المسايب، ديوان ابن المسايب، جمع وتحقي محمّد بن الحاج الغوثي بخّوشة، مطبعة ابن خَلدون للنّشر والتّوزيع، تلمسان، الجزائر، 2001.

■ أبو عبد الله محمّد بن عبد الحق بن سليمان البطيوي
(و: 536ه - 1142م/ت: 625ه - 1228م)

أبـو عبـد اللـه محمّـد بـن عبد الحـق بن سـليمان، المكنّى بعـدّة كنى فوقـد، ورد في المصادر بعـدّة كنى كالبطيـويّ، والنّدروميّ الكومـيّ، والكوفيّ، واليفرنّي، والتّلمسـانيّ المنزل من أسرة علم.

ولد أبو عبد الله بن عبد الحق (سنة536ه) لقد حصل أبو عبد اللـه محمّد بن عبد الحق على علوم عصره من فقه، ونحو، وقراءات، وحديث، وعلوم القـرآن، وتصوف؛ فتتلمذ، وتفقّـه بدايـة عن أبيـه، وعن كثير من شـيوخ بلـده منهم عمران التّليـدي)، و(أبي عبد الله بـن خليـل)، و(أبي الحسـن بن أبـي قنون)، و(أبـي علي الحسـن بـن الخرازالنّحـويّ)، وسـمع عن (أبي الحسـن بن حنين)، وأجاز له (ابن هذيل).

وصحـب كلّ مـن (أبـي مديـن شـعيب) فـي بجايـة، و(أبي عبـد الله محمّـد بن جابر الهـواري) في تونس، هـذا الأخير الّذي كان من أتباع المدرسـة الغزالية، وهـو ما يبين أنّ ابن عبد الحق صحب، وعاش مع من أسّسوا مدرسة التّصوف في بلاد المغرب.

رحـل طالبًـا العلـم بفـاس، ومراكـش، وسبتة، وأشبيلية.

تتلمـذ علي يده عدد من العلماء من بينهم (أبو الحسـن علـي بن مُمد بن علـي الرّعينيّ الإشـبيليّ)، حيـث أحصـاه ضمـن شـيوخه من خلال مصنفه (برنامج شـيوخ الرّعيني)، ومـن تلامذتـه كذلك الّذيـن رووا عنـه (ابن مسدي).

العلـوم التي بـرع فيها: لقـد كان بن (عبد الحق بـن سـليمان) متفننًا في علـوم: الفقه، والحديـث، والقراءات، وعلم الكلام، وكان شـاعرًا بـارع الخـط، وعـرف بن عبـد الحق كذلـك بجمعـه الكُتـب الجليلـة يبـذل فيها الأمـوال الكثيـرة، وكان يقوم بنسـخ بعضها بنفسه.

كان، وجيهًـا ببلـده ذا جـاه، ومـال، وحظـوة عنـد سـلاطينها، فتولـى لهـم القضاء مرتين.

ألّف أبو عبد الله محمّد بن عبد الحق كتبًا عديدة حسب ما روته عنه المصادر، إذ بلغ عددها ثلاثة، وعشرين مصنفًا أهمها: (غريب الموطّأ)، و(التّسلي عن الرّزية، والتّحلي برضى باري البرية)، و(الجامع المختار من المنتقى، والاستذكار)،و(الإقناع في ترتيب السّماع)الذي ذكر فيه شيوخه،وكيفية تلقّيه عنهم، وله كذلك(الفيصل الجازم في فضيلة العلم، والعالم)،و(نظم العقود، ورقم الحلل، والبرود)،و(لباب الإعراب)،و(ميزان القرآن)، و(الفيصل الجازم في فضيلة العلم، والعالم)، و(إرشاد المسترشد، وبغية المريد المستبصر المجتهد)، وغيرهم حسب رواية تلميذه الرّعيني.

توفي بتلمسان سنة (625 ه) وقد قارب التّسعين من عمره.

ومن نظمه هذا البيت في عدد أحاديث الإمام البخاري:

وسبعة آلاف تضاف، وما بقي
إلى مائتين عدّ ذاك ألو الجدّ

نسيمة لوح

المصادر:

- المناقب المرزوقية، أبو عبد الله مُحمد بن مرزوق التّلمساني، دراسة، وتحقيق: سلوى الزّاهري، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء،المملكة المغربية ط 1/ 2008م.
- الذيل، والتّكملة لكتابي الموصول، والصّلة، أبو عبد الله مُمد بن عبد الملك المراكشي، السّفر الثّامن، تحقيق: محمّد بن شريفة، أكاديمية المملكة المغربية، الرّباط.
- معجم أعلام تلمسان. الدّكتور التيجيني بن عيسى،كنوز للإنتاج، والنّشر، والتّوزيع تلمسان،الجزائر 2011 م.

■ أبو عبد الله محمّد بن عمر بن محمّد بن خميس الحميري الحجري الرّعِيني (و: 650ه - 1254م/ ت: 708ه - 1309م)

أبو عبد اللـه محمّد بن عمر بن محمّد بن خميس الحميري الحجري الرّعِيني نسبة إلى حجر ذي رعين، وهو أبو قبيلة يمنية. أمّا كنيته فهي أبو عبد الله، وكان يعرف عند معاصريه بابن خميس التّلمساني.

ولد بتلمسان (سنة 650ه/ 1254م-، وتوفّي سنة 708هـ/ 1309مـ) هو كاتب، وشاعر، وناثر، وعالم بالعربية، ومن أعيان تلمسان. عاش فقيرا إذ أنّ مسكنه كان بيت فندق، كما كان فراشه من سلايخ الضّأن دون غيرها، وهو ما يقوله صاحب «بغية الرّواد»، وأشار هو نفسه إلى ذلك في أبيات حيث قال:

الفَقْر عندي لفْظٌ دقّ معناه
مَن رامه من ذوي الغايات عنّاه
كم من غبيٍّ بعيد عن تصوّره
أراد كشْفَ مُعْماه فعمّاه

تعلّم كما يتعلّم أبناء جيله، حفظ القرآن، في أحد الكتاتيب أو المساجد في المرحلة الأولى من تعليمه أو من حياته، وفي المرحلة الثّانية أقبل على دراسة النّحو، واللغة، والأدب، والفقه، ويذكر المرحلة من تعلّمه في قوله:

تلمسانُ لو أنّ الزّمان يسخو
مُنى النّفس لا دار السّلام، ولا الكرخ

إلى أن يقول:

وعَهْدي بها، والعمر في عنفوانه
وماء شبابي لا أجنٌ، ولا مطخُ
معاهدُ أُنْسٍ عُطِّلتْ فكأنّها
ظواهِرُ ألفاظٍ تعمّدها النّسخُ
وأُرْبعُ ألآفٍ عفا بعض آيِها
كما كان يعزو بعض ألواحنا اللطخُ

كان عالما بالمعارف القديمة، مضطلعا بتفاريق النّحل قائما على صناعة العربية، وباع في الشّعر، وفحل الأوزان من المطوّل، أقدر النّاس على اجتلاب الغريب».. كان أديبا فاضلا حافظا لأشعار العرب، وعارفا بأخبارهم، وأقوالهم، وله مشاركة في العقليات، واستشراف على الطّبّ. قال في حقّه ابن خلدون:»كان لا يجارَى في البلاغة، والشّعر».

عاش في عصر ملوك بني عبد الواد، وأمراء بني العزفي في سبتة فمدحهم، وبعض سلطان، وزراء غرناطة منهم محمّد الثّالثّ المسمّى المخلوع. وعاش في عصر بني زيان، ومدح أبا زيان بن عثمان الأول، وممّا قاله:

أرّق عيني بارقٌ من أثال
كأنّه في جُنْح ليلي ذبال
لولا «بنو زيان» ما لذّ لي العَيْ
شُ، ولا هانت علي الليال
هم خوّفوا الدّهر، وهم خفّفوا
على بني الدّنيا خطاه الثّقال

خذها «أبا زيان» من شاعر
مستعذب النّزعة عذب المقال
يتلفّظ الألفاظ لفظ النّوى
وينظم الآلاء نُظْم اللآل.

وهو بهذه القصيدة يعارض قصيدة مهيار الدّيلمي التي مطلعها:

ما كنت لولا طمعي في الخيال
أنشدُ ليلى بين طول الليال.

كان أبو عنان كثير العناية بشعر ابن خميس، فبقي في كنف الوزير ابن الحكيم إلى أن توفي بغرناطة قتِيلا ضحوة يوم عيد الفطر سنة708ه14- آذار 1309م إثر انقلاب حكومي أودى بصديقه ابن الحكيم.

ومن صفاته: أنّه كان نسيج، وحده زهدا، وانقباضا، وهمّة، أي في حال انزواء، وتقلّل من الدّنيا. كان حسن الشّيبة، جميل الهيئة، سليم الصّدر، قليل التّصنّع، بعيدا عن الرّياء، عاملا على السّياحة، والعزلة.

شيوخه: لا تشير المصادر إلى أساتذته، ويدلّ هذا على أنّه كان عصاميا. ولا شكّ أنّه درس حفظ القرآن، ودرس في الكتّاب علو العربية الأولى، كما أسهم المحيط

الثّقافي الذي ترعرع فيه من حلقات علمية، وتنافس، وزهد في تكوين الشّاعر، ومن هؤلاء: أبو إسحاق بن يخلف التّنسي، وأبو الحسن شقيق أبي إسحاق، وأبي عبد الله محمّد بن أبي بكر بن مرزوق التّلمساني (ت631هـ) تلميذ أبي إسحاق التّنسي الزّاهر، والمتبتل. ولا يستبعد أن يكون قد أخذ عن أبي بكر بن داود بن خطاب الغافقي الأديب الكبير، والكاتب البارع، والشّاعر المجيد كاتب السّلطان يغمراسن بن زيان المتوفّى سنة 688هـ، والذي كان يجيد العلوم الدّينية، والأدبية كالفقه، والجدل، والتّصوّف، والتّاريخ.وكذا أبو الحسن الخزاعي.

ترك ابن خميس نثرا، ولكن شعره أحسن من نثره. وله شعر كثير كلّه حسنات، ولطائف، وبراعات، وطرائف، قد جمعه، ودوّنه القاضي ـبو عبد الله محمّد لن إبراهيم الحضرمي، في جزء سماه « الدّرّ النّفيس من شعر ابن خميس». وقد نشر الكثير منه عبد الوهاب بن منصور الحسني تحت عنوان: « المنتخب النّفيس من شعر أبي عبيد الله بن خميس».

قعد الشّاعر في الأندلس لإقراء العربية بحضرة غرناطة أواخر سنة 703هـ1304-م) فطار بها صيته، وضمّه الوزير ابن الحكيم إلى مجلسه، وأغدق عليه من نعمه، فخلع عليه ابن خميس بدوره أثواب نثره، وشعره.

جال ابن خميس في الأندلس، ومال إلى التّصوّف،

عمل كاتبا لعثمان الأول بن يغمراسن سنة (681ه/ 1282م) ثمّ رغب عن الوظيف، وقرّر السّفر لأنّه «كالدّم بطبعه يتحرّك في كلّ ربيع».

غادر بلدته تلمسان أثناء الحصار الطّويل سنة (693ه/ 1294م) نحو المغرب الأقصى فزار عواصمه العلمية، ونزل بسبتة، ومن ثمّ أبحر قاصدا الدّيار الأندلسية، فدخل المرية سنة (702هـ1303-م)، ونزل فيها في كنف القائد أبي الحسن بن كمّاشة من خدام الوزير ابن الحكيم فأكرم، وفادته، وآثره، وقال فيه قصيدته التي مطلعها:

العشي تعيا، والنّوابغ

عن شكر أنعمك السّوابغ.

وقدم غرناطة في أواخر 703ه، وفي أواخر 708ه رغب في العودة إلى تلمسان بعد نجاتها من خطر الحرب، غير أنّه مات في السّنة نفسها قبل أن يحقّق هذه الأمنية.

مكانة شعر ابن خميس عند النّقاد:

وصفه ابن خاتمة بالشّاعر المجيد، وقال في كتابه:»مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية»: «كان من فحول الشّعراء، وأعلام البلغاء، يركب مستصعبات القوافي، ويطير في القريض مطار ذي القوادم الباسقة، والخوافي، حافظا لأشعار العرب».

وقال فيه ابن خطاب شعرا يبرز مكانته الأدبية جاء فيه:

رقّت حواشي طبعك ابن خميس

فهفا قريضك لي، وهاج رسيسي

ولمثله يصبو الحليم، ويمتري

ماء الشّؤون به، وسير العيس

لكن في البلاغة، والبلاغة بعض ما

تحويه من أثر، محلّ رئيسي

نظم، ونثر لا تبارى فيهما

عززت ذاك، وذا بعلم طوسي

ويقصد بالطّوسي أبا حامد الغزالي.

واجتمع في شعره صوت المتنبّي، وقوّة ألفاظه، وألوان البحتري أصباغه، وجناس أبي تمام، وكان ينعته أهل الأدب، والفكر بشيخ الأدباء، وفحل الشّعراء.

أحمد عزوز

المصادر:

- المقري، نفح الطّيب
- بغية الرّواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد
- محمّد الطّمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر.
- محمّد الطّمار، الرّوابط الثّقافية بين الجزائر، والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 2007، الجزائر
- طاهر توات، ابن خميس- شعره، ونثره-ديوان المطبوعات الجامعية،ط:2،سنة 2012، الجزائر.
- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، جويلية-أوت 1975. الجزائر.

■ أبو محمّد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان أبو محمّد القيسي الكُومي (و:487ه - 1094م/ت:558ه - 1163م)

أبو محمّد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان أبو محمّد القيسي الكُومي، (بضمّ الكاف، وسكون الواو، وبعدها ميم)، نسبة إلى كومية، وهي قبيلة صغيرة من القبائل النّازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان.

وكان يقول: إذا ذكر كومية فلستُ منهم؛ وإنّما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولكومية علينا حقّ الولادة بينهم، والمنشأ فيهم، وهم الأخوال.

كان أبوه فخّارا يعمل النّوافيخ، وقيل كان قاضيا.

ولد سنة (487هـ1094-م) بتاجْرَه التي تبعُد عن مدينة هُنَيْن التّاريخية بحوالي ثلاثة كيلومترات، وهي جبل مرتفع عن سطح البحر.

توفّي في 27 من جمادى الآخرة 558ه1163-م) في رباط سلا في طريقه إلى الأندلس، ونقل إلى تينملّل التي دفن فيها إلى جانب قبر محمّد بن تومرت المعروف بالمهدي.

كان فقيها، جدليا أصوليا محدّثا، وإماما في النّحو، والأدب، والقراءة، والتّاريخ، وأيام النّاس، وكان سياسيا، وعسكريا، لقّبوه أمير المؤمنين سنة 526هـ.

تفقّه على يد ابن تومرت، وصحِبه، وأحبّه، وأثّر فيه أيّما تأثير، وأفضى إليه بأسراره، ولمّا رأى فيه من سمات النّبل، ووجد همّته كما في النّفس قال ابن تومرت يوما لخواصّه: «هذا غلاّب الدّول».

عاش في صراع مع الدّولة المرابطية التي دبّ فيها الضّعف، والهوان إلى أن تمّت الغلبة له، وكانت الخلافة ببغداد لبني العباس، وفي مصر لبني عُبيد، وفي المغرب لآل زيري، وتميّز عصره بالاضطرابات السّياسية، والاجتماعية، وبقي لفترة طويلة، وهو يحارب جيوش الدّول المجاورة، والقبائل المناهضة لسلطته، وحكْمه.

لم تشر المصادر إلى شيوخه، ولكن المهدي بن تومرت كان ممّن غرس فيه حبّ القيادة، والحكم.

أفكاره/ توجّهاته/ انتماؤه: لما نزل مراكش أقبل على البناء، والغِراس، وترتيب ملكه، وبسط العدلَ.

أعماله/ نضاله: خضع له المغربان (الأقصى، والأوسط)، واستولى على إشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، والجزائر، والمهدية، وطرابلس الغرب، وسائر بلاد أفريقية، وأنشأ الأساطيل، والأبنية، والآثار، والقصور. لمّا توفّي المهدي اتفق أصحابه على خلافته، فتمّ له ذلك سنة 524هـ ثمّ بويع البيعة التّامّة بجامع تينملّل،

وهو من مؤسّسي الدّولة الموحّدية، وأول ما أخذ من البلاد، وهران، ثمّ تلمسان، وفاس، وسلا، ثمّ سبتة؛ وحاصر مراكش أحد عشر شهرا، وأخذها في سنة 542هـ، وامتدّ ملكه. افتتح كثيرا من الأندلس، وقصده الشّعراء، ولمّا قال فيه التيفاشي قصيدته :

ما هزَّ عطفيه بين البيْض، والأسلِ
كثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار إليه أن يقتصر على هذا المقطع، وأمر له بألف دينار.

كان عبد المؤمن مؤثرا لأهل العلم، محبّا لهم، ويجزل صلاتهم.

ارتحل إلى بجاية طلبا للعلم، ونحو الحج، فالتّقى، وإلى المغرب، ودخل مراكش، والأندلس سنة 548ه.

كان عبد المؤمن رزينا، وقورا، عاقلا حازما شجاعا موفقا، كثير البذل للأموال شديد العقاب على الجُرم الصّغير، عظيم الاهتمام بشؤون الدّين كامل السّؤدد، عالي الهمّة، خليقا للإمارة.

كان ابن تومرت دائما يتفرّس فيه النّجابة، وينشد إذا أبصره:

تكاملت فيك أوصافٌ خصّصْتَ بها
فكلّنا بك مسرور، ومغتبطُ
السّنُّ ضاحكة، والكفُّ مانحة
، والنّفس، واسعة، والوجه منبسط.

حكم الدّولة الموحّدية من 524هـ / 1129م إلى 558هـ/ 1162م.

أحمد عزوز

المصادر:

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزّمان، حقّقه د.إحسان عباس، دار الفكر للطباعة، والنّشر، والتّوزيع.
- الزّركلي، خير الدّين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرّجال، والنّساء من العرب، والمستعربين، والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط:15 آيار/ مايو 2002.
- الإمام شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلم النّبلاء، حقّقه، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط، ومحمّد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، ط:1، سمة 1405هـ1985-م.
- مبارك بن محمّد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم، والحديث. تقديم، وتصحيح محمّد الميلي، المؤسّسة الوطنية للكتاب.

■ أپـولي مادور (125-170م)

أبوليوس أو أپـولي مادور (Apulee Madaure)، كاتب جزائري نوميدي عاش في القرن الثّاني للميلاد، ولد بمدينة مادور المعروفة اليوم باسم (مداوروش) جنوب سوق أهراس سنة 125م، وتوفي حوالي 170م إبان الامتداد المسيحي. من عائلة جزائرية غنيّة، وذات نفوذ في مدينته الأصلية مادور. تقلد، والدّه مناصب الأعيان البلديين(duumvir)، وقد، ورث أپـولي مادور هو، وأخوه عن أبيهما ثروة مقدرة بمليوني "سيستر" (sesterces)، العملة الرّومانية آنذاك.

بدأ أپـولي مادور دراسته الابتدائية بنفس المدينة التي ازداد فيها، وكان في مادور آنذاك مدارس مهمة تردد عليها مفكرون أفارقة ذوو شهرة عالمية ففيها درس القديس أوغسطين، وكذلك مارتيانوس كابيلا أحد ناقلي منطق أپـولي إلى القرون الوسطى، وبعد نهاية

دراسته الابتدائية، تم إرساله إلى قرطاجة حيث كانت أهم جامعات المغرب القديم، وفي هذا السّياق يقول أبولي: " إنك لا ترى في قرطاج إلا نخبة المثقفين الضّليعين في مختلف العلوم: طلبة يدرسون، وشباب يتباهون بعلومهم، وشيوخ يدرسون... إن قرطاج مدرسة معتبرة في منطقتنا، إنها هدية السّماء للأفريقيين."وهناك درس اللغتين اللاتينية، واليونانية، والفلسفة، ولإتمام دراسته الجامعية رحل إلى أثينا، حيث أقام سنوات عديدة. وقد أتاحت له هذه الإقامة بأثينا ملاقاة طلبة آخرين من المغربيين مثل بونتيانوس أصيل «أويا» الذي سوف يصبح صهرا له فيما بعد. كانت أثينا مقر الفلسفة الأفلاطونية، رغم ما أصبحت عليه دراسة هذه الفلسفة من رتابة، واقترنت به من ميول صوفية منبئة بنشأة المدرسة الأفلاطونية الجديدة، في القرن الثّالثّ الميلادي مدرسة بلوتينوس (Plotinus)، وبورفيريوس (Porphyrios)، وهو ما نلاحظه عند أبولي مادور نفسه الذي تعلق بدافع شخصي بالتيار المتصوف المتدين. ثم انتقل فيما بعد إلى روما حوالي 150م، وفيها عمق دراسته في اللغة اللاتينية، والقانون، والدّيانات القديمة. لكنه لم يمكث فيها طويلا فعاد إلى مادور ثم إلى قرطاجة أين بدأ يبني شهرته. وبعد فترة بدأ رحلة إلى الإسكندرية ليزور جامعتها، وخزانتها المشهورة آنذاك غير أنه مرض، وهو في طريقه إليها فاضطر إلى التّوقف بمدينة أويا (طرابلس الحالية).

اهتم أبولي بما كان يُكتب، ويُروى عن عالم الغيب، وانظم إلى الجماعات ذات الطّقوس الدّينية الخفية، حتى أتّهم بتعاطي السّحر لإغراء أرملة غنية تزوجها في بلاد طرابلس، كانت تسمى إميليابودنتيلا (Emelia Pudentilla (تنتمي إلى أنبل عائلات أُوِيَا (OEA)، فلما فعل هذا رفع أصدقاءها، وورثتها المنتظرون الأمر إلى القضاء مطالبين بإلغاء الزّواج، واتهموه بأنه حصل على موافقة السّيدة عليه بفنون السّحر.

وبموجب تلك التّهمة قدم أبولي مادور للمحاكمة في صبراتة حيث، وقف يدافع عن نفسه أمام رئيس المحكمة (كلوديو سمكسيموس Claudius Maximus)، والخطبة التي ألقاها أبوليوس بينت ذكاؤه، وبلاغته بشكل أدهش مستمعيه من أبناء الولاية، ومكنه من الفوز بالبراءة، وكانت نتيجتها أن كسب القضية، والزّوجة، وأصبحت تلك المحاكمة، واحدة من أشهر المحاكمات في التّاريخ القديم.

اشتهرت مرافعة أبولي شهرة، واسعة، وصاغها فيما بعد صياغة أدبيّة، واختار لها عنوان «التّبرير» (Apologia)، وكتبت في كتب، ونسخت، وانتشرت، وبقيت ليومنا هذا متداولة، من بين كلامه في مرافعته التّبرير قوله: « أما الفصاحة، فإن لي فيها حظاً، فلا ينبغي أن يعد ذلك أمراً غريباً، ولامكروهاً، إذ عكفت منذ فجر العمر على دراسة الأدب عن أبرز رجاله، مزدريا في سبيل ذلك كل ملاذ الحياة الأخرى... ثم إنه عاب علي كذلك الفقر، وهي تهمة أقبلها مسرورا بل، وأحب إعلانها أمام الملإ، أقول إن الفقر كان عبر القرون الماضية مؤسّس كل المدائن، ومبتكر كل الفنون، خلوا من أي عيب، وافيا لحظ من كل مجد، محل ثناء، وإجلال لدى كل الأمم. الفقر هذا عينه هو الذي كان عند اليونان استقامة في أرستيدس، وحلما في فوكيون، وبأسا في إيبامنداس، وحكمة في سقراط، وفصاحة في هوميروس، وهو الذي، وضع الأسس لسلطان الشّعب الرّوماني، واعترافا بفضله مازال يقدم حتى اليوم القرابين للآلهة الخالدّين في قدح، وجفنة من الفخار».

وفي نهاية المرافعة لخص بإيجاز، وبلاغة كامل التّهم، ورده عليها في كلمتين لكل تهمة قائلا: «فماذا يأتي ترى بعد ذلك؟ هات إذن، واحدة من تلك الجرائم البينة ها أنذا أرد على كل، واحدة من تهمهم بكلمتين لا أكثر:

« تلمع أسنانك»- اغفر نظافتي.

« تتأمل المرآة «-، واجب الفيلسوف.

« تنظم شعرا» – عمل مباح.

« تدرس الأسماك» – يعلمني أرسطوطاليس.

« تقدس خشبة» – يوصيني به أفلاطون.

« تزوجت امرأة» – تفتضيني القوانين.

« تكبرك سنا» – يحصل كثيرا.

«تنشد المال» – خذ الصّداق، تذكر الهبة، اقرأ الوصية.

إن رددت كل تهمهم باستفاضة، إن دحضت كل الافتراءات، إن برأت نفسي لا فقط من كل التّهم، بل، وكذلك من كل ما يشاع عني نما، واغتيابا، إن لم أنقص أبدا شرف الفلسفة الذي هو عندي أفضل سلامتي، بل صنته بحرص أينما كنت، ماسكا إياه بسبع ريشات كما يقال، إن كان ذلك كما أقول فبوسعي أن أنتظر مطمئنا حكمك بإجلال، وبلا، وجل من سلطتك فلأن يديننني، والأهون في اعتقادي، وأقل رهبة

من أن يستهجنني رجل بمثل فضلك، واستقامتك. والسّلام".

وعن تاريخ، وقوع المرافعة، وأهميتها يذكر الأستاذ عمار الجلاصي أنه لا توجد دلائل تاريخية خارجية على، وقوع هذه المحاكمة التي ربما تمت في 158/ 159م كما يستنتج من بعض القرائن، وللنص بجانب أهميته الأدبية، وما يتضمن من معلومات حول سيرة حياة أپولي مادور، وشخصيته، قيمة تاريخية هامة فهو يفيد في مجالات عديدة كدراسة الأسرة، والقانون، والسّحر، والأديان، ومدى التّأثير الرّوماني، واستمرار بعض عناصر الثّقافة الفينيقية في أفريقيا بعد ثلاثة قرون من ضمها لروما.

وبعد قضاء سنوات في التّرحال، استقر بقرطاج حيث بلغ الشّهرة، والمجد، فقد مارس مهنة محامي، وطبيب، وفيلسوف، وعالم، وخطيب، وشاعر رومانسي. من جهة أخرى كان يتباهى بكفاءته: « أني أنظم أشعاراً من كل نوع، وأبياتاً مصحوبة بالقيتارة مع القوس، وبالرّباب مع الأصابع، وأبياتاً تطابق السّحاقة أو الكوثرن، هذا قليل: هيجاء، وألغاز، وقصص مختلفة، وخطب مفخمة من طرف الرّجال الفصحاء، ومحاورات ممدوحة من طرف الفلاسفة، أنني أكتب عن كل شيء، وذلك باليونانية، وباللاتينية، ودائما بنفس الرّضى عن الذات، وبنفس الحماسة، وبنفس النّجاح».

يتضح من النّص تعدد مواهب أبولي، وهذا دليل على عبقريته، وتمكنه من الإبداع، لذلك تهافتت الجماهير لسماع المحاضرات، والخطب التي كان يلقيها في مسرح قرطاجة، واهتزت إعجاباً بفصاحته سواء تكلم اللاتينية أو الإغريقية، وأعجبت بسعة ثقافته، الأدبية، والفلسفية، والعملية، وقد شملت الطّب، وعلم الفلك، ومجموعة من علوم عصره، التّجريبية منها، والصّحيحة، ويذكر عمار المحجوبي أنه كان لا يتقيد بمسألة أو بموضوع، بل يستغل فرص الاستطراد جميعها، للإشادة مثلاً بثراء الحياة الثّقافية في عاصمة الولاية، أو بجمال قرطاج، وبهجة معالمها، ولا حرج عنده في التّخلص من النّظريات الفلسفية، والتّأملات الفكرية، والمسائل العلمية إلى النّوادر الطّريفة، أو إلى الحديث عن مشاهد الحياة اليومية، وعن طريق الوقائع، والأحداث.

كان أپولي مادور كاتباً مرموقاً في عصره بين أدباء الثّقافة العالمية، إذ نافس اللاتين، والرّومان، واليونان، حيث ألف كتباً عديدة منها التي لخص فيها فلسفة أفلاطون، وبسط نظريات مختلف المدارس الفلسفية، ومنها أيضا كتاب عقيدة أفلاطون (Doctrine de Platon)، ودراسة العالم (Taraite de Monde)، ولم يقتصر على التّبسيط، والتّلخيص بل قدم في كتاب حول إله سقراط (Le Dieu de Socrate) عرضاً إضافياً، ومعمقاً لنظرية الجان، مبرهناً عن مقدرة فائقة في الإلمام بنظريات مختلف المدارس الفلسفية، وتوظيفها للبحث في مسائل جوهرية كمسألة العلاقة بين البشر، والآلهة، وفي بحثه هذا انعكاس لتطلعات الفكر الدّيني في تلك الفترة، وصدى الاهتمام بأعوص القضايا كقضية الوحدانية الإلهية، أو بالأحرى صدى الاهتمام بأقطاب الوثنية، ومفكريها بالمسائل اللاهوتية.

ترك أپولي مادور مؤلفات علميّة كثيرة ضاع أغلبها، ومن أهمها:

كتاب في علم الحساب تحت عنوان (Arithmética)، وآخر في علم الفلك تحت عنوان (Astronomica) ذكرهما (إزدورسوكاسيدورس)، وغيرهما، ولكن الكتابين ضاعا.

كتب الكثير في علم الفلاحة، ولكنها ضاعت أيضاً، ذكر هذه الكتب مؤلفون قدماء كثيرون.

اهتم بعلم الفيزيولوجيا، ودرس كثيرا من الأمراض العصبية، وكان النّاس يقصدونه للتطبيب في الحالات الخطيرة، كان يعرف كل أعراض الصّرع، ويمارس التّنويم المغنطيسي بإتقان إلى درجة أنه أتهم بالسّحر. ودون نتائجه التّجريبية في كتاب له تحت عنوان (Medicinalia).

مارس أپولي مادور كذلك الفيزياء، واشتغل بدراسة الظّواهر البصرية، وكان يملك بمختبره مرايا من كل الأصناف، لكن مؤلفاته في هذا الميدان ضاعت، وحرم منها العلماء، والباحثون في تاريخ الجزائر القديم.

اهتم أپولي بعلم النّبات، وعلم الحيوان، والمعادن، ونشر مجموعة من الكتب في هذه الميادين، بعضها باليونانية، والبعض الآخر باللاتينية. ونشر كتاباً ضخماً تحت عنوان (مسائل طبيعة)، عرض فيه نتائج تجاربه على الأسماك الغريبة، والأشجار، والموسيقى.

لقد كان أپولي يشتري أصنافاً غريبة من الحيوانات بأثمان باهظة ليمارس عليها التّشريح بمختبره في أويا (Oea) أو في قرطاج. " كان مختبره مشهوراً في كل أفريقيا، وكان الأجانب يزورونه». لكن هذه الكتب العلمية التي ألفها أپولي ضاعت، ونحن نتأسف على غياب مؤلفاته المصدرية، إلا ما ذكره بعض المؤرخين، والباحثين، ومن المحتمل، كما

يفترض مونصو (Monceaux)، أن تكون هذه الكتب قد أدرجت في الطّبعة المجددة لموسوعة، وارون (warron) القديمة دون ذكر المصدر الأصلي.

كتاب (De Mundo)، وهو الكتاب العلمي الوحيد الذي عثر عليه، ويصنفه أغلب المؤرخين ضمن الكتب الفلسفية، يصف فيه أبوليوس السّماء، والنّجوم، والمحيطات، ومجموعة من الظّواهر الطّبيعية.

تعتبر رواية الحمار الذّهبي أوّل رواية نثرية باللّغة اللاتينيّة، ومن أجود ما تبقى من آثار الأدب اللاتيني ألفت حوالي سنة 170م، أطلقت على رواية أبوليي الغرائبية العديد من التّسميات من بينها (المسوخ Metamorphoses)، (قصة المسخ) عند حميد لحميداني، أو (الحمار الذهبي Asinus aureus) عند أبو العيد دودو، أو (التّحولات) عند عمار الجلاصي، أو (تحولات الجحش الذهبي) عند فهمي علي خشيم، ويسميها جميل حمداوي رواية (الحمار الوردي)، لأن كلمة الورد أو الوردي تتكرّر مرارا في متن الرّواية، إذ، وصف لوكيوس بأنه، وردي البشرة، ووصفت حبيبته بأنها، وردية اليد، والأكثر من ذلك أنه كان يحلم بالورد طيلة فترة تحوله.

وهناك من ترجم هذه الرّواية عن اللاتينية، كعمار الجلاصي، وترجمت الرّواية من قبل الأستاذ أبو العيد دودو عن الفرنسية، ومن قبل الأستاذ علي فهمي خشيم عن الإنكليزية.

ومما يعطي قصته نكهة فريدة مزاوجته بين أساليب شتّى من تشويق، وفكاهة، ورعب، وفظاعة، وفخامة، وجلال. ولها كذلك قيمة تاريخية ثابتة فهي مصدر مهم لمعرفة الدّيانات المنتشرة في الإمبراطورية الرّومانية في ذلك العصر، والتي أثرت في المسيحية، وعلى الأخص ديانة إيزيس. ومن الطّريف أن بطلها حمار أو بالأحرى إنسان مُسخ حماراً لكنه احتفظ بقدراته العقلية، ونقلته الصّدفة بين أيد شتى فشارك من خلال تنقله في عدّة مغامرات، وشاهد أخرى أو سمع بها، واطلع على كثير من خبايا البشر، وقصصهم، وحوادثهم، وتجاربهم، ويعرف ضروب الفسق الآدمي، علاوة على العار، وضربات العصا، والظّلم في مخاطرات كثيرة، إلى درجة كرهه للإنسان الذي انحط انحطاطا خلقيا. ومن ثم لم يتحول إلى حالتّه الأولى إلا على يد كاهن يحرس معبد الآلهة (ايزيس).

وعليه، فإن قضية المسخ، وجدت في الملاحم القديمة، إذ كان الإنسان يتحول إلى قرد أو حيوان أو سمكة أو شجرة، وكان هذا المسخ يستند إلى طقوس، وعقائد شعبية، ففي أوديسة (هوميروس)، مسخ أصحاب (يوليوس) إلى خنازير. كما توجد في أشعار يونانية قديمة قصائد، ومقطوعات موضوعها قصص المسخ التي ضاع منها الكثير.

وتصف لنا الرّواية، في أسلوب غلب عليه الطّابع الهزلي، معاناة الحمار على أيدي النّاس، صغارهم، وكبارهم، ومن كلا الجنسين، لكن جاءت فيه قرائن عديدة تحمل على الاعتقاد بأن أبوليي أراد من خلال مغامرات حماره الممتعة تبلغينا رؤيته الأفلاطونية، والأقرب بالأحرى إلى الأفلاطونية المحدثة لمعنى الحياة الإنسانية.

تعد رواية الحمار الذهبي نصاً إبداعياً عالمياً متميزاً، يعبر عن الهوية الجزائرية النّوميدية، وقد أثرت الرّواية في الأدب القديم، والرّواية الغربية الحديثة، والرّواية العربية المعاصرة، ولاسيّما المغاربية منها. أما مسألة التّأثر بالأدب اللاتيني أو اليوناني، فهي مسألة طبيعية لأن ليس هناك أدب خلق من العدم، فالتّلاقح الفكري يتحكم في جميع الظّواهر النّصية البشرية.

وفاء بوغرارة

■ أحمد التّجاني التّماسيني
(و: 1316ه - 1898م/ت: 1398ه - 1978م)

الشّيخ سيدي أحمد التّجاني التّماسيني بن الشّيخ سيدي محمّد «حمه» بن الشّيخ سيدي محمّد العيد بن الإمام التّماسيني، والدّته السّيدة يمينة التّارقية.

ولد عامّ 1316 الموافق لـ 1898 بالرّقيبة، ورواية أخرى تقول انه، ولد 1897 أي السّنة التي توفي فيها سيدي أحمد عمار بقمار.

حفظ القرآن على يد الطّالب سي أحمد بن السّا القماري، وقد أهدى له، والدّه جوادا مسروجا بسرج مطروزا بأسلاك ذهبية، وتعلم مبادئ اللغة، والفقه، والتّصوف على علماء الزّاوية منهم الشّيخ امبارك المازق، والشّيخ عبد الرّؤوف المهري، والشّيخ اللقاني، والشّيخ محمّد بن جديد السّوفي، أما التّربية الرّوحية فأخذها عن، والدّه، وأخيه الشّيخ سيدي البشير. كما تعلم اللغة الفرنسية، بإشارة من، والدّه، على الأستاذ عبد القادر بن البشير بن الهادي.

في خلافة الشّيخ سيدي محمّد العيد درَّس الجواهر في زاوية قمار، وابن عاشر، والرّسالة، وأجزاء من صحيح البخاري في زاوية تماسين.

بُويع بالخلافة يوم الثّلاثاء 27 ربيع الثّاني 1346 الموافق لـ 25 أكتوبر 1927 خلفا للخليفة الشّيخ سيدي محمّد العيد الثّاني، وقد مدحه السّيد البشير بن صالح عدل بلدة قمار بقصيدة مطلعها:

فز بالخلافة أحمد المبرورا
واهنأ بمنصبك العظيم أجورا
واصعد إلى أوج الكمال، ولذ به
الصّبا متيمنا مسرورا
سميت أحمد فالمحامد جمعت
في ما سموك به فكن مشهورا

أول من أجازه في الطّريقة ابن أخيه الخليفة الشّيخ سيدي محمّد العيد، ثم الشّيخ سيدي محمّد الكبير التّجاني في شهر ذي الحجة سنة 1346 الموافق لـ جوان 1928، وأخيرا الشّيخ سيدي محمود التّجاني (شفاهيا).

أجازه مفتي القيروان الشّيخ محمّد ابن العلاني بتاريخ 09 رجب عامّ 1351 الموافق لـ07 نوفمبر 1932، وأجازه أيضا العلامة المحدّث عبد الحي الكتاني.

كما شهد له بالمكانة العلمية كثير من أساطين العلم كالشّيخ محمّد بن المأمون البلغيثي الفاسي، والشّيخ محمّد مناشو التّونسي، والعلامة المحدث سيدي محمّد الحافظ المصري الذي قال فيه سنة 1937 لما زار تماسين: «...إن هذا السّيد أعظم خليفة في العالم لسيدنا الشّيخ...لأنني على حسب اطلاعي، ومعرفتي بمراتب الخلفاء في الوقت الحاضر لا أرى من توفرت فيه جميع الشّروط، وتحلى بالأخلاق الموفية بالمراد غيره....فنطلب منك يا مولانا أحمد أن تقف، وتنهض بأهل الطّريقة، وتصلح شؤونهم فقد تحتم ذلك، ووجب عليك دون الكل...».

كان للشيخ سيدي أحمد التّجاني دورا متميزا في عين ماضي، فكان محل استشارة أحفاد الشّيخ، وأعيان الطّريقة في تلك المنطقة، وهذا الدّور أكتسبه منذ خلافة أخيه الشّيخ سيدي محمّد البشير، وابن أخيه الشّيخ سيدي محمّد العيد، وقد نوّه بمكانته هذه العارف بالله سيدي محمود التّجاني في رسالة نقتطف منها مانصه: «...وأعلم أن الله هو الذي أقامك هذا المقام، والنّبي، والشّيخ رضي الله عنه، وأنت أعلم أن سيدنا البشير رضي الله عنه جعلك نايبا علينا، وخليفتنا في الأمور كلها، والسّلام... «.

وبالإضافة إلى المقتطف السّابق هناك مقتطفات من رسائل أخرى توضح دوره، ومكانته نورد بعضها:

أولا: رسالة من سيدي بن عمر التّجاني إلى الشّيخ سيدي أحمد بتاريخ 26 جانفي 1941:

الحمد لله، وحده، وصلى الله على سيدنا محمّد، وعلى ءاله، وأصحابه، وسلم.

اسعد الله شيخنا الهمام الأكرم الشّيخ سيدي أحمد نجل سيدي حمه التّجاني السّلام التّام عليك، ورحمة الله، وبركاته أما بعد فقد، وفانا الأعز كتابكم، وفرحنا به كثيرا، وإنني استكثر خيركم، وأشكركم كثيرا على، وقوفكم مع ابن عمنا سيدي محمود، والله، والنّبي، والشّيخ يجازونكم بالخير، والبركة في الأهل، والمال، والمآل، وانك حرضتنا على التّربية للأولاد الباقية فإننا جاعلين المجهود، وطالبين الإعانة، والتّوفيق من الله، والشّيخ، والله يسترنا من هذا الزّمان، وأهله، والسّلام من محبكم في الله عبد ربه ابن عمر التّجاني بزاوية عين ماضي يوم 26 جانفي سنة 1941.

ثانيا: رسالة، واردة لزاوية تماسين بتاريخ 13 فيفري 1951 من كاتب مشائخ عين ماضي غميم محمّد بن يوسف:

«... حضرة الفاضل المحترم حميد الشّيم مولانا، وعمدتنا الشّيخ سيدنا أحمد التّجاني السّلام على سيدنا، ورحمة الله، وبركاته، وعلى جملة من معكم، وضمه مجلسكم من جليس، وأنيس.....سيدي ابن سالم، وأخوه سيدي الحسن عقدا ليلة الاثنين على ابنتي سيدي محمّد.... غير أنه صبيحة يوم التّاريخ مات المقدم البركة سي علي بن محمّد رحمه الله رحمة، واسعة،

تـرك منصبـه شـاغرا لا يقـوم بـه غيـره، فأما مفتـاح مقـام ضريـح سـيدنا محمّـد الحبيب رضي الله عنه فقد نزعه من يده سـي علي بن معمر عندما لزم الفقيد داره، ومنصب الإمامة تعين فيه سـي ابن الطّيب بقى نائب القاضي، وعضـو مـن الجمعية فانظـر من يتسـمى في هذيـن الوظيفتيـن، وانظـر أيضـا هـل أولاد الشّيخ يزفون ليلة الجمعة أم لا ...والسّلام.»

برقيتـان صادرتـان مـن الخليفـة الشّـيخ سـيدي أحمـد التّجانـي إلـى عيـن ماضـي، دون تاريـخ لكنهمـا بمناسـبة، وفـاة سـيدي محمود التّجاني أي بتاريخ آخر أفريل 1934، ونصهما مايلي:

سـيدي بـن عمـر التّجانـي عيـن ماضي: أعظم لكم الأجر نحـن، وكافة الزّاوية، وكن ببـال مـن عائلة سـيدي محمود فانـي أعتمد عليك، أحمد التّجاني.

سـيدي علي التّجاني عيـن ماضي: أعظم لكـم الأجر نحـن، وكافة الزّاويـة، وكن ببال من إخوانك.

كما أجاز مجموعة من أبناء الشّـيخ رضي الله عنهم منهم: الشّيخ سيدي علي، والشّيخ سـيدي الحـاج محمّـد ابني الشّـيخ سـيدي محمود التّجاني.

بالإضافة إلـى إجازات أبناء الشّـيخ، فقد أجاز مجموعـة من أبناء سـيدي الحاج علي التّماسيني منهم: الشّيخ سيدي محمّد البشير بن الشّيخ سيدي محمّد العيد.

كمـا أجـاز العلامة أحمـد البـدوي مفتي سـيدي بلعبـاس، والعلامـة عبـد الرّحمـن بودية (سـعيدة)، والعلامة أحمد بن الطّالب الأخضر (بوحنيفية)، والدّكتور عبد الرّحمن طالب(وهـران)، ومحمّـد الأنصـاري، ومحمّد العربي جعوان (تميمون)، والعلامة سـيدي محمّـد الحافـظ المصـري، العلامة سـيدي إدريـس العراقـي الفاسـي، قاضـي تنبكتـو العلامـة محمّـد محمود بن الشّـيخ، ومحمّـد العلانـي (القيـروان)، ومـدرّس الجامـع الأعظـم بسـفاقس محمّـد شـاكر، ومحمّد الصّالح بن حسين زاوية الطّرنجة.

كما ربـط علاقات متينـة بالعلماء داخل الجزائـر، وخارجهـا منهـم مفتي قسـنطينة عثمانـي عبـد الحفيـظ بـن الهاشـمي، وعلامـة العاصمة الصّحفـي عمر بن قدور الجزائـري، والمفتـي بابـا عمـر، والمفتـي الشّـيخ العاصمـي، ومفتي لمديـة مصطفى فخـار، والعلامـة قـدور الحلـوي، الشّـيخ إبراهيـم بيوض، والعلامـة الفلكي المولود الحافظـي الـذي صنـع مزولـة توقيـت الصّلاة لجامـع الجمعة بتماسـين، وجلول الجزيـري التّونسـي، وعبـد الحـي الكتاني المغربـي، ومشـائخ الزّوايـا كالعلامـة مصطفـى بـن محمّـد القاسـمي، والشّـيخ التّبريـزي بـن عـزوز، والشّـيخ إبراهيم بن محمّـد الطّيـب نائـب الطّريقـة القادريـة بالرّويسـات، والشّـيخ غـلام اللـه محمّـد، والشّـيخ محمّد الصّالح بن الهاشـمي شيخ القادرية بالوادي.

كمـا التّقـى بشـخصيات بـارزة فـي عالـم السّياسـة منهـم الرّئيـس فرحـات عبـاس، العقيـد سـي الحـواس، وبايـات تونـس كمحمّـد الأميـن بـاي، والمنصـف بـاي، وملـك المغـرب محمّـد الخامـس، والجنـرال ديغـول، ورئيـس المفوضيـة الدّوليـة للاجئيـن بالأمـم المتحـدة صـدر الدّين آغا خان.

وقد مدحه شـاعر الثّورة الجزائرية مفدي زكريا لما زارهم بالگرارة:

مرحبا بالأكرمين الوافدين
مرحبا أهلا بآساد العرين
قد حللتم بلد الله الامين
صافحتم بفؤاد، ويمين

ومدحـه أيضا الشّـيخ اللقاني بن السّـائح لما زارهم بتونس مانصه:

على الرّحب يا من خامر العقل حبُّـه
فأسكره شرب المدامة في الحـــبِّ
أزلتم عن القلب المتيّمِ نـــــاره
وألبسته ثوب المهابة، والعجـــــبِ
وصيّرت أيام الشّقاء سعـــــادة
فكيف، وأنتم غاية النّفس، والقلـــب
وكانت بكم أيامنا البيضُ روضـــةً
بها نجتني أحلى الثّمار مع الصّحـب
أتيتم لأسعاد البريّة فلْتكـــــنْ
بكم أمّة الإسلام مامونة الرّعـــب

أتـم بنـاء جامـع الجمعـة، وزخرفتـه، وأضـاف بعـض النّقوش لقبـة الضّريح، وقد مدحها العلامة الشّـيخ مناشو حيث قال: قبّة المجد باهي تاج الملوك....

كمـا واصـل النّهضـة العلميـة العصرية التـي بدأهـا الشّـيخ سـيدي محمّـد العيـد، ومن الذين درسـوا في عهده الشّـيخ محمّد بـن جديـدي، الشّـيخ محمّـد الطّاهـر بـن عماره شوشـان، الشّـيخ عبد الله اليحياوي التّبسـي سـنة 1928، الشّـيخ عثمـان النّفطي لمدة سـنة، الشّـيخ الصّادق التّجاني الذي، واصل الدّروس للشـباب بأسـلوب الشّيخ اللقاني، أما معلمـو القرآن فـي عصره بين زاويتـي تماسـين، وقمـار فنذكـر منهـم: الأخويـن الطّالـب سـي أحمـد، الطّالـب سي الطّاهر بن السّـا، الطّالب سي المختار النّائلـي، الطّالـب سـي علـي خيـر اللـه، الطّالب سـي العيد بن معمـر برير، الطّالب سـي البشـير مرزيق، الطّالب سـي بلقاسـم حوري، والطّالب سـيدي لخضر بن سيدي الشّريف.

كمـا أجتهـد الشّـيخ فـي ضـخ مختلـف الجرائـد الوطنية، والعالمية فـي الزّاوية منها مجلات، وجرائد تونـس: المجلة الزّيتونية، الزّهـرة، النّهضـة، أفريقيـا الفتـاة، العلـم، التّعليـم، الاتحـاد الغنمـي، الثّريـا، ولسـان الشّعب.

ومجـلات مصـر: الهـلال، الهدايـة الإسـلامية، مجلة الإسلام، الصّباح، الثّقافة، نور الإسلام، والكواكب.

بالإضافـة إلى جرائـد، ومجـلات لبنان، العـراق، المغـرب، فرنسـا، إيـران، الصّين، والجزائر.

أرسل بعثات إلى جامع الزّيتونة، كما بنى حجرة دراسية في الفرع الزّيتوني بتوزر 1947 « تونس».

أسـهم في تأسيس مدرسـة حديثة تدرس باللغة الفرنسـية سـنة 1937، بتملاحت، كما كانت تُدرس الدّروس المسـائية للكبار، قرأ فيها الشّيخ سيدي محمّد البشير، وأقرانه.

أسـهم في تأسـيس مدرسـة النّهضة سـنة 1945 التي كان لها جناح بدار سـيدي السّائح حقي، وقد درّس فيها سيدي العيد بن سيدي علي، والعلامة الأخضر السّـائحي، وسيدي عبد الحميد بن سيدي عليوة، وآخرين.

أعطى الخليفة الشّيخ سيدي أحمد التّجاني هذا الجانب حقه من خلال التّبرعات للمؤسّسات الخيرية، والأفراد منها :

- جمعية العلماء لتكوين مؤسّسة اقتصادية سنة 1942.
- المعهد الإسلامي بالوادي، سنة 1968.
- جمعية النّهوض بالتّلميذ التّابعة للكلية الكتانية بقسنطينة سنة 1957.
- جمعية السّلام لرعاية الإيتام بقسنطينة، 1953.
- مدرسة العرفان بعين مليلة، 1953.
- أهالي لمغير في فيضانات 1969.
- جمعية آباء تلامذة الليسي الفرنسي الإسلامي بابن عكنون سنة 1958.
- جمعية الإغاثة بتوزر 1947.تونس
- جمعية أوقاف الحرمين الشّريفين، والتي زار رئيسها السّيد قدور بن غبريط زاوية تماسين.

بالإضافة إلى سلسلة التّبرعات المذكورة أعلاه فقد برز الشّيخ سيدي أحمد التّجاني كعادة أسلافه في إصلاح ذات البين، وإطفاء نار الفتن بالمنطقة، ومنها الفتنة التي، وقعت سنة 1927 بتماسين بين الأهالي، والقايد حول التّلقيح الذي رفضه السّكان، فقام الشّيخ بجهود معتبرة، وحقق الصّلح بين الطّرفين، واقنع الأهالي بضرورة التّلقيح .

وله كذلك يرجع الفضل في فض نزاع بلدة سدراته «ولاية سوق أهراس» الذي، وقع فيه القتل في أفريل 1938.

ومما ذكره الأستاذ محمّد ابن سمينه في كتابه «محمّد العيد آل خليفة»، أنه روى عن بعض معاصريه أنه كان لهذا الشّيخ –الشّيخ سيدي أحمد – مواقف مشرفة أثناء حرب التّحرير الوطنية.

وقد، وثق الدّكتور، والمجاهد الكبير مختار فيلالي رحمه الله في كتابه «دور رجال الطّريقة التّجانية في مقاومة الاحتلال خلال الثّورة التّحريرية»، مواقف سامية، ومشاركات فعّالة أثناء الثّورة، وقبلها للخليفة الشّيخ سيدي أحمد التّجاني.

بالإضافة إلى ما ذُكر أعلاه فإن للشيخ مواقف أخرى منها:

تقديم مشروع لائحة ضد اقتطاع الصّحراء من الجزائر، وإلحاقها بفرنسا، أنظر الجريدة الرّسمية 5 جولية 1952.

الدّعم المالي أثناء الحركة الوطنية، وخلال الثّورة منها: دعم فرحات عباس سنة 1948، وجيش التّحرير الوطني.

ذكر الحاج أخميس القوراري أن للشيخ سيدي أحمد رقم 08 في التّرتيب الثّوري، لكن ما، وجدناه في رسالة من جيش التّحرير الوطني إلى الشّيخ بتاريخ 14/ 06/ 1961 يخبرونه باستشهاد نصرات حشاني، أن رقمه 800.

كما أن الشّيخ سيدي أحمد كان لا يتنقل إلا بتسريح من الحاكم العسكري، هذا يعني أن كل تحركاته مراقبة، منها تسريح بتاريخ 18/ 03/ 1932 مدته 15 يوما، وكانت، وجهته قسنطينة، وتسريح ثاني بتاريخ 13/ 05/ 1937 مدته 08 أيام الوجهة باتنة، وقسنطينة.

وذكر أيضا شاعر الجزائر محمّد العيد آل خليفة في رسالة، واردة على زاوية تماسين بتاريخ 26 أوت 1961 مانصه: «....الشّيخ سيدي أحمد بن سيدي محمّد التّجاني... أمتعكم الله بصحتكم في هذه الرّحلة السّعيدة، وضاعف سروركم بها، وحقق لنا، ولكم، ولعموم الأمة الجزائرية ما تفاءلتم لها به من قرب ساعة التّحرير، وماذلك على الله بعسير...»

مواقفه اتجاه منطقة سوف:

إن مشائخ الطّريقة التّجانية، وبالأخص خلفاء تماسين يولون عناية خاصّةبمنطقة سوف، ونختصر هنا على ذكر نماذج من مواقف الشّيخ سيدي أحمد التّجاني، الذي دافع عن منطقة سوف خلال الاحتلال، وبعد الاستقلال، وما ترشحه للمجلس الجزائري في انتخابات 1948 إلا حرصا منه على منطقتي سوف، وواد ريغ، وكان لوجوده في هذا المجلس فوائد جمة على المنطقتين، وقبل انتخابه للمجلس الجزائري كان الشّيخ سيدي أحمد التّجاني يعتبر من أعيان الجنوب الجزائري، وقد ذكره محمّد خير الدّين في مذكراته.

في 15/ 09/ 1939 بعث الشّيخ رسالة إلى الوالي العام نقتطف منها مايلي:«...وإننا لنا الثّقة التّامة في جنابكم ياسيدي الوالي من إلفات نظركم إلى، وطننا الجنوبي فيما يحتاج إليه من الضّروريات من تموين، والسّعي في بيع منتوجاته، وخصوصا مسألة التّمر الذي تتوقف عليه ضروريات الوطن الجنوبي...»

ولما كان عضوا في المجلس المذكور حمل على عاتقه مشاكل، وهموم المنطقة حتى، ولو كانت على حساب صحته، وأهله، ومن ذلك رسالة أرسلها إلى الوالي العام بتاريخ فاتح جانفي 1953 لتُدرج في مداولات المجلس نقتطف منها مانصه:

«...سيدي الوالي إن من، واجبي أن أحيطكم علما، ولا أكتم شيئا ما عن الحالة المفزعة التي أصابت القسم الذي أنا نائب عنه، فها أنا أبيّن لكم بالتّفصيل أوله، واد ريغ.....ملحقة، واد سوف الذي زرته دشرة دشرة، وتفقدت أحوالهم، ومكثت فيه خمسة عشر يوما فإن، واد سوف أعظمهم خصاصة، وأكثرهم جوعا أوله قلة الغلة فإن أغلب سكانه لا يملك أكثر من نخلة أو نخلتين، وزيادة على نقص الغلة، وقلة المطر... وعليه سيدي الوالي العام ألفتُ نظركم، واطلب منكم أن تلفتوا نظر المجلس الجزائري أن ترسلوا إعانة مالية ذات بال توزع على الفقراء، والمساكين، وان تلفتوا حكام الجهات الآنفة الذكر أن يحدثوا خدمات لجميع السّكان، وتتوزع الخدمة على ساير الأهالي حتى لا يبقى أحد محروما من شيء من المال يتمعش به، فإن فعلتم هذا بسرعة فإنكم تحيون أمواتا من قبورهم، وان تأخرتم فاني أخشى أن يفتك المرض بأغلب السّكان، ووقت إذ تكون مصيبة كبرى على أهالي الجنوب، وخسارة عظمى تتكبدها الحكومة من علاج، ونفقات... واني، وعدت جميع الأهالي أني ابلغ لكم حالتّهم، وطمأنتهم بأنكم تبذلون كل ما

في، وسعكم في إسعافهم...والسّلام من محترمكم، ومعظم قدركم الشّيخ أحمد التّجاني أيده الله ءامين.

وبالفعل فقد بُرمج الشّيخ سيدي أحمد التّجاني في المجلس، وطالب في خطابه أمام الوالي العام نجلان في جانفي 1953 بالاستمرار في البحث على المياه بواد سوف، وتعبيد الطّريق، وتعجيل إصلاحها بين بسكرة، وقمار، وقد تمت حسبما طلبه، وهاهو مقتطف من خطابه المترجم للعربية:

«....***عبّدوا لهم الطّريق الذي يسمح للتمويل، والتّزود الجيد، والسّريع، أمّنوا للسوافة الأشداء تدفق مياه السّقي، وسترون كيف يحولون منطقتهم لإنتاج خيرات أكثر، وأفضل....***»

ومما ذكره الشّيخ في مذكراته أنه بتاريخ 20 أكتوبر 1941 توجه للجزائر رفقة بوعزيز بن قانة، والشّيخ محمّد الصّالح الهاشمي، والحاج محمّد حوحو العقبي، والحاج الشّاوي، وقابلوا الوالي العام ستيل ثم الجنرال فيغان، وكل ذلك للدفاع عن منطقتي سوف، وواد ريغ من دخول آلة تبخر من تجار مرسيليا كادت تفسد غلة التّمر.

في سنة 1953 أنشأ عين للسقي في منطقة لمغير خاصّةبنخليه، وتعدّت فائدتها لتعمّ سكان المنطقة، وسُمّيت فيما بعد قرية «عين الشّيخ» نسبة له.

وقد قال فيها أحد شعراء المنطقة قصيدة مطلعها:

وقى العين من عين الحسود إذا، وقب، وأجراها مجرى النّيل في السّهل، والكثب

كما ذكر الشّيخ سيدي أحمد التّجاني في تأبينه للدكتور أحمد نجاح سنة 1973 بكوينين بأنه الوحيد الذي ساعده في مجلس العمالة للحصول على قبول مشروع طريق تقرت- الوادي.

أما المعهد الإسلامي بالوادي فكان للشيخ اليد طولى في دعمه، ومتابعته، ونلمس ذلك من خلال رسائل مدير المعهد، ورسائل لجنة أنصار المعهد منها مانصه:

«***إن لجنة أنصار المعهد الإسلامي لمدينة الوادي بعد اطلاعها على ما تبرعتم به لفائدة تشييد المعهد الإسلامي، تقدر بإكبار، وإجلال مساهمتكم لنجاح هذا المشروع الخيري، وتبارك شعوركم النّبيل لما برهنتم به حسب استطاعتكم، وذلك غيرة منكم لنشر لواء العلم، والمعرفة، ولتوطيد دعائم الدّين الإسلامي، والحفاظ على اللغة العربية لأجيالنا الصّاعدّة، كان الله في عونكم، ودمتم ذخرا للإسلام، الوادي في 20/ 02/ 1968.***»

أما توظيف أبناء المنطقة في سلك القضاء، والشّؤون الدّينية فهي كثيرة لا حصر لها، نذكر منهم الشّهيد السّعيد بلعبيدي لكوينيني مدرس بتماسين، الشّيخ المداني موساوي مدرس بتقرت، بلقاسم جاب الله التّغزوتي مدرس بالمقارين.

كما دافع عن المظلومين، ولو كان خارج منطقته منها دفاعه عن الصّحفي محمّد كشرود المذيع براديو الجزائر الذي فصل عن العمل.

ولنختم دور الشّيخ اتجاه سوف بشهادة الشّهيد بلقاسم بن مصطفى عسيلة في خطاب له سنة 1953، وهو بخط يده رحمه الله:

«***...سيدي الوالي لا جدال، وإن للجسم أمراض تعتريه، وأطباء يداوونها، كما أن للأوطان أمراض، وأطباء يداوونها.***

لقد كان، وطن سوف مريضا، ومريضا حقا منذ أمد بعيد، وقد كان الطّبيب المحلي الدّائم، وهو سيدي أحمد التّجاني حفظه الله، بذل الجهود، وسافر مرارا من أجل الإتيان له بالدّواء ثم سهر الليالي الطّوال عاكفا على سرير المريض يسليه، ويمسح دموعه، ويعالجه بقدر لا أقول المستطاع بل تجاوز المستطاع.

فاسمحوا لي يا حضرات السّادة بأن أقول له أمامكم إن الوطن عاجز على دفع الثّمن لكم كطبيب، ولكنه يدع الله يجازيك عن عملك، وقد رأى بارك الله فيه أن الحيل انتهت كما رأى، وأن المرض ازداد على المريض فأسرع إلى مشرح ماهر عُرف في جميع الأوساط، وهو حضرة المحترم سيدي الوالي العام، واستدعاه لعملية مسرعة حتى لا يفوت الأمر...»

حج مرتين أحداهما بوفد مصغر سنة 1366 الموافق لـ1947، والأخرى سنة 1385 الموافق لـ1966 على الباخرة، بوفد كبير يصل إلى 135 حاجا من أسرته، وبعض مقدمي، وأعيان الطّريقة منهم شاعر الجزائر محمّد العيد آل خليفة الذي كان يبيت مع الشّيخ في نفس حجرة الباخرة، أنظر الصّورة.

قضية فصل الصّحراء قبل اندلاع الثّورة: (يعني أن أحمد التّجاني كان يدافع عن القضية الجزائرية قبل اندلاع الثّورة).

في سنة 1952 طُرحت قضية فصل الصّحراء في المجلس الجزائري الذي كان الشّيخ أحد أعضائه ممثلا عن إقليم تقرت (وادي ريغ، ووادي سوف)، فعارضها الشّيخ مع بعض الأعضاء الوطنيين، وقدّموا مشروع لائحة ضد فصل الصّحراء من الجزائر، وإلحاقها بفرنسا.

وكتبت الجريدة الرّسمية الفرنسية بتاريخ 05 جويلية 1952، في ما يتعلق بمداولات المجلس الجزائري حول مشروع لائحة ضد اقتطاع الصّحراء من الجزائر، وإلحاقها بفرنسا، قدمها بعض أعضاء المجلس، من بينهم أحمد التّجاني. وقد أيّد هذه اللائحة نواب الحركة الوطنية في المجلس منهم: مصطفى فروخي، وقدور ساطور. وتسلّم الكاتب العام الفرنسي للمجلس هذه اللائحة من الشّيخ التّجاني، وسجّلها، فعاقبت السّلطة الفرنسية هذا الكاتب لتسلّمه اللائحة، وتسجيلها لأنّها أصبحت أمرا، واقعا، وجاء في تقرير اجتماع المجلس الجزائري، دورة سنة 1953 تحت مسمى «اقتراح تصميم رقم -53 ر- 7: يتعلق بتجديد تنظيم أقطار الجنوب الجزائري قدمه السّادة: لوهيرو، التّجاني، الأحرش عمر، ابن سونة، بيوض، مع طلب الاستعجال في المناقشة.

أرسلت قيادة المنطقة الرّابعة محمّد شنوفي بموجب قرار في 11 نوفمبر 1961، وحولته من قيادة النّاحية الثّالثة إلى النّاحية الرّابعة (تشمل، وادي ريغ، وورگلة) رفقة مجموعة من المجاهدين، وهم: النّعيمي، عثمان حامدي...، من أجل تعزيز صف

الجبهة في الجنوب ضد مناورات ديغول الرّامية إلى فصل الصّحراء عن الشّمال.

يقول أحمد التّجاني:

"... في سنة 1961 استقر عندي المساعد عثمان (حامدي البسكري)، والملازم محمّد شنوفي شهورا عديدة إلى توقيف القتال...".

ويذكر محمّد شنوفي في شهادته أنه قدم إلى زاوية تماسين يوم 07 فيفري 1962، حيث يقول:

«... تمكنا من دخول قرية تماسين مع قافلة زوار الزّاوية التّجانية، وهناك استقبلنا الشّيخ أحمد التّجاني، وأخوه سيدي حمه، وخادمهم سعيد بحفاوة، وترحاب... واتخذت قبة مقام الزّاوية مقرا، ومنطلقا للعمل، حيث، وضع الشّيخ أحمد التّجاني تحت تصرفي رجلين مناضلين مخلصين، وهما السّيد العلمي (الحاج محمّد العلمي الأخضري) من أهل لعلية، وقد كان دليلي في مدينة تقرت، والسّيد العيد بن العيد من أولاد السّايح، وكان دليلي إلى، ورگلة، وقد أعاد الضّابط شنوفي تنظيم، وهيكلة حزب جبهة التّحرير الوطني بمدينة تقرت، والقرى المجاورة لها بمعية مناضلين من المنطقة، ثم تنقل إلى مدينة، ورگلة، وذلك بالتّنسيق مع الشّيخ أحمد التّجاني التّماسيني، حتى يقوم بتهيئة المناضلين ضد مشروع فصل الصّحراء

حيث يقول:

«، وقبل أن أنتقل إلى مدينة، ورگلة، ونظرا لظروفها الخاصة، وبعد أخذ رأي كل من الشّيخ أحمد التّجاني، والمناضلين البارزين في، ورگلة...، قررت العمل في اتجاه، ورگلة على محورين: الأول: الانتقال إلى مدينة، ورگلة، وإقامة تنظيمات الثّورة. والثّاني: استدعاء، واستقبال (عن طريق الشّيخ أحمد التّجاني) كل أعضاء مجلس العمالة لتبليغهم رسالة الثّورة، وتجنيدهم ضد مشروع فصل الصّحراء».

وقد قرر شنوفي ضرورة قيام سكان، ورگلة بتنظيم مظاهرات ضد مشروع التّقسيم يوم 27 فيفري 1962م، بعدما تأكّد له أن المحتل الفرنسي يريد أن يجعل من مجلس العمالة بديلا عن جبهة التّحرير. فكانت هذه المظاهرات القشّة التي قصمت ظهر البعير، وانتهى بذلك حلم ديغول، ودخل المفاوضات ضعيفا

وسنذكر مجموعة من المصادر التّاريخية التي أبرزت دور الشّيخ أحمد التّجاني التّماسيني في القضية، ومواقفه الرّافضة لفصل الصّحراء:

شهادة الشّيخ إبراهيم بيوض:

ويذكر الشّيخ إبراهيم بيوض: أنه «في خريف 1960 انعقدت دورة المجلس العمالي في، ورگلة، وفي يوم من أيامها أعلن الرّئيس حمزة أبوبكر أن جلسة المساء تكون سرية، فاجتمع النّواب كلهم مسلمين، وفرنسيين في السّاعة المعينة، فافتتح الكلام، وأخبر عن اجتماعه بالجنرال ديغول، وما جرى بينهما من حديث حول الصّحراء، وفصلها، وأطال في ذلك، ثم طلب رأي النّواب فوجموا ساعة، فالتفت إلى قاضي قمار، فقال: ما رأيك يا شيخ قاضي، فقال: إنني موظف لا أستطيع أن أتكلم، ثم التفت إلى الشّيخ أحمد التّجاني: فتكلم بكلام حسن شرح فيه باختصار خطورة الموقف، وأنه لا ضمان، ولا أمان من تطورات الأحوال، وضرب المثل بقضية سلطان المغرب، وابن عرفة، وما آل إليه أمر المغرب... إلخ».

شهادة جريدة المجاهد:

تذكر صحيفة المجاهد لسان حال الثّورة التّحريرية بتاريخ 16 / 01/ 1962، أن فرنسا سعت بواسطة أعوانها للحصول على تأييد الشّخصيات المحلية الصّحراوية من أجل فصل الصّحراء، واستعملت الإغراءات، والتّهديدات، ولكنها لم تحقق هدفها فطلبت الأوساط الاستعمارية المكلفة بهذه المحاولة القبض على أحد رؤساء الزّاوية التّجانية.

والمقصود بأحد رؤساء الزّاوية التّجانية الذي تم القبض عليه في نوفمبر 1961، هو المجاهد محمّد الطّيب التّجاني بن شيخ الطّريقة أحمد التّجاني، وبعد أيام ألحق به أخوه السّيد محمّد الحافظ الذي كان يدرس بفرنسا، وبسبب موقف، والدّهم المعارض لفصل الصّحراء، ومن أجل الضّغط عليه، قامت السّلطة الفرنسية بإلقاء القبض على أبنائه.

وفاته:

انتقل الشّيخ سيدي أحمد التّجاني للرفيق الأعلى يوم الثّلاثاء 14 صفر 1398 الموافق لـ 24 جانفي 1978، وقد أبنّه العلامة أحمد العناية نيابة عن شيخ الطّريقة سيدي علي نجل سيدي محمود التّجاني، والأستاذ علي كافي.

كما رثاه العلامة الكبير سيدي محمّد الحافظ التّجاني المصري في مجلة «طريق الحق»، في عددها الثّاني، السّنة الثّامنة، والعشرون بتاريخ صفر 1398 فبراير 1978.رحم الله شهداء الوطن، وطيب ثراهم.

عبد الكامل عطية وأحمد غريسي

■ أحمد الرّفاعي شرفي
(و: 1350ه - 1932م/ت:1435ه - 2014م)

ولد أحمد شرفي الرّفاعي حسب ما جاء في بطاقة تعريفه الوطنية على لسان بعض أقاربه ببوحمامة، ولاية خنشلة عامّ 1932، متزوج، وأب لستة أبناء.

بعد تلقيه دراسته القاعدية، وحفظه للقرآن الكريم بمسقط رأسه انتقل إلى قسنطينة التي كانت مقصدا لطلاب العلم، والمعرفة، وانتسب إلى معهد عبد الحميد بن باديس، حيث أمضى أربع سنوات في التّحصيل العلمي، والمعرفي، وذلك من عامّ 1948 إلى عامّ 1952.

ونظرا لشغفه في تعميق معارفه، وتوسيع دائرة تحصيله المعرفي، والإحساس بضرورة الاستزادة رحل إلى تونس لينتسب إلى جامعة الزّيتونة أين أمضى أربع سنوات أخرى في الاستزادة، وفيها حصل على شهادة الأهلية،ولما شعر بالرّغبة في الاستزادة، وعدم الاكتفاء على غرار أساتذة آخرين انتسبوا لهذا الجامع، والذي كان بمثابة جامعة شد الرّحال صوب القاهرة ليكمل دراسته في جامعة الأزهر، ويحصل على شهادة الباكالوريا عامّ 1957.

بعدها مباشرة غير الوجهة، وشد الرّحال إلى العراق، وسجل بجامعة بغداد، حيث قضى بها ثلاث سنوات

من عامّ 1958 إلى عامّ 1961، وفيها تخرج حاملا شهادة ليسانس في الآداب ثم عاد في دورة أخرى إلى القاهرة ليكمل دراسته العليا بجامعتها من 1961 إلى عامّ 1962.

ووفيها حاز على شهادة النّجاح في الدّراسة التّمهيدية للماجستير في الآداب من كلية الآداب، بعدها عاد إلى الجزائر، وحصل على إجازة دكتوراه الطّور الأول (الدّرجة الأولى) من جامعة الجزائر عامّ 1979

حياته المهنية:

عرفت حياته العلمية، والتّعليمية تنوعا كبيرا فقد بدأ حياته المهنية أستاذا للتعليم الثّانوي من عامّ 1962 إلى عامّ 1972 ثم معيدا

بجامعة قسنطينة منتوري حاليا من عامّ 1972 إلى عامّ 1987.

ثم أستاذا محاضرا، حيث درّس في التّعليم الثّانوي بين 1962و 1972.كما عمل أستاذا مشاركا مدرسا للحديث النّبوي الشّريف، وفقه السّيرة في المعهد الوطني العالي في الشّريعة بباتنة.1996.

ونظرا لحكمته، وحنكته في تسيير الإدارة أسندت له إدارة معهد الحضارة الإسلامية، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة بين عامي 1987و1989.

وقد ترك بصمة، واضحة في هذا المعهد من خلال جهوده الطّيبة في تطوير أداء المعهد بيداغوجيا، وعلميا، وبخاصة من ناحية التّحصيل العلمي، والتّكوين المتين للطلبة، والطّالبات.

وقد انتخب كذلك رئيسا للمجلس العلمي لمعهد الآداب، واللغة العربية بجامعة منتوري قسنطينة بين عامّ 1989 إلى 1990.

ووبعدها عمل أستاذا محاضرا في معهد الآداب قبل أن يسيّر قسما للآداب، واللغة العربية)

أما نشاطه التّدريسي فقد حفل بالعديد من المقاييس إذ درّس الكثير من المواد منها:

الأدب الجزائري، الحضارة الإسلامية، علوم القرآن، والحديث، الأدب العربي الحديث، والمعاصر، النّص الجزائري، وغيرها من المواد.

تميزت حياة الشّيخ أحمد الرّفاعي شرفي بالعطاء العلمي الممدود؛ حيث كان يصرف جل، وقته في القراءة، والكتابة، وتقديم المحاضرات، وإلقاء الدّروس في العديد من المساجد التي يدعى لها إضافة إلى الجهود البحثية التي كان يضع لها برنامجا خاصا، وقد كان بيته الكائن بحي الدّقسي بقسنطينة عامرا بالزّائرين من طلبة علم ــوأستاذة باحثين، كانوا يقصدونه للمشورة، وسماع رأيه في بعض المسائل العالقة

ونظرا لكونه كان يقيم في شقة صغيرة كانت أغلب كتبه متناثرة على أرضية مكتبته العامرة بأفخم المصنفات، وأهم المصادر: في اللغة، والأدب، ومختلف العوم الشّرعية، ومع هذا الاهتمام العميق بالكتابة، والتّأليف فإنه كان يقدم دروسا بمسجد أبي أيوب الأنصاري الكائن بحي الدّقسي قريبا من مسكنه الشّخصي.

وإضافة إلى هذه الاهتمامات البحثية المتنوعة فقد كان ذواقة للشعر، وللقصة، ولأنني بدأت حياتي الأدبية كاتبا للقصة أخبرني أن له قصصا عديدة لكنها لم تطبع إلى يومنا هذا بل أشهد أنه أضاء لي بعض المسارات في كتابة القصة القصيرة.

حفلت حياته العلمية بوفرة الإنتاج فقد ترك ما يقارب 22 مؤلفا أهمها: التّعريف بالقرآن الكريم، وجراح التّاريخ، وعاهاته، والسّيرة النّبوية الشّريفة دلالات، وعبر، ومفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى، ومقتضياته

وقد ترك الكثير من المدوّنات في شكل كتب مكتملة او شبه مكتملة او أوراق فيها ملاحظات متعددة في موضوعات متنوعة، أو تسجيلات لنقد أو هوامش على أمور قرأها هنا أو هناك. وهي تمثل ثروة ضخمة يمكن استخراج كنوز منها من الأفكار، والرّؤى، والطّروحات القيمة، والتّحليلات الرّفيعة المستوى.

إضافة إلى ماذكر آنفا فقد ترك الكتب الآتية:

ـ «الشّعر الوطني الجزائري ««(رسالتّه للدكتوراه) ـ مقالات الشّيخ العربي التّبسي (في أربعة مجلدات) طبعتها دار الهدى للطبع، والنّشر، والتّوزيع بعين مليلة ـ رسالة المسترشد (دار البعث)، ـ رسالة مالك في السّنن ـ بدعة الطّرائق في الإسلام للشيخ العربي التّبسي (مخطوط محقق ـ مطبوع طبعات متعددة.)، عيوب النّفس، ومداواتها للسّلمي (تحقيق) مقالات الإسلاميين في الأدب، والنّقد (3مجلدات) ـ التّعريف بالقرآن الكريم ـ مختصر رسالة القدس في محاسبة النّفس لابن عربي ـ قضايا إسلامية:مراجعة، ومناقشة ـ جراح التّاريخ، وآهاته ـ مقالات، وآراء الإمام أبو يعلي الزّواوي ـمقالات، وآراء الإمام مبارك الميلي ـ مقالات، وآراء الشّيخ حمزة بوكوشة ـ كتاب الإسلام في حاجة إلى دعاية، وتبشير للشيخ السّعيد الزّاهري (تقديم، وتعليق). السّيرة النّبوية الشّريفة: دلالات، وعبر ـ كما نشر رسالة أو جزء السّير لخير البشر لابن فارس البغوي (تقديم، وتعليق) ـ مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلي الزّواوي، ومقتضياته ـ مقالات، وآراء الشّيخ السّعيد الزّاهري ـ الشّيطان عليه اللعنة: حقيقته، وطبيعته، ووظيفته، وأفعاله ـ المدرسة القرآنية الجديدة ـ خطوات في الاتجاه الصّحيح ـ الذين بدّلوا نعمة الله ـ آلام الدّعوة، والصّحوة الذي عنى بطبعه، ونشره الأستاذ علي بن الطّاهر...وهو مجموع مقالاته في عدد من الصّحف، والمجلات الوطنية: كالإرشاد، والبلاد، والنّور، النّبأ، والبرهان، والشّروق الخ..

وقد جاءت في سفر ضخم في نحو 400 صفحة من القطع الكبير.

ومما يسجل له صراحته في الحق، وشجاعته في النّقد الإيجابي، فكان رحمه الله تعالى من أوائل من حذّر من تشرذم حركة الرّاحل «محفوظ نحناح» رحمه الله، وما ذلك إلا لصدقه، وإخلاصه في الانتماء الفكري، والرّوحي لفكر الحركة، وظل مواظبا على القراءة، والتّأليف على الرّغم من معاناته مع المرض حتى، وافته المنية مساء الأربعاء 29 ماي 2014.

باديس فوغالي

المصادر:

- جريدة الشّروق اليومية: الدّاعية أحمد شرفي الرّفاعي عالم قسنطينة، وشيخ دعاتها،العدد 1551،04/ 06/ 2018.
- إضافة إلى جملة كتابات في سيرته إثر، وفاته

■ أحمد السّرحاني
(و:1330ه - 1912م/ت:1387ه - 1968م)

هو العالم المجاهد الشّيخ أحمد السّرحاني، من أبرز علماء الأوراس، يعتبر الأب الرّوحي للقائد سي الحواس، فهو من غرس فيه الدّين، وحب الجهاد، قال فيه الشّيخ ابن باديس:(إذا كنت سرحانا فاقصد مجلس السّرحاني).

ولد أحمد تيمقلين السّرحاني في 20 – 10 – 1912 م بكيمل حوز أريس جنوب الأوراس من عائلة متدينة تشتغل بالفلاحة، من أبوين ينتميان لأسرة محافظة اشتهرت بالعلم، والإصلاح، متوسطة الحال تشتغل بالفلاحة، ينتسب الشّيخ إلى قبيلة (السّراحنة) المتواجدة أراضيها جنوب الأوراس في دائرة أريس، ولاية باتنة، وقبيلة السّراحنة كما يدل اسمها هي من القبائل العربية التي توغلت في جبال أحمر خدو، واستقرت هناك منذ الهجرة الهلالية، وهي قبيلة أنجبت الكثير من العلماء، وقادة الثّورة في الأوراس.

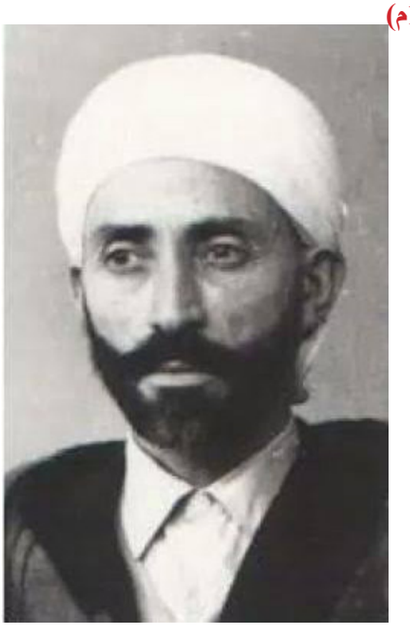

حفظ القرآن الكريم على شيخ قريته مصطفى بن محمّد المالحي أحد تلامذة الشّيخ عبد الحميد بن باديس، وهو ابن سبع سنوات، كما أخذ عنه المبادئ الدّينية، واللغوية من فقه، وفرائض، ونحو، ثم انتقل إلى زاوية الشّيخ الصّادق بلحاج (بتبرماسين) بولاية بسكرة، ومنها إلى خنقة سيدي ناجي بولاية بسكرة، التي زاول فيها دراسته الابتدائية، والإعدادية على يد العديد من الشّيوخ على رأسهم الشّيخ الصّديق لمكي خريج جامع الأزهر الشّريف بمصر، ولكن شغفه، وحبه للعلم، ونهمه للتفقه دفعه إلى طلب المزيد، خاصّةبعد أن سمع الكثير عن الشّيخ بن باديس، فقرر التّوجه إلى قسنطينة قاصدا الجامع الأخضر، وفي سنة 1936 م التّحق بالجامع، واجتاز المسابقة بتفوق، وتم تسجيله، فزاول دراسته من نفس السّنة في الطّبقة الثّانية ثانوي، ولازم الشّيخ ابن باديس إلى، وفاته رحمه الله في 16 أفريل 1940م. فقد تتلمذ على يد العالم الجليل الشّيخ عبد الحميد ابن باديس، وكان من بين طلبته النّجباء، وقد تأثر بشيخه ابن باديس، إلى درجة أنه تقمص شخصيته، وسلك

سلوكه، وكان فيه شبه كبير لشيخه حتى مظهره، ولباسه، وأسلوب تربيته، وقدرة تأثيره الخارقة على تلامذته، وعلى كل من يستمع إلى دروسه الوعظية في المسجد.

وكان الشّيخ أحمد السّرحاني ينشر العلم في محاضراته، ودروسه، وخطبه بربوع الأوراس، ويشهر بالأعمال الشّنيعة، والظّلم، والاستبداد، الذي كان يرتكبه المستعمر في حق الأهالي، وينشر كل مخازيهم في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويكتب في مجلة الشّهاب أيضا، الأمر الذي أغاظ المستعمر فراحوا يطاردونه، ويضيقون عليه، حتى ألقي القبض عليه في شهر سبتمبر 1941 م بدوار(كيمل)، مسقط رأسه بتهمة حث الجماهير على عصيان فرنسا، ومما قوى التّهمة عليه أن، وجدوا لديه رسائل، وجرائد، ومجلات، وتواريخ الأمير عبد القادر، وعبد الكريم الخطابي، وعمر المختار، وغيرهم، فزج به في سجن أريس بأمر من الحاكم (فابي) مدة ستة شهور، ثم نفي إلى حوز (مسكيانة) مدة ثمانية شهور، وفي نوفمبر 1942 أطلق سراحه.

ومع قدوم الخريف سنة 1943م سطع نجم أحمد السّرحاني، حيث عين من قبل الجمعية معلما في قرية (مشونش) حيث طلبه مصلحو تلك القرية ليخرجها، وأهلها من ظلمات الجهل، والتّخلف إلى نور العلم، فلاح فجر جديد، وبدد ظلمات القرية، وعلم أهلها كبارا، وصغارا حيث كان الجميع يحضر دروسه، وجلساته.

فقد كان لهم الشّيخ السّرحاني معلما، ومرشدا، ومديرا، وإمام جمعة، وبدأ هذا المربي الفذ في خدمة رسالته التّعليمية، والتّربوية فكان يتولى تعليم العشرات من الأطفال، وأحيانا يحضر معهم أولياؤهم للمشاركة في تلقي الدّروس، كما أنه يتولى إلقاء الدّروس اليومية في المسجد، وكان لدروسه أثره السّحري في نفوس النّاس، فقد مست أفكاره الإصلاحية القلوب فطهرتها، والعقول فصقلتها، وتلاشت العادات السّيئة، فأصبحت قرية (مشونش) قبلة لطلاب العلم من أبناء الأوراس، فقصدوها بالعشرات، وتكفل بهم سكان البلدة، فأخذت كل عائلة طالبا توفر له الإقامة، والعيش مع أبنائها.

ولقد كان مشرفا على مدارس جمعية العلماء المسلمين في الأوراس.

وفي عامي 1948 / 1949 م عين معلما بمدرسة (الولجة) بحوز خنشلة،، وفي عامي 1950/ 1951م عين معلما بمدرسة كيمل بأريس، وفي سنة 1951/ 1955م عين مرة ثانية بمدرسة مشونش.

بدأ العمل من أول شهر نوفمبر سنة 1954 بمشونش، حيث كان له اتصال، وثيق جدا بابنه الرّوحي أحمد بن عبد الرّزاق حمودة المدعو (سي الحواس)، وفي شهر سبتمبر من سنة 1955 نفي من الأوراس بأمر من عامل عمالة قسنطينة (بارلانج)، وفي قسنطينة كان على اتصال دائم بالمناضلين في الأوراس، حيث كان يرسل إليهم الأدوية، وأدوات الجراحة، والبوصلات، والمناظير المكبرة، والمال، والمذاييع، وغيرها من الاحتياجات.

وبعد حادثة قسنطينة التي استشهد فيها أكثر من خمسين مناضلا منهم الشّهيد الأستاذ أحمد رضا حوحو، لجأ صحبة بعض إخوانه إلى الجزائر العاصمة، وفيها لم يفتر عن العمل مع الشّيخ أحمد حماني، والشّيخ مصطفى بوغابة، والشّيخ محمّد حفناوي، وكان على اتصال مع المجاهدين الذين أوفدوا آنذاك من الأوراس إلى بوسعادة، بعد أكثر من ثلاثة أشهر رجع إلى بسكرة بأمر من الشّيخ الشّهيد الأستاذ العربي التّبسي، بعد إلحاح من الإخوان السّابق ذكرهم فدخل بسكرة خفية.

عين معلما، ومديرا بمدرسة التّربية، والتّعليم ببسكرة سنة 1956–1958، إلى أن أغلقت جميع المدارس في سنة 1958 م، وفي بسكرة كانت داره مأوى للفدائيين، وكان عضوا في لجنة جبهة التّحرير ببسكرة، ولم تنقطع صلته أبدا بالقائد سي الحواس، ومسؤولي الأوراس، الذين طلب منهم الالتّحاق بالثّوار في الجبال، فطلب منه سي الحواس الذهاب إلى الصّحراء، لأنها في حاجة إلى توعية، ودعاية، وتحسيس.

فكانت رحلته إلى (الزّاوية الكحلة) بالهقار، ثم، وادي ريغ، ووادي سوف، وفي الصّحراء كان يقوم بالدّعاية للثورة، والسّير، وراء جبهة، واحدة، وحكومة، واحدة، وفي آخر سنة 1960 طلب منه أن يصوغ بعض الأناشيد للثورة فنظم مجموعة منها:

- الرّصاص فصل الخطاب
- تحية الجيش
- نشيد النّجاح المثلث

وكلها منشورة في أعداد جريدة الأحرار

أسندت للشيخ بعد الاستقلال مباشرة العديد من الوظائف، كان أولها مفتشا لوزارة الأوقاف للأوراس الكبير، وعنابة سنوات 1963 – 1965م حيث قضى هذه الفترة في التّنقل، والتّفتيش من بلدة إلى أخرى، ومن دشرة إلى دشرة، يتفقد المساجد، ويعين القيمين عليها، ويسهر على سيرها الحسن، وتأدية، وظيفتها على أكمل، وجه، ثم عين أستاذا، ومديرا لثانوية (عباس الغرور) في باتنة في الفترة الممتدة من 1965 – 1968، وهي أول ثانوية بعد الاستقلال معربة في المنطقة، فقام بترميمها، وتنظيمها، وتسييرها، وبعث التّعليم العربي الإسلامي فيها فأضحت مركز إشعاع علمي في المنطقة.

إلى جانب عضويته بالمجلس الإسلامي الأعلى –لجنة الثّقافة، والنّشر –، وكان من بين الحاضرين عند تأسيسه، وكان يسهم بآرائه السّديدة لهذه الهيئة الإسلامية، وكان عضوا شرفيا في المجلس القضائي بباتنة، يستشار في القضايا الشّائكة، ويدعى لعقد الصّلح في الخصومات،

ويمكن تصنيف نشاطاته في هذه الفترة إلى ما يلي:

- أسهم في تعليم المرأة، وتنويرها خاصّةفي الأوراس، فحثها على ضرورة الالتّحاق بالمعهد الإسلامي بباتنة حيث خصص قسمين للفتيات
- أسلم على يده 20 مسيحيا، ومسيحية، وسلمت لهم شهادات تثبت إسلامهم عن طريق المفتشية
- حارب الشّعوذة، والدّجل عن طريق الخطب، والدّروس في المساجد.

– حارب منح رخص بناء المواخير، ودور البغاء الرّسمي، واحتج على ذلك بواسطة رسائل نصح لمختلف المسؤولين.

له عدّة مؤلفات:

– كتاب في النّحو العربي المستوى الثّانوي غير مطبوع، وقد قرضه الشّاعر محمّد العيد آل خليفة في قصيدة (هي الهمة القعساء. تقريظ كتاب القواعد تأليف الأستاذ أحمد السّرحاني (1967):

أفدت بني الفصحى بجم الفوائد
وعدت على الفصحى بغر العوائد
جاهدت فيها دارسا، وموجها
بتوجيهك الأسمى لنشئ مجاهد
وما ضل من سماك أحمد في الورى
فغرسك حمد مثمر للمحامد

– خلّف مجموعة كبيرة من الدّروس الخاصة بالتّربية، والتّعليم ضمنها آراءه، وأفكاره

– خلّف مجموعة كبيرة من الدّروس الفقهية منظمة، ومرقمة حسب إذاعتها عبر إذاعة باتنة

– خلّف مجموعة من الخطب القيمة – خطب الجمعة – تعتبر كنماذج، كانت ترسل إلى مختلف الأئمة في عنابة، والأوراس.

– خلّف مجموعة من الأناشيد في الثّورة، وبعدها منها ما صدر في الصّحف، وبعضها ما زال مغمورا

– ألف مسرحيات هادفة تروي بعض مآثر، ومعارك الثّورة، وأخرى في الشّخصيات التّاريخية.

– خلّف مخطوطا رصد فيه كل مساجد الأوراس، وعمالة عنابة من حيث العدد، المساحة، والنّوعية.

كانت، وفاته يوم 17 جوان 1968 في قسنطينة بعد مرض عضال ألم به، ودفن في مقبرة باتنة في موكب مهيب رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

ونعاه الشّاعر السّوري، وليد قنباز في قصيدة مطولة بعنوان:

يا قبر رفقا

ورد النّعي فهاج لي أشجاني
ونعى بغم أحمد السّرحاني
بالأمس كان النّجم في أجوائنا
واليوم غار، وبات في الأكفان
أين التّقى، والعلم في خطراته
أين الهدى، وذؤابة الإيمان
أين الحنان، وأين صحبة أحمد
أين الصّديق لمعشر الشّبان
يا قبر رفقا بالمجاهد أحمد
أين الصّديق لمعشر الشّبان

محمّد مدور

المصادر:

– محمّد مهري، ومضات من دروب الحياة، منشورات السّائحي، الجزائر. 2012
– هلايلي محمّد الصّغير، شاهد على الثّورة في الأوراس، دار القدس العربي، وهران الجزائر 2013
– الموقع الالكتروني: علامة الأوراس. Tribus Algeriennes في 02 / 02 / 2021.

■ أحمد الشّريف سعدان
(و: 1311ه - 1893م/ت: 1367ه - 1948م)

ولد أحمد الشّريف سعدان في يوم 4 نوفمبر 1893 بباتنة، وقيل، ولد في الميلية موطن قبيلة «أولاد بوفاهة» التي ينتسب إليها. من عائلة فقيرة متواضعة، لم يكن لها ماضي، ولا شهرة، ولا نباهة، انتقل، والدّه من موطن قبيلته الميلية إلى باتنة طلبا للعيش، وسعيا، وراء الرّزق، فتحسنت أحواله المادية قليلا، حمله ذلك على العناية بتربية أولاده، وتعليمهم.

في باتنة، وفي هذا الجو العائلي ابتدأ سعدان تعليمه القرآني العربي، والابتدائي الفرنسي معا، إلى أن نال الشّهادة الابتدائية في التّعليم الأخير، بعد هذه المرحلة التّعليمية انتقل إلى المدرسة الرّسمية بقسنطينة، التي قضى فيها أربع سنوات، ونال شهادتها، بعدانخراطه في سلك تلاميذ الثّانوية (الليسيه)التي

تحصل فيها على القسم الأول، والثّاني من (البكالوريا). لم يكتفي سعدان عند هذا القدر من التّعليم الذي كان يؤهله بالفوز بوظيفة لا يحلم بها أبناء الفقراء من أمثاله في ذلك الوقت فواصل دراسته في كلية الجزائر، وتخصص في دراسة الطّب، وبعد أن قضى فيها المدة المطلوبة، غادرها، وانتقل إلى جامعة «تولوز» بفرنسا أين أتم ونال دراسته منها شهادة خاصّةفي طب التّشريح زيادة على شهادة الطّب العام.

لخصت جريدة الإصلاح سنة 1930 الشّهادات التي تحصل عليها سعدان، والكفاءة العلمية التي كان يحملها بما يلي: (طبيب عمومي لسائر أمراض البدن الظّاهرة، والباطنة، وجراح سريع العملية، له معرفة خاصّةبأمراض النّساء، والصّبيان الصّغار، وجميع أمراض المثانة، والبول تخرج من كلية الطّب بمدينة (تولوز) من بلاد (فرنسا)، وهو يحمل عدّة شهادات

كشهادة دكتوراه، وشهادة في الكيمياء، وأخرى في الطّبيعيات، وبيده أيضا شهادة (عدل) في القضاء الإسلامي لأنه من خريجي مدرسة (قسنطينة).

عاد سعدان إلى الجزائر في حدود سنة 1921، وباشر عمله ـ بصفته طبيبا استعماريا ـ في إحدى القرى الصّغيرة القريبة من مدينة عنابة، التي مكث فيها نحو ست سنوات

في سنة 1927 غادر سعدان تلك القريةوانتقل إلى مدينة بسكرة عاصمة الزّيبان التي جعلها مستقرا له، وفيها فتح عيادته الطّبية، لم يكن قدومه هذا إلى مدينة بسكرة فاتراً بل استقبله سكانها بكل فرح، وود، واحترام لما، وجدوا فيه من خصال طيبة، ونبل أخلاق، وشهامة لا نظير لها نحوهم

في هذه الظّروف بدأ سعدان في مدينة بسكرة يشق طريقه في قلوب أهلها بأخلاقه السّمحة، وأعماله الخيرة نحو الفقراء، والمساكين منهم، وتقديره لرجال الدّين، والعلم منهم، فجلب له تقدير رجال الإصلاح الذين أشادوا بخصاله، وحلمه في جريدة الإصلاح بعدما عرفوا بعلمه ـ كما أشرنا ـ، ومما قالتّه الجريدة فيه أيضا ما يلي: (دمث الأخلاق رحيم بزائريه يشفق على الفقراء، والمساكين منهم، ويعالجهم (مجانا)، وله عناية كبرى برجال الدّين، والعلم. ويعامل النّاس كلهم بلطف، ولين، وبشاشة نادرة المثيل، وقد شاهدناه يتحمل من جفاء إخوانه العرب ما لا يستطيعه طبيب غيره. من زاره في محل عيادته بنهج ريشار ـ بسكرة أعترف له (لأول مرة) له بصحة ما قلناه).

وفي هذه الظّروف أيضا: صادف أن غادر الشّيخ الطّيب العقبي بسكرة إلى مدينة الجزائر سنة1929ليكون المحاضر الدّائملنادي التّرقي الذي كان قد تأسس قبل ذلك بعامين، ليبدأ عهد جديدا مع الحركة الإصلاحية هناك، غير أنه من جهة أخرى ترك فراغا في بسكرة، وضواحيها، وهو الفراغ الذي كما يبدو بدأ يملأه الحكيم سعدان بمواقفه الإنسانية، والسّياسية، وربط علاقات متينة مع رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أمثال الشّيخ خير الدّين عضو المكتب الإداري للجمعية، والشّيخ عبد الرّحمن بركات رئيس الشّعبة، وغيرهم، الذين مكنوه سنة 1934 من خلال، وقوفهم معه في انتخابات المستشارين العامين على مستوى دائرة باتنة من الفوز على خصمه ممثل الإدارة الاستعمارية الحفناوي الدّبابش.

كان سعدان من أبرز النّشطين في المؤتمر الإسلامي، وأحد أعضاء الوفد المسافر إلى باريس لتقديم مطالبه لحكومة الجبهة الشّعبيةممثلا عن الجنوب الجزائري إلى جانب ما ضم الوفد من علماء يمثلهم كل من: ابن باديس، والإبراهيمي، والعقبي، ومن نواب: ابن جلول، وفرحات عباس، وطاهرات، وبن عودة باشتارزي، وغيرهم؛فظهر حماس سعدان في الدّفاع عن مطالب المؤتمر من خلال الاجتماعات الوطنية التي كان يعقدها في بسكرة، وضمن هذه المطالب كان يدعو إلى إلغاء نظام الإدارة العسكرية في الجنوب، ومنها منطقة الزّيبان التي عانى أهلها من ظلمه. وكان يضرب الأمثال بهذا الظّلم بالقضية التي شغلت الرّأي العام البسكري المدعو الشّباح المكي، الذي تعرض للظلم، والاعتقال من شيخ العرب بن قانة، ولم تنصفه المحكمة الصّلحيةببسكرة، والمحكمة الشّرعية في سيدي عقبة.

كان الدّكتور سعدان من الشّخصيات الوطنية التي أسهمت في خروج هذا البيان المؤرخ في 10 فيفري 1943 المقدم للحلفاء، وللحكومة العامّة في الجزائر، الذي حرّره، وصاغه فرحات عباس بعد اجتماعه بأعضاء من حزب الشّعب، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وصادق عليه النّواب الجزائريون، فقد كان بين الحاضرين في الاجتماع الذي انبثق عنه الاتفاق على اصدار هذا البيان، وهو الاجتماع الذي عقد في مكتب الأستاذ أحمد بومنجل بمدينة الجزائر تحت رئاسة الشّيخ البشير الإبراهيمي.

في بسكرة ترأس سعدان فرع حركة أحباب البيان، والحرية في المدينة، وتولى الكتابة العامّة العقبي بلاغة، في حين عين حزب الشّعب الجزائري المناضل محمّد العربي بن مهيدي ككاتب دائم بالنّادي

وعندما عقدت حركة أحباب البيان، والحرية مؤتمرها في الفترة ما بين يومي 2، و4 مارس 1945 بمدينة الجزائر أوكل المؤتمرون للدكتور سعدان بالإجماع إداراته، وتسييره في غياب فرحات عباس الذي كان مريضا.

في صبيحة الثّامن ماي 1945الذي قرر فيه الجزائريون الخروج في مظاهرات سلمية في ساير المدن الجزائرية احتفالا بانتصار الحلفاء على النّازية، والمطالبة بتطبيق مبدأ تقرير المصير، ألقي القبض على الدّكتور سعدان بمعية رئيسه فرحات عباس.

ومنها سيق إلى السّجن قضى منها في الجزائر خمسة أشهر ثم نقل إلى قسنطينة، ومنها إلى مدينة سوق هراس، وداخل هذه السّجون تعرض سعدان إلى التّعذيب إلى أن فرج عنه في شهر مارس1946على إثر العفو العام الذي أصدرته الحكومة الفرنسية في حق المتهمين بالثّورة، والتّحريض لها في الثّامن ماي.

بعد الافراج عنه في شهر مارس 1946 بمعية الدّكتور سعدان، والشّيخ الإبراهيمي لم ينتظر فرحات عباس، وقام بتأسيس حزب جديد سماه (الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري) اشتق اسمه، وروحه كما يبدو من البيان الجزائري، أو من تجربة حركة أحباب البيان الجزائري التي حلتها السّلطات الاستعمارية عقب المجازر التي ارتكبتها في 8 ماي 1945ضد الجزائريين في مدن خراطة، وسطيف، وگالمة.

وفي هذا الشّأن استأنف الدّكتور سعدان نشاطه السّياسي نائبا لفرحات عباس في الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري الذي أسهم في تأسيسه، وهو الحزب الذي التّف حوله المنتخبون، والأعيان، والسّياسيون الذين شاركوا في بعث البيان منهم المحاميان بأحمد، بومنجل، وقدور ساطور، والاطباء، وبن لهليل، وأحمد فرنسيس،

والأساتذة: محداد، وحميد بن سالم، وبن قادة، وغيرهم.

كان الدّكتور سعدان الذي من غير المستبعد أن يكون على دراية بما كان يخطط له عباس، وما ينوي فعله بعد خروجه من السّجن، وإيمانه بفكرة الثّورة بالقانون، فعندما شارك الاتحاد الدّيمقراطي في الانتخابات التّشريعية في 2 جوان 1946، وفاز فيها الاتحاد بفوز ساحق، حيث نال 72.5 ٪ من الأصوات أي 11 مقعداً في المجلس الوطني الثّاني التّأسيسي من مجموع 13 مقعدًا مخصصة للمسلمين، فاز سعدان في الانتخابات كمرشح للحزب عن عمالة الجزائر، وأصبح رئيسا للمجموعة البرلمانية للاتحاد الدّيمقراطي، وفي نفس الوقت نائب رئيس فيدرالية المنتخبين المسلمين بقسنطينة، ونائب رئيس اللجنة التّنفيذية للاتحاد الدّيمقراطي.

خلال تواجده في باريس في اطار تقديم هذا المسعى، والدفاع عن القضية الجزائرية لم يغيب عن عينه سكان بسكرة، وأعضاء جمعية العلماء.

وأثناء تدخله في البرلمان الفرنسي بباريس في جلسة 23 أوت1946 كان سعدان شجاعًا، وحازمًا، ومغضبا للفرنسيين استنكروه حينها، لقد صعد سعدان إلى المنصة، وتحدث عن العنصرية، والاغتراب، والقمع، فتطرق إلى مجازر 8 ماي، فصمت النّواب الفرنسيون.

واصل نواب الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري، ومنهم سعدان نشاطهم في الدّفاع عن القضية الجزائرية داخل البرلمان الفرنسي إلى غاية يوم 31 أوت1947أين استقالوا منه تعبيراً على احتجاجهم ورفضهم لقانون الجزائر الخاص الذي صادقت عليه الجمعية الوطنية الفرنسية في يوم 20 سبتمبر 1947.

توفي يوم 26 أكتوبر 1948 بمصحة في جنوب فرنسا، وشيعت جنازته بمدينة بسكرة يوم 4 نوفمبر 1948، التي حضرها جمع غفير من أنحاء القطر يتقدمهم الشّيخ الإبراهيمي عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفرحات عباس عن الاتحاد الدّيمقراطي للبيان، ورجال حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية، والحزب الشّيوعي، والاشتراكية، والعائلة الإسرائيلية، والمسيحية، والنّواب، والأطباء، والكشافة، والرّياضة، وغيرها.

فاتح نواري

■ أحمد بن إبراهيم موسلمال (الأزعل)
(و:1357ه - 1938م/ت: 1441ه - 2020م)

أحمد بن إبراهيم بن موسى بن الحاج أمحمّد بن بكير، موسلمال. (الأزعل). أمُّه السّيِّدة: منَّه بنت صالح بن قاسم، باسعيد.

ولد يوم 11 رمضان 1357ه/ 04 نوفمبر 1938م، بمدينة بريان، ولاية غرداية، وتوفِّي يوم 06 شوَّال 1441ه/ 29 ماي 2020م.

هو من عشيرة النّشاشبة، وأولاد يونس في بلدته بريان.

أستاذ في التّعليم الخاصِّ بفئة المكفوفين بحكم إعاقته البصرية، حافظ لكتاب الله، عضو في هيئة إروان الخاصَّة بحفظَة القرآن، شاعر يتقن علم العروض، وأديب، ولغويٌّ ضليع في اللغة العربية، وفنونها، وناشط ثقافيٌّ، واجتماعي، ومن روَّاد المحافل، والنّدوات العلمية، والثّقافية، عضو في الجمعية الوطنية لمدرِّسي، ومربِّي

المكفوفين، وفي منتدى الجامعيِّين الجزائريِّين.

قضى طفولتَه في مسقط رأسه بريان، في أحضان أسرة صالحة، بسيطة الإمكانيات المادِّية، حرص أبواه على تربيته تربية إسلامية حنيفية، على الأخلاق الكريمة، والقيم الإسلامية، والاجتماعية.

بدأ دراسته في المرحلة الابتدائية بمسقط رأسه سنة 1946، بداية من القرآن الكريم بالكتَّاب (المحضرة)، ثمَّ التّحق بمدرسة الفتح الابتدائية الحرَّة، والمدرسة الفرنسية الرّسميَّة؛ ولظروف مادِّية انتقل سنة 1948م إلى مدينة تبسَّة حيث يشتغل، والدّه تاجرا، فالتّحق بالمدرسة القرآنية الحرَّة، والمدرسة الابتدائية الفرنسية، ولكن تحت الظّروف المادِّية الصّعبة اضطر إلى الانقطاع عن الدّراسة نهائيا رغم تفوُّقه، وتميُّزه في الدّراسة، فاتجه إلى العمل في التّجارة بمدينة قسنطينة سنة 1954م.

وفي تلك الفترة بقسنطينة، وقع له حادث أليم في سنة 1956م، أفقده بصره بشكل نهائي بعد عمليات جراحية لإنقاذ حبيبتيه في مدينة سكيكدة، فالجزائر العاصمة.

وبهذه الحادثة الأليمة تغيَّرت حياته جذريا، فانضم متألِّما إلى فئة ذوي الاحتياجات الخاصة، فكان عليه أن يتلقَّى تعليما جديدا بعد أن عاش فترة من التيه، والاضطراب، إلى أن انضمَّ سنة 1959م إلى المدرسة الخاصَّة بتعليم، وتكوين المكفوفين بالأبيار في العاصمة الجزائر.

ففي هذه المدرسة تعلَّم حرفة التّنجيد، وكتابة البرايل (Braille)، وصناعة الفُرُش، والمكانس، وتخرَّج منها بدبلوم الكفاءة في صناعة، وصيانة الفرُش (Diplôme De Matelassière).

بعد حصوله على الدّبلوم، توجَّه إلى مدرسة الفتح بمسقط رأسه ليتفرَّغ لحفظ القرآن الكريم، ومنها توجَّه إلى مدينة الگرارة حيث استظهر القرآن كاملا على إمام المسجد: الشّيخ أحمد بن إبراهيم حميد أوجانه، فانخرط سنة 1962م في حلقات العلم بمعهد الحياة لمواصلة التّحصيل العلمي حيث قضى ستَّ سنوات كاملة.

وفي سنة 1968م شارك في مسابقة الانتساب إلى الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة، وتخرَّج منها سنة 1972م بشهادة الليسانس في اللغة العربية، وآدابها.

وقضى في سنة 1974م، فترة تكوينية تدريبية لتدريس، وتكوين المكفوفين، نظَّمتها الجامعة العربية في القاهرة.

كان الأستاذ أحمد الأزعل من المثقَّفين الجزائريين المخضرمين الذين عاشوا تحت نير الاستعمار الفرنسي الغاشم، وتنعَّموا بأنوار الحرِّية بعد الاستقلال. فقد عاش آثار الحرب العالمية الثّانية، وأحداث 08 ماي 1945م في طفولته بمسقط رأسه، وأحداث الثّورة التّحريرية بين قسنطينة، والجزائر العاصمة، وسجالات قضيَّة فصل الصّحراء عن الجزائر، وفرحة الجزائر، والجزائريين بالاستقلال.

أخذ العلم عن نخبة كبيرة من المعلِّمين، والأساتذة، والشّيوخ من جزائريين، وفرنسيين، وأجانب، فنكتفي بذكر بعضهم على سبيل المثال:

- الشّيخ إبراهيم بن عمر بيُّوض.
- الشّيخ سعيد بن بالحاج شريفي (الشّيخ عدُّون).
- الشّيخ بكير بن عمر بيُّوض.
- الشّيخ النّاصر بن محمّد مرموري.
- الحاج يوسف بن حمُّو بن زايط.
- الشّيخ صالح بن إبراهيم باجو.

اشتغل بعد تخرُّجه من الجامعة معلِّما بمدرسة المكفوفين في، وهران من سنة 1973 إلى 1974م، فمدرسة المكفوفين بالجزائر العاصمة في العاشور حيث قضى باقي سنوات عمله من سنة 1975م إلى سنة تقاعده 1999م.

وبعد تقاعده استقرَّ في مسقط رأسه، وتوجَّه للتدريس في معهد الفتح للعلوم الإسلامية إناث، معلِّما للأدب، واللغة العربية، وآدابهما إلى سنة، وفاته 2020م.

فكوَّن خلال أربعة عقود قضاها في التّعليم العشرات من الشّباب، والشّابَّات الجزائريين، والجزائريات من مختلف المناطق من الوطن، تخرَّجوا على يديه إطارات يحملون عِلْما راسخا، وثقافة، واسعة، ووطنيَّة صادقة، وتميُّزا في اللغة العربية خصوصا، هم اليوم يتبوَّؤون، وظائف سامية في الادارة، ومراكز راقية في مصالح حكومية، ومؤسّسات هامَّة، وأساسية في الوطن، كأساتذة، ودكاترة في الجامعات، والمدارس، ومحامين، ووكلاء الجمهورية في سلك القضاء، وموظَّفين في الإدارات، والوزارات، وغيرها من المصالح، والمؤسّسات، منهم على سبيل المثال:

- الدّكتورة: حفصة نعماني.
- الأستاذ: دحمان مطاري.
- الأستاذ: كمال مقدادي.

له مؤلَّفات عديدة في تخصُّصه اللغوي، والأدبي، منها ما صدر، ونشر في حياته، ومنها ما هو مخطوط في رفوف مكتبته ينتظر الطّبع، فما طبع منها:

- نصوص معرَبة، وأخطاء مصوَّبة: نشر سنة 2000م.
- أضواء على النّحو، والصّرف، والإعراب: نشر 2009م.
- غصن البان، وذووه (ديوان شعر). نشر 2019م.
- أمَّا ما بقي مخطوطا:
- فسيفساء لـمَّا تزهُ: (ديوان شعر).
- زهور إلى رموز. (ديوان شعر).

كان له دور فعَّال في كلِّ محطَّة من محطَّات حياته الحافلة، فقد ترك أثرا في نفوس تلاميذه بسعة علمه، وثقافته الواسعة في مختلف المجالات، وتدريسهم علم العروض خارج المقرَّر تطوُّعا منه، واهتمامه بالمناسبات الدّينية، والوطنية باحتفالات ثقافية أدبية.

إضافة إلى مرافقته للشعراء، والكتَّاب النّاشئين خصوصا، بضبط إنتاجهم الفكري لغويا، وأدبيا، وعروضيا، ويحضر حفلات تخرُّجهم من الجامعات، والمعاهد، وكثيرا ما يتحفهم بقصائد شعرية على شرفهم، وقد جمعها في ديوانه المخطوط الموسوم بـ: «زهور إلى رموز».

وكان له حضور متميِّز في أغلب النّدوات، والمحاضرات العلمية، والثّقافية، متابعا، أو مشاركا، أو ناقدا مسهمًا بمعلومات، فقد عرفته المكتبة الوطنية، والمركز الثّقافي الإسلامي، والجمعية الجاحظية بالجزائر العاصمة، وندوة البكري الفقهية بمسقط رأسه.

من خلال كتاباته المتراكمة في الرّسائل المتعدِّدة لزملائه في الدّراسة، والتّدريس، ولتلاميذه حيث علَّم، ودرَّس، وبقراءة شعره يتعرَّف المرء على حبِّه، وعشقه الكبيرين للغة العربية، وقد خدمها بمؤلَّفين قيِّمين، وحاسَّته الأدبية، وشاعريته الرّقيقة التي تتجلَّى في ديوانه «غصن البان، وذووه»، وثقافته الواسعة في مجالات مختلفة، وفي الثّقافتين العربية، والفرنسية.

وله من الرّوح الوطنية ما فاض به شعره ضمن قصائد طويلة، وقصيرة، يمجِّد فيها الشّهيد، والمجاهد، ويقف للجزائر، والثّورة التّحريرية، وقفات احترام، وتقدير في كلِّ مناسبة، وطنية، أو يوم من الأيام الخالدّة في تاريخ الجزائر.

بصماته في الحياة العلمية، والفكرية، والثّقافية في مجتمعه لا تخفى، إذ كان

لـه حضـور بيِّـن فـي المسـجد بحضـور مجالـسّ التّـلاوة، ومجالـسّ، ولجـان عشـيرته الاجتماعيـة، والثّقافية بإسـهامات، واقتراحـات فـي مختلـف المشـاريع، وفـي نـدوة البكـري الفقهيـة التي يلجـأ إليه أعضاؤها في كثير مـن الأحيان لضبط بعض المصطلحـات، والكلمـات، والعبـارات لغويا، حتَّى أطلقوا عليه «سيبويه زمانه».

وهذه نماذج من شعره:

يقـول عندمـا أصيـب فـي عينيـه، وفقـدَ بصره:

فُـجـــأةً تِهـتُ بِبَـــيـدَاء حَـيَـاتِـــي
الهدى أســـدل في، وجـهي ستَارَه
رهن جَـــنبِي نَـفَـق داجٍ، وجَـهل
فَـــإذا العالَمُ يُـبْـدِي لـيَ ازورارَه
أوصِـدت دُونِـي أبْـواب، وطُـــرق
لأعَـانِـي لـيـلَ هَـــمِّـي، ونَـهـارَه

وتعبيرا عن مشـاعره النّبيلـة نحو طالباته، وطلاَّبه، يقول:

أنـتم أعـزّ إلـيَّ مـن أبـنائي
يـا صـفـوتي، وسعادتي، وهـنائي
ولو أنَّكم لستم بمن أنجبتكم
فهـواكـمُ في مـهـجـتي، ودمـائي
صلصالهم منّي، وروحي روحـهم
هل يستوي الاثـنـان في الإيحاء
إنَّ البـنـــوَّة إن تـكـن روحـيّـــة
خـلـــدتْ، وإلاَّ سـارعـت لـفـناء

وعـن فضل، وأثـر الثّـورة الجزائرية على القـارَّة الأفريقيـة، وكيف عجَّلت باسـتقلال الجارتين الشّـقيقتين: الجمهورية التّونسـية، والمملكة المغربية:

لِجـاري الـقـريب لجـاري البعيد
فَـرشتُ دروب الـحـيـاة بـــوَرد
فـلـولاي شـقّ عـلـى الـخـضـراء
وأبـطـأ نَـيـلُ الـخـلاص بـعـقـد
ولولاي أقصى المغاربِ أمسى
بـطـيءَ الخـطـى متـوانِي التّصـدي
ولـولاي هـل تـعـرف السّمـراءُ
انعـتـاقا، وتـبـديـل عـهـد بـعهد

وعن مجاهدي، وشهداء الثّورة التّحريرية يقول:

عَمـيروشُ حوّاسُ زيـغـودُ لطـفي
على إثر ديدوشَ، وابن المَهيدي
مع ابن أبي العـيد راحـوا، وقـودا
وقـادوا جـنـوديَ أحـسن قَـوْدِ
جـنـودٌ ثـمار لـلـكـشّـافـة
رعاها ابن باديسَ في خير مـهد
جـنـودِيَ جـوهـرهم عـنـد ربّي
ومـا غـيرُ ربّـيَ يَـعـلم جـنـدي

ومـن أقوالـه الخالـدّة المحفوظـة، والمتداولة على السّن المثقَّفين:

قَـسما ستأتي ساعة يسمو بها، وطني،
ويغدو كعبة القصَّادِ.
لكِ يا جزائرُ في فؤادي منزل مهما رماكِ
مضمرو الأحقاد.
حمل اليراع رسالة قدسية، فبنوره
الأجيالُ تمضي في انسياب.
خُذْ جوهرَ القرآن غُصْ في يمِّه، وهديَ
الرّسولِ ففيهما التّدبير.
فقه بلا نحوٍ جواد أعرج.

يوسف بن يحي الواهج

المصادر:

- يوسف بن يحي الواهج، بصيرة المبصرين الأستاذ أحمد موسلمال (الأزعل)، 1443ه/ 2022م.

■ أحمد بن الحسين بن قدُّور الزّمُّوري
(و:1310ه - 1895م/ت:1355ه - 1936م)

العالـم المحقِّـق الصّوفي الزّاهـد، العالم بالعلـوم الشّـرعية، واللُّغويـة الفقيـه الشّـيخ أحمـد بـن الحسـين بـن قـدور. ولـد عـامّ (1893م1310-ه) ببلـدة زمورة الواقعة بولاية برج بوعريريج. حفظ القرآن الكريم على يد، والـدّه، وتلقّى مبادئ العلـوم الأولى ببلدته، انتقـل إلـى زاوية بنـي يعلى بمنطقـة قنزات، واستكمل تكوينه العصامي ببيته، وعزم على الرّحلـة في طلـب العلم بالزّيتونـة في تونس كمـا كان الشّـأن يومئذ، ولكنَّ شـيخه أشـار عليه بالبقاء، وقـال له:«أخذتَ ما يكفيك»، وأمـره بالانتقال إلـى بلدته زمُّـورة، والعمل علـى التّعليم بها بعد أن أخذ منـه ميثاقا على ذلك، وقد اسـتغرب المتابعون لحياة الشّـيخ موقف شيخه هذا، وفُسِّر باطِّلاع شيخ أحمد بن قدور على المناهـج الزّيتونية، ومقرَّارتها التـي ليسـت بعيـدة عمَّا حصَّلـه الشّـيخ في زاويـة بني يعلى، وموطنه زمُّـورة، ثمَّ لحاجة أهل زمُّـورة يومذاك لمرشـد عالـم، في ظلِّ ظـروف الاحتـلال الفرنسـي الـذي عبـث بالتّعليـم العربـي، والدّيني فـي الجزائر كلِّها خلال هذه الفترة.

فـكان أنْ مكـث الشّـيخ معلِّمـا، وإمامـا مسـتزيدا حتَّى تضلَّع في علوم كثيرة، وجلس بين يديه علمـاء كان لهم أثر بـارز في التّعليم، والإفتاء، والإمامة. فعمل بمسجد سيدي أحمد بن مجذوب فـي قرية بوعزيـز إماما، وخطيبا، وداعية، ومعلِّما، وذاع صيتُه حتَّى بلغ مسـامع الشّـيخ ابن باديس الـذي زار بلدة بـرج زمُّورة قصـد ضمّ بعض علمائها إلـى جمعية العلماء المسـلمين الجزائريـين التي كانـت حينها في طور الإنشاء، وذلك في سنة 1931م، وقد ممن التّقى بهم الشّـيخ أحمد بن قدُّور، ومكث ثلاثة أيَّام في البيت يتدارسان، ويتناقشان، ثمَّ عرض الشّـيخ ابن باديس على الشّـيخ أحمد بن قدُّور مرافقتـه إلـى قسـنطينة قصـد المكـوث فيها، والعمل معه في إطار الحركة الإصلاحية هناك، لكنَّ الشّـيخ أحمد أعلمه بقصّـة الميثاق الذي أعطاه لشيخه عندما أنهى دراسته، بأنْ لا يغادر بلدته أبدا، وأخذ منه على ذلك عهدا.

لـزم الشّـيخُ أحمـد بـن قـدُّور بلدتـه حسـب المَوْثِـق مداوما علـى تعليم تلاوة

القرآن برواية (قالون)، وتعليم العلوم الشّرعية، واللُّغوية، وممَّا يُروى عنه تمكُّنه من اللُّغة الفرنسية، بدليل تحريره عقود ملكية الأراضي، والبيوت، وسائر المعاملات بنفسه، وما زال بعض أهالي برج زمورة يحتفظون بها إلى اليوم.

تخرَّج على يدي الشّيخ الكثير من الأعلام أشهرهم:

الشّيخ عمر أبو حفص الزّموري (1334ه1913-م/ 1410ه1990-م) العالم الشّهير صاحب التّأليف، والتّحقيق، وإمام جامع سيدي رمضان بالعاصمة، وواصل مسار الشّيخ التّعليمي، والدّعوي، صاحب الزّاوية العامرة لتدريس القرآن، وعلوم الشّريعة.

الشّيخ الشّريف داود الزّمُّوري، الذي تولَّى الإمامة، والفتوى في، ولايتي سطيف، وبرج بوعريريج نحو أربعين سنة، وقد عرف بقوة حافظته، وسرعة استحضاره.

الشّيخ محمّد شوتري، والذي تولَّى إمامة الجامع الكبير بالعاصمة من 1934م حتَّى الاستقلال، وإمامة جامع كتشاوة حتَّى 1976م.

لم يُكتَب لمصنَّفات الشّيخ أحمد بن قدُّور أنْ ترى النّور، وقد بقيت كلُّها مخطوطة عند، ورثته، وهي عبارة عن تعليقات، وشروح، واستدراكات، وتحقيقات على عيون كتب اللُّغة، والقراءات، والفقه، ممَّا تضلَّع فيه، ولقَّنه لتلاميذه، ومنها:

- متن البسط، والتّعريف في فنِّ التّصريف للمكودي.
- شذور الذَّهب في فنِّ النّحو، والصّرف.
- متن لامية الأفعال لابن مالك.
- متن المجردية في إعراب الجمل.
- متن الجوهر المكنون في الثّلاثة فنون للأخضري.
- إملاء لجميع أبواب النّحو على تلاميذه قيَّدها تلميذه الخطَّاط الشّيخ، والي بن زغيبة رحمه الله، وهي محفوظة عند الشّيخ عبد الرّحمان بن شعبان.
- متن الشّاطبية بداية من فرش الحروف إلى آخرها.
- متن ابن برِّي في رواتيْ، ورش، وقالون.
- مورد الظّمآن في فنِّ رسم القرآن.
- متن الإعلان بتكميل مورد الظّمآن لابن عاشر.
- متن ابن غازي في القراءات العشر.
- شرح لمتن البيقونية في الحديث.
- متن جوهرة التّوحيد لإبراهيم اللَّقاني.
- متن الخريدة للدِّرديري.
- متن الصّغرى، ومتن المقدِّمات للسُّنوسي.
- استدراك على ابن عاصم في تحفة الحكَّام في الأقضية، والأحكام بثلاثة، وأربعين بيتا في باب العدّة.
- وله مجموع من الفتاوى، والنّوازل فُقِد معظمها.
- منظومة من خمسمائة (500) بيت في ذكر الطّريقة العلوية، ومآثر صاحبها سيدي الشّيخ العلوي.

قيل فيه: قال فيه تلميذه عمر أبو حفص: «سيِّدي أحمد بن الحسين بن قدُّور علاَّمة شهير، وحفَّاظة فهَّامة، ذو التّدقيقات العجيبة، والنّقول الصّحيحة، كان حافظا لمجموع المتون حفظا صحيحا، وكتب عليه تقريرات كشرح، وكتب أيضا على التّسهيل، وكان دائما يطالع كتاب الإمام سيبويه رحمه اللّه». وقال أيضا في كتابه فتح اللَّطيف في التّصريف على البسط، والتّعريف: «وبالجملة فهو في النّحو، والتّصريف لا يجارى، بل في جميع العلوم، وهو مرجع العامّة في قضاء الأوطار»، وقال فيه الفاضل المولود مهري في تصدير فتح اللَّطيف «كان رضي اللّه عنه من أفاضل العلماء المحقِّقين في هذا العصر، غير أنَّه لم تكن له شهرة علمية في غالب المحافل العلمية لتباعده عن، وسائل الشّهرة، ومزيد تواضعه».

توفِّي الشّيخ أحمد بن قدُّور رحمه الله ببلدته زمُّورة في 19 أكتوبر 1936م، الموافق أوائل رجب 1355ه، ولم يتعدَّ 43 سنة. وفيها دفن. ورثاه تلميذه أبو حفص بقصيدة نشرت آنذاك في جريدة (النّجاح)، وهي نحو 15 بيتا من البسيط، جاء فيها.

دع العذول، ومُرْ عينيك أن تكسبا
دمعا على منبع العلوم، واعيها
لهفي، وحزني، واكتئابي عن أحمد
أشهى إليَّ من الدّنيا، وما فيها
إنِّي إذا رمت صبرا عنه ذكَّرني
تحقيقه في الدّروس حين يلقيها
إنِّي إذا رمت صبرا عنه ذكَّرني
تدقيقه في الشّروح أو حواشيها

حضر جنازته خلقٌ من كلّ حدب، وصوب، وكان ممَّن حضر جنازته حينها، السّيد «عمر بن قدُّور» الصّحافيُّ المشهور.

ملحوظة: لمَّا كان الشّيخ من الأعلام المغمورين، والكتابة عنه في مصادر التّراجم، والسّير شحيحة، فإنَّ المصدر الأساس لكثيرٍ ما حرِّر في التّرجمة هو روايات شفوية من محيط الشّيخ، وعائلته، وذويه، وما بين أيديهم من مخطوطات، أسهم الأستاذ العربي حمَّاش في الإمداد بها نأمل أنْ يُقيِّظ لأعماله، والمزيد عن سيرته من يُخرجها إلى النّور.

شريف عبد الحفيظ

■ أحمد بن ديدِيَّ
(و:1295ه - 1879م/ت:1370ه - 1910م)

الفقيه الجهبذ، والصّوفي الكبير أحمد ديديَّ بن محمّد العالم الجزولي بن محمّد بن عبد الكريم البكري، المعروف بأحمد بن ديديّ.

ولد خلال سنة 1295ه الموافق لـ 1879م بمدينة تمنطيط بولايّة أدرار، حفظ القرآن الكريم مبكرا على يد الشّيخ الطّالب محمّد بن الطّالب عبد الواحد التّمنطيطي، وأخذ مبادئ اللغة العربيّة، والعلوم عن أخيه الأكبر البكري، وبعد اشتداد عوده، وتمكُّنه، وظهور ميوله نحو العلم، والتّعلم توجه به أخوه سيدي عبد الله نحو مدينة كوسان حيث كان يجلس الفحول مِن الرّجال، والعلماء المحقّقين، وتخصيصا عند العالم الجليل سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي المتوفى سنة 1910م، فبقي عنده مدة درس فيها عليه المختصر الفقهي بشروحه، والعاصميّة، والعمل الفاسي، وألفيّة ابن مالك، والمنطق، والحساب، وسمع عليه صحيح البخاري، وبالعموم فقد كان آيّة في الفقه، وفنونه، وأما في النّحو، واللغة، والصّرف فقد كان لا يُشَقُّ له فيه غبارٌ كان يحفظ الألفيّة لابن مالك، وجملة صالحة من كتب النّحو المعروفة، فضلا عن دراسته المنطق، والحساب، ثم درس بعد ذلك أهم الطّرق الصّوفيّة، ومناهجها فدرس الْحِكَم العطائيّة، ووقف على شروحها بقصد المعرفة، والوصول للحقيقة، وتعلّم غير ذلك من العلوم، والمعرفة.

ومما يروى، ويذكر عنه في مدينة كوسان أنّه لا يخرج في طريق إلا إذا كانت خاليّة مخليّة من النّساء، وذاك حتى لا يقع بصره رحمه الله على شيء من المحرمات، وهذا الصّنيع كان في الكثير من الأحوال ما يُبقيه من دون أكل، ولِمدّة طويلة حتى تفطّن لذلك أهل الحيّ فكان إذا جاء، وقت دخوله يقولون: هيّا بنا نخل الطّريق لسيدي أحمد حتى لا يخرج فيجدنا فيعود من حيث أتى، وكان رحمه الله يقضي أغلب أوقاته في النّهار في بستان للشيخ عبد الله يذاكر،

ويحفظ دروسه، أمّا في الليل فكان يقسم عند القاضي سيدي محمّد الذي سخّر له خادما يعينه في دراسته، ويبقى معه طوال الليل يُشعل النّار، ويؤنِّسه حتى يطلع الفجر، أكمل رحمه الله في كوسان مدة خمس سنين حاز فيها السّبق من العلوم الكثيرة، وملك إجازة مطلقة من قبل شيخه سيدي عبد الله، وأخرى خاصّةفي قراءة صحيح البخاري كتبها الشّيخ سيدي أحمد بخط يده.

عاد إلى مسقط رأسه، وأسس سنة 1330ه الموافق لـ 1911م زاويته المشهورة الزّاويّة البكريّة، التي تخرج منها على يديه الشّيخ أحمد نومناس، والشّيخ عبد الكريم التّلاني، والشّيخ محمّد بلكبير، والشّيخ محمّد العالم البكراوي، والشّيخ محمّد معطا الله، والشّيخ امحمّد أدرار، وهو القائم على أعمال الشّيخ، وابنه الحاج عبد القادر، وأخوه سيدي الحاج البركة، ومولاي سالم من زاويّة كنته، وغيرهم.

كان يطبق نظاما تدريسيا جيّدا، فقد كان الطّالب بمجرد أن يحضر للمدرسة يسأله: هل ختمت القرآن أم لا؟ فإن تبين له حفظه، وذلك بعد استظهاره أمام المكلف بالتّدريس بدأ له الوقفة من ابن عاشر، والآجروميّة، وإن، وجده غير حافظ بدأ له ابن عاشر فقط، والباقي حتى يكمل حفظ كتاب الله، كان يفتتح درسه فيقول: « أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم « فيبدأ صاحب الوقفة الأولى بابن عاشر فيفصّلها الشّيخ، ويشرحها، ثم بعد ذلك يقرأ العبقري، والأوجلي، والأخضري ثم في النّحو الأجروميّة، وملحة الإعراب، وألفيّة ابن مالك، ثم الرّساله لابن أبي زيد القيرواني، ثم مختصر خليل، ثم تحفة الحكام لابن عاصم، ثم يختم درسه بالحكم العطائيّة.

كان -رحمه الله-في مجلس درسه لا يستطيع كائنا من كان أن يديم النّظر في، وجهه فقد ذكر طلبته أن، وجهه كان يتلألأ نورا، وكان يتغير من حال إلى حال، وكان يبقى في مجلس الدّرس يدرس أزيد من أربع ساعات، وما يغير جلسته التي جلسها في بدايّة الدّرس، وذكر طلبته، وأبناؤه، وكذا القائم على خدمته أنه كان في كل يوم بعد فراغ الدّرس يجهز له ملابس أخرى؛ لأن تلك الأولى صارت مبللة بالكامل، وقد روي أنه كان يعصرها عصرا، والماء يتقاطر منها، وهذا كله إنما هو من الخشيّة، والحضور مع الله في كل، وقت، وحين، وكان في مجلس الدّرس لا يتكلم إلا العربيّة الفصحى، ولا يحبذ العاميّة، ولا ينطقها في مجلسه لأنه كان يرى أن التّلميذ حين يسمع الدّرس بالفصحى يكون ذلك اقرب إلى رسوخ لفظ العربيّة في ذهنه، وعقله، ولما ينتهي من الوقفات الموجودة في الدّرس، ويقرأ ابن عطاء الله يختم بأدعيّة مباركة جمعها لنفسه، ولطلبته ثم لمن شاء الله.

وفي شهر رمضان المبارك كان -رحمه الله-يقرأ صحيح البخاري، وهو أمر أحدثه بعد انقطاع لأنه لما توفي الشّيخ سيدي محمّد العالم، وسيدي امحمّد بن أحمد البدوي لم يعد يقرأ الصّحيح في تمنطيط فكان يقرأه مع رفيق دربه، وصديق زمانه القاضي سيدي محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحق، وكانوا يبدؤون قراءته من 17 شعبان، ويختمونه

في 26 من شهر رمضان المبارك، ووقت القراءة كان بعد صلاة الصّبح، وعند الضّحى، وبعد صلاة الظّهر، وبعد صلاة العصر إلى المغرب.

توفي الشّيخ يوم الجمعة 16 شوال سنة 1370هـ الموافق لـ 20 جويليّة 1951 م، وصلى عليه القاضي الفاضل، وصديق زمانه الحاج محمّد بن عبد الكريم بن عبد الحق، وهو الذي قام على تغسيله، والصّلاة عليه، وأرخ لوفاته.

رابح دوب

المصادر:

- عبد الحميد بكري، النّبذة في تاريخ توات، وأعلامها، الطّباعة العصريّة، الجزائر، 2010م؛
- أبو محمّد سعيد هرماس، طبقات المالكيّة الجزائريين خلال المئة الهجريّة الأخيرة، دار صبحي للطباعة، والنّشر، غرداية- الجزائر، الطّبعة الأولى، 2013م.

■ أحمد بن عبد الرّزاق (سي الحواس)
(و: 1343ه - 1924م/ت: 1379ه - 959م)

ولد احمد بن عبد الرّزاق (العقيد سي الحواس) في سنة1924 بقرية مشونش بولاية بسكرة وفى مسقط رأسه زاول تعليمه الاولى في المدرسة القرآنية بمسقط راسه قبل أن تمتد اليها يد المستعمر وتجمدها ولكى يبقى دائما يتلقى التعليم والتكوين انخرط في حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية الى جانب مصطفى بن بو العيد والعربي بن المهيدي. وهناك تلقى فعلا تكوينا سياسيا ميدانيا قويا أهله لان يكون قدوة الشّباب آنذاك. وقد لعب منذ سنة 1947 ادوارا كبيرة لصالح حزبه وشعبه ما ألفت اليه انظار رجال المخابرات الفرنسية التي بقيت تطارده اينما حل وارتحل، الى أن التحق بصفوف جيش التحرير الوطني وقد حرص في بداية اندلاع الثّورة المسلحة على تنظيم النّاحية العسكرية الرّابعة (الولاية الأولى) وبعدها أخذ اهتمامه يتجه نحو المنطقة السّادسة التي كانت تحت اشراف مصطفى بن بوالعيد. ولما استشهد هذا الاخير أولى الجيش العقيد سى الحواس ثقته الكاملة حيث استطاع وفي الصّحراء القاحلة أن ينظم جيشا قويا مدربا على طبيعة الصّحراء، وأن يقضى على الخلافات المحلية السّائدة بين قبائل منطقة بسكرة، وأولاد نايل، واولاد جلال (وذلك منذ سنة 1930). الى جانب وقوفه ضد السّياسه الفرنسيه التي كانت تهدف إلى فصل الصّحراء عن الجزائر وقد استطاع العقيد سي الحواس ان يراقب منطقة الواحات. أولاد جلال، وتوقرت، وغردايه وورقلة وذلك منذ سنة

1957 بجيش لا يتجاوز 500 مجاهدا وفى سنة 1958 عين قائدا للولاية السّادسة وهنا كرس جهده للقضاء على كل العناصر التي تعمل ضد الثّوره وخاصة في منطقة التيتري، وفى مارس 1959 سلم مشروعاته الى القيادة العليا بخصوص مهمة جيش التحرير الوطني في الصّحراء.

إن يوم 29 مارس 1959 هو يوم مشهود في تاريخ ثورتنا المجيدة. قامت قوات الاستعمال الفرنسي بجريمة أخرى بضواحي بوسعادة بالقرب من عين الملح وبالضبط في جبل ثامر احدى جبال الاطلس الصّحراوى بتطويق اربعين مجاهدا بما يزيد عن 2500 عسكرى يشرف عليها جنرال ويقود عملياتها العسكرية كولونيل وضباط جلهم من خريجي مدرسة سانسير العسكرية. وقد كلف الفيلق السّادس للمظليين بقيادة الكولونيل دوناس بمهمة القيام بعملية تفتيشية في اطار سلسلة البحث المتواصل عن قوائل رجال الدّورة في هذه الجهات وقبل هذا اليوم تناهى الى سمع الكولونيل دوكاس قائد المنطقه ان جماعة من المجاهدين يوجدون حاليا بجبل ثامر غير انه لم يتاكد من الخبر الا ان الوشايات وتقارير اعوان الادارة الاستعمارية اكدوا له ذلك فأسرع هذا الأخير إلى الاتصال بالجنرال جيلس نائب الجنرال شارل في قيادة العمليات: واقنعه بضرورة التعجيل بتطويق الجبل من كل جهة فأمر الجنرال جيلس كل القوات المتواجدة بحدود هذه الولاية بالتوجه حالا نحو جبل ثامر وتقاطرت القوات الفرنسية على المنطقة قادمة من بسكرة ولغواط وتوقرت الى جانب القوات المتواجدة ببوسعادة وضواحيها، والعدد الكبير من الطائرات الحربية التي تلبدت بها سماء عين الملح وامام هذا الحشد الكبير الذي ما فتئ يزداد تضخما بين السّاعة والأخرى لم يجد هؤلاء المجاهدون الا التأكد على أن هذا اليوم (هو يوم كبير وعلى كل مجاهد أن يتسلح بالارادة والصبر) وقبل طلوع الشّمس كان العسكر القادم من عين الملح قد وصل الى الجبل وحاول التسلل الى قمة الجبل من الجهة الجنوبية الشّرقية فاصطدمت بالمقاومة العنيفة، فتراجع أمام هذه الصّدمة القوية فاسحا المجال للدبابات بجبل لكرع المقابل للقصف المكثف) الذي كنا فيه الى أن اختلطت الاشياء في بعضها واصبح كل انسان لا يستطيع أن

يعرف) وبعد ساعات قليلة بدأ القصف وتضاعف عدد القوات الفرنسية البرية ووصلت افواج من الطائرات التي يزيد أنواعها عن سبعة أنواع منها طائرات ب 26 التي كانت تقنبل بالنابالم وطائرات ب 29 التي تقذف بالصواريخ الموجهة والطائرات الصّفراء التي ترمى بالروكيت والطائرات المطاردة التي تستعمل القنابل ذات الشّظايا والطائرات الكشافة والتي تضرب بالسلاح الخفيف، الى جانب الطائرات العمودية التي تنزل المظليين وفي زحمة هذا التكالب وغريزة الإبادة الطاغية تمكن جـ(بخماسه) من اسقاط طائرتين(صفراوين) وطائرة حوامة استمرت المعركة بين الطرفين وبقى صوت والرشاش في طلقتهما المتواصلة، أحيانا تكثر طلقات المسدس واحيانا أخرى تتكثف ثم تتلوها طلقات الرّشاش التي كانت تتنقل فوهتها من جهة لأخرى تبعا المهجوم المكثف الذي كان مركزا على هذه الجهة، وذلك حتى حدود السّاعة الحادي عشرة، عندئذ توقف صوت طلقات رصاص المسدس ولم يبق سوى صوت رصاص الرّشاش)، وبعد ساعة أخرى، وفى حدود منتصف النّهار انقطع صوت الرّشاش أيضا، استشهد العقيد سي الحواس في معركة جبل ثامر (المسيلة) مع زميله العقيد عميروش وعدد من المجاهدين في يوم 29 مارس 1959.

كان يتميز بقوة الشّخصية، واشتهر كقائد عسكرى عظيم بالتنظيم المحكم والتكوين المتين، وتجلى ذلك في التوجيه وتسيير العمليات وكان محبوبا لدى المجاهدين والمواطنين وكانت أمنيته الوحيدة هو أن يرى الجزائر حرة مستقلة وأن يعود كل مجاهد الى أولاده تغمد الله روح الفقيد برحمته

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- الزبير بوشلاغم، العقيد لطفي في ذكراه 19، مجلّة أوّل نوفمبر العدد35 سنة 1979 ص 37.

■ أحمد بن مبارك بختي الشّهير بالعالم
(و:1276ه - 1860م/ ت: 1318ه - 1901م)

السّيد أحمد بن مبارك بن علي بن محمّد الصّالح بن أحمد بختي. ولد حوالي سنة 1860م الموافق لـــ1276هـ، من أبيه مبارك، وأمه مباركة بنت أحمد الشّعير بن لحسن جرناجي، وتعلم على، والدّه، وأخذ عن بعض علماء توات خاصّةفي تيلولين، أين تعلم على يد الحاج محمّد بن السّيد جعفر الأزهري. وبعد، وفاة، والدّه تولى تدريس القرآن، والفقه، وشرح صحيح البخاري، وموطأ الإمام مالك.

اشتهر رحمه الله بالصّلاح، والتّقوى، وسلامة الحال، والجهر بالحق، الأمر الذي أكسبه مهابة، وتقديرا بين النّاس فانتدبوه لولاية القضاء بينهم. واستمر في، ولاية القضاء حتى بعد دخول الاستعمار إلى المنطقة دونما إذعان أو خوف. وقادته صرامته، وعدله إلى دخول السّجن من قبل المستعمر، بعد أن رفض الانخراط في مخططه، وتنفيذ أوامره. وكان رحمه الله مرجعا للفتوى في منطقة تيدكلت، والهقار، وورگلة، ومتليلي، وغيرها من المناطق الصّحراوية.

رويت عنه الكثير من المواقف، والمآثر التي تثبت عظمته، وشدة خوفه من الله. فلقد كان يقول: «العلم لا ينفع إلا من ثبته الله باليقين، وحفظه بالورع، وسدده بالتّقوى، وبصره بعيوب نفسه». وقال أيضا عن العلم أنه لابد « أن ينوى به إصلاح الحال، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضّال».

كانت له مراسلات مع علماء عصره كالسّيد محمّد بن عمر المعروف بباي، عالم الصّحراء،

تتلمذ على يده خلق كثير أهمهم:

السّيد محمّد بن الحاج محمّد دادة، وهو الذي خلفه في، وظيفة القضاء بعد، وفاته،

ابنه محمّد الصّالح الذي تولى إمامة مسجد حي زاوية حينون بعد، وفاته،

ابنه عبد الرّحمن الذي انتقل إلى الزّيتونة لتوسيع معارفه، وعاد بعدها إلى أولف ردحا من الزّمن ليتولى إمامة مسجد أنس بن مالك، ثم ما لبث أن انتقل إلى غرداية، وأسس مدرسة بحي مرماد، وتعلم على يده خلق كثير ثم تحول إلى مدينة، ورگلة ليؤسس مدرسة هناك، أين، وافته بها المنية سنة 1945م،

- عبد الجبار بن الحاج محمّد دادة الذي تولى الإمامة بمسجد الولي الصّالح عبد الملك الرّقاني بمدينة رقان، وكان ضليعا في الفقه، والحديث حتى قال فيه أحد أعلام عصره: «لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم.»،

- محمّد بن عبد العالي بختي الذي تولى الإفتاء، والتّدريس بمدينة متليلي أين توفي، ودفن هناك سنة1959م،

- المختار بن محمّد بن عبد القادر البوكادي الذي تولى الإمامة بحي قصبة ميخاف،

- المختار بن الحاج محمّد دادة الذي تولى الإمامة بمسجد فقارة الزّوى بعين صالح،

- عبد الله بن أحمد البوكادي الذي خلف عمه المختار في إمامة مسجد حي قصبة ميخاف،

- محمّد بن أحمد الدّباغ الذي تولى الإمامة بحي أخنوس بأولف؛ وغير هؤلاء كثير.

ولقد ترك رحمه الله مكتبة ضخمة تضم المخطوطات، والكتب النّادرة،

كتب فهرسا لها بيده في كراسة تحوي أربعا، وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط، بتاريخ 5 ذي القعدّة 1318هـ الموافق لـــ 24 فبراير 1901م. وكان لخزانته دور كبير في الحركة الثّقافية، وتنشيط التّعليم بالمنطقة. ولقد أتت على هذه المكتبة عاديات الزّمن حيث لم يبق منها إلا القليل، وجزء منها الآن في عناية حفيده مبارك بن محمّد الصّالح.

كان رحمه الله آية في الزّهد، والورع، والصّلاح، والتّواضع، وعمق الإيمان، وصفه صاحب الدّرة الفاخرة بأنه فقيه أديب.

انتقل إلى رحمة ربه في 25 شعبان 1361 هـ، الموافق لـ 06 سبتمبر 1942م عن عمر يناهز الثّمانين عاما بعد أن أقعده المرض مدة طويلة بدأت منذ 1930م. دفن بمقبرة زاوية حينون، أجزل الله ثوابه في عليين.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954.

■ أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن موسى، عيسى
(و: 1359ه - 1940م/ ت: 1442ه - 2020م)

ولد بتجنينت، بلدية العطف، وادي مزاب، الجزائر، وبها نشأ، وترعرع بين أحضان، والدّه، وأمه السّيدة قشار عائشة بنت إبراهيم، تلقّى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، بالمدرسة الفرنسية، وبالموازاة حفظ جزءا من القرآن الكريم في محضرة المسجد العتيق.

بعد اتمام مرحلة الابتدائي، جهّزه، والدّه ليلتحق بمعهد الحياة بالگرارة، لكن ظروف الحياة في نهاية الأربعينيات، ومطلع الخمسينات من القرن الماضي اضطرته للالتّحاق مبكراً بالعمل أجيراً عند خال أمّه، السّيد حاج أيوب بالحاج بن بهون بمدينة الحرّاش ضواحي العاصمة، واستمر في العمل هنالك مدة سبع سنوات.

بعد اندلاع الثّورة التّحريرية، تشبّع بالرّوح الوطنية، وعزم على الالتّحاق بصفوف المجاهدين في الجبال، وبدأ يتحين الفرص، والسّبل لذلك، سنة 1958م عاد إلى مسقط رأسه، ليتزوّج في 13 مارس 1958م، وكانت العطف حينها معقلاً للنشاط الثّوري في منطقة مزاب، ومقرّا لقيادة النّاحية الثّالثّة من المنطقة الخامسة للولاية السّادسة التّاريخية، بقيادة الضّابط رشيد الصّايم الذي اتخذ فوق متجر جدّ المترجم له السّيد عيسى إبراهيم بن موسى، بوسط البلدة «آغلاد نتحونا» مركزاً ثورياً، وكلّفه المجلس الثّوري البلدي بقيادة المجاهد بكلي بابه الحاج أحمد بن حمو (الطّالب بلال) بنقل الطّعام، والمؤونة له.

طرح فكرة الانضمام إلى جيش التّحرير الوطني على بعض أصدقائه، وأقرانه، وبعد عامّ من زواجه، وبفضل التّنسيق بين المجاهد بكلي بابه الحاج أحمد، والضّابط رشيد الصّايم من جهة، والمجاهد التّاجر بمنطقة بوسعادة اسماوي باحمد بن محمّد (بُلبل)، تم اقتراحه للتجنيد رفقة شابين آخرين من أبناء البلدة؛ هما: اسماوي باحمد بن حمّو، واسماوي صالح بن باحمد (شكيكون)، هذا الأخير أعيد من الجبال إلى مسقط رأسه، بعد أن تبيّن بأن لديه نقص في حاسة السّمع، وقد تأثر لذلك كثيراً، ولكنه، واصل جهاده بمسقط رأسه مسبّلا مدنيا في صفوف جبهة التّحرير الوطني، تحت إشراف المجاهد بكلّي بابه حاج أحمد (بلال)،

خلال سنة 1959م، سافر الشّبان الثّلاثة إلى مدينة الجلفة، ومنها إلى مدينة بوسعادة، حاملين رسالة توصية من الضّابط رشيد الصّايم، والتّحقوا بمعاقل الجهاد بجبال بوكحيل، وتمّ قبول المجاهدَين؛ عيسى أحمد، واسماوي باحمد بن حمّو كما سبق، وقد تكفل المجاهد حمّة الطّاهر بإيصالهما إلى معاقل المجاهدين بالجبال حيث قيادة الولاية السّادسة، أما المجاهد اسماوي باحمد بن حمو فبعد قبوله في صفوف جيش التّحرير الوطني، التّحق بكتّاب قيادة الولاية السّادسة، تحت قيادة العقيد محمّد شعباني.

لما قبل المجاهد عيسى أحمد، انتسب إلى سلك التّمريض، تحت إشراف المجاهد محمّد قبايلي، فعمل ممرّضا بمستشفى سرّي للجيش بجبال بوسعادة، وقد أبلى الفقيد بلاء حسناً في إسعاف الجرحى، وتضميد الجروح، وشارك في عدّة معارك، واشتباكات ضد قوات العدو.

ومما يرويه قصّة لطيفة حول تخلّص المجاهدين من جحيم قصف طائرات العدو، حيث يستعملون الأغنام لتمويه تنقّلات المجاهدين فتقصف الطّائرات قطيع الأغنام، ويسلك المجاهدون مسالك مغايرة، وقد غنم من إحدى الاشتباكات مع العدو خنجراً، ومسدّساً، وبذلتين لجنديين فرنسيين قام بقتلهما.

بعد الاستقلال، واصل المهمّة في صفوف الجيش الوطني الشّعبي، وكان ضمن القوات التي دخلت العاصمة مطلع جويلية 1962م، تحت قيادة العقيد محمّد شعباني، ثم تنقل بعدها إلى مناطق عدّة؛ كبوسعادة، وبشّار، وتمنغست.

بحلول 1965م، وبعد إعدام العقيد محمّد شعباني، وحلّ القوات المنضوية تحت قيادته، أنهى المجاهد خدمته العسكرية بعدما أمضى ست سنوات، بين الثّورة، والاستقلال، وعاد إلى مسقط رأسه، وانضم إلى شركة توزيع المياه المعروفة بـ (SONAD)

1966م، سكن في منطقة التّوزوز بغرداية لمدة سنة، ثم انتقل للعمل في شركة توزيع الكهرباء، والغاز بـ(SONELGAZ)، وعمل فيها إلى غاية تقاعده سنة 1997م، لأزيد من ثلاثين عاما.

وكان إلى جانب، وظيفته في شركة توزيع الكهرباء، والغاز يقوم بالتّمريض، خصوصا لكبار السّن، وهي مهمة علّمها لوالدّته، ولابنته البكر صليحة، فأسهمتا بذلك في رعاية النّسوة بالبلدة، كما كان له حضور في الجانب الاجتماعي فهو من أعيان عشيرته آل باكه بتجنينت، وله مساعي حميدة في جمع الشّمل، والوحدة، والانسجام، ساعده على ذلك طبعه الهادئ، ودماثة خلقه.

في سنة 2007م، تولّى أمانة قسمة المنظمة الوطنية للمجاهدين لبلدية العطف، وذلك بعد، وفاة رفيقه المجاهد اسماوي باحمد بن حمو (ت:2004م)، فتولى شؤون الأسرة الثّورية بالعطف إلى أن أقعده المرض عنها في 2018م.

ترك اثني عشر، ولداً، نصفهم ذكور، توفي منهم ثلاثة في حياته، وكان أباً ثانيا لأخيه عيسى، ولأخواته بعد، وفاة، والدّه مبكراً (ت:1969م)، كما كان السّند، والمعين لحفدته، بعد، وفاة ابنه البكر إبراهيم (ت: 2009م)، فكفل أبناءه، ووفقه الله ليشهد زواج اثنين منهما؛ سليمان، واسماعيل.

توفي يوم الثّلاثاء 09 ربيع الثّاني 1442ه/ 24 نوفمبر 2020م، بعد صراعه مع المرض.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- ترجمة من إعداد نجله عيسى عمر بن أحمد.
- استمارة معدّة لمعجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، الگرارة – غرداية، ط3، مرقون.

■ أحمد بن محمّد بن زَكْري
(و: 820ه - 1415م/ ت: 899ه - 1494م)

أحمد بن محمّد بن زكري المغراوي (نسبة إلى مغراوة، وهي إحدى قبائل زناتة) المانوي (نسبةً إلى بني مانو، وهم من قبائل زناتة) التّلمساني. لقّب بشيخ الإسلام، وبالحافظ.

من مواليد مدينة تلمسان، سنة 820هـ توفي، والدّه، وهو صغير السّن فربّته أمّه، وأرسلته لتعلّم الحيّاكة، وحدثَ أن التّقى بالشّيخ سيدي أحمد بن محمّد بن زاغو الّذي خصَّص له مكاناً في محلّه لتعلُّم النّسيج، ولمَّا أُعجب بذكائه، وفطانتهِ، وفصاحة لسانِه، طلب من أمّه السّماح له بالتّفرغ للدّراسة، والعلم على أنْ يدفعَ لها المبلغ الشّهري الّذي كان يتلقّاه من عملِه، وهكذا ألحقه بمدارس تلمسان، فتعلّم العربيّة، والفقه، والتّفسير، والحساب. وامتلك براعةً في حلّ المسائل الفلسفيّة، والرّياضيّة.

وبعد وفاة الشّيخ ابن زاغو انتقل ابن زكري إلى الشّيخ محمّد بن العبّاس الذي توسّط له عند السّلطان -بعد أن فسَّر في حضرتهِ سورة الفتح، وأعجب به السّلطان إعجابا كبيراً -لتأمين المسكن، والمعاش نظرا لصعوبة الانتقال يومياً. لما رآه منه من حرص على العلم، والتّفوّق فيه.

أخذ ابن زكري العلوم عن مشايخ تلمسان الذين عاصرهم، نذكر منهم الشّيخ ابن زاغو، والشّيخ سيدي أحمد بن العبّاس، والشّيخ السّنوسي، وإبراهيم بن محمّد اللّتني التّازي (ت866هـ)، وأبي سعيد العقباني، وأبي الحسن البلوي.

قصد الدّيار المقدسة، وأدي فريضة الحج، وفي مكة أخذ العلم عن العلامة سيدي الشّريف تقي الدّين محمّد بن أحمد بن علي الفاسي، وفي المدينة أخذ عن الشّيخ أبي الفتح بن أبي بكر القرشي، وفي تونس أخذ عن شيخ الإسلام عبد الله العبدوسي.

اشتغل سيدي أحمد بن زكري بالعلم، والتّدريس، والفُتيا، كان يجلس في الجامع، ويتحلّق النّاس حوله، ويعلّمهم، فكان يكرِّر المسألة للعام، والخاص حتّى يحفظها الحاضرون، وانتفع به الجميع حتّى صار مضرب المثل في الفهم، والتّفسير.

تولّى القضاء، والإفتاء، والتّدريس، معتمداً في تدريسه على تكرير المعلومات، وتبسيطها لكي يسهلَ فهمها فاستفاد من علمه جمهور تلمسان.

أخذ عنه جمع غفير من الطّلبة، والحفاظ نذكر منهم:

- الإمام سيدي أحمد بن زروق.
- الخطيب العلامة سيدي محمّد بن مرزوق الحفيد.
- سيدي أحمد بن الحاج المناوي الورنيدي.
- شهاب الدّين أبو الفضل.

توفي بتلمسان في صفر 899هـ-1494م، وقبره مشهور بروضة الشّيخ السّنوسي رحمه الله.

تنوعت تآليف ابن زكري فترك العديد من المصنّفات في أصول الدّين،

وأصول الفقه، الحديث، والفقه، كما ترك العديد من الفتاوى، والأراء العلمية في الكثير من العلوم، ومن كتبه التي حقّقت نذكر:

- مسائِل القضاء، والفتيا في فقه المعاملات؛
- بغية الطّالب في شرح عقيدة ابن الحاجب؛
- شرح الورقات لإمام الحرمين في أصولِ الفقه؛
- محاصل المقاعد مما به تعتبر العقائد، وهي عبارة عن منظومة في علم الكلام تزيد عن 1500 بيت؛
- وله عدّة فتاوى، وأجوبة في مختلف العلوم.

عبد النّاصر بوعلي

مصادر:
- ابن مريم، البُستان في ذكرِ أولياء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1986. دط.
- رواية أحد أفراد نسله الأستاذ عبد الحفيظ زكري (المولود بتاريخ 1948 بتلمسان).

■ أحمد بن مَحمد بن عبد الرّحمان أبي نعامة (و: 1147ه - 1735م/ ت: 1232ه - 1817م)

هو أحمد بن مَحمد بن عبد الرّحمان أبي نعامة الملقب بالبكاي أحد أبناء قائد الرّكب النّبوي، صاحب علم وتقوى وكرامات. ولد في 10 ذي الحجة من سنة 1147ه، الموافق لـ 03 ماي 1735م، بأقبلي. تربى في أحضان زاوية أبيه حيث تلقى العلم والتربية، وعهد إليه بمشيخة ركب الحجيج كعادة أبيه وجده. طبقت شهرته الآفاق، فكانت له صلات مع العلماء والمشايخ يكاتبهم ويكاتبونه، من بينهم الزّبيدي الذي التقى به أثناء مروره بمصر للحج سنة 1197ه الموافق 1783م.

اجتمع به الزّبيدي وشهد له بمكارم الاخلاق وسمو الهمة، فيقول الزّبيدي» اجتمعت به وشاهدت من محاسنه ومكارم أخلاقه ما يفوق الوصف»؛ الأمر الذي دفع بالزبيدي إلى تجديد عقد الأخوة والمحبة معه. سمع الكثير من الزّبيدي وكتب له بذلك إجازات، واستمرت الصّلة بينهما عن طريق المراسلات والهدايا.

وقد أخذ عن الشّيخ المختار الكبير الكنتي الذي يعتبر آنذاك أكبر عالم بأمور الدين في الصّحراء، خاصة وانهما ينتميان إلى نفس القبيلة. وكان يخاطبه يا سيدي، وهي عادة التلاميذ والمريدين في مخاطبة مشايخهم. فقد أورد صاحب الطرائف والتلائد أن السّيد أحمد البكاي قال ذات يوم للشيخ المختار الكبير الكنتي: «في نفسي يا سيدي ثلاث مسائل فهل عليَ أن أسأل عنها؟ قال الشّيخ سل عما بدا لك. قال سيدي، أما الأولى فإن في نفسي حزازة من بساطتك لهؤلاء الظلمة، وتمسحهم بك، وإقبالك عليهم، وشأن مثلك ممن لقينا مع أمثالهم الانكماش عنهم والانقباض في وجودهم والتباعد منهم. الثانية: عطاؤك لهم وإحسانك إليهم الاحسان الزّائد، ومن حقهم الإهداء إليك الهدايا الوافرة، مع قطع الأطماع عما بيدك، كما هو صنيع مثلهم مع أمثالك. الثالثة: أنك وإن تمكنت من ذلك على الوجه المحمود، مع وفور إمدادات الله عليك، فقد فتحت بذلك على من يقوم بالأمر بعدك بابا لا يقدر على سده».

كان له نهم شديد بالعلم واقتناء الكتب سواء بالشراء أم النّسخ أم الإهداء. وهو ما مكنه من تأسيس وإقامة مكتبة ضخمة غنية بالمخطوطات القيمة تناهز محتوياتها الخمسمائة مخطوط، منها ما اشتراه، ومنها ما أهدي له ومنها ما نسخه بخط اليد. وساعده في ذلك كثرة ترحاله واتصالاته بالشيوخ والأعيان في مختلف البلدان. ولا زالت هذه المكتبة قائمة إلى اليوم.

ترك عددا من الأبناء؛ منهم أبو نعامة، الرّايس وبامحمد الذين وصلوا الى السّينغال وتولوا مشيخة الطريقة القادرية هناك.

توفي رحمه الله سنة 1232هـ الموافق لـ1817م، ودفن إلى جوار قبر أبيه في الزّاوية من أقبلي. فرحمه الله رحمة واسعة.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- الزبيدي، معجم المشايخ، مخطوط.
- ولد سيد أحمد يحي، ديوان الصّحراء الكبرى: المدرسة الكنتية والقصائد النّيرات، الجزائر: وزارة الثقافة، 2009
- عقباوي عزيز، النّفحات البهية، عين مليلة: النّفحات البهية في أفنان الشّجرة الكنتية، 2016.

■ أحمد بن محمّد، فرصوص
(و: 1362هـ - 1943م / ت: 1412هـ - 1992م)

من مواليد مدينة مليكة العليا بميزاب، أخذ مبادئ العلوم في بلدته، ثمَّ انتقل إلى المعهد الجابري ببني يسجن؛ وفي سنة 1962م سافر إلى الگرارة، واستظهر بها القرآن الكريم، ثمَّ التّحق بمعهد الحياة، فجمع بين الدّراسة، وملازمة الشّيخ أبي اليقظان إبراهيم إلى حين، وفاته (ت: 1393 هـ/ 1973م)، وكان كاتبه الخاصّ.

ومن بين أساتذته في معهد الحياة: الشّيخ بيوض إبراهيم، وشريفي سعيد (الشّيخ عدُّون)، والشّيخ ناصر المرموري، والمؤرِّخ الأديب محمّد علي دبوز، وغيرهم كثير.

لمَّا رجع إلى بلدته نشط في المجال التّربوي، والدّيني، والاجتماعي، فاشتغل بالتّعليم في المدرسة الحرَّة، والرّسمية، وعيِّن عضوا في حلقة العزَّابة سنة 1981م، وكان مسؤولا عن مسجد، ومدرسة النّصر، فرع «إيغَربَز».

أوتي قوَّة في العارضة، وذكاء نادر المثال، فكان كثير الأسفار، محبًّا للمغامرة، والاستطلاع؛ زار عدّة بلدان رفقة مشايخه، وأصدقائه، منها: بيت الله الحرام، سلطنة عمان، ألمانيا، بريطانيا، فرنسا، تونس...

له عدّة أعمال علمية، من محاضرات، وتراجم، وأبحاث منها:

1. «الشّيخ أبو اليقظان كما عرفته»، (مط). وهو عبارة عن ترجمة صادقة، ووافية لشيخ الصّحافة الوطنية، وفي ذلك يقول: «كل ما يوجد طي هذا الكتاب من حقائق، ووقائع تاريخية، إنّما كانت ممَّا حكاه المرحوم لي مباشرة، أو اقتبسته من رسالتّه المخطوطة (نشأتي) التي استعرض فيها مراحل حياته».
1. «نظام حلقة العزابة بميزاب»، (مخ).
1. «الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر»، (مخ).
1. «قطب الأيمة الشّيخ امحمّد بن يوسف أطفيَّش»، (مخ).
1. «الشّيخ عبد الحميد بن باديس»، (مخ).

توفي في حادث مرور بالدّراجة النّارية في غرداية صباح يوم السّبت 12 شعبان 1412هـ/ 15 فيفري 1992م.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:
- فرصوص أحمد: الشّيخ أبو اليقظان كما عرفته
- باباعمي محمّد: مقابلة مع صديق المترجم له الأستاذ علواني إبراهيم.
- ينظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، المطبعة العربية - غرداية، ط1، 1999، ج2، ص99.

■ أحمد بوشعيب
(و: 1336ه - 1918م/ت: 1433ه - 2012م)

هو الحاج بوشعيب المدعو أحمد بوشعيب، ولد بعين تيموشنت 13 جويلية 1918. ابن سعيد ويمينة بنت حدو. بعد دراسته في الكتاتيب ونجاحه في امتحانات شهادة التعليم الابتدائي بالمدرسة الأهلية توجه بوشعيب لمجال العمل كساع للبريد.

بدأ مسيرته النّضالية من النّاحية العملية مع أول لقاء مع صحيفة الأمة لسان حزب نجم شمال إفريقيا الذي أصبح فيما بعد يسمى حزب الشّعب الجزائري ثم حزب انتصار الحريات الدّيمقراطية حيث لم يتردد في الانخراط فيه وكان ذلك في سنة 1937

جنّد ضمن الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الثّانية، ليلتحق بالفيلق رقم 137 للمشاة، وفي أوج الحرب العالمية الثّانية في

سنة 1940 تم تحويل بوشعيب إلى الجبهة الغربية لتحرير هولندا من الغزو النّازي. بعد الحرب العالمية الثّانية كلف بعد ولوجه باستقبال أنصار حزب الشّعب الجزائري الفارين من الشّرطة الفرنسية وتدريبهم على السّلاح تأهبا لمباشرة العمل المسلح من أجل الحرية والاستقلال. رشحه الحزب في الانتخابات البلدية التي جرت في أكتوبر 1947 وصار من نواب رئيس البلدية، انضم إلى المنظمة الخاصة وكان يستعمل منصبه في البلدية للتغطية على نشاطها، كما كان تحت غطاء النّشاطات الكشفية يدرّب المناضلين على القتال واستعمال الأسلحة. عين عضوا في مجلس ولاية وهران، يشرف على منطقة تيارت - معسكر -

تيسمسيلت – غليزان. وفي وهران قام بعدة نشاطات من أهمها:

مشاركته خلال شهر ديسمبر 1948 في تربص وطني انعقد في مزرعة صغيرة كان قد استاجرها أحد المناضلين من مستوطن فرنسي في مرتفعات «مرجاجو" أشرف عليه حمو بوتليليس وبن سعيد عبد الرّحمن، هدفه تكوين المناضلين سياسيا وعسكريا. دام هذا التربص اسبوعا كاملا

قاد عملية الهجوم على مركز البريد الرّئيسي لمدينة وهران ليلة 4 افريل 1949، رفقة كل من سويداني بوجمعة، عمر الحداد الملقب بالعيون الزرقاء، محمّد بويابة، حمو بوتليليس بختي نميش. بعد هذه العملية وبعد اكتشاف أمر المنظمة الخاصة، وكان من اعضاء مجموعة 22 التاريخية ومن المحضّرين للثورة في هذه المنطقة. بعد الازمة التي اصابت حزب حركة الانتصار للحريات الدّيموقراطية والتي عبر خلالها عن موقفه منها في اللقاء الذي جمعه في منطقة بوينان مع سويداني بوجمعة ومحمّد بوضياف الذي أكد على ضرورة الشّروع في العمل المسلح كحل وحيد للخروج من الأزمة القائمة وكان رده على ذلك بقوله:«... إنها غايتنا منذ 1949، نحن لا نريد أن نقع في حسابات الحساسيات والصّراعات السّياسية ولاضحية المصاليين ولا المركزيين...»

التحضير للثورة في منطقة متيجة:

انتقل أحمد بوشعيب مع سويداني بوجمعة إلى العمل السّري في منطقة متيجة، ومن أهم ما قام في إطار ذلك ما يلي :

– محاولة إقناع العناصر المترددة والمتصلبة في موقفها إزاء الكفاح المسلح ومما ماقاله لتحقيق هذا الهدف:

«.... ماذا يريد هؤلاء المسؤولين؟ مصاليون أو مركزيون يتصارعون على السّلطة لا غير.... بعيد عنا الفيتناميون يقاومنون منذ 1945... إخواننا في تونس أعلنوها منذ ستين وفي المغرب منذ سنة، ونحن الذين نشكل الطّليعة داخل المنظمة الخاصة، نجد أنفسنا عاجزين عن التحرك.... فإذا كنا حقيقة مناضلين مخلصين غيورين على هذا الوطن، وإذا كنا نريد افتكاك النّصر والاستقلال فليس أمامنا سوى سبيل واحد، الجهاد في سبيل الوطن ولا يحق لنا أن نعد أنفسنا بأية وعود لأننا بهذا سلمنا اعمارنا للموت من أجل الوطن....»

– الإتصال بالمسؤولين الاوائل في الحزب لإمدادهم بالافواج المزمع تدريبها وفي إطار ذلك استطاع.

– الشّروع بمعية سويداني بوجمعة بهيكلة الأفواج وتعبئة الشّباب وتدريب المناضلين تدريبا عسكريا وتهيئتهم نفسيا بهدف الإعداد للثورة وقد استطاعا تكوين 20 فوجا كل فوج يتكون مابين 5 و7 مناضلين.

– شارك في العديد من اجتماعات المنطقة منها

– اجتماع بوشماعلة الذي انعقد في جويلية 1954 في منزل الشّهيد الطّيب سليمان قويدر ببوشماعلة.

– اجتماع أولاد يعيش المنعقد في 15 أكتوبر 1954 في بيت المناضل وخام عبد القادر دعا إلى هذا الاجتماع محمّد بوضياف حضره المناضلون الثّوريون والمركزيون وفي هذا الإجتماع أشهر احمد بوشعيب سلاحه مهددا حسين لحول وموسى بشبوبة بعدما رفضا إمدادهم بالأموال اللازمة وفيه حدثت القطيعة بين المركزيين والثّوريين.

– اجتماع 31 اكتوبر1954 الذي درست فيه مختلف الظروف والأوضاع المناسبة لتفجير الثّورة وأعلن المواقع التي سوف تنفذ فيها عمليات أول نوفمبر.

– شارك في عمليات أول نوفمبر بالهجوم على ثكنة بيزو بالبليدة (19 جوان حاليا) وتعتبر هذه العملية أحد أهم الأهداف التي خطط لها نظرا لما تختزنه من أسلحة وعتاد حربي. وقد بلغ عدد المناضلين الذين شاركوا في هذه العملية 14 مناضلا من النّاحية ومنسق العملية رابح بطاط، احمد بوشعيب، برزالي الطّيب، خذيري عمر المدعو عمر الغول، سيدي يخلف مصطفى، هواري محفوظ، بن قربان علي، الراوي مصطفى، بن بيريم مصطفى، زغدار رابح، بلعيد عمر، بن صفار دحمان، مغني موسى المدعو موسى الطّويل او المتيجي، خايلي محمّد المدعو خيو خوذي السّعيد (مجند منسق العملية من داخل الثّكنة مع بوشعيب) ومناضلين من المنطقة الثّالثة وهما أحمد جنان المدعو سي عثمان وفاهم أحمد.. ورغم الاستعداد إلا أن هذه العملية لم تحقق اهدافها

وأثناء الثّورة واصل نشاطه الثّوري بمنطقة متيجة بمعية الشّهيد سويداني بوجمعةوخلالها ومن اجل نشر الثّورة في المنطقة شارك في عدة اجتماعات منها: إجتماع أولاد فايت الذي عقد ما بين 20 و24 نوفمبر 1954 في بيت المناضل أحمد جعدي وأخيه امقران دام الاجتماع 4 أيام. واجتماع سيدي محمّد بلعيش.

ألقت عليه السّلطات الفرنسية وأودع السّجن في سبتمبر 1955و حكمت عليه بعشرين سنة نافذة، ولم يطلق سراحه إلا بعد وقف إطلاق النّار في 19 مارس 1962.

بعد الإستقلال تقلد بوشعيب عدة مناصب منها نائب بالمجلس التأسيسي الوطني عن منطقة وهران حتى جوان 1965. وعاش الرّاحل مرحلة الاستقلال بعيدا عن السّلطة وصراعاتها، إلى غاية عودة الرّاحل محمّد بوضياف

إلى الجزائر لتقلد منصب رئيس المجلس الأعلى للدولة، والذي كانت تربطه بأحمد بوشعيب صداقة متينة، وكلفه الإشراف على الحزب الذي أراد تأسيسه التجمع الوطني، إلا أن المشروع اختفى بعد اغتيال بوضياف في عنابة، ليرأس صديقه بوشعيب لجنة التحقيق في اغتياله. وهو الاغتيال الذي ترك أثرا بالغا في نفسه وصار قليل الحديث.

توفي بلحاج بوشعيب في 22 يناير 2012 بوهران إثر مرض عضال عن عمر يناهز 94 سنة ودفن في اليوم الموالي بعد صلاة الظهر بمقبرة الشّهداء «سيدي الحاج بلعباس» بعين تموشنت مسقط رأسه.

نضيرة شتوان

المصادر:
- محمّد عباس: ثوار عظماء، مطبعة دحلب، الجزائر 1991 ص 117.
- شتوان نضيرة : سويداني بو جمعة و دوره في الحركة الوطنية و ثورة 1 نوفمبر 1954

■ أحمد بومعراف
(و: 1351ه - 1933م/ت: 1381ه - 1962م)

في أول نوفمبر 1954 عند انطلاق الثورة التحريرية، كان أحمد بومعراف يقضي عطلته العسكرية وسط أهله، وبعد يومين استلم برقية تأمره فورا بالالتحاق بالتكنة العسكرية الفرنسية، وخلال عودته إليها، بدأ أحمد بومعراف يخطط للهروب حتى يتمكن من اللحاق بالمجاهدين. في فيفري 1955، وفقه الله في الفرار من الثكنة بمدينة باتنة رفقة أحد زملائه حاملين معهم بعض الأسلحة ومنها: مدفع رشاش 24 (البياسة) ورشاشتين، وكذا قنابل يدوية والتحقا بإخوانهم في جيش التحرير الوطني ليبدأ أحمد بومعراف مرحلة جديدة في حياته، وهي مرحلة الجهاد. من المعارك التي شارك فيها:

معركة استيلي قرب تزولت بباتنة سنة 1956 بقيادة أحمد بومعراف والعايب أحمد برفقة حوالي ثلاثين (30) مجاهدا.

معركة بلعلى أحمر خدو في 24 فيفري 1957، بقيادة أوصيفي أحمد المدعو لخضر بن مسعود وأحمد بومعراف، برفقة حوالي خمسة وسبعين (75) مجاهدا. معركة بالول ببلدية تكوت في 25 ماي 1958 تحت قيادة أحمد الوصيف وبلقاسم مدوري وأحمد بومعراف، برفقة حوالي خمسة وعشرين (25) مجاهدا.

شبه معركة في مشونش خلال مارس 1958، بمشاركة أحمد بومعراف والصالح لونيسي، وكان الهدف محاولة إنقاذ ضابط في جيش التحرير وهو علي جريدي، ولكنهم لم يصلوا في الوقت اللازم لإنقاذه من الإعدام.

في 27 ماي 1959، وقعت شبه معركة في قوزه ببلدية تكوت، استشهد فيها خادمي غرابي بن عبد السّلام محمد العيد ويحي ويحي أحمد بن بلقاسم في زنبه المزارث»، ونجا من الموت أحمد بو معراف وعاشور اعمر وجغروري لمبارك.

لقب الشّهيد أحمد بومعراف برجل المعارك، وكانت رتبته مساعد أول وقد حضر العديد من المعارك مثل معركة الزقاقة سنة 1958، معركة المحمل معركة خنقة أولاد امعاش ومعركة جبل الأزرق وغيرها. كما كان مدرباً عاماً على مستوى النّاحية الرّابعة بالأوراس في سنة 1959. تلقى أحمد بومعراف ورفاقه في الكومندوس أمرا بالتوجه إلى سطيف وقد حاصرهم العدو الذي كان يراقبهم وهاجمهم بعنف، مما أدى إلى استشهاد العديد من المجاهدين ونجاة سبعة منهم أحمد بومعراف الذي أصيب بجروح في الرّأس.

في ربيع سنة 1961، ألقى عليه القبض في مكان يسمى « امان نيسغيدن ونقل إلى الثكنة الفرنسية بمدينة باتنة، أي المركز الذي فر منه في البداية حيث تعرض إلى التعذيب من طرف المحققين لمعرفة مكان تواجد مدفع الرّشاش 24 «لبياسة. لكنه تمكن من الفرار بعد 10 أيام من السّجن مرة أخرى. اختبأ في مكان رمي الأوساخ وعند طلوع الفجر، جاء عمال النّظافة فانضم إليهم وأخذ يقود عربة ذات عجلة واحدة للتمويه، وقد ساعده العمال إلى غاية خروجه من المنطقة العسكرية.

ورغم محاصرة العدو لمدينة باتنة بحثا عن المجاهد أحمد بومعراف إلا أنه تمكن من الالتحاق بمعاقل الثورة والجهاد مرة ثانية إلى غاية استشهاده في 26 فيفري 1962 في جبل أكباش ناحية تاجموت أثناء عملية تمشيط العدو للمنطقة.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- عمر سلامي، مجلّة أول نوفمبر 1954، العدد195، سنة 2023.

■ أحمد حمدي (أرسلان)
(و:1350ه - 1931م/ت: 1380ه - 1960م)

ولد الشّهيد الحاج أحمد حمدي المعروف إبان ثورة التحرير باسم أرسلان، يوم 29 سبتمبر سنة 1931، بحي تاكبو – بمدينة المدية، وهو الابن الأكبر لأسرة جزائرية فقيرة. أدخله والده الكتاب لحفظ كتاب الله فأكمل حفظه وهو لم يزل صبيا يافعا؛ ثم تعلم مبادئ اللغة العربية على يد مشايخ المدينة، من بينهم الشّيخ عبد القادر باشن. وفي عام 1947، سافر الى تونس لمواصلة الدّراسة بجامع الزّيتونة، أين عرف بين أقرانه بالجد والمثابرة والتحصيل، وفى عام 1951 تحصل على الشّهادة الأهلية، وفى نفس العام استدعي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، بيد أن والده تمكن من مساعدته على حصوله على الإعفاء من أداء الخدمة فعاد من جديد لتونس لمواصلة الدّراسة، وخلالها انضم لصفوف الحركة الوطنية (حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية)، وهذا بخلية الطلبة التي كان يشرف عليها آنذاك الأخوان عبد الحميد مهري والشهيد بلقاسم زيدور. وكان من بين الطلبة الجزائريين والتونسيين الذين شاركوا في الحركة الطلابية التي قامت بإدخال إصلاحات على النّظام التعليمي بجامع الزّيتونة والتي وقعت أحداثها في العام الدّراسي 1951/ 1950. في هذا الجو المفعم بالتوترات السّياسية على المستويين الإقليمي والدولي تبلور فكر الشّهيد، وتحدد هدفه، وأصبح يدرك بعمق مآسي الشّعب الجزائري ووصل إلى القناعة التامة بأن تغيير هذا الواقع المجحف لن يكون سوى بلغة الحديد والنار. وفي عام 1953 عاد أرسلان إلى أرض الوطن، واستقر بمسقط راسه المدية، واشتغل معلما بالمدرسة الزّبيرية نسبة الى مؤسسها، التي كانت معقلا للوطنية، ومن هنا بدأ الشّهيد رحلته الجديدة من النّضال الوطني.

وبالجزائر العاصمة مارس الشّهيد أحمد ارسلان مهنة التعليم بمدرسة «لابيشرى» اين وظف من جديد كل قواه بصورة أوسع وأعمق.

وبالمدية كانت للشهيد جولة أخرى من العمل النّضالي قام فيها إلى جانب التعليم وإدارة المدرسة بإعطاء دروس بالجامع الجديد تركزت أساسا على التوعية الدّينية والسياسية، يدعو من خلالها الى مؤازرة الثّورة المسلحة المباركة وتقديم الدّعم لها.

في شهر فبراير من عام 1957، تأسست بالولاية الرّابعة مصلحة الصّحافة والدعاية بصفة رسمية، كان الشهيد أحمد أرسلان ضمن المشرفين عليها إذ كان فيها محررا باللغة العربية. وكان للشهيد أرسلان وجود متميز اذ كان ينشر أناشيده الحماسية، التي سرعان ما كانت تصبح مغنى كل المجاهدين والمناضلين والمواطنين عامة. فمن منا لم يسمع نشيد حزب الثّوار، الله ينصر حزب الثّوار، ونشيد شباب الجزائر شباب الفدى، يا فخر العروبة والسؤدد، ونشيد إلى السّلاح إلى السّلاح يا رفاقي فالنجاح.

وواكبت مصلحة الصّحافة والدعاية تطورات الحرب وضراوتها وتمشيا مع هذا استخدمت الكاريكاتير السّاخر، وكان من أنجحه ذلك الرّسم الكاريكاتوري الذي تم انجازه بعد وصول ديجول للسلطة عام 1958 وقام الشّهيد بتأليف مسرحيات تعالج بعض القضايا السّياسية والاجتماعية وتم تمثيلها على الطبيعة بالوسائل المتاحة، ولاقت نجاحا كبيرا.

في شهر جويلية عام 1959 قام العدو بتوجيه حملة عسكرية كبيرة في إطار عمليات «شال» إلى جبل مقورنو، وخلالها وقعت معركة كبيرة بينه وبين جيش التحرير الوطني الذي تصادف وجوده هناك بقيادة المجاهد لخضر بورقعة، قائد المنطقة آنذاك. واستخدم العدو قنابل الغاز والنابالم الى جانب مختلف وسائل التدمير والفتك الأخرى، وأصيب عدد من جنود جيش التحرير بإصابات مختلفة كان من بينهم الشّهيد أحمد أرسلان المرشد العام للولاية الرّابعة ومسؤول الصّحافة بها، فأسر ونقل لمعسكر الدّاميات بالمدية وهو مغمى عليه من أثر الغاز. وبمعتقل الدّاميات قضى فترة من الوقت تجرع خلالها أنواعا من التعذيب النّفسي والجسدي، وفى عام 1959 نقل لسجن البليدة، وبه أيضا قضى مدة من الزّمن حاول العدو استمالته إليه والحصول منه على المعلومات الخاصة بالثورة وتنظيماتها ولكنه فشل في ذلك. فتيقن الشّهيد حينذاك أن العدو سيقتله ففكر في الفرار من السّجن وقد نجح في ذلك في بداية ربيع عام 1960 حسب ما هو مبين في آخر رسالة كتبها الشّهيد لعائلته بعد نجاح عملية هروبه من سجن البليدة، مؤرخة بـ 7 أفريل 1960.

أما العدو فقد أصابه الفزع والارتباك واشتدت به الحيرة من الطريقة الخارقة التي مكنت الشّهيد من الفرار من السّجن رغم الإجراءات المشددة التي كانت مفروضة عليه باعتباره من أخطر الرّجال ولم يجد حينئذ سوى التشكيك فيه وفي وطنيته ومواقفه الصّلبة لزعزعة ثقة النّاس به، ثم أذاعت أبواقه العديدة فيما بعد أنه قد تم قتله لكن الثّورة كانت على علم بخفايا هذه الحيلة وأبعادها الماكرة وجابهت الدّعاية بدعاية مضادة لإجهاضها.

في29 سبتمبر 1960 توجه لزيارة عائلته وكان برفقته شخصان هما سي محمّد بن هلال وجمال مزونى. وبعد قضاء فترة بمنزل أخته استعدوا لمغادرته في حدود السّاعة الحادية عشر ليلا، ولما كانوا على عتبة الباب أشعل الضّوء بالحوش، وتصادف أثناء ذلك مرور دورية للعدو، فاكتشفتهم ووقع تبادل النّار فيما بينهم فأصيب الشّهيد جمال مزونى فى عينه فى حين أصيب أرسلان إصابة شديدة في رجليه، وتسلل الآخران من الباب الخلفي في حين عجز الشّهيد عن الفرار، وفي نفس الوقت عاد أفراد دورية العدو نحو مركزهم حيث

أخبروا بما وقع وحاولت العائلة مساعدته على الابتعاد عن المنزل ولكن نظرا لضعف المساعدة لم يستطع الابتعاد سوى لمسافة قصيرة ووقع على الارض بحوش بوقلتا.ل وبعد فترة هجم العدو وفرض حصارا حول المنطقة وأسره وقد نزف دمه بقوة من رجله فنقله جنود العدو فوق سيارة مصفحة لجهة غير معلومة.

بيد أن الأخبار التي تحصلت عليها العائلة بعد محاولات عديدة تقول أنه تم بتر رجله في المستشفى العسكري بالمدية، وفي وقت لاحق تم تنفيذ الاعدام فيه بمعية 9 مجاهدين. وقد أخبر بهذا عائلة الشّهيد أحد الممرضين الجزائريين الذي كان يعمل في معتقل الدّاميات، وحدد مكان الحفرة التي تم ردمهم فيها، وهكذا لقي الشّهيد ربه.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- ع. بن الطاهر، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 67، سنة 1984، ص 46.

■ أحمد خليفي
(و:1340ه - 1922م/ت: 1433ه - 2012م)

العباس احمد المشهور بـ خليفي احمد. من مواليد 1922 بـ سيدي خالدّ كان منذ نعومة أظفاره يخرج الطّفل من منزله صباحا يتجه الى الغابة القبلية لاعمال الفلاحة والسّقي فيجد أمامه واد جدي وعلى حوافه أشجار الدّفلة والطّرفة تمتد بضلالها ومن ورائهما بساتين النّخيل الشّاهقات تعانق السّماء فكان الفتى يصدح بصوته مرددا أغاني محلية وقصائد المداحين أيام المولد النّبوي وأيام أعمال الجير التي تنفرد بها البلدة وترديدات البنائين والفلاحين وأغاني النّسوة في الأعراس وأهازيجهن في التّويزة لأشغال النّسيج هذه البيئة الفنية التي صقلت أذن الطّفل أحمد العباس حتى كبر وكبرت معها النّفس الذواقة للطرب والفن الصّحراوي النّايلي الأصيل.

لما كبر وفي سنة 1939 رحل إلى قصر الشّلالة عند خاله ليعمل نجارا وظل هناك يغني، وكان أول مرة يدخل فيها إلى الإذاعة الجزائية في عهد الاستدمار البائد سنة 1944 أين غنى الأغنية البدوية وكان وقتهايسكن في حي بلكور بالعاصمة.

وعند إندلاع الثّورة التّحريرية وفي سنة 1957 تكونت الفرقة الفنية لـ (جبهة التّحرير الوطني) كان هو من ضمن الفرقة إذ كانت الفرقة تجمع 24 فنانا من مختلف أنحاء الوطن الجزائري شرقه وغربه، فإن سيدي خالدّ مثلت الفرقة الفنية لـ (جبهة التّحرير الوطني) بثلاثة فنانين وهم:

1. المجاهد خليفي احمد أي العباس أحمد مطرب ويأخددورالبطل في المسرحيات وأول مسرحية في الثّورة (جزائرنا).
2. المجاهد العباس الشّيخ أخ مطرباوهو العازف المشهور على آلة القانون، وكان الشّيخ دائما يحكي لي عن قيادات الثّورة : كريم بلقاسم ومحمّدي السّعيد.. الخ
3. المجاهد ثامر أحمد لدار الميلود العازف على آلة الكمنجة.

كان مقر الفرقة الفنية تونس العاصمة، لقد زارت الفرقة الكثير من دول العالم الشّقيقة والصّديقة والمحبة للسلام منها الصّين ويوغسلافيا، ونالوا التّكريم من ماو تسي تونغ وشوان لاي وجوزيف بروز تيتو.

وكان مطربنا محل تبجيل وتكريم سواء في التّمثيل أم الغناء أم التّعريف بقضيتنا الوطنية.

بعد الاستقلال أصبح الصّوت القوي والسّفير للأغنية الصّحراوية بدون منازع وهذا لا ينقص من قدر وقيمة مطربي الفن الصّحراوي الآخرين ولا يبخسهم.

لفقد غني خليفي أحمد كل الطّبوع الصّحراوية السّبعة: الكردادي والتّرياشي والعايدي والغاطس والبارودي والسّتة والثّلاثين أخيرا السّروجي.

وكانت نغمة(أيايأياي) هو الذي أعطاها ميزتها.

لقد مثل الجزائر في المحافل الفنية العربية فقد أعجب به وديع الصّافي وقال عنه الصّوت العربي الأصيل، وأعجبت به المطربة أم كلثوم وسحرها صوته، كما أعجب به محمّد عبد الوهاب وأعطاه ميدالية، ومرة أعجب به ملك المغرب حسن الثّاني فنزع عباءته وألبسها لمطربنا.

لقد قدم خليفي أحمد برامج في الاذاعة الوطنية منها برنامج (ديوان الملحون) في ذلك الوقت الشّعر الشّعبي يسمى الملحون. كما أحيا الحفلات في الجزائر وخارجها.

خليفي أحمد خزانة تراث الشّعر الشّعبي غنى لعدد كبر من الشّعراء أمثال عبد الله بن كريو وعيسى بن علال والشّلالي الدّيسي ومن شعراء

سيدي خالدّ الفحول الشّيخ بن يوسف وبن عزوز الخالدّي ومحمّد بن قيطون والشّيخ السّماتي.

إن أغانيه فيها تتميز بالحنين والعاطفة الجياشة:

ابْكِي يَا القَصْبَة
وابْكِي عَلَى مَا بِيكْ
صَوْتك رَاهْ حْزِينْ
حَنْ وبَكَانَا

لقد غنى خليفي أحمد للوطن وللحب وللصحراء وللناس والأحباب والمهاجرين والأغاني الدّينية، فكان سفير الأغنية البدوية الصّحراوية. كان محبا لـ سيدي خالدّ وأحيا فيها حفلات وكرم فيها مرات.

اعتزل الغناء وانسحب من السّاحة الفنية سنة 1989، توفي في 18 مارس 2012 ودفن بمقبرة سيدي أمحمّد بالعاصمة.

فاتح نواري

■ أحمد دحة

الحاج أحمد دحة بن الحاج العربي بن الحاج البكاي بن الحاج محمّد بن دحة بن بطلحة الزّناني المولود بحي زاوية حينون حتى، وإن كان لا يعرف بالضّبط تاريخ ميلاده. إلا أن ديبورتر في رحلته للمنطقة 1888-1889م، سجل أنه كان زعيما لقبيلة أولاد زنان التي كانت تتولى حماية، ورعاية أولف لما لها من خبرة في القتال، والغزو، إذ كانت تتصدى لمختلف أشكال الغزو التي تعرضت لها المنطقة. وهذا يقتضي أنه بلغ في هذه الفترة من السّن مبلغا يؤهله للقيادة، والزّعامّة، لأن مواصفاتهما – آنذاك – تقتضي القدرة على تدبير الأمور، والعلم بقضايا النّزال، والغزو. ينتمي الحاج أحمد دحة إلى فرع يدعى أولاد بطلحه من قبيلة أولاد زنان الهلالية.

شارك أحمد دحة في المقاومة الشّعبية بالدّغامشة، وإنغر، وكان ممن اصطحبتهم فرنسا معها إلى المنيعة قصد التّوبيخ عقب احتلالها للمنطقة، ودخولها إلى أولف في مارس 1900م. بعد إطلاق سراحه، وعودته من المنيعة، استمر في زعامته لأولف، بحكم الأمر الواقع. وسعت فرنسا إلى استمالتّه إلى صفها؛ إلا أنها لما أدركت عدم إخلاصه لها عينت بدلا منه قائدا جديدا على القبائل المنضوية تحت زعامّة قبيلة أولاد زنان.. إلا أن القائد الجديد كان يخشى من الحاج أحمد دحة لقوة شخصيته، وعلاقاته الواسعة مع القبائل الكبيرة في تدكلت، وتوات.

بتاريخ 28 فيفري 1901م، وردت إرسالية من أولف إلى ملحقية عين صالح، تضمنت ثلاث برقيات مضمونها:

رسالة إلى النّقيب مسؤول ملحقية عين صالح تتضمن اعلامه بوقائع المعركة التي دارت في تيميمون بين الأهالي من البرابر، والمستعمرين، وانطلاق المستعمرين في التّوجه نحو منطقة شرويل،

رسالة من القائد الجديد لأولاد زنان مؤرخة في 27 فيفري تشير إلى انتفاضة أولاد زنان ضد هذا القائد ممثل السّلطة الفرنسية،

رسالة من هذا القائد – أيضا- تطلب النّجدة، والمساعدّة في حراسة قصبة أولاد أحمد عمان التي تتوفر على حجم كبير من المؤونات الغذائية، هي ملك للإدارة الفرنسية؛ بدعوى الخوف من استيلاء الأهالي عليها يحفزهم في ذلك أحداث تيميمون.

وتبعا لهذه الإرسالية اتفق مسؤول ملحقية عين صالح مع الملازم الأول (Cottenest)بأن يتجه هذا الأخير إلى أولف، على أن يستعين في ذلك بتكوين فرقة من 40 مهريا على النّحو التّالي:

– 20 مهريا من قبيلة الزّوى التي كان قائدها آنذاك عبد القادر بن جيلالي،

– 10 مهاري من قبيلة أولاد يحي التي كان قائدها آنذاك دورو عبد القادر بن الحاج أحمد،

– 05 مهاري من قبيلة أولاد دحان التي كان زعيمها آنذاك بابا بن محمّد،

– 05 مهاري من قبيلة أولاد بحمو.

إلا أن هؤلاء اصطدموا بكون معظم الإبل في هذه الفترة موجودة بالمراعي البعيدة جدا عن أماكن السّكن مما حال دون قيامهم بتكوين هذه الفرقة. وبالتّوازي أصدر(Cottenest) أمرا للملازم الأول((Bichot بأن يستعين بثلاثين (30) رجلا من فرقة الرّماة الصّحراويين (compagnie du tirailleurs sahariens) لحماية قلعة أولاد أحمد عمان إلى غاية، وصوله إلى أولف.

كان دافع Cottenest)) من، وراء الذهاب إلى أولف تحقيق مجموعة من الأهداف، هي:

قناعته بضرورة تقديم الدّعم لفرقة الرّماة الصّحراويين، خوفا من انتفاضة شاملة للأهالي بأولف، ومن ثم ضرورة القضاء عليها في مهدها؛

التّحقيق في الأسباب الحقيقية التي دفعت القائد المعين من فرنسا إلى كتابة الرّسالة المتعلقة بما أسماه بـ«تصرفات مثيري الشّغب».

ولعدم قدرة (Cottenest) على تجميع أربعين مهريا، توجه برفقة 09 من المخازنية غير المجندين لدى المكتب العربي إلى أولف،

وانطلقت الفرقة مرورا بتيط، فوصلت أولف يوم الثّلاثاء 05 مارس 1901م منتصف النّهار، حيث تم الالتّقاء بالملازم الأول (Bichot) الذي استطاع التّمركز بقلعة أولاد أحمد عمان من دون عوائق كبيرة. وبعد أن تم القبض على الزّعيم الحاج أحمد دحة شرع (Cottenest) في السّماع إلى أقوال، وشهادات كبار أولف، والشّخصيات المهمة بها، بداية من القائد المعين من فرنسا، وابنه.

ولقد توصل (Cottenest) بعد هذا الاستجواب إلى مجموعة من الاستنتاجات الهامة، أبرزها:

أن القائد أحمد دحة زعيم قبيلة أولاد بطلحة لم ينصع لأوامر القائد الجديد، والمتعلقة بضرورة اشتراك أهالي جميع قصور أولف في حراسة المؤونة الموجودة بقصبة أولاد أحمد عمان بالتّناوب؛ حيث أن الحاج أحمد دحة أرسل جماعته مرة، واحدة، مما حدا بباقي زعماء القصور، والقبائل إلى السّير حذوه؛

أن أهالي أولف من اتباع الحاج أحمد دحة بمجرد سماعهم أخبار انتصار البرابر بتيميمون على الفرنسيين أظهروا ابتهاجهم بذلك، وعبروا عن ذلك بالسّهرات، وإقامة الألعاب، متوقعين قدوم البرابر إلى أولف لمساعدتهم في إخراج الفرنسيين، وتم التّأكد من أن السّيد الحاج أحمد دحة يحضر، وجماعة معه لإعلان الثّورة، والمناداة بالجهاد، محاولا استغلال انشغال معظم فرق القوات الفرنسية باحتلال باقي مناطق توات.

وبهذا اقتنع Cottenest)) بخطورة الحاج أحمد دحة على الوجود الفرنسي، والشّعبية التي يحظى بها باعتباره زعيما. وبهذا قرر إرساله يوم الخميس 07 مارس 1901م نحو تيط تحت حراسة ملثم، واثنين من المرتزقة.، وبعد أن أخذ منهم التّعب، اضطروا للتوقف في مكان يدعى«الحواسي»، واغتنم الحاج أحمد دحة الفرصة للاقتراب من أحد الجمال، وانتزع البندقية المثبتة فوق راحلته، وعمد إلى إطلاق النّار على الملثم، إلا أنه لم يتمكن من إصابته، وحاول الاجهاز عليه مرة ثانية؛ إلا أن رد فعلهم كان سريعا فأطلقوا عليه النّار فأردوه قتيلا. ولم يكفهم قتله، وإنما مثلوا بجثته، بفصل رأسه عن جسده، ترهيبا للمواطنين.

وفي 08 مارس تم هدم قصبة أولاد بطلحة المعروفة بقصبة الحاج أحمد دحة، قصد تشريد سكانها، وإلهائهم بجمع شتاتهم، ومعالجة أوضاعهم الإنسانية. وفي نفس اليوم تم استقدام 06 أفراد من أعيان أولف إلى عين صالح لمواصلة التّحقيق معهم، وسجنهم، باعتبارهم من المشاركين، والمتواطئين مع الحاج أحمد دحة، وهم:

- أحمد بن البركة، كبير أولاد النّون،
- علواته بن سيدي علي، كبير أولاد بطلحة بأقبلي،
- عبد الرّحمن، ولد الحاج محمّد، من أولاد أحمد عمان،
- الحاج عبد الله بن قدي، من كبار أهالي زاوية حينون،
- عبد القادر فراوة، من أهالي زاوية حينون،
- مبارك، ولد مكوشي من أهالي زاوية حينون.

وواصل الاستعمار امعانه في تجريد الأهالي من قادتهم، باعتقال عبد الرّحمن بن الحاج بونعامّة الزّناني أحد أقرباء الحاج أحمد دحة، واتهامه بأنه كان على علم بمقدم بعض الأشخاص من توات إلى تمقطن لإخبار السّكان بانتصار البرابر قرب تيميمون، ومقتل العميل عميرة هناك. وتم ارساله إلى تيط يوم الجمعة 08 مارس 1901م، أين تم حبسه، ولكن عناية الله مكنته من الهرب بمساعدّة بعض الحراس على السّاعة الثّامنة ليلا.

وعلى إثر ذلك عمدت السّلطات الفرنسية إلى جمع خيرة شباب زاوية حينون، واخضاعهم للضرب، والتّعذيب؛ من بينهم:

- خويض، واشة،
- دحمان قدي،
- عبد الله بليلة
- الصّالح بن أحمد،
- سعدون،
- أحمد اب أحمد محجوب،
- ابقادي بن الحاج عبد الله قدي.

كما قامت بمصادرة أملاك الحاج أحمد دحة، خاصّةالحقول منها، وترك ذريته للضياع، وشردت عائلته، ومقربيه.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار البحاث للترجمة، والنّشر، والتّوزيع، 2007.

■ أحمد عليلي (البغدادي)
(و: 1344ه - 1925م/ت: 1378ه - 1958م)

ولد أحمد عليلي، المدعو خلال ثورة التحرير المباركة (سي البغدادي) والمعروف لدى بعض المجاهدين بالشاوش، يوم 18 ماى 1925 بدوار بني عمريان بولاية الشّلف.

نشأ وترعرع في أحضان أسرة ميسورة الحال؛ انتقلت عائلته الى ولاية البليدة ولم تجاوز بعد سن الرّابعة. ولما بلغ ست سنوات من عمره قصد مدرسة ابتدائية ببوفاريك، أين تابع الدّراسة لمدة ست سنوات أثبت أثناءها ذكاء ورغبة في التعلم والتحصيل وكفاءة أهلته للالتحاق بمتوسطة العربي التبسي حاليا. ثم قصد المدرسة التقنية التي تخرج منها نجارا.

وفى عام 1942 رسم زهرة ياسمين وطلاها بالألوان الثّلاثة، الأخضر والأبيض والأحمر، فعاقبته المدرسة بالطرد. انضم بعدها لفوج الكشافة الاسلامية الجزائرية ببوفاريك. ازداد وعيه السّياسي بفضل توجيهات أخيه عبد القادر الذي كان قد سبقه إليها وإلى الحركة الوطنية فأطلعه على ما يجرى من أحداث سياسية في هذه الدّيار. عمل أحمد العليلي نجارا في صنع الاثاث المنزلي عند عاشور بن زكى حسن المقيم بالبليدة، وهناك وجد راحة نفسية واستقرارا، خاصة بعد ان توطدت علاقاته مع ابن صاحب المحل المدعو «بغداد» الذي قامت السّلطات الاستعمارية بإعدامه. وقد تأثر البطل أحمد تأثيرا كبيرا فسمى نفسه بغدادي. وفى عام 1952 انضم إلى المنظمة السّرية التي أصبح عضوا من أبرز أعضائها بالناحية، وجعل من بيته مركزا تجتمع فيه الخلية لتتدارس أوضاعها وتحدد مهامها، وكان حينها على اتصال بالشهيد البطل سويداني بوجمعة الذي كان يقصد بيته باستمرار قصد تنسيق الأعمال.

وفى عام 1953 توجه الشّهيد «البغدادي» الى نواحى الغرب والونشريس في مهمة بأمر من سويداني بوجمعة. بعدها عاد الشّهيد إلى نواحي بوفاريك ليشرف على تنفيذ عمليات الفاتح من نوفمبر 1954 التي استهدفت قطاعات المعمرين ومنشآتهم ومزارعهم والتي تمثلت في حرق معمل الورق المقوى بباب علي، وبعض المزارع التابعة للمستوطنين. وبذلك فقد كان الشّهيد من الأوائل الذين هيأوا وشاركوا فعليا في ثورة نوفمبر المباركة. وفي 2 نوفمبر 1954 ألقت السّلطات الاستعمارية عليه القبض، وسجنته لمدة عشرة أيام ثم أفرجت عنه.

وفي شهر أفريل 1956 اتجه ناحية بني عمريان حيث واصل نشاطاته وعمل على تكوين الأفواج المسلحة وتعبئة المناضلين. وقام بحملة دعائية ضد كل العناصر المعادية للثورة والتقليل من فعاليتها. وتمكن بفضل وعي المواطنين المخلصين وبسالة رجال جيش التحرير الوطني من إلقاء القبض على محمودي الذي حكمت عليه محكمة جيش التحرير الوطني بالإعدام.

وبعد انعقاد مؤتمر الصّومام التاريخي في 20 أوت 1956 والذي حدد النّظم الإدارية لجيش التحرير الوطني، وعين الولايات والمناطق والنواحي والأقسام، عين الشّهيد على رأس قيادة المنطقة الثّالثة التي كانت تعيش أوضاعا غير عادية نتيجة تكالب الأعداء عليها من جهة ونشاطات الحركات المعادية للثورة من جهة ثانية.

وفى آخر عام 1957 كلف الشّهيد بمهمة قادته إلى كل من تونس وألمانيا الشّرقية، فقصد تونس عن طريق المغرب، إذ التقى مع قادة المجلس الوطني للثورة ودرس معهم الأوضاع التي تعيشها السّاحة الجزائرية وأطلعهم على ما يجري داخل البلاد من أحداث دموية ومجازر زادت من فزع الشّعب وغضبه، وحقده على المستعمر الغاصب المستبد. وفي نفس السّنة عاد الى أرض الوطن عن طريق تونس رفقة 270 جندي تابعين للقاعدة الشّرقية. وعلى إثر وصوله تقابل مع القادة الشّهيد سى الطّيب الجغلالي والشهيد سي امحمّد بوقرة والشهيد سي الأخضر بالمكان المعروف بالعنصر، العمارية بولاية المدية، وأطلعهم على نتائج مهمته ولقاءاته مع قادة الثّورة بالخارج. ثم ترك معهم الجنود المحملين بالأسلحة المختلفة "بما فيها 52 مدفع رشاش و800 ذخيرة حربية لكل رشاش". وكانت هذه الأسلحة هي الأولى التي وصلت إلى الولاية الرّابعة من خارج حدودها، ثم تلتها بعثات أخرى للخارج. ونتيجة لما برهن عنه من كفاءة عالية وقدرة كبيرة وتنظيم محكم ذلك، فقد رقته الولاية الرّابعة الى رتبة أعلى، فضاعف من نشاطاته وكثف من اتصالاته بنواحي الولاية قصد التخطيط لما يجب القيام به في مثل تلك الظّروف، التي ازداد فيها بطش الأعداء وحقدهم وألقوا الى الميدان بكل ما يملكون للقضاء على جنود جيش التحرير الوطني وإرهاب المواطنين، فطبقوا سياسة الأرض المحروقة، وتطويق الجماهير بالأسلاك الشّائكة حتى يقطعوا الصّلة بينها وبين المجاهدين. كما ضاعفوا من عساكرهم للقضاء على الثّوار وملاحقتهم. لكن عزيمة الثّورة وبسالة رجالها وإيمان الشّعب الجزائري ووعيه حال دون تحقيق أحلام العدو. وواصلت الثّورة زحفها محققة انتصارات أذهلت قادة فرنسا وجنرالاتها وأثبتت أن الثّورة باقية حتى النّصر.

سقط الشّهيد سي احمد عليلى المدعو «البغدادي» في ساحة الشّرف في شهر أوت عام 1958 بجبل عنتر، قرب السّبخة، بالمنطقة الخامسة من الولاية الخامسة عندما كان متوجها نحو المغرب الأقصى رفقة 18 مجاهدا، وبينما هم في طريقهم إذ بوسائل الاتصال تنقطع عنهم. فبقوا مدة أربعة عشر يوما بالمكان المذكور في انتظار مناضل يقودهم، وفى اليوم الرّابع عشر قام العدو بعملية تمشيط واسعة عرفتها المنطقة منذ الصّباح الباكر. وفى حدود الرّابعة مساء فوجئ الشّهيد البطل بسيارة جيب تقترب منه، وبعدما كشفتهم أطلق النّار على ضابط فرنسي كان بداخلها أرداه قتيلا، ومن ثم بدأ

تبادل إطلاق النّار بين الشّهيد وبين قوات العدو.

سقط الشّهيد على إثرها في ميدان الشّرف متوسدا التربة التي قضى زهرة شبابه في سبيل تحريرها وتطهيرها من براثن الاستعمار والعبودية، بعد أن كبد القوات الاستعمارية خسائر في الأرواح ونجا باقي المجاهدين لان العدو لم يكشفهم ماعدا مجاهدا من المنطقة الخامسة بالولاية الخامسة برتبة نقيب كان قد سقط في مكان غير بعيد.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- ع.م، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 68، سنة 1984، ص 88.

■ أحميدة غرمة
(و:1334ه - 1916م)

الشّيخ أحميدة بن محمّد بن عبد القادر غرمة، من مواليد 1916م، بقصر العرب، وسط مدينة عين صالح بإقليم تيدكلت. حيث تلقّى تعليمه القرآني، واللغوي على يد أخواله الكرام. بكُتّاب آل المغربي، ونخص بالذكر: الشّيخ أحمد المغربي، والشّيخ عبد الرّحمان المغربي، والشّيخ قدُّور المغربي. رحمهم الله جميعا. ولم يكتف شيخنا الرّاحل بتتلمذه على يد هؤلاء الأفاضل. وإنما قاده شغفه، وحرصه الكبير على التّحصيل إلى مُجَالسّة الشّيوخ، والعلماء ممن كانوا يزورون عين صالح خلال رحلاتهم العلمية. من قائمة الشّيخ الحاج محمّد عبد القادر بلعالم. أصيل مدينة أقبلي المعمورة. وهو، والدّ فضيلة الشّيخ محمّد باي بلعالم رحمهما الله. حيث كان الشّيخ غرمة لصيق الصّلة بمجلس الحاج بلعالم؛ فاستفاد من دروسه الدّينية، كما حفظ بعض قصائده المفيدة على غرار (منظومة الوِلدان) التي تضمَّنَت جملة من الأدعية الصّالحة للأبناء، وكذا منظومته الموسومة بـ:(حال أهل الوقت) المشتملة على، وصف حال أهل عصره، وما عايشوه من متغيرات. وقد توثّقت أواصر المحبة بين الشّيخين، فقام الشّيخ غرمة بتسمية ابنه البكر باسم شيخه بلعالم تيمُّنَاً بعلمه، فصار الابن (الحاج الطّالب محمّد عبد القادر غرمة) بإذن الله أستاذا قديرا، ورجلا فاضلا. تخرَّجت على يديه أجيال طيبة بمدينة عين صالح العامرة. وإنني أشكره جزيلا على ما أفادني به حول سيرة، والدّه التي أنقلها عبر هذه السّطور.

وعطفا على ماسبق فقد حرص شيخنا الرّاحل على مجالسّة الشّيخ الطّالب عبد القادر دادّة أصيل مدينة أولف، والشّيخ، ولد سيدي جعفر أصيل إقليم توات، والشّيخ محمّد بن مالك أصيل أقبلي. الذي افتتح مدرسته الدّينية بعين صالح عامّ 1953م. ثم اعتمدت زاوية باسمه فيما بعد.

انتقل سماحة الشّيخ غرمة من مسقط رأسه. كغيره من أفذاذ عصره الذين مشوا في مناكب الأرض. ابتغاء الخير، والرّزق، والحسن. فهبط تيماسينين (الاسم القديم لبلدية برج عمر إدريس/ إليزي)، واستهل بها مسيرته التّعليمية للقرآن الكريم بداية الأربعينات. حيث جمعته بجدنا الرّاحل سيدي الشّيخ الإمام المجاهد محمّد بوده رحمه الله، وشائج المودة، والتّقدير، والزّمالة. حيث كانا يُعَلِّمَان السّاكنة القرآن الكريم، وأمور الدّين. كما تمتَّعا بعضوية أول مجلس بلدي ترأسه المجاهد الحاج كادي أحمد المدعو التيلامو رحمه الله. هذا الأخير الذي كان ساعي الخير في التّحاق أستاذنا الموقر غرمة بسلك التّعليم التّربوي. بعد أن أشرف على تنصيبه مُمَرّنَاً سنة 1964م بتيماسينين، ثم تم تحويله بعد عامين إلى مدرسة تاغزوت بوادي سوف التي مكث بها خمس سنوات. زار خلالها بيت الله الحرام حاجا سنة 1969م. قبل أن يتم تحويله إلى مدرسة عين البيضاء بعاصمة، ولاية الواحات (ورگلة). التي اشتغل بها عاما كاملا. تحوَّل على إثره للعمل بمسقط رأسه عين صالح التي تم تكليفه فيها بإدارة المكتبة المدرسية عقب اعتماد نظام المدرسة الأساسية في الجزائر.

تجدر الإشارة إلى استفادة فضيلته من تكوين تأهيلي سنة 1965م بمدينة عنابة. في ثانوية القديس أوغيستين. ثم تمت ترقيته إلى مُمَرِّن مُرَسَّم سنة 1974م. وقد أحيل على التّقاعد في النّصف الأول من عقد التّسعينات بعد عطاءات، وهاجة في مضمار التّنوير، والتّعليم،والتّنشئةالصّالحة.

وأقول ختاما إنني ما زلتُ أذكُرُ قولة محفوظة في خزائن الذاكرة. قالها الحاج حابيرش أحمد رحمه الله في جنازة سيدي الشّيخ غرمة. إذ قال: «الطّالب الغرمة لم يفقده أهله فحسب. بل فقدته تيماسينين قاطبة.» إي، والله فهو فقيدنا جميعا. إن هو إلا رجل فاضل كريم. طيَّب الله ثراه، وبارك في ذريته، وجزاه الجزاء الأوفى نظير ما عَلَّم، ونوَّر، وكان رجلا صالحا... رحمه الله، ورحم موتانا جميعا.

العيد بوده

■ ادريس ابن مهدي (مولاي العباس)
(و: 1356ه - 1937م/ت: 1379ه - 1959م)

بتاريخ 25 مارس 1937 ولد الشّهيد في مدينة بشار من أب يدعى محمّد وأم تسمى خديجة في عائلة تضم 12 فردا عرفت ببساطتها وتدينها وأخلاقها، فنشا الشّهيد ادريس على هذه المبادئ وتربى عليها، الى أن بلغ سن الدّراسة فأدخله والده الكتاب لحفظ القرآن الكريم، فعرف بين زملائه بالذكاء الوقاد والفطنة وسرعة البديهة، وعندما بلغ عمره 8 سنوات دخل المدرسة الابتدائية حيث واصل فيها دراسته اتقن خلالها مبادئ اللغة الفرنسية والعربية، على أنه بعد أن قضى 5 سنوات من دراسته طردته السّلطات الاستعمارية من المدرسة بدعوى أنه لا يتقن الفرنسية. في حين أنه لم يكن يعرفها فقط بل كان متفوقا في وسط أقرانه وزملائه فيها، وانما اتخذت السّلطة الاستعمارية ذلك فقط ذريعة لمنع الشّهيد كاي ابن من أبناء الشّعب الجزائري من التعليم تبعا لسياستها في نشر الجهل في أوساط المواطنين الجزائريين.

بعد أن طرد الشّهيد من التعليم لم يجد أمامه من سبيل الا العمل لمساعدة عائلته في تحمل أعباء العيش فعمل ميكانيكيا في مؤسسة تدعى «صات، في بشار مدة 3 سنوات بدأ خلالها يشعر بظلم الاستعمار، وطغيانه ومعاملته القاسية، والفوارق الكبيرة الموجودة بين الأوروبيين وأبناء جلدته، فكان يتألم لذلك ويود لو يستطيع ازالة ذلك، لذا فقد انخرط في صفوف الحركة الوطنية منذ عهد مبكر من شبابه، وبدأ النّضال فيها، فتعمقت الافكار الثّورية في نفسه وزادته إيمانا بضرورة القضاء على السّيطرة الاستعمارية، فكان جم النّشاط دائم الحركة، يسارع في القيام بالأعمال النّضالية المكلف بها، مما جعله ينال تقدير واعجاب رؤسائه في الحركة الوطنية، وما ان قربت ساعة انفجار الثّورة حتى كان الشّهيد متمرسا على النّضال ومشبعا بالروح الثّورية، ونتيجة لنشاطه المتزايد في صفوف الحركة الوطنية بدأت السّلطات الاستعمارية في مراقبة تحركاته رغم حرصه على ممارسة نشاطه في سرية تامة وعند قيام الثّورة المسلحة وخلال الفترة الأولى منها شارك الشّهيد في كل العمليات الفدائية التي قامت بها الثّورة في مدينة بشار، فكان يتستر لعملياته هذه بعمله الذي كان يوصله خلال هذه الفترة، الى أن اكتشفت سلطات العدو نشاطه وسعت لإلقاء القبض عليه، الا أن الشّهيد الذي كان متيقنا من وصول مثل هذا اليوم الذي يفتش عنه الاستعمار فيه لنشاطه المتزايد، قد عرف كيف يفلت من ايدي ومراقبة الاستعمار فغادر بشار بواسطة القطار الذاهب الى المغرب في عربة مشحونة بالفحم، الى نواحي بني ونيف، وكان ذلك في أواخر السّنة الثّانية من الثّورة التحريرية، وهو تاريخ التحاقه النّهائي بالثورة في تلك المنطقة، حيث بدأ منذ ذلك الحين يشارك في المعارك والهجومات المختلفة التي تقوم بها قوات جيش التحرير الموجودة في المنطقة الخامسة ضد قوات الاستعمار وصار يدعى هناك باسم مولاي العباس ولبطولته وتفانيه في القتال وشجاعته في مواجهة العدو، فقد قلد رتبة مرشح وأسندت اليه مهمة قيادة فرقة جيش التحرير، وبرهن خلال توليه مهمته هذه على حنكته ودرايته العسكرية وشجاعته وانضباطه فخاض بوحدته العديد من المعارك البطولية حقق فيها عدة انتصارات باهرة ضد قوات العدو، ومكث في هذه المنطقة حوالي شهرين يشارك في كل العمليات والهجومات والكمائن التي ينصبها جيش التحرير للعدو في هذا الجزء من وطننا، ثم انتقل بعد ذلك الى زازفانا بالقرب من بشار حيث قاد عدة عمليات في هذه النّاحية، وفيها اتصل بأبيه في بشار عن طريق أحد سكان زازفانا ليطمئنه على حاله، وبعد أن قضى مدة شهر في هذه النّاحية عاد الى منطقة بني ونيف أين واصل نشاطه الثّوري، ونتيجة لثقافته الواسعة ودرايته بالأعمال الادارية للجيش، فقد كلف بمهمة التنظيم والادارة، وفي النّصف الثّاني من سنة 1959 انتقل الشّهيد مع فرقته المتكونة من 25 جنديا الى ناحية منونات للمشاركة في العمليات العسكرية التي تقوم بها قوات هذه النّاحية في جبل منونات، فخاض بفرقته عدة عمليات بطولية ضد قوات الاستعمار في هذه الفترة، أخرها تلك المعركة التي وقعت بتاريخ 4 أكتوبر 1959 في جبل منونات مع قوة كبيرة للعدو تدعمها الطائرات والمدفعية الثّقيلة والمتوسطة استمرت يوما كاملا، استبسل فيها الشّهيد وقدم صفحات ناصعة في البطولة والشجاعة مع بقية المجاهدين المتواجدين معه، ورغم عدد قوات العدو الذي لا مجال لمقارنته مع فرقة جيش التحرير لكثرتها وتعدادها تمكنت قوة جيش التحرير من احداث خسائر مادية كبيرة في صفوف العدو دون أن تصاب بأية خسائر، ولكن اعتماد العدو على الكثافة العددية في المعركة ووفرة عتاده وقنبلة المنطقة بالطائرات والمدفعية الثّقيلة، أدى الى سقوط المرشح ادريس في ساحة الشّرف وهو يدافع من أجل استعادة وطنه، وقد ضرب الشّهيد مثالا رائعا لفرقته ولكل من عرفه وعاشره في نكران الذات والتضحية والشجاعة.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- علي العياشي، مجلّة أول نوفمبر، العدد 59 سنة 1983، ص23.

■ إسماعيل بن محمّد بن أحمد، اسماوي (و:1320ه - 1903م/ ت: 1403ه - 1983م)

بطل من أبطال مدينة العطف (تاجنينت) بوادي مزاب، يتّقد غيرة، ووطنيةً، وصدقا، وإخلاصا، ويعدّ بحق أحد رموز الثّورة الجزائرية المظفرة.

ولد في سنة 1903 من أبوين فاضلين، ونشأ في أسرة حريصة على قيم الأصالة، والوطنية. وهو أكبر إخوته الأربعة، تلقى دراسته الأولى في محضرة البلدة، ثم سافر للتجارة في الجزائر العاصمة، وكان له محل في نهج عبد الرّحمن بن رستم (ترولار سابقا)، وكان هذا المحلّ مركزاً لخلايا الثّورة في أول أيامها، وأسهم إسهامات كبرى في دعم الثّورة منذ اندلاعها، وشارك مشاركة فعالة في توسيع دائرتها في الجزائر العاصمة، ومزاب.

سبّل محله التّجاري لخدمة الثّورة، فكان معقل قادة الثّورة، ومركزا للاتصالات، ومقرًّا للجنة التّنسيق، والتّنفيذ المعروفة بـ CCE التي كان من أعضائها البارزين العربي بن مهيدي، وعبّان رمضان، وعمارة رشيد... وبفضل مساعيه أقنع كثيرا من الميزابيين في العاصمة، وضواحيها للانضمام إلى النّشاط الثّوري، وفتح محلاتهم لدعم الثّورة.

كان رفيق السّيد يوسف بن خدة، رئيس الحكومة المؤقتة، يُقلّه بسيارته في كثير من تنقلاته،

وكان بن خدة يتستّر كتاجر يهودي باسم مستعار «مولينا»، أسهم المجاهد الفذ اسماعيل اسماوي في دعم الثّورة بماله الخاص، وبالتّبرعات التي يجمعها من التّجار المزابيين، وقد كان أحد أعيانهم في العاصمة، كما كان له جهد مشكور في شراء مطبعة لطباعة جريدة المجاهد، لسان حال

جبهة التّحرير الوطني، وكان يقوم بتوزيع منشورات تلك المطبعة في كل أسبوع للتشجيع على الالتحاق بالثّورة.

وسخر سيارته أيضا لنقل الأسلحة، والمتفجرات، والمرور بها على مراكزاً المراقبة الفرنسية بين، وسط العاصمة، والحراش دون أن يثير أي شبهة حوله.

سعى مع الشّاعر مفدي زكرياء عند قادة الثّورة عبان رمضان، ويوسف بن خدة، والأخضر بن طوبال، لرفع الحصار الذي ضربته فرنسا على التّجار المزابيين سنة 1955، والذي كان يهدف إلى زرع البلبلة بين المواطنين بالتّالي إجهاض الثّورة من خلال بتحقيق منابعها، إذ كانت متاجر المزابيين قاعدّة خلفية لها.

بعد اكتشاف فرنسا لنشاطه، واشتداد الطّلب عليه، وأشاع المستعمر أن محله مركز للفلاقة، وهو الاسم الذي يطلقونه على الثّوار، اضطر للّجوء إلى مزاب متنكّرًا، وأرسل الجنرال سالان إلى الحاكم العسكري بغرداية يطلب منه القبض عليه حيّا أو ميّتا، فأرسل جيشا لمحاصرة مدينة العطف برًّا، وجوًّا، وذلك في شهر أوت 1957، ولكن صديقه بكلي أحمد بن حاج عمر خبأه في مستودعه، ثم فرّ من هناك إلى تونس، في رحلة مليئة بالمغامرات، والمواقف المدهشة، عبر الجبال، والشّعاب، والغابات، يأكل الحشيش، وما يجده من النّبات، وقطع خط موريس، ووادي سيبوس بأعجوبة، حتى دخل تونس، ودامت تلك الرّحلة ثلاثة أشهر كاملة، وقد دخلها في 11 ديسمبر 1957م، والتّحق هناك بالفارين بالمجاهدين في القاعدة الشرقية (بالحدود الجزائر-تونس).

وفي تونس، واصل جهوده في الإشهار للثورة، وجلب المزيد من الدّعم المادي، والأدبي لها، فكان يحضر النّدوات، والتّجمعات المختلفة، ويترجل الخطب، والكلمات يدعو فيها إلى نصرة الجزائر الثّائرة، ولم يكتف بذلك بل كان يتصل بالطّلبة المقيمين في تونس، ويحرّضهم على الدّخول في التّخصصات العسكرية المختلفة، حتى يتخرجوا ضباطاً، وطيارين ليدافعوا عن، وطنهم ثم ليسهموا في تشييده مجددا بعد الاستقلال، ومن الطّلبة الذين استجابوا لندائه المقدم سعيد محمّد قباض، وكان حينها طالبا في تونس، فالتّحق بالكلية الحربية بمصر ثم أوفد إلى تشيكوسلوفاكيا ليتخصص في مجال الطّيران الحربي.

ظهر المجاهد الرّمز في إحدى الصّحف التّونسية إلى جانب فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة بالخارج، فكان ذلك سببا في اكتشاف أمره، فصّب غلاة المعمرين جام غضبهم على إخوته في محلهم بالعاصمة، ولاقوا أشد أنواع التّعذيب، وتعرض محلهم للتخريب، والحرق بقنابل البلاستيك.

لما رأت جبهة التّحرير الوطني في تونس إخلاصه، وعزيمته أوفدته مبتعثاً من قبلها إلى المشرق العربي لحصد المزيد من الدّعم للثورة التّحريرية، فزار القاهرة، ودمشق، ومنها توجه إلى البقاع المقدسة، وانتهز فرصة الحج، فكان يقوم

بالدعاية للثورة دون كلل أو ملل، ويجمع التّبرعات من الحجاج المسلمين طيلة موسم الحج في مكة، والمدينة.

أوثر عنه العمل لوجه الله، وكره الظّهور في الواجهة، وقد كان أول ظهور علني له في جريدة L'AURORE في الصّفحة الأولى عند استقبال بن خدة في تونس في 30 أكتوبر 1961، وهي التي كانت سبباً في تشريد إخوته، وحرق محلهم.

وقد شاركته زوجته الفاضلة مسعودة بنت محمّد حاج عيسى شؤون الثّورة، والحرب، وكانت سنداً له في جميع أعماله الوطنية في ميزاب، ولاقت الأمرّين طيلة سنوات الثّورة، وبخاصة بعد اكتشاف أمر زوجها، ولجوئه إلى تونس، وصبرت، وأبلت في ذلك البلاء الحسن، ومن أعمالها الوطنية إبان الثّورة التّحريرية تسخير بيتها في ناحية «تيلولت" بواحة "أحباس" بتجنينت، ليكون مركزاً لتموين، وعبور المجاهدين بين بلدة تجنينت، ومتليلي، وقد تعرض بيتها للتفتيش مرات عديدة، وصادف أن كان بعض المجاهدين بالواحة، وفوجئوا بقوات العدو تحيط بالواحة، فطلبت من أولئك المجاهدين لبس الحائك، والجلوس في زاوية البيت بين مجموعة النّساء، وبالفعل دخل الجنود إلى البيت لتفتيشه، ولما رأوا جماعة النّساء متلحفات بالحائك انصرفوا، فحفظ الله أولئك المجاهدين، بالإضافة إلى ذلك البراعة في إخفاء الأسلحة، والذخيرة، والتّفاني في جمع المؤن، والألبسة للجبهة في بلدتها.

وبعد إيقاف القتال في 19 مارس 1962 عاد المجاهد الرّمز إلى الجزائر في طائرة خاصة، واستُقبل في بلدته استقبال الأبطال، وأقيم على شرفه حفل تاريخي مميز، وعاد إلى نشاطه الاجتماعي، وفلاحة الأرض، تعرض لحادث سقوط في درج بيته، أقعده الفراش أياماً، ثم أسلم الرّوح إلى بارئها في ذكرى عيد استقلال الجزائر يوم 5 جويلية 1983م.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- – الشّيخ إبراهيم بيوض، أعمالي في الثّورة، ط2؛ 25، 81.
- – محمّد إبراهيم سعيد كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، 260.
- – حمو عيسى النّوري، دور المزابيين، 2/ 124، 135.
- استمارة معدّة لمعجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، الگرارة – غرداية، ط3، مرقون.

■ اعمر أومحند آث الشيخ
(و:1324ه - 1906م/ت:1367ه - 1956م)

ولد (اعمر أوموحند) المعروف في صفوف الحركة الوطنية وخلال الثورة باعمرات الشيخ سنة 1906 بقرية(أزرو) عرش (بني منگلات) بلدية ودائرة عين الحمام (ميشلي سابقا) منحدرا من عائلة فلاحية كريمة وميسورة الحال نسبيا. إذ أنها تملك أراضي زراعية كثيرة بالجهة بالإضافة إلى امتلاكها لمعصرة الزيت. وهذا شيء معتبر بالنسبة لذلك الوقت.

نعم، وفي حضن هذه العائلة الكريمة نشأ «سي اعمر» وتربى على التقوى والسلوك الحسن وعلى الثورية وحب الوطن وقد تتلمذ في هذه الفترة لمدة قصيرة حيث تحصل أثناءها على المستوى الابتدائي بالفرنسية ولكن مع مرور الزمن تحسن مستواه بحيث كان يستطيع قراءة الصحف وكتابة الرسائل. اشتغل في بداية الأمر بمعية شقيقه الوحيد (الحسين)، في فلح الأرض وتشغيل المعصرة في مواسم جني الزيتون.. ثم تزوج بامرأة فاضلة من الجهة أنجبت له ولدا وثلاث بنات.

وفي هذه الأثناء كان قد انخرط في صفوف الحركة الوطنية حزب الشعب باعتبار أن المطالب التي كان ينادي بها هذا الحزب تتجاوب ورغباته وطموحاته. نعم، وبسبب ما أظهره في الميدان من جدية وإرادة وإخلاص وقدرة على التكيف مع الأوضاع، وتأثيره في شباب المنطقة نال ثقة قادته من أمثال أو عمران) الذي أصبح فيما بعد رئيس الدائرة الحزبية في الجهة وكريم بلقاسم» وغيرهما.

وفي أواخر 1939 أي في أوائل الحرب العالمية الثانية، أخذ من طرف العدو لتأدية الخدمة العسكرية الإجبارية رغم كبر سنه وطاروا به مباشرة إلى خطوط النار الأمامية في التراب الفرنسي لكن الملاحظ في الموضوع هو أنه لم يمكث في الميدان إلا بضعة أشهر عاد بعدها إلى مسقط رأسه فجأة؟! كيف؟ هل كان ذلك تسريحا له مبكرا، أم كان ذلك فرارا من الجيش الفرنسي؟ وأنا أرجح الاحتمال الأخير، لا سيما ونحن نعرف تلك الفوضى التي عمت المدن الفرنسية عقب اندلاع الحرب العالمية الثانية تلك الفوضى

التي اعتبرها المجندون الجزائريون فرصة ذهبية للفرار من صفوف الجيش الفرنسي، إنني مازلت أتذكر المناضل الكبير «موسى محجاط» المتواجد آنذاك في صفوف الجيش الفرنسي الذي أخذ شاحنة عسكرية من نوع (جيمسي) فملأها أسلحة حربية وذخيرة وقنابل من مختلف العيارات ففر بها إلى الألمان. ومهما يكن فإن سي أعمر آث الشيخ عاد إلى أرض الوطن ليستأنف نشاطه في صفوف الحزب أين تأتي له أن يتربى فيها سياسيا ويتكون

نضاليا بحيث كانت سلوكاته في هذه الأثناء تتسم بالجرأة والجدية وبالشعبية والبساطة والتواضع الكامل والإخلاص والتدين مما أكسبه مصداقية لدى الجميع لم تتوفر عند الكثير من زملائه. أجل، وكل ذلك أهله لتعينه. عضوا في المنظمة الخاصة بعد 1947 مع عمر أو الصديق وأمهانة والحاج لعمارة.

ولعل الشيء الذي يمتاز به أكثر هو أنه حاياه الله بفصاحة نادرة، وبقوة الإقناع والتأثير في الغير لا مثيل لها، الأمر الذي جعل المئات من شباب الجهة وكهولها ينقادون له فيلتحقون بصفوف الحركة زرافات ووحدانا، وهذه صورة من مصداقيته لدى الأهالي وتأثيره فيهم، قام العدو سنة 1948 بإجراء انتخابات (صورية) لاختيار أعضاء البرلمان، حيث اشتد الصراع والتنافس بين مترشحي النظام ومترشحي الحركة الوطنية وخاصة أثناء تلك الحملات الانتخابية التي عرفتها المنطقة، وهنا هب سي اعمر آث الشيخ» إلى الميدان ليرافع لصالح مترشحي الحزب. وفي إحدى جولاته قصد السوق الأسبوعية (ثلاثاء بني يجر) ليخطب على الناس وليذكرهم بمحاسن مترشح الحركة بالجهة وبكونه هو الكفء والأليق لعضوية البرلمان إلا أن (القائد) و(الشامبيط) منعاه من الخطاب في السوق، لكونه لم يتحصل على رخصة من السلطات في تيزي-وزو وهنا لم يسعه إلا أن يبتعد ببضع مئات من الأمتار عن السوق، ومعه طبعا مناضلو الحركة وهناك نصبوا له منصة ليخطب عليها، لكن ماهي إلا لحظات حتى أفاض المتسوقون من أرضية السوق واندفعوا نحو موقع اسي اعمر آث الشيخ»، أجل، هرعوا إليه ليتعرفوا عليه ليروه، ليسمعوا منه مباشرة بعدما سمعوا عنه الكثير غيابيا بحيث لم يبق في السوق إلا (القائد) و(الشامبيط) وأصحاب السلع الذين بقوا إلى جانب سلعهم. وهنا ثار (القائد) وقال: الويل له، قد انتصر علينا حتى في عقر دارنا وفي سنة 1947 قام زعيم الحزب الحاج مصالي بعدة جولات تفقدية في مختلف أنحاء القطر، قصد إجراء الاتصالات بالقاعدة والاطلاع على مستوى الروح المعنوية في مناضليه فقادته إحدى هذه الجولات إلى (ميشلي) أين استقبله والوفد المرافق له السيد واعمر آث الشيخ استقبالا حارا حيث استضافه في منزله بقرية (أزرو) فأقام له حفلا بهيجا ووليمة كبيرة حضرها جميع مناضلي الجهة، الأمر الذي أثار انتباه السلطات الفرنسية في (ميشلي)، وعلى رأسها (الأدمنستراتور)، وهنا فقط، بدأت معاناة واسي اعمر آث الشيخ » من استفزازات وإزعاجات العدو له إلى درجة أنهم يكلفون - بين الحين والآخر عناصر من الدرك والشرطة بالذهاب إلى منزله من أجل التفتيش الهمجي وفي آخر هذه المرات كسروا له خوابي الزيت، الأمر الذي جعله يلتحق مباشرة بالجبل سنة 1948 منذ ذلك التاريخ، أين وجد بعض الزملاء ممن سبقه إلى هناك مثل: كريم، وموح أطويل وموح نشيد وغيرهم.

ولقد أحبه الناس لسلوكه وأخلاقه العالية وإخلاصه الشديد لرسالة الحزب ولمبادئه الوطنية الصادقة وكانوا كثيرا ما يلقبونه بـ (أمغار» معناها شيخ لرزانته وحكمته ورجاحة عقله وفي سنة 1950 إثر اكتشاف المنظمة الخاصة التجأ سي اعمر آث الشيخ إلى جبال الأوراس مبالغة في التخفي حيث أواه إخوانه هناك من المناضلين وأعضاء المنظمة الخاصة، فبقي هناك مختفيا ومعززا مكرما إلى أن هدأت الأوضاع في القبائل بعض الشيء ليعود إلى الجهة حيث جد في النشاط التحضيري لاندلاع الثورة، وإن كان وقت اندلاعها غير محدد بعد.

وكان في هذه الأثناء يتمركز كثيرا في عرش (بني يليلتن)، أجل، هذا العرش الذي كان سكانه يأوون كل شخص تمرد وخرج عن طاعة فرنسا، حيث أن كل الإطارات الوطنية التي التحقت بالجبال قبل الثورة تجدها تتردد على الجهة فمن منا لا يتذكر محور تيزيط العمر أوزقان المه، تيزي إميغلاص مثمليوين، سمعون. أين يتردد عليه سي اعمر آث الشيخ وعلي ملاح والحاج لعمارة وامهانه وغيرهم. وتحركاتهم عبر هذا المحور فتأجل الإشراف على الاجتماعات التحضيرية التي سبقت أول نوفمبر 54 من هذه الاجتماعات التحضيرية التي وقعت في هذا الشأن: إجتماع (الزان الأصغر) في أعالي (أكفادو) في أوائل سبتمبر 54 وكان هذا الاجتماع تحت إشراف سي اعمر آث الشيخ ومعه (سي امهانة) وحضره قادة الأفواج المكلفون بالعمل المسلح عندما تحين ساعة الصفر.

وذلك للنظر في كيفية الاتصالات بمناضلي القرى ومخلصيها، وفي كيفية جمع الأسلحة وتخزين ذخيرتها، وكذا للنظر في خطورة أذناب الاستعمار وعيونه بالجهة.

ومنها اجتماع جبل (ونري) الذي وقع تحت إشراف الرجلين سي اعمر آث الشيخ» و(الحاج لعمارة) وذلك بتاريخ 21 أكتوبر 54، وفي هذا الاجتماع وزعت المهام على مسؤولي تلك الأفواج وتعاهد الجميع على كتمان السر وعلى الإخلاص والتضحية والتفاني في العمل الثوري حتى البلوغ إلى إحدى الحسنيين. لقد كنت أشرت في مقالي حول مؤتمر الصومام في العدد الأخير من مجلة أول نوفمبر إلى تلك الأسلحة التي اشترتها الحركة الوطنية في شرق البلاد سنة 1947 فأودعت 50 قطعة منها لدى الحاج لعمارة في أوزلاقن. فقلت أخذها سي اعمر آث الشيخ عشية اندلاع الثورة ليقوم أوعمران وعبد الله فاضل بتنظيفها وتشحيمها في قرية (إقلفان) قرب عين الحمام حيث كان نصيب الصومام منها أربع قطع.

ثم اندلعت الثورة في أول نوفمبر 54، فوجدت سي اعمر آث الشيخ متواجدا

في الميدان والسلاح في يده، فكان بذلك نوفمبريا إلى جانب ثلة من زملائه، حيث كان ينشط في الجهة تحت إمرة (سعيد بعبوس) المسؤول الأول عن الجهة في صفوف الثورة. وعندما أسر هذا الأخير في الميدان في شهر فيفري 1955 (أعدم بالمقصلة في سركاجي سنة 57) خلفه (سي اعمرات الشيخ) في الميدان حيث كلفه كريم بلقاسم بالإشراف على نظام الثورة على مستوى القبائل الكبرى بينما كلف (سي اعميروش) كذلك بالإشراف على نظام الثورة على مستوى القبائل الصغرى. وقد شارك في معركة (تيزي الجامع) في جانفي 1955وأشرف في (سوق الجمعة) على كمين للأدمينستراتور سير ا فصيني) ومرافقيه في أوت 1955 وبالفعل فقد وقع المذكورون في الكمين وكانت النتيجة كالتالي:

1. إصابة الأدمنستراتور بجروح خطيرة استوجبت بتر ساقه.

1. إصابة النقيب (بونافوص) بجروح كثيرة في جسمه.

1. سقوط ثلاثة من (المخازنية) موتى وهم عبارة عن أعوان كهول بزي خاص يشرفون على أمن الأدمنستراتور في الدائرة أما الفوج الذي نصّبه سي اعمر آث الشيخ هذا الكمين فهو يتكون من ستة أفراد، يوجد من ضمنهم (محمد وعمر إبن الحاج) الذي مازال حيا يرزق.

من أخلاقياته أنه شديد التدين إلى أقصى حد، بل إلى درجة تجعلنا نقول عنه أنه نسخة طبق الأصل من العقيد محمد السعيد في هذا المجال. ولا أدل على ذلك من أنه هو الذي سعى قبل الثورة حتى كانت صلاة الجمعة تؤدى في مسجد قريته (أزرو) وهي الجمعة الوحيدة التي تؤدى في عرش (بني منكلات) كما يمتاز بكونه لا يصدر الأوامر بحيث إذا أراد أن يأمر مجاهدا بتنفيذ شيء ما فإنه يفضل أن يجالسه ويدخل معه في حوار ودي ولا يزال كذلك معه حتى يجعل ذلك المجاهد يشعر من تلقاء نفسه أنه يتعين عليه القيام بتنفيذ ذلك الشيء كما كان يتحاشى إصدار الأحكام بالإعدامات بالنسبة للمشبوه فيهم وكان يقول: إتقوا الله ياناس وعالجوا مثل هذه القضايا بالتثبت والتقصي والتحري. وصادف في هذه الأثناء، أن كان بعض المسؤولين في منطقة مجاورة يدخل إلى منطقة (سي اعمر آث الشيخ) ويتجول فيها، ويصدر أوامر بالإعدامات بتوجيه من بعض المغرضين، وهنا ثار سي اعمر وبحث عن ذلك المسؤول حتى التقى به، فقال له: اسمع: يا هذا من الآن فصاعدا، والله لو أراك تتجول في هذه الجهة لكان لي معك شأن. إرجع إلى منطقتك واستأصل جذور الأهالي فيها إذا شئت نعم، وكان يرتاب أيضا في بعض رجال الإدارة الذين التحقوا بصفوف الثورة وكان يقول في شأنهم حذار حذار من هؤلاء، فإنهم من رضع ضرع (فرنسا).

وأخيرا أقول: لو أمد الله في عمره وعمر زميله الحاج لعماره حتى أدركا انعقاد مؤتمر الصومام لكان لهما شان في مجال التأطير والترقية في المسؤوليات بالولاية الثالثة ولكان حاباهما الله وأكرمهما بنيل الشهادة عشية انعقاد المؤتمر. فرحمهما الله رحمة واسعة.

أجل، قد انطلق رسي اعمر آث الشيخ ومعه مجموعة من رفاقه، يوم 10 أوت من سنة 1956 من مركز الثورة بقرية أثبوتتشتور) عرش (آيت يحي) قرب ميشلي، باتجاه عرش (آيت يتورغ) حيث حلوا فعلا بقرية إقار لقرار، وبالضبط لدى سي محند أثو سعيد) مسؤول مركز الإيواء بالقرية أين وجدوا العقيد محمدي سعيد). وفي مساء ذلك اليوم، وبعد تناول طعام العشاء معا، توزعوا على القرى المتجاورة المتقاربة لتمضية الليلة، تخفيفا على مركز إقار لقرار) بحيث انتقل سي اعمر) إلى قرية «ابلقيسن» بينما انتقل محمدي سعيد إلى قرية ثنالت) ومحمد واعمر بلحاج إلى قرية إغيل» على أن يلتقوا من جديد صباح يوم 11 أوت للتوجه نحو أوزلاقن ولكن الله عز وجل أبى إلا أن يستهدف العدو صباح ذلك اليوم تلك الأعراش بعملية تمشيط شاملة، أين وقعت المعركة بين أولئك المجاهدين وقوة العدو لتكون النتيجة كما يلي: استشهاد ثمانية مجاهدين من بينهم القائد واعمر آث الشيخ « أسر المجاهد محمد وعمر إبن الحاج مجروحا (مبتور الساق).

- نجاة العقيد محمدي السعيد بأعجوبة.

مع ملاحظة أن ضباط العدو لم يتكشفوا ذلك اليوم بأن أحد الشهداء الثمانية هو (اعمر آث الشيخ، وإنما علموا بالحقيقة بعد أكثر من نصف شهر من وقوع الحدث، وآنذاك فقط أرسلوا طائرة من نوع (ت6) فحامت حول الجهة بعلو منخفض لتلقي كمية كبيرة من المنشورات فيها على الخصوص: (الجيش الفرنسي يقضي على (اعمر آث الشيخ) وهو المصير الذي ينتظر كل من سولت له نفسه أن يروع الأهالي بسكينه

وبعد، فهذه نبذة تاريخية مختصرة حول حياة القائد العظيم والشهيد الرمز (سي اعمر آت الشيخ) وأرجو أن أكون قد وفقت في ترتيب أحداثها. والمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- عبد العزيز وعلي، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 169، سنة 2006.

■ اكلي أمقران
(و:1329ه - 1911م / ت: 1392ه - 1972م)

اشتهر باسم محند اولحاج، ابن قرية بوزقان من دوار أكفادو بناحية عزازقة بأعالي جرجرة، ولاية تيزي وزو. من مواليد 7 مارس 1911، وهو ينتمي إلى عائلة معروفة النّسب، اشتهرت بحرفة الحدادة أبا عن جد.

أبوه يدعى محند السّعيد ناث واكلي. وغسم والدته حباس فاطمة وهو وحيد والديه إذ لم يرزقا بغيره.

لما بلغ سن التمدرس التحق بالمدرسة الابتدائية الواقعة في قرية آث يخلف على بعد حوالي 3 كيلومتر من مقر سكناه. وبعد حصوله على الشّهادة الابتدائية سنة 1926 التحق بالحياة المهنية مساعدا لأبيه في حرفة الحدادة مما سمح له باكتساب خبرة عالية فيها ومهنة يكتسب منها رزقه. وفي نفس الوقت ونظرا لحبه الشّديد للعلم وشغفه به كان يتردد على زاوية القرية في أوقات فراغه لينهل من تعاليم الدّين على ايدي شيوخ الزاوية.

ونتيجة للظروف الاجتماعية السّيئة التي كان يعاني منها قرر الهجرة إلى فرنسا سنة 1933 وعمل في المصانع الفرنسية، مما جعله يحتك بالمجتمع الجديد هناك، ويكتشف نمط عيش جديد، يختلف تماما عما تركه في الجزائر حتى في اللباس والمأكل. كما وجد هناك جوا متفتحا على الحرية التي فقدها في وطنه الأم الجزائر. كما تمكن من تعلم اللغة الفرنسية.

وخلال هذه الفترة تأثر بالعمل السّياسي المتصاعد فيها.

ولكنه سرعان ما عاد إلى الجزائر سنة 1936 والتحق بالعمل بمصنع «صوشينا بيوتيك» والمتواجد حاليا بجسر قسنطينة بالعاصمة ودامت مدة عمله فيه حوالي 4 سنوات كرئيسا لفوج العمال.

وبعد تركه لهذا المصنع افتتح دكانا للاتجار في المواد الغذائية في مسقط رأسه قرية بوزقان. وظل فيه يمارس نشاطه التجاري.

وبالموازاة مع عمله المهني كتاجر كان مهتما بزاوية سيدي اعمر اولحاج مدعما إياها بكل ما تحتاجه وهذا ما أهله فيما بعد لأن يختار كمقدم لهذه الزاوية وهي التي سيدفن فيها بعد وفاته.

في سنة 1953 اشترى محند اولحاج حقوق أسهم « حمومة لونيس» لحافلة نقل المسافرين الوحيدة بين عزازقة وإيلولة: فأصبح بذلك شريكا فيها مع الإخوة جمعي الذين التحقوا بالثورة عند اندلاعها وقد استشهدوا إثر العملية التي تم فيها إحراق الحافلة في منتصف عام 1955 انتقاما للعملية التي ارتكبت بواسطتها ضد القايد العربي وحارسه.

نشاطه السّياسي

مارس النّشاط السّاسي ضمن حركة أحباب البيان والحرية وقد كان حينها في مدينة سطيف وتزامن وجوده بهذه المدينة قيام مظاهرات 8 ماي 1945.

بعد حدوث أزمة 1953 والانشقاق الذي حدث بين المصاليين والمركزيين كان من المناضلين الذين وقفوا موقف الحياد من هذا ا الصّراع لأنه أدر كان هذا الأخير سوف يكون مضرا بالحرة وانه ليس لصالح القضية الجزائرية.

التحاقه بالثورة

نتيجة للسمعة الطّيبة التي حظي بها الشّهيد بين أبناء منطقته من خلال دوره كمقدم لزاوية قريته من جهة وإشرافه على مجلس العقال أو ما يعرف ثاجمعت" والدّور الكبير الذي قام به في فض عدد كبير من النّزاعات التي تنشب من حين لآخر بين الأفراد من جهة وبين القرى المنتشرة في أكفادو من جهة أخرى فاتصل به في أفريل 1955 كريم بلقاسم وحمله مسؤولية جمع ما أمكن من الأسلحة لصالح الثّورة وكذلك وضع هيكل تنظيمي خاص بالمنطقة وكان ذلك دعوة صريحة للانضمام لصفوف الثّورة وقد قبل محند اولحاج هذه المسؤولية دون تردد او خوف وانضم معه اولاده الثّلاث محند السّعيد، مخلوف واحمد وكل أسرته..

ومن بين المهام التي مارسها خلال الثّورة عمله كمحافظ سياسي في منطقة أثيجر واستطاع أن يجعل منها قاعدة نضالية ثورية قوية وفعالة مما دفع بالعقيد عميروش إلى تعيينه نائبا لعبد الله إبسكرين قائد النّاحية الرّابعة من المنطقة الثّالثة عزازقة وبرتبة مرشح لما انتقل عبد الله إلى عضوية لجنة المنطقة رقي سي محند اولحاج على راس النّاحية برتبة ملازم ثاني وابدى قدرة فائقة في تسيير شؤونها.وبعده رقي إلى قائد المنطقة الثّالثة من الولاية الثّالثة.وفي إطار مسؤلياته هذه أسهم في كشف خبايا مؤامرة العصفور الأزرق التي نفذها جيش الاحتلال في المنطقة الثّالثة.وخلالها

ومن بين المواقف التي تشهد له بالذكاء والحكمة والحرص الشّديد على حقن الدّماء اثناء هذه المرحلة الصّعبة من تاريخ الولاية الثّالثة اقتراحه على العقيد عميروش بتشكيل لجنة تحقيق تضم غلى جانبه عبد الحفيظ أمقران وحتى لا يعاقب المتهمون بمجرد الظنون وفعلا وافق عميروش على مقترحه، ما اخفى نوعا من العدالة والصّرامة.

وفي منتصف 1958 رقي محند أولحاج إلى رتبة رائد كنائب سياسي للعقيد عميروش بعد الالتحاق الرّائدين عبد الرّحمن ميرة وقاسي حماي إلى تونس.

تولى مسؤولية قيادة الولاية الثّالثة مؤقتا بعد ذهاب العقيد عميروش إلى الولاية الثّانية لحضور اجتماع العقداء. واثبت أثناءها كفاءة عالية في التسيير مما أدى بالسلطات الفرنسية إلى البحث عنه وملاحقته واهتدت إلى مؤامرة للنيل منه بنفس الطّريقة التي تم فيها القضاء على الشّهيد مصطفى بن بولعيد.

وقد سرب للمجاهدين جهاز إرسال خاص بالاتصال وجده الضّابط احسن محيوز أخذه إلى مقر القيادة بغابة بونعمان. وقد اقترح حينها محند أولحاج تجريب الجهاز بالاتصال هاتفيا بالشفرة الخاصة بقيادة الأركان في تونس وعند قيام المسؤول عن الجهاز مرابط الطّيب بنزع البطارية القديمة وغرز فيها البطارية الجديدة التي اتى بها احسن محيوز وكان معه نور الدّين بلخوجة وكانت السّاعة العاشرة صباحا عندما وقع انفجار عنيف فكان من نتائجه استشهاد المجاهدين الثّلاثة في حين جرح الرّائد محند أوالحاج واحد الشّهود على الحادثة عبد الحفيظ امقران جروحا عميقة وبقي تحت العلاج لمدة 3اشهر..

بعد استشهاد العقيد عميروش رفقة سي الحواس وهما في طريقهما إلى تونس في جبل ثامر بوسعادة في 29 مارس 1959 وبعد ها مسؤولية تولى الولاية الثّالثة الشّهيد عبد الرّحمن ميرة الى غاية نوفمبر 1959 ليتولى بعده مسؤولية الولاية الثّالثة بصفة رسمية محند اولحاج الذي حاول تجسيد أهدافه المتمثلة في مواصلة الجهاد حتى النّصر او الشّهادة.

الرفع من معنويات المجاهدين بالتوعية والحث على الجهاد، ضبط إستراتجية محكمة بهدف الوقوف أمام سياسة ديغول. وفي إطار ذلك نفذ وخطط لعدة عمليات عسكرية من كمائن وهجومات واشتباكات ومعارك منها معركة البابور جانفي 1960، معركة أكفادو 1960.

وكانت له مواقف مشرفة حول حرصه على وحدة الصّف حيث رفض مقترح الجنرال ديغول الخاص بمشروع سلم الشّجعان وأكد لسي صالح قائد الولاية الرّابعة على ضرورة البقاء متحدين مع الحكومة المؤقتة حتى تحقيق النّصر.

وقد بقي المناضل محن داو لحاج يناضل إلى غاية الاستقلال وكان له شرف رفع علم الجزائر بسيدي فرج

تقلد سي محند والحاج عدة مناصب بعد الاستقلال منها: كان قائدا للناحية العسكرية السّابعة من عام 1962 إلى 1963. كان مسؤول التنظيم في أمانة جبهة التحرير الوطني الجزائرية من 1964 إلى 1965. من 1966 إلى 1972 كان عضوا بمجلس الثّورة برئاسة هواري بومدين الذي كان يستشيره نظرا لحكمته وخبرته وقدرته على مواجهة المشاكل التي كانت تحيط بالوطن.

توفي سي محند أولحاج في 2 ديسمبر 1972 بفرنسا عن عمر يناهز 61 عاما. ونزولا عند رغبته دفن في وسط أهله بمسقط رأسه ببوزقن ولاية تيزي وزو.

وتخليدا لاسمه سُميت جامعة البويرة باسمه تكريماً له بموجب مقرَّر أمضاه وزير المجاهدين السابق الطيب زيتوني.

نظيرة شتوان

المصادر:

- هلال كشادي: النّضال السّياسي والكفاح العسكري لآكلي أمقران 1945-1962، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2012، بتصرف.

■ الأخضر بن الغويني (الأبقع)
(و: 1328ه- 1910م/ت: 1404ه1984-م)

الشيخ الأبقع الأخضر بن الغويني من مواليد1910م بعين الإبل التابعة لمنطقة الجلفة، حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة، درس بالزاوية المحفوظية، تتلمذ على يد الشيخ بيوض بالقرارة، ثم انتقل إلى الزاوية الجيلالية ونال من شيوخها وعلمائها شهادات الكفاءة والتقدير، كلف هناك بالتدريس في الفقه وتفسير القرآن للطبري والنحو والأصول والحديث، وعند رجوعه إلى مسعد عام1939م شرع في التدريس بالمساجد.

وعند زيارة وفد من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مدينة مسعد سنة1946م، ومنهم أحمد حماني أعجبوا به فطلب منه الانضمام إلى صفوف المعلمين التابعين لجمعية العلماء المسلمين وكلف بمهمة النشاط التعليمي الإصلاحي، وذلك من خلال تعليم الناشئة، وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد للعامة.

نَشَّط الشيخ الأخضر الأبقع الحركة التَّعليمية التي رسمتها جمعية العلماء المسلمين وجعلتها من بين أهدفها، فكلف بمهمة الإدارة والتدريس بمدارسها ومنها مدرسة الإخلاص بمنطقة الجلفة في السنوات الدراسية ما بين 1948 و1950م؛ ففي السنة الدراسية: 1948/ 1949 شغل منصب مدرس، أما في السنة الدراسية 1949/ 1950م كلف بأعمال الإدارة، وهذا بناء على المقالات المنشورة في لسان حال جمعية العلماء المسلمين البصائر؛ فعن منصبه الأول ورد اسمه مقرونا باسم معلم، عندما نشرت الجريدة أسماء

الناجحين في الامتحان السنوي للسنة الدراسية 1948/ 1949م،و منهم الناجحون بمدرسة الإخلاص بالجلفة؛ أما عن منصبه الثاني كلف بأعمال الإدارة، عندما نشرت الجريدة قائمة توزيع المعلمين لسنة الدراسية –1949 1950م، فاقترن اسم القائم بأعمال الإدارة في مدرسة الجلفة بالشيخ الأخضر الغويني.

انتقل لتولى مهمة التدريس في مدرسة سبدو للسنة الدراسية (–1950 1951م)، كما كلف بإلقاء دروس الوعظ والارشاد في شهر رمضان بكل من؛ سبدو سنة 1371 الموافق لـ: سنة 1952م؛ و بريقو سنة 1373هـ الموافق لـ: 1954م.

كان الشيخ الأخضر الغويني كاتبا في صحف جمعية العلماء المسلمين، نشر عدة مقالات بجريدة البصائر ومنها:

مقال بعنوان: " لا عال من اقتصد"، أكد في هذا المقال على ضرورة الاهتمام بالجانب الاقتصادي للبلاد والاهتمام بالأرض، وأشار لما تعانيه بلاده الجزائر المسلمة التي تعجب في اشارة منه للفقر الذي يعيشه أبناء جلدته، وأرجع سبب ذلك لعاملين؛ أولهما عدم الاهتمام من قبل الشباب بهذا الجانب وانشغالهم على حد قوله بسفاسف وقشور السياسة؛ وثانيها كان سببه الاستعمار الفرنسي الذي استحوذ على خيرات البلاد، والمطلع على هذا المقال يلمس أنه يتحدى الاستعمار الفرنسي بمقالته التي يحرض فيها الشباب الجزائري المسلم بطريقة غير مباشرة ضد المحتل، وذلك باستخدامه عبارات قوية: المسلم الجزائري، بلاده، الاستغلال الفرنسي لأراضي الجزائريين...

كما نشر مقال آخر بعنوان: " المعلم الحر في معترك الحياة"، حث فيه على ضرورة وأهمية التآزر والتعاون لمصلحة العامة، وتكلم عن الزمن الذي كان يعيش فيه وكيف طغى الجانب المادي على الجانب الروحي للإنسان، وإهمال الطبقة المثقفة واستحقارها من طرف الجهلة، ثم أكد على أهمية التعليم والمعلم في حياة الشباب، وأفضالهم عن الأمة، فإن كان جامعوا الأموال قد ملؤوا خزائنهم، فإن المعلم قد جمع وأضاف إلى خزينة الأمة وخزينة الشعب اليقظ شبابا ذا عقول مصقولة بالتوحيد والسنة المهذبة، باللسان العربي، مع نشاط و أخلاق طيبة وأعمال مفيدة، ستكيف مستقبل الوطن تكييفا، نفخر نحن أبنائه بنتائجه... إلخ.

ونشر مقالين آخرين عن مدينة بريقو بنفس الجريدة:

الأول" بريقو تلتحق بركب العرفان"، ووصفها بأنها كانت تعاني حالة من الخمول والكسل والانحطاط الأخلاقي، وارجع السبب في ذلك إلى الوجود الاستعمار الفرنسي، وأشار إلى دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في انتشالها من هذا الظلام الذي تعيشه بإقامة دروس الوعظ والارشاد بها، وانشاء مدرسة بها لاحقا....إلخ؛

أما المقال الثاني جاء بعنوان: "بريقو تحتفل بالشيخ العباس"، وأعطي وصفا لموقع وجغرافية المدينة، عارضا مؤهلاتها التي جعلتها محط أنظار المعمرين الذين استقروا بها مزحين بذلك سكانها الأصليين الأهالي عن أراضيهم، وأصبح هؤلاء عمال لديهم سواء لخدمة أراضيهم المسلوبة أو لمسح الأحذية والنوافذ، وحمل البراميل، وبرزت جرأته مرة أخرى مشيرا إلى السياسة التعسفية الفرنسية التي مارستها على أبناء الشعب الجزائري، ووصف المعمرين بالأجانب، ثم أشار إلى أن هذه المدينة بدأت تعرف طريقها إلى النور ومعرفة بعد نكران بعد ظهور الحركة الإصلاحية بها أثناء زيارة الشيخ العباس لها، فعرف بالشيخ ومكانته العلمية، وسرد تفاصيل خطبته التي ألقاها...إلخ.

كان للشيخ الأخضر الغويني أخ يدعى التلي، شغل هو الآخر مدرس بجمعية أولاد الرقاد الغرابة والشراقة – مقرهم بعين الابل– تابع لمدرسة الاخلاص بالجلفة وذلك بناء على طلب منه تقدم به إلى رئاسة إدارة مدرسة الاخلاص محمد شونان وكان ذلك بتاريخ: 1/ 7/ 1948م.

توفي رحمه الله في 18 سبتمبر 1984م إثر سكتة قلبية في الجلفة، ونقل مسقط رأسه مسعد ودفن هناك.

حفيظة معمر

المصادر:

- حفيظة معمر: منطقة الجلفة دراسة منوغرافية (1830–1954)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الجديث ومعاصر، جامعة الجزائر2، الجزائر ، 2021.
- جريدة البصائر

■ الأمين أحمد بن يحيى
(و: 1389ه - 1969م/ت: 1430ه - 2009م)

الشّاعر، والأديب الألمعي، والأستاذ الفنان، الأمين أحمد بن يحيى، من بلدة بني يسجن (بني يزقن)، ولاية غرداية، ولد بتاريخ 20 مارس 1969م، ينتمي إلى عشيرة آت بامحمّد، عرش آت اعنان.

نشأ يتيم الأب، إذ توفي، والدّه سنة 1978، فورث عنه حب العلم، والمطالعة، والشّغف بالأدب، ودرس في ابتدائية الشّيخ أبي إسحاق، ثم إكمالية الشّيخ عبد العزيز الثّميني، وبعد أن درس في ثانوية مفدي زكريا تخصص الأدب العربي، تحصل على البكالوريا في ثانوية الإمام أفلح بتيارت، سنة 1988.

أكمل دراسته الجامعية في معهد اللغة، والثّقافة بالسّانيا، بجامعة، وهران، فتوّج سنة

1992 بشهادة الليسانس في اللغة العربية، إلا أنه لم يكمل التّدرج في دراساته العليا بسبب ظروفه المادية.

تميز الشّاعر أحمد بالنّشاط الاجتماعي في عدّة جمعيات محلية، ووطنية، فاكتسب ذلاقة في اللسان، وفصاحة في العبارة، وصقل معارفَه بمختلف المهارات، والإبداعات الفنية، والجمالية. وشارك في عدّة محافل، فأثراها بصوته الدّافئ في الإنشاد، وبقصائده العصماء، فصنعت منه هذه المشاركات، والأحداث شابا طموحا، وأستاذا، وقورا، وفنانا نبيلا، وخطاطا بارعا.

كانت مشاركته الأولى في المجموعة الصّوتية، والتّمثيل بالمدرسة الجابرية، وفي احتفالات آخر السّنة للمرحلة الابتدائية، وانخرط في الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية منذ 1979، وشارك في احتفالاتها السّنوية مع المجموعة الصّوتية بإلقاء أعذب الأناشيد، وزخرفة اللافتات بخط جميل من عمق التّراث العربي، وربما كانت له صولات في إسماع الجمهور قصائد، وطنية، وحماسية بصوته الرّخيم.

وإثراء لحاسته الفنية، انضم إلى جمعية البلابل الرّستمية بداية من سنة 1983، التي تزخر بأكثر من فنان من فناني، وادي مزاب، فاحتك بهم، وتعلم منهم، ثم جمعية التّثقيف الشّعبي لبني يزقن منذ 1987، وإلى غاية، وفاته، وبرع في الإنشاد على ألحان مقتبسة من الأداء الشّرقي القديم مثل إنشاده لقصيدة «بساط الرّيح»، و"ياجارة الوادي"، ويبدو لنا أن أحمد اقتصرت استفادته من هاتين الجمعيتين في الأداء الفني لأشعار غيره، إذ لا نعرف من إنتاجه الغزير غير قصيدة «هَكَذَا تَحْيَا الْجَزَائِر» التي انفردت بتلحين الأستاذ جابر ابليدي.

وتميز الشّاعر كذلك بمشاركات عديدة في الملتقيات المحلية، والدّولية، نذكر منها:

– المسابقة الأدبية للشعر في الذكرى الثّامنة، والثّلاثين لأول نوفمبر، من تنظيم، وزارة المجاهدين، ديسمبر 1993.

– المسابقة العلمية للطلاب العرب في دورتيها الخامسة، والسّادسة بليبيا، 1993، و1994.

– الذكرى العشرين لوفاة مفدي، وتخليدا ليوم المجاهد، ولاية غرداية، أوت 1997.

– الأيام الدّراسية العلمية من تنظيم مؤسّسة الشّيخ عمي سعيد، ولاية غرداية، نوفمبر 2006.

– الذكرى العاشرة لتصنيف قصر، ورگلة ضمن المعالم الوطنية التّاريخية، ولاية، ورگلة، ماي 2006.

– ضم إلى رصيده أيضا مجموعة من المشاركات الثّقافية، والإسهامات الأدبية، والشّعرية في النّوادي، والصّحف، إبان دراسته الجامعية، وهي:

– نادي الإبداع الأدبي للمكتبة الجهوية، يعرض أنشطته بقصر الثّقافة، والفنون.

– برنامج «دنيا الأدب» بإذاعة، وهران.

– نشر في جريدة الجمهورية، وجريدة النّهضة، (ثم جريدة الواحة، وروضة الجندي بعد تلك الفترة).

لقبه الأديب النّاقد: بلقاسم بن عبد الله بـ «مفدي الصّغير»، لتميزه بمحاكاة الشّاعر مفدي زكريا في الشّعر، والإيحاء، والنّضال، وكان سعيدا بهذا اللقب، رغم ما فيه من التّبعية، والظّلية، وذلك طموح منه لبلوغ قمم الشّعر، والعروج إلى النّجومية .

كان الشّاعر أستاذا للأدب العربي في ثانوية «علي ملاح» بورگلة، وأصيب للأسف في أواخر أيامه بمشاكل مع التّعليم أقضت مضجعه، وعكرت صفو نفسه، وحملته على التّبرم بالحياة، حتى عد التّعليم إفناء للعمر، وطريقا للشقاء، والهوان، وسبيلا للتشرد، والتّشرذم، وغيرها من الأوصاف الشّنيعة التي ألحقها بهذه الشّريحة التي كان من حقها أن تلقى المجد، والتّبجيل، وتحظى بالكرم، والتّدليل، وخلد أحاسيسه هذه في قصيدتين «إِلاَّ أَنْ تَكُونَ مُعَلِّمًا»، و«وَيْحَ المُعَلِّمِ..»، تعبيرا عن الأسى، وتصويرا للمعاناة.. هكذا كان نصيبه مع هذه الوظيفة السّامية التي أشاد بأهلها، ومدح المتفانين في أداء رسالتّهم، وشكر سعي المضحين في أكثر من قصيدة، مثل: «إِنَّمَا نَحْنُ شُهُودٌ»، و«مُنْتَدَى المُرَبِّينَ اليَسْجَنِيِّين»، و«مُلْتَقَى المَوَدَّةِ»، و«رَدُّ الْجَمِيلِ»..وغيرها، إلا أن نفسه الرّقيقة، وإحساسه الشّاعري الرّهيف لم يمكناه من تحمل، وقع عسر الزّمان، وظلم الإنسان، لما مثُل أمام المجلس التّأديبي في مديرية التّربية لولاية، ورگلة سنة 2001، أو حينما أذاقته إحدى طالباته فحش الكلام، فدوَّن حسراته، ومعاناته بأسلوب تهكمي، في قصيدة «لَمْ أَخُنْ كَيْ أَخَافَ»، و«فَتَاةٌ لَجُوجٌ».

ترك المرحوم مجموعة قصائد جمعت في ديوانه البكر، «مدوا الأيدي نتصالح»، تحقيق: خرازي مسعود، وابن ادريسو مصطفى، نشر عشيرة آل خالدّ، 2012، وقد خلَّد في ديوانه القضايا التي تعيشها أمته الجزائرية، والإسلامية، فكان ديوانه أصيلا لم تجرفه الحداثة التي يتشدَّق بها البعض دون معرفة بكنهها، ووفيا للتقاليد الشّعرية العربية، لأنه يرى الحداثة في عدم فقد جذورَها العميقة، وفي التّحليق في سماوات الجديد، الذي لا يتعارض مع القيم الإسلامية، وأهدافه الإنسانية. فالشّاعر كان كلاسيكيا حينا، ورومانسيا حينا آخر، يصنع من هذين الموقعين الأدبيَين، صورةً للشاعر الجزائري المعاصر الأصيل، والملتزم.

توفي الأمين أحمد رحمه الله تعالى في يوم الاثنين 29 جوان 2009.

من أشعاره:

بِلاَدِي الجَزَائِرُ

[من الوافر]

جَزَائِرُ.. يَا خُرُوفًا مِنْ جَلاَلِ
تُسَطِّرُ فَوْقَ مُعْجِزَةِ الرِّجَالِ
وَرَمْزًا فَجَّرَ الآيَاتِ شِعْرًا
وَسِحْرًا يُلْهِمُ القِيَمَ العَوَالِي

وَنُورًا قَدْ أَشَعَّ بِكُلِّ لَوْنِ
تَرَقْرَقَ تَحْتَهُ فَيْضُ الْجَمَالِ
وَحُلْمًا دُونَهُ الأَشْوَاقُ سَكْرَى
تَجُوبُ بِسِرِّهِ فَوْقَ الْخَيَالِ
وَلُغْزًا لاَ حُدُودَ لَهُ تَنَاهَتْ
وَكُلُّ إِجَابَةٍ دُونَ السّؤَالِ

نَحْنُ الْجَيْشُ الوَطَنِي الشّـعْبِي
[من المتدارك]

لَبَّيْكِ جَـزَائِـرَنَـا لَبَّيْكِ
نَفْدِيــكِ حَبِيبَتَنَا نَفْدِيـكِ
نَحْنُ الْجَيْشُ الوَطَنِي الشّعْبِي
بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ.. مَرْصُوصْ
وَلِـوَاءٌ مَعْـقُودٌ.. مَعْقُودْ
نَحْنُ الْجَيْشُ الوَطَنِي الشّعْبِي
لَبَّيْكِ جَـزَائِـرَنَـا لَبَّيْكِ
نَفْدِيــكِ حَبِيبَتَنَا نَفْدِيـكِ
نَحْنُ الْجَيْشُ الوَطَنِي الشّعْبِي
عُنْـوَانُ السّلْـمِ مَبَـادِئُـنَا
وَبُلُـوغُ الْخَيْرِ مَقَاصِدُنَـا
شُطْآنُ الأَمْــنِ مَرَافِئُـنَا
وَأُصُــولُ العَـدْلِ قَوَاعِدُنَا
فَلأَجْـلِ السّلْــمِ تَجَنَّدْنَا
وَلأَجْـلِ الْخَـيْرِ تَوَحَّدْنَا
وَلأَجْـلِ الأَمْــنِ تَكَتَّلْنَا
وَلأَجْـلِ العَــدْلِ تَسَلَّحْنَا
لَبَّيْكِ جَـزَائِـرَنَـا لَبَّيْكِ
نَفْدِيــكِ حَبِيبَتَنَا نَفْدِيـكِ
نَحْنُ الْجَيْشُ الوَطَنِي الشّعْبِي

نَحْنُ رِجَالُ الشّرْطَة
[من مجزوء الرّجز]

نَحْنُ رِجَالُ الشّرْطَةِ
نَحْمِي نِظَامَ الدّوْلَةِ
بِهِــمَّةٍ، ويَقْـظَةِ
بِذِمَّــةٍ، وحِكْــمَةِ
حُبُّ البِلاَدِ دِينُنَا
نَشْـرُ السّلاَمِ سَعْيُنَا
لِلخَيْـرِ نَحْنُ كُلُّنَا
وَالعَدْلُ دَوْمًا رَمْزُنَا

مُدُّوا الأَيْدِي
[من المتدارك]

مُدُّوا الأَيْـدِي نَتَصَـافَحْ
مُدُّوا الأَيْـدِي نَتَصَـالَحْ
لِجَزَائِـرِنَـا.. لِحَبِيــبَتِنَا
فَـإِلاَمَ الأَزْمَـةُ تَعْصِفُ بِالبَـلَـدِ؟
وَعَـلاَمَ الوَيْـلُ يَسُـوقُ إِلَى النّكَـدِ؟
حَـتَّامَ يَثُــوبُ الغَــافِلُ لِلرُّشْدِ؟
فَمَـتَـى كَالنّـاسِ سَنَشْعُرُ بالرّغَـدِ؟
فَلِمَ الإِصْـرَارُ عَلَى خَطَإٍ أَحْـمَـقْ؟
خَطَإٍ قَـدْ أَهْـلَكَ بِالرّأْيِ الأَخْفَقْ؟
خَطَإٍ قَـدْ دَكَّ الأَزْمَـةَ لِلأَعْمَـقْ؟
لاَ يَنْفَـعُ مَهْمَـا غَـرَّبَ أَوْ شَـرَّقْ
مُدُّوا الأَيْـدِي نَتَصَـافَحْ
مُدُّوا الأَيْـدِي نَتَصَـالَحْ
لِجَزَائِـرِنَـا.. لِحَبِيــبَتِنَا

يَدِي لُغْزٌ الْحَيَاة..
[من المتقارب]

أَرَاكِ يَدِي غَيْـرَ رُؤْيَا الْجَمِيعْ
أَرَى فِيكِ شَـيْئًا فَرِيدًا بَدِيعْ
يَرَوْنَـكِ رَبَّةَ كُلِّ صَنِيعْ
وَلَكِنْ أَرَى فِيـكِ لُغْزَ الْحَيَاةْ
أُسَـائِلُ نَفْسِيَ فِي جَدَلٍ
وَكَيْفَ أَتَيْتُ مِنَ الأَزَلِ؟
وَلَكِـنْ خُلِقْتُ إِلَى أَجَلٍ
مُسَـمًّى لأَحْيَا كَغَيْرِي الْحَيَاةْ
أَتَيْتُ لأَخْتَارَ حَظِّي، وأَسْـعَى
وَأَغْرِسَ فِي رِحْلَةِ العَيْشِ زَرْعَا
وَأَجْنِي حَصَادِيَ ضُرًّا، ونَفْعَا
لِهَذَا خُلِقْتُ لأَقْضِي الْحَيَاةْ

ابن ادريسو مصطفى بن محمّد، وأحمد / دحة بن الحاج العربي الزّناني

المصادر:

- قصيدة موقف شعري، لأحمد الأمين، بتاريخ 8 ديسمبر 1994، العـدد:98.
- مؤسّسة مفدي زكريا: مفدي زكريا في حنايا الجزائر، مؤسّسة مفدي زكرياء، 2005. (والكتاب جمع لأعمال الملتقى الدّولي حول مفدي زكرياء في ذكراه الخامسة، والعشرين لوفاته، والمنعقد بولاية غرداية، أيام: 16، 18 فيفري 2002).
- مجموعة أساتذة: الشّيخ صالح بزملال: استقامة، وتضحية، وعلم بالقراءات، محاضرات ندوة اليوم الدّراسي حول الشّيخ، جمع، وتقديم: ابن ادريسو مصطفى، نشر عشيرة آل بامحمّد، 1431هـ/ 2010م.
- مجموعة شعراء: أم المعارك في ديوان الشّعر الجزائري، جمع، وتقديم: د. كاظم العبودي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دت.
- منتدى المربين اليسجنيين: ترجمة، مختصرة عن الشّاعر أحمد الأمين، مصففة.
- وزارة الدّفاع الوطني: مجلة روضة الجندي، العدد 156، من 15 إلى 30 نوفمبر 1997، والعدد 165، من 01 إلى 15 أفريل 1998.
- المقابلات: الأمين إسماعيل بن يحي، بتاريخ: 20 مارس 2011.

■ الأمين بشيشي
(و: 1345ه -1927 م/ ت: 1441ه - 2020م)

ولد الأستاذ الأمين بشيشي صاحب الشّخصية الوطنية التي جمعت بين السّياسة والفن والتربية وأعطت الكثير للوطن في 19 ديسمبر 1927 في سدراته، ولاية سوق أهراس، ومن بين الأحداث والمواقف التي كان لها أثر بالغ في نفسيته وهو طفل، وبلورت شخصيته ثقافيا ووطنيا واجتماعيا ويعود الفضل في ذلك كله لوالده الشّيخ العالم بلقاسم الذي درس في الزيتونة ومن ثمة في الأزهر، وهكذا وجد الأمين بشيشي نفسه في العام 1941 يتابع حلقات الدّروس لدى الشّيخ العربي التبسي وفي العام الذي يليه 1942 في جامع الزيتونة بتونس.

وبالنسبة لميول الأمين بشيشي الفنية، وجدت مرتعا خصبا في المعهد الرّشيدي بتونس، وكان التلميذ المجد في أعين أساتذته، وواصل الدّراسة في الزيتونة حتى تخرج عام 1951 عاد بعدها إلى سدراتة حيث صار مدرسا في مرحلة أولى ثم مديرا لمدرسة الحياة، وتوفي والده أسابيع قليلة قبل اندلاع الثّورة، فوجد نفسه إماما واعظا بإلحاح من مجموعة من المصلين.

وجاءت الثّورة التحريرية فانغمس في صفوفها حتى خريف 1956 حيث التحق بمجموعة من الزملاء القدامى أطلقوا طبعة أخرى من جريدة المقاومة الجزائرية ثم أصبح سكرتير تحرير جريدة المجاهد اللّسان المركزي لجبهة التحرير التاريخية.

موازاة مع ذلك، أسهم إلى جانب الرّاحل عيسى مسعودي في برامج صوت الجزائر بالإذاعة التونسية حتى تكوين الحكومة المؤقتة فصار البرنامج بمعدل نصف ساعة يوميا بعنوان هنا الجمهورية الجزائرية بدل 3 مرات في الأسبوع بمعدل 20 دقيقة. التحق بالقاهرة، وشغل منهن بمنصب ملحق

إعلامي وثقافي في صفوف البعثة الدّيبلوماسية الجزائرية التي كان يشرف عليها الأستاذ أحمد توفيق المدني.

في ماي 1962 عيّن على رأس مكتب الجزائر ببنغازي بليبيا. حيث بقي حتى شهر أوت 1962 عاد بعدها للوطن.

بعد الاستقلال مباشرة بعد عودته من ليبيا في صيف 1962 بدأ في اتحادية ومحافظة عنابة كعضو في خلية الإعلام، ثم عيّن على رأس الاتحادية،

وفي خريف 1964 اتصل به الرّئيس أحمد بن بلة، عن طريق عبد الرّحمن الشّريف وطلب منه أن يتولى تشييد رئاسة المؤسّسة الإنشائية التي ستتكفل بتشييد بناء فندق وقاعة للاجتماعات، وهي التي تولت من فندق الأوراسي حاليا، ونادي الصّنوبر، لاحتضان 65 رئيس دولة عدم الانحياز.

وعاد بعد ذلك إلى مهنته الأولى: التعليم، وإلى حبيبه الأول الفن، وبدأ تلحين الأنشودات التربوية والأناشيد الوطنية. والتحق بالوزارة مكلفا بالنشاط الثّقافي المدرسي عبر الوطن.

وتعدّد المهام التي أسندت إليه بعد ذلك:

– نائب مدير بوزارة الأخبار

– مدير المعهد الوطني للموسيقى من 1978 إلى 1982.

– أمين عام وزارة الثّقافة من 1982 إلى 1985.

– قائم بالأعمال في القاهرة سنتين متتاليتين 1986 إلى 1988.

– سفير للجزائر في الخرطوم لعام واحد 1990 إلى 1989.

– مدير عام الإذاعة الوطنية من 1991 إلى 1994.

– وزير الاتصال 1994 إلى 1995.

وهو كذلك أحد مؤسّسي المجمع العربي للموسيقى عام 1971 وأشغل فيه منصب النّائب الأول للرئيس.

ومن أهم منجزاته:

– أولا: تنظيم أول تكوين وطني للمنشطين الثّقافيين وأساتذة الموسيقى

فقد نظم هذا التكوين الذي أشرف عليه الأستاذ المكرم، خلال صائفة 1968 بشرشال، وشارك فيه مئات من الأساتذة والمعلمين والإطارات الذين كان لهم نوع من الاهتمام بمادة الموسيقى ومواد النّشاط الأخرى كالمسرح والرسم. وقد كان هذا التكوين الأول من نوعه في الجزائر المستقلة فاتحة خير وبركة على سيرورة النّشاط الثّقافي الدّاعم للعمل المدرسي البحث في المؤسسات التعليمية.

ثانيا جمع وتصنيف الأناشيد الوطنية والأنشودة المدرسية

إذا علمنا أن نظام المدرسة الجزائرية كان في بداية الاستقلال خال تقريبا من الأناشيد والأنشودة المدرسية باللغة العربية، وأن كثيرا من المعلمين وأغلبيتهم من قدامى التعليم الحر ومن المعلمين الجدد في المهنة كانوا يفتقدون إلى برنامج رسمي في مادة الأناشيد الوطنية والأنشودة المدرسية الصّالحة لتربية النّاشئة والملائمة لمستوياتهم العقلية والفكرية، إذا عرفنا هذا الوضع، فإن وصول الأستاذ الأمين بشيشي إلى وزارة التربية الوطنية أعطى دفعا قويا لفكرة وضع برنامج وطني في مجال الأناشيد والأنشودة المدرسية.

وفي هذا الإطار أولى بشيشي أهمية كبيرة لهذا الموضوع، وكنا نراه طوال الفترة التي قضاها على رأس المصلحة، ينقب ويجمع ويصنف وينتقي ويلحن ما وقع عليه الاختيار، مما انتقاه، وبذلك تكونت لدى وزارة التربية مجموعة متناسقة من الأناشيد والأنشودات المختارة والمصنفة حسب المستويات التعليمية، والتي تمكنت المؤسسات المدرسية بفضلها أن تقدم المادة للتلاميذ سواء في الحصص التعليمة أم في حصص النّشاط الثّقافي بصفة تربوية ناجعة ومفيدة.

وإن هذه المجموعة من الأناشيد والأنشودات هي التي أصبحت فيما بعد العمود الفقري في المواد والأنشطة التي أصبحت تقدم في البرنامجين المتلفزين «الحديقة السّاحرة» و«بين الثّانويات»، وهي أيضا تلك التي مثلت المادة الأساسية لأول موسوعة في هذا المجال، في الوطن العربي وربما حتى في الخارج كما سيأتي بيانه.

– ثالثا: البرنامجان التلفزيان «الحديقة السّاحرة» و «بين الثّانويات»

لقد سجلت أوّل حصة من برنامج الحديقة السّاحرة في ديسمبر 1969، وكان الأمين بشيشي يتنقل شخصيا إلى المؤسسات التعليمية ويلقن الأناشيد المختارة للتلاميذ الذين كانوا يؤدونها ويتغنون بها في نوع من النّشوة، سواء في المدرسة أم عند تسجيل البرنامج. وكذلك كان الأمر بالنسبة لبرنامج بين الثّانويات الذي انطلق أصلا بعد ذلك بمدة، والذي كان مخصصا لتلاميذ التعليم الثّانوي وتلاميذ بعض المؤسسات الأخرى كمؤسسات التعليم الأصلي ودور أبناء الشّهداء أحيانا.

وبصفة عامة فإن هذا الرّصيد من الأناشيد والأنشودات المدرسية الملحنة تلحينا جيدا ومحببا للتلاميذ قد كان لها تأثير في إثراء قطاعي التربية والثقافة، وتنشيطهما وإعطائهما كبير الصّبغة الوطنية.

وقد سجلت مؤسسة الإذاعة والتلفزيون هاته المجموعة في على إثنتي عشرة (12) أسطوانة أنزلت إلى السّوق ونفدت بسرعة كبيرة.

– رابعا البرنامج التربوي لتكوين أساتذة الموسيقى

تميزت هذه الفترة بإشراف الأستاذ الأمين بشيشي على وضع المعاهد التكنولوجية البرنامج التكويني لأساتذة الموسيقى للتربية، والتي كانت منتشرة في جميع الولايات، حيث تخرج منها العديد من أساتذة الموسيقى في الطّورين الأول والثاني من التعليم الأساسي، وقد أصبح الخرجو

كثير من هذه الفروع الذين يعدون بالمئات زيادة على كونهم أساتذة في المؤسسات أصبحوا ملحنين بارزين ومبدعين ممتازين، ومنهم من شارك في تلحين مقاطع من الرّائعة

الشّعرية « إلياذة الجزائر » لشاعر الثّورة مفدي زكريا.

وبالموازاة مع هذا البرنامج التكويني، تم وضع البرنامج التربوي. لمادة الموسيقى، مثل مادة الرّسم في مؤسسات التعليم الأساسي أنذاك التعليم المتوسط (حاليا)، بحيث ما إن شرعت الوزارة في تطبيق قانون التربية الجديد المتعلق بالتربية والتكوين والنصوص التطبيقية له حتى كانت المادتان: الموسيقى والرسم،

قد وجدتا مكانتهما كمادتين مستقلتين بتوقيتهما وأساتذتهما. وفي هذا الإطار أشرف الأستاذ بشيشي أيضا على وضع التوجيهات والبرامج التي يتلقاها الأساتذة فور تخرجهم والتحاقهم بالمؤسسات التربوية.

– خامسا: موسوعة أناشيد وطنية

إصدار مجموعة الأناشيد المختارة في كتاب سماه «أناشيد الوطن» ويعتبر هذا الكتاب بحق قمة الإبداع الفني الذي ابتكره الأستاذ الأمين، وقد جاء هذا الكتاب في صورة دائرة معارف في مجالها، لأنه اتبع فيه منهجية جديدة يأتي فيها النّص الأدبي للنشيد متبوعا بتدوينه الموسيقي، ثم يعرف بالشاعر تعريفا وافيا، وأخيرا يعرف بالملحن بنفس الطّريقة، وإنها لعمري طريقة مبتكرة لا أعرف أنه قد سبقه إليها مؤلف آخر قبل اليم.

– سادسا: إنجاز كتاب «ملحمة نشيد قسما»

فزيادة على أن النّشيد الوطني قسما أخذ قسطه كنشيد، في الموسوعة المذكورة، إلا أن الأستاذ الأمين بشيشي بالاشتراك مع الأستاذ

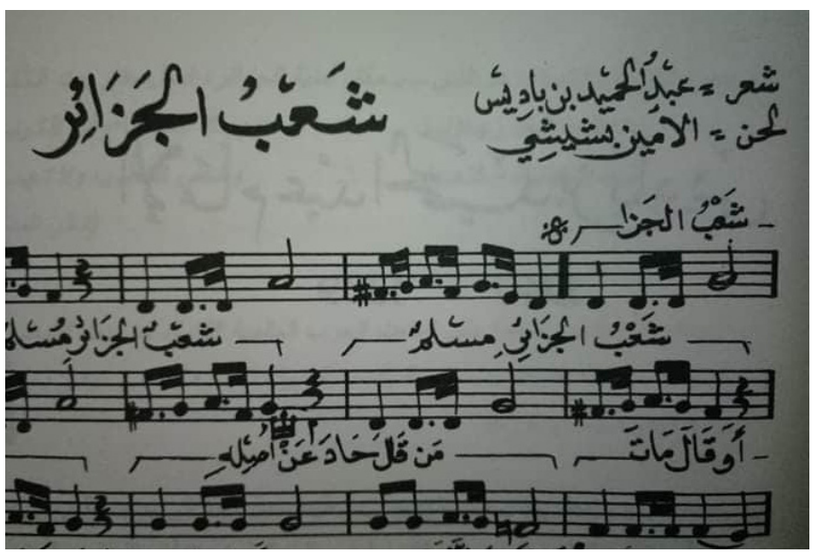

عبد الرّحمـن بن حميدة وهو أول وزير للتربية الوطنية في أول حكومة في الجزائر المستقلة، قد أصدرا دراسـة مستقلة تحت عنوان ملحمة نشـيد قسـما تعرضا فيهـا إلى جانبيـن مهمين فـي حياة هـذا النّشـيد الخالد، وهمـا الجانب التاريخي والفني ثم الجانـب القانوني.

وإنه إذا كان من غير الممكن تقديم وصف شـامل أو تلخيص لهذا الكتاب الملحمة، فإنه يكفي أن نقول إنه يقدم تعريفا بالنشيد وظروف تأليفه في سـنة 1956 إلى ترسيمه كنشيد وطني بموجـب أول دسـتور في 1963 واخيـرا قانون 1986 الذي رسمه نهائيا كنشيد وطني للجزائر مع الإحاطة بظروف تلحينه في كل من الجزائر ثم تونس وأخيرا في القاهرة.

سابعا: المجلس الجزائري للموسيقى

لقـد كان مـن بيـن الأعمـال الصّالحـة والإنجازات المفيدة للوطن فبسعي من الأستاذ الأمين بشيشي بمعية مجموعة من المختصين، أن ينشـئوا «المجلس الجزائري للموسيقى» ولقد اعتبرت إنشاء هذا المجلس من الأعمال الصّالحة والمفيدة الوطن، لأنه يسمح للجزائر بالمشـاركة لأول مـرة منـذ الاسـتقلال فـي المجلـس الدّولي للموسـيقى التابـع لمنظمة اليونسكو، ويجب الإشارة أن الأستاذ بشيشي كان يدفع نفقات اشـتراك المجلس الجزائري منذ نشأته في 2005، لحساب المجلس الدّولي للموسيقى من حرّ ماله.

الأمين الذي وهب حياته لوطنه ولم يبخل عنه بشـيء، وافته المنيّة صبيحة يوم الخميس 23 جويليـة 2020، إلـى مثـواه الأخيـر تـارك وراءه مساراً ثرياً لأحد أعمدة الفكر والثقافة في الجزائر.

سناء رمضاني

المصادر:

- شهادة الأستاذ عبد الله عثامنية، بمناسبة تكريم للأستاذ الأمين بشيشي نظّمه المجلس الأعلى للّغة العربيّة يوم 09 مارس 2010.
- منبر شخصيّة ومسار، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، 2010.

■ التهامي بن عبد القادر حينوني (و:1303ه - 1886م/ت: 1406ه - 1985م)

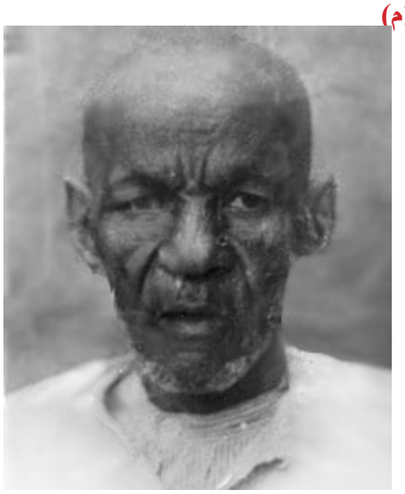

هو السّيد التهامي بن عبد القادر بن الحاج بوبكر بـن النّاجم بن محمـد الطالب الصّغير حينوني والسيدة قليمة بحبي. ولد بأقبلي سنة 1886م. نشـأ فـي عائلة ذات علـم ودين. كان أبوه حافظا لكتاب الله متمكنا من الفقه، تلقى القرآن في بداية أمـره على يد والده ليحتضنه بعد ذلك خال والـده إذ أكمل على يده حفظ القرآن وهو ابن تسـع سنين. وفي سنة 1898م انتقـل إلى مدرسـة العلامة حمزة بـن الحاج أحمـد الفلانـي، فأخذ عنـه الفقـه والتوحيد والتفسير والحديث وفنون اللغة، ولم يفارقه طيلـة حياته. كما أخذ عن الشّـيخ محمد عبد القـادر بن محمد بـن المختار بلعالـم، وكان محبا لشيوخه، معظما لهم.

ويعتبر مـن أنجـب طلبة مدرسـة العلامة حمـزة بن الحاج أحمد؛ حيث أجازه في علم القـراءات بروايتـي ورش وقالون؛ لما رأى فيه من نبوغ ونباهة واسـتقامة حال، وكتب له بذلك إجازة طويلة.

كان رحمـه الله مسـتقيم الحال، زاهدا فـي الدنيا، شـديد الخـوف من اللـه. فلقد قـال فيـه صاحـب تراجـم علمـاء سـاهل أنـه» الفقيـه الحافـظ لكتـاب اللـه البـارع في شـكله ورسمه». وقد شـاعت استقامته وأخلاقـه حتـى وصلـت إلـى مسـامع أعيـان الهقـار فطلبـوه للإمامـة والتدريس والإفتـاء بتمنراسـت، فالتحـق بتمنراسـت سـنة 1936م، فتصـدى للتعليـم بالمسـجد العتيق. ويحسـب لـه أنه هـو أول من أقام الجمعـة بمدينة تمنراسـت. وما إن اسـتقر بمدينـة تمنراسـت حتى عكف علـى تعليم ابنائهـا أمـور دينهـم، وتبصيرهـم بمـا ينير طريقهم. ولقد شـن رحمـه الله حملة على البـدع والخرافـات فأنتـج جيلا سـار على دربه ونهجه.

كان رحمـه اللـه متمرسـا فـي علـوم القـرآن، خاصـة علـم القـراءات، فضـلا عـن اتقانـه الرّسـم العثمانـي وتحكمـه في الخـط ممـا جعلـه ناسـخا للمصاحف والأجـزاء، بالإضافة إلـى الكتب والمتون المشـهورة بالمنطقـة، بحيـث لـو جمـع مـا كتـب بقلمه لـكان مكتبـة هائلـة رحمه اللـه آميـن. وتحتفـظ خزائـن الصّحـراء الكبـرى بمجموعـة مـن المخطوطـات التي عكـف طيلة عمره علـى تنميق كتابتها بخطـه البديـع الرّائـق، ويأتـي علـى رأس الخطاطيـن بمنطقـة تيدكلـت والهقـار. ولقـد خلـف وراءه رحمـه اللـه مكتبـة ضخمـة جـل محتوياتهـا مـن نسـخ يـده، كانـت فـي أول الأمـر بتمنراسـت لكـن بعـد وفاتـه تـم نقلهـا إلـى مسـقط رأسـه

بأركشاش من أقبلي، ولقد تمت فهرستها فهرسة حديثة وطبعت.

له مراسلات كثيرة مع علماء عصره أمثال أحمد بن عبد الله البريشي وغيره بخصوص القضايا الاجتماعية والفقهية.

انتقل إلى رحمة ربه في 05 نوفمبر 1985م عن عمر يناهز التاسعة والتسعين. وكان يوم جنازته يوما مشهودا، إذ لم تعرف مدينة تمنراست مثيلا له من قبل. فأعلى الله درجته في الخالدين وبوأه مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- لحمدي أحمد، في سبيل معجم متكامل لأعلام الجزائر تحقيق مخطوط تراجم علماء ساهل، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 13، العدد 17، 2012.
- العنابي لياميـن بن قدور امكراز، فهرس مخطوطات خزانة الشّيخ الطالب محمد التهامي بن عبد القادر حينوني، الجزائر: الخزانة الجزائرية للتراث.

■ الجيلالي عبد الرّحمن
(و: 1326ه - 1908م)

هو عبد الرّحمن بن محمّد الجيلالي الحسني، يعود نسبه إلى آل الشّجرة الموسوية القادرية، ولد بحي بولوغين بالجزائر العاصمة سنة: (1326هـ/ 1908م)، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ودرس على عدة شيوخ في المساجد والزّوايا بالجزائر، وتلقى فيها مبادئ اللغة العربية، وعلم الفقه، وعلوم الشّريعة، وعلم الكلام،وقد تتلمذ (عبد الرّحمن الجيلالي) على عدد من كبار العُلماء الجزائريين الذين يُعدون من وجوه النّهضة الجزائرية في ذلك الزّمن،فقد كانت مدينة الجزائر العريقة«في بدايات القرن الماضي فضاءً خصباً لنشاط ثقافي ودينـي غني قاده أعلام من الفقهاء والأدباء والكتاب،من أمثال:الشّيخ(محمّد السّعيد بن زكري الزّواوي)، المتوفى سنة: (1332هـ/ 1914م)،والذي كان مُدرساً بالجامع الأعظم، وإماماً بجامع سيدي رمضان بالقصبة، ومفتياً شهيراً على المذهب المالكي، وكذلك الشّيخ(البشير الإبراهيمي)الذي كان يُشرف على تسيير الحركة التّعليمية بالمدارس الحرة التّابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين،والتّي كان مقرها بنادي التّرقي بساحة الشّهداء بالعاصمة،والذي كان ملتقى للنخبة المثقفة حيث كان يحتضن أمسيات ثقافية، كان ينشطها أعلام من أمثال: (الطّيب العقبي)،والشّيخ (العربي التّبسي)،وغيرهما من المشايخ».ومن أبرز الأساتذة الذين درّسوه العلاّمة الشّيخ (عبد الحليم بن سماية)؛الذي كان أحد كبار العلماء في ذلك الزّمن،وترك عدداً من الآثار النّفيسة من بينها كتاب:«فلسفة الإسلام» وكتاب:«اهتزاز الأطوار»،وكتاب: «الكنز المدفون والسّر المكنون»،والشّيخ العلاّمة (أبو القاسم الحفناوي)؛ صاحب الكتاب المعروف الموسوم ب: »تعريف الخلف برجال السّلف«،والشّيخ (المولود الزّريبي)؛ المصلح،والمناضل الثّائر،والعلاّمة الفذ الدّكتور (محمّد بن أبي شنب)؛ شيخ المحققين الجزائريين في ذلك الزّمن،والمُترجم البارز، وعضو مجمع اللُّغة العربية بدمشق، ولا ريب في أن تتلمذه على عدد من العلماء الأفذاذ قد أثّر في شخصيته وتكوينه،إضافة إلى عصاميته، واعتماده على ذاته، واجتهاده الشّخصي،وبعد انتهاء تعليمه درّس الشّيخ (الجيلالي) في عدة مدارس من بينها: «مدرسة الشّبيبة الإسلامية» التّي كان يُديرها أمير الشّعراء الجزائريين؛ (محمّد العيد آل خليفة)،ومارس الخطابة،والإمامة بعدة مساجد،مثل: «الجامع الكبير»، و«الجامع الجديد»، و«جامع سيدي رمضان»، وبعد الاستقلال عُيّن أستاذاً باحثاً بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر ابتداءً من سنة: (1375هـ/ 1956م)،وعُيّن سنة: (1390هـ/ 1970م) أستاذاً للفقه المالكي بمعهد تخريج الأئمة بولاية البليدة، كما تولى تدريس مادة: «مصطلح الحديث» بجامعة الجزائر المركزية سنة: (1403هـ/ 1983م)، ونظراً لتعدد اهتماماته، وتنوع جهوده المعرفية، وتميزه بثقافة موسوعية، وفكر عميق،فقد عُيِّن في عدد من اللجان العلمية التّاريخية والدّينية، كما كان عضواً بالمجلس الإسلامي الأعلى، وكان من أبرز المُسهمين في لجنة الفتوى التي كان يُشرف عليها العلاّمة (أحمد حماني)، إضافة إلى عضويته في الدّيوان الوطني لحقوق التّأليف، والعديد من اللجان الأخرى،أما فيما يتعلق بالكتابة الصّحفية، فقد كتب الشّيخ (عبد الرّحمن الجيلالي) عشرات المقالات المتنوعة منها التّاريخية، والأدبية«في عدة جرائد ومجلات من بينها: النّجاح، والإقدام، والبصائر، والشّهاب، وهُنا الجزائر،والأصالة، والثّقافة،والشّعب...إلخ. وركز في مقالاته وبحوثه على أعلام الجزائر أمثال: (المكي بن عزوز)، و(محمّد البشير الإبراهيمي)، و(مبارك الميلي)، و(عبد الحليم بن سماية)، وحواضرها مثل: الجزائر، وبجاية، وتلمسان، وقسنطينة، والمدية...، ليُبيّن إسهامات هذه البلاد في الثّقافة العربية الإسلامية في العصور القديمة والحديثة، وقد حفر بكتاباته ومحاضراته وأحاديثه مكاناً مرموقاً بين الفقهاء والمؤرخين».

وقد تنوعت، وتعددت نشاطاته وأعماله،فقد ترك إنتاجاً علمياً زاخراً في شتى الميادين التّاريخية، والأدبية، والدّينية،

والإعلامية،وعندما يتحدث المرء عن عبد الرّحمن الجيلالي المؤرخ يتبادر إلى الذهن كتابه:«تاريخ الجزائر العام»الذي هو عبارة عن موسوعة ضخمة،ذلك الكتاب الذي يعد من أهم ما كُتب عن تاريخ الجزائر منذ العصور الغابرة، وصولاً إلى ما بعد العهد العثماني، وقد تولى الشّيخ توسعته، وتنقيحه في طبعات عديدة، وقد طُبع أكثر من عشر مرات،وقد صدر أول مرة سنة (1372هـ/ 1953م)،في جزء واحد،ثم صدر بعدها في عدة أجزاء.

ومن كتبه التّاريخية المهمة كتاب: «ذكرى الدّكتور محمّد بن أبي شنب»، وهو كتاب ألّفه عن أستاذه العلاّمة الكبير(ابن أبي شنب)،وعرض فيه جهوده وخدماته الكبيرة في ميدان تحقيق التّراث، والتّأليف، وقد لقي هذا الكتاب أصداء طيبة، وقبولاً واسعاً، ورحبت به مجلة «الشّهاب» الجزائرية أيما ترحيب، كما دعت في حديثها عنه كل جزائري يجري في عروقه دم الشّهامة والغيرة الإسلامية إلى اقتناء هذا الكتاب ومطالعته. كما طُبع مرة أخرى بعنوان: «محمّد بن أبي شنب: حياته وآثاره»، وصدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب، سنة: (1403هـ/ 1983م)، كما ألّف كتاب: «تاريخ المدن الثّلاث (الجزائر، المدية،مليانة)»، وذلك بمناسبة مرور ألف سنة على تأسيس هذه المدن من قبل «بولوغين بن زيري الصّنهاجي»، وقد عرض في هذا الكتاب باستفاضة، وتوسع لتاريخها، مُركزاً على التّطورات، والتّحولات التي شهدتها هذه المدن منذ تأسيسها. كما ألف كتاب: «ابن خلدون في الجزائر»، وتحدث فيه عن العلاّمة (عبد الرّحمن بن خلدون) حينما حلّ بالجزائر، وأقام فيها عبر مراحل مختلفة. إضافة إلى كتاب عن: «العملة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر»، وكتاب عن: «الثّقافة والحضارة والعمران بالجزائر»، سلط فيه الضّوء على أهم المعالم الإسلامية، والمساجد العريقة، والآثار الخالدّة بالجزائر، مُركزاً على الجوانب العمرانية، والحضارية.

ومن خلال كتابه: (المستشرقون الفرنسيون والحضارة الإسلامية)، أبرز رؤية عدد من المستشرقين الفرنسيين للثقافة والتّراث الإسلامي، وقد اعتمد في هذا الكتاب على التّحليل، والتّعمق مع كتاباتهم، ورؤاهم المقدمة عن الحضارة والفكر الإسلامي.

كما ركز (عبد الرّحمن الجيلالي) في مقالاته، وأبحاثه على الدّين الإسلامي، وعلوم الفقه، ومن بين مؤلفاته في هذا المجال نذكر كتاب: «عناصر الفقه المالكي»، وكتاب: «الحج إلى بيت الله الحرام»، إضافة إلى مجموعة من الدّراسات الإسلامية، والفتاوى، ومن أعماله التي ما تزال مخطوطة كتاب: «الاستشراق الغربي والثّقافة الإسلامية»، وكتاب: «تاريخ الموسيقى العربية»، وكتاب: «شرح على كتاب الجوهر المرتب في العمل على الرّبع المجيب» للشيخ (المكي بن عزوز). كما كتب الشّيخ مجموعة من النّصوص الأدبية، منها أعمال مسرحية، مثل: «المولد»، و«الفجر»، وحظيت باهتمام كبير من قبل الكتّاب، والأدباء، وأعجبوا بها أيما إعجاب، داخل الوطن وخارجه، فمسرحية: «المولد» مثلت عدة مرات، وبثتها الكثير من الإذاعات العربية، والدّولية مثل: مصر، ولندن، ونيويورك،وباكستان.

يرى الباحث الجزائري عبد الملك مرتاض أن كتاب الشّيخ (عبد الرّحمن الجيلالي) الموسوم ب: «تاريخ الجزائر العام»، أحد أهم الكتب التي أسهمت في بروز النّهضة التّاريخية في الجزائر، حيث يقول عن الكتاب: «تقرأ تاريخ الجيلالي، فتجدك أمام مؤرخ غني، يريد أن يُطلعك على كل شيء، ويريد أن يجعلك تلم بما ألم، وتفيد من كل ما قرأ، أو درس من كتب تاريخية، وغير تاريخية، فالتّاريخ للأمة الجزائرية وحدها، ولكن الجيلالي لم يقنع بهذا، فمضى يتحدث لك عن الأمة العربية بوجه عام، وأنها أعقل الأمم وأرقاها تفكيراً...

إن هذا التّاريخ ذو شأن أي شأن في النّهضة الثّقافية الجزائرية المعاصرة. فقد أنفق الجيلالي من الوقت، وعانى من الجهد، في تأليف هذا الكتاب، ما تشهد به مادته الخصبة، ومعارفه الواسعة. فهو كتاب هام لا غنى عنه لأحد يريد أن يُلم بتاريخ الجزائر خلال أطوار التّاريخ المتباعدة التي عالجها، ونحسب مخلصين، أن الجيلالي قد أدى بهذا الكتاب لنهضتنا الثّقافية المعاصرة في الجزائر صنيعاً عظيماً».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عبد الرّحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت، بالاشتراك مع مكتبة الشّركة الجزائرية، الجزائر، ط:1384،02هـ،1965م.
- عبد الرّحمن الجيلالي: من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلاّمة النّابغة الشّيخ مبارك الميلي (رحمه الله)، مجلة الثّقافة، السّنة الرّابعة عشرة، العدد:80، جمادى الثّانية، رجب1404هـ، مارس-أبريل1984م.
- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر،1925-1954م، منشورات الشّركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر،1983م.
- محمّد سيف الإسلام بوفلاقة: عبد الرّحمن الجيلالي المؤرخ الرّائد والعلاّمة المجدد، مجلة آفاق الثّقافة والتّراث، مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن قسم الدّراسات والنّشر والشّؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتّراث، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد:76، محرم1433هـ/ ديسمبر-كانون الأول 2011 م.

■ الحاج إبراهيم بن صالح بن امحمّد بن باباحمو، باباحمو أعزام (و: 1310ه - 1893م/ت: 1384ه - 1965م)

الحاج إبراهيم بن صالح بن امحمّد بن باباحمو، باباحمو أعزام. ولد: 1310هـ/ 1893م، بتونس الخضراء من أبٍ جزائري، وأمٍّ تونسية تدعى حبيبة، فكان نتاج عرقين: الأمازيغي، والعربي مما أثّر في ثراء شخصيته، وسعة فكره. ثمّ ارتحل بعدما تجاوز العامين إلى مدينته الأصلية، وارجلان (ورگلة). ولمَّا كان، والدّه منشغلا بحركته التّجارية كفله عمُّه الحاج بكير بن امحمّد الذي كان من أعيان البلدة.

هو عالم مؤرِّخ، وباحث مبرَّز في تاريخ المنطقة يدوّن أحداثها باستمرار، وكان مغرمًا بكثرة القراءة، والمطالعة حتَّى لُقِّب بها «أَعْزَامْ»، وتعني: القراءة.

بعدما، ولد أعزام في تونس لم يدم فيها طويلا، بل رحل به، والدّه إلى بلده حتى ينشأ، وسط أهله، وعشيرته تنشئة حسنة، فوجد المستعمر الفرنسي قد بسط سطوته على مفاصل الحياة الإدارية بتسيير الأوضاع كما يهوى، والاجتماعية بالتّجهيل، والتّضليل، ونشر المواخير، والحانات، والاقتصادية بالتّجويع، والتّرويع، والتّضييق في المعيشة، والثّقافية بالتّغريب، واستغلال حاجة النّاس في نشر النّصرانية، ودعم الخرافات، والأفكار الهدامة، فلم يكن له بدّ من أن يلتحق بالمدرسة الدّينية للحفاظ على هويته، ودينه، وعقيدته، فبدأ حياته في، وارجلان يتعلّم مع أقرانه بمحضرة أبي يعقوب يوسف بن سهلون مبادئ العلوم من حفظ القرآن الكريم، وتعلّم اللغة العربية، والأصول الشّرعية. ثمّ رحل إلى ميزاب (غرادية) ليلتحق بمعاهدها التي يديرها طلبة القطب أطفيش بداية من بني يسجن، ثم انتقل إلى الگرارة مع أوَّل بعثة علمية إلى الحاج عمر بن يحيى لينهل من معينه، فلما اغترف منهم ما يروي غليله، ويشبع نهمه من علوم نافعة تؤهله لنفع النّاس، وتنوير الخلق، عاد إلى، وارجلان لرفع لواء العلم، ونشر بذور الفلاح بكل جدٍّ، وعزيمة، فاجتهد في تحريك مختلف النّشاطات التّربوية، والاجتماعية، والعلمية، ونظرا للأزمة الخانقة، والفقر المدقع الذي عاشه أهله لم يدع مزاولة بعض الأعمال التّجارية ليعيل أهله، ويقوم على أمور حياته.

عاش إبان الفترة الاستعمارية في الجزائر، وعانى فيها من، ويلات الجوع، والجهل، والتّغريب ما لا يخفى، إلاَّ أنَّ همَّته العالية جعلته يتحرَّك لجلب الخير، والنّفع لأمَّته. كما كان له دور كبير في الثّورة التّحريرية حتى شاهد لحظات الحرية، واستقلال البلد عن يد المستعمر البغيض.

كان بين فينة، وأخرى يتردَّد على، واجلان ثلَّة من رواد الإصلاح، والثّقافة من خارج البلد، ويلبثون فيها الشّهور، والسّنين أم السّنون او؛ لنشر الوعي، وإنعاش الجوِّ الثّقافي، ومحاربة البدع، والخرافات؛ فقصدها من تُوَات الشّيخ محمّد عبد الرّحمن السّكوتيّ الملايخافي (ت: 1332هـ/ 1913م)، ومن مزاب الشّيخ امحمّد بن يوسف أطفيش القطب (ت: 1332هـ/ 1914م) في رحلة فريدة دوَّنها بتفاصيلها، وشيخه الحاج عمر بن يحيى (ت: 1339هـ/ 1921م)، وغيرهما من المشايخ، كما زارها بعض خريجي مدارس الزّيتونة، وبعض علماء الشّناقطة (موريتانية)، فتزوَّد منهم بما استطاع، مما زاده رغبة، وشوقا في الاستزادة، فرحل إلى معاهد ميزاب ليتفرغ للعلم، ويزاحم العلماء بركبتيه، فقصد أحد تلامذة القطب أطفيش، وهو الشّيخ صالح بن عمر لعلي (ت: 1347هـ/ 1928م) ببني يزجن، ثم سافر إلى الگرارة مع أوَّل بعثة علميَّة إلى الشّيخ الحاج عمر بن يحي المليكي (نور القلب) فمكث عنده طويلا حتى ارتوى من معينه، وتعلَّق بالعلم، والمعرفة، وعنده التّقى بصنوه زعيم الإصلاح الشّيخ بيوض الذي حرَّضه على الكتابة، والتّأليف في تاريخ المنطقة، وغيرها.

تلامذته:

تخرج على يديه جمع كبير من الطّلبة الذين حملوا مشعل العلم، والتّنوير، وأمانة الإصلاح في، وارجلان قبل الاستقلال، وبعده.

مؤلّفاته:

ترك عدّة أعمال مدوَّنة من مؤلَّفات، ورسائل، ومقالات في مجالات عدّة، منها: كتاب «غصن البان في تاريخ، وارجلان» (مط)، وهو أهمُّها، جمع فيه كلَّ ما تفرَّق في المصادر القديمة حول تاريخ، وارجلان، ونسب أهلها، وعمرانها، وفرغ من تأليفه سنة 1350هـ/ 1932م. وكتاب «في علم التّجويد للمبتدئين». وله رسالة في «الفرق بين الإباضية، والخوارج» (مخطوطة في مكتبة جمعية التّراث)، ورسالة «عن ما يجب على المكلف عند البلوغ»، ورسالة في «عدم إمكانية إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية». وقصيدة في رثاء الشّيخ الحاج إبراهيم بن كاسي (ت: 1921م). وكراسة تضمّ أسئلة، وأجوبة في أحداث تاريخية مسجَّلة. وله مقالات صحفية منشورة في دوريات صنوه رائد الصّحافة الجزائرية أبي اليقظان إبراهيم. كما ترك مكتبة تضمّ كتبا قيِّمة، ووثائق

تاريخية عديدة، وكتبا منسوخة بخطٍّ يده، لكنها لم تجد من يعتني بها جيِّدا؛ فضاع منها ما ضاع، وبقي النّزر القليل، كما، وقع لِجُلّ مكتبات، وارجلان التي تحدَّث عنها أعزام نفسه في غصنه.

تأثيره: بعد عودته إلى، وارجلان أسهم في النّشاطات المختلفة، واشتغل بالتّدريس في محضرة أبي يعقوب يوسف بن سهلون «مدرسة باباحيَّا"، مع أقرانه الذين تكاتفوا معه في دفع الجهل عن أمتهم كالطّالب موسى بن محمّد فقيه، والحاج سليمان بن الحاج عمر بابزيز، وغيرهما، كما كان يعاضد الشّيخ الحاج أحمد بن محمّد بومعقل شيخ عزابة، وارجلان آنذاك في بعض مهماته من تعليم، وتكوين، وتوجيه.

أفكاره/ توجّهاته/ انتماؤه:

عرف أعزام بشخصيته القوية، وفكره الثّاقب، وذكائه الوقاد، وقوّته العجيبة في حلّ المشكلات، وفكّ المعضلات، مما جعل، ولاة الأمر يقرِّبونه إليهم وأصحاب الرّأي يستشيرونه فيما يعنّ لهم، ويقدّمونه في تمثيلهم، والنّيابة عنهم. ولتضلعه في تاريخ بلدته، وارجلان، والجزائر عامّة؛ صار، وجهة القاصدين لمعرفة تاريخ المنطقة، ومرجع الباحثين حتى من قبل الفرنسيين، والأجانب أنفسهم.

أعماله/ نضاله (السّياسيّة، الاجتماعيّة، الخيريّة...):

كان الأستاذ أعزام من مؤسّسي جمعية الوفاق يوم 07 أوت 1930م، مع نخبة من الشّباب الغيور؛ لمساندة هيئة جامع العزابة الكبير في أداء مهامها، وهو أوَّل من ترأّس الجمعيَّة، فكان يتولَّى أعمالها، ومراسلاتها الدّاخلية، والخارجية، سواء كانت خاصّةأم عامّة، رسمية أم أفرادا، نيابة عن عزَّابة، وارجلان. وفي الأربعينيات تولَّى أعزام منصب خوجة قائد ناحية السّعيد عتبة، أي كاتبه. كما كان يتولَّى أيضا الإشراف على مدرسة الوفاق القرآنية إلى مطلع السّتينيات، فكان سندًا للطلبة ماديا، ومعنويا، ومشجِّعا لهم على الاجتهاد في التّحصيل، والتّعلّم. ونظرا لكياسته، وحنكته، وحيويته ضُمَّ إلى أعيان إباضية، وارجلان؛ فصار هو النّاطق باسم إباضية، وارجلان لدى الحكومة الفرنسية، والممثل لهم في الإدارة، والهيئات المختلفة آنذاك. وقد كان يحضر قبل اندلاع الثّورة الاجتماعات السّرية التّكوينية التي تدعو إلى الوطنية، والحرية تحت تأطير «حزب الشّعب»، ومن بعده، ولمَّا اندلعت الثّورة تكفّل بجمع الاشتراكات من إباضية، ورگلة، والمشاركة الخفية في خدمة الثّوار، ودعم الثّورة بما يمكن، وكان همزة، وصل بينهم، وقيادة الثّورة في المنطقة.

إضافات أخرى: (إدراج نماذج من شعره أو نثره...) ذكر الأستاذ في مقدمة "غصن البان في تاريخ، وارجلان" أهمية كتابه، ومنهجه، وهدفه الأسمى من الكتابة قائلا: «...ولذا ترى غالب الأمم اعتنوا بتاريخهم، ودونوه تدوينا حسنا»، ونشروه في جميع العالم. وعلى هذا، وما ذكر من الإلحاح، رأيتني مدفوعا إلى تدوين بعض ما أجده من تاريخ، وطني العزيز، ولكن، ويا للأسف لم أجد ما أكتبه على هذا الوطن قديما لفقد المواد إلاَّ شيئا قليلا، ربما لا يفي ذلك بالمقصود، وعلى كلِّ حال ما لا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه. وشفيعي عند القراء، هو أني طرقت في هذا الكتاب موضوعا بِكرا، وهيَّأت لإخواني الكاتبين نواةً يمكنهم أن يتخذوها بزرة في هذه الرّياض. وها أنا ذا أسطر ما هو حاضر لدي، لعلَّ الله يأتي بجيل جديد فيزيد على ما كتبت، ويكون لديه كالمقدمة. وبذلك نكون قد خدمنا، وطننا، وتاريخنا خدمة جليلة، ونحن في كتابتنا هذه متحاشين عن كلِّ ما فيه التّعصب، والهمز، واللمز في المذاهب، والفرق، آخذين طريق النّقل عن علماء التّاريخ، وأفواه الرّجال المحقِّقين للوقائع التّاريخية، تاركين من كتاباتهم ما فيه طعن في المذاهب، والفرق؛ لأنا نعد ذلك شيئا خارجا عن قاعدّة المصلحين، كما فعل الرّحالة العياشي عند مروره بوارجلان، وابن بطوطة عند مروره بعمان مزدجرين بقول الله تعالى: {ويل لكلِّ همزة لُمزة}، وقول النّبي ﷺ: «ليس منَّا من دعا إلى عصبية»، وقد أتحفته ببعض النّكت التّاريخية المفيدة، والأخبار الرّائقة التي طالما تشوق إليها بعض المشغوفين بالتّاريخ عن بلاد ميزاب، وبلاد الجريد، وتيهرت..." الخ.

وتوفي يوم الثّلاثاء 22 شوال 1384هـ الموافق لـ 23 فيفري 1965م.

الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز

المصادر:

- معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) لجمعية التّراث، تر27.
- أعزام: غصن البان، كله.
- أبو اليقظان: جريدة النّور، عدد 29 (1351هـ/ 1932م)، ص3.
- سليمان بومعقل: ترجمة موجزة للشيخ أعزام.
- محمّد باباعمي: مقابلة مع أبناء المترجم له بوارجلان.

■ الحاج أمحمد بن الحاج أحمد دحة الزّناني
(و:1101ه - 1690م / ت: 1163ه - 1750م)

هو السّيد الحاج أمحمد بن الحاج أحمد بن ابطلحة الزّناني من مواليد بداية القرن الثاني عشر الهجري. ينتمي إلى قبيلة أولاد زنان الوافدة إلى منطقة أولف في 1101 هجري الموافق لـ 1690م من تلمسان، وهي إحدى بطون قبيلة بني هلال العربية. استقرت في أول أمرها في منطقة الجديد بأولف حيث بنت لها قلعة هناك. وكان قدوم قبيلة أولاد زنان إلى المنطقة عامل استقرار، وقوة لمواجهة المعتدين عليها من القبائل المجاورة، التي كانت تستهدف المنطقة بالغزو، كدوي منيع والبرابرة وأولاد جرير، وتأمين القوافل التجارية من وإلى أفريقيا جنوب الصّحراء. وبفضلها استقرت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فآلت الزّعامة إلى هذه القبيلة بتزكية من القيادة الرّوحية بأقبلي وزاوية مولاي هيبة.

عرف الحاج أمحمد في قبيلته منذ صغره بالهدوء والرزانة ورجاحة العقل والابتعاد عن الظلم. انتقل من حي الجديد إلى زاوية حينون حيث بنى بها قلعة ودرا للضيافة والمسجد المعروف حاليا بمسجد أنس ابن مالك ومدرسة للتعليم، وأقام البساتين. وعمل على استقدام العلماء والمشايخ للتدريس والامامة والافتاء، أمثال أحمد الدولة بن محمد بن عبد الحق (المعروف بسيد الدولة)، ومحمد الصّالح بن أحمد أبختي الذي وافته المنية في الطريق بين رگان وأولف فتكفل بابنه على (الطالب علي) وأرسله للدراسة في الزّاوية الكنتية بأقبلي على أيدي شيوخها، حيث تضلع في العلوم الشّرعية وعاد ليقوم بالإمامة والتدريس في مسجد زاوية حينون.

ولقد أوقف الحاج أمحمد على المسجد ومجالس العلم بساتين وأملاكا كوقفه على الطالب علي والذي كان شرطه عليه فيه « الدعاء له ولأجداده ولجميع من في البلاد والأشياخ وجميع المسلمين وتعليم التلاميذ وجواب من جاءه سائلا ومستفتيا».

وفي رحلته للبقاع المقدسة في سنة 1138 هجرية التقى بالشيخ العلامة الحاج أمحمد بن عبد الرّحمان أبي نعامة، الذي كان قائد ركب الحجيج فأعجب به ولازمه وجلس بين يديه للتعلم وأخذ عنه أصول التصوف، وأصبح ساعده الأيمن؛ إلى الحد الذي دفع ببعض أفراد قبيلته إلى الانتقال إلى أقبلي والإقامة بقرب الزّاوية لحمايتها والقيام على شؤونها، حيث أسسوا هناك قصرا يعرف بقصبة العرب.

كان الحاج أمحمد الزّناني زاهدا في الدنيا، محتاطا لدينه، كريما، يحسب له حسابه في المنطقة، فهو من رموزها وقادتها. وبالإضافة إلى هذا كان محبا للعلماء والصالحين ويحسن إليهم، ويعتبر ذلك من القربات إلى الله لأن ذلك من تكريم العلم وتبجيله.

انتقل إلى رحمة ربه ليلة 23 من رمضان 1163 هجرية الموافق 26 أوت 1750، وذلك بعد ثلاثة أيام من وفاة شيخه أمحمد أبي نعامه، فأعلى الله مقامه ودرجته في الفردوس الأعلى.

قدي عبد المجيد

■ الحاج امحمد بن مالك
(و:1339ه - 1921م/ت: 1439ه - 2018م)

هو مَحمد بن محمد المختار بن محمد بن حمزة بن الحاج أحمد بن سيدي مَحمد بن مالك. من مواليد عام 1921م ببلدية أقبلي التي تبعد 60 كلم عن دائرة أولف و300 كلم عن مقر الولاية أدرار. توفي والده وهو صغير فتربى تحت رعاية أمه صفية.

وهو ينحدر من عائلة معروفة بالعلم، أنجبت العديد من العلماء تفرقوا في ربوع الصّحراء وحتى خارج الوطن ناشرين لعلوم الدين.

بدأ بحفظ القران الكريم في سن مبكرة بمسقط رأسه، ببلدية أقبلي على يد الشّيخ الطالب محمد بن عبد الرّحمان بن مكي بلعالم، فحفظ القرآن الكريم وأخذ عنه أيضا مبادئ الفقه، كما أخذ علم التجويد عن خاله الشّيخ محمد عمار بابا بن مالك. وفي سنة 1947م انتقل للتعلم بالمدرسة الطاهرية ببلدية سالي دائرة رقان ولاية أدرار، فتعلم بها الفقه وقواعد اللغة العربية ومبادئ علوم الشّريعة الإسلامية، على يد شيخها الشّيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، حيث دام تعلمه بها أكثر من سبع سنوات، تحصل بعدها على إجازات في مختلف العلوم الشّرعية واللغوية. من شيخه الطاهري.

أسهم في نشر المذهب المالكي عن طريق تأسيس مدرسة فقهية ليلية بعين صالح، وكان ذلك على إثر إحدى الزّيارات العلمية التي كان يقوم بها الشّيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي لهذه المدينة مصحوبا

ببعض تلاميذه، ففي هذه الزّيارة طلب بعض أعيان عين صالح من الشّيخ مولاي أحمد أن يبقي معهم أحد تلاميذه ليعلمهم وأبناءهم ما هم في حاجة إليه من أمور الدين الإسلامي فوقع اختيار الشّيخ على تلميذه المترجم له الشّيخ مَحمد بن مالك، لكن هذا الأخير عندما علم أن شيخه يريد أن ينصبه للتدريس بهذه المدينة أعرب لشيخه عن رغبته في ملازمته وعدم مفارقته ليستزيد من علمه لحاجته إلى ذلك. إلا أن الشّيخ رحمه الله طمأنه بأن ما يصبو إليه ويرغب فيه من العلم سيتحقق له وهو يدرِّس في عين صالح. هكذا أشار عليه بفتح المدرسة وأشرف على فتحها وتنصيبه بها مدرسًا. في أواخر سنة 1953.ودعا له بالخير والبركة والتوفيق.

تنوعت مجالات التدريس بالمدرسة فشملت العقيدة، وفقه العبادات، وفقه المعاملات، وعلم الميراث إلى جانب علم النّحو والصرف، وتم الاعتماد في تدريس هذه العلوم على مختلف المصادر التراثية الوازنة من قائمة متن العبقري ومتن المرشد المعين، ومتن أسهل المسالك، ومتن الرّحبية. ومتن الاجرومية ومتن الألفية والملحة. إضافة إلى بعض المصنفات الدينية كمختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني. وكان كما كان الشّيخ يشرح لتلاميذه قصيدتي البردة والهمزية اللتين مع إعراب أبيات كل منهما تدريبا للتلاميذ على الإعراب.

تجدر الإشارة إلى تعرض الشّيخ بن مالك لمضايقات شديدة من قبل السّلطة الاستعمارية في عين صالح وبخاصة خلال ثورة التحرير. حيث ناصبت السّلطات الاستعمارية الشّيخ ومدرسته عداء صريحا كما كان شأنها مع جميع المدارس العربية الإسلامية في أنحاء القطر الجزائري. ولعل مما ضاعف عداء المستعمر لمدرسة الشّيخ بن مالك تحديدا، هو افتتاحها قبيل اندلاع ثورة أول نوفمبر بسنة أو أقل. مما أدى إلى وضعها وشيخها تحت الرّقابة الاستعمارية المستمرة. لأن هذه الأخيرة كانت تتوجس شرا من مثل هذه المدارس، لاسيما وأنها تعمل على محاربة الوجود الفرنسي بالجزائر على خلفية ما تدرسه من مواضيع من بينها باب الجهاد الذي كان يدرسه الشّيخ من خلال المتون والمصنفات وهو ما لا يتوافق وأهداف وطموح الاستعمار. لذلك كانت الإدارة الفرنسية شديدة العداء لمدرسة الشّيخ بن مالك.

وعلى الرّغم من كل الصّعاب، فقد وفق الله شيخنا المفدى إلى تكوين وتخريج كوكبة مخلصة حملت مشعل العلم، ورفعت شعار نشر المعرفة في ربوع منطقة عين صالح العامرة بأفضال الله.

وقد تخرج من مدرسة الشّيخ مَحمد عدد لا يستهان به من الأئمة والوعاظ ومدرسي القرآن الكريم أمثال الشّيخ محمد الزّاوي رحمه الله، والشيخ محمد عبد الله لمغربي رحمه الله، والشيخ عبد العزيز الطالب، والطالب أحميدة غرمه، والطالب ناجمي محمد صويلحي، والشيخ أحمد ناصر، والشيخ الطالب عبد الله، والطالب أحمد بابه، والطالب محمد الغول، والطالب أحمد وانس، والطالب قدور لمغربي وآخرين. وبعد تسجيل نقص كبير غداة الاستقلال في تأطير المدارس الابتدائية دعا المسؤولون على قطاع التربية والتعليم العديد من تلامذة الشّيخ مَحمد، وسرعان ما ترقوا في سلم إطارات التعليم فبرز منهم أساتذة في التعليم المتوسط أمثال الشّيخ الطالب أمحمد لمغربي، والشيخ الطالب أحمد طاليبو رحمهما الله، والشيخ السّاقني قادي، والأستاذ شناي مبروك، والأستاذ حبركة عبد الرّحمان. كما ترقى البعض فأصبحوا أساتذة في التعليم الثانوي أمثال الأستاذ غرمه محمد عبد القادر رحمه الله، ولمغربي أمحمد عبد الرّحمان، ولمغربي لحسن، ودحماني محمد.

كما تتلمذ بمدرسة الشّيخ جمع غفير من أبناء عين صالح جمعوا بينها وبين المدرسة النّظامية، وأصبحوا إطارات فاعلة مجتمعيا من أطباء ومهندسين وأساتذة ومعلمين وإداريين وعمال مهنيين .

حيث ظل أثر مدرسة الشّيخ ظاهرا في مساراتهم المعرفية والسلوكية والمهنية

شاءت أقدار الله أن يلقى فضيلة الشّيخ ربه يوم الاثنين 02 ذو الحجة 1439هـ الموافق لـ 13 أوت 2018م. ففقدت تيدكلت بوفاته علما بارزا، ورجلا فاضلا، ومركز إشعاع علمي وإنساني ثمين.

رحمه الله وعظم الله أجر مدينة عين صالح والتديكلت في فقيدها واسكنه فسيح جناته.

العيد بوده

■ الحاج داود بن قاسم حواش
(و: 1322ه - 1904م /ت: 1410ه - 1990م)

الفاضل السّريّ السّيد الحاج داود بن قاسم بن الحاج بكير بن داود حواش، من عشيرة آت علوان بغرداية، وادي مزاب، الجزائر، سمّي بـ (داود) تيمّنا أن ينشأ كجده عملا وسلوكا، فكان منذ نعومة أظفاره يتّصف بالحيوية والنّشاط، ولد الحاج داود بن قاسم حواش في شهر محرم سنة 1322ه، الموافق لشهر مارس سنة 1904م بمدينة غرداية.

دخل الحاج داود (المحضرة) وهو لم يتجاوز من عمره ست سنوات، وحفظ نصيبا من القرآن على يد الشّيخ الحاج عيسى بن إبراهيم الزّاوي، إلى أن استظهره مفرّقاً بالألواح وهو لم يتجاوز 12 سنة من عمره، واضطرته الظّروف الاجتماعية ليسافر إلى مدينة سطيف سنة 1924م ليخلف أباه هناك في التّجارة، فعمل مع عمّه إلى أن انفرد بمتجر لوحده سنة 1938م، فكان مثالا للعمل والجدّية والنّشاط، وطيلة وجود الحاج داود بمدينة سطيف استمرّ في حفظ القرآن الكريم بأوقات فراغه على يد أحد المعلّمين، كما حظي أيضا بحضور دروس (الشّيخ البشير الإبراهيمي) هناك، وبعد ثلاث سنوات من الجدّ والاجتهاد والموافقة بين العمل والدّراسة وفّقه الله لاستظهار القرآن الكريم عن ظهر قلب سنة 1927م على يد الشّيخ (الحاج سعيد عمي سعيد) رحمه الله.

انخرط في سلك (إروان) بمسجد غرداية بعد استظهاره للقرآن الكريم، وانضمّ إلى حلقة الشّيخ حمو بابا وموسى شيخ وادي مزاب آنذاك، فكان يحضر حصصه كلّما سنحت له الفرصة عند الرّجوع من تجارة أبيه بمدينة سطيف، واستطاع في هذه الحصص المتقطعة أن يحفظ كتاب (النّيل وشفاء العليل) للشيخ عبد العزيز الثّميني رحمه الله، ودرس بالموازاة مع ذلك مجموعة من المتون: النّونية للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي، ومقدمة التّوحيد لعمر

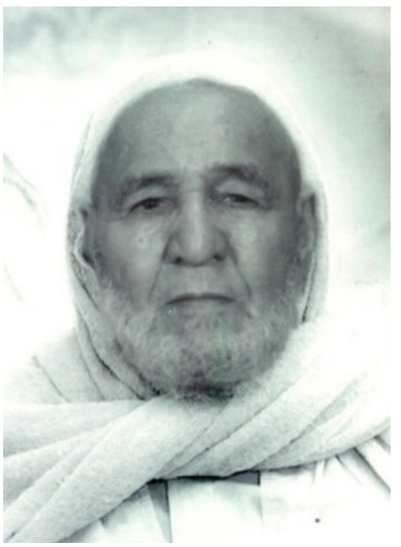

بن جميع... وغيرها، ولذكائه ونجابته كان شيخه يخصّه بحصص ليلية.

ولم يكن يتقاعس أيضاً عن خدمة الأرض إذ كان يتوجه إلى بستان والدّه فيعنى بجلب الماء من البئر بالزّجر بالدّواب في الثّلث الأخير من الليل وقد يرجع في وقت متأخّر من النّهار، وهكذا نشأ الحاج داود حوّاش بين التّجارة بمدينة سطيف والفلاحة بمسقط رأسه والمواظبة على حِلق العلم أينما كانت، لا يعرف معنى للفراغ ولا التّقاعس رحمه الله.

عرف الحاج داود حوّاش بالنّزاهة والأمانة، فقد كان يبالغ في ضبط الحسابات خاصة ما كان منها متعلّقاً بالمشاريع الخيرية والصّالح العام كمصاريف الحج...، وبالعطف والرّحمة فكان يهتم بشأن الفقراء والأرامل ويساعدهم بما استطاع من مال وغيره، وبالصّدق والصّراحة، فهو لا يُخفِي شيئا مما يجب إظهاره من أمر بمعروف أو نهي عن منكر، مهما كلّف ذلك من متاعب، وبالصّرامة، ولعلها من أبرز صفاته، حيث كان يردد دائما عبارة: (لا يكبر أحد أمامي غير الحقّ) وهي صفة لا بد منها لمن كان في مثل منصبه، وبالشّجاعة والإقدام، فالثّقة النّفسية التي كان يتحلّى بها كافية للصمود أمام المشاريع العملاقة التي أقامها، ولم يخل من الفكاهة والمرح، فإلى جانب صرامته وجدّه وحزمه، كان مرحا يبتسم للفكاهة ويفتح المجال للترويح عن النّفس، وحُقَّ له ذلك، حتى تتجدّد نفسه لعمل جدِّي يستقبله.

لم يكن الحاج داود حواش خلال فترة حياته في منطقة (سطيف) مشتغلا بالتّجارة وكفى، بل قام بعدَّة أعمال أثناء الثّورة التّحريرية في المنطقة وبالضّبط في جبل «بوطالب»، تحت إشراف الرّائد «العيفه"، وهذا مع جماعة من إخوانه نذكر على سبيل المثال "الحاج عيسى فخار" و»بوسحابة"...، وكانت مَهمَّته آنذاك جمع التّبرعات لفائدة الثّورة، وكان قد عايش أحداث يوم 8 ماي 1945م في مدينة سطيف، ونجا من القتل يومها بأعجوبة، حين وقع القمع والتّفتيش في الحي الذي يسكنه، وكان من كبار جماعة (سطيف) وإماما لمسجد الإباضية مدة من الزّمن.

في سنة 1945م انخرط الحاج داود حواش في حلقة العزّابة، وتسلَّم زمام الأمور كوكيل للمسجد في تلك السّنة خلفا للشيخ «باحمد بن صالح كيوكيو"، لِمَا لاحظوا فيه من إقدام ونشاط في جميع الميادين، وكان أكبرُ العزابة وقت انخراطه هو الحاج عمر الشّيخ صالح، ثم تقلّد منصب وكيل الأوقاف الإباضية من 1962م إلى 1978م بطلب من الجماعة، حيث عُيّن من قبل وزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف ناظرا للأوقاف الإباضية داخل وخارج الوطن، فقام بهذه المهنة أحسن قيام إذ يُوفِّر الرّاحة التّامة للحجاج أثناء وجودهم بالبقاع المقدَّسة، ويقضي مصالحهم ويُسهِّلُ عليهم من عناء السّفر وازدحام النّاس في أيّام الحج، أما في داخل الوطن فكان سبّاقا للحفاظ على الأوقاف والمنشآت الدّينية، حيث أشرف على ترميم سور «المسجد

العتيق» بغرداية، كما أشرف على بناء مسجد (بابا السّعد) سنة 1966م وغيرها من الإصلاحات والتّرميمات.

وفي حقل التّربية والتّعليم، لم يكن التّعليم منتظماً أو لديه إدارة تشرف عليه وقتَه، فقام سنة 1952م بعدة إصلاحات؛ أوَّلُها إنشاء إدارة تسيِّر أمور المدارس التّابعة للمسجد والمتكونة من الإخوة الشّيخ الحاج حمو عمي سعيد، وداود باجلمان، والحاج عيسى فخار، وعلي باعلي واعمر، وصالح نعلوفي، والحاج عمر بن بابا طباخ... وغيرهم، ومن تلك السّنة أصبح مديراً للتعليم متفان في عمله صارم في قراراته إلى آخر أيامه رحمه الله، وبعد أن منّ الله علينا بالاستقلال تطوَّرت هذه المدارس وأُدخِلت فيها دراسة بعض المواد بالإضافة إلى القرآن الكريم وذلك سنة 1962م، ونظرا للازدحام والضّيْق الذي عانت منه تلك المدارس قرَّرت الإدارة تحت إشرافه إنشاء مدرسة تتَّسع وتشمُلُ كلَّ أبناء المنطقة، فقامت ببناء «مدرسة المسجد» الحالية والمجاورة «لمسجد بابا السّعد» سنة 1968م / 1969م. ثم فكَّرت الإدارة في فتح «معهد» يأوي الطّلبة بعد التّعليم الابتدائي فشرعت في ذلك سنة 1973م بمقرٍّ مدرسة المسجد حالياً في انتظار نهاية بناء الصّرح الحالي للمؤسسة بحي «الشّيخ بعيسى وعلوان» سنة 1976م، والتّي كانت تدخَل عليها تحسينات وتوسيعات سنويا نظرا للإقبال المتزايد عليه، وكانت التّحسينات تجري فيها تحت إشرافه إلى حين وفاته.

وافته المنية يوم السّبت 26 رمضان 1410هـ، الموافق لـ 21 أفريل 1990م.

عيسى بن محمّد بوكراع

المصدر:

- الحاج داود بن قاسم حواش، حياته وآثاره، تأليف مجموعة من أساتذة معهد عمي سعيد بغرداية، 2017م.
- لقاء مع ابنيه: قاسم، وموسى.
- مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 15 سنة: 1988م.

■ الحاج دحماني أمبيريك
(ت:1402ه - 1982م)

الرّجل سليل مدينة عين صالح بإقليم التّيديكلت، الذي قَدِمَ منه إلى شمال التّاسيلي نازجر حيث استقر به المُقَام، وصاهر رفيقه في الجهاد جدي الشّيخ المجاهد الحاج محمّد بوده رحمهما الله، وقد رافقهما في مسيرة الكفاح المغفور له بإذن الله الحاج كادي أحمد المدعو التّيلامو الذي ترأس بلدية برج عمر إدريس غداة الاستقلال الوطني.

لقد تعرض المجاهد دحماني أمبيريك إلى مُضَايقات المستعمر الفرنسي الذي زَجَّ به في معتقل فلاتيرز سنة 1960م رفقة مجموعة من مجاهدي المنطقة الأفذاذ.

وقد ذكره المجاهد مشري بن بلقاسم بلعيد في شهادة اعترافه بجهاد الشّيخ الإمام محمّد بوده رحمه الله. حيث جاء في مضمون الشّهادة ما مؤداه:»... ولما اِكتُشِفَ أمره من قِبَل السّلطات الاستعمارية. أُلْقِيَ عليه القبض رُفْقَةَ مجموعة من الرّفقاء: آلودان ودحماني الحاج امبارك وبن سالم عبد القادر بن إبراهيم وحمادي بوجمعة بن محمّد وبن سالم أحمد ن إبراهيم واقتيدوا جميعا إلى سجن (fort Flatters) ببرج عمر إدرس حيث كُنْتُ أَقْبَعُ هناك في السّجن الانفرادي أين تَعَرَّضْتُ إلى أَبْشَع صور التّعذيب هناك. ثم أُفْرِجَ عن الطّالب بوده محمّد ورفاقه وبقيت أنا هناك وكان ذلك سنة 1960م.»

تم توقيع الشّهادة بتاريخ 09 جوان 2009م. بإمضاء المجاهد مشري بلعيد بن بلقاسم، وتأشير بلدية تبسبست بدائرة تگرت.

وللعلم فإن المجاهد الرّاحل مشري بلعيد (ت 2017م) الذي كان عميدا للشرطة العلمية بعد الاستقلال، وهو الذي قام بتلحيد شاعرنا السّامق مفدي زكريا بعد استقبال جثمانه العائد من تونس الشّقيقة. رحمهم الله جميعا.

كان المجاهد الرّاحل دحماني رحمه الله من ممارسي النّشاط التّجاري بعد استعادة السّيادة الوطنية، كما أكرمه الله تعالى بحج بيته الحرام سنة 1965م، ورافقه في ذلك: سيدي الشّيخ محمّد بوده، والحاج كادي التّيلامو، والحاج وانتيني أَخُو رحمهم الله جميعا.

توفي مجاهدنا الحاج أمبيريك شهر أكتوبر عامّ 1982م بتيماسينين... رحمه الله ورحم موتانا جميعا، وجزاه الجزاء الأوفى وجعله من المقبولين المكرمين. آمين آمين آمين.

العيد بوده

■ الحاج سليمان بن الحاج عمر بن بابا صالح بابزيز
(و: 1316ه - 1898م/ ت: 1400 ه - 1979م)

الحاج سليمان بن الحاج عمر بن الحاج محمد بن سيدي أحمد بن عبد العزيز بن الحاج داود بن الحاج أحمد بن بابا صالح بابز، ولد سنة 1316هـ/ 1898م. ت: 29/ 12/ 1979م. أصله من وارجلان (ورگلة) بالجزائر من عرش بني وقين بالقصر العتيق، ومن أبرز رجالات آل الحاج، هو شيخ عالم، واعظ زاهد، تقي ورع، عفّ اللسان، صافي الجنان، كثير السّماح، شيخ هيئة العزابة، وكبير رجالات الإصلاح بوارجلان ورائد نهضتها. نشأ في أحضان أسرة علميَّة محافظة، ميسورة الحال، بين أبوين كريمين، من سلالة طيبة كانت لها الصّدارة والريادة. والده الحاج عمر (ت: 1942م) ممَّن تولَّى منصب «الباشعدل" بالمحكمة الإباضية بوارجلان، ومن رواد الحركة العلميَّة في محضرة أبي يعقوب ابن سهلون، فتلقَّى الحاج سليمان مبادئ العلوم على يدي والده فحفظ القرآن الكريم واستظهره بإتقان، وكان لا يُبارى في حفظه، ولا يضاهى في ترانيمه وصوته الشّجي في التلاوة والمديح. ثمَّ انتقل إلى القرارة ضمن أوَّل بعثة وارجلانية سنة (1330هـ/ 1911م)، ليتتلمذ على يدي نور القلب الشّيخ الحاج عمر بن يحيى (ت: 1339هـ/ 1921م)، وكان من خيرة أعضاء البعثة، ولمَّا آنس من نفسه القدرة والكفاءة في التحصيل عاد إلى بلده؛ لينشر العلم والصلاح، ويلتحق بتأديب الصّبيان وتعليمهم بمحضرة الشّيخ أبي يعقوب يوسف بن سهلون. وكان يمتهن معه الخياطة لكسب قوته وإعالة أسرته، ويشرف على حقوله ومزارعه بين الحين والآخر، كما كان ملجأ بعض المرضى النّفسيين والروحيين يسعفهم بما حباه الله من القرآن والأذكار.

عاش فترة الاستعمار الفرنسي الذي بسط سطوته على البلاد وعانى منهم الويلات من تجويع وتجهيل وتغريب، ومع ذلك لم يتوان في جلب الخير وتحريكه لنفع أمَّته، كما أسهم في الثورة التحريرية بالتحريض والتوعية على محاربة العدوان، وحماية الأوطان من مكائد الشّيطان، وجمع التبرّعات، وإيواء الفدائيين، حتَّى شاهد لحظات الحرية واستقلال البلد من يد المستعمر البغيض. كان يتردَّد على واجلان من خارج البلد ثلَّة من رواد الإصلاح ورجالات الثقافة، يلبثون فيها الشّهور والسنين؛ لنشر الوعي، ومحاربة البدع والخرافات؛ فقصدها الشّيخ محمد عبد الرّحمن السّكوتيّ الملايخافي (ت: 1332هـ/ 1913م) من تْوَات (أدرار)، والشيخ امحمد بن يوسف أطفيش القطب (ت: 1332هـ/ 1914م)، وشيخه الحاج عمر بن يحيى من مزاب (غرداية)، ومن خريجي الزّيتونة وحلقات الشّناقطة (الموريتانية) وغيرهم كثير من مشايخ العلم والدعوة، فذاق طعم علومهم فزاده رغبة في التلقي وشوقا في الاستزادة، فرحل إلى معاهد ميزاب ليتفرغ فيها ويغترف من علمائها، فقصد أحد تلامذة القطب أطفيش الشّيخ صالح بن عمر لعلي (ت: 1347هـ/ 1928م) ببني يزجن، ثم ارتحل إلى الگرارة عند الشّيخ الحاج عمر بن يحي المليكي (ت: 1339هـ/ 1921م)، ثم بمعهد الشّيخ إبراهيم بن أبي بكر حفَّار عند افتتاحه سنة (1334هـ/ 1915م)، فأتقن حفظ القرآن وتعلَّم اللغة والأدب والفقه والعقيدة، واغترف من العلوم ما ينفي الجهل عن نفسه وأهله بكل اجتهاد ونشاط مع أقرانه من زعماء الإصلاح كالشيخ بيوض عمر والشيخ أبي اليقظان إبراهيم وغيرهما كثير ممن حمل لواء العلم والإصلاح الاجتماعي.

وبما أنه باشر التدريس في أشهر وأكبر المدارس بالبلدة آنذاك وتولى الإشراف عليها مدَّة، وهي محضرة الشّيخ أبي يعقوب ابن سهلون؛ فقد تخرَّج على يديه جمع كبير من الطلبة الذين حملوا مشعل العلم والتنوير وأمانة الدين في وارجلان قبل الاستقلال وبعده، منهم الشّيخ عمر بن داود بابزيز (بومعقل) وابن المترجم له الشّيخ إبراهيم بابزيز، وغيرهما كثير.

لم يترك تآليف مكتوبة إلاَّ بعض الرّسائل والأجوبة التي لم يبق منها شيئا معروفا، وكفاه شرفا أن يترك رجالات اجتماعية تولوا أمر الإصلاح وحملوا المشعل خلفه.

إن معاشرته لرواد الإصلاح والتجديد في معهد الشّيخ عمر بن يحيى كالشيخ بيوض والشيخ أبي اليقظان وغيرهما بثَّ فيه روح التضحية والإخلاص والتغيير نحو الأفضل مهما كانت الظروف، وتكالبت الأعداء.

بعدما أنهى دراسته في ميزاب وعاد إلى وارجلان لينشر ما تعلَّمه ويصلح ما يقدر عليه، التحق بتأديب الصّبيان وتعليمهم بمحضرة الشّيخ أبي يعقوب يوسف بن سهلون، وتولَّى إمامة الصّلوات الخمس في مسجد الشّيخ باسعيد، ثمَّ عيّن صغيرا ضمن أعضاء حلقة العزَّابة الهيئة العليا للمجتمع الإباضي. وكان من المؤسِّسين لجمعية الوفاق يوم 07 أوت 1930م، مع نخبة من الشّباب الغيور على دينه ووطنه أمثال رئيسها الأستاذ إبراهيم بن صالح أعزام (ت: 1384هـ/ 1965م) والطالب موسى بن محمد فقيه (ت:1397هـ/ 1977م) ؛ لمساندة هيئة العزابة الكبيرة في

أداء مهامها. وبعدما توفي إمامها وشيخ حلقتها الشّيخ الحاج أحمد بن محمد بومعقل (ت: 1936م)، استلم الرّاية وتقلّد المشيخة وتحمّل الأمانة والإمامة مواصلا مهامه وأعماله؛ فعمّ نفعه بالدروس والمواعظ التي يلقيها في مسجد العزابة الكبير «لالة عزّة». كما اشتغل بتسيير مختلف شؤون البلدة، والإشراف على نشاطاتها، فكان يستعين في جميع أموره بالرجال الأكفاء، الذين يزِنون الأشياء بميزانها، ويضعون الأشياء مواضعها. كما اجتهد في توسيع نطاق وجود الوارجلانيين وتوسعهم عبر نواحي وارجلان، فبادر جاهدا في وضع حجر الأساس لأوّل مسجد ومدرسة إباضية خارج حدود القصر العتيق، وهو مسجد الشّيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت570هـ) بحي بني ثور سنة 1974م/ 1394هـ. وبذل مهجته في الجهاد والكفاح والجمع بين أبناء القصر بعروشها الثلاثة إلى أن توفّاه الله تعالى.

كانت له رحلات كثيرة نحو المشرق لأداء مناسك الحجّ والعمرة، ولا تفوته إلا قليلا؛ تحقيقا لاسمه المضاف إليه «الحاج»، وتيمُّنا بآبائه الذين تسموا بذاك. وله زيارة مع مشايخ وعلماء إلى البيت المقدس، كما كانت له زيارات إلى ميزاب لمجالسة الخلان وحضور اللقاءات والمناسبات المختلفة والدعوة إلى الله بالنصيحة والإرشاد.

إضافات أخرى: (إدراج نماذج من شعره أو نثره)

الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز

المصادر:

- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، تر459.
- أبو اليقظان: ملحق السّير (مخ) 3/ 270.
- أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان، ص397.
- بومعقل سليمان: المفصل في أخبار آل بومعقل، تر21 (مر).
- المستكتب: مقابلات شخصية مع أبنائه وبناته وحفدته وبعض معاشريه.

■ الحاج عمر بن الطّالب أحمد حقيقة الرّويسي (الورگلي). (و: 1310ه - 1893م/ت: 1406ه - 1985م)

ولد ببلدة (الرّويسات) وسط (ورگلة) سنة(1893م)، ونشأ بين أحضان عائلة محافظة.

حفظ القرآن الكريم على يد والده (الطّالب أحمد)، الّذي كان معلّما للقرآن، وجالسّ شيوخ بلدته متعلّما على يد قطب أهل العلم في (ورقلة) الشّيخ (عبد القادر بن الحاج النّعيمي) فدرس قواعد اللّغة والنّحو والفقه، كما جلس إلى دروس (السّكّوتي)، والشّيخ (محمّد عبد القادر بلعالم) (بالرّويسات) صحبة العديد من أقرانه أمثال الشّيخ (محمّد بن الحاج عيسى)، الّذي كانت له صلة قويّة به، وكان يزوره في بيته حين ينزل مدرّسا (بالرّويسات).

وفي سنة (1915م) قصد الحاج عمر حقيقة (تونس) جامعا بين العلم والتّجارة غير أنّ إقامته لم تدم طويلا، فقفل راجعا إلى وطنه متزوّدا بالعلم ومعرفة الطّرق ومسالكها وفنون التّجارة وأسواقها.

اتّجه إلى الشّرق الجزائري ولزم صديقه المجاهد الثّائر الشّيخ (الهاشمي) في منفاه سنة (1917م)، وبعد خلاف بينه وبين أعيان بلدته (الرّويسات) ترك الدّيار (الورگلية) متّجها صوب (القاهرة) (بمصر) سنة (1922م)، وهناك مارس التّجارة وجالسّ علماءها قرابة عامين.

لم يشأ الحاج عمر حقيقة أن يسجّل عليه التّاريخ وصوله إلى (مصر) دون الصّلاة في (المسجد الأقصى) المبارك، وهناك وجد المغاربة جنبا إلى جنب مع إخوانهم في أولى القبلتين وثالثّ الحرمين.

وفي حدود سنة(1926م) قصد (مكّة) معتمرا وحاجّا وتاجرا متجوّلا، وطالبا للعلم والمعارف، وكان له اتصال بالحجّاج الوافدين من العالم الإسلامي في (المدينة المنورة)، كما ربطته علاقات بكبار تجّار ورعايا (الدّولة العثمانية) في (الحجاز) خصوصا الأعلام المهاجرين من (جنوب شرق آسيا) الّذين صاهرهم، ولكن بعد سقوط الخلافة العثمانية سنة(1924م) بدأت مشاكل هؤلاء الأعاجم وبدأ اضطهادهم والتّضييق عليهم باعتبارهم موالين للخلافة العثمانية ممّا اضطرّهم للهجرة وعودة بعضهم إلى بلدانهم، فكان الحاج عمر من العرب المضطهدين ليفر هاربا بعد أن اتّفق مع أحد التّجّار من (سنغافورة) رفقة عدد من إخوانه، وقد ذرف الدّمع ساعة مغادرته (مكّة) شأنه شأن العاشقين، وفي ذلك يقول:

بكت عيني أيام غادرت مكة وفي بدني
من ذا الفراق تالتّم
سالتّ إلهي أن يجمع شملنا عسى أن
أراكم بعتد إثر فأرحم
أصور هذا والدّموع مراقة من الجفن
والأسقام في القلب تضرم

وفي نهاية سنة(1929م) وبعد رحلة طويلة وشاقة في مياه المحيطين (الهادي) و(الهندي) للالتّحاق بإخوانه في تلك الجزر النّائية واكتشاف عالمهم البعيد، اقترب من المياه الإقليمية لجزيرة (سومطرة) أكبر الجزر (الأندونيسية) المنتشرة في المياه والتّي يفوق عددها(6000) جزيرة، وهناك كادت نهاية حياته حين انقلبت السّفينة بركّابها وربّانها، فكان الحاج عمر من النّاجين القلائل، وظلّ متجوّلا بين الجزر تاجرا معلّما ومتعلّما في بعض الأحيان.

انتقل الحاج عمر إلى أصهاره في (ماليزيا) التي سبقه إليها التّجّار العرب والمعلّمون مرورا (بسنغافورة) التي كانت له فيها جولات وعلاقات بالعلماء وكبار التّجّار، وفي (ماليزيا) اختار الحاج عمر مدينة (جوهر) التي وجد فيها ضالتّه حيث استقبله الأهالي مرحّبين، إذ محبّتهم للعرب جليلة ولأهل القرآن بصفة خاصّة، وهو شأن كلّ الأعاجم المسلمين، وازدادت محبّتهم لهذا العربي الّذي اختار بلدتهم وأنشأ بها مدرسة التّعليم القرآني، وقد لقيت المدرسة إقبالا واسعا وأثرا طيّبا، ودامت إقامة الحاج عمر حقيقية في تلك الدّيار النّائية قرابة خمس سنوات، وهناك تزوّج ورزق بمولودين ولد وبنت، له منهما أحفاد في كل من (ماليزيا) و(سنغافورة) وبلاد (الحجاز).

في شهر (ماي) من سنة(1934م)، وبعد رحلة طويلة حطّ الرّحال في بلدته (الرّويسات) في (ورگلة) ليجد ابنه الّذي تركه في بطن أمّه شابّا يافعا يبلغ 12سنة، إنّه نجله الأكبر (الحاج محمّد الهاشمي) الأستاذ الأزهري المتقاعد في (هران).

ظلّ الحاج عمر بنفسه التّوّاقة للسّفر والتّجوال ينتظر الفرصة ليرحل هذه المرّة إلى (ساحل العاج) في قلب (أفريقيا) السّمراء محتملا قساوة الطّريق وظروف الصّحراء، فاستقرّ في الحدود الشّرقية لهذه البلاد سنة(1939م)، حيث كان للتّجّار العرب المسلمين دورهم في الدّعوة لدين الله الحنيف ونشره، وكانت وسائلهم في ذلك التّجارة والقرآن وأخلاق الإسلام السّمحة.

بعد عامين من رحلة (ساحل العاج) وتجارة الذّهب الرّابحة كانت له رحلة ثانية إلى (جنوب أفريقيا) سنة(1941م)، حيث سافر إلى الجنوب الأفريقي مقتربا من مدينة (جوهنزبورغ)، ومن هناك عاد محمّلا ببضاعة غالية، إلاّ أنّ الاستدمار الفرنسي رصد أخباره وأوقفه في إحدى المداخل الحدودية في ولاية (أدرار) وتمّ سجنه هناك، ورغم ذلك استطاع أن يبقي على كمّية من الذّهب ليعود به إلى (ورگلة).

قضى الحاج عمر ما تبقّى من حياته بعد هذه الرّحلات محبّا للعلم وأهله مترصّدا أخبارهم ملتزما مسجد (سي محمّد عثمان) قرب سوق (الرّويسات) مدرّسا وإماما متطوّعا، وقد عرف بالتّواضع والصّبر وهو الّذي ابتلاه الله بفقد البصر.

من الكتب التي ألّفها الحاج عمر حقيقة في (ماليزيا) لتكون عونا له في تدريس مادّة التّوحيد كتاب (غاية المرام أسئلة في علم الكلام)، وبعد أن أكمل نسخه وتنسيقه أودعه المطبعة الكاثوليكية، فلمّا قرأت لجنة المراقبة في المطبعة الكتاب وأدركت فحواه وضعته جانبا وبدأت تتماطل وتتعلّل بجملة من الأسباب إلى أن أعلنت ضياع المخطوط الثّمين، فرفع الحاج عمر حقيقية قضيّة ضدّها في المحكمة التي حكمت لصالحه وغرّمت المطبعة، وللإشارة تمّ طبع هذا الكتاب سنة(1962م) في مدينة (الدّار البيضاء) (بالمغرب) بإشراف نجله الأكبر (محمّد الهاشمي حقيقة) وهو أحد خرّيجي الأزهر الشّريف(مصر).

كما له مجموعة رسائل ومخطوطات ضاعت كلّها أيّام الاستدمار ومداهماته المفاجئة نهاية الخمسينيات وأحداث الثّورة، ولم يبق منها سوى كتابه (غاية المرام أسئلة في علم الكلام) وقصيدته التي بعث بها إلى أهله (بورگلة) سنة (1929م)، أثناء مغادرته البلد الحرام يقول فيها رحمه الله:

أبي إخوتي صبو الحمى هزني لكم
وأرياح أرضي من شذى الكرخ تنسم
فصرت أداري الوحش ثمّ أذيعه وأعلن
هذا الوحش حينا وأكتم
وما وراق لي حلّى بسنغافورة هنا الجسم
والرّوح هناك تخيم
هناك أحشائي تذوب وهاهنا فؤادي متى
حركته يتضرّم
وإن معي ما لو بثثت من الأسى لآلم قوما
والحقيقة تؤلم
بكت عيني أيام غادرت مكّة وفي بدني
من ذا الفراق تالأم
سالتّ إلهي أن يجمع شملنا عسى أن
أراكم بعد إثر فأرحم
وألف سلام في سلام يبثه لكم عمر
المشتاق والمتألّم
أصور هذا والدّموع مراقة من الجفن
والأسقام في القلب تضرم

توفّي يوم (27 أكتوبر1985م) ببلدة (الرّويسات) (بورقلة)، عن عمر ناهز(92) سنة.

نسيمة لوح

المصادر:
- من أعلام الجنوب الجزائري، إبراهيم بن ساسي، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعية، وحدة الرّغاية، الجزائر،2011م.

■ الحسين رويبح
(و: 1341ه - 1922م/ت: 1341ه - 1960م)

ولد الشّهيد الرّائد رويبح الحسين بتاريخ: 22 جوان سنة 1922، بمدينة جيجل، تلقى تعليمه بإحدى المدارس بمسقط راسه، حيث غادر مقاعد الدّراسة وهو يحمل مستوى القسم النّهائي نشأ الشّهيد في اسرة تحترف التجارة وما أن بلغ سن الرّشد حتى أصبح تاجرا في محل أبيه، ومنذ شبابه كان يميل الى العمل السّياسي، اذ أنه في سنة 1943 كان مناضلا في حزب الشّعب، ثم اصبح مسؤول خلية بجيجل

وبتاريخ 13 ماي سنة 1945 ألقي عليه القبض من طرف الاستعمار الفرنسي حيث مكث حوالي ثلاثة أشهر محبوسا بالثكنة العسكرية، بجيجل، وبعدها نقل الى محتشد سطح المنصورة بقسنطينة، وأفرج عنه في شهر اوت من نفس السّنة ثم استأنف الشّهيد نشاطه التجاري مع أخيه، وفي نهاية 1945 ومع مطلع سنة 1946، قدم الشّهيد بلوزداد محمّد الى مدينة جيجل، في اطار تنظيم الحزب المسمى آنذاك: (حزب انتصار الحريات الدّيمقراطية) الذي انضم إلى صفوفه الشّهيد كمناضل ثم مسؤولا حيث يعتبر من المناضلين الاوائل الذين اسسوا هذه الحركة على مستوى ناحية جيجل آنذاك في سنة 1947، انشئت المنظمة السّرية العسكرية بقيادة بلوزداد محمّد رحمه الله، وبمجرد بروزها انضم اليها الرّائد الشّهيد.

وكان الشّهيد محل انظار الشّرطة الفرنسية، وقد ألقي عليه القبض سنة 1948، وأطلق سراحه بتاريخ 2 سبتمبر من نفس السّنة وقد واصل نشاطه السّياسي بدون انقطاع الى غاية سنة 1950، حيث وقع في قبضة الاستعمار الفرنسي بمدينة جيجل، وسيق الى سجن عنابة، الذي بقي به مدة ثلاثة أشهر، ثم عاد الى مسقط رأسه وهو مسؤول قسمة جيجل آنذاك التي كانت تمتد الى دوار بني بلعيد، بلدية العنصر دائرة الميلية -والي العوانة دائرة جيجل حاليا.

والتي عليه القبض في الرّابع نوفمبر من سنة 1954، الا انه لم يمكث طويلا وألقي عليه القبض مرة أخرى وذلك في الثّاني والعشرين من شهر ديسمبر 1954 سيق إلى سجن الكدية بقسنطينة، حيث مكث مدة شهر ومن هناك نقل إلى سجن بربروس بالجزائر العاصمة.

ويقول الاخ حسن شقيق الشّهيد بأنه عندما ألقي عليه القبض من طرف رجال الدّرك أخذوه الى ثكنتهم بمدينة جيجل، وقد طلب منه مسؤول الدّرك بالتخلي عن العمل السّياسي، والرجوع الى عمله الاصلي في البريد بالمدينة المذكورة، واعدا اياه بأنه سيقدم له ولأشقائه كل المساعدات التي يحتاجونها ماديا ومعنويا ويضيف حسن بأن مسؤول الدّرك لم يكتف بذلك، بل حاول أن يغرى الشّهيد بما هو أكثر من ذلك، حيث أدخله في تلك اللحظة الى غرفة تحتوى بين جدرانها على طاولة يبلغ طولها مترين وعرضها مترا وعشرين سنتمتر فوقها مبلغ مالي هام وترجاه بأن يتقبل ذلك المبلغ الضّخم منه كعربون لصداقته.

إلا أن الشّهيد رفض ذلك قائلا: «انني لست بحاجة الى هذا المبلغ، وليكن في علمك أيها القائد أن الجزائر عربية مسلمة». فذكره مسؤول الدّرك بأن شقيقه حسن يعمل عند معمر، وسيطرد من عمله في الحين إذا لم يستجب لطلبه، فرد عليه الشّهيد بسرعة وعنف «انني متأكد تماما ان شقيقي حسن لو لم يكن يعمل من أجل مصلحة هذا المعمر لكان قد طرده من قبل، ولذا أكرر على مسامعك أيها القائد مرة أخرى عليكم بمغادرة ارضنا. فالجزائر عربية مسلمة».

وعندما يئس قائد الدّرك من استمالته، حوله الى سجن الكدية بقسنطينة كما سبق، وحكم عليه بالسجن لمدة عام ويوم، بالإضافة الى غرامة مالية تقدر بخمسة الاف فرنك (5 الاف دينار).

وبعد خروجه من السّجن المذكور في شهر ديسمبر 1955، التحق بصفوف المجاهدين. ونظرا للعلاقات النّضالية التي كانت تربطه بالشهيد عبان رمضان بعث هذا الاخير برسالة الى العقيد الشّهيد زيغود يوسف رحمه الله أوصاه فيها بالعناية بالشهيد رويبح الحسين حيث يعتبر أحد الاطارات المناضلة المعروفة. وقد تولى الشّهيد مسؤوليات عديدة، أولاهما مسؤول ناحية، وفي بداية سنة 1956، اتصل بالقائد الشّهيد زيغود يوسف حيث عينه هذا الأخير في أركان الجيش بالمنطقة التي يشرف عليها المجاهد: عبد الله بن طوبال وكانت مهمته مستشارا سياسيا. وذلك الى غاية انعقاد مؤتمر وادى الصّومام حيث اصبح عضوا بالمنطقة، ثم بالولاية برتبة رائد ومحافظ سياسي.

كان الشّهيد يتصف بسمو الاخلاق ونكران الذات، ومن اقواله المشهورة:

انه عندما عرض عليه اهله الزّواج فأجابهم بأنّه متزوج بالسياسة، وفعلا لم يتزوج مطلقا.

وخلاصة القول فان الشّهيد قد لعب أدوارا كبيرة جدا الى آخر لحظة من عمره، حيث استشهد في ساحة الشّرف بتاريخ: 9 نوفمبر 1960، في مكان يدعى (عين لبنة)، بعد مقاومة عنيفة مع الجيوش الفرنسية التي كانت تطوق هذه النّاحية بمختلف الوسائل الجهنمية.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- حسن بومالي، مجلّة أوّل نوفمبر 1954 العدد 47 سنة 1980 ص 19.

■ الخليفة سي الشّريف

(و: 1217ه - 1803م/ت: 1280ه - 1864م)

الخليفة سي الشّريف هو خليفة الأمير عبد القادر في منطقة الجلفة سمي على ذلك لأنه خليفته، ولد الشّيخ الشّريف بن الأحرش في شهر جوان سنة 1803م، وذلك في أرجح الرّوايات، ونشأ نشأة دينيّة في حضن أهله وحجر والدّيه، ولما بلغ من العمر 18 عاما، بلغ به الظّمأ العلمي أقصاه، فانتقل إلى الزّاويّة المختاريّة بأولاد جلال طالبا للعلم ومريدا ينشد أعلى المقامات، وكان الشّيخ المختار بن عبد الرّحمن حينذاك وفريد العصر والأوان في التّقوى والصّلاح، وعالما متمكنا من شتى العلوم الدّينيّة، يحكي صاحب كتاب (تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان) عن تتلمذ الشّيخ الشّريف بن الأحرش عن الشّيخ المختار بن عبد الرّحمن -رحمهم الله جميعا - قائلا: (... فأخذ عنه العهد، ولقنه الأسماء، وجعله في الخلوة خمسين يوما، فظهرت عليه الأسرار الرّبانيّة، والأحوال النّورانيّة، فأحبه حبا ملأ ما بين جوانحه واغتبط به اغتباط الأم بوحيدها...)

وقد أخذ الشّيخ الشّريف العلم عن علماء أجلة آخرين، منهم الشّيخ محمّد بن السّعيد بن بركات، والشّيخ محمّد الزّين بن بركات، وقد كانا ذوي باع لا يلحق شأوه في علوم الفقه والتّفسير، وقد أجاد الشّيخ دراسة الصّحيحين والموطأ والشّفاء للقاضي عياض وشمائل التّرميذي والمواهب اللدنيّة والجامع الصّغير، وتمكن من النّحو والبيان والمنطق والفلك والأصول وعلم التّصريف وعلم التّصوف، وأظهر تفوقا كبيرا في كل هذه العلوم، ولما ظهرت للشيخ المختار المكانة العلميّة العاليّة التي وصلها في التّحصيل تلميذه ومريده كتب له بخط يده: (...انك مني كأبي بكر الصّديق -t من النّبي r وأذن له في إعطاء العهد وتعمير زاويّة ببلده، وطار ذكر الشّيخ في الآفاق، وسمع به الخاصّ والعامّ وسارت باسمه الرّكبان، وذكره النّاس بسجاياه المصورة وخصاله الرّفيعة،

كيف لا وهو مقدم الزّاويّة المختاريّة الأول؟! كيف لا وهو سيغد وشيخ زاويّة لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على الهويّة الثّقافيّة والعلميّة للوطن وأمدت الأجيال المتعاقبة بفتيل سوف يغدو شعلة تنفجر منها بعد ذلك وبعد حين من الزّمن ثورة الفاتح نوفمبر الخالدّة.

كانت قبائل أولاد نائل تتمتع بثراء واسع وعدد هائل، وتتميز بتمرس أبنائها على الفروسيّة، ولذا كانت محل تنافس بين المتمردين الذين كانوا يظهرون بين الفينة والأخرى، والفرنسيين والأمير الذي كان على ما يبدو يدخرهم كقوة احتياطيّة إلى ما بعد المعاهدة، وندرك اعتناء الأمير عبد القادر بهم وحرصه على استمالتهم من خلال وصفه لخيولهم بأنها من أحسن الخيول... ففي كتاب (خيول الصّحراء) للجنرال (أوجان دوما) وردا على سؤال أجود الخيول، أجابه الأمير: خيول أولاد نائل، وأضاف:(لأنهم لا يتخذونها لشيء غير القتال).

ولعدة أسباب، سياسيّة واقتصاديّة وعسكريّة، راح الأمير عبد القادر يراسل أولاد نايل علّه يتمكن من إضافة دولة جديدة إلى دولته، وقوة عتيدة إلى قوته، وقد تأتي له ذلك بدايّة من سنة 1836م، ويكون ابن البوهالي، شيخ قبيلة سعد بن سالم، من الأوائل الذين راسلوا الأمير، وأبدوا رغبتهم في الانضمام إلى دولته، وتتابعت بقيّة

قبائل أولاد نايل التي قسمت إلى ستّ فرق، لكل فرقة قائد، وكانت التّالي: محمّد بن زبدة قائد على أولاد عيسى، محمّد بن عطيّة قائد على أولاد ضيا، تلي بلكحل قائد على أولاد سي أحمد، الشّيخ حران قائد على أولاد أم هاني، الشّيخ ابن البوهالي قائد على أولاد سعد بن سالم، وكان يقودها جميعا الشّيخ عبد السّلام بن القندوز شيخ أولاد لقويني، الذي تنازل عن مهامه تدريجيا لابن أخيه الشّيخ الشّريف بن الأحرش، الذي كان قد لفت انتباه الأمير، فعينه خليفته بعد ذلك، وقد تمت مبايعة أولاد نايل للأمير سنة 1837م بالمكان المعروف بالكرمونيّة، أي الكرم والنّيّة، وهي صفاتهم البارزة، وقد كان الشّريف بن الأحرش صاحب الوساطة بين الأمير وبقيّة شيوخ القبائل، والذي لعب الدّور الأكبر في هذه البيعة، بقي أن نشير إلى أن خلافة الشّريف بن الأحرش بدأت سنة 1843م بعد أن كان الأمير قد وضع قبائل أولاد نايل تحت سلطة سي الحاج العربي ولد الحاج عيسى خليفته على الأغواط، ويقول الباحث عمر خضرون إن كل من (درمنغم) و(آرنو) و(ماري مونج) يثبتون الخلافة لسي الشّريف بن الأحرش، إذ بعد مقتل خليفة الأغواط الذي لم يكن في مستوى المسؤوليّة، بل كان يقضي معظم وقته في الدّفاع عن نفسه ضد المتمردين من بني قومه يكون الأمير قد رأى في سي الشّريف الوحيد من بين الأعيان الذي يستحق أن يكون خليفته المباشر على أولاد نائل.

لقد احبه الأمير عبد القادر حبا عظيما وخصه بمكانة خاصة، وقد رافقه الشّيخ الشّريف بن الأحرش إلى عدة أماكن ليعرفه بأعيانها، ففي شهر أوت 1837م قام الأمير برحلة كبيرة وذلك طبعا أثناء معاهدة التّافنة، وقد قادته الرّحلة إلى جبل عمور وقورو بآفلو. وهناك لقيه الشّريف بن الأحرش مع جمع من الأعيان وأكدوا له بيعتهم. ويروي الباحث "فرانسوا دوفيلاري" أن الشّريف بن الأحرش مشى مع الأمير بعد ذلك حتى وصلا مدينة بوسعادة وقد التّقيا أثناء ذلك بأعيان مسعد والهامل وطاقين، أين افترقا حين تأكد الأمير من مساندة جميع القبائل وشيوخ الزّوايا لمقاومته وكيف لا يكون الأمير قد احبه وقد جعله خليفة له ومن أقرب المقربين إليه، واصطحبه في معظم رحلاته ولجأ معه إلى المغرب وكيف لا يكون الأمير قد أحبه وقد زوجه من الإسپانيّة (ماريا دولوراس) التي عثر عليها رجال الأمير في نواحي مليليّة بالمغرب مع أختها، فأتوا بهما إلى الأمير الذي زوج الكبرى من الشّريف بن الأحرش والصّغرى أهداها لعبد السّلام بن القندوز الذي زوجها بدوره لابنه محمّد.

تزوج إذن الشّريف بن الأحرش بماريا، التي عرفت فيما بعد بـ (فاطنة العلجة) ويقول (فرومنتان) عنها وعن أختها «وقد قبلت الفتاتان الملابس والتّقاليد العربيّة كما اتخذتا لسان زوجيهما، ومضيتا بذلك عن اقتناع حتى بعد انتهاء المقاومة « ونشير إلى أن زوجته الأولى حفصة أو أسماء بنت الشّيخ المختار قد توفيت قبل ذلك بزمن، مخلفة له أبنا ما لبث أن فارق الحياة ولم يتجاوز 16 عاما بعد.

ونشير كذلك إلى أن ذريّة الشّريف بن الأحرش تنحدر من العلجة، التّي تعرف بإسمها اليوم مقبرة بمدينة الجلفة، وهي (المجحودة) وهي لم تمت مقتولة كما تشير بعض الرّوايات، بل ماتت موتة طبيعيّة، و(جحدت) لأنها ليست من الأعيان، فدفنت خارج المقبرة الرّسميّة التي بها زوجها، والتّي هي عبارة عن مصلى بجانب الزّاويّة، لكن لما رأوا أن قبرها أصبح مقبرة بسبب توافد بقيّة القبائل على الدّفن هناك، قاموا بالتّنازل عن نظريتهم الأولى، ودفنوا بقيّة أعيانهم بالمجحودة. هذه المقبرة التي بدأ اسمها يتغير بعد دفن ولي صالح بها، فأصبحت تعرف بمقبرة (علي بن دنيدينة) بقي أن نشير إلى أن مواصلة البحث في حياة الشّيخ الشّريف بن الأحرش قد تكشف لنا الكثير عنه، وهي مهمة ليست سهلة بعد الإقصاء الطّويل الذي عرفه هذا الرّجل، ولا أدل على هذا الإقصاء من أن الشّيخ الشّريف لم يرد ذكره ـ كما يؤكد الباحث عمر خضرون ـ في أي مرجع من المراجع التي تتحدث عن خلفاء الأمير المهمين، مثل محمّد بن علال، وأحمد بن سالم، ومحمّد البركاني، وكذا عن خلفاء أقل أهميّة بكثير، والذين ذكروا برغم تلك الأهميّة الضّئيلة، مثل خليفة الأغواط الآنف الذكر.. هذا إضافة إلى أن الشّيخ الشّريف بن الأحرش بقي وفيا للأمير ولم يستسلم حتى طلب منه الأمير ذلك خوفا عليه، وحرصا على عائلته وأهله، فاستسلم الشّيخ الشّريف بن الأحرش سنة 1848م، وقد حبس وعائلته في بوغار بادئ الأمر، ثم وضع تحت الإقامة الجبريّة بالمديّة وقد أطلق سراحه في 1850 م، ليواصل كفاحه ببنائه لزاويته وتعميرها، وليجعلها ساحة كفاح يتجدد في كل وقت وحين. وقد دفعت مواصفات الخليفة بن الأحرش وبسالته واستماتته الأستاذ عبد

الباقي هزرشي إلى القول: (إن هذه المواصفات تؤهله في نظرنا إلى مرتبة بطوليّة، وتجعله إحدى الشّخصيات المرموقة من تاريخنا المحلي والوطني، وتفرض على باحثينا ومؤرخينا وأحفاده مسؤوليّة جسميّة في التّنقيب عن مخفيات دوره وإسهامه التّاريخي).

ولم يفتر جهاد شيخنا الشّريف بن الأحرش بالسّيف حينا، وبالكلمة حينا، وبالرّأي أحيانا أخرى إلى أن قتل خطأ سنة 1864م في شهر أكتوبر، لتبدأ حياته في أرواح خلفه ومحبيه، ولم يمت حقا إلا يوم أن أهملت زاويته وتاريخه وأشياؤه، وإنها إذا عادت كما كانت فتأكدوا أنه سوف يعود.

قال عنه المؤلفان قوفيون في كتابهما (أعيان المغاربة) المطبوع سنة 1921م في الصّفحة 98: (...المقدم الأكثر شهرة في الطّريقة الرّحمانيّة السّائدة بين أولاد نائل، وبعد وفاة والدّه عاد سي الشّريف (من زاويّة أولاد جلال) إلى أهله من أولاد القويني وكرس معظم وقته للتدريس والأعمال الخيريّة، فلما قامت مقاومة الأمير، كان سي الشّريف مقتنعا بفكرة الجهاد، فوضع نفسه في خدمة الأمير بذكاء وقاد بشجاعة نادرة لفتت إليه انتباه عبد القادر فقربه إليه وجعله من نوابه المهمين...)

وكان يصفه الجنرال دي براي في مذكراته التي طبعها بباريس سنة 1894م بالشّخصيّة العظيمة. أما أوجين فرومنتان حينما جاء للجلفة سنة 1853م اندهش لشخصيّة هذا الرّجل ففاضت عبقريته برسم ملامحه خطا وصورة، إذ رسم البورتريه المشهور والمتداول للشيخ، وكتب عنه وعن ملامحه وصفاته وسجاياه في كتاب (صيف في الصّحراء) المطبوع بباريس سنة 1912م ومن ذلك قوله: (... ألمح قبالتي في شخص هذا السّيد العظيم الماثل أمامي، ذي السّجايا الدّمثة، أحد الأمراء الأكثر رخاء وبسالة، إنه الأكثر اعتبارا، ولعل الأمر في هذا عائد إلى سعة ثروته ومكانته السّياسيّة العاليّة واستنادا إلى سوابقه العسكريّة الباهرة...). ويصفه أيضا بالرّجل العظيم والضّخم ذي العينين البارزتين، والوجه السّاكن والوديع والخالي من اللحيّة تقريبا، ولا يفوته كذلك الحديث عن ثروة الشّيخ فيقول أن سي الشّريف يملك قطعانا ضخمة من الأغنام وما يقارب ستة آلاف (6000) من رؤوس الإبل وحدها.

حبيب مونسي

■ الشّريف المقدم الكبير سيدي العيد بن الحاج بن سالم بن محمّد التّجاني الحسني (و: 1298ه - 1881م)

الشّريف المقدم الكبير سيدي العيد بن الحاج بن سالم بن محمّد التّجاني الحسني، وأمه هي السّيدة زهرة، ولد سنة 1881م بالبياضة، حفظ القرآن الكريم منذ صباه، وتلقى المبادئ الأولى للغة العربية والفقه والتّوحيد على يد والدّه والطّالب عثمان بن حميدة بكاري.

وأكمل تكوينه العلم تكوينا عصاميا في شتى علوم الشّريعة الإسلامية، فقد كان كثير المطالعة، شغوفا بالكتب لا تكاد تفارقه أبدا.

وخلال تردده على تونس كان يقصد علماء وأساتذة جامع الزّيتونة، فكانت له لقاءات كثيرة مع الشّيخ الطّاهر بن عاشور، وفي سنة 1950 م منحه إجازة في علم الحديث.

كان الشّيخ سيدي العيد عالما عاملا، ومرجعا فقهيا مفتيا، واسع الإطلاع، كما كان له قدم راسخ في علم الحديث و المعرفة بالسّنة.

كان يؤم المصلين في المسجد، ويخطب الجمعة والأعياد، ويجيب على أسئلة النّاس، كما

كانت له لقاءات ومراسلات مع الكثير من العلماء في تونس والجزائر والمغرب ومصر.

وكان يعقد حلقات العلم، منها بعض الدّروس الخاصة التي كان يقدم فيها «إرشاد السّادي في شرح صحيح البخاري» في بيته يحضرها بعض الطّلبة منهم: الطّاهر عيشوش، والعربي عيشوش، والبشير طليبة، وعلي طليبة، وعلي بن عمر تجانية، والعروسي بن عمارة، والحبيب همیسي، والبشير قزي، والبخاري عوينات، هذا الأخير الذي كان يحضر هذه الدّروس ليلة الخميس فقط وذلك عند ذهابه إلى الوادي قادما من العقيلة، والذي وصفه بطول الباع والفصاحة العجيبة.

وقد ذكر لي الشّيخ البخاري عوينات: بأن الشّيخ سيدي العيد كان كثيرا ما يورد آيات خاصة في جميع دروسه، وهي الآيات التي تحذر من الولاء للكفار والظّالمين، وهو يقصد الاحتلال الفرنسي كقوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾آل عمران: 25

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ الممتحنة1

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة: 254.

وهذه في الحقيقة إحدى مواقفه الرّائعة التي تعبر عن بصيرة وفقه.

اشتهر الشّيخ سيدي العيد بالمساعي الحميدة في إصلاح ذات البين عبر مدن وقرى وادي سوف، انطلاقا من مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وكان شعاره: {إنما المؤمنون إخوة} حيث لم يكن يميز بين النّاس، بل كان أخا للجميع، لذلك نال احترام وتقدير الجميع، فكان مرجعا في حل مشاكل النّاس، وإطفاء الفتن وفض الخصومات والنّزاعات.

لقد كانت ثقة النّاس فيه كبيرة لعلمه وتقواه ونزاهته، فكان لا يقف في خصومة إلا سلم له الجميع، وتنتهي بالرّضى والتّسامح، ومن لم يرض بحكمه ـ في بعض الحالات وهذه طبيعة بشرية ـ كان يلام ويعنف على ذلك من طرف الحاضرين، ومما يحكى في هذا الشّأن أن قاضي الوادي ضج منه، واشتكاه إلى السّلطات الفرنسية، واتهمه بأنه يدير محكمة ويأخذ على ذلك عمولات.

اتصلت السّلطات الاستعمارية بالمقدم سيدي العيد وسألوه عن ذلك، فأجب بأن عمله هو الإصلاح بين النّاس وفض خصوماتهم وهذا برضاهم دون مقابل مادي، بل» نزيد من عندنا الشّاي، وربما الغذاء والعشاء، وهذا لوجه الله»، وما لبث أن ندم القاضي على فعلته هذه، واعتذر لسيدي العيد عما صدر منه، وكان يزوره عند كل مناسبة في حياته، وبعد وفاته.

بل كان هذا القاضي يسأل المتخاصمين إذا ما ذهبوا إلى سيدي العيد أم لا؟ من ذهب إليه ثم جاء الى المحكمة... كان يشدد عليه الحكم، لأنه لا خير فيه، ومن لم يذهب، كان يعطيه أحكاما مخففة ويعامله بلين.

ذات مرة جاءه أحد أصهار القائد بن موسى (الوادي) في قضية إرث، يشكو إليه عدم إنصاف زوجته في مراث أبيها، فأرسل لهم سيدي العيد ورقة كتب فيها: « أن فلانا جاءه يدّعي أنكم لم تنصفوا زوجته في مراث أبيها، فالرّجاء منكم إنصافها وتطبيق حكم الشّرع في ذلك، وإني مار بكم بعد يومين لأشرب معكم كأس قهوة» وما أن وصلت الرّسالة حتى اهتز لها الجميع، وقالوا له فضحتنا عند سيدي العيد، وتنادوا وأعادوا القسمة من جديد.

وفي موقف آخر: أن أسرة بحي العواشير (الرّباح) بعث لهم أبوهم المغترب حوالة بها مبلغ من المال، ولما وصلت الحوالة إلى دكان الحي استلمها صاحب الدّكان، واحتفظ بها لنفسه، وبعد أيام وصلت الأسرة رسالة من الأب تخبرهم بالحوالة، فسألوا عنها صاحب الدّكان فأكد لهم وصولها، وأخبرهم بأنه خصمها من ديون عليهم، وتوسطوا إليه بالعديد من الجيران لكي يعطيهم المبلغ لأنهم في أمس الحاجة إليه، فرفض، فشكوه إلى القاضي بذلك، فسألهم: هل صحيح أن عليكم ديونا له، فقالوا: نعم، فقال: له الحق في ذلك... فاتجهوا إلى سيدي العيد، فأخبروه بما حصل وأعلموه بأنهم في حاجة إلى هذا المبلغ... فبعث إليه برسالة يرجوه فيها تسليم المبلغ إلى أصحابه، والتّوسيع عليهم في موضوع الدّين تطبيقا لقوله عز وجل في ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: 280. فما أن وصلت الرّسالة إلى

صاحب الدّكان... حتى صاح فيهم: فضحتموني مع سيدي العيد، وسلم لهم المبلغ.

وفي موقف آخر دعي لفض خصومة بين عائلتين على أرض بحي أولاد تواتي (الوادي)، وكان من عادته في مثل هذه المناسبات أن يستعين بالفلاحة (أصحاب الخبرة بالأرض)، وتمت عملية التّقسيم، ورسم سيدي العيد الخط الفاصل بينهما، فرضي (ع)، ولم يرض الأخر (خ) وبعد محاولات اقتطع سيدي العيد قطعة من أرض (ع) وأضافها إلى ارض (خ)، وتراضى الطّرفان، بعد أن قال: لـ (ع) أقبل، فقبل

فقال لمن معه: هيوا بنا نعطي فاتحة لـ (ع) فدعوا له، وبعد سنوات ملك (ع) كل الأرض وبارك الله له ولذريته في أرزاقهم إلى يومنا هذا.

وفي سنة 1942 وقعت مناوشات بين عرشين بالبياضة (ع) و(ظ) فأعلم سيدي العيد بذلك ودعي لفض الاشتباك بينهما، فأسرع إليهم وفصل بينهما وانهى الإشتباك، وكان الطّرفان يتقاذفان بالحجارة، فأصابته واحدة في رأسه، فأخفى ذلك عن أقرب النّاس إليه (زوجته وأولاده)، وكان يداوي جرحه بنفسه مستعملا مرآتين واحدة أمامه وأخرى خلفه لأن الجرح كان في الخلف، ولم يتفطن الي ذلك إلا زوجته عندما لاحظت وجود مرآتين في غرفتها واختلاء الشّيخ بغرفته، فدخلت عليه فوجدته يعالج نفسه، وهكذا دأب الصّالحين المحتسبين.

كان سيدي العيد كثيرا ما يزور القرى والمداشر، فيجتمع حوله النّاس فيلقي عليهم دروسا ومواعظ، ويجيبهم عن أسئلتهم كما يجلس لفض النّزاعات والخصومات فيما بينهم، وبعد اندلاع الثّورة كان يغتنم فرصة هذه اللقاءات للتوعية والحث على الجهاد والإسهام في مقاومة المستعمر، بأسلوب الكناية مثل قوله: إذا جاءكم السّائل أعطوه، وعابر السّبيل آووه إنه أخوكم (يقصد المجاهد) ويعمل من أجلكم، وأن المعروف يقي صاحبه مصارع السّوء، وأن الصّدقة تضاعف إلى سبعمائة ضعف، ومن عنده شيئ (يقصد قطعة سلاح) لا يحتاجه يعطيه لمن يحتاجه أو لمن يستعمله أو يبيعه ويستفيد من ثمنه.

وقد واكب في آخر أيامه اندلاع الثّورة التّحريرية الكبرى، فكان رحمه الله يحث أبناءه على خوض غمارها والنّهوض بأعبائها، كأمثال ابنه الشّهيد سيدي أحمد الذي استشهد سنة 1957، وصنوه الشّيخ محمّد الذي ظل مجاهدا إلى يوم الاستقلال فكان خير خلف لخير سلف .

وكان سيدي العيد يلتقي برجال الثّورة بالزّاوية وببيته ويحضر معهم بعض الاجتماعات ويدعو لهم.

ومما يروى في ذلك أن الشّيخ الحسين حمادي (النّخلة) عندما رجع من منفاه بتونس بعد الاستقلال كان أول مكان زاره ونزل فيه قبل الأهل والأحبة هو بيت المقدم سيدي العيد وزاويته أين كانت تعقد اجتماعات المجاهدين، وقال: هنا دعونا الله بالنّصر فاستجاب لنا، وكانت هذه الشّهادة بحضور السّادة عيشوش الطّاهر، والحبيب هميسي، والشّيخ محمّد.

وكان ممن يحرّم الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي، ويحذر من الولاء للمستعمر الكافر، ويصرح بذلك لمن يستفتيه أو يستشيره .

من ذلك أن الحاج لخضر بن خليفة بعد أن شكت له زوجته ضيق العيش وصعوبة الحياة وضغطت عليه لينخرط في الجيش الفرنسي لتوفير راتب شهري يكفيهم ويحسّن أوضاعهم، وبعد تردد ذهب ليستشير المقدم سيدي العيد، فقال له: أتعاهد الله على أن تكتم ما أقوله لك، فعاهده على أن يكتم سره مادام حيا، فقال له: اذهب اقتل، واسرق... وافعل ما تريد خيرا لك من الرّكوب مع عسكر فرنسا، واندهش الرّجل واستفسره عن سبب ذلك، فقال له: إن قتلت أو سرقت فأنت تعتقد بأنك تفعل محرما أو منكرا، فأنت على أصل إيمانك، أما إذا كنت مع عسكر فرنسا، وتأتمر بأوامرهم... فأنت أهنت الإسلام وأعززت الكفر... وهذا ما يؤدي بك إلى الكفر، ففهم الرّجل كلام الشّيخ، ورجع إلى أهله وأخبرهم بأنه لن يتجند مع عسكر فرنسا مهما كان الامر، فقال له ولده: أذهب أنا إذن، فقال له: والله العظيم لو ذهبت لقتلتك أنا قبل أن تقتلك الثّورة.

وجاء رجل آخر من الرّبايع يستشيره في العمل مع الجيش الفرنسي (وكانت الحاجة والفقر هي التي تضطرهم لذلك، وليس لهم نية في ولاء الكافر العدو) فقال له الشّيخ: شوف غيرها... فقال ليس لي غيرها.. فقال له: روح حطب، ولا تتجند مع فرنسا.

وفي موقف مماثل جاءه السّيد أحمد مناعي المدعو ذهوبة ـ مازال على قيد الحياة ـ يستفتيه في العمل مع الجيش الفرنسي المحتل، فزجره وأغلظ له وقال «هل انسدت سبل العيش إلا باب الكفر»، فلما بقي الرّجل يحاوره ويراجعه ويحتج بالفقر، فأعطاه الشّيخ: ألف فرنك قديم، وقال له: اذهب واشتر حمارا واعمل «شياد" (وكانت مهنة معروفة: يقايض حاجيات النّاس والبيوت بالصّوف) فعمل الرّجل بالنّصيحة... وتغير حاله، وكان

يقول: أصبحت أغنى رجل في الفطاحزة (البياضة) حيث ملكت 40 جبارا.- نخلة-

وكانت الزّاوية نقطة تجميع للسلاح والذخيرة لفائدة الثّورة، فقد حكى رفيقه هميسي الحبيب أن سيدي العيد استدعى على وجه السّرعة المجاهد السّاسي عاد لينقل السّلاح المخبوء بالزّاوية إلى المجاهد محدة حمودة بـ «ليزيرق" نقطة ثانية لتجميع السّلاح قبل إرسالها إلى قيادة الثّورة بالحدود الشّرقية، وكان من العادة أن ترسل ليلا، إلا أن ذلك اليوم أمرهم بإخراجها فورا، وكان الوقت قبل المغرب بحوالي نصف ساعة، فعارضه ابنه سيدي أحمد لأن الوقت غير مناسب للخروج، لكنه أصر على التّحرك السّريع وعدم الانتظار، وهكذا احضر المجاهد السّاسي «البغل» وخرج به محملا بالسّلاح نحو ليزيرق وما أن اختفى عن الأنظار حتى فوجئ الجميع بالعسكر الفرنسي وهو يحاصر المكان... فعلم الحاضرون حكمة ذلك الاستعجال.

وفي مذكرات المجاهد الكبير أحمد ميلودي ـ رحمه الله ـ أحد قادة الحركة الوطنية ثم الثّورة بوادي سوف جاء: أن الشّيخ العيد بن يامة الوحيد من مشايخ الزّوايا الذين كان يزورنا في الأعياد الدّينية في مقر الحزب رفقة وفد من أصحابه، ليقدم لنا التّهنئة بالمناسبة، ويجلس معنا، ويقول للحاضرين: العاقبة للعيد الأكبر (يعني بذلك يوم الاستقلال).

عبد الكامل عطية / ديدي السّعيد

■ الشيخ احمود (أمود)
(و: 1275ه - 1859م/ت: 1346ه - 1928م)

ولد الشّيخ سنة 1859م من قبيلة ايامانان التارگية الشّهيرة قرب ساقية الحمراء وقد كان لقبيلته مكانة مرموقة ونفوذ واسع كما كان لها التأثير الايجابي على قبائل المنطقة، ومن العوامل التي ساعدته على التعبئة وحشد المقاومين معه ضد سلطات الاحتلال الفرنسي ما يلي:

إيمانه بتوحيد جهود القبائل الصّحراوية.

مواجهة مخططات العدو الرّامية إلى التفرقة بين أبناء الوطن الواحد.

إفشال مخططات العدو الرّامية إلى طمس الشّخصية الجزائرية.

لقد كان أول احتكاك لسكان المنطقة مع قوات العدو الغازية في معركة بئر الغرمة سنة 1881م ومقتل الضّابط الفرنسي فلاترز، وبعد احتلال الصّحراء الجزائرية لجأ المقاومون الجزائريون إلى الصّحراء الليبية والانضمام إلى الإخوان الليبيون في جهادهم ضد العدوان الإيطالي على ليبيا، وبالرجوع إلى الوثائق التاريخية خاض المقاوم والبطل التارقي الشّيخ أمود العديد من المعارك ضد قوات الاحتلال الفرنسي للمنطقة ويمكن إيجاز أهمها:

- معركة بئر الغرمة سنة 1881م.
- معركة إليزي سنة 1904م.
- معركة جانت سنة 1909م.
- معركة السّنوسيين والإيطاليين في مدينة جانت سنة 1911م.
- معركة تانزروفت وتابنكورت سنة 1917م.

- لقد أدى المقاوم والبطل الشّيخ آمود ما عليه ولم يدخر جهدا في سبيل الدفاع عن الوطن ضد مخططات العدو الفرنسي الرّامية إلى السّيطرة عليه ونهب موارده وخيراته وعارض كل من تعاون مع الاستدمار، وقد توفي سنة 1928م عن عمر قارب 69 سنة من العطاء والجهاد.

يمكننا في الأخير الخروج بحوصلة مفادها ما يلي:

- يعد الشّيخ آمود شخصية بارزة في المنطقة وقفت أمام تقدم القوات الفرنسية في المنطقة رغم قلة الإمكانيات مقارنة بالعدو الفرنسي.

- مستواه العلمي ومكانة عائلته سمحت له بتجنيد أبناء المنطقة في صفه رغم محاولات العدو الرّامية لثنيهم عن ذلك. وقد انضم له من ليبيا الزّعيم عبد السّلام بن عبد الرّزاق بطل تحرير فزان من الاحتلال الايطالي.

التغلغل الصّوفي في المنطقة حيث كانت مدينة جانت معهدا دينيا أو زاوية صوفية سنوسية وقد كان لها دور كبير في نشر الوعي الديني والوطني في المنطقة.

الخسائر التي تعرضت لها القوات الفرنسية في المنطقة، خاصة بعد حصار مدينة جانت وفراره إلى أساقو غير أن جيش المقاومة الوطنية تمكن منها وأسرهم وأسر قائد الحامية

المرابطة بجانت «لابيرين» في منطقة الكفرة بليبيا من سنة 1915 إلى غاية سنة 1919م.

سيطرة جيش آمود على المنطقة وعلى الطريق الرّابط بين غات والهگار.

تخلي السّلطان «موسى آق امستان» عن المقاومة مكن للفرنسيين من تسهيل مهمتهم في ا لمنطقة .

نمو الوعي الوطني لدى سكان وزعماء المنطقة لما يتعرض له الوطن من احتلال وعدوان غاشم فكانوا يدا واحدة ضد مشاريعه في المنطقة على غرار إخوانهم في مختلف جهات البلاد.

عبد الكامل عطية

المصادر:

- محمد لحسن الزعيدي، شخصيات نموذجية في المقاومة و الإصلاح و الحركة الوطنية و الثورة التحريرية، ط1، منشورات الحبر، الجزائر، 2009.
- الجيلالي صاري، الهقار و أبعاد مقاومته، أعمال ملتقى 13 للفكر الإسلامي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995.

■ الطّاهر أق الحسن

(و: 1328ه - 1911م/ ت: 1439ه - 2018م)

لقد فقدت مدينة جانت بجنوب التّاسيلي، أحد أهم رجالات التّعليم القرآني والتّربوي، لاسيما وأنه من الرّعيل الأول الذي وضع اللبنة الأولى للمدرسة النّظامية بعد الإستقلال بجانت.إنه الشّيخ الطّاهر بن محمّد بن الحسن بوكراوة، المولود سنة 1911م بقصر الميهان من قبيلة (كيل تغورفيت)، أين نشأ وترعرع في عائلة ميسورة الحال، اهتمت بتعليمه وتحفيظه القرآن الكريم؛ حيث تعَلَّم مبادئ اللغة العربية، وقراءة القرآن الكريم، على يد الشّيخين مساهل المدني، والشّيخ راقو، ثم درس الفقه والعلوم الشّرعية، عند الشّيخ سيدي محمّد بن أحمد، والشّيخ أوسوك، والشّيخ أحمد عريمة.

وبعد أن أتم تكوينه الدّيني مُنِحَت له إجازة تعليم القرآن والنّحو والفقه والعلوم الشّرعية، من طرف الشّيخ سيدي محمّد، في يوم الجمعة 28شعبان1382هـ الموافق لـ28 جانفي 1963م، وقد أسهم شيخنا غداة الاستقلال الوطني في تفعيل التّعليم القرآني، فاشتغل معلما قرآنيا بالمدرسة القديمة بمدينة جانت، ناهيك عن اهتمامه بتوعية النّاس وتنويرهم.

وقد أدرك الشّيخ مدى حاجة إخوانه لخدماته التّعليمية في ليبيا الشّقيقة، فسافر في منتصف السّتينات إليها، واستقر بمنطقة(جوفاري) بالبركت التّابعة إداريا إلى شعبية غات،وعمل معلما القرآن، ومؤذنا بمسجد البركت، وبعد حوالي ثلاث سنوات من التّعليم والتّنوير، قصد رحمه الله البقاع المقدسة حاجا سنة1968م، ليعود بعدها إلى إيليزي، التي استقر بها فترة من الزّمان يُدَرِّسُ القرآن وعلوم الدّين، ثم شدَّه الحنين إلى مسقط الرّأس فعاد إلى جانت أين أسس في بيته مدرسة قرآنية مجانية، لتعليم النّشء وتخريجهم تخريجا تربويا سليما مدة ربع قرن من زمن البذل العطاء (1968– 1993م)

كما أهتم الشّيخ الطّاهر بالطّريقة القادرية، التي أصبح من مريدها، بعد أن تعلم بعض أورادها، وأذكارها عند المقدم إبَّا بوخة بن نصر، والشّيخ الإمام أوقاسم البشير بن أَسَقَّمَار، الذي أصبح فيما بعد مُقَدَّمَاً للطريقة القادرية.

كما كان مهتما رحمه الله بتاريخ المنطقة، وتراثها.حيث كان يمتلك مكتبة غنية بالكتب الشّرعية الدّينية المختلفة. كما يُعَدُّ الشّيخ من أعيان ووجهاء المنطقة؛ حيث كان يحضر جميع المناسبات الدّينية، والتّجمعات الإجتماعية والمحلية التي لايفوته فيها الوعظ والنّصح والتّوجيه. حتى أقعده العجز والمرض في بيته، ثم وافته المنية في مستشفي جانت بإفري يوم الجمعة02 مارس2018 م على السّاعة الحادية عشرة ليلا. عن عمر يناهز قرن وسبع سنوات

وقد تم توديعه في جنازة تليق بمكانته وعطاءاته، وكان ممن حضر جنازته السّيد عبد الحي أسباغو مدير الشّؤون الدّينية والأوقاف لولاية إيليزي، الذي ألقى كلمة تأبنية بالمناسبة، بمسجد عمر بن الخطاب بالميهان، مذكراً فيها بخصال الرّجل وتفانيه في خدمة العلم، والمعرفة، وتعليم النّشء والعمل التّطوعي والتّعليم القرآني في المنطقة.

العيد بوده

■ الطّاهر بلعبيدي
(و: 1304ه - 1887م/ت: 1387ه - 1968م)

الشّيخ الطّاهر بن العبيدي بن علي بن بلقاسم بن عمارة، ولد سنة 1304هـ الموافق لـ 1887م بمدينة وادي سوف بجنوب الجزائر من أسرة فقيرة، إذ كان والده في العديد يشتغل حدادًا، إلا أن ذلك لم يمنعه من تنشئة ابنه في رحاب العلم والأخلاق رغم شظف العيش.

تلقى الشّيخ تعليمه على الطّريقة التّقليدية في عصره، فحفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز الثّانية عشر من عمره، ثم تلقى بعض العلوم الشّرعية على يد شيوخ من المنطقة؛ منهم عبد الرّحمن العبيدي ومحمّد العربي بن موسى الذي بدأت تظهر على يديه نجابته، وتفتحت مواهبه واستعداداته لتلقي المزيد من العلم.

كما تتلمذ على الشّيخ القاضي عمارة من قرية « تاغروت « ولم يذكروا انه كان يحضر إلى دروس الشّيخ الصّادق بلهادي العقبي(1869 / 1939) مع صديق طفولته الشّيخ إبراهيم بن محمّد السّاسي العوامر(1881 / 1934) " صاحب الصّروف في تاريخ الصّحراء وسوف " وغيره من التّواليف، وحسب ما ذكره الشّيخ إبراهيم العوامر نفسه في كتابه " البحر الطّافح في فضائل شيخ الطّريق سيدي محمّد الصّالح « أن الشّيخ الصّادق العقبي كان يتبرع بدروس في زاوية سيدي سالم – او الزّاوية السّالمية – بالوادي، ومن هنا نفهم ان تلمذة الشّيخ العبيدي عل الشّيخ الصّادق بلهادي كانت من تلك الدّروس في تلك الزّاوية

وقد أخذ العلم إجازة بالمراسلة من الشّيخ المكي بن عزوز الذي راسله بها من الآستانة

هاجر الشّيخ العبيدي الى تونس للتحصيل على مزيد من العلم بجامع الزّيتونة، ولما بلغ الشّيخ الثّامنة عشر من عمره هاجر إلى تونس في سنة 1904 لطلب العلم بجامع الزّيتونة الذي كان حينها قبلة لطلاب العلم، وفي رحابه تتلمذ على يد كوكبة من الأساتذة الأجلاء من قائمة الشّيخ محمّد بن الطّاهر بن عاشور، والشّيخ خليفة بن عروس، والشّيخ محمّد النّجار، والشّيخ صالح الهواري، والشّيخ بن محمود، والشّيخ أحمد بن مراد، والشّيخ أحمد البنزرتي، والعلامة محمّد الخضر حسين، والشّيخ احمد بن مراد والشّيخ حسن بن يوسف، والشّيخ النّخلي. كما اطلع هناك على أمهات الكتب والمصادر في العلوم الشّرعية والأدبية، ولكن شاءت إرادة الله أن يعود الشّيخ إلى موطنه قبل استكمال دراسته بسبب ظروف عائلته المادية القاسية، إلا أن عصاميته وجده واجتهاده جعلوا منه عالما فقيها وأصوليا حجة، ومتصوفا عارفا، ولغويا محنكا، وواعظا متمرسا، وأستاذًا ناجحا.

لما أحس الشّيخ محمّد العربي بن موسى بدنو أجله اختار من بين تلامذته الشّيخ الطّاهر لعبيدي ليخلفه في الإمامة والتّدريس. فانتقل الشّيخ بلعبيدي من واد سوف إلى تقرت وشرع فيها عامّ 1902 بالجامع الكبير بمدينة تقرت، وكان ذلك الانتقال بداية عهد جديد. وكان أيضا بداية للاضطلاع بمهمة جليلة مثقلة بالمسؤوليات، وكان كذلك بداية لرحلة في مجال الخطابة والتّأليف والإفتاء والاطلاع الواسع الذي لا يعرف التّوقف والانقطاع.

تعليم مسجدي ذو طابع ديني يماثل التّعليم في الحواضر العلمية كالزّيتونة والأزهر آنذاك، يقوم به في المسجد الكبير بعد صلاة الظّهر ويتمثل في تحفيظ متون الفقه وشرحها على مذهب الإمام مالك.

دروس في التّفسير تقام بعد صلاة المغرب يحضرها عدد كبير من أبناء المنطقة من مختلف الأعمار حتى العنصر النّسوي، وكان الشّيخ يميل في تفسيره إلى الأسلوب القصصي مقتصرًا كل يوم على آية واحدة متفحصا متمعنا متعمقا في أبعادها العقائدية والتّشريعية واللغوية والتّاريخية، وقد ختم تفسيره للقرآن الكريم بعد 32 سنة، فكان يومها حفلا عظيما وشرفا كبيرًا لهذا العلامة الفذ، وكان ذلك يوم 10 محرم 1353 هـ الموافق لـ 17 أفريل 1935م.

و يبدو من خلال بعض الكتابات أن الشّيخ العبيدي صديق زعيم النّهضة الإصلاحية الإمام عبد الحميد بن باديس أيام طلبه للعلم بالزّيتونة، وتبقى هذه المعلومة غير مؤكدة، وإن كان الدّكتور سعد الله يستنتج تخمينا بعد استقراء يقوده الى افتراض الصّحبة بين الشّيخين من خلال لفظة لابن بادي « قديم التّذكار « جاءت في سياق مراسلة بين الرّجلين بتاريخ جمادى الثّانية 1337 هـ، ويعلق الدّكتور سعد الله على ذلك بقوله: « وهناك أوجه شبه واختلاف بين ابن باديس والشّيخ العبيدي، من ذلك صداقتهما أيام الطّلب في تونس، وهو ما يشير اليه ابن باديس في رسالته بعبارة [قديم التّذكار] رغم انها عبارة غير صريحة في هذا المعنى ولا نعلم – على وجه الدّقة– المدة التي مكثها شيخنا بحاضرة تونس، فقد سكت الذين ترجموا له عن هذه النّقطة باستثناء الأستاذ محمّد محدة الذي حددها بثلاث سنوات.

وهناك من يذهب للقول أن في سنة 1919 م (1337 هـ) التّقى الشّيخان بتقرت وتعاهدا على خدمة الإسلام والعربية.

نظم الشّيخ غداة انطلاق ثورة التّحرير الكبرى قصيدة للتعبئة الجماهيرية حث فيها أتباع جيش وجبهة التّحرير الوطنيين على الصّبر والجهاد، وإعداد العدة، والمحافظة على الدّين، وإقامة الصّلاة، لأنه يريد أن يتصف الجهاد بالأوامر الإلهية والأحكام الشّرعية، وأولها الطّهارة والإخلاص والصّدق.

عُرف عن الشّيخ التّدقيق في الفتوى والتّحري في مختلف المسائل الفقهية، فلا يصدر حكما أو فتوى إلا بعد مراجعة وبحث، بل يطلب من السّائل أو المستفتي أن يعود إليه مرة أخرى، حتى يتأكد ويراجع، فإذا ما استعجله السّائل نهره قائلا له:(إن العبيدي ليس مالكًا)؟

كان رحمه الله حسن المعاملة مع تلاميذه إذ كان أبا رحيما، وصديقا حميما، وأخا كريما، يزور مرضاهم، ويتبع جنائزهم وموتاهم، فيشاركهم أفراحهم وأقراحهم.

كان رجل صلح وإصلاح إذ استنجد به (باشاغا) مدينة وادي سوف سنة 1938 لإزالة خلاف وقع بين الطّرقيين وممثلي جمعية العلماء، فمكث مدة سنة مدرسا في الجامع العتيق بالوادي، ثم عاد عامّ 1939م إلى تگرت بعد أن أزال الخلاف بين الطّرقيين والجمعية.

كانت للشيخ جولات في غير الوادي وتگرت، فامتد نشاطه التّربوي والعلمي إلى خارجها، إذ سجلت له عدة محاضرات في الجلفة وزاوية الهامل ببوسعادة وفي الشّرق الجزائري، كما جرت بينه وبين علمائها عدة مناظرات، فشهدوا له بالعلم والصّلاح.

ترك الشّيخ إرثا علميا زاخرا، حيث بلغ عدد المؤلفات والرّسائل التي تركها قرابة العشرين مؤلفا، أغلبها مايزال مخطوطا وتدور موضوعاتها عموما حول العلوم الشّرعية والفقهية واللغوية والصّوفية، وبعض القضايا الفلسفية والاجتماعية.

وقد طبع منها:

– منظومة بعنوان : « النّصيحة العزوزية في نصرة الاولياء والصّوفية ».

– ومنظومة أخرى بعنوان: « نصيحة الشّباب المريحة للسحب والضّباب ».

ضعفت صحة الشّيخ بعد الاستقلال، حيث أصيب سنة 1966م بمرض عضال الزّمه الفراش ثمانية عشر شهرا، توفي على إثرها يوم 28 جانفي 1968 وكان يوما مشهودًا خرجت لجنازته تگرت عن بكرة أبيها مودعة أباها الشّيخ الذي كان نبراسا يضيء بالعلم النّافع ويشع بالعلم الصّالح في تلك الليالي الاستعمارية الحالكة، والتّي سعى زبانيتها إلى تغريب الشّعب ومسخ هويته، وتحريف عقيدته، فتصدى الشّيخ لتلك الأعمال، فقام ينشر العقيدة الصّحيحة والآداب الفاضلة، وحافظ على اللغة بلسان عربي مبين، مصدره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، رحم الله الشّيخ الطّاهر رحمة واسعة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

العيد بوده

■ الطّيب الجغلالي
(ت: 1379ه - 1959م)

ولد الشّهيد البطل بوقاسمي الطيب المدعو سي الطيب الجغلالي عام ألف وتسعمانه وستة عشر بقرية أولاد تركى بلدية العمارية دائرة البرواقية ولاية المدية نشأ وترعرع في احضان اسرة ميسورة الحال محافظة على تقاليدها وعاداتها العربية الاسلامية اعتمدت في سد حاجياتها الضّرورية على الفلاحة. ولما بلغ الشّهيد سنا يسمح له بمزاولته الدّراسة، قصد كتاب القرية الذي زاول فيه الدّراسة لمدة ست سنوات حفظ اثناءها القرآن الكريم ومبادئ في علوم اللغة والدين الحنيف أهلته للالتحاق بزاوية الوزانة بلدية العساوية دائرة تابلاط حيث درس الفقه الاسلامي وعلوم الشّريعة على أيدى علماء اجلاء فتفتح ذهنه اكثر واطلع على الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي، وذلك من خلال النّدوات المستمرة التي كانت تشهدها الزّاوية بانتظام والتي تحلل من خلالها وضعية الامة الجزائرية وما يجب على رجال الدّين خاصة

القيام به في مثل تلك الظّروف. وبعد مدة قضاها الشّهيد في رحاب الزّاوية المذكورة انتقل الى كتاب سيدى موسى نواحي الصّومعة ولاية البليدة اين عاش عن كثب اوضاع امته واطلع على احداث شعبه من خلال معايشته للطلبة الدّارسين القادمين من مختلف نواحي المنطقة والخطب التي كانت تلقى من قبل علماء ومصلحين وما يتلو ذلك من نقاش حاد حول مختلف القضايا المطروحة آنذاك وفي مقدمتها قضية الثّورة وكيفية تفجيرها ومما زاد الشّهيد ادراكا أكثر للأوضاع السّياسية التي تشهدها السّاحة الوطنية حضوره دروسا بنوادي ومساجد العاصمة على يدى خيرة ابناء الشّعب امثال الشّيخ الابراهيمي والشيخ الطيب العقبي وغيرهما

في عام ألف وتسعمائة وستة وثلاثين توقف الشّهيد عن الدّراسة وعاد الى مسقط رأسه لمباشرة مهامه الى جانب والده واخواته، الا أن اهتمامه بالقضية الوطنية كان في مقدمة اهتماماته، الشّيء الذي دفع به الى البحث عن متنفس لتلبية رغباته وطموحاته فانضم الى صفوف الحركة الوطنية عام الف وتسعمائة وسبعة وثلاثين التي وجد فيها ظالته المنشودة، حيث عمل في ظلها بكل ما في وسعه على تبليغ أهدافها وترسيخ

مفاهيمها في نفوس ابناء النّاحية الذين كان يلتقى بهم في مساجد القرى والمداشر وفى المناسبات التي تقام كالأعراس والمآتم التي كان ينتهز فيها فرصة تواجده مع المواطنين فيتدخل بعباراته المؤثرة يستعرض من خلالها وضعية الشّعب الجزائري المؤلمة وما تتطلبه المرحلة من يقظة وحذر شديدين حتى تكون قضيتنا في مأمن من المتربصين بها. ونتيجة لما عرف به من خصال حميدة ومواقف ثابتة وتفان في خدمة الصّالح العام تولى قيادة فوج من أفواج الحركة الوطنية بالناحية والتي كان لها دور في نشر الوعي الوطني لدى السّكان من خلال المنشورات التي كان يوزعها على شباب النّاحية يدعوهم للانضمام لصفوف الحركة الوطنية. وكان الشّهيد يتصل بالأئمة أكثر من غيرهم لأنه كان يدرك أن الامام أكثر تأثيرا في النّفوس نتيجة الثّقة المطلقة التي يتمتع بها ويغتنم الشّهيد فرصة تواجده بالمسجد فيلقى على مسامع الطلبة الدّارسين دروسا يحلل من خلالها الأوضاع السّائدة آنذاك وما يجب على الطالب القيام به في مثل تلك الظّروف الخطيرة والصعبة. ومن الأئمة الذين توطدت علاقة الشّهيد بهم: الامام السّكندرانى والامام ابراهيم بن دالى بمدينة المدية والامام الشّيخ النّخار مفتي نواحي تابلاط المدية، وسى على بن طبال أمام بالبرواقية واستطاع الشّهيد بفضل فكره الثّاقب ونظرته المتفحصة وايمانه الرّاسخ تغيير بعض المفاهيم السّائدة آنذاك وبث حب النّضال والثورة في نفوس الشّباب المعول عليه في تفجير الثّورة المباركة. ونتيجة لذلك اكتسب ثقة شباب النواحي التي كان يناضل بها وبهذه التصرفات والمواقف التي عرف بها الشّهيد جمع شمل الشّبيبة في إطار واحد تعمل لغاية واحدة. وفي نهاية الف وتسعمائة وسبعة واربعين اطلعت السّلطات الفرنسية على نشاطات الشّهيد المعادية لأهدافها فالقت عليه القبض بمدينة تابلاط وحكمت عليه بأربع سنوات سجنا وبغرامة قدرها 400 فرنك فرنسي وبالنفي من المدينة لمدة أربع سنوات اخرى قضاها متنقلا بين نواحي عين بوسيف والبرواقية لتوعيتهم وغرس في نفوسهم الرّوح الوطنية الصّادقة ويطلعهم على الأوضاع المزرية التي ازدادت تأزما يوما بعد يوم فيعمل معلما بالمساجد يقدم للطلاب دروسا في الارشاد والوعظ يشرح من خلالها مهام الطالب وواجباته في مثل تلك الظّروف الصّعبة واحيانا يعمل عاملا بمزارع المعمرين قصد الاختلاط بأبناء الجزائر العاملين بقطاعات الاعداء ليطلعهم على أوضاعهم ويبعث فيهم الوعى الوطني ويدعوهم لمناصرة القضية الوطنية والالتفاف حول الحركة الوطنية حتى تتطهر بلادنا من براثن الاستعمار والعبودية وبفضل تجربته استطاع بعث الوعى الوطني في أوساط العمال وتجنيدهم لخدمة الصّالح العام في حين كانت عيون الوشاة له بالمرصاد فاخبروا اصحاب المزارع بما يقوم به الشّهيد داخل مزارعهم ومن ثم أصبح يمنع اقترابه من قطاعاتهم والاختلاط بعمالهم أينما كانوا. وكان لصيحة الشّهيد صداها الواسع في نفوس الشّباب المتعطش الى الحرية والعدالة ففي عام 1948 أقدم الشّباب الوطنيون بمدينة سيدى نعمان ولاية المدية يوم الانتخاب على حرق مركز الانتخاب ودمروا عدة شاحنات وهدموا مقهى لاحد المعمرين بمدينة العمارية وتمكنوا من بعث الرّعب والهلع في اوساط الفرنسيين واعوانهم الذين جن جنونهم فأطلقوا النّار على الاهالي دون تمييز واصابوا خمسين مدنيا بجروح متفاوتة الخطورة واستشهد أربعة مناضلين وهم على التوالي: حداش احمد، بوخزانى ابراهيم، السّبتي رابح، اضيافى وفي نهاية سنة 1951 وشى بالشهيد من جديد صبحة فألقى عليه القبض وعذب عذابا شديدا دام سبعة أيام متوالية قصد البوح بأسرار الحركة ومصادر المؤونة والمنشورات واسماء المناضلين لان العدو كان متأكدا بانه عضو في الحركة وانه يمتلك المعلومات الكافية فضاعف عليه التعذيب وكاد يلفظ انفاسه الاخيرة لولا أنه تفطن لفكرة انقذته وانقذت مناضلي النّاحية من الهلاك حينما تذكر أسماء الرّجلين اللذين وشيا به لسلطات العدو فقال عند استنطاقه ان مركزنا ومؤونتنا ببيت الرّجلين فأطلقت السّلطات الاستعمارية سراحه والقت القبض عليهما وفتشت بيتهما تفتيشا دقيقا دون أن تعثر على أي وثيقة تثبت قول سي الطيب فتأكدت أن في الأمر خديعة ومن ثم حاولت القاء القبض عليه لكن دون جدوى لأنه كان يحسب كل حساب وهكذا نجد أن الشّهيد قد قضى طفولته وزهرة شبابه متنقلا بين نواحي المنطقة معلما ومرشدا وموجها وباعث وعى مهيئ جيل كان من الرّعيل الأول الذى فجر ثورة نوفمبر المباركة وان كان الشّيء الكثير من بطولات الشّهيد لا نعلمها نتيجة السّرية التامة والحذر المطلوب بحيث كان اعضاء الخلية الواحدة لا يعرفون أسماء بعضهم البعض.

ونتيجة لما قدمه الشّهيد من تضحيات جسام في وسط الميدان العملي فقد أحدث تغييرا جذريا في أوساط الجماهير الكادحة والتف حوله جل الشّباب فقد حدث مرة أن تعرض الشّهيد لشتم من قبل أحد أعدائه بسوق المدينة وتعالى الصّراخ وتحول الى مبارزة وعراك بين فئتين فئة الشّباب الى جانب سي الطيب وفئة اخرى الى جانب خصمه وبذكر المجاهد هنأوا مجيد ان رجلين واثناء تبادلهما الحديث شتم صهرهما الشّهيد فقام الأول وقال بنتك مطلقة لا تعرفني ولا اعرفك وقام الثاني وقال مثل الاول وهذه المواقف وغيرها تبرهن بصدق على مدى وعى الجماهير والتفافها الذي كانت ترى فيه تحقيق حلمها المنشود وفى نفس السّنة المذكورة عاد الشّهيد الى مسقط راسه حيث بنى مسجدا كان له دوره في تعميق المفاهيم.

وفى عام 1953 تنبهت السّلطات الاستعمارية لما يقوم به الشّهيد فحاولت القاء القبض عليه من جديد لكن دون جدوى لأنه كان يقوم ويرحل تحت حراسة شباب مخلصين. ولما فشل العدو في تحقيق حلمه أقدم على بيته فأحرقها بما فيها وهدم المسجد وهذه التصرفات وغيرها لم تكن لتخيف الشّهيد وتضعف من نشاطاته بقدر ما زادته شجاعة وصلابة أكثر فكثف من اعماله السّياسية وضاعف من تحركاته

واتصالاته بالجماهير قصد التنسيق بينها وبين القيادات العليا امثال الشّهيد سويداني بوجمعة واحمد بوشعايب وغيرهما

وفي ربيع عام 1953 حضر الشّهيد اجتماعا عاما ضم أعضاء الحركة الوطنية فوقع اختلاف في وجهة النّظر أدى الى انقسام الاعضاء فأختار بعضهم الحياد وكان من بينهم الشّهيد الذي عاد الى النّاحية ليتصل بالمناضلين ويدرس معهم الأوضاع المستجدة. ويطلعهم على نتائج الاجتماع دون أن ينتمي لأي فئة من الفئات المتصارعة رغم اتصالات ممثلي الفئات به.

ولما اندلعت ثورة نوفمبر المجيدة عام 1954 اتصل الشّهيد من جديد بالشهيد البطل سويداني بوجمعة الذي درس معه أوضاع المنطقة وامكانياتها وكلفه بمسؤولية فعمل على بث الخلايا وتشكيل الافواج والبحث عن العناصر الموثوق بها التي يعتمد عليها في مواجهة العدو وتحمل الصّعاب وشرع في حفر المخابئ، التي بلغ عددها 16 مخبأ موزعة عبر نواحي المدية، عين بوسيف البرواقية تابلاط وقسم المنطقة الى نواحي وضع على رأس كل ناحية مسؤولا كلفه بجمع الاموال والأسلحة المتواجدة لدى المواطنين كبنادق الصّيد والمسدسات والذخيرة الحربية وكل ما تحتاجه الثّورة آنذاك في اقصى سرعة ممكنة لان العدو قد تفطن لهذه العملية فسارع لأخذ الاسلحة من المواطنين بالقوة وكانت هذه الاسلحة هي التي تسلحت بها الطلائع الأولى للثورة التي عملت على تصفية الخونة جسديا وتحطيم الاقتصاد الفرنسي وقطع الاشجار المثمرة للمعمرين والاعمدة الهاتفية وحرق مزارع المستوطنين الاجانب الذين زرع الرّعب والهلع في اوساطهم.

من مواقف الشّهيد وبطولاته: في مارس 1955 وجه الشّهيد رسائل الى شيوخ الفرقة ورجال الشّرطة الجزائريين والنواب في المجالس البلدية يضعهم أمام أمرين لا ثالث لهما أما أن يقدموا استقالاتهم في وقت محدد وأما ينفذ فيهم حكم الاعدام قبل بعضهم الدّعوة وانضم لصفوف الثّورة وامتنع البعض الآخر وازداد عنادا وعداوة فنفذ فيهم الشّهيد حكم الاعدام حتى يكونوا عبرة لغيرهم في نفس السّنة المذكورة تدعمت عناصر الثّورة بعناصر مخلصة مؤمنة وأقبل الشّباب على الانضمام لصفوف الثّورة أفرادا وجماعات شكل الشّهيد افواجا بلغ عدد كل فوج 12 جنديا (مسبلا) بعد ان كان في بداية الامر لا يتعدى عدد الفوج الواحد 4 جنود (مسبلين) وضاعف من تصعيد عملياته الفدائية لضرب معنويات الأعداء

وفي منتصف 1956 توجه الى نواحي ريغة دائرة المدية للإشراف على العمليات الفدائية والتنظيمات السّياسية هناك، فاتصل بالشهيد العلامة العمر بن اعمر الذي افاده عن أماكن تواجد المصاليين وخططهم فكان الشّهيد لهم بالمرصاد يلاحقهم أينما حلوا واحدث في صفوفهم اضرارا معتبره ولما تأكد المصاليون من أن الشّهيد سي معمر هو سبب محنتهم قصدوا بيته وعذبوه عذابا شديدا لفظ انفاسه الأخيرة على اثرها والتحق بالرفيق الاعلى ولما بلغ نبأ استشهاده سي الطيب أعد جنده وواجه المصاليين في معركة ضارية قتل منهم الكثير ولاذ بالفرار من نجا من الهلاك وبهذا أعاد الشّهيد الطّمأنينة والاستقرار لنفوس السّكان وفي نفس الاثناء عرفت نواحي المدية فوضى في نظامها كادت تمزق شمل الشّباب فعاد الشّهيد على الفور اليها وعمل على اعادة تنظيمها فقسم مدينة المدية الى أربع نواحي ووضع على رأس كل ناحية مسؤولا ومنع الجيش من التدخل في شؤون النّاحية دون اذن مسبق من مسؤولها وموافقته، ووضع على ناحية الدّاميات الشّهيد ماحي باشن وعلى ناحية مكراز الشّهيد محمّد الحافظ بن حجر وعلى النّاحية الغربية مصطفى بن رقية وترك قيادة المركز بالتناوب ما بين المناضلين وكلف فخار أحمد بالإشراف على النواحي كلها والتنسيق فيما بينها وبهذا أعاد الشّهيد مناضلي النّاحية الثّقة والاستقرار فعملوا جميعا على تحقيق الحلم المنشود وواجهوا الاستعمار في عدة مواقع.

وواصل الشّهيد تنظيماته واتصالاته بالجماهير التي كان يرى فيها سند الثّورة وطاقاتها التي لا تنتهي كما ضاعف من تصعيد عملياته العسكرية ضد مواقع العدو. ونتيجة لما أثبته من جديد من تنظيم محكم ودراية وبفنون القتال عينته قيادة الولاية الرّابعة (4) رائدا وذلك في مطلع عام الف وتسعمائة وسبعة وخمسين (1957) واستطاع الشّهيد القيام بهذه المهمة الشّاقة خير قيام وفي أوائل (1958) عقد اجتماع ضم الشّهيد سي محمّد بوقرة قائد الولاية الرّابعة والشهيد الحواس قائد الولاية السّادسة والشهيد سي عميروش قائد الولاية الثّالثة خصّص لدراسة الاوضاع المستجدة عبر التراب الوطني وما يجب التعجيل به صد محاولة الاعداء الذين ضاعفوا من تصعيد عملياتهم العدوانية وتطويق الجماهير بالأسلاك الشّائكة حتى يقطعوا الصّلة بينهم وبين الثّورة. وخلال هذا الاجتماع طلب الشّهيد سي الحواس مده بالرجال والاطارات لمساعدة الولاية السّادسة فقدمت الولاية الثّالثة مجموعة من جنودها وقدمت الولاية الرّابعة بعض اطاراتها وجنودها ليجاهدوا الى جانب اخوانهم بالولاية السّادسة التي كانت تعيش أوضاعا صعبة بحكم موقعها الجغرافي فأوفدت قيادة الولاية الرّابعة (4) الشّهيد البطل سي الطيب الجغلالي الذي قصد الولاية السّادسة – 6 – مرفوقا بالشهيد الرائد محمود باشن وعددا آخر من الضّباط والكوماندوس المسلحين بأحدث الاسلحة حيث كلف عند وصوله بمهمة رائد سياسي مساعد للعقيد سي الحواس ولما استشهد سي

الحواس يوم 29 مارس 1959 عينت القيادة العليا للثّورة الشّهيد سي الطيب الجغلالي عقيدا قائدا الولاية السّادسة

انتقل الى تونس في مهمة حيث اتصل بالمسؤولين عن الثّورة، هناك وخلال ذلك، تم تعيينه على رأس الولاية السّادسة، وخلال ممارسته لمهامه وقع في كمين بجبل - اقعيقع. بالصحاري ولاية الجلفة حاليا سقط على أثره شهيدا في ميدان الشّرف رفقة ثلاثة عشر جنديا اغلبهم ضباط من بينهم الشّهيد الرّائد محمود باشن وذلك يوم 29 جويلية 1959م، بعد أن أدوا واجبهم المقدس وتركوا للثورة ما يضمن استمرارها وانتصارها

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- عبد القادر ماجن، مجلّة أول نوفمبر 1954، عدد 66 سنة 1984.

■ العربي بن صاري
(و:1279ه - 1863م / ت:1383ه - 1964م)

وُلد الشّيخ العربي بن صاري - عميد الطّرب الأندلسي - سنة 1863م بمدينة تلمسان، ينتسبُ إلى أسرةٍ ذات أصولٍ ريفيّة، تعلّم القرآن الكريم في حَداثة سنّهِ عن مشايخ كتاتيبِ تلمسان، وأخذ بعضَ مبادئ اللُّغة العربيّة من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ، اشتغل بالحلاقة في دكّان للحلاقة منذ أن كان سنّه خَمسَةَ عشرَ عامًا، وهنا شغفَ بالموسيقى الأندلسيّة باستماعه للنّوبة الأندلسيّة من كبار الفنّانين الّذين كانوا يتوافدون على دكّان الحِلاقة الذي كان يعملُ فيه، من بينهم الشّيخ محمّد بن شعبان المدعو بوظلفة، وحين لمس الشّيخ بوظلفة شغف هذا الفتى بالموسيقى الأندلسية قرّبَهُ إليه، ودعاه إلى تعلّم قواعد الموسيقى خاصّة العزف على التي الرّباب والقانون، فأبدى الفتى العربي بن صاري براعةً كبيرةً وتمكّن في وقت قصير من حذقِ العزف، الأمر الذي جعل الشّيخ بوظلفة يُدرجه في فرقتِه، وبعد وفاة هذا الأخير خلفه العربي بن صاري في رئاسة الفرقة الموسيقيّة.

بعدُّ وفاة شيخه الأول الشّيخ محمّد بن شعبان المدعو بوظلفة، واصل العربي بن صاري احتكاكه بكبار مشايخ الموسيقى الأندلسيّة في زمانه منهم الشّيخ بخشي، والشّيخ بغدادي، والشّيخ تريكي، بن دالي يحي، وديب محمّد، وديب غوتي وغيرهم، وقد تعلّم وأجاد العزف على

آلات موسيقية عديدة، مثل القنيبري، الكمنجة، والمندولين، والعود.

كان الشّاب العربي بن صاري ذا صوتٍ رخيم، تمكّن مع فرقته من تحقيق نجاح باهرٍ، فتلقّى عدّة دعوات لإحياء حفلات عائليّة ودينيّة، وشارك في المعرض الدّولي بباريس سنة 1900م، تحصّل على الجائزة الكبرى للعزف على الرّباب، ثمّ شارك سنة 1926م بمناسبة تدشين مسجد باريس في حفلٍ أقيم هناك ونال إعجاب الحاضرين، أحيا عدّة حفلات في المغرب وتونس وسوريا وتركيا مصر، وأماكنَ كثيرة من العالم، وتحصّل على ميداليّات وجوائز عدّة.

يُعدُّ العربي بن صاري رمزًا من رموزِ تاريخ تلمسان الفنّي والمُوسيقى، وعميد أغنيتها الأندلسيّة، ومن أبرز روّاد الطّرب الغرناطي وهو نوعٌ من الموسيقى الأندلسيّة الذي وفدَ إلى حواضر المغرب العربي خلال القرنين الرّابع والخامس عشر بعد سقوط غرناطة، تعهّدت تلمسان هذا الطّرب وطوّرته ونشأت مدرسة الغرناطي التي تشترك فيها أنماطُ الموسيقى الأندلسيّة المغاربيّة، وبذلك أصبح الرّصيد في مدرسة الغرناطي التّلمساني اثني عشر نوبة كاملة. يعدُّ الشّيخ العربي بن صاريّ موحّد التّراث الموسيقي للمدرسة التّلمسانية الذي يحتوي على بصماتِه إلى يومنا هذا، والّذي زاوجه ببعض الطّبوع العثمانيّة. شغل الشّيخ العربي بن صاري ساحةَ الموسيقى الأندلسيّة لمدّة زمانيّة كبيرة قاربت الثّمانين سنة، وذاع صيتُهُ في مختلف أنحاء الجزائر وبلدان المغرب العربي الكبير. إنّ الشّيخ العربي بن صاري مرجع للطابع الغرناطي والحوزي التّلمساني وهو من أبرز الفنّانين لمدرسة تلمسان في مطلع القرن العشرين، عرف كيف يوظّف ثروات ذاكرته المُذهلة وذكائه الموسيقي لفرضِ نفسِه كأحدِ أبرز المطربين في تلمسان، فكانت مجموعة أعماله الفنيّة تحتوي على طبوع مُتعدّدة من الحوزي إلى العروبي. وكان يولي اهتمامًا كبيرًا للموسيقى الكلاسيكيّة. لقد ترك بعد وفاتِه عدّة نوبات من مجموع الأربعة والعشرين التي تحتوي عليها موسيقى زرياب، الّذي استقرّ بتلمسان مدّة من الزّمن قبل أن

ينتقلَ إلى الأندلس في عهد حكم بني يفرن، لقد ربط الشّيخ العربي بن صاري الطّربَ الأندلسي الجزائري بمكوّن نغمي لا يمكن الاستغناء عنه وهو النّوبة أي الدّور أو التّناوب، وهو نظام موسيقي على شكل مقطوعات مكوّنة من مجموع أنغام وألحان مرتّبة على مراحل أو أدوار إيقاعيّة يكمل بعضُها بعضًا حتّى تشكّل أداء موسيقيًا متكاملًا، ومعلومٌ أنّ النّوبة تخصُّ الموسيقى الأندلسية فقط، وتعدّ أيضًا إحد إبتكارات زرياب، ويبلغ رصيدها أربعًا وعشرين نوبة بعدَدِ ساعات اليوم حيث جعل زرياب لكلّ ساعةٍ نوبة.

يعدّ الشّيخ العربي بن صاري أحد رموز الموسيقى الأندلسية الجزائرية، أسهم في بروز موسيقيّين ومغنّين كبار، تتلمذ على يديه بتلمسان الفنّان الصادق بجاوي الذي أخذ منه التّراث الحَوزي واكتسب منه أسلوبًا مميّزًا في العزف على التي الكمان والرّباب. كما استفاد منه الفنّان محمّد بن تفّاحي الذي كانت تربطه به عُرى صداقةٍ متينة، وتعلّم على يديه الفنان الشّهير عبد الكريم دالي العزفَ على عدّة آلات موسيقيّة منها الرّباب والكمان قبل أن يُتقن العزفَ على آلة العودِ، وكان عضوًا فعّالًا في فرقته، بالإضافة إلى الكثير من الفنّانين الآخرين.

أنجزَ الشّيخ العربي بن صاري العديدَ من الأسطوانات في الموسيقى الأندلسية في الطّبع الغرناطي، إضافة إلى المدائح الدّينية، وكان يحفظ في ذاكرته أكثر من ألف عمل من تُراث الموسيقى الأندلسية. توقف الشّيخ العربي بن صاري عن الغناء سنة 1954م لأسباب شخصيّة، وكان يسمع صوته بين الفينة والأخرى وهو يؤذن للصّلاة.

ترك الشّيخ العربي بن صاري تراثًا فنيًّا كبيرًا يشهد به الجميع، فقد سجّل أوّل قرص له ذي 78 دورة سنة 1929م لدى شركة غراموفون للأسطوانات، وهي الشّركة ذات الشّهرة العالميَّة آنذاك والتّي سجّلت لكبار الفنّانين العالميّين.

مثّل الشّيخ العربي بن صاري الجزائر في المؤتمر الدّولي الأوّل للموسيقى العربيّة الذي أقيم بالقاهرة في مارس 1932م، وكان مرفوقًا بجوق موسيقي كبير متكوّن من إخوانه أحمد عبد السّلام، محمود بن صاري وابنه رضوان بن صاري، وعمر البخشي، وقدّم أعمال المدرسة التّلمسانيّة المستوحاة من الموسيقى الغرناطيّة.

ومن أهمّ القصائد التي غنّاها نذكر.

1. قصيدة يا أهل أندلس. وهي قطعة شعريّة فصحى للشّاعر الأندلسي الشّهير ابن خفاجة يقول فيها:

يا أهلَ أندلسٍ للّه درُّكم
ماءٌ وظِلٌّ وأنهارٌ وأشجارُ
ما جَنَّة الخُلدِ إلاّ في دِيارِكُمُ
ولو تَخَيَّرتُ هذا كُنتُ أَختارُ

2. قصيدة: آويا ظالمَة وعليك نَخلّي ولادْ عرشي يْتامَة.
3. قصيدة: أَحْرقَّ الضّنى مُهْجَتي
4. قصيدة: الوَشّام
5. قصيدة: على مَن تكون هذه الزّيارة.

بالإضافة إلى عشرات القصائد في المديح والغزل والوصف.

توفي الشّيخ العربي بن صاري -رحمه الله - يوم 24 ديسمبر 1964م بتلمسان ودفن فيها.

عبد النّاصر بوعلي

المصادر:

- محمّد طمّار، تلمسان عبر العُصور، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، دط، 1984.
- مُقابلَةٌ مع الفنّان والموسيقار سليم بجاوي، بتاريخ 22/ 08/ 2022 في بيته بتلمسان.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1984.

■ العيد سي البشير
(و:1364ه - 1945م/ ت: 1423ه - 2002م)

هو الإمام العيد البشير، والده محمّد بن أحمد بن العيد العيفاوي من مدينة مسعد وأمّه بنجاري بركاهم، كانت عائلته رحالة بمنطقة بسكرة، ولد في حدود منطقة طولگة ببسكرة سنة 1945 وهو تاريخ مولده الحقيقي حسب رواية نجله الأستاذ «أسامة العيد»، في حين تشير الوثائق الرّسمية إلى ميلاده خلال 1942 بالمليليحة، توفيت أمه وهو طفل صغير يبلغ من العمر حوالي 6 سنوات.

تعلم على يد والده الذي كان معلم قرآن فحفظ جزءا منه، لينتقل بعدها إلى مدينة الجلفة حيث تركه عند الشّيخ سي عطية الذي كان كفيله، أين تعلّم على يديه العلوم الشّرعية وبعض المتون والفقه والعقيدة والتّفسير وعلم الحديث، كما حفظ القرآن الكريم وعمره لا يتجاوز الـ17 سنة.

وبالموازاة مع دراسته عند الشّيخ سي عطية عمل كمعلم قرآن وأمّ المصلين متطوعا بمسجد المنير بحي الضّاية

بالجلفة وكان ذكيا مثقفا يُدرس القرآن والنّحو، وفي سنة 1974 التّحق بالمعهد الدّيني بمدينة مفتاح بالبليدة حيث درس به مدة سنتين، تخرج بعدها إماما خطيبا وعيّن سنة 1976 بمسجد بمنطقة طولگة ببسكرة، ولم يمكث طويلا حيث انتقل إلى مدينة حاسي بحبح إماما بالمسجد الجديد، ثم المسجد العتيق فمسجد زيد بن ثابت الذي مكث به حوالي سنتين ليعود مجددا إلى المسجد العتيق برتبة «إمام أستاذ» حيث عين فيه معتمدا ومفتيا على مستوى دائرة حاسي بحبح.

اشتهر الإمام البشير، المعروف في أوساط ساكنة مدينة حاسي بحبح بـ»سي البشير»، بدروسه وجلساته القرآنية التي يقيمها يوميا بالمسجد العتيق بعد صلاة العصر في علوم الفقه والحديث والمواريث والسّيرة النّبوية وكان يحضرها عدد كبير من المصلين من شيوخ وطلبة ومثقفين، وكان مقصد المئات طلبا للفتوى وإصلاح ذات البين مما جعل منه مرجعية دينية هامة بالمنطقة.

يحكي نجله بأنه تأثر كثيرا أثناء مرضه لكثرة المحبين حوله فبكى كثيرا وقال لو كان لي عمر ثان لعشته مع هؤلاء البسطاء.

الإمام البشير العيد رحمه الله من الأسماء التي اشتهرت بالاستقامة والعلم الغزير فأثرت بشكل كبير في الوسط المحلي فكانت مرجعا للفتوى وإصلاح ذات البين وفك الخصومات وهو من الشّخصيات التي ملأت المكان فكانت مقصد الجميع لتلقي العلم وأخذ الفتوى ولمّ الشّمل وحلّ النّزاعات

ذاع صيت الإمام سي البشير بين أبناء البلدة وخارجها وأحبه الجميع نظرا لما تميز به عن غيره في السّلوك الرّاقي والفهم والإفهام وحسن المعاملة والبشر والابتسامة التي لا تفارق محياه فهو أب وأخ وصديق، ولا يستغني عنه مجلس من مجالس أهل المدينة وهو دائما الحاضر بذاته والحاضر ببداهته، وهو المعروف بالصّوت الجهوري والفصاحة والبلاغة.

كما أنه معروف بعلوم الشّريعة وحافظ للشعر قديمه وحديثه صاحب خطب رنانة مؤثرة، مواظب على الاستزادة من العلوم

مساره المهني: بعد أن تحصل المرحوم على شهادة إمام مدرسا بمعهد مفتاح بالبليدة واستقراره بمدينة حاسي بحبح إماما بالمسجد العتيق ومن خلال نشاطه الدّؤوب وإبراز كفاءاته المتعددة الجوانب حاز على شهادة إمام أستاذ او ما يعادل الليسانس ثم صار رئيسا للمجلس العلمي للإفتاء بالدّائرة حيث أضحى ملاذ كل سكانها في رغبة في معرفة مسائل علمية تخص حياتهم بشكل أساسي كمسائل الإرث والتّركات والحج والبيع والزّكاة والزّواج والطّلاق وغيرها.

وبعدها اوكل اليه من طرف الهيئة الوصية منصب إداري وهو معتمد الدّائرة لدى مديرية الشّؤون الدّينية والأوقاف وله مكتب خاصّ داخل حرم المسجد العتيق واثبت قدرته على إدارة شؤون المديرية داخل الدّائرة بشكل ملفت للانتباه.

كان رحمه الله متمكنا أيّما تمكن من علوم الشّريعة واللغة والبلاغة، واعترف له بذلك القاصي قبل الدّاني ينتظره الباحثون، فكان يجيب على أسئلة المصلين أثناء دروسه اليومية داخل المسجد عند انتهاء الدّرس ومغادرته يجد من ينتظره خارج المسجد باحثا عن جواب لمسألة ما،كما كان بيته مفتوحا للجميع وفي كل الأوقات، واعترف له كل من قصده بالمثابرة على المطالعة والكتابة باستمرار كما اعترف له الجميع بقدرته على توصيل الفكرة بأسلوب يناسب جميع الطّبقات وبلغة خالية من اللحن تماما وبفصاحة يشهد لها البلغاء فلا يخلو له درس أو خطبة أو جلسة من أبيات من شعر الحكمة.

الجانب الاجتماعي في حياته: تزوج رحمه الله وهو شاب من أسرة ملتزمة ورزقه الله بأربعة أولاد وبنتين دأب على تنشئتهم على التّربية الصّحيحة والخلق القويم والأدب الرّفيع فكانوا كلهم نعم الأبناء.

كما كان لين الجانب مع جيرانه وأهل البلدة صغيرهم وكبيرهم لا يمر على جماعة منهم إلا وأفشى السّلام على وجهه الكامل وصافحهم وأطلق العنان لنكته الهادفة، فلا يغادر مكانا أو مجلسا إلا وترك انطباعا رائعا، ولا يسمع مريضا إلا عاده ولا حاجّا إلا زاره ولا ميّتا إلا عزّى أهله ولا صراعا إلا وشارك في تبديده وجمع له بكل هذا الحب والتّقدير والاحترام.

وفاته: كان سي البشير رحمه الله يمشي بخطى يحسبها العارف خطى مودع، بدأها بصلاة التّراويح في آخر رمضان في حياته حيث صلى بهم الشّهر بأكمله على عكس ما مضى وتساءل النّاس عن ذلك ولم يجدوا جوابا ثم أصرّ على الحج فكان له ذلك ولم يكن أحد يعلم أنها حجة مودّع، عاد مريضا بمرض حاول مقاومته لكنه لازمه الفراش، وتم نقله إلى العاصمة ببني مسوس لمواصلة علاجه فكان هناك قبلة للكثير من النّاس خاصة منهم طلبة الجامعات فضلا عمن رافقه من البلدة وكان العين السّاهرة التي تسعى لراحته ولم يكن أحد يعلم أن يد القدر ستأخذ هذه الشّعلة المضيئة إلى جوار ربها بعد نهاية أرادها الله أن تكون مميزة كتميز صاحبها فبعد رمضان ساخن بالمثابرة الجادة في عبادة الرّحمان وحج مبرور ومرض مقعد يأتي يوم الأحد 14 افريل 2002 ليكون آخر يوم في حياة الإمام حيث لفظ أنفاسه على السّاعة التّاسعة ليلا بحضور من أبناء بلدته.

وهكذا ترك الإمام أثرا بالغا وفراغا رهيبا في نفوس أبناء المدينة حيث انطلقت الصّوامع والمحلات تصدع بالقرآن الكريم واكتست المدينة حلة من الحزن بعد سماع الخبر الذي نزل كالصّاعقة، ويشاء القدر مرة أخرى أن يختار له يوم 16 من أفريل المميزة يوما

لتوديعه ودفنه إلى مثواه الأخير... حيث شارك في جنازته عدد لا يحصى من الجموع من داخل المدينة وخارجها وحتى السّلطات المحلية والولائية ومن الذين الذي تخلوا عن العمل أو الدّراسة ليودّعوا هذا الطّود الشّامخ وكان ذلك اليوم أشبه بعطلة مدفوعة الأجر وبقي الجميع يحتفظ له بالعديد من المواقف الإيجابية كما تحتفظ له الجزائر بظهوره على الشّاشة في حديث ديني، ولكي تخلد ذكراه سمي باسمه مسجد العيد سي البشير.

بوعمارة بوعيشة

■ المكي بن الصّديق الونجلي (ت:1311ه - 1894م)

هو(محمد المكي بن الصّديق الونجلي)، وُلد بمنطقة(خنقة سيدي ناجي) ؛التي تعني الفج، أو المضيق بين جبلين، وتقع في أقصى شرق مدينة(بسكرة)، ويكاد يقع الإجماع في جل المصادر القديمة، على أنها قد تأسست سنة: (1011هـ/ 1602 م) بفضل الشّيخ(المبارك بن قاسم بن ناجي)، وقد أطلق عليها هذا الاسم تبركاً باسم جده(سيدي ناجي) ؛ وهي مدينة معروفة بجمالها ومساجدها، ومدارسها، وكانت تسمى بـ(تونس الصّغيرة) ؛نظراً لما تميزت به من إشعاع علمي، وثقافة إسلامية راسخة، وقد نشأ الشّيخ(محمد المكي بن الصّديق الونجلي)نشأة علمية متميزة، وتتلمذ على يد مجموعة من المدرسين الأجلاء في منطقة(خنقة سيدي ناجي)، ولعل أبرزهم الشّيخ المجاهد(عبد الحفيظ الخنقي)، فقد نشأ(محمد المكي بن الصّديق الونجلي) في منطقة (خنقة سيدي ناجي)، وترعرع في ربوعها، وفي ربوع مدينة(بسكرة)التي كان يزورها باستمرار، ومدينة(بسكرة) ؛ كما تذكر جل المصادر كان يستوطنها في العصور القديمة البربر من قبائل(زناتة)، ووفقاً للباحثين المُهتمين فقد كان يُطلق عليها اسم الزّاب، ويبدو أن اسم(بسكرة)قد تبدى في العهد الإسلامي، ولم يظهر إلا عند الحديث عن إخماد الفتنة التي قام بها أهل الزّيبان سنة: (251هـ/ 851م)، وقد أخذ عن الشّيخ المجاهد(عبد الحفيظ الخنقي) الطريقة الرّحمانية ؛ وقد درّس الشّيخ المجاهد(عبد الحفيظ الخنقي) في زاوية جده(أحمد الهجرسي)في(خنقة سيدي ناجي)، واجتهد من أجل نشر الطريقة الرّحمانية بالخنقة، وبجبل(ششار)، وأضحى من أبرز المقدمين لها في المنطقة، والطريقة الرّحمانية ؛طريقة صوفية تذكر عدة مصادر أنها قد تأسست عام: (1774م)من لدن الشّيخ(أمحمد بوقبرين بن عبد الرّحمن الجرجري)في الجزائر، وتنهض أركانها على المذهب المالكي في الفقه، والمذهب الأشعري في العقيدة، والمنهج الجنيدي في السّلوك، والانتساب إلى خط آل البيت روحياً وفكرياً ودينياً، وقد كان الشّيخ(عبد الحفيظ الخنقي)يرى أن الطريقة الرّحمانية تمتاز بأنها تقول بسبعة نفوس: الأمارة، واللوامة، والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، والكاملة في حين أن الطرائق الأخرى تقتصر على ثلاثة أنواع فقط من النّفوس، وهي: اللوامة، والملهمة، والمطمئنة، وقد أسس الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) زاوية في منطقة(خنقة سيدي ناجي) ؛وهي تضم ضريحه، وقد أضحت منارة لطلاب العلم والمعرفة، وقد تولى الإفتاء والتدريس بها، وقد عُرف بالزهد وبساطة الحياة، وهذا ما ينسجم مع الطريقة التي تبناها.

تميز الشّيخ (محمد المكي بن الصّديق الونجلي) بقربه من الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي)، وقد كان متصوفاً، وبرع في الفقه الإسلامي، وقد زوجه الشّيخ (عبد الحفيظ الخنقي) بناته الثلاث بعد وفاة كل واحدة منهن، وبعد انقطاعه للعلم والتحصيل، انطلق الشّيخ(محمد المكي بن الصّديق الونجلي)في الإمامة والتدريس، وبقي ببلدته(خنقة سيدي ناجي)سنوات طويلة، ومن أبرز تلامذته: الشّيخ(الدراجي بن بوعبد الله العقبي).

وقد توفي الشّيخ(محمد المكي بن الصّديق الونجلي) عام: (1311هـ)، المُوافق لـ(1894م)، وترك مجموعة من المؤلفات، من بينها: « شرح نظم خليفة بن حسن الگماري لمتن الشّيخ الخليل»، و« شرح حكم شيخه الخنقي غاية البداية في حكم البداية»، و« دعاء منظوم شرحه ابنه محمد الزّروق في رسالة وسمها بأنس الصّديق».

محمد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر، منشورات دار الخليل القاسمي، الجزائر.
- سليم كرام: الشّيخ عبد الحفيظ الخنقي: فارس مقاومة الكرامة في وادي ابراز، المجلة الخلدونية؛ **مجلة فصلية تصدر عن الجمعية** الخلدونية ببسكرة، الجزائر، العدد:03، ديسمبر، 2004م، ص:111 وما بعدها.
- د.أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرّابع، منشورات دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع.

■ المكي شباح
(و: 1311ه - 1894م/ت: 1411ه - 1991م)

ولد شباح المكي سنة 1894 في بلدة سيدي عقبة بولاية بسكرة في كنف عائلة امتهنت الزّراعة. تمتد جذورها إلى عرش أولاد عبد الرّحمان القاطنين بمنطقة أكباش، دوار تاجموت، بلدية مزيرعة حاليا من ولاية بسكرة،

تعلم مبادئ القراءة وحفظ أكثر أجزاء القرآن الكريم في كتاتيب مسقط رأسه ببلدة سيدي عقبة.

في سنة 1924 هاجر إلى فرنسا وابتدأت اهتماماته السّياسية في النّضوج حيث اتصل بمصالي الحاج.

وانخرط في حزب نجم شمال أفريقيا سنة 1926 فكانت أول تجربة حركية خاضها شباح المكي فتعلم منها العمل الجماعي ونضج فكره السّياسي.

عاد سنة 1929 إلى بلدته سيدي عقبة وفتح بها مقهى ثقافيا، وأسس جمعية تمثيلية في المسرح وأخرى رياضية تحت مسمى «الشّباب العقبي»، وكان الاديب الشّهيد أحمد رضا حوحو كاتبها العام فحيث عملوا على بعث الأنشطة الثّقافية في بلدتهم، فكثّفوا من أنشطتهم. وكان المقهى الثّقافي مقرا لها، فبدأوا بتنظيم عروض مسرحية للجمهور الغرض منها بعث الرّوح الوطنية في نفوس الشّباب ومقارعة الاستدمار وأذنابه بطريقة ذكية وفعالة.

بعد اطلاق سراح الشّيخ الطّيب العقبي من التّهمة الموجهة اليه بقتل المفتي كحول أقام شباح المكي حفلا في مقهى بلدته ابتهاجا بهذا الخبر السّعيد، حضره وفد من جمعية العلماء المسلمين من مدينة بسكرة، ألقيت فيه الخطب الحماسية ونشرت فيها الأشعار، إلا أن ذلك لم يرق للاستدمار وأذنابه فاستدعي شباح المكي لمكتب «بن قانة « واتُّهِمَ بالتّهجم على فرنسا وتحريض النّاس على الانتفاضة ضد الاحتلال،

في أمسية ذلك اليوم جهز بن قانة فرسا مع وثاق رُبط به شباح المكي، وأُمِرَ العميل بجره على مسافة 120 كلم مشيا وهو موثوق الأيدي، الى غاية مدينة أولاد جلال وألقي

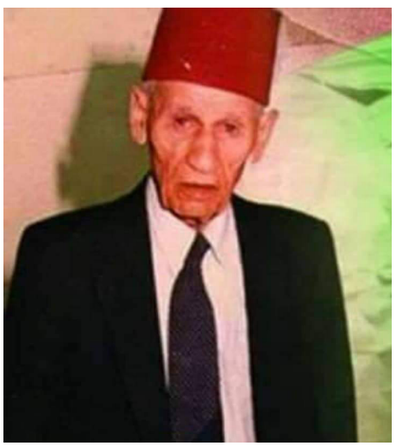

في زنزانة ضيقة لا فراش فيها ولا غطاء، طعامه إحدى عشر تمرة يوميا وزجاجة ماء لا غيرها

مباشرة بعد اعتقاله، أمرت سلطات الاحتلال بغلق مقهاه الأدبي ومصادرة محتوياته وتجميد كافة أنشطة الأندية التي أسسها، فأصبحت قضيته قضية رأي عامّ في الجزائر وفرنسا، فتخوف حاكم أولاد جلال العسكري من الأثار السّلبية التي قد تترتب عن إبقائه في غياهب السّجن، فأطلق سراحه بعد شهر من ذلك ولم توجه له أي تهمة رسمية

وقد أصدرت منظمة المساعدة الشّعبية طابعا بريديا خلد الموقف الذي عاشه شباح المكي خلال اعتقاله وهول ما عاناه في طريقه إلى السّجن، وزع الطّابع بواسطة الأحزاب في العالم بينما كان استعماله ممنوعا في فرنسا، إذ كانت تفرض غرامة على كل من يملكه بمبلغ خمسة مائة فرنك فرنسي.

بعد أن انقطعت على شباح المكي سبل الرّزق في بلدته، قرر التّرحال إلى العاصمة مع أهله، فاضطر لبيع بندقيته لتغطية مصاريف سفره.

وأسّس جمعية «الكوكب التّمثيلي الجزائري» في العاصمة سنة1937 التي مثل أعضاؤها مسرحية فرعون العرب بمدينة بسكرة رغم معارضة الاحتلال.

كان لشباح المكي ورفقائه الباع الأكيد في تحضير الثّورة. فبدأوا بتجميع السّلاح وتدريب المجاهدين ونشر الوعي السّياسي وروح النّضال في أوساط الشّعب.

وحين انطلقت الثّورة المباركة في غرة نوفمبر 1954، قام شباح المكي بنشر الوعي الثّوري لدى فلاحي وشباب أعراش دوار تاجموت، مما جعلهم يلتحقون بالثّورة في بدايتها أي في سنة 1955، كما قدم صورا رائعة في التّضحية والجهاد في سبيل الله.

أُدْرج اسم شباح المكي في قائمة المطلوبين لدى سلطات الاحتلال، فاضطر إلى التّخفي، ونصحه رفقاؤه بمغادرة الجزائر لخدمة القضية من الخارج، وتم تنظيم سفره إلى جنيف ومن بعدها إلى برلين ثم إلى شمال فرنسا، حيث أسس جمعية ثقافية مسرحية ونشطها خلال تواجده هناك، صدر في حقه حكم بالإعدام غيابيا في يونيو 1955 من محكمة باتنة وألقي عليه القبض وهو في شمال فرنسا ولكن بقي تحت المراقبة المستمرة لمدة سنتين.

بتكليف من جبهة التّحرير الوطني، تولى شباح المكي خلال إقامته في فرنسا مهمة إرسال المحاربين إلى الجزائر عن طريق ليبيا، فقام بهذه المهمة بنجاح إلى الاستقلال.

مباشرة بعد الاستقلال عاد شباح المكي إلى الجزائر، وبادر في إعادة بعث نشاطه المسرحي، فتعاقد مع التّلفزيون الجزائري لإنتاج مسرحية حول الثّورة التّحريرية، إلا أن وزير الفلاحة الذي كان صديقه في النّضال آنذاك كلفه بمهام في قطاعه نظرا لما تمتع به سابقا من خبرة في تعامله مع الفلاحين الصّغار.

يعد شباح المكي من أبرز رواد المسرح في الجزائر، من خلال أعماله الإبداعية التي تجاوزت عشرين عملا مسرحيا وإبداعيا، في صورة "فرعون العرب"، "كيد النّساء"، "نهاية الحواس"، "النّمر والسّنجاب"، وغيرها من الأعمال التي توثق لإبداعاته ونضالاته في مجال المسرح

كان فنانا ملتزما ومناضلا ومجاهدا احتك بأكبر المجاهدين والمناضلين وشيوخ الدّين، ونشر الوعي الثّوري لدى أبناء المنطقة والجزائر وفي المهجر، أوكلت له مهام كبيرة أداها على أكمل وجه، واصل نضاله إلى غاية الاستقلال.

بتاريخ 21 جانفي 1991 توفي شباح المكي حيث أوصى بتأدية صلاة الجنازة عليه بمسجد عقبة بن نافع بسيدي عقبة ودفْن جثمانه الطّاهر في بلدته مزيرعة.

نعيمة سعدية

■ المهدي سي أحمد
(و: 1368ه - 1949م/ ت: 1441ه - 2020م)

المهدي سي احمد ولد في 27 اوت 1949 ببلدية الاربعاء ناث ايراثن، ولاية تيزي، وزو الذي يعتبر من أشهر الجراحين في الجزائر ينحدر من عائلة محترمة كان المهدي أستاذا، وبروفيسورا، وجراحا في الجراحة العامّة بالمستشفى الجامعي بالبليدة. زاول دراسته الابتدائية، والاكمالية في مسقط رأسه. ثم انتقل إلى الجزائر من أجل مواصلة دراسته الثّانوية، حصل المهدي على البكالوريا في عامّ 1967، سلسلة العلوم الطّبيعية. التّحق بكلية الطّب، وبعد سبع سنوات، وفي عامّ 1974، حصل على دكتوراه في الطّب.

هو أول طبيب استشهد يواجه الوباء لإنقاذ حياة الآخرين غدر به "فيروس كورونا المستجد" الذي أسقطه، وهو يؤدي، واجبه الإنساني فكتبت له الشّهادة إثر ذلك في 30 مارس 2020.

كان، والدّه، سي أحمد محمّد حسين، جزءًا من هذا الجيل الاستثنائي من معلمي القبائل من النّصف الأول من القرن العشرين، والذين يمكن حساب عددهم على أصابع اليد. ولد سي أحمد في 5 ديسمبر 1907، وتخرج في المدرسة العادية في بوزريعة عامّ 1928، عن عمر يناهز 21 عامًا. نصت القوانين الاستعمارية في ذلك الوقت على أنه يتعين على المعلمين «الأصليين» استكشاف ريف القبائل قبل أن يأملوا في مهمة محتملة في مركز حضري. هكذا كان لابد أن يكون، والدّ سي أحمد «مدرسًا، ومديرًا» لعدّة مدارس قروية، والتي لم يكن بها في الغالب أكثر من فصلين أو، واحدًا. ومن هؤلاء الطّلاب الذين كانوا من

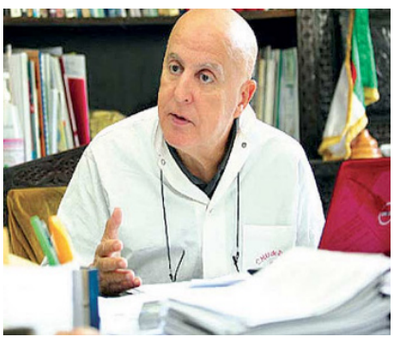

مواطني المنطقة، الثّوري الشّهير عبان رمضان مهندس الثّورة الجزائرية.

أكمل دراسته، وحصل على إجازة في علم النّفس، ودبلوم الكفاءة لتفتيش المؤسّسات الابتدائية، وسيشغل الأب سي أحمد مهام مفتش أقسام أكاديمية عدّة مدن جزائرية من 1958 إلى 1975. هذه الواجبات الثّقيلة للمعلم، والمدير لم تمنعه من الاستجابة لنداء البلاد في خضم الكفاح من أجل تحريرها. وهكذا كان عضوًا في OCFN من 1956 إلى 1962. وقد نجا من عدّة محاولات اغتيال من قبل الاستعمار الفرنسي عن طريق المنظمة السّرية OAS. كان أحد المفتشين الثّلاثة الذين كلفتهم الحكومة الجزائرية بتنظيم السّنة الدّراسية الأولى في الجزائر المستقلة ثم، وافته المنية في 25 يونيو 1996، عن عمر يناهز 89 عامًا. يقول الأشخاص الذين يعرفون، والدّ مهدي أنهم تأثروا بالقوة الهادئة التي تنبعث من شخصه، انعكاسًا لسلطته، وحكمته. كان محاطًا بعائلة كانت تحترم الأب إحتراما عميقًا، وأبويًا، ممزوجة بإعجاب صادق. نشأ المهدي داخل هذه العائلة حيث يسود التّعايش الدّقيق بين التّقاليد المفهومة جيدًا، والحداثة النّقدية، لا يمكن للمرء أن يفهم الصّفات الإنسانية للبروفيسور سي أحمد بشكل كامل دون معرفة خصائص عائلته.

يقول البروفسور بوسعد مراجي انه عندما كان استاذا بالعاصمة في السّبعينيات بمصلحة CCA التّقى الطّالب سي احمد المهدي أول مرة، كان مدفوعًا بفرحة الحياة، وطموح كبير، وعطش مخلص لتعلم الجراحة. أظهر المهدي بالفعل سلوكًا جادًا، ومنتظمًا، وفضوليًا، كانت هذه السّنة الأولى مثمرة، وممتعة. المهدي، بعد حصوله على DEMS، تم تعيينه مساعدًا رئيسيًا في عامّ 1979، كمتعاون قيم، وملتزم، قام بواجباته كجراح، ومعلم بجدية، وإحساس قوي بمفهوم الفريق.

في عامّ 1983، بدأ في إعداد أطروحته DESM، دافع ببراعة عنها في العام التّالي من قبل لجنة التّحكيم برئاسة البروفيسور «منتوري». هناك كان مهدي، في عرضه، مقنعًا، وبليغًا، وجذب انتباه لجنة التّحكيم بحسّه التّربوي، ووضوح استنتاجاته. تم قبوله في رتبة محاضر بتهنئة لجنة التّحكيم.

في عامّ 1986، اتخذ مهدي قرارًا كان بمثابة نقطة تحول حاسمة في حياته المهنية. قرر التّقدم لشغل منصب Docent، رئيس القسم بالإنابة، في C.H.U البليدة. كان قرارًا شجاعًا للغاية، مع العلم بموقع البناء الضّخم الذي كان ينتظره، وذلك تحت شعار ما تخاطر به يكشف ما تستحقه (J. Winterson).

في عـامّ 1986، تـم إنشـاء C.H.U كانت البليـدة في مهدها، والإشـراف الجامعي في مرحلـة جنينيـة. فتـم تقسـيم الخدمـات إلى هياكل مختلفة، وتم تخفيض طاقم الإشراف فـي التّخصصـات الطّبية القليلـة الموجودة، إلى الحد الأدنى. وصل الأسـتاذ سـي أحمد إلى قسـم الجراحة الموجود في مبنى قديم، وهـو عيـادة Farrugga. والقسـم غـارق فـي نشاط جراحي طارئ كبير.

"العناد هو الطّريق إلى النّجاح"(شابلن).

عمـل البروفيسـور سـي أحمـد علـى تنظيم المصلحـة، وإنشـاء فريق متجانس مـع تلبية متطلبات التّدريس للطلاب، والمقيمين.

فـي عـامّ 1991، وصـل إلـى رتبة أسـتاذ. تـم تعيينه رئيـس المصلحة في العـام التّالي، وذلك رغم الظّروف المأسـاوية التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة «العشرية السّوداء». وبعـد عـدّة خطـوات عنيـدة، حصـل علـى نقـل قسـمه إلـى جنـاح أعيـد تنظيمـه، وفقًا لتوجهاته في مستشـفى فرانـس فانون، الذي أصبح C.H.U. وقد تم الآن اسـتيفاء شـروط إعادة نشـر جديـدة للمصلحة بهـدف إدخال تقنيات جراحية جديدة في قسـمه، سـيجري البروفيسور سي أحمد العديد من التّدريبات في مختلف الأقسـام المشـهورة في أوروبا، فـي باريس، وليـل، وكليرمون فيـران، ورين الولايـات المتحدة، ونيو كاسـل في بريطانيا العظمى.

لقـد حـدد بالفعـل، وخطـط الخطـوط الرّئيسـية لعملـه على مـدار العشـرين عامًا: الجراحـة بالمنظـار، وجراحة الكبـد، وزرع الأعضاء. وهكذا، في منتصف التّسـعينيات، أدخـل الجراحـة التّنظيرية في قسـمه. ولكن ليس فقط. وهـو من بيـن الجراحين الأوائل في الجزائر الذين قاموا بتوسـيع هـذه التّقنية بسـرعة لتشـمل جراحـة القولـون، والكبد، والكلى، والغدة الكظرية، والطّحال، ناهيك عـن الجراحـة الجداريـة فـي الوقت نفسـه، يعالـج فريقـه جراحـة الكبـد بهـدف زراعة الكبـد في عـامّ 2002، قـام بتنظيم، وإنشـاء، وحـدة زرع كلـى، حيـث أجـرى أول عملية جراحيـة لمتبرع حي في العـام التّالي. متابعةً لأفكاره بدأ في عامّ 2010، عملية زرع الكلى مـن المتبـرع الجثة أثناء مشـاركته في إنشـاء الإطار التّشريعي لهذا النّوع من الزّرع.

معهد زراعة الأعضاء الذي أنشأه الأستاذ سـي أحمـد هـو، واحـد مـن أوائـل، وأكبر معاهـد في العالم العربـي، وفي أفريقيا. أدى تطويـر الخدمات المختلفة من قبل الأسـتاذ سـي احمد إلى جعـل المستشـفى الجامعي بالبليـدة مركـزًا طبيًا يسـتقطب المرضى من جميع أنحاء البلاد.

لم يتوقف عمل الأسـتاذ سـي أحمد عند إنشـاء معهـد زراعـة الأعضـاء، بـل أسـهم أيضًـا بشـكل فعـال فـي زيـادة الوعـي عنـد الجزائرييـن بهـذه التّقنيـات الطّبيـة الجديدة التـي اعتبرها حلاً حقيقيًـا للصحة العمومية. تـم تنفيـذ حمـلات توعوية مـع كبـار علماء الدّيـن الجزائرييـن مـن خلال إعادة تنشـيط الفتـوى التـي تسـمح بهـذه الممارسـات الجراحية، وكذلك العديـد من المؤتمرات، والاجتماعـات فـي هذا الاتجاه. كما أسـهم في التّطوير التّشـريعي للدعـم القانوني لهذه التّقنيـات الجراحيـة الجديـدة بالتّعـاون مع المجلس الشّعبي الوطني.

كـرم قسـم الجراحـة بمستشـفى جامعـة البليدة برئاسـة الأستاذ سـي أحمد المهدي، وسـام أفضـل تواصـل علمـي فـي المؤتمر الفرنسـي للجراحـة الــ 116 الذي عقد سـنة 2014 فـي باريـس (فرنسـا). ويتعلـق بعمـل جراحـي، لأول مرة، بعلاج احتشـاء الأمعاء عن طريـق تحلـل الجلطة (تسـييل الجلطة) مثل تجلط الدّم في احتشـاء القلب أو الدّماغ (السّكتة الدّماغية).

كان المشـوارالعلمي للبروفيسـور سـي أحمد حافـلا بالعطـاء حيث تضمـن العديد مـن الانشـطة، والإنجـازات المتنوعة فكان عضوا مؤسّسـا للعديد من الجمعيات الطّبية أهمهـا *الجمعية الجزائرية لزراعة الأعضاء «SATO"والجمعيـة الجزائريـة للجراحـة بالمنظـار «SACL"عـام 2000، وكذلـك الجمعيـة الجزائريـة للجراحـة القانونيـة «القناة الصّفراوية» كما كان أيضا المؤسّس الرّسـمي للمعهـد القومي للكلى، ومشـروع زراعـة الاعضاء، وقام بإدخـال زراعة الكلى من المتبـرع الحي عامّ 2003 ثـم من المتبرع الميـت عـامّ 2010. كما قام البروفيسورسـي احمـد بالاشـراف علـى الرّسـائل الجامعيـة لعدد من المترشـحين لنيل درجـة الدّكتوراه فـي العلـوم الطّبيـة، وأكثـر مـن مئـة رسـالة منشـورة تـم تقديمهـا أو نشـرها خـلال النّـدوات أو أيـام الدّراسـة أو المؤتمرات أو النّدوات الوطنية أو الدّولية.

لم يكن البروفسـور سـي أحمـد المهدي لامعـا فقط فـي نطاقـه الطّبي، وحسـب فقد حظـي بمحبـة، وإحتـرام الجميـع للخصال التـي تمتع بهـا بيـن المرضـى، والموظفين، والزّمـلاء، والأصدقـاء، والأقـارب، وهـذا أبـرز مـا قيـل عنـه مـن خـلال اللقـاءات، والرّوبورتاجات :

موظف في المستشـفى: البروفسـور سي أحمـد كان متواضعا، ومثالا عـن التّفاني في العمـل، وحبـه للجزائر حيث رفـض مغادرة البـلاد رغم الفرص القيمة التـي كانت تأتيه، ويظهـر ذلك فـي أولاده حيـث، ورثهم حبه للعلم، والدّين، والوطنية.

البروفسـور سـيد أحمد العربـي يقول: لقـد تخيـل البروفسـور سـي أحمـد معهد الكلـى لانـه راى هذاالمشـروع فـي الولايـات المتحـدة فقـال لمـاذا لا نعمـل نفـس الشّـيء فـي بلادنـا، وهـذه كانـت بدايـة الفكـرة حيـث بـدأ في العمـل على هـذا المشـروع منذ 2002 الـى غاية 2014، والانطـلاق العملـي فـي 2017، ويعد هذا المعهد مـن أكبرالمعاهد الأفريقية.

يقـول عنـه الاسـتاذ جمـال لبانـي هذا المعهـد هـو طفل البروفيسـور سـي احمد فهومن يدفـع النّاس الى الامام، وشـجعنا علـى التّدريب فـي الخـارج، والعودة إلى الوطـن لـم يغلـق الأبـواب أمـام أولئـك الذين كانـوا مهتمين بالتّطور.

يقـول البروفيسـورخليفة جبـار البروفسـور سي أحمد شـخص عمل بجد لتعزيـز زراعـة الأعضـاء في الجزائـر ففي عـامّ 2003 بـدأ الفريـق في انشـاء تدريب، وبدأنـا بالجمـع بيـن خبـراء فـي أمـراض الكلى، والمسـالك البوليـة، والجراحة... إلـخ فكانـت المرحلـة الأولـى الكلـى، والمرحلـة الثّانية الكبد.

البروفسور زهرة امسعودان البروفسور سي أحمد أعطى الكثير للجراحة الجزائرية قام بزراعة الأعضاء، وحتى إستئصال الكلى بالمناظر كان له خبرة كبيرة في هذا المجال كان من الأوائل السّباقين.. فقدنا منه أستاذاً عظيماً لكنه خرج أجيالاً فندعو له بالرّحمة، ونقول له شكرا على ما أعطى لنا.

البروفسور عبد الرّزاق بوعمرة كنت قد تعاملت مع سي أحمد فالشّيء الاول الذي يجذبك إليه هي الطّيبة ثم الحكمة، وعندما نذكره يعني نقصد كلية الطّب، والمصلحة الإستشفائية بالبليدة فمعظم رؤساء المصالح كانوا تلاميذ الأستاذ سي أحمد هو عمل بجد، وكانت نهايته في عمله.

وفي هذا الصّدد يطالب زملاؤه بتسمية مركز زراعة الأعضاء بالمستشفى باسمه تقديرا لجهوده في تنفيذ المشروع.

يقول عنه أحد طلابه لن أنس جملتك أبدًا يا سيدي:

"العلم هو الثّروة الوحيدة التي تزداد بإعطائها"، وماذا عن الاستاذ سي احمد رحمة الله عليه، لقد رحب بنا كمقيمين، وأشعرنا على الفور بأننا في المنزل، لقد أعطانا القيمة... فكل خطبه ركزت حول المقيم، تدريبه. لأنه، كما كان يقول، أنتم مستقبل الجراحة! كان متواضعا. لقد أعطى للجراحة حياته كلها، ووجوده كله!

كل ما تعلمه في الجراحة... نقله! قبل كل شيء، نقل إلينا؛ السّعادة، والفرح، والفخر لكونك جراحًا! تعلم، وتمرير! كان هذا شعاره.... تقديري، واحترامي، وامتناني سيكون أبديًا لك! لقد ميزت الأجيال، وبفضلك الجزائر موهوبة بأفضل الجراحين لا يمكن للكلمات أن تصف كل أفكاري عنك!. حزينة. **أحلام** مستغانمي كتبت عنه الرّوائية

رحل أشهر بروفيسور جراح بالجزائر حارب كورونا بوعي العالم، وشجاعة من يؤمن بالإنسانية كان حلمه أن يعيش لينقذ الكثيرين لكن الوباء فتك به باكرا. غادرنا سي_أحمد_المهدي الكبير علما، وتواضعا، وهو في ساحة الحرب في مستشفى فرانس فانون بالبليدة حيث كان رئيسا لقسم الجراحة.

أثارت، وفاة الأستاذ سي أحمد مشاعر قوية في الشّعب الجزائري بأكمله. النّاس الذين قابلوه تأثروا ببساطة هذا الرّجل، والخدمات التي قدمها، ولطفه. وفي ظل هذه الإنجازات، والأفكار التي جسدها البروفسور «سي أحمد «نال، وسام الإستحقاق من كلية الطّب بالبليدة في 10 أكتوبر 2013م. كما تم تكريمه بعد، وفاته من طرف الحكومة الجزائرية بوسام الإستحقاق الوطني بدرجة عشير في 2020.

كان الأستاذ سي احمد، وطنيًا يحب، وطنه، وضحى من أجله. واعتبر أن الشّهداء الذين ضحوا من أجل حريتنا نقلوا إلينا، واجب مواصلة هذه التّضحية من أجل الوطن. لقد زرع هذا الحب للوطن في حاشيته، وفرقه التي بقيت معه في هذه المهمات المختلفة. كما كان مرتبطًا بعادات، وتقاليد بلده حيث أنشأ في نهاية حياته جمعية لبناء مسجد في قرية «اغيل تقمونين» الوحيدة في منطقة القبائل التي لم يكن فيها مسجد. بعد، وفاته، وعد، وزير الشّؤون الدّينية بمواصلة مهمة البروفسور سي احمد.

محمد سي أحمد

■ الموسوم محمّد بن رقية
(و: 1237ه - 1820م/ت: 1300ه - 1883م)

شّيخ الموسوم محمّد بن رقية ـ1237هـ1300-هـ/ 1820م 1883- م، من أبرز أعلام الطّريقة الشّاذلية في القرن 19م بالجزائر، وهو الشّيخ الموسوم محمّد بن رقية ولد بعرش غريب بين بوغار وملیانة بلدية جندل، وسكن قصر البخاري جنوب المدية وأسس هناك الزّاوية الشّاذلية، والدّه الشّيخ محمّد ينحدر من الشّيخ سيدي عبد العزيز مؤسّس قصر الشّارف في جبال أولاد نايل (الجلفة)، والدّته فاطمة الزّهراء بنت العربي أو العربيي المنتمية إلى الولي الصّالح سيدي بوعبدالله دفين وادرهيو (غليزان). نجده في العديد من التّعاريف منه « أنه من أولاد عبد العزيز الحاج رئيس الطّريقة الشّاذلية سيدي محمّد الموسوم دفين قصر البخاري المتوفي عشية الجمعة الرّابع والعشرون من ربيع الأوّل.» وفي تعريف آخر « هو محمّد بن أحمد الموسوم فقيه مالكي، رحل في طلب العلم ولد ونشأ في قبيلة غريب في ضواحي ملیانة، وقد جاء في كتاب المرآة الجلية على أنّه « هو الشّيخ الموسوم صاحب الزّاوية العامرة بقصر البخاري وقد جمع بين الشّريعة والحقيقة وله باع واسع في علم القوم وفي الفقه والنّحو وعلم الكلام والمعاني.»

ذُكر أنه كان يحفظ بدون أن يبذل جهدا لأنّ قلبه كان عامرا ومتعطشا للأضواء والأنوار الرّوحية، فقد حفظ القرآن الكريم في سن السّابعة من عمره، ودرس عند الحاج شفيع بن سي العربي بن سي الطّيب الحذيفي الذي اشتغل بالقضاء في أواخر العهد العثماني بالجزائر، كما درس عن

الحاج يعقوب وأخذ عنه المذهب المالكي وعلى يدّ كذلك الشّيخ البريشي، ثم انتقل إلى معسكر لطلب العلم على يدّ شيخها أبي راس النّاصري المعسكري، كما درس بمدرسة مازونة التي كانت تحت إشراف سيدي أحمد هني. فأصبح بارعا في علوم اللغة والأدب والبلاغة والفقه وعلم الكلام والقرآن، في وقت كان التّعليم متدنّيا لكن موهبته التي تميزت بقوة الحفظ وتفتح ذهنه جعله من القلائل في ذلك العهد الذين ألموا بالعلوم، أصبح الشّيخ فقيها مالكيا وعالما بالحديث وقد تمكن من حفظ الصّحاح السّت وجل المتون.

وكان والدّه قد أجلسه على الكُرسي كما أمره بإنشاء زاوية للتعليم بمقر قريته فامتثل له، وقد بنى الشّيح الموسوم مدرستين في وادر الشّرفاء في سنة 1855 لمختلف الأعمار تدوم فيها الدّراسة لمدة 10 سنوات كاملة وقسمها إلى قسمين: -القسم الأول: كانت تدرس فيها العلوم الرّوحية ويمثل المدرسة القرآنية والقسم الثّاني: يدرس فيها النّحو والمنطق والفقه الإسلامي، ويمثل المدرسة العلمية.

عن طريقته يذكر الشّيخ الموسوم في كتابه التّحفة المختارة "وذلك أنّي كنت في بداية أمري أطلب رجال الطّريقة ومشايخها تارة ليتعلق قلبي بالعارف بالله سيدي مولاي العربي بن عطية، وتارة بالشّيخ سيدي موسى وتارة نريد الذهاب إلى وزّان.» جاء هذا في مرحلة تميزت بتأملاته في الطّرق الصّوفية ذلك أنّ بعض الطّرق الصّوفية لم تنل إعجابه وقد نقل في كتابه مخطوط الدّالية قوله:" بعض الطّرق مليئة بتصرفات لا فائدة منها أو محرَّمة والغاية منها جلب الأنظار والشّهرة من أجل المنافع الدّنياوية عوض تهذيب النّفس من أجل النّجاة». وفي عامّ 1860 سافر الشّيخ الموسوم إلى مقام سيدي عبد الرّحمان الثّعالبي ذكر في كتابه التّحفة المختارة «ثم ينفض الله عزيمتي إلى سنة تسعة وستين(هجرية)، زرت سيدي عبد الرّحمان الثّعالبي ♦»، ولمّا رجع من زيارته رأى الشّيخ الموسوم رؤيا يشير فيها الشّيخ سيدي عدة برأسه للقدوم وهو متوجه إلى جهته، وبالفعل سافر إليه برفقة سيدي عبد الرّحمان العصنوني، ولمّا وصل إليه فرح بهما فرحا شديدا مخاطبا الشّيخ الموسوم: «وأعلم يا ولدي أنّ الأب هو الذي يفرح بازدياد الابن عنده ويحسن اسمه.» وكان الشّيخ الموسوم قد طلب من الشّيخ التّقديم فرد عليه سيدي عدة «يا ولدي المراد أن تكون شيخا ولا نرضى أن تكون مقدما... وظني في الله أنك ولي الله تعالى.» ولقد توفي الشّيخ سيدي عدة في جمادى الثّاني 1283 هـ/ 1866م وبعده توفي ابنه سيدي المختار ليصبح الشّيخ الموسوم شيخا للطريقة الشّاذلية.

في عامّ 1865 أسس الشّيخ محمّد الموسوم زاويته في قصر البخاري وهي في الأصل مسجد حيث كانت تابعة لزاوية غريب بواد الشّرفاء، حيث قام ببناء زاويته بين المدينة الأوروبية والقصر القديم، وامتدت سلطته بعد أن أصبح قطبا وشيخ الطّريقة الشّاذلية في التّل والقطاع الوهراني ووسط الجزائر، وقد عين الشّيخ الموسوم مقدمين له في أهم المراكز الرّئيسية في القطاع الوهراني واحداً في معسكر وهو سيدي محمّد بن عبد الله، وآخر في مستغانم وهو سيدي قدور بن سليمان.

جاء الشّيخ الموسوم في النّصف الثّاني من القرن19م في فترة عرفت بالانتفاضات الشّعبية من جهة وغطرسة السّلطات الفرنسية فكانت حياته و زاويته نموذجا للعمل الصّوفي في إطار الطّريقة الشّاذلية من حيث الاستمرارية في وقت عرف بالاضطراب السّياسي والاقتصادي، ما جلب إليه أنظار السّلطات الفرنسية فعرضت عليه وظيفة إدارة المدرسة الحكومية الثّعالبية بالعاصمة التي تعمل على تكوين الجزائريين المسلمين في الوظائف الشّرعية، فقدم اعتذاره وعزم على البقاء في خدمة الدّين والعلم والوعظ والإرشاد في قصر البخاري، في وقت ذاع فيه صيته بين النّاس فكان يبث العلم الممكن في وقت الاحتلال الفرنسي ومبادئ الدّين والتّصوف، إذ كان يعتقد وفق ما ذكر أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثّقافي أنّ ذلك أبلغ وسيلة في الجهاد ضد العدو، الذي كان يخنق أنفاس أمثاله ممن تسميهم السّلطات الفرنسية بالمرابطين المستقلين.

وقد نشطت زاويته بقصر البخاري في وقت تمت محاربة المدارس القرآنية والتّعليم الإسلامي واللغة العربية من طرف السّلطة الاستعمارية لمحو الشّخصية الجزائرية الإسلامية، وفي وقت تميز بزيارة الإمبراطور الفرنسي نابليون الثّالثّ للجزائر وصدور قرار السّيناتيس كونسيلت(Sénatus-Consulte)22 أفريل 1863 الهادف إلى ضرب القبيلة والطّابع الجماعي للملكية وإقرار الملكية الفردية، بما يمكن من انتزاع أراضي الجزائريين من يدّ مالكيها الفعليين وتمكينها للاستيطان الأوروبي، وصدور قانون الجنسية 14 جويلية 1865 الذي أُعلن فيه أنَّ الجزائريين مجرد رعايا فرنسيين لا حقوق لهم في الحياة السّياسية والمدنية ولا جنسية لهم إلاّ إذا تخلوا عن أحوالهم الشّخصية، وفي فترة تميزت بتردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين جراء السّياسة الكولونيالية في الجزائر ما عصف بالمجتمع الجزائري جراء الكوارث الإنسانية.

تجنب الشّيخ الموسوم كل الحركات السّياسية وقد بعث في هذا الشّأن برسالة إلى تلميذه محمّد بن محمّد في التّركيز على الجانب التّربوي والتّعليمي وذلك لأجل استمرارية الزّاوية في التّعليم في مرحلة تميزت بمحاربة التّعليم العربي الإسلامي، وقد رأى الشّيخ أنَّه أبلغ وسيلة للجهاد، وأنَّ مُصادمة الاستعمار بقوى غير متكافئة وعدم إعداد العدة سيجر إلى الهزيمة لا محالة»، ذلك أنّ الانتفاضات التي سبقته لا فائدة منها في إخراج المحتل الفرنسي والمجابهة التي لم تُخلّف غير مصادرة الأراضي وقتل المريدين ونفي آخرين وحرق زوايا وتدميرها وقطع رؤوس شيوخها وسجن آخرين ونفيهم، فرأى أنَّ السّلم أقل ضررا.

ومع ذلك، كان الشّيخ الموسوم تحت رقابة السّلطات الاستعمارية في برنامجه التّعليمي وحتى في أذكاره الصّوفية بعد الفشل في احتوائه، وقد ازدادت الشّكوك حوله في استعداده لتحريك انتفاضة وأنه بزاويته غريب أسلحة فتمت مداهمة الزّاوية من طرف السّلطة الاستعمارية أثناء غياب الشّيخ ولم يعثروا على الأسلحة وإنّما وجدوا أوراق الشّيخ

فحملتها لأجل معاينتها. ومع سنة 1870 اتهم بمعارضة الحكم المدني فتمت مداهمة الزّاوية وفتشوا أوراقه ووجدوا أن جنيرالا فرنسيا كتب إليه برسالة يطلب منه معارضة تغيير النّظام من العسكري إلى المدني، غير أنّ الشّيخ كتب على هامش الرّسالة بالرّصاص أنّه لا يتدخل في مثل هاته الشّؤون. كما خشيت منه السّلطات الاستعمارية «لما زار سيرقين أو الحمام السّاخن بقصر الشّلالة بالخصوص لمّا تجمع حوله النّاس وأقاموا له حفلا كبيرا ومرّ الحفل دون عواقب سياسية» كما ذكر ايفون تيران في كتابه(Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale 1830–1880):«أنّ المكتب العربي لبوغار آنذاك في تقرير صدر له أنّ زاوية الشّيخ الموسوم قد اعتبرها المستعمر مجتمعا سريا هدفه الدّائم إشعال نار الفتنة من خلال انقلاب السّلطات الفرنسية، والأخطر من ذلك تربية جيل جديد.»

كما كان للشيخ الموسوم دور مهم في التّصدي للحملات التّبشيرية من ذلك ما قام به تلميذ الشّيخ الموسوم سيدي الحاج بن شرقي بالعطاف في محاربة التّنصير حفاظا على الشّخصية الجزائرية الإسلامية التي حاولت فرنسا هدمها. ومن هذا المنطلق كلف الشّيخ الموسوم في عامّ 1870 زوجته الأولى لالة فاطمة الزّهراء بنت المصطفى بتدريس البنات اللاتي يتراوحن أعمارهن ما بين السّت والعشر سنوات، فخصص لهن بيتا كبيرا لتدريسهن حفظ القرآن الكريم مع ضمان الغداء للطالبات، وكان هذا نموذجا فريدا من النّماذج الأولى للتعليم والمتعلق بتحفيظ البنات القرآن الكريم من قبل زوجته في تلك الحقبة التي تميزت بالظّلامية وسياسة التّجهيل للمجتمع الجزائري إدراكا منه أنه إذا علمت بنتا فأنّما علمت أمة كاملة.

كان لزاوية الشّيخ الموسوم تأثيرا كبيرا على المجتمع الجزائري في وقت تميز بمحاولات المسخ والإدماج من طرف السّلطة الكولونيالية، إذْ نجدها تبث في القضايا الأسرية من خلال إقامة الزّواج ومعالجة مشاكل الطّلاق إضافة إلى معالجة الخصومات بين الأعراش والقبائل في إطار تعاليم الشّريعة الإسلامية، إلى جانب تقديم المعونات والصّدقات وإيواء اليتامى والمساكين وعابري السّبيل في فترة تميزت أيضا بالكوارث الإنسانية جراء القحط الذي أصاب الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي وسياسته الرّامية إلى إفقار المجتمع إلى جانب التّكوين والتّربية والتّعليم فكانت زاويته دار فتوى يقدم فيها الرّأي في المسائل العويصة والمطروحة منها.

إذ عاش الشّيخ الموسوم 63 عاما فترك تأثيرا في معظم المناطق ففي ظرف عشر سنوات انتشرت طريقته في منطقة قصر البخاري والونشريس والشّلالة والشّلف والأطلس المتيجي والتّل الوهراني والوسط الجزائري... فكانت حياته مليئة بالتّحفظ فقليلا كان ما يغادر زاويته بقصر البخاري فكان يفضل البقاء وسط تلاميذته وأتباعه لتناول فضائل الرّسول ﷺ بين الظّهر والعصر وبين المغرب والعشاء، وكان يغادر زاويته إلى بيته ودائما ما يكون برفقة اثنين من تلاميذته. ذكر اسكندر جولي (Alexandre Joly):" أنّ الشّيخ الموسوم اشتهر في المنطقة بالعلم والتّقى والزّهد والغيرة الدّينية، فأثر على النّاس وجعلهم يتخلون عن الخرافات والبدع، وقد أعطى هو المثل فكان يرفض المدح، وكذلك العروض (Propositions) التي قدمها له الفرنسيون".

وكانت أكثر تآليفه في الصّلاة على النّبي ﷺ فترك أكثر من 26 كتاباً ومنه ديوانه المسمى «الغوثية" وبعض الرّسائل منها: رسائل إلى المريدين، رسائل إلى سيدي محمّد بن محمّد، رسائل إلى أولاده.

ومن كتبه وهي مؤلفات صغيرة الحجم ومتخصصة في التّصوف أغلبها ومنه تأليف في التّوحيد رآه الحفناوي وقال عنه:" طالعته فوجدته عجبا عجبا".

ومن تآليفه نذكر: التّحفة المختارة في ثواب الزّيارة، تفريج الهموم في الصّلاة على النّبي كل يوم لعبيد الله محمّد الموسوم، الرّسالة في اسم الجلالة، كشف الغمة عن هذه الأمة، رسالة تحمى السّنة وتميت البدعة، الأنوار المضيئة في اتباع خير البرية، الدّالية الكبرى على سير المريد، الدّالية الصّغرى على سير المريد مع شيخه، العقد الثّمين في الصّلاة على النّبي يوم الاثنين، المكيال الأوفى في الصّلاة على المصطفى، حزب الأنوار الجامع لسائر الأدعية والأذكار، شرح عقيدة السّنوسي الصّغرى، النّور الوقاد في تعزية الأولاد(في خمس كراريس)، ترجمان الأشواق في رؤية سيد الخلق على الإطلاق، عصا موسى في الرّد على من أنكر وأسا، الدّرر البوعبدلية في الصّلاة على خير البرية، ورحلة ذكر فيها جميع من أخذ عنه...

أما جل المخطوطات موجودة على نسخة واحدة وقد تفرقت بين تلامذته وأولاده، وقد قام سي أحمد بن يعقوب بطبع بعض رسائله وكتبه، حيث ضمت مكتبة الشّيخ الموسوم حوالي 1.000 مجلد تفرقت بعد وفاته ولم يتم استرجاعها.

توفي الشّيخ الموسوم في 24 ربيع الأول 1300 الموافق لـ 03 فيفري 1883 وخلّفه على رأس الزّاوية ابنه أحمد بوصية منه، تاركا مجموعة من المؤلفات، يقول أبو القاسم سعد الله وقد أثرث وفاته في الجميع وقيل أن مشروعه الذي قد شيده قد انحط من بعده بعدما تقاسم أبناؤه التّركة الرّوحية وزاوية بوغار (البخاري) فانخفض الحماس الدّيني عند الأتباع وذهبت هيبة الزّاوية وتبعثرت الجهود التي كان الشّيخ الموسوم قد بذلها.

ليلى بلقاسم

المصادر:
- بن بكار بلهاشمي: مجموع النسب و الحسب و الفضائل و التاريخ، مطبعة تلمسان، 1965
- الحفناوي أبو القاسم: تعريف الخلف برجال السلف.
- سعد الله القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، الجزائر، 2007

■ المولود الحافظي
(و: 1297ه - 1880م/ت: 1367 ه - 1948م)

المولـود بـن الصّديق اللقب ب سـحابي والمنسـوب إلـى قريّـة مسـقط رأسـه بنـي حافـظ الواقعة في بلديّـة عين لـقرا ج دائرة بني ورتلان ولايّة سـطيف ويعـرف بالفلكي والأزهـري وولـد سـنة 1880، ينسـب إلـى أسرة تمتهن الفلاحة الجبليّة القليلة المردود الكثيرة الاتعاب والتّكاليف.

نشـأ المولـود فـي بيئـة محافظـة متدينـة منشغلة بهم كسب قوت يومها، وتولي لذلك الجهـد الجهيـد الـذي لم تبـق منه مـا يوجه لطلـب العلـم بل تدفـع بالأبنـاء دون البنات إلى الأعمـال الفلاحيّة وللابن الأكبر العبء الثّقيـل والمولود هـو ذلك الابـن الأكبر في الاسرة.

تـردّد على مسـجد القريّـة لتعلـم القراءة والكتابـة بقدر مـا يسـهل عليه قـراءة وكتابة وحفـظ أجـزاء مـن القـرآن الكريم علـى يدّ الشّـيخ الصّديـق أميان وأمـا اللغة الفرنسـيّة فقـد أخذ نصيبا منها في المدرسـة الفرنسـيّة عـن معلم فرنسـي هـو المدعـو بواسـو، أنّ للبيئة الثّقافيّة تأثيرها على شـخصيّة المترجم لـه فإليهـا يعـود الفضـل فـي تعلقـه بالتّعليم والحـرص على الاسـتزادة منه قربت الشّـقة أم بعـدت، ويكفي أن ينسـب الرّجل إلى بني ورثـلان فيتبـادر إلـى الذهـن كبـار العلماء، أمدت هـذه الهيـأة الكثير مـن العلمـاء أفنوا أعمّارهم في نشـر العلم وبما شيدوا فيها من زوايـا ودور للتعليم بالرّغم مـن المضايقات والمصاعب الجمة التي تشـدد بها المستعمر قصد الحد من نشر العلم وبث الوعي وإحياء القيـم الوطنيّـة والمحافظة علـى المقومات الشّـخصيّة الممثلـة في الدّيـن ومبادئه ومثله السّاميّة فحتى تغطي على هذه الخصوصيات الوطنيّة عمدت إلـى اضطهاد المعلمين للّغة العربيّـة وغلق المعاهد والزّوايا ومنع التّعليم عامّة إلا برخصة يتشـدد المسـتعمر الغاشـم فـي منحها إلا بشـروط والتّي منهـا ألا يتعلم باب الجهاد في الفقه الإسلامي ولا تستعمل الوسـائل البيداغوجيّـة كالسّـبورة وغيرها.. وأمـا منبـع بـاب الجهـاد فلأجـل الا ينهض الشّـعب ضد عـدوه الظّالـم الغاشـم فيفتك حريتـه المسـلوبة ويسـترجع كرامته فيسـترد الوطن من العدو الدّخيل.

ففي هـذه الظّروف كانت نشـأة الحافظي فلقي مـا يلقاه أمثاله من معانـاة جراء الجهل والفقـر والتّخلـف والحرمـان مـن أبسـط ضروريـات الحيـاة، انتسـب الحافظـي إلى أحـدى الزّوايـا المحليّـة وقـد تكـون زوايّـة فريحـة التي كان من شـيوخها الطّاهر واعمر أو بلقاسـم وأحمد أو حمودي فتلقى مبادئ العلوم الشّـرعيّة واللغويّة فلـم يقنع بما أخذ وعزم علـى الاسـتزادة منها ولكـن العقبات أكثر مما كان يتوقع.

تحـدّى الحافظـي كل الظّـروف القاسـيّة وعقـد العزم علـى ان يطلـب العلـم ولو في الصّيـن بالرّغـم مـن معارضة أهلـه الذين لم يسـاعدوه ولو بأجرة الرّكوب في سـفره إلى تونـس التي وصـل اليها راجـلا وفيها اتصل بقريـب لـه فمكنـه مـن العمل كمسـتخلص للتذاكـر فـي التّرامـواي، وهنـاك تـردد على جامـع الزّيتونة فحضـر دروس العلماء وهذا ممـا زاد في طموحه لأجـل الالتّحاق بجامع الازهر فـي مصر لغايّة الاسـتزادة من العلوم والمعارف، لكن ضيق ذات اليدّ كانت العائق لتحقيـق الوصول إلـى مصـر بأريحية ولكن إرادة الشّـاب الطّموح تحـدت المصاعب إذ تمكـن من التّسـلل إلـى باخـرة متوجهة إلى الإسـكندريّة كانـت محملة بالفحـم معرضا نفسـه للمخاطـر المميتـة فعانى مـن الجوع والخـوف ما لا يمكن تحمله إلا من كانت له طموحـات وإرادة كطموح الحافظي وإرادته الفولاذيّـة وكان ذلـك فـي 1902 وعمـره 22 سنة.

مـن شـيوخ الحافظي فـي الازهـر اندمج الحـا فظي بين طـلاب الأزهر وأخـذ ما كان ينالـه الطّـلاب المغاربـة من مسـاعدات في رواق المغاربـة وبذلـك بلـغ مـراده وحقـق حلمه الذي انتظر بلوغه السّنين.

ومن شـيوخه يوسـف الدّجوي وقد ذكره فـي مقالاته في سـياق مناقشـة لأراء اسـتاذه في مسـألة الوسـيلة لكونه مخالفا له، ومنهم محمّد يخت مفتى الدّيار المصريّة الذي يثني على اجتهـاده وحرصه على إفادة طلبته حتى بعد التّقاعد إذ يقطع المسافة بين الاسكندريّة والقاهرة أسبوعيّا لأجل إفادة طلبته.

ومنهم محمود الخطّاب وغيرهم كثيرون في مختلف العلوم نستخلص ذلك من خلال غـزارة تحصيلـه وبالأخص في علـم الفلك والرّياضيـات إلى جانب بقيّـة العلوم العربيّة والعلـوم العقليّـة والعلـوم النّقليّـة يتجلـى تعمقه في دراسـتها والتّمكن منها وله فيها ما للعلمـاء المتخصصيـن فذلك ما يسـتخلصه القـارئ لمقالاتـه التي لم يتـرك تخصصا إلا وتطـرق إليه وكإنّه في ذلك التّفصيل والعمق والتّحليل لا يعرف غير ذلك العلم.

وممـن يذكرهم شـيخه شـاكر فـي مقاله بعنـوان القلـم أحـد اللسـانين، ومـن بيـن إسـهاماته الجمعويّة وهو طالـب في الازهر دفاعـه عـن حقـوق الطّلبـة المغاربـة التـي حرمتهم من الحصول عليها إدارة الأزهر.

كما شـارك فـي التّظاهرات التـي تزعمها طلبـة الازهـر اثنـاء ثـورة 1919 تأييدا لسـعد زغلـول فاسـتهدف الطّلبـة أكثر مـن غيرهم مـن قبـل القـوّات العسـكريّة البريطانيّـة في 13 مـارس 1919 بعـد صـلاة الجمعـة وفـي المسجد الحسني.

وبعـد أن نـال الشّـهادة العليا فـي الازهر انتظـم في سـلك المدرسـين بجامـع الازهر مباشـرة تكـون الشّـهادة التي تحصـل عليها مختومـة بختـم الملـك فـؤاد وتعـد أعلـى الشّهادات وليست كتلك التي تمنح للغرباء.

قـام بزيـارة إلـى الشّـام والحجـاز وأدى فريضـة الحـج، كمـا زار باكسـتان قبـل اسـتقلالها سـنة 1947 وكان فـي كل هذهالزّيـارات يحـرص علـى ارتيـاد الجامعـات والمكتبـات ويجـرى اتصالات بالعلمـاء فـي جامعـات هـذه البلـدان لأخذ مـا يفيده ممـا يتعلـق خاصّة بأبحاثـه الفلكيّة او المتعلقـة بالبلـد، وحين رجـوع الحافظي إلـى بلـده قـام بزيـارة إلى فـاس بدعـوة من الشّـيخ عبـد الحـي الكتانـي وذلـك رفقـة الشّـيخ عمر بلحملاوى وشـارك في تنشـيط احتفـال دينـي فـي فـاس.

ينبغي التّعرض إلى مراسلاته الدّائمة إلى المرصد الفلكي في كل من باريس ولندن لأجل الابقاء على الصّلة الدّائمة معها والاطلاع على الاكتشافات الفلكيّة الجديدة ومتابعة آخر الابحاث في هذا المضمار والتّي تظهر على المستوى العالمي.

حوّل بيته إلى معهد علمي استقبل فيه أفواجا من الطّلاب ولما طلب منه طلبة زاويّة الشّيخ عبد الرّحمن البلولي أن يتولى تدريسهم لبى دعوتهم، ودرّس في زاويّة الشّيخ بلحملاوي مدة ثمّ لما تأسس معهد الكتانيّة في قسنطينة تولى الاشراف عليه الحافظي ووضع له نظاما وبرامج معاصرة وجلب إليه الشّيوخ من جامع الزّيتونة بتونس.

لقد اهتم الحافظي بالتّعليم على مختلف الأصعدّة ممارسة كتابة في الصّحف مقالات مطولة كان منها ما جاء بعنوان: (صوت العلم ينالكم فهل من مجيب) تجاوزت 20 عشرين حلقة مطولة نشرت تباعا في جريدة النّجاح قصد من كل ذلك قيام مدرسة جزائريّة حديثة ومحافظة.

قدم عبر الصّحف أفكاره السّياسيّة ومواقفه في مسألة سقوط الخلافة الإسلاميّة واعتبر ذلك معول هدم وتفريق لشمل المسلمين.

كما حارب التّجنس بالجنسيّة الفرنسيّة في العديد من الحلقات عبر صحيفة البلاغ الجزائري أذكر منها التي بتاريخ 06-09-1935 عدد341 من الجريدة، وكان الحافظي أوّل من دعا إلى تأسيس جمعيّة العلماء وبمقال نشر في جريدة الشّهاب وضع فيه الأسس التي تقوم عليها هذه الجمعيّة ومشروعها وآفاقها وأهدافها ووسائل العمل وكان من اعضاء مكتبها الأوّل، عالج الحافظي العديد من القضايا الاجتماعيّة التي تزيد من تخلف المجتمع وتضر بأفراده ومكوناته وجماعاته كالخلاف بين الأخوة ساكنة غرداية بين الشّعاليّة والمزابين فكتب نداء إلى الفرقين يدعوهما إلى نبذ الخلاف وتجنب القنن بين فضل الصّلح.

هي كثيرة مؤلفاته ولكنّها لم تطبع ممازاد من جهل أو كل المثقفين للحافظي الذي يعد قامة علميّة مغمورة قبل صدور كتابي عنه بعنوان: (الشّيخ المولود الحافظي) حياته وآثاره طبع سنة 1998 عن دار الكتب بالجزائر إلى جانب كتاب فتاوي الحافظي.

كما جمع واعد الاستاذان عبد السّميع بوبكر وعبد الحليم بوبكر خطب الجمعة التي كتبها الحافظي.

واهم المخطوطة منها فهي:

1. الكوكب الشّارق في الزّيج الفائق.
2. دليل الأوقات في البسائط والمنحرفات.
3. بهجة النّظر في حساب خسوف القمر.
4. خلاصة قوانين كسوفي الشّمس وشرحها.
5. قوانين واصطلاحات فلكيّة.

اما إذا تصدى من يجمع ما كتبه لحافظي من مقالات في الصّحف فإن ذلك الجهد يثمره عن عشرات المجلدات من مناظراته وفي مجموع مقالاته المتعلقة بالمجتمع والاخرى في التّعليم وغيرها في الأخلاق أو السّيرة والتّاريخ وأخرى في الفلك والاخرى في الصّحافة ودورها وتأثيرها.

من أقوال العلماء فيه: الشّيخ عبد الرّحمان الجيلالي ومناظرات الحافظي مكتبة متنقلة مناظرات الحافظي.

كانت هذه المناظرات بينه وبين الامين العمودي حول رؤيّة الهلال والطّيب العقبي حول القصيدة العاشوريّة في مدح آل البيت رضي الله عنهم ومع السّعيد أبو يعلى الزّواوي حول الزّوايا.

وفي الأزهر بين الحافظي والرّداد البرقاوي الطّرابلسي، وبينه وبين عبد الحميد بن باديس حول المكوس أوكراء الاسواق وفي موضوع مراتب العبادة ومع مبارك الميلي حول اللحوم المستوردة من أوروبا ودبائح اهل الكتاب وللحافظي مبادئ يرى مراعاتها في المناظرات فيقول: «موقف الاعتدال هذا يجب أن نستعمله في مقام المناظرات ومقابلة الخصوم لقصد إحقاق الحق وأبطال الباطل لا لغرض سيء وللتشفي والتّشويه وغمط الحقوق إلى غير ذلك من المقاصد السّيئة.

محمّد الصّالح آيت علجت

■ النّاصح سيدي يحيى (بن صفية)
(و: 935ه - 1515م/ ت: 1018ه - 1610م)

الولي الصّالح والشّيخ النّاصح سيدي يحيى بن عبد الرّحمن، المكنى (بن صفية)، بن موسى بن إبراهيم بن إبراهيم بن محمّد بن زيد (المكنى/ نهار) بن سيدي محمّد بن أبي العطاء، ينتهي نسبه الشّريف إلى الإمام إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السّبط بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وفاطمة الزّهراء البَضعة النّبوية الشّريفة بنت سيدنا محمّد رسول الله ﷺ.

يعلّل الجيلاني بن عبد الحكم سبب كنية سيدي يحيى بن عبد الرّحمن بابن صفية (اسم والدّته) قائلا: «أولاد سيدي عبد الرّحمن بن موسى هم: سيدي يحيى وسيدي أحمد وسيدي موسى، وكان أخوالهم بعد موت أبيهم، لا يدعونهم إلاّ بأولاد صفية، ولا ينسبونهم إلا إليها لعظم قدرها، ولأنّها كانت من الصّالحات القانتات، وقد ظهرت على يدها كرامات، ولأن أباهم مات وتركهم

صغارا عند أخوالهم فلذلك اشتهرت نسبة سيدي يحيى بأمّه وصار النّاس من ذلك العهد إلى الآن لا يذكرونه إلا بسيدي يحيى (بن صفية)».

يتحدث الكثير عن سيدي يحي بن صفية أكثر من حديثهم عن سيدي يحي بن عبد الرّحمن، يعود ذلك أولا إلى سمعة لالة صفية وصلاحها اللذّين اكتسبتهما من خلال حياتها الطّويلة، -حسب المرآة الجلية- وتأتي هذه التّسمية ثانيا من أخوالهم وأبناء أخوالهم الذّين عاشوا معهم كثيرا، خاصة بعد الوفاة المبكرة لأبيهم.

وكنية سيدي يحي باسم أمه السّيدة (لالة صفية) ليست حالة نادرة، إذ هناك نماذج لعدد من رجال الله الصّالحين الذّين اقترنت أسماؤهم بأسماء بعض الصّالحات، منهم على سبيل الذّكر: بسيدي دحو بن (زرفة) وأحمد بن محمّد بن عبد القوي المدعو (سيدي بن خدّة) بولاية معسكر.

مولده/ وفاته (الهجريّ+ الميلاديّ): ولد الشّيخ سيدي يحيى بن عبد الرّحمن المكنى بابن صفية سنة 935هـ الموافق لـ: 1529م، (وهناك من يذكر تاريخا آخر، هو: محرم 935ه/ أكتوبر 1528م). لم يزل سيدي يحيى بن صفية ينفع النّاس بالقرآن الكريم وبتعليمهم المسائل الشّرعية والمطالب الدّينية والوعظ والإرشاد، وإقامة حلقات الذّكر فضلا عن انفراده للتعبد والتّدبر والتّهجد في خلواته الكثيرة، والتّي من أهمها خلوته «في الصّيّادة» (منطقة سيدي الجيلالي)، وخلوته «بالعُبادة» (جبل يقع إلى الجنوب الغربي من ضريحه الكائن بحوض بوغدو بلدية سيدي الجيلالي).

سيدي يحيى بن صفية على تلك الحالة المرضية والتّرقي في الدّرجات والأسرار والنّطق بالحكم الرّبانية ينهض حاله ويدل على الله مقاله، إلى أن توفاه الله واختاره لجواره راضيا في سنة 1018هـ الموافق لـ 1610م، ودفن رضي الله عنه ببلاده هذه بوادي بوغدو في جبل سيدي محمّد السّنوسي على بعد أربعة عشر ميلا (حوالي 15كلم) من سبدو، وعليه قبّة عظيمة يقصدها النّاس للزيارة والتّبرّك.

سيدي يحيى بن صفية هو جد أولاد نهار المتواجدين بتلمسان وبنواحي كثيرة من الجزائر كالبيض، سعيدة. يتوزع أولاد نهار في الجنوب الغربي لتلمسان، حيث يستوطنون البلديات التّالية: سيدي الجيلالي، البويهي، العريشة، سبدو.

لم يسع سيدي يحيى بن صفية إلى تأسيس طريقة صوفية خاصة به كما فعل من قبل أخواه في الطّريق؛ الشّيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، وابن خاله سيدي عبد القادر بن محمّد (سيدي الشّيخ)، وإنما بقي ثابتا على طريقة شيخه محمّد بن عبد الرّحمن السّهلي وملتزما بها، ألا وهي الطّريقة الشّاذلية، نسبة إلى مؤسسها أبي الحسن الشّاذلي.

كما لم يجبر سيدي يحيى بن صفية أبناءه على اتباع نفس المشرب الذّي كان يسلكه، لذلك وجدنا ابنه سيدي الجيلالي يتبع مشربا روحيا آخر، وهي الطّريقة القادرية، فسيدي يحيى كان يؤمن بأن الطّرق بعدد أنفاس البشر، وكلها تصل وتوصل إلى الله.

نشأ الولي سيدي يحيى بن صفية في بيئة دينية، حيث درس في زاوية جده لأمه الشّيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة اللغة والعلوم الإسلامية على أساس أن التّصوف يقتضي التّمسك المطلق بالقرآن والسّنة في العقيدة والسّلوك معا.

عاش سيدي يحي بن صفية في بحر القرن العشر الهجري (16م)، وتأثرت منطقة أولاد نهار بالأحداث التّاريخيّة التي عرفها المغربان الأوسط والأقصى على وجه الخصوص منذ العهود الإسلامية الأولى، نظرا لأهمية موقعهما الإستراتيجي الذّي يتحكم في ملتقى منطقتين جبلية وسهبية، لهما أهميتهما في الحروب وفي حركة السّكان، ويتحكم أيضا في ممر طبيعي يربط بين الشّرق والغرب، وفي إحدى أهم الطّرق التّجارية بين تلمسان والصّحراء، مما جعل هذه المنطقة تتميز بمسالك ومعابر إستراتيجية استعملتها جيوش الدّول المتحاربة خلال تلك العهود من تاريخ دول المغارب وذلك لمرورها بمناطق منيعة وتحكمها في الجهات المحيطة بها.

وبذلك كانت منطقة أولاد نهار محطة للتخييم والإقامة والانتجاع للقبائل التي كانت تجوبها أثناء حركتها وتنقلها وبين الشّمال والجنوب، وبين الشّرق والغرب، كما كانت عُرضة للصراعات والحروب التي كانت تقع بين دول المغرب العربي آنذاك لاسيما بين المرابطين والموحدين من جهة، وبين الزّيانيين والمرينيين من جهة ثانية.

بعد أن تلقى علومه الأولى في زاوية جده لأمه الشّيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة، واصل سيدي يحيى بن صفية دراسته بوادي (غِيرْ) في زاوية مولى السّهول بالقرب من مدينة بوذنيب التي تقع إلى الشّرق من مدينة الرّشيدية بالمغرب الأقصى، وتخرج على يد رئيسها الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن السّهلي، وتبعا لتوجيهات شيخه توجّه نحو الشّمال لنشر العلوم التي درسها وترسيخ الطّريقة الشّاذلية التي اتبعها.

تعلقت همّة سيدي يحيى بن صفية بصحبة الصّالحين والأخذ عنهم، فكان محطّ رحاله مربي المريدين وقدوة الصّالحين العارف الرّباني والكامل النّوراني الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن السّهلي المتوفى سنة (990هـ/ 1582م)، الذّي تسمّت به زاويته (السّهلي) الكائنة قرب بوذنيب شرق الرّشيدية بالمغرب؛ حيث أخذ عنه سيدي يحيى علوم اللغة العربية والفقه والحديث والتّفسير وعلوم القرآن ومبادئ الطّريقة الشّاذلية.

شيخه سيدي محمّد بن عبد الرّحمن السّهلي كان من الأولياء الرّاسخين في العلم والولاية، وقد أخذ بدوره عن الشّيخ سيدي أحمد بن يوسف الشّريف الرّاشدي ثم الملياني، صاحب الكرامات الشّهير ورجل السّياسة الخطير وولي ملياني الموقر الذّي كان يعدّ طيلة قرون

من أوتاد المغرب وأقطاب الطّريقة الشّاذلية في القرنين (15و16) وهو من خريجي مدرسة تلمسان الفكرية أواخر ق 9هـ (مدرسة محمّد بن يوسف السّنوسي) –كما أسلفنا.

ومما جاء في الياقوتة في التّصوف) للشيخ سيدي عبد القادر بن محمّد المدعو سيدي الشّيخ، جد أولاد سيدي الشّيخ، من معاني الحب والثّناء والإجلال للشيخ سيدي محمّد بن عبد الرّحمن السّهلي نجتزئ هذه الأبيات:

فأوّلهم في الذّكر شمسُ وُجودنا
وقطبُ نُهَى عُلُومنا اللَّدُنيّة
إليهِ انتهت رئاسةُ القوم فارتَقَى
على صَهَواتِ المَجْدِ من غير مِرْيَة
أبو عابد الإله يُسمّى محمّدا
إلى عابد الرّحمن يُعزَى بِنِسْبَة
عليه سلام الله ما ذرَّ شارقٌ
وما غنّى طيرٌ باللغات الحَنِينَة
فعنه أخذنا أعني عن قمر الدّجى
وَرِثْنَا طريقَ القوم دون استرابة

وسنورد هاهنا سلسلة مشايخ سيدي يحيى بن صفية أو سند طريقته الشّاذلية:

– سيدي يحي بن عبد الرّحمن المكنى (بن صفية/ ت1610م).
– سيدي محمّد بن عبد الرّحمن السّهلي (ت1582م).
– أحمد بن يوسف الرّاشدي الملياني (ت1525م).
– الشّيخ أحمد زرّوق (ت1493م) (له مؤلفات كثيرة في التّصوف).
– الحضرمي أحمد بن عقبة (1450م).
– الحسن القرافي.
– ابن عطاء الله السّكندري، (مؤلف كتاب الحكم العطائية).
– أبو العباس المرسي.
– أبو الحسن الشّاذلي (شيخ الطّريقة الشّاذلية ومؤسسها).
– عبد السّلام بن مشيش.
– المدني أبو يزيد عبد الرّحمن العطار الزّيات دفين تطوان.
– أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد الخزاعي.
– أبو مدين شعيب الأندلسي الاشبيلي (دفين العباد بتلمسان).
– أبو يعزى (دفين تاغية جنوب مكناس).
– ابن حرزهم، أبو الحسن علي بن حرزهم (دفين باب فتوح بفاس).
– أبوبكر يحيى بن العربي الاشبيلي.
– أبو حامد الغزالي (صاحب كتاب الإحياء).
– أبو المعالي الجويني.
– أبو طالب المكي (صاحب قوت القلوب).
– أبو محمّد الجر يري.
– أبو القاسم الجنيد.
– السّري السّقطي.
– معروف الكرخي.
– داود الطّائي.
– حبيب العجمي.
– الحسن البصري.
– علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه.

من تلاميذ سيدي يحي بن صفية الذّين وفدوا عليه بمنطقة أولاد نهار نذكر سيدي محمّد الشّريف الذّي جاء من عين الحوت (تلمسان)، وقد تتلمذ على يد سيدي يحيى بن صفية، وتزوّج ابنته لالة رقية التي أنجبت منه ثلاثة أولاد، وهم: سيدي عيسى، وسيدي موسى، وسيدي محمّد، وذريتهم تشكل بطنا معروفا بأولاد نهار يطلق عليها اسم: الشّرفاء.

ينتهي نسب سيدي محمّد الشّريف إلى سليمان (توفي ما بين 195ه200–ه/ 811م816–م، دفن بعين الحوت) بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السّبط بن علي كرم الله وجهه وفاطمة الزّهراء (ض) بنت سيدنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن تلاميذه أيضا الولي سيدي أحمد خليفة الشّريف (1553م1612–م)، دفين قرية الخيثر، في الشّط الشّرق، على بعد ثمانين ميلا من سعيدة من جهة الجنوب، وهو جد (أولاد سيدي خليفة) النّازلين بهذه النّواحي، وكان قد تلقى تعليمه الأول على يد جده سيدي عيسى الذّي أرسله ليسلك على يد سيدي يحي بن صفية، فتتلمذ له لمدة ست سنوات.

تأثيره: لم يزل سيدي يحيى بن صفية ينفع النّاس بالقرآن الكريم وبتعليمهم المسائل الشّرعيّة والمطالب الدّينية والوعظ والإرشاد، وإقامة حلقات الذّكر فضلا عن انفراده للتعبد والتّدبر والتّهجد في خلواته الكثيرة، والتّي من أهمها خلوته «في الصّيّادة» (منطقة سيدي الجيلالي)، وخلوته «بالعُبادة» (جبل يقع إلى الجنوب الغربي من ضريحه الكائن بحوض بوغدو بلدية سيدي الجيلالي).

وكذلك إسهاماته في فضّ النّزاعات بين الأفراد والأسر والقبائل وبعث روح الأمن والأمان في سكان المنطقة وما جاورها، فقد كان يمثل للجميع شخصية «كاريزماتية» رسمت ملامحها عوامل كثيرة، أولها: نسبه الشّريفي من جهة والدّه (عبد الرّحمن بن موسى)، ثانيها: نسبه البوبكري الصّديقي من جهة والدّته (لالة صفية بنت سيدي سليمان بن أبي سماحة)، وثالثها: تخرجه على يد الشّيخ سيدي محمّد بن عبد الرّحمن السّهلي، وانتظامه بذلك في السّلسلة الشّاذلية الذّائعة الصّيت آنذاك، رفقة ثلّة من أهل الولاية والصّلاح كالشّيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي (شيخ الطّريقة الموسوية أوالكرزازية)، والشّيخ سيدي عبد القادر بن محمّد (شيخ الطّريقة الشّيخية)، وهذا فضلا عن تقواه ومروءته وكراماته الكثيرة، التي تعرض لها صاحب «المرآة الجلية» بالتّفصيل.

سيدي يحيى بن صفية على تلك الحالة المرضية والتّرقي في الدّرجات والأسرار والنّطق بالحكم الرّبانية ينهض حاله ويدل على الله مقاله، إلى أن توفاه الله واختاره لجواره راضيا في سنة 1018هـ الموافق لـ 1610م، ودفن رضي الله عنه ببلاده هذه بوادي بوغدو

في جبل سيدي محمّد السّنوسي على بعد أربعة عشر ميلا (حوالي 15كلم) من سبدو وعليه قبّة عظيمة يقصدها النّاس للزيارة والتّبرّك».

يصف الكاتب النّقيب (Capitaine Noel) الجو العام في المنطقة المعنية بالدّراسة قبل مجيء سيدي يحيى بن صفية بقوله: " كان مجتمع هذه المنطقة يعيش في فوضى، فيها تحل القوة محل القانون والعدالة، وكانت النّفوس ناضجة لتقبّل نفوذ أي رجل تقي ورع وديّن، وفي هذه الظّروف وفد على المنطقة الولي سيدي يحيى بن صفية جد أولاد نهار الحاليين".

قويدر قيداري

المصادر:

- بن عمارة خليفة، سيرة البوبكرية، ج1، أجداد أولاد سيدي الشّيخ، ترجمة: محمّد قندوسي، مكتبة جودي مسعود، وهران، (د.ط)، 2002.
- قويدر قيداري، أولاد نهار والولي الصّالح والشّيخ النّاصح سيدي يحي بن صفية، سيرة وتراجم وتراث، مقاربات تاريخية وأنثروبولوجية وفنية، دار الأفق، الجزائر، 2019.
- بن عبد الحكم الجيلاني – المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدنا يحيى بن صفية– مطبعة بن خلدون، تلمسان، (د.ط)، 1364ه.
- Millad Aissa – Alyaquouta، poème mystique de Sidi Cheikh– Essai d'édition critique et étude du texte selon la tradition Soufie، entreprise nationale du livre – Alger 1986.
- Capitaine Noel، « Document Historique sur les tribus de l'annexe d'El aricha »، B.S.G.O (Bulletin trimestriel de la société de la géographie et d'archéologie d'Oran)، fondée en 1878، (imprimerie L Fouque –Oran ،) Sep /Dec 1917– Mars /Juin 1918

■ النّاصر بن امحمّد حريزي
(و: 1380ه - 1960م/ ت: 1443ه - 2021م)

النّاصر بن أمحمّد بن يوسف بن صالح بن يوسف بن صالح حريزي. ولد بمدينة بريان، ولاية غرداية يوم 11 ربيع الثّاني 1380ه/ 03 أكتوبر 1960م، وتوفّي يوم 09 محرَّم 1443ه/ 17 أوت 2021م، أصيل مدينة بريان من ولاية غرداية ودفينها، من عشيرة آل بنورة والعطف.

عضو في حلقة العزّابة، وفي مجلس عمّي سعيد، ورئيس جمعية الفتح راعية التّعليم الحرّ بمسقط رأسه، معلّم للغة العربية والأدب وعلم النّفس، وداعية ومرشد ديني في المساجد، وغيرها من المنابر الدّعوية داخل بلدته وخارجها، له باع طويل في فنّ الانشاد الإسلامي، نشط في الكشّافة الإسلامية، والجمعيات الثّقافية والاجتماعية.

قضى طفولته وشبابه وكهولته كلّها في مسقط رأسه بريان تحت رعاية والدّيه الصّالحين، وتربّى في أحضانهما على السّيرة الحسنة والقيم الإسلامية الاجتماعية، ولم يغادر بريان إلاّ خلال

السّنوات الثّلاث لواصلة دراسته الثّانوية في مدينة قسنطينة.

في سنة 1966م، التّحق بالمدرسة القرآنية «الفتح» لحفظ القرآن الكريم والحديث النّبوّي الشّريف، واللغة العربية وعلومها وآدابها، وفيها ختمَ القرآن، وفي نفس السّنة زاول دراسته الرّسمية في المدرسة الابتدائية «مدرسة الأمير عبد القادر» حيث تلقّى دراسته الابتدائية في اللغة الفرنسية وآدابها والمعارف العلمية، إضافة إلى اللغة العربية وفنونها، وفيها تحصّل على الشّهادة الابتدائية.

ثمَّ التّحق بمتوسّطة «أبو اليقظان» لمواصلة دراسته حتّى تحصّل على شهادة التّعليم المتوسّط، ولـمّا لم تكن في بريان ثانوية يلتحق بها، ففضّل السّفر إلى قسنطينة فالتّحق بثانوية «حيحي المكّي» وفيها تحصّل على شهادة البكالوريا سنة 1980م.

وفي حين كان يستعدُّ للالتّحاق بالجامعة، طلب منه أساتذته الأوائل وأعيان بلدته بريان أن ينضمَّ إلى أسرة التّربية والتّعليم بمدرسة الفتح، فلم يجد بدّا أمام رغبة مجتمعه وحاجته إليه إلاّ أن يلبّي النّداء ويوافق على طلب مشايخه.

فكانت بدايته في التّعليم في السّنة الدّراسية: 1980م/ 1981م إلى الأسرة التّربوية في مدرسة الفتح معلّما للقرآن الكريم والحديث الشّريف واللغة العربية وآدابها، ثمَّ تخصّص في علمي التّربية وعلم النّفس لطالبات المتوسّط والثّانوي، ولم

ينقطع عن التّعليم حتّى سنة 2014م عندما انتخب رئيسا لجمعية الفتح.

فحمل مسؤولية رئاسة الجمعية التي تقوم على التّعليم القرآن الدّيني في البلدة من العشرينيات من القرن العشرين بكفاءة وأمانة، حريصا على المحافظة على المرجعية الإصلاحية في التّعليم إلى أن قضى الله أمرا كان مفعولا، حيث توفّي سنة 2021م.

وموازاة لمهمّة التّعليم، كان يخضع بكلّ تواضع لعدّة تكوينات وتدريبات علميّة ازداد بها علما ومعرفة، ظهر أثرها في مجالات عديدة من نشاطه العلميّ والتّربويّ والدّعوي، لهذا كان من الرّوّاد الدّائمين لندوة البكري الفقهية، وندوة الشّيخ بكير أرشوم، وتكوينات عديدة في معهد المناهج بالجزائر العاصمة وبعض المؤسّسات التّدريبية والتّكوينية.

وفيها استفاد من مشايخ وأساتذة لهم قدَم وتمكّن في العلوم الدّينية والفكرية واللغوية، منهم على سبيل المثال:

- الشّيخ النّاصر بن محمّد مرموري.
- الشّيخ بكير بن محمّد أرشوم.
- الشّيخ حمُّو بن عمر فخّار.
- الشّيخ أحمد بن عمر أوبكّة.
- الشّيخ بكير بن محمّد الشّيخ بالحاج. (باشعادل).
- الشّيخ عيسى بن محمّد الشّيخ بالحاج. (ابن الشّيخ).
- الدّكتور محمّد بن موسى بابا عمّي.
- الأستاذ أحمد بن إبراهيم موسلمال. (لزعل).

أدرك أوائل التّلاميذ لمشايخ وأئمّة الحركة الإصلاحية الذين علّمهم وكوّنهم رائد الحركة الإصلاحية في جنوب الجزائر الشّيخ إبراهيم بن عمر بيُّوض، فتشبّع منهم بمبادئ وقيم الحركة الإصلاحية؛ كما أدرك مراحل الحملات الوطنية لترسيخ اللغة العربية في الشّعب الجزائري، فكان من أحد نجبائها المتمكّنين فيها، ثمّ من أساتذتها الرّاسخين فيها، وناشريها المتحمّسين لها، وتخرّج بفضلها على يديه العديد من الطّلبة تحصّلوا منه على مفاتيحها وفنونها.

كما أدرك الاقبال الكبير للمرأة في المجتمع المزابي على التّعلّم وتحصيل المعرفة، إلى جانب الغزو الإعلامي على البيوت بجيش من القنوات الفضائية المختلفة في مناهجها وبرامجها، فازداد اهتمامه بالفتاة والمرأة لتوعيتها وترشيدها إلى ما يفيدها وتحذيرها ممّا يضرُّها في دينها وقيمها وشخصيتها، في أقسام الدّراسة، ومن خلال منابر الدّعوة والإرشاد، والجمعيات الثّقافية المتعدِّدة.

وكم تألّم بالعشرية السّوداء التي عرفتها الجزائر في التّسعينيات من القرن الماضي، والأحداث التي عرفتها ولاية غرداية بعد ذلك، فسعى بصدق وشارك بحماس في كلّ الجهود التي كانت تبذل لإطفاء نار الفتنة، وكان من الدّعاة الدّائمين لوحدة صفوف الجزائريين، وتوافق المتساكنين والعيش بأمن وسلام.

من شيوخه وأساتذته ومعلّميه نذكر على سبيل المثال:

- الشّيخ محمّد بن أمحمّد أولاد داود (البرياني).
- الشّيخ بكير بن محمّد أرشوم.
- الشّيخ محمّد بن موسى كاسي موسى.
- الأستاذ قاسم بن عمر لعساكر.
- الأستاذ قاسم بن صالح سالم.
- الأستاذ عمر بن سليمان ابن النّاصر.
- Monsieur jedessili.
- Monsieur tadi.
- يحي أسبع.
- محمّد بن بزّملال.
- إبراهيم مولاي.... وغيرهم

لا يمكن حصر تلاميذه وتلميذاته الذين كوّنهم وعلّمهم خلال مسيرته التّعليمية التي زادت عن الثّلاثة عقود، فهم وهنّ يُعدُّون بالمئات، فمنهم من حمل مشعل التّربية والتّعليم مثله في نفس المدرسة وفي غيرها، ومنهم من أنشأ وأسّس شركات تجارية وصناعية، ومنهم من تولّى مسؤوليات راقية في الإدارات الرّسمية والجمعيات الثّقافية والعلمية والفكرية.

وله في الجانب النّسوي طالبات تخرّجن على يديه أصبحن مرشدات وداعيات في المجتمع النّسويّ، ومعلّمات في مدرسة الفتح أو مدارس أخرى في البلدة وخارجها.

ترك رصيدا كبيرا من الدّروس والمحاضرات تحدَّث فيها عن مواضيع مختلفة تهمُّ المجتمع المسلم في جانبه الدّيني، والأخلاقي، والاجتماعي، والثّقافي، هي محفوظة في أشرطة وأقراص، لو تنزَّل وتجمع وتصنَّف لتُخرج كتابا أو كتبا يستفيد منها المجتمع والباحث بشكل أفضل.

يتمتَّع الشّيخ النّاصر حريزي بشخصية محبوبة من الجميع، وأسلوبه في التّعليم ومعاملة تلاميذه في فصول الدّراسة وخارجها، وتأثير دروسه وكلماته وخطاباته في نفوس سامعيه، ترك له دائما أثرا كبيرا في قلوب النّاس، وكلّ عرفه ولو لفترة قصيرة، أو فرصة عابرة.

هو رجل إصلاحيٌّ حتّى النّخاع، بما غُرس فيه من قيم ومبادئ الحركة الإصلاحية التي ورثها جيل الاستقلال من جيل الشّيخين الفاضلين: ابن باديس، وإبراهيم بن عمر بيُّوض، وهو رجل مسجديٌّ بار، فيه نشأ وتربَّى، ومن على منبره شارك في الدّعوة والإرشاد والتّوعية الدّينية الاجتماعية.

وهو من الدّعاة المخلصين لنبذ خطاب الكراهية، ويدعو إلى التّقارب والتّعايش وحسن الجوار، وفي كلّ مناسبة أو فرصة كان يحمد الله تعالى على نعمة الأمن الذي تتمتَّع به الجزائر، ويسأل الله أن يديمها على الشّعب الجزائري كلّه.

كان إلى آخر أيّامه يحرص على تثقيف المرأة بالثّقافة الإسلامية الصّحيحة، وغرس القيم الاجتماعية الأخلاقية، وترسيخ الرّوح الوطنية فيها، وإبعادها عن كل التّيّارات والأفكار التي تفسد عليها دينها وأخلاقها وشخصياتها.

أولى للدعوة أهمّية كبرى، يهدف من خلالها نشر الوعي الدّيني، والفكر الإصلاحي، ومحاربة الخرافات في المجتمع، معتدا على المرأة بصفة خاصّة، فاستغلّ أقسام الدّراسة في مدرسة الفتح، ومنبر الوعظ والإرشاد في المساجد، ومختلف المناسبات والأنشطة الثّقافية في

البلـدة وخارجهـا، وأسـهم سـنة 1990م فـي تأسـيس حصَّة أسبوعية «عشـايا الخميس» خاصَّة بالنّسـاء، تشـمل كلَّ الفئات العمرية، وقد أسـهمت الحصَّة بشكل كبير في تحقيق أهدافـه، وتركـت أثـرا كبيـرا فـي المجتمـع النّسـوي، ورصيدا علميًّا مسـجَّلا فـي دفاتر وأشرطة كبيرا. إضافة إلى مشاركاته المتميِّزة فـي تربُّصـات ودورات توعيـة المقبليـن والمقبلات علـى الزّواج، مـرَّة أو مرَّتين من كلِّ سنة.

انضـمَّ إلـى حلقـة العزَّابـة سـنة 1997م، فـكان العضو البـارز فيها، يقوم فيهـا بمهامِّه التي كلِّـف بها بكفـاءة واقتدار، كالإشـراف على التّظاهرات الدّينية والثّقافية التي تقيمها الحلقة، واستقبال الضّيوف البارزين الزّائرين للبلـدة، وتسـيير المناسـبات الاجتماعيـة العرفية المختلفة، فشـرَّف والحلقـة والبلدة والمجتمع كلَّه.

وانتخـب بالإجمـاع سـنة 2014م رئيسـا لجمعية الفتح، راعية التّعليم الدّيني الحرِّ في بريان، فقام بمهامِّه فيها أحسن قيام، وشرَّفها في المحافل العامَّـة خارج البلدة كما ينبغي، وبقي رئيسا لها إلى حين وفاته سنة 2021م.

كما كان من مؤسِّسي المجموعة الصّوتية الإنشـادية «ألحـان الفتـح» وأعضائهـا المنشـدين البارزين، وتولَّى رئاستها من سنة 1984م إلى سـنة 1995م، إضافة إلى العضوية الشّرفية في أكثر من جمعية ثقافية أخرى.

يتميَّـز بصفـات ومناقب وأخـلاق راقية، رسـمت له صـورة راقيـة في أعين أسـاتذته، وطلاَّبـه وطالباتـه، وأغلب أفـراد المجتمع، كتقوى اللـه تعالى، وسـعة الصّـدر، وصفاء الطّويَّة، والتّواضع، والوفاء.

من أقواله وآثاره:

من أدعيته التي يداوم عليها:

– «اللهـمَّ أكرمنا بنـور الفهـم، وأخرجنا من ظلمات الوهم».

– «اللهـمَّ ارزقنـا نعمـة الإخـلاص، وجنِّبنا مزالق النّفس والهوى والشّيطان».

– «الحمـد لله علـى نعمة الإسـلام، الحمد لله على نعمـة الإيمان، الحمد لله على نعمة الأمن والأمان».

من أقواله2:

– «المجتمع نسيج الأمَّهات».

– «صلاح المجتمع بصلاح المرأة، وصلاح المرأة بسلامة عقيدتها وصحَّة إيمانها».

– «إذا لـم ننطلق من الدّين، وسـيرة سـيِّدنا محمّد، لـن نذهب بعيدا، ولـن نصل، فنحن ذاهبـون إلى الآخرة، ونحن هنـا مارُّون، وما هذه الدّنيا إلاَّ مـمرّ».

ومـن شـعره باللغـة المزابيـة، قصيـدة أنشدها في حفل تكريم المجازات في تلاوة القرآن الكريم:

تِيوْضَادْ أَيْنِي تْمَـانِّيدْ

أَوَتْمَـا مَـا يْتَلِّدْ
مبـرُوكْ سْوَاسْ أَجْدِيدْ
سَتْنَمِّرِينْ نُ جَلِّيدْ
تِيوْضَادْ أَيْنِي تْـمَانِّـيدْ
إِنِنُّو دْ مَنَّـاوْ إِيلاَنْ
تْـعَزْمَـدْ يِلْقُورَانْ
أُسَّانْ لاَشْ ومِيفَـانْ
دْرَبِّـتِي يَـدْجَـامْ أَنْـشَانْ
يَاكْ أَيْنِـهَا دَ عْزَامْ
دَرْسُولَنَّغْ يَنَّـانْ
أَسُّو نَـلاَّ نُـوسَـادْ
أَنَّـفْـرَحْ أَنْعَـيَّادْ
أَنَّسْبَـارِكْ سْ وَخْتَـامْ
نَرْنِي مْعَاسْ أَعْـرَاضْ
وِمَـنَّـانْ قَـاعْ بِـوَاضْ
عُوقْبَه لْـوِلاَّنْ يَلْحَـاقْـدْ
إِنِنُّو دَ لْـوَالدِّيـنْ
أُوشِـينْ تِنَـمِّيرِيـنْ
إِوسْلَمْـدَانْ ادِّينْ
سَلْمُوعـلِّـمِينْ
حَضْـرَنْتْ تِـيمْسِـيرِدِينْ
شَـمْرَنْتْ تِيـوَاتْرِيـوِيـنْ
أَلْـقُـورَانْ دْ لاَمَـانَتْ
أَتْـهَالَّـى وَلَتَّـاتْ
سْ وَدْرَاسَسْ جَارْ لُـوقَـاتْ
أَدْوَجَا سَ لاَيَّاتْ
إِنْ شَـاءَ الله أَشَّـا لاَخْرَتْ
أَسِّيـسْ أَتَّـنْفَدْ أَلْجَنَّتْ
أَجْـرُونَّـغْ أَمِدَّانْ
إِيشَمَّرْتْ دْ وَنِّـي عْـلاَنْ
سَ نُّورْ نَ لْقُـورَانْ
تَضْوَى تَمُـورتْ دِ جَـنْوَانْ
رَبِّي نَتَّا يَلاَّنْ
أَدْيَرْحَمْ وغَنْـجَـرْوَنْ1

يوسف بن يحي الواهج

المصادر:

– يوسف بن يحي الواهج، كتاب «راهب الأخلاق الفاضلة الشّيخ النّاصر بن امحمّد حريزي»، نشر 2021م.

– يوسف بن يحي الواهج

■ امحمد التجاني (الملقب ببابا الشّيخ)
(و: 1342ه - 1924م/ت: 1430ه - 2009م)

هـو المقـدم الشّـيخ امحمـد بـن سـيدي العيد بن الحاج بن سـالم بـن محمد بن يامه الشّـريف الحسـني ولـد الشّـيخ خلال سـنة 1924م بالبياضـة ولايـة الـوادي، كان والـده سيدي العيد بن يامة من أئمة الفقه والحديث بالمنطقة، وعلم من أعلام الزّهد والتصوف، بـدأ الشّـيخ امحمد القـرآن الكريـم وهو في بداية عمر على يد والده المقدم سيدي العيد الـذي يعلـم القـران بالمسـجد وبعـد تعلمه الأول أخـذ بمبادئ اللغة العربيـة والفقه، ثم انتقـل إلى قراءة القرآن الكريـم على يد أخيه سي الحبيب فحفظه وهو صغير السّن.

وبعد نهاية الحـرب العالمية الثانية التحق الشّـيخ امحمـد بجامـع الزّيتونة سـنه 1948م كغيـره مـن أبنـاء المنطقـة فـي رحلـة علمية

لمواصلة الدراسة التي أخذ أبجدياتها عن والده ومحيطه العائلي المفعم بجو علمي وإيماني رفقة مجموعة من الطلبة نذكر منهم عبد المجيد التجاني الذي اشتغل بالتدريس والإمامة في منطقة أم العرائس إلى غاية تقاعده، وعمار بوصبيع وسيدي حميدة ينبعي الذي اشتغل بالتدريس والإمامة في منطقته وواصل مهمته النّبيلة إلى غاية اليوم، وهو من العلماء البارزين في منطقة سوف والمناطق المجاورة كما اشتهر بغزارة العلم والصدق في الحديث وإصلاح ذات البين، وبته لزهاري وعبد القادر دربال ومحي الدين دربال، وكانت إقامتهم في تونس العاصمة في زاوية باب منارة.

تعلم الشّيخ امحمد على يد علماء أجلاء أنجبتهم تونس خلال تواجده بها منهم:الشيخ محمود العسكري والشيخ محمد اللقاني بن السّائح والشيخ أحمد باي، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ أحمد النّيفر، والشيخ عبد المجيد عكاشة، والشيخ محمود النّقاش وغيرهم من علماء الزّيتونه وفي تونس أسس الشّيخ مع مجموعة من الطلبة جمعية الطالب الزّيتوني مقرها مسجد القصبة بتونس من مهامها توعية الطلبة الجزائريين وعقد الاجتماعات وتوزيع الدوريات بالإضافة إلى التكفل بشؤون الطلبة الاجتماعية بتونس.

ونظرا لكفاءته وتميزه انتدب لتعليم أبناء الوزير محمد النّجعي في حكومة البايات، فقام الشّيخ بمهمته على أحسن وجه، وتعد هذه التجربة من أولى تجارب الشّيخ في عالم التربية والتعليم. وبعد إكمال دراسته منحت له شهادة التطويع سنة 1953م، لينتدب بعد عودته إلى ارض الوطن كمدرس بمدرسة الشّعب بالبياضة رفقة زميله الأستاذ عمار بوصبيع وخزاني بن عمر فكانت هذه المدرسة فضاء لتعليم النّشء اللغة العربية والدين الإسلامي ومبادئ الحركة الوطنية عن طريق المنهاج المقرر والأناشيد التي كانوا يلقنونها إلى التلاميذ الأمر الذي جعل من الإدارة الاستعمارية تقوم بغلق هذه المدرسة بعد مضايقات شهدتها المدرسة من قبل سلطات الاحتلال ليعاد فتحها بعد استعادة السّيادة الوطنية كفرع للمدرسة النّظامية.

وبعد استشهاد اخيه سيدي أحمد عام 1957 في مجازر رمضان الشّهيرة خلفه في مهامه الرّوحية والسياسية كذلك فكان يقوم بدور التوعية والتجنيد وجمع المال للثورة والتكفل بعائلات المجاهدين والشهداء واستقبال المجاهدين والفدائيين بالزاوية التجانية بالبياضة

إلى أن اكتشفت سلطات الاحتلال الدور الخطير الذي تؤديه الزّاوية فتم حصارها مدة 16 يوما ثم اخذ المقدم سيدي امحمد الى مركز الاستنطاق (dop) وهناك تعرض الى التعذيب بشتى انواعه ثم ذهبوا به الى منطقة المرتوم شرقي مدينة الوادي لاعدامه وامروه بحفر قبره ثم اطلقوا عليه النّار وهو داخل الحفرة لكن الله حفظه في تلك اللحظات حيث وصلت الاوامر بترك سبيله ليواصل بعد ذلك دوره الرّيادي إماما ومرشدا ومصلحا في خدمة الاسلام والمسلمين.

يتصف الشّيخ امحمد بمواصفات قلما نجدها في غيره من الشّخصيات التي عاصرته، وهذه بشهادة حسب من عايشوه لفترات صغره وشبابه وكبره ولعلى حظيت بالمرحلة الأخيرة مما تبقى من عمره المبارك وهذه الصّفات يمكن إيجازها في النّقاط الآتية:

– الرهبة والخوف من الله تعالى قولا وفعلا ويتجلى ذلك في كل حركاته وسكناته دون تكلف أو تصنع.

– السخاء والكرم والجود دون وصف أو حد يذكر، ومن ذلك أن باب الزّاوية لا يغلق ليلا أو نهارا، وطيلة اليوم والزاوية تستقبل الوفود والزيارات من داخل أو خارج المنطقة لقضاء حوائجهم دون كلل أو ابدأ ضيق أو حرج من الشّيخ من بداية الأسبوع إلى نهايته.

– تلبية الدعوة في الأفراح والمأتم دون تمييز بين غني أو فقير وقد شاهدت بعيني تنقل الشّيخ بين قرى ومداشر المنطقة في اليوم الواحد رغم هرمه ومرضه دون ملل أو كلل.

– كان محل إجماع الكل حتى من خالفه الرّأي، وجنازته كان اكبر دليل عل إجماع الكل حول شخصيته الفذة.

– كان رحيما ويتصدق بالمال الذي يرده دون ادخاره وقد شهدت مواقف كثيرة تلخص مدى سخائه وكرمه خاصة على المحتاجين وفي فترات معينة كرمضان والأعياد، وعلى الأيتام والفقراء.

وبحكم انه كان اماما ومقدما للطريقة التجانية بالبياضة بوادي سوف تقصده النّاس لحل قضاياهم نظرا لحنكته وصدقه، ويعرف اتباع ومريدو الطريقة ان كل القضايا العويصة والتي تستعصى حتى على الجهات الحقوقية والقانونية، وعندما يشار على أطراف الصّراع في القضية، ورغم اختلاف مشاربهم أو حتى ايديلوجياتهم اتجاه الزّاوية إلا انها تجد حلا في الاخير ويتم الرّضى والقبول من الطرفين بعد تدخل الشّيخ امحمد كواسطة خير، وقد عايشت الكثير منها خاصة في مسائل الزّواج والطلاق والعقارات والمواريث حيث يصل الأمر بالمتخاصمين الى مراحل متقدمة من العداء ويستحيل في بعض الأحيان حتى التدخل من قبل أقارب المتخاصمين، غير ان مقر الزّاوية بالبياضة ومكانة الشّيخ امحمد في أعين النّاس تجعل منهم يرضون بما يقترحه من حل عادل أو حتى غير عادل في بعض الأحيان حسب احد الطرفين، يرضى الجميع بذلك تفاديا لتأجيج نار الفتنة، وخوفا في نفس الوقت من غضب الشّيخ امحمد لأنه باعتباره اب الجميع ومحترم من قبل الجميع فبالتالي لا داعي لنقض صلحه مهما ترتب عنه لدى احد الأطراف المتخاصمة، وينتهي محضر الصّلح عادة بأبريق شاي أو غذاء أو عشاء على حساب الشّيخ امحمد للحضور في جو مريح يسوده الإطمئنان، والسعادة من قبل الجميع، هذا ديدن الزّاوية ومقدمها الشّيخ امحمد ومن قبله والده والذين سيروا وسهروا على شؤون الزّاوية بالبياضة في مختلف مراحلها والى غاية اليوم لاتزال تحافظ على هذا الدور وهو إصلاح ذات البين والسهر على تمتين عرى التكافل

والتضامن والوحدة ونبذ الفرقة بين ابناء الوطن الواحد.

تأتي هذه المعلومات حول شخصية الشّيخ امحمد التجاني المربي المصلح من وحي معايشتنا لأواخر حياته وكذلك بعض ما رواه لنا أبناؤه وابناء اخيه الحاج عبد الباقي، والمقدم الأستاذ عبد المالك التجاني الذي خلف الشّيخ امحمد في تسيير شؤون الزّاوية اليوم، وهو كذلك يقتفي آثار وتعاليم والتوجيهات التي كان سمعها او اكتسبها من معلمه وعمه المصلح المربي الشّيخ امحمد التجاني واصل الشّيخ امحمد مسيرته النّضالية بين التدريس، والإمامة والقضاء، وإصلاح ذات البين إلى غاية التحاقه بالرفيق الأعلى في 02/ 05/ 2009م بمقر سكناه بالبياضة. بعد خمس وثمانين سنة من العطاء في خدمة العباد والبلاد والشريعة الغراء وقد كانت جنازته غير عادية من حيث العدد ونوعية المعزين من مختلف شرائح وطبقات المجتمع السّوفي ومن خارجه وحتى من الأقطار المجاورة جاءت تودع الشّيخ والأب والمصلح الشّيخ امحمد التجاني رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

عبد الكامل عطية

المصادر:

- عبد الكامل عطية: مسجد الحاج سيدي بن سالم بالبياضة دراسة تاريخية معمارية، أعمال الملتقى الوطني الثامن حول التراث الثقافي، 17-18 ماي، مديرية الثقافة لولاية الوادي.

■ امحمّد بن الحاج سليمان بن بكير، مطهري (و: 1333ه - 1915م / ت: 1419ه - 1998م)

الشّيخ امحمّد بن الحاج سليمان بن بكير بن داود بن بكير بن الحاج أيوب، من عائلة «مطهري»، من قصر «آت مليشت (مليكة العليا)» بمزاب - غرداية، الجزائر، أما أبوه فهو الشّيخ الحاج سليمان مطهري، تلميذ القطب الشّيخ أطفيش رحمه الله، وخليفتُه في التّدريس عند غيابِه عن معهده «ببني يزجن» وناسخُ كتبِه، ومُؤسِّس (دار العلم) في بلدة «مليكة العليا» بمزاب، وهو مُرشد المسجد العتيق بمليكة، وعُضوٌ (حلقة العزابة)، كان يحترف التّجارة في «الكتّان» بغرداية إلى أن تُوفّيَ سنة 1948م، وقد خلّف جِيلا من الطّلبة الأعلام، ومكتبةً غنيَّة بالنّفائس، وأسرةً تتكوّن من أربعة أولاد، نشأ بينهم «امحمّد» نشأةً صالحة راضيةً، فتطبَّع على حُبِّ العلم والأخلاق الفاضلة.

أما أمه فهي السّيدة الفاضلة «فخّار الحاج مسعود لالة بنت باحمد بن صالح بن عيسى» المعروفة بـ «لالة سَعُودَة» الحازمة العالمة بالقراءة والكتابة، والحافظة للقرآن الكريم، والمعلِّمةُ في مدرسة زوجها عند غِيابِه عن التّدريس، وقد تزوّجها سنة 1888م، وأنجب معها «امحمّد وبكير وعمر وداود»، وقامت بتربيتِهم أحسنَ قيام إلى أن تُوُفِّيتْ سنة 1920م رحمها الله.

عندما بلغ سنَّ التّعلُّم اصطحبه «الشّيخ إبراهيم بن بنوح مِتْيَاز» -وهو أحد أصدقاء والدّه- إلى بلدة القرارة لحفظ القرآن الكريم في مدرسة «الشّيخ إبراهيم بن بكير حفار» -رحمه الله- على يد «الشّيخ إبراهيم متياز» ومعلِّم القرآن الكريم المرحوم «الحاج صالح بن إبراهيم اشقبقب»، و«الحاج يوسف بن بعمور»، وأمّا الشّيخ «إبراهيم حفار» فكان يُطالِعُ له بعض الكتب أمامه ليقوِّمَ لسانه في اللغة العربية ويثقِّفَه في الشّريعة الإسلامية في (بني يزگن) عندما هاجر إليها، وقد أتمّ حفظ القرآن واستظهره في الحادية عشر (11) من عُمُره بمليكة العليا وانضمَّ رسمياً إلى حلقة (إروان).

وفي سنة 1926م واصل دراسته العليا في (اللغة) و(الشّريعة) عند والدّه «الحاج سليمان بن بكير مطّهري» في (دار العلم)، وكان يقرأُ الدّرس اليوميّ للشيخ «الحاج يحيى بن صالح باعمارة» في المسجد أمام العُمُوم، وِمن بين الكتب التي درسها عنهم: «شرح ابن عقيل» لألفية ابن مالك، و»شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث»... وغيرها، وفي سنة 1927م سافر إلى تونس فتوسع في بعض العلوم: «الفقه الإباضيّ»، «مصطلح الحديث»، «المنطق»، وقد نال الإجازة العلميّة من قبل الشّيخ «إبراهيم بن بنوح متياز» رحمه الله.

عندما بلغ 18 من عمره وذلك سنة 1933م اقترن الشّيخ امحمّد بالسّيدة المرحومة «سكوتي عائشة بنت سليمان»، وتعاوَنَا في تربية سبعة أولاد: محمّد، وسليمان، وإبراهيم، وعمر، وصالح، وبنتَيْن، وكان منهم مهندِسَان وطبِيبَان جرَّاحَان.

شيوخه:

تتلمذ الشّيخ امحمّد على يد عدّة مشائخ، أبرزهم: والدّه الحاج سليمان بن بكير مطّهري، الشّيخ الحاج يوسف بن بعمور بافولولو، الشّيخ إبراهيم بن بنوح مِتْيَاز وكذا الحاج صالح بن إبراهيم اشقبقب وغيرهم.

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصْر: الحاج أحمد بازين، والحاج أيوب بافلح، وعمر بن باحمد هيبة، ومحمّد أبي اسماعيل، والحاج سليمان بن باسة بامون، وبكير بن حمو الشّيخ صالح، والحاج أحمد كروم،

وموسى بن إبراهيم قزريط، وعمر بازين، وعبد الله لبشك، ومحمّد قليل، وعمر قشار، وإبراهيم بورورو، وبشير الحاج موسى، وإسماعيل الحاج سعيد... وغيرهم كثير من خرّيجي قسم التّخصص في الشّريعة الإسلامية بمعهد عمي سعيد، وجميع هؤلاء يشتغلون اليوم في حقل التّعليم والتّكوين والفتوى ورعاية شؤون المجتمع في عموم قرى وادي مزاب.

اهتم شيخنا بالتّأليف كثيرا، وقد أمره والدّهُ «الحاج سليمان» أن يكتب عن (الحجّ) قبل أن يذهب إليه ليختبر حفظَه، فألّف قصيدة وأعطاها له فاستحسنها قائلا: «جيّد ومهم وستكون إن شاء الله شيخا»، ومن مؤلفاته:

كتاب «إلهام الرّحمن في علوم القرآن الكريم» -مخطوط-.

- «فتح المغيث في علوم الحديث».
- «شرح قصيدة البيقونية في علوم الحديث».
- كما ترك الحاج امحمّد قصائدَ أنشدها في المناسبات نذكر منها:
- قصيدة في رثاء القطب -مخطوطة-.
- قصائد في مدح النّبي.
- قصيدة في شكر والدّه... وغيرها.

يمتاز شيخنا بالجدِّ والنّشاط والحزم والصّرامة، والذّكاء والذّاكرة القويّة، والصّبر والإخلاص وحبِّ العلم وأهلِهِ وفِعْل الخير، تظهر على وجهه نظّارة طبيّة، وهو يعصب رأسه بعمامة بَيْضَاء، ولا تجده إلاّ بثيابٍ بيضاءَ، رفيعُ الصّوت، فصيح اللّسان، قصير القامة، تعلُو وجهه ابتساماتٌ وسرورٌ مكين، تدور به لحيةٌ بيضاء، يستعين في مشيه بعُكّاس الشّيخوخة بعد أن تجاوَزَ سنَّ الثّمانين من عمره.

شمّر الطّالب «امحمّد» عن ساعد الجد والعمل بعد أن رجع من تونس سنة 1930م، وانتَدَب لخدمة مجتمعه بكل تفانٍ وإخلاص ووفاء في حقل التّدريس: في مدينة سطيف سنة 1943م، حيث اشتغل بالتّجارة في دكان «آل بازين» هناك، وكلّفته الجماعة بتدريس القرآن الكريم والعقيدة والفقه واللغة لأبناء التّجار في (دار الجماعة)، وفي مليكة العليا: حيث خلَف والدّه في التّدريس بـ (دار إروان) حينا من الدّهر، وكان عُضواً فعّالا في إدارة «مدرسة الرّشاد القرآنية» بعد الاستقلال الوطني، كما أسهم بفعاليّة قبل ذلك في تأسيس «جمعية النّصر» سنة 1960م للتربية والثّقافة الإسلامية، وفي سنة 1980م فتح حلقة علم في مكتبة (المعصومة)، وفي غرداية: وذلك عندما فَتح «معهد عمي سعيد» قسما للتخصص في الشّريعة الإسلاميّة سنة 1409ه/ 1988م، فعُيّن مُحاضِرا لهذا القسم في (علوم الحديث ومصطلحه) وقام بجهود جبّارة في هذا المجال.

في سنة 1366هـ/ 1946م رشّحته (جماعة الإباضية) فعُيّن قاضيا بالمحكمة الشّرعية ببريّان، ورغم الامتناع الشّديد لهذا المنصب منه ومن أبيه -رحمه الله-، إلا أنهما أُقنعا بأهمية وُجُوده في هذا المنصب، فباشر مهامَّه في يوم 24 أوت 1946م، ليقضي فيه أربع (04) سنوات ثم حُوّل إلى محكمة غرداية سنة 1950م، فشغل المنصب السّابق نفسه، وفي فجر الاستقلال أصبح رئيسا لمحكمة غرداية، إلى أن استقال عنها سنة 1969م.

حاضر شيخُنَا في عدّة مناسبات دينيّة ووطنية في كثير من النّوادي نذكر منها: محاضرة «الهدي المحمّدي» التي ألقاها في «نادي عمي سعيد» بمناسبة المولد النّبوي الشّريف، ومحاضرة «الختان في الإسلام». وله رصيد مهمٌّ من الأشرطة السّمعية لدروس الوعظ والإرشاد حفِظَته له «جمعية الرّشاد القرآنية» بمليكة العليا.

اختار الله تعالى الشّيخ «الحاج امحمّد» إلى جواره الكريم بعد مرض الضّعف العام في جسمه مدة ثلاثة أشهر، وتوفّي مساء يوم الأربعاء 09 جمادى 1419هـ الموافق لـ 30 سبتمبر 1998م، وقد شُيِّع جثمانه في موكب جنائزي رهيب مساء يوم الخميس.

قاسم بن بابا عوف

المصدر:

- لقاءات مع تلاميذه: حمو بن أحمد كروم، وإبراهيم بن عمر بورورو.
- تواصل مكتوب مع ابنه: الدّكتور صالح مطهري.
- مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 26 سنة: 1999م.

■ امحمّد بن يوسف بن عيسى، أطفيّش، (قطب الأَيمـّة)
(و: 1237ه - 1821م / ت: 1332ه - 1914م)

امحمّد بن يوسف بن عيسى ابن صالح بن عبد الرّحمن بن عيسى ابن إسماعيل بن محمّد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي، أطفيّش. أشهر عالم إباضيٍّ بالمغرب الإسلاميِّ في العصور الحديثة.

ولد بغرداية لَما انتقل إليها والدّه، وعاش بها طفولته الأولى، وفي الرّابعة من عمره توفّي والده، وتركه يتيما تحت كفالة والدّته. توسّمت فيه بوادر النّبوغ، فعهدت به إلى أحد المربِّين لحفظ القُرْآن، فختمه وحفظه وَهو ابن ثمانِ سنوات، ففتح له مجال العلم، وسارع إلى دور العلماء وحِلَق الدّروس بالمسجد.

فأخذ مبادئ النّحو والفقه عن أخيه الأكبر: إبراهيم بن يوسف. وتلقّى مبادئ المنطق عن الشّيخ سعيد بن يوسف وينتن.

وكان يحضر حلقة الشّيخ عمر ابن سليمان نوح مع أخيه إبراهيم، وحلقة الشّيخ الحاج سليمان بن عيسى في دار التّلاميذ اليسجنيِّين، كما كان يحضر دروس الشّيخ بابا بن يونس في مسجد غرداية.

بعد أخذه لِهذه المبادئ، شمَّر على ساعد الجدِّ والتّحصيل، بعزيمة لا تعرف

الملل، يؤازره ذكاء حادٌّ، وذاكرة وقَّادة، ورغبة في العلم لا تعرف الحدود.

نشأ عصاميًّا، لم يسافر للدراسة خارج موطنه، وجعل دأبَه الحرصَ على اقتناء الكتب واستنساخها، يجتهد في طلبها واشترائها من كُلِّ البلدان، رغم قِلَّة ذات اليد، وصعوبة الاتِّصَال، فتجمَّعت لديه مكتبة غنيَّة، تعتبر فريدة عصرها بالنّظر إلى ظروف صاحبها، وبُعده عن مراكز العلوم والعمران.

وَمِمَّا ساعده على التّحصيل: اقتناؤه لبعض خزائن العلماء، منها خزانة الشّيخ ضياء الدّين عبد العزيز الثّميني، وقد تَزَوَّجَ امرأة عِلِمَ أَنَّهَا تملك مكتبة ثريَّة ورثتها عن أبيها.

وما كاد يبلغ السّادسة عشرة، حَتى جلس للتدريس والتّأليف، وَلَما بلغ العشرين أصبح عالِمَ وادي ميزاب، ثمَّ بلغ درجة الاجتهاد المطلق في كهولته، كما يذكر ذلك بنفسه في كِتَابه: «شامل الأصل والفرع».

أنشأ القطب معهدا للتدريس ببني يسجن، تخرَّج فيه علماء ومصلحون ومجاهدون، انبثُّوا في أقطار المغرب والعالم الإسلاميِّ.

له منهج في التّدريس يعتمد على استغلال الوقت، والتّركيز في التّلقين. تستمرُّ دروسه طيلة أيَّام الأسبوع، من الضّحى إلى الزّوال، إلاَّ يوم الجمعة، ثمَّ يزيد دروسا في المساء بعد العصر، ولا يدرِّس في اللَّيل إلاَّ الغرباء والنّجباء والمتفوِّقين؛ لأنَّه كان يخصِّص اللَّيل للتأليف والإجابة عن الرّسائل والاستفتاءات المتهاطلة عليه؛ وكان غزير المادَّة، طويل النَّفَس، متفانيا في العلم، يدرِّس أحيانا أحد عشر درساً مختلفاً في اليوم الواحد.

بهذا المنهج في التّعليم، والسّعة في العلم، انهال عليه الطّلبة من مختلف الأقطار الإسلاَمِيَّة، وصدروا عنه، وكلُّهم رجال عاملون في مختلف مواقع الحياة: تأليفا، وتعليما، وقيادة، وقضاء، وإصلاحا.

وبلغ عدد تلاميذه العشرات، من أشهرهم: من ميزاب:

إبراهيم اطفيَّش، أبو إسحاق: نزيل القاهرة العالم المحقِّق.

إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان: رائد الصّحافة العَرَبِيَّة في الجزائر

صالح بن عمر لعلي.

عمر بن حمُّو بكلِّي.

محمّد بن سليمان ابن ادريسو.

أَمّا من ليبيا: فيذكَر المجاهد بالسّيف والقلم الدّاعية: سليمان باشا الباروني.

ومن تونس: المؤرِّخ سعيد بن تعاريت.

ومن المدينة المنوَّرة: أحمد الرّفاعي.

وغيرهم كثير مِمَّن بلغ المشيخة.

تآليفه:

ومن أهمِّ آثار الشّيخ أطفيَّش تآليفه التي أغنى بها المكتبة الإِسلاَمِيَّة، كمًّا ونوعا، فقد عدَّها بَعضهم وقال: إِنَّهَا تبلغ الثّلاثمائة مؤلَّف، ما بين كِتَاب ورسالة.

واتّسع له العمر، ليترك هذا التّراث الجليل، فقد عمِّر سِتَّة وتسعين عاماً، وكان حريصا على الكِتَابة، لا يتركها في حضر ولا سفر، وصفه تلميذه أبو اليقظان بِأَنَّهُ «لا يُعرف إِلاَّ في تدريس علم، أو تأليف كتب»، فألَّف في بني يسجن، والقرارة، ووارجلان، وبريان، والحجاز، وَفي السّفينة قاصدا الحجَّ، وشملت تآليفه مختلف فروع المعرفة، في المنقول والمعقول:

1. في تفسير القُرْآن، له ثلاثة تفاسير هي:

– «تيسير التّفسير»: ط1 قديمة، الجزائر 1326هـ في سبع مجلدات ضخمة، وط2 مطبعة البابي الحلبي، مصر، نشر وزارة التّراث القومي والثّقافة، عُمان، من سنة 1982 إلى سنة 1987م، في 14 جزءًا.

وأعيد طبعه بتحقيق الشّيخ إبراهيم طلاَّي، وَهو آخر تفاسيره وأهمُّها، إِذْ كتبه بعد نضجه العلميِّ.

– «داعي العمل ليوم الأمل» (مخ)،

نسخة منه بمكتبة القطب؛ وأخرى في مكتبة الشّيخ حمو باباموسى بغرداية، وَقِيلَ: إِنَّهُ تفسير لم يتممه، بدأه من الخاتمة وانتهى إلى سورة الرّحمن، ولا يزال مخطوطا في مُجَلَّد كبير.

– «هميان الزّاد إلى دار الميعاد»: ط1 المطبعة السّلطانيَّة، زنجبار؛ ط2: مطابع سجل العرب، نشر وزارة التّراث القومي، عُمان، ابتداء من سنة 1980م، ويقع في 13 مُجَلَّدا، بدأ في تأليفه وله من العمر أربع وعشرون سنة.

2. في التّجويد:

– «تلقين التّالي لآيات المتعالي»، (مخ).

– «جامع حرف ورش»، (مط).

3. في الحديث:

– «ترتيب التّرتيب»، وهو إعادة ترتيب مسند الرّبيع بن حبيب، بعد ترتيب أبي يعقوب يوسف الوارجلاني، طبع قديم، الجزائر، 1326هـ.

– «جامع الشّمل في أحاديث خاتم الرّسل»، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، (مط)

– «وفاء الضّمانة بأداء الأمانة»: (مط)

4. في السّيرة النَّبَوِيَّة:

– «مسائل السّيرة»، (مخ).

– «شرح نونيَّة المديح»، (مخ)، والنّونيَّة أرجوزة وضعها ابن ونان المغربي في مدح خير البريَّة محمّد عَلَيهِ السّلاَمُ.

5. في التّوحيد وعلم الكلام:

– «إزهاق الباطل بالعلم الهاطل»، طبع قديم، 1317هـ.

– «البرهان الجلي في الرّدِّ على الجربي عَلِي»، (مخ).

– «الجنَّة في وصف الجَنَّة»، (مط).

– «الحُجَّة في بيان المحجَّة في التّوحيد بلا تقليد»، (مط).

– «الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، (مط).

– «الرّدُّ على الإنكليزيِّ الطّاعن في الدّين»، (مط).

– «الرّدُّ على الصّفْرِيَّة والأزارقة»، (مط).

– «الرّدُّ على العقبيِّ»، (مط).

– «القول المتين»، وَهو شرح مُقَدِّمة الشّيخ تيبغورين بن عيسى الملشوطي، (مط).

– «التّقريرات على حاشية الدّيانات للسدويكشي، وتتمَّتها للمصعبي»: (مخ).

– «حاشية السّؤالات» لأبي عمرو عثمان، (مخ).

– «حاشية على شرح النّونيَّة»، (مخ).

– «حاشية على كِتَاب الموجز» لأبي عَمَّار، (مخ).

– «شرح أصول تيبغورين»، (مخ).

– «شرح عقيدة التّوحيد»، لعمرو بن جميع، (مط)

– «شرح لامية ابن النّظر العمانيِّ»، (مخ).

– «عدم الرّؤية وإدحاض مذهب أهل

الفريـة»، (مـخ).
- «فتح الباب للطلاَّب، شـرح معالـم الدّين»، لعبد العزيـز الثّميني (مخ).
6. في أصول الفقه:
- «فتـح اللـه: شـرح شـرح مختصـر العـدل والإنصـاف»، (مـخ)، وَهـو موسـوعة فـي أصـول الفقـه المقـارن، لو طبعـت لكانت في اثني عشـر مُجَـلَّدا.
7. في الفقه: وَهو أوسع مجالات تأليفه:
- «شـرح كِتَـاب النّيـل وشـفاء العليـل»: موسـوعة فِقهِيَّـة جامعـة لآراء المذاهـب الإِسلاَمِـيَّة، يقـارن فيهـا بيـن الأقـوال بروح متفتِّـحة، ويرجِّح ما يراه بِالحُـجَّـةِ والدّليل، وأصبـح هـذا الكِتَـاب معتمـد الإباضيَّـة في الفقـه. طُبِـع مـرارا، وبواسـطته تعـرَّف العالم الإسـلاميُّ علـى الفقـه الإِبـَاضِيِّ، واعتمدته لجـان موسـوعات الفقـه الإسـلاميِّ في مصر والكويـت.
- «إطالـة الأجـور وإزالـة الفجـور»، تحقيـق الباحـث: عمـر بازيـن (مـط).
- «الذهـب الخالـص المنوَّه بالعلـم القالصّ»، (مط).
- «ترتيـب تحفـة الأديـب وتخصيـب القلب الجديـب»، (مـخ). وهو ترتيب كتـاب لعمرو بـن رمضـان التّلاتي.
- «ترتيـب كتـاب اللقـط للشـيخ عمـرو بـن رمضـان التّلاتـي»، (مـخ).
- «ترتيـب كتـاب المعلقـات»، لمؤلـف مجهـول، (مـط).
- «ترتيـب المدوَّنـة الكبـرى لأبي غانم بشـر بـن غانـم الخراسـاني»، (مخ).
- «ترتيـب نـوازل نفوسـة»، (مـخ)، وهـي مجموعـة أجوبـة ورسـائل لبعـض أيمَّـة الإباضيـة.
- «تفقيـه الغامـر بترتيـب لقـط موسـى بـن عامـر»، (مـط).
- «جامـع الوضـع والحاشـية»، الوضـع لأبي زكريـاء الجناوني، وحاشـيته لمحمّـد بن عمر أبي سِـتَّة المحشّـي، (مط).
- «حاشية أبي مسـألة»، لأبي العَبَّـاس أحمد (مخ).
- «حاشـية القناطـر»، لإسـماعيل الجيطالي، (مـخ).
- «حاشية على جواب ابن خلفان»، (مخ).
- «حاشية على شرح الرّائية»، (مخ).
- «حكم الدّخـان والسّـعوط»، (مط). حقَّقها ودرسـها الأسـتاذ بكيـر بـن يحيـى الشّـيخ بالحـاج، في إطـار رسـالة الماجسـتير بمعهد أصـول الدّيـن بالجزائـر.
- «حيَّ علـى الفـلاح» وهـي حاشـية علـى كِتَاب الإيضاح للشـيخ عامر علي الشّـماخِي، (مخ).
- «شـامل الأصـل والفـرع»، (مـط). ذكر فيه أنَّـهُ كتبـه بعـد أن بلغ درجـة الاجتهاد.
- «شرح الدّعائم الموسَّع»، (مخ).
- «شـرح الدّعائـم»: شـرح منظومـات ابـن النّظـر العمانـي المسـمَّاة: الدّعائـم، (مـط).
- «القنوان الدّانية في مسـألة الدّيـوان العانية»، (مط).
- «كِتَاب التّحفة والتّوأم»، (مط).
- «كشـف الكـرب»: ترتيـب أبـي الوليـد، تحقيـق: محمّـد علـي الصّليبـي، (مـط).
- «مختصر في عمارة الأَرض»، (مخ).
8. في التّاريخ:
- «إزالـة الاعتـراض عـن محقِّـي آل إباض»، (مط).
- «الإمـكان فيمـا جـاز أن يكـون أو كان»، (مـط).
- «الرّسـالة الشّـافية فـي بَعض تواريـخ وادي ميزاب»، منه نسـخة مختصرة (مـط)، وأخرى موسَّـعة (مخ)، وَهُـوَ من المصادر الأساسيَّـة لهـذا المعجم.
- «السّـيرة الجامعـة مـن المعجـزات اللامعـة»، (مـط).
- «الغَسول في أسماء الرّسول»، (مط).
9. في النّحو واللغة والعروض:
- «إيضاح الدّليل إلى علم الخليل»، (مخ).
- «الحاشـية الثّانيـة علـى شـرح أبـي القاسـم الـدّاوي»، (مـخ). وضعه وَهو لا يـزال يتتلمذ علـى أخيـه الحـاج إبراهيم.
- «الكافـي فـي التّصريـف»، وَهُـوَ بصـدد التّحقيـق، في إطـار رسـالة ماجسـتير، (مخ).
- «المسـائل التّحقيقيَّـة فـي بيـان التّحفـة الأجروميَّـة»، (مـخ).
- «بيان البيان»، (مخ).
- «حاشـية على شـرح المرادي على الألفية»، (مخ).
- «شـرح شـرح أبـي سـليمان داود علـى الأجروميَّـة»، (مـخ).
- «شـرح شـرح الاسـتعارات» لعصام الدّين، (مخ).
- «شرح شواهد القزويني»، (مخ).
- «شرح شواهد الوضع»، (مخ).
- «شرح لامية الأفعال»، (مط).
- «قصيـدة الغريـب: نظم متن مغنـي اللبيب» لابـن هشـام، (مـخ). وَهـو فـي خمسـة آلاف بيـت نظمه ولـه من العمر سِـتَّ عشـرة سـنة.
10. في البلاغة:
- «تخليص العانـي من ربقة جهـل المعاني»، (مخ).
- «ربيع البديع في علم البديع»، (مط).
11. في المنطق:
- «شرح سلم الأخضري»، (مخ).
- «إيضاح المنطق في بلاد المشرق»، (مخ).
12. في الطِّبِّ والفلك والحساب:
- «تحفة الحِبِّ في أصل الطِّبِّ»، (مط).
- «مطلع الملَك في فنِّ الفَلَك»، (مخ).
- «مسلك الفَلَك»، (مخ).
- «شرح القلصادي»، (مخ).
13. في الشّـعر: له قصائد عديدة في مواضيع تربويَّـة، ومدائح، ومواعظ، منها:
- «ديوان نظم»، (مط).
- «قصائد القطب»، (مخ).
- «القصيـدة الحجازيَّـة»، (محققـة و منشـو ر ة).
- «قصيدة المعجزات»، (مخ).
- «قصيدة بائيَّـة»: ضمـن مجمـوع قصائد، (مـخ).
- «قصيدة بدر»، (مخ).
- «مجموع قصائد وأجوبة»، (مخ).
14. في الخط:
- «كِتَاب الرّسم»، مطبوع.
15. مواضيع مختلفة:
- «تفسير ألغاز»، (مط).
- «خطبتا العيدين»، (مخ).
- «شرح المخمَّسة»، (مخ).
- «شـرح لغـز المـاء»، (مـط). وَهـو حـلٌّ للغـزٍ نـال بـه وسـاما عالميًّـا، عجز عـن حلِّه علمـاء العالـم.

16. الأجوبة والرّدود والفتاوي:

لـه مـن الأجوبـة والفتـاوي عـدد هائـل، جمـع بَعضهـا الشّـيخ عمـر بـن يوسـف اليسـجني، ولا يـزال أغلبهـا مخطوطـا، ومتفرّقـا بين المكتبـات، وتعدُّ مرجعا فقهيًّـا هامًّـا، خَاصَّـةً في نـوازل عصـره، نذكر منها مـا يلـي:

- «أجوبة لأهل عُمان»، (مخ).
- «جواب أهل زوارة»، (مط).
- «جـواب إلى محمّد بن عبـد الله الخليلي»، (مخ).
- «جواب مشايخ مَكَّة»، (مط).

17. المراسلات:

راسـل القطـب علمـاء مـن مختلـف مدن الجزائر، ومن خارجها. راسل شخصيَّات من البحرين، والحجاز، وعُمان، ومصر، وتونس، وجبـل نفوسـة، وجربـة، والجزائـر، وفـاس، والقسطنطينيَّة، وَبَعض العواصم الأوروبيَّة.

ولـو جُمعـت هـذه الرّسـائل لألَّـفت مُجَـلَّدات فيهـا مـن أنـواع العلـوم، والأخبار التّـاريخيَّـة الهامَّـة، مـا يصلـح لدراسـات أكاديميَّـة متخصِّصـة، نذكر منها على سـبيل المثـال:

- «رسـالة إلـى الوالـي العـام الفرنسـي بالجزائـر»: مؤرَّخـة في ربيـع الأوَّل 1304هـ بقسـنطينة.
- «مجموع الرّسائل»، (مخ).
- «مجمـوع رسـائل بيـن القطـب والإدارة الاستعماريَّـة»، (مـخ).

هذه الشّخصِيَّـة الموسوعيَّـة كانت نادرة العصـر فـي رسـوخها وعطائهـا العلميِّ.

ولـم يقصـر الشّـيخ جهـوده فـي هـذا المجـال، بـل اهتـمَّ بالإصـلاح الاجتماعيِّ، ومحاربـة الجهـل والبـدع، وَتولَّـى رئاسـة مجلـس العَزَّابَـة ببنـي يسـجن.

كمـا تولَّـى منصـب القضـاء، ثـمَّ اعتزلـه لَمـا بسـط الاسـتعمار الفرنسـيُّ نفـوذه علـى منطقـة ميـزاب سـنة 1882م.

وكان القطـب عـدوًّا عنيدا لفرنسـا، وَمِمن وقـف بقـوَّةٍ فـي وجـه الاحتـلال، ودعـا إلـى مقاطعـة المسـتعمر وعـدم التّعامـل معـه، ويذكـر أنَّـهُ نصـب خيمـة فـي حومـة الدّبدابة بيـن غردايـة وبنـي يسـجن، احتجاجـاً علـى دخـول فرنسـا المنطقـة.

وكان حريصـا علـى وحـدة المسـلمين، يعصـره الألـم علـى مـا آل إليـه أمرهـم، مـن فرقـة وهـوان، وذلٍّ واسـتعمار، يدعـو للنصـر للمجاهديـن فـي كُلِّ بـلاد العالـم الإسـلاميِّ.

وقـد دفعـه هـذا التّـَصَوُّر إلـى أن يعيـش علـى أمـل التّخلُّـص مـن المسـتعمرين، وأن يُفَكِّـر فـي المشـاركة بمـا يسـتطيع لتحقيـق هـذا الأمـل، فجعـل الجهـاد جـزءا مـن رسـالتّه فـي الحيـاة، كمـا يقـول:

«لَـوْلاَ ثَـلاَثٌ هُـنَّ: تَعْـلِيمُ جَاهِلٍ وَخِدْمَةُ رَبِّـيَ وَالجِهَـادُ لِـذِي الكُفْـرِ لَمَـا كُنْتُ أَخْشَـى المَـوْتَ وَالمَـوْتُ لاَزِمٌ وَإِلاَّ فَمَـا الحيَـاةُ وَالمَـرْءُ فِـي قَهْرِ».

- وكان مؤيّـدا للخلافـة العثمانيـة لأنَّهـا كانـت تمثّـل وحـدة المسـلمين.
- لـه مراسـلات مـع السّـلطان عبـد الحميـد الثّانـي، وغيـره كسـلطان زنجبـار، وإمـام عُمـان.

وكان معتـزًّا بإسـلامه، غيـورا علـى دينـه، فقـد أهديـت لـه النّياشـين، وشـهادات التّقديـر مـن مختلـف سـلاطين العالـم الإسـلاميِّ، وبخاصَّـة لَمـَّا أجـاب علـى لغز المـاء، فقبِـل هـذه الهدايـا، إلاَّ نيشـان الحاكم الفرنسـيِّ، فَإِنَّـهُ لَمـَّا جـاء ممثِّـل الحكومة ليوشِّـح صـدر الشّـيخ بـه، قَـدَّمَ لـه طـرف ردائـه السّـفليَّ ليعلِّقـه عليـه، وَلَمّـا سـئل عن ذلـك قـال: «الإسـلام يعلُـو ولا يُعلـى عليه».

شهد له بالرّسـوخ في العلم علماء كثيرون: منهم الشّيخ محمّد عبده، والشّيخ زيني دحلان، وَبَعض علماء الحجاز، ولقَّبه الشّيخ نور الدّين السّـالمي -مجـدِّدُ العلـم بعُمان- بـ «قطـب الأيـمَّة».

توفِّـي بمـرض دام أسـبوعا، بعـد أن قضى قرابـة قـرن فـي الجهـاد العلميِّ، والإصلاح الاجتماعيِّ.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- قطب الأَئِمـَّة: أغلب مُؤَلَّفاته (وانظر: جمعية التّراث: دَلِيل المخطوطات، فهرس مكتبة القطب).
- إبراهيم حفَّار: السّلاسل الذهبيَّة في الشّمائل الطّفيشيَّة (مخ) كلُّه، 51ص.
- أبو اليقظان: ملحق السّير (مخ) 2/ 153.
- علي معمَّر: الإباضيَّة في موكب التّاريخ، ح1/ 83؛ ح4/ 325 وغيرها.
- دبُّـوز: نهضة الجزائر، 1/ 289-388.
- عبد الله كنطابلي: بطاقات تعريف لقطب الأَئِمـَّة ومؤلَّفاته (مخ).
- جهلان: الفكر السّياسيُّ عند الإباضيَّة من خلال آراء الشّيخ محمّد بن يوسف اطفيَّش، كلُّه.
- عكّي علواني: منهج التّفسير (مرقون).
- يحيى بوتردين: الشّيخ محمّد بن يوسف اطفيَّش ومذهبه في تفسير القُرْآن الكريم مقارنة إلى تفسير أهل السّنـَّة (مرقون) كلُّه.
- يحيى بكُّوش: شرح النّيل دائرة معارف إِسْلاَمِيَّة (مرقون) كلُّه.
- ينظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، المطبعة العربية -غرداية، ط1، 1999، ج4، ص835.
- Louis David: Les Mechaikh du M'Zab، 24-25.

ب

■ بابه بن إبراهيم، بوعروة (بابا تامر)
(و: 1326هـ - 1908م / ت: 1408هـ - 1988م)

شيخ من أعلام غرداية، ختم القرآن الكريم في إحدى كتاتيبها، على يد الشّيخ أحمد بن يعقوب الغرناوط، ثمَّ رحل إلى تونس، ودرس في مدرسة السّلام، وبالمدرسة القرآنية هناك.

وفي سنة 1928م عاد من تونس، وشارك في تأسيس جمعية الإصلاح بغرداية، ثمَّ علَّم في مدرستها فترة من الزّمن، وفي ديسمبر 1972 انتخب نائباً لرئيس جمعية الشّيخ صالح بابكر، ثمَّ عقب وفاة هذا الأخير خلفه في الرّئاسة في مارس 1976م.

في سنة 1928 عيِّن في منصب باشعدل في محكمة الإباضيَّة بقسنطينة، ثمَّ اعتزل الوظيف بعد أن قضى فيه ما يقرب من 18 عاماً، وَأَوَّل ما اشتغل بالتّجارة بواد الزّناتي، ثمَّ بقسنطينة؛ حيث شارك في تأسيس جمعية الهدى -التي لا تزال قائمة إلى اليوم -وترأَّسها فترة وجوده بقسنطينة.

مارس الصّحافة بمقالات عدَّة، وكان مراسلَ جريدة «الجزائر الجمهورية» بعد تأسيسها.

شارك في مؤتمر مسلمي أوروبا المنعقد في جونيف بسويسرا، من يوم 12 إلى 15 سبتمبر 1935م، تحت إشراف الأمير شكيب أرسلان، بصفته عضوا في سلك القضاء الإسلامي، وكان من البارزين في الملتقى، وقد ألقى خطابا بالفرنسية، فقيل له تعليقاً: «أنتم أيها الجزائريون أسود في الفرنسية، ولكنكم صمٌّ بكم في العربية»، وهنا قام الشّيخ بوعروة فطلب الإذن بإلقاء خطابٍ يوم غدٍ، فلمَّا كان الغد ألقى خطابا مرتجلا بِالعَرَبِيَّةِ الفصحى، بهر الحاضرين، وعلى رأسهم الأمير شكيب أرسلان، فدعا الشّيخَ بوعروة لمأدبة غداء، وأهدى له خاتماً ثميناً.

في حوالي سنة 1950 انتخب رئيساً لعشيرته، ثمَّ عُيِّن وكيلا للعرش؛ أي أميناً على مصالح البلد.

شارك في الثّورة، وتعرَّض للسجن من أجلها.

انتخب نائبا أوَّل لرئيس البلدية السّيِّد ناصري علي بن عمر، وقام بأعمال معتبرة.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- من خطاب ألقاه الشّيخ فخار حمو بن عمر في جنازة الشّيخ بابه بن إبراهيم بوعروة، وقام بتلخيصه الشّيخ أوبكة، في وثيقة بحوزة الجمعية *نجار حاج داود: جمعية الإصلاح بغرداية تفقد رئيسها، مقال بجريدة الشّعب، (03 جانفي 1989م) ص13.
- ينظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، المطبعة العربية - غرداية، ط1، 1999، ج2، ص139.

■ باحمد بن حمو بن باسعيد، كروم
(و: 1327هـ - 1909م / ت: 1382هـ - 1963م)

عالم مجاهد، رأى النّور في مدينة القرارة. ولقب عائلته هو «أكرومي» إلاَّ أنه اشتهر بـ«كروم»، مِمن له الأثر البالغ في تكوين شخصيته أمُّه السّيدة عائشة كريزو (ت: 1393هـ/ 1973م).

وقد ورِث الخصال والخلال من جدِّه الشّيخ باسعيد بن حمو الذي كان عضوا في حلقة العزَّابة بالقرارة، وفقيهَ محضرتها القرآنية، وأمين تقاسيم المياه والسّدودفي البلد.

في سنة 1332هـ/ 1914م أدخله والدّه المحضرة القرآنية، فتعلَّم القراءة والكتابة ومبادئ الشّريعة. وعندما فتح الشّيخ إبراهيم بن بكير حفار دارا للتعليم سنة 1336هـ/ 1916م انضمَّ إليها وكان ملازما لشيخه يأخذ عنه وعن أخيه الشّيخ محمّد بن

بكير حفار (ت: 1942م)، فلم يبرحهما إلى أن أغلقت الدّار، وسافر الشّيخ حفار إلى بني يسجن.

حفظ القرآن الكريم، وانضمَّ إلى حلقة إروان بالقرارة سنة 1349هـ/ 1928م؛ واهتمَّ بحفظ المتون الدّينية.

وكان يحضر حلقة الشّيخ يوسف بن بكير حمو علي بالعطف، ويراسل الشّيخ حمو بن باحمد باباوموسى بغرداية، ويجالسّه ويستفتيه.

من نشاطاته اشتغاله بالتّدريس في بنورة في محضرة المسجد وذلك من سنة 1356هـ/ 1935م.

وفي سنة 1360هـ/ 1940م رجع إلى مسقط رأسه القرارة، وفتح بها مدرسة قرآنية حرَّة في شارع الزّرْويل بجانب منزله.

ثمَّ سافر إلى مدينة معسكر بالغرب الجزائري سنة 1371هـ/ 1951م، واشتغل فيها معلِّما في دار الجماعة الإباضيَّة. ثمَّ استقر بالعطف معلما للقرآن بمدرسة مسجد أبي سالم.

ترك خزانة كتب في مختلف الفنون، ووثائق مخطوطة؛ وخلَّف تلاميذ نجباء، كان فيهم العلماء، منهم: الشّيخ بالحاج بن عدون قشار، الشّيخ عيسى الحاج سعيد، الأستاذ يوسف الزّرقة، الطّبيب أحمد دودو، نجله حمو كروم.

وكان -بالإضافة إلى التّدريس -يحترف مهنة ترميم البنايات القديمة، والفلاحة وخدمة النّخيل.

وافته المنية بعد مرض في التّنفس انتابه لمدة قصيرة، ودفن بالعطف في مقبرة «عمي حمو».

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- الحاج أحمد كروم: بحث في ترجمة باحمد بن حمو كروم (مخ)
- مجموع وثائق ورسائل مخطوطة في مكتبة المترجم له
- لقاء أجراه المحرر مع نجل المترجم له كروم حمو بن باحمد
- لقاء آخر مع ابن صالح أحمد بن سعيد.
- ينظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، المطبعة العربية -غرداية، ط1، 1999، ج2، ص149.

■ باحمد بن قاسم، حاج سعيد
(و: 1357هـ - 1937م /ت: 1441هـ - 2020 م)

في يوم 21 جوان 1937 ولد الأستاذ حاج سعيد حاج أحمد بن قاسم بن حاج يحي بن يوسف في مدينة العطف ولاية غرداية وهو من عشيرة آل الخلفي العريقة ونشأ في أحضان والدّيه مع أخواته الثّلاثة وأخيه محمد عائشة وبخيلة ومامة. - في سنة 1945م سافر إلى الجزائر العاصمة واستقر به المقام مع[2] وكان يحفظ القرآن الكريم عند والده في الدّكان إلى سورة الشّورى.

وفي سنة 1951 رجع إلى مسقط رأسه فواصل دراساته في مدرسة أبي سالم عند بهون علي حاج حمودة بن حاج بكير، كروم حاج أحمد بن حمو، امحمد زكري بن صالح، بهون علي حاج سعيد بن حاج علي، حاج سعيد حاج محمد بن باحمد، زرقون حاج عبد الله بن محمد.

في سنة 1959 استظهر القرآن الكريم عند الإمام حاج عيسى بن بابا عمي بكلي بابه.

واصل دراساته العليا الشّرعية في المعهد الجابري ببني يزكَن عند الشّيخ يوسف بن بكير حمو علي وعند الشّيخ صدقي حاج محمد.

في سنة 1957 اقترن بشريكة حياته يوسف حمو عائشة بنت عبد العزيز وربى معها أبناءه البررة: حمودة، يحي، محمد، عزيزة، عائشة، فاطمة.

في سنة 1958 سافر للعمل والكسب في دكان خاله حمو علي عمر بن حمودة في عين البنيان مع والده حاج قاسم وكان إسهامه في الثّورة التّحريرية مادية ومعنوية بواسطة صالح قرادي ورفيق له من الجلفة.

في سنة 1962 تحول إلى العمل في دكان شراكة في حي بولفار بالجزائر العاصمة.

في عامّ 1970 رجع إلى مدينة العطف لخدمة والديه عن كثب واشتغل في دكان الحاج سعيد ممثل شركة سيمسون بمدينة غرداية.

في سنة 1972 انتقل إلى العمل في مقاولة الأشغال العمومية كروم حمو وبابكر يحي كمسؤول للورشات.

في سنة 1970 شرع في التّدريس بالمدرسة القرآنية أبي سالم الحرة إلى سنة 2010.

2010 عضو إدارة المدرسة إلى وفاته.

استظهر عنده القرآن الكريم حوالي 78 طالبا.

مهامه الاجتماعية:

لقد تقلد المرحوم عدة وظائف اجتماعية ثقيلة أذكر منها:

- عضو حلقة العزابة منذ سنة 1979 بمدينة العطف ولاية غرداية.
- عضو إدارة عشيرة آل الخلفي منذ سنة 1990 بمدينة العطف بغرداية.
- عضو لجنة غسالي الموتى في حلقة العزابة بمدينة العطف ولاية غرداية.
- مكلّف باستظهار القرآن الكريم منذ سنة 2001 بمدينة العطف ولاية غرداية.
- معلم القرءان الكريم في مدرسة أبي سالم الحرة بمدينة العطف ولاية غرداية.

يمتهن الفلاحة الحرة ببستانه في حي بهيمان والجاوة بمدينة العطف ولاية غرداية.

بعد عجز المشايخ أصبح صدر مجالسّ الأفراح والأتراح بالعطف.

رعاية مواسم تلاوة القرآن الكريم وتنفيذ أوقافها في مدينة العطف.

يمتاز المرحوم بالتّواضع وحب الخير وعمارة المسجد، والالتّزام الجدي بالمهام المنوطة به والإخلاص في العمل والصّبر، وكان برًّا بوالديه.

بعد مرض وباء كوفيد 19 (كورونا) الذي أصابه لمدة شهر كامل شفي منه والحمد لله ولكن الأجل كان سبق إليه القضاء حيث توفي مساء يوم الاثنين 20 ذو الحجة 1414هـ / 10 أوت 2020م في عيادة الواحات بغرداية.

ودفن يوم غد الثّلاثاء صباحا في مقبرة الشّيخ أيوب بن قاسم رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

حاج احمد بن حمو كروم

■ باقي بوعلام (سي جمال)
(و:1340ه - 1922م / ت: 1428ه - 2017م)

ولد عام 1922 بالبيض من قبيلة البواقي من السّماحين، والده محمّد وأمه بن سعيد فضيلة، انتقل إلى تلمسان سنة 1937 للدراسة، حصل على الشّهادة العليا بالجزائر العاصمة سنة 1943، سافر إلى المغرب وعمل كترجمان لدى رئيس الرّقابة المدنية بالقنيطرة، لكنه عزل من وظيفته بسبب استنكاره للمعاملة المهينة للإنسان المغربي، ومشاركته في مظاهرة حزب الاستقلال في يناير1944. ثم عمل كمدرس للغتين العربية والفرنسية بوادي زم، وفي أكتوبر 1945 عاد إلى البيض وضمِن منصب أستاذ للغة العربية (متوسطة ابن باديس حاليا) خلفا لأستاذه سي قدور الذي ارتقى للتدريس بتلمسان

في نوفمبر 1945 جاء إلى البيض القيادي في حزب الشّعب امحمّد يوسفي متنكرا في زي بدوي قاصدا السّوق، نزل ضيفا على المناضل عبد السلام الذين مناد، وتم تشكيل أول خلية لحزب الشّعب، تضم كلا من حسني أحمد ومناد عبد السلام كلفا بتنظيم وهيكلة الشّباب، وبلقاسم عبد الصادق كلف بتوعية الكبار. وكلف سي بوعلام بالتنسيق وبعث الكشافة الإسلامية الجزائرية، حيث كلف الأستاذ بوعمران الشّيخ بتكوين فوج بو درقة الذي ملأ الدّنيا، بنشاطاته وكان سي بوعلام مرشدا للفوج قد نظم قصيدة مازال يغنيها حميتو

محمّد بن البشير كان الفوج يقوم بخرجات للضواحي، والاستعراض بالشوارع من حين لآخر مرددا الأناشيد الوطنية، كما اهتم بالمسرح الهادف، وامتد نشاط الفوج خارج المدينة حتى لفرنسا. اتخذ سكن ابن عمه باقي الحفيظ الواقع بحي القرابة مقرا للاجتماعات. بعد شهر كانوا قد ظموا 60 مناضلا.

قاطعوا انتخابات المجلس الوطني الفرنسي. ومن طريف ما يروي: عندما أخلي سبيل مصالي الحاج، ذهب بمعية الحاج علي بن بيتور (شعنبي تاجر ببشار) لتهنئته، حمل بن بيتور هدية له، وفوجئ وهو يفتح الحقيبة بأنها بندقية حربية (استاتي)، بادره بن بيتور: سيدي الرّئيس، فرنسا احتلتنا بهذه، وسنخرجها بهذه.

حضر مؤتمر الحزب ببلكور، الذي حمل تسمية حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية سنة 1947، وفيه اتفق على تحضير العمل المسلح (المنظمة الخاصة)، زاره أحمد بن بلة، وأقام ببيته سنة 1947، وتم تكليف حسني إدريس بالمنظمة الخاصة، وترشح لانتخابات المجلس الجزائري المشكل من 120 عضوا نصفه للفئة الأولى (المستوطنين والفئة الثّانية للمحليين) والذي عرف أكبر عملية تزوير بمباركة وتوجيه الحاكم نايجلان. سهر المناضلون على تجنيد النّاخبين، وتوجيههم، لم تكن لهم امكانيات النّقل المتوفرة لمنافسيهم المدعومين من الإدارة الاستعمارية: الخلادي بلميلود، باش آغا العين الصفراء والأستاذ حمزة بوبكر. كانت الدّائرة الانتخابية تمتد من الشّط الشّرقي شمالا حتى حدود مالي، وتسمى: الإقليم العسكري للعين الصّفراء. حاليا ولايات: البيض، النّعامة، بشار تندوف، أدرار. حضر من القيادة الوطنية خليفة بن عمار، والطيب

الثّعالبي لتأطير الحملة، (سيعاقبان على ذلك بثلاث سنوات سجنا)، إلى جانب المترشح ونائبه العرابي الحاج، ابن قاضي بشار اتكل منافسوه على وعود أعوان الاستعمار، الذين أوصوا مرؤوسيهم، ولم تنفع وصيتهم أمام طرح مناضلي حزب الشّعب الجزائري. (لا زال يذكر أهازيج سكان توات على رقص بارودهم: "باقي بوعلام ربي ينصرو، صُلاح توات كاملة فرحت لو..».

فاز صاحبنا ب 16 ألف صوت، ونال خصماه معا 2520، (حصل حمزة بوبكر على16 صوتا بمسقط رأسه الأبيض سيد الشّيخ) كانت الصّدمة عنيفة عليهم، فتوعدوه. قدم الخلادي طعنا، ضمنه الخطابات النّارية التي استعملها في الحملة الانتخابية ضد أعوان الدّولة، ودبر شهودا حتى من معارفه (تراجعوا لما مثلوا أمام قاضي التحقيق بالعاصمة)، كما أسس له الحاكم العسكري قضية جنائية (الإخلال بالأمن الخارجي للدولة). طلب منه قادة الحزب الاختفاء، حتى تنصيب هياكل المجلس في 03/ 06/ 1948، افتتحت الجلسة، وعند الاستراحة اقتاده محافظ الشّرطة من بهو المجلس. وعند استئناف الجلسة تقدم العربي دماغ العتروس (أحد الثّمانية الفائزين من حزبه) ذكر الحضور بالحادثة، استنكر بعده رئيس المجلس ذلك، وتمنى أن يعامل معاملة خاصة بمنصبه.

حوكم اعتمادا على مرسوم « ريني»المتعلق بإجراءات جزائية للمخلين بسير الانتخابات، حكم عليه مع نائبه العرابي بثمانية أشهر حبسا، كان بسركاجي 31 سجينا من البيض، منهم حسني أحمد بلمحال، قادة الكوخو، بوعزيز، حميتو محمّد (لعوْر) وحوالي أربعين مناضلا آخرين يؤطرهم بالسجن امحمّد يزيد.بعد أربعة أشهر ألغيت أحكام المرسوم، وراحوا يطلقون أمثاله تباعا. أما هو فقد حاكوا له قضية جنائية. حوكم بمعسكر ونال سنتين نافذتين (يسجل هنا ظروف نقله من معسكر إلى العاصمة بالقطار، مقيدا مع سجين أعمى بطيء الحركة (بالحجاجي جلول المدعو جلول لعمى من المشرية ولاية النّعامة)، والذي مثل أمام

القضاء ثلاث مرات.

قضى المدة بين سركاجي ولمبيز (باتنة) حيث التقى بمحمّدي السّعيد المتهم بتعاونه مع النّازية يقضي حكما بخمس عشرة سنة، يصوم الدّهر ولا يفطر إلا يوم الجمعة، أهداه المصحف الذي لم يفارقه من زمن بعيد، كما تعرف على كثير من الفرنسيين المتعاونين مع النّازية.

أما العقوبة التبعية فتمثلت في الحرمان من الحقوق المدنية، استبدال بطاقة التعريف بدفتر متابعة أمنية يوقعه دوريا، بمحافظة الشّرطة، المنع من الإقامة ب باتنة وقسنطينة والعاصمة ووهران، فقدانه منصب التدريس بعد الإفراج، توسط له الحاج علال حميتو لدى صديقه البشير الإبراهيمي فعُيّن مدرسا في ندرومة تحت إمرة وإدارة السّيد عبد الوهاب بن منصور، (مؤرخ المملكة المغربية لاحقا)

بعدها عُين مديرا ومدرسا بغيليزان (مدرسة خاصة تحت رعاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، ثم عين مديرا لمدرسة الفتح بسطيف من 1953 إلى 24 أفريل 1956 ولم ينقطع عن النّضال.

ظل يوقع الحضور لدى الأمن، إلا في غليزان، حيث حماه المناضل إسياخام، لدى محافظ صديق له. كان يؤخَذ أحيانا من المدرسة عنوة من طرف الدّرك، سين جيم.

وفي سنة 1956 استأذن من العربي التبسي، الذي أتى لجمع الاشتراكات للثورة، بالسماح له بالالتحاق، بعد أن انطلقت الثّورة بمنطقته. راسل عبان رمضان، طلب منه هذا الأخير أن يذهب للبيض، ويدعو الثّائرين هناك للعمل تحت لواء جبهة التحرير، اتصل ببوشريط عن طريق الحاج عامر محبوبي، (أفريل 1956)، وقد نقل أسرته لمعسكر، استجابوا. راسل لطفي بواسطة الحاج مفتاحي، طلبه لطفي ليكون نائبا له. كان نقيبا، وأعطي سي بوعلام رتبة ملازم أول، واسم جمال. وراح يتنقل من جبل لآخر على الحدود، مرض، وأدخل المستشفى، تعرف على الدّكتور فرانز فانون بعد المرض، لم يعد صالحا للعمل العسكري، فوجه للعمل المدني للأشراف على غرب المغرب أسندت له مهام عديدة.

بعد الاستقلال كان آخر مسؤول جزائري يغادر التراب المغربي لإشرافه على عودة المهاجرين. في سبتيمبر 1962، توجه للعاصمة، أعطى عرض حال لبن بلة، وطلب منه السّماح له بالعودة للتدريس، قضى شهرين أمينا عاما بوزارة التربية. وطلب الإعفاء والتعيين مفتشا للتعليم الابتدائي،

ونائبا لمفتش أكاديمية وهران. سنة 1968 عينه الرّئيس بومدين رئيس محكمة قمع الجرائم الاقتصادية، قبل المنصب بعد إلحاح مع شرط ممارسة منصبه التعليمي. حلت المحكمة سنة 1975 وفي سنة 1977 انتخب كائب في المجلس الشّعبي الوطني. كما شغل عدة مناصب في الدّولة الجزائرية خاصة في ثمانينيات القرن العشرين، منها وزير الشّؤون الدّينية (في حكومات عبد الغاني الأولى والإبراهيمي الثّانية وحكومة مرباح) ووزير العدل (في حكومات عبد الغاني الثّانية والثالثة وحكومة الإبراهيمي الأولى. توفي رحمه الله يوم الإثنين 16 جانفي 2017.

فاطمة الزهراء حوتية

المصادر:
- فطيمة الزهراء حوتية، السّياسة الفرنسية في الجنوب الغربي الجزائري وردود فعل الثّورة التحريرية، اطروحة دكتوراه في تاريخ الثّورة الجزائرية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة الجزائر2017. ص 94.

■ بشير بن أحمد مسعودي
(و:1375ه - 1956م/ت: 1436ه - 2015م)

هو السّيد الحاج بشير بن أحمد مسعودي المعروف بالسّوفي ولد سنة 1956م، بحي الرّكينة من أولف، حيث دخل الكتاب القرآني للطالب عبد الله المنوفي سنة 1961م. وأخذ شيئا من مبادئ الفقه على يد العلامة محمّد باي. دخل المدرسة النّظامية سنة 1963م، حيث زاول تعليمه الابتدائي بأولف، ثم واصل تعليمه الإكمالي بمدينة عين صالح إلى غاية سنة 1973م. وكان منعرج حياته أن توفيت والدّته رحمها الله سنة 1974م، فقرر التّخلي عن الدّراسة في السّنة ذاتها، وألف أول قصيدة له في رثاء أمه وكانت تحت عنوان: «امّيمتي".

وكانت بداية علاقته بعالم الشّعر سنة 1968م، بالاستماع إلى بعض الرّحالة من عين بلبال الذين كانوا يؤدون الأغاني البدوية المعروفة بـ «الطّبل»، فكان يستمع للكلمات ويكتسب الملكة اللغوية التي أهلته لاحقا ليكون أحد أعمدة الشّعر الملحون في المنطقة.

ولقد تأثر بشكل كبير جدا بالشّاعر معمري بحوص، حيث كان قدوته في هذا المجال منذ الصّغر. فحفظ الكثير من قصائده ولم يتوان في عرض محاولاته الأولى عليه ليصححها له، وبذلك اكتسب الخبرة في المجال شيئا فشيئا. كما استفاد من حفظه لقصائد أخرى لشعراء عديدين.

منذ كتابة أول قصيدة للشاعر بشير والتّي كانت بعنوان «امّيمتي"، دأب على

كتابة القصائد والتّمرن عليها وعرضها للتصحيح. ولم يقابل الجماهير إلا في سنة 2000 م حيث عرض أول قصيدة له أمام الملأ بعنوان: "عـــلاء" وكانت في رثاء ابنه علاء -رحمه الله -الذي توفي وهو ابن ستة أشهر. توالتّ قصائده بعد ذلك في المناسبات الواحدة تلو الأخرى حتى أصبحت له شعبية واسعة في الوسط المحلي، مما أهله ليشارك -ولأول مرة خارج المنطقة -في عيد الفنان بدعوة من دار الثّقافة لولاية أدرار وهذا سنة 2001م.

واصل الشّاعر نشاطه بحس يلامس الواقع فكانت شعبيته تزداد يوما بعد يوم. فكان أن شارك في أول خرجة له خارج الولاية في الملتقى الوطني للشعر الشّعبي ببلدية أولاد بسام بولاية تيسمسيلت وهذا سنة 2004م. ثم توالتّ الخرجات فكانت الوجهات متعددة: ورقلة، تيارت، سيدي بلعباس، تلمسان، عين الدّفلى، الجزائر العاصمة، وهران، بسكرة، تيزي وزو، تبسة وتمنراست.

لقد جدّ واجتهد في ميدانه حتى أصبح سلطان الشّعر الملحون بمنطقة أولف. له أكثر من 70 شهادة تكريم في مختلف المشاركات المحلية، الولائية والوطنية، كما يضم أرشيفه أزيد من 700 قصيدة.

انخرط السّيد مسعودي بشير في صفوف الكشافة الاسلامية الجزائرية سنة 1967م، أين تدرج في مختلف المسؤوليات القيادية. كما تقلد منصب رئيس جمعية حي الرّكينة. وله مساهمة فاعلة في عديد الجمعيات حيث كان رئيسا لجمعية أمال شبيبة أولف ومن مؤسسيها. وتقلد منصب رئيس نادي الوفاق الرّياضي بأولف وكان أيضا من مؤسسيه.

انتخب عضوا في المجلس الشّعبي البلدي بأولف للعهدة 1980-1985م، ثم أعيد انتخابه مرة ثانية في العهدة 1985-1990م أين تولى فيها رئاسة المجلس.

تنوعت قصائد الشّاعر بشير بين عدة أغراض، فكتب في القضايا الاجتماعية والسّياسية. ونظم أيضا القصائد الغزلية. وكانت له قصائد تتغنى بحب الجزائر في المحافل الوطنية. كما أن نصيبا من قصائده كان لمدح الرّسول ﷺ.

ففـي التّغني بالوطنيـة، له قصيـدة بعنوان «اقرأ التّاريخ» يشيد فيها بالشّعب الجزائري وبطولاته جاء فيها:

نحمد ربي رانا عايشين أحـــرار
في بـلدنا كل خير موفـــر لينا
اخوت متحدين جمعت صفنا الأقـدار
موحد راينا من عهد اســـلافينا
كنا قـوة نتقت الاستعمـــــار
حصرته في الحي، في الجبل وفي المدينة

إلى أن وصل:

عارف الجزائري زعيم يتحمـل صبار
ما يزعـــزع رجليه حتى بارود المينة
درناه في جحيم هزينا ليه الاستقـــرار
من الرّبعة وخمسين حـــس بمجينا
في أول نوفمبر سقيناه لـمـــرار
ايقناه وحرمنا عليـه الرّقـدة الزّينة
وطلعنا علامنا لفـــوق علا لسـوار
زحنا فرنسا مـن أرضـــنا وتهنينا

وخصـص جـزءا مـن شـعره لمـدح الرّسول ﷺ، كقوله في قصيدة

"صلوا عنوا يا ناس":

بها بسم الله بديت وعـلى النّبي صليت
بت صلاتي في هذا البيت على شفيع الأمة
صلوا صلوا عنو يا ناس قد اللي ما عندو قياس
قد ما لبستو من لباس قد من عمامة طرية
زيدو صلوا عليه يا لحباب عداد حصى التّراب
عداد ما عندو حسـاب يا ربي تقبـل ليَا
صلى عليه العلام سبحانه خـالـــق الأنام
دارو في علا مقـــام هو امـام الانبيا
رسالتّو جات بالقرآن هذي معطات الرّحمن
بيها نور الطّرقان بنوارو قـــوية ضوية
صليت عنوا بالألـف ياربي كـن بي لطيف
صرف عني الوعد خفيف يا ربي واغفر ليَا
صليت أنا عليه بالباء قد اللي طـاف بالكعبة
عداد اللي مشى وحبا واللي قماطة عفية

وفي شعر بشير مسعودي أكثر من التّفاتة اجتماعية، ففي قصيد بعنوان «الوقت وجيله» نجده يقول:

راني حاير يا ناس راه الوقت كسر راســي
جيلوا عاصي وقاسي وغابت لو لـوعية
الصّغير ما يقدر كبير ماشي في المسلك الخطير
ولا تلا راضي باش يشير راحت لو العقلية
الصّباح يبني ويسقم وعشية يولي ينـــدم
يعـاود يرجـع يهدم ويبيع الارضية
يتصرف كيف المهبول يخالف كان عطاك القول
عهدو ياك ديمة محلول هذي صفة مخزية

وككل مسـلم فإن هموم الشّـاعر لم تكن فقط همـوم منطقته، وإنما أيضـا هموم الأمة الإسـلامية فأهتـم بأحوالهـا وانشـغالاتها، فكتـب متأسـفا عن حـال أمته، داعيا شـبابها إلـى النّهوض، من ذلك قصيدته التي عنوانها «يا شباب الأمة»:

استعين بالله وافـــزع يا شباب الأمـة
هز سلاحـك وقوم أش تنتظـر بيه
اخرج من غيبوتك ومـوت بـهمـة
ما بقى خزي أكـثر من اللي رانا فيه
اربط حزامك خير ليك وتـجاوز ذا الغـمة
وعلى صوتك لا تخاف وابليس اخـزيه

وكحال كل مؤمن لما تضيق نفسـه فإنه لا يجد إلا الله يلجأ إليه، داعيا مسـتغيثا مبتهلا، معبرا عـن عبوديتـه واسـتكانته وحاجته إلى لطف الله وعفوه، يقول:

سبحانك يا مـالك الكـون وحـــصيه
يا من تنزهت عـن التّشبه صفـــاتو
يا مجيب الدّعوات اعطيني اللـــــي متمنيه
واجعل آخر كلامي الشّهادة ختمـــاتو
يا من نظرت بعين رضاك الكـــــافر تهديه
يا من يعفو بعـد المقدرة برحـــمتو
من علي بفضلك رضـــــاك راجـيه
بجاه سيدنا خير الخلق ومـــــرضاتو

وفي تفاعله مع الطّبيعة، لم يغفل الاهتمام بالنّخلة، وهي أساس العمران بالمنطقة فنظم قصيدا سـجل فيـه اسـماءها وأبـرز مختلف خصالها، نورده كاملا لأهميته:

عـــذروني لو كان خانتني الافكار
بسم الله بـــديت كـــلامي وسنتيتو
يـجني نعت جمول يعصـرني تعصـار
هاض علي القـــول فضوله دخلتو
دا السّر الـمكنون في خيارة الأشجـار
جمعت فيه افايد النّخلة كـي قلـــتو
نهديه للتاريخ والخلفة الصّغـــار
نكتب عنها كتاب لاكان جـمعتـــو
فضل الـخـلق واش فيها من أسرار
أش فادت بن ادم في طول حـــــياتو
منها المعروف والـخفـي على الأنظار
ما اكثرها باسمى البعض لكـــم سميتو
والشّيخ محمّد والمسعودية خيرة الأتمار
الفرنة وأقـــاز بنخلـــوف وحلواتو
وتنقربوش وتندكـان ما اطيبها ياحضار
تقازة وتناصـــــر وتلمسو لـو تبنتو

ولقـد طبعـت بعـض قصائـده فـي ديوان يحمـل عنـوان «درة القوافـي للملحـون الأولفي"

توفي الشّاعر بشير مسعودي مساء السّبت 11 أفريل 2015 فرحمه الله رحمة واسعة.

فاتح نواري

المصادر:

- اعبيدي اسماء، بوكار خديجة، غرض الحكمة في الشّعر الملحون بمنطقة أولف: البشير مسعودي نموذجا، مذكرة ليسانس في اللغة والأدب، جامعة أحمد دراية أدرار، 2007-2008.
- بشيري مسعود، درة القوافي للملحون الأولفي، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2008.

■ بشير كاشة الفرحي
(و: 1344ه - 1926م / ت: 1442ه - 2021م)

علمنا سليل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورفيق أعلام مبجلين نذكر منهم: محمّد العيد آل خليفة-الفضيل الورتلاني-محمّد البشير الإبراهيمي-الشّيخ العربي التّبسي-عبد الرّحمن بن يوسف الأفريقي- مالك بن نبي- أحمد بوشمال... وغيرهم كثر

هو بشير بن صالح بن مسعود بن الحاج مخلوف بن موسى الفرحي (نسبة إلى قبيلة بني فرح) وأمه زينب بنت أحمد بن الطّيب (اللقب العائلي "كاشة" من وضع الاستعمار سنة 1881م)

نشأته وتعلمه:

ولد الشّيخ بشير الفرحي في 20 مارس 1926 بقرية عفان، بلدية وادي الطّاقة، دائرة ثنية العابد، ولاية باتنة (عاصمة الأوراس)

حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ اللغة العربية وعلوم الشّريعة الإسلامية بمدرسة التّربية والتّعليم والمسجد العتيق بمدينة **باتنة**، على أيدي الشّيخ محمّد الصّغير زيدان المعافي، والشّيخ الطّاهر مسعودان الحركاتي، وشاعر الجزائر الكبير محمّد العيد آل خليفة رحمة الله عليهم.

انتقل إلى جامع **الزّيتونة** بتونس، فدرس به ثلاث سنوات (من سبتمبر 1945 إلى سبتمبر 1948) وتحصل على الشّهادة الأهلية(متوسطة)

خلال الفترة الممتدة بين سبتمبر 1948 إلى سبتمبر 1952 انقطع عن الدّراسة لمدة أربع سنوات متصلة، وعمل خلالها بفرنسا(مع العمال الأميين، وأشبه الأميين كما يذكر) في مصنع لإنتاج الزّجاج، ثم في مصنع لإنتاج السّيارات، ثم قطاع البناء والتّعمير، وأخيرا في مصنع لإنتاج الأدوية، أين قدم استقالتّه منه فور سماعه بخبر قبول الطّلبة الجزائريين للدراسة في معاهد وجامعات الدّول العربية، وعاد إلى الجزائر فوجد والدّه طريح الفراش، ليموت بعدها في شهر سبتمبر من نفس السّنة1952م، عن عمر ناهز الرّابعة والسّبعين، تاركا وراءه زوجتين؛

الأولى والدّة الشّيخ بشير، أنجبت ثمانية ذكور وثلاث بنات، وعاشت بعد والدّه حتى تمتعت بفرحة استرجاع السّيادة الوطنية والاستقلال من المستعمر الغاشم، وفاضت روحها سنة 1967م. والثّانية؛ أنجبت ولدين وأربع بنات، وتوفيت سنة1974م(عليهم رحمة الله جميعا)

وفي سنة 1952 أعلنت جمعية العلماء المسلمين عن قائمة بأسماء الطّلبة المقبولين لإرسالهم في بعثات لمواصلة دراستهم في بعض البلدان العربية بالمشرق العربي، بعد بعثاتها السّنوية إلى جامع الزّيتونة. فكان الشّيخ -رحمه الله- ضمن **البعثة العراقية** الأولى لبعثات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث درس دراسة جامعية بدار المعلمين العالية في قسم الآداب ببغداد العراق من سبتمبر 1952 إلى جوان 1954، ولم يكمل دراسته بها.

أدى فريضة الحج سنة 1954 في إجازة الصّيف من سنته الثّانية بدار المعلمين بالعراق، واستقر بالمملكة للدراسة ولم يرجع إليها.

وقد ذكر عن نفسه أنه لم يدرس المرحلة الثّانوية؛ بل قفز من المرحلة المتوسطة إلى الجامعية في تلك الفترة. كما تحصل في نفس الفترة على دبلوم الصّحافة العربية من كلية الصّحافة المصرية بالمراسلة.

ثم انتقل للمملكة العربية السّعودية في جويلية 1954 للحج وتوسط له الشّيخ عبد الرّحمن الأفريقي (وهو الشّيخ العلامة المعروف، من علماء المدينة النّبوية، درس بدار الحديث المدنية، وبالمعهد العلمي بالرّياض، وبكلية الشّريعة بها، وقد تخرج على يديه عدد من علماء العصر المبرزين.) في الدّخول للمعهد العلمي بالرّياض بصفة شخصية، فتحصل بها على الشّهادة الثّانوية من معهد الرّياض العلمي، وبعدها على شهادة الليسانس في الشّريعة من كلية العلوم الشّرعية بالرّياض 1381ه1962-م، وقد شغل - في هته الفترة- وظيفة مدرس مدة ثلاث سنوات(أي من سبتمبر 1959 إلى سبتمبر 1962) بالمدارس الابتدائية السّعودية.

تزوج في أوائل سنة 1955 من زينب بنت عمار بن سعد (لقب أسرتها» داسي" من غمرة ببسكرة) المولودة بتاريخ 29 جانفي 1939. كان زواجهما بالمملكة العربية السّعودية، أين هاجر أخوها وشقيقها الشّيخ أحمد بن عمار بن سعد(داسي) إلى الحرمين الشّريفين، وأقام بالمدينة المنورة طالبا ثم إماما بمسجد التّاجوري، ومدرسا بالمدارس الابتدائية. وبعد اندلاع الثّورة التّحريرية(1954م) شد أخوه مدني بن عمار بن سعد داسي وشقيقتهما زينب الرّحال إلى المدينة المنورة، أين تولى أخوها الشّيخ أحمد ولاية عقد زواجها مع بشير كاشة الفرحي، وذلك أوائل سنة 1955م، وكان له منها أحد عشر ما بين بنين وبنات. توفيت السّيدة زينب حرم بشير يوم 28 جانفي سنة 2000م عن عمر واحد وستين سنة، بعد مرض عضال الزّمها الفراش عدة سنوات-رحمة الله عليهم أجمعين-

بعض المناصب والمهام التي تقلدها مرتبة ترتيبا كرونولوجيا:

اضطلع بمهام متعددة في الفترة الممتدة بين 1945 إلى 1999

ناضل في حزب الشّعب الجزائري منذ سنة 1945

مناضل في حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية المنبثة عن حزب الشّعب منذ سنة 1947

انقطع بعد تخرجه من الزّيتونة للعمل بفرنسا في مصنع لإنتاج الزّجاج، ثم في مصنع إنتاج السّيارات، ثم في مصنع لإنتاج الأدوية، وفي قطاع البناء إلى غاية سبتمبر 1952.

عضو في المنظمة المدنية لجبهة التّحرير الوطني، وعامل في ممثليتها بالمملكة العربيَّة السّعوديَّة منذ إنشائها سنة (1955م)، حتى استرجاع السّيادة الوطنية والاستقلال سنة 1962.

درس مدة ثلاث سنوات (من سبتمبر 1959 إلى سبتمبر 1962) بمدارس المرحلة الابتدائية بالمملكة العربية السّعودية

عمل برتبة متصرف مدني بوزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف من غرة نوفمبر 1962 إلى 31 ديسمبر 1970.

رئيس مكتب التّوجيه الدّيني بوزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف منذ الفاتح جانفي 1965

نائب مدير الشّؤون الدّينية ابتداء من 22 جانفي 1969

شغل منصب متصرف إداري بوزارة العدل منذ الفاتح من جانفي 1971م، ثم رئيس مكتب التّعريب لمدة عشرة أشهر،ثم متصرف إداري رئيسي، رئيس مكتب الدّراسات الفقهية إلى غاية تقاعده سنة 1999.

بتاريخ 26 سبتمبر 1998 تم تعيينه عضو بالمجلس الأعلى للغة العربية، ممثلا للإدارة المركزية لوزارة العدل إلى غاية إحالتّه على التّقاعد في الفاتح من شهر سبتمبر سنة 1999.

أما مؤلفاته فهي عديدة، نجمل بعضها في القائمة التّالية:

- صفحات مشرقة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1951-1953
- مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 _ 1962
- أحداث الثّورة التّحريرية الأوراس
- السّياسة اللغوية في الجزائر، التّعريب-الأمازيغية-اللغات الأجنبية

الانتخابات التّشريعية والرّئاسية في ظل التّعددية الحزبية، دراسة تحليلية-ونصوص قانونية

- المرشد في التّربية الإسلامية للسنة أولى ابتدائي.
- المرشد في التّربية الإسلامية للسنة ثانية ابتدائي
- المرشد في التّربية المدنية للسنة أولى ابتدائي
- المرشد في التّربية المدنية للسنة ثانية ابتدائي
- المرشد في التّربية الإسلامية للسنة أولى متوسط.
- المرشد في التّربية الإسلامية للسنة ثانية متوسط
- المرشد في التّربية المدنية للسنة أولى متوسط
- المرشد في التّربية المدنية للسنة ثانية متوسط
- المرشد في قواعد اللغة العربية للسنة أولى متوسط
- المرشد في قواعد اللغة العربية للسنة ثانية متوسط
- المرشد في قواعد اللغة العربية للسنة ثالثة متوسط
- المرشد في قواعد اللغة العربية للسنة رابعة متوسط
- المرشد في قواعد اللغة العربية للسنة أولى ثانوي
- سلسلة أعلام بلادي:
- محمّد البشير الإبراهيمي، شيخ العلماء وفارس البيان
- الشّيخ العربي التّبسي، إمام المجاهدين
- الشّهيد محمّد العيد آل خليفة، شاعر الجزائر والعروبة والإسلام
- الشّيخ أحمد حماني، العالم المجاهد-المجتهد
- الشّيخ الطّاهر مسعودان الحركاتي، الإمام المفتي
- عقبة بن نافع، محاضرة للباحث المؤرخ الأديب الشّاعر عبد المجيد بن حبة
- وغيرها...

وبحكم تخصصه في الصّحافة، فقد شارك في الكتابة في عدة جرائد وصحف منها:

- التّحرير (عراقية)
- السّجل (عراقية)
- اليمامة (سعودية)
- البصائر (الجزائر)

ما قاله فيه الشّيخ العربي التّبسي، وزروق موساوي-عليهم رحمة الله-:

رسالة الشّيخ العربي التّبسي (رحمه الله) إلى أفراد البعثة الجزائرية بالعراق، والتّي خصه فيها بذكر اسمه يقول فيها:

بسم الله الرّحمن الرّحيم-الحمد لله

الجزائر في 20/ 6/ 1373هـ الموافق لـ24/ 2/ 1954

إلى أبناء الجمعية البررة، أعضاء البعثة العراقية أجمعين، كان الله في عونهم ما اتقوا الله، وصبروا وصابروا في ميادين البلوى والامتحان.

السّلام عليكم ورحمة الله

وبعد: فإني أحمد الله لي ولكم أن جمع بيننا على مراضيه، وعلى العلم وطلبه النّفر إليه، وأن اختار لنا هذا الجمع وأهلّنا له، ولم يكلنا إلى أنفسنا.

ثم إني تلقيت كتابا من بشير بن صالح كاشه حمل إليّ بشارة سبق أن تلقيتها ممن كتب إليه بخبرها، فحمدت له هذا الجد والرّغبة في نيل العلوم والمعارف، وحيازة شهادتها أيا كانت العلوم، وكل علم خير من الجهل به وأنفع، ما ذم الدّين، ولا عقل علما، وإنما العمل به وبثه بين النّاس للعمل به وهو محط الحسن والقبح والخسارة والرّبح، وأمر الله ونهيه.

جعلكم الله ممن يتبعون أحسن اقول بعد استماعه.

...إلى أن قال

ثم إنك يا بشير كاشه من حق صحيفة» البصائر» لسان جمعية العلماء التي تتشرف بالانتساب إليها، وبكونك واحدا من أفراد بعثتها أن تكتب إليها، وقد تأهلت للكتابة في الصّحافة بما تراه نافعا للجزائر ولجمعيتك ولمدارسنا وحركتنا العامة...

رسالة الشّيخ العربي التّبسّي إلى تلميذه الأستاذ بشير كاشة الفرحي مؤرَّخة في (2/ 9/ 1954م)؛ بعث بها إليه من دمشق بعد انقضاء موسم الحجِّ لذاك العام، يقول في أوّلها: «إلى تلميذ الفضيلة، ورائد العلم النّافع الدّيني، البشير بن صالح الفرحي، له من الله التّوفيق، وعليه منه التّوفيق.

السّلام عليكم ورحمة الله وعلى جميع المصلحين السّلفيِّين الصّالحين، ورحمة الله وعنايته، وبعد...»، ويقول في آخرها: «..أخي! نُب عليَّ في إبلاغ تحيَّاتي إلى كلِّ من عرفته وعرفني أيّام إقامتي بمدينة الرّسول r من رجال العلم والفضل وشرائع المروءات، شيوخ مدرِّسين، وأفاضل جزائريِّين وغيرهم، وعلى الأخصّ أخانا الأستاذ عمَّار ابن عبد الله... وإن شغلتك الشّواغل عن إبلاغ تحيَّاتي إليه، فلن تشغلك عن إبلاغ أخينا الأستاذ الشّيخ القاضي عبد القادر الجزائري... «

جزء من رسالة زروق موساوي المحامي لدى مجلس قضاء-باتنة للشيخ بشير كاشه (رحمه الله)، باتنة في 29 شوال 1424هـ الموافق لـ 24/ 12/ 2003م، يقول فيها:

"... أشكركم على مشروعكم في الكتابة عن أستاذنا وشيخنا (يقصد الشّيخ العربي التّبسي رحمه الله) وأتمنى أن نلتقي لأزودكم بما أعرفه عنه، والمؤامرات التي تحاك ضده من داخل جمعية العلماء..."

توفي الشّيخ بشير كاشة الجزائري بعد عصر يوم الجمعة 27 ذي الحجة 1442هـ، الموافق لـ 6 أوت 2021م، ودفن بعد ظهر اليوم الموالي السّبت بمقبرة العالية في الجزائر العاصمة-رحمه الله وأسكنه فسيح جناته-

جميلة غريّب

المصدر:

- ترجمة الشّيخ منقولة بتصرّف من كتاب: إمام المجاهدين الشّهيد الشّيخ العربي التّبسي، لبشير كاشة الفرحي، دار الأفاق، ط1، 2004.
- الأستاذ الدّكتور مسعود فلوسي-جمعية العلماء المسلمين/ رأس الوادي/ وصفحة مشروع الذاكرة العلمية الجزائرية(الفيسبوك) -بتصرف-

■ بعيسى بن داود، دودو
(و: 1326ه - 1908م / ت: 1428ه - 2007م)

هو الفاضل السّريّ بعيسى بن داود دودو، ولد ببلدة بونورة، بوادي مزاب - غرداية، الجزائر، وُلد بعيسى بن داود دودو، وفي أجواء الفاقة والحرمان، تربى وترعرع وسط 12 أخًا وأختًا، احترف أبوه الفلاحة والبناء فكان مساعدًا له على صغر سِنه، غير أنّ المنية عجلت بأبيه ولم يتجاوز الرّابعة عشر من عمره، فدفع به شظف العيش إلى الاعتماد على نفسه، ومن له؟ لولا لطف الله وعنايته، وأم حكيمة بجانبه، أصبحت سنده في حياته، فبرّها وأحبّها حبا كبيرا، وكانت وفاتها في الخمسينات رزءًا عظيمًا عليه، ترك فيه بالغ الأثر طوال حياته.

تلقى تعليمه بمسقط رأسه على يد الأساتذة الحاج بكير بن بالحاج دودو، ومحمّد بن دحمان دودو ومحمّد بن عمر أبي إسماعيل، وفي سنة 1918م غادر وادي مزاب لأوّل مرة نحو الجزائر العاصمة متوجهاً إلى الحياة العملية وعمره لم يتجاوز عشر سنوات، لضيق ذات يد عائلته وظروف الحرب العالمية الأولى، يعمل أجيرًا في عدة متاجر، يتولى التّنظيف وتوصيل الطّلبات إلى المنازل، وبعد أربع سنوات من الغربة الاضطرارية عاد إلى بلدته بونورة، ليشتغل مع أخيه محمّد في البناء وشاء قدر الله أن يحضر جنازة والدّه وذلك سنة 1922م، مكث بعدها سنة كاملة يواصل أعمال البناء والفلاحة، ثم قرر السّفر إلى العاصمة وليس له من المال شيء، ليبدأ العمل حمالاً للبضائع ثم موزعاً لطلبات الزّبائن، وظل هكذا إلى غاية 1925م، أين انتقل للعمل مع أخيه إبراهيم في بيع

الفحم، وفي متجر الفحم الصّغير ذاك الواقع بشارع «موقادور» بالعاصمة بدأ الشّاب بعيسى شركته الخاصة، واستأجر المحل من أخيه إبراهيم بـ10 دورو للشهر، وبدأ ببيع الفحم الذي يجلبه من تجار الجملة الإسپانيين بالدّين، وبعد مدة من العمل والادخار والاقتصاد في المعيشة، استطاع أن يسدّد ثمن السّلعة مسبقاً، كما أنه ظل يعمل كموصل للطلبات في المساء، وفي فصل الصّيف يعوض انخفاض الإقبال على الفحم ببيع ثمر الهندي (الكرموس)...

في سنة 1926م قصد مسقط رأسه للزواج، وعاد مرة أخرى إلى العاصمة ليستأنف نشاطه، فقد كانت حركته التّجارية في المواد الغذائية قد شهدت قفزة نوعية، إذ كان من المزابيين الأوائل الذين اقتحموا عقبة الاستيراد أمام سطوة اليهود والمعمرين على عصب التّجارة بالعاصمة، وفي سنة 1934م وبعد تسع سنوات من الزّواج ارتبط بزوجة ثانية ورزقه الله منهما بـ 26 ولدا.

صفاته وخصاله: اشتهر بخصال عدّة جعلته مثالاً يتحذى، ومن أبرز خصاله التّواضع والبساطة؛ إذ يجمع كل من عايش الحاج بعيسى بخصلة التّواضع، وكل من يسمع عنه إلا ويتخيله مترفاً تبدو على ملابسه ومأكله ومسكنه مخايل التّرف والبذخ، ولكن ما إن يتعرف عليه حتى يكاد يكذب عينيه لشدة التّناقض بين الحقيقة وما يتخيله، فهو لا يريد أن يتميز عن أحد من النّاس في المظاهر، إنما كان متواضعاً وهذا من مكارم الأخلاق، فقد حدث أن جاء موفد من شركة أجنبية تتعامل مع مؤسسته في الاستيراد، يريد أن يبلغه أمانة في يده شخصياً، دخل ذلك الموفد إلى شركة دودو في العاصمة وكان يتصور أنه سيجده في مكتب فخم ولباس قشيب، لكنه تفاجأ بأن وجده بين عمال الشّحن في المستودع، إذ أنه لم يستطع أن يميّزه من مجموع العمّال حتى سأل الحاضرين عنه، لأنه كان يلبس لباس العمّال مندمجاً معهم بكل بساطة وتواضع وكأنه واحدا منهم.

الكرم الحاتمي؛ اشتهر بإحسانه وكرمه وقصصه في هذا المجال تفوق الوصف، وقد ظل طيلة حياته يستقبل في محله كل من يطلب المساعدة دون تململ أو تذمر، يمدّ يد العون بكل عطف وإحسان وشفقة على المحتاجين في أيام الشّدة والعوز، ومما أوثر عنه في شهر رمضان من كل سنة توزيع الصّدقات من مختلف المواد الغذائية. اليقين الصّادق بالله؛ فقد ابتلي في صحته وعائلته وماله، فكان يقينه بالله قويا دائما، وضرب أروع الأمثلة في ذلك، وكان يكثر دائما من قوله «الحمد لله»، فقد أخبر يوما بسرقة بعض مستودعاته فقال: «الحمد لله» أن الرّزق بيد الله فهو الذي يخلف ما ضاع أو سرق، واحترق محله ذات مرة فحمد الله أن لم يصب أحد عماله بأذى، وعزي يوما في أحد أولاده فقال: الحمد لله، يقينا منه على أن الأعمار والأرزاق بيد الله تعالى، كما عرف بصبره عند الشّدائد والمحن كحادثة مصادرة بعض أملاكه جورا.

أعماله، نضاله:

لقد كان نموذجا عمليّاً في التّضحية طيلة حياته، ساند الثّورة التّحريرية بتموين عائلات السّجناء وأرامل الشّهداء بكل سريّة وأمانة، لم يطلب بطاقة الجهاد أو اعترافاً لذلك بعد الاستقلال الوطني، بل ظل يرى عمله ذلك لله والوطن.

بعد الاستقلال الوطني أسهم في دفع عجلة التّنمية الاقتصادية ووقف ضد المحتكرين، وقدّم دعمه للدولة الجزائرية كلما احتاجت إليه خاصة في سنوات الاستقلال الأولى وقبل الانتعاش الاقتصادي الكبير، كما كان يتكفل بتزويج الشّباب والبنات وتمويل أفراحهم بكل سخاء لمن يقصده ودون إحراج أو خدش كرامة من يقصده.

ولعل مساندة رسالة العلم والتّعليم كانت ضمن أولوياته، فكان يقدم لها الدّعم المالي بكل سخاء، ويسهم في إنشاء المدارس القرآنية في كل مكان بداية من مسقط رأسه بونورة والجزائر العاصمة...، ومن أمثلة ذلك نذكر أنه أوقف حديقة منزله لبناء مدرسة الثّبات القرآنية في بونورة، وأسهم بسخاء في إنشاء مدرسة النّور القرآنية في بونورة، كما أسّس مدرسة التّوفيق القرآنية في حي بلكور بالجزائر العاصمة وظلّ الأب الرّوحي للمشروع إلى وفاته، مع إسهاماته في بناء المساجد في بونورة والعاصمة، وإنشاء شبكة المياه الصّالحة للشرب ببونورة...، وهي أمثلة عن جهاده المادي والمعنوي؛ وقد كان هدفه من هذه المشاريع الخيرية: خدمة الإسلام والمسلمين، الحفاظ على اللغة اللغة العربية، والحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية.

ومما قيل عنه: بمناسبة حفل تكريمه بمدرسة التّوفيق القرآنية بمناسبة الذكرى الخمسين

لتأسيسها، جوان 2004م، قال الشّاعر «سليمان دوّاق»:

إن غر بعض النّاس بزخرف مالهم
فثرينا عن كل زهو عازب
يهوى البساطة تواضعا
ويأبى الظّهور ببهرج ويجانب
لو كان في ملأ وجئت تريده
لاحترت أيهم أتيت تخاطب
كم من زيجة تمت بفضل عطائه
فتحققت للبالغين رغائب
والثّورة الكبرى أمد جيوبها
بمؤونة شهد عليها كتائب
ولولا مخافة أن أطيل عليكم
لذكرت أعمالا هن مناقب

توفّي -رحمه الله- يوم الثّلاثاء 10 جمادى الثّانية 1428هـ، الموافق لـ 26 جوان 2007م بمسقط رأسه بونورة عن عمر يناهز مائة عام.

الهادي بن محمّد دودو.

المصدر:

- مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 35 سنة: 2008م.
- دودو بعيسى حياته ومواقفه، نشر مركب التّوفيق – بلكور، الجزائر، 2004.
- موقع مزاب ميديا، https: / /www.atmzab.net/

■ بكر بن حماد الزناتي التاهرتي
و: 200ه - 815م/ت 296ه - 908م

بكر بن حماد بن سمك أبو عبد الرحمن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي التاهرتي، ولد بتاهرت أو بالجزائر بتيهرت حوالي سنة 200هـ(815م) تخصّص في الشعر، وكان عالم بالحديث ورجاله، فقيه.

أخذ عن علماء تلك المدينة أمثال سحنون صاحب المدوّنة، أخذ عن علماء بغداد مثل أبي مسدد، وعمر بن مرزوق، وبشر بن حجر

ومن تلامذته انهال على بكر الطلبة من كلّ فجّ وصوب، فأخذ عنه قاسم بن أصبع البياني

قال بكر بن حماد التاهرتي معارضا عمران بن حطان والقصيدة من البسيط:

قُلْ لابنِ مُلجمٍ والأقدارُ غالبة
هدمْتَ ويلك للإسلام أركانا
قتلتَ أفضلَ من يمشي على قدمٍ
وأوّلَ الناس إسلاما وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثمّ بما
سنَّ الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهرَ النبي ومولاه وناصره
أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له
مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا ماضيا ذكرا
ليثا إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر
فقلت سبحان رب الناس سبحان
أني لأحسبه ما كان من بشر
يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد إذا عدّت قبائلها
وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت
على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أنْ سوف يخضبها
قبل المنيّة أزمانا وأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمّله
ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقيّ ظلّ مجترما
ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربةٌ من تقيٍّ ما أراد بها
ألا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أوردت لظىٌ
فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته
إلاّ ليصلى عذاب الخلدِ نيرانا»

وهي أبيات فيها رثاء لعلي بن أبي طالب، وردّ فيها على عمران بن خطّان(ت84هـ) الذي مدح عبد الرحمن بت مُلجم قاتل علي بن أبي طالب (ض) فقال:(من البسيط):

يا ضربة من تقيٍّ ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره يوما فأحسِبهُ
أوفى البريّةِ عند الله ميزانا.

صاحَب كثيرا من علماء عصره مثل ابن حاتم السجستاني والرياشي وابن الأعرابي ومسلم بن الوليد وأبو تمام ودعبل الخزاعي وكانت له معهم مساجلات أدبية أسفرت عن ثبوت قدمه في الآداب وفي صناعتي الشعر والنثر.

رحل إلى البصرة سنة 217 هـ، ثمّ إلى القيروان، وعاد منها إلى تيهرت فارق وطنه وهو في حداثة سنّه عام 217هـ(832م، فشخص إلى القيروان في طلب العلم، ثم ارتحل إلى الشرق فدخل بغداد وكانت يومئذ زاخرة بالعلماء. وعاد إلى القيروان التي آب منها إلى بلده تيهرت سنة 295هـ (907م) فأصبح بها حجة أدباء عصره.

توفّي بقلعة ابن حمّة شمال مدينة تيهرت في شوّال سنة 296ه الموافق لتمّوز 908م)

أحمد عزوز

■ بكير بن علي، موسى وعلي
(و: 1330ه - 1912م – ت: 1405ه - 1985م)

هو الشّيخ والمربّي بكير بن علي بن بكير بن موسى بن علي موسى وعلي، ولد ببلدة غرداية سنة 1330هـ، الموافقة لسنة 1912م، وينتمي إلى عشيرة «آل انشاشبة" بقصر غرداية، بوادي مزاب، الجزائر، نشأ الحاج بكير يتيماً منذ صغره حيث توفّي والدّه (علي) شابا وتركه صغيرا يتيما، فتزوجت أمه السّيدة "عائشة بنت كاسي" بعد ذلك بالسّيد بكير بن عمر موسى وعلي أحد تلاميذ القطب وابن المجاهدة العالمة: مامة بنت سليمان بباز.

في سنة 1920م وعمره ثمان سنوات أخذه عمه التّاجر باحمد بن موسى إلى مدينة العلمة من ولاية سطيف، وفيها تلقّى تعليمه الأوّلي حتى ختم القرآن الكريم، وبعد رجوع الحاج بكير من (العلمة) إلى مسقط رأسه واصل تعليمه عند الشّيخ أحمد بن يعقوب غرناوط والشّيخ بهون بن إبراهيم فخار أحد تلامذة القطب أطفيش، في مدرسته بناحية بايزي بقصر غرداية، وكذا عند الشّيخ يوسف بن إبراهيم بافولولو في وسط البلدة، وعند الشّيخ بكير بن عمر موسى وعلي في منزله بشارع (أغلاد أزلماد) بقصر غرداية أيضاً، ومن أبرز زملائه في الدّراسة؛ عيسى بن داود فخار، وعمر بن بكير بوكرموش، وقاسم بن صالح بوحديبة، وحمو بن بكير شقبقب.

كوّن السّيد بكير أسرته المباركة سنة 1929م بعد أن اقترن ببنت خاله السّيدة عائشة بنت صالح اشقبقب، وأبوها هو الفاضل المربي صالح اشقبقب الذي توفي بـ(الگرارة) ودفن فيها، وهو أحد معلمي الشّيخ أمحمّد بن سليمان مطهري، وقد سكن السّيد بكير مع هذه العائلة في شارع (أغلاد أزلماد)

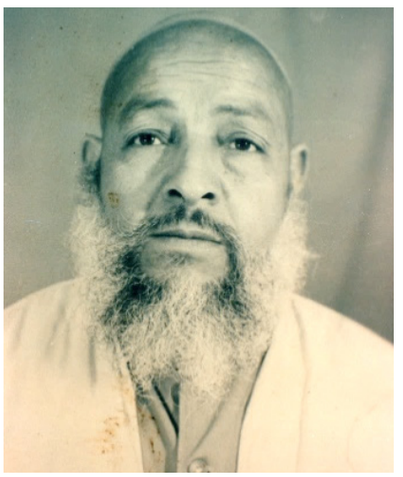

في قصر غرداية شتاء، وفي حي الشّعبة بالواحة صيفا.

ومن هذه الأسرة العريقة ذات الأصول الطّيبة أنجب الزّوجان ثلاثة أولاد سعدت بهم الأمة؛ وهم علي وصالح وقاسم، إذ قدّم لهم عناية والدّية كبيرة، قائمة على الأخلاق والفضيلة والعلم والعمل والتّضحية من أجل الدّين، فكان من هؤلاء الثّلاثة؛ أعضاء في حلقة العزابة، ومعلمين للقرآن الكريم، وملقّنين للصلاة للناشئين...

ومن أبرز شيوخه ومعلّميه نذكر: الشّيخ أحمد بن يعقوب غرناوط، والشّيخ بهون بن إبراهيم فخار وهو أحد تلاميذ القطب امحمّد بن يوسف أطفيش، وكذا الشّيخ يوسف بن إبراهيم بافولولو والشّيخ بكير بن عمر موسى وعلي.

أما تلاميذه فكثر ولعل من أبرزهم نذكر: الحاج عمر بن أيوب حمودة والحاج بكير بن عمر سيوسيو والشّيخ سعد الله بوسنان وأبناؤه الذين حفظوا القرآن الكريم على يديه، ولا ننسى زوجه عائشة شقبقب التي كانت من المرشدات المتفقهات حيث تَنْقُل عن زوجها مسائل الفتوى والفقه، وتنشط معلمةً للبنات ومرشدة للمجتمع النّسوي.

عُرف الحاج بكير بالورع والتّقوى ومراعاة حدود الله، وحب العمل الخيري المسجدي، والحفاظ على إرث المشايخ وسيرهم، إلى جانب صرامته المعروفة في الوقوف على حدود الله والمنهج التّعليمي، وكان كذلك مسالماً يتجنب المصادمات ويبتعد عن مواطن الشّجار والمشاحنات.

يعتبر الحاج بكير من ركائز التّعليم القرآني بقصر غرداية، ويشهد له تلامذته بالضّبط والإتقان والجدّية والصّرامة؛ فقد تولّى مهمة التّدريس في مدرسة (عبد الله بوكامل) من سنة 1943م إلى سنة 1956م، ثم سافر لفترة قصيرة خارج مزاب، ولكن لم تَطُل المدة حتى استدعي مرة ثانية كخليفة للشيخ باحمد أويابة الذي تحوّل إلى مدرسة بناحية (تاجّرِينْ) تحت محراب المسجد العتيق بغرداية، فلبّى المعلم بكير الدّعوة والتّحق معلما للتلاميذ في الطّابق الأرضي لمقرّ حلقة الشّيخ حمو بن باحمد بابا وموسى بشارع (إغُولادْنْ تِيرَستْ) شتاء، وفي حي (التّوزُوزْ) صيفاً خلفاً للشيخ باحمد أويابّة كما أسلفنا.

انضمّ إلى حلقة الطّلبة (إِيرْوَانْ) سنة 1945م رفقة أترابه النّجباء: الحاج عمر الزّعبي، والحاج صالح بابكر (رئيس جمعية الإصلاح بغرداية لاحقاً) والحاج أيوب الحاج سعيد، ثمّ انضم إلى حلقة (العزّابة) قبل الاستقلال الوطني بقليل، حيث تولّى مهمة الوعظ والإرشاد والإمامة بمسجد الشّعبة بواحة غرداية ورابط بها مدّة تزيد على عشرين عاماً.

ومن أعماله أيضا التّكفّل بطبع كتاب «مجموع ستة كتب» في المطبعة العربية بالجزائر.

وخلال الخمسينيات من القرن الماضي بادر مع مجموعة من رفقائه إلى إنشاء مجموعة صوتية تجمع بين الأصالة والتّجديد في الأناشيد والألحان، تحيي الأفراح والمناسبات الدّينية والوطنية بعذب الأناشيد والألحان، تتكون من السّادة: عيسى تيشوشاي، وعيسى بودعّاس، وعيسى إخرّازن، والحاج محمّد أرفيس، وقاسم دهيليز، وبكير موسى وعلي.

وتوفّي الحاج بكير رحمه الله بعد أن عانى من مرض عضال ألم به خلال سنة 1405هـ، الموافق لسنة 1985م.

علي بن أحمد موسى وعلي.

المصدر:

- معلومات من لقاءات عائلة (آل موسى وعلي)، ولقاء مسجل مع ابنه الحاج علي.
- لقاءان مصوّران مع الشّيخ حمو بن بكير شقبقب، بتاريخ: نوفمبر -ديسمبر 2013م.
- كتيب عن شخصيات عشيرة «آل انشاشبة»، إعداد شباب العشيرة.

■ بلاَّلة عبد الرّحمان
(و:1366ه - 1947م/ ت: 1443ه - 2022م)

ولد الشّيخ بلالة عبد الرّحمان. سليل مدينة سالي بولاية أدرار. عامّ 1947م. حيث نشأ، وتتلمذ بالمدرسة الطّاهرية على يد معلمه «الشّيخ الحبيب» تلميذ مؤسس المدرسة «الشّيخ مولاي أحمد الطّاهري.» أصيل مراكش ونزيل توات. رحمهم الله جميعا.

قبل نصف قرن إلا قليلا. التّقى سيدي الشّيخ «الطّالب أحميدة غرمة". خلال رحلته إلى مدينة عين صالح بشيخنا بلاَّلة عبد الرّحمان رحمهما الله، فنصحه بالشّخوص إلى زاوية سيدي موسى لتولي مهمة التّعليم القرآني، فاستجاب له الشّيخ بلالة. الذي حَلَّ شابا عشرينيا (29 عاما) بربوع شمال التّاسيلي نازجر. سنة 1976م. حاملا في صدره أنوار كتاب الله العزيز الذي تلقّاه على شيوخ إقليم توات العريق. هنالك حيث تشرق القصور بنور الزّوايا القرآنية التي كانت وماتزال قلاعا حصينة لترسيخ القيم السّامية، وحفظ الدّين والهوية الإسلامية الغراء.

لشيخنا الفقيد مسيرة وضاءة. يمتد شعاعها عبر أزيد من أربعين سنة. في معابر التّعليم القرآني والتّوجيه الدّيني، وإصلاح ذات البين، وتنوير السّاكنة في أمور الدّين والحياة بما حباه الله من رزانة، وحكمة، وموعظة حسنة، وكرم، وحب للخير، فاجتمعت عليه قلوب النّاس حبا وتقديرا وتبجيلا وإكراما.

لم يقتصر دور الشّيخ على تسيير المدرسة القرآنية. بل تعداه إلى إمامة النّاس في الصّلوات الخمس، وفي يوم الجمعة أيضا، ناهيك عن تقديم الدّروس المسجدية، وتشجيع تلامذته على إلقاء الدّروس، وإمامة النّاس. علاوة على قيامه بعقد حلقات تعليمية لنسوة البلدة ببيت خالنّا الرّاحل «ابلال أحمد» رحمه الله. عصر كل خميس وجمعة. مبتغيا في ذلك أجر الله وجزائه.

لقد عوَّدَنا سيدي الشّيخ بلالة بحضوره المشع في مختلف الفعاليات التّنافسية الدّينية مؤطرا ومُحَكِّما. إضافة إلى توفيق الله له في تخريج كوكبة من خَتَمَة وحَفَظَة القرآن الكريم. كما كانت له أياد بيضاء في مختلف المبادرات الاجتماعية الرّامية إلى رَصِّ الصّفوف ولَمِّ الشّمل؛ ومن ذلك إسهامه بالرّأي السّديد في تخفيف تكاليف الأعراس، وكذا دعمه لجهود الأهالي في تنظيم طبعات العرس الجماعي بزاوية سيدي موسى. ناهيك عن نصحه السّاكنة بإقامة وليمة موحدة بعد عودة حجاج بيت الله الحرام. في رؤية تضامنية نبيلة. تستهدف التّيسير على النّاس، وترسيخ سنن التّضامن الاجتماعي المفضي إلى وحدة الصّف.

ظل شيخنا الفقيد على تواصل طيب بشيوخ توات الأفاضل من قائمة الشّيخ سيدي محمّد بلكبير، والشّيخ مولاي عبد الله الطّاهري، والشّيخ مولاي الحاج بزاوية تسفاوت. وغيرهم ممن قضى نحبه، ومنهم من ينتظر.

في السّابع والعشرين من شهر يناير في سنة اثنين وعشرين وألفين. ترحل عنا في الخامسة والسّبعين من عمرك. بعد مسيرة قرآنية وهاجة. نسأل الله أن يجعلها شفيعة لك يوم الحساب.

أيا راحلا وفي القلوب لك محبة، وفي العيون مدامع حزن وحسرة، وخضوع لقضاء الله. حياك الله حيا وميتا، وتقبلك بقبول حسن، ورفع درجتك في المهديين، وجزاك الجزاء الأوفى بأفضل ما صبرت وضحيت وكنت رجلا كريما مفضالا. وعزاؤنا فيك أن لله ما أعطى ولله ما أخذ... إنا لله وإنا إليه راجعون.

العيد بوده

■ بلحاج بن صالح بن باباعيسى. حاج عيسى (و:1331ه - 1913م / ت: 1416ه - 1996م)

من مواليد بلدة تجنينت العطف، بمزاب، وأحد أعيانها البارزين، أخذ قسطا من التّعليم القرآني على يد الشّيخ حاج داود بن باعزيزي في محضرة المسجد العتيق، يحكي عن نفسه أنه وصل في حصة الحفظ القرآنية إلى سورة النّمل، إلى قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾النمل: 19

فتبسم هو الآخر عند هذه الآية، وانقطع، ولم يواصل.

انتقل مبكّراً إلى العمل التّجاري أجيراً عند محلّ حاج امحمّد إبراهيم بن عدّون بالجزائر العاصمة سنة 1936، ثم انتقل إلى محلّ اسماوي الحاج محمّد بشارع الدّكتور سعدان (ترولار سابقا)، وفي سنة 1939 عاد إلى مزاب، واشتغل في محلّ آل سماوي لبيع المواد الغذائية بالجملة، كشريك بالجهد، واستمرّ في تلك المؤسّسة لمدة تزيد على أربعين سنة.

تزوج من ثلاثة نساء، اثنتين من بلدته وواحدة من غرداية من عائلة آل دباش، ورزق منهنّ بـ 35 ولداً، توفي منهم 7 وهم صغار، وبقي منهم 18 ذكراً و10 بنات، وفاق الأحفاد والأسباط المئة، واشتغل أبناؤه في معظم المهن والصّنائع، فمنهم الطّبيب والمهندس والبيطري والعسكري والإداري... وهو يحمد الله أنه لم يصل إلى درجة الاحتياج، على الرّغم من العدد الكبير للأبناء، ويرى أن الإكثار من

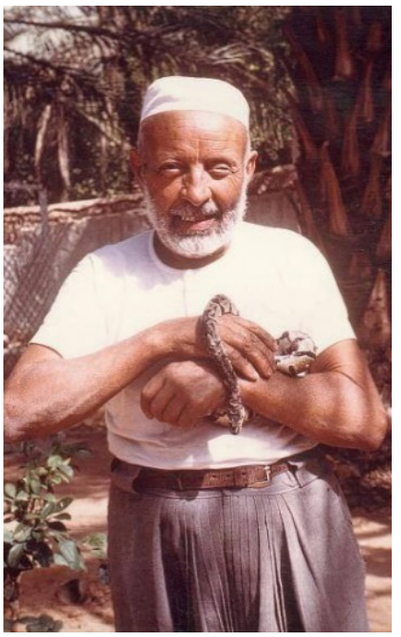

الأولاد كانت ضرورة، لكنها لم تعد كذلك.

اشتهر بقوة شخصيته وسرعة بديهته وجرأته في المواقف الحرجة، وهو فوق ذلك صاحب فكاهة، ويمتاز بميوله الوطنية ومناصرة الحق أينما كان، وهي صفات أهّلته لتولي مشيخة عشيرة آت الحجاج في 23/ 04/ 1953م، وقد رشّحته لذلك خلال الثّلاثينيات ثم الأربعينيات، لكن الإدارة الفرنسية أعرضت عنه، ورفضته لتوجسها منه، ثم انتخب عضواً في المجلس البلدي ممثلاً لعشيرته. واستمر كذلك خلال فترة الثّورة التّحريرية. وقد كلّف بمهمّة الشّرطة في ذلك المجلس، بشرط أن يلبس اللباس المخصّص لذلك، فرفض بشكلي قطعي.

كانت له بالموازاة ميول رياضية، فكان عضواً هاويا في لعب كرة القدم بفريق غرداية من عامّ 1943 إلى سنة 1962، والمفارقة كذلك أن له صورة مع الفريق بلباسه المزابي التّقليدي.

كانت له مساهمة حسنة في تمويل وإسناد العمل الثّوري بسيارته بيجو 403 Baché، أو بوضع منزله الكائن ناحية الشّيخ أمّي إبراهيم رهن إشارة القيادة المحلية، فعقدت فيه جلسات قيادة جيش الولاية السّادسة، وكان لموقع المنزل عند أسوار البلدة دافعاً لاختياره. كما يذكر في شهادة له، أنه أسهم أكثر من مرة رفقة شركائه في شركة آل سماوي في إسناد الثّورة بمبالغ مالية معتبرة.

أنشأ أول حديقة حيوانات خاصة على المستوى الوطني في أواخر سنة 1979م وسط بستانه الخاص في مدخل بلدة العطف واستمرت إلى غاية 1998م، أي سنتين بعد وفاته. وعن سبب إنشائه للحديقة، يقول: لدغتني أفعى سنة 1970، وقرّرت أن أنتقم من الأفاعي أينما وجدتها، فكان يصطادها ويقدمها بمعهد باستور لصناع الأمصال الواقية من السّموم الحيوانية.

وتحولت فكرة جمع الأفاعي والحشرات السّامة مع مرور الوقت إلى تأسيس حديقة للحيوانات، فشرع يقتنيها بالتّدريج وبطرق مختلفة، إما صيداً أو اقتناءً أو إهداء، وكان يشتري بعض الحيوانات من المواطنين وبعض الأجانب، وبعضها كالأسود استبدلها مع حديقة الحيوانات بالعاصمة. وكان يعتمد على إمكانياته الخاصة في تمويل الحديقة باللحم والعلف للحيوانات، وربما استفاد من إعانة من الدّولة تشجيعا له.

وقد حظي هذا المشروع بزيارة الشّخصيات والوفود من داخل وخارج الوطن، من أهمها زيارة الرّئيس الجزائري آنذاك الشّاذلي بن جديد وتوثيق زيارته في السّجل الذهبي للحديقة، ومحمّد الرّويغي وزير الغابات السّابق، ويشاء الله أن يلهم هذا المشروع العصامي بعض أبنائه وأحفاده بأن يسيروا على دربه وينشئوا حدائق للحيوانات في أرجاء الوطن: العطف والجلفة وأم البواقي وسطيف وبرج بوعريريج ووهران...

بلحاج بن صالح يمتاز بخفّة الدّم، وهو صاحب نكتة، وله مواقف مع مختلف فئات المجتمع، ومع زوار حديقته، توفي رحمه الله بعد حياة حافلة بالأعمال في المجال الاجتماعي

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- البكري، مقتطفات من مذكرات البكري، ص.627.
- لقاء جمعية الأمل للتربية والثّقافة مع صاحب التّرجمة: في حديقته، يوم 1 نوفمبر 1993م.
- معلومات مستقاة من بعض أبنائه.
- استمارة معدة لمعجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، الكرارة – غرداية، ط3، مرقون.

■ بلقاسم مولوج
(ت:1375هـ - 1956م)

ولد الشّهيد بلقاسم مولوج بقرية تغليسة عرش أولاد الشّيخ ولاية عين الدّفلى من عائلة محافظة شريفة النّسب تنحدر من أبناء الولي الصّالح سيدي بلقاسم.

وقد نشأ في البادية واستفاد من التربية في إطار القيم والمبادئ العربية الإسلامية والعادات الأصيلة للشعب الجزائري كالكرم ونبذ التفرقة ومحاربة الجهوية بين أبناء الشّعب الواحد.

ولما بلغ الشّهيد سن الدّراسة أدخله والده الجامع لتعليمه القرآن الكريم بالقرية المذكورة ثم درس في جوامع أخرى مجاورة لعرش أولاد الشّيخ وبعد حفظه للقرآن الكريم راح يبحث عن دراسة الفقه وأصول الدّين وكانت عائلة المدعو. سي قسوم تعتمد في عيشها على الدّخل الفلاحي المتواضع وتربية المواشي. أما هو فلم يرض بالعمل عند المعمرين بسبب كرهه لهم، واتجه إلى العمل بالخياطة مع أحد المناضلين بخميس مليانة.

كان الشّهيد بلقاسم مولوج على علم ودراية بنشاط المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي منذ مقاومة الأمير عبد القادر حتى تأسيس حزب الشّعب الجزائري سنة 1937 وبعد أحداث ومجازر 8 ماي 1945 الوحشية دخل الشّهيد مولوج ورفاقه غمار النّشاط السّياسي كمناضل في حزب الشّعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية.

وعقب تكوين المنظمة السّرية الخاصة، فتح منزله وجعله مركزًا لقيادة الحزب يلتقي فيه مجموعة من المناضلين من بينهم امحمد بوقرة وبوجمعة سويداني، وبلحسن ورؤساء الخلايا التي كانت مهيكلة في الحزب آنذاك.

وقد قام الشّهيد مولوج ورفاقه بإقناع الوطنيين المخلصين بالانخراط في حزب الشّعب وكذا بالنسبة للأعراش المجاورة باعتبارهم قد استلهموا العبر من المقاومات والانتفاضات ومن الجرائم التي اقترفها الاستعمار في حق الشّعب الجزائري الأعزل خاصة من مجازر 8 ماي 1945.

وقد استعد الشّهيد مولوج رفقة أحرار الجزائر لمقاومة العدو الفرنسي حيث لاحظوا تزوير انتخابات شهر أفريل 1948 لصالح الكولون وإدارة فرنسا، وعندها خطفوا صندوق الانتخابات وهربوا به في اتجاه بعيد، حتى لا يتم إعلان النّتائج لصالح الكولون.

وكان رد الفعل الفرنسي بدلا من الاعتراف بالتزوير، هو إلقاء القبض على عدد من مناضلي الحركة من بينهم الشّهيد بلقاسم مولوج والزج بهم في السّجن والحكم عليهم بأحكام تتفاوت من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات سجنا وبعد خروج الشّهيد من السّجن استأنف نشاطه حيث اتصل بالأعضاء القياديين للحزب، فعين منشطا على عرش أولاد الشّيخ وبقي على نفس الوضعية الى غاية اندلاع ثورة أول نوفمبر 54 وقد بدأ الشّهيد مولوج ورفاقه منذ هذا التاريخ في تهيئة المناضلين والشباب للتجنيد في صفوف المجاهدين وجمع الأسلحة لتدعيم الثورة بهذه المنطقة.

وفي أواخر سنة 1955 وبداية 1956 أشرف الشّهيد بلقاسم رفقة أمحمد بوقرة وبلحسن والزنداري ومحمد خدة ومحمد بوزار ورابح طيب وبن ميرة بن علي وأمحمد رايس ومحروق سعيد على تجنيد الأفواج الأولى للمجاهدين والالتحاق بالثورة المسلحة.

وتولى الشّهيد مولوج دور المشرف على مستوى النّاحية في المجالين السّياسي والعسكري بأمر من أمحمد بوقرة، وذلك نظرا لما يتمتع به من أخلاق حميدة متميزة عن غيره منها الصّبر والتواضع واحترام الكبير والصغير معا والابتسامة في كل حين لعله ينال الشّهادة ونظرا لشدة كرهه للاستعمار اشترك في عدة معارك

واشتباكات في كل حين لعله ينال الشّهادة وقد اشتبك مع قوات العدو الفرنسي وكبدهم خسائر كبيرة.

لقد استشهد الشّهيد مولوج بالمكان المسمى (طرانشي ملول) بناحية منصور وعمرونة بجبال الظهرة خلال عملية التمشيط الكبرى التي قام بها جيش العدو وذلك من خلال كمين نصبته القوات الاستعمارية لهذا الغرض، وأطلقت عليه وابلاً من الرّصاص حقدا وانتقاما للأعمال الفدائية البطولية ضد العدو والوجود الفرنسي والتحق بقوافل الشّهداء الأبرار الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل استقلال الجزائر

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- كريمة عزيزة، قسم تحرير مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 168، سنة 2006.

■ بن بروق الهاشمي
(و: 1351ه - 1932م/ت: 1379ه - 1959م)

إنه الشّهيد بن بروق الهاشمي المدعو «حسين» و «الجواتي»، ولد في العاشر من أكتوبر سنة 1932 ببلدية هيليوبوليس ولاية گالمة إبن السّعيد بن الهاشمي ومسعودة بنت الكبلوتي بوشعير ترعرع الشّهيد في عائلة فقيرة، كانت تتكون من سبعة أفراد ثلاثة ذكور وبنتين فضلا عن الاب والام كابدت هذه الأسرة المحرومة ويلات الاستعمار، فقد توفي والده وهو لم يتجاوز بعد التاسعة من عمره ليزداد بؤس الأسرة وتكبر معاناتها وحرمانها.

تكفلت الأم بتربية الابناء في ظل ظروف مأساوية قاسية الأمر الذي انعكس سلبا على نشأة الأبناء وحرمانهم من الدّراسة والتعليم، ولاغرو في ذلك فالاستعمار كان دوما يسعى لتكبيل الرّعية في حالك الجهل والظلام.

بعد بلوغ الهاشمي سن الرّابعة عشر بدأ حياته العملية كأجير فتبلور وعيه وتطور فكره على غرار الشّباب الجزائري أنذاك أولى شرارات أول نوفمبر المجيد، لقد كان الهاشمي موهوبا إلى درجة كبيرة انعكس ذلك وبصورة واضحة في تحليل الأمور وفهم معطياتها فهما جيدا مما جعل أقرانه يتعجبون من فطنته وحدسه ومواهبه الخلاقة.

لقد كان الحواتي وهو فتى يعي جيدا أطماع المعمرين الذين كانوا ينهبون خيرات منطقته الغنية بالأراضي الفلاحية الخصبة والشهيرة ببساتين البرتقال وأشجار الزيتون وحقول الكروم والتفاح والقمح وكل ما كانت تخرجه الأرض الطّيبة من فاكهة وأبا وحدائق غلبا».

كبر مع الفتى حقده وبغضه لهؤلاء المعمرين من أمثال «لافي» و «قيرو» و«كوتي» و «كاطالا» وغيرهم من المعمرين الذين كانوا يستغلون أجود أراضي الجهة.

لقد كان نضج الهاشمي الفكري والسياسي واضحا مع تقدم السّن به فقد كان يتمنى أن تندلع الثورة وتنتشر في كامل التراب الجزائري وفعلا تحقق تنبؤه وتجسدت أحلامه، فمع انطلاق الثورة واتساع دائرتها عبر الوطن وخاصة بعد هجومات 20 اوت 1955 التاريخية بالشمال القسنطيني والتي شارك فيها الكثير من أصدقائه من أمثال الشّهيد: قنيدس مبارك وبن حياهم عمر المدعو «بوجمعة» وغيرهم حسب شهادة من عاصروه ومنهم المرحوم المجاهد «عيسى بن طبولة» الذي وافته المنية مؤخرا.

كان الحواتي يسعى. منذ البداية لأن يصبح جنديا في جيش التحرير الوطني ولتحقيق حلمه اتصل ببعض أصدقائه الذين سبقوه في الالتحاق بصفوف جيش التحرير بمركز للثورة بمشتة حمام أولاد علي حيث أعرب عن رغبته للانخراط في الثورة فاشترطت عليه القيادة الثورية أن يقوم بعملية فدائية ضد الاستعمار وهي أولى عمله قبل تنفيذ رغبته فراح يفكر في الأمر ثم حدد الهدف وقرر أن يقتل أحد غلاة المعمرين بالجهة «كاطالا فرانسوا»، ونفذ العملية بمشاركة الشّهيد صالح مصمودي يوم 2 مارس 1956، ومكان العملية يبعد بكيلومتر واحد عن مقر بلدية هيليو بوليس حيث نفذ الحواتي عمليته الجريئة بضربة رفش ليلتحق بعدها نهائيا بالثورة التحريرية ويهيكل ضمن فرقة كان يرأسها الشّهيد «محمد بلحداد» المدعو أحد يود» لبضعة شهور.

شارك خلالها في عدة عمليات ضمن الفرقة حيث برهن عن شجاعته وحنكته وكان آخر ماشارك فيه الحواتي هي معركة 4 ماي 1957بجبل بزيون ونجا رفقة مجموعة من إخوانه المجاهدين وتسمى هذه المعركة الضّارية بمعركة «الماجن» الشّهيرة والتي استشهد فيها 15 مجاهدا من أصل 21.

بعد ذلك التمس الحواتي من قيادة النّاحية أن يوجه للعمل الفدائي نظرا لميوله إلى العمل الفردي من أجل تنفيذ خططه التي كان يرسمها منذ أن كبر مقته وبغضه على الغلاة المعمرين والخونة الجبناء فقبلت طلبه وأصبح فدائيا عاملا بالقسم الثالث من النّاحية الثالثة المنطقة الرّابعة الولاية الثانية كما تركت له حرية اختيار مساعديه، لقد كان بارعا في التسلل إلى التجمعات السّكانية سواء بالمدن أم القرى وضيعات المعمرين كما كان ينفذ عملياته بجرأة وشجاعة نادرتين وعلى مرأى ومسمع الجميع هدفه في ذلك الرّفع من معنويات الشّعب الجزائري وانزال الرّعب والهلع في أوساط المعمرين ليبرهن ميدانيا على أن الثورة قوية

ومستمرة وإنها ستنتصر لا محالة بفضل عزم أبنائها وشجاعتهم وتضحياتهم الجسام. نفذ الشّهيد الحواتي 35عملية فدائية قضى خلالها على أكبر الطّغاة من المعمرين والخونة وكللت جميعها بالنجاح، ماعدا عمليتين تارة وحده والبعض منها بمشاركة رفقائه من المجاهدين أمثال: المجاهد قريشي مجيد والشهيدين مفتاح بشير وبولاحة مسعود، وكذا الشّهيد بن حياهم محمد الصّالح الملقب «لمزند» وبن حياهم أحمد المدعو الحريدي، أما هذه العمليات فنلخصها فيما يلي: 26 عملية ضد المعمرين بگالمة وضواحيها قضى فيها على 22 معمرا وأصاب 3 بجروح كما نفذ 9 عمليات ضد الخونة استهدفت 16 شخصا منهم من قضى عليه في الحين ومنهم من سلمهم للقيادة التي نفذت فيهم أمر الثورة التي بعد استشهاد بن حياهم محمد الصّالح المدعو «لمزند» يوم 4 أوت 1954. والذي كان السّند الكبير للجواتي أصبح بن حياهم أحمد الملقب «الحريدي» مرافقا له وهذا ما جعل المجاهدين والمواطنين يكبرون أعماله ويشيدون ببطولاته وشجاعته.

مع حلول 1960 انتقل الجوائي من النّاحية الثالثة إلى النّاحية الثانية بذات المنطقة حيث ذهب في مهمة إلى تونس ضمن فوج من المجاهدين برأسه «عمار قرنبي» -رحمه الله (توفي بعد الاستقلال وعندما وصلت عناصر الفوج إلى جبل بني صالح بين خطي موريس وشال» حاول المجاهدون قطع الأسلاك للتسلل إلى التراب التونسي ولكنهم لم يفلحوا في ذلك وبقوا مدة أسبوعين وهم بين الخطين يحاولون وبإصرار إيجاد منفذ يتسللون منه لكن العدو اكتشف أمرهم ونصب كمينا لهم فاشتبكوا معه اشتباكا عنيفا يوم 27 أكتوبر 1960 أظهر فيه المجاهدون بسالة وشجاعة نادرتين ولكن نظرا لعدم تكافؤ القوتين لا من حيث العدد ولا العتاد، فقد سقط الحواتي شهيدا في ساحة الشّرف بعد حياة حافلة بالأعمال الجليلة والبطولية وشاءت الأقدار أن يسقط شهيد الوطن بعيدا عن بلديته مدافعا عن الجزائر بكل شجاعة وإقدام وبسالة من أجل استقلال هذا الوطن الغالي.

صحيح أن الاستعمار قد تمكن من القضاء على البطل الحواتي وهذا بعد أن لقنه دروسا لاينساها ولن ينساها إلا أن روح الشّهيد ستظل أبدا وعبر الزمن والأمصار تلطم وجه الطّغاة وتصفعهم بقوة وسيظل الشّهيد الحواتي وغيره من الابطال شعلة تستنير بها الأجيال وقدوة طيبة حسنة تحتذى بها النّشأ" لاستمرار رسالة الثورة وفي سبيل إعلاء كلمة الحق والحرية والدفاع عن الوطن الغالي.

بعد حياة حافلة بالتضحيات والأعمال الجليلة كما بينا وأشرنا لبعضها فيما سبق سقط البطل بن بروق الهاشمي المدعو حسين ثم الحواتي في ميدان الشّرف خلال معركة بطولية جرت وقائعها بجبل بني صالح في النّقطة الواقعة ما بين خطي موريس وشال الجهنميين يوم 27 أكتوبر 1960، وهذا عندما كانت مجموعته تحاول عبور هذين الخطين المكهربين الملغمين نحو القواعد الخلفية لجيش التحرير الوطني الواقعة على الحدود الجزائرية التونسية. وتفيد المعلومات التي تم جمعها من مجاهدي قسمتي بلدية هيليوبوليس وبلدية الفجوج ومن غيرهما على أن العمليات الفدائية التي قام بها البطل الشّهيد تفوق 35 عملية فدائية كانت في أغلبها ناجحة ستة وعشرون منها استهدفت المعمرين وعناصر أخرى من مصالح أمن العدو وعساكره حيث تم القضاء فيها على 22 معمرا وعددا آخر من البوليس والجنود فيما نفذ تسع عمليات أخرى ضد 16 فردا من الخونة، مع الإشارة هنا إلى أن جل هذه العمليان نفذها بمفرده، كما شاركه في البعض منها فدائيون آخرين، وبالخصوص الشّهيد صالح مصمودي ومحمد الصّالح بن حياهم المدعو: المزند وغيرهما رحمهم الله أجمعين.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- قسمة المجاهدين بهيلو بوليس، مجلّة أول نوفمبر 1954، العدد 165، 2001.

■ بن حدو بوحجر
(و:1346ه - 1927م / ت: 1397ه - 1977م)

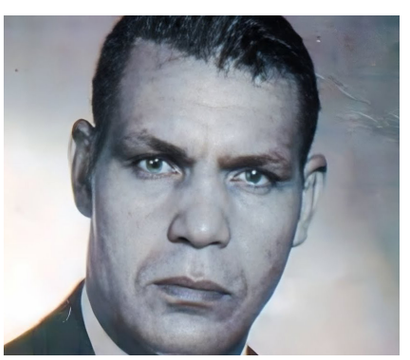

ولد بن حدو بوحجر المدعو سي عثمان في 27 نوفمبر 1927، في مدينة عين تموشنت، اين نشا وترعرع وحيث ناضل في حركة أحباب البيان والحرية ثم في صفوف حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية. عين ضمن إطارات المنظمة الخاصة في سنة 1948.

بعد اكتشاف أمر المنظمة ألقى عليه القبض في 03 ماي 1950 اثناء حملة الاعتقالات التي استهدفت أعضاء المنظمة، نقل إلى السّجن المدني بوهران اين تعرف على كل من حمو بوتليليس واحمد زبانة.

تكون بن حدو بوحجر سياسيا اثناء فترة السّجن مستغلا تلك الدّروس التي كان يلقيها حمو بوتليليس عن التنظيم السّياسي. وبعد محاكمته حكم عليه بالسجن لمدة 3 سنوات وبعدها حول إلى سجن بالعاصمة.

وفي داخل السّجن قاد حملة توعية واسعة رفقة بعض المعتقلين لبث الرّوح

الوطنية بين أوساط سجناء القانون العام قصد تجنيدهم لخدمة القضية الوطنية.وفي هذه المرحلة أصبح يلقب بسي عثمان.

خلال هذه الفترة دخل المعتقلون في إضراب عن الطّعام تعبيرا عن رفضهم للوضعية الصّعبة التي كانوا يعيشونها في السّجن وتفاقم مشاكلهم مع الإدارة.. وقد قام سي عثمان بدور بارز في توجيه الأحداث. علما ان الإضراب برمج له مع اجتماع هيئة الامم المتحدة.

حقق الإضراب نتائج مرضية بالنسبة للمعتقلين السّياسيين، غير أن إدارة السّجن قررت فصلهم عن سجناء القانون العام حتى لا تنتشر العدوى الوطنية إليهم.

وبعد أن مثل ثانية أمام محكمة بالجزائر العاصمة في الاستئناف، حكم عليه بثلاث سنوات سجنا نافذة وثلاث سنوات إقامة جبرية وحرمانه من حقوقه المدنية لمدة ثلاث سنوات. ولكن تدهور حالته الصّحة داخل السّجن أدى إلى إطلاق سراحه في ماي 1952. وبعد خروجه من السّجن استقر في قرية « لورمال- حاسي الغلة حاليا».

بعد الانشقاق والازمة التي عرفها حزب حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية عين سي عثمان مسؤولا عن قسمة الحزب في هذه القرية وقد أسهم في نشر الوعي بين المناضلين وحثهم على عدم الانزلاق في هذا الصّراع واتخاذ موقف محايد منه.

وفي إطار تجسيد الهدف الذي تأسست بسببه اللجنة الثّورية للوحدة والعمل بدأ بالتدريبات العسكرية في سرية تامة في المخازن المهجورة بالقرب من لورمال، وباشر في تكوين خلايا تضم المناضلين في القرى والدّواوير المجاورة كما نشط في مجال البحث عن الأسلحة. إلا ان نشاطه لم يثمر طويلا نتيجة اكتشاف السّلطات الاستعمارية امره عن طريق وشاية فكثفت من حملات التفتيش للقبض عليه إلا انه استطاع الإفلات من قبضتها بأعجوبة. فاتجه إلى منطقة وجدة. ومنها اتصل بكل من غديري حسين وسي الطّيب عبد الباقي لما كان لهما من دور في أوساط الجالية الجزائرية هناك. فاتجه معهما إلى منطقة النّاظور الإسبانية قصد اقتناء الأسلحة عن طريق مهربين إسبان. إلا أن المصالح السّرية الإسبانية اكتشفت أمرهم فاعتقلتهم ثم حولتهم إلى الحدود الإسبانية المغربية قبل أن تطلق سراحهم بعد تدّخل شخصيات مغربية هناك.

بعد إطلاق سراحهم اتصلوا بالشّهيد العربي بن مهيدي الذي كلف بحمل شحنة من السّلاح قد تم إفراغها من الباخرة دينا في افريل 1955 إلى مغنية والبدء في تنظيم هجمات عسكرية كبرى في كافة أنحاء الغرب الجزائري. وهي المعروفة بهجومات أكتوبر 1955. في هذه الفترة عين سي عثمان قائد فصيلة وأمر بالعودة إلى قطاع لورمال- والذي سيصبح المنطقة الثّالثة من الولاية الخامسة.

بدا سي عثمان في تنظيم المنطقة من خلال تنصيب خلايا الاتصالات عبر الجبل المؤدي إلى غابة وهران ليؤمن الدّخول إليها والخروج منها الفدائيون والمجاهدون. وفي 06 ماي 1956 نفذ هجوما شاملا على مراكز الاستعمار حيث تم إحراق 72 مزرعة، فضلا عن العمليات التي خطط لها وشارك فيها منها عملية زاوية سيدي بن معمر وغنم من العدو كميات كبيرة من الأسلحة. كما كلف بالتصدي للحركة المصالية بمنطقة مستغانم وقد استطاع القضاء على نصف مناضليها بينما التحق النّصف الآخر بالثورة. واتجه إلى التنصل واتصل من هناك بقيادة الولاية الرّابعة لربط الاتصال بينها وبين الولاية الخامسة ونتيجة للأدوار التي كان يقوم بها رقي إلى رتبة نقيب قائدا للمنطقة الثّالثة من الولاية الخامسة.

في سنة 1958 عين عضوا في المجلس الوطني للثورة وأرسل إلى مركز قيادة الولاية الخامسة في القواعد الخلفية برتبة رائد. ليعين في أفريل 1961 قائدا للولاية الخامسة خلفا للعقيد لطفي. وبقي في منصبه هذا إلى غاية الاستقلال.

توفي سي عثمان يوم 27 أوت 1977بمستشفى مصطفى باشا بالجزائر العاصمة على إثر مرض عضال.

نظيرة شتوان

المصادر:

- عبد القادر جلالي: «العقيد بن حدو بوحجر المدعو « سي عثمان» 1927 1977 "، مجلة عصور، العدد 1، ص 85.وما يليها.
- عبد المجيد بوجلة: الثّورة التحريرية في الولاية الخامسة 1954-1962، جامعة تلمسان، الجزائر 2009، ص 87 وما يليها.

■ بن عودة بودربال
(و: 1350ه - 1931م/ت: 1400ه - 1980م)

ولد الفقيد بودربال بن عودة في 21 أفريل 1931بدوار معصومة، بلدية الشّبلي ولاية البليدة.

يعتبر بن عودة من عائلة تمتهن الفلاحة وتعيش من خدمة الارض تعلم الفقيد القرآن الكريم في الكتاب ما بين سنة 1939و1940 كان من ضمن أعضاء حزب البيان الذي انخرط فيه في عام 1949.

التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني في عام 1955. شارك بشجاعة في معارك:

- جبل الكحاحلة (بلدية الخميس حاليا 1958)
- جبل اشعاوطية
- معركة الشّفة (1957)
- معركة الشّيخ اجبيلات (المدية)
- معركة تبركنت (1957)
- معركة المشاتة (1958)، معركة أولاد بوعشرة (1958)
- معركة بوحنداس. (1957)

أصيب بن عودة بجروح خطيرة تتمثل في خروج أمعائه في معركة الكحاحلة. وقد شفى بعد 3 شهور من العلاج. بدأ العمل السّياسي في اكتوبر 1959 حيث اسندت اليه مهمة محافظ سياسي. للقسم الثّاني بالناحية الأولى في الولاية الرّابعة من المنطقة الثّانية.

انتقل في أواخر 1960 الى المنطقة السّادسة بالناحية الثّالثة من الولاية الرّابعة وارتقى الى رتبة ملازم ومسئول على النّاحية الثّالثة.

كما ترقى في السّنة الموالية (1961) الى رتبة ملازم أول وفي نفس الوقت مسئولا على المنطقة السّادسة غادر الجيش الوطني الشّعبي في عام 1963.. شغل بين سنة 63 1964- منسق اتحادية المجاهدين التى كانت تشمل مدينة البليدة وضواحي العاصمة.

عمل في أواخر سنة 1964 رئيس مزرعة الشّهيد جرعون بلقاسم (ولاية الجزائر).

أصبح مسئولا لناحية المجاهدين بالشراقة بعد 19 جوان 1965 وبقي يشغل هذا المنصب الى غاية 1969. بمجرد تجديد هياكل المنظمة الوطنية للمجاهدين في سنة 1978 أصبح منسق المكتب الولائي لمنظمة المجاهدين على مستوى ولاية البليدة وبقي يشغل هذا المنصب الى أن وافاه الاجل.

انتقل الى رحمة الله تعالى في 28 أفريل 1980 إثر حادث مرور مؤلم بدالى ابراهيم ضواحي العاصمة.

ولمزيد التعرف على حياة الفقيد بن عودة افادنا في البداية أحد اصدقائه في الكفاح الأخ المجاهد بن عمرى محمّد والذي التحق منذ البداية بصفوف الثّورة المسلحة ويشغل حاليا رئيس المجلس الشّعبي بلدية بوقرة (رافيقو سابقا) والبالغ من العمر 51 عاما فتحدث لنا عن مآثر الفقيد بما يلي:

لقد ولد سى بن عودة وسط عائلة مهنتها الاساسية خدمة الارض وتمكن في سن مبكرة من حفظ قسط كبير من القرآن الكريم وذلك بدوار بن شريف في بلدية الشّبلي وأهتم كذلك منذ صغره بالحياة السّياسية حيث كان منخرطا في حزب البيان الذي كان تحت قيادة السّيد فرحات عباس وقد أدى الخدمة العسكرية الاجبارية بعد ذلك وانضم في عام 1955 الى صفوف جبهة التحرير الوطني ليشارك بدور فعال في عمليات الاتصال الكثيفة بين جماهير الشّعب وجيش التحرير، ومن ضمن الاعمال التي خدم بها الثّورة في البداية تخريبه لبعض منشآت العدو كقطعه لخطوط الهاتف والاعمدة الكهربائية واستمر على هذا النّشاط حتى عام 1957 وهو الموعد الذي التحق فيه بصفوف جيش التحرير الوطني. كما يضيف الاخ المجاهد زرفة احمد المدعو اثناء الثّورة المسلحة حمام الوان والذي التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في شهر ديسمبر 1956 وهو يعمل حاليا منسقي قسمة المجاهدين ببلدية السّحاولة والبالغ من العمر 42 سنة.

إن الفقيد بن عودة كان موجودا بكتيبة الكوماندو التي كانت تحت قيادة الشّهيد سي على شرشالي وقد التحق الفقيد بهذه الكتيبة في عام 1957 وهذا نظرا لما كان يتميز به من بنية جسمية ممتازة وقد عين منذ البداية «رامي» بالمنطقة الثّانية من الولاية الرّابعة وكان أيضا مسئولا عسكريا للمنطقة صحبة سى موسى الذي استشهد في معركة دارت بالشريعة (البليدة) سنة 1958.

من المعارك التي خاضها الفقيد لقد شارك الفقيد في معارك تميزت بالقوة اهمها معركة الكحاحلة التي اصيب فيها بجروح خطيرة تمثلت على الاخص في خروج أمعاء من بطنه وذلك في شهر ماي 1958 ببلدية الخميس حاليا وقد دامت هذه المعركة يوما كاملا خسر فيها العدو حوالي 200 جندى بينما استشهد 14 مجاهدا وجرح آخرين.

معركة تبركنت: وقعت في جوان 1958 ودامت يوما كاملا.

كمين وادى لحرش: نصب بالمدية وحقق فيه المجاهدين انتصارا كبيرا وذلك في أواخر 1958. معركة لمشاته: وقعت في شهر مارس 1958 ودامت من السّاعة السّادسة صباحا الى غاية منتصف النّهار خسر على أثرها العدو 100 جندي بينما استشهد 8 من المجاهدين.

معركة أولاد بوعشرة: وقعت في شهر جويلية 1958 ودامت ساعة ونصف خسر فيها العدو 70 جنديا وغنم فيها المجاهدين 18 قطعة سلاح.

وإن لم يكن الاخ بن عودة يتوفر على ثقافة كبيرة غير أنه كان يكتسب تجربة رائدة والأدل على ذلك احرازه على رتبة مسؤول ناحية اثناء حرب التحرير واستطاع بعد الاستقلال أن يجمع عدداً كبيراً من مجاهدي ولاية البليدة. في إطار منظمة المجاهدين على مستوى الولاية وقد كان متعاطفا شديد التعاطف مع الجميع ويبذل كل جهوده لحل مشاكل المجاهدين الاجتماعية بغض النّظر عن عنصر القرابة والجهوية الضّيقة التى يرفضها من اعماقه وهكذا ترك بن عودة

في أوساط المجاهدين ذكريات ومواقف مثالية لا تنسى.

وأما الاخ المجاهد حمدان الذي التحق بالثورة المسلحة في أوت 1956 وكان خلال الفترة الأولى من حرب التحرير مسؤول منطقة وهذا بعد فراره من ثكنة الجيش الفرنسي بالبليدة وهو حاليا عضو المجلس الوطني لمنظمة المجاهدين وكذلك عضو لجنة تصفية الملفات على مستوى وزارة المجاهدين والبالغ من العمر 50 سنة.

يقول عن الفقيد بن عودة بأنه دخل فرقة الكوماندو في اواخر عام 1957 التي كانت تحت قيادة الشّهيد سي محمّد بن الغريج ولقد بقي بن عودة مدة شهرين في المستشفى يعالج اثر معركة الكحاحلة التي أصيب فيها بجروح خطيرة وهكذا بقي في فرقة الكوماندو حتى عام 1959 من المعارك التي خاضها الفقيد معركة تبركنت: وقعت في شهر ديسمبر عام 1957 بقرية الحمدانية ناحية البليدة، فقد خلالها العدو عدداً كبير من الضّحايا علما بان هذه المعركة كانت غير متكافئة في العدة والعتاد، حيث شارك فيها حوالى 5 آلاف جندى من العدو وحوالي 160 مجاهد،وخلال حرب التحرير وعلى وجه التحديد في سنة 1958 قامت السّلطات الاستعمارية بنسف مسكن الفقيد بن عودة بالمرتفعات والكائن بقرية معصومة التابعة لبلدية الشّبلي.

كما يضيف الاخ المجاهد بن رحاى بلقاسم الذي التحق بالثورة المسلحة فى عام 1957 وكان آنذاك برتبة ملازم في جيش التحرير ويعمل الآن مسؤول ناحية المجاهدين بدائرة القليعة (البليدة) ويبلغ من العمر 43 عاما. لقد اسندت للأخ بن عودة مهمة سياسية تتمثل في محافظ سياسى بالناحية الثّانية من القسم الثّاني.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- ح. بومالي، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 44 ص22.

■ بوجمعة جعلاب

(و: 1341ه - 1923م/ت: 1438ه - 2017م)

ولد الشّيخ بوجمعة جعلاب بضواحي بلدية تاملوكة ولاية گالمة حاليا عامّ 1923، ينحدر من عائلة محافظة عرفت بالتّدين والمحافظة على كل ماهو أصيل، فوالدّه وجده من أبيه كانا من حفظة القرآن الكريم فأخذ عنهما، ومنهما طبع بطابع التّدين والمواظبة على قراءة كتاب الله وحفظه حتى إذا صار محفوظا في صدره.

انتسب بأمر والده إلى زاوية البهالية لصاحبها العلامة الفقيه القرآني الولي الصّالح الشّيح حمانة بهلول.

وقد حفظ كتاب الله عن والده وأعاده عليه ست مرات، وكان سريع الحفظ وقد ختمه حفظا وتلاوة وعمره 18 سنة.

وبعدها مباشرة سجله والدّه بالمدرسة الخيرية المستقلة لعين البيضاء/ أم البواگي وكان ذلك عامّ 1939، أين درس على شيوخها حوالى عامين، تلقى خلالهما مبادئ في الفقه والنّحو و، وكذا مبادئ في الحساب والرّياضيات وغيرها من المواد....

كان رحمه الله في تعلمه مجتهدا ومتخلقا، مما جعله محببا لدى شيوخها وبخاصة شيخه الخضر بن العربي بوكفة الحركاتي.

بطموحه ونصيحة شيخه الخضر رحل إلى جامع الزّيتونة بتونس في أكتوبر 1944، وواصل تعليمه حتى غاية 1955، إذ غرق في الدّراسة والتّحصيل عن طريق حلقات الشّيوخ وبصفة فردية ما يقارب 11 سنة وقد تحصل على الشّهادات الآتية:

وقد أحرز هذه الشّهادات العلمية بحسب تاريخ الحيازة:

إذ نال الأهلية عامّ 1949

وأحرز التّحصيل العلمي عامّ 1952

ثم واصل اجتهاده لينال شهادة العالمية من كلية الشّريعة شعبة أصول الدّين ويفوز بجائزة الباي شهر جويلية عامّ 1955 متحصلا على الدّرجة الأولى، علما أن هذه الشّهادة تعد أعلى شهادة تمنح في جامعة الزّيتونة آنذاك، وقد وقعت من قبل العلامة الطّاهر بن عشور.

علما أن شهادة العَالِمِية التي كانت تمنح من الجامع الأعظم الزّيتونة، أو جامعة الزّيتونة، من أقوى الشّهادات العِلْمية في العالم الإسلامي، والحاصلون عليها قلائل في الجزائر، وقليلون جدا حاملوها.

ومجازى كذلك من قبل الشّيخ إبراهيم النّيفر في تدريس صحيحي البخاري ومسلم.

أحرز الماجستير في النّحو بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة منتوري بقسنطينة بتاريخ 13 ديسمبرعام 1995 عن موضوع موسوم بـــ الجملة عند النّحاة التّقديم والتّأخير في باب المرفوعات تأطيرعبد الله بوخلخال.

كما قدم من قبل بحثا موسوما بـــ « سيبويه « كان ذلك بين عامي 1975،و1976.

بعد إكمال دراسته بجامع الزّيتونة ومكوثه مدة 11 عاما في التّحصيل العلمي والمثابرة والتّدريس والاجتهاد عاد إلى أرض الوطن على الرّغم من الإغراءات التي قدمت له من قبل

السّلطات التّونسية، ابتداء من تمكينه الحصول على الجنسية التّونسية وتوفير له العمل والسّكن وتزويجه هناك، إلا أنه آثر أن يعود إلى أرض الوطن.

رحل بعدها إلى قسنطينة بمباركة والدّه لمباشرة حياته المهنية، وفي قسنطينة وجد ضالتّه حيث تفتقت مواهبه، وتفجرت قدراته العلمية والمعرفية، وتعمقت طموحاته التّعليمية، فكان أول تدريس له بجمعية التّربية والتّعليم التّابعة لجمعية العلماء المسلمين آنذاك والتّي تخرج فيها جيل من المثقفين الرّواد ورجال السّياسة والأدب، ما بين عامّ 1956 وعام 1957، ثم انتسب إلى جمعية السّلام، بعدها انتقل إلى ثانوية الحرية العريقة بعد الاستقلال وكان ذلك عامّ 1964، ثم انتقل إلى الثّانوية المجاورة وهي ثانوية يوغرطة.

قضى رحمه الله قرابة 40 سنة في التّدريس عبر مختلف المراحل التّعليمية، وقد درس بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الإخوة منتوري مقاييس عديدة، وقد تلقيت عليه مادة مصادر اللغة والأدب، وقد كانت طريقته محببة إلى النّفوس، حيث يقربنا بأسلوبه السّلس المرفوق بابتسامته الدّائمة التي لا تغادر محياه كلما فاض بتقديم المادة المعرفية حتى صرنا نحس بمرافقة دائمة لتلك المصادر وأمات الكتب، وقد أنفق في مدرجات وأقسام الجامعة قرابة 14 سنة.

كان ذلك من عامّ 1980 إلى عامّ 1993، وحين أحيل على التّقاعد لم يركن إلى الرّاحة كما هو ديدن الكثيرين إنما أنخرط في جمعية «النّور للمحافظة على القرآن الكريم» كعضو بدءا، ثم رئيسا لها متطوعا أنفق في إدارة مكتب الجمعية ردحا من الزّمن استغرق من عامّ 1991 إلى عامّ 2014.

وللتذكير فإن جمعية النّور للمحافظة على القرآن الكريم تأسست عامّ 1966 تحت اسم جمعية الإصلاح والأخلاقي والاجتماع، قبل أن تتحول إلى مركز ثقافي لتعليم القرآن عامّ 1978، وانطلاقا من سنة 1990 تحولت إلى ما هي عليه اليوم.

وتسهر الجمعية على القيام بعدة نشاطات خارج التّعليم القرآني، منها أعمال الخير والتّشجيع، تنظيم زيارات لمراقبة المدارس، وأعمال أخرى تدخل في باب التّضامن، مع تقديم محاضرات والمشاركة في المناسبات الوطنية والدّينية.

تولى الإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد بمساجد قسنطينة مدة 24 سنة، منتدبا من قبل مديرية الشّؤون الدّينية والأوقاف تارة، ومتطوعا تارة أخرى، وقد كلف بخطبة الجمعة في مساجد عديدة بقسنطينة أذكر منها: مسجد عفان، مسجد حمزة، مسجد حسن باي

عمل عضوا منتخبا في بلدية قسنطينة في الفترة الممتدة من 1975 إلى غاية 1979.

كان الشّيخ رحمه الله مهتما بالشّباب ذكرانا وإناثا، مجتهدا في تحفيظهم القرآن الكريم، وقد تخرج في عهده زهاء 500 حافظا وحافظة للقرآن الكريم.

كما كان مجتهدا ومواظبا على حضور مختلف الملتقيات والنّدوات والمسابقات المتعلقة بالقرآن الكريم. دون كلل ولا ملل .

وقد كرم بعد وفاته في حفل بهيج من قبل مديرية الشّؤون الدّينية والأوقاف لولاية قسنطينة.

لقي ربه ثالثّ أيام عيد الفطر في 03 شوال 1438 الموافق ليوم 27 جوان 2017.

و عن آفاق جمعية النّور كما تقول الصّحفية علجية عيش أثناء تغطية إعلامية لنشاط وآفاق جمعية النّور: كشف الشّيخ بوجمعة جعلاب رئيس جمعية النّور للمحافظة على القرآن الكريم عن عدة مشاريع، من بينها مشروع إنجاز دار القرآن بحي النّخيل زواغي سليمان بالقرب من مسجد ابن العربي، ومدرسة جديدة للذكور لتعليم القرآن وحفظه قراءة وتجويدا، وقد سميت هذه المدرسة باسم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، بالإضافة إلى إثراء مكتبة الجمعية بجملة من الكتب في مختلف المجالات ومدرسة أخرى بأرض سبايسي قيطوني عبد المالك، وهو مشروع انطلق في سنة 2008 وتتربع أرضيته على مساحة 160 مترا مربعًا والجديد في برنامج الجمعية حسبما كشف عنه رئيسها هو فتح أقسام جديدة لمحو الأمية وهذا بالاتفاق مع الدّيوان الوطني لمحو الأمية، وستكون هذا المشاريع جاهزة مستقبلا.

وقد قال فيه الأستاذ رشيد كويرة كلمة اعتراف بقوله:

الأستاذ الطّيب بوجمعة جعلاب من الذين تركوا أثرا لا يزول في الطّلبة والأساتذة وهو بدون شك فارس المنابر ومرمضها. أذكر أنه كان يزور المدن والقرى التي يستفيد أهلها من خطبه ومن روحه الخفيفة التي تفتح أبواب النّفوس وتشرعها قبل أن تفتحها قراءته وخطبه. يذكره معلمي الأول السّعيد بورورو أطال الله عمره في الكركرة ويثني عليه.

باديس فوغالي

المصادر:

- تغطية علجية عيش نشرت في جريدة صوت الأحرار يوم 03 07- 2013-
- المركز الثّقافي الإسلامي.قسنطينة.تكريم أسرة الشّيخ بوجمعة جعلاب 23 جوان 2018.

■ بوداود بوغفالة
(و: 1360ه - 1941م/ت: 1380ه - 1960م)

ولد الشّهيد بوغفالة بوداود في 29/ 8/ 1941 بالريف قرب قرية بوعسلة بولاية سعيدة، من عائلة بدوية تعتمد في حياتها على التنقل والترحال في رحلتي الشّتاء والصيف بين الشّمال والجنوب طلبا للمرعى وسعيا وراء الرّزق.

وكان الفتى يحظى بحب أمه وأبيه لما توسماه فيه من سمات تدل على أن ستكون له بسطة في الجسم وذكاء في العقل. لكنه ما إن بلغ الخامسة من عمره حتى فقد أباه فكفله عمه بوغفالة الطّيب. تكونت شخصيته وبرزت معالمها البدوية من شجاعة وكرم ورأى سديد ونجدة وترفع عن الدّنايا، فأخذ مكانه بين شباب قبيلة بنى المجدوب وشيوخها، فصار أحد أعيان الجماعة الذين يرجع الى رأيهم ويستشارون كلما دعا الأمر إلى ذلك. وكان بوداود يرحل صيفا مع قبيلته والقبائل البدوية إلى الشّمال (التل) فمكنه ذلك من معرفة آفاق جديدة من وطنه والاتصال بأهل القرى والمدن وهو يكد طلبا للرزق وبحثا عن المرعى. وتضطره الظّروف للاصطدام بهؤلاء الأجانب الغرباء الذين يتسلطون على وطنه، ولا يرى لذلك أي مبرر وهو البدوي الحر. ومن هنا بدأت بذور الكراهية والحقد على الأجنبي تنمو في قلبه وعقله ويزيد جذورها عمقا وفروعها صلابة مما يشاهده من غطرسة وظلم هؤلاء الذين لم ير لوجودهم تفسيرا ببلاده.

لما بلغ السّادسة عشر من عمره، كانت وقائع الثّورة وانتصاراتها قد عمت أرجاء الوطن ولم يبق فيه شبر إلا وبدأ يتزلزل تحت أقدام المغتصبين، وانتشرت فرق جيش التحرير عبر التراب الوطني تبعث الأمل في النّفوس وتوقظ النّوام وتحطم حاجز الخوف وتلهب مشاعر الشّباب بالحماس والحمية وتفتح لهم الطّريق إلى المجد والكرامة. فعزم بوداود اللحاق بصفوف المجاهدين في ربيع سنة 1957، ولم يكن أحد يدري بعزمه هذا، ولم تعرف عائلته شيئا عما كان ينوي القيام به.

لكن العدو لم يكن غافلا بل كان على علم بما يدور بخلد الشّباب، فلما لم يعد يرتاء الأماكن التي تعود ارتيادها حتى بادر بالبحث عنه والتفتيش، فلما لم يجد جوابا شافيا لجأ كعادته الى العنف والبطش والتنكيل، فبعد التحقيق والتعذيب والنهب الذي طال عائلة بوداود، أخذها ليزج بها في محتشد «الغريبة» قطعا لكل صلة للعائلة بابنها «الفلاق» وببقية المجاهدين. أما البطل فقد وجد ما كان يصبو إليه بين إخوانه المجاهدين، فحمل السّلاح يذود عن كرامة الوطن ويصوب نيران بندقيته إلى صدور أعداء وطنه الذين طالما طغوا في البلاد وعبثوا بشرف أهلها، فاكتسب سمعة طيبة بين اخوانه المجاهدين ونال ثقتهم رغم صغر سنه فصاروا يسندون إليه المهام الجسام، وكان ذلك بجبال القصور الشّاهقة الوعرة المسالك.

في سنة 1959 كلفته قيادة النّاحية الثّانية من الولاية الخامسة مع فوج من رفاقه المجاهدين بمهمة في ناحية عين الصّفراء. وفي الطّريق وقع الفوج في كمين نصبه الأعداء؛ ورغم ضآلة إمكانيات المجاهدين من حيث السّلاح والذخيرة ورغم قوة العدو، فقد قاوم الفوج مقاومة عنيفة واستبسل في القتال حتى استشهد أغلبهم ووقع الباقون أسرى في أيدي العدو وكان من بين الأسرى المجاهد بوغفالة بوداود.

وقد مارس العدو على المجاهد بوغفالة بوداود أنواعا من التعذيب يعجز القلم عن وصفها، ثم حاول أن يجرب معه أسلوبه النّفساني عساه ينجح فتكون النّتائج بالغة الخطورة على نفسية الشّعب ومعنويات المجاهدين، فراح يغريه بالانضمام إلى صفوف العدو فرفض أولا بشدة فضاعف العدو من أصناف التعذيب وهو لم يفقد الأمل في استدراجه اليه.

فكر بوغفالة في تنفيذ خطة للفرار، حيث أوهم العدو أنه قبل أن يتعامل معه، فألبسه العدو لباس الجنود بدون سلاح وظل يراقبه ويترصد نشاطه وما يمكن أن يقوم به من اتصالات. وكان بوغفاله في إطار خطته قد قطع كل صلة له بأهله أو بمعارفه حتى لا يتفطن العدو لما ينوي القيام به. وكانت تسند إليه الحراسة من حين لآخر، وبعد شهرين قضاها في «تايوت» تسلل ذات ليلة من ليالي شهر فبراير 1960 فأخذ لباسا جديدا وسلاحا وذخيرة، ولما ابتعد قليلا عن القرية نزع لباسه القديم وتركه في المكان وارتدى اللباس الجديد وقصد الجبل لملاقاة إخوانه المجاهدين بجبل القصور؛ وكانت رحلة شاقة مضنية لبعد المسافة وحمله الثّقيل من السّلاح والذخيرة. وفي فجر تلك الليلة وصل إلى جبل تايوت حيث خبأ سلاحه وذخيرته في بئر بقمة الجبل. واستقبله المجاهدان الشّلالي عمر ورأس مال عبد القادر الأكحل فرحا به وأثنيا على شجاعته وعلى الطّريقة التي فر بها والأسلحة التي جلبها، ثم استأنف الشّهيد جهاده بحماس أكثر وقد ازداد قلبه حقدا وكراهية للأعداء بعد ما تعرض له هو نفسه من التعذيب

في منتصف يوم 17-04-1960 وفي قمة جبل شمارخ، وبينما كان بعض المجاهدين يتناولون غداءهم إذا بأسراب عديدة من طائرات الهيلوكبتر تهبط في قمة الجبل وتفرغ أعدادا من الجنود المدججين بالسلاح، فشرعوا فورا في إطلاق النّار فهب المجاهدون يردون عليهم بكل عزم وثبات. وكان من أوائل الذين اشتبكوا مع العدو هو المجاهد بوغفالة بوداود، إذ كان يجد في

ذلك أمنيته التي طالما تمناها وكان ينتقل من مكان إلى مكان يضرب في صدور الأعداء وظل كذلك حتى المساء. وبينما هو كذلك يقاتل بإصرار إذا برصاصة تصيبه في صدره وأخرى في رأسه. فلما أيقن بهلاكه حطم بندقيته، وتلك هي تقاليد جيش التحرير، لا يترك المجاهد بندقيته تقع غنيمة للأعداء، فلما رأى العدو منه ذلك مثل به فهشم رأسه. وقد استشهد في هذه المعركة أربعة مجاهدين إلى جانب الشّهيد بوغفالة بوداود.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- ع.السقاي، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 68، سنة 1984، ص 84.

■ بودغن بن علي (العقيد لطفي)
(و: 1353ه - 1934م/ت: 1380ه - 1960م)

نشأته ودراسته:

ولد الطّفل بن علي بودغن بتلمسان في 7 ماي 1934 والمعروف باسمه الثّوري العقيد لطفي بحي القلعة العليا وسط محيط محافظ وفي كنف عائلة متواضعة ميسورة الحال، تحتوي إلى جانب الوالدين سبعة (7) إخوة وأخوات، دخل إلى مدرسة الحي ليزاول دراسته الابتدائية، ثم اضطر إلى المغادرة والاتجاه نحو مدينة وجدة لتتاح له هناك فرصة المشاركة في امتحان الشّهادة الابتدائية باللّغة العربيّة، إذ كانت هذه الشّهادة لاوجود لها بتلمسان في ظل الحكم الاستعماري آنذاك، ليعود بعدها إلى مسقط رأسه من جديد لمتابعة دراسته من جديد بإحدى مدارسها وذلك في سنة 1950.

نشاطه أثناء الثّورة المسلحة:

في أوائل العقد الأول للخمسينات أنضم الشّاب بن علي بودغن إلى الحركة الوطنية عبر الخلايا السّرية لجبهة التحرير الوطني (اللجنة الثّورية للوحدة والعمل سابقًا) بتلمسان إلى سنة 1955 حيث انقطع عن الدّراسة نهائيًا والتحق بجيش التحرير مع استمرار في الاتصال وتنظيم الخلايا السّرية الأمر الذي أتاح له القيام بعدة هجومات عسكرية على مراكز العدو ونجح فيها أيّما نجاح ونظرا للمقدرة الفائقة التي أظهرها الفقيد في ميداني التنظيم والتكتيك الحربي استطاع أن يحوز على ثقة القيادة وتمنحه

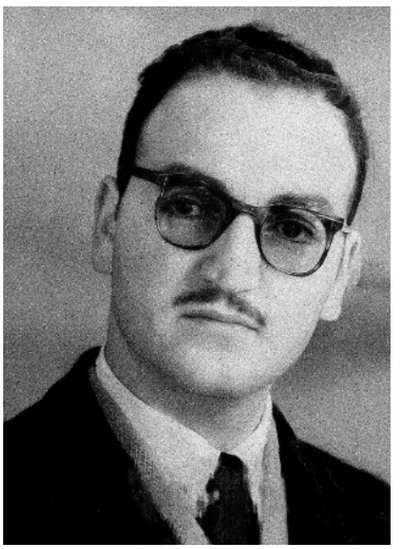

ثقتها فاسندت اليه عدة مسؤوليات مارسها وأدّاها بكفاءة ومهارة تنم عن الرّوح النّضالية والوطنية الخالصة، التي يتمتع بهما الشّهيد، وقد تبلور هذا في تلك النّجاحات العديدة التي استطاع الشّهيد لطفي أن يحرز عليها في شتى المهمات التي كلف بها في اطار المسؤوليات التي انيطت به كلف أثرها سنة 1956 بمهمة تنظيم الاعمال العسكرية لجيش التحرير الوطني بجنوب البلاد، قصد توسيع رقعة الثّورة المسلحة، وكان يعرف آنذاك باسم "سي ابراهيم"، أين قاد بعدها عدة معارك ضد الجيوش الاستعمارية، استطاع بفضل مقدرته وشجاعته على إحراز انتصارات معتبرة، الأمر الذي جعل قيادة جيش التحرير الوطني -بعد أن برهن عمليا على حنكته ومقدرته على إدارة العمليات القتالية- أن تسند إليه قيادة المنطقة الثّامنة برتبة نقيب المنطقة، (في ذلك الوقت لها مفهوم يختلف عما هو معهود الآن).

واستمر الشّهيد يدير كفة الصّراع مع العدو رغم الفرق الشّاسع بينهما، بحكمة وكفاءة، تمكن خلالها من إنزال خسائر جسيمة بقوات الاحتلال، فرقّي إلى رتبة رائد سنة 1957 بنواحي أفلو أين كان يقود ويشرف على سير العمليات الحربية ضد الجيوش الاستعمارية، ولعل من أشهر هذه المعارك: "معركة خناق عبد الرّحمن" التي استطاع الشّهيد لطفي وجنوده أن يبلوا فيها بلاء حسنا، وأن ينزلوا بقوات الاستعمار هزائم نكراء، وذلك رغم التباين بين الجيشين في العدد والعدة، غير أن شهيدنا البطل بفضل تدابيره السّديدة، وتنظيماته المحكمة تمكّن من أن يلحق خسارة فادحة بقوات العدو.

تولية قيادة الولاية الخامسة:

وإزاء هذه الانتصارات التي ما انفك بطلنا الشّهيد يحرز عليها في الميدان العسكري كوفيء الشّهيد بتعيينه سنة 1958 كقائد الولاية الخامسة برتبة عقيد.

تزوج بعدها وأنجب طفلين، (ولد وبنت)، وظل يمارس عمله بكل جدية ونشاط وتفان أذهلت القادة الاستعماريين وأفشلت خططهم.

استشهاده:

في أواخر سنة 1959 سافر العقيد لطفي صحبة نائبه الرّائد فراج إلى ليبيا للمشاركة في أشغال دورة المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وفي هذا الاجتماع أهدى العقيد لطفي للمشاركين في هذا المجلس علما مخضبا بدماء الشّهداء كرمز لقيمة الحرية والاستقلال التي لا تؤخذ إلّا بدماء خيرة أبناء الوطن وبعد انتهاء أشغال هذه الدّورة قرر العودة إلى التراب الوطني بغرض تفقد جنوده في مختلف مناطق الولاية الخامسة، فاجتاز الحدود الجزائرية المغربية ليلتحق بالتراب الوطني عبر الجنوب في ظروف صعبة للغاية، حيث كان عليه أن يواجه الطّبيعة القاسية ومزارع الألغام والأسلاك الشّائكة، لكنه تحدّى كل هذه العوائق، وصمّم على الوصول إلى وسط جنوده ليتفقّدهم ويمدّهم بتوجيهاته القيّمة، لكن قضاء الله كان قد شاء أن تكون هذه الزّيارة هي الأخيرة لوطنه، الذي عاش من أجله ومات من أجله، وهنا أفسح المجال لمجاهد وحيد بقي على قيد الحياة في هذه المعركة التي سقط فيها القائد الشّهيد لطفي في ميدان الشّرف، يروى الواقعة كما عايشها لحظة بلحظة. المجاهد هو لعروسي عيسى ولد في 1928 ببني ونيف، وقد انخرط في صفوف جيش التحرير الوطني في أول مای 1956 بناحية عين الصّفراء بجبل مكثر ـ

يقول المجاهد العروسي عيسى: "كنا بمنطقة الحدود في ناحية العابدية متجهين نحو آفلو كنا خمسة أفراد، مشينا يومين كاملين بدون توقف، وفي 27 مارس 1960، الساعة (9:30) صباحا وصلنا إلى المكان الذى يدعى جبل بشّار الواقع على بعد 20 كيلومتر جنوبا من مدينة بشّار، اكتشف أمرنا فحاصرتنا القوات الاستعمارية واشتبكنا معها في قتال ضار، استطعنا خلالها إسقاط طائرة وقتل ما يقرب من 37 عسكريّا فرنسيّا، والرواية كما يرويها المجاهدون بولاية بشّار بالتفصيل ويشاطرهم فيها المجاهد العروسي عيسى الآنف الذكر هي كالتالي:

بعد المسير الذي. استمر يومين بدون توقف وصل الشّهيد رفقة الرّائد فراج والمساعدين الزّاوي الشّيخ وبريك احمد، ولعروسي عيسى الى هذه المنطقة وعبّروا خط السّكك الحديدية الرّابط بين مدينة بشار وسهل العبادلة، وكان هذا الخط كثيرا ما يتعرض للتخريب من طرف المجاهدين فوضعت القوات الاستعمارية حارسا بحرسه وكان هذا الحارس من الخونة «الحركيين» فأكتشف أثرنا فأبلغ القوات الاستعمارية على الفور فجهزت قوات ضخمة من الجنود والطائرات والدبابات والمدفعية، ونقلت قواتها بسرعة، وانزلتها بواسطة الطّائرات العمودية في أماكن لم نستطع بعدها التحرك في أي اتجاه ولم يبق أمامنا سوى الاشتباك معها، والقنال بكل قوة، فأشتبكنا معها وبدأت المعركة على السّاعة التاسعة والنصف صباحا لتنتهى عند السّاعة الثّانية عشر زوالا، استطاع خلالها ابطالنا رغم قلة عددهم ورغم قلة ما يملكون من أسلحة فردية أن بلحقوا خسائر هامة بالقوات الاستعمارية تتمثل في اسقاط طائرة اسقطها الشّهيد لطفي بنفسه وقتل 37 عسكرى فرنسى وهذا بشهادة قائد فرنسي كبير برتبة عقيد ـ قائد القوات الفرنسية بالمنطقة - واستشهد العقيد لطفي والرائد فراج والمساعدان الزّاوى الشّيخ وبريك احمد، واسر الخامس لعروسي العطب الذي أصاب عيسى بعد بندقيته، ويروى المجاهد لعروسي الذي لازال حيًا يرزق عن هذه المعركة فيقول، أنه بعد إلقاء القبض عليه وضع في طائرة عمودية ومعه جثث الشّهداء ونقلوا إلى بشار، وهناك طلب منه ذكر أسماء هؤلاء الشّهداء فذكرهم بأسمائهم، فتأسف عقيد فرنسي كان حاضرا وقال بأنه لو كان يعلم بأن هذه المجموعة المجاهدة من بينها العقيد لطفي لتركه يطلق النّار حتى تنفذ ذخيرته ويمسكه حيا حتى ولو كلفه الأمر أن يفقد عددا كبيرا من جنوده في سبيل القاء القبض على الشّهيد حيا، لكن ارادة لطفي التي هي من إرادة الله كانت صادقة مع نفسها ومع الذين قطعت معهم العهد أما الاستقلال أو الاستشهاد وهكذا شاء القدر أن تكون نهاية حياة البطل المغوار في ساحة الشّرف وهكذا عاش فقيدنا بعقيدته وايمانه الصّادق بوطنه ومواطنيه إلى أن لقى ربه وهو راض عنه وعن كل الشّهداء وتبقى لنا كلمة ونحن نحيي هذه الذكرى الخالدة، ذكرى بطل من أبطال ثورتنا المجيدة أن نكون في مستوى عظمة هذه الثّورة، ونحيي كل الجهود المخلصة التي أقرت هذه السّنة الحميدة لتخليد أولئك الابطال الشّهداء وإبراز مآثرهم. وواجبنا اليوم كأبناء وأحفاد لأولئك الابطال، أن نتحلى بكل صدق وإخلاص وتفان في العمل لأجل إكمال المسيرة الثورية التي ضحّى من أجلها شهداؤنا، وحتى نكون جديرين بحمل لقب مواطني دولة المجاهدين.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- الزبير بوشلاغم، العقيد لطفي في ذكراه 19، مجلّة أوّل نوفمبر العدد35 سنة 1979 ص 31.

■ بوطالب بن يخلف
(و: 1300ه - 1883م/ ت: 1376ه - 1957م)

ولد الشّاعر (بن يخلف بوطالب) سنة 1883م بتربة جده سيدي بن يخلف الرّاشدي، التي تبعد بثمانية كليومترات إلى الشّرق من مدينة معسكر، في منطقة يطلق عليها (جبل الرّاكوبة) المشرف على سهل غريس، حيث نشأ في عائلة محافظة، على يد والدّه الذي كان على قدرٍ من الثّقافة، حافظًا لكتاب الله تعالى، ولذلك نتوقّع أن يكون (بن يخلف بوطالب) قد نهل من ذلك المعين، وربما حصّل بعض المبادئ الأساسية في التّوحيد والفقه ونصيبًا من التّراث الشّعبي للمنطقة، كما تشير إلى ذلك بعض المصادر الشّفوية. لقد عاش في منطقة زاخرة بالعلماء الأعلام، والأئمة العظام، والقادة الأبطال، ومن المؤكّد أن بعض هؤلاء –ومنهم عائلته– قد عاصروا بطولات الأمير عبد القادر الجزائري (1808م1883–م) في مقاومته التي انطلقت شرارتها من منطقة (غريس)، وأدركوا تأسيسه للدّولة الجزائرية الحديثة.

انتقل بن يخلف بوطالب من بادية أجداده إلى مدينة معسكر سنة (1899م)، واستقرّ بحي سيدي الموفق، حيث جاور العلماء وأصحاب الطّرق الصّوفية، وشعراء الملحون، ليلتحق بورشات صناعة سروج الخيل بحيّ العرقوب العريق، إلى أن أصبح يتقنها إتقانًا، ليستقل -لاحقاً- بورشته الخاصّة، التي أضحت تضمّ الكثير من المعدّات المتعلقة بمهنة صناعة السّروج، مع تخصيص زاوية بها لاستقبال شيوخ الغناء البدوي، وشعراء الملحون، يتطارحون الأفكار، ويتذاكرون الأشعار، وهو ما صقل موهبته أكثر، ووضعه على سكة الفن والشّعر، خصوصًا أنّ معسكر -التّي ورثت رمزيتها الثّقافية من العهد العثماني ثمّ دولة الأمير الفتيّة– كانت تعجّ بالمثقفين والفقهاء والشّعراء.

كان بن يخلف بوطالب حسنَ الوجهِ، كثيفَ اللّحية، شديدَ السّمرة، عيناه جذّابتان، ممّا يسبغ عليه هالةً من الشّجاعة والشّهامة والنّخوة، فتبدو على محيّاه الصّرامة وشدّة البطش وحدّة المزاج، مع اعتزاز بالنّفس، وسرعة الانفعال، وحساسية مفرطة تجاه كلّ ما يمس نسبه الحسيني. محترمٌ ذو مكانة مرموقة لدى العامة، ومع ذلك فهو صاحبُ حسٍّ مُرهفٍ، شغوفٌ بالسّهر، يحبّ السّهر والمتعة، حتّى أنّه كان يقضي الليالي في السّهر مع النّدامى والخلاّن على كؤوس الرّاح، وإيقاعات الموسيقى التّقليدية (القصبة والقلاّل).

لقد استهوت الموسيقى بن يخلف بوطالب، فكان مغنيًّا معروفًا في الغرب الجزائري، بارعًا في الضّرب على الدّف، وهو إلى ذلك شاعرٌ كبيرٌ، يستلهم نصوصه من تجربته الشّخصية، ومن بيئته المسكونة بالشّجاعة والفروسية، يتمثّل قصص الأبطال والأولياء والصّلحاء، في تجربة شعرية تجاوزت سنة (1920م) خمسين قصيدة، حسبما ذكره الباحث في تاريخ معسكر الشّيخ جيلالي جلول، طرق فيها مختلف الأغراض، وبخاصة المدائح النّبوية والهجاء، فضلاً عن قصائده ذات الصّلة بالمناسبات الخاصة، كقوله في حادثة فيضان سدٍّ مائيٍّ سنة (1927م):

سَبْعْ ايّامْ احْسابْ وزِيْدْ سَبْعْ لْيَالِيْ
مَاذَا تْسَعْ إِذَا طَالتْ لَعْمَارْ
كَانْ يْزُورْهُمْ الشّرْقْ مَعَ الّيْ غْرَبْ
قَصّةْ هَذَا الحَمْلَة كِجَاتْنَا اسْبَابْ

كما كان ملتزمًا أخلاقيًا بقضايا مجتمعه، داعيًا إلى العفّة والفضيلة كما في قصيدته الشّهيرة (رَانِي مْحَيَّرْ) التي أدّاها كبار المطربين، وفي مقدّمتهم الفنان الوهراني بلاوي الهواري (1926م2017–)، ينتقد فيها انجرار الشّباب وراء حياة العربدة والتّهتّك:

رَانِي مْحَيَّرْ، يَا نَاسْ مَا لاَقْ صْبَرْ
عَقْلِي مْوَدَّرْ، فَالبْحَرْ بِينْ المَوْجَاتْ
ذَا البْحَرْ غَامَقْ، جْمِيعْ مَنْ دَخْلَهْ غْرَقْ
بَاقِي مْشَوَّقْ، يْحَوَّسْ عَلَى النّجَاةْ
الله يَحْفَظْ، يَا حْبِيبْ قَلْبِي رَيَّضْ
اعْلاَهْشْ نَايَضْ، نُورِيكْ هَذَا القَصَّاتْ
مَا آشْفَاتْ عَيْنِي، ذَا الجِيلْ كِي هَوَّلْنِي
رَبّي اهْدِينِي، اللهْ يَغْفَرْ مَا فَاتْ
ذَا الجِيلْ صَعْبَا، مَا كَانْ فِيهُمْ امْحَبَّا
عَشَّقُوا القَصْبَا، عَجْبُوهُمْ الغَنَّايَاتْ
اشْيُوخْ جَاحُو، بَاعُوا الكْلاَمْ انْفَضْحُوا
فَالخْيُوطْ ضَبْحُوا، دَايْرِينْهُمْ فَالْهْوَاتْ
الرّجَالْ طَاحُوا، وَالبَخْسَاتْ التّحَوْا
وَاليُومْ فَرْحُوا، اتْعَانْدُوا عَلَى البْزَارَاتْ
ابْنَاتْ شَلاَّ، مَا كَانْ فِيهُمْ خَصْلاَ
هُمَا سْلاَلَه، مَنْ شَاوْهُمْ خَدَّاعَاتْ
فِي كُلْ بَلاَدْ مَنَّا حَتَّى لـ(فْرَنْدَا)
قَالُوا (سْعِيدَا)، ثَمَّ المَحْنَة رَصَّاتْ
فِي كُلْ مَضْرَبْ، هَذَا القَوْلْ صحِيحْ
مْجَرَّبْ
مْنِيشْ كَاذَبْ، عَرَّوْهُمْ المَرْيُولاَتْ
انْهَارْ الاَوَّلْ، تْقُولَهْ يَا رَاجَلْ
أَرْوَاحْ تَدْخُلْ، هَذَا مَوْضَعَكْ وِينْ أَنْبَاتْ
ثُمَّ تْسَالَهْ، لَصَابْتَهْ بْمَالَهْ
أَجِّي أَقْبَالَهْ، وْتَرَادَفْ الـقْطفَاتْ
يَبْدَا يْجَرَّدْ، النّاقَصْ مْعَ الزّايَدْ
يَبْقَى يَتْوَكَّدْ، زِيدِي لخُوكْ الحَافَاتْ
زِيدِي مْخَايْدْ، لخُوكْ كِي يَسْتَفْعَدْ
سَامَحْنَا لْقَايَدْ، امِّيمْنَكْ غِيرْ أَنْسَاتْ

لبّى الشّاعر بن يخلف بوطالب نداء ربّه وأدّى فريضة الحج سنة 1953م، ورحل إلى دار البقاء سنة 1957م عن أربعةٍ وسبعين عامًا رحمه الله تعالى.

حبيب بوزوادة

المصادر:
- معسكر رجالٌ وتاريخ، تأليف الأستاذ جيلالي جلول.

■ بوعلام قانون
(و: 1336ه - 1918م/ ت: 1428ه - 2007م)

ولد بوعلام قانون في 21 يوليو 1918 بدوار حلوية بالصومعة (شرق البليدة) وترعرع وسط عائلة ميسورة الحال لقنته المبادئ الدّينية والرّوح الوطنية. درس في المدرسة الابتدائية ثم تابع تعليمه في مركز التكوين المهني الفرنسي ببوفاريك ليفتح محلا بعدها بذات المدينة حسبما ذكره (لوأج) أحد أبنائه العشرة فوزي قانون.

كان تحلى بالشجاعة والفطنة والذكاء منذ صغره كما عرف باندفاعه في الذود عن الدّفاع عن الجزائر ولم يكن يدخر في ذلك جهدا حسب فوزي قانون؛ ارتبط اسم هذا البطل بأكبر الأسماء الثّورية على غرار ديدوش مراد ومحمّد بوضياف وبن يوسف بن خدة وسويداني بوجمعة وغيرهم لأنه عايشهم وكان في تواصل دائم معهم.

انخرط المرحوم في النّضال السّياسي منذ نعومة أظفاره حيث كان عضوا في حزب نجم شمال افريقيا ثم حزب الشّعب في الثّلاثينيات ليتدرج بعدها في عدة مسؤوليات في المنظمة الخاصة مما جعله محل بحث من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي بعد انكشاف أمره سنة 1950.

وفي أعقاب ذلك لجأ إلى عائلة صهره موايسي محفوظ بالمكان المسمى حوش القايلة ببلدية بوينان رفقة كل من سويداني بوجمعة واحمد بوشعيب اللذين أسسا أول مركز لصناعة القنابل بحلوية (الصومعة) لينتقلا بعدها إلى أولاد يعيش تحت إشراف بوعلام قانون الذي كان يختار المناضلين الذين يلتحقون بهذا المصنع شرط أن يكونوا أكفاء وأهل للثقة المطلقة.

وكان هذا المركز الذي دشنه محمّد بوضياف وسويداني بوجمعة في 14 مايو 1954 بأولاد يعيش يصنع القنابل والعبوات النّاسفة والقنابل الحارقة التي استعملت في المعارك ضد جيش الاستعمار الفرنسي في الأيام الأولى لانطلاق ثورة الفاتح نوفمبر 1954.

ورغم أن هذا الاسم لم يكن معروفا كثيرا إلا أن المهام التي أسندت إليه كانت ثقيلة جدا حيث كلف عشية التحضير للثورة بالتنسيق بين المجاهدين في الجبال ومسؤولي الحركة الوطنية آنذاك وبتجميع السّلاح وتحضير مخططات للهجوم على الثكنات الفرنسية وصناعة 350 قنبلة تم تجهيز 150 منها ليتم نقل جزء كبير منها إلى الجزائر العاصمة في شاحنات ومنها ما تم شحنه في القطار نحو تبسة وغرب البلاد.

وأصبح بوعلام قانون الذي أسهم في عملية جمع الأسلحة تحسبا لاندلاع الثّورة بعدها مسؤولا في لجنة التنظيم والعمل للتحضير للثورة بطلب من المجاهد محمّد بوضياف ثم مسؤولا على النّظام الشّبه عسكري.

يعد المرحوم من بين المجموعة التي حضرت لتفجير ثورة نوفمبر المباركة بالبليدة حيث شارك في أول اجتماع انعقد في ابريل 1954 بوادي بوشمعلة بالصومعة. وفي آخر اجتماع انعقد قبيل اندلاع الثّورة المظفرة في منطقة المتيجة في 10 أكتوبر 1954 بأولاد يعيش بوادي بوشمعلة بالصومعة. وفي آخر اجتماع انعقد قبيل اندلاع الثّورة المظفرة في منطقة المتيجة في 15 أكتوبر 1954 بأولاد يعيش.

كما شارك بوعلام قانون في اقتحام ثكنة بوفاريك في الفاتح من نوفمبر 1954 رفقة عمر اوعمران وسويداني بوجمعة وصامت عمر ورابح عبد القادر. وكان أحد المجاهدين الذين اشتبكوا بمنطقة(40 والي) بمنطقة تالا حمدان بأعالي جبال الصّومعة مساء الفاتح نوفمبر مع جنود الاحتلال الذين كانوا يقومون بعمليات تمشيط في هذه المنطقة كرد فعل على العمليات التي نفذها المجاهدون في غرة نوفمبر.

وفي 5 نوفمبر 1954 ألقي عليه القبض إثر وشاية استهدفته وسجن بسجن الحراش ليتم ترحيله إلى سركاجي ثم سجن لومباز بباتنة لينفى إلى سجن مرسيليا (فرنسا) لتبدأ معاناته مع التعذيب الوحشي. وحكم عليه في عدة قضايا بالمؤبد والأشغال الشّاقة ثم بالإعدام غير أنه عقب الإعلان عن وقف إطلاق النّار سنة 1962 تم إطلاق سراحه.

توفي المجاهد الرّمز الذي لم تشأ الأقدار أن تترك له حرية اختيار الالتحاق برفقائه المجاهدين في الجبال في 3 يوليو 2007 عن عمر يناهز 89 سنة إثر مرض عضال ألزمه الفراش لعدة سنوات.

نظيرة شتوان

المصادر:

- نظيرة شتوان، الثّورة التحريرية 1954-1962 «الولاية الرّابعة انموذجا»، أطروحة دكتوراه جامعة الجزائر 2008، ص 41.

■ بوعـــــلام منصور (تيتيش)
(و: 1325ه - 1908م /ت: 1409 ه- 1989م)

يعـدُ بوعـلام تيتيـش واسـمُه الحقيقـي بوعـلام منصـوري أشـهر زرناجـي أو عازف زرنة في الجزائر، شـأنه في ذلك شأن مصطفى اسكندراني عازف البيانو، أو عبد الغني بلقايد أحمـد علـى آلـة الكمـان أو ربّما عليلو علي دباح بآلة الدّربوكة. يعودُ لبوعلام تيتيش الفضل في ترسـيخ طابِـــــع الزّرنة، إلى جانب آلات الغَايْطة والطّبيلة والطّبل التي تصنع إيقاعاته، فهو يتميز أيضًا باللّباس التّقليدي العاصمي المكوّن من سـروال التّستيفة والبدعيّة (السّترة المطرّزة) وشاشيّة اسطمبول وخف البابوش، فأصبح بهذا سفير اللّباس التّقليدي الممتدة جذوره الى تاريخ مدينة الجزائر.

ولد بوعلام تيتيش سـنة 1908 بالأبيار، وكان يُرافقُ والدّه الحاج أحمد الّذي كان شيخ زرناجي بالعزف على الطّبيلات، وهو من ورثـــــه حبّ هذه الموسيقى من صرامة في الأداء وأهميّة الزّي التّقليدي وكذا كنية (تيتيش). عشقه للموسيقى جعله ينصرف عن مقاعد الدّراسة، لتعلّم العزف على آلـة الزّرنة التـي كان والـدّه (أحمد تيتيش) أحـد شـيوخها، فبـات يرافقـه في المناسـبات، والأعـراس، وهـو لا يتجـاوزُ بعد الثّانيّة عشـرة من عمره، فبدأ كضارب على الطّبيليات فالطّبل فالزّرنة، وتجلّت بوادر الموهبة والنّبوغ بوضوح على بوعلام الفتى الصّغيـر، لقبه والدّه (تيتيش) لوجود لثة لسـانية له عند الـكلام وأصبح محطّ إعجاب حيثما حلَّ، والى جانب ولعه بموسيقى الزّرنة كان متيّمًا بالموسيقى الأندلسيّة، مما دفعه للإنخراط في جمعية الموصيليّة التي كان يترأسّها

الفنّانُ محيي الدّين بشـطارزي سنة 1932، وهي السّـنة التي شـهدت رحيل والـدّه أحمد تيتيش بالحجاز وهو يؤدي مناسـك الحج، وهي نفس السّنة أيضًا التي كوّن فيها بوعلام تيتيش أوّل فرقة له. أنشأ تيتيش فرقته الخاصّة سنة 1932 واحتكّ بالعديد من الجمعيات الموسيقيّة الأندلسيّة على غرار الموصلية والجزايرية، وفاز ببطولة العدو ما بين بولوغين وعين البنيان، فقد كان عداءً في فريق مولودية الجزائر.

ذاع صيتـه بعـد الاسـتقلال وبَـدأ فـي إحياء الحفلات ومرافقة المغنّيين المعروفين آنذاك ثم انصرف الى تعليم فنّ الزّرنة في معهد الموسيقى بالأبيار. واصل بوعلام تيتيـش رحلته مع الفن، فعمـل بالمسـرح الوطني بداية مـن عـامّ 1964، فكانت له عدّة خرجات مع أعضاء فرقة المسرح، وفرقـة الباليـه الـى دول عربيّة وغربيّـة، أمتع من خلالها شـعوبًا كثيرة بعزفـه، وشـرَّف الجزائر، وبعد تقاعده من المسرح بقي متواجدًا على شاشة التّلفزيون، فأصبح ظهوره بمثابة المؤشّر لحلول العيد.

تتلمذَ على يدي الفنّان بوعلام تيتيش العديد مـن التّلاميـذ الزّرناجيّة أسّسـوا فيما بعد فرقهم الخاصّة نذكر منها فرقة النّوبة التي استقرَّ أعضاؤها في الخارج لإحياء أفراح الجاليّة الجزائريّة، فأينما كانت الأفـراح والمُناسـبات العائليّة السّـعيدة، إلا وتسـمع الغيطة والطّبيلات من بعيد لتضفي طابعًا تقليديًا خاصًّا راسخًا في الذّاكرة الجماعية لم تتمكّن من محوه موجة الحداثة والمُعاصرة. ساعدت الأنترنت ووسائط التّواصل الاجتماعي الفرق الزّرناجية التي تعدّ بالعشرات على عرض خدماتها بسهولة لإحياء الحفلات العائليّة في ظل احترام وترسيخ التّقاليد الموسيقيّة والزّي التّقليدي العريق. رغم كثرة الفرق وتعدّدها فإن جلها تجمع على انتمائها لمدرسـة بوعلام تيتيش، وتسـعى لإظهار هـذا فـي كلّ مناسـبة احترامًـا وتبجيلا لشخصه. توفي بوعلام تيتيش في الفاتح ديسمبر 1989، تـاركًا إرثًـا فنيًّا قضى حياتَهُ في تأسيسـه، وغداهذا الفنُّ سفيرًا له يفرض نفسه أكثر فأكثر في مناسـبات الأفـراح السّعيـدة التـي تلمّ شـمل العائلات الجزائريّة في الشّوارع والبيوت.

عبد الناصر بوعلي

■ بومدين بن سهلة
(و: 1212ه - 1820م/ت: 1703ه - 1860م)

ولـد بومديـن بن محمّـد بن سـهلة الفقيه الشّـاعر عام 1212هـ/ 1820م بتلمسـان فـي درب بني جمْلَة الذي ذكره في في قَصيدَتِهِ « يا ضَيْ عْيَاني» يقول فيها:

يا كَحْلَ النّخْلَة طِرْفي الأمْزانْ
لأَهْلْ بْني جَمْلَة يَحَفْظَكْ مُولانَا الرّحْمن

قضى صباهُ على غرار أطفال تلمسـان بين الكّتـاب والمْسـيد (المدرسَـة) والحانـوت؛ حيـث كانـت العـادة تقتضـي تعليم القـراءة والكتابة والحرفة الضّروريـة لضمان الرّزق، تعلّم في صغـره حرفةَ الحياكة (الدّرَازْ) وهي الحرفة الرّائجة أنذاك، والتّي اشـتهر بإجادتها

أهل مدينة تلمسان، عاش حياة قلقة في ظلّ الأوضاع التي عرفتها تلمسان في هاته الحقبة من تاريخها، ومع ذلك حافظ على صبرٍ عجيبٍ وهدوء تامٍّ، نُفي ابن سهلة إلى مدينة وهران، وقيل إلى مدينة وَجْدَة بالمغرب الأقصى على إثر شَكْوى رفعها ضدّهُ أهالي تلمسان إلى الحاكم، لأنّه أكثر التّغزل بنساء المدينة، بعد عامّ ونصفٍ عاد إلى تلمسان بعد أنْ عفا عنه الحاكم واستقرّ به المقامُ في ناحيّة فدّانْ السّبَعْ، إلّا أنّه لم يغيّرْ وجهة أشواقهِ، وظلَّ ينظم شعرَ الغزل متفنّنًا في وصفِ الحبيب وفي مجالسّ الطّرب والغناء وذكرِ آلام الفراق والهجران.

اهتمّ الشّاعر بومدين بن سهلة بالطّرب والغناء، وقال الشّعر مبكّرًا، وكانت ملهمته فتاة تدعى بدرة تهوى الاستماع لأشعاره، وهو ما فجَّر قريحة الشّاعر، وصار يكتب أشعارًا يُخاطب بها فتاة أحلامه التي هام بها، ووجّه شعره لها مباشرة، فنظم قصائد في محبوبته بدرة، وتعلّقه بها كان سبب عبقريته في نظم الشّعر، وكانت هي تحفظ شعره وتصغي إليه خصوصًا القصائد التي قيلت فيها. كان الشّاعر يتمتّع بصفاتٍ جميلة، كحسن العشرة وخفّة البديهة، وله قدرة على التّعبير، فكان يردّد الكثير من القصائد في الأعياد والمُناسبات الدّينية بتلمسان، وقد أتاحت له البروز والنّجاح في مجالسّ اللّهو التي طالما شغف بها الشّاعر على غرار الشّعراء الآخرين فيقول:

العَودْ والأوْتارْ في الرّأسْ الْقوسْ
والرّبَابْ والكَاسْ
مْع جَميعْ بْنايَنْ النّاسْ يَزهى كُل
زَهْواني
وأنَا قَاطَعْ ليَّاسْ ماصَبْتْ مَنْ
يْزَهّيني.

وبحكم وجوده في بيئة راقيّة ووافرة الرّخاء، تتوفّر فيها جميع أسباب الحضارة والازدهار، إلّا أنّهُ كان يُعاني ما عانته الطّبقة الشّغيلة الكادحة من الفقر والحرمان نتيجة سوء تصرّف الحكّام في المنطقة وجشع الأغنياء، فنجده يعيشُ هذه الحالة المُزريّة، فأثّر شعرُه في الرّأي العام، وأحسَّ بعضُهم عليه، فارتحل إلى أقصى غربِ الشّمال الجزائري، وواصل مهاجمة الحكّام بأشعار منها قوله:

رانِي مَنْ حُبّكْ يا إمَامْ الغِيـــــــدْ
مِثْل الطّير اللّي حاصل في الأشْجانْ.
عابَـدْ غير التّخمَـــــامْ والتّنْكِـيدْ
هايَـــــمْ مهمومْ مْريضْ في الأحْزانْ
ما نرضَـــــى شي عُمري نبوسْ الإيد
وعلى وجْهَكْ جَرَّعْتْ كُل أمْحَـــــانْ

يغلبُ على أشعارِ بومدين بن سهلة الرّمز وذلك راجع إلى طبيعة الحكم السّائد في عهده فقد عبّرت معظمها على مرارة الواقع المعيش وبذلك لقيت تجاوبًا من فئات الشّعب، فعرفت انتشارًا واسعًا وراح يردّدها الحضري والبدوي، ولم تقتصر على غرض واحد، بل تلوّنت وتعدّدت بين اللّزوميّات والاستعطاف والشّكوى والفخر والغزل والتّوسل والابتهال وما إلى ذلك، وأروع ما أبدع فيه كان الوصف مع أنّه لم يكن من أصحاب التّنميق والزّخرفة والتّأنّق اللّفظي.

نظم الشّعرَ في العديد من الأغراض منها: الغزل، والشّوق والحنين، والشّكوى والتّوسّل، والمديح، كان يُحسن استهلال قصائدة التي ما عُنونت غالبًا بمطالعها نذكر منها:

يَا ضَوْ عْيَانِي، ومطلعُها:

يَـا ضـوَّ عْـيَـانِـي
يَـا الـقُـمْـرِي زَرْق الْـجَـنْـحَـانْ
جَـمَّـلْ وسْـعَـانِـي
سَـلَّـمْ عْـلَـى نَـاسَ تْـلَـمْـسَـانْ
كُـونَـكْ سِـيـسَـانِـيغ
حَـدْ لاَ تَـقْـرَا فِـيـهْ آمَـــانْ

كِيفْ اعْمالِي وحيلْتي. ومطلعها:

كِيفْ عْمَلي وحيلْتي لمَنْ نشْكي بِذا
الأمَر
كيفْ عمَلي وحيلْتي يا ولْفِي صَابَغْ الشّفرْ

يارْقِيفَ الْحَاجَب، مطلعُها:

يَـا رْقِـيـفَ الْـحَـاجَـبْ مَا عْـطَـى لَكْ
رَبِّـي
مَنْ زِيـنْ يَـا رْقِـيـفَ الْـحَـاجَـبْ
مَاْطَى لَكْ رَبِّـي مَنْ زِيـنْ
يَـا رْقِـيـفَ الْحَاجَبْ
وَالْعَيْـنْ فَـضـلَـكْ عَنْ جْـمِـيـعَ
الْـبَـرِّيـنْ
كَـالْـهْـلاَلَ الرّاقَـب.

محبوبي طال جفاه

مَحْـبُـوبِـي طَـالْ جْـفَـاهْ يَا وَلْـفِـي
تَـاجَ الْـبَـاهْـيِـينْ لاَشَ حْـبِـيـبَـكْ
تَـنْـسَـاهْ
يَـا وَلْـفِـي تَـاجَ الْـبَـاهْـيِـينْ
زِيـنَـكْ فَـايَـقْ عَنْ كُـلْ زِيـنْ
الْـبْـنَـاتْ مْـشَـاوْا مْـسَّـلْـمِـينْ
لْـزِيـنَـكْ يَـا مَـا أبْـهَـاهْ
الْخْدُودْ كَالْوْرُودَ الْفَـاتْـحِـينْ
وَرْدَ مْـرَشَّـشْ بْـنْـدَاهْ

خَاطْرِي بَالْجْفَى تْعَذَّبْ مطلعُها

خَاطْـرِي بَالْجَـفَى تْعَـذَّبْ
لاَ بَا يَنْسَى اَلْغْزَالة مَسْبُـوغَةْ اَلاَنْـجَالْ
نَارْهَـا فَالدّلِيـلْ تَلـهَـبْ
رْقَتْ جُوفِي وْجَيْحَتَ غُصْنِي وَذْبَالْ
مَـا صَبْتْ اَطْبِيبْ لَلْغْزَالْ اَعْيِيتْ اَنْسَالْ
آشْ دْوَاكْ يَا الطّـالَـبْ
غَـابْ دْوَاكْ يَا سِيدَ الطّـالَبْ

مِن قصائِده التي نالتّ رَواجًا:

القصيـدةُ التـي يشـكو فيهـا محنَـة الغرام للفقيـه الشّـيخ (الطّالَـبْ) فلا يملـك هذا له إلا النّصـح والمواسـاة، وقـد غنّاهـا المغنّي الحاج الهاشـمي قروابي رحمـه الله بالطّابع العاصمي الذي يقرن بين الشّـعبي العاصمي والأندلسي:

قَـالْ الطّـالـبْ اصْـبُـرْ عَـلـهـا اسْـمَعْ
لَـوْصايْـتـي ثْـفـيـدَكْ
انْـهِ قَـلـبَـك اذا تْـفَـكّـرهـا انـسـاهـا
كِـيـفْ مـا نْـسـاتَـكْ
عُـمـرَكْ ضـاعـتْ فـي هْـجَـرْهـا
وتْـبَـدّل يـاعْـشـيـقْ لُـونَـكْ
بَـطّـلـت صْـوالـحَـك عْـلـيـهـا
مْـضَـات آيَـام مـن زمـانَـكْ
خـذ رايـي ولا تْـكـذّبْ اِسمَعْ لأهل
العْقولْ كيفْ تَضربْ الأمثـالْ
لَـيـسْ مـرّ يـعـود طَـيّـبْ صـبُـر
لَـعـذابْـهـا حـتّـى يُـزَالْ
وايْـنْ دْواكْ يـا الطّـالـبْ غَـابْ دواك يـا
الـحـاكَـمْ

قَالْ الطّالبْ حْصَلْتْ حَصْلة في
شَركة قَيْس يا العَارفْ
قَيس عَادْ يَرتْجى فِي ليلى
خانت في عَهدها العاكَفْ
وَانْتَ اتّبَع في الخْليلة عَامين
وَلا بْغَاتْ تَعْطَفْ
تَلْقاها ما جْبَرْتْ حيلة ربّي
بيا وبيك يُلْطُفْ
راه ربي الكْريمْ رَاقَبْ إذا هوّلْتْ
خَاطري اشَدَّ التّهْوالْ
ضَاقْ أَمْري وصَرْتْ رَاهَبْ لَوْ نَحْكي
هْمُومي لَشْواهَقْ الجْبَالْ

واين دواك يا الطّالب غَابْ دْوَاكْ يا
الحاكَمْ
يا الطّالَب لُو نْعيدْ هَمّي
لَحْبيبي يذوبْ من شْكايا
كُفْ خْطَابي خْتَمتْ نَظْمي
نَشْهَر إسمي ومُرتْجايا
بن سَهلة ما خْفيتْ اسْمي لَبْدا
نُوّاحْ من شْكايا
في القَلْبْ تَركتْ هْمُومِي
واقْدَاتْ النّارْ فِي حْشَايا
توفي الشّاعرُ بومدين بن سهلة عامّ 1703ه الموافق 1826م بتلمسان، ودفنَ بالقربِ من قبر الشّيخ السّنوسي بتلمسان - رحمه الله-

ترك الشّاعر بومدين بن سهلة ديوان شعر حقّقه وعدَّله محمّد عمرو الزّرهوني.

مجموعة من القصائد ضمن مخطوط عائلي تتطلّب التّحقيق.

عبد الناصر بوعلي

المصادر:

- حشلاف محمّد، ديوان الشّيخ التّلمساني بومدين بن سهلة، تحقيق محمّد بن عمرو الزّرهوني، الجزائر، ط1، 2001.
- ابن سهلة الدّيوان، جمع وتحقيق وضبط وتعقيب، شُعيب مقنونيف، دار الغرب للنّشر والتّوزيع وهران، الجزائر، 2002.

■ بية بنت باحمد بن قاسم موسلمال (و:1332ه - 1913م/ت:1438ه - 2017م)

الأم الفاضلة بية بنت باحمد بن قاسم موسلمال المعروفة بـ«بية نالحاج قاسم بهدي» ولدت ببريان سنة 1913م الموافق لـ: 1332هـ نشأت وترعرعت في أسرة كريمة ميسورة الحال بين أحضان أمها شيخة بنت محمّد بن إبراهيم صالح والحاج مع أبيها وأخواتها.

تعدّ من النّساء الصّالحات اللّواتي شيدن صرح الأمة؛ امرأة ورعة تقية، شاهدة على العصر، حباها الله بعقل رزين، وخلق كريم، تنتمي إلى عشيرة آل انشاشبة وأولاد يونس.

أخذت الأم بية العلم تلقينا من المعلمة مامَّة عيسى واعمر (مَامَّه نْ عَفَّارِي)، ومريامه بنت ابراهيم بهون، ومنَّه بنت الحاج عمر بوكراع (منَّه نَ الحاج)، حيث حفظت نصيبا من القرآن الكريم، وتعلَّمت فرائض الصّلاة، وأحكام العبادات الشّرعية الأخرى، إضافة إلى دروس وعظيه توجيهية تربوية، كما كانت تزور من حين إلى آخر السّيدة عائشة شقيقة قطب الأيمة الشّيخ اطفيّش في بني يزجن، لتأخذ منها الكثير من المعارف.

إضافة الى كل ما تلقته من معارف وحفظ للقرآن الكريم في صغرها، فإنها لازمت في كبرها حضور دروس ومحاضرات الشّيخ محمّد أوبراهيم من بني يزگن، الذي كان ينتقل من دار علم إلى آخر عند قدومه إلى بريان، وكانت تحضر دروس دار العلم للوعظ والإرشاد، خاصَّة دروس الشّيخ بكير بن محمّد ارشور رحمهم الله جميعا.

كانت حينها من صغيرات العمر «الشّبابات» اللواتي قلما يخرجن من البيت، بسبب العرف المتبع آنذك، فتترك أبناءها مع ابنتها الكبرى وتذهب لسماع الموعظة، وللأم طريقة حكيمة وهيئة خاصة تجلس بها في دار العلم -عُرفت بها- وهي أن تُدلي الحائك الصّوفي من على وجهها لتركز على سماع الموعظة، ولكي لا يفوتها شيء منها وهي تجول بأنظارها بين الحاضرات.

في سنة 1926م تزوجت الأم بية بنت باحمد موسلمال من السّيد الحاج قاسم بن صالح بهدّي (صاحب 18 ربيعا) وعمرها 13 ربيعا.

اشتغل زوجها الحاج قاسم بهدي فلاَّحا ليكون بعد ذلك قيّما للمسجد وعضوًا في حلقة العزّابة الموقرة وناشطًا اجتماعيا...، تكفل بجميع مصاريف أسرته، وتفرغت الأم بية لرعاية زوجها وأهله، وتربية أبنائه، فقد أنجبت 06 ذكور و06 بنات، لم يعش منهم إلا 05 بنات: شيخة، لالة، مريامة، عائشة، منة.

أحبتها حماتها، لتواضعها وحسن عشرتها، ولمكوثها في البيت الذي لا تغادره إلا للضرورة القصوى، وكانت كثيرة النّشاط والحيوية أمثال بنات جنسها آنذاك، إذ يبدأن يومهن قبل وقت السّحر بإعداد القهوة لأزواجهن وحلب المعاعز للحصول على حليب يومهن، وطحن الشّعير، ثم يستعدن للصلاة، وبعد أدائها يتجهن إلى المنسج وتجهيز الصّوف أو أعمال أخرى كالذهاب إلى البستان لمساعدة أزواجهن وأبنائهن...

الأم «بية نباحمد « مثال للمرأة الصّالحة التي قل مثيلاتها في هذا الزّمان، الذي اختلط فيه الحابل بالنّابل، كانت حكيمة صبورة، مجاهدة مطيعة، وقفت إلى جانب زوجها في أصعب الظّروف وساندته بالنّفس والنّفيس، ساعدته في رعاية ابن عمه ـ اسماعيل ـ من ذوي الاحتياجات الخاصة، الذي كفله إلى أن وافته المنية فكانت تواظب على اطعامه ونظافة ملابسه.

نشأت الجدّة «بية ن باحمد» في بيئة متواضعة بسيطية، زاهدة، عابدة، شاكرة لأنعم الله عليها. تحكي لأبنائها وزوارها في حواراتها وفي سردها والأحداث عن معيشتهم الصّعبة، وعن مؤونة الشّعير التي كانت تُقدم لهم بشق الأنفس في وقت الاستعمار؛ ببطاقة التّعريف بعد طول انتظار وفي طابور طويل.

كما أنها عاشت عدّة فترات زمنية عصيبة من فتن وحروب وكوارث طبيعية، وفقدٍ لفلذات كبدها، حيث

فقدت أبناءها السّتة الواحد تلو الآخر؛ اثنان منهم توفيا وبينهما أقل من أسبوع، احتسبتهم جميعا في الجنان عند الرّحمان.

أما بناتها فقد فقدت منهن ثلاثة: الأولى توفيت وهي رضيعة، والثّانية توفيت متأثرة بمخاض ولادة عسيرة تاركة لها أيتاما، والثّالثة اغتالتها أيادي الغدر الارهابية - أحداث بابا علي بالبليدة - تاركة أيتاما أيضا، فكانت لهم الحضن الآمن والسّند القوي بعد الله عز وجل ولذلك سميت بـ «كافلة الأيتام».

صبرت ورابطت على تربيتهم واحتوائهم إلى أن بلغوا سن الرّشد ليعتمدوا على أنفسهم بالنّسبة للذكور، أما البنات فاعتنت بهن إلى أن زوجتهن، ومع ذلك ضل حضنها وبيتها مفتوحا لهن إلى آخر نفس لها.

كانت الأم «بية ن باحمد» صاحبة ذاكرة قوية، وحافظة سليمة، تروي الكثير من الحكايات والقصص ذات المغزى التّربوي والعلمي، لا تحبذ القصص الخرافية التي لا مغزى منها ولا فائدة، ومع ذلك كان في قصصها شيء من الخيال الممزوج بحوادث واقعية، والتّي فيها الكثير من الحكمة وشيء من الكرامات...

منها مثلا: صاحبة التّاج، الفتاة والشّرف، الفقير والغني، وقصة الشّاب والياقوتة، قصة «موش نبخيرة «وقصة الفتى الذي علمه أبوه ثم باعه « قيمة العلم»... قصة المرأة التي تتصدق كثيرا، قصة المرأة التي أكلت من غذاء الفرس، سلطان السّماء يخبر سلطان الأرض وغيرها كثير.

كانت محبة للعلم وأهله، ذات حافظة قوية وذاكرة سليمة، صمتها الحكيم يسبق كلامها الرّزين، فكان لكل من جلس إليها نصيبا من ارثها المعرفي في حواراتها المفيدة وقصصها الشّيقة.

كما كانت تحدثهم كثيرا عن عادات وتقاليد زمانها وزمان الأجداد الذي عاشوه بين التّشييد والتّشديد، بين بناء القصور وبناء الانسان، بين الجهادين الأكبر والأصغر، جهاد النّفس والجهاد في سبيل الله والوطن.

وفي حديثها كثيرا ما تتدحرج دمعة من مقلتيها لتعلن عن ألم دفين، تخفيه ابتسامة مشرقة، وأحيانا أخرى تطأطأ رأسها لتتذكر مواقف وأحداثا، ثم تعود لترفعها، معلنة بداية رحلة مشوقة مع سرد جديد، لقصص وأحداث مختلفة... ومن شدة تواضعها وحبها للعلم عموما والشّرعي خصوصا، كانت تستزيد بدورها ممن يزورها خاصة طلبة العلم منهم.

الجدَّة «بية ن باحمد» معروفة في الوسط النّسوي، بل في المجتمع البرياني، كرّمها الله، فأحبها الجميع، الغني والفقير، الكبير والصّغير، الذكر والأنثى...

وإنّ مما أثر عنها أن من يعرفها من نساء البلدة، يجتمعن في بيتها للزيارة والدّعاء، خاصة في المناسبات الدّينية كالأعياد ويوم عاشوراء، أحبت الجميع فأحبوها، تفرح بزيارتهم لها، تستقبلهم ببشاشة وابتسامة تملأ المحيا، فكانت الضّوء الذي ينير دربهم بطيبتها وحكمتها ونصحها وارشادها ودعائها.

مما أثر عنها أيضا أنها كانت محافظة على نعمة حواسها فاستعملتها فيما يرضي الله، وكانت صوّامة قوّامة، دائمة الطّهارة لسانها رطب بذكر الله، سخية يدها مبسوطتان تنفق مما لديها ولو كان بسيطا، كانت تكرم الأطفال كثيرا فإن لم تجد ما تقدمه لهم تعطرهم من عبق رياحينها.

ومن الصّدقات التي عُرفت بها أنها كانت كل عامّ تحيي وقف» التّنوبا « لتلم شمل العائلة جميعا، وأوصت بالحفاظ عليها حتى بعد مماتها.

لم تغادر الأم بية البلدة في صغرها وشبابها إلا لقصر آت يزجن وقصر تغردايت بسبب العرف المتّبع آنذك - منع سفر المرأة نحو الشّمال - ولكن بعد زواج بناتها وأغلب حفدتها -حفظهم الله-، وانتقالهم إلى العيش في مناطق مختلفة داخل الوطن وخارجه، كان لها أن تسافر إليهم هنا وهناك، فكانت الشّجرة الطّيبة المباركة التي طالتّ جذورها داخل وخارج الوطن، وهم الثّمار الطّيبة خير خلف لخير سلف، فقد سافرت إلى العاصمة وقسنطينة وفرنسا و... حيث بناتها وحفدتها رجالا كانوا أو نساء، عرفانا لها على طيبتها وصبرها وجهادها في رعايتهم-رحمها الله-.

ذهبت إلى البقاع المقدسة أول مرة سنة 1978م لأداء مناسك الحج وشُهد لها بحسن الخلق والعشرة الطّيبة ومبادرتها في العمل الخيري التّطوعي. ثم عاودت الزّيارة بعد ذلك مرتين الأولى للحج والثّانية للعمرة.

مرضت الأم بية أياما معدودات قبل أن تنتقل روحها إلى بارئها ولسانها رطب بذكر الله، كانت تطلب ممن يزورها أن يتلو معها آيات بينات من الذكر الحكيم، توفيت عن عمر ناهز 104 سنة، في يوم: 03 مارس 2017م الموافق لـ: 04 جمادى الآخرة 1438ه، رحلت بعدما جاهدت في الله حق جهاده، رحمها الله رحمة واسعة واسكنها فسيح جناته مع الأنبياء والرّسل والشّهداء والصّديقين والصّالحين وحسن أولئك رفيقا.

فاطمة بنت صالح بورقيبة

المصدر:

- جلسات شخصية مع الأم العلم.
- مجموعة مؤلفين، نساء في القمة بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، مؤسسة الذاكرة، بريان، 2022م
- الذاكرة الشّعبية للمجتمع البرياني.
- بنات الأم العلم وحفدتها.

ت

■ تجيني الطّاهر
(و:1334ه - 1916م/ت: 1397ه - 1977م)

مـن مواليـد 16 مـارس 1916 بعين ماضي على بعد 800 كلم مـن مدينة الأغواط، تلقى تعليمـه الأولـي بالمدرسـة القرآنية بمسـقط رأسـه، ثـم نقلـه والـده للدراسـة بمدرسـة الأغـواط، بعدها رحل إلى المغرب الأقصى عنـد شـقيقه البكـر وهنـاك واصـل دراسته الثّانويـة بالربـاط، وعـاد بعدها إلـى الجزائر العاصمة لتحضير شهادة ليسانس في الآداب بجامعـة الجزائر، كمـا درس الحقوق بنفس الجامعـة. كان مُتقنا للغة العربية والفرنسـية، وناشـطا في النّقابة الطّلابيـة بجامعة الجزائر في أواخر الثّلاثينات.

بدأ مسيرته الكشـفية مع محمّد بوراس، وبعـد إعـدام هـذا الأخيـر فـي 27 مـارس 1941 نُقـل تجيني من طرف إدارة الاحتلال إلـى مرسـيليا كعقاب لـه، ليعـود في 1941 للتدريـس فـي ثانوية سـكيكدة حيث مكث عـدّة سـنوات. بعدمـا عرفـت الكشـافة الإسـلامية الجزائريـة تذبذبـات كثيـرة، قادها فـي هـذه المرحلة مؤقّتـا الصّيدلاني بوكردنـة عبـد الرّحمـن، هـذا الأخيـر عيّن القائـد تجينـي الطّاهـر أمينا عامـا لفيدرالية الكشـافة الإسـلامية الجزائريـة، واسـتطاع بنشـاطه الدّؤوب أن يعيد النّشـاط الكشفي إلـى مسـاره الصّحيـح بتكثيـف تجمعـات كشـفية أبرزهـا فـي «لا لا سـتي» بتلمسـان عام 1944.

اشـتهر تجيني بسياسـته الرّشـيدة ونظرته الاسـتثنائية للعمـل الكشـفي التربـوي والتكوينـي، أهّلته لرئاسـة فيدرالية الكشـافة الإسـلامية الجزائريـة، واسـتطاع خلالها أن يسـهم فـي تنظيم وتـوازن أفواجها الكشـفية عبـر القطر الوطنـي، كما كان لـه دور ريادي في الحفاظ على الهويـة الوطنية، إلى جانب تنظيـم عـدة تظاهـرات مـن أهمهـا الأيـام الدّراسـية بقسـنطينة مـن 20 إلى 24 سـبتمبر 1946، حيـث أعاد ترتيب الهياكل الكشـفية، وإعطـاء توجيهـات عامـة للبرامـج التربوية والتكوينيـة لفيدراليـة الكشـافة الإسـلامية الجزائرية، إلى جانب مشاركته في تظاهرات دولية مخصّصة للشـباب الكشـفي، كما كان مهتمـا بنشـاط جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائريين برئاسة البشير الابراهيمي، ورواد الحركة الوطنية.

انضـم تجينـي كغيـره مـن قـادة فيدرالية الكشـافة الإسـلامية الجزائريـة إلى صفوف جبهـة التحريـر الوطنـي عـام 1955، وأصبح عضـوا فـي شـبكة الإعـلام. ونظـرا للرقابة المفروضـة عليه من قبـل السّـلطات الأمنية الاسـتعمارية قـرّر اللجـوء إلى فرنسـا، ومن هنـاك توجّه إلـى المغرب. وفي 20 ديسـمبر 1958 أصدرت المحكمة العسكرية الفرنسية حكمـا غيابيـا عليه بعشـرين سـنة سـجنا مع الأشـغال الشّـاقة بتهمـة الانضمـام بصفـة عضو لخليـة الإعلام التابعة لجبهـة التحرير الوطني.

بعـد اسـترجاع السّـيادة الوطنية، شـارك فـي مؤتمـر الوحـدة الكشـفية فـي سـبتمبر 1962، وانسـحب بعدها من النّشاط الكشفي ليكرس جهـوده في خدمة القطـاع التربوي، حيث اشـتغل مديرا لثانوية عقبـة بن نافع في الجزائر العاصمة، كما شـغل وظائف عديدة منها أميـن عام بـوزارة الأوقاف، ثـم للتربية الوطنية، مع الاحتفـاظ بمنصبه مديرا لثانوية عقبة بن نافع. كتب

العديد من المقالات نُشرت في النّشريات الكشـفية، ومـن إسـهاماته غيـر المنشـورة مذكـرة دراسـات عليـا وُصفـت بالنموذجية فـي الوضـوح والالتـزام. وافته المنيـة في 7 جانفـي 1977، ووُري الثّـرى بمقبرة بوزريعة فـي موكـب جنائـزي حضره جمـع غفير من الأصدقاء والتلاميذ.

سمية خامس

المصادر:

- أبو عمران الشّيخ -محمّد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية 1935-1955، ترجمة: مولود طياب، مسن وفوزي سعد الله، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائة، 2008، ص 423.
- ذاكرة كشاف، برنامج وثائقي مؤرخ في 25 فيفري 2025، من إعداد الفريق الإعلامي لقدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية، في إطار مشروع الذاكرة الجوارية وبالشراكة مع وزارة المجاهدين وذوي الحقوق.

■ تيبغورين بن عيسى بن داود الملشوطي
(النّصف الأول ق: 6ه - 12م)

عالم من ملشوطة بوادي ريغ، سكن آجلو، وأخذ علمه عن أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت: 471هـ/ 1078م)، وعن أبي محمّد عبد الله اللتتي.

له غار اتّخذه حلقة للتعليم في تِينْ يَسْلِي، وممَّن تخرَّجت على يده العالمةُ عائشة بنت معاذ. وكان كما قال عنه الشّمَّاخي: «أعظم النّاس قدرًا، وأشدّهم عملاً».

من أعماله:

1. كتاب أصول الدّين المشهور بـ «عقيدة تبغورين»، وقد حقَّقه الدّكتور عمرو خليفة النّامي ملحقًا بأطروحته للدكتوراه؛ وعليه عدَّة شروح وحواش: منها:

- حاشية أبي ستة محمّد بن عمر المُحشِّي، (مخ) منه نسخة بمكتبة الشّيخ محمّد مطهري.
- مرآة النّاظرين في أصول تبغورين، لعمرو بن رمضان التّلاتي الجربي (مخ)، منه نسخة بمكتبة القطب اطفيش، ونسخة مكتبة البغطور بجربة.
- نخبة المتين من أصول تبغورين، للتلاتي أيضا، (مط) ضمن مجموع.
- حاشية أبي يعقوب يوسف بن محمّد المصعبي، وقد حقَّقها الباحث حمو شيهاني، في إطار رسالة الماجستير بجامعة محمّد الخامس بالرّباط.
- شرح أصول تبغورين للقطب اطفيش (مخ) منه نسخة بمكتبته، وأخرى بمكتبة محمّد بابانو.

2. «الأدلّة والبيان»: في أصول الفقه، (مخ) ومنه نسخة مصوَّرة بمكتبة الأستاذ مصطفى باجو.

3. وينسب إليه «كتاب الجهالات» (مخ) بمكتبة آل يدر، ومكتبة متياز، والبارونية بجربة... وقد وضع عليه الشّيخ أبو عمار عبد الكافي التّناوتي شرحا (مخ) بمكتبة الإستقامة، وقد حقَّقه عمر ونيس لإعداد رسالة دكتوراه درجة ثالثة بالكلية الزّيتونية للشريعة وأصول الدّين، نوقشت في ماي 1406هـ/ 1986م، ولعلَّ الصّواب في تحقيق نسبة الجهالات هو رأي الجعبيري الذي توصَّل إلى أنَّه «اشترك في تأليفه عدد من الشّيوخ».

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- السّوفي: السّؤالات (مخ) 430
- الوسياني: سير (مخ) 1/ 114؛ 2/ 191، 264
- الشّمّاخي: السّير، 2/ 89، 96 الجيطالي: قواعد الإسلام، 1/ 90 تع1
- البرادي: الجواهر المنتقاة،221
- السّالمي: اللمعة المرضية،29 حفار: السّلاسل الذهبية (مخ) 21
- علي معمَّر: الإباضية في موكب التّاريخ، 4/ 123
- الجعبيري: البعد الحضاري، 116...
- ينظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، المطبعة العربية - غرداية، ط1، 1999، ج2، ص208.

ج

■ جميلة عمران دانيال مين
(و: 1358ه - 1939م/ ت: 1438ه - 2017م)

ولدت جميلة عمـران دانيال مـين بمدينة نيولـي سورسـان (Neuilly– sur seine) فـي فرنسـا يوم 13 أوت 1939، هي ابنة المجاهدة جاكلين قروج، التي تعد بطلة فذة فترة الثّورة التّحريريـة. قدمت إلـى الجزائر مـع والديها وهي في السّن الثّامنة من عمرها، كان والدّها بيير مين يشتغل أستاذا للفلسفة ويعد مناضلا قديمـا ومناهضـا للاسـتعمار فـي السّـنغال ونفي منها سـنة 1947، ووالدّتهـا جاكلين نتر (Jacqueline NETTER) التـي تم تحويلها من فرنسـا إلى التّدريس في شتوان بتلمسان. بعد طلاق والدّتها تزوجـت جاكلين مع جزائري اسمه عبد القادر قروج مناضل شيوعي.

اقتنعـت بفكـرة النّضال من أجـل القضية الوطنية الجزائرية بعدما لاحظت فرقا شاسعاً بين الأوروبييـن والكولـون والجزائريين في نمط العيش ومن حيث الحقوق والواجبات، وقد عبرت عـن ذلك قائلة: «لـم أفهم كيف كان ذلـك ممكنـا» (Jacqueline Martine، 2017، 215).

بـدأ مسـارها النّضالـي باسـتجابتها لنداء الاتحاد العـام للطلبة المسـلمين الجزائريين (UGEMA) شـهر مـاي من سـنة 1956، حيث أدلت بشـهادة حول ظـروف التّحاقها بالثّورة التّحريريـة قائلة: ”انخرطت في سـرية سـنة 1956، وكان عمري 17 سـنة؛ أحسست بأنني ما زلت طفلة، لكنني فهمت حجم المسؤولية الملقـاة علـي. لقـد واجهـت فرنسـا، القـوة العسـكرية الرّابعة عالميا، مجموعات يسيرة مـن المناضلين يفتقـرون إلى أسـلحة قوية“ (Mostéfa Khiati، 169). وقد كلف انضمامها

إلى الثّـورة التّحريرية نفـي عائلتها من طرف حاكم وهران ليستقروا سنة 1956 في الجزائر. شاركت سنة 1956 في إضراب تلاميذ الثّانوية والطّلبة، لتواصل نشاطها النّضالي بعد ذلك، وفي سياق معركة الجزائر التّحقت بمجموعة محنـد أرزقـي بـن ناصر، بعـد تلقيهـا تكوينا مكثفـا، تم تكليفهـا بنقل وثائق وأسـلحة مع المشـاركة في الأعمال التّفجيرية. كما قامت بمـداواة الجرحى مـن المناضلين والشّـعب بصفتها ممرضة.

انخرطـت في شـبكة القنابل فـي المنطقة الحـرة بالجزائـر. كان عمرهـا 17 سـنة فقـط لمـا قامت بوضع قنبلة يـوم 26 جانفي 1957، شارع ميشلي بالجزائر. ولما اكتشفتها شرطة السّلطات الاسـتعمارية التّحقت بالنّضال في المنطقـة الثّالثّـة أين تولـت مهمـة التّمريض (ممرضة). قام العقيد عميروش قائد المنطقة الثّالثّة بتحويلهـا رفقة كل النّسـاء المرافقات لهـا إلى تونـس، جـراء تشـديد الرّقابـة على المنطقـة ومحاصرتهـا مـن طرف السّـلطات الاسـتعمارية؛ لكـن تم محاصرتهـن من قبل الاسـتعمار في منطقة مجانة، واستسـلم قائد المجموعة مما أدى بالسّـلطات الاستعمارية بتوقيـف جميلة عمران وتحويلها إلى سـجن بربـروس، حيث حكم عليها بسـبع سـنوات من السّجن من طرف المحكمة العسكرية في الجزائر، ليتم تحويلها بعد ذلك إلى السّـجن بفرنسا.

بعد الاسـتقلال أُطلق سـراحها، وسـعت في تحسين مستواها في اللغة العربية محادثة وكتابة، كما تحصلت على الجنسية الجزائرية وتزوجـت سـنة 1964 بجزائـري وهـو رابـح عمران، طبيب أسنان، وولدت فيه ثلاثة أبناء: ولد سنة 1965 وبنتان: 1970 و1976، واصلت دراسـتها وناقشـت أطروحة الدّكتوراه حول «النّسـاء الجزائريات المناضـلات»، وذلك باعتمادها على شـهادات 88 امـرأة، نالتّ بها درجـة الدّكتـوراه بملاحظة مشـرف جدا مع تهنئة لجنة المناقشة سنة 1988؛ نشرتها لاحقا في كتاب. أصبحت جميلة عمران دانيال مين سنة 1999 أستاذة التّاريخ والدّراسات النّسوية بجامعـة تولـوز بفرنسـا. وعينـت سـنة 2002 أستاذة جامعية. (Mostéfa Khiati، 169).

تعتبـر جميلة عمران دانيال مين من النّسـاء الشّـجاعات المجاهـدات اللواتـي نلـن لقب واضعات القنابل، توفيت يوم 11 فيفري 2017، عـن عمـر يناهـز 78 سـنة، ودُفنـت فـي بجاية تاركـة وراءهـا رصيـدا علميا وتاريخيـا زاخرا يتشكل من عدة مؤلفات باللغة الفرنسية منها: «النّسـاء الجزائريات في الحـرب». (1991). منشـورات بلـون، باريـس، فرنسـا؛ «نسـاء في حـرب الجزائـر: حـوارات»، منشـورات

كارتـالا، باريس، 1994، إلـى جانب مجموعة من المقالات العلمية والأكاديمية حول الثّورة التّحريرية ومسألة التّعذيب. كما نالتّ الجائزة الأولى لجون أفريك سنة 1962، لتنظيمها أبيات شعرية. ألفت كتاب حول «البوقالات» حول مسيرتها النّضاليـة إبـان الثّـورة التّحريرية لما رجعت إلى مدينة تلمسـان من سنة 1962. كما شـاركت في عدة ملتقيات علمية حول المرأة المناضلـة، إلى جانب إسـهامها بمقـال باللغة الفرنسية في «الموسوعة السّياسية والتّاريخية للنساء»، منشورات الجامعية الفرنسية، إشراف كريستين فوري، سنة 1997.

تكريما لنضالها وعرفانا لمسيرتها البطولية التّاريخيـة، أُطلق على متوسـطة في مدينة آقبو بولاية بجاية اسـمها، قبل وفاتها بسنوات دون علمها، حيث تُدعى حاليا: متوسطة دانيال مين.

نجاة لحضيري

المصادر:

- Mostéfa KHIATI. (2020). «Femmes ayant marquées l'histoire de l'Algérie», Alger: ANEP éditions.
- Jacqueline Martin, «Danièle-Djamila Amrane-Minne (1939-2017), Moudjahida et historienne des moudjahidates », Clio. Femmes, Genre, Histoire [En ligne], 46 | 2017, mis en ligne le 01 décembre 2020, p p 215-219.

■ جَنُّون بن يَمْرِيَان اليهراسني الوارجلاني (أبو صالح)

(أوائل ق: 4هـ - 10م)

من سـدراتة إيزُوزَام، كان شـيخ الإباضية بوارجـلان، تتلمذ على أبي يوسـف يعقوب الطّرفـي -الذي أخذ العلـم عن بعض الأيمة الرّستميين بتيهرت -.

كان عالمـاً غزير المـادة، ذكيـاً، وكان قد حزم أمـر وارجلان ووحَّـد بينها وعمل على إطفـاء الفتنـة التـي أشـعلها أبو سـليمان بن يعقوب الفرثي صاحب الفرقة الفرثية.

وكان بالإضافـة إلـى ذلـك يشـتغل فـي مزارعـه الواسـعة، وينفق بسـخاء على العلم وأهله.

مـن آثـاره العلميـة تآليـف قضـت عليها الفتن، بقي منها قصيدة مشـهورة في الوعظ: مطلعها:

باسم الإله الذي أمضى على البشر
أحكامه فجرت في الخـلق بالقدر

وكـذا وصايـاه التـي أورد الوسـياني منها تسـعا، وجَّههـا لابنـه؛ وروايـات رواهـا عنه تلميذه إبراهيم ابن إسماعيل نقلها الشّمّاخي في سـيره؛ وفي كتاب السّؤالات لأبي عمرو عثمـان بـن خليفة السّـوفي روايـات عنه في العقيدة والفقه؛ وله في كتاب المعلّقات -في حكايات أهل الدّعوة -

فتـاوى منهـا ما رواه عنـه الشّـيخ إبراهيم بـن يحيـى، ومنها مـا رواه عنه الشّـيخ يحيى بـن بكر.

بنـى فـي أوَّل موضـع سـجد فيـه للـه بوارجـلان محرابـاً ومسـجداً -قـدَّام مدينـة إنجان-وقـد أحرقـه العبيديون فـي غاراتهم على المنطقة.

وهـو الـذي آوى العالـمين الجليليـن أبـا خـزر يغلا بن زلتـاف وأبا نوح سـعيد بن زنغيل، بعد فشـل ثورتهما علـى الفاطميين، ومطاردتهم لهما...

يعـود لشـخصية أبـي صالـح جنـون ابـن يمريان الفضل فـي ازدهار الحركـة العلمية، وانتظام الحيـاة الدّينية، والاسـتقامة الخلقية فـي وارجلان؛ وذلك لِما له من نفوذ واسـع، وتأثيـر مباشـر، ولِما يبذل من المـال الطّائل، في دعم تلـك الحركة العلميـة، والنّفقة على الشّيوخ والطّلبة؛ فكانت جهوده بذلك همزة وصـل بين تيهـرت الرّسـتمية ووارجلان في ضمان استمرار الحركة العلمية؛ وبهذا غدت وارجـلان وريثـة تيهرت في مجدهـا العلمي والحضاري.

قبره بسـدراتة فـي المقبرة المنسـوبة إليه، ومعبده غارٌ أسـفل جبل كريمـة، لا يزال إلى الآن على حاله.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- الدّرجيني: طبقات: 1/ 143-144؛ 2/ 341-345
- الشّمّاخي: السّير، 2/ 45-47، 143
- القطب اطفيش: الرّسالة الشّافية، 83-84
- أعزام: غصن البان (مخ) 196، 200-208
- علي معمَّر: الإباضية في موكب التّاريخ، 4/ 145
- دبوز: تاريخ المغرب، 3/ 382-607
- ينظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، المطبعة العربية -غرداية، ط1، 1999، ج2، ص232.

ح

■ حابه أحمد بن إبراهيم
(و: 1336ه - 1917م/ت: 1380ه - 1960م)

ولد الشّهيد حابه أحمد عام 1917 بدوار زلاطو الشّمالي بلدية اينوغيسة حاليا، أبوه إبراهيم بن محمد وأمه حفصية حابه بنت محمد نشأ المجاهد في حضن أسرة كبيرة تتكون من أحد عشر أخا وأختا، بدأ العمل في سن مبكرة بسبب الأحوال المعيشية القاسية التي كانت تعيشها العائلة، حيث كان يساعد والده في الفلاحة وتربية النّحل ورعي الغنم. عندما صار شابا في نهاية العقد الثاني من عمره، زوجه أبوه ابنة عمه مبروكة حابه ورزق منها بولدين.

تربى الشّهيد حابه أحمد على مبادئ الدّين الإسلامي وحب الوطن في أسرة مجاهدة قدمت النّفس والنفيس فداء للوطن، حيث التحق أربعة من إخوته بالثورة، فاستشهد شقيقاه محمد، وعمر، أما شقيقه بلقاسم وشقيقته خضراء فناضلا حتى استقلت الجزائر.

كان حابه أحمد يكره الاستعمار ويمقت الظلم والاستعباد، فانخرط في حزب الشّعب سنة 1947 رفقة خاله سي الصّالح حابه، وكان رفيقا دائما للثوار الأوائل مثل حسين برحايل احمد قادة عزوز مختاري وجماعة زردومي، الشّيء الذي أكسبه وعيا سياسيا وقناعة راسخة بأن ما انتزع بالقوة، لا يسترد إلا بالقوة، وأن العمل المسلح هو السّبيل الوحيد لنيل الحرية والاستقلال

بعد اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954، استمر نشاطه السّياسي، فكان ينشر الوعي في أوساط شباب المنطقة ويحثهم على الانخراط في صفوف الثورة، إلى غاية تكليفه برئاسة مركز بمنطقة تاجرا أولاد حابه باينوغيسن، وكانت مهمته متمثلة في تزويد الكتائب بالمؤونة ومختلف المواد الغذائية. عمل تحت مسؤولية عدة قادة تاريخيين معروفين في المنطقة منهم مسعود عايسي، محند الصّغير تيغزة، محمد بن الهادي بوخلوف، عبد الحفيظ مختاري وأمحمد حابه قائد النّاحية.

استمر في هذه المهمة لعدة سنوات دون انقطاع، وعاصر أثناء عمله في المركز عدة قادة عسكريين مثل عمار عاشوري ملازم أول للتموين بالناحية الأولى، المنطقة الثانية للولاية الأولى، والمكي مختاري ملازم تموين الولاية وبلقاسم مختاري مسؤول القسمة بالمنطقة، ومع الكثير من المسؤولين والقادة بعد دخول قوات الحلف الأطلسي الأوراس سنة 1960، اشتد الخناق على الثورة في المنطقة وكثرت الاعتقالات وملاحقة كل من لديه صلة من قريب أو بعيد بالثورة فوشي بعض الخونة بالمجاهد أحمد حابه وتم اعتقاله في نفس السّنة، حيث سجن بسجن اشمول مدة قصيرة، ثم نقل إلى سجن أريس أين مكث بضعة أيام، ليطلق سراحه لمدة يومين أو ثلاثة، ثم أعيد اعتقاله من جديد وأعدم بعد ذلك في السّجن شهيدا في سبيل. الوطن دون أن يعلم أحد بمصير جثته، ومكان دفنه إلى يوما هذا.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- عمر سلامي، مجلّة أول نوفمبر 1954، العدد195، سنة 2023.

■ حاج محمد بن باحمد، حاج سعيد
(و: 1325هـ - 1906م/ت: 1411هـ - 1990م)

ولد الشّيخ حاج سعيد حاج محمد بن باحمد بن حاج أحمد بن حاج إبراهيم بن سليمان بالعطف ولاية غرداية سنة 1325هـ/ 1906م.

والده هو السّيد حاج سعيد باحمد بن حاج إبراهيم بن سليمان كان تاجرا في ولاية البيض، والدته هي السّيدة بهون علي لالة بنت عمر.

لما بلغ العشر سنوات من عمره فقد أبويه فكفله خاله الحاج بكير بن حمودة بهون علي.

زاول تعليمه الابتدائي بمدرسة أبي سالم بالعطف.

في سنة 1916م أرسله خاله إلى معهد حاج عمر يحي الامليكي بالكَرارة، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس مختلف العلوم الدّينية والعربية.

في سنة 1921م انتقل إلى معهد الشّيخ حاج عمر بن حاج مسعود بن عمر لمواصلة دراسته عنده وعند الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض.

في سنة 1924م انتقل إلى الجزائر ليعمل في التّجارة.

في سنة 1928م عاد إلى الوطن ليواصل دراسته لدى الشّيخ حاج صالح بن عمر لعلي في بني يزكَن مدة أربعة أشهر حيث توفي شيخه فرجع بعدها لمواصلة العمل في التّجارة بالعاصمة.

في بداية الثّلاثينيات حضر دروس الشّيخ إبراهيم حفار ببني يزكَن وهو لا يزال تاجرا.

في سنة 1940 استقر به المقام في مسقط رأسه ليتفرغ لرسالة التّدريس بدار إروان ومدرسة أبي سالم.

في سنة 1942م أسندت إليه مهام رئاسة عشيرة آل الخلفي.

في سنة 1945م اختير عضوا في حلقة العزابة بمسجد أبي سالم وشغل منصب الإمامة مدة من الزّمن ثم منصب وكيل المسجد وراعٍ أمين لأوقاف المسجد داخل البلدة وخارجها حتى وفاته.

في سنة 1946م تولى إدارة مدرسة مسجد أبي سالم حتى وفاته.

في سنة 1961م زار البقاع المقدسة للمرة الثّانية وأسهم في شراء حوش منى مع ثلة من أعيان وادي ميزاب.

في سنة 1962م كان من أبرز دعاة «الصّلح» في البلدة، وأسهم إنجاح مؤتمره مع رجال الخير والصّلاح في هذا البلد الأمين.

وفي السّنة نفسها عمل على إحياء مجلس عمي سعيد مع ثلة من علماء وادي ميزاب بعد أن كان موقفا من طرف المستعمر.

كان يقرأ للشيخ يوسف بن بكير حمو علي رحمه الله دروس الوعظ بالمسجد.

في سنة 1959م أشرف على إعادة بناء مقر عشيرة آل الخلفي وحجرته بالسّوق.

في سنة 1970م أشرف على تجديد بناء مسجد أبي سالم ومدرسته بعد أن أدخل عليهما تحسينات في الخمسينات.

في سنة 1974م أشرف على بناء مصلى عمي حمو.

في سنة 1976م أشرف على تجديد بناء دار إروان بالعطف وجهزه لتعليم البنت وتكوينها وأشرف على تنظيم مكتبتها القيمة.

في سنة 1980م أشرف على بناء مصلى الشّيخ أيوب بن قاسم.

في سنة 1981م أشرف على تجديد وتوسيع مقر عشيرة آل الخلفي بالعطف.

كما أشرف على بناء مصلى الشّيخ بلحاج ومسجد الرّحمة.

خلف من الذرية سبعة ذكور بقي منهم 4 أحياء وبنتين ومن التّلاميذ رجالا كثيرين، كان شغوفا بتسجيل المذكرات التّاريخية للمنطقة ونسخ المخطوطات النّفيسة، ترك خزانة كتب وقفها أبناؤه لدار إروان.

الخُلقية: كان رجلا فاضلا، عظيم القدر يحب الخير ويهتم بشؤون الأرامل واليتامى.

ثابت في مبادئه، متفتح يحب التّطور الإيجابي في الحياة ولا يخاف في الله لومة لائم.

بعمل على رعاية الشّباب بالعلم والدّين، يحب العمل بعيدا عن الأضواء الكاشفة.

يتلو القرآن الكريم ويختمه في كل أسبوع صيفا وشتاء، يحب خدمة البستان وغرس النّخيل.

كان متوسط القامة، هزيل الجسم، منحني الظّهر، تبدو على وجهه لحية مدببة بيضاء، صوته جهوري خافت ببحة يقطعها سعال دائم بسبب مرض ضيق التّنفس.

وبعد مرض مزمن لازمه طويلا اختاره الله إلى جواره ضحى يوم الجمعة 10 صفر 1411هـ/ 31 أوت 1990م، دفن في مقبرة الشّيخ أيوب بن قاسم فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه -آمين-.

هكذا فلنكن أو لا نكون.. خير خلف لخير سلف، نتنافس على الخير ولا نضيع أي فرصة ممكنة.... «إن رحمة الله قريب من المحسنين» [الأعراف: 56].

حاج أحمد حمو كروم

■ حبيب دلالي
(و: 1351ه - 1932م/ت: 1379ه - 1959م)

كان ميلاد الشّهيد دلالي حبيب المدعو خلال ثورة التحرير (الشيخ) في التاسع من ماي عام 1932 بقرية (البرايحين) تراب بلدية وادي الفضة، دائرة العطاف بولاية الشّلف. نشأ في أحضان أسرة فقيرة، وكان أبوه عاملا بمزارع أحد المعمرين مقابل دراهم معدودة لا تفي بحاجيات الأسرة. كان وضع الأسرة الاجتماعي من ضمن الأسباب التي حالت دون التحاق الشّهيد بمقاعد الدّراسة، فقد باشر العمل اليدوي إلى جانب أبيه بمزارع أحد المعمرين، وهو لم يتجاوز بعد سن الحادية عشر من عمره، أين لاحظ عن كثب مدى جور المعمرين وقسوتهم في حق العمال الجزائريين العاملين بقطاعاتهم، وهذا ما زاد الشّهيد حقدا على المعمر الغاصب وألهب في نفسه روح الوطنية الصّادقة. وفي غمرة تطلعاته ووسط هذا الجو المشحون بالغضب والكراهية أبى القدر إلا أن يخطف منه أباه، وهو لم يتجاوز سن الرّابعة عشر من عمره، فذاق بذلك مرارة الحياة. وبالرغم من صغر سنه فقد استطاع القيام بأعباء الأسرة، وتلبية حاجياتها الضّرورية.

ولما بلغ سن العشرين من عمره استدعي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، كغيره من الشّبان الجزائريين، حيث قضى مدة قصيرة بمدينة البليدة أين تدرب على استعمال بعض الأسلحة وتعرف على أساليب القتال. نقل بعدها إلى الهند الصّينية التي عاش أحداثها الخطيرة ولاحظ صمود أبطالها وهم يواجهون أعتى قوة استعمارية عرفها العصر الحديث. هذه المواقف المشرفة هي التي ألهمت فيه حب التضحية والفداء، وتأكد أن الاستعمار واحد مهما اختلفت أساليبه ووسائله. وهناك تعرف على كثير من أبناء المغرب العربي الكبير الذين كانوا يشعرون بنفس الشّعور، ويعيشون نفس الظّروف السّيئة، ويفكرون نفس التفكير. ومن خلال تعايش الشّهيد مع أبناء المغرب العربي ازداد إدراكا أكثر لما كانت تعيشه الجزائر والمغرب العربي من أوضاع جد سيئة. وبعد قضاء المدة العسكرية المطلوبة، عاد الشّهيد الى أرض الوطن حيث كانت الاستعدادات على قدم وساق لتفجير ثورة نوفمبر المباركة، وهنا وجد ضالته المنشودة فانضم لصفوف جبهة التحرير الوطني، حيث عمل بكل ما في وسعه على تجسيد أهدافها على أرض الميدان، فقد انضم لمجموعة من الفدائيين الذين قام رفقتهم بعدة أعمال تخريبية استهدفت الملاك المعمرين، ومعسكرات العدو، وتحطيم اقتصاده، وذلك بقطع الأعمدة الهاتفية، وحرق مزارع المستوطنين.

في نهاية عام 1956 اكتشفت السّلطات الاستعمارية أعمال خلية الشّهيد المقدر عدد أفرادها بستة وعشرين فدائيا، فحاولت إلقاء القبض عليهم، لكن دون جدوى، لأن الشّهيد وبقية أفراد الخلية الآخرين كانوا قد تنبهوا لذلك فالتحقوا بجيش التحرير نهائيا (الناحية الثّانية من المنطقة الثّالثة بالولاية الرّابعة). ونتيجة لما برهن عليه الشّهيد في ميدان العمليات من مواقف بطولية وقدرة قتالية أسندت إليه منذ التحاقه بصفوف جيش التحرير مهمة مسئول فوج، فزرع الرّعب والهلع في صفوف الاستعمار الفرنسي بضرباته وهجوماته المتتالية.

خاض الشّهيد معارك عديدة ضد العدو، من بينها: معركة بني وادي بوسعيد التي وقعت يوم 7 جويلية 1957 بدوار بني بوستور، بلدية الكريمية – لامارتين سابقا – ولاية الشّلف وكان من نتائجها قتل 24 جنديا فرنسيا وإصابة عدد آخر بجروح متفاوتة الخطورة، وحرق ست شاحنات للعدو، بينما استشهد ثلاثة مجاهدين. وفي أواخر مارس من عام 1957 خاض الشّهيد بجانب رفاقه معركة بني زيتن، بلدية برج بونعامة بولاية تيارت، وكان من نتائج هذه المعركة الكبرى قتل 130 جندي فرنسي، وإصابة عدد آخر بجروح وحرق سبع شاحنات للعدو، وإسقاط طائرة من نوع – جغوار – ولم تمض إلا أيام قلائل حتى هاجم الشّهيد رفقة جنوده البواسل مركز تجمع آليات العدو ببرج بونعامة، فتمكنوا من حرق المركز وأخذ ما فيه، وقتل عدد من جنود العدو المتواجدين بالمركز. وبعد هذه الانتصارات العظيمة التي حققها رجال آمنوا بحتمية انتصار الثّورة، ارتقى الشّهيد الى مسئول فصيلة من فصائل جيش التحرير الوطني، وواصل هجوماته واشتباكاته مع جنود العدو. ومن أبرز المعارك التي أبدى فيها كفاءة عالية وخبرة كبيرة في فنون القتال: معركة بني بوستور التي وقعت يوم 16 – 10 – 958، التي كان من نتائجها قتل 90 جنديا فرنسيا وأسر 44 آخرين. وغنم جيش التحرير الوطني مائة قطعة سلاح مختلفة و4 أجهزة لا سلكي، وعادوا سالمين؛ مع الإشارة الى أن هذه المعركة شارك فيها إلى جانب الفصائل الثّلاث رجال الكومندوس. وبعد أن أثبت الشّهيد فعليا قدرته على تحمل مسئوليات جسام تم تعينه قائدا للكتيبة الكريمية، بعد استشهاد عبد الكريم الذي سميت الكتيبة المذكورة باسمه.

سقط دلالي حبيب شهيدا في ميدان الشّرف في الأسبوع الأول من شهر جويلية عام 1959 بالأربعاء (بلدية أولاد بني عبد القادر، دائرة بوقادير، ولاية الشّلف)، وذلك بعد معركة ضارية خاضها رفقة جنود كتيبته المقدر عدد أفرادها بـ 75 جنديا ضد القوات الاستعمارية التي قدمت نحو المنطقة في عملية تمشيط واسعة النّطاق بجيش مدعم بالدبابات والمجنزرات، وطائرات الاستكشاف. وفي حدود السّاعة السّادسة صباحا،

اكتشف مكان تواجد جنود جيش التحرير الوطني، وبذلك بدأ تبادل إطلاق النّار بين الطّرفين واستمر حتى السّاعة الثّامنة مساء، مما أدى بالقوات الفرنسية إلى الاستنجاد بالطائرات الحربية التي أمطرت المنطقة بوابل من قذائفها لفترات متواصلة. ورغم عدم التكافؤ في العدد والعدة فان المجاهدين كبدوا السّلطات الاستعمارية خسائر فادحة تمثلت في قتل 400 جندي فرنسي، وإصابة عدد آخر بجروح متفاوتة الخطورة. لفظ الشّهيد أنفاسه الأخيرة ليلتحق رفقة جنود كتيبته بركب الخالدين، بعد أن أدوا واجبهم المقدس، وسقوا بدمائهم الزّكية هذه التربة التي نحن ننعم بخيراتها اليوم.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- م. عبد القادر، مجلّة أول نوفمبر 1954، العدد 64، سنة 1984، ص 38.

■ حسَّان الجيلاني
(و:1370 ه - 1950م/ ت:1440ه - 2019م)

حسان الجيلاني بن المولدي بن إبراهيم بن عبد الله الحسان النّموشي، ولد في 17 نوفمبر1950 ب (اريديف) في تونس، من أب وأم جزائريين، اضطرتهم ظروف الاستدمار الفرنسي والبطالة للتنقل إلى تونس طلبا للعمل.

نشأ حسَّان الجيلاني في عائلة قرآنية، وفي (اريديف) التّحق بالمدرسة الابتدائية وعمره عشر سنوات، وهي مدرسة متواضعة، تعلم فيها العربية على معلمين تونسيين أكفاء، ولما استقلت الجزائر اشتاق للعودة متأثرا بحديث والدّته -كما يحكي في سيرته (وكانت أمّي تُرسِّب في ذاكراتي صور البلاد الجميلة، كانت تحكي لي عن آبار الماء، وغيطان النّخيل، وكثبان الرّمال، وعن أجدادي البعيدين، وأعمامي، وأخوالي الذين ظلوا بوادي سوف، كانت نفسي تزداد شوقا لمشاهدة بلادي البعيدة التي لا أعرفها إلا من خلال حكايات أمي الجميلة).

بعد الاستقلال عادت أسرته من تونس إلى وادي سوف، وفي السّنة نفسها التّحق بالمدرسة الابتدائية لكن التّعليم كان بالفرنسية بنسبة 90٪ فعانى مع مدرسي الفرنسية ورسب، وطُرد من المدرسة، لكن الحظ يبتسم في المعهد الإسلامي الذي يدرس فيه أساتذة مصريون أكفاء، فيه علوم العربية وعلوم الشّريعة، وبقي فيه ثلاث سنوات، ثم شارك في شهادة الأهلية عامّ

1969م فنجح، ثم قصد العاصمة لاستكمال التّعليم الثّانوي، لكنه فشل فقفل راجعا إلى الوادي، حيث فُتح لهم فرع ثانوي بمتوسطة ابن باديس، وأجريت لهم مسابقة باللغة الفرنسية فرسب، إذ العربية مازالتّ غريبة في ديارها، والتّحق بدار المعلمين في الأغواط فتخرج منها معلما عام1970م، فعمل سنتين وشارك في الباكالوريا فنجح فيها عامّ 1972م، ثم رحل إلى جامعة قسنطينة وحصل على الليسانس في علم الاجتماع عامّ 1976م، ثم درس الأدب والحقوق وحصل فيهما على الليسانس أيضا، وأدى واجب الخدمة الوطنية، ثم عين معيدا بجامعة قسنطينة، عام 1979م، وتزوج في وادي سوف بامرأة فاضلة كان لها تأثير كبير في حياته كما يقول: «ملأت حياتي حبا، ووفاء، وغيّرت مسار مستقبلي، وجعلتني أقبل على التّحصيل، وأتقدم في سنة 1984 للحصول على دبلوم الدّراسات المعمقة في علم الاجتماع، وبعده بسنة تحصلت على شهادة الماجستير وأنا اليوم أدين لزوجتي الفاضلة المجاهدة بالكثير من العرفان «.

والرّحلات عنده نوعان، رحلات تعليمية، ورحلات جغرافية.

الرّحلات التّعليمية: المراد بها التّنقل في طلب العلم، وكان أولها الرّحلة مع والده إلى تونس، ثم العودة إلى الوادي، ومنه إلى العاصمة ثم العودة إلى الوادي ومنه إلى الأغواط، ثم إلى مدينة قسنطينة لمواصلة التّعليم العالي، وأخيرا الرّحلة إلى ليبيا.

الرّحلات الجغرافية: وهي التّنقل والتّجوال في بلدان خارج الجزائر، وله أربع رحلات، سجل فيها مشاهداته للحيوات المختلفة التّي يحياها النّاس في تلك المجتمعات، وكذا الوقائع التي صادفته في رحلاته، وهي أربع رحلات كلها مطبوعة.

أول شيوخه عمه (الطّالب علي) الذي حفَّظه أجزاء من القرآن الكريم، ومعلموه في تونس، وأساتذته في المعهد الإسلامي بالوادي، ثم أساتذته في الجامعة. أما تلاميذه فهم كثر.

حسَّان الجيلاني الأستاذ المربي: قضى حوالي أربعين سنة في التّعليم الجامعي، كان تعيينه معيدا في الجامعة فتحا جديدا عليه

في الحياة الفكرية، وأنشأ مجلة المعرفة عامّ 1991م، ونالتّ شهرة واسعة داخل الوطن وخارجه، لكنها توقفت، وفي 1994م هاجر إلى ليبيا ليتعاقد مع جامعة الفاتح بطرابلس أستاذا ويسجل رسالة الدّكتوراه،ويحتك بأساتذة من دول عربية كثيرة، وبعد سنتين ألغي عقده مع الجزائريين دون إشعار مسبق، فعاد إلى قسنطينة ليجد نفسه معزولا من منصبه في الجامعة، ويعيش بطالا، وفي عامّ 1998م يحصل على وظيفة أستاذ بجامعة بسكرة، وفي 1999م ناقش رسالة الدّكتوراه في ليبيا.

وكان له فضلا عن التّزاماته العلمية وتفانيه في نقل المعرفة لطلابه وإنتاجها من خلال الممارسة البحثية في المخابر والمشاريع البحثية والإشراف ومناقشة الرّسائل والأطاريح، حضور في الجوانب الإدارية ذات الطّابع العلمي، إذ شغل نائب مدير معهد، ورئيس مجلس علمي، ورئيس لجنة علمية، ورئيس مشروع بحث، ومدير مخبر، ورئيس وحدة بحث، وله عضوية في اتحاد الكتاب الجزائريين، وجمعيات أخرى.

وهذا النّجاح المتميز خلق له تحرشات من بعض مسؤوليه، ولاسيما من عميد كليته في جامعة بسكرة الذي اضطره للتقاعد في عامّ 2017م، وبذلك خسر أستاذا مقتدرا تشهد له أعماله وآثاره.

حسَّان الجيلاني الأديب: صلة حسَّان الجيلاني بالأدب تعود إلى منتصف عقده الثّاني، إذ يقول:» في طفولتي وشبابي كنت شغوفا بالمطالعة والكتابة،...حيث كانت تصل إلى وادي سوف الجرائد المصرية (الأهرام.. الأخبار.. أخبار اليوم)، والمجلات (مثل المصور.. آخر ساعة.. حواء.. الهلال.. روز اليوسف.. العربي... الخ..) والكتب (كتاب اليوم...سلسلة اقرأ... الهلال... الخ...) "، وقرأ لجبران والمنفلوطي وغيرهما، وبمرور الزّمن وجد نفسه يكتب القصة والرّواية والمقالة.

كما وجد أن الفيسبوك وسيلة تنقل إليه حوار الحضارات وحوار الطّرشان والدّراويش، فاندمج معه بسرعة فكون صداقات ونشر مقالات وتحاور مع كثير من المفكرين والمبدعين، وهو يرى أن التّكنولوجيا الحديثة سهلت وسائل الاتصال وقربت المسافات وجعلت القراءة متاحة في كل وقت، ولم تعد المطالعة والطّباعة الورقية ذات شأن عنده.

حسَّان الجيلاني التّاجر القنوع: لما عاد من ليبيا في أكتوبر سنة 1996م وجد نفسه بطالا فاضطر للعمل في مشروع تجاري بسيط بالتّعاون مع افراد العائلة، وقد بارك الله عملهم ورزقهم ربحا واسعا، ثم أسسوا (دار الفردوس) للأفراح والحفلات، حتى غدت معلما بارزا في قسنطينة، ونمى مال العائلة وزكى، إذ وجدوا أنفسهم في عامّ 2012م يبنون سكنا واسعا ويتوسعون في مشروع قاعة الأفراح تدريجيا ببناء مطعم ومقهى واستوديوهات للإيجار. يقول حسَّان الجيلاني عن هذه النّعمة: «وهكذا توسعت تجارتي بفضل رزق الحلال، من محل تجاري صغير بشقتي، بمساحة تسع مترات إلى دار للأفراح والحفلات تحوي ألف متر مربع، وتضم عدة قاعات ومرافق أساسية».

وللدكتور حسان نتاج فكري غزير ومتنوع، كتب في الاجتماع والثّقافة والمناهج والرّحلة والتّاريخ والأدب والصّحافة، ومن آثاره المطبوعة:

1. أولا: الدّراسات الاجتماعية والتّاريخية:

- التّنظيم غير الرّسمي في المؤسسات الصّناعية.
- التّنظيم والجماعات.
- الجماعات، دراسة نفسية اجتماعية للجماعات غير الرّسمية.
- قضايا اجتماعية معاصرة.
- منهجية العلوم الاجتماعية (بالاشتراك).
- أسس البحث العلمي (بالاشتراك).
- محاضرات في المنهج والبحث العلمي (بالاشتراك).
- أسس المناهج الاجتماعية، (بالاشتراك).
- منهجية العلوم الاجتماعية، ج1.
- منهجية العلوم الاجتماعية، ج2.
- الابداعية والمجتمع.
- دليل الدّراسة بالخارج.

1. ثانيا: القصص والرّوايات:

- لقاء في الرّيف.
- مراهق في الصّحراء.
- طالب فقد ظله.
- ملحمة الشّيخ الهاشمي الشّريف.
- غرام زهور.
- من التّراث الغنائي بوادي سوف.
- المحقور، مسرحية.

1. ثالثا: الرّحلات والمذكرات:

- رحلة العناء بين الماء والسّماء.
- عائد من الصّحراء الغربية.
- رحلة البئيس إلى بلاد الفرنسيس.
- رحلتي إلى الحج.
- قصة العودة، مذكرات، ج1.
- قصة العودة، مذكرات، ج2.
- مغامرات بوعزّيفه.
- المهرجان الدّولي الثّاني للمالوف، آراء وانطباعات، بالاشتراك.

- أدركته الوفاة في 18 مارس 2019 م بوادي سوف، وله من الأولاد أربعة، منهم ثلاثة دكاترة.

عبد الكريم عوفي

المصادر:

- الأستاذ الدّكتور حسان الجيلاني حياة كفاح... وتمرد، بقلم حسان الجيلاني، سيرة حياة حسان الجيلاني، بقلم / أم هيثم،(http://hassen-djilani.ucoz.com).

■ حسن شريف (علي الجزائري)
(و: 1349ه - 1930م/ت: 1380ه - 1960م)

ولد الشّهيد شريف حسن المدعو خلال ثورة التحرير سي على الجزائري يوم 3 ديسمبر 1930 ببلدية الشّبلي دائرة بوفاريك ولاية البليدة، نشا في احضان اسرة ميسورة الحال، بين سبعة أشقاء اربعة ذكور وثلاث اناث، ولمّا بلغ سن السّادسة من عمره، قصد كتاب القرية، أين نال قسطا من علوم اللغة العربية، ومبادئ في قواعد الشّريعة الاسلامية وكانت رغبته في الدّراسة، كبيرة الا ان وضع الاسرة الاجتماعي حال دون تحقيق امنية الشّهيد، فتوقف عن الدّراسة وقصد مزارع احد المعمرين اين عايش عن كتب الوضعية السّيئة التي يعيشها العمال الجزائريون آنذاك، ولاحظ بفكره الثّاقب مدى جور المعمرين وقسوتهم وحقدهم على الجزائريين العاملين بقطاعاتهم وهذه الصّور وغيرها، هي التي غرست في الشّهيد، الرّوح الوطنية الصّادقة وجعلت منه شعلة تتحفز للأخذ بالثأر وفي خضم هذه الاحداث والمتاعب المتعددة ابي القدر الا ان يخطف منه اباه وهو لم يتجاوز بعد سن السّابعة عشر، من عمره فازداد بذلك تعبا وارهاقا.

في خضم هذا الجو المشحون ـ بالغضب والكراهية وجد الشّهيد منفذا لتلبية مطامحه وأحلامه فانضم صفوف الحركة الوطنية عام 1947 التي انخرط ضمن صفوفها كواحد من ابرز عناصرها بالناحية، ومن خلال اللقاءات التي كان يحضرها باستمرار تفتح ذهنه على الاحداث السّياسية أتي تعيشها السّاحة الجزائرية، وأدرك حجم المعاناة التي يعانيها ـ شعبنا في ظل الاستعمار الفرنسي الغاصب، فواصل النّضال، ضمن صفوف، الحركة الوطنية.

وكان الشّهيد حينها على اتصال بالشهيد البطل سويداني بوجمعة الذي كان يزور النّاحية باستمرار، وفي ليلة أول نوفمبر 1954 كان الشّهيد ضمن المناضلين الاوائل الذين قاموا بتنفيذ العمليات الجريئة التي شهدتها نواحي متيجة. والتي أدّت في زلزلة كيان العدو بالنار تحرق وتخرب من اقتصاد المعمرين الشّيء الكثير كما قام في نفس الليلة بإلقاء قنابل يدوية ومتفجرات بمحلات المستوطنين الفرنسيين وفي يوم 18 أكتوبر 1955 أقدم الشّهيد رفقة محفوظ كراغلي على تنفيذ حكم الاعدام في أحد الخونة، بقلب مدينة بوعينان ليكون عبرة لغيره.

التحاقه بإخوانه المجاهدين بعد تنفيذ عملية 18 اكتوبر التي سبق ذكرها تأكد العدو من أن الشّهيد سي على الجزائري، هو صاحب هذه العملية، ومن ثم حاول القاء القبض عليه لكن دون جدوى لانه كان يضع لذلك كل حساب افر والتحق نهائيا بصفوف اخوانه المجاهدين، الذين شاركهم الشّهيد من قبل في الاعمال التخريبية والعمليات الفدائية، التي شهدتها المنطقة بضرب المنشآت الاقتصادية ونتيجة لما عرف به خلال تلك الفترة من صفات حميدة وشجاعة كبيرة فقد تولى منذ اللحظة الأولى مهمة مسؤول المسبلين وعمل رفقة أبناء مخلصين وهبوا أنفسهم في سبيل استعادة امجاد الشّعب الجزائري واعادة اعتباره وتحرير ارضه من براثن الاستعمار والعبودية.

ففي مطلع سنة 1956 أقدم على حرق مزرعة موريس بالشبلي التي امتدت السّنة اللهيب بها فالتهمت كل مافيها، وأصيب الشّهيد سي على الجزائري محروق في جسده اثناء تأديته تلك المهمة ومن ذلك التاريخ أصبح معروفا لدى المجاهدين باسم حسن المحروق، وبعد أن أثبت كفاءته العالية التي برهن عليها اثناء العمليات، التي نفذها في الميدان اسندت اليه قيادة المنطقة مهمة قائد فصيلة من فصائل جيش التحرير الوطني وذاك عام 1957 وفي بداية 1958 ارتقى الى رتبة ملازم أول قائد النّاحية الأولى من المنطقة الثّانية الولاية الرّابعة.

وفي بداية عام 1959 توجه الى نواحي الصّحراء في مهمة كلف بها من قبل قيادة الولاية الرّابعة، حيث بقي هناك مدة ثلاثة أشهر التقى خلالها مع قادة النّاحية هناك واطلع على الأوساع التي يعيشها سكان الصّحراء والاحوال السّائدة هناك. عاد بعد ذلك الى نواحي السّاحل فتولى مهمة سياسي بالمنطقة الثّانية فضاعف من اتصالاته، مع قادة النّواحي والاقسام قصد التنسيق بينها وبين القيادات العليا للثورة حتى يحبطوا كل محاولات الاستعمار الفرنسي، وليطلعوا على ما جد من أحداث بالمنطقة.

وفي أواخر عام 1960 انتقل الى العمارية دائرة المدية ولاية المدية: نفس المهام التي كان يقوم بها في السّاحل وكان الشّهيد يردد دائما توله تبارك وتعالى الا يؤخر الله نفسا إذا جاء اجاها، وكان شعاره اطلب الموت توهب الحياة.

سقط الشّهيد البطل شريف على المدعو على الجزائري في ميدان الشّرف في الاسبوع الأول من شهر مـاى 1960 بالعمارية، دائرة المدية ولاية المدية عندما كان رفقة ثلاثة مجاهدين بمنزل أحد المواطنين وهو

بعد تقاريره كعادته، وبينما هم كذلك اذا بجنود العدو يقدمون على البيت الذي كان به الشّهيد ويحاصرونه حصارا شديدا تحسبا لكل طارئ، في حين تقدم ضابط فرنسي لصاحب المنزل: بسأله أين المخبأ ومن فيه؟ فأنكر صاحب المنزل ولما أصر أمر الضابط الفرنسي جنديا للتقدم نحو فأطلق المجاهدون عليه الرّصاص فقتلوه وتلا ذلك تبادل إطلاق النّار بين السّهيد وجنود قوات الاحتلال لفترات قليلة لفظ اثناءه الشّهيد رفقة المجاهدين الثّلاثة انفاسهم الاخيرة، التحقوا بقوافل الشّهداء الذين سبقوهم بعد أن أدوا واجبهم المقدس.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- عبد القادر ماجن، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 68، سنة 1984، ص 86.

■ حسين خمري
(و: 1375ه - 1955م/ت: 1442ه - 2021م)

من مواليد 12-11-1955بباتنة، تلقى دراسته الأولى والمتوسطة والثّانوية في مسقط رأسه، ثم انتسب إلى جامعة قسنطينة بعد حصوله على الباكالوريا وتخرج في معهد اللغة والثّقافة العربية بشهادة الليسانس في الأدب العربي عام1980، ثم واصل دراساته العليا في جامعة السّوربون بفرنسا، حيث حصل على دبلوم الدّراسات المعمقة أدب حديث في عامّ 1981.

بدأ حياته الأدبية بكتابة محاولات شعرية وقصصية، ثم سرعان ما تخلى عن هذه المحاولات ظنا منه أنها تثبط عزيمته وإقدامه على البحث العلمي والانشغالات الأكاديمية، ليتفرّغ إلى النّقد الذي أحبه قراءة بالعربية وبالفرنسية ومترجما وممارسة من خلال بعض المقالات التي كان يصدرها في بداية دراساته احتشاما وهي الرّغبة التي تعمقت حين انتسب إلى جامعة السّوريون لمواصلة دراساته العليا، وهناك عرف مساره العلمي تجددا على مستوى التّلقي والممارسة النّقدية حيث تأثر بالمناهج النّقدية المعتمدة حديثا في فرنسا ولما تعرف رواجا بعد في الجامعات الجزائرية وبخاصة حين درس على يد الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا القادمة إلى باريس برؤية نقدية جديدة عرفت بتكريس اللغة الثّورية الشّعرية وتوطدت علاقته العلمية بها لتتولى الإشراف على أطروحته للدكتوراه في الأدب الحديث، تقول الباحثة آمنة بلعلى

عن إعجابها بفكره: كانت جوليا كريستيفا تستمع إليه كأنها طالبة.

وقد تحصل على دبلوم الدّراسات المعمقة في الأدب الفرنسي والمقارن في جامعة باريس 7 عامّ 1983.

ثم أحرز على الدّكتوراه الدّرجة الثّالثة، أدب حديث 1988 في السّوربون، باريس.

بعدها عاد إلى الجزائر، حيث انتسب إلى هيأة التّدريس بمعهد الأدب واللغة العربية جامعة قسنطينة فعمل أستاذا معيدا، ثم أستاذا مكلفا بالدّروس، ثم أستاذا محاضرا.

كتب القصة، وأسهم بجملة من الدّراسات النّقدية، نشرت في مختلف المجلات والدّوريات الجزائرية والعربية.

وقد تولى رئاسة قسم التّرجمة بكلية الآداب واللغات في الجامعة نفسها، إضافة إلى إشرافه على عدّة مجلات في النّقد والدّراسات الأدبية والتّرجمة.

شارك في ملتقيات وطنية ودولية عديدة.

انتخب عضوا للمجلس الوطني لاتحاد الكتاب الجزائريين.

بعد عودته من فرنسا والتّحاقه بجامعة قسنطينة أصيب ببعض الإحباط نتيجة اصطدامه بنظرة غير مقدرة لذكائه وطروحاته النّقدية التّجديدية من قبل زملائه في المعهد ولعل أحد تفسيرات هذه «العزلة» يحيلنا إليه منشور للباحث الجزائري يوسف وغليسي، تحدّث فيه عنه؛ إذ يقول أنَّ جلسة مناقشته أطروحة الدّكتوراه النّص في النّقد المعاصر «، والتّي غاب عنها مشرفه الأستاذ عبد الملك مرتاض، كانت أقرب إلى المعركة، وكثيراً ما «خرجت المناقشة عن حدودها، حتى وجد رئيسُ لجنة المناقشة واسيني الأعرج نفسَه مُجبَراً على التّدخُّل مرة على مرة لتهدئة الأجواء وإعادة تذكير أعضاء لجنة المناقشة بقواعد وأصول المناقشات العلمية.

ولعلّ ذلك اليوم الاستثنائي كما يرى وغليسي كان سبباً في انعزال حسين خمري عن مشاهد (الفرجة) العلمية، والنّأي بنفسه عن مظاهر الضّجيج والتّهريج والاعتداد بالذات، فكانت الكتابة ملاذه الأخير، وإنْ تأخَّر في نشر كتبه.

كما يقول عنه زميله في الدّراسة الأستاذ عبد الله العشي الذي رافق شبابه وفتوته أيام مقاعد الدّراسة الجامعية وفي ربوع باتنة مدينة إقامتهما آنذاك إبان سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي(كانت عودته

من فرنسا أواسط الثّمانينيات صدمة له رافقته إلى يوم رحيله...وبمجيئه من فرنسا بفكر حديث استعصى على زملائه في المعهد،إذ لم يتم استيعابهم له ولا التّجاوب معه بأريحية وتفهم...إذ لم تكن الجامعة آنذاك مهيأة لتلك الطّروحات الجديدة في النّقد والمناهج النّقدية،فقد كان يمكن لأطروحته للدكتوراه الموسومة ب نظرية النّص أن تكون حدثا علميا وثقافيا بحكم رؤيتها المنهجية ومادتها الموضوعية..وقد تميز عن زملائه بموقفه المتصالح مع التّراث فخصص أطروحته لتحليل نصوص كثيرة من النّقد العربي القديم معجبا بمضمونها ورؤيتها وتنظيراتها.)

كما وصفته الأكاديمية آمنة بلعلى بالرّجُل «المحاصَر بالنّصوص»؛ مضيفةً بقولها: (شغلت حسين خمري مسألة التّمثُّل الواعي للمعارف واستيعاب سياقاتها الفكرية والثّقافية بكثير من المقاومة التي مكّنته من معرفتها وتفكيكها وجعلها مطواعة مستسلمة له، لينتهي إلى صياغة خاصّة بإنتاج معرفته هو، ومحاولة بسطها للقارئ).

ومما تذكر عنه الباحثة بلعلى التي زاملته في مقاعد الدّراسة بجامعة السّوريون أنه دعاها يوما وزميل لهما لحضور لقاء مع مشرفته البلغارية جوليا كريستوفا، والتّي لم يسبق أن رآها عن قرب ووجها لوجه، وتضيف بقولها أنهما شعرا بإحساس غامر وهما يلاحظان مناقشة زميلهما حسين خمري لمشرفته ندا لند في إعادة النّظر في مفهوم النّص، إذ كان يؤكد لها أن مفهوم النّص مركزي في الثّقافة العربية، بل أن الحضارة الإسلامية بكامله عرفت بأنها حضارة نص، وأن القرآن الكريم عد لدى علماء القرآن نصا، وكانت كريستيفا بعظمة قدرها تتابعه باهتمام وتستمع إليه حتى خلناها هي الطّالبة وهو المشرف.

واعتبرت بلعلى أنّ كُتبه النّقدية «تعكس نموذجاً نقدياً شغلته الفكرة فسعى إلى توضيحها وشغلته العلامات فعمد إلى استنطاقها وألهمته النّصوص التي حاصرته، فعاش في منظومتها العلامية متصوّفاً فيها، متنقّلاً بين مقامات الدّوال، مُمتطياً أحوال المدلولات، مقتفياً أنساقها المضمرة.

لقد عرفته عن كثب طالبا في ما بعد التّدرج ثم زميلا، ولأنه كان حسن العشرة سكوتا قليل الكلام وإذا انتشى وتكلم هادئا في سمت عجيب، إذْ لا تكاد تسمع صوته إلا إذا دنوت منه، بعد حصص التّدريس التي كانت مكثفة إذ كنا ندرس يومي الأربعاء والخميس فحسب، لذا نشعر بالملل والثّقل، فنعمد إلى مغادرة الصّف لاحتساء الشّاي عند شخص ارتبط اسمه بجامعة قسنطينة يلقب بحشحوش، وفور الانتهاء يضحك ضحكته الخافتة عند حشحوش نكمل المناقشة لأن الجامعة لم تكن تتوفر بعد على مقاصف لتقديم الشّاي والبن.

له مؤلفات مطبوعة منها:

- بنية الخطاب الأدبي / منشورات اتحاد الكتاب الجزائرين. الجزائر،1993.
- الظّاهرة الشّعرية العربية ـ الحضور والغياب ـ / منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دمشق 2001.
- بنية الخطاب النّقدي 1993.
- فضاء المتخيل 2001
- نظرية النّص من بنية المعنى إلى سيميائية الدّال2007
- سرديات النّقد: في تحليل آليات الخطاب النّقدي المعاصر2011

1. نقل إلى العربية:

- التّرجمة في الجزائر، للفرنسي إرنست ميرسيي2006
- عن التّرجمة، للفرنسي بول ريكور2008

1. ومن المخطوطات

- الحضور والغياب / النّص الشّعري العربي
- مجموعة قصصية.

وافاه الأجل رحمة الله عليه في 13 يناير 2021، مُتأثرا بإصابته بفيروس كورونا، ودُفن بمقبرة زواغي في قسنطينة.

باديس فوغالي

المصادر:

- معرفتي به الخاصة، ومقابلة شخصية معه.
- حسين خمري...رحيل ناقد محاصر بالنّصوص.العربي الجديد/ قسم آداب وفنون14/ 01/ 2021.
- حسين خمري الذي لم تستوعبه الجامعة/ يومية النّصر.كراس الثّقافة.19/ 01/ 2021

■ حسين فيلالي
(و: 1374ه - 1954م/ت: 1437ه - 2015م)

حسين فيلالي كاتب ناقد، صحفي وأستاذ جامعي بكلية الآداب بجامعة بشار من مواليد 17 ديسمبر 1954 بالعبادلة ولاية بشار، نشأ وترعرع تزامنا مع انطلاق الثّورة التّحريرية المظفرة، تلقى دراسته القاعدية الابتدائية، المتوسطة والثّانوية بمسقط رأسه، انخرط في سلك التّدريس، حيث درس ب مناطق عديدة قبل أن يستقر به المقام ببشار، ثم انتسب للجامعة ليحرز شهادتي الليسانس في الأدب العربي والماجستير في الأدب العربي القديم موسومة بجماليات المكان في المعلقات العشر، برعاية الأستاذ عبد المالك مرتاض من جامعة وهران بمرتبة مشرف جدا عامّ 2000.

ثم الحصول على درجة الدّكتوراه في النّقد المعاصر الموسومة بـ جماليات المكان في الشّعر الجاهلي دراسة سيميائية عام 2008 من الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة بمرتبة مشرف جدا مع تهنئة اللجنة تأطير الأستاذ عبد القادر هني.

اشتغل أستاذا مساعدا مكلفا بالمحاضرات ثم أستاذا محاضرا في جامعة محمّد طاهري ببشار.

عضو مؤسس لرابطة إبداع الوطنية وعضو مكتبها الوطني

عضو المجلس الوطني لاتحاد الكتاب الجزائريين في دورة من دوراته.ورئيس مكتب ولاية بشار منذ 1998 حتى وفاته.

عضو مؤسس لأكاديمية المجتمع المدني بالجزائر، ثم عضو مكتبها الوطني.

عضو مؤسس للجمعية الثّقافية الولائية أحمد رضا حوحو.

عرف عن حسين فيلالي حكمته ودماثة خلقه وتواضعه وبساطته وحكمته، وكان أشهر ما سجل عنه قوله: «لا أؤمن بالبيع بالتّوقيع ولا البيع بالإهداء ولا الزّم غيري بقناعاتي، لأن ما يهمني هو نص الكاتب، وليس توقيعه، أو شهرته، لذا غالبا ما أهدي كتبي بالمجان متى استرجعت ثمن تكاليفها، فالقاري لا يقدر عندي بثمن

وقد أسهم بمنشورات دراسية عديدة في مختلف المجلات والدّوريات الوطنية والعربية من بينها

1. أولا: المنشورات في مجلات أجنبية

- صراع الأنا والمقدس -مجلة كتابات معاصرة مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية -عدد -21لبنان

- النّص/ القاري/ المنهج-مجلة كلمات-فصلية ثقافية تصدر عن اتحاد الأدباء والكتاب في البحرين-العدد 20، صيف 2003

- مقاربة سيميائية في الفراشات والغيلان-مجلة كلمات-اتحاد كتاب البحرين -العدد 21، 2004

1. ثانيا: المجلات الوطنية المتخصصة والمحكمة

- جماليات الزّمان في رواية نوار اللوز-مقاربة سيميائية-مجلة علم النّص الجامعة المركزية.

- السّيمة والنّص الشّعري-مقاربة في مستويات الموت-في شعر مفدي زكريا-مجلة القصيدة.

- أدب الأطفال خصائص ومفاهيم- جريدة القبس عدد-12بتاريخ 8 ديسمبر 1992.

- ماذا قدمت المكتبة الجزائرية للطفل-القبس19- ديسمبر 1992.

- صورة المسلم في رواية التّفكك-الشّروق الثّقافي.

- بين الرّوائي الطّيب صالح وجون لافين- دراسة مقارنة-جريدة العقيدة-بتاريخ 8 جانفي -1992.

- بنية الحضور والغياب في عائد من الكهف-جريدة السّلام الثّقافي.

- حول رواية الانزلاق-جريدة الرّأي عدد 242، الثّلاثاء 16 فبراير 1999.

1. ثالثا: مشاركات في ملتقيات جامعية وطنية منها

- مهرجان الشّعر المغاربي غرداية 1998.

- ملتقى الشّعر المغاربي الجزائر العاصمة 2001.

- الملتقى الدّولي للسرد يات 2003- -جامعة بشار

- الملتقى الوطني للسرديات-1999- جامعة بشار

- ملتقى علم النّص الجزائر العاصمة 2000-

- ندوة أدب الطّفل اتحاد كتاب العرب الجزائر.

- المهرجان الأول للشعر والقصة جامعة تلمسان 2000-

- الملتقى الوطن الأول الشّعر الجاهلي والنّقد الحديث. جامعة سيدي بلعباس2002-

- ملتقى الأدب الوطني إشكالية التّأصيل بمليانة 1990-

- الملتقى الوطني الثّاني للإبداع الأدبي والفني الجلفة 2000

- الملتقى الوطني الرّواية الجزائرية وإشكالية التّأسيس-بشار 1993

- ندوة الشّعر العربي الجزائر 2007

- الملتقى الوطني الخاص بالخطاب النّقدي الحديث، جامعة ورگلة الجزائر 2007

الجوائز الوطنية

- الجائزة الوطنية الأولى في القصة القصيرة.جائزة الأديب عبد الحميد بن هدوگة.1999.

- الجائزة الثّانية في النّقد الأدبي -وزارة الثّقافة-الجزائر2002-

- الجائزة الثّالثّة في القصة القصيرة، جمعية الجاحظية الجزائر 1990

من أعماله المنشورة والمطبوعة:

- السّكاكين الصّدئة (قصص) رابطة إبداع الوطنية، دار عمار قرفي ط1، الجزائر 1991.

- ما يشبه الوحم (قصص)، رابطة الاختلاف ط 1، الجزائر 2001.وقد ترجمت إلى الفرنسية.

- السّمة والنّص السّردي، مقاربة سيميائية في شفرة اللغة، رابطة أهل القلم، سلسلة بصمات ط1، الجزائر. وهو كتاب في الدّراسات النّقدية فاز بالجائزة الوطنية الثّانية للنقد (2007).

- السّيمة والنّص الشّعري رابطة أهل القلم عامّ 2006.

- مقاربة في شفرة اللغة-وهو كتاب نقدي آخر (2008)

- أدب الطّفل واقعه وإشكالاته كتاب بالاشتراك بين حسين فيلالي وآخرين (2009)ـ 6

- «أدب الطّفل واقعه وإشكالاته» كتاب بالاشتراك بين حسين فيلالي وآخرين (2009)

- كتاب الجربوع وهو كتاب في الدّراسات النّقدية فاز بالجائزة الوطنية الثّانية للنقد (2007).

يقول النّاقد وليد خالدّي في تصريح لجريدة «الشّعب» حول هذا الإصدار: «في إطار التّحديات المعرفية تعتبر رواية «اليربوع» أول عمل روائي لحسين فيلالي، والتّي دخل من خلالها فضاء السّرد الرّوائي فكريا ومفاهيميا، فإن الحاجة الملحة هاهنا الانهمام والانكباب في إيجاد حلول واقعية للمشكلات التي تعترض سبيل الدّارسين والباحثين والقراء على اختلاف مستوياتهم ومشاربهم، بهذا الإجراء يتم النّهوض بكل

أسباب الارتقاء بالثّقافة والعلم والمعرفة التي تتماشى مع الظّواهر الحياتية المعاصرة، وانطلاقا من إيماننا الجازم بالتّغيير والتّجديد من أجل إحداث الطّفرة النّوعية المطلوبة والمنشودة».

وأضاف: «إن هذا العمل المتواضع الموسوم بفعل القراءة وما بعد الحداثة. مقاربة نقدية في رواية «اليربوع» للكاتب حسين فيلالي (جمالية التّلقي نموذجا)، جاء ليطرق بابا من أبواب البحث الأكاديمي المشفوع بتلك الإرادة التي تحاول قدر المستطاع رصد ملامح الممارسة الإبداعية الباحثة عن مسالك التّجريب ضمن خارطة النّقد الأدبي المعاصر، وقد اقتضى ذلك الأخذ بعين الاعتبار أن لكل تجربة لغتها التي تضعها في إطارها ومكانها المناسب، بحيث تتلاءم وتتساطح مع معطيات المرحلة الرّاهنة؛ إذ تعبر في فحواها المعرفية داخل بوتقة المشهد الثّقافي عن مدركات حداثية من حيث البنية والدّلالة ضمن أساسيات المشروع العلمي، ومن أجل إنشاء حوارية بناءة وخصبة والتّي تصب في صلب جوهر الفعل الإنساني.

إضافة إلى الرّقص على الماء (مجموعة قصصية)مخطوط.

شاعرية المكان، مقاربة، سيميائية (دراسة)، مخطوط

ترجمت بعض أعماله إلى التّركية والفرنسية نذكر منها: ما يشبه الوحم مجموعة قصصية مطبوعة أصلا بالعربية-

وافته المنية عن عمر ناهز السّتين إثر مضاعفات صحية مفاجئة ألمت به، وكان ذلك في 17/ 11/ 2015إذ شعر بإرهاق شديد إثر عودته من نشاط علمي في الصّالون الدّولي للكتاب كعادته، أين كان له لقاء علمي حافل مع زميله الرّوائي محمّد مفلاح.

باديس فوغالي

المصادر:

- رسالة خطية منه في حياته
- باديس فوغالي / معجم القصاص الجزائريين في القرن العشرين.ط1، الجزائر 2006.
- شريط فيديو أنجزه عزالدّين جلاوجي بعيد وفاته.

■ حمادو بن محمّد بوسليم
(و: 1340ه - 1922م/ 1432ه - 2011م)

السّيد حمادو بن محمّد بن عبد الرّحمن بوسليم والسّيدة خديجة بنت محمّد الصّالح عبد الدّايم. ولد سنة 1922م بتيط -أولف بولاية أدرار. تلقى مبادئ التّعليم على يد والده محمّد بوسليم، إلا أنه سرعان ما انتقل السّيد الوالد إلى رحمة ربه وهو لم يتجاوز سورة العصر من القرآن الكريم، فعاش وتربى يتيما في كنف أمه، التي كانت تحضه دائما على التّعلم والتّبحر في العلم.

أكمل رحمه الله دراسته في العلوم الشّرعية على يد أخيه الطّالب علال، فأتم حفظ القرآن وكان عمره دون الخامسة عشر، بالتّوازي مع دراسة مبادئ الفقه. وبالنّظر إلى نجابته وإتقانه للقرآن الكريم شرع منذ سنة 1944م في تدريس القرآن للأطفال مع إخوته في مسقط رأسه «تيط".

وفي عامّ 1947م انتقل إلى مدينة «تمنراست» في رحلة عيش كان فيها معلما للقرآن الكريم لدى بعض أعيان وسط المدينة. واغتنم الفرصة بالتّوازي مع ذلك للاستزادة من فنون العلم، فانتسب إلى مجلس الشّيخ الحاج محمّد التّهامي بن عبد القادر حينوني

رحمه الله-إمام المسجد العتيق وعالم الهقار في زمانه-فدرس عليه الفقه، ولازمه لمدة خمس سنين فدعا له بالتّوفيق والخير. ودفعه حبه للمزيد إلى الاتصال بالسّيدين الفاضلين محمّد عمار والشّيخ الحاج أحمد بن محمّد العم الفلاني.

وفي سنة 1951م عاد إلى بلدته مدينة "تيط" أين باشر تدريس القرآن والفقه. كما أكمل نصف دينه بالزّواج. وكان له الفضل في إعادة إقامة الجمعة بها مع ثلة من أعيان المدينة في المسجد العتيق. وكان وهو بتيط كثير الاتصال بالعلامة محمّد بن الحاج محمّد دادة بمدينة أولف لسؤاله عن المسائل والنّوازل التي تستشكل عليه. وهكذا كان ديدنه مع العلامة الحاج محمّد عبد القادر بن المختار بلعالم ومع الحاج أحمد بأقبلي.

وفي عامّ 1953م انتقل إلى عين صالح بدعوة من أعيان عائلة «فيها خير» ليتولى الإمامة بمسجد وسط المدينة، حيث كان يقدم الدّروس والمواعظ. فكان مواظبا على تقديم موعظة قصيرة بعد صلاة المغرب يوميا منسجمة مع الأوضاع والمستجدات.

وفي 1957م اتصل بالسّيد بن الشّيخ الحاج محمّد من إنغر ليدرس عليه قواعد النّحو والصّرف وعلم المواريث، ولازم بعده الشّيخ أحمد البوحامدي ليصحح عليه الكثير من قواعد النّحو، وكان شديد الصّلة بالعلامة الحاج محمّد باي الذي أجازه في الفقه.

وكان أداؤه لفريضة الحج في 1966م فرصة للاحتكاك بالكثير من العلماء والمشايخ، والاطلاع على أحوال العالم الإسلامي، فضلا عن صلاته وعلاقاته مع شيوخ العلم في منطقة عين صالح وخارجها.

ولقد انتسب رسميا إلى سلك الشّؤون الدّينية سنة 1977م، ولهذا لما أقيمت الجمعة بمسجد وسط المدينة تولى فيه الخطابة وإمامة الجمعة. ولما تأسس المعهد الاسلامي لتكوين الأئمة بعين صالح سنة 1980 شارك في تكوينهم.

كان الشّيخ حمادو بوسليم مصلحا اجتماعيا يصلح ذات البين ويعقد قران الزّواج. وكان رحمه الله محبا لنشر العلم والمعرفة، يعلم النّاس الخير ويحثهم عليه، عاكفا على الكتاتيب القرآنية يعلم الصّغار والكبار والشّباب والكهول والبنين والبنات، ولم يقعده المرض عن ذلك. كما كان رحمه الله حريصا على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، محبا للعلم والعلماء، محافظا على التّواصل معهم دائما والاطلاع على كتبهم والاقتداء بمنهجهم القويم. كما كان لين الجانب كثير التّواضع؛ حتى عند معارضته لا ينزعج ولا ينتصر لذاته ويدعو لمعارضيه بقوله «جزاكم الله خيرا».

توفي رحمه الله قبل منتصف النّهار من يوم الجمعة 15 رجب 1432هـ الموافق ل17 جوان 2011م. وكان يوم جنازته يوما مشهودا، إذ حضرها جمع غفير من النّاس من كل حدب وصوب. فرحمه الله وأعلى درجته في جنات النّعيم.

قدي عبد المجيد

■ حمد بن محمّد بن عبد الرّحمان أبي نعامّة
(و: 1147ه - 1735م/ ت: 1232ه - 1817م)

أحمد بن محمّد بن عبد الرّحمان أبي نعامّة الملقب بالبكاي أحد أبناء قائد الرّكب النّبوي، صاحب علم، وتقوى، وكرامات. ولد في 10 ذي الحجة من سنة 1147ه، الموافق لـ 03 ماي 1735م، بأقبلي. تربى في أحضان زاوية أبيه حيث تلقى العلم، والتّربية، وعهد إليه بمشيخة ركب الحجيج كعادة أبيه، وجده. طبقت شهرته الآفاق، فكانت له صلات مع العلماء، والمشايخ يكاتبهم، ويكاتبونه، من بينهم الزّبيدي الذي التّقى به أثناء مروره بمصر للحج سنة 1197ه الموافق 1783م.

اجتمع به الزّبيدي، وشهد له بمكارم الاخلاق، وسمو الهمة، فيقول الزّبيدي» اجتمعت به، وشاهدت من محاسنه، ومكارم أخلاقه ما يفوق الوصف»؛ الأمر الذي دفع بالزّبيدي إلى تجديد عقد الأخوة، والمحبة معه. سمع الكثير من الزّبيدي، وكتب له بذلك إجازات، واستمرت الصّلة بينهما عن طريق المراسلات، والهدايا.

وقد أخذ عن الشّيخ المختار الكبير الكنتي الذي يعتبر آنذاك أكبر عالم بأمور الدّين في الصّحراء، خاصة، وانهما ينتميان إلى نفس القبيلة. وكان يخاطبه يا سيدي، وهي عادة التّلاميذ، والمريدين في مخاطبة مشايخهم. فقد أورد صاحب الطّرائف، والتّلائد أن السّيد أحمد البكاي قال ذات يوم للشيخ المختار الكبير الكنتي: «في نفسي يا سيدي ثلاث مسائل فهل عليَ أن أسأل عنها؟ قال الشّيخ سل عما بدا لك. قال سيدي، أما الأولى فإن في نفسي حزازة من بساطتك لهؤلاء الظّلمة، وتمسحهم بك، وإقبالك عليهم، وشأن مثلك ممن لقينا مع أمثالهم الانكماش عنهم، والانقباض في، وجودهم، والتّباعد منهم. الثّانية: عطاؤك لهم، وإحسانك إليهم الاحسان الزّائد، ومن حقهم الإهداء إليك الهدايا الوافرة، مع قطع الأطماع عما بيدك، كما هو صنيع مثلهم مع أمثالك. الثّالثة: أنك، وإن تمكنت من ذلك على الوجه المحمود، مع، وفور إمدادات الله عليك، فقد فتحت بذلك على من يقوم بالأمر بعدك بابا لا يقدر على سده».

كان له نهم شديد بالعلم، واقتناء الكتب سواء بالشّراء أم النّسخ أم الإهداء. وهو ما مكنه من تأسيس، وإقامة مكتبة ضخمة غنية بالمخطوطات القيمة تناهز محتوياتها الخمسمائة مخطوط، منها ما اشتراه، ومنها ما أهدي له، ومنها ما نسخه بخط اليد. وساعده في ذلك كثرة ترحاله، واتصالاته بالشّيوخ، والأعيان في مختلف البلدان. ولا زالتّ هذه المكتبة قائمة إلى اليوم.

ترك عددا من الأبناء؛ منهم أبو نعامّة، الرّايس، وبامحمّد الذين، وصلوا الى السّينغال، وتولوا مشيخة الطّريقة القادرية هناك.

توفي رحمه الله سنة 1232هـ الموافق لـ1817م، ودفن إلى جوار قبر أبيه في الزّاوية من أقبلي. فرحمه الله رحمه، واسعة.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- الزّبيدي، معجم المشايخ، (مخطوط.)
- ولد سيد أحمد يحي، ديوان الصّحراء الكبرى: المدرسة الكنتية، والقصائد النّيرات، الجزائر:، وزارة الثّقافة، 2009
- عقباوي عزيز، النّفحات البهية، عين مليلة: النّفحات البهية في أفنان الشّجرة الكنتية، 2016.

■ حمزة بن الحاج أحمد بن مالك (و:1259ه - 1843م/ت:1335ه - 1917م)

حمزة بن الحاج أحمد بن مالك الفلاني. ولد سنة 1259هـ الموافق لـ 1843م بقرية ساهل من أقبلي. دخل الكتاب في سن مبكرة فحفظ القرآن الكريم وأخذ العلم عن والده وعن أخيه الكبير محمّد وعن السّيد المختار بن أحمد بلعالم، فضلا عن الشّيخ محمود الشّنقيطي. كما انتقل إلى بعض المجالسّ في الدّيار التّواتية للاستزادة والتّبحر مثل مجلس السّيد عبد الكريم بن التّقي التّينلاني.

يعد رحمه الله من أعلام منطقة تيدكلت بل توات كلها، متبحرا في النّحو والفقه والحديث والقراءات والتّفسير. تصدى للتدريس والإفتاء والقضاء، إذ كان يدرس الفقه والنّحو فضلا عن شرحه لصحيح البخاري وتدريسه للشفا للقاضي عياض ويختمهما كل عامّ في منتصف شهر شوال في حفل مهيب يحضره سكان القرى المجاورة.

أهله علمه وسلوكه ليتولى وظيفة قضاء الجماعة سنة 1892م الموافق لـ 1309هـ، أي قبل دخول الفرنسيين المنطقة واستمر في وظيفته بعد دخولهم؛ فكان يفصل في المنازعات والقضايا التي تقع في المنطقة. كان مستقيم الحال لا يخشى في الله لومة لائم، ترد عليه الأسئلة المعضلة والنّوازل من توات وبلاد الأزواد فيجيب حسب ما يراه دون مراعاة لمقام أو منصب. وقد وافقه علماء توات في غالب أحكامه لما أعطيه من الفهم والتّأني في الأمور والإصابة في حل المسائل، فهو كما يقول الشّيخ باي بن عمر: «إنه آخر من علمناه من أهل الخبرة بذلك القطر».

كان ينصح لله حسب ما يعتقد، كنصيحته لقبيلة أولاد النّون (إحدى فروع أولاد زنان وهي قبيلة عربية من بطون بني هلال) التي تسكن أولف، حيث أوصاهم بتقوى الله واتباع السّنة والاستسلام لأحكام الله. وكان يتصدى للباطل،

له قصائد عديدة منها قصيدة في مدح المصطفى، من أربعة وعشرين بيتا، خالية من الحروف المعجمة، مطلعها:

لأحمد أسمى الرّسل أصلا ومولدا
حلى ما حواها مرسل كامل الهدى
أعد مدحه دوام عمرك كله
ودم مادحا مكررا ومرددا
حلا مدح أكرم الورى كلهم وما
أساء سوى ما صار أكمد ملحدا
محمّد المحمود أسمى الورى سما
وأكرمهم أهلا وأصلا ومولدا
وأطهرهم سرا وأعلاهم علا
وأسراهم علما وحلما وسؤددا

ومن قصائده تلك القصيدة الحائة على الجهاد ضد المحتلين الفرنسيين والمشيدة ببطولات المقاومين في معركة إنغر، والتّي يقول فيها:

يا أهل إنغر يا أنصار دين الهدى
حزتم جميعا أعز الفخر والسّؤددا
إخواننا يا حماة الدّين فليهنكم
نصر من الله دائما لكم أبدا
نصرتم ملة الإسلام بشرى لكم
أنصار دين الرّسول المصطفى أحمدا
دافعتموا بمدافع مؤيدة
رجيعها يخنق الأعداء إذا غردا
بيضتم وجه أهل الدّين بعد نضو
به كما بكم اسودت وجوه العدا
لا زال حيكم بالله منتصرا
دوما وميتكم في الله مستشهدا
لازلتم الدّهر في حصن حصين وفي
وقاية الله آمنين كل الرّدى
أسررتمونا فلن نزال ندعو لكم
بالنّصر والظّفر والثّبات طول المدى
بالمصطفى خير تسليم عليه كذا
أزكى صلاة تعم الصّحب أهل النّدى

له مناظرات مع علماء عصره منها مناظرته لعلماء كسام في مدى صحة الصّلاة في الغار، وله مجموعة من الفتاوي والنّوازل.

من تلاميذه: عبد الرّحمن السّكوتي الملايخافي (1285هـ-1372هـ)، (1868 م 1914-م)،محمّد الحسن بن السّيد محمّد بن مالك (1283هـ-1352هـ)، (1866م 1933-م)، محمّد عبد القادر بن محمّد بن المختار بلعالم (1298هـ-1372هـ)، (1298م1953-م)، مولاي أحمد بن مولاي عبد الله البريشي، الحاج محمّد الخليفة بن أحمد بلعالم، الحاج محمّد عبد القادر الأنصاري، أحمد بن محمّد بن الحاج عبد القادر، الحاج محمّد سيد علي بن الحاج جلول، المختار بن الطّالب حمادو، الطّالب سيدي عمارة، الطّالب التّهامي بن عبد القادر حينوني(1886م- 1985م)،محمّد عبد الكريم المغيلي المنوفي.

توفي رحمه الله بساهل من أقبلي في رجب 1335 ه الموافق لـ 1917م، فتقبله الله في الخالدّين.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- بلعالم محمّد باي، الرّحلة العلية إلى توات، الجزائر: دار هومة للنشر، 2005.
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ أولف، الجزائر: دار الأبحاث للترجمة والنّشر والتّوزيع، 2007.

■ حمو بن إبراهيم بن محمّد، تَامْتَلتْ
(و: 1349ه - 1930م/ ت: 1423ه - 2002م)

ولد الشّيخ الحاج حمو تامتلت بغرداية سنة 1349هـ، الموافق لسنة 1930م، ونشأ بين أحضان عائلة معروفة في المجتمع بالتّضحية والخدمات، فتربّى تربية صالحة ورضع لِبان الدّين والشّمائل الحميدة وحب العلم، ودخل كعادة أبناء زمانه كتّاب القرية (محضرة عمور) وسط قصر غرداية، وفيها تلقّى دراسته القرآنية من عقيدة وفقه ولغة وحفظ للقرآن الكريم على يد فقهاء المحضرة كالشّيخ محمّد بن قاسم اشقبقب والشّيخ جمّة بالّه وغيرهم، ووفق إلى استظهار القرآن أكثر من سبع مرات، وأما التّعليم الرّسمي فقد أخذ فنونه على يد الفرنسيين.

لم يسعفه الحظ بعد بلوغه سنّ الرّشد أن يواصل دراسته نظرا للأوضاع الاقتصادية لأسرته فقد انتقل إلى مدينة (سطيف) للعمل مع (آل كربوش) في التّجارة، ومكث بها أعواماً ثم رجع إلى مسقط رأسه للزواج، ثم التّحق بالوظيف وكسب الرّزق، حيث عمل في شركة البريد والمواصلات، ولم يفرّط في الالتّحاق بحلقات العلم والتّعلم، حيث اتّصل بحلقة الشّيخ محمّد بابا وموسى ولازمه في جِلّه وترحاله وكان له نعم العون، ووصفه شيخه بأنه من أعز تلاميذه وأقربهم إليه، لما يتمتع به من خصال حميدة، منها احترام المشايخ والمعلمين جعلته ينال حظوة كبيرة عند شيخه حتى أصبح بيت السّر له، ولما قضى الشّيخ الحاج محمّد نحبه وانتقل إلى رحمة ربه انضم الشّيخ حمو تامتلت إلى حلقة الشّيخ الحاج يوسف بعمور بافولولو بمسجد غرداية ومكث ينهل من علمه الغزير ويستفيد منه إلى نهاية حياته، وبوفاة الشّيخ يوسف بافولولو التّحق بالمعهد الجابري ببني يزجن حتى لا ينقطع عن العلم والدّراسات الشّرعية المعتمدة على السّماع والحفظ.

أوثر عنه اهتمامه البالغ بجديد الكتب الشّرعية فكان حريصاً على اقتنائها حتى وإن غلا ثمنها، كما كان يحرّض طلبته على المطالعة وحب العلم، كما امتاز بقوة الحافظة والذاكرة القوية، فجعلهما في نفع طلاّب العلم، إلى جانب نبوغه في (علم الميراث) كان كذلك مهتماً بـ(علم الأنساب) فكان نسّابة في بلدته غرداية، ومن مميزاته أيضاً إصلاح ذات البين فكثيرا من الخصومات فُكّت على يده بفضل عقله ورزانته، مع ما يتصف به من الصّراحة والإقدام والشّجاعة الأدبية، مقابل ذلك الثّبات على مبدأ المشايخ والمبادرة إلى الأعمال الخيرية والتّواضع.

بعد قرانه في أوائل الخمسينيات استقرّ في غرداية، وانضم إلى فرقة «اليقظة» المعروفة بفرقة «بَعَمُّور الشّيخ» التي كان على رأس إدارتها السّيد حمو بن إسماعيل بُورُورُو، وفي رحابها تميز شيخنا وتجسّد حبه للمجتمع وتقاليده ومن ذلك إخلاصه للعمل في اليقظة والمحضرة وهي تشبه نظام الكتاتيب، ويروي أحد تلاميذه أن الشّيخ «حمو» لم يتغيب ولو مرة عن حصة في الحراسة، وكان يسهم بإخلاص في نشاطاتها، ولعل أهم خصلة في شيخنا هو تأثيره الفعال خاصة في فئة الشّباب، إذ جعل من المحضرة قبلة للناس وفي رحابها يتعلمون فرائضهم وتشريعات ربهم، وقد ساعد على ذلك برنامجها المتميز بالنّظام والدّقة، ويبدأ ساعة قبل آذان الفجر «غِيرُو» حيث تفتح المحاضر أبوابها إلى قبيل إقامة صلاة الصّبح، ثم يستأنف نشاطها إلى حدود السّابعة صباحا، كما تشهد جمعاً غفيراً بين صلاة المغرب والعشاء، والشّباب في المحضرة يتلقى دروسه الفقهية ويحصّن من مغالطّات الاستعمار قبيل الفجر وبعد المغرب فلا يبقى مما يأخذ في مدراس الاحتلال شيء، وكان الشّيخ حمو يتعهد شؤون الشّباب المقبلين على الزّواج فيعلمهم واجباتهم العائلية والحقوق الزّوجية وما لهم وما عليهم ويدرّسهم ما يأخذهم في الحياة الزّوجية السّعيدة، وبعد قران الشّاب يعطى له الإذن من المحضرة للانضمام إلى فرقة اليقظة، وكان الشّيخ حمو أحد الأعمدة الثّابتة في المحضرة وفرق الحراسة وذلك بدعمه المادي والمعنوي لها، وكذا بدعوته للشباب والمرشدين وتحريضهم للانخراط فيها وتذكيرهم بفضل العلم والتّعلم.

قبل التّحاق الشّيخ حمو بالمعهد الجابري ببني يزجن، فتح مكتبته الخاصة في منزله للمطالعة والبحث والفتوى، فكان يتعاقب عليها طلبة دائمون وآخرون بحسب الظّروف والأوقات، أما الدّائمون والمواظبون معه في الحلقة فهم الشّيخ قزريط موسى بن إبراهيم وهو من أكبر تلاميذه وأنبلهم، وخلفه من بعده الشّيخ بازين إبراهيم بن يوسف وأويابة ناصر بن حمو، وكانت تتعاقب على

منزله أربع فرق كالآتي: الفرقة الأولى؛ بعد صلاة الصّبح مباشرة إلى غاية الثّامنة صباحا، والفرقة الثّانية: من الثّامنة صباحا إلى غاية الحادية عشر صباحا ومعظم أعضاء هذه الفرقة من بني يزجن، والفرقة الثّالثة: بعد صلاة العصر إلى قبيل صلاة المغرب، والفرقة الرّابعة: بعد صلاة العشاء مباشرة ويمتد وقت الدّراسة إلى ساعتين بعد ذلك، وأما مواد الدّراسة فهي: التّفسير، والحديث، والفقه... وغيرها من الفنون.

توفّي الشّيخ حمو في يوم الثّلاثاء 28 ربيع الثّاني 1423هـ، الموافق للتاسع من شهر جويلية 2002م مع غروب الشّمس بعد أن كان يعاني من مرض داخلي.

يحيى بن عيسى أزغار

المصدر:

- مجلة الأصالة والثّقافة، مقال يحيى بن عيسى أزغار، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 30 سنة، 2003م.
- مقابلات مع طلبة الشّيخ، منهم: أ. موسى بن إبراهيم قزريط، أ. محمّد بن بلحاج إمناسن.

■ حمو بن أحمد الزّعبي (الحاج عمر الزّعبي) (و:1344ه - 1926م / ت: 1432ه - 2011م)

الشّيخ الحاج حمو بن باحمد بن محمّد بن عمر بن دادي الزّعبي المعروف بـ»الحاج عمر الزّعبي»، والدّته السّيدة الفاضلة «بية بنت قاسم بوسعدة"، وأبوه الفاضل السّيد "الزّعبي الحاج أحمد بن محمّد" من عُرفاء منظمة (إيروان) بمسجد غرداية الكبير وتوفي سنة 1973م، ولد الحاج حمو بن باحمد الزّعبي سنة 1344هـ، الموافق لسنة 1926م بغرداية، ينتمي الحاج عمر الزّعبي إلى عشيرة «آل احمادة" بغرداية، الجزائر.

نشأ الشّيخ كغيره من أترابه نشأة متواضعة، ولحرص أبويه عليه دفعا به إلى (محضرة الشّيخ باسعيد وعلي) في سنٍّ مبكرة وعمره لا يتجاوز الخمس سنوات لتعلُّم القرآن الكريم ومبادئ الدّين، فتخرَّج منها حافظاً لكتاب الله تعالى قبل سنِّ البلوغ، ونظرا للظروف الصّعبة للمنطقة في ذلك العصر، فقد سافر الشّيخ إلى مدينة (غليزان) سنة 1937م لطلب الرّزق كغيره من الشّباب وعمره لم يتجاوز الحادية عشر، فعمل هنالك مدة عامّ كامل، وبعد عودته سنة 1938م انتقل إلى مدرسة (تَاجِّيوِينْ) ليُكمل تعلُّمه على يد الشّيخ القدير "باحمد بن يعقوب غرناوط"، فتخرّج من مدرسته حافظا لكتاب الله تعالى متقناً لأحكامه، وفي سنة 1361هـ/ 1941م التّحق بمدرسة (عبد الله بوكامل) وكان طالباً فيها لمدّة ثلاث سنوات على يد أستاذه " الأستاذ أبو الحسن علي بن صالح" إلى سنة 1944م ومن زملائه في مدرسة (بوكامل): الحاج حمو بن بكير اشقبقب، والحاج صالح بابكر وبايوب بن الحاج سليمان الحاج سعيد لخبورات، وصالح الشّيخ صالح وغيرهم.

يذكر عنه رفيق دربه وصديقه المخلص الحاج حمو بن بكير أشقبقب أنه كان ورعاً متقيا حدود الله تعالى، أمينا بأتمِّ معنى الكلمة، تعلَّق قلبُه بعمارة المساجد والمواظبة على شهود الصّلوات الخمس فيها، وعُرف بمرابطته في مجالسّ التّلاوة خاصة في مناسبات المقابر التي كان قلَّما يتخلّف عنها، كما عُرف الشّيخ بدماثة أخلاقه وحسن تعامله من خلال ابتسامته التي لا تكاد تفارق محيّاه، فهو المؤانس الخفيف الظّل الذي لا يملّ مجالسّه بأحاديثه الشّيقة وكلماته الظّريفة وفكاهته الممتعة، ويشهد كل من عايشه له بالتّواضع، يتذلّل للأطفال ويجلس إليهم يقاسمهم الفكاهة ويلّقنهم الأخلاق، فكثيرا ما تراه ذلك الشّيخ الذي يقوم بمصالح بيته بنفسه حتى في أبسط الأمور من شراء الحاجيات وجلب مياه الشّرب وهو قد جاوز الثّمانين في خفّة ونشاط، كما كان سبَّاقا إلى فعل الخير لاسيما منفعة الغير، وكان ذا رأي صائب وحكمة بليغة لا يستنكف عن المشورة، كثير التّسامح والنّصيحة المبتغاة لوجه الله تعالى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ينسلّ بحنكة وكظم من مواقع العداوة والبغضاء، بل يحلّ المشاكل بأسهل الطّرق، ويتعامل مع الأمور بالحكمة والإنصاف، وهو الرّجل الذي اجتمعت على تقديره وحبّه مختلف الأطياف والتّوجهات، فقد اتّسع قلبه للقريب والبعيد فكسب قلب الكلّ، وعرف الشّيخ بذاكرته القوية التي حفظ بها موسوعة من أقوال وحكم الأنبياء والمرسلين والحكماء والشّعراء، فهو حافظ للسير يلقّنها للأجيال في كل المناسبات، وكلما التّقى بأحد أسمعه بعضا من محفوظاته مما لقبه بعض الإخوة بـ «حكيم مزاب» أو شبهوه بـ «لقمان الحكيم».

بعدما أكمل دراسته بمدرسة عبد الله بوكامل شمّر الشّيخ الحاج عمر عن ساعديه واتّكل على الله وبدأ مَهمَّته التي اختاره الله لها وهي التّعليم، ففي سنة 1945م تحوّل إلى التّدريس في مدرسة بوكامل يُعلّم النّاشئة كلام الله العزيز ومبادئ الدّين الحنيف وبعض العلوم الأخرى، ومن أبرز تلاميذه آنذاك الشّيخ قاسم بن بكير موسى وعلي، ودام في هذا الوظيف إلى سنة 1954م، سافر بعد ذلك مرّة أخرى للعمل في الشّمال (في نواحي قسنطينة) لكن همَّ تبليغ أمانة العلم أرّقَ مضجعه وجعله يستجيب لنداء الشّيخ الحاج داود بن قاسم حواش الذي دعاه سنة 1960م فعاد للتدريس في مدرسة المسجد (تَاجِّوِينْ) حين أجريت توسيعات جديدة عليها لتستوعب الإقبال المتزايد للتلاميذ، فاستقرّ هناك مواصلا مهمته النّبيلة إلى حين افتتاح المعهد، وطيلة هذه الفترة كان مدرّسا

بين مدرسة (تَاجِّوِينْ)، و(محضرة الشّيخ باسعيد وعلي)، والمدرسة الابتدائية بجوار مسجد (بابا السّعد) سنة 1969م.

ومباشرة حين افتتح معهد عمي سعيد (مرحلة المتوسطة) سنة 1973م وكان ذلك بمقر مدرسة بابا السّعد للبنين دُعِي للتدريس فيها، حيث كان من الأساتذة الأوائل الذين درّسوا بهذا المعهد المبارك مع الشّيخ قاسم بن بكير موسى وعلي، وبقي في هذا السّبيل مدرّسا لمادة القرآن الكريم في أغلب الأحيان ومواد أخرى موازية له في بعضها إلى سنة 1407هـ/ 1987م، وقد شغل مسؤولية التّعليم الثّقيلة مدة اثنين وأربعين (42) سنة، وإلى جانب مهمّة التّعليم، انضمَّ الحاج عمر إلى حلقة (إروان) سنة 1344هـ/ 1945م حتى صار فيما بعدُ من عُرفائها، وبعد ذلك انخرط في حلقة (العزابة) بالمسجد الكبير سنة 1398هـ/ 1978م وعُيّن في نفس السّنة مؤذّناً وخليفة للمؤذن الرّسمي، ثم أسندت إليه مهمة الوكالة من قبل الشّيخ "الحاج داود حواش" مع الإخوة قزريط إبراهيم بن موسى، وباعلي وسعيد علي بن أحمد.

عُرف الشّيخ الحاج عمر الزّعبي بدروسه الخفيفة القيمة التي لا غنى للمؤمن عنها في أمور دينه ودنياه، وبمداخلاته المركّزة المليئة بالحكم والمواعظ البليغة التي يستقيها من قصص الصّالحين الأوائل والأنبياء الأطهار كلما سنحت له الفرصة ذلك؛ في بعض المناسبات كالأعراس وفي مسجد (أُوجْرِينْتْ)، فتستقر في قلب المستمع وتحمله على الاقتداء والعمل، كما جعل الشّيخ لعشيرته نصيباً، فكان مع الشّيخ سعيد بن موسى كربوش قائداً محنّكاً قدّم للعشيرة خدمات جليلة، وبعد وفاة الشّيخ سعيد كربوش رشّحته العشيرة لتقلُّد الرّئاسة الشّرفية لها، وبقي في هذا الوظيف إلى آخر يوم من حياته، وعُرف أثناءها بالسّند على القائمين بشؤون العشيرة، يزوّدهم بالنّصائح والإرشادات ويهرعون لاستشارته وأخذ النّصيحة منه عند ملمّات الأمور، ومن مهمات الشّيخ أيضا كتابة «الوصايا» لمن بلغ سنّ البلوغ حتى يكون مرتبطاً بمصيره مُراقباً لأعماله حتى وصول أجله، كما كانت للشيخ مشاركات ومتابعة مستمرة لبرنامج (مجلس الفتوى).

في أمسية يوم الثّلاثاء 24 ماي 2011م أصيب الشّيخ بوعكة صحّية دخل إثرها في غيبوبة، وسلّم نفسه المطمئنة لبارئها عن عمر يناهز الخامس والثّمانين عاما ظهيرة يوم السّبت 24 جمادى الثّانية 1432هـ، الموافق لـ 28 مايو 2011م.

ياسين بن قاسم الزّعبي.

المصدر:

- تواصل مكتوب مع ابن الفقيد: صالح، بعد وفاته مباشرة.
- لقاء مع رفيقه في التّعليم وحلقة العزابة: الحاج حمو بن بكير اشقبقب.
- مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 39 سنة: 2012م.

■ حمو بن باحمد، بابا وموسى
(و: 1284ه - 1867م / ت: 1376ه - 1957م)

الشّيخ والعالم الجليل حمو بن باحمد بن صالح آل بابا وموسى، من عشيرة «آل امحمّد أُو بعزيز»، من بلدة غرداية، بوادي مزاب، الجزائر، بها ولد وفيها نشأ وترعرع، وينتهي نسبه إلى الوليِّ الصّالح الشّيخ بابا والجمة من عشيرة (آل امحمّد)، والدّه باحمد بن صالح (ت: 1914م) كان مُفتِياً للناس في أمور دينهم وينظِّم دروس الوعظ من حين لآخر في بعض المناسبات وخاصة في محضرة المسجد (الكتّاب)، أما والدّته فهي القشوش عائشة من عشيرة (آل حمادة) بغرداية، وقد كانت عاملةً ومُحبَّة للعلم وأهله، وكانت لها حلقة علم تُفتي النّساء في مسائلهن الشّرعية وأحكام الحيض والنّفاس، وكان لها الفضل الكبير في تنشئته وتعليمه، حتى قال عنها ابنها الشّيخ حمو: «لو أخذتُ عن والدّتي علومَ ومسائلَ الحيضِ والنّفاسِ لوسِعني علمُها في هذا الموضوع».

وكان للجو العائلي جميل الأثر في الدّعم والتّشجيع على العلم، منهم أخوه الحاج محمّد الذي اشتغل بالعلم من صغره ثم انخرط في سلك (العزّابة) ثم عيّن إماماً ووكيلا للمسجد ثم رئيساً لحلقة العزّابة، وبعد وفاة أخيه أسندت له (المشيخة) من عزّابة القرى الخمس.

عندما بلغ سنّ الخامسة من عمره أدخله أبوه في كتّاب المسجد ليتعلم العلوم الأوّلية من قرآن ولغة، وقد كان حفظُه للقرآن الكريم على يد أحد مشايخ الكتاتيب، وبعد تمكّنه من ناصية العلوم الابتدائية بما فيها حفظ القرآن الكريم ومبادئُ اللغة مَنَّ عليه والدّه بإدخاله في معهد الشّيخ امحمّد بن يوسف أطفيّش (القُطب)، ويقول عنه الأستاذ «الشّيخ عمر اليسجني" في هذا الشّأن: "وكان رحمه الله من أبْرزِ وأخصِّ تلاميذ "الشّيخ أطفيش" -رحمه الله- إذ وهبه أبوهُ لطلب العلم، فجعل له مركوباً خاصاً لذهابه لبلدِ شيخِهِ (يسجن) وإيابه منه لبلده (غرداية)، وأثناء ذلك تقلَّد مشْيَخَة (المسجد العتيق) بغرداية، وهو آنذاك ابن ثلاثين سنة، فأنعَمَ عليه شيخه باسم (الشّيخ)، فواظب على التّعلّم ببني يسجن إلى آخر أيام حياة القُطب"، ومن هنا نقول بأن الشّيخ (حمُّو) زاول دراسته الثّانوية حسب

التّعبير العصري بمعهد (القطب) الذي أخذ منه الكثير في علوم القرآن والحديث واللغة ومختلف الفنون الأخرى.

نشأ شغوفا بالعلم والمعرفة، وانطلاقا من كونه محبا للعلم وأهله واصل جهاده في الميدان العلمي حتى قُلِّدَ (المشيخة) بغرداية، وأُطلق عليه اسم (مُفتِي وادي مزاب) إثر وفاة القُطب رحمه الله، لكونه تقياً ورعاً من ذوي الغيرة على الدّين ولا تأخذه في الله لومة لائم، وبجانب هذا كان رقيق القلب محسناً في معاملاته، وقد رزق الله الشّيخ حمو بعد اقترانه ببنتين.

تتلمذ الشّيخ حمّو باباموسى على يد قطب الأيمة الشّيخ اطفيّش اليسجني رحمه الله، فكان من أبرز وأخصّ تلاميذه، وتخرّج عنه العديد من التّلاميذ الأجلاء الذين صاروا بعد مدة سراة بلدة غرداية وأعيانها اللامعين في الميادين الاجتماعية والتّربوية؛ منهم أخوه الحاج محمّد بن باحمد بابا وموسى، والسّادة: باحمد بن حمو أويابة، وعبد الله بغباغة، والحاج داود حواش، وباحمد بغباغة، وصالح بن قاسم كوله، والحاج محمّد دادي واعمر الملقّب بالمهدي، ومن الإخوة الذين كانوا يحضرون مجالسه للاستفادة منه حمو بن بكير اشقبقب، ومسعود بابكر، و»يحيى بن الحاج إبراهيم مصباح، وباحمد دجال، وإسماعيل العلواني، ومحمّد بن سعد الله العلواني...

لم يكن الشّيخ يعتني بتقديم الدّروس مشافهة والتّوجيه والتّعليم فقط؛ بل تعدّاه إلى تدوين بعض الدّروس الفقهية والعقدية وغير ذلك، وأهمُّ مؤلفاته التي وصلت إلينا يما يلي:

- الحججُ الدّامغة لبدع الفئة الزّائغة: مخطوط مصوَّر، في عشرة أبواب، عبارة عن ردود وإجابات في المستحدثات.
- ترهيبُ الرّاغب وترغيبُ الرّاهب: مخطوط يشتمل على دروس في الوعظ وشيء من النّصائح، مقسم على ليالي رمضان المعظَّم وما يحتوي من الفضائل لكلِّ ليلة من لياليه، وأيضا الليالي الفاضلة في سائر السّنة.
- ترتيبُ الفرائدِ من العوائد والفوائد: مخطوط، وهو مجموعة فوائد وأحكام كان يتلقّاها من شيخه إبّان دراسته في معهد القطب.
- مناقب الأولياء؛ مخطوط.
- كتاب في الفلك.
- الرّحلة الحجازية: وهي المسمّاة بـ: «الرّحلة السّنيَّة المقتفية للأحكام القرآنية والسّنيَّة»، وهي عبارة عن وصف لرحلته التي قام بها لأداء فريضة الحجّ عن طريق البحر.
- عديد القصائد في المديح النّبوي.
- كثير من الرّسائل والرّدود المتناثرة التي نرجو جمعها مستقبلا في كتاب.

للشيخ مواقف كثيرة تشهد على عزيمته وغِيرتِه ولاسيّما إبان الاحتلال الفرنسي للمنطقة، ويتجلى هذا خاصة في مواقفه الصّريحة من قضيّتي «التّجنيد الإجباري» و»فَرْنَسَةُ الجزائر المسلمة»، فكم من مرّة يغادر منزله ويتوجّه إلى المحكَمَة مُرغما ليُمضيَ على المعاهدَة فلا يُوافق، وهذا يوضِّح لنا مدى صلابته في مواقفه وغِيرته على الدّين والوطن أولا وقبل كل شيء.

توفِّي الشّيخ رحمه الله يوم الأربعاء 29 جمادي الأولى 1376هـ، الموافق لـ 02 جانفي 1957م بمنزلِه في غرداية.

أبو القاسم بن أحمد العلواني

المصدر:

- مجموع مؤلفات الشّيخ حمو بن باحمد باباموس، مكتبة المسجد العتيق – غرداية.
- مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 19 سنة: 1994م.
- بطاقة معدة لمشروع معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب – جمعية التّراث، مرقون.

■ حمو بن عيسى الحاج سعيد (الشّيخ نْ آتَ مُوسى)
(و: 1389ه - 1970م / ت: 1433ه - 2012م)

الرّجل الاجتماعي حمو بن عيسى بن محمّد بن بهون بن موسى الحاج سعيد، وهو المعروف بـ (الشّيخ نات موسى)، أمّه «منّونة بنت صالح بابا وموسى»، وهو واحد من خمسة إخوة، وينتسب إلى والدين ينحدران من أهل العلم والحلقات؛ فقد كان جده الشّيخ بهون بن موسى تلميذ القُطب أطفيش، والشّيخ حمو بن باحمد بابا وموسى عمَّ أمّه كذلك، وقد سُمّي الفقيد خَلَفا لهذا الأخير حمو ويكنّى الشّيخ، ولد السّيد حمو بن عيسى الحاج سعيد يوم الخميس 22 ذي القعدة 1389هـ، الموافق لـ 30 جانفي 1970م، بقصر غرداية العريق، وينتمي حمو الحاج سعيد إلى عشيرة «آل انشاشبة" بقصر غرداية، الجزائر.

ينتسب الشّيخ إلى عائلة أصيلة محافظة على انتمائها وتقاليدها المحلّية، حيث كان مسقطُ رأسه بحيّ (الرّحبة) موضع مدرسة الرّحبة حاليا بوسط قصر غرداية، وقد نشأ وترعرع بين حي «الرّحبة» وحيّ «الشّعبة» في الواحة، ولما كان أبوه متفرِّغا في ميدان الفلاحة بالواحات، فقد تلقّى منه المبادئ الأوَّليّة في الفلاحة من خلال مساعدته له، حيث تسلَّق أُولى النّخْل في حياته وعمره لا يتجاوز خمس سنوات، كما تعلّم جلب المياه من البئر على الطّريقة التّقليدية

باستعمال الدّواب وهو ما يعرف بـ (أجْبَاذْ).

تدرّج في التّعليم من المستوى الابتدائي بالمدرسة الرّسمية (ابن خلدون للبنين) ناحية (باب اَجديد)، أما دراسته القرآنية فكانت بمدرسة عمي سعيد القرآنية بفرعيها (تاجّيوين) بالقصر شتاء و(بابا السّعد) بالواحة صيفاً، حفظ خلالها نصف القرآن الكريم، وداوم على مدارسته بحضوره للختَمَات ومجالسّ الذكر، ومن أشهر أساتذته في المدرسة: إبراهيم بن عمر سيوسيو، وبابا بن داود قزريط، والحاج إسماعيل بن حمو علواني، وعمر بن أيوب حموده وغيرهم، واضطر للانقطاع عن الدّراسة لظروفه الاجتماعية.

بدأ «حمو» حياتَه المهَنيَّة مُبكّرا، وقد كان أثناء دراسته الابتدائية يستغل أوقات الفراغ في «تسلُّق النّخيل» لتنظيفها وقطع التّمور...، ولكنّه بمجرد أن انقطع عن الدّراسة سنة 1982م سافر للعمل بمتجر للقماش في «عين أُولمان" بمدينة "سطيف"، ونظرا للظروف القاسية والحياة الصّارمة التي مرّت على أبناء الوطن المغتربين وانقطاع أخبار أهاليهم عنهم، فقد توفّي أبوه "عيسى" عامّ 1984م ولم يعلم بذلك إلاّ بعد أيام بقدوم أحد أقربائه وإعلامه بذلك، وكان ذلك سبباً ليغادر حياة الغُربة ويعود إلى مسقط رأسه ليشتغل في نقل مواد البناء على ظهور الدّواب، وكان وكيله بعد وفاة أبيه أخوه الأكبر «قاسم بن عيسى» يوجّهه ويقوم بمصاريفه المالية، وبالتّوازي مع عمله المذكور فإنّ «الشّيخ» لم يتخلَّ عن تسلق النّخيل وخدمتها إلى مماته.

وفي عامّ 1994م استقلّ عن عائلته الكبيرة بمنزل خاصّ به، حيث كان يجلب على دابته كلَّ ما يلزم من الحجَر لبناء دارِه بمفرده من إحدى الشّعاب القريبة من حيّه، وقد عرف بأخلاق وسمات قلّما تجتمع في الشّخص الواحد؛ نذكر منها :

خفّة الظّلّ ورقّة الرّوح: فقد كان الجميع يرتاح للجلوس إليه ويفرح بقدومه ليستمتع بأغاريده الشّعبية، خاصة اختصاصه في إنشاد «العَايدِي»، وكان بارعاً فيها ومتميزاً به في موسم الأعراس ومختلف الحفلات.

الحيوية والنّشاط؛ حيث يمتلك قدرة هائلة على طول النّفس في العمل، فكان يتناوب في عمله بين دابّتين لكي لا يكلِّف الواحدة ما لا تطيق.

بساطة في العلم وحصافة في الرّأي، فرغم بساطة تكوينه حيث لم ينل الشّهادة الابتدائية لكنه رضع لبان العلم من أحضان الطّبيعة ومعاشرة ذوي التّجربة من الكبار والمسؤولين في الهيئات العرفية، ففرض وجوده في كثير من المناسبات ليقوم بدور السّفير المعرّف بوطنه مزاب.

الغيرة على المجتمع وممتلكاته الوقفية، فقد كان لسانه لا يبرح عن ذكر الموروث التّاريخي والحضاري ليعرفه للأجيال النّاشئة، جاهدا في التّحسيس بالمحافظة عليها وتحميل المسؤولية عن ضياعها.

الجود والكرم رغم بساطة عيشه، ويحكى عنه أنه إذا أراد أن يتناول فطوره -بين أوقات العمل- يجلس على حافّة الطّريق العام ليشاركه فيه المارّة على اختلاف أجناسهم وللتعرف بهم.

من أبرز ما اشتهر به «الشّيخ نْ آت موسى» انضمامه إلى هيئة أُمناء السّيل عام1991 م، لكونه قبل ذلك من أكبر أعوانهم ينشط معهم بكل إخلاص، فيروي عنه من كان معه أنه ما إن يشاهد تحرُّكات السّحاب يتحزَّم ويقصِدُ غيرَه مِن الأمناء ويجمعُهُم في أبراج المراقبة ليقوموا بالعمل المنُوط بهم، ولشدَّة حِرْصِه على متابعة مسيرِ المياه كان لا يسمح للأمناء بالمغادرة، فيقصد منزلَهُ ويُحضِرُ ما يمكن أن يتناوله المتطوِّعُون في تلك اللَّيلة، وفي الصّباح تكون أمُّه قد جهَّزت الفطور للمتطوِّعين لتُشارِكَهُم بما تَقْدِر عليه من عون ومساعدة، إلى جانب ذلك كان دائم المتابعة الميدانية للسُّدود خاصة في فصل الأمطار الموسمية، إذ يستغلُّ كلّ فرصة متاحة أمامه ليَعرِضَ أهميتها وأخطارها وما قد ينجرُّ عن حدوث خلل فيها لا قدر الله.

كما يُذكر عن «الشّيخ نْ آت موسى» أيضا أنه طُلب للقيام بشؤون النّخيل التّابعة لأوقاف مسجِد (قصر مليكة) التي كانت موزعة بين قصر (مليكة) وواحات (غرداية) و(ختالة ببنورة) و(متليلي) و(وارجلان) فوافق، وكان خبيرا وضابطا لأموالهم، فهو يحفظ حدود أراضيهم وأملاكهم كأصحابها، وكثيرا ما كان مَرجِعاً في البُيوع.

من أهمّ أعماله في المجتمع أيضا:

- عضوية في فرقة البارود والفنطازيا النّاشطة في المناسبات الاجتماعية والوطنية.
- عضوية «لجنة الرّي وتهيئة الإقليم» في مجلس الأعيان.
- عضوية في هيئة «إمصوردان».
- عمله في حفر الآبار التّقليدية، خاصة في فترات الجفاف.
- استقبال الزّوار والسّياح في واحة غرداية ليعرفهم ببعض الوسائل التّقليدية وخدمة النّخيل وجلب الماء من الآبار.

ومن آخر نشاطاته سنة 2011م؛ شارك في «زيارة استكشافية» رفقة إخوته وبعضا من أعيان «الضّاية"، دامت يومين كاملين للتحقيق بالمعاينة في المنطلق الذي ينحدر منه "واد مزاب"، فتوصلوا إلى أنّ "واد الأبيض" يمتد 70 كلم شمالاً إلى رأس "بن الأحسك" قبيل "ضاية لوصيف" نواحي "حاسي الرّمل"، وأنّ "واد لعديرة" شمالاً يمتد حوالي 60 كلم قرب "واد بالوح"، ومن آخر أعماله أيضا مشاركته مع فرقة "عمر بوسعدة" في تدريبات "أوبيرات فنية» باللسان المحلّي لتشارك بها في «ملتقى الاستثمار في الأوقاف» بالجزائر العاصمة، ولكن كتب الله أن يتوفى قبل الموعد بقليل.

عـرف أيضاً الشّـيخ ن آت موسـى بهواية السّـفر فكان سـفير التّراث المزابي وتقاليده في كل تنقّلاته داخـل الوطن وخارجه، ومن رحلاته نذكر:

– مشاركته في مهرجان ثقافي بمدينة تيمقاد، ولاية باتنة؛

– قيامـه برحـلات إلـى مدينـة عنابـة فـي مخيمات طلاّبية تربوية تثقيفية؛

– مشـاركته في مهرجان (صحـاري العالم) بدُبيّ؛

– مشاركته الفعّالة في «مهرجان البارود» في فرنسا.

توفّـي يـوم الأحـد 04 شـعبان 1433هـ، الموفق لـ 24 جـوان 2012م عن عمـر يناهز 42 عاما.

عبد الحميد بن بشير الحاج سعيد

المصدر:

– شهادات مسجلة من خلال جلسة مع أخيه الأكبر الحاج قاسم.

– شهادات مسجلة من جلسة مع رفيقيه في العمل الاجتماعي: حسين علواني وموسى مصباح.

– مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 26 سنة: 1999م.

■ حمو بن موسى، عمّي سعيد
(و: 1324ه - 1906م / ت: 1425ه - 2005م)

الشّـيخ الحاج حمو بن موسـى بن الحاج محمّـد بن موسى بـن قاسـم بـن محمّد بن موسـى بـن محمّـد بـن سـعيد بن أحمـد بن الشّيخ صالح بن الشّـيخ عمي سعيد الجربي الذي ينتسـب إليه آل عمي سـعيد من عشيرة آل بلحاج بغرداية، وجدّ العائلة قدم من جربة إلى وادي مـزاب في القرن التّاسـع الهجري (ت927هـ/ 1521هـ) لإحيـاء العلـم، ولـد الشّـيخ حمـو عمي سـعيد فـي غرداية خلال سـنة 1324هـ، الموافق لسـنة 1906م، إلا أنه سُجّل سـنة 1911م وذلك حتى لا يُسجَّل في قوائم الخدمة العسكرية الاستعمارية.

نشـأ المرحوم في أسـرة فلاحيـة متواضعة محافظة على الدّيـن وترعرع فيها بين أحضان والديه، كان شـغوفا بالعلم ميّالا إلى المطالعة منذ نعومة أظفاره، جمـع بين العمل الفلاحي والتّكويـن العلمي معتمداً على نفسـه إلى حد كبيـر، وكان من ثمار مثابرته فـي ميدان التّعلم حفظـه القـرآن الكريـم ولطائفـة مـن المتـون العلمية كالأجرومية والألفية في اللغة والنّحو، والدّعائم وعقيدة العزّابة والجادوية في التّوحيد والفقه وغيرها، وقد نظم أوقاته كالتّالي:

– وقت السّـحَرِ لمطالعة دروسه في محضرة عمّور.

– الفترة الصّباحية يخصّصها للفلاحة.

– الفتـرة المسـائية بعـد صـلاة العصـر يخصّصها للحضور في حلقة الشّـيخ يوسف بن بعمور بافولولو.

– ملازمـة مجلس تـلاوة القـرآن الكريم بين المغرب والعشاء.

حَفِـظَ القرآن الكريم على يـد رجل فاضل قدم من بلاد عُمان يدعى الشّيخ أحمد العُماني، وأخـذ العلـم عن عـدّة مشـايخ عبـر ملازمته الدّائمة لحلقاتهم، حيث ركّز تكوينه على الفقه واللغة العربية، لكن ذلك لم يمنعه من حضور بعـض الحلقـات الأخـرى كحلقـات العقيدة وغيرها، ثم تفرّغ بعد وفاة والدّه للدراسـة عند الشّيخ الحاج يوسف بن إبراهيم بافولولو (ت: 1400هـ/ 1980م) ولازمـه كثيرا إلى أن تسـلّم منصب الإمامة والإرشـاد في المسجد العتيق بغرداية.

أخـذ العلـم عـن الشّـيخ بابه بابكـر الذي درس عنده الفقه واللغـة العربية، وأخذ الفقه عن جده لأمه الشّـيخ بهون بن موسى الحاج سعيد (آت موسى)، وتعلم اللغة العربية لدى الشّـيخ عبد العزيز المليكـي، كما تتلمذ لدى المشايخ: الشّـيخ الحاج يوسـف بن إبراهيم بافولولو، والشّيخ يوسف بن بعمور بافولولو، والشّـيخ أحمـد بن عيسـى قزريط، والشّـيخ بكير بن عمر موسى واعلي، والشّيخ جمّه بن عبد الله بالّة، والشّيخ عيسى مشماش...

تحلـى الشّـيخ -رحمـه اللـه- بصفـاتٍ أهّلتـه إلـى تحقيـق إنجـازات حضاريـة خالـدّة، ونُقـش اسـمه فـي سـجل الخالدّيـن المصلحيـن فـي مجتمـع غردايـة، فقـد عـرف بإخلاصـه فـي النّصـح، وغيرتـه المتأجّجـة علـى المجتمـع، وكثيـراً مـا كان يـردّد: «الدّيـن نصيحـة» و»مـن لا غيـرة لـه لا حـظّ لـه فـي الإسـلام « و»طوبـى لمـن خلقتـه للخيـر وأجريـت الخيـر علـى يديـه»...، وكان بإخلاصـه يَبكـي ويُبكـي الجمـوع عندمـا تلتهـب نفسـه حُرقـة وأسـى علـى منكـر أو مخالفـة شـرعية، حيـث كان أمّـاراً بالمعـروف وناهيـاً عـن المنكـر أينمـا حـلّ وارتحـل دون مجاملـة ولا مسـاومة، وقـد وهبـه اللـه الـذكاء والعلـم مـا اسـتطاع بهمـا أن يصلـح ذوات البيـن ويؤلّـف بيـن قلـوب النّـاس، وكان ممـن ألهمهـم اللـه الصّبـر، فقـد صبـر علـى قيـادة المجتمـع رغـم مـرور فترتـه علـى تغيـرات سياسـية واضطرابـات عظيمـة فـي المجتمـع، وإن لـم ينـجُ كغيـره مـن المشـايخ مـن الظّلـم والمكائـد والجفـاء، وكثيـرا مـا كان يشـتكي مـن أمـراض يصـاب بهـا بسـبب الهمـوم والأحـزان.

بـرزت كفاءتـه الوعظيـة وتضحياتـه السّـخية فـي المجتمـع عندمـا كان فـي منظمـة «إمصـوردان" (وهـي منظمـة اجتماعيـة تابعـة لحلقـة العزابـة)، بمحضرة عمُّـور ممـا جعـل حلقـة العزّابـة بقصـر غردايـة تلّـح عليـه للانضمـام إليهـا، فـكان انضمامـه لحلقـة العزّابـة سـنة 1957م إثـر وفـاة الشّـيخ حمـو بـن باحمـد بابـا وموسـى (ت: 1376هـ/ 1957م)، وبعـد أربعـة أشـهر مـن انضمامـه للحلقـة أسـندت لـه وظيفـة الإمامـة خلفًـا

للشيخ الحاج محمّد باباموسى الذي ارتقى إلى رتبة الشّيخ بعد وفاة أخيه الشّيخ حمو، وبقي ملازماً لوظيفة الإمامة والوعظ والفتوى في المسجد، وسُمّي شيخاً لحلقة العزابة خلفا للشيخ الحاج محمّد بابا وموسى (ت: 1394هـ/ 1974م).

كان مهتما بالعلوم الشّرعية ولِهاً بها، وكثيرا ما كان يركّز في دروسه وكلماته على ضرورة الاهتمام بتعلم الفقه الشّرعي وتعليمه، وله جهود كريمة في دعم المشتغلين في تعلم علوم الشّريعة وتعليمها، وقد أسهم بفعالية في تأسيس «معهد الشّيخ عمي سعيد» سنة 1973م رفقه ثلة مباركة من المشايخ والأعيان، كما أسهم في جهود تطوير النّظام التّعليمي على مستوى المسجد الكبير بغرداية رفقة وكيل المسجد المرحوم «الحاج داود حواش» (ت: 1410هـ/ 1990م)، وقد أسفرت جهودهما في إنشاء مدرسة المسجد القرآنية والتّي تسمى حاليا «مدرسة عمي سعيد».

تقلّد -رحمه الله- رئاسة اللجنة المكلفة بنظام تسيير الأودية والسّيول بغرداية، والمسمّاة بمنظّمة «أمناء السّيل»، وقد أشرف على إنجاز أعمال جليلة في هذا المجال مثل: تهيئة سد «بُوشّن» وتجهيزه بمصارف آلية حديثة، وحفر بئر في وسط سدّ «بُوشّن» لتنفُذَ مياهُه إلى الطّبقة الجوفية، وأشرف على ترميم بعض السّواقي، وكان عضوا في مجلس عمّي سعيد، وكان له الفضل في إنشاء مقبرة «عُوقبة" الكبيرة وبناء مسجدها العامر مع ثلة من الرّجال المخلصين، وسعى إلى تسوير مقبرة "الشّيخ بالحاج داود" وصيانة القبور من جرف السّيول، وكذلك سور مقبرة "الشّيخ عمي سعيد" وصيانتها، وكذا مقبرة الشّهداء "إمَحرَاسْ" وحفظها، كما أشرف مع وكيل المسجد آنذاك "الحاج داود حواش" على توسيعات "المسجد الكبير" و"مسجد بُوشَمجَانْ" ودعمهما للمشرفين على تسيير "مسجد إغُوزَةَ"، كما أسهم كغيره من رجال الأمة في العمل السّياسي أيام الاستعمار ودعم ثورة التّحرير المظفرة بغرداية.

أسلم الشّيخ حمو روحه لبارئها عن عمر يفوق قرنا من الزّمن وذلك ظُهر يوم الثّلاثاء 21 ذو الحجة 1425هـ، الموافق لـ 01 فيفري 2005م.

الحاج سعيد أيوب بن مصطفى

المصدر:

- الحاج حمو بن موسى وعمي سعيد حياته وآثاره، تأليف: قاسم بن إبراهيم بلعديس، 2005م.
- مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 32 سنة: 2005م.

■ حميد ناصر خوجة
(و: 1372ه - 1953م/ت: 1438ه - 2016م)

حميد ناصر خوجة أحد أبرز كتاب وشعراء سبعينيات القرن الماضي باللغة الفرنسية، رأى النّور في 25 جانفي 1953بمدينة الأخضرية ولاية البويرة، بعد تلقي تعليمه القاعدي الابتدائي، الإكمالي والثّانوي بالجزائر العاصمة،وإحرازه على شهادة الباكالوريا التّحق بالمدرسة الوطنية للإدارة.

وبعد سنوات التّكوين بالمدرسة العليا والتّخرج فيها عام1977

انتسب إلى سلك الإدارة المحلية إذ ترأس دائرتين في كل من ولايتي باتنة والمسيلة قبل أن يلتحق عاملا ملحقا بمقر ولاية الجلفة وقد شغل منصب ملحق بديوان والي ولاية الجلفة إبان منتصف تسعينيات القرن الماضي عن حب.

عمل في الإدارة المحلية بمقر ولاية الجلفة وقد شغل منصب ملحق بديوان والي ولاية الجلفة إبان منتصف تسعينيات القرن الماضي، رفقة العديد من الإطارات الذين

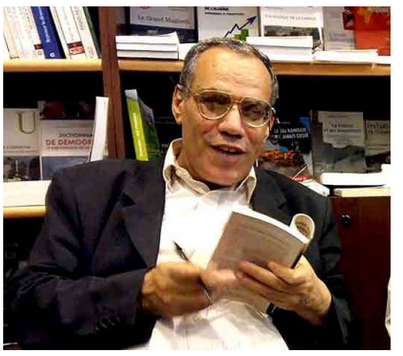

تقلدوا مناصب سامية... ليبقى هو موظفا عاديا بالإدارة المحلية بولاية الجلفة، وربما لولا اقتراح والي الجلفة له آنذاك ليكون على رأس ملحقة المكتبة الوطنية التي فتحت فيما بعد بالجلفة لبقي في أرشيف الإدارة وعلى الرّغم من عمله في الإدارة إلا أن اهتمامه الأدبي ازداد مع الأيام.

فقد كان محبا للأدب والفكر،ومنح نفسا جديدا للحركة الأدبية والفنية في مدينة الجلفة بفضل مؤازرته ومرافقته للفعل الثّقافي وتشجيعه لكل مبادرة من شأنها تخدم الثّقافة والمثقفين في الولاية،وخلال ذلك انكب في البحث فأنجز رسالة ماجستير وتبعها بأطروحة دكتوراه عن رفيقه جون سيناك،وقد كان شديد الذكاء متفرغا لعمله ولأبحاثه،زاهدا في الدّنيا،محبا للقراءة والكتاب،الأمر الذي سمح له بأن يكون مكتبة خاصة حوت مراجع ومصادر مهمة عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية بأقلام جزائرية وغير جزائرية،وقد كانت علاقته وطيدة مع أدباء الجزائر ونقادها وشعرائها الذين يكتبون بالعربية والفرنسية على حد سواء إلى جانب اهتمامه بالثّقافة التّراثية الوطنية بجميع أشكالها وظواهرها،وقد انتسب إلى هيأة التّدريس بالجامعة بعد إحرازه على الماجستير من جامعة السّوربون بفرنسا على نفقته الخاصة حول أعمال جون سيناك وآلبير كامي وتعمقت العلاقة بينهما أدبياوإنسانيا،ولم تفتر إرادته التي اكتسبها من مهامه الإدارية والتّزاماته التي كانت تأخذ وقتا كبيرا من يومياته إذْ ناقش بحثا للدكتوراه وسمه

بـــسيناك ناقدا بعد خمس سنوات من حصوله على الماجستير من الجامعة نفسها وبإمكاناته الخاصة،بعدها التّحق لتولي إدارة معهد الأدب واللغـات بالمركز الجامعـي للجلفة،وبفضل بحوثه الكثيرة ومشاركاته في ملتقيات أكاديمية دوليـة ووطنية ترقـى إلى درجة الأسـتاذية عامّ 2016.

اهتـم حميـد ناصـر خوجة لكونه شـاعرا يكتـب بالفرنسـية بـكل أعمال جون سـيناك الـذي ربطته بـه علاقة صداقـة وطيدة،حيث خصّص لـه الكثيـر مـن إصداراته،مـن بينها موسـوعة الشّـعر الجزائـري الجديـد التـي أسـهم فـي إنجازها بمعية يوسـف سـبتي،و حميد سـكيف وآخرين، تحت إشراف جان سيناك نفسه إبان سـبعينيات القرن الماضي، وقد جمـع حميد ناصر خوجـة في 1999 كل دواويـن سـيناك فـي مجلـد واحد كمـا قدم أعمالا أخـرى كثيرة من بينهـا مؤلف بعنوان ''البيركامـي جـان سـيناك أو الابـن المتمرد إلـى جانـب إسـهاماته النّقدية فـي الصّحافة المكتوبـة وأنشـطته الثّقافيـة والأكاديميـة بالجامعة.

وقـد أحدث هذا الكتـاب ضجة كبيرة في فرنسـا، وأنـه فـي الجزائر وحدهـا بيعت منه حوالـي 2500 نسـخة، إلـى جانب إسـهاماته النّقديـة في الصّحافة ومشـاركته فـي العديد من الملتقيات الجامعية

«أنجـزت مؤسسـة الجلفـة إنفـو» فيديو نـادرا للأديب الشّـاعر البروفيسـور «حميد ناصر خوجـة» يتحـدث فيه عـن علاقته مع الشّـاعر جـان سـيناك''، وقـد حمـل الفيلـم عنـوان ''وصية سـيناك''، والذي تـم إعداده وإخراجـه مـن قبـل الكاتـب والباحـث والمترجـم، عمر خضرون عـامّ 2003 بمدينة مسعد ولاية الجلفة.

كمـا قـدم أعمـالا أخـرى كثيرة مـن بينها مؤلف بعنـوان «البير كامو –جان سـيناك او الابن المتمرد» كمـا تقدم، إضافة إلى كتاب «وجـوه الجزائر. نظريات فـي الفن»، وهذا حـول الفـن التّشـكيلي وعلاقـة سـيناك بها، إلـى جانـب إسـهاماته النّقدية فـي الصّحافة المكتوبـة، وخلال مشـاركته فـي الملتقيات الجامعية

وقـد قيـل عـن دوره الإعلامي فـي إثراء السّـاحة الإعلاميـة الجزائريـة المكتوبـة من خـلال مقابلة صحفية أجراها معه عبد القادر حميدة في مجلة مسارب الإليكترونية:

كان رئيـس تحريـر جريـدة الأمّـة التابعة لحزب الحريات الدّيمقراطية MTLD

توفـي حميـد ناصـر خوجـة إثـر مـرض عضـال الزّمه الفراش أشـهرا عديـدة يوم 16 سـبتمبر 2016 بمدينـة الجلفة عـن عمر ناهز 63 سنة.

باديس فوغالي

المصادر:

- مكالمة هاتفية مع رفيق دربه الشّاعر سليمان جوادي بتاريخ 19 / 09/ 2020
- حميد ناصر خوجة / ويكيبديا الموسوعة الحرة
- عبد القادر حميدة / هكذا تحدث حميد ناصر خوجة، مجلة مسارب الاليكترونية في 18/ 04/ 2013

■ حميدة العَمّالي
(و: 1227ه - 1812م/ت: 1290ه - 1873م)

حميـدة بـن محمّـد العَمّالـي، نسـبة إلـى منطقـة عَمّـال بنواحـي الأخضريّة مـن ولايّة بومرداس. ولد سنة 1227 هـ الموافق لـ 1812 م بالجزائر. فقيه محدث وقاضي المالكيّة في عصـره، مفتي الجزائر وإمـام الجامع الأكبر. حفـظ القـرآن الكريم في صغره على الشّـيخ سـيدي عُمر المتوفي سـنة 1275 هــ، ويذكر فـي سـيرته أنـه كان تلميـذا للشـيخ محمّـد بـن عبد الرّحمـن بوقبْريـن مؤسّـس الطّريقة الخلوتيّـة الرّحمانيّـة بالجزائر. أخذ الشّـاب حميدة علـوم العربيّـة والعلوم الشّـرعيّة عن العديد من مشايخ الجزائر وعلمائها في تلك الفترة، أبرزهم مفتـي الجزائر وإمام الجماعة بها الشّـيخ محمّد بن الشّاهد الصّغير، والفقيه المحـدث إمـام الجامـع الكبيـر بالعاصمـة الشّـيخ العربـي والقاضـي الشّـيخ واعزيـز. وأجازه العديد من شـيوخ عصره. فقد أجازه فـي علـم الحديـث كل مـن مفتـي المالكيّـة خـلال العهـد العثمانـي الشّـيخ مصطفى بن محمّد المعروف بالكبابطي، والشّيخ حمودة بن محمّد المقايسـي وأجـازه كذلك في علم القـراءات الشّـيخ أحمّـد بـن الكاهيّـة. كمـا أجازه الشّـيخ محمّد صالح البخاري المدني لما وفد على الجزائر سـنة 1261 هـ. وحسب الرّوايّـات التي تناولت سـيرته فإنـه يكون قد التّقى بالشّـيخ عبد القادر بن يوسف القادري في الحجاز خـلال رحلته لأداء فريضة الحج واسـتفاد مـن علمـه. ومـما يرويه عنـه ولده علي العمالـي أن والدّه كان يقدم دروسًـا في علم الـكلام بجامع ركروك، وصادف أنه يوم ختم (رسالة السّنوسيّة) في علم التّوحيد كان يتواجد بالجامع شـيخاه مصطفـى بن محمّد الكبابطـي ومحمّد بن الشّـاهد الصّغير، فلما أنهى درسـه قام الشّـيخ ابن الكبابطـي وهنأه علـى ذلك وقـال لـه: « إننـي اليوم مسـرور بأكلي لثّمرة غرسي، ودعا له بالخير».

كان أبـرز مـن أخـذوا عـن الشّـيخ العمالـي، نجلـه الشّـيخ علـي العمالـي الـذي صـار مدرسًـا وإمامًـا بالجامـع الكبيـر فـي العاصمـة والشّـيخ محمّـد بـن عيسـى الجزائـريّ المعـروف بالعديـد مـن التّصانيـف التـي ألفهـا، ومفتـي المالكيّـة بالجزائـر العاصمـة محمّـد بـن مصطفـى بـن زاكـور، وإمـام الجامـع الكبيـر الشّـيخ محمّـد القـزادري والشّـيخ علـي بـن فخـار مفتـي مدينـة المديّـة والشّـيخ علـي بـن عبـد الرّحمـن مفتـي مدينـة وهـران، والشّـيخ الأديـب حسـن بريهمـات الـذي

يعتبر أول مدير لمدرسة حكوميّة عصريّة، حسبما أفاد بذلك الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي.

تولى الشّيخ حميدة العمالي العديد من المناصب العليّا كالقضاء والافتاء والإمامة إلى جانب قيامه بالتّدريس والوعظ والإرشاد. فقد وُلّي القضاء الشّرعيّ سنة 1266 هـ الموافق لـ 1849 م وبقي في منصبه حوالي سبع سنوات، بعدها انتقل سنة 1273 هـ الموافق لـ 1856 م لممارسة مهام الإفتاء خلفا للشيخ مصطفى القادري، وظل في منصبه كمفتٍ للمالكيّة حتى توفاه الله. وإلى جانب عمله بالقضاء والإفتاء، تولى الشّيخ حميدة العمالي منصب الإمامة بجامع ركروك لبعض الوقت، وكان هذا المسجد يتواجد في نهايّة الشّارع الذي يعرف اليوم بشارع عمر القامة بالقرب من المسرح الوطنيّ. ثم انتقل إلى الجامع الكبير حيّث مارس مهنة الإمامة والتّدريس به. وعرف عنه أنه كان يقوم بالتّدريس والخطابة في المساجد التي أم النّاس بها.

ترك الشّيخ حميدة العمالي العديدّ من الآثار التي أجْملها من تحدثوا عن سيرته. ولعل أهمها هي مجموعة الفتاوي الفقهيّة التي تفوق الثّلاثمائة مسألة، وكانت تلك المسائل في الغالب ثمرة حوارات أجراها الشّيخ العمالي مع الشّيخ علي بن المبارك القلْعي عالم بلدة القليعة. وله رسالة في نظام وترتيب محاكم القضاء الشّرعيّ، وكذلك مصنف في القضاء، فصوله وأنواعه وشروطه. كما ترك رسالة حول أحكام مياه الباديّة، إضافة إلى مجموعة من المرويّات ضمّنها أخبار عصره وشيوخه وسيرة عائلته. وعرف عنه أنه كان محبا لجمع النّفيس من الكتب والنّادر من المخطوطات. وكان يضرب به المثل في هذا الجانب لاهتمامه باقتناء الكتب وتصنيفها والاطلاع عليها.

وصفه الشّيخ عبد الرّحمن بن محمّد الجيلالي في كتابه (تاريخ الجزائر العام) بـ العلامة المتفنن والفقيه المحدث والكاتب البليغ والقاضي المحقق. وقال عنه إنه «كان آيّة من آيات الله في الذكاء والفطنة والفهم والبراعة في الحديث والبحث في التّحقيق. أما الشّيخ أبو حامد المشرفي فوصفه في مصنفه (ذخيرة الأواخر والأوائل) بـ السّيد الجليل والعالم النّبيل، فريد العصر ووحيد المصر في علم المعقول والمنقول، جمع أشتات العلوم وأجاز وأُجيز، وله القلم البارع الذي يرعف الدّرر ويواقيت الكلام والرّسوخ في الفتاوي والأحكام. استفاد منه خلق كثير وانتفع ونفع وأجاز وأُجيز وألف وصنف. وقال عنه الشّيخ أبو القاسم الحفناوي في كتابه (تعريف الخلف برجال السّلف)، «كان من العلماء العاملين، استفاد منه خلق كثير... مشهود له في وقته بالتّحقيق والبحث العميق ولم يترك بعده من يجمع الخلق عليه في المسجد الأعظم وغيره لتدريس صحيح البخاري بدرايّة أهل الدّرايّة».

توفي الشّيخ حميدة العمالي سنة 1290 هـ الموافق لـ 1873م ودفن بجوار الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي بالعاصمة بناء على وصيّة منه.

عامر بغدادي

المصادر:
- تاريخ الجزائر العام، عبد الرّحمن الجيلالي، ج 4، دار الثّقافة بيروت.

■ حميدة عبد القادر
(و: 1337ه - 1919م/ت: 1378ه - 1959م)

إن الشّهيد عبد القادر حميدة، الذي شبّ على مقارعة الاحتلال منذ صغره، حتى لقّبه رفاقه بالمناضل (الصّامد)، وعُرف في أوساط المناضلين بثقافته المزدوجة، وبحنكته وشجاعته وتفانيه في خدمة الوطن، فنشاطه الثّقافي والسّياسي بدأ مطلع الأربعينيات من القرن الماضي، حيث لامس معاناة النّاس جراء نتائج الحرب العالميّة الثّانيّة، والتّهميش الذي طال رجال الثّقافة والسّياسة، وخاصّة بعد أحداث الثّامن ماي 1945م، هو من مواليد بلدة بوسعادة سنة 1919م، أخذ تعليمه بكتاتيبها، وانتمى إلى المدرسة الفرنسيّة (شالون)، حيث ربطته الزّمالة مع طلبة قدّموا الكثير في مجال العمل السّياسي والثّقافي والكشفي، أمثال الرّئيس محمّد بوضياف، ودهيمي لخضر، التّحق بالمدرسة الثّعالبيّة غير أنّه توقف عن مواصلة التّعليم بعد أن قضى فيها سنتين، وتوجّه إلى العمل التّجاري والمشاركة في الحياة السّياسيّة والثّقافيّة.

إنّ تأسيس أوّل فرع للكشافة الإسلاميّة ببوسعادة يعود إلى سنة 1940م، وأسهم في وضع لبنته جمع من الشّباب، سيكون لهم دور كبير في العمل السّياسي والثّوري مطلع الخمسينيات، أمثال عبد الكريم علي، حميدة عبد القادر، كحيوش علي، وقد مثّل هؤلاء الثّلاثة فرع بوسعادة سنة 1941م في معسكر شبابي

عقد بالجزائر العاصمة، بمشاركة SMA، والكشافة الفرنسيّة. يقول السّيد علي عبد الكريم:« إنّه بسبب اِتّساع دائرة نشاط الفوج ببوسعادة وخارجها، وبتعليمات من الشّهيد محمّد بوراس، تمّ تكليفهم بتأطير وإنشاء بعض الفروع الكشفيّة ببلدة المسيلة والجلفة»، ظلّ العمل الكشفي قائما ببلدة بوسعادة إلى ما بعد أحداث 8 ماي 1945م، حيث تمّ إيقافه من طرف المستعمر، وإلقاء القبض على ثلاثة من الكشافة، وهم: حميدة عبد القادر، وطيار زيان، وبوغلام علي، وبعد محاكمتهم في المحكمة العسكريّة تمّ الإعفاء عنهم، يرجع تكوين فرع جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ببلدة بوسعادة إلى سنة 1932م، برئاسة الشّيخ محمّد بسكر، يُعينه في تسييره ثلّة من النّاشطين، أمثال عبد القادر عماري، وعلي بن عيجاج، وعلي ناجوي... وغيرهم. لم يُصرّح أعضاء المكتب باسم فرعهم، خشيّة ردة فعل الإدارة الفرنسيّة، وإنّما تقدموا بطلب إنشاء جمعيّة تحت مسمى " جمعيّة الهدايّة "، زار الشّيخ عبد الحميد بن باديس في هذه السّنة بوسعادة وشعر بهذا التّخوف، فكان حديثه معهم أثناء السّمر هو محاربة الخوف والجمود، وتشجيع الأعضاء على العمل.

انخرط المجاهد حميدة عبد القادر في جمعيّة العلماء بدايّة من سنة 1951م فكان من الأعضاء المستشارين، حسب القائمة الاسميّة التي نشرتها جريدة البصائر (جريدة البصائر، العدد: (153) بتاريخ: 30 أفريل من سنة 1951م)، كما وجدت اسمه في التّقرير الأمني المقدّم من قائد الشّرطة الفرنسي بتاريخ (18 سبتمبر من سنة 1957م)؛ حيث شغل أمينا عاما لجمعيّة الهدايّة التي يرجع إليها الفضل في تأسيس مدرسة الهدايّة، ومع أنّ الجمعيّة عملت في السّر، لكون الاحتلال قيّد حركتها، غير أنها واصلت نشاطها إلى غايّة الخمسينيات من القرن العشرين، فكانت تعقد جلساتها بانتظام برئاسة الحاج العربي بازة، وحسب تقريرها الأدبي والمالي الصّادر أول جانفي سنة 1955م- وهو مكتوب بخطّ كاتبها الشّهيد حميدة عبد القادر- فإنّ مساعي الاحتلال لم تتوقف في عرقلة مشروع الجمعيّة الممثل في بناء معهد ديني للأهالي.

إن للعمل الصّحفي أهميّة كبيرة في التّوعيّة وإصلاح المجتمع، وقد حاولت الصّحف المستقلة في العهد الاستعماري التّخلص من هيمنة الإدارة الفرنسيّة، فظهرت عدة صحف ومجلات آل عدد منها إلى الغلق والمتابعة، كانت صحيفة (المساواة/ légalité) التي أصدرها فرحات عباس والنّاطقة باللّغة الفرنسيّة، هي لسان حال حزبه» أحباب البيان والحريّة « المؤسس بتاريخ 14 مارس 1944م، بدأ حميدة عبد القادر الكتابة فيها وعمره 21 سنة، حيث وجد متسعا لعرض مآسي منطقته، فكتب بعض المقالات حول الحياة اليوميّة لبلدته، ومعاناة السّكان ومشاكلهم مع الإدارة الفرنسيّة، لم أعثر في أعدادها القليلة على ما كتبه ما عدا مقالة واحدة نشرها بتاريخ 13 سبتمبر 1945م، بعنوان(إداري بوسعادة يبالغ)، وأخرى تحت مُسمى(اجتماع بوسعادة)، فالجريدة لم تعمر طويلا، بسبب منع الإدارة الفرنسيّة صدورها بتاريخ 14 ماي 1945م، وبدايّة من سنة 1947م أصبح مراسلا لجريدة (لاريبليك ألجيريان) (الجمهوريّة الجزائريّة)، وهي لسان حال حركة UDMA(الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري)، والتّي تأسست بتاريخ 15 فيفري 1947م.

ألقت أحداث الثّامن من ماي الأليمة بظلالها على أهالي بلدة بوسعادة، فعمل (حميدة عبد القادر) مع بعض الشّباب على توزيع منشورات تدين المحتل، وتطلب من السّكان الالتّحاق بالمظاهرات، لقد تمّ القبض عليه وحكم عليه بالسّجن لمدة تسعة (9) أشهر قضاها ما بين سجن بوسعادة وسركاجي بالجزائر العاصمة، بعد خروجه نلاحظ تغيرا واضحا في فكره، ولعلّه وجد بأنّ الحل الوحيد في تغير الواقع والتّخلص من هيمنة الاستعمار هو الانخراط في العمل السّياسي المنظم، فانضم إلى شبيبة الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري JUDMA، إحدى الفروع التّابعة للاتحاد الدّيمقراطي، الحزب الذي أسّسه فرحات عباس بتاريخ 2 جوان 1946م، فكان من أبرز عناصر شبيبته بمنطقة بوسعادة وما جاورها، وستتيح له حيويته وفاعليته داخل الحزب فرصةً للتحدّث أمام إطاراته، وفرصةَ استقبال فرحات عباس، الذي سبق له أن زار بلدة بوسعادة بتاريخ 11 أفريل 1944م، وحظي بتجمع شعبي كبير حضره 800 مناصر، بقي الشّهيد (حميدة عبد القادر) وفيًا لحزب فرحات عباس، وغطى بمقالة نشرها بتاريخ 3 ماي 1947م، الحملة الانتخابيّة التي قادها أعضاء اللجنة المركزيّة بقيادة رئيس الحزب، انطلاقا من بلدة سور الغزلان، والتّجمعات الشّعبيّة الحاشدة التي أقيمت لهم في بوسعادة وابن سرور وامجدل، ولعل آخر تجمع شارك فيه هو مؤتمر الشّبيبة الجزائريّة المنعقد بتاريخ 22 سبتمبر 1954م، بجبل العنق بغابة (جبل إمساعد) جنوب بوسعادة، برئاسة محمود برويبة.

اندلعت الثّورة التّحريريّة ووصل صداها إلى بوسعادة، ليسهم (حميدة عبد القادر) مع شبابها في التّأطير والدّعم، وأشار المجاهد (عيسى قاسمي) ابن بلدة توجة، والذي عاش في بوسعادة من سنة 1960م إلى غايّة 1962م، وشارك في العمل الفدائي بالولايّة السّادسة، إلى مشاركة (حميدة عبد القادر) في العمل المدني الثّوري، قبل أن يلتحق بصفوف المجاهدين بالجبال، حيث قال في مذكراته في غضون شهر جانفي سنة 1955م، تأسّست أوّل لجنة لمساندة الثّورة ببوسعادة، وكانت مكلفة بجمع السّلاح والإعانات الماليّة لفائدة طلائع المجاهدين بجبال بالسّطرو(الأخضريّة حاليا)، وكانت تتألف من حميدة عبد القادر، والباهي عطيّة، ودلاوي عبد القادر،

وابن عطيّة عبد الرّحمن، ومع نشاطه ضمن هذه اللّجان التي كانت تعج بها أحياء بوسعادة القديمة، فانّه لم يترك الكتابة إلى غايّة 1955م، لم يكتب للسّيد عبد القادر أن يقف مرة ثانيّة على قبر المناضل علي حمامي ليبشره بالاستقلال، فقد شاءت الأقدار أن يلقي الجيش الفرنسي القبض عليه سنة 1959م في جبل بوطالب، ويقوده إلى سجن المسيلة، حيث سلّط عليه أنواع العذاب قبل أن يغتاله الضّابط الفرنسي لادين مارتينز ويخفي جثته، ليلتحق بركب الشّهداء الكثيرين الذين لا تعرف قبورهم، أمثال صديقه في الكفاح فكاني لعموري، والعربي التّبسي وغيرهما.

محمّد بسكر

المصادر:

- جريدة البصائر،2/ 8 نوفمبر، 2020م.
- عيسى قاسمي، ذاكرة فرد... تاريخ أمة.
- مصطفى لشرف، أعلام ومعالم.
- كمال بيرم، معالم الحركة الوطنيّة بمنطقة المسيلة.
- أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثّقافي.

■ حناني عبد الرّحمان (عبد الله)
(و: 1348ه - 1929م/ت: 1378ه - 1959م)

ينتمي البطل حناني عبد الرّحمان المدعو عبد الله، إلى عائلة أصيلة عرفت ببساطتها ورفضها للظلم، تمتهن الفلاحة وتربية الماشية، ففي أحضان هذه العائلة في بلدية السّوارخ بولاية الطّارف ولد بطلنا وهو الابن البكر لثلاثة إخوة ذكور، وكان ذلك يوم 24 أوت 1929، والده هو محمد بن أحمد بن الهاني بن عمار، أما أمه فهي مبروكة عرفوني أخت الشّهيد البطل اللهيشي.

لقد عاش البطل اليتيم بعد وفاة والده متحملا المسؤولية منذ صغره، تزوج بابنة خاله السّيدة مالية عرفوني المدعوة فلوسة، وأنجب منها ولدين وبنتا لا زالوا جميعا على قيد الحياة.

عرف بطلنا بكثرة نشاطه وتنقلاته بين مسقط رأسه السّوارخ ومدينة القالة، فأكسبه ذلك وعيا ونضجا وإدراكا لمظالم العدو، حيث عاش مآسي مجازر 8 ماي 1945، تعرف على نشاط حزب الشّعب وملاحقات العدو لنشطاء المنظمة الخاصة، فبمجرد ما إن اندلعت الثورة حتى كان بطلنا متفاعلا معها.

لما سجن خاله اللهيشي وعذب بسجن القالة حتى استشهد، أدرك بطلنا أن الدّور سيكون عليه، فأخذ إخوته وزوجته والتحق بالتراب التونسي أين انضم إلى الثورة التي أدركت شجاعة الرّجل وكفاءته القتالية ودرايته بالمنطقة، وقد أثبت كل ذلك بالعمليات التي هندس لها ونفذها بكل اقتدار، الأمر الذي جعل قادة الثورة يرقونه إلى رتبة عريف بسلاح المدفعية، فقاد عدة عمليات كرئيس مجموعة أثبت من خلالها حكمته وشجاعته.

استشهاد البطل حناني عبد الرّحمان المدعو عبد الله: آخر عملية قادها البطل كمسؤول عن مجموعة المدفعية هي عملية الهجوم على ثكنة أم الطّبول بولاية الطّارف حيث تجاوز الحدود والأسلاك الشّائكة والملغمة لضرب تلك الثكنة التي كانت تعج آنذاك بعسكر العدو وعملائه لكن بسبب الوشاية، اكتشف أمره فحاصرته القوات الاستعمارية بالدبابات، لكن بطلنا بقي مواجها للعدو بسلاحه بشجاعة وإقدام، فاسحا المجال لانسحاب رفاقه، مضحيا بنفسه في سبيل الوطن حتى استشهد بمسقط رأسه على بعد أمتار من الثكنة العسكرية التي كان متوجها إليها لتنفيذ ما خطط له وكان استشهاده يوم 16 ماي 1959م اهتزت له عروش السّوارخ والقالة وبقي سكانها يرددون بطولات الشّهيد حناني عبد الله وقصة استشهاده لازالت تروى إلى الآن للأجيال.

عرضت السّلطات الاستعمارية جثته الطّاهرة بساحة أم الطّبول، ومارست عليها كل أنواع التنكيل والتشهير لمدة ثلاثة أيام متتالية، ثم قامت برمي الجثة بشعبة السّطحة أين اكتشفت من طرف أحد أبناء المنطقة فقام بدفنها بجانب الواد، وجاءت الحيوانات فأخرجتها، ليكتشف الأمر من طرف امرأة عرفت صاحبها فقامت بدفنه. وبعد الاستقلال، اتصلت تلك المرأة بالعائلة التي نقلت جثمانه الطّاهر إلى مقبرة الشّهداء بأم الطّبول

لقد ضحى بطلنا بزهرة شبابه من أجل سيادة الوطن وبقي رمزا من رموز دائرة القالة تقتدي به وببطولاته الأجيال، رحم الله البطل الشّهيد عبد الله حناني والمجد والخلود للشهداء وتحيا الجزائر.

فاتح نواري

■ حنفي بن عيسى
(و: 1932 ه - 1932م/ ت: 1419ه - 1999م)

حنفي بن عيسى هذا من مواليد 2193، أخذ العلم على الطّريقة التّقليديّة في مبدأ الأمر، أي، إنّه حفظ ما تيسّر له من القرآن الكريم وأدرك بعض العلوم الشّرعية والفقهيّة، ثمّ انتقل إلى معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة حيث كان طالبا مجدّا مشهودا له بالحرص على التّحصيل العلميّ. وفي أثناء الثّورة الجزائريّة توجّه إلى دمشق حيث حصل على إجازة في التّربيّة وعلم النّفس-عام 1960 واجازة في اللّغة الانكليزيّة وآدابها من نفس الجامعة. وبعد ذلك نال دكتوراه في الفلسفة-علم النّفس اللّغوي وقضايا الاتّصال من جامعة الجزائر عامّ 1971. استهلّ حياته بالكتابة القصصيّة، لكنّه سرعان ما وجه دفة البحث العلميّ وجهة أخرى دون أنّ ينصرف عن الأدب ذلك لأنّه أدرك أنّ التّرجمة تتطلّب التّمكن من التّعبير اللّغوي الرّشيق، وذلك ما فعله طيلة حياته العلميّة في نطاق الجامعة وفي مجال الكتابة، وحين عاد الدّكتور حنفي بن عيسى إلى الجزائر خلال الأيّام الأولى من الاستقلال التّحق بالتّعليم الجامعيّ. وانطلق منذ ذلك الحين في تدريس علم النّفس اللّغوي للطلبة الجزائريّين الذين استقبلتهم كلية الآداب في شهر أكتوبر من عامّ 1962. غير أنّ اهتمامه العلميّ انصبّ أيضا على تدريس علم التّرجمة، هذا العلم الذي يمكن القول عنه إنّه كان حديث النّشأة عندنا، ولكن بالمعنى العلميّ الحقيقيّ الذي يخدم أهدافا تربويّة في صالح اللّغة العربيّة والوطن الجزائريّ كلّه. وعندما أنشئ المعهد العالي للتّرجمة التّابع لكلية الآداب، عامّ 1965م، كان الدّكتور حنفي بن

عيسى من السّباقين إلى الانضمام إليه من أجل الاضطلاع بتكوين أوّل جيل من التّراجمة والمترجمين من أبناء الجزائر. وكان في الوقت نفسه يمضي فترة بعد العصر في مقرّ صحيفة (الشّعب) حيث يترجم، في كلّ يوم، فصلا أو فصلين من كتابات الأدباء الجزائريّين الذين نشروا رواياتهم باللّغة الفرنسيّة. وكان من بين الذين نقل كتاباتهم مولود فرعون ومالك حداد وآسيا جبار. وقد كانت تلك التّرجمات تنشر يوميّا في شكل حلقات في صحيفة (الشّعب). وتمكّن قراء اللّغة العربيّة لأوّل مرّة من أن يطلعوا على هذا الفنّ الجديد، أيّ فنّ التّرجمة وعلى الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة.

شارك الدّكتور حنفي بن عيسى في أشغال التّرجمة ضمن المؤتمرات الوطنيّة والدّوليّة. ورعى الطّلبة الذين تخرّجوا على يديه، وقدّم لهم النّصيحة تلو النّصيحة في أثناء تلك المؤتمرات، وهو الأمر الذي مكّنهم من أن يقوموا بأعمالهم أحسن قيام، بل إنّهم كثيرا ما نافسوا كبار التّراجمة العاملين في منظّمة الأمم المتحدة وهيئة اليونيسكو وغيرهما من المنظّمات الجهويّة الأخرى.

وإلى جانب التّدريس والتّرجمة، اضطلع الدّكتور حنفي بن عيسى برئاسة تحرير مجلة (الثّقافة) التي تصدرها وزارة الإعلام والثّقافة. ومازال طلبته، وخاصّة في مجال التّرجمة يشهدون له بجديّته عليهم وحرصه الشّديد على مساعدتهم في المؤتمرات التي يشاركون فيها إلى جانبه وتحت إشرافه.

وقد تميّز الدّكتور حنفي بن عيسى بعمله الدّؤوب، وبرصانته ودقّته العلميّة، وما كان الرّائي يراه إلا متأبّطا محفظته في طريقه إلى الجامعة أو إلى مكتبتها أو نحو المؤتمرات التي يشارك فيها بترجماته القيّمة. وما من شكّ في أن تلك الجديّة من جانبه هي التي حملت هيئة اليونيسكو على انتدابه لكي ينقل إلى اللّغة العربيّة عددا من الكتب التي أصدرتها. وكان الدّكتور حنفي بن عيسى عضوا فاعلا في جمعيّة التّرجمة الدّوليّة.

وتضمّ مؤلّفاته العناوين التّالية:

- محاضرات في علم النّفس اللّغوي، وهو كتاب مرجعي لكلّ طالب في علم النّفس والفلسفة.

أمّا في مجال التّرجمة فقد أنجز الدّكتور حنفي بن عيسى ما يلي:

- نتعلم ونعمل. تحت اشراف اليونسكو؛
- تعلم لتكون بإشراف هيأة اليونيسكو أيضا؛
- تاريخ أفريقيا العامّ، وقد أصدرته هيأة اليونيسكو أيضا؛
- الدّروب الوعرة. وهي رواية لمولود فرعون؛
- الجزائر أمّة ومجتمعا للمفكّر والمناضل الجزائريّ مصطفى الأشرف؛
- رصيف الأزهار لا يجيب وهي رواية للشّاعر والرّوائي مالك حداد؛

– أبناء العالم الجديد، وهي رواية لآسيا جبار؛
– القبرات السّاذجة، وهي أيضا رواية لآسيا جبار؛
– من تصفيّة الاستعمار إلى الثّورة الثّقافيّة، للدّكتور أحمد طالب الإبراهيمي؛
– النّظام التّربوي في الحال والمآل، بمشاركة اليونسكو؛
– الثّقافة في الجزائر، ماضيًا وحاضرًا؛
– فنّ التّرجمة تنظيراً وتطبيقاً.

وفي عامّ 1987م، نال الدّكتور حنفي بن عيسى الجائزة التّقديريّة التي منحت له باسم الرّئيس الشّاذلي بن جديد.

وفي شهر جوان 2017م، حصل على وسام الاستحقاق الوطنيّ تقديرا لجهوده العلميّة والتّربويّة.

وقد انتقل الدّكتور حنفي بن عيسى إلى الرفيق الأعلى في عامّ 1999م.

مرزاق بقطاش

■ حيزيّة بوعكاز
(و: 1271ه - 1855م/ت: 1295ه - 1878م)

ولِدت (حيزيّة بنت أحمّد بوعكاز) بنت أحمّد بلباي من عرش الذّواودة سنة 1855م، في بلدة سيدي-خالد، بالولايّة المنتدبة لسيدي-خالد، من أصول هلاليّة يعودون إلى أمير منطقة الزّاب التي كانت تُسمّى إمارة العرب، وتقول رواية من الرّوايات بأن القصّة تعود إلى ملحمة أميرة هلاليّة بين الحقيقة والخيال. وتقول رواية (عزّ الدّين المناصرة) بأنّ القصّة حقيقة مبنيّة على واقع بيئة صحراويّة تسكنها التّقاليد. فالعاشق (اسْعيد) نشأ وتربّى يتيماً في بيت عمّه مع (حيزيّة) منذ الطّفولة، ولما كبُر (اسْعيد) عزله عمّه لينام في خيمة بعيدة كما تقتضي التّقاليد، ولكنّهما يلتقيان سراً في غابة النّخيل يتناجيان حبّاً وعشقاً... وظلّ هذا العشق يزداد نيراناً بين الطّرفين، وحاول والدّها تزويجها بأشخاص من فرسان القبيلة، لكنّ حيزية رفضت ذلك. وذات مَّرة تسلّلت في الغسق، راكبة فرسها، بعد أن تلثّمت، واتّجهت باتّجاه غابة النّخيل، وعندما رآها (سْعيد) مقبلّة ملثمة، لم يعرفها، وظنَّ أنّ الفارس الملثّم هو (عدّو) يراقبه، أطلق النّار عليها خطأً، فقتلها... أصيب (اسْعيد) بحالة ندم بعد دفنها، وهام على وجهه في الصّحراء، حتى ذهب إلى ابن قيطون، ولكي يريحه نفسياً، كتب القصيدة في رثاء حيزية.

ويتوجّس الشّاعر المناصرة بأنّ (اسْعيد) لا وجود له وأنّه من اختراع ابن قيطون وأنّ العاشق ربّما يكون ابن قيطون نفسه.

شهرة قصّة حيزيّة:

تعود إلى عدّة عوامل مجتمعة جعلتْها خالدة محليّاً وعالميّاً، وهي:

– تخليدها بقصيدة (محمّد بن قيطون) الذي أبدع فنيّاً في نسج عبارات القصّة، مع ما لها من تراجيدية، بمتلازمة: (عزُّوني يا ملاحْ... في رايسْ لبْناتْ... سكْنَتْ تحتَ اللحودْ... ناري مَگدِيا).

– روايتها رواية شعبيّة؛ جعلتها تغوص في أعماق الذّاكرة الجماعيّة، وأعماق الأدب الشّعبيّ المحليّ؛ الذي صوّر درجة العشق الذي يتعدّى الحدود في الباديّة التي لا تعيش هذه الأحداث.

– قصّة حبّ بين محبوبين (حيزيّة+ اسْعيد) عاشا لذّة الحبّ اللانهائي، في صورة العشق الصّوفي الذي يُجلي عن اللاوعي، ويغوص في الشّعور.

– عاشقة ومعشوق بينهما حبّ متلاصق، أدّى بهما إلى الزّواج الذي انتهى بدراما الموت، فماتت العاشقة، وبقي المعشوق خارج الحبّ، لا يصبر على الفراق، وأنّ الهموم تلاحقت دون سند يكون عوناً للعلاج.

– نسج مخيال قصّة العشق وفق العيش الحقيقي لراوي الحدث بسرديّة الحقيقة/ الأسطورة التي غطّت الحدث الواقعيّ؛ بصورة تجعل المستمع/ القارئ يكون مكان أحد العشّاق بانفعال حقيقيّ.

كلّ الرّوايات تقرب من بعضها، ولكن لكلّ منها نكهة خاصّة تجعل المستمع/ القارئ ينفعل معها لما فيها من تصوير يمسّ كلّ المتحابين بصدق، ويعكس صورة التّكامل العذريّ الذي ينطلق من البيئة المفتوحة التي لها فضاء مُغلق بالتّقاليد، مثل الزّيبان بما لها من قواعد الحشمة، ومُتعلّقات التّقاليد.

قد يكون السّرد الحكائيّ في القصّة نسجاً/ تواردا للحبّ العربيّ الأصيل في بثينة وجميل في حبّهما الذّوبانيّ الرّوحي، وليس من حبّ عمر بن أبي ربيعة المكشوف.

لولا ابن قيطون لما كانت حيزيّة:

هنـاك ثلاثـة أطـراف فـي عمليّـة السّـرد: حيزيّـة+ اسْـعيد + ابـن قيطـون) تعاونـوا علـى نسـج القصّـة. صانعـو الحـدث كلّ بمكانـه، ويبقـى دور كلّ واحـد لـه حـدوده وبالنّسـبة للطّرفيـن الأوليـن اتّضحـت معالمهـا فـي تكويـن الحـدث، والطّـرف الثّالـث عُمـدة؛ لأنّـه عمـل علـى حسـن التّصويـر، والعُهـدة فـي ابـن قيطـون 1843-1907م، الـذي خلّـد الحـدث بالإبـداع الشّـعري البـدويّ علـى غـرار الإبـداع الغنائـيّ الـذي نسـمعه مـن: عبـد الحميـد عبابسـة/ رابـح درياسـة/ خليفـي أحمّـد/ البـار عمـر). قـد يسـوّغ المقولـة التـي تقـول إنّـه مـن نسـج الشّـاعر؛ فابـن قيطـون مختـفٍ وراء اسْـعيد، وحسـب تصويـر فتاة جميلـة جـداً لهـا زينـة بنـات الصّحـراء، ووشـم الحنّـة، وضفيرتاهـا تتدليـان، وعيونهـا كحـلاوان، واسْـعيد فـارس مـن فرسـان سـيدي-خالـدّ، تحابـا إلـى درجـة العشـق، ومُنعـا مـن الـزّواج، ثـمّ توفّيـت، وذهـب العاشـق إلـى الشّـاعر، وطلـب منـه أن يرثـي (حيزيّـة) بقصيـدة تبقـى خالـدّة علـى مـرّ التّاريـخ... ويبقـى هـو إبـداع حقيقـيّ/ خيالـيّ جيـد نـال الشّـهرة الوطنيّـة، ويحتـاج إلـى الانتشـار العالمـي عـن طريـق الشّـرح وتفصيـح بعـض الكلمـات، ومـن ثـمّ بنـاء سـيناريوهات لتخليـد هـذه القصّـة التـي نالـت تأويـلات وروايـات كثيـرة.

أبيات مختارة:

عزوني يا ملاحْ في رايسْ لبناتْ
سكنتْ تحت اللحودْ ناري مَقْدِيّا
ياخي أنا ضرير بيّا ما بيّا
قلبي سافرْ مع الضّامرْ حيزيّا
ما قتلْ من عباد من قومْ الحسّادْ
يمشي مشيْ العنادْ بالفنطازيّا
ما نشكرشْ البايْ جرذْ ياغنايْ
بنتْ أحمّد بالباي شكري وغنايا
طلقتْ ممشوطْ طاحْ بروايحْ كي فاحْ
حاجبْ فوق اللماحْ نونين بريا
عينك قرد الرّصاصْ حربي في قرطاسْ
سوري قياس فييد ين الحربيّا
خدّك ورد الصّباح وقرنفل وضّاحْ
الدّمْ عليه ساحْ وقتْ الصّحويا
الفمْ مثل عاجْ المضحكْ لعاجْ
ريقك سي النّعاج عسله الشّهايا
شوفْ الرّقبة خيارْ من طلعتْ جمارْ
جعبة بلارْ والعواق يد ذهبيا
صدركْ مثل الرّخامْ فيه اثنين توامْ
من تفاحْ السّقام مسوهْيد يا
طلقتْ بشروزْ مالْ ومخبلْ تخبالْ
على الجوفْ تدلالْ ثنية عن ثنيّا
شوفْ السّيقانْ بَلَخْلاخلْ يا فطّانْ
تسمعْ حسّ النّقرانْ فوق الرّيحيا
ما يسواشْ المالْ نقحاتْ الخلخالْ
كي نجبى عن الأحيالْ نلقى حيزيّا
واجْحافْ مغلقينْ والباروذْ ينينْ
الأزرق بيا يميل لساحة حيزيّا
لو أن تجي للذّراعْ نحلفْ ما تمشي ذراعْ
نطحْ صرصورْ قاعْ باسم حيزيّا
بعد شهرْ ما يدومْ عندي ذا الملجومْ
نهارْ ثلاثينْ يوم وراء حيزيّا
هذا درتو مثيلْ عن رايسة الجيلْ
بنت أحمّد صيل شايعة ذواديّا
هذا حكمْ الله سيدي مولْ الجاهْ
ربّي انزلْ قضاهْ وادّى حيزيا
صبّرني يا الله قلبي ماتْ أبداهْ
حبّ الزّينة أدّاه كي صدت هيّا
تسوى من الإبل عشر أميا مثيلْ
تسوى غابة النّخيلْ عند الزّابيّا
تسوى خطّ الجريد قريبْ وبعيد
تسوى برّ العبيد حاوسا بالفيا
تسوى اللي راحلينْ واللي في البرينْ
تسوى اللي حاطينْ عادوا حضريّا
تسوى كنوز المال بهية الخلخال
وإذا قلت قلالْ زيد البلديا
تسوى مال النّجوع والذّهبْ المصنوعْ
تسوى نخلْ الدّروعْ عند الشّاويا
تسوى تسوى مزابْ وسواحلْ الزّابْ
حاشا ناس القباب خاطي أنا الوليا
تسوى خيلْ الشّليلْ ونجمة الليلْ
فاختي قليل قليل طبّي ودوايا
عزوني يا اسلامْ في ريمة الأريامْ
سكنتْ دارْ الظّلامْ ذيك الباقيا
عزوني يا صغارْ في عارمْ الأوكارْ
ما خلاّتْ غير دارْ عادتْ مسميّا
عزوني يا رجالْ في صافي الخلخالْ
داروا عنها حيالْ للسّاعِ مبنيّا
عزوني يا حبابْ فيها فرسْ ديّابْ
ما ركبوها ركابْ من غير أنايا
اسْعيد في هواكْ ما عادشْ يلقاك
كي يتفكّرْ اسماكْ تديه غَميّا
اغفرْ لي يا حنينْ أنا والأجمعينْ
راهْ اسعيد حزين بيه الطّوايا
ارحمْ مولْ الكلامْ واغفرْ لام حزامْ
لاقيهمْ فالمنامْ يا عالي العليّا
يا علاّمْ الغيوبْ اصبرْ ذا المسلوبْ
نبكي الغريبْ ونشفِ العديّا
ما ناكلشْ الطّعامْ سامطْ في الأفوامْ
واحرمْ حتى المنامْ وغطّى عينيّا
بين موتها والكلام غي ثلاث أيام
بقاتني بالسّلامْ وما ولات ليّا
في خالدّ بن سنانْ بن قيطونْ فلان
قالتّ على اللي الزّمانْ شفناها حيّا

صالح بلعيد

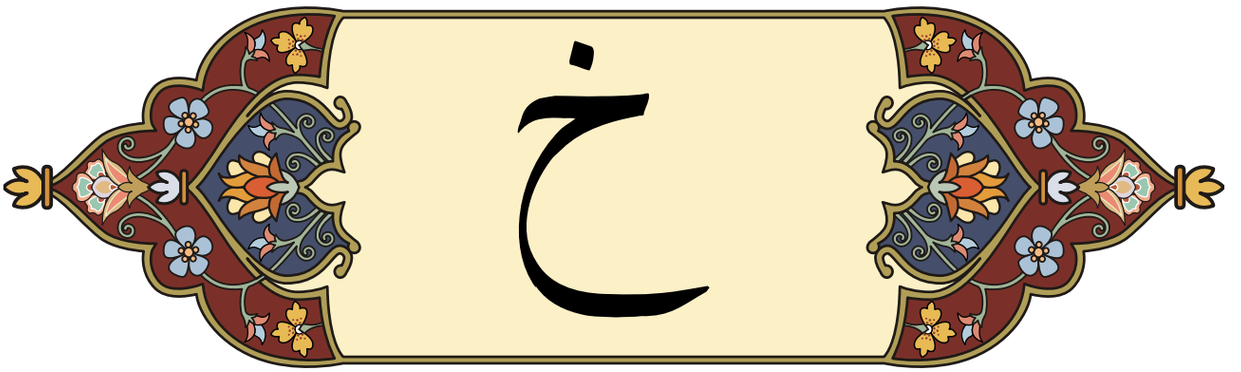

■ خديجة بقطاش
(ت: 1434هـ - 2013م)

المجاهدة والمربية والمؤرخة (خديجة بقطاش) وُلدت خلال سنوات الثّلاثينيات من القرن المنصرم بـ(الجزائر العاصمة)، ونشأت وترعرت فيها، وزاولت تعليمها في« مدرسة التّهذيب» بحي الأبيار في العاصمة، وبعد أن تتلّمذت في المدارس والكتاتيب القرآنية بالجزائر العاصمة؛ والتّي لعبت دوراً متميزاً جداً في مجال المقاومة الثّقافية، أصبحت معلمة متدربة بمدرسة« التّهذيب»؛ كما أشار إلى هذا الأمر أستاذها الشّيخ(محمّد الحسن فُضلاء)، وقد بدأت الباحثة والمعلمة (خديجة بقطاش) الكتابة في سن مبكرة جداً، ومن بين أوائل القصص التي كتبتها في طفولتها؛ قصة موسومة ب: « جناية أب»، وقد نشرتها وهي تلميذة في السّنة الرّابعة من التّعليم الثّانوي، انضمت إلى صفوف ثورة التّحرير المظفرة، وعملت بالولاية التّاريخية الرّابعة، وبعد أن اجتازت جميع المراحل التّعليمية بتفوق كبير؛ دخلت إلى الجامعة ودرست التّاريخ، حيث نالتّ شهادة الإجازة (الليسانس) من معهد« التّاريخ» بجامعة الجزائر، ثم تابعت دراساتها العليا بالمعهد نفسه في (الجزائر العاصمة)، ونالتّ شهادة الدّراسات العليا المُعمقة، عام: (1980م)، بإشراف شيخ المؤرخين الجزائريين؛ العلاّمة(أبو القاسم سعد الله)، اشتغلت سنوات طويلة في مجال التّربية والتّعليم والتّدريس في شتى المراحل، كما عملت مفتشة تربوية لعدة سنوات خلال مرحلة الثّمانينيات والتّسعينيات من القرن المنصرم، وكتبت العديد من الأبحاث والدّراسات والقراءات في العديد من الصّحف الجزائرية، والمجلات العريقة، مثل: « مجلة الأصالة»، و«مجلة الثّقافية»، و«جريدة الشّعب»، وقد توفيت المجاهدة والمناضلة والمُربية الأستاذة (خديجة بقطاش)، خلال شهر (رجب1434هـ)؛ المُوافق لـ (جوان2013م) بالجزائر العاصمة.

من أهم مؤلفات المجاهدة والباحثة(خديجة بقطاش) كتاب: « الحركة التّبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م»، والذي طبع عدة طبعات، وصدر عن منشورات دار دحلب بالجزائر العاصمة، وقد بيّنت دوافع وأسباب اختيارها لدراسة هذا الموضوع في المقدمة، حيث تقول: «لا ريب أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التّبشير؛ إنما هو القضاء على الأديان غير النّصرانية وصولاً إلى استعباد أتباعها، إن المعركة بين المبشرين والأديان غير النّصرانية؛ ليست معركة دين بل هي معركة في سبيل السّيطرة السّياسية والاقتصادية، وانطلاقاً من هذا رأيت أن أبحث في هذا الموضوع، وقد اخترته للأسباب التي أحصرها فيما يلي:

أولاً: الرّغبة في الإسهام في كتابة تاريخ الجزائر، ومحاولة مني في تصحيح ما شوّهه المستعمرون-ولاسيما رجال الدّين-في هذا الموضوع.

ثانياً: الأهمية السّياسية التي يكتسيها هذا الموضوع؛ فالتّبشير له علاقة وثيقة بالاستعمار في الجزائر؛ بحيث استُخدم بصفته وسيلة من الوسائل المهمة لتدعيم النّفوذ الفرنسي في بلادنا.

ثالثاً: قلة الأبحاث التي تناولت هذا الجانب المهم في تاريخ الجزائر الحديث.

وقد حددت بداية هذا البحث بعام: 1830م، ونهايته بسنة: 1871م، ويبدو لي أن هذه الفترة عرفت جهوداً ومحاولات تبشيرية حثيثة قام بها رجال الدّين، وعدد من المسؤولين الفرنسيين عند بداية الاحتلال لبسط نفوذهم السّياسي في الجزائر؛ فالحركة التّبشيرية التي توقفت في القرن الثّامن عشر في فرنسا بسبب أحداث الثّورة الفرنسية وما تلاها من نتائج، قد عادت لتظهر من جديد في القرن التّاسع عشر؛ بعد أن عرفت الكنيسة نشاطاً كبيراً لتلعب دورها في احتلال الجزائر، والتّوسع الاستعماري بشكل عامّ في القارة الأفريقية، وقد رأيت أن تكون نهاية هذا البحث هي سنة: 1871م، وهي بدورها سنة مهمة جداً؛ لأنها عرفت حدثين مهمين لهما علاقة بالتّبشير في الجزائر، وهما:

1. ثورة الطّريقة الرّحمانية-أو ثورة المقراني والشّيخ الحداد عام: 1871م-التي كانت من بين أسباب اندلاعها الجهود التّبشيرية في بلاد القبائل، وبعض المناطق الأخرى.

2. زوال الحكم العسكري، وحلول الحكم المدني الذي يُعتبر انتصاراً للكاردينال لافيجري، وذروة التّبشير في الجزائر، فابتداءً من هذه السّنة انطلقت الجهود التّبشيرية في بلاد القبائل خاصة، والجزائر عامة.

3. تأسيس فرقة الآباء البيض عام: 1868م،

وهذه لم تجد ذاتيتها ولا رواجها إلا ابتداءً من هذه السّنة، ويعتبر نشاطها منعرجاً مهماً في تاريخ الحركة التّبشيرية في شمال أفريقيا ووسطها».

وقد قسمت الأستاذة الباحثة (خديجة بقطاش) كتابها هذا إلى خمسة فصول؛ حيث تضيف في المقدمة: «قسمت البحث إلى خمسة فصول، هي:

الفصل الأول: حول الوضع الدّيني في فرنسا، وتناولت فيه عودة الكنيسة إلى نشاطها السّياسي، وانتعاش الفرق الدّينية المُبشرة، وانعكاس هذا الوضع على الحملة الفرنسية ضد الجزائر، عام: 1830م؛ التي امتازت بروح صليبية، وهو عدم احترام السّلطة الفرنسية لاتفاقية 5جويلية1830م، ولاسيما البند الخامس منها الذي يقضي باحترام الدّيانة الإسلامية وممتلكاتها، وذلك بإصدار قرار: 7ديسمبر1830م، وقد استهدف الاستيلاء على المؤسسات الدّينية دون احترام المشاعر الدّينية للسكان، وقد اعتبرت هذا القرار مساً بالشّؤون الدّينية، وخطوة أولى لمحو التّراث الإسلامي بالجزائر.

الفصل الثّاني: تناولت فيه بعض المحاولات التّبشيرية الفردية الأولى، وقد لقيت تشجيعاً من بعض المسؤولين الفرنسيين في بداية الاحتلال، ورأيت أن أتحدث أيضاً عن تأسيس أسقفية الجزائر عام: 1938م، وكان هذا في عهد لويس فيليب؛ الذي اعتمد على الدّين اعتماداً كبيراً في أعماله، وتطرقت إلى النّشاط التّبشيري للأسقفين ديبيش وبافي، وقد استعملا في ذلك الخدمات الخيرية، معتقدين أن لا نفوذ في الجزائر دون تنصير سكانها، وقد امتاز موقف السّلطة الفرنسية بباريس من هذا النّشاط بالتّناقض، والتّذبذب؛ ففي الوقت الذي كانت تعارض التّبشير مخافة انتفاضة السّكان، فإن بعض مسؤوليها بالجزائر كثيراً ما كانوا يسكتون عن التّصرفات التّبشيرية التي كان يقوم بها رجال الدّين؛ بل كانوا كثيراً ما يشجعونها في كثير من المناسبات والمواقف.

الفصل الثّالث: وتعرضت فيه إلى جانب مهم من جوانب التّبشير، ألا وهو العلاقة بما عرف بالاستعمار الدّيني الفلاحي والتّبشير، وفيه حاول رجال الدّين-بإعانة من الحكومة-استغلاله لأهداف استعمارية تبشيرية...

الفصل الرّابع: خصصت هذا الفصل للحديث عن المجاعة التي حدثت بالجزائر في عامي: 1867-1868م، والتّي كان من نتائجها أن استغل الكاردينال لافيجري الأوضاع الصّعبة لفتح باب التّبشير على مصراعيه، وذلك بتبنّيه لعدد من الأطفال المرضى والمُشردين وتنصيرهم، وإنشائه القرى العربية المسيحية بسهل العطاف؛ الأمر الذي أدّى إلى نشوب صراع بينه وبين الجنرال ماكمهون الذي كان يخشى عواقب التّبشير. وقد استطاع لا فيجري أن يفرض نفوذه، وانتهى الصّراع بانتصار لافيجري على خصمه، وذلك بتأييد السّلطة الفرنسية بباريس للتبشير بالجزائر.

الفصل الخامس: ركزت في هذا الفصل على التّبشير في بلاد القبائل بالخصوص، وتحدثت في بدايته عن خرافة القبائل المسيحية التي خلقها دعاة التّبشير من عسكريين ورجال دين وسياسيين، وقد كانت هذه الخرافة بمثابة تمهيد للكاردينال لا فيجري؛ الذي ركّز جهوده على هذه المنطقة بعد تأسيس فرقة الآباء البيض التّبشيرية بالجزائر، وبعد أن حظي بتأييد الأمير دوغيدون، وغيره من المسؤولين بالجزائر، غير أن هذه الجهود فشلت فشلاً ذريعاً لتمسك السّكان بالدّين الإسلامي».

يقول الباحث والأديب الرّاحل (مرزاق بقطاش) عن شقيقته المجاهدة والمعلمة (خديجة بقطاش) في مقال ك9تبه بمناسبة رحيلها في جريدة: «صوت الأحرار» الجزائرية، بعنوان: «وعادت خديجة بقطاش راضية مرضية إلى ربها»: «أجل رحلت خديجة بقطاش؛ المجاهدة في الولاية الرّابعة والمُؤرخة والمُربية في قطاع التّعليم منذ عام: 1959م إلى آخر نفس من أنفاسها في هذه الدّنيا الفانية، أبصرت بك يا أختي العزيزة تتقاتلين مع المرض صابرة جلدة لا تلين لك قناة أمام جحافله الزّاحفة، ورأيتك في لحظاتك الأخيرة، وأنت ترتحلين في صمت، ودون أن ترسلي شكاة أو أنيناً، وتلك خصال المؤمن الذي يتقبل بصدر رحب مقادير ربه، وهل نحن يا أختاه إلا من أمة سيدنا محمّد ﷺ؟ وقبل ذلك رأيتك تكدين من أجل اكتساب المعرفة منذ أن وعيت ما القراءة وما الكتابة، وكنت على غرار المجاهدات من بنات جيلك العظيم، وهو والله لجيل عظيم حقاً وصدقاً، تعملين بخالص النّية في سبيل تلقين أبناء الجزائر الطّالعة مبادئ التّاريخ وقواعده، وراقبتك عن كثب وأنت تعدين شهادة الإجازة في التّاريخ، ثم شهادة الماجستير في موضوع هو من أخطر المواضيع التّاريخية، وأجلها في الجزائر الجديدة، وأعني به موضوع حركة التّبشير في الجزائر».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- خديجة بقطاش: الحركة التّبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 1871-م، منشورات مؤسسة دار دحلب للطباعة والنّشر، الجزائر، 2007م.
- مسعود كواتي ومحمّد الشّريف سيدي موسى: أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، منشورات مؤسسة دار الحضارة للطباعة والنّشر، الجزائر، ط: 02، 2010م.
- مرزاق بقطاش: وعادت خديجة بقطاش راضية مرضية إلى ربها، جريدة صوت الأحرار، جريدة يومية جزائرية، العدد: 4680، الأحد: 30جوان2013م، ص: 11.

■ خديجة بن عايدة (نورية قصدرلي)
(و: 1340ه - 1921م/ت: 1441ه - 2019م)

الممثلة المسرحية نورية قصدرلي واسمها الحقيقي خديجة بن عايدة، ولدت في مدينة تيارت الجزائرية عام 1921، تركت بيت أبويها وهي في عمر 14 عامًا لتعيش مع أختها، وبعد بضع سنوات ارتبطت بالمسرحي مصطفى قصدرلي وهي بنت 19 عاما، ثم انتقلا إلى العاصمة واشتغلت خياطة، بينما كان زوجها قصدرلي ممثلا وقتها ويقوم بتنشيط جولات فنية رفقة عبد الرّحمن عزيز، بوعلام رايس ومصطفى بديع في مختلف أنحاء الوطن بإمكانيات بسيطة تكاد تكون منعدمة.

بدأت مشوارها الفني بالصدفة عندما طلب منها زوجها ورفاقه إعارتهم مبلغ من المال كانت تخبئه من مهنتها كخياطة فوافقت بشرط أن ترافقهم في الجولة للفرجة فقط. لكنهم في طريقهم بين سطيف وقسنطينة اكتشف الفريق غياب الممثلة التي كانت ستقوم بأحد الأدوار فعوضتها نورية التي لعبت أول أدوارها "دور المتسولة"، أمام عبد الرّحمان عزيز في عام 1945، وهنا بدأت حكايتها مع الفن، وتقول خديجة إنّ مصطفى بديع وبوعلام رايس هما من أطلقا عليها اسم نورية.

لعبت نورية أولى أدوارها رفقة عبد الرّحمان عزيز عام 1945 رغم معارضة زوجها للفكرة. وكان أكثر شخص شجّعها هو (مصطفى بديع" الذي أسهم في عودتها إلى التمثيل بعدما توقفت لفترة بسبب اصرار زوجها عليها لتترك العمل، قبل أن يظهرا معا على خشبة "أوبرا الجزائر" (المسرح الوطني حاليا).

كان محي الدّين بشطارزي يبحث عن ممثلة تقوم بدور امرأة بدوية تتكلم باللهجة الوهرانية، فرشحها (مصطفى بديع" للدور، وعندما دخلت نورية على بشطارزي نظر إليها وقال لعبد الرّحمان عزيز: "طلبت منك

بدوية، ماشي ماريكانية يا سي عزيز"، فردّت ضاحكة: "أنا بدوية"، وقامت بالدور أمام الفنانتين (كلثوم)، (لطيفة) و(حبيب رضا).

مثّلت نورية إلى جانب (وهيبة زكال)، (هجيرة بالي)، (فريدة صابونجي)، (شافية بوذراع)، (رويشد) و(حسن الحسني"، هذا الأخير مثّلت معه في خمسينات القرن الماضي، وكانت له معها جولة في فرنسا، أما "مصطفى بديع" فقدّمت معه عدة تمثيليات إذاعية. قدّمت نورية خمسة أعمال للسينما، فضلا عن 170 عملا تلفزيونياً وتعاملت مع أغلب المخرجين من بينهم (بن عمر بختي)، (موسى حداد)،(الحاج رحيم) وآخرون كانوا كلهم يحبون العمل معها، حاليا تعيش في كنف عائلتها وهي مستمعة جيدة لبرامج الإذاعة والتلفزيون يوميا.

إلى جانب تألقها فوق الخشبة التي أعطتها أزيد من 200 مسرحية، لنورية أيضا رصيد تلفزيوني وسينمائي وصل إلى 170 عمل تلفزيونياًو خمسة أعمال للسينما، حيث تعاملت مع أغلب المخرجين في الجزائر أمثال بن عمر بختي وموسى حداد والحاج رحيم. من بين أعمالها "خذ ما أعطاك الله" عام 1981، و**الليل** عام 1964 و"أبناء القصبة" عام 1963، ومن أعمالها التلفزيونية مسلسل «المصير» عام 1989 وسكاتشات «العروسة والعجوزة» و»هي وهو» و»خالتي حنيفة في رمضان».

نورية لم تدخل مدرسة لكنها تحوّلت إلى مدرسة في التمثيل أسهمت إلى جانب كلثوم في تغيير نظرة المخرجين إلى عمل المرأة بالمسرح، حيث كانت الأدوار النّسائية من قبل تسند للرجال، فقد أعطى انضمامها عام 1963 إلى المسرح الوطني دفعا قويا للتمثيل النّسائي حيث لقبت بـ "زهرة المسرح الجزائري".

آخر أعمالها الفنية هو فيلم «سامحني»، عام 2016، وكانت تبلغ حينها من العمر 96 عامًا.

كُرمت أكثر من مرة من جهات عدة في الجزائر، من بينها مهرجان وهران للفيلم العربي، والمسرح الوطني الجزائري، لإسهاماتها الفنية التي تزيد عن 66 عامًا، وأسدى لها رئيس الجمهورية السّيد عبد العزيز بوتفليقة وسام الاستحقاق الوطني من مصف (عهيد) في إطار اليوم الوطني للفنان المصادف لـ 8 جوان من كل عام.

توفيت الفنانة الجزائرية القديرة، نورية قصدرلي، عن عمر ناهز 99 عامًا، وذلك بعد مسيرة حافلة في السّينما والدراما الجزائرية، حيث احترفت لعب دور الأم وسيدة المنزل، ونعتها وزيرة الثّقافة الجزائرية، مليكة بن دودة، «نودعك فنانتنا الْعَظِيمَة نورية قصدرلي بِقُلُوب واجفة، وعيون دامِعة، وبكثِير من التَّأثُّر وَالأسى».

هند موساوي

■ خليفة الزّناتي

أبو سعدى اليفرني الزّناتي، قائد حربي، أعده صاحب تلمسان من بني خزر لمواجهة العرب بعد دخولهم صنهاجة فكانت بينهم وبينه حروب طويلة في أواسط القرن الخامس الهجري.

ووفقًا لبعض الرّوايات الأخرى يُذكر أن اسمه الحقيقي كان (المعز بن باديس الصّنهاجي) وكان بطلا من أبطال الإسلام و(صنديد من صناديد السّلاطين المسلمين)، وأعلن انفصاله عن الحاكم العبيدي في مصر ووقف أمامه. اتسم عهده بالعدل والرّخاء، بايع بنى العباس مما أثار العبيديون ودفعهم للانتقام منه بإجازة عرب الجزيرة من بني سليم وبني هلال للنيل منه وأخذوا يحرضونهم على ابن باديس حتى ساروا إليه وهاجموا بلاده، وانهزم ابن باديس (الزّنادي) أمامهم في النّهاية ودخلوا تونس.

وأُطلق عليه لقب بطل رغم كونه خصم (أبي زيد الهلالي)، بدأ الصّدام لحدوث (التّغريبة) هي موجة هجرة كبيرة قامت بها قبائل من نجد مخترقة مصر عابرة إلى شمال أفريقيا، بعد ما مر بهذه الأرض من مجاعة أهلكت الجميع. واستوطنت تلك القبائل أرض تونس وكان حاكمها هو (الخليفة الزّناتي') والذي قامت بينه وبين قبية بنى هلال وحلفائه (الزّغابة) حرب، وذلك لرفض الزّناتي وجودهم على أرضه يُذكر أن هذه الحروب استمرت 14 عامًا -على أسوار تونس-والتّي شاركت فيها سيدة القبيلة (الجازية بنت حسان الدّريدي) وكانت لمشورتها الصواب والتّي بها أنهت حياة (الخليفة الزّناتي) فكان مصيره الموت بالخيانة.

فقد كان هناك عهد بين خليفة الزّناتي وأبى زيد الهلالي على ألا يقوم أحدهما بالاعتداء على الآخر، ووضعا لذلك خندقا محفورا يمر بين القومين حتى لا تغير إحدى القبيلتين على الأخرى، قبل ذلك بزمن قليل كان الزّناتي قد رأى حلما مزعجا بأن سحابة سوداء قادمة من الشّرق تظلل قصره، وفسروا له الحلم بأن قاتله سيكون أسود.. أي أبوزيد الهلالي.

وعندما يدخل أبوزيد ورفاقه على الزّناتي يحبسهم بالقبو، وكان للزناتي ابنة تُسمى(سعدى) الملقبة (الصّفيري) وعلمت أن بنى هلال يهاجمون ديارها وأن القاتل سيكون دياب من قبيلتهم، فذهبت إليهم ابنه الزّناتي (سعدى') وتحدثت إلى أبي زيد ورفاقه في السّجن، وذكرت لهم أنها تعلم هويتهم، وطلبوا مساعدتها وكانت موافقتها مشروطة بزواجها من دياب. قائلة: "إذا غزوتم ديارنا سيكون معكم فارس اسمه دياب (ابن أخت زيد الهلالي) سيقتل أبى وإذا عاهدتموني أنكم تزوجونني به، سأساعدكم" وذكر لها أبو زيد أنه صغير السّن وليس فارسا ولم يشارك في حرب من قبل. وبعد أصرارها لم يجدوا حلاً سوى الاستجابة لها.

وأقنعت أباها الزّناتي بإطلاق سراحه، مبررة ذلك بأنه عبد أسود وسجن العبد عيب، وبالفعل بمجرد خروج المحتجزين، اشتعلت نيران بنى هلال وحلفائهم قبائل الزّغابة من جهة وبين بني قابس بزعامة خليفة الزّناتي أن رفض الزّناتي أن يحصل بنو هلال على (المرعى) في أراضيه.

وتدخلت ابنة الزّناتي في مجرى الحصار والقتال المستمر على أسوار تونس، متحدثة مع دياب بن غانم، فراحت سعدى تخاطبه، في اتجاه إيقاف القتال، والعفو عن والدّها خليفة الزّناتي، قائلة:

اعف عن الزّناتي خليفة
وخذ ما تشتهي وتريد
خذ ملكنا والرّزق كله
بساتين تونس قريبها والبعيد

وعندما لم يصغ دياب الثّائر لقولها، عادت تحرض الزّناتي لمقاتلته، والزّناتي يجيبها:

وبادره الزّناتي مجيبًا: (في القلب منك يا دياب نيران.) حتى إذا ما طالبه الزّناتي بالتّفاوض لإيقاف القتال وعقد صلح، تظهر (الجازية) التي لها ثلث الشّورى، فتقول:

تريد صلحًا بعد تسعين أميرًا
حريمهم عليهم قايمين العدايد

واستمر الزّناتي وأخذ يناشدهم، قائلًا:

فاصفح عن حربي وخذ ما تريد
أموال خذ مني وكل جناس
أعطيك القيروان وقابس
تونس وقابس ودير مكناس

حتى إذا استنجد الزّناتي بابنته سعدى مستشيرًا متخطبًا، حثته من فورها على مواصلة القتال حيث لا مهرب.

قتل (خضرا) فرس دياب اضطرم النّيران ودفع دياب للثأر...

وجاءت واقعة حقق فيها الزّناتي انتصارًا مؤقتا على دياب، وبسببها استشاط دياب غضبًا وأكلت نيران الثّأر قلبه، وقتل الخضرا فرس دياب، (التّي حزن عليها أشق الأحزان، وأمر بغسلها وتكفينها بشقق الحرير، ثم يدفنونها في مهابة، وبنى على قبرها قبة عظيمة، وذبح على قبرها ألف ناقة فرقها على الفقراء). ومن هنا أصبح الزّناتي في عداد الأموات.

لكن أيقن بنو هلال عندئذ بأن دياب لن ينسى أبدًا ثأر الخضرا فرسته، وأن راية الزّناتي قد اقتربت بالنّصر، وبالفعل أمسك دياب الرّمح ونازله الزّناتي إلى أن هرب الزّناتي، فقام دياب بإطلاق الرّمح؛ لأن الزّناتي كان هاربًا، فالتّفت لكي

ينظر إلى دياب، فأصاب الرّمح عينه وعدة «ومرقت» الحربة من قفاه، فتذكر الأمير دياب وقت قول ابنته نجيبة حين قالت له: «اطعنه بعينه». وبهذا تكون تحققت نبوءة قتله على يد دياب.

لحظة القتل هنا، لم تمر عبثا لأن «خليفة الزّناتي» لم يكن شخصية عبثية، فلقد كان بطلا وقدر الأبطال أن يكونوا ملهمين حتى في لحظة موتهم، فأنشد يقول:

يقول الزّناتي والزّناتي خليفة
نفس الفتى لا بدها من زوالها
يقول وقلبه طار من مستقره
الأيام والدّنيا سريع زوالها
الأيام والدّنيا كفى الله شرها
تطوى عزيزا ثم تطوى أرذالها
في رملة البيضا ودنية منيتى
في يد دياب ليت أبا زيد نالها
ألا بالزّناتيات ابكوا خليفة
وقولوا واخراب الدّار عقب اعتدالها.

محفوظ زاوش

المصادر:

- مجلة اليوم السّابع المصرية للكاتب محمّد الدّسوقي رشدي، تاريخ النّشر الخميس، 01 يناير 2009 11:37م

تاريخ النّشر 21/ 04/ 2020 17:38 21/ 04/ 2020 17:38.

■ خير الدّين باشا
(و: 879ه - 1474م/ت: 2122ه - 1546م)

خير الدّين بن يعقوب، اسمه خِضر ولقب بخير الدّين. كان أحد أبطال الجهاد في الحوض الغربي للبحر المتوسط، باعث إيالة الجزائر وقائد البحرية العثمانية في عهده. أطلق الأوربيون عليه لقب بربروسا/ (Barberousse) أي صاحب اللحية الشّقراء وعُمم اللقب على إخوته فيما بعد. ولد سنة 879ه/ 1474م،وكان والدّه جنديا عثمانيا استقر بجزيرة ميدللّي المعروفة أيضا بليسبوس التّيكانت تحت حكم العثمانيين وهي اليوم ضمن دولة اليونان. وخير الدّين هو الثّاني من بين أربعة أبناء»نحتهم التّاريخ»وهيأهم لمهمة سامية في الجزائر مع بدايات العصر الحديث. هؤلاء الإخوة هم أُروج/عروج وخير الدّين وإلياس وإسحاق. توفي ثلاثة منهم في الجزائر وهم إلياس وإسحاق وعروج في مواجهة الوجود الإسباني.

اشتهر الإخوة بربروس بأنهم قادوا معارك بحرية كبيرة وقاسية، كان بعضها فاصلا، في الحوض الغربي من البحر المتوسط لإنقاذ آلاف المسلمين الفارين من القتل والاضطهاد والتّنصير من طرف حكام إسبانيا بعد طردهم من الأندلس. ونظرا لتلك الأعمال الجليلة التي قاموا بها منح لهم حكام بني حفص في تونس مقرا لعملياتهم في جربة، ومنها ذاع صيتهم بين سكان مدن سواحل ليبيا وتونس والجزائر. فتم الاستنجاد بهم سنة 1512م من طرف أهالي بجاية لطرد الاسبان الذين احتلوها في 1510م. قاد عروج معركة ضارية ضد الإسبان لكنه انسحب بعد أن أصابته قذيفة في ذراعه اليسرى، وفيها فقد أخاه إلياس. وفي سنة 920ه/ 1514م استنجد به أهل جيجل لطرد الجِنْويين من منطقتهم. وبعد تحريرها، جعل الإخوة بربروس من جيجل قاعدة لانطلاق عمليات التّصدي للإسبان والجنويين. وفي سنة 916ه/ 1516م طلب الشّيخ سالم التّومي شيخ قبيلة الثّعالبة، حاكم مدينة الجزائر وسهل متيجة من الإخوة بربروس تقديم المساعدة له لطرد الإسبان من حصن البينيون الذي أقيم في تلك السّنة على الجزر الواقعة أمام مدينة الجزائر وشكل تهديدا مستمرا لها. فاستجابوا لطلبه، لكن ساءت العلاقة بين الطّرفين بعد فشل طرد الإسبان. وانتهى الأمر بقتل الشّيخ سالم التّومي والعديد من أعيان المدينة وعلمائها من طرف عروج. ويصف الشّيخ مبارك الميلي تلك الحادثة بأن الثّعالبة تعرضوا لمقتلة عظيمة على يد الأتراك. واستلم عروج حكم المدينة.

استخلف عروج شقيقه خير الدّين كحاكم لمدينة الجزائر بعد انتقاله إلى تلمسان لكن مقتله سنة 924ه/ 1518بنواحي تلمسان، دفع بخير الدّين بعد استشارة من بقي من أعيان المدينة وعلمائها إلى التّحالف مع السّلطنة العثمانية وطلب حمايتها. كان ذلك القرار فرصة ثمينة له لطلب العون والمساعدة من العثمانيين، فمنحه السّلطان سليم الأول لقب باشا وعينه بايلرْباي أي أمير الأمراء على إيالة الجزائر ابتداء من 924ه/ 1518م على أن يسك النّقود باسم السّلطان ويدعو له على المنابر، وسُميت المدينة بـ»الجزائر دار الجهاد»لدورها في التّصدّي للإسبان، وزوده بقوات مسلحة قوامها ألفيْ رجل وأُضيف لها فيما بعد أربعة آلاف متطوع من الانكشارية.

كان ذلك التّحول الحاصل في العلاقات بين الجزائر والسّلطنة

العثمانية، دافعا قويا لبني زيان بتلمسان والحفصيين بتونس والوطاسيين بالمغرب وكذا الإسبان لإثارة الاضطرابات في الجزائر. فتعرضت المدينة لهجوم إسباني سنة 1519وتصدى خير الدّين للمهاجمين وردهم على أعقابهم لكن الحفصيين حكام تونس تمكنوا من دعم تمرد داخلي قاده أحمد بن القاضي، مما دفع بخير الدّين للتوجه إلى جيجل التي استقر بها في الفترة الواقعة بين 926ـ931ه/ 1520ـ1525م، وهو ما مكن أحمد بن القاضي من حكم مدينة الجزائر حوالي سنتيْن. ولما تهيأت له الظّروف المناسبة، توجه خير الدّين على رأس قوة عسكرية لمواجهة نفوذ الحفصيين فاستعاد مدن القل(1521) وعنابة(1522) وقسنطينة لاحقاً(935ه/ 1529م)، واستعان بقوات بني عباس لطرد ابن القاضي من الجزائر، وقمع تمردات شهدتها مناطق أخرى في الغرب وجنوب الجزائر. كما دمر حصن البينيون الذي كان الاسبان يتمركزون به وأنهى بذلك آخر وجود لهم في 27مايو 1529م. وهكذا تم بعث إيالة الجزائر التي حافظت على حدودها الثّابتة حتى اليوم. ويقول الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي ومنذ ذلك الوقت استعمل اسم الجزائر للدلالة على إقليم المغرب الأوسط. فبرزت الجزائر كقوة مهيمنة على الحوض الغربي للبحر المتوسط مع بدايات العصر الحديث. يقول المؤرخ الفرنسي شارل ـــ أندري جوليان/ Charles – Andre Julienإن خير الدّين المؤسس الحقيقي لإيالة الجزائرية، رجل ذو عزم حديدي ودهاء سياسي كبير، مكن دولة الجزائريين من تنظيم عسكري لم يطرأ عليه أي تغيير كبير في أساسه حتى الغزو الفرنسي. ويرى أستاذ العلوم السّياسية بجامعة الجزائر الدّكتور عمار بوحوش أنه من الإنصاف القول بأن وحدة التّراب الجزائري وبروز قيادة سياسية مركزية بالجزائر العاصمة قد تدعمت بشكل ملحوظ في العهد التّركي.

من أهم إنجازات خير الدّين باشا وخلفائه إتمام ما بدأه عروج الذي أمر بتشييد قصبة جديدة تم الانتهاء من بنائها سنة 1590م في مكان يعلو قليلا القصبة القديمة. وقام ببناء سور حول المدينة. وكانت الأسوار المحيطة بها حسبما ذكره المؤرخ ش. أ. جوليان نقلا عن الإسباني هايدو يتراوح علوها ما بين 11و 13مترا وطولها حوالي 2500متر. وتم حماية السّور بواسطة خندق يتراوح عمقه بين 6و 8أمتار وعرضه بين 11و 14مترا. ففي عهده برزت الجزائر كقلعة محصنة ضد غزوات الإسبان وغيرهم من الغربيين. كما أسس خير الدّين دارا للصناعة بالمكان المعروف اليوم بـ «لآبيشري"، وأقام مكسرا للأمواج طوله حوالي 200مترا وعرضه 25مترا وعلوه 4أمتار. وربط المدينة بالجزر المقابلة لها، والتّي استمدت منها تسميتها، بممشى مستعينا في ذلك بالأسرى الأوروبيين. وخارج الأسوار تم بناء عدد من الحصون، ومن شرفاتها كانت تنطلق قذائف المدافع وطلقات البنادق دفاعا عن المدينة. وحسب الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي فإن الفضل يعود لخير الدّين في تأسيس نواة مدينة البليدة بمساعدة النّازحين الأندلسيين الذين استقروا بها، حيث أسس بها أول مسجد سنة 942ه/ 1535م وبنى النّاس دورهم حول ذلك المسجد.

ولما صار خير الدّين «سيّد»الجزائر، توجه، بدعم من السّلطنة العثمانية إلى تونس لوضع حد للصراعات التي كان بلاط بني حفص يتعرض لها في عهد مولاي الحسن، فاستولى عليها ودخل تونس في 14أوت/ أغسطس 1534م ومن تونس انتقل إلى باقي مناطق الدّاخل التّونسي. لكن تلك العملية لم تقبل من ملوك أوروبا حيث أعاد شارل الخامس/ Charles–quintالاستيلاء على تونس سنة 1535م مما دفع بخير الدّين للعودة إلى عنابة. بعد تلك الأحداث، استدعاه السّلطان سليمان الأول القانوني إلى القسطنطينية وعينه قبطانا وولاّه قيادة العمليات الحربية ضد شارل الخامس وحلفائه من ملوك أوروبا، فقاد انتصارات ناجحة ضدهم كان أبرزها انتصاره على أندريا دوريا الجِنْوي. وفي سنة 1543/ 1544سجل أعظم انتصاراته على شارل الخامس. ظل خير الدّين باشا محل ثقة السّلطان العثماني وكان يحظى بمكانة رفيعة لدى السّلطات العثمانية، وتمتع بصيت كبير بفضل ما حققه من انتصارات، وتوفي بإسطنبول في 4يوليو/ جويلية 1546م.

عامر بغدادي

المصادر:

- تاريخ أفريقيا الشّمالية، شارل ـــ أندري جوليان، تعريب م. مزالي وب. بن سلامة، الدّار التّونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للنشر والتّوزيع، تونس، 1978.
- الجزائر خلال الحكم التّركي، صالح عباد، دار هومة، 2005
- تاريخ الجزائر العام، عبد الرّحمن الجيلالي، ج3، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، 1983

د

■ داود بن إبراهيم التّومي (عمي داود)
(و: 1347هـ - 1928م / ت: 1432هـ - 2011م)

المجاهد داود بن إبراهيم التّومي، المعروف بـ «عمي داود»، من عشيرة آل بلحاج بغرداية، أمّه هي السّيدة «لالة بنت بكير بوّال»، وأبوه السّيد «إبراهيم التّومي»، الذي عمّر قرنا من الزّمن أفناه في السّهر على راحة المجتمع والتّضحية من أجله، فكان مع هيئة (أمناء السّيل) منذ عامّ 1885م، وكذا ضامنا لعشيرته (آل بالحاج).

ولد الحاج داود بن إبراهيم التّومي سنة 1347هـ، الموافق لسنة 1928م بحي (حَادُور) وسط بلدة غرداية، نشأ داود في عائلة كريمة، حيث كان لها الدّور الكبير في تربيته وتنشئته، وإن لم يحظ بتكوين مدرسي ولم يحفظ إلا قسطا يسيرا من القرآن الكريم، إلاّ أنه أخذ مبادئ الرّجولة والتّضحية والحزم في الأمور من مدرسة الأبوة، حيث منذ نعومة أظفاره كان يساعد أباه في أعمال الفلاحة بواحة «بِيبن جَبلِيين»، ممّا هيّأه لتحمّل المسؤولية والصّبر على مصاعب الحياة والكفاءة في القيادة وتسيير الأعمال.

وحين بلغ الخامسة والعشرين شدَّ رحاله إلى مدينة (سور الغزلان) سنة 1953م للعمل وكسب القوت والرّزق في التّجارة عند السّيد «حموم حمّو» المعروف هناك بـ «بُوريم»، وفي نفس الوقت كان يقوم بشؤون «المزرعة» التي تحوي «مِطحنة» كبيرة وهي موجودة في منطقة «رَدَّان» التي تبعد بحوالي 60 كلم عن مكان عمله التّجاري، وكان ينتقل بينهما بالفَرَس؛ إلى سنة 1959م حيث رجع إلى مسقط رأسه غرداية، بعد جهاد طويل في التّجارة ونضالٍ ثوري داما حوالي 6 سنوات.

كانت للحاج داود مساهمة كبيرة في الثّورة التّحريرية الجزائرية من خلال عمله في منطقة «سُور الغزلان»، حيث كانت له الرّغبة الملحّة في اللحاق بإخوته المجاهدين في الجبل إلاّ أن مكانته الكبيرة في قلوب أهل الجبل وأهل المدينة حالتْ بينه وبين ما يشتهي، فقد أراده أهل المدينة معهم للقيام بدوره النّضالي منها، فكانت تُوكّلُ إليه كلّ مصالح المدينة، فقد كان رجلا ذا ثقة وهيْبَة وحنكة لدى أهالي المدينة لشجاعته وإقدامه، كما كان متنقّلا بين الجبل والمدينة يقوم بمهمة ساعي البريد؛ إذ كان متجره مركزا للقائه بأهالي الثّوار، وقد عُرف آنذاك باسم «داود الأَقرَع» وهو اسمه الثّوري، ومن أكبر تضحياته أنه كان يستقبل أفواج المجاهدين في «المزرعة» فيؤويهم ويحضر لهم الطّعام ويهيّئ لهم المَبيت رغم كثرة عددهم (20 إلى 50 فرداً)، وفي غير هذا الوقت كانوا يتزوّدون بما يصنعه لهم من الخبز فيبعث به إليهم -مع القمح والشّعير- إلى الجبل... وفي بعض الظّروف كان يوزّع الأدوار على المزارع المجاورة في إيواء المجاهدين وإطعامهم بالتّناوب، ومن أهم أصدقائه الأوفياء في المطحنة السّادة: رحماني محمّد وحرزي رابح وعمر ونايلي سعيد... وغيرهم، ولم يَسْلَم «الحاج داود» من بطش الاستعمار واستبداده، حيث تعرَّض عدة مرات للعقاب بالأعمال الشّاقة؛ من ذلك حمله الأسلحة الاستعمارية الثّقيلة سيراً على الأقدام لمسافة تقرب 12 كلم، ومع كل هاته التّضحيات الجسام فقد رفض أن تُمنح له بطاقة «المجاهد»، وفي هذا تتجلى قمّة الإخلاص والعمل لله، في نهاية سنة 1959م عاد إلى مسقط رأسه بعدما كاد

الاستعمار الفرنسي يكتشف أمره وأضحى مراقَبا ومهدَّدا بالقبض.

بعد استقراره في بلدته توجّه إلى الفلاحة أين كان يعمل في رقعة أرض امتلكها في منطقة (بِين جَبلِين)، كما عمل في ترميم الآبار وتقليم الأشجار وزرع النّخيل بعد نقلها مسافات طويلة، وما يدلّ على الصّبر والشّدة في طلب القوت أنه كان مع جماعته ينقلون النّخيل الثّقيل من واحات (غرداية) إلى القصر أو إلى منطقة «أزويل» (بواحة بُونُورة) مشياً على الأقدام ثم يغرسونها، وكانوا يستغرقون يوما كاملاً في رحلتهم تلك.

كان «الحاج داود» عضوا في هيئة «أمناء السّيل» (لاَوَمْنَا) في فترة غُربته، فقد انضمّ إليها سنة 1952م في قسم الشّرق بواحة (بُوشَمجَان)، وكان عضواً نشطاً فيها نتيجة لمعرفته التّامة بطبوغرافية المنطقة التي تأتي منها السّيول، كما أن له معرفة واسعة بمناخ المنطقة، إذ أنه يقرأ توقُّعات المناخ عبر قوة ووجهة الرّياح ولون السّحب ومصدرها، وله أيضا معرفة بتقاسيم المياه من سدود وآبار وقنوات...، وفي أواسط الثّمانينيات من القرن المنصرم استلم مشعل قيادة هيأة (أمناء السّيل) خلفاً للشيخ الحاج حمّو بن موسى عمي سعيد، وقد أمضى معظم حياته في تشْييد النّظام التّقليدي لتقاسيم المياه وترميم وتهيئة منشآته، ومن مشاركاته المهمّة في هذا الميدان:

1967م: بناء حُجرة (أمناء السّيل) المتواجدة الآن في منتهى ساقية "بُوشمجان"، لمراقبة السّيول قبل وصولها إلى غرداية.

1968م: بناء الحُجرة المجهزة بـ (بُوشّن) وكان قيِّما عليها.

1969م: تشييد الحاجز التّرابي الموجود بين سدّ (بُوشّن) وساقية (تَاكْضِيتْ)، وقد بلغ طوله حوالي 2 كلم.

1970م: إقامة المخرج الكبير بين (سد بُوشّن) و(ساقية تَاكْضِيتْ).

1972م: بناء حُجرة (أملاقَا) -القديمة-، وفي سنة 1982م اكتشفوا أنها معرّضة للسّيل فأضافوا حُجرة (أملاقَا) الجديدة لتُستعمل لصيانة الأبواب الحديدية والعتاد والتّحكُّم بالسّيول عند مجيئها والاحتماء بها من البرد والأمطار، بعدما كانوا يحتمون بالمداخل الصّغرى للمصابّات (تِيصَمْبَادْ) من المطر والبَرَد.

1981م: تشييد مَصبّ (بُوشّن) والذي يحتوي على 18 باباً حديدياً، بدل الحاجز التّرابي الذي كان يُجرف في كل مرة.

في نهاية التّسعينيات: أشرف على إعادة بناء «سدّ بُوشّن» بعدما استفاد من ميزانية معتبرة من الحكومة.

كان «الحاج داود» إلى جانب هذه المهام عضوا من أعضاء هيأة (أمناء العَرش) المسؤولة عن القانون العُرفي في البناء، فقد عُرف بسَدادِ رأيِه ومعرفته الواسعة بنظام العمران وتفاصيل البناء، حيث كان له الفضل في توجيه البنّائين وفضّ النّزاعات قبل دخولها في المحاكم (مثل: إعلاء البناءات، وحجب الشّمس عن الجيران، واحترام حق الطّريق...، ومن زملائه في أمانة العرش الحاج عيسى راس نعامة، والحاج يوسف بابا وإسماعيل، والحاج يحيى بابكر، وبالإضافة إلى عضويته في «أمانة العرش»، فقد أسهم في العديد من المشاريع الاجتماعية بالتّنسيق مع الهيئات الإدارية، نذكر منها: صيانة مقبرة (الشّيخ بابا السّعد) وإحاطتها بالسّور والقيام بخدماتها، كما كان هو ورفيقه راس نعامة عيسى مسؤولان على حبُوس الشّيخ بالحاج داود الموجود بمنطقة (تاوريرت) منذ سنة 1948م، فأشرف الحاج داود التّومي على عمارة هذه المنطقة، وفي إطار مسؤوليته على مقبرة «الشّيخ بالحاج داود»، فلمّا عُمّرت أرض المقبرة عن آخرها قام بتوسيعها في الجزء الموجود بـ»بابا السّعد»، كما أشرف على بناء حجبة (آل بالحاج) مع الشّيخ الحاج حمو عمي سعيد والحاج أحمد بازين والحاج إبراهيم أدّاود.

لازم الحاج داود الفراش لثلاث سنوات، حتى ناداه الأجل المحتوم فالتّحق بالرّفيق الأعلى يوم الخميس 21 ربيع الأول 1432هـ، الموافق لـ 25 فيفري 2011م

إبراهيم بن محمّد أويابة

المصادر:

- جلسة مع ابن المترجم له إبراهيم بن داود التّومي.
- مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 39 سنة: 2012م.

ذ

■ **ذوادي عبيرز**
(و:1347ه - 1928م/ت: 1381ه - 1961م)

في قرية الحمادشة التابعة لدوار بيرِ حدادة سابقا بلدية عين الحجر حاليا من ولاية سطيف ولد الشّهيد ذوادي عبيرز في 6 مارس سنة 1928، ونشأ كما نشأ أطفال جزائريون كثيرون محرومون من حق التعليم والتكوين ومرح الطّفولة، إذ كانت قريته محاطة بضيعات المعمرين من الشّرق والجنوب والغرب، أما من ناحية الشّمال فكان منجم جبل القطار والذي تغير اسمه إلى قوسطار.

فكان أن أرسله والده إلى الكتّاب ليتعلم بعض السّور القرآنية والمبادئ الدّينية، وحين اشتد عوده صار يعاون أباه في فلاحة الأرض ورعي حيواناته، حتى إذا انتهت الحرب العالمية الثانية وسمح للجزائريين أن يقطعوا البحر للذهاب إلى فرنسا طلبا للعمل، ذهب هو الآخر إلى هناك واشتغل عدة سنوات وكان هذا قبل اندلاع الثورة بقليل حيث أسهم في مساعدة العائلة ببعض المبالغ المالية، واكتسب معارف ومهارات أهلته فيما بعد أن يكون من طلائع الثورة.

وبعد انطلاقة رصاصة أول نوفمبر 54 عاد إلى أرض الوطن واستأنف عمله العادي في خدمة أسرته والتطلع إلى أخبار المجاهدين، ولما وصلت طلائع المجاهدين إلى الجهة في آخر 55، انضم إلى الخلايا الأولى التي قامت بالدعوة إلى الثورة والالتفاف حولها ومساعدتها. ولم يطل به المقام حتى التحق جنديا في صفوف جيش التحرير الوطني في أوائل 1956، حيث أسهم في عدد من المعارك والكمائن التي دارت بالناحية الثالثة من المنطقة الأولى من الولاية الأولى، وكانت النّاحية الثالثة أنذاك تضم جنوب ولاية سطيف القديمة.

لقد قام بمعية فوجه بعمليات عسكرية عديدة منها:
- الكمين الذي نصبه للمعمر فيا كسي » بالقرب من ضيعته والذي قضى فيه على المعمر وحراسه وغنم أسلحتهم؛
- مهاجمة مراكز العدو في كل من ايشارن و اطفى وقجال ورأس الماء؛
- كمين واد لقبالة ولما وصلت لجنة إعادة تنظيم الولاية الأولى في صيف 1957 وإعادة هيكلة جيش التحرير الوطني، رقي إلى رتبة ملازم قائدا للكتيبة الثانية من فيلق النّاحية، حيث قامت كتيبته بجلائل الأعمال، سواء في المعارك والكمائن أم تأطير أعمال التخريب لمنشأت المستعمرين وآلياتهم. اذكر أنني في هذه الفترة تعرفت عليه، حين عينت محافظا سياسيا للقسم الثاني من النّاحية الثالثة، فقد رافقني في جولة على القسم الذي كان يعرف مسؤوليه وأعيانه من مسبلين ولجان شعبية وغيرها.

وفي عام 1958 عين قائدا لكتيبة في النّاحية الثانية من المنطقة الأولى الولاية الأولى ناحية عين التوتة» لقد اتسم بالحنكة والشجاعة والاقدام حتى صار يضرب به المثل في ذلك. وكانت كمائنه في شراشف الحلفاء قد اجبرت القوات الاستعمارية، على عدم استخدام طريق بريكة، عين التوتة إلا إذا استعانت بالدبابات والطائرات.

في آخر عام 1958 أو أوائل 1959 جاء الشّهيد لزيارة أهله. وفي ضواحي سطيف الجنوبية الشرقية صادف الأخ الشّهيد العيد الضّحوى قد أسر جنديا استعماريا حاملا رشاشة ألمانية الصّنع، وقد تجول مع الشّهيد في قجال وأولاد منصور وبوسلام، وجبل العنيني حيث التقيا بالشهيد الشّيخ العيفة، وقد خرج حينها من معركة جبل مقرس على التو ثم غادر الشّهيد الذوادي عائدا إلى مقرّ عمله. وقد ذكر أنه استشهد بالأوراس في ظروف غامضة سنة 1960، رحمه الله ورحم كل الشّهداء.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- محمد الصّاح بن طامة، مجلّة أول نوفمبر، العدد 167، 2003.

ر

■ رابح درياسة
(و:1352ه - 1934م/ ت: 1443ه - 2022م)

ولد رابح درياسة 19 أوت 1934 في البليدة الملقبة بمدينة الورود التي أسّسها الأندلسيون شمال الجزائر، بعد تهجيرهم من بلادهم بدءا من القرن الـ16 للميلاد. يعتبر أحد أعمدة الفن الملتزم والبدوي في الجزائر، وصفه الكثيرون بأنه عملاق الأغنية التراثية الشّعبية الجزائرية، مغنيّ ومؤلف موسيقي وملحن وكاتب. مُنح لقب عميد الأغنية الوطنية، ووصفت أعماله الفنية بأنها ذات طابع ملتزم، كبر يتيم الوالدين وهو الذي فقد أمه في سن 12 ثم والده بعد 3 سنوات، ما حتم عليه الاعتناء بإخوته الخمسة وتلبية احتياجاتهم، ولأجل ذلك عمل في الرّسم على الزجاج، خاصّة المنمنمات، التي كانت أوّل شغفه الفني، تعلمه بمفرده مستوحيا ببعض الفنانين خاصّة محمّد راسم، والذي إلتقى به في العديد من المرات وكثيرا ما شجعه على مواصلة الدّرب وصقل مواهبه الشّابة.

في سنة 1952، عرض أعماله في الجزائر العاصمة والبليدة وباريس، وفاز بجائزة (جول فيري) في صالون الفنانين الجزائريين والمستشرقين في باريس.

ثم ترك الرّسم على الزجاج ليعانق العزف على العود، فأصبح مغنيا ومؤلفا موسيقيا وملحنا وكاتب كلمات، وأسّس لمدرسة

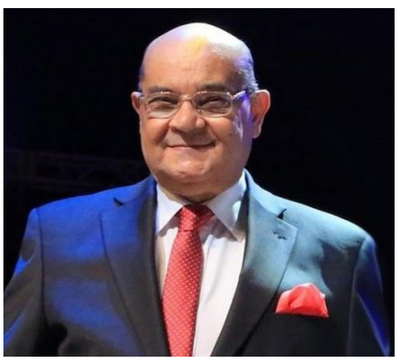

خاصّة وفريدة في الموسيقى الجزائريّة خاصّة والعربية عموما.

وفي سنة 1953 بعد أن عمل في ميادين مختلفة، بيد أن الأقدار شاءت أن يسطع نجمه ويتألق في آفاق الفنّ، فأصبح رائد الأغنية الحكيمة البدوية المطبوعة بطابع ملتزم ومحترم، شرع المبدع رابح درياسة في كتابة الأغاني لمعظم نجوم تلك الفترة، قبل أن يحاول أداء كلمات نصوصه الخاصّة، في الحصة الاذاعية (من كل فن شوية).

وبعد اكتشافه وتشجيعه من طرف أعمدة الأغنية في تلك الحقبة من بينهم مصطفى اسكندراني وعبد الرّحمن عزيز ومصطفى كشكول، سلك رابح درياسة طريقه ووضع طابعه الخاصّ الذي يقوم على المزج بين مختلف الطّبوع الشّعبية من البدوي والعلاوي والصحراوي وغيرها.

وكان النّجاح في الموعد حيث تهافت الجمهور على شراء اسطوانات المطرب الشّاب معجبين بشراء نصوصه الملتزمة ذات اللحن الجميل وغير المسبوق التي تم تسجيلها في أكبر دير الأسطوانات.

وبعد الاستقلال، واصل رابح درياسة الذي حقق شعبية كبيرة، طريقه كما قام بإدخال مزج بين المواضيع الوطنية والاجتماعية جعلت منه أحد أكبر المؤلفين والملحنين للجزائر حيث منح لقب سفير الأغنية الجزائرية. حيث غنى للوطن والحب والجمال والأغنية الحكيمة. أدى الأغنية البدوية والجزائرية الملتزمة والمحترمة. حظي الشّيخ رابح درياسة بمكانة مميزة لدى الجمهور في الجزائر والخارج لسلامة وعذوبة أغانيه الخالية من الكلمات الماجنة ويحترمه كل الجزائريين بجميع مستوياتهم.

ومن أشهر أغانيه أغنية (يا عبد القادر)، يتغنى فيها باستقلال الجزائر مبشرا الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله بأن مناه تحققت.

واشتهر أيضا بأغنية (حيزية)، المعنونة على اسم حيزية بوعكاز بنت أحمد بن الباي، وهي شابة جزائرية من عرش الذواودة، ولدت عام 1855، ويقال إنها أحبت رجلا من قبيلتها، وتمسكت به رغم الضّغوط، وانتصرت في النّهاية وتزوجت منه، لكن الموت خطفها بعد فترة قصيرة من ذلك، وتحول قبرها إلى معلم أثري وسياحي.

ويعد درياسة من أبرز الفنانين الذين يحظون بحب واحترام الشّعب الجزائري لا سيّما وأنه اشتهر بأغانيه الوطنية التي أسهمت في جمع شمل جميع الجزائريين على غرار أغنيته الشّهيرة (يحياو أولاد بلادي).

ومثل الفقيد الجزائر خلال الاسابيع الثّقافية بالبلدان الصّديقة مثل العراق ومصر وسوريا والكويت والعربية السّعودية والامارات العربية المتّحدة ولبنان اضافة الى بلدان المغرب العربي.

لدى الشّيخ رابح درياسة أكثر من مئة أغنية ولكن أشهرها:

- الممرضة
- التفاحة
- نبغيك نبغيك
- نجمة قطبية
- القمري
- يا محمّد
- يا راشدة
- الساعة
- يا قاري سورة النّساء.

وتوفي (عندليب الجزائر) صيحة يوم الجمعة 08 أكتوبر 2021، انطفأت النّجمة القطبية، بمنزله الكائن بشارع العربي التبسي بوسط مدينة البليدة، تشيعت جنازة فقيد الفن الجزائري بمقبرة سيدي حلو بوسط المدينة.

سناء رمضاني

■ رمضان حمود
(1324ه - 1906م/ 1348ه - 1929م)

اسمه الكامل رمضان حمود بن سليمان بن القاسم المزابي وُلد يوم 28 أكتوبر 1906 الموافق ل 10 رمضان 1324 ه بوادي ميزاب بغرداية وينتهي نسبه إلى أحمد بن سليمان أحد أعيان المنطقة التي وُلد فيها ناقدنا وشاعرنا. لقد كان لنسبه والدة وجده العريقة الأثر البالغ في تربيته الحسنة وتنشئته هذه النشأة الصالحة، بما زرعوه في نفسه منذ الصغر من استقامة في الدين، وتمسكه بالأخلاق الكريمة، وحب الوطن، ثم اصطحبه والده معه إلى - غليزان- وهو ابن ست سنوات بسبب تجارة والدة التي كانت هناك.

وهناك حفظ رمضان حمود القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية، كما التحق بإحدى المدارس الفرنسية وبرع فيها، وقد شهد له بالذكاء والنبوغ منذ الصغر، كان مثالا للنشاط في فصله، والاعتناء التام بدروسه، فطوى باجتهاده ومواهبه في سنتين اثنتين، ما يطويه غيره

من التلاميذ في أربع سنوات، وهو ما جعل معلميه يخصونه بالمحبة، والعطف، ويضربون به المثل في حب التحصيل عندما يريدون تحفيز تلاميذهم، ولكنه اصطدم منذ مراحل التعليم الأولى بمأساة التعليم في الجزائر المستعمرة، حيث غدا التلميذ ممزقا في أغلب الأحيان بين تعليمين أحدهما فرنسي، عصري المناهج والأساليب؛ ولكنه يهدم الروحيات ومقومات الشخصية الجزائرية هدما، وثانيهما عربي حرّ، والذي عرفته الكتاتيب، والمساجد، وبعض المدارس الخاصة؛ ولكنّه عقيم الأساليب ضعيف المناهج. ونتيجة لذلك، قرّر والده أن يبعث به إلى تونس، التي كانت آنذاك قبلة كلّ شغوف بالمعرفة، فانظم حمّود إلى أفراد البعثة التعليمية التي كان يرأسها الشيخ أبو اليقظان، والشّيخ أبو إسحاق أطفيش، والشّيخ محمد الثميني، فكوّنته المطالعة والأندية الأدبية، وأبرز مواهبه الشّعرية، وربّاه مشايخه في البعثة، وزرعوا فيه حبّ الاستقامة خلقا ودينا، وبثوا في نفسه حب التضحية، وتقلب هناك في مدارس منها السلام، فالمدرسة القرآنية الأهلية، ثمّ المدرسة الخلدونية، ثمّ الجامع الأعظم، درس الخط العربي، وبرع فيه، كما درس مبادئ في الجغرافيا والتاريخ، ثمّ النّحو، والصّرف، والتشريح، والهندسة، وفي القسم الثاني العلوم الطبيعية بأسرها، فكوّن

مع بعض إخوانه الطلبة في البعثة (جمعية أدبية وطنية)، حيث كان من أبرز عناصرها، ولكنّ مرض السّل الخطير، بدأ ينهش رئتيه، وهو ما يزال طالبا في تونس، لم تسلمه مخالبه إلا بعد أن مزّقته، وأخيرا انطفأت شعلته.

تواجد رمضان حمود في فترة الوجود الفرنسي في الجائر وعاش الأوضاع كما عاشها غيره من الأحرار الذين أرادوا إجلاء هذا المدمر والتفوق عليه، حيث سُجن عدة مرات من طرف المستعمر الفرنسي 1925 وهو لم يبلغ العشرين سنة.

تتلمذ رمضان حمود على يد عالمين جليلين منهما نهل المعرفة واكتوى بحرقة العلم والإبداع والتميز وهما ابراهيم اطفيش ومحمد الثميني وهما من أرسلاه إلى تونس.

مؤلفاته:

1. بذور الحياة: خواطر في الأدب والاجتماع.
2. الفتى: محاولة قصصية، تحكي حياة رمضان نفسه.
3. قصائد شعريّة: له حوالي 25 قصيدة في مختلف المواضيع.
4. مجموعة مقالات: أدبية واجتماعية، موزّعة في مجلاّت منها واد مزاب والشهاب.

رمضان حمود بالرغم من تعلمه الذاتي من خلال شغفه بالمطالعات فقد أنجز في بضع سنوات ما لا يفعله غيره حيث غير مجرى النقد العربي آنذاك ويعد بحق رائد النهضة النقدية الحديثة قبل جماعة الديوان وبالاحتكام إلى العامل الزمني نجد أنّ الرجل قد تقدم عليهم بآرائه زمنيا.

لأنه من عائلة عريقة من وادي ميزاب فقد كان الرجل إباضيا.

ناضل رمضان ضد المستعمر ووجوده في الوطن بكل ما أوتي من قوة والدليل أنه سُجن عدة مرات وهو يافع.

إنّ الشّعر الجزائري، في الثلاثينات، كان شعراً تقليديا محافظاً، ينتمي إلى الكلاسيكية الجديدة عند شباب الحركة الإصلاحية، ويرتد إلى عصر الانحطاط عند غيرهم، ونتيجة لذلك فإن الدّعوة الجريئة، والصريحة إلى الاتصال بالغرب، إنّما أتت من رمضان حمود الذي جهر بدعوته، في وقت كان النّقد والأدب في المغرب العربي عبارة عن اجترار للأفكار القديمة، وفي هذا الوقت المبكر، فهم حمود أنّ السّبيل الوحيد هو تحرير الأدب من قيود الماضي، وما يطلق عليه بالجمود والتقليد الأعمى، ويظهر ذلك من خلال قوله: «أنا لا أقصد بالترجمة الترجمة اللفظية، والاختلاس، والمسخ، وقتل الأدب بالسيوف العجمية شرّ قتلة... بتحطيم الأوضاع، والقواعد الأساسية، والبلاغة العربية، والامتيازات، والفروق التي بني عليها كلّ قوم... ولكن أقول، وأكرّر بكلّ حرية، وأتفوّه بما أعتقد... إنّ الأدب العربي مريض ومشرف على الهلاك، إن لم يتداركه أبناؤه في عصر خالف تمام الاختلاف عصوره المتقدّمة، فهو يحتاج إلى دواء ناجع، يوافق علّته، ومزاج طبيعته المنغمسة في حالة الجوّ الحار، إنّ لكلّ زمان رجالا، ولكلّ أدب مخصوصا به، لا يزن أن يقلّده الجيل الذي يليه. بيد أنّ دعوته، لا تعني أنّ الأدب العربي ضيف يحتاج إلى توسيع أو معوزا يفتقر إلى ثروة، أو خامل الفكر، لا بدّ له ممن يرفع صوته ليعرفه النّاس، ولكنّ الأدب الجزائري في نظره أصيب بانتكاسة شديدة، فهو في حاجة ماسة إلى البحث عن علاج، وهذا لا يمكن إلاّ بالاحتكاك بالآداب الأجنبية، وإنّما ركّز هو وزملاؤه على قضيّة تطور كلّ أدب، ثمّ تساءل عن العوامل النفسية لتشبث بعض الأدباء بالقديم، فيقول: «وهل قوّة الإدراك في تقهقر مستمر، حتّى أنّ المرء لا يفعل شيئا إلاّ، ويسأل: هل فعله القدماء أم لا؟، وهل هو مطابق لإرادتهم أم لا؟، وهل القدماء رمز على العلم، والاختراع، والمتأخرون على الجهل والاتّباع؟، وهل خلق الإنسان ليكون ذيل غيره، وغيره هو الرأس؟، وهل يدوم بناء بغير ترميم، وتجدّد، مهما كانت صلابته، وقوّة مشيّده؟».

لم يهتم حمّود في نقده برسالة الشّعر، ومضامينه وحدها، وإنّما اهتمّ بشكل القصيدة أيضا، ذلك لأنّه لم يفصل قط بين الشّكل والمضمون، فهما عنده متكاملان متلاحمان في نسيج واحد، إذ يرى بأنّه لا يمكن أن تكون هناك جدّة أو تطوّر في أحدهما دون الآخر، ومن ثمّة، كان لا بدّ من العناية ببعض القضايا الفنية المحضة، وأهمّ هذه القضايا، كما يتجلّى من خلال النصوص قضية الصدق الفني، التي عرفت هي الأخرى نقاشا حادا بين القدامى والمحدثين في الشّعر العربي، لهذا فإن رمضان حمّود يريد أن يشير إلى أنّ العملية الشّعرية هي الأساس في القصيدة الشعرية سواء كانت ذاتية الإنسان المتمدّن أو المتوحّش، وإن كلّ ذلك يظهر بالممارسة، وما دام أنّ الشّعر مصدره النفس الإنسانية، فإنّ المثقف والعامي فيه سيان، فكلاهما يرسل كلامه من نفس متّقدة، وروح ملتهبة، وقلب مملوء إحساسا وشعورا، فتقبله أسواق

الأفئدة والصّدور. إذن، مصدر الشّعر، النّفس، والرّوح، والقلب، ومادّته، الإحساس والشّعور، وهذا لا يتأتّى، إلاّ بالاحتكاك والممارسة، ومن هنا فإنّه في نظره أيضا، أنّ الشّعر سطّر بريشة الشّعور على صحائف لغات الأمم الخاصّة بها..

ويترتّب عن التحديد السابق للأدب بعامّة، والشّعر بخاصة، أنّ نقّاد الاتّجاه التأثري في المغرب العربي، نظروا إلى الشّعر على أنّه إلهام، أي أنّه موهبة مُنِحَها الإنسان لتصوير ما يضطرب في نفسه من مشاعر وعواطف، لهذا فإنّ رمضان حمُّود نظر في هذه القضية، معتمدا على الناقد الفرنسي المشهور شابيلين، فقال: «إنّ الشّعر هو النّطق بالحقيقة، تلك الحقيقة العميقة، الشّاعر بها القلب، والشّاعر الصادق، قريب جدّا من الوحي»، فالشّعور في نظر هذا الناقد الجزائري، ليس عملا يمكن أن يقوم به من شاء من النّاس، بل هو إلهام تولّده الطبيعة في نفس الشّاعر. لهذا فإنّ حمّود، تجنّب استخدام كلمة وحي، حتّى لا يؤدّي به إلى مجابهة رجال الإصلاح، خاصّة، وأنّه يشاركهم في كثير من مواقفهم، قال ذلك حتّى يتجنّب الشّاعر التصنع، وأن يصوّر ما في نفسه من شعور صادق، أو ما يسمّيه: «وحي الضمير، وإلهام الوجود»، والحقّ أنّ نظرته هذه تكتمل مع شخصيّته تمام الاكتمال، فقد عرف عنه، كره شديد للنّفاق، والدّجل، ومقت قويّ للتقليد والجمود؛ أو لم يقل عن مذهبه الفنيّ: «لست من الذين يكتبون للتسلية والترويح عن النّفس، ولا الذين يتذلّلون بالعبارات المنمّقة الرقيقة، ولكن أكتب لأفيد وأستفيد، لا ليقال إنّه كتب، بل ليقول لي ضميري أنّك قمت بواجبك، وأدّيت ما عليك، فكن مطمئنا». والصّدق عنده أساس نجاح التجربة الفنية بصفة عامة، لذلك فإنّ الشّاعر من هذه الوجهة، لا يختلف عن الرّسام في شيء، فكما أنّ الرّسام لا ينجح إلاّ إذا تزوّد بطاقة حيّة من الشّعور، وكان المنظر الذي يريد رسمه حاضرا في ذهنه وأمام عينيه، كذلك الشّاعر، لا طاقة له على امتلاك العقول، والأخذ بأزمة النّفوس، إلاّ إذا أجاد تصوير العواطف الهائلة، التي تقوم في ميدان صدره الرّحب، عندما يريد أن يعرب للسّامع عن خواطره الخاصّة أو العامة، لا مجرد تنسيق، وتزويق، وتكلّف مشين، وكذب فادح، لأنّ هذا مما ينقص من قيمة الشّعر والشّعراء في الأمّة النّبيهة.

وكلّ ما كان يهمّ رمضان حمّود وزملاؤه، أن تكون اللّغة بسيطة، وأن يكون الأسلوب غير معقّد، أو بعبارة أخرى، عدم تكلّف الشّاعر في التّعبير عمّا في نفسه من أحاسيس، لهذا يخاطب من يصفهم بالأحداث، قائلا: «فيا أيّها الأدباء الأحداث، انبذوا عنكم التكلّف والتنطّع في اللّغة، وأفرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل»، فحمّود، لا يريد أكثر من الصّدق في التعبير، وهو الصّدق، الذي إن أخذ به الشّاعر، جنّبه التكلّف، والتنطّع في اللّغة، وجعله يعبّر عن نفسه، بدل أن يبقى ظلاّ لغيره من الأدباء، فاللّغة التي يفضّلها، هي التي تتماشى وروح العصر، المتطورة معه، المستجيبة لمتطلباته، لغة سهلة التناول من طرف المتلقين، بسيطة، تصل إلى النفس الإنسانية دون جهد أو تكلّف، فهي لا تتعالى بكلمات غريبة معقّدة، كما لا تنزل إلى عامية شوهاء مبتذلة، إنّها اللّغة الوسطى، كما يعبّر عنها اليوم، حيث يرى رمضان حمّود، بأنّه: «لا يسمّى الشّاعر شاعرا عندي، إلاّ إذا خاطب النّاس باللّغة التي يفهمونها، بحيث تنزل على قلوبهم، نزول ندى الصباح على الزّهرة الباسمة، لسنا في حاجة لأن يكلّمنا الشّاعر في القرن العشرين بلغة امرئ القيس، وطرفه، والمهلهل الجاهليين الغابرين». ومن الواضح، أنّه لم يدع إلى لغة دارجة أو عامية، كما دعا إلى ذلك بعض النقاد في المشرق العربي، في تلك الفترة بالذات، لأنّ الحفاظ على اللغة عنده هو حفاظه على القومية، والأصالة، والشخصية، ويتجلّى ذلك في هذه الدّعوة التّي وجّهها إلى الأدباء والشّعراء، قائلا: «أجهدوا أنفسكم في درس لغتكم، في فهم أسرارها، في تدقيق معانيها، في إتقانها، غاية الإتقان، فإذا تمّ لكم المراد، واستحوذتم على جانب وافر منها، أنبذوا عنكم كلّ صلة بينكم، وبين ماضيها، اجعلوها وسيلة إلى نيل مآربكم، لا غاية تتجاوزونها، غيّروا، فنّنوا، واسعوا، أصلحوا، فإنّكم بذلك تكونون عصرا: أنت ما يحلو لك».

لقد التفت النقّاد التأثّريون في المغرب العربي إلى جوانب أخرى في الشّعر، فبالإضافة إلى النظر في الوزن، واللّغة، والذّوق، والإحساس، والعاطفة، نظروا كذلك فيما أطلقوا عليه أحيانا (الصّورة الشّعرية) وأحيانا (التّصوير الشّعري)، لذلك فإنّ رمضان حمّود اعتبر الشّاعر، والمصوّر، أجيرين للفنّ، والجمال، وكلاهما مدين بالإجادة، والتدقيق في النظر والبحث، فهذا في المحسوسات، وذاك في المعنويات،

وإذا كان التّصوير يستلزم بالإضافة إلى الشّعور حواس متطوّرة، قادرة، على التقاط الجزيئات الدّالة، فإنّ التّصوير في المعنويات، يقتضي من الشّاعر التأمّل، ومراجعة النفس، في الحالات الرقيقة أو المتشابهة، كما يتطلب منه إجادة استعمال العقل الباطن في هضم المادة التي يستند عليها عمل الشّاعر في البداية وتكييفها، لذلك فهو يقول: «فكذلك الشّاعر لا طاقة له على امتلاك العقول، والأخذ بأزمة النفوس إلاّ إذا أجاد تصوير تلك الوقائع الهائلة، التي تقوم في ميدان صدره، عندما يريد أن يعرب للسّامع عن خاطر من خواطره الخاصّة أو العامة كانت (كدّا)، لا مجرّد تنميق وتزويق مشين». وهذا يقودنا إلى الحديث عن الصّدق، وبالتالي يقودنا إلى الحديث عن العاطفة، ودورها في إبراز الصورة الشّعرية، تلك القضية التي وجدت كلّ الاهتمام من رمضان حمّود، حين اعتبر العاطفة أوّل عنصر يساعد على إنجاح الشّعر وإخفاقه، وقد حذّر الأديب الناشئ، من أن يتقدّم إلى مهنة الشّعر والأدب بزاد النّحو، والصرف، أو العروض، والقوافي، أو البلاغة، والمادّة اللغوية...، ما لم يسعف كلّ ذلك في نفسه وازع قويّ نحو التّجربة الأدبية، فهو ليس بضاعة كما يقولون، ولكنّه إلهام وجداني، ووحي للضّمير» فهو ليس صناعة ولا بضاعة وإنما إلهام وجداني ووحي الضمير وموهبة مخفية في ذات الشاعر، تولد مع ميلاده وتظل كامنة فيه، فهي في اختفائها كاختفاء النار في الحجر، حين بروزها».. إنّ الأدب الذّي لا يصدر عن نفس حسّاسة في نفحاتها، لا يتسرّب إلى أعماق النّفوس الحيّة، بل لا يخلد طويلا، ولا يلبث أن يقضي عليه سلطان النسيان والإهمال. والواقع أنّ المذهب الرّومانسي في الأدب، كان يعطي أهمية عظيمة للصّورة الفنية والعاطفة في التجربة الفنية، ويعود هذا اعتبارا إلى طبيعة الرومانسية نفسها، التي جعلت للقلب، والشّعور أعلى قوّة من العقل، باعتباره هاديا للإنسان.

يعد رمضان حمّود بالنسبة للأدب الجزائري الحديث، رائدا في ميدان النّقد الأدبي، لا سيما في مجال نقد الشّعر، فقد عالج قضايا جوهرية، منها رسالة الشّعر، ودوره في الحياة، وأوضح ما في المضامين التقليدية من قصور، كما عالج بعض القضايا المعنوية، منها العاطفة، ودورها في الشّعر، وقضية الصّدق الفنّي، واللّغة الشّعرية، وكيف يجب أن تكون.

وهذه القضايا ركز عليها النقاد من بعد وعلى رأسهم المازني وصاحبيه، حيث ركزوا على أهمية العاطفة الصادقة في إضفاء جمالية للشعر إن أردنا منه أن يكون صادقا ويصل إلى القلوب قبل أن تصل الكلمات إلى الآذان، والصدق الفني مكمل تزييني للشعر العربي مع لغته الشعرية ومنه لقد حط رمضان يده على أهم ما في لشعر وهي لغته، التي يجب أن تكون ساحرة تختلف عن لغة القيود والمعاجم والتكلف وإنما يكفي أن تنساب إلى القلب انسياب الدم في الشرايين.

لقد تجسدت عاطفة الرجل ولغته الشعرفي في قصائده التي خلفها لنا ولا يمكن التمييز بينها، ومن ما قاله الرجل:

لست أختار ما حييت سواها
لا تلمني في حبها وهواها
إنّ روحي وما إليه فداها
هي عيني ومهجتي وضميري
كوكبا ساطعا ببرج علاها
إن عمري ضحية لأراها
وشقائي مسلم بشقاها
فهنائي موكل برضاها
تنطوي الأرض أم يخر سماها
إن قلبي في عشقها لا يبالي

أمينة طيبي

المصادر:

- مقال حول رمضان بن حمود للأخضر بن هدوقة على موقع الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، بتاريخ 30 أفريل 2009.
- حركة النقد الأدبي الجزائري الحديث، عمار بن زايد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1990.
- النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، محمد مصايف، المؤسسة الوطني للكتاب، الجزائر، ط1، 1984.
- مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، شريبط أحمد شريبط، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2001.

■ رُوزلين ليلى قريش
(و:1349ه - 1930م / ت: 1443ه - 2021م)

الباحثة والمُناضلة (روزلين ليلى قريش)؛ ولدت سنة: (1349هـ/ 1930م) في حي (بلكور) بالجزائر العاصمة؛ نشأت وترعرعت في عائلة فرنسية بسيطة ومتوسطة الحال، وانخرطت للنضال في صفوف ثورة التّحرير الجزائرية؛ حيث فتحت بيتها لعلاج الجرحى من المجاهدين الجزائريين، كما أسهمت إسهاماً فاعلاً في إنقاذ محتويات مكتبة الجزائر؛ بعد أن تمّ إحراقها من لدن المنظمة الإرهابية السّرية الفرنسية، عام: (1962م)، عملت في جامعة الجزائر سنوات طويلة؛ حيث درّست الأدب الشّعبي، والآداب الأجنبية في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر المركزية، وكرّست جُهودها لدراسة التّراث الشّعبي الجزائري، واهتمت بالثّقافة الشّعبية الجزائرية؛ حيث أشرفت على عدد غير قليل من الرّسائل الجامعية في هذا المجال، وقد توفيت يوم السّبت: (6محرم1443ه)؛ الموافق لـ(14أوت2021م).

من أهم مؤلفات الباحثة الدّكتورة (روزلين ليلى قريش): «القصة الشّعبية الجزائرية ذات الأصل العربي »، وقد طُبع هذا الكتاب عدة مرات من قبل ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، وكان من أهم المراجع التي ينهل منها طلاب الأدب الشّعبي في مختلف الجامعات الجزائرية خلال سنوات الثّمانينيات من القرن المنصرم، ولا ريب في أن جمع الأمثال والحكم والقصص الشّعبية والأحاجي والألغاز؛ من أهم ما تفرضه الأعمال الموسُوعيّة الخاصة بأمة من الأمم، وهذا الجمع يفترض عملاً ميدانياً مُكثفاً، وجهداً علمياً

دقيقاً، وهذا ما نهضت به الباحثة الدّكتورة (روزلين ليلى قريش)؛ فميدان الأدب الشّعبي، أو الثّقافة الشّعبية، كما يُفضل بعض الباحثين تسميتها، وذلك على أساس أن الثّقافة أوسع دلالة، وأشمل من مصطلحي الشّعر، أو الأدب، وتجدر الإشارة إلى أن هناك من يُبرر دراسة الأدب الشّعبي لجُملة من الأسباب الموضوعية، ومن بين هؤلاء العلاّمة المغربي(عباس الجراري)، الذي يُحدد أسباب تركيز الدّراسة على الأدب الشّعبي بالتّأكيد على أن الأدب الشّعبي صُورة للشخصية الوطنية، ومهما كانت باهتة فهي أكثر وضوحاً من الصّورة التي يعيشُها الأدب المدرسي المثقف، وفي دراسته تعزيز لإقليمية الأدب، وتقرير لمذهبه، والأدب الشّعبي مكمل للأدب المدرسي، وأن من شأن دراسته أن تُساعد على الرّبط بين الأدبين، واجتياز الهوة الكبيرة التي تفصل بينهما.

ولا شك في أن الأمم تُعبر عن خلجاتها النّفسية من خلال أدبها الشّعبي، وثقافتها الشّعبية؛ حيث تعكس تلك الثّقافة اهتماماتها الرّوحية، ومداركها الوجدانية العقلية، بأسلوب غير خاضع لقانون الإيقاع المتناسق، ومن بين ما جاء في مقدمة كتاب الباحثة الدّكتورة (روزلين ليلى قريش) الموسوم بـ: «القصة الشّعبية الجزائرية ذات الأصل العربي »، قولها: «يلعب الأدب الشّعبي دوراً بارزاً في حياة أي شعب من الشّعوب تعبيراً عن واقعه، وتسجيلاً للأحداث المهمة من تاريخه، وتصويراً لظواهر وملامح المُجتمع وتقاليده وآرائه الأصلية، والدّارس للأدب الجزائري الحديث-منذ الغزو الفرنسي للجزائر حتى الاستقلال- يُلاحظ الدّور الفعال الذي لعبه الأدب الشّعبي-شعراً ونثراً- في التّنفيس عن المشاعر الحبيسة في النّفوس، وفي حثّ الشّعب على الدّفاع عن كيانه، والتّشبث بمقومات وجوده، وذاتيته ضد محاولات الاستعمار المستميتة لتذويبه، وطمس شخصيته القومية، ورغم ذلك؛ بقي هذا التّراث الثّر الأصيل دون اهتمام وعناية الباحثين والدّارسين، باستثناء بعض الدّراسات القليلة في ميدان الشّعر الملحون...، أما القصة الشّعبية المروية التي هي -في رأي أغلب الدّارسين- أكثر دلالة على روح الشّعب وأعماقه، وأصدق تصويراً لأفكاره ومعتقداته الرّاسخة؛ لم تنل حظها من العناية والتّنقيب والبحث، على الرّغم من تاريخ أدبنا العربي الذي يحفل بالكثير من الأعمال التي تؤكد دور الرّواة، وتُبرز أهميتهم؛ من هنا كانت الصّعوبات التي واجهتني حين اخترت القصة الشّعبية الجزائرية ذات الأصل العربي موضوعاً لهذه

الأطروحة؛ فقد وجدت نفسي أرتاد ميداناً مجهولاً-رغم خصوبته-، وهو متشعب السّبل دون وجود دليل من دراسات نقدية، أو اجتماعية، أو نصوص مكتوبة، أو غيرها، وكل ما وجدته تحت يدي لم يتعد بعض المقالات المتفرقة-سواء بالعربية أم الفرنسية-، وقد نظرت إلى هذا اللون من الفن على أنه مجرد قصص فلكلورية تروى كنوع من السّمر بين أوساط السّذج، والبُسطاء فحسب؛ وكان علي أن أبدأ الطّريق من الخطوة الأولى، وأعني التّجول عبر أنحاء التّراب الوطني، والتّقاط القصص الشّعبية المتناثرة هنا وهناك من أفواه رواتها وحافظيها، وتسجيل أكبر عدد ممكن منها مهما كلفني ذلك، وأعترف أن الجهد كان مُمتعاً ومُفيداً؛ نظراً لطرافة الموضوع، وتنوع القصص بتنوع البيئات والمناطق، ولكنه أيضاً كان مُضنياً وشاقاً تطلب مني وقتاً طويلاً بلغ سنوات عديدة، كذلك كان لابد من الرّجوع إلى كثير من المصادر القديمة التي تُتيح معرفة أصول القصص المروية اليوم، وما تشتمل عليه من إشارات كثيرة لبعض الأبطال الذين اشتُهروا في الأوساط الشّعبية، وما قاموا به من أفعال خارقة أصبحت نماذج، ولكنها صيغت في شكل جديد؛ نتيجة التّحوير والتّبديل والتّعديل والحذف...

ولم تكن الصّعوبات التي واجهتني أثناء ذلك كله لتمنعني عن المُضي في الطّريق نحو الهدف الذي وضعته نُصب عيني؛ إذ كان اختياري لهذا الموضوع، وهو أول بحث أقدمه إلى جامعة الجزائر لنيل درجة جامعية-هي الدّكتوراه من الحلقة الثّالثة-لسببين:

السبب الأول: ما سبق أن ألمحت إليه وهو الكشف عن جانب ما زال شبه مجهول من جوانب تراثنا الأصيل، وإضافة متواضعة للمكتبة الأدبية الجزائرية.

والسّبب الثّاني والمهم؛ هو إبراز الجانب البطولي للشعب الجزائري من خلال القصة الشّعبية؛ هذا الجانب المُضيء الذي أتاح لي الحظ شرف الاقتراب منه، وأن ألمس بنفسي مدى تأثير هذه القصص في نفوس أبناء الشّعب المُناضلين البُسطاء، وكيف كانت روح أبطاله تتجسد فيهم، فإذا هم في قمم الجبال يُحققون البطولات تلو البطولات، ويخلقون بكفاحهم لوناً جديداً من القصص تبعث الحياة من جديد في تراث الأجداد الغابرين... ».

ومن بين الكتب الأخرى التي طُبعت للباحثة الدّكتورة (روزلين ليلى قريش) «إستراتيجية القتال في سيرة بني هلال »، و«مختارات من قصص شعبية شفوية هلالية »، و«مفهرسة سيرة بني هلال »، كما قامت الدّكتورة (روزلين ليلى قريش) بتقديم العديد من الأعمال العلمية المُتصلة بالثّقافة الشّعبية الجزائرية، ومن بين هذه الأعمال: «أعمال الملتقى الدّولي:بنو هلال سيرتهم وتاريخهم»، والمُنظم في الجزائر خلال الفترة من:20إلى23 ماي1990م، من قبل المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التّاريخ، الأنثروبولوجيا والتّاريخ، وقد جاء في كلمة الافتتاح التي دبّجتها الدّكتورة (روزلين ليلى قريش): «سيرة لقبيلة، وحكاية أسطورية حول تاريخها... ها هي أهم النّقاط التي يتكون منها البرنامج الذي أراد هذا الملتقى اتخاذه أساساً، ومحوراً لأعماله أثناء هذه الأيام القليلة، ولتحقيق ذلك؛ فكّر الملتقى في دعوة الذين عكفوا على أبحاثهم الجامعية أو غير الجامعية حول موضوع من هذه المواضيع؛ سواء كان من النّاحية الأدبية، أو من زاوية التّاريخ، والقصد من ذلك كله أن تتاح فرصة لهؤلاء الذين سيُظهرون جانباً أسطورياً جديداً، أو وجهاً من الوجوه يتطلب استيعاباً أوسع، أو عرض وتحليل ما استطاعوا جمعه في دراساتهم الميدانية لدى الرّاوي ومستمعيه، وفي الوقت نفسه إفساح المجال لأولئك الذين يريدون الاستفسار والتّساؤلات أمام التّاريخ هادفين إلى بحث أعمق عن الحقيقة، وذلك بإعادة النّظر في كل ما قيل حول القضية...لعلهم يجدون مظاهر مكنونة في طيات الكتب القديمة أو مراجع لم تكشف بعد عبر الزّمان. فما هي السّيرة إلا قصة قديمة تتداخل فيها الحقيقة والخيال، وتتأرجح بين الأسطورة والتّاريخ، وما هي إلا قصة طويلة تتطلب من الدّارسين البحث الدّائم، والتّنقيب المستمر؛ لينبثق منها كل ما هو مدفون فيها من واقع جديد، وقيم عريقة...أهداف مختلفة رغب هذا الملتقى في الحصول عليها...».

كما شاركت الدّكتورة (روزلين ليلى قريش) في فعاليات هذا الملتقى بمداخلة موسومة ب: «إنجاز أداة عمل للبحث ».

يقول عن جهودها الباحث الدّكتور (أحمد سعدون):

« ***روزلين ليلى قريش.. هل يوجد من يذكر هذه السّيدة التي انتقلت اليوم إلى مثواها الأخير؟ إنها سيدة جزائرية عظيمة، من أصول فرنسية؛ أستاذة الأدب الشّعبي والآداب الأجنبية في قسم اللُّغة العربية بالجزائر العاصمة، أحيلت على التّقاعد وانكفأت على نفسها، ونسيت حتى لم يعد يذكرها أحد رغم ما قدمته للجامعة من خدمات. ويكفيها فخرا أنها انخرطت في صفوف الثّورة، وفتحت بيتها في العاصمة لتطبيب الجرحى من الفدائيين والمُسبلين.***

وأسهمت رفقة المستعرب ميشال باربو في إنقاذ مكتبة جامعة الجزائر؛ حين تعرضت للحرق من قبل منظمة OAS؛ حيث تم تهريب محتوياتها الثّمينة إلى مخازن آمنة، ليلى قريش -كما يحلو لها أن ناديها- التي ولدت في حي بلكور تشبعت بحب الجزائر، وظلت تعتز بجزائريتها أيما اعتزاز، أجرت أبحاثا ميدانية في الأدب الشّعبي، وأسست لدراسته بمنهج علمي صارم، وخاصة ما تعلق منه بمجال القصة.. وتخرج على يدها عدد من الطّلبة في الدّراسات العليا واصلوا مسيرتها ونهجها، وأصبحوا أساتذة كبارا في هذا الميدان، وحين النّهبت الجزائر في التّسعينيات، وكادت أن تتحول إلى رماد قلت لها كالنّاصح - وكنت حينها مديرا لمعهد اللغة العربية وآدابها-، خوفا من أن تتعرض حياتها للخطر خاصة وأن بيتها يقع في منطقة ساخنة هي «حي القطّار» في أعالي باب الواد: لماذا لا تغادرين إلى إكس آن بروفانس؟ وكانت آنذاك قد طالتّ آلة القتل الجهنمية عددا من الأجانب، ورجال الدّين المسيحيين، فقالتّ لي وهل أنا أفضل منكم لا يجب أن أموت؟!! هذه بلادي، وأُفضِّل أن أموت في بلادي إذا حان أجلي.. كانت ليلى آنذاك قد ورثت عن أهلها فيلا في مدينة أكس قرب مرسيليا، وكان القائمون على الجامعة هناك قد عرضوا عليها الوظيفة والحماية والأمن.. ولكنها ضحت بكل ذلك في سبيل حبها الأبدي.. الجزائر. بل إنها كانت تنفق أجرتها الزّهيدة التي هي مثل أجرتنا على التّنقل إلى فرنسا لتلقي العلاج؛ بعد أن أصيبت بمرض عضال خطير. لقد علمتني هذه المرأة الصّلبة القوية، نادرة الوجود، المعرفة في الجامعة حين كنت طالبا في الليسانس، وعلمتني حين أصبحت أحد أصدقائها دروسا في الشّهامة، والشّجاعة، والمبادئ، والمواقف الثّابتة؛ هذه السّيدة كانت تعيش منذ سنوات وحيدة في بيتها، وقد تكالبت عليها الأمراض وتقدمت بها السّن، وفقدت جميع أقربائها، ونسيها الأصدقاء والزّملاء، وتنكرت لها الجامعة التي أفنت حياتها في خدمتها، ولا أعتقد أن السّلطات كانت تعرف شيئا عن هذه المواطنة الجزائرية التي تحمل صفة مجاهدة عن جدارة ».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- روزلين ليلى قريش: القصة الشّعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980م.
- بنو هلال: سيرتهم وتاريخهم: أعمال الملتقى الدّولي، الجزائر من 20إلى 23ماي1990م، المُنظم من قبل المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التّاريخ وفي علم الإنسان والتّاريخ، منشورات الشّهاب، الجزائر، 1996م.

ز

■ زبيدة ولد قابلية
(و: 1353ه - 1934م/ت: 1378ه - 1958م)

ولدت زبيدة ولد قابلية يوم 10 جويلية 1934 في طنجة، مكان عمل والدها كرئيس فرقة الدّرك الفرنسي. تنحدر من مدينة معسكر ومن عائلة بسيطة تتكون من تسعة (9) أفراد حيث تتوسط ستة ذكور وثلاثة إناث. درست سنة أولى ابتدائي في طنجة ثم غادرت عائلتها المدينة من أجل الاستقرار في معسكر. أين تحصلت على شهادة البكالوريا، التّحقت بكلية الطّب تخصص طب الأسنان، ثم التّحقت بعدها بنداء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA) سنة 1956، وانخرطت في النّضال الثّوري شهر جانفي من سنة 1957، واتخذت اسم «صليحة»، حيث كانت تنشط في النّاحية السّادسة، المنطقة الثّانية من الولاية الخامسة. اشتغلت كممرضة رئيسية في مستشفى جيش التّحرير الوطني ومساعدة الدّكتور حكيم ويوسف الدّامارجي، مسير المستشفى. وقد تقاسمت تجربتها في التّمريض بتكوين عدة ممرضات منهن: ثريا، باديا، يمينة، خديجة... لخدمة الثّورة التّحريرية، وذلك من خلال تعليمهن تقنيات إسعاف الجرحى والمرضى، وجبر الكسور، ومداواة الجروح والحروق، وكذا إيقاف النّزيف... وغيرها.

وعند وفاة الدّكتور يوسف دامارجي، خلفته زبيدة ولد قابلية في تسيير مستشفى جيش التّحرير الوطني. حيث سهرت على توفير الرّعاية الصّحية للمنطقة السّادسة، كما عينت النّساء اللواتي تعلمن منها مهنة التّمريض كمسؤولات على الصّحة في باقي المناطق: ليلى الطّيب عن المنطقة الرّابعة، زبيدة ياخو التي خلفت دامارجي عن المنطقة السّادسة، مقراني مريم في المنطقة السّادسة ثم تحولت إلى المنطقة السّابعة. استشهدت في معسكر ليلة 19-20 سبتمبر 1958.

وتكريما لها انتج فيلم سينمائي مطول موسوم ب «صليحة» وتم عرضه في قاعة ابن زيدون في الجزائر العاصمة سنة 2021، عرضا شرفيا بحضور وزراء ومجاهدين والصّحافة، وقائع الفيلم مستوحاة من كتاب علي عمران أما السّيناريو فمن تأليف رابح ظريف وإخراج محمّد صحراوي. كما أطلق اسمها على ثانوية بدرارية بالجزائر العاصمة.

نجاة لحضيري

المصادر:

- Mostéfa KHIATI. (2020). «Femmes ayant marquées l'histoire de l'Algérie»، Alger: ANEP éditions.
- https://www.youtube.com/watch?v=0CqcR1a9qfI قناة اليوتوب للتلفزيون الجزائري «الأرضية» Wikipédia

■ زغودة التّجاني
(و: 1350ه - 1931م/ت: 1427ه - 2006م)

رجل من رجالات العلم والتربية بمنطقة وادي سوف، وبخاصة مدينة گمار، حيث تتلمذ عليه العشرات لمّا كان أستاذا ومديرا لفرع المعهد الإسلامي بـگمار، وكذا أستاذا فيما بعد بعدة متوسطات بالمدينة ثم أستاذا للغة العربية وآدابها بثانوية هالي عبد الكريم. كان مرجعا قويًّا في اللغة لكل الباحثين ورجال التربية والتعليم، مكانة مميّزة جدا كان يحتلها في حياته، طيّب الذكر لحدّ الآن لدى الجميع، ويُذكر بخير في كل المناسبات.. اللّهمّ ارحمْه وجازه أوْفى الجزاء.

محمّد التّجاني زغودة بن إبراهيم، هناك تضارب في معلومات تاريخ ولادته، وحسب ما أورد في مذكراته الشّخصية إذ قال: كنتُ مسجّلا بتاريخ 1913م، ولكن عند استخراجي لأي وثيقة فالتاريخ يكتب «خلال 1920م». ونحن نرجّح سنة 1931 نستشفّ ذلك ممّا قاله عن ذكرياته مع المرحوم الشّيخ الطّاهر تليلي:

« نشأتُ وترعرعتُ بمدينة بنزرت من البلاد التونسية، حيث هاجر والدي رحمه الله، وفي سنة 1940 ولأوّل مرّة في حياتي جئتُ البلد لزيارة أهلي وأقاربي بها حيث قضيتُ بها شهرا، وكانت إقامتي عند قريب لي بمزارع « الهود»، بحيث كنّا لا ننزل البلد إلاّ يوم الجمعة للاتصال، والتسوّق، وتفقّد المنزل، وكانت البلدة لا تُعمّر إلاّ يوم الجمعة، وأنّا في بقية أيام الأسبوع فتبدو خالية موحشة

لأن جلّ السّكان يرتحلون إلى الغيطان.»

نشأ في بيئة محافظة معلمة للقرآن الكريم، وكان جده المعروف بسي إبراهيم زغودة من أشهر المدرسين للقرآن الكريم بالزاوية التّجانية آنذاك، ولقد كرس حياته لخدمة القرآن بالزاوية، فكان ذلك النّهج الذي انتهجه أولاده. وبعد مولد التّجاني بنحو سنتين فكر والده بالهجرة إلى تونس كما فعل نظراؤه لضيق الحياة في البلاد، وفعلا كان له ذلك حيث في بداية الأمر سافر لوحده عن طريق الجريد واستقر به المطاف ببنزرت في الشّمال التونسي، ولكن بعد مضي ثلاث سنوات عاد إلى گمار ليأخذ عائلته، ولذلك نشأ التّجاني في تونس بعيدا عن موطنه الأصلي.

لقد كان التّجاني محمّد زغودة يساعد والده بالعمل بالمتجر إلى جانب دراسته رغم صغر سنه، نظرا لصعوبة العيش في تلك الفترة. وبعد فترة من الزّمن عاد محمّد التجاني واستقر في قسنطينة وبعدها عاد إلى گمار مسقط رأسه حيث تزوج هناك.

التحق محمّد التّجاني بحلقات تعليم القراءة والكتابة، وحفظ القران الكريم في أحد الجوامع القريبة من منزله وهو جامع» حسين الكاهية" حيث تعلّم، وحفظ القران على الألواح الخشبية.

أراد والده أن يلحقه بالمدرسة الرّسمية والتي تسمى وقتها بالمكتب أو الفرنكواراب، ولكن بعض أصدقائه كرّهوا له ذلك إذ كان في ذلك الوقت تراوده الشّكوك في أن تعليم هذه المدارس غير إسلامي ويؤدي بالتشكيك في العقيدة ولذلك لم يدخله والده في هذه المدرسة. ولأن محمّد التجاني كان شغوفا بالقراءة حرم نفسه من فطيرة الصّباح ليجمع ثمنها كل أسبوع لشراء جريدة الزّهور وهي جريدة أسبوعية بالرغم من اعتراض والده على ذلك فكان له ما أراد ووافق أبوه عليها، ولكن هذا الشّغف ازداد ليتحول لقراءة الجرائد اليومية وكل ما يقع بين يديه من المنشورات، والكتيبات الصّغيرة، وكتب الوعظ والإرشاد، وكتب الطّب والحكمة، كما قرأ مجلة «الإسلام»، ثم مجلة «الرسالة» وتطورت لديه ملكة المطالعة لينهل من قراءة أمهات الكتب في الأدب والشعر والتاريخ.

في سنة 1945م قرر الالتحاق بجامع الزّيتونة بعد أن مهّد لذلك بدراسة واستيعاب مناهجها، برنامج السّنة الأولى على يد الأستاذ المرحوم» عبد القادر

بوحملة" ودرس في الزّيتونة الى غاية سنة 1950م حيث تحصل على شهادة الأهلية بامتياز، وفي السّنة الموالية شُلّت الدّراسة بالزيتونة بسبب قيام حركة الإضرابات التي شلت الدّراسة بالزيتونة شللا كاملا مما اضطره إلى ترك الدّراسة.

التحق محمّد التّجاني بجريدة «الزهرة» وهي جريدة أسبوعية بعد تركه للدراسة فكان محررا ومصححا لغويا وفي سنة 1955م التحق بالعمل السّياسي بصفوف جبهة التحرير الوطني وفي سنة 1956م قام بأول رحلة إلى مصر مع قافلة ثقافية لجمعية الشّباب المسلمين، وكان الدّاعية الإسلامي الشّيخ «محمّد الصّالح النّيقر» يترأس تلك الجمعية « مفتي الدّيار التونسية». كانت هذه الرّحلة تضمّ أعيان العلماء المدرّسين بجامع الزّيتونة، وأشهر رجال القضاء في تونس.

ثم قام بزيارة إلى لبنان وسوريا في إطار العمل السّياسي، وفي سوريا التقى بصديقه عبد الحميد مهري، والمرحوم يوسف الرّويسي الزّعيم الدّستوري التونسي، كما تعرّف بدمشق على الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وغيرهم رحمهم الله. في تلك الفترة توثقت علاقته بالشهيد عز الدّين شكيري رحمه الله الذي عمل وقتها مع الشّهيد سعيد عبد الحي، والشهيد الطّالب العربي وغيرهم، وممّن توثقت علاقته أيضا بهم هم عبد الرّحمن الشّريف ومحمّد الأخضر الاخضري، وشقيقه محمّد الصّغير الاخضري، وعبد القادر السّائحي. في سنة 1962م أدى فريضة الحج برخصة من إدارة جبهة التحرير الوطني بتونس.

عاد إلى أرض الوطن الجزائر للاستقرار بها نهائيا في سنة 1965م حيث استقر بمدينة قسنطينة، وأسس بها مكتبة صغيرة إلى غاية 1967م حيث انضم إلى الدّراسة بالمركز الجامعي بقسنطينة بعد النّجاح في امتحان الدّخول ليتحصل على شهادة ليسانس في الأدب العربي بعد عدة سنوات من الدّراسة، ولمّا أراد أن يدخل وظيفة التعليم أعاقه العمر فاضطرّ إلى تعديل تاريخ ازدياده بتقديم مطلب إلى العدالة التي وافقت على تعديل تاريخ الميلاد من 1920 إلى 1931 ممّا مكّنه من إيجاد مكانة له في سلك التدريس. المرحوم كان رجلا عصاميا في تحصيله العلم، وفي شقّ طريقه في الحياة.

عاد إلى مدينة گمار نهائيا والتي عمل فيها كمدير لفرع المعهد الإسلامي الذي استمر في تأدية رسالته كأستاذ، ومدير إلى سنة 1978م، ثم أستاذ لغة عربية بمتوسطة خليفة بن حسن بقمار، ثم بمتوسطة البشير الإبراهيمي، ثم بثانوية هالي عبد الكريم سنة 1992م أحيل على التقاعد حيث تفرغ للكتابة والقراءة حتى وافته المنية.

ترك لنا المرحوم الأستاذ محمّد التّجاني زغودة بعض المؤلفات إلاّ أنها لم تر النّور بعد، إذْ ربما لم تجد العناية الكفيلة ومن هذه المؤلفات:

5. مخطوطه الذي كتبه عن خليفة بن حسن القماري بعنوان «خلاصة ما جاء به الزّمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن الگماري».

6. مذكراته الشّخصية.

7. كما له عدة مقالات منها ما كتبه عن بطاقة التعريف التي كانت فرنسا تكتب عليها «FM» بمعنى "فرنسي مسلم"، وقد انتقد في مقاله هذه الوضعية بأسلوب وطني وجيد ومتين.

وفـــــاته

تُوفي الشّيخ التجاني زغودة يوم 11 نوفمبر 2006م، وتذكر إحدى بناته انه أصابه مرض ربما يعود لكبر سنه، وكان كثير الشّعور بالوهن، ولقد لزمه المرض ثلاثة أشهر وكان يردد بان هذا مرض موته. فرحم الله شيخنا محمّد التجاني زغودة.

بشير خلف

■ زكريّا المجدوب
(و: 1352ه - 1933م/ت: 1397ه - 1960م)

في الرّابع عشر من شهر أفريل سنة 1933 ولد شيب الطّيب (الاسم الحقيقي للشهيد زكريّا المجدوب) بقرية العنابرة. نشأ نشأة عادية كعادة أبناء

الفلاحين الجزائريين البسطاء، دخل جامع القرية ليتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة. عندما بلغ سنّ الرّشد، انخرط ضمن صفوف الحركة الوطنيّة العاملة في الميدان آنذاك. ثم سافر إلى فرنسا، وبعد عودته سنة 1951 تضاعف نشاطه وشمل مناطق واسعة مما جعل الاستعمار وأذنابه يحسون بخطورة ما يرمي اليه هذا النّشاط المتزايد وكان ذلك كفيلا بتوجيه التهمة إليه ثم إلقاء القبض عليه.

لم يستطع الاستعمار ولا أذنابه في المنطقة ومحاولاتهما المتعددة الرّامية إلى جعل حد لنشاط ذلكم البطل الشّاب العائد من أوروبا، فبعد التحرشات التي قام بها رجال الدّرك، جاء دور رجال الضّرائب، مدعين أن عائلة الشّهيد تملك أموالا يتطلب دفع ضرائب عنها إلى خزينة الدّولة، فرفض الشّهيد ذلك، مما أدى إلى اعتقاله وعائلته، حيث قضت العائلة كلها مدة أربعة أيام داخل السّجن. وقد جرت محاكمة الشّهيد ووالده، حيث حكم عليه بالسجن لمدة 7 شهور وعلى والده لمدة 9 شهور وأخلى سبيل العائلة. وبعد أن قضى مدة العقوبة المحددة أخلى سبيله. بعد ذلك التحق بالخدمة العسكرية الإجبارية التي كانت تفرض على الشّباب الجزائري، واستغل البطل هذه المدة للعمل على تعبئة الجنود الذين يؤدون الخدمة الإجبارية في صفوف القوات الاستعمارية وحثهم على الانضمام إلى صفوف جيش وجبهة التحرير الوطني، تنفيذا لتعليمة من قبل القيادة. وفي اليوم المعين فرّ مع جماعته من صبرة دائرة سبدو والتحقوا بصفوف المجاهدين العاملين بالمنطقة. ويقال إنّ هروبهم هذا قد حدث في عام 1955. وفي هذه السّنة بالذات أصبح البطل عضوا نشطا في صفوف جيش التحرير الوطني حيث شارك وقاد عدة معارك معتبرة ضد القوات الاستعمارية المتواجدة في المنطقة. وأهم المعارك التي شارك فيها زكريا المجدوب على سبيل المثال معركة اصبابنة ومعركة وادي الخروبة، قرب قرية العنابرة، ومعركة جبل فلاوسن وبعدها نقل إلى مناطق آخرى كتلمسان وتيارت على التوالي. ونظرا للصفات القيادية المتمثلة في الشّجاعة والإقدام وروح المبادرة وبعد النّظر وبسبب ما أظهره من مهارة تنم عن الخصال النّضالية، أسندت اليه مهمة قيادة المنطقة السّادسة بنواحي سعيدة أين قاد العمليات البطولية ضد التواجد الاستعماري في المنطقة، منى فيها العدو بخسائر جسيمة في الأفراد والمعدات، الشّيء الذي جعل قيادة قوات العدو تكثف من عمليات المتابعة والمسح من أجل وضع حد لهذا البطل. وبالفعل استطاعت القوات الاستعمارية (باعتمادها على الخونة المحليّين) الى الوصول الى المكان الذي يتخذه البطل مقرا لقيادته. وبعد معركة ضارية سقط الشّهيد في ساحة الشّرف.

تتفق أغلب شهادات المجاهدين الذين عاشوا أحداث هذه الفترة ووقائع هذه المعركة التي سقط فيها الرّائد المجدوب شهيد الوطن يوم 6 فيفري 1960، على أنها كانت نتيجة لوشاية من طرف أحد الخونة المحليين. إذ يروى المجاهد قالا بودخيل ذكرياته عن هذا اليوم، بأن سبب تواجد القائد المجدوب في المكان الذي يسمّى "زبارت لرطا" كان لغرض عقد اجتماع تنظيمي للمناطق الثّلاث (تيارت، سعيدة، البيض)، وقد كان مقررا حضور هذه الاجتماع قادة المناطق (6،7، 3) ولكي يبدو أن العدو كان أسبق منهم، إذ استطاع عن طريق أحد الخونة المحليين والذي كان موجودا معهم أنه قد سجل كل شيء وأبلغه الى قيادة العدو، والذي يؤكد هذا هو أن قوات العدو المهاجمة اتجهت مباشرة إلى الخيمة (مقر القيادة) التي كان المجدوب يتخذها مقرا له. والأكثر من هذا أن إحدى الطّائرات العمودية التي كانت تحمل قوات العدو نزلت بالقرب من الخيمة بمسافة لا تتعدى 200 متر. وما هي إلا فترة وجيزة حتى بدأت عملية الهجوم من طرف القوات الاستعمارية المحمولة بواسطة الطّائرات العمودية يقدر عددها ما بين 15 و24 طائرة، واشتد القتال بين المجاهدين والعدوّ قرابة ساعتين استشهد فيها 6 أبطال ومعهم القائد الفذّ الرّائد المجدوب الذي كان يضرب به المثل في الشّجاعة والاقدام والتفاني في خدمة الثّورة وأداء الواجب. ورغم استشهاد البطل المجدوب، أقدمت القوات

الاستعمارية على عمل حقير، إذ حملت الشّهيد في طائرة عمودية وربطت إلى بطنه حجرة (تزن حوالي 10 كلغ)، وعندما أصبحت الطّائرة فوق سبخة تدعى سبخة بن جديان مساحتها حوالي (95 ألف هكتار) ألقت به وسطها وهو مقيّد إلى الحجر حتى إذا سقط فيها غاص في الأرض (الوحل). لكن كانت حكمة الله أقوى من مكرهم، اذ انفصل الحجر من جثة الشّهيد أثناء سقوطه وبقي على وجه الأرض. يقول الحاج مويسي عبد القادر أنه بعد حوالي 65 يوما من إلقائه في السّبخة، مرّ من هناك ووجد جثة سليمة لشخص وكأنه حديث الوفاة مصاب في الجبة اليسرى، فحملته بمساعدة ولديه ودفنوه بجانب السّبخة في منطقة تدعى القصر (أرض فضاء شاسعة عارية لا تنبت فيها سوى عشيبات صغيرة)، وهنا ظهرت عدة روايات حول وجوده أو عدم وجوده بالمنطقة. هناك البعض يقول أنّه مدفون بتيارت والبعض الآخر يصرّ على وجوده بالمنطقة التي دفن فيها أول الأمر، رقد ذهبنا للمنطقة ومعنا الحاج مويسى عبد القادر الذي دفنه ولكننا لم نهتد الى قبره، وفريق ثالث يصرّ على أنه موجود داخل السّبخة. والخبر اليقين يبقى سؤالا محيّرا اذ كيف ونحن على أبواب العام الثّامن عشر من الاستقلال والمئات بل الآلاف من جثث شهداء ثورتنا لا زالت مبعثرة هنا وهناك تنتظر من يجمعها ويلم شملها داخل مقابر تليق ومكانتها.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- الزبير بوشلاغم، مجلّة أول نوفمبر 1954 العدد 37 ص 22.

■ زيلوخة بنت قاسم، أبو القاسم
(و: 1322ه - 1903م/ت: 1388ه - 1968م)

خلال سنة 1322/ 1903 ولدت السّيدة أبو القاسم زيلوخة بنت قاسم بن حمو في العطف ولاية غرداية وهي من عشيرة آت عبد الله وهي معروفة في الأوساط النّسوية بـ«زيلوخة آن كاسي آن حمو» ترعرعت في أحضان عائلة مؤمنة كريمة غيورة على الدّين والأخلاق وحب الخير مع إخوتها مامة ونانة ومحمد وعمر. أبوها كان يحترف التّجارة في الجزائر العاصمة (باب الواد) والفلاحة في بساتين البلدة (الجاوة). وجدها (حمو) كان مؤذنا في مسجد أبي سالم مدة أربعين عاما وأمها السّيدة حمودين عائشة بنت باباعيسى من النّساء المشهود لهن بالخير في نساء زمانها.

لم تتعلم -لالة زيلوخة- في أية مدرسة إلا ما أخذته بالسّمع مباشرة من حلقات الوعظ والإرشاد في المساجد وحلقات الذكر في بعض دور التّعليم هنا وهناك.

عندما بلغت سن الزّواج اقترنت بالمرحوم حاج اسماعيل سليمان بن صالح وأنجبت معه أربعة أبناء وقد أحسنت تربيتهم وأعانت زوجها في رعايتهم حيث كان زوجها يحترف الفلاحة والسّقاية للناس.

أعمالها الاجتماعية:

لم تكن لالة زيلوخة عضوا في حلقة تمسردين (المرشدات) بل كانت لهن العضد الأيمن الذي لا يمكن أن يستغنى عنه في جميع أنشطتها الخاصة منها والعامة مثل مؤتمر «لا إله إلا الله» السّنوي والأعياد وشهر رمضان المعظم.

تقوم بإصلاح ذات البين وترشد العروسات إلى واجباتهن الزّوجية الدّينية ورعاية حقوقهن المتبادلة في الإسلام.

تجيب النّساء عن الفتاوى الدّينية التي تلقى عليها باستمرار وذلك بعد التّحقق من الإجابات الصّحيحة عند المرحوم الشّيخ يوسف بن بكير حمو علي وغيره.

تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بكل جدية وإخلاص.

تجود على النّاس بالرّأي السّديد في مختلف القضايا العائلية والاجتماعية.

تمتاز زيلوخة «آن كاسي» بما يلي:

قوية البنية الجسمية وليست طويلة ولا قصيرة عندما تمشي تميل بجسمها يمينا ويسارا، ضعف بصرها في الصّغر إلى أن فقدته في الكبر ولكن صوتها جهوري.

مؤمنة طاهرة عفيفة غيورة مخلصة في عملها.

شديدة في الحق ولا تخاف في الله لومة لائم.

عظيمة القدر، شجاعة ذكية.

تحب المسجد ولا تفوتها صلاة الجماعة فيها.

سديدة الرّأي، سخية اليد، محبة للخير.

تحب العمل وتعين زوجها في الكسب ببيع الزّرابي وغيرها من المنتوجات المنسجية في السّوق.

كانت كثيرة الذكر والدّعاء لله تعالى، فعندما اندلعت الثّورة التّحريرية كانت تردد قولها: «اللهم لك استنصرت فانصرنا يا من ينصرهم ولا يغلب».

تحب زيارة الأقارب وبالأخص المرضى والنّفساء وتفرح كثيرا بالضّيف إذا زارها.

كانت دارها في ناحية (بونقاب) المقر الرّسمي الأول لحلقة (تمسردين) في البلدة.

بسبب معاناتها الشّديدة برجليها وضع لها كانون حطب مشتعل في غرفة نومها ونسي كذلك إلى الصّباح حيث اختنقت بالدّخان فأدركها أجلها المحتوم في يوم 25 من جانفي1968 تغمدها الله برحماته الواسعة وأسكنها فسيح جنانه العالية -آمين-.

حاج أحمد حمو كروم

المصادر:

- السّيد أبو القاسم مسعود بن عمر وبعض النّساء المعمرات ممن أدركنها وبعض قريباتها.
- باقي المعلومات من جمع الأستاذ كروم حاج أحمد مع تلميذات السّنة الثّامنة بمدرسة مسجد أبي سالم بالعطف سنة 1997م.

س

■ ساعد فوغالي
(و:1348ه - 1930م/ت: 1421ه - 2001م)

ولد المجاهد فوغالي ساعد المنحدر من عائلة أولاد ابن الطّيب وهو أحد الأجداد المتفرعين عن العائلة الكبرى المشكلة من عائلة جبار،بوخروبة،سيريدي، فصيح،فوغالي،حمدوني وغيرهم التي كانت تقطن بأحد أرياف زيغود يوسف الذي كان يسمى كوندي السّمندو بالمنطقة الفلاحية التي تحمل اسم شعبة الصّيد عامّ 1930،وقد قيد في مصالح البلدية 13 فيفري 1941،والدّه يوسف بن محمّد،ووالدّته زيان مسعودة بنت صيفي،نشأ وترعرع في مسقط رأسه،اختلف إلى الكتاب وحفظ بعض الأحزاب من الذكر الحكيم على غرار إخوانه وأترابه آنذاك،ولما اشتد ساعده مارس مهنة الفلاحة مع والدّه وأعمامه إلى جانب أخويه الشّهيدين محمّد ومسعود،انتسب أخوه الأكبر محمّد إلى خلية تزاول النّشاط العسكري والمدني كانت في البدء تحت إشراف الشّهيد البطل زيغود يوسف مباشرة،وقد نصبه مسئولا على جمع التّبرعات والأدوية والملابس وجلب الأسلحة من قبل علي كافي،ولما استشهد أخوه محمّد آل إليه الإشراف على الخلية والتّي تعنى إضافة إلى المهام السّابقة تتبع حركة القوات الاستعمارية بدوار شعبة الصّيد وما جاورها والتّنسيق مع الدّواوير الأخرى لمنطقة زيغود يوسف وما جاورها،ولما قبض على أخيه وقد داهمته قوات عسكرية هائلة وهو في زيارة خاطفة إلى أسرته بعد ما وشي به وبعد تكثيف الطّلق النّاري عليه وحرق المسكن برمته أخرج بعد ما نفذت ذخيرة سلاحة مكسور الرّجلين ونقل إلى سجن زيغود يوسف،ثم حكم عليه بالإعدام بعدها في مكان مجهول،لا يعرف قبره إلى يومنا هذا، وكذا حرق مساكنهم ومصادرة أملاكهم والقبض على أخيه الثّاني مسعود بعد ما جرح جروحا بليغة،واقتيد إلى السّجن، واغتيل ولا يعرف قبره كذلك إلى يومنا هذا،بعدها مباشرة التّحق ساعد فوغالي بأمر من القيادة بمركز بني اصبيح وقد كان حينها مركزا ولائيا للجيش،ومنه انتقل مع كتيبته إلى تونس بعد استراحة قصيرة بالقاعدة الشّرقية بسوق أهراس،حيث شارك في معارك طاحنة ومواجهات مباشرة مع القوات الاستعمارية،ولما أدرك ورفقاؤه الخط المكهرب الفاصل بين الحدود الشّرقية الجزائرية والحدود التّونسية والمسمى باسم وزير الدّفاع الفرنسي آنذاك أندري موريس،نجحوا في فتح ثغرة بواسطة تقنية القارو في الخط الكهربائي الذي يبلغ ارتفاعه حوالي مترين ونصف ويمتد على مسافة 460 كلم مجهزا بأحدث الأجهزة الإليكترونية لذلك الوقت، مشكلا على جانبيه من أسلاك لولبية وممتدة شائكة مكهربة بقوة 5000 فولت إضافة إلى حقل ألغام يمتد على مسافة 45 كلم يشمل المسافة التي يحتمل الدّخول منها إلى الحدوديين التّونسية والجزائرية.

وعلى الرّغم من المراقبة المستمرة من قبل دوريات مداومة على متن شاحنات مزودة بأسلحة خفيفة ومتوسطة وكذا خطورة الخط القاتل، حيث استشهد عدد معتبر من مجاهدي الرّعيل الأول ونجا مع من نجوا من رفقائه.

وقد كان تحت قيادة بن جريوة محمّد بالولاية الثّانية من عامّ 1956 إلى عامّ 1957، وابتداء من عامّ 1958 تحت قيادة شعبان بالحدود الجزائرية التّونسية، ثم تحت قيادة عاشور جريون، وفي عامّ 1960 عمل تحت قيادة سي علي فلفلي، ومن عامّ 1961 حتى الاستقلال صار تحت قيادة بن سالم.

أثناء قطع الحدود الشّرقية إلى تونس أصيب في عدة أنحاء من جسمه في بطنه وفي الفخذ الأيسر والذراع الأيمن، ونقل من قبل رفاقه في الجهاد وهو بين الحياة والموت إلى مشفى الكاف بتونس حيث عولج، وواصل بعدها الجهاد حتى الاستقلال، وبطلب منه سرح كأغلبية المجاهدين الذين آثروا الانصراف بعد نيل الجزائر استقلالها، وكان ذلك في فيفري عامّ 1963 بعين عبيد ولاية قسنطينة.

بعد تسريحه من الجيش الوطني الشّعبي بإرادته عرضت عليه جملة من الوظائف فاختار قطاع الغابات وظلت يشتغل بهذا القطاع منذ عامّ 1963 إلى نهاية الخدمة، وبعد أن أحيل على التّقاعد اشتغل بمديرية الشّركة الوطنية للجلود بقسنطينة وظل بها لمدة 12 سنة بعدها كرم وانصرف متفرغا لأعباء أسرته الصّغيرة.

يعد من كبار معطوبي جيش التّحرير الوطني،وعلى الرّغم من تكفل وزارة المجاهدين والصّحة بحالتّه الصّحية ظل

يعاني من آثار التّهابات النّابالم،والرّعشة الدّائمة التي لازمته إلى أن غادر الحياة الدّنيا،كان زاهدا في المناصب والرّتب،مفضلا الاصطفاف مع الجماهير الشّعبية بقلب ملؤه الإيمان بحب الوطن وفعل الخير،نال عدة أوسمة اعتراف ببطولته وتضحياته وتفانية في العمل الذي باشره في الحياة المدنية منها وسام جيش التّحرير الوطني بموجب مرسوم رئاسي موقع من قبل وزير المجاهدين،وفي الذكرى الأربعون لعيد الثّورة الفاتح نوفمبر أهدي درعا من قبل إدارة الغابات تقديرا لماضيه وخدماته.

ونظرا لحب من عرفه عن كثب وانتشار سمعته ووطنيته وإخلاصه لكل ماهو خير اختير ممثلا لسكان بعض الأحياء التي قطنها،وكان مصدر ثقة واحترام منقطع النّظير..في السّنوات الأخيرة من حياته فقد بعض حيوته واشتدت عليه رعشة الإطراف وعدم التّركيز..وأدخل المشفى مرتين،المرة الأولى نجا من موت محقق وأنقذ من قبل فريق طبي محترف بالمشفى العسكري ديدوش مراد قبل أن يحول فيما بعد إلى مشفى مدني،وفي المرة الثّانية فقد النّطق والتّركيز تماما ومكث بالمشفى الجامعي لقسنطينة أربعة أيام في العناية المركزة ثم فارق الحياة في حوالي الواحدة زوالا من يوم الخامس عشر نوفمبر 2001.ووري التّراب بالمقبرة المركزية لقسنطينة.

باديس فوغالي

المصادر:

- شهادة شخصية لابن أخيه عمار ابن الشّهيد محمّد وابنته زهية فوغالي

■ سعد الله بن عيسى بن عمر العلواني
(و: 1290ه - 1872م / ت: 1379ه - 1959م)

وهو الشّيخ سعد الله العلواني من مواليد غرداية العريقة سنة 1290هـ، الموافقة لسنة 1872م، ينتسب إلى عشيرة «آل علوان» بغرداية، الجزائر، دخل الشّيخ سعد الله -كعادة أبناء زمانه- إحدى المحاضر التي تشرف عليها حلقة العزّابة وزاول فيها دروسه الأولى من مبادئ العقيدة والفقه واللغة وحفظ القرآن، ولكن لم يسعفه الحظ لكي يتم دراسته نظرا لقلة ذات اليد، فقد اضطرته الأوضاع أن يسافر للعمل والكسب، فكانت مدينة سطيف وجهته حيث كان أخوه «قاسم» تاجرا هناك، ورغم انقطاعه عن الدّراسة مبكراً إلاّ أنه لم يفقد رغبته في تحصيل العلم فكان كلما رجع إلى بلدته ملأ وطابه بالعلوم الشّرعية التي كان يتلقاها من الشّيخ العلامة قطب الأئمة امحمد بن يوسف أطفيّش (ت: 1914م)، فكان لا يفوته درس من دروسه إذ كان يحضر مع أوائل الحاضرين رغم بعد المسافة بين بلدة (غرداية) وبلدة (بني يزجن)، وكانت له حظوة عند القطب لما يمتاز به من صفات أهلته لذلك، فقد جعله شيخه واسطة بينه وبين من يراسله من علماء ومشايخ وأمراء خارج الوطن وذلك لأنّ الاستعمار كان يمنع خروج رسائل القطب من الوطن، وقد عثرنا على رسائل عديدة للقطب يحرّضه فيها على إرسال بعض الكتب إليه أو إلى أحد المشايخ وما إلى ذاك، فكان موضع ثقة شيخه لما يخصه به من أمور تنوء عن حلها الرّجال.

اتصف الشّيخ سعد الله بصفات حميدة وخصال كريمة، وأهم ما شهر عنه ما يلي: اتصافه بالورع والزّهد وتقوى الله والغيرة على دينه، حتى غدا ممن يضرب بهم المثل في الاستقامة على دين الله والوفاء به، وحبه للعلم والتّفاني في خدمته وخدمة أهله، حيث كان يعتقد أن أفضل حلّ للأمة الإسلامية لتخرج من أزمتها الفكرية والاقتصادية والاجتماعية هو العلم عموما وعلم الشّريعة خصوصا، فلذا تراه يحرص على جمع مخطوطات شيخه القطب واقتناء الكتب ليستفيد منها ويفيد بها غيره من الأجيال القادمة، وتراه كذلك يحضر مجالسّ العلم ويواظب عليها، وعرف بالإرادة فما يقرر من أمر إلاّ ويبادر إلى تنفيذه دون تواكلٍ أو تراخٍ.

كان الشّيخ سعد الله محباً للعلم ومغرماً به يسعى في طلبه كلّما سنحت له الفرصة ويعمل على مساندة أهله من العلماء والطلبة بتشجيعهم والوقوف بجنبهم مادياً ومعنوياً، فقد كان العضد الأيمن للشيخ أطفيش كما أسلفنا، كما ساند الشّيخ حمو بن أحمد بابا وموسى في جهاده العلمي والاجتماعي ببلدة غرداية حيث كان من مريديه وأصحاب سره، كما كان مولعاً بالمطالعة ولعاً شديداً، يجلس مع الكتب السّاعات الطوال خاصة بعد استقراره في مزاب، لذلك أشرف على إنشاء مكتبة خاصة جمع لها نفائس المخطوطات يفوق عددها 500 عنوان.

وقد طبع رسالة «حكم الدّخان والسّعوط» لشيخه القطب -رحمه الله- على نفقته الخاصة إكراماً ووفاء لشيخه، وإيمانا منه بضرورة نشر العلم النّافع وبذل النّفس والنّفيس في ذلك.

ترك مراسلات كثيرة، منها رسالة كان قد أرسلها إلى حفيد شيخه يعزّيه فيها بموت جدّه «القطب أطفيّش»، يقول فيها: «بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، الحمد لله المنفرد بالبقاء والدّوام، والصّلاة والسّلام على من لولاه لم يخلق شيء ومع ذلك عمه الفناء والحمام وعلى آله وأصحابه وتابعيهم إلى يوم الزّحام

أما بعد؛ فإهداء ألف سلام تام عند حالة الضّيق والاكتظام مع جوامع التّحية والإكرام وأنواع الرّحمة والبركة اللائقة بالمقام إلى الفاضل النّجيب السّيد الحبيب سلالة الكرام من كاتبه سعد الله بن عيسى العلواني أسير الذنوب والآثام الرّاجي غفرانها وغفران ذنوب جميع الإخوان من الملك العلام... قائلا لكم عظم الله أجرنا وأجركم بوفاة شيخا المرحوم عالم الإسلام بل هو قطب مدار الأئمة الجهابذة الأعلام من مَزَّقت فؤاده أظفار المنية وجاءه الحِمام، لقد فجعنا فيه فأخرس منا اللسان وانقطع الكلام وصمت آذاننا وفتت أكبادنا بموت شيخ مشايخ الإسلام... قد كان لنا ترسا وسدا من حديد يقينا صولة الأعادي اللئام...».

ونظرا لما امتاز الشّيخ سعد الله من الصّفات الحميدة والخصال الكريمة، فقد كان محل إعجاب الجميع وموضع محبتهم وتقديرهم خاصة الأكابر وأهل التّقوى منهم، فلقد قال فيه شيخه القطب أطفيش يمدحه ويثني عليه من قصيدة رائية [بحر الطويل]:

سلامي على إنسان عيني وناصري
عنيت سعيد الله خلي مسامري
فذاك الذي سكناه سوداء مهجتي
في العين لم يزل خياله حاضري

ويختمها بقوله:

إلهي أرجوك أن تصير رحلتي
لنحوهم فذاك جل أواري
فإن كان ذاك أحلى لدي من
زلال مبرد لصادي الهاجر

ويقول فيه أحد شعراء مصر:

في ذمة الله قوم راق صنعهم
واستحسنوا الخلق والآداب والكرما
قوم لهم في الورى عز ومكرمة
وهمة فاقت الجوزاء والهمما
لا يحرم الضّيف إن وافى بساحتهم
كأنه واحد منهم إذا قدما
جربتهم فوجدت الخير يجمعهم
والحب غايتهم والجود والشّيما
عرج بسعد تجد آدابه غررا
أخلاقه دررا قد فاقت النّجما
رأيته في خصال عز مشبهها
تكاد تشرب إذا أودى القلوب ظما
لله لطف تجلى في عواطفه
وجوده حين يبدو يسبق الدّيما
غصن الكرام له في الدّهر منزلة
ورقة حمدت حقا لمن علما
آباؤه نجب أفعاله نخب
آلاؤه سحب يا نعم من كرما
قد عودوه على مجد ومفخرة
وحسن طبع علاه في الزّمان نما
أدامك الله في عز وفي رتب
مكملا ما جاد تحيى لنا الكرما

توفي الشّيخ سعد الله العلوني صباح يوم الجمعة 17 محرم 1379هـ، الموافق لـ 24 جويلية 1959م عن عمر يناهز 86 سنة.

خضير محمد بابا وموسى،
ويوسف محمد حكيمي.

المصادر:

- مخطوطات بخط شيخه القطب: امحمد بن يوسف أطفيش»، من قسم التّراث لمؤسسة الشّيخ عمي سعيد.
- لقاء مع ابنه: الحاج محمد بن سعد الله العلواني، سنة: 2002م.
- مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 29 سنة: 2002م.

■ سعدي الطاهر حراث
(و: 1344ه - 1926م /ت: 1401ه - 1981م)

سعدي الطاهر بن إبراهيم بن علي بن سعيد بن محمد، وأمه العلمي دلولة بنت علي الحراثي الشّاعر، والأديب، ورجل العلم والتّربية ولد في مدينة العُقْلة جنوب ولاية تبسة سنة 1926 م في مضارب عرش أولاد حراث لقبيلة اللمامشة.

درس بمسقط رأسه في كتاب القرية، ثم بالمدرسة الابتدائية بمدينة تبسة، بعدها انتقل إلى جامع الزّيتونة لإكمال تعليمه، فحصل على شهادة التّحصيل العلميعامّ 1948، وقد كان تلميذا نجيبا للشيخ العربي التّبسي وأمين سره والمقرب منه.

عمل مدرسًا في مدرسة الشّريعة في عامّ 1950 وفي سنة 1951 كلفه الشّيخ العربي التّبسي بتأسيس مدرسة التّربية والتّعليم بمدينة عنابة. ونظرا لعلمه وكفاءته عين أستاذا في معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، فعمل به بين 1952 حتى عامّ 1955، جند في جيش التّحرير الوطني سنة 1955 وهو بقسنطينة، عندما قررت قيادة الثّورة الاستعانة بالكفاءات الوطنية. ثم أصبح مسؤولاً عنها، ثم مسؤولاً عن المنطقة السّادسة الأوراس

بعد ذلك أوفد إلى تونس وعين مشرفًا على علاقات جبهة التّحرير، ثم منسقًا عامًا لوزارة الحكومة المؤقتة عامّ 1960.

عمل ضمن نشاط سري على تجنيد الطلبة بالمعهد، وفي 1956 اكتُشفت الخلية التي ينشط ضمنها، واغتيل الأمين العامّ للمعهد الأديب الشّهيد رضا حوحو، فصعد الطاهر حراث الجبل ملتحقا بالمجاهدين بالنّاحية السّادسة للولاية الأولى، وحكم عليه بالإعدام سنة 1957 غيابيا.

نقل إلى تونس حيث عين مشرفا على علاقات جبهة التّحرير، ثم كلف من الحكومة المؤقتة على الإشراف على شؤون اللاجئين الجزائيين بتونس.

بعد الاستقلال عين محافظا بمدينة عنابة سنة عامّ 1965، غير أنه عاد مديرا لثانوية عبد الحميد بن باديس بقسنطينة في السّنة نفسها.

وقد كان عضوا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما كان عضوا في حزب جبهة التّحرير الوطني، وجيش التّحرير الوطني، ومنظمة المجاهدين.

عالم ومجاهد يعد من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، ومن رجالات الفكر والأدب ومن فطالحة اللغة والخطابة، ورجل صلاح وإصلاح، صاحب شخصية تعددت جوانب العظمة فيها.

لقد كان المجاهد سعدي الطاهر حراث لا يخشى في قول كلمة الحق لومة لائم، وقد كان في حياته، محرضا ومعبئا للناس لدعم الجهاد ضد الاحتلال بصفته مجاهدا في ثورة التّحرير المجيدة. وقد قدم مساهمات جليلة في مرحلة بناء جزائر الاستقلال والسّيادة.

إلى جانب مسيرة النّضال والكفاح هذه قد كان شاعرا أيضا، وما توافر من شعره قصيدتان، نظمهما على الموزون المقفى، الأولى على لسان ضرير ينعى فيها فقده لبصره، تقوم على مفارقة بين حاله مبصرًا وحاله بعد أن كف بصره، تظلها مسحة من الحزن، بعض معانيها تنزع إلى اتخاذ العظة، وله غير ذلك مخمسة يتغنى فيها بالصّحراء، فيصف صفاءها ونقاء جوها، وجمال نخيلها، كما يعرف بمكانة الصّحراء عند العربي، وذوده عنها ونضاله في سبيل تحريرها، والقصيدة سلسة في لغتها، متكررة في معانيها وألفاظها، تنهض على الوصف الخارجي والتّعبير المباشر

يقول في قصيدته (خواطر ضرير):

وأتخذ العصا أبدا دليلا بأن النّور في
الظّلماءِ تاها
شعرت وكنت منكسرا ذليلا بأن النّفس
قد فقدت مُناها
هواجس ما استطعت لها بديلا تلح عليَّ
يؤلمني بكاها
مشاعر ما عرفت لها مثيلا سوى حزني
سوى ألمي حكاها

وفي قصيدة (صحراؤنا) يقول:

هناك حيث المساء الجميل وحيث الهواء
النّقي العليلْ
وحيث الظّلال وحيث النّخيل هناك
حيث صفاء الأصيلْ
هناك حيث صحراؤنا الفاتنه هناك هناك
حيث الرّمال
هناك حيث الغزال الشّرود وحيث
المُحال وحيث الصّمود
هناك الكنوز هناك المراد هناك علت
صيحة للجهاد

الشّيخ سعدي الطاهر حراث من أهم طلاب اللغة العربية وحفظة القرآن الكريم، جندتهم الثّورة لتأطير جيش التّحرير الوطني الذي تكون أغلبه من جنود فلاحين أميين، وعمال بسطاء عملوا على تجنيد الشّعب لأن من يحفظ (حزب عمّ) كما كانوا يعتقدون قادر على تجنيد الشّعب أفضل من حامل الدّكتوراه من الجامعة بحكم الاحتكاك بالشّعب والممارسة الميدانية.

ينقل الشّاعر والكاتب محمد بن رقطان شهادة عاشها حضوريا في الحلقة الثّالثّة من سلسلة مقالات وسمها بـــ(تهم مكذوبة في شهادة مكتوبة) عن إفشال المجهود الوطني لتعميم استعمال اللغة العربية في المحيط فيقول قبل استئناف الأشغال يقصد النّدوة، دخل علينا الرّئيس هواري بومدين فجأة، وقام الحضور لتحيته،.....وأخذ مكانه بين أعضاء المكتب المسير واستأنفت أشغال الفترة المسائية الخاصة بالنّقاش، وكان الرّئيس هو المسير الحقيقي للنقاش، ومن القامات التي تدخلت ومازلت أذكر أسماء بعضها، الدّكتور عبد الله شريط، والأستاذ عبد الحميد مهري، والدّكتور علي بن محمد وآخرين.

وكان الشّيخ الطاهر حراث -لقبه سعدي- يجلس بجواري فرفع يده مرارا ولم يلتفت نحوه الرّئيس بومدين، ففتح قفل مضخم الصّوت، وضربه بإصبعه، فأحدث دويا فالتّفت الرّئيس، فرآه رافعا يده فقال: الكلمة للشيخ الطاهر حراث، فتناول الشّيخ الطاهر الكلمة، ببيانه الرّائع وفصاحته العالية، وشلاله اللغوي المتدفق، ومما قاله لبومدين: إن كل القرارات التي اتخذها في مجال تأميم البنوك والمناجم والمحروقات، وفي الصّناعة والفلاحة، وديمقراطية التّعليم، وفي الوقوف إلى جانب الشّعوب المكافحة من أجل حقّ تقرير مصيرها، واستقلالها، كانت قرارات ومواقف ثورية شجاعة، لكن ماتم اتخاذه من تدابير وإجراءات في مجال تعريب المحيط والإدارة، كانت دون مستوى مواقفه الثّورية الشّجاعة المعهودة، وهو يتساءل عن هذه المفارقة المحيرة في سياسته، وكان الرّئيس بومدين، يصغي باهتمام شديد، ويبتسم، وأظنه كان يستمتع بالفصاحة الفذة والبيان العذب، والشّلال اللغوي المتدفق كالزّلال من فم الشّيخ الطاهر حراث، وقد أجاب الرّئيس بومدين على التّساؤلات والانشغالات، وأبدى قدرة مدهشة على الإصغاء، وإدارة الحوار بسلاسة، واحترام الآراء المطروحة، وأعطى أجوبة مطمئنة لبعض التّوجسات والتّخوفات التي عبر عنها بعض المتدخلين، ولكننا استنتجنا من حضوره المفاجئ، وإشرافه على جلسة النّقاش، أن بعض الفرنكوفيل المقربين منه، هولوا له الأمر، وحذروه من عواقب ومخاطر هذه النّدوة، ولذلك لم يكن للتوصيات واللوائح المنبثقة عنها، أثر ملموس في تعريب الإدارة رغم الجهود المعتبرة المبذولة التي ظلت تراوح مكانها، ولعل الموقف الغريب خلال شهر ديسمبر1976 أن الحكومة التي شكلها في شهر أفريل سنة1977 أسند فيها حقائب وزارات سيادية أساسية لثلاثة شخصيات من جيل واحد،

وتوجه فكري وثقافي واحد، ونزعة أيديولوجية تغريبية واضحة للعيان، فعين مصطفى الأشرف وزيرا للتربية بدل الوزير الوطني عبد الكريم بن محمود، وعين عبد اللطيف رحال وزيرا للتعليم العالي بدل القامة النّضالية الوطنية الثّورية السّامقة محمد الصّديق بن يحي، وعين رضا مالك وزيرا للثقافة والإعلام بدل نجل العلامة الشّيخ البشير الإبراهيمي الدّكتور أحمد طالب، رئيس اتحاد الطلبة الجزائريين، والوجه السّجين خلال سنوات الثّورة، والقامة العلمية الفكرية الشّامخة، وقد ظل هذا التّساؤل المحير الذي صدر عن بومدين يؤرقني ولم أجد له إلى حد الآن الجواب المطمئن.

توفي سعدي الطاهر حراث بمدينة قسنطينة عامّ 1981 م.

باديس فوغالي

المصادر:

- أحمد بن ذياب - الطاهر حراث كما عرفته - جريدة العصر - أعداد 52 إلى 54 - الجزائر 1982.
- الهادي بوذراع: الفقيد الطاهر حراث - مجلة أول نوفمبر (ع 20) - 1981.
- عثمان سعدي / في ذكرى المربي المجاهد الشّيخ سعدي الطاهر حراث.جريدة الشّروق 18/ 04/ 2018.
- المحور العربي.elmihwar.net

■ سعدي بن علي بن عبد العزيز
(و: 1335ه - 1916م/ت: 1376ه - 1956م)

شهيد الوطن البطل سعدي علي بن عبد العزيز من مواليد قرية الرّابطة ب بولاية برج بوعريريج في عام 1916 ينحدر من اسرة محافظة على تقاليدها العربية الاسلامية، الحقه ووالده في بداية عهده بزاوية الشّيخ ا احمد بن علي بمسقط رأسه لحفظ القرآن الكريم وشيئا من اللغة العربية ثم انتقل بعدها ولذات الغرض الى زاوية سيدي مخلوف ب بالمنصورة ليقضي بها فترة من الوقت. وقبل نهاية العقد الثاني من عمره عاد لمسقط رأسه ليشتغل في فلاحة الأرض البسيطة التي تملكها اسرته بالوسائل التقليدية البسيطة باعتبارها المصدر الاساسي لإعالة اسرته الى ان استدعى في عام 1935 لاداء الخدمة العسكرية الاجبارية في صفوف الجيش الاستعماري وتحت هذه الصّفة شارك البطل سعدي علي بن عبد العزيز في الحرب العالمية الثانية وعاش اهوالها ومآسيها واعتقل وسجن وعذب من طرف الجيش الالماني النّازي ولم يطلق سراحه الا في عام 1945. بعد إطلاق سراحه من الأسر عاد إلى قريته الصّغيرة التي نشأ بين احضانها وكبرت معها احلامه، ولكن نظراً للوضع المعيشي العسير الذي كانت عليه أسرته اجبر كغيره من الشّباب الى الهجرة الى فرنسا بحثا عن عمل. وقد حقق رغبته وتحسنت احواله بعض الشّيء، وتفتحت عيناه على وقائع جديدة لم يعشها من قبل، بفضل الاحتكاك باخوانه العمال المهاجرين، وانضم في تاريخ غير محدد إلى صفوف الحركة الوطنية -حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية باحدى خلاياها النّشطة هناك اين تابع نضاله السّياسي، حيث ابدى استعدادا طيبا وعملا قويا فضلا عما يتحلى به من سمو الاخلاق والشجاعة أين حظي بثقة اخوانه العمال المناضلين المهيكلين في خلايا حركة الانتصار بثقة للحريات الدّيمقراطية فانتخبوه رئيسا لخليتهم فقام بعدها بنشاط حثيث وسط العمال ينظم ويعبئ واستمر نشاطه علي تلك الصّورة الى غاية عام 1954.

في عام 1954 عاد الى مسقط رأسه استقر بقريته الصّغيرة اين واصل نشاطه السّياسي على رأس خلية شكلها فور عودته من المهجر وارتكز نشاطه ضمن هذه الخلية على جمع الاموال استعدادا للثورة ثم ليتوسع نشاطه بعدها الى الاطلاع على مدى توفر السّلاح عبر منطقته استعدادا لانطلاق الكفاح المسلح وبمجرد اندلاع الثورة المسلحة. التحق بصفوفها بصفة مسبل وعرف بين اقرانه بالجد والنشاط في مجالات الدعاية والتوعية وربط الاتصال بين نواحي المنطقة بما يخدم الثورة واهدافها المقدسة، وقد تواصل نشاطه الثوري بجد وحماس لم يعرف الفتور أو الوهن مما لفت نظر الاستعمار وأذ بانه بالجهة اليه مما عرضه للمتابعة والمراقبة وانعكس ذلك بشكل كبير ومتواصل حتى على افراد اسرته باكملها وجعلها تتعرض ولمرات عديدة لضغط العدو وارهابه الا انها واصلت الطّريق على نفس الدّرب الذي ارتضاه ابنها.

لقد ادى الشّهيد خلال هذه الفترة عدة مهام بالمنطقة وحتى خارجها من اجل ارساء قواعد الثورة وبعث رسالتها النّبيلة، ولعل من اهم النّشاطات التي قام بها آنذاك هو مرافقته لوفد المنطقة الأولى اثناء مروره باتجاه المنطقة الثالثة باعتباره واحداً من اكثر النّاس معرفة بجبال المنطقة وبدروبها الوعرة مما وفر الامن والاطمئنان في قلوب مرافقيه الذين كانت وجهتهم منطقة وادي الصّومام وبعد هذه المهمة عاد من جديد الى قرينه وهي ميدان عملياته خصصها الجمع الأموال والسلاح والذخيرة

لتزويد الثورة التي بدأ يتعاظم دورها تدريجيا بالمنطقة، وهكذا وفضلا عن كون منزل اسرته مركزا للثورة بحكم موقعه المتميز بالجبل الا انه حاول ان يكون جنديا في صفوف جيش التحرير الوطني الا ان قيادة الثورة بالجهة ابت الا ان تتركه ينشط في مجال الدّعاية والتوعية وغيرها لمردوديته الواسعة في هذا الميدان.

استشهاده

بعد حياة حافلة بالجد والنشاط السّياسي والتعبوي في سبيل تدعيم خط الثورة ونشر رسالتها وقع الشّهيد في يد العدو بعد وشاية من أحد الخونة تعرضت خلالها قريته لعملية حصار شديد من طرف قوات العدو في ربيع عام 1956، حيث تم اعتقال العديد من سكانها وسيقوا بعدها الى مراكز العدو اين تفنن جلادوه في تعذيبهم وتخريب وحرق منازلهم والاعتداء على حرمات عائلاتهم وخاصة عائلة الشّهيد لينفذ فيه الاعدام بمعية اخوانه من اعضاء اللجنة مثل سعدي محمد الشّريف وشريفي عبد الله بن مصطفى وشريف سعدي في ربيع عام 1956 وقد أعدم بعد حوالي شهر من ذلك اخوه الاكبر سعدي الأخضر والتحق بقافلة الشّهداء الأبرار.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- الزبير بوشلاغم، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 162، 1999.

■ سعدية الدّراجي

(و: 1360ه - 1942م/ت: 1377ه - 1958م)

سعدية الدّراجي بن الشّيخ عبد الرّحمان بن السّعيد بن إبراهيم بن سعدية، ولد سنة 1942، الشّهيد كغيره من المجاهدين آمنوا بالحرية والوطن، وهو في سن مبكرة، ومع اندلاع ثورة التّحرير المجيدة انخرط في المنظمة المدنية لجيش التّحرير الوطني، سنة 1956، متبعا في ذلك خطى والدّه الشّيخ عبد الرّحمان، الذي سبقه في الانخراط إلى اللجنة الشّعبية، وكان من المسبلين، وكان من أعيان بلدة سيدي عقبة، وصاحب الكلمة المسموعة، وله مشاركات وتاريخ ضد المستعمر قبل اندلاع الثّورة، في إطار المقاومة الشّعبية.

وسار الابن على نهج والدّه، فكان الدّراجي في البداية يساعد والده في نقل السّلاح واخفائه، وكتابة التّقارير- التي كان يرسلها والدّه للمجاهدين، وبعد انخراطه إلى المنظمة السّرية 1956، بدأ ينفذ عمليات سرية خلفت خسائر للمستعمر، ويحسن ربط الاتصال بين المسبلين والمجاهدين، تنقل إلى قسنطينة وسوق أهراس ووادي سوف لجلب السّلاح، لما كان يعرف عليه من ذكاء وفطنة وحسن تخلص.

تميّز سعدية الدّراجي بن عبد الرّحمان، بالذكاء والفطنة والشّجاعة وحماسة الشّباب، وحس وطني عال، وهي صفات جعلته يصبح العنصر المحرك لعديد العمليات بسرية تامة، ناهيك عن سعيه الحثيث إلى غرس الوعي بالثّورة التّحريرية في الأوساط الشّعبية،، آنذاك، ولكنه لا يكاد يُذكر في وقتنا إذ لولا الحكايات للشهود العيان، حول هذه الشّخصية الرّائدة ودورها في التّعريف بالقضية الجزائرية لظلت صفحة ناصعة من تاريخنا الحديث نسياً منسياً، إذ كان يحث الجميع على التّعلم والدّراسة، وكان يحاول تعليم ما أمكنه، من أطفال الحيّ، كان عنصرا فاعلا آنذاك، بحسب شهادة من عاصره.

خطط ونفذ عديد العمليات ضد المستعمر، كما كان يسهم في نقل الأسلحة، بمساعدة والده الشّيخ عبد الرّحمان أحد أعيان البلدة، الملقب بالقائد، آنذاك. تم الوشاية بهما عشية سبت من عامّ 1958، استشهدا رميا بالرّصاص، ليتم نقلهما إلى طريق السّعدة ويتم حرقهما بعد ذلك، مع 20 شهيدا، مجزرة تم فيها استشهاد 22 شهيدا 03 شهيدا و19 شهيدا.

غادر هذه الدّنيا بعد حياة قصيرة في سن 18، ولكنها حافلة بالعمل النّضالي من أجل استقلال الجزائر، شاب آمن بالحرية في الجزائر عاش ومات من أجلها.

بعد الاستقلال تم تسليم كل ما كتب، والصّور وما يملك من وثائق إلى السّلطات الجزائرية، وتم حفظها، ولا يعرف عن هذا الشّهيد إلا بطولاته، وسيطرته بحنكته وقوته وشجاعته على تلك المنطقة.

-سمي الشّارع الرّئيس الجامع لبلدية سيدي عقبة وبلدية عين النّاقة وبلدية الحوش، والقريب من مكان استشهاده باسمه واسم والدّه الشّيخ عبد الرّحمان، كما سميت المدرسة الابتدائية باسمه، عرفانا لما قدم للمدينة في ثورة التّحرير المجيدة.

من بين الأحداث التّاريخية في منطقة سيدي عقبة، والتّي شارك فيها الشّهيد ووالده: -منطقة فرجونة الجهة الشّرقيةلبلدية سيدي عقبة:

نصب كمينا لدوريات العدو الفرنسي أسفر عن مقتل 05 جنود من جيش العدو الفرنسي سنة 1956 م.-منطقة حي أولاد سويسي 1956، تم فيها عملية خلفت خسائر بشرية ومادية للجيش الفرنسي، قام بعدها بأعمال انتقامية في حقّ أسر المجاهدين والمسبلين.

-منطقة منزل شيخ البلدية (جفان بن قانة الذي كان ثكنة للاستعمار:

نصب كمينا تمثل في مقتل نقيب فرنسي من طرف مجموعة، من المجاهدين بعد ذلك قام الاستعمار الفرنسي بجمع كل المواطنين بساحة الشّهداء حاليا لمدة يوم، قتل على إثره 09 شهداء واعتقل الكثير من المواطنين وأعلن حالة طوارئ لمدة 60 يوما حيث تبقى أبواب المنازل مفتوحة ودوريات العدو تجوب الشّوارع وقد تم ذالك بتاريخ 05 ديسمبر 1956 (عمليةفدائية) - منطقة سريانة - تقع شمال مدينة سيدي عقبة مركز مراقبة للعدو:

نقطة مراقبة تشكل خطرا كبيرا على المجاهدين في هذا التّاريخ، يقوم بحراسته عدد من الخونة اتفقوا مع المجاهدين بعد اتصالات عديدة على تسليم أسلحتهم للثورة التّحريرية بعد أن تم تجديد الموعد من كلا الطرفين فهوجم المركز من طرف المجاهدين بقيادة الشّيخ عبد الرّحمان والدّراجي سعدية، ومعهم بن الهامل، والشّاذلي، وسلم الخونة جميع أسلحتهم للمجاهدين وقد تم ذلك بتاريخ ربيع 1957.

منطقة زيتونة وحارة لحرش- مكان معركة ضارية:

معركة ضارية استشهد خلالها 03 مجاهدين منهم، كما استشهد عدد آخر من المناضلين واعتقل العديد من القاطنين بالقرب من مكان المعركة (خسائر العدو تمثلت في قتل عشرات من الجنود واستمرت المعركة حوالي 05 ساعات واستعملت فيها الطائرات وحشدت القوات الاستعمارية (حدث ذالك بتاريخ: نوفمبر1957).

وقع اشتباك مع جيش العدو الفرنسي قتل على إثره جندي من جيش العدو وغنمت منه رشاشة من نوع مات49، سنة1958.

منطقة سيدي سنان (موقع استشهاد 05 مسبلين): بتاريخ: 1958.

مكان لمعركة ضارية دامت يوما كاملا تقريبا اشتبكت فيها المجاهدون مع القوات الاستعمارية الفرنسية شاركت فيها الطائرات والدّبابات، فيها حوالي 12 مجاهد ذلك سنة -1958منطقة شجيرات الخيذر (عمل فدائي وإعدام خونة): مكان إعدام لبعض الخونة، حيث قتل جنود المستعمر، وغنمت أسلحتهم وعلى إثر ذالك قام العدو الفرنسي كعادته بأعمال انتقامية قتل وتم ذلك سنة 1958...وغير ذلك من الأعمال الفدائية، التي سجلت له بشهادة رفاقه في الجهاد.

بعد ذلك اكتشف أمر سعدية الدّراجي ورفاقه، بسبب وشاية، ذات يوم من شهر أوت عامّ 1958، فألقت قوات الاحتلال القبض عليه، بينما كان يحاول الفرار، وأطلق النّار عليه، وتم الزّج به في السّجن مع أبيه الشّيخ عبد الرّحمان، بعد أن اكتشف دوره كمسبل في جيش التّحرير، وتم كذلك إلقاء القبض على كل مشتبه فيه من بقية أفراد الأسرة، وزج بهم جميعا في السّجن، وبعد أيام قلائل تمّ نقلهم ليلا إلى منطقة درفلو، وقاموا بإطلاق الرّصاص عليهم جميعا، ثم رشوا جثثهم بالبنزين، وتمّ حرقهم، وكان عددهم 22 شهيدا، شهر سبتمبر 1958(في خريف 1958)..رحم الله الشّهداء.

يحيى بن بهون حاج امحمد

■ سليمان بشنون
(و:1341ه - 1923م/ت:1442ه - 2021م)

الشّيخ سليمان بشنون ولد عامّ 1923بمدينة فجّ الأخيار، حفظ القرآن الكريم في سن مبكر في كتاب بلدته ولما امتلأ صدره بالقرآن الكريم طفق ينهل من مناهل العلم والدّين والأدب فحفظ المتون وتوسعت مداركه وتعمقت رغبته في تحصيل مختلف العلوم والفنون، وقد عكف على قراءة المؤلفات والمصنفات والألفيات فحفظها عن ظهر قلب فتفتق ذهنه واتسعت مداركه وطفق بعدها يوازن ويقارن، و يحلل ويؤصل حتى أصبح من مراجع العلم وأفذاذه، وقد مكنه رحيله إلى القاهرة والزّيتونة من الاستزادة من العلم والأدب واكتسب مهارات جديدة عززت مهاراته المستوعبة في بلده، بعدها عاد إلى وطنه حاملا زادا معرفيا كبيرا بذل أكثره في تعليم أبناء وطنه الذين حرمهم الاستدمار الفرنسي الغاشم من التّعلم.

ينتسب إلى عائلة ثورية معروفة شارك أبناؤها في الثّورة التّحريرية المسلحة الكبرى، وقد عرفت بولائها العميق للجزائر متشبعة بالرّوح الوطنية بإبائها وولائها

لوطنها، وقد نال بعض أبنائها شرف هذا الإباء والولاء فحملت أول ثانوية في فج امزالة اسمه وهو بشنون السّعدي.

عاش طفولته على غرار أبناء وطنه محروما من مستلزمات العيش الكريم وقد كان والده من محبي العلم والتّعلم، إذ روي عنه أنه كان فقيرا غير ميسور الحال إذ اضطر لبيع بقرته التي يقتات هو وأبناؤه على لبنها من أجل أن يوفر لابنه ما يلزمه من أدوات الدّراسة التي لم تكن في ذلك الوقت متاحة للجميع

عاش للدين وللوطن وللفكرة وللثورة وللقلم فاختمرت في نفسه قيم الاستقامة ومشاعر الوطنية وخيالية المفكر وحماسية الثّائر وجماليات الكاتب وأخلاقيات العالم. فقد كان أهل فضل لما عرف عنه من استقامة في الأخلاق وحب الخير والدّفاع عن الحق والعدل وعليالرّغم من جهوده الحثيثة في إرساء تقاليد التّحصيل العلمي والتّعلم والنهوض بفكرة الإصلاح التي تجسدت من خلال تفانيه في خدمة الدّين والعلم والأدب ونشر الثّقافة بكل تنوعها وزخمها الأمر الذي جعل كل من عرفه أن يكن له كل احترام وتقدير

وعلى الرّغم من هذا المسار المضيء في حياته إلا أنه عانى من التّهميش وظل مغيبا معزولا عن بني جلدته، شأنه في ذلك شأن كثير من علماء الجزائر الذين لم ينالوا حظهم من التّنعيث والتّنويه بجهودهم بسبب حصار الاستدمار الفرنسي لكل ما كانوا ينهضون به من فكر تنويري وروح توّاقة إلى التّعليم والإصلاح والتّنوير.

طاف الشّيخ بشنون بمناطق عديدة في بلده الجزائر عالما ومتعلما فبعد عودته من جامع الزّيتونة حاملا شهادة التّحصيل العلمي، اشتغل مدرسا في مدرسة التّربية والتّعليم بفج أمزالة بعدها بمدرسة الشّبيبة بتيزي وزو وكذا دار الحديث بتلمسان.

ليعُيِّن بعدها أستاذا مؤهلا بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، وكان عضوا فاعلا ومؤثرا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان حلقة وصل بين سلف هذه الجمعية وخلفها فبكاه أبناء الجمعية من هذا الجيل كما بكى أسلافُهم من الجيل الذهبي رئيسَهم عبد الحميد بن باديس وخلفه الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي.

جاء في شهادات من أرَّخ لسيرة الشّيخ بشنون أنه كان يمتلك حسا أدبيا راقيا قمة في الجودة وكأنه يحاكي في ذلك أديب الجمعية البلاغي الرّصين الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي امتلك ناصية اللغة فكان واحدا من أساطينها وروادها من دون منازع لما عرف عنه من تلسن وتفوه واقتدار في التّفنن في مسالك البلاغة ودروبها ومختلف طبقاتها البيانية والتّبيينية إبلاغا وتبليغا.

وقد اشتغل بثانوية حسيبة بن بوعلي بالقبة، وثانوية الأمير عبد القادر بباب الوادي بالعاصمة، وقد كان -حسب بعض شهادات من تتلمذ على يديه- معلما متميزا وأديبا بارزا يقدم الرّواية الأدبية في ثوب قشيب وأسلوب بديع يأسر السّامعين، وليس هذا بغريب من رجل تشبَّع بلغة القرآن التي هي المصدر الأول لتقويم اللسان والإحاطة بأسرار البيان..

تقاعد الشّيخ بشنون بعد مسيرةٍ حافلة بالعطاء، ولكنه لم يشأ أن يكون التّقاعد عنوانا للاستقالة من العلم وانتظار أجر "المعاش" كما يفعل كثيرٌ من النّاس، بل جعل من تقاعده فرصة للتفرُّغ للعمل الثّقافي والخيري ولكل عمل ينفع به أمَّته ويخدم به وطنه، وهذا هو ديدن النّفوس الكبيرة التي لا تعرف الكلل والملل بل تؤمن بأن العطاء ليس له عمر، وقد صدق الشّاعر حين قال: وإذا كانت النّفوس كبارا.. تعبت في مرادها الأجسام.

نال الشّيخ بشنون تكريمات كثيرة خلال مسيرته العلمية الإصلاحية والثّقافية ولكن أكبر تكريم له أن يشمله قول الرّسول الكريم e: "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه"..

كان الشّيخ بشنون يؤمن بوحدة القيم الدّينية والوطنية، فكان يكتب عن قضايا الوطن بقلم الصّحفي المشبَّع بالرّوح الدّينية والوطنية وهو ما كرسه في جريدة "الشّعب" وجريدة "البصائر" حتى بعد أن وهن العظمُ منه واشتعل الرّأس شيبا، ولم يتوقف عن الكتابة إلى أن برح به المرض، وهذا هو الصّنف من الرّجال الذين نحتاج إليهم في زمن المحنة وزمن الأزمة، فنظرهم الثّاقب ورأيهم الصّائب سلعة نادرة في هذا الزّمان.

قيل من لم يؤلّف كمن لم يخلّف، فالتّآليف هي التي تذكِّر الأجيال بما صنعه الرّجال، فمن لم تسعفهم معاصرة الشّيخ سليمان ومرافقته والتتلّمذ عليه يجب أن لا يفوتهم شرفُ التتلّمذ على تآليفه التي ناهزت العشرين وتنوّعت بين الكتابة في السّيرة النّبوية والكتابة في تاريخ الحركة الإصلاحية والكتابة في الثّقافة والشّخصية الوطنية.

تمتاز مؤلفات الشّيخ سليمان بشنون بالعمق الفكري والرّونق الأدبي، فهو ليس من الذين يلبسون الفكرة ثوبا أدبيا أخاذا ويُسلبونها عمقها الفكري، وليس من الذين يستهويهم الإطناب أو ممن يلفون ألفاظهم بركام من السّجعيات التي تبهت الفكرة وتضيع معها كل فائدة. كان الشّيخ بشنون كاتبا مقتدرا ومفكرا متعمّقا وقد تجلى هذا فيما كتبه عن الحركة الإصلاحية الجزائرية، فقد قدم الرّجل صورة موضوعية عن هذه الحركة يزيِّنها عمقُ التّحليل ودقة التّأصيل وعدم الانقياد وراء الهوى خلافا لدأب بعض الكتاب والمؤرّخين الذين سقطوا في فخِّ الحزبية والفئوية فلبسوا بعض الحقائق وغضوا الطرف عن بعض الوثائق.

لقد عاش الشّيخ سليمان بشنون كبيرا ومات كبيرا، وقد نعته جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين ونعته هيئة علماء المسلمين في العراق والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ونعاه الجزائريون والمسلمون في بقاع كثيرة من العالم، ومن حقّ هذا الرّجل أن نعتني بأفكاره ونهتم بأفكاره وأن تؤسَّس باسمه جمعية وطنية تحيي جهاده الفكري والوطني. ومن حقّ هذا الرّجل على أهل بلدته (فج امزالة) أن يقتدوا بسيرته ويكملوا مسيرته، وليس هذا بعزيز على أهل هذه البلدة الطيبة التي أنجبت فطاحل العلماء وكبار الحكماء وكانت قلعة للنضال ومدرسة لصنع للرجال. رحم الله الشّيخ سليمان بشنون وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن الجزائر وعن أمة الإسلام خير الجزاء..

باديس فوغالي

المصادر:

- مقال للدكتور محمد بوالرّوايح سليمان بشنون سيرة ومسيرة يومية الشّروق اليومي، العدد 1116، 24/ 11/ 2021

■ سليمان بن أبي سماحة البكراوي
(و: 865ه - 1461م/ت: 945ه - 1539م)

سليمان بن أبي سماحة أبو داود البكراوي، كما لقّب بعدّة ألقاب هي: سماحي، وحمياني، وبوداود، وبودواية، وأحمر اللّحية، وأحمر الشّيب.

ولد حوالي سنة (865 ه – 1461م)، يقال عن مكان ولادته، قرب(أربا)، أو أكثر غربا، نحو الشّلالة الظّهرانية(الجزائر).

تزوّج سيدي (سليمان) من السّيّدة (عائشة الشّريفة) بنت سيدي (عبد الجبّار الفجيجي)، وهي من عائلة علماء أدارسة معروفة جدّا في (فجيج)، ومن هذا الزّواج ولد سيدي (أحمد المجدوب) جدّ (المجادبة)، حسب الرّواية كان سيدي (سليمان) في هذه الحقبة قد تزوّج من امرأة إدريسية أخرى تسمّى السّيّدة (المالحة) سليلة سيدي (عبد الرّحمن الودغيري) شرفاء (بني ونيف) أم سيدي (محمّد)، وحسب بعض الرّوايات فقد تزوّج من امرأة أخرى من أحلاف(تيوت) قد تكون أم(لالّة صفيّة) جّدة (أولاد أنهار)، وهناك روايات عديدة تضيف سيدي (التّومي)، المدفون قرب المكان الّذي دفن فيه سيدي (إبراهيم) في (الأبيض سيدي الشّيخ)، و(عبد الله) المتوفيّ في سن مبكرة والمدفون قرب أبيه في بني ونيف(الجزائر).

خلّف من الذكّور سيدي (أحمد المجذوب) دفين (عسلة) المتوفّي سنة (578هـ) وسيدي (محمّد بن سليمان) دفين(الشّلّالة)، و(عبد الله) قبره عند والده (ببني ونيف)، وسيد (التّومي) قبره بـ(الأبيض سيدي الشّيخ) بمقبرة (سيدي ابراهيم والمصابيح) مات صغيرا، ومن الإناث:السّيدة (لالّة صفيّة) والسّيّدة (آمنة)».

تعلّم في طفولته في المركز الّذي أسّسه والده سيدي (أبو سماحة) رئيس (البوبكرية)، وفي(فجيج) التي أشرف عليها المعّلمون الأدارسة، وفي هذين الموضعين اللّذين يضمّان أشهر مؤسّسات النّاحية في تعليم أصول الدّين الشّرعية (القرآن الكريم، والعقيدة الأشعرية، والنّحو، والحديث، والتّفسير، والفقه المالكي) تلقّى الشّيخ (سليمان بن أبي سماحة) تعليمه، وتشرّب مختلف العلوم والمعارف.

لم يكتف سيدي (سليمان) بما حصّله من العلم، فغادر مسقط رأسه إلى (المغرب) للدّراسة وتحصيل العلم، ثم إلى(الأندلس)، وبقي متنقّلا طالبا للعلم مدّة اثنتي عشرة سنة، ففي (غرناطة) تتلّمذ على يد مشائخ أجلاّء كالشّيخ (سيدي خليل)، و(ابن أردون)، والعلاّمة (السّبكي) وغيرهم، ثم انتقل إلى (فاس) (المغرب)، حيث كلّف بالتّدريس في (جامع القرويين) الشّهير، مدّة سبع سنوات أجاد فيها وأفاد.

جذبته الحركة الصّوفيّة فزار الزّوايا النّشيطة للجنوب المغربي، حتّيالتّقى بالشّيخ سيدي (أحمد بن يوسف الملياني) شيخ الطّريقة الشّاذلية في عصره ونال مراده في فترة وجيزة (إثر قصّة المذابيح)، ثمّ استقر غير بعيد من قصر (بني ونيف)، المكان المسمّى الصّالحين، حيث أسّس هناك زاوية علّم فيها طريقة (أبي الحسن الشّاذلي)، وانبرى داعيا النّاس للإسلام ويثقّف الأهالي، فأسلم على يديه عدد كبير من المسيحيّين (الإسپان)، حظي الشّيخ (سليمان) بحفاوة أهل المنطقة وترحابهم، واستحق لقب (مذبوح سيدي أحمد بن يوسف)، ونال مقدم في طريقته وجلب إليها(البوبكرية والقبائل الحليفة لهم، الرّزاينة، أولاد زايد، العكرمة وحميان).

نزل (غرناطة الأندلس) بها سبع سنين، و(الشّلاّلة) وبقى بها ثلاث سنوات، وبلاد (أربا) مستقر أسلافه وسكنها لمدة أربع سنوات وله بها أملاك، و(فجيج) حيث أقام ودرّس بالجامع العتيق والحمّام التّحتاني.

ورد في آثاره، أنّه كان رحمه الله ربع القامة، ذا لحية يخضّبها بالحنّاء اقتداء بسلفه الصّالح، وكان دقيق البنية لم يكتنفه اللّحم، أبيض اللّون مشربا بحمرة.

اشتغل الشّيخ (سليمان بن أبي سماحة) في التّدريس كما سبق وأن ذكرنا وذلك في (جامع القروييين) بـ(فاس)، كما أنّه كان إماما وخطيبا صوفيّا في (فجيج)، لكنّه وحسب المصادر تعرّض إلى مضايقات عديدة في القرية الصّعبة المعاشرة أين يحتكر الأدارسة العلم منذ ما يقارب ستة قرون، وأين كانت المجموعات الأثنية المتناثرة في صراع دائم، لكن شهرته في (فجيج) لا يختلف عليها اثنان، وتذكر المصادر عن وفاته فيها «حيث كان موقّرا قبل وفاته وكانت قصور فجيج تتصارع على شرف امتلاك جثّته».

توفّي الشّيخ (سليمان بن أبي سماحة) رحمه الله حوالي (945ه/ 1539م) عن عمر ناهز(80) سنة وهو دفين حاضرة بني ونيف (ولاية بشّار).

وتحكي الرّوايات: أنّ سيدي (سليمان) أمر أن يوضع جسده بعد وفاته على بغلة يخلى سبيلها وفي المكان الّذي تتوقّف فيه يدفن، وهكذا كان فدفن الولي الصّالح في قرية بني ونيف (ولاية بشّار)(الجزائر).

نسيمة لوح

المصادر:

- واحة فجيج تاريخ وأعلام: للأستاذ بنعلي محمد بوزيان.
- الطريقةالشّيخية في ميزان السّنة: للأستاذ أحمد بن عثمان.

■ سليمان سليماني(النّمر الأسود / الأكحل) (و:1349ه - 1931م/ ت: 1401ه - 1980م)

سليمان سليماني، الملقّب بـ: سليمان (الأكحل) أو (النّمر الأسود)، من (قبائل الحميان الزّغبية العدنانية) نسبة (لعدنان من ولد سيّدنا اسماعيل عليه السّلام) من أكبر القبائل الجزائريّة على الإطلاق، فهي تتربّع على مساحات شاسعة من الأراضي الغربيّة (للجزائر) (تسيطر على كامل تراب ولاية النّعامة).

ولد عامّ (1931م) بقرية (البيوض) (دائرة المشرية) (ولاية النّعامة)، وتربّى وسط عائلة بدوّية بسيطة كمعظم أبطال الثّورة التّحريريّة.

كان)سليمان سليماني(من أسرة فقيرة يعول والدّيه، وكان يعيش ظروفا صعبة، أرغمته على التّجنيد في صفوف الجيش الفرنسي سنة (1953م)، وتمّ نقله مباشرة إلى (الهند الصّينية)؛ حيث اكتسب الخبرة القتالية أثناء الحرب (الفرنسية) بـ(الهند الصّينية)، وبالمقابل كان يحسّ أنّه دخل حربا لا تعنيه، وكان يحلم دائما بقيام ثورة تحريريّة في (الجزائر).

في سنة (1955م) رجع من (الهند الصّينية) إلى أرض الوطن، وبالضّبط إلى (المدية) ليتم نقله إلى (بوسعادة)؛ حيث بدأ العمل بتوعية زملائه بالقضيّة الوطنيّة وضرورة الالتّحاق بالثّورة، كما أنّه نسّق الاتّصالات مع بعض أعضاء جبهة التّحرير الوطني في(بوسعادة)، وتلقّى الأوامر بالتّنقّل إلى (وادي الشّعير)

ومن هناك قام بالهروب مع بعض أصدقائه ومنهم (عبد القادر ذبيح)، و(أحمد العياشي)، و(عسوس دحمان)، و(رويني محمد) وآخرين، محمّلين بأسلحتهم متّجهين الى (جبل الميمونة) بـ(وادي الشّعير)؛ حيث كان جيش التّحرير متمركزا هناك فاستقبلهم مسؤول النّاحية الثّالثة لولاية (أوراس النّمامشة) الشّهيد (الحسين بن عبد الباقي) وكان ذلك سنة(1956م).

" ثم استقبلهم القائد (سي الحواس) بـ(جبل انسنيسة) وقد كانوا محمّلين بأسلحة مختلفة وكمية من الذّخيرة: (مدفع هاون عيار 60)، و(رشاشان من نوع 49)، و(3 بنادق من نوع ماص36)، بعد مدّة قضاها مع (سي الحواس) طلب منه التّنقّل إلى جيش (عمر إدريس) ليكمل معه المسيرة، لكنه وبعد أن لاحظ رداءة الأسلحة المتوفّرة لدى الثّوّار ومحدودية فعاليتها في المعارك، اقترح على مسؤوليه افتكاك السّلاح من المستعمر بنصب كمائن، فتطوّع من أجل ذلك بتكليف من القائد (عمر إدريس)».

"في شهر (جوان 1956م) قصد (جبل زمرة) بـ(سيدي عامر) رفقة مجموعة من المجاهدين، وهناك نصبوا كمينا لفرقة من القوّات الفرنسيّة كانت عائدة من (سوق رأس الضّبع) فأبادوا جميع أفرادها، واحرقوا الشّاحنة المقلّة لهم و(سيّارة جيب) المرافقة وغنموا (13 بندقيّة من نوع موسوكوطو)، و(رشّاشين من نوع ماط 49)، إضافة إلى 320 ألف فرنك) «.

وحسب ما يرويه (الشّيخ لقليطي) في مذكّراته (مسيرة كفاح)، وهو من الّذين رافقوا (الرّائد سليمان سليماني)، " أنّه قد شارك في معركة (خناق عبد الرّحمن) الشّهيرة في(1957م)، وكان جنبا لجنب مع (الرّائد عمر ادريس) رفقة (سي لطفي)، وكان ضمن الوفد المتّجه إلى (المغرب الأقصى) لملاقاة (العقيد عبد الحفيظ بوصوف)، ويذكر منهم كذلك (طيب فرحات احميدة)، و(الشّهيد بلقاسم لقرادة)، و(الشّهيد قويدر بن بوعزة).

كما أنّه شارك معه جنبا إلى جنب في عديد المعارك منها (معركة الزّعفرانية) في (فيفري 1958م)، و(معركة بودنزير) في (28مارس 1958م)، و(معركة مناعة) في (19جويلية 1958م)، و(معركة قلتة الرّمال) في (01 أوت1958م)، و(معركة وجه الباطن) في (08 مارس 1959م)، التي جرح فيها جروحا خطيرة وعولج بالمكان المسمّى (الطريفية) قرب (أمجدل)، وقد كان معه (لقليطي) رفقة الممرّض (السّاسي الحاج) ومكثوا قرابة شهرين، أين كان (سليمان لكحل) يعطي الأوامر وهو جريح...".

أمّا المجاهد (زروال بلقاسم)، فيقول في مذكّراته (فرسان في الخطوط الأولى) بأنّه «عرف (الرّائد سليماني سليمان) يوم التّحاقه بفوج (ساعد بوحوص) حينها كان برتبة (ملازم أوّل)، وما أثار انتباهه شدّة تحمّسه للقتال، فهو من القادة الّذين يجعلونك تستمع لحديثهم بشغف، وتنقاد لحديثهم بسهولة، مقدام لا تثنيه المصاعب يتقدّم الصّفوف الأولى ويخوض المعارك ببسالة، ورغم الظّروف الطّبيعية القاسية وقلّة الامكانيات القتالية، فقد كان لا يعرف غير الانتصار في المعارك ممّا أهّله ليكون محل إعجاب قادته من بينهم القائد (عمر إدريس)»، وفي هذا الصّدد يروي المجاهد (معيزة يحي) أنّه «في بداية (1959م) كان آخر لقاء بين القائد (عمر إدريس) وجيش التّحرير الوطني في ناحية(بحرارة)، فقد طلب أن تؤخذ له صورة تذكارية هناك ليقوم (الطيب فرحات) بإلقاء خطاب حماسي حول دورهم في مواصلة محاربة الجيش الفرنسي، وأثناء مكوثهم بـ(بحرارة)، قام القائد (عمر إدريس) بإعادة هيكلة المنطقة الثّانية من الولاية السّادسة؛ حيث قلّد الرّتب على القادة ووزّعوهم على النّواحي، فأصبح (سليمان سليماني) مسؤولا عن النّاحية الأولى وأصبح (ثامر بن عمران) مسؤولا عن النّاحية الثّانية رفقة الملازم الأوّل (لزهاري بن شهرة) كمسؤول سياسي، بالإضافة إلى المجاهد (فلوسي) مسؤول الاتّصال والأخبار».

"كان (الرّائد سليماني سليمان) أحد المشاركين في إعدام قائد الولاية السّادسة (الطيب الجغلالي) في (29جويلية 1959م) بـ(جبل قعيقع) رفقة (علي بن المسعود)، و(محمّد شعباني)، و(محمّد بوصبيعات بلقاضي)، وتعود أحداث هذه الواقعة بتحفّظ قادة المناطق المذكورين، على قائد الولاية السّادسة بعد اكتشافهم رسائل بين (الطيّب الجغلالي) وشيخ (بلدية العامرية الفرنسي)، فقرّروا التّخلّص منه بمعيّة رفاقه بتهمة العمالة مع العدو، فأعدم القائد (الطيّب الجغلالي) ورفاقه بواسطة (بندقية رشّاشة)».

تذكر بعض الشّهادات أنّ شّخصية (سليمان سليماني) تعدّ الأكثر إثارة في تاريخ الثّورة الجزائريّة المجيدة؛ حيث قاد معارك حاسمة وساخنة ضدّ العدوّ الفرنسي في المنطقة السّادسة وكان دائما مميّزا في قيادته للمعارك، ويعرف جيّدا كيف يخرج منها منتصرا، فلفت انتباه قادة الجيش الجزائري والفرنسي معًا، وتعد (معركة الثّلجة) التي وقعت بتاريخ (21 ديسمبر 1960م) بمنطقة (البسباسة) بـ(ولاية الجلفة)، وتذكر مصادر أخرى أنّها كانت بتاريخ(21جانفي 1960م) من أهم المعارك التي خاضها، وأصيب فيها بشظايا قنبلة بظهره وبجروح بليغة ليتمّ نقله إلى (مستشفى بن سرور) بـ(ولاية المسيلة)؛ حيث استقبله طبيب الولاية السّادسة (محمّد الشّريف خير الدّين) وعالجه ليعود بعد تماثله للشّفاء إلى أرض المعارك، بعد أن اعتقد الجميع أنّ (الرّائد سليماني سليمان) الّذي كان محل بحث وترصّد آنذاك من طرف جيوش فرنسا وعملائها أمثال (حركة بلونيس)، قد انتهى إلى الأبد.

دارت وقائع هذه المعركة قرب دار الشّيوخ تحت قيادة (الرّائد سليماني سليمان) مسؤول المنطقة الثّانية، رفقة عدد من المجاهدين منهم (بلقاسم لقرادة)، (مخلوف جاب الله)، (الطاهر الرّق)، (بلقايد الطاهر)، (بودخيل سارية)، (وزاغز بلقاسم)، وتمثّلت قوات جيش التّحرير في كتيبتين من مجاهدي النّاحية الأولى والثّانية وفرقة أخرى من مكتب المنطقة.

قاد هذه المعركة بكل بسالة وحنكة رفقة نائبه (بلقاسم قرادة) في (21جانفي 1960م)؛ حيث بلغ عدد المجاهدين (150) مجاهدا بأسلحة فردية، أمّا قوات العدو الضّخمة فقد فاق عددها (5000 جندي) مدجّجة بالطّائرات ومدافع وأسلحة فردية، وما ميّز يوم المعركة مثلما أشار إليه (بلقاسم زروال) في كتابه (فرسان في الخطوط الأولى)، سقوط ثلوج كثيفة جعلت مواقع الثّوار تنكشف ويتم تحديدها من قبل الطّائرات العمودية التي كانت تجوب السّماء، فاستبدل العدو هجوم المشاة بهجوم كاسح بالمدفعيّة والطّائرات المقنبلة، فدكت المكان بكل أنواع القذائف وأمطرته بالنّبالم ليتحول إلى جحيم لا يطاق، وبالرّغم من الفارق الموجود إلاّ أنّ رفقاء (الرّائد سليماني سليمان) قاوموا بكل بسالة، وقتلوا عددا كبيرا من جنود فرنسا، وأسقطوا طائرة، وتمّ حرق مجموعة من الشّاحنات، وسقط في هذه المعركة أكثر من (عشرين) جريحا وفاز بالشّهادة (57) مجاهدا، ويروي (المجاهد رابح تينة) في مذكّراته (شهادات ووقائع من تاريخ الثّورة التّحريرية الوطنيّة)، وقائع هذه المعركة قائلا «أنّ (معركة الثّلجة) وقعت بـ(جبل قعيقع) في(21 ديسمبر 1960 م) بمنطقة (البسباسة) بـ(ولاية الجلفة)؛ حيث باغتت القوّات الفرنسيّة الكتيبة التي كان يقودها (الرّائد سليماني سليمان)، فقد كشف الطّيران تواجدهم في المنطقة حينها لم يكونوا متمركزين جيّدا كما هي تقاليد الحرب أثناء مواجهة الطّيران العسكري، والأهم من ذلك أنّهم كانوا منهكين من التّعب، فقد استشهد في هذه المعركة خيرة قادة المنطقة الثّانية منهم (الملازم الأوّل حشايشي أحمد)، و(الشّهيد أحمد زرزي)، و(الشّهيد لقرادة بلقاسم)».

في هذه المعركة جرح(الرّائد سليماني سليمان) جروحا بليغة؛ حيث أصابته شظية قنبلة في ظهره، ونقل من طرف (المجاهد رابح تينة) رفقة المجاهدين (الطّاهر الرّق) والمجاهد (عكروط المختار) إلى مستشفى موجود قرب (جبل فزنا) المعروفة بمنطقة

(اضحاوي)، وهو مستشفى في قبو يقع شمال شرق

(بن سرور) (ولاية المسيلة) حاليا، وللإشارة أنّ جرح (المجاهد سليمان لكحل) كان خطيرا جدّا، إضافة للمسافة الطّويلة جدّا؛ حيث تطلب منهم التّوقّف كلّما اشتد الألم حتّى وصلوا إلى المستشفى فجرا، والّذي كان يتواجد في مكان غامض حوله الأشجار، استفسروا الحارس الّذي ساعدهم على الدّخول؛ حيث استقبلهم طبيب الولاية السّادسة (محمّد الشّريف خير الدّين)، وكان يشرف على إدارة المستشفى في تلك الأيّام، ولدى دخولهم هناك وجدوا ما يقارب الخمسين جريحا».

ويقول (الأمين الولائي للمنظّمة الوطنيّة للمجاهدين) (مخلط مختار): «أن تاريخ الولاية السّادسة يشهد للرّائد سليماني سليمان بالحنكة العسكريّة، وبقدرته الفائقة في إدارة المعارك ضد قوات العدوّ الفرنسي وبقهره لأتباع الخائن (بلونيس) بالمنطقة الثّانية، فالرّجل لم تنقطع معاركه منذ (1956م) بالمنطقة، ونذكر منها كشواهد للتّاريخ: منها (كمين ضاية الفرس) في (25جانفي1957 م)، و(معركة بودنزير) في (29مارس1958م)، و(معركة جبل مناعة) في(9جويلية 1958م) و(معركة قلتة الرّمال) في (1أوت 1958م)، و(معركة وجه الباطن الأولى والثّانية) في (9مارس1959م)، و(معركة البسباسة) في(21 جانفي 1960م) و(عمليّة مركز بومهيدي) في (نفس الشّهر عامّ 1962م)».

ومن المعارك التي خاضها كذلك معركة (فايجة بحرارة) قرب مدينة (الجلفة) في يوم (25 ديسمبر من عامّ 1958م)، وفي أواخر (سنة 1960م) حضر معركة (النّسافة) بـ (أولاد سليمان) مع (العقيد محمّد شعباني) ودامت هذه المعركة يوما كاملا، وفي (شهر جانفي 1962م) زحف(المجاهد سليماني سليمان) على رأس كتيبة على (مركز بومهدي)قرب (أمجدل) وقضى على كثير من الحركة وغنم أسلحتهم.

ويذكر شهود عيان أنّ (الرّائد سليماني سليمان) استطاع لوحده، وبفضل قوّة قراراته، ومكانته وكلمته المسموعة آنذاك من إفشال محاولات الانقلاب ضدّ (الرّئيس هواري بومدين). وكانت لمسات هذا الرّجل في الدّفاع عن (الجزائر) واضحة وملموسة، من خلال الفيلق الّذي قاده نحو (الحدود المغربيّة) إثر أزمة الحدود.

أهم المسؤوليات التي تقلدها:

- قائد الكتيبة الأولى من سنة (1957م) إلى (1958م).
- مسؤول النّاحية الأولى من (1958م) إلى (1959م).
- ضابط أوّل عسكري، ومسؤول المنطقة بالنّيابة من سنة (1959م) الى (1961م).
- عيّن بعد الاستقلال على رأس فيلق عسكري إثر أزمة الحدود مع (المملكة المغربيّة).
- عيّن قائدا للقطاع العسكري لولاية (المدية) ثمّ القطاع العسكري لولاية (الشّلف)، ثمّ أحيل بعدها على التّقاعد.

توفي (الرّائد سليمان سليماني) يوم (28 ديسمبر 1980م)، إثر حادث مرور ببلدية (عين الذهب) ولاية (تيارت)،رحمهاللّه وأسكنه فسيح جنانه.

نسيمة لوح

المصادر:

- https : //www.Sabqpress.dz

■ سوفونيزب: سافان بعل (235ق.م - 205ق.م)

يبدو أن الأميرة سوفونيزب، لم تحظ بكتابات تاريخية وافرة، لكنها في المقابل حظيت بمؤلفات تراجيدية ومسرحية ولوحات فنية إلى جانب أفلام وثائقية، ركزت في مجملها على تضحيتها من أجل حبها لوطنها. لذلك نجد أن معظم المصادر التّاريخية التي أرخت للحروب البونية ذكرتها باختصار شديد، ولم تفصل كثيرا عن حياتها ونشأتها.

وفق الكتابات التّاريخية، عُرفت الأميرة سوفونيزب بـ «الأميرة المُضحى بها»، كونها رمزا للتضحية من أجل الوطن، حيث عاشت في القرن الثّالثّ قبل الميلاد. وهي أميرة قرطاجية، بل أميرة مملكتين اسم والدها هازدروبل، لواء الحرب البونية الأولى. ولدت سنة 235 قبل الميلاد، تنتمي إلى عائلة أرستوقراطية، تلقت تربية أرستوقراطية نوعية كونها ملمة بالآداب والموسيقى علاوة على تميزها بالسّلوك المتحضر وروح التّسامح، بخاصة وأنها تتمتع بالجمال الطبيعي. حسب ما وصفه المؤرّخ الإغريقي تيودور صقيليا.

سوفونيزب أو سافان بعل الذي يعني: «المحمية من طرف الآلهة بعل»، وتعرف

أيضا باسم بربري هو: «سوفي»، وحسب المؤرّخ عبد العزيز فراح يدل اسمها على «الآلهة سافون»، كإحدى الإلهيات الفينيقية. تزوجت مع سيفاكس ملك نوميديا سنة 205 – 206 قبل الميلاد، استجابة لطلب والدها الذي استهدف تحقيق مصالحة بين نوميديا وقرطاجة، في الوقت الذي تصالح فيه ماسينيسا مع الرّومان. لما وقعت حرب شرسة بين سيفاكس وماسينيسا سنة 203 قبل الميلاد، سُجن سيفاكس من طرف سيبيون، ليحتل ماسينيسا سيرتا وقد توجه بعد ذلك مباشرة نحو القصر الذي تتواجد فيه سوفونيزب زوجة سيفاكس التي كانت خطيبته سابقا، وألقى القبض عليها مما جعلها تتوسل إليه مخاطبة إياه – حسب ما أورده تاتل لايف (Title Live) في مؤلفه-: "لقد جعلتك الآلهة وشجاعتك وثروتك سيد مصيري لكن إن سُمح لأسيرة أن تقرر بين موتها أو حياتها أقسمت عليك بالمملكة التي كنا آنفا محاطين بها باسم نوميديا التي تجمعك مع سيفاكس وبقداسة هذا القصر بمسامحتي، وهي خطوة تقررها بنفسك حول مصيري؛ ومهما تكن قراراتك حول مصير أسيرتك، أرى أنه يُسمح لأسيرة مثلي بتقرير مصيرها من الوقوع أسيرة بين أيدي الرّومان، وإن لم أكن زوجة سيفاكس، كنت دائما أفضل إيمان أمير نوميدي ولد في أفريقيا مثلي عن شخص آخر أجنبي؛ لكنك تعي جيدا ما تؤمن به أميرة قرطاجة ابنة الجنرال هازدروبال، التي يتوجب عليها الاحتراس من الرّومان، لذلك إن كان الموت هو الذي ينجيني من الوقوع أسيرة بين أيديهم أرجو منك منحها لي.» (Mostéfa Khiati، 15)

طلب سيبيون إحضار سوفونيزب بدلا عن معاقبة سيفاكس، الذي فضل إبقاءه حيا من أجل إمداده بمعلومات وافية، في الوقت الذي طلب فيه من أوليوس سلب سوفونيزب من ماسينيسا وإحضارها أسيرة وإلحاقها ببقية الأسرى الرّومان الذين تم القبض عليهم، لكن يبدو أن ماسينيسا قد أبدى رفضه مبدئيا، ولما أصر سيبيون على إحضارها، طلب ماسينيسا من حراسه تطويق الأميرة سوفونيزب بحراسة مشددة قبل إرسالها إلى الملك الرّوماني، لكن يبدو أنه التّقى بها سرا ليمنح لها كوبا من السّم الذي تجرعته لتسقط ميتة، وقد استجاب لطلب منحها الموت عن حملها ذليلة أسيرة زاحفة نحو العدو؛ لذلك لم تُحمل سوفونيزب حية أسيرة إلى الرّومان كما أراد سيبيون، لكن تم حملها ميتة، وخصص لها جنازة ملكية سنة 203 ق.م. (Mostéfa Khiati، 15 – 16).

ذكر (Title Live) الذي يعد المصدر الوحيد لكل ما كُتب عن شخصية سوفونيزب منها 14 كتاب و14 مقطع موسيقي، فيلمين سينمائيين ولوحة فنية واحدة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، ذكرها بريتارك في مؤلفه «أفريكا، الكتاب الخامس 773»: تريسين سوفونيزبا، 1515) والتّي ترجمت إلى تراجيديا؛ وفي سنة 1631 ألف بيير كورنيل تراجيديا موسومة ب: "سوفونيزب"،....

التي ألفها انطلاقا من الأعمال الفنية والدّرامية. كما ألفت عدة مؤلفات أهمها كتاب غابريال غامبس باللغة الفرنسية موسوم ب: «أفريقيا الشّمالية الأنثى: بطلات المنطقة المغاربية والصّحراء»، إلى جانب 14 أوبرات بدءا من سنة 1720 إلى سنة 1736؛ وفيلمان سينمائيان هما: كابريا: سنة 1914، جسدت شخصية سوفونيزب الممثلة الإيطالية ألمرانت أنزيني. وفيلم سينمائي آخر موسوم ب «سيبيون: الأفريقي»، سنة 1937.

كما أنتج المخرج الرّاحل عبد الله تواهمي شريطا وثائقيا عن شخصية سوفونيزب موسوم ب: «سوفونيزب أميرة سيرتا المُضحى بها»، إنتاج مؤسسة «كنيبل بل فيلم»، ومن تمويل وزارة الثّقافة سنة 2019، باللغة الفرنسية مع إلحاق اللغة الأمازيغية ضمن التّرجمة المرافقة للشريط. وذلك بمشاركة عدة مؤرّخين وباحثين عبر القطر الجزائري منهم مركز البحث العلمي والتّقني في علم الانسان الاجتماعي والثّقافي، الكراسك، المحافظة السّامية للغة الأمازيغية والمركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التّاريخ علم الانسان والتّاريخ، تتخللها مشاهد تمثيلية تراجيدية عنها، تم عرضه في فعاليات أسبوع الشّريط الوثائقي أيام 12– 17 مارس من سنة 2022 بالجزائر العاصمة.

نجاة لحضيري

المصادر:

- Mostéfa KHIATI. (2020). «Femmes ayant marquées l'histoire de l'Algérie»، Alger: ANEP éditions.
- Wikipédia
- Haut–Commissariat à l'Amazighité: « Le royaume de Massaysil، Syphaxe et la rencontre de Siga 206 av.jc »، ouvrage sur les actes de colloque، Ain Temouchent، 22– 23 et 24 septembre 2018، éditions ENAG، 2019.

■ سي التلي بن بلكحل (و:1389ه - 1790م)

هـو سـي التلـي بـن بلكحـل بـن قريدة» ينتمي إلى عرش أولاد سـي أحمد من سلالة أولاد نايـل ولد بالتقريب عام 1790 في عائلة علم وتقـوى، والده «الأكحل» كان شـيخا علـى عـرش أولاد سـي أحمـد، وبعـد وفاة والـده تولـى التلـي رئاسـة العـرش، عايـش الأتـراك ودخل قصورهم وصـارت تربطه بـ «يحـي آغا « قائد الجيش العثماني بالجزائر صداقة متينة لذا اكتسب حنكة كبيرة ساعدته على قيادة الرّجال وتسيير المعارك فيما بعد.

وإثـر الاحتـلال الفرنسـي علـى الجزائر سـنة 1830 تغيـرت الأوضـاع وبـرزت إلـى الوجـود المقاومات الشّـعبية وفـي مقدمتها مقاومـة «الأمير عبد القادر الجزائري»، أين تم تعيين الشّيخ عبد السّلام بن القندوز شيخ أولاد لقويني قائداً علـى أولاد نايل في بداية الأمـر قبـل أن يُسـلم المهام إلى ابـن اخيه « الشّـريف بلحرش» كما عين لكلّ قبيلة شيخ وكان مـن بينهـم «التلي بن بلكحل» شـيخا على أولاد سـي أحمـد وكان ذلك في حدود سنة 1836م.

ومما تـداول عن مآثره أنه كان متفوقا في الأدب والفقـه والتوحيـد والحكمـة، يشـهد لعائلتـه بعلـو المكانة حيـث كانـوا يجوبون المـدن والزوايـا ويدرِّسـون القـرآن الكريم وأصـول الديـن، عُـرف بالنبـوغ فـي العلـم الصّحيـح والتقـوى والشـجاعة لا تحركـه الأهـواء وردود الأفعـال، ذو وعـي سياسـي لا يسـتهان بـه وحنكـة فـي تسـيير المعـارك له شـهرة كبيرة بيـن عروش الاربـاع وأولاد سـيدي نايل، وشـاعر يضرب به المثل، كان يشـرف بنفسـه على تنظيم الصّفوف وتوزيع المهـام على الفصائـل الدفاعيـة والهجومية للمجاهدين من أتباعه.

من بين التنظيمات التي اشـتهر بها البطل بين عروش التـل والصحراء ما كان يُعرف بـ « عقـد التلـي بن بلكحـل»، وكانت تضرب به الأمثال خاصة عند سـكان الجنوب، نظراً لتشـكيلاته البديعة فـي ذلك الزّمـان، والتي توحـي بحسـن التنظيـم، ويتمثـل العقـد في موكـب الإبـل المحملـة بالنسـاء والمؤونـة والخيم وتتبعه قطعان المواشـي، أما فصائل الفرسـان فقد كانت تبدو على شـكل أجنحة ميمنـة وميسـرة ومقدمـة ومؤخـرة بينما كان القائد « التلي بن بلكحل» يتقدم الرّكب في كوكبة من الفرسان حاملا راية الجهاد.

التلي بـن بلكحل شـخصية عظيمة ثارت ضد الاسـتعمار الغاشـم، شـخصية لم تهدأ ولـم تستكن والمسـتعمر على أرض الوطن، إنهـا شـخصية مقـاوم بطـل لـم ينـزل مـن علـى حصانـه حتى وافتـه المنية وهـو يقارع الاسـتعمار فـي نواحـي الجلفـة، الاغواط، ورگلة وتگرت.

هـذا الرّجـل الـذي لـم يسـجل التاريـخ لـه إلا القليـل فـي قصائـد قديمـة تحمل في طياتهـا مواقفـه التاريخيـة، كأحـد أبطـال أولاد نايل، شـاع خبره وكثـر الحديث حوله عبـر الذاكـرة الشّـعبية والمذكـرة الفرنسـية والمقررات العسـكرية، عن مسـيرة خاضها برفقة الغيورين على هـذا الوطن من صانعي ملحمـة تاريـخ أبطـال الجزائـر عندمـا قـدم الأميـر إلـى المنطقـة وأعلـن الجهـاد ضـد المحتليـن، كان التلي في مقدمـة المقاتلين، وكان يوفـر الحماية والدعـم لجيش الأمير، ومـن بيـن أهـم الحـوادث فـي شـهر أوت 1845 مداهمة القوات الفرنسـية لعرش أولاد سـي أحمد والسـكان المجاوريـن لهم، أين اسـتولت القـوات الغاشـمة على المواشـي ونهبـت الحبـوب، وعلـى إثـر هـذه الحادثة ثارت العروش المجاورة من أولاد أم هاني، وأولاد سعد بن سالم، ونادوا بالجهاد تحت قيـادة «التلـي بـن بلحـكل»، والمعروفـة تاريخيـاً بانتفاضـة «التلـي بـن بلكحـل»، وداهموا معسـكر العـدو بالزعفـران، وقتلوا منهـم الكثيـر، ثـم اتجهـوا نواحـي مسـعد، وفـي طريقهـم تشـابكوا مـع دوريـة للعدو، هزموها وقتلوا الكثير واستولوا على السّلاح والذخيرة.

ويمكن القـول إنّ أول ما انتظم في منطقة الجلفة دولة الأمير عبد القادر في أرقى شكل لها، فقد قسّـم دولتـه إلى ثمانـي مقاطعات، حيث اعتبرت منطقة الجلفة المقاطعة الثامنة والتي ترأسـها كأحد نواب الأمير «سي عبد السّـلام بن القنـدوز»، ثـم تولاهـا فيما بعد ابن أخيه « سي شـريف بن لحرش»، ونظم الامير منطقة الجلفة إلى سـت مناطق فرعية قام عليها أشـخاص هم زعماء القوم، أبطال محاربون وشيوخ زوايا.

ومـن بيـن العوامـل التـي شـكلت القوة والعلاقـة بين الأميـر والمنطقة هـي الانتماء الثقافـي الدينـي إلـى الطريقـة الرّحمانيـة المسـاندة للطريقـة القادريـة بالإضافـة إلـى الإمكانيـات الماديـة، خيـول ليس لهـا مثيل وثـروة ورجـال وشـجاعة بـكل تركيباتهـم كوحدة متّحدة ذات أخلاق وأهداف موحّدة وجهد مشـترك خاضوا معـارك مع الأمير في الشّمال وداخل الولاية.

تجـول البطـل « التلـي بـن بلكحل» مع جيش الأمير أو العاصمة المتنقلة «الزمالة» شـرقا وغربـا، وكان يوفـر الحمايـة والدعم لجيـش الأميـر في حلّـه وترحاله، ففي سـنة 1845 رافـق الأميـر عبـد القـادر إلى سـيدي بوزيـد ومن ثـمّ إلى قعـدة القمامتـة، مخلدا كلمتـه الشّـهيرة التـي ترددهـا الأجيـال إلى يومنا هذا « العرب قع خالفة» وفي طريقهم مـروا بقصر زنينة أيـن تلقاهم أهلهـا بحفاوة الترحـاب وزوّدوه بالمؤونـة والذخيـرة، وصلـى بهم الأميـر وطلبوا منـه الدعاء، وقد دعا لهـم بدعائـه الـذي تناقلتـه الرّوايات « اللهم اعط لهذا البلد بركة جبلين»

كان للبطـل برفقة الأمير عبـد القادر عدة معـارك نذكـر مـن بينهـا معركة «واد يسـر» فـي 05 فيفري 1846، والتي تكبـد فيها العدو خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد. ومعركة «واد السّـبع» فـي 07 فيفـري 1846، تليهـا فـي 13 مـارس من نفس السّـنة معركة «عين الكحلة» وفي 22 مارس اشـتباك قرب مدينة زنينـة، ثم إلـى نواحـي بوكحيل أيـن التحق بالأميـر والتحقـت بهـم جمـوع مـن أبطـال الأرباع بقيادة «أحمد بن سالم بن دهقان»

وفي 6 أفريل 1846 وبعد اشتباك مع قوات فرنسية كانت تتابع أثر الأمير انسحبت على إثره مهزومة، انقسمت قوات المجاهدين على قسمين فرقة بقيت مع الأمير وفرقة اتجهت إلى الغرب باتجاه جبل العمور بقيادة «التلي بن بلكحل» أين التقوا مع «محمد بن عبد الله" شريف ورگلة قرب الگرارة، ومن ثم اتجهوا الى نواحي بريان وفي طريقهم حدثت أكبر معركة تكبد فيها العدو خسائر جسيمة خاصة في الأرواح.

وفي شهر جانفي 1851 تشابك «أحمد بن سالم بن دهقان» (شيخ الحجاج) مع قوات العدو في مدينة «بن داقين» قرب الأغواط والتحق به «التلي» لنجدته وكان معه نفر من أولاد سي أحمد، أولاد لعور، أولاد يحي بن سالم، وأولاد أم هاني، وفرق من الأرباع التابعة للمقاوم « بن ناصر بن شهرة».

وكانت معركة كبيرة انتهت لصالح «أحمد بن سالم» وللمجاهدين معركة وصفها أحمد بن سالم في قصيدة وإثرها كتب « ليبراي» للحاكم العام الفرنسي أن أعيان الأغواط متواطؤون مع المجاهدين.

وفي شهر جوان 1852 كان التجمع الكبير لمقاومي أولاد نايل بقيادة التلي بن بلكحل بقصر الحيران قرب مدينة الاغواط، وكان هذا التجمع في انتظار قدوم شريف ورقلة «محمد بن عبد الله».

وفي جويلية 1852 التحق بالوفود «الشريف بن عبد الله» و»بوشوشة» و»شيخ الشّعانبة»، و»سي الزّوبير» قائد أولاد زكان من قرية سيدي الشّيخ مع الكثير من المجاهدين وأبطال الأرباع بقيادة «أحمد بن سالم»، واتجهوا إلى منطقة الأغواط الثائرة ضد الاستعمار وكان في انتظارهم البطل «يحي بن معمر» مع شباب المدينة.

وفي 4 ديسمبر 1852 كانت معركة الأغواط الشّهيرة من أكبر المعارك الشّعبية أبلى فيها «التلي بن بلكحل» مع جيشه البلاء الحسن حيث سمّاها أهل المنطقة بـ»عام الخلية» لما شهدته من مجازر رهيبة ارتكبها العدو في حق الأطفال والشيوخ والنساء وأحرق فيها الكثير في الأكياس «الشكاير» وبهذا الصّدد قال العقيد الفرنسي «ثيودور بان Theodore Pein ".. لقد وجدنا من بين الأموات الكثير من أولاد نايل.."

في شهر جانفي من عام 1854 ظهر البطل في معركة برفقة «أحمد بن سالم بن دهقان» قرب تگرت، وحينها جرح وألقي عليه القبض من طرف «سليمان بن علي" قائد تگرت، كما ألقي القبض على رفيقه «أحمد بن سالم «، الذي جاء لنجدته، مكثا إلى أن خلصتهما زوجة قائد تگرت، والتي كانت من عرش الحجاج ولديها الرّوح القبلية، فراحت تغري الحراس بالمال ليسهلوا لهما الفرار من السّجن، ولما سهل لهما الفرار كانت تنتظرهما كل من معركة «عين النّاقة» برفقة أولاد ملخوه، لتليها معركة «جبل كبرتين»، ثم معركة «حاسي الفتاح»

وفي 15 جانفي 1854 شنّ "التلي بلكحل" مع أتباعه هجوما على جيش المستدمر الفرنسي بالقرب من «تماسين» وأصيب الشّيخ البطل أثناء هذه العملية إصابة بليغة أسرعلى إثرها، وبعد مدة من الاعتقال أصدر الحاكم العام عفوا في حقه نظراً لتقدمه في السّن مع فرض الإقامة الجبرية، وفي تلك الفترة وصفه «لخضر بن حرفوش» (رفيقه وكاتبه) بقوله « تخلى عنه رفاقه وتشتت أنصاره وبقي وحيدا آخر حياته»

وهكذا ضاقت السّبل بشيخ المقاومين إلى أن وافته المنية غرقاً في «واد الحاجية» كما ورد في بعض الرّوايات..

بوعمارة بوعيشة

■ سي الخضر ميهوبي
(و: 1342ه - 1923م)

شهيد الوطن سي الخضر ميهوبي من مواليد 18 ديسمبر 1923 بقرية سيدي ابراهيم بدائرة المنصورة ولاية برج بوعريريج حاليا، هذه القرية الصّغيرة في حجمها كانت عظيمة في كفاحها وجهاد أبنائها، إذ كانت في صدارة الأحداث منذ أن دنست أقدام الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر الطّاهرة.

لقد ضرب ابناؤها عبر الحقب التاريخية أروع الأمثلة والفداء من أجل عزة الجزائر والذود عن سيادتها رغم ضآلة إمكاناتها وقلة عدد سكانها، غير أن ذلك لم يكن حائلا أو مانعا أمامها من أجل مواجهة الواقع واستطاعت بما تملك من الارادة والايمان مجابهة الصّعاب وتوفير سبل العلم والمعرفة أمام ابنائها، وتجسد ذلك في بناء مدرستين ابتدائيتين من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أنجبت رجال علم وسياسة أمثال المرحوم الشّيخ السّعيد البيباني والمرحوم العربي سعدوني الوزير السّابق للشؤون الدّينية وغيرهما من شباب القرية الذين سيكون لهم شأن أثناء الثورة التحريرية، هذا فضلا عن أنها قدمت أزيد من 300 شهيدا فداء للجزائر نشأ شهيدنا سي لخضر نشأة عادية مثل بقية أقرانه من أبناء الشّعب الجزائري، تربى وترعرع في أحضان الطّبيعة الفلاحية باعتباره

ينتمي إلى عائلة تمتهن الفلاحة وتربية المواشي بالطرق التقليدية فتمرس على الشّدائد ومجابهة الصّعاب منذ صغره، تعلم في بداية عهده مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسه بمدرسة القرية، لكن نظرا للظروف العصيبة التي كانت آلت إليها عائلته بسبب الاحتلال الفرنسي للبلاد، أجبر كغيره من عامة أبناء الشّعب على ترك مقاعد الدّراسة وهو لم يتخط بعد العقد الثاني من عمره، فما كان عليه سوى الالتحاق بالعمل إلى جانب اخوانه في فلاحة الأرض البسيطة التي تملكها عائلته لضمان لقمة العيش في حدها الأدنى، واشفاقا من والده أبعده عن العمل الفلاحي الشّاق المضني، وأرتا تغيير مجال العمل حتى يتناسب مع قوته واحتماله، بيد أنه ونظرا للظروف التي كانت عليها البلاد يومئذ فقد أجبر الشّهيد علي مغادرة أرض الوطن والاتجاه نحو فرنسا بحثا عن العمل من جهة وهروبا من التجنيد الاجباري الذي استدعي إليه، وبأرض الغربة قضى فترة من حياته عمل خلالها وتحسنت أحواله المادية نوعا ما وعاش جوا مغايرا لما ألفه بأرض الوطن، حيث تفتحت قريحته على المحيط وتمكن من الاطلاع علي مجريات الحياة ومباهجها، فأدى ذلك إلى تمكينه من بلورة أفكاره ونما وعيه مما ساعده علي الاندماج أكثر في المتجمع الغربي رغم تعقيداته.

هذا وكان الشّهيد قد أكمل نصف دينه قبل أن يهاجر إلى فرنسا في منتصف الأربعينات الذي جعله يظل مرتبطا أيما ارتباط بعائلته ووطنه، والبحث عن السّبل الممكنة لتوفير أسباب الحياة الكريمة لأسرته الصّغيرة ولبلده بصفة أعم.

في النّصف الثاني من الأربعينات انضم الشّهيد سي لخضر إلى صفوف حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية بأرض المهجر، وهيكل بأحدى الخلايا هناك والمشكلة من العمال المهاجرين فاحتك بأقرانه من مختلف أنحاء الوطن من الذين كانوا يشاطرونه نفس الأمال والألم، وأظهر الشّهيد منذ وقت مبكر مدى تعلقه بالوطن وبالنضال من أجله، وبرزت بشكل واضح قدرته على التعامل مع الوقائع والأحداث التي تنوء بها السّاحة آنذاك بوعي وتبصر وتميز بين رفاقه المناضلين بتعلقه وحرصه الشّديد بمبادئ الحزب، حيث ظهر ذلك واضحا في نشاطه الدّؤوب من أجل نشر وترسيخ أفكار الحزب ومبادئه وسط العمال المهاجرين، الذي أنساه التفكير في أسرته وهذا من شدة اهتمامه الزائد وتعلقه بقضايا الوطن، وقد أدى ذلك حتى لتوقفه عن العمل ويتفرغ لعمله النّضالي ويكتفي بالعيش من المنحة التي كانت تعطى له تعويضا عن الضّرر الذي لحق به نتيجة عدم اصابة عمل، وقد بلغ به الأمر إلى درجة أنه أقدم على بيع منحته حتى يتسنى له شراء قطعة سلاح وإدخالها لأرض الوطن لاستخدامها عند الضّرورة.

أقام الشّهيد بأرض الغربة ما يقرب العقد من الزمن، عاش خلالها كل مراحل الصّراع التي طبعت الحياة السّياسية يوم ذاك، سواء على مستوى الصّراع مع العدو أم داخل الحركة الوطنية وفي شهر اكتوبر من عام 1954 عاد الخضر إلى أرض الوطن، واصطدم كغيره من المناضلين بالصراع العقيم داخل صفوف حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية - اللجنة المركزية والمكتب السّياسي واستقر من جديد بمسقط رأسه وظل يتابع تطور الأوضاع من بعيد، بيد أنه كان في قرارة نفسه أكثر عزما وإرادة على متابعة النّضال والكفاح من أجل نصرة القضية الوطنية التي دفع جزءا مهما من حياته من أجلها سواء داخل الوطن أم خارجه ومكنته من التعرف على أساليب التوعية والتنظيم، واكتساب المهارات التي ساعدته على كسب الخبرة وتطوير عمليات المواجهة مع العدو.

إن نشاطه هذا قد لفت نظر مصالح أمن العدو سواء بفرنسا ثم متابعته أيضا حتى داخل أرض الوطن، ولذلك لما عاد لأرض الوطن تم اعتقاله بعد 3 أشهر فقط من عودته من قبل الدّرك الفرنسي بمنزل أسرته الواقع في أطراف قريته واقتادوه إلى مقر الحاكم العام «مجانة» بضواحي برج بوعريريج، حيث تم وضعه في الحجز الاداري وذلك لمدة أزيد من شهر، تعرض خلالها لشتى أنواع القهر والتعذيب النّفسي والجسدي بشكل يعجز القلم عن وصفه، حتى أن حالته هذه شكلت مصدر خوف وإرتياب لوالده الذي سعى بكل ما يستطيع من أجل إطلاق سراحه، وقد تمكن بعد مجهود شاق من فك أسره بعد المساعدة التي قدمها له أحد قياد المنطقة هو المرحوم محمد البشير شيبان.

بعد خروجه من الحجز الاداري بمقر الحاكم «بمجانة» عاد سي لحضر الى منزل أسرته وهو أكثر عزما وارادة على متابعة النّضال والسير في الطّريق الذي ارتضاه عن وعي وروية واستأنف من جديد نشاطه الدّعائي للقضية الوطنية المقدسة، خاصة وأن الثورة كانت انفجرت عبر ربوع الوطن وبدأت انتصارات جيش التحرير على العدو تتداول بين النّاس، فائبرى الشّهيد يعمل في كنف السّرية متخذا من منزل أحد وجهاء المنطقة وهو حمى والحاج منطلقا لنشر افكار الثورة وتحضير القواعد المادية لها عبر النّاحية، ثم توسع نشاطه تدريجيا وبما تقتضيه الظروف عبر اقليم المنصورة

واستطاع خلال هذه المرحلة من انشاء مركزين استراتيجيين بالجهة، ساعدا إلى حد كبير على تثبيت أركان الثورة ومد جسورها عبر الجهة تباعا.

التحق الشّهيد بصفوف الثورة المسلحة خلال شهر فبراير أو مارس 1955 بصفة جندي ونظرا لما كان يتمتع به من خصال أخلاقية ونضالية حميدة فقد تسلق سلم المسؤولية بسرعة، حيث ما إن حلت سنة 1956 حتى صار الشّهيد محافظا سياسيا للقسم الخامس النّاحية الثانية المنطقة الأولى الولاية الثالثة حيث وظف كل قدراته الفكرية والتنظيمية من أجل ضبط نظام الثورة وتطويره بما يستجيب وتطورات الثورة التي عرفت هي الأخرى تطورا مضطردا.

وهكذا ونظرا لخبرته التنظيمية ارتقى في عام 1957 إلى سياسي النّاحية الخامسة من المنطقة الأولى حيث قام بعدها بمجهود معتبر في ميدان الدّعاية والتوعية وتحصين السّكان من ادعاءات العدو وظل كذلك يواصل جهاده بروح لم تعرف الفتور أو الوهن إلى غاية عام 1959 أين اصبح مسؤولا عاما للناحية الخامسة من المنطقة الأولى الولاية الثالثة ليوظف من جديد خبرته وحنكته في الميدان لمواجهة آلة العدو الرّهيبة التي سخرها من خلال عملية «جيمال» الضّرب الثورة بالولاية الثالثة بدءًا من 22 جويلية 59 ودامت ستة أشهر كاملة عرفت خلالها الثورة بالولاية فترات حرجة للغاية، لكن الثورة بفضل خبرة وحنكة رجالها من أمثال الشّهيد سي لخضر ميهوبي، استطاعت رغم كل الظروف أن تصمد وأن تصارع العدو وتحقق انتصارات ميدانية في الميدان العسكري و السّياسي إلى أن انتزعت النّصر المبين بقوة السّلاح واستعادت البلاد سيادتها وحريتها بعد قرن وأزيد من ربع القرن من استدمار استيطاني رهيب قلما عرفت مثله أوطان على أرض المعمورة كلها.

استمر نشاط العدو بكثافة وشراسة على مستوى الولاية الثالثة كما في غيرها من الولايات الأخرى عبرالتراب الوطني خاصة في السّنوات الأخيرة للثورة عقب تنفيذ مخططات الجنرال «شال» الرّهيب ضد

الثورة لكن الثورة جابهت بوعي المنطقة وحزم وإرادة هذ المخطط الجهنمي وهذا باعتماد استراتيجية مضادة لإفشال هذه الهجمة الشّرسة للعدو وضمن هذا الإطار تقرر عقد اجتماع المجلس النّاحية الخامسة من الأولى في مطلع عام 1961 لدراسة الأوضاع المستجدة بالناحية في الميادين المختلفة بعمق غابة موقة بسلسلة جبال البيبان وتصادف أن قام العدو خلال هذه الفترة بحملة واسعة النّطاق الجبال المنطقة، تمكن خلالها من اكتشاف مراكز للثورة هنا وهناك، كان من بينها المركز الواقع بغابة موقة فدمره تدميرا وكان هذا المركز واحدا من المراكز التي كان يلجأ إليها عند الضّرورة الشّهيد سي الخضر ميهوبي ومرافقوه

ويبدو أن العدو قد تيقن من توجه المجاهدين إليه هربا من الحصار المضروب على النّاحية فنصب كمينا على أطرافه دون أن يتفطن مسؤول النّاحية ومن معه لذلك، وتوجه بالفعل سي الخضر ومرافقوه إلى المركز لكنهم وقعوا في الفخ وتمكن العدو بعد تبادل إطلاق النّار بين الطّرفين من القضاء على مسؤول النّاحية الخامسة لخضر ميهوبي وكاتبه وحارسه، سقطوا شهداء في ساحة الشّرف وفقدت النّاحية الخامسة بل الثورة كلها رجلا عظيما في أخلاقه وفي وطنيته وناضل وجاهد من أجله منذ فترة شبابه.

يشهد كل من عرف الشّهيد وعايشه عن قرب أنه رحمه الله كان يتصف بأخلاق حميدة وبخصال عالية، حسن المعاشرة، ليقا يحبذ رأى الجماعة لكنه صارم ضد كل من بيدي تهاونا في أداء الواجب مهما كانت الأسباب والمبررات. ذات يوم التقى بالمجاهد الرّائد سي أحميمي، وتبادلا الحديث حول الثورة والاستقلال المنتظر فطرح عليه هذا الأخير سؤالا قائلا له: ماذا تفعل بعد الاستقلال؟

وكانت إجابة الشّهيد مستوحاة من الظروف التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، قائلا له إن الفلاح الجزائري عندما يتجه صباحا إلى حقله يأخذ معه كمية من البذور قد تكون قمحا أو شعيراء لبذرها ووضعها تحت الثرى، ونحن كذلك سنكون آنذاك تحت ثرى بذور الاستقلال. وتحضرني بالمناسبة ذكريات شخصية الشّهيد رحمه الله، ففي ماي 1956 كان أول لقاء لي مع الشّهيد وكان يومها مسؤولا سياسيا بالقسم الخامس، بقرية أرقاد بن جمهور وكنت رفقة زميلي بالعابد محمد الطّيب، وكنا يومها طلبة في الزاوية وكانت رغبتنا الالتحاق بالثورة فقال لنا أنتم جيل الغد عليكم بمواصلة التعليم، نحن نكافح من أجلكم حتى نوفر لكم الظروف التي تسمح لكم التمتع بمزايا العلم، وقد فهمنا من ذلك أنه لا يرغب في انضمامنا رأفة بنا.

أما نحن فقد تأسفنا لذلك، وعدنا ادراجنا، غير أن فكرة التحاقنا بالثورة كانت قد تمكنت منا فأعدنا الكرة مرة أخرى ووفقنا هذه المرة وصرنا جنودا بكتيبة المجاهد بن نصرون محمد ودارت الأيام وحدث أن تقابلت معه ثانية عام 1958 إثر خروجي من مصحة العلاج عقب إصابتي بجروح في

معركة ضد العدو ففرح بي أيما فرح، وقدمني إلى الحاج أحمد بوخرز قائلا له، هذا مقران رحمه الله الولد تقدم إلى الجندية فقلت له اصبر انت ما زلت صغيرا ولكنه الآن كما ترى. ومرة أخرى تقابلت معه في عام 1959 وخلال هذا اللقاء طلب مني أن أكون ضمن مرافقيه فاستجبت لذلك وشكلنا نحن الثلاثة محمد أعراب ومحمد الطّاهر وأنا «عبد الوهاب مسعود» مجموعة رافقناه خلال تنقله عبر النّاحية الخامسة مرشدا وموجها وقائدا.

رجل حكمة ودراية يتمتع بالفراسة وبعد النّظر يمتلك من المعارف النّظرية والعملية ما يجعله في مرتبة رفيعة بين اخوانه المجاهدين خاصة وأنه ذو سلوك وأخلاق حسنة طيب المعشر متحدث لبق، وكثيرا ما كان يقول عن المجاهدين هم مثل حبات القمح عندما تزرع الحبة في التراب تنبت السّنبلة التي تنتج بعد ذلك إما قمحا أو شعيرا، أما إذا وقعت على الحجر فإنها لا تنبت وبالتالي لا تصير سنبلة لقد كان رحمه أينما حل إلا و يرفه عن المجاهدين ويرفع من معنوياتهم ويطمئنهم بقرب الاستقلال، وعندما يحدثونه عن العدو وعن قواته الجرارة يرد عليهم بقوله هذه هي علامة نهاية فرنسا التي استعانت بقوات الحلفاء ضد الجزائر، إن هذا هو علامة فشلها وعجزها على كبح ارادة التحرر عند الجزائريين، وقد تحقق حدسه وتجسدت أمنيته. فرحمة الله عليه وعلى كل الشّهداء الأبرار الذين هم عند ربهم يرزقون.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- ميهوبي محمد، وعبد الوهاب مسعود، مجلّة أول نوفمبر 1954، العدد 164، 2000.

■ سي الشّريف بن الأحرش (و:1217ه - 1803م)

ولد الشّيخ الشّريف بن الأحرش في شهر جوان سنة 1803م، وذلك في أرجح الرّوايات، ونشأ نشأة دينية في حضن أهله وحجر والديه، ولما بلغ من العمر 18 عاما، بلغ به الظّمأ العلمي أقصاه، فانتقل إلى الزّاوية المختارية بأولاد جلال طالبا للعلم ومريدا ينشد أعلى المقامات، وكان الشّيخ المختار ابن عبد الرّحمن حينذاك وفريد العصر والأوان في التّقوى والصّلاح، وعالما متمكنا من شتى العلوم الدّينية، يحكي صاحب كتاب(تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان) عن تتلّمذ الشّيخ الشّريف بن الأحرش عن الشّيخ المختار ابن عبد الرّحمن –رحمهم الله جميعا - قائلا: (فأخذ عنه العهد، ولقنه الأسماء، وجعله في الخلوة خمسين يوما، فظهرت عليه الأسرار الرّبانية، والأحوال النّورانية، فأحبه حبا ملأ ما بين جوانحه واغتبط به اغتباط الأم بوحيدها)

وقد أخذ الشّيخ الشّريف العلم عن علماء أجلة آخرين.. منهم الشّيخ محمد بن السّعيد بن بركات، والشّيخ محمد الزّين بن بركات، وقد كانا ذوي باع لا يلحق شأوه في علوم

الفقه والتّفسير، وقد أجاد الشّيخ دراسة الصّحيحين والموطأ والشّفاء للقاضي عياض وشمائل التّرميذي والمواهب اللدنية والجامع الصّغير، وتمكن من النّحو والبيان والمنطق والفلك والأصول وعلم التّصريف وعلم التّصوف.. وأظهر تفوقا كبيرا في كل هذه العلوم.. ولما ظهرت للشيخ المختار المكانة العلمية العالية التي وصلها في التّحصيل تلميذه ومريده كتب له بخط يده: (انك مني كأبي بكر الصّديق ـ t ـ من النّبي e) وأذن له في إعطاء العهد وتعمير زاوية ببلده.. وطار ذكر الشّيخ في الآفاق.. وسمع به الخاصّ والعام وسارت باسمه الرّكبان.. وذكره النّاس بسجاياه المصورة وخصاله الرّفيعة..

كيف لا وهو مقدم الزّاوية المختارية الأول؟! كيف لا وهو سيغدو شيخ زاوية لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على الهوية الثّقافية والعلمية للوطن وأمدت الأجيال المتعاقبة بفتيل سوف يغدو شعلة تنفجر منها بعد ذلك وبعد حين من الزّمن ثورة الفاتح نوفمبر الخالدة

كانت قبائل أولاد نائل تتمتع بثراء واسع وعدد هائل، وتتميز بتمرس أبنائها على الفروسية، ولذا كانت محل تنافس بين المتمردين الذين كانوا يظهرون بين الفينة والأخرى، والفرنسيين والأمير الذي كان على ما يبدو يدخرهم كقوة احتياطية إلى ما بعد المعاهدة..

وندرك اعتناء الأمير عبد القادر بهم وحرصه على استمالتهم من خلال وصفه لخيولهم بأنها من أحسن الخيول. ففي كتاب (خيول الصّحراء) للجنرال « أوجان دوما « وردا على سؤال أجود الخيول، أجابه الأمير: خيول أولاد نائل،

وأضاف:(لأنهم لا يتخذونها لشيء غير القتال).

ولعدة أسباب، سياسية واقتصادية وعسكرية، راح الأمير عبد القادر يراسل أولاد نايل علّه يتمكن من إضافة دولة جديدة إلى دولته، وقوة عتيدة إلى قوته، وقد تأتي له ذلك بداية من سنة 1836م، ويكون ابن البوهالي، شيخ قبيلة سعد بن سالم، من الأوائل الذين راسلوا الأمير، وأبدوا رغبتهم في الانضمام إلى دولته.. وتتابعت بقية قبائل أولاد نايل التي قسمت إلى ستة فرق، لكل فرقة قائد، وكانت كالتّالي: محمد بن زبدة قائد على أولاد عيسى، محمد بن عطية قائد على أولاد ضيا، تلي بلكحل قائد على أولاد سي أحمد، الشّيخ حران قائد على أولاد أم هاني، الشّيخ ابن البوهالي قائد على أولاد سعد بن سالم، وكان يقودها جميعا الشّيخ عبد السّلام بن القندوز شيخ أولاد لقويني، الذي تنازل عن مهامه تدريجيا لابن أخيه الشّيخ الشّريف بن الأحرش، الذي كان قد لفت انتباه الأمير، فعينه خليفته بعد ذلك.. وقد تمت مبايعة أولاد نايل للأمير سنة 1837م بالمكان المعروف بالكرمونية، أي الكرم والنّية، وهي صفاتهم البارزة.. وقد كان الشّريف بن الأحرش صاحب الوساطة بين الأمير وبقية شيوخ القبائل، والذي لعب الدّور الأكبر في هذه البيعة.. بقي أن نشير إلى أن خلافة الشّريف بن الأحرش بدأت سنة 1843م بعد أن كان الأمير قد وضع قبائل أولاد نايل تحت سلطة سي الحاج العربي ولد الحاج عيسى خليفته على الأغواط.. ويقول الباحث عمر خضرون إن كل من « درمنغم « و» آرنو « و» ماري مونج « يثبتون الخلافة لسي الشّريف بن الأحرش، إذ بعد مقتل خليفة الأغواط الذي لم يكن في مستوى المسؤولية، بل كان يقضي معظم وقته في الدّفاع عن نفسه ضد المتمردين من بني قومه يكون الأمير قد رأى في سي الشّريف الوحيد من بين الأعيان الذي يستحق أن يكون خليفته المباشر على أولاد نائل.

لقد احبه الأمير عبد القادر حبا عظيما وخصه بمكانة خاصة.. وقد رافقه الشّيخ الشّريف بن الأحرش إلى عدة أماكن ليعرفه بأعيانها..ففي شهر أوت 1837م قام الأمير برحلة كبيرة وذلك طبعا أثناء معاهدة التّافنة، وقد قادته الرّحلة إلى جبل عمور وقورو بآفلو..وهناك لقيه الشّريف بن الأحرش مع جمع من الأعيان وأكدوا له بيعتهم..ويروي الباحث «فرانسوا دوفيلاري» أن الشّريف بن الأحرش مشى مع الأمير بعد ذلك حتى وصلا مدينة بوسعادة وقد التّقيا أثناء ذلك بأعيان مسعد والهامل وطاقين، أين افترقا حين تأكد الأمير من مساندة جميع القبائل وشيوخ الزّوايا لمقاومته وكيف لا يكون الأمير قد احبه وقد جعله خليفة له ومن أقرب المقربين إليه، واصطحبه في معظم رحلاته ولجأ معه إلى المغرب وكيف لا يكون الأمير قد أحبه وقد زوجه من الإسبانية «ماريا دولوراس «، التي عثر عليها رجال الأمير في نواحي مليلية بالمغرب مع أختها، فأتوا بهما إلى الأمير الذي زوج الكبرى من الشّريف بن الأحرش والصّغرى أهداها لعبد السّلام بن القندوز الذي زوجها بدوره لابنه محمد.

تزوج إذن الشّريف بن الأحرش بماريا، التي عرفت فيما بعد بـ (فاطنة العلجة) ويقول «فرومنتان» عنها وعن أختها «وقد قبلت الفتاتان الملابس والتّقاليد العربية كما اتخذتا لسان زوجيهما، ومضيتا بذلك عن اقتناع حتى بعد انتهاء المقاومة « ونشير إلى أن زوجته الأولى حفصة أو أسماء بنت الشّيخ المختار قد توفيت قبل ذلك بزمن، مخلفة له أبنا ما لبث أن فارق الحياة ولم يتجاوز 16 عاما بعد.

ونشير كذلك إلى أن ذرية الشّريف بن الأحرش تنحدر من العلجة، التي تعرف باسمها اليوم مقبرة بمدينة الجلفة، وهي (المجحودة) وهي لم تمت مقتولة كما تشير بعض الرّوايات، بل ماتت بوفاة طبيعية، و(جحدت) لأنها ليست من الأعيان، فدفنت خارج المقبرة الرّسمية التي بها زوجها، والتّي هي عبارة عن مصلى بجانب الزّاوية، لكن لما رأوا أن قبرها أصبح مقبرة بسبب توافد بقية القبائل على الدّفن هناك، قاموا بالتّنازل عن نظريتهم الأولى، ودفنوا بقية أعيانهم بالمجحودة..هذه المقبرة التي بدأ اسمها يتغير بعد دفن ولي صالح بها، فأصبحت تعرف بمقبرة ((علي بن دنيدينة))..بقي أن نشير إلى أن مواصلة البحث في حياة الشّيخ الشّريف بن الأحرش قد تكشف لنا الكثير عنه، وهي مهمة ليست سهلة بعد الإقصاء الطويل الذي عرفه هذا الرّجل، ولا أدل على هذا الإقصاء من أن الشّيخ الشّريف لم يرد ذكره ـ كما يؤكد الباحث عمر خضرون ـ في أي مرجع من المراجع التي تحدث عن خلفاء الأمير المهمين، مثل محمد بن علال، وأحمد بن سالم بن الطيب خليفة جرجرة، ومحمد البركاني، وكذا عن خلفاء أقل أهمية بكثير، والذين ذكروا برغم تلك الأهمية الضّئيلة. .. هذا إضافة إلى أن الشّيخ الشّريف بن الأحرش بقي وفيا للأمير ولم يستسلم حتى طلب منه الأمير ذلك خوفا عليه، وحرصا على عائلته وأهله، فاستسلم الشّيخ الشّريف بن الأحرش سنة 1848م، وقد حبس وعائلته في بوغار بادئ الأمر، ثم وضع تحت الإقامة الجبرية بالمدية وقد أطلق سراحه 1850 م، ليواصل كفاحه ببنائه لزاويته وتعميرها، وليجعلها ساحة كفاح يتجدد كل وقت وحين..وقد دفعت مواصفات الخليفة بن الأحرش وبسالته واستماتته الأستاذ عبد الباقي هزرشي إلى القول:((إن هذه المواصفات تؤهله في نظرنا إلى مرتبة بطولية، وتجعله إحدى الشّخصيات المرموقة من تاريخنا المحلي والوطني، وتفرض على باحثينا ومؤرّخينا وأحفاده مسؤولية جسمية في التّنقيب عن مخفيات دوره وإسهامه التّاريخي)).

ولم يفتر جهاد شيخنا الشّريف بن الأحرش بالسّيف حينا، وبالكلمة حينا، وبالرّأي أحيانا أخرى إلى أن قتل خطأ سنة 1864م في شهر أكتوبر، لتبدأ حياته في أرواح خلفه ومحبيه. ولم يمت حقا إلا يوم أن أهملت زاويته وتاريخه

وأشياؤه. وإنها إذا عادت كما كانت فتأكدوا أنه سوف يعود.

الشّريف بن الأحرش بعيون غربية

قال عنه المؤلفان قوفيون في كتابهما (أعيان المغاربة) المطبوع سنة 1921م في الصّفحة 98: (المقدم الأكثر شهرة في الطريقة الرّحمانية السّائدة بين أولاد نائل، وبعد وفاة والدّه عاد سي الشّريف(من زاوية أولاد جلال) إلى أهله من أولاد القويني وكرس معظم وقته للتدريس والأعمال الخيرية، فلما قامت مقاومة الأمير، كان سي الشّريف مقتنعا بفكرة الجهاد، فوضع نفسه في خدمة الأمير بذكاء وقاد بشجاعة نادرة لفتت إليه انتباه عبد القادر فقربه إليه وجعله من نوابه المهمين..)

وكان يصفه الجنرال دي براي في ذكرياته التي طبعها بباريس سنة 1894م بالشّخصية العظيمة. أما أوجين فرومنتان حينما جاء للجلفة سنة 1853م اندهش لشخصية هذا الرّجل ففاضت عبقريته برسم ملامحه خطا وصورة.. إذ رسم البورتريه المشهور والمتداول للشيخ.. وكتب عنه وعن ملامحه وصفاته وسجاياه في كتاب(صيف في الصّحراء) المطبوع بباريس سنة 1912م ومن ذلك قوله: (.. ألمح قبالتّي في شخص هذا السّيد العظيم الماثل أمامي.. ذي السّجايا الدّمثة، أحد الأمراء الأكثر رخاء وبسالة.. إنه الأكثر اعتبارا.. ولعل الأمر في هذا عائد إلى سعة ثروته ومكانته السّياسية العالية واستنادا إلى سوابقه العسكرية الباهرة..). ويصفه أيضا بالرّجل العظيم والضّخم ذي العينين البارزتين، والوجه السّاكن والوديع والخالي من اللحية تقريبا.. ولا يفوته كذلك الحديث عن ثروة الشّيخ فيقول أن سي الشّريف يملك قطعانا ضخمة من الأغنام وما يقارب ستة آلاف (6000) من رؤوس الإبل وحدها..

عملا بالإذن الذي عهد إليه به شيخه المختار بن عبد الرّحمن ـ رحمه الله ـ بدأ الشّيخ الشّريف بن الأحرش بناء زاويته سنة 1853م، واستمر البناء عامين، وتجسد الحلم نهائيا سنة 1855م، وأرخوا لذلك بالنّقش الموجود أعلى المدخل الرّئيسي.

بنيت الزّاوية بطراز عربي أصيل، لكن نلمح فيها أن البناء لم يكن هدفا في حد ذاته، بل كان حصن الثّقافة الإسلامية هو الهدف.. فالزّاوية دار الشّيخ.. مدينة الطلبة.. مأوى المحتاجين.. مقصد ابن السّبيل.. وأمسيات الحديث الصّوفي المبدع حول نار الوجد والحلول.. والمكتسي بأحلى غموض.. إليها يهرع الجمال.. ومنها ينفر القبح.. فهي بيت الله.

وقد كانت الزّاوية تحوي عددا هائلا من الطلبة، وتأوي عددا كبيرا من أبناء السّبيل، وكان ينادي في كل مساء وعندما تغلق المدينة أبوابها.. أن أيها المحتاجون اهرعوا إلى الزّاوية.. أيها الجائعون هلمّوا إلى الزّاوية.. أيها الخائفون فروا إلى الزّاوية.. فإذا كانت المدينة تغلق أبوابها، فإن للزاوية أبواب لا تغلق.

لكن، لا يجب أن ننسى المخلصين الذين مازالوا إلى يومنا هذا يحافظون على تاريخ الزّاوية، ويريدون لها أن تعود إلى سالف عهدها.. أو على الأقل أن تكون معروفة.. بها متحف يضم أشياء الشّيخ الخليفة ووثائقه، وبها قاعة للمحاضرات أو لإنجاز البحوث.. هؤلاء المخلصون هم من عائلة الشّيخ قد تبرعوا بأجنحة مما يملكون من الزّاوية لفائدة التّراث والثّقافة والسّياحة.. نذكر منهم الشّيخ زين العابدين بن الأحرش ـ رحمه الله ـ الذي تطوع بغرفتين من الزّاوية.. وأفراد عائلة محي الدّين بن الأحرش، الذين تطوعوا كذلك بغرفتين.. هذه الغرف الأربع إذا استغلت أحسن استغلال، فستكون كافية لبعث تاريخ الزّاوية.. وتاريخ الشّيخ.. وستكون عونا للباحثين والمؤرّخين لكتابة التّاريخ الحقيقي للمنطقة، ومن ثم التّاريخ الجزائري المعاصر.. لكن يؤسف هؤلاء جميعا أن الهيئات الرّسمية لا تلتفت إلى مثل هذه المبادرات الجادة.. ولا تعينها.. مكتفية بالمهرجانية والكرنفالية.. وإذا وعدت، فإنها سرعان ما تنسى.. وما زيارة إدريس الجزائري عنا ببعيد.. وما إعانة كاتبة الدّولة للثقافة للزاوية التّيجانية ـ ومواقفها معروفة من مقاومة الأمير ـ وتخصيصها لأربعة عشر مليار لترميم تلك الزّاوية عنا ببعيد كذلك.. إن هؤلاء المخلصين ومحبي زاوية الجلفة لا يطلبون مبالغ ضخمة بقدر ما يطلبون اهتماما بهذا الرّجل وزاويته المغمورة كذلك.. فإنه من لم يعرف قدر سلفه، لن يعرف قدر ذاته وخلفه ومن لم يبر والدّيه، لن يبره أبناؤه.

بوعمارة بوعيشة

■ سي ثامر بن عمران
(م: 1340ه - 1921م/ت: 1379ه - 1959م)

ولد الشّهيد سي ثامر بن عمران سنة 1921 بدوار أولاد أمهاني بلدية القديد دائرة الشّارف ولاية الجلفة حاليا، من أب اسمه العيد وأم تدعى فطوم لبوخ، عاش في وسط ريفي يمتهن الفلاحة وتربية المواشي، تعلم القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسه على يد الشّيخ رقاب سي بن حمزة في سن مبكرة ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة الجلفة وعاش فيها فترة ثم غادرها مع أخيه قدور إلى مدينة الجزائر بحثا عن العمل.

وقد عملا في مصنع للزيوت بميناء العاصمة ثم عاد إلى مدينة الجلفة مع مطلع الخمسينات، ونظراً للظروف الاجتماعية والمعيشية القاسية التي كان يحياها الشّعب الجزائري آنذاك لم يطب له العيش فقرر أن يقتحم الحياة العسكرية في الجيش الفرنسي لأنها كانت المنفذ الوحيد للشباب الجزائري العاطل عن العمل لضمان العيش ولو في أبسط صوره، وبهذه الصّفة شارك في حروب الهند الصّينية (الفيتنام) في أوائل الخمسينات فاكتسب خبرة وحنكة معتبرتين كما تمرس على فنون الحرب والقتال خاصة حروب العصابات في الفيتنام.

بعد انسحاب جيوش فرنسا من الهند الصّينية على إثر هزيمة ديان بيان فو) الشّهيرة في عام 1954، عاد إلى المغرب ضمن وحدته واستقر به المقام بإحدى الثكنات التابعة للجيش الفرنسي بمدينة القنيطرة وقد تزامن ذلك مع انطلاق الثورة التحريرية واشتداد لهيبها فانعكس ذلك على نفسه

ونظرا لحسه المرهف من جهة ولما اكتسبه من وعي سياسي وعسكري من خلال احتكاكه بضباط وجنود من جنسيات مختلفة أثناء أدائه الخدمة العسكرية في صفوف العدو، من جهة أخرى مما جعله يفكر في قضية استقلال بلاده وتخليصها من رقبة الاستعمار وقد دعم توجهه هذا ما كان يطلع عليه من المنشورات والبيانات والحملات الدّعائية التي كانت تتسرب بين الحين والآخر في أوساط عساكر الجيش الفرنسي لما كان مرابطا بالهند الصّينية من طرف مخابرات ثوار الفيتنام والتي كانت تحثهم على مقاطعة هذه الحرب التي لا تعنيهم والعودة لتحرير بلدانهم المستعمرة.

التحاقه بالثورة المسلحة بعد ان استقر بالمغرب الأقصى كما سبق ذكره، صار مقتنعا بضرورة الانضمام إلى الثورة المسلحة: بات يتعاظم دورها حينئذ أخبر زملاءه المقربين منه والذين كانوا يحملون مثله نفس المشاعر والافكار فتدبّروا أمر فرارهم ذات يوم والالتحاق بإخوانهم المجاهدين، حيث تم فرار هذه المجموعة وتبعتها مجموعات أخرى من ثكنة القنيطرة بالمغرب في أواخر عام 1955.

كان من ضمن هذه المجموعة ثامر وتم لها ذلك بمساعدة سي أحد المغاربة الذي سهل لهم عملية الفرار لكونه ابن المنطقة في نهاية سنة 1955 حيث تم تهريبهم إلى ناحية الخميسات أولا بالمغرب ثم الخنيفرة ومنها التحقوا بجيش التحرير المغربي حيث لازموه لفترة وجيزة أي إلى غاية استقلال المغرب في مارس سنة 1956 وبعدها عمل على تحويلهم إلى ناحية سبتة ومليلية متنكرين في زي عمال وبعد ترتيب الأمر واجراء الاتصالات مع قيادة الولاية الخامسة التحقوا يصفوف اخوانهم المجاهدين فاستقبلوا استقبالا حارا من طرف مسؤولي جيش التحرير الوطني بالولاية الخامسة، وبعد فترة من الوقت أرسلت المجموعة إلى النّاحية الجنوبية التابعة للولاية الخامسة المنطقة الثامنة فيما بعد) التي كان يشرف عليها الشّهيد (سي لطفي) في (تاندرارة) الواقعة بين عين الصّفراء ولبيض سيد الشّيخ حيث أصبحوا تحت مسؤولية مراد، وبعد عملية تنظيم الوحدات المرابطة بالجهة مع الأفواج القادمة من الحدود المغربية (جيش. سي مراد، جيش

بوشريط جيش مقراني....) تحركت هذه القوات شرقا باتجاه ناحية أفلو في إطار توسيع رقعة الثورة وزرع خلايا عبر المنطقة تحت قيادة سي مراد المدعو سي موسى وبمعية سي شعيب، سي زكريا، سي عبد الحميد وخاضوا المعركة الشّهيرة المعروفة بـ «معركة الشّوابير القعدة الغربية بالمكان المسمى سيدي عثمان) وكان ذلك في خريف 1956 وقد تكبد فيها العدو خسائر فادحة في الأرواح والمعدات لأنها كانت على شكل كمين محكم تمكن فيه المجاهدون من أخذ زمام المبادرة ومباغتة العدو بتركيز نيران رشاشاتهم وأسلحتهم وقد أظهر البطل (سي ثامر ورفاقه في هذه المعركة شجاعة نادرة ومهارة في القتال كما خاض بعدها عدة معارك واشتباكات أثناء تواجده بنواحي أفلو والبيض، تركت أثرا طيبا وسط اخوانه المجاهدين سياسيين وعسكريين على حد سواء، وفي سبيل مواصلة جهاده البطولي انتقل إلى المنطقة السّابعة التابعة للولاية الخامسة التي كانت تحت قيادة المجاهد بويزم المختار المدعو سي النّاصر بمعية بختي نميش، وسي بوسيف وتقع هذه المنطقة بولاية تيارت حاليا بنواحي عين الذهب والسوقر إلى غاية حدود الولاية الرّابعة شمالا وقد شهدت المنطقة في هذه الأثناء عدة عمليات سياسية وعسكرية أربكت العدو رغم صعوبة الجهة وخطورتها من حيث الطّبيعة الجغرافية للمنطقة ولكثرة تواجد مراكز العدو وقواعده المنتشرة عبر المنطقة.

الالتحاق بمنطقة العمليات رقم تسعة في بداية عام 1958 التحق سي ثامر بالمنطقة التاسعة التي أنشئت من طرف القيادة العامة للولاية الخامسة « المرحوم عبد الحفيظ بوالصوف» خصيصا لمواجهة الوضع الخطير الذي كانت تعيشه المنطقة بسبب نشاطات العدو لمواجهة الخائن بلونيس واتباعه من جهة ثانية وأطلق عليها منطقة العمليات رقم (تسعة) وقد قدم إليها من المنطقة السّابعة حاملا رسالة من قيادة المنطقة إلى مسؤول المنطقة التاسعة الشّهيد عمر ادريس سمي (سي فيصل) وبعد فترة ترقب بجبل تاوزارة عند عائلة يعقوبي عمر اتصل بأحد المتعاملين مع سي ادريس وهو

السّيد الخضر الطّوير الذي سهل له عملية الاتصال بمجاهدي المنطقة حيث أرسله مع مسبلين من الجلفة أوصلاه في سيارتهما إلى مركز بجبل الصّفي (رأس القصعة) حيث نزل عند أولاد أعمارة، واستأنف نشاطه الثوري بنواحي مناعة وقعيقع تحت قيادة مسؤول المنطقة الشّهيد عمر أدريس، شارك بعدها في عمليات تطهير المنطقة من شرذمة الخائن بلونيس ثم عين بعدها مسؤولا على النّاحية الثانية برتبة ملازم ثان من طرف الشّهيد عمر ادريس في ديسمبر 1958 عقب عودة هذا الأخير من اجتماع قادة الولايات الأولى والثالثة والرابعة والسادسة بالمنطقة الأولى من الولاية الثانية في نهاية عام 1958 هذه النّاحية التي أصبحت تحت مسؤولية سي ثامر تقع غرب مدينة الجلفة وتضم منطقة عين معبد والزعفران والشارف والادريسية والحرشة إلى غاية حدود الولاية الخامسة بسيدي بوزيد غربا وتعضيمت وعين الشّهداء جنوبا، كما صار مجلس قيادة النّاحية

يتشكل من:

- بن شهرة لزهاري ملازم أول مسؤول الأخبار والاتصال الطّيب برحايل مسؤول عسكري
- حنيشي محمد مسؤول سياسي -ومعهم العيمش براجع الكاتب الخاص لمسؤول النّاحية

وبعد التقسيم الجديد للنواحي انتقلت الكتيبة التي كان يرأسها سي ابن عمران ثامر في إطار تنقلاتها العادية إلى ناحية جبل: خواص وكان أول اشتباك لها بالناحية مع فوج من جيش = بلونيس في شهر جانفي 1959 وقد تم أثناء هذه العملية القاء القبض على قائد مجموعة الخائن بلونيس حيث واصل زحفه المنظم لبسط النّفوذ على تراب النّاحية الثانية من المنطقة الثانية التي كانت الواقع شبه محررة من جيش الخائن بلونيس وقد عمد سي ثامر في تنفيذ خطته من أجل = إعادة بسط نظام جبهة وجيش التحرير بها إلى العمل على تحقيق هدفين هما:

- الأول تطهير المنطقة من جماعات بلونيس
- الثاني توعية المواطنين وتحسيسهم بخطورة مخططات العدو

وحتى لا تضرب الثورة مرة ثانية عن طريق الخونة وأذناب الاستعمار وافشال محاولاتهم الدّعائية ضد المجاهدين ركز الشّهيد باعتباره مسؤول النّاحية على تكثيف العمليات العسكرية وجعلها متواصلة باستمرار كلما توغل الجيش داخل رقعة تراب النّاحية الثانية، وللتحكم في الوضع عمل سي ثامر إلى تقسيم الكتيبة

إلى أفواج تسهيلا لعمليات التنقل وسرعة المناورة بالإضافة إلى ضمان التغطية الشّبه كلية على تراب المنطقة والتواجد الدّائم لوحدات جيش التحرير بها وذلك الحيلولة دون تمكين جيش الخائن بلونيس من التواجد بالناحية كما كان في السّابق، وعلى هذا المنوال واصل جهاده ونضاله عبر النّاحية بكل قوة وايمان إلى أن سقط شهيدا في ساحة الشّرف في نهاية الأسبوع الثاني من شهر جوان 1959 كما سيأتي بيانه بالتفصيل.

في نهاية الأسبوع الثالث من شهر فبراير 1954 كثفت وحدات جيش التحرير من ملاحقة ومطاردة عناصر جيش الخائن بلونيس المتواجدة عبر النّاحية ومن ضمن هذه الوحدات فرقة كان يقودها البطل الطّيب برحايل كانت توجهت قبل ذلك نحو مشارف الادريسية تطارد هي الأخرى عناصر الخونة من قوة

العميل بلونيس بهدف القضاء عليهم، لكن يبدو أن هذه الخرجة كانت في غير صالحهم بحيث جعلتهم يتركون مواقعهم المحصنة ويدخلون الأراضي العارية التي جعلتهم غير محصنين وهو ما أدى إلى وقوع اشتباك مع جيش الخائن بلونيس في بداية النّهار مما مكن العدو من الاطلاع على عملية القتال الدّائر رحاها بين المجاهدين وعناصر قوة بلونيس فأعد العدو وجهز قواته البرية وحركها على الفوز نحو مواقع الاشتباك، فعلم المجاهدون بذلك ولتجنب الاصطدام معه نظرا للفرق الشّاسع بين القوتين تحركت عناصر فرقة المجاهدين نحو جبل سردون القريب من الادريسية رغم تواضعه من النّاحية الطّبيعية بحيث كان عاريا تماما من الأشجار أو أي موانع طبيعية أخرى، ودار قتال عنيف بين المجاهدين وقوات العدو الضّخمة التي تعززها أسراب من الطّائرات الحربية إلا أنه رغم ذلك تمكن المجاهدون في البداية من الحاق خسائر معتبرة في صفوف العدو بين قتيل وجريح رغم التباين الشّديد بين القوتين في العدد والعدة.

ولما تأكدت عناصر الفرقة مما لحق بالعدو سارعوا إلى غنم الأسلحة مما عرضهم لقنبلة الطّائرات الحربية ومدفعية الميدان مما أدى إلى وقوع خسائر معتبرة في صفوفهم نتيجة هذا التصرف الغير المبنى على الواقعية والاحتياط الواجب اتخاذه. وسقط في ميدان الشّرف خلالها 39 شهيدا كان على رأسهم البطل المسؤول العسكري للناحية الملازم الأول الطّيب برحايل خلال مجريات هذه العملية كان ثامر مسؤول النّاحية البطل متمركزا بجبل تا وزارة مع بعض مساعديه من بينهم المجاهد العميش براجع كاتبه الخاص وعديله أحمد المدعو الشّابع وهنا وصلهم خبر اشتباك الفرقة واستشهاد عناصرها بمن فيهم قائدها فتأثر لذلك كثيرا لفقدان خيرة رجاله ثم توالت عملية الأحداث بعد ذلك شكلت في مجموعها نكسة عظيمة له ولرفاقه كما اعتقل البعض منهم واستشهد البعض الآخر وازاد الوضع غموضا وصعوبة بعد أن تلقت الولاية صدمة كبيرة تمثلت في استشهاد قائدها البطل سي الحواس واعتقال الرّائد عمر ادريس (سي فيصل) جريحا اثر معركة جبل ثامر ضواحي بوسعادة 28 مارس 1959، وقد عرفت الأوضاع بالناحية إثرها صعوبة بالغة الدّقة والتعقيد عقب شروع العدو في تنفيذ مخطط الجنرال شال

الجهنمي وما صاحبه من تمشيط واسع النّطاق لمختلف جبال ومناطق ووهاد المنطقة كما في غيرها من مناطق الوطن. ولمواجهة هذه العملية غير المتوقعة على النّاحية بل على الوطن كله الحمد أصدر القائد ثامر باعتباره مسؤول النّاحية أوامر تقضي باتخاذ الحيطة والحذر وأن تكون التحركات والتنقلات عبر النّاحية في إطار من الحيطة والسرية وأن تتخذ من المواقع المميزة بالناحية مقرا لها لتتجنب الصّدام مع العدو إلا للضرورة، وفي سبيل تنفيذ تلك الاجراءات التي أمر بها توجه رفقة كاتبه الخاص وأحد حراسه في شهر جوان 1959 إلى ناحية شعب الزمرة غرب الادريسية ثم من هناك إلى ناحية قبر الحاشي حيث يوجد ملجأ صحي تابع للثورة يشرف عليه أحد المناضلين يدعى أحمد بن ميلود بن بوبكر ويقع على الحدود بين الولايتين السّادسة والخامسة وكان يؤمه خلال هذه الفترة بعض المرضى والمجروحين من المجاهدين وبعد استراحة بالمركز المذكور اطلع خلالها على الأوضاع بالمركز واطمأن على الموجودين به تابع سيره نحو المحصر الذي تركوه هو أيضا بعد فترة وجيزة، حيث واصلوا تنقلهم غربا والدخول إلى الولاية الخامسة، لكن لما كان الوضع غير مستقر بها أيضا نظرا لنشاطات العدو المتواصلة في إطار حملة الجنرال شال السّابق ذكرها، فقد اضطر للعودة مع مرافقيه إلى مركز قبر الحاشي ميدان عملياته ومراقبة تطورات الوضع من هناك. ترك المركز في ليلة 14 جوان وتحرك بما معه من الجند باتجاه الشّايفة الواقعة شمال غرب الادريسية حيث يوجد بها مخيم يقطنه أفراد من عشيرته وصهر الجندي قاسم عبد الرّحمن وبهذا الأخير حطت المجموعة رحالها في انتظار طلوع النّهار واتضاح الأمر.

وفي وقت متقدم من صباح يوم 14 جوان 1959 امر ثامر سكان الجهة المدعو النّوري بالذهاب إلى الادريسية لشراء بعض الحاجيات واللوازم التي يحتاجها بيد أن الأمور كانت تسير عكس الاتجاه الذي كان يتمناه ويرضاه بحيث بعد طلوع النّهار بقليل شاهدت الحراسة غبارا متطايرا من الطّريق المؤدي إلى المدينة فأخبرت الحراسة المسؤول ثامر بما شاهدت وبحكم الخبرة والتجربة تأكد الشّهيد أن في الأمر إنّ فطلب من الحراسة رفع درجة الاستعداد ومضاعفة اليقظة ومراقبة تحرك قوة القومية وحول وجهتهم فتبين للحراسة أن القوة في طريقها نحو المخيم فاستعد للقتال والمواجهة رغم الوضع الصّعب الذي كان عليه بحيث لم يكن لديه من السّلاح إلا قطعتين وأما الجنود الثلاثة المرضى فكانوا بدون سلاح فضلا عن أنهم مصابون، أما الجندي عبد الرّحمن قاسم المدعو السّايسي فقد انفصل عنهم فور وصولهم للموقع واستقر في خيمة صهره واختفى وكان موقفه في النّهاية غير مشرف.

بداية القتال

تبين له من خلال تسلسل الأحداث أنه تعرض لوشاية غادرة، وقد اتضح له ذلك من خلال اقدام قائد قوة من القومية على مناداة القائد ثامر باسمه والالحاح عليه الاستسلام والقاء سلاحه، لكن القائد الشّهيد رفض ذلك وأجابه بإطلاق نيران أسلحته بغزارة الأمر الذي أكد للعدو أن الأمر ليس بالسهولة التي كان يتوقعها فقام جنوده بإطلاق نيران أسلحتهم بشدة حيث أصيب سي ثامر إصابة قاتلة كما أصيب الباقون بإصابات مختلفة واعتقلوا بعدها.

وبذلك صعدت روحه الطّاهرة إلى بارئها نهار يوم 14 جوان 1959 بعد حياة حافلة بالتضحية والفداء وانضم إلى قوافل شهداء هذا الوطن المفدي رحمهم الله واسكنهم فسيح جنانه.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- مجاهدو الجلفة، مجلّة أول نوفمبر، العدد 167، 2003.

■ سيد أحمد العالم أبختي
(و: 1276 ه - 1860 م/ت: 1361 ه - 1942م)

هو السّيد أحمد بن مبارك بن علي بن محمد الصّالح بن أحمد أبختي. انتقل جده محمد الصّالح مع ابنه علي إلى مدينة أولف، في أوائل القرن الثّامن عشر الميلادي قصد التّعليم والتّدريس يطلب من قبيلة أولاد زنان القاطنة بزاوية حينون، إلا أن المنية أدركت محمد الصّالح في الطريق إلى أولف قبل الوصول بحوالي 20 كلم بمكان يدعى لحومر نتيجة سقوطه من راحلته. ونقلت جثته لتدفن بأولف، وكان علي ساعتها صغيرا، فانتقل إلى أقبلي ليكمل تعليمه على يد مشايخها ويعود بعد ذلك إلى أولف مُدَرِّسَا وإماما بحي زاوية حينون. تزوج فرزقه الله من الأبناء محمد، مبارك، أمحمد، عبد الرّحمن، عبد الله، محمد عبد القادر وأحمد، ولقد فتح الله على ابنه محمد من العلم الشّيء

الكثير حتى صار حجة ومرجعا في منطقة توات بأكملها. علاوة على ذلك فقد منحه الله تَحَكُّمَاً في الخط ورسم القرآن حيث أصبح ناسخا للمصاحف، إذ نسخ بيده ما يزيد عن سنتين مصحفا كاملا فضلا عن الأجزاء الأخرى، إلا أن المنية أدركته قبل وفاة أبيه وكان ثاني أبناء علي درجة في العلم. أما ابنه مبارك فانتقل إلى حي قصبة بلال لتولي إمامة مسجدها في حياة والده، واستقر به المقام هناك إلا أنه بعد وفاة والدّه وأخيه أمحمد عاد إلى حي زاوية حينون ليستخلف أباه في إمامة المسجد تاركا أمر مسجد قصبة بلال لأبنه الأكبر عبد العالي. ويعتبر مبارك هو والد صاحب التّرجمة السّيد أحمد المعروف بالعالم. ولقد خلف أحمد والده في إمامة مسجد حي زاوية حينون (أنس بن مالك حاليا).

ولد السّيد أحمد حوالي سنة 1860م من أبيه مبارك وأمه مباركة بنت أحمد الشّعير بن لحسن جرناجي، وتعلم على والده وأخذ على بعض علماء توات خاصة في تيلولين على يد الحاج محمد بن السّيد جعفر الأزهري. الإمام مالك. وبعد وفاة والده تولى تدريس القرآن والفقه وشرح صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك.

اشتهر رحمه الله بالصّلاح والتّقوى وسلامة الحال والجهر بالحق، الأمر الذي أكسبه مهابة وتقديرا بين النّاس فانتدبوه لولاية القضاء بينهم، واستمر على هذا الحال حتى بعد دخول الاستعمار إلى المنطقة دونما إذعان أو خوف، وهذا ما سبب له دخول السّجن من قبل المستعمر، بعد أن رفض الانخراط في مخططه وتنفيذ أوامره. وكان رحمه الله مرجعا للفتوى في منطقة تيدكلت والهقار وورگلة ومتليلي بغرداية وغيرها من المناطق الصّحراوية.

وروبت عنه الكثير من المواقف والمآثر التي تثبت عظمته وشدة خوفه الله. فلقد كان يقول: «العلم لاينفع إلا من ثبته الله باليقين وحفظه الورع وسدده بالتّقوى وبصَّره بعيوب نفسه «. وقال أيضا عن العلم أنه لابد وأن ينوى به إصلاح الحال وتعليم الجاهل وإرشاد الضّال»، وأوصى ابناءه قائلا: «عليكم بصحبة الأخيار فإنها تنفع في الدّين والدّنيا، وإياكم وصحبة الأوباش من النّاس ومخالطة النّساء». وقال مرة لأحد أبنائه – عبد الصّمد – اقرأ من قوله تعالى:التّائبون العابدون الحامدون. فلما وصل عند قوله تعالى: والحافظون لحدود الله قال له: قف، الأمور كلها مضبوطة في قوله تعالى والحافظون لحدود الله. ومرة قالتّ له إبنته ربيعة: والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم. فرد عليها من سلك طريقنا فهو منا وإلا فلا.

تتلّمذ على يده خلق كثير أهمهم:

– السّيد أمحمد بن الحاج محمد دادة وهو الذي خلفه في وظيفة القضاء بعد وفاته.

– ابنه محمد الصّالح الذي تولى إمامة مسجد حي زاوية حينون بعد وفاته.

– ابنه عبد الرّحمن الذي انتقل إلى الزّيتونة لتوسيع معارفه وعاد بعدها إلى أولف ردحا من الزّمن ليتولى إمامة مسجد أنس بن مالك، ثم ما لبث أن انتقل إلى غرداية وأسس مدرسة بحي مرماد، وتعلم على يده خلق كثير ثم تحول إلى مدينة ورگلة ليؤسس مدرسة هناك، أين وافته بها المنية سنة 1945م.

– عبد الجبار بن الحاج محمد دادة الذي تولى الإمامة بمسجد الولي الصّالح عبد الملك الرّقاني بمدينة رگان، وكان ضليعا في الفقه والحديث.

– حتى قال فيه أحد أعلام عصره: «لا تسالوني ما دام هذا الحبر فيكم»

– بختى محمد بن عبد العالي الذي تولى الإفتاء والتّدريس بمدينة متليلي أين توفي ودفن هناك سنة 1959م.

– المختار بن محمد بن عبد القادر البوكادي الذي تولى الإمامة بحي قصبة ميخاف.

– المختار بن الحاج محمد دادة الذي تولى الإمامة بمسجد فقارة الزّوى بعين صالح

– عبد الله بن أحمد البوكادي الذي خلف عمه المختار في إمامة مسجد حي قصبة ميخاف.

– أمحمد بن الحاج الدّباغ الذي تولى الإمامة بحي أخنوس بأولف. وغير هؤلاء كثير.

ولقد ترك رحمه الله مكتبة ضخمة تضم المخطوطات والكتب النّادرة، وكَتَبَ فهرسا لها بيده في كراسة سنة 1901م، وكان لخزانته دور كبير في الحركة الثّقافية وتنشيط التّعليم بالمنطقة. ولقد أتت على هذه المكتبة عاديات الزّمن حيث لم يبق منها إلا القليل، وجزء منها الآن في عناية حفيده مبارك بن محمد الصّالح.

كان رحمه الله أية في الزّهد والورع والصّلاح والتّواضع وعمق الإيمان، انتقل إلى رحمة ربه في الأحد 25 شعبان 1361 ه الموافق 6 سبتمبر 1942م عن عمر يناهز الثّمانين عاما بعد أن أقعده المرض مدة طويلة بدأت منذ 1930م. دفن بمقبرة زاوية حينون أجزل الله ثوابه في عليين.

العيد بوده

■ سيد علي كويرات
(و:1352ه - 1933م/ت:1437ه - 2015م)

ولد سيد علي كويرات في حي القصبة بباب الواد، وهو حي شعبي، في عائلة بسيطة في 07 سبتمبر 1933، وعاش طفولة صعبة للغاية، وانخرط منذ طفولته بزقاق "الشاطئ الأحمر"، ضمن حركية ابتكارية لا متناهية، خلفت مشوارا حافلا من الأعمال المسرحية والتلفزيونية والسينمائية الخالدة.

بدأت حكاية كويرات مع الفن الرّابع عام 1950 بعد لقائه مع الكاتب مصطفى كاتب، الذي أنشأ آنذاك فرقة مسرحية تدعى (مسرح الجزائر)، وسافر معها إلى برلين في 1951 ثم إلى باريس في 1952 حيث كان يلعب في المقاهي الجزائرية بباريس لمساندة الثّورة التحريرية ولتوعية الجزائريين الذين كانوا يقيمون بفرنسا بضرورة تقديم الدّعم المالي والمعنوي لإنجاح الثّورة، ولم تكن برلين وباريس الوجهات الوحيدة التي قصدها الممثل كويرات، بل سافر أيضا إلى رومانيا وروسيا ودول شرقية أخرى كانت تساند الثّورة الجزائرية.

بعد الاستقلال، التحق كويرات بالمسرح الوطني الجزائري ثم بالسينما، قام الرّاحل، سيد علي كويرات، بتخليد كفاحات الأبطال، عبر سلسلة من الأعمال السّينمائية الهادفة، التي نوّهت بمآثر وعظمة الشّخصية الجزائرية المقاومة للاحتلال الفرنسي، حيث كانت بداية تألقه في عالم السّينما عام 1963، من خلال فيلم "أبناء القصبة" لـ "مصطفى بديع".. فمن منا لا يتذكر تلك

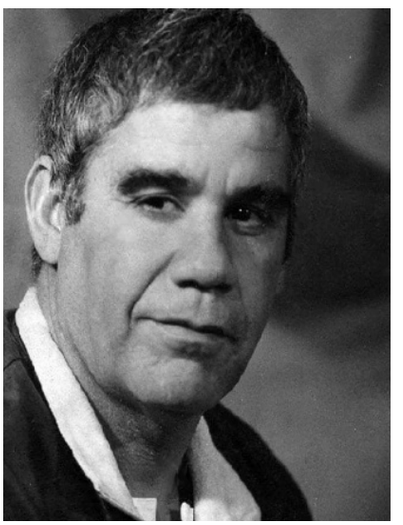

العبارة المشتعلة شموخا "يا علي موت واقف"، التي صنعت جمال "الأفيون والعصا"، وفيلم "وقائع سنين الجمر" الذي نافس في مهرجان كان الدّولي، وغيرهما من الأعمال الخالدة التي دون بها الرّاحل، سيد علي كويرات، اسمه بأحرف من ذهب في سماء السّينما الجزائرية.

ولقد حقق الرّاحل بعدها نجاحا كبيرا بأدواره السّينمائية وخصوصا في السّبعينيات والثمانينيات وهي الفترة التي مثلت العصر الذهبي للسينما الجزائرية، وهي أعمال جسدت في أغلبها بطولات الشّعب الجزائري الخالدة في مقاومة المستعمر الفرنسي، على غرار «الأفيون والعصا» (1970) لأحمد راشدي، و«ديسمبر» (1971) لمحمّد لخضر حمينة وكذا «وقائع سنين الجمر» (1974) الحاصل على السّعفة الذهبية بمهرجان كان السّينمائي.

كما أبدع كويرات في أفلام اجتماعية وكوميدية رائعة أحبها الجزائريون من قبيل «هروب حسان طيرو» (1974) لمصطفى بديع و«حسان طاكسي» (1982) لمحمّد سليم رياض وكذا «ميدالية لحسان» (1986) للحاج رحيم و«حسان النّية» (1989) للغوثي بن ددوش، بالإضافة إلى مشاركته في أعمال سينمائية لمخرجين أجانب على غرار «عودة الابن الضّال» (1976) و«الأقدار الدّامية» (1980) للمخرجين المصريين يوسف شاهين وخيري بشارة.

وابتداء من التسعينيات بدأت أعمال الفنان تقل إلا أنه ترك بصمته رغم ذلك في عدد من الأعمال السّينمائية على غرار «صحراء بلوز» (1991) لرابح بوبراس و«المشتبه بهم» (2004) لكمال دهان و«موريتوري» (2007) لعكاشة تويتة، كما شارك في عدد من المسلسلات من بينها «اللاعب» (2004) لجمال فزاز و«عمارة الحاج لخضر» (2009) لمحمود زموري.

وتوج الفقيد على مدار مساره الفني بالعديد من الجوائز الوطنية والدولية نظير أعماله الكثيرة التي كرسها لخدمة الثّقافة والفن والوطن.

وتبقى مشاركته في فيلم "وقائع سنوات الجمر"، الذي نال السّعفة الذهبية في مهرجان كان عام 1975 المحطة الأبرز في مشواره، الفيلم الذي صور الحياة القبلية في جبال الجزائر، التي كانت تعيش على حياة التنقل في الصّحراء والرعي، ثم لم تلبث أن تحولت الصّحراء إلى ساحة للقتال والجهاد المستميت، من أجل نيل الحرية المخضبة بالدماء، ويغلب على الفيلم روح

التراجيديا، حيث سادت فيه مناظر البؤس والألم والمجازر الدّموية لمئات من المواطنين.

يعتبر الفنان الجزائري الرّاحل، سيد علي كويرات، واحدا من أهم أعمدة الفن الجزائري.. خلف حضوره في مختلف الأعمال التي شارك فيها أثرا خاصا لدى الجمهور الذي تابع مشواره الحافل بالإبداعات المبهرة على مدار سبعة عقود كاملة.

رحل العملاق، سيد علي كويرات، في الخامس أفريل 2015، وسيظلّ هذا الأسد حيا في قلوبنا، مثلما خلدت مقولة "علي موت واقف" في أذهان الأجيال المتعاقبة.

فقدت الجزائر نجمها السّينمائي سيد علي كويرات عن عمر ناهز 82 عاما، بعد مسيرة حافلة بالعطاء صار خلالها أيقونة سينمائية في بلاده، لا سيما بعبارته الشّهيرة «علي موت واقف».

توفي سيد علي كويرات بتاريخ 5 أبريل 2015، بمدينة الجزائر العاصمة ودفن باليوم الموالي بمقبرة واد الرّمان

هند موساوي

ش

■ شريف اشناتلية
(و:1374ه - 1955م / ت: 1417ه - 1997م)

أديب متعدد الاهتمامات بدأ حياته شاعرا فقاصا، ثم روائيا، ولد في 17/ 02/ 1955 بعين البيضاء، ولاية أم البواقي شرقي الجزائر، ينحدر من عائلة ثورية عانت الكثير من ويلات الاستدمار الفرنسي، وعرفت بالشّيم والنّبل والشّهامة، وقد سميت بعائلة أو بقبيلة لحراكتة المعروفة بالمنطقة.

يعد أبرز الأدباء الشّباب لتعدد أنشطته ومثابرته على الكتابة والتّنوع، وقد تنوعت كتاباته وفقا للموضوعات التي كانت تؤرق اهتماماته، فكتب في الشّعر وفي القصة، وبرز فيهما، كما اهتم بالأحداث التّاريخية المرتبطة بمنطقة عين البيضاء، وأم البواقي، إذ كانت له إسهامات في تسجيل الأحداث التّاريخية وما يتعلق بتاريخ وذاكرة المنطقة التي ينحدر منها وينتسب إليها، وإلى جانب هذا النّشاط المتعدد عمل في الصّحافة الوطنية المكتوبة بالعربية متعاونا ومراسلا.

زاول دراسته الابتدائية والمتوسطة والثّانوية في مسقط رأسه، ثم انتقل بعدها إلى المعهد التّكنولوجي للتربية بقسنطينة لترشيح مدرسي المرحلة المتوسطة، وتخرج فيه بشهادة الكفاءة للتدريس عامّ 1978.

عمل أستاذا للأدب العربي في عين البيضاء، وبعد سنوات من التّدريس واكتساب الخبرة عين مديرا لمتوسطة بمدينة واد زناتي.

حصل على جائزة وطنية عن قصته الطويلة ناموسة أو ما اصطلح على تسميتها ميني رواية، وقد جوزي بطبعها على عاتق منظمي المسابقة لنيلها المرتبة الأولى.

كان عضوا عاملا لاتحاد الكتاب الجزائريين، ونظرا لنشاطه الدّؤوب في الاتحاد انتخب رئيسا لفرع الاتحاد بولاية أم البواقي أواخر الثّمانيات. ونظرا لقيمته الأدبية وإسهامه الفعال في الاتحاد اقترح تنظيم مؤتمر اتحاد الكتاب الجزائري برئاسة عز الدّين ميهوبي آنذاك في دورة من دوراته بمدينة عين البيضاء، وحظي بثقة المسئولين المحليين آنذاك ونظمت الدّورة بعد أن أبدت بعض ولايات الوطن تحفظا أو عجزا في احتضانها.

إضافة إلى نشاطه الثّقافي في الاتحاد، فقد انتخب عضوا للمجلس الشّعبي البلدي لمدينة عين البيضاء وكلف برئاسة اللجنة الثّقافية ببلدته.

وقد عرفته هادئا سكوتا عامرا بالطموح والحيوية، دائم الابتسامة لا يتحدث كثيرا، شاركنا في عدة ملتقيات من تنظيم اتحاد الكتاب الجزائريين نهاية الثّمانينيات وبداية التّسعينيات.

بدأ الكتابة في سن مبكر، ونشرت له العديد من المقالات والقصص في الكثير من الصّحف والمجلات الوطنية وخاصة جريدة النّصر التي كان مواظبا على النّشر بها، وقد نشرت له العديدة من القصص القصيرة.

ورد اسمه في معجم البابطين بابتسار شديد جدا، كما ورد في موسوعة التّراجم والأعلام، الجزء الأول الصّادر ببيروت طبعة 1999.

توفي إثر مرض عضال لازمه مدة من الزّمن ودفن في مسقط رأسه عين البيضاء عامّ 1997.

من أهم كتبه:

1. (علماء منطقة أم البواقي وعين البيضاء)، جمع فيه ما أمكن من أعلام منطقة أم البواقي وعين البيضاء (ناموسه) الشّركة الوطنية للنشر والتّوزيع - الجزائر 1983 وهي رواية نال بها الجائزة الثّقافية لولاية قسنطينة التي كانت تنظم دوريا تحت غطاء

حـزب جبهـة التّحريـر الوطنـي، إلـى جانـب إدريـس بوذيبـة، ومحمـد زتيلـي.

1. حـب أم شـرف (روايـة)، منشـورات آمـال، وزارة الإعـلام والثّقافـة، العـدد 43، ط1 الجزائـر

الإنتاج الشّعري:

لـه قصائـد منشـورة فـي الصّحـف منهـا: «هـذا هـو عيـدك» - مجلـة آمـال - عـدد 42 - وزارة الثّقافـة -الجزائـر 1977،

و«صـلاة فـي شـارع الطغـاة» - مجلـة الضّـاد - عـدد 4 - جامعـة قسـنطينة - الجزائـر 1979،و«بعمـري ذكريـات» -مجلـة الضّـاد - عـدد 5 - جامعـة قسـنطينة - الجزائـر 1979،

و لـه ديـوان مخطـوط، بعنـوان: تراتيـل فـي محـراب الوفـاء.

الملاحـظ أن النّـادر المتـاح مـن شـعره يعكـس بعـض ملامـح شـاعريته وبخاصـة فـي تشـكيل القصيـدة الشّـعرية، حيـث زاوج بيـن الشّـعر العمـودي المـوزون والمقفـى وقصيـدة التّفعيلـة المطلقـة، ولكـن المـوزون عنـده غيـر مسـتقر الـوزن، وغيـر موحـد القافيـة، كمـا أن شـعره ذاتـي يميـل إلـى البسـاطة والوضـوح، وهـو فـي قصيـدة التّفعيلـة أقـرب إلـى النّضـج الفنـي.

وبمناسـبة يـوم العلـم وفـي تاريـخ السّـادس عشـر مـن افريـل 2017 سـمي المـدرج الكبيـر، أو قاعـة المحاضـرات الكبـرى لجامعـة العربـي بـن مهيـدي باسـمه ورد هـذا فـي موقـع الجامعـة بقلـم شـفاي شـوقي.

وقـد احتضنـت كتاباتـه القصصيـة يوميـة النّصـر حيـث نشـرت لـه مجموعـة مـن قصصـه القصيـرة فـي بدايـة التّسـعينيات.

باديس فوغالي

المصادر:

- الرّبعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشّعر الجزائري (ج1) - دار الهدى -عين مليلة (الجزائر) 2002.
- معرفتي به الخاصة في إطار فاعليات اتحاد الكتاب الجزائريين.

■ صالح بن باسعيد بن حمودة، بهون علي (ت: 1309ه - 1891م)

من مدينة العطف من عشيرة آل الخلفي، لا نعرف عن ميلاده شيئا ولا عن حياة تعلمه الأولى ولا عن مقر عمله ولا تجارته إلا ما يمكن أن نستنتج من بعض النّصوص التي عثرنا عليها في بعض أرشيف السيّد بهون علي حاج حمودة بن علي بن باسعيد بن حمودة حفظه الله، أو بعض أرشيف السيّد الحاج سعيد حاج محمد بن باحمد بن حاج أحمد بن إبراهيم رحمه الله.

قال السّيد بهون علي حاج حمودة بن حاج علي بن باسعيد يوم الثّلاثاء 28 صفر 1427ه/ 28 مارس 2006م وهو ابن أخيه. وكان إماما بمسجد أبي سالم بالعطف:

«إن الحاج صالح بن باسعيد بن حمودة قد حضر جنازة والده الذي توفي في مكة المكرمة ودفن هنالك»

ووجدت في ورقة مكتوبة هذا النّص:

«هذا تقييد أوان موت عمنا الحاج سعيد بن حمودة، قد مات في ربيع الثّاني من عام 1276ه في يوم ستة عشر منه قبل الزّوال بساعة ونصف...»

وهذا يوافق حوالي سنة 1860م.

وقد شهد هذه الوفاة أسماء وهم: «الحاج أحمد بن إبراهيم والحاج إبراهيم بن صالح، والحاج زكرياء بن إسماعيل والحاج إبراهيم بن داود والحاج محمد بن الطيب وكاتب الورقة بلحاج بن إبراهيم..»

وبعد ما كتب ما ترك من مال بعد هؤلاء الشّهود كتب «وغيرهم من المجاورين».

وبعد ذلك كتب مصاريف الجنازة من دفن وغسل وحمل فقال: «هذا تقييد ما دفعه الحاج أحمد بن إبراهيم والحاج صالح بن الحاج سعيد حين مات عمنا الحاج سعيد...»

وفي نهاية القرطاس قال: «وأيضا بشهادة من ذكر أن الحاج أحمد والحاج صالح دفعا لعلي بن الحاج قاسم عشرة دورو من قبل أن يحج عن عمنا الحاج سعيد بن حمودة»

وقال الحاج حمودة أبناؤه هم: حاج علي بن باسعيد، حاج صالح بن باسعيد، وحنة بنت باسعيد، ومامة بنت باسعيد، عائشة بنت باسعيد.

حاج علي بن باسعيد خلف: بكير وحمودة وإبراهيم وعمر ومحمد وسعيد ومامه وعائشة وفافة ولالة.

وحنة بنت باسعيد كانت عالمة تعظ المجتمع النّسوي وهي شديدة في الحق ولها بنت هي مريم بنت أم المؤذن بهون علي حاج سعيد بن الحاج أحمد وأخيه محمد.

ومامة بنت باسعيد خلفت ابنها الحاج إبراهيم بن حاج بكير خلفاوي والد عيسى خلفاوي.

عائشة بنت باسعيد خلفت بنتا.

تزوجت السّيد حمودين باسة (باحمو) سقاي في المسجد العتيق بالعطف.

نانة بنت باسعيد هي زوجة السّيد امحمد بن بافو.

حاج صالح بن باسعيد خلف: محمد، وبهون وحنة.

محمد بن حاج صالح بن باسعيد بكني بوديسة كان يشرف على عملية التّسويق في العاصمة للسيد الحاج سعيد قاسم بن حاج عمر كونكيرونص (concurrence) بغرداية.

بهون بن حاج صالح تزوج في الگرارة واستقر هنالك وهو والد علي بن بهون وفافة بنت بهون ولالة بنت بهون.

حنة بنت الحاج صالح بن باسعيد تزوجت السّيد سماوي حاج محمد بن بايوب (المبايي) وخلفت: حاج عمر بن محمد وصالح بن محمد وباحمد بن محمد بلبل ولالة بنت حاج محمد بايوب هو زوجة الشّيخ بن يوسف سليمان بن حاج داود.

وهذه الأم الحنون حنة بنت الحاج صالح كان عمرها عامّ 1934 يصل 53 عاما أي ولدت سنة 1881م وعليه فإن والدها طبعا ما يزال حيا وبالتّالي فإن الوقف الذي أحدثه والدها في مكة المكرمة صحيح حسب العقود التي بين أيدينا وهو شراء أرض في شعب أجياد وإعلانها بعقد صريح أنها وقف لجميع الإباضية المغاربة بالجزائر وذلك يوم 12 ذب القعدة 1283ه توافق عامّ 1867م وكتب في مقدمته:

«إن الجناب المكرم الحاج صالح بن سعيد المغربي المصعبي العطفاني من الغرقا لما علم أن الدّنيا...». نسأل الله له القبول.

وفاته:

وأما وفاته فإنها لم تضبط ولم أجد ما يثبت ذلك إلا من خلال ما استخلصته من وصية أخته نانة بنت باسعيد بن حموده التي كتبت في النّهاية:

«وقد استخلفت الحاج محمد بن الحاج يحي في موضع الحاج صالح بن باسعيد بتاريخ 11 ذي القعدة 1310ه». وهي زيادة على وصيتها التي حررت في جمادى(2) 1309ه، وأما في وصية زوجها امحمد بن بافو فقد زاد في وصيته: «وما له هناك من الأرض قد أوصى بذلك لأخيه عمنا الحاج داود بن بافو وعلق فيه ماله من نوبة عمنا الحاج صالح بن باسعيد فقد ناب له صاعا فصارت النّوبة رجعت كلها على عمنا الحاج داود».. اه.

وهي مؤرّخة بأوائل رجب عام 1309ه وهو ما يوافق عامّ 1891م. وهذه السّنة لعلها تكون سنة وفاته حسب هذه النّصوص المذكورة. والله أعلم بالحقيقة.

وأما الأستاذ الحاج سعيد الحاج يوسف بن بكير مؤلف الكتاب تاريخ بني مزاب ص 110 فقد ذكره واعتمدت عليه جمعية التّراث بالـگرارة فذكر في معجم الأعلام الإباضية ج3 ص 472 رقم 502: «أحد أعلام بلدة العطف (تاجنينت) بميزاب، وثري من أثرياتها بعد النّظر وحسن التّدبير...». ولم تذكر وفاته ولا مولده وإنما اكتفي بذكر تاريخ عقد التّحبيس المذكور سابقا بلفظ: «حي في: 12 ذي القعدة 1283ه/ 1867م».

حاج أحمد حمو كروم

■ صالح بن بكير بن صالح بن بعمّور، بعمّورالشّيخ
(و: 1374ه - 1955م / ت: 1417ه - 1997م)

المجاهد والوطني الغيور صالح بن بكير بن صالح بن بعمُّور، لقبه العائلي بعمُّور الشّيخ، من عشيرة «آل النّعاليف" بقصر غرداية، الجزائر، أمّه الفاضلة مامة بنت بكير نعلوفي، ولد صالح بعمور الشّيخ خلال سنة 1335ه، الموافقة لسنة 1917م، نشأ وترعرع في أحضان عائلة متواضعة، وانخرط كسائر الصّبيان في ذلك الوقت في محضرة "عمُّور" لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ اللغة العربية، ثم انتقل إلى مدينة (قسنطينة) حيث توجد تجارة أبيه، فدرس في المدرسة الفرنسية بتلك المدينة، ودرس عند "الطالب علي» القرآن الكريم في دار (آت المَعرَاض) بقسنطينة، وهذا قبل أن تنشأ مدرسة "الهُدى" القرآنية.

وكغيره من الفتيان إذا اشتد عودهم، ونظرا للظروف المعيشية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، كان الابن "صالح" قد انخرط في تجارة أبيه في دكانه الكائن بشارع (الجزّارين) بقسنطينة، ثم سافر بعد ذلك إلى مدينة فرجيوة (ولاية ميلة) سنة 1931م وعمره آنذاك 14 سنة ليعمل بها، ومكث في هذه المدينة مدة 14 عاماً أي إلى سنة 1945م، حيث غادرها إلى الحرُّوش (ولاية سكيكدة) ليؤسس شركة تجارية مع ابن عمه "صالح بن أحمد بعمّور الشّيخ»، وفي هذه الفترة وبهذه المدينة ومن خلال هذه التّجارة تفتقت مواهب السّيد "صالح"، وقد ارتبط الحاج صالح ببنت الحلال "حواش عائشة بنت داود» سنة 1936م وعمره آنذاك 19 سنة، ورزق منها عشرة أولاد؛ مات أربعة منهم وبارك الله في السّتة الباقين، ثلاثة ذكور وثلاث إناث، وقد توفّيت هذه الزّوجة البرّة في أفريل 2014م، ولم يترك الحاج صالح الحرّوش إلا سنة 1987م حيث استقرّ بمسقط رأسه بغرداية، تميز الحاج صالح بعدة صفات جعلته يحتل المكانة الطيبة في قلوب معاشريه، أهمّها: تقوى الله والتّضحية في سبيل الوطن، والإحسان إلى النّاس والتّفاني في خدمتهم، وكذا زهده عمّا في أيدي النّاس.

لم يكتسب "الحاج صالح» علماً غزيراً يرشّحه إلى أن يتبوأ صدارة المجتمع، ولكن بما حباه الله من إيمان راسخ وحب للخير للناس وتفان في العمل استطاع أن يترك صورة ناصعة في كل مكان وجد فيه، ومن ذلك مثلا: انخراطه في المنظمة الاجتماعية (إمصوردان) ببلدة غرداية، وانضمامه إلى إحدى فرق الحراسة بالمدينة، وقد أبلى فيها بلاء حسنا، خلال عضويته لحزب جبهة التّحرير الوطني حيث وجد الحاج صالح نفسه في مدينة الحروش، وبحكم عمله النّضالي فقد كان من أهم الأعضاء البارزين في هذا الحزب أثناء وبعد الثّورة التّحريرية، وكذا عضويته للمجلس الشّعبي البلدي للحروش، إذ كان عضواً عاملاً في المجلس المذكور لمدة 12 سنة (1967م إلى 1979م)، وهي فترة ثلاث عهدات متتالية، ويُذكر أنه اقترح عليه رئاسة البلدية فأبى، واكتفى بمسؤولية أمانة المال بالبلدية، من حساسيتها وخطورتها، وقد قام بعدّة إنجازات لصالح مواطني البلدية وهم يشهدون بها له إلى يومنا هذا، كما امتاز بعلاقته الطيبة مع شركائه ومتعامليه، فقد عرف الحاج صالح في هذا الصّدد بتسامحه مع جميع النّاس، ومع شركائه بالخصوص، ولا يخفى على أحد المشاكل المتولّدة عن الشّركات، ولذلك نرى أثر ذلك التّسامح في بقاء الشّركة قائمة لمدة 45 سنة، وأخيراً تربيته لأبنائه أحسن التّربية، ليكونوا له خير خلف من بعده.

أما عن نشاطه النّضالي والثّوري، فيقول المؤرّخ حمو بن محمد عيسى

النّوري، في عنوان خلية الحرُّوش: "بعمور الشّيخ صالح بن بكير، بعمور الشّيخ سليمان... تجار شركاء في الحرُّوش، كان محلهم مركزاً هاماً للتموين بالمواد الغذائية والأقمشة وجمع الاشتراكات والتّبرعات في نواحي الحرُّوش، وكان عملهم الثّوري مباشرة ابتداء من انطلاق الثّورة مع الإخوة: بغدادي بوغابة، والطاهر الشّطي، وامصيبح محمد، وعلي مصباح، وغيرهم بالولاية الثّانية، المنطقة الثّالثّة، النّاحية الثّانية، القسمة الأولى»، إلى ان يقول في موضع آخر عنه: «أما بعمور الشّيخ صالح بن بكير فهو مسؤول العمل والاتصالات»، فقد كان محله مركزا من أهم مراكز جمع التّبرعات والتّموين لفائدة الثّورة نظرا للثقة الممنوحة لشخصه، والسّريّة والكتمان اللذين يتمتع بهما، وكان العمل يتم عن طريق أطفال المدارس، إذ يأمر الثّوار بعض الأولاد الذين يذهبون إلى المدرسة صباحاً إلى الذهاب إلى دكان الحاج صالح محمّلين بورقة فيها المواد التي يطلبونها أو ما يودون الاحتفاظ به عنده، وعادة ما تكون تحت مادة التّبن في سلة للبيض، فيضعها الأولاد في الدّكان بعد أن يسلموا على الحاج صالح، وبعد خروجهم من المدرسة يصطحبون معهم تلك المواد الغذائية أو غيرها من الأقمشة إلى الثّوار في الجبال».

وقد وجدنا وثائق هامة تبيّن الوقوف القوي للحاج صالح مع ثورة التّحرير، ففي وثيقة كتبت من جيش التّحرير بمنطقة سكيكدة مؤرّخة ب:13 فيفري 1956م، ورد فيها امتنان جبهة التّحرير الوطني للوقوف المادي والمعنوي للحاج صالح مع الثّورة، كما اعتُرف للحاج صالح بصفة العضوية في المنظمة المدنية لجبهة التّحرير الوطني من قبل لجنة سكيكدة في بطاقة رقمها: 1059، كما شهدت هذه اللجنة بمشاركته وبدون انقطاع من سنة 1956م إلى 1962م، كما يوجد في نفس الوثيقة شهادة بسجنه من 22 جانفي 1958م إلى 22 فيفري 1959م، وممن كانت له علاقة بالحاج صالح من الثّوار بالإضافة إلى ما ذكره النّوري في كتابه، اتصل بالمجاهدين: زيغود يوسف، وفضيلة سعدان، وبشير بوقادوم، وعلي كافي، والعربي دماغ العتروس، ومحمد حربي المؤرّخ والكاتب المعروف.

ويقول النّوري: "وقد ألقي عليه القبض مرتين: الأولى سنة 1955م بالحرُّوش، حينما أخفوا عنده – في «كُورِي» للبهائم – ثلاثة من الفدائيين يوم 20 أوت 1955م وفتشوا محلهم فوجدوا بندقية واثنتين من الآلات الرّاقنة للجيش، فأخذوه في الحين إلى البراج المسمى: «زردازه" وعزموا على إعدامه، ولكن بفضل الله وبالمساعي المبذولة والفداء بالأموال نجا من الإعدام واستمر مع جماعته في العمل، والثّانية: أوشى به بعض الخونة إلى الاستعمار، ففتشوا المركز فألقوا القبض على جماعة فأنكروا في الاستنطاق كل ما وجه إليهم؛ إلا واحدا منهم اعترف بما كان يأخذ من المؤونة من محلهم للجيش، وأما بعمُّور الشّيخ صالح هرب من الحرُّوش إلى سكيكدة، فألقي القبض عليه فيها، فحكم عليه بالسّجن 5 سنوات، ثم استأنف الحكم فحكم عليه بالسّجن من 1957 إلى 1958م بعدما قدم نحو ثلاث ملايين فرنك من المصاريف، فخرج كل الذين ألقي عليهم القبض معه إلاّ الذي اعترف به فقد حكم عليه ثلاث سنين».

بعد حياة حافلة بالعطاء والإنجازات انتقل الحاج صالح إلى رحمة الله يوم الجمعة 05 ذو الحجة 1415ه، الموافق ل05 ماي 1995م في مقر سكناه الكائن بشارع أداود وسط مدينة غرداية، عن عمر يناهز 78 عاما.

جابر بن بكير بعمور الشّيخ

المصادر:

- حمو عيسى النّوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثاً، دار البعث، قسنطينة، ج3.
- المجاهد بعمور الشّيخ صالح بن بكير، تأليف: إبراهيم بن عمر بورورو، كتاب غير مطبوع.
- جابر بن بكير بعمور الشّيخ، مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد: 43، سنة 2016م.

■ صالح خوالدية
(و: 1297ه - 1880م)

ولد خوالدية صالح يوم الثّامن ماي سنة 1880 بقرية بني مزلين على بعد عشرين كيلو مترا شرقي مدينة كَالمة وبمسقط رأسه التحق بإحدى المدارس القرآنية أين حفظ شيئاً من القرآن الكريم، ولما بلغ سن الدّراسة القانونية أدخله والده مدرسة التّعليم الاستعماري الوحيدة من نوعها في كَالمة يومذاك وقد أظهر منذ البداية شغفا كبيرا بالدّراسة والتّحصيل وأبدى تفوقا ملحوظا على أقرانه من أبناء الجزائريين وأبناء الكولون، على السّواء مما مكنه من إتمام المرحلة الابتدائية والمتوسطة بتفوق واضح ليلتحق سنة 1895 بمدينة قسنطينة لمتابعة دراسته الثّانوية أين وجد المجال أمامه واسعا لتثقيف نفسه وتعميق معارفه فكان إلى جانب دراسته الثّانوية يتردد على المدرسة الكتانية لمتابعة بعض الدّروس التي كان معنيا بها ومهتما بتحصيلها كما كان يداوم على حضور الدّروس التي كانت تنتظم في

بعض مساجد وزوايا المدينة، وهذه الازدواجية في الدّرس والتّحصيل تُبْرِزُ بوضوح إحدى مزايا الشّاب خوالدية صالح الذي لم يقف به طموحه عند مجرد الاكتفاء بتعلّمُ اللغة الفرنسية، وما ينتج عن ذلك من مركز ثقافي واجتماعي كما هو حال زملائه الآخرين بل إنه اعتبرَ أن تجاهل المرءِ لأصوله من خلال الانقطاع عن دراسة اللغة العربية من الأمور التي تُنافي الحكمة وتُجافي الرّوح العربي الخالدّ، خاصة بالنّسبة لشاب مثله يبحث عن ذاته وعن مستقر لقلق الضّمير وتضارب الأفكار وسيطرة المتناقضات في ظل واقع عنصري استغلالي رهيب كرسته الإدارة الاستعمارية في يوميات الجزائريين بل في كل لحظة من لحظات حياتهم ومن بين الوظائف التي اضطلع بها اشتغاله لمدة لدى وزارة المستعمرات الفرنسية، كمترجم محلف لشؤون الأهالي بمنطقة السّنيغال-غامبيا-النّيجر- قبل أن يجري تسريحه من منصبه في الفاتح جوان 1903 وذلك فيما يبدو بسبب عدم الاطمئنان إلى التزامه وولائه ولكن الشّاب المتحمس لم ييأس وواصل تكوينه الذاتي بكل جد وإصرار فكان من البديهي أن يُفضي هذا التّوجه الواعي والجهد الصّادق المتحمس الذي ما انفك صالح يبذله في التّحصيل والتّثقيف الذاتي في عصامية مثيرة للإعجاب إلى نتيجتهِ المحتومةِ، إذ أصبح صالح يتمتع بثقافة رصينة واسعة منحته القدرة على العمل السّياسي والحركي ومكّنته من الوقوف على حقيقة وأبعاد السّياسات الاستدمارية الأوربية ومخططاتها لضرب العروبة والإسلام فشن بين سنتي 1903 – 1906 حملة قلمية واسعة النّطاق نَدَّدَ فيها بالمظالم والمخازي التي يقترفها الاستدمار الفرنسي سراً وعلانية في حقّ الجزائر والجزائريين وفي حقّ مختلف المستعمرات الأفريقية التي كان خوالدية صالح قد زار الكثير منها وتعرف ميدانيا على واقعها المُفْجِعْ تحت وطأة الاستغلال والوحشية الاستدمارية الفرنسية والغربية بصفة عامة، إذ أنه ألقى سنة 1903 تحت إشراف الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر محاضرة علمية هامة حول الرّحلة التي قام بها إلى كل من بحر الغزال (السّودان حاليا) ومنطقة وَدّاي (شمال التّشاد)، وذلك تمهيدا فيما يذكر بعض الباحثين لخطوات سياسية كان ينوي القيام بها وكما هو منتظر في تلك الظّروف فإن كثرة تحركاته وكثافة اتصالاته مع مختلف الهيئات والشّخصيات السّياسية والفكرية الأوروبية والعربية قد أثارت حفيظة الإدارة الاستدمارية عليه وجعلها ترتاب فيما كان يُبيِّتُهُ من أهداف وغايات فاعتقلته بوهران في أوائل شهر أوت من عامّ 1903 لتدينه محكمة الرّدع الخاصة بالأهالي بالحبس النّافذ مدة خمسة عشر يوما وغرامة مالية قدرها خمسين فرنكا وقد جاء الحكم في صورته المخففة هذه بسبب تدخل عدة شخصيات سياسية لصالحه وبعد إطلاق سراحه سافر إلى تونس التي مكث بها بضعة أشهر حسب البعض أو مدة ثلاث سنوات كما يذكر البعض الآخر وانطلاقا من تونس نشر تصريحا طويلا باللغة العربية والفرنسية وقد أصدر تصريحه ذاك باعتباره رئيسا لهيئة سياسية تُدعى الاتحاد الإسلامي، مؤكدا من خلال هذا التّصريح على حقيقة أن أوربا لن تكفّ عن نهجها العدواني تجاه العالم الإسلامي وأن فرنسا وبريطانيا هما أكبر عدو للإسلام والمسلمين موضحا أن وحدة المسلمين هي الأساس وهي المنطلق المضمون لكل محاولة جادة ترمي لإخراج العالم الإسلامي من مأزق الضّعف والسّيطرة الغربية مبرزا في ذات الموضع أن التّاريخ الإسلامي المجيد هو المنبع الذي يتوجب على المسلمين أن يستقوا منه مواقفهم وتطلعاتهم ليكون التّاريخ أداة التّعامل، مع الحاضر وقوة فاعلة وديناميكية لتوجيه المستقبل وإعادة رسم معالم الوجود الإسلامي على الخريطة العالمية لا مجرد أداة للتخدير والعيش الرّاكد على أمجاد الماضي.

نعيمة السعدية

ع

■ عامر محفوظي
(و: 1348ه - 1930م/ت: 1430ه - 2009م)

هو عامر محفوظي بن المبروك بن مزوز المحفوظ بن أحمد الملخوي النّائلي العربي نسبًا، الجزائري موطنًا، الجلفاوي سكنًا، السّني المالكي عقيدة ومذهبًا

ولد خلال 1930 بمدينة مسعد جنوب ولاية الجلفة، نشأ وترعرع في كنف القرآن، فقد كان والده المبروك حافظا للقرآن متمكنا منه، وقد تفرس في ابنه عامر هذا، مذ كان رضيعا يتمتم بلسانه ويحركه كلما شرع هو في القراءة، فقر في نفسه أنها إشارة ربانية على علو قدر هذا الابن، فأولى عنايته به إلى أن تمكن من تلقينه القرآن وتحفيظه له، والطفل لم يتجاوز بعد عامه الثّاني عشر، حينها قدمه للصلاة بالنّاس في مسقط رأسه.

في سنة 1946 أرسله والده إلى زاوية الهامل وأقام بها سنة حيث توفي والده رحمه الله في سنة 1947 تعرف بالإمام الشّيخ عطية مسعودي بالجلفة وطلب منه الإقامة عنده ليعلم أولاده ويتعلم منه، ومن ذلك التّاريخ بدأ الدّراسة فقرأ عنه متونا جمّة: في الفقه مختصر خليل وأقرب المسالك، وفي اللغة العربية الأجرومية وقطر النّدى بشواهده وألفية ابن مالك، وفي الفرائض الرّجية الدّرة البيضاء، وفي أصول الدّين الجوهرة الخريدة السّنوسية، وفي الحديث الشّريف المصطلح والبيقونية والاربعين النّووية وريّاض الصّالحين والصّحيحين البخاري ومسلم.

وفي سنة 1952 أذن له الشّيخ في التّدريس للطلبة الذين ارتفعت معلوماتهم بحفظ القرآن الكريم وفي تلك الحقبة من الزّمن

لازم الشّيخ ملازمة الظّل للشخص في جلساته العامة والخاصة وكتب عنه ما ينظمه ويقدمه من نصائح وإرشادات وسجل ذلك، بالإضافة إلى الفتاوى في مجموع ديوان قدمه مفاجأة للشيخ، وذلك في سنة 1957 وأهداه له فاهتز له طربا وراح به معجبا وأنشد:

أبا عمر بوئت في الخلد مقعدا

وبارك في محياك ربي وأسعدا

وفي سنة 1962 أجرى أول امتحان رسمي لحفظة القرآن الكريم بإشراف المفتشية الرّابعة في البليدة لوزارة الأوقاف، فنال الرّتبة الأولى في حفظ القرآن الكريم، وفي سنة 1963 دخل كمعلم في وزارة التّربية الوطنية

منح شهادة التّحصيل المعادلة لقسم الباكالوريا في العلوم الاسلامية سنة 1967 من الاستاذ الشّيخ نعيم النّعيمي مفتش قسنطينة وفي السّنة نفسها خرج من التّعليم ودخل سلك الأئمة بطلب من شيخه ليساعده في المهمة، وأثناء دراسته نظم بعض الفوائد في الفقه والنّحو واللغة والسّيرة النّبوية: من ذلك في الفقه 66 بيتا، ومنظومة في دماء الحج الثّلاثة: الهدي والفدية وجزاء الصّيد، والنّخبة اليسيرة المختصرة من السّيرة تحتوي على 700 بيت، وشروط الوجوب والصّحة للجمعة، وشروط تكبيرة الإحرام، وأبيات في النّحو والأدب.

وفي سنة 1972 أجرى امتحان الائمة فنال رتبة الامتياز، وهي تعادل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية، وفي سنة 1974 عين مرافقا ومدرّسا للحجاج من طرف وزارة الشّؤون الدّينية، وعين عضوا في الامتحانات ولجنة المراقبة والتّصحيح، وشارك بمحاضرات قيّمة في المناسبات والأعياد الدّينية والوطنية.

وفي سنة 1975 باشر الفتوى الشّفوية والكتابية والخطابة في المسجد الكبير مسجد سي أحمد بن الشّريف نيابة عن الشّيخ حين ظهر عجزه عن أداء مهمته، وفي سنة 1993 كلف من وزارة الشّؤون الدّينية القيام بمهام نظارة الشّؤون الدّينية، فعمل بها ثلاث سنوات بالإضافة إلى عمله المسجدي (القيام بدرس الجمعة والخطبة وصلاة التّراويح)

وفي سنة 1994 عين عضوا في لجنة الفتوى والتّدريس وتوعية الحجاج من طرف وزارة الشّؤون الدّينية، وكان مقرر اللجنة ومساعدا لرئيسها آنذاك الشّيخ عمر دردور

وفي سنة 1995 عين كرئيس للجنة الفتوى في الحج من وزارة الشّؤون الدّينية، وفي سنة

1996 خـرج مـن النّظـارة متقاعـدا، وأعماله في المسـجد عاديـة بقدر الطاقـة مع تحضير الفتوى وتوجيـه المواطن للإصلاح والدّعوة بالتّي هي أحسـن، وأنتخب في الوقت نفسـه رئيسا للمجلس العلمي بالولاية ومفتيا للديار إلى غاية أن وافته المنية عصر يوم الأربعاء 20 ماي 2009

كان طيب السّـريرة إن شـاء اللـه، وطيب السّـيرة، فطاب رحمه الله تعالى حيًّا، وطاب ميتًا، مِن سيرته روى لي ثقات أنه كان في كثير من فصول الشّـتاء يذهب إلى حانوت، دكان يبيع الجلاليب القشاشـيب، فيشتري كميات ويذهـب إلـى ديـار يعـرف أن أهلهـا فقـراء، ويوزعهـا عليهـم، مـن مالـه، بـل وكـذا كان يشـتري البطاطين والأغطية ويوزعها ويؤتيها الفقـراء، وكان متصوفًـا رحمانيًّـا معتدلاً، لم يعرف بالبدع أو الخرافات، وكان رجلاً قرآنيًّا لا يتـرك قراءة القـرآن الكريم حتى في أحلك الظّروف وأشـدها؛ فقـد كان في مرضه الذي مـات فيه لا يفتأ يقرأ القرآن حتى وافاه الأجل على تلك الحال، وكان رحمه الله مفتيًا فقيهًا حاذقًا ذكيًّا مالكيًّا دون تعصب

وكان بيتُه لا يُغلَق رحمه الله تعالى، وكان كريمًـا يطعـم الطعـام، ولا يـرد المسـتفتين والزّائريـن مـن أماكن بعيـدة المـدى البرج، والمسيلة، والأغواط

وكان متفتحًـا علـى المذاهـب فـي فتـواه وتعليمه، غير متعصب لطريق أو مذهب رغم مالكيته ورحمانيته الظّاهرتين الجليتين رحمه الله تعالى

وكان مـن منهجيتـه فـي فتـواه أن يكتـب سؤال السّائل المستفتي كما سمعه، ثم يجيب كتابيًّا حسـب السّـؤال، ويختم وثيقة الفتوى بختمـه علـى أنه مفتـي الولايـة، ليسـتعملها السّائل في حدود المسموح به قانونًا؛ أي: إن فتـواه كانت تحمل الصّبغة القانونية، ومعترفًا بها في الجهات المعنية

عـرف عـن شـيخنا رحمـه اللـه تواضعه الشّـديد وصبره الكثير وإلمامه بأمور الفتوى وخصوصـا علـم المواريـث وعـرف عنـه اجتهـاده فـي أمـور الدّيـن نظـرا للمتغيرات الاجتماعيـة السّـريعة ومجالسّـته لجميـع الفئـات وإعطـاء كل ذي حقّ حقـه وحرصه علـى مشـاركة جميـع النّـاس أفراحهـم وأقراحهـم علـى حـد سـواء...وهو الرّجـل البسيط المتواضع صاحب الابتسامة الدّائمة والنّكتـه الحاضرة والـرّوح الخفيفة والذكاء الحاد

كما عرف سـي عامر بغزارة علمه وسـعة اطلاعـه، ورجاحة رأيه وصـدق نصحه، فقد جمـع إلـى جانـب علومه التـي تلقاهـا على مشـايخه بطريقـة تقليديـة، رصينـة، علومـا، وفهما، هدته إليـه عصاميته الفذة، ومجهوده الخـاص، إلـى جانـب ذلـك فقـد كان رجل كلمة تجمـع ولا تفرق، مسـرعا إلى إصلاح ذات البيـن بيـن العـروش والمتخاصميـن، متواضعا جدا، يسـلم علـى الصّغير والكبير، ويحتـرم المواطـن والبسـيط ويعطيـه قدره، ويعـرف كيف يتعامـل مع المسـؤول بحنكة وسعة أفق.

وقد ترك الشّيخ عامر محفوظي مجموعة كبيرة مـن الفتاوى يقال أنها تتجاوز العشـرة آلاف، تشـكل مرجعـا مهمـا لا غنـى عنـه للباحثين السّوسـيولوجيين والأنثربولوجيين فـي كثيـر مـن قضايـا النّـزاع فـي المجتمـع المحلـي، هـذا البنـك المعرفـي والمخزون السّوسـيو-ثقافي يجب أن يـرى النّور، حتى يكون نقطـة اشـتغال للمهتميـن بالتّحولات والتّغيرات في المجتمع الجزائري العميق.

كما ترك سـي عامر مؤلفيـن مهمين جدا، أولهمـا: «تحفـة السّـائل بنبـذة مـن تاريـخ سـيدي نائـل»، الذي يقـع فـي 172 صفحة، وطبعتـه الأولى كانـت عـن دار النّعمان عامّ 2002، كتـاب في إثبات نسـب سـيدي نائل، اشـتغال سوسـيو-ثقافي محـض، بمنهجيـة دقيقة ومختصرة. يقول عنه الإمام عبد القادر بن سـالم في تقريضه: «تسـر النّاظر، وتبهج الخاطر، تحفة الشّيخ سيدي عامر، فهي بحق تطابق الاسـم لما اشـتملت عليه من رياحين أخرج خبئها، وكشف السّتار عنها، من أعلام المنطقة، ممن يشـح الزّمان بوجود أمثالهم، خاصـة فـي عصـر الانحطـاط، وقلة الـزّاد، وضعف الهمة..»

أمـا ثانيهما فهو: «الطرفة المنيرة في نظم السّـيرة» قام مـن خلالها بنظم سـيرة النّبي e فـي 700 بيت بحر مـن الرّجز، وتعد إسـهاما تثقيفيا، تربويا مهما، تنتظر جهود الدّارسـين لشـرحها والتّعليق عليها، وتقريبها من القراء في طبعات قشيبة.

كمـا لـه «البيـان والايضـاح» شـرحه الإمام الميلود قويسـم، والعديد من الخطب المنبريـة، والمنظومات التي تظل مخطوطة، كما أن له مكتبة عامرة بالمخطوطات القيمة، إذ يكفـي أن نطلـع على رسـالة الدّكتور عمر بن قينة حـول الشّـيخ عبد الرّحمن الدّيسـي حتـى نعرف مكانة مكتبة الرّاحل الإمام سـي عامر محفوظي.

كمـا لا يفوتنـا أن نذكر أنـه أول من افتتح إذاعـة الجلفـة بصوته عبـر الأثير، فـكان أن تشـرفت به الإذاعـة، وما يـزال صوته رحمه اللـه يشـنف آذاننا مـن حين لآخـر، وخاصة بعـد كل أذان، وقد كان له برنامجان إذاعيان، الأول «حديـث السّـبت» والثّانـي برنامـج «الشّرع يجيب».

وفاته:

وبعد حيـاة حافلة من العطـاء الاجتهادي فـي الفتـاوى والوعـظ ترجل الفـارس عامر محفوظـي، وخرج إلـى النّهار يـوم الأربعاء 20 مـاي 2009م، ودفـن بمقبـرة سـيدي علي بن دنيدينة إلى جانب ضريح نجله وقرة عينه عمر محفوظي رحمهم الله جميعا.

بوعمارة بوعيشة

■ عائشة بنت بلحاج، بوبكر
(و: 1303ه - 1885م /ت: 1362 ه- 1942 م)

مولدها خلال سنة 1303ه/ 1885م ولدت السّيدة عائشة بنت بلحاج بن الحاج محمد بوبكر في شارع حوش بالعطف ولاية غرداية، وهي تنتسب إلى عشيرة آل المخارج.

نشأت في كنف والديها اللذين أرضعاها الخير وحب الفضيلة مع إخوانها الأربعة، أبوها كان من تجار المواد الغذائية في البلدة، وأمها هي مامة بنت الحاج موسى بوبكر من عشيرة آت المخارج وهي من أفاضل نساء زمانها.

لقد حفظت صورا من القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف والحكم والابتهالات بواسطة السّمع المباشر من ديار التّعليم التّقليدية وملازمة المسجد.

عندما بلغت سن الزّواج اقترنت بالسّيد الحاج سعيد الحاج محمد بن داود وأنجبت منه ولدين داود وزيلوخة وقد أحسنت تربية ابنتها إلى أن اختيرت هذه البنت عضوا في حلقة (تمسردين) وعندما توفي زوجها تزوجها السّيد الحاج أيوب موسى وطلقها عندما فقدت البصر.

في إحدى الأيام شاهدت رجلا في الشّارع لابسا برنوسا مخيطا بنوع رفيع من النّقش فقالت عائشة لامرأة ترافقها: أنظري هذا الرّجل لابس برنوسا نقشه جميل يعجبني. فلما وصلت دارها نسجت برنوسا مثله تماما وعندما زارتها هذه المرأة في يوم آخر قالت لها: هل أنت التي نسجت هذا البرنوس؟ فقالت عائشة: نعم أنا التي نسجته، وقالت لها المرأة لماذا قلت لي هذا النّوع لا أعرفه؟!

وعندما خرجت تلك المرأة شعرت بألم في عينيها ولم تفلح في مداواتها إلى أن فقدت كريمتيها بسبب هذه المرأة التي لم تقل الآية: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

العمل الكسبي: لقد كانت عائشة تحب العمل ولا تميل إلى الرّاحة بل كانت تعين أزواجها في سد رمق العيش ب:

- صنع الخبز وبيعه في دكان أبيها.
- خياطة الملابس للصغار والكبار بمستوى رفيع.
- خدمة الصّف في جميع مراحلها وبرعت في نسج البرانس ولم تنقطع عن ذلك إلى أن توفيت.

لم تكن عائشة تعيش لنفسها فحسب بل كانت مؤمنة تحب الخير لجميع النّاس كما تحبه لنفسها، ومن ذلك نذكر ما يلي:

تقوم بمساعدة النّفساء وقطع السّرة للمولود.

عند التّنبيه الأول للسحور في رمضان كانت السّيدة عائشة تخترق المدينة من شارع (الحوش) إلى شارع (تازارين) في حي بوسالم وهي تدق أبواب المنازل في طريقها إلى بنتها حتى توقظهم للسحور ثم ترجع إلى منزلها لتأخذ سحورها ثم تذهب إلى المسجد لتشهد صلاة الصّبح مع الجماعة.

لقد كانت تصحب معها حجرا إلى أي مكان ذهبت إليه حتى تشتغل فيه بكسر الفول وتنظيفه ولا تضيع الوقت.

مميزاتها الخلقية والخلقية: متوسطة القامة، قوية البنية، محبة للخير، محبة للقرآن والمسجد، محافظة على الصّلوات، تعتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، تتلو القرآن وتدعو الله وتستغفر لذنوبها كثيرا، شجاعة في مواطن الحق لا تخاف في الله لومة لائم.

من أقوالها المأثورة: كانت دائما تدعو الله وتقول: «نرجو الله أن يصلح الدّين والرّأي» لأن أحدهما لا يستغني عن الآخر.

وفاتها: بعد هذا الجهاد المتواصل في سبيل الخير أدركها أجلها في مسقط رأسها يوم 6 جوان 1942م ودفنت في مقبرة باباحمو الحدبي مع الشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا. رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه.

حاج أحمد حمو كروم

المصادر:

- حفيدتها شحمو علي فافة بنت حمودة وحفيدها حمو علي إبراهيم بن حمودة.
- باقي المعلومات من جمع الأستاذ كروم حاج أحمد مع تلميذات السّنة الثّامنة بمدرسة مسجد أبي سالم بالعطف سنة 1997.

■ عائشة بنت حاج يحيى، حاج سعيد (عويشتي)
(و: 1351ه - 1933م/ت: 1414ه - 2020م)

في سنة 1351ه/ 1933م ولدت السّيدة حاج سعيد عائشة بنت حاج يحي بن يوسف بمدينة العطف ولاية غرداية وهي تنسب إلى عشيرة آل الخلفي العريقة.

نشأت بين أحضان عائلة عريقة في العلم والدّين، والدها حاج سعيد حاج يحي بن يوسف ضامن عشيرة آل الخلفي وأحد أعيان مدينة العطف المتوفى عامّ 1377/ 1958 وخالها هو حاج سعيد حاج محمد بن باحمد المدير الأسبق لمدرسة أبي سالم، وأما أمها فهي السّيدة

حاج سعيد مامة بنت باحمد وهي من النّساء المشهود لها بالخير والصّلاح في أهل زمانها وقد توفيت عامّ 1358/ 1938 وعاشت مع أشقائها لالة ويوسف وحمودة في رعاية زوجة أبيها بهون علي حنة بنت الحاج إبراهيم بن بكير وزوجة أخيها حاج سعيد حاج قاسم وهي حمو علي فافة بنت حمودة بن حاج داود رحمة الله عليهم جميعا.

في سنة 1938/ 1356 انضمت إلى مدرسة المرشدة حمودين عائشة بنت باباعيسى التي كانت تدرس البنات في بيتها مادة القرآن بالتّلقين مع عقيدة التّوحيد وتعليم الصّلاة للبالغات وتعلم لهن بعض الأدعية والابتهالات والأخلاق والسّير.

و في سنة 1944/ 1365 تزوجت السّيد حمو علي عمر بن حمودة بن حاج داود وأنجبت معه حوالي 12 ولدا وبنتا ولكنهم توفوا وبقي منهم أربعة أبناء وهم: عائشة، زيلوخة، يحي، صالح. وقد ربتهم على التّقى والعفاف وخدمة المجتمع وانطبق عليها قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور 21].

فأصبحوا لها جميعا خير خلف لخير سلف، وكان لها أربعة وأربعون حفيدا.

ولقد برزت مامة عويشتي بأعمال جليلة في المجتمع تقوم بها بكل جد وإخلاص وأذكر منها:

- الكشف عن بلوغ البنات.
- تعليم الصّلاة للبنات
- مساعدة الحوامل في الولادة ورعاية الصّبي من سنة 1971 إلى سنة 1998.
- الطبخ في الأعراس وغيرها من المناسبات.
- منذ سنة 1985 اختيرت عضوا في حلقة «تمسردين» تشارك في غسل الموتى من النّساء والأطفال.
- ممارسة فريضة التّوجيه والإرشاد بمختلف المناسبات الخاصة والعامة.
- رعاية تظاهرة «لا إله إلا الله» السّنوية للتوجيه في الاجتماع السّنوي للنساء في كافة قصور وادي مزاب بغرداية.

تمتاز مامة عويشتي بمميزات خاصة أذكر منها:

- تقول الحق ولا تخشى في ذلك لومة لائم.
- الصّبر الجميل في جميع الأزمات التي تعرضت لها في الحياة.
- الشّدة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.
- الإخلاص في مهامها الاجتماعية حتى أنها تعرضت للسقوط عدة مرات في طريق البساتين وهي ذاهبة لأداء مهمة غسل الموتى في الصّيف.
- تحفظ الأذكار والأدعية والابتهالات ولا تبخل بها على غيرها من النّاس.

بعد صبر جميل مع العجز والمرض اختارها الله إلى جواره الكريم مساء يوم السّبت 11 جمادى الأولى 1441ه/ 2020م،

حاج سعيد رقية بنت إبراهيم بن سليمان

■ عائشة بنت عبد الرّحمان بلال
(و: 1395ه - 1975م/ت: 1442ه - 2021م)

عائشة بنت عبد الرّحمن بلال والزّهراء بضبوضة، من مواليد 21 فيفري 1975م بحي الجديد من أولف. دخلت الكتاب فدرست القرآن ومبادئ العربية على يد السّيدة خديجة بنت عبد الجبار دادة، وكان لها عميق الأثر في تعلقها باللغة العربية، والسّعي إلى طلب العلم.

ولما بلغت السّادسة التّحقت بالمدرسة الابتدائية وكانت من الأوائل بين أقرانها، لتواصل دراستها الإعدادية، ثم انتقلت إلى الثّانوية، إلا أنها لم تكمل دراستها لظروف خاصة. وكان لتوقفها عن الدّراسة في حدود الثّانوية أثرا في مسار حياتها، وخلق لديها روح التّحدي والمقاومة، فاتجهت نحو متابعة العديد من التّكوينات، فحصلت على شهادة الأهلية للتقني في الاعلام الآلي، شهادة في صناعة الحلويات، وشهادة في تسيير المؤسسات. كما شاركت في العديد من الورشات.

أحبت الشّعر منذ صغرها فكانت تحاول كتابة القصيدة الموزونة أحيانا، وأحيانا أخرى الحرة، ومن بواكير شعرها قصيدة عن فلسطين بعنوان «حمام السّلام». كما حاولت كتابة المسرحيات والمقامات. وساعدها على الكتابة كثرة مطالعاتها فكانت تحفظ عيون الشّعر الجاهلي وأشعار فحول العصور الاسلامية الأولى كما تأثرت بالشّعراء المحدثين أمثال مفدي زكرياء، أبي القاسم الشّابي.

وختمت مسيرتها الشّعرية بالتّوجه نحو قول الشّعر الملحون حتى أصبحت معروفة به، لكونه يقربها من الجماهير ويساعدها على المساهمة في معالجة القضايا الاجتماعية، خاصة وأنها كانت عضوا جمعويا فاعلا في المجتمع، قريبة إلى أهاته وانّاته.

صمدت أمام الكثير من الدّسائس والمكائد وواجهتها بقلبها الأبيض المتسامح، مخاطبة الكائدين بقولها:

يا اللي حسبتو لولو وجوهر بمقاسو
جمرت طريقي والنّار مقدية
شدت لعدويا نعلو وفاسو
قطعت قلبي وزدتني الكية
باقي غدوه يوم نيابك يملاسو
خليتك لله والحساب والنّيه
هني ربي قلبي من تهساسو
سقم طريقي بجاه نبيا

وكانت الشّاعرة مرتبطة بقضايا وطنها، وفية لمآثره وامجاده، من ذلك قولها بمناسبة ذكرى 20 أوت 1955:

شفتو كي الجبل واقف وسط النّار
ما هزوا دخان ما خلعوا بارود
صبروا للجهاد مفتوح وصبار
وقلبو للحرية واترابو مشدود
عرفتو من النّور وأيدو نوار
سلطان الرّجال والمعارك شهود
يتخطف كي الرّجال والنّسر الكسار
خلاع العديان وقايد الجنود
أكبر يرددها المقدار
يشهد بالرّسول والعمر محدود
قايل هادي بلادي وانا عز الدّار
ما نسلم فيها ولا حتى في عود
ما نعطي أرضي لهداك الغدار
قلبو ما يرحم كبير ولا مولود
ما نحني رأسي لحتى حد حقار
رايتي حب الدّين والله المعبود
ما همني حالي وافراق الدّوار
شغلني الاستقلال وفرحنا اللي يعود
تحديت العديان وسلاحي جبار
قوة الايمان وجنة الخلود
خاوتي الشّهداء دمهم في تعطار
ثبت اقدامي وتخطيت الحدود
من جبل الخير دوى الانفجار
زعزع الاستعمار وطريقو مسدود
في وسط الصّحاري ما خفت الدّمار
جلاد العديان وكلامي مكرود
حامي تراب البلاد من خضرة واحجار
ما خليت شبر فكيت القيود
بالعاهد وفيت هذا شيم الأخيار
وصلت الأمانة ووصية الجدود
جاهدت في السّبيل ولينا أحرار
وعلينا الاعلام بالكلام المنشود

وفي رائد النّهضة الاصلاحية عبد الحميد بن باديس تقول:

من أوسع البحور خرجت كلماتو
نح علينا ظلام كنا فيه عايشين
على درب الرّسول كانت خطواتو
ومن احكام الله شرع قوانين
رجل القلم والأمه سماتو
سلاحو كان شديد على دوك الغافلين
غيرتو على الدّين والعزة سماتو
بن باديس الشّيخ وكلنا عارفين
احفظ القرآن وتمعن في آياتو
وطلب من ربو يهدي الجاهلين
ودعا للأمه واستاجبت دعواتو
وثارت الأقلام وبدات في التّدوين
هادا حرف الحق وشعلت شمعاتو
جابت كل الأقطار من دزاير للصين
وقامت الأعراب من كل بلاد ناداتو
أحيا عهد جديد للثوره والدّين
داك عبد الحميد الفصاحة رباتو
خلى إرث كبير وفيه دواوين
صرخ في وجه العدو كانت نظراتو
حد السّيف وقهرت الملايين
زرع في الشّباب وبانت نبتاتو
وشعشع النّور وحارب الأميين
جر الكلام الزّين دعم تثباتو
ودرب العلماء وحس العارفين
ست عشر أفريل عرفو معناتو
في كل عامّ جديد به محتفلين
ذكرى للاجيال من عند اللي فاتو
وتحيه كبيره لشيوخنا الأولين

شاركت في العديد من الملتقيات والمنابر الشّعرية وطنيا ودوليا وكانت خير سفيرة لبلدها ووطنها حيثما حلت، بل جعلت من بلدها أولف مقصدا للشعراء بإشرافها على تنظيم ملتقيات للشعر العربي بهذه المنطقة القاصية من الجزائر، ساهمت بها في إرساء ديناميكية ثقافية.

عاشت رحمها الله مكافحة زارعة للأمل، ضاربة مثلا في التّحدي والعصامية، فلم يستطع جسمها استيعاب هذا الطموح، فنهشه المرض الذي اقعدها الفراش فترة من الزّمن إلى أن دعاها منادي الرّحمان إلى جواره يوم 15 ماي 2021، تاركة وراءه دواوين شعرية من الفصيح والملحون ونصوص روائية وسجلا من التّكريمات والجوائز. رحمها الله واسكنها الفردوس الأعلى وحشرها مع الصّديقين والشّهداء والصّالحين.

قدي عبد المجيد

■ عبد الحفيظ بوالصوف
(و: 1345ه - 1926م/ت: 1401ه - 1980م)

الفقيد عبد الحفيظ بوالصوف الذي يعد رائد الاتصالات والاستخبارات الجزائرية ابان الثورة، من مواليد 17 أوت 1926 بمدينة ميلة (ولاية ميلة التي تلقى بها دراسته الابتدائية وينطلق منها أيضا مشواره النّضالي حيث انخرط في حزب الشّعب الجزائري وعمره لم يتعد السّادسة عشر فقد انضم الى هذا التنظيم السّياسي في عام 1942.

وقد استطاع بفضل نشاطه السّياسي الدّؤوب وحنكته في مواجهة المواقف الحرجة ان يصبح مسؤول فوج بالمنظمة السّرية العسكرية (OS) بقسنطينة في سنة 1945 واحد المسؤولين الرّئيسيين في هذه المنظمة السّرية في سنة 1948. وعندما اكتشف الاستعمار الفرنسي ما أسماه (بالتآمر السّري (50) غادر الفقيد

قسنطينة في 1950 عائدا الى ميلة لينتقل منها في عام 1951 الى منطقة وهران حيث مارس مهمة رئيس دائرة في حزب الانتصار للحريات الدّيمقراطية ليضطلع بنفس المهمة وفي نفس الحزب بمدينة سكيكدة في سنة 1952.

وسمحت هذه التجربة النّضالية المتواضعة التي لم تتجاوز السّبع سنوات للفقيد من المساهمة الفعالة في تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي ظهرت الى الوجود في عام 1953 بوهران والتي تضم 21 عضوا هو من أعضائها مما سمح له بحضور الاجتماع التاريخي للجنة الثورية للوحدة والعمل الذي انعقد بالجزائر العاصمة المدنية حاليا) في صيف 1954، هذا الاجتماع الذي تمخض عنه قرار خوض الثورة المسلحة ضد الاستعمار بين الفرنسي.

والفقيد عبد الحفيظ بوالصوف الذي اقترن رحيله بشهر ديسمبر المرتبطة احداثه ابان الثورة التحريرية بانتفاضة شعبية ممثلة في مظاهرات 11 ديسمبر 1960، والتي اكدت للاستعمار واذنابه قوة الالتحام الجماهيري الواسع في المدن ضمن تنظيمات جيش

التحرير الوطني، تولى اثناء الثورة قيادة القطاع الوهراني إثر استشهاد البطل العربي بن مهيدي في شهر مارس 1957، بحكم انه كان يشغل مساعده أو نائبه، ثم عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية وعضو لجنة التنسيق والتنفيذ عام 1957.

ومع اعلان الحكومة المؤقتة الجزائرية اوكلت للفقيد بوالصوف أحد اعضائها مهمة التسليح والاتصالات العامة وذلك من 1958 الى غاية 1962 كما كان في نفس الوقت عضو اللجنة الوزارية للحرب حيث عمل في هذا المجال بتوصية من المجلس الوطني للثورة الجزائرية مع المرحوم كريم بلقاسم نائب رئيس الوزراء ووزير الشّؤون الخارجية ولخضر بن طوبال وزير الدّاخلية.

العصب المحرك والعين السّاهرة المرحوم عبد الحفيظ بوالصوف البطل كان نائب العربي بن مهيدي في القيادة بالولاية الخامسة التاريخية لعب دورا كبيرا في إنشاء جهاز الاتصالات والاستخبارات إبان الثورة التحريرية: هذه الاخيرة التي عرفت إثر اندلاعها مراحل كبرى في طريق التطور والاتساع، والتقدم في النّظم والأساليب ووسائل الكفاح التي بلغت حدا كبيرا من الدّقة والاتقان، ولاسيما في مجال جهاز الاتصالات والمخابرات اللاسلكية، وبفضل النّشاط الدّؤوب للفقيد سي المبروك على رأس وزارة الاتصالات العامة والاستخبارات، عرف هذا الميدان تطورا مذهلا بعد انطلاقته المتواضعة، وذلك لكون أن هذا الجهاز يشكل عصب الثورة المحرك، وعينها السّاهرة وآذانها المتيقظة، فما إن حلت سنة 1957 حتى كان جهاز الاتصالات اللاسلكية لجيش التحرير قد استقر بصفة رسمية وقضى على تلك الشّكوك والتردد الذي كان يراود قادة الثورة في بدايتها، وصار المجاهدون يستخدمون هذه الأجهزة في نقل الأوامر بسرعة والاتصال الدّائم بين القيادة ومختلف المراكز وقال في هذا الصّدد أحد المسؤولين في هذا الجهاز «لقد اثبتت التجربة أن متاعب البداية ومشاكلها قد ذللت شيئا فشيئا في حين كان تعميم استعمال الاجهزة اللاسلكية يفتح آفاقا جديدة لجيش. التحرير الذي أصبح يرى كفاحه يرتفع إلى مستوى القرن العشرين.

ويؤكد رفقاء الفقيد أن سي المبروك كان يتمتع بخفة الرّوح والاخلاق الحسنة وأنه القائد الذي قدم الكثير لأمته ووطنه في معركتي التحرير والبناء والتشييد، وهذا منذ انخراطه في حزب الشّعب في سنة 1942 وهو فتى صغيرا، مرورا بالمنظمة السّرية وإنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وتطبيق قراراتها باندلاع ثورة أول نوفمبر وخوضه غمارها حتى النّهاية إلى معايشته مجد بلاده المستقلة، وشاهد ثمرة جهاده من أجل البلاد التي أصبحت تنعم بالحرية.

واذا كانت الحياة النّضالية للفقيد في مراحلها المختلفة جلية واضحة فإن أجيال الاستقلال ورعيل الثورة الذي ما يزال حيا يرزق يتأسفون ويتحسرون على فقدان مخزون لذكريات غالية في ميدان الجهاد والنضال ومرحلة هامة من مراحل ثورة التحرير تذهب وتطوى برحيل المرحوم عبد الحفيظ بوالصوف قبل أن يسجل التاريخ مآثرهم، وقبل أن تؤخذ منهم حقائق التاريخ الصّحيح، وقبل أن تنقل

عنهم بعض الصّفحات الخالية من التزييف والتغيير والتشوية لتقرأها الأجيال الصّاعدة، وليحفظ شبابنا ما للجزائر من أبطال وبطولات وما لبلادهم من عظمة وامجاد ومعجزات واصبحت بها مضربا للأمثال في العصر الحديث لدى شعوب العالم وأصبحت ثورتها قدوة للثورات.

الشاهد على عظمة الرجل إن السّنوات التي عاشها الفقيد بوالصوف قضى معظمها في نضال مرير وجهاد طويل وتنقل متواصل بين العواصم العالمية للإجهار بالقضية الجزائرية، يحدوه بذلك الايمان بالله وحق وطنه في الحرية والاستقلال، وبحق شعبه في الحياة الحرة الكريمة، ويدفعه في ذلك حب الوطن والعمل من أجل ربط أواصر القدوة بسلفه في سبيل انتصار كلمة الحق والعدل والحرية وإلى جانب هذا النّشاط السّياسي والعسكري.

كان الفقيد سي المبروك يتحدث عن الثورة ويكتب عنها بالقلم كلما أتاحت له الفرصة ذلك فها هو يكتب عن المهمة التحريرية لجيش التحرير الوطني ليقول:

خرج جيش التحرير الوطني إلى الوجود في يوم واحد مع جبهة التحرير الوطني ومع ثورة فاتح نوفمبر 1954. وبينما تحدد جبهة التحرير الوطني أهداف الشّعب الجزائري الثورية ومطامحه القومية، فإن جيش التحرير كان وسيبقى الآلة التكميلية الضّرورية، أنهما مرتبطان وقد استمد كلاهما عوامل وجودهما من الارادة التحريرية للأمة الجزائرية.

والمرحوم عبد الحفيظ بوالصوف الذي حدد بوضوح أهداف جيش وجبهة التحرير الوطني في مقاله هذا الذي حرره عندما كان نائباً لقائد منطقة الغرب يؤكد أن جيش التحرير وجبهة التحرير الوطني يعتمدان على مجموع البلاد بقواها الحية وسيكافحان ضد القوات الفرنسية العسكرية والبوليسية وضد أعداء الثورة حتى ينتصر الشّعب الجزائري في أخذ حقه المقدس في أن يعيش حرا في بلاده ويقرر مصيره.

ويرد الفقيد على تلك المخططات الجهنمية للحكومة الفرنسية والشائعات التي تحاول بثها في أوساط المواطنين بقوله:

ورغم أنوف حكومة في موليه الاشتراكية والعاملين في مناوراتها الأئمة ودعاة الحرب والسلمية، السّاعين إلى تفريق الجزائريين، فإن الحركة المصالية لم يبق لها وجود إلا في عقول النّاكرين للوحدة الوطنية، وأنها ليست لها أية جماعة مسلحة لا في عمالة وهران كما يدعون ولا في غيرها.

ويضيف في رده هذا أن الشّعب الجزائري لا يجهل الأساليب الشّريرة التي يلجأ إليها الاستعمار، وسيظل متيقظا باستمرار لمعاقبة أعدائه وأعداء ثورة أول نوفمبر.

إن هذه الجماعات القليلة والتي كانت قوام جيش التحرير الوطني بالأمس، والتي كانت الفيالق الفرنسية تبوء أمامها بالفشل والخيبة في عمليات التمشيط مهما اتسع نطاقها، سوف تضاعف هجوماتها المظفرة وسوف تقوي امكانياتها المادية والفنية والحربية.

جيش التحرير الوطني وجبهة التحرير الوطني وهما يتزود أن بمقوماتهما من تأييد الشّعب الذي لا يفتر وإرادته التي لا تكبح، ويستعينان بعوامل التطور التاريخي المغاربية والدولية سوف يكسران قيود الاستعمار ويحققان حرية البلاد، وستنتصر جبهة التحرير الوطني بما تمتاز به من حكمة وبصيرة وهي شعار الامة المجاهدة. وتسير بجيش التحرير الوطني الى النّصر في معركة الاستقلال.

وفي موضوع آخر يصرح المرحوم بوالصوف لو كالة انباء المغرب العربي يشرح فيه رد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية على الجنرال ديگول، هذا الرّد الذي أثار موجة واسعة من الأصداء في العالم بين مؤيده ورافضه، بقوله:

"اما عن النّتائج التي قد تترتب على موقف الحكومة الجزائرية، فإنّني أرى أنها الآن معلقة على تصرف المسؤولين الفرنسيين، إذا أثبتنا أننا نقابل كل موقف إيجابي بناء بما يماثله، ونحن كشعب وحكومة مؤقتة وجيش للتحرير قد قبلنا مبدأ تقرير المصير بإخلاص تام، وأملنا هو أن يبدي الطّرف الآخر نفس الموقف.

وقد قوبل طلب الحكومة المؤقتة بخصوص الشّروط والضمانات لتطبيق حق تقرير المصير بتضارب وتناقض تصريحات المسؤولين الفرنسيين، مما دفع المرحوم بوالصوف إلى التأكيد في تصريحه هذا الذي أدلي به في الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر 1959 أن تصريح الجنرال ديگول رئيس الجمهورية الفرنسية كان غامضا فيما يخص النّقاط الأساسيّة، ورغم هذا كلّه، فقد عدنا يوم 20 نوفمبر إلى تأكيد قبولنا وسرنا خطوة عملية، إذ عيّنا وفدا مكوّنا من أشخاص يؤمنون بمبادئ الثورة الجزائرية، ولهم ماض حافل، ويتمتّعون بالثّقة التّامة من طرف شعب الجزائر وجيشه المحارب وحكومته المؤقتة.

ويضيف التّصريح:

وكان أملنا حينما اتخذنا هذا الموقف -وما زال ذلك الأمل موجودا إلى الآن- أن لا يرى الفرنسيون مانعا من التفاوض مع الوفد الذي عيّناه وأن يفهموا أن تعويض الأشخاص مسألة تقع في صميم اختصاص الثورة الجزائرية، وهؤلاء الأشخاص تتوفر فيهم جميع الشّروط للتحدث مع الفرنسيين، وأننا لنرجو صادقين عودة السّلم إلى الجزائر، ونرجو ألّا يتهرّب الفرنسيّون من المسؤوليّات وألّا يماطلوا إن كانوا حقا يؤمنون بوجوب عودة السّلام.

ويختم التصريح بقوله:

«أما إن رفضوا المناقشة فإنهم سيعطون الدّليل من جديد على أنهم لا يريدون السّلم (...) والشّعب الجزائري وحكومته وجيشه مستعدّون بجميع الوسائل، ومهما كانت الظروف لمواصلة الكفاح التحريري حتّى يتمّ الانتصار على الاستعمار الذي وصل إلى دور الاحتضار، وإذا كان شعبنا قد حارب مدة خمس سنوات ودخل الآن السّنة السّادسة، فإنه اكتسب من ذلك تجارب كافية لمواصلة الكفاح والصبر على التضحيات وهذا هو الضّمان الحقيقي للنصر».

التزام وقناعة أن هذه المعلومات عن حياة الفقيد بوالصوف الذي يعدّ من رواد

ثـورة التحريـر الوطنيـة، ماهـي إلا محطات وجيزة جدا في نضال وجهاد هذه الشّـخصية الوطنيـة، التي فارقتنا منذ سـت عشـرة سـنة خلـت، ينبغي أن نقتدي بسـلوكها الذي كان يطبعـه التـزام وقناعـة بـأن النّصـر يكمن في الـدّوام علـى اسـتمرارية روح النّضـال فـي جميع مراحل الحياة الحرة الكريمة.

ومـن هنـا يقـف المـرء عاجزا عـن رصد كل الماضـي البطولي لهذه الشّـخصية الفذة ولقافلة رفقائها الرّواد من المجاهدين الذين كان لهم عظيم الفضل مع إخوانهم الشّـهداء الأبـرار فـي تفجيـر ثـورة عمادهـا الإيمـان الثابت ضد فلول الغزاة المستعمرين في أول نوفمبر 1954.

وكان للبطـولات التاريخية المسـجلة في أكثر من جهة من ربوع الوطن. وتشاء الأقدار أن يواكب هؤلاء الرّواد مسيرة الاسـتقلال. ويضطلعـون بنفـس الحـزم الـذي قاومـوا. بـه مخططـات الشّـر العدوانيـة بالمشـاركة الفعالـة في دفع عجلـة التحـول الاجتماعي بخطـى ناجحـة، وذلك بمـا يتميـزون به من عمق التجربـة النّضالية وعظيـم الادراك بأن الرّفـاه الاجتماعي هـو تجسـيد طبيعي لقيم التضحيـات المثلـي ضمـن صـرح شـامخ شـيّدت بنيانه ارواح مليـون ونصف المليون من الشّهداء.

وفـي رحيلهم فقـدت الجزائر حمـاة لها سـهروا علـى مكتسـباتها ورعـوا منجزاتهـا الحديثـة المتنامية بقلب مفعم بالإيمان الذي هـو السّـلاح المعهـود فـي جميـع الشّـدائد والنكبات.

وبعـد هـذه المهمـات اعتـزل بوالصوف السّاحة السّياسية إلى حين وفاته بسكتة قلبية في 31 ديسمبر 1980م.

كمال بوطارن

المصادر:

- كمال بوطارن، مجلّة أول نوفمبر 1954، العدد 150، سنة1996.

■ عبد الحق بن ربيع أحمد بن عمر الأنصاري المكنى (البجائي) (ت: 675ه - 1276م)

هـو الشّـيخ الإمـام، الصّوفـي، أبـو محمّـد عبـد الحـق بـن ربيـع أحمـد بـن عمـر الأنصـاري يكنى البجائي، أما نسـبه فيتصـل بالأندلس، من)إبـدق(وحده هو أول من اسـتوطن بجايّة.

وقـد ولد أبـو عبد الحـق ببجايّـة وقرأ بهـا علـى مشـايخ عصـره وترقـى فـي مناصـب عليـا خاصـة فـي القضـاء الذي كان يبـدأ الأمر منـه وينتهي إليـه مع قضاة بجاية.

يذكـر الغبرينـي أنـه قـرأ علـى أكبـر مشـايخ عصره ونبغ فـي الكتابة الشّـرعيّة والأدبيّـة وأصـول الفقـه والمنطق، ومال إلى الزّهـد والتصـوّف. وكان علـى خلق عـال، سـهل المعاملـة، وكان يقـول لأصحابـه: (قـال النبـي صلـى اللـه عليـه وسـلم): «أول مـا يوضـع فـي الميـزان الخلـق الحسـن»، وكان يحسـن الكتابـة المغربيّـة والمشـرقيّة، عارفـا بأنـواع الخطـوط: مـن ريحانـي وتحسـاني وديواني

ويذكـر عنـه الغبرينـي أنـه سـمع الفقيـه الأديب (أبو المطرف بن عميرة) يقول عنه:

"أمـا الكتابة الأدبيّة فنحـن فيها وإياه على نسـق وأما الشّـرعيّة فقد انفرد بهـا عن الناس ولـولا الإطالـة لذكـرت مـن كتابتـه الأدبيّـة والشّرعيّة الكثير..... »

ومـن طرائـف أخبـاره ومـلاح آثـاره مما رأيت وشاهدت ماتصغي له الأذان ويسعد به الفؤاد والجَنان....

وقد نظم في مدة قراءته على الشّـيخ عالم عصره في بجاية (الشّيخ أبي الحسن الحرالي) قصيدته "الصّوفيّة" في نحو خمسمائة بيت، فلخصها الشّيخ «الحرالي" في هذه الأبيات:

سَفَرَتْ عَلَى وَجْهِ الجمِيلِ فَأَسْفَرَا
وَبَدا هِلاَلُ الحسْنِ منها مُقمِرَا
ودَنَتْ فَكاشَفَتِ القُلوبَ بسِرِهَا
وَسَقَتْ شَرَابَ الأُنسِ مِنها كوثرَا
ورَأَيْتهَا في كل شيءٍ أبْصَرَتْ
عيْنَايَ حتى عُدْتُ كلي مبصِرَا
وسمعت نطق الناطقين فكلهم
بالحمد والتسبيح عنها أخبرَا
وبِهَا رَكِبتُ زَواخِرَا مِنْ حُبِّهَا
ولَبِسْتُ سِرَّ السّرَّ ثوبَا آخرَا
وبهَا فنيتُ في الفنَاءِ وغصتُ
في مَاء الحيَاةِ مُسرمدَا وَمُدهَّرَا
في الماءِ يظْهرُ كل شيءٍ كائنٍ
وبهِ يُرى مثْلُ الوجودِ مصورَا
وأنَا أرَى في كُل ماءٍ ماءَهُ
وأرَى وراءَ الماءِ ماءً آخرَا
لَوْ كان سِرُّ اللهِ يكشفُ لم
يكُنْ سِرًا ولكِنْ لم يَكُنْ ليُذْكرَا

لقـد أشـاد بفضلـه وبكتبـه ابـن سـبعين والحرالي، الـذي صحح لـه قصيدته، وترك شـعرا زهديـا وصوفيـا، وقـد عرضـت عليه خدمة القضاء في قسـنطينة من قبل - الخليفة المسـتنصر-واعتذر، وتفـرغ للتدريـس والعبادة، زاهدا في الدنيا مقبلا على الأخرى وقـد كُتب على قبـره (بيتان من الشّـعر هما) لأبي نصر الجيني:

بكيتك عبد الحق حقا لأنني
بكيت بك الدنيا وما في جميعها
من الدين الإفضال والعلم والحجا
وإن كنت زين الدين يا ابن ربيعها

كان رجـلا عالمـا بحـق فهـو كمـا يقـال عنه:)ابـن مقلـة زمانـه(! وكانـت أراؤه فـي الفقـه والشّـعر والأدب، يسـتنير بهـا العلمـاء فضـلا عـن الخاصـة.

كان أبو محمّد البجائي يتوسم في أصحابه الوصول إلى نقاء النفس وتخليصها من الأدران التي علقت بها، عن طريق النور الإلهي الذي يقذفه في قلب المؤمن، لأن نظريّة المعرفة في نظره قاصرة عن بلوغ الحقيقة، لذلك نراه في أخريات أيامه، يتحسر لعدم بلوغ مراده.

نذر نفسه للعلم تدريسا، وعمل في القضاء وعندما عرضت عليه مهنة القضاء في قسنطينة اعتذر للسلطان الحفصي - المستنصر-وتفرّغ للعبادة والتدريس، ولم يقبل المناصب السّياسيّة اعتقادا منه أن أفكاره في البحث عن الحقيقة والقيم المطلقة، منبتها التعليم في المدارس والمساجد، وفي صدور أتباعه ومريديه أفضل وأبقى.

أما الأعمال الخيريّة: فيذكر الغبريني أنه كان يُعينُ الفقراء ولا يريد أن يعرف الناس أعماله الخيريّة، وكان رجلا على خلق عال سهل المعاملة، يقدّم علمه للخاصة قبل العامة بلا دخل.

قال عنه ابن سبعين وقد أثنى عليه ثناء حسنا، وذكر بعض كتاباته في وثيقة ابتياع لسفينة، أنه كتب فيها فقال:

اشترى فلان من فلان السّفينة الفلانيّة بجميع ما يحتاج إليه، جاريّة وراسيّة، وأعجبه هذا من كتبه وهذه واحدة من أحاد وفرد من جملة أفراد، والوثيقة م هذا إنما هي صفة من صفاته وإحدى حاجاته، ولما كانت معرفته باللسان وبمواقع المعاني مجملة ومفصلة، وبالأحكام كليّة وجزئيّة على حال إحاطة، تقدمت وثيقته الوثائق، وأماطت الشّبه والعلائق».

ويقول الغبريني عنه وهو على فراش الموت:

ودخلت عليه رحمه الله في مرضه الذي توفي فيه فألمت لألمه وذرفت عيناي لما تراه من سقمه، فقال: لي يافلان، والله ما بي موتي وإنما بيا ماقاله أفلاطون لأصحابه لما حضرته الوفاة وحضروا عنده قال:إ" والله ما بي أن اموت وإنما بي أموت ولم أرق بأصحابي إلى مراقيهم التي اقتضتها صفاتهم واستحقتها ذواتهم" .

فشكرته على ذلك وعلقت الأمل بالحياة وطول البقاء على أن يوفي لأصحابه بما جبرت عليه نفسه الكريمة من الوفاء.

سعيد بحري

■ عبد الحميد الإبراهيمي
(و: 1355ه - 1936م/ت: 1443ه - 2021م)

عبد الحميد بن مبارك بن محمد الهلالي الميلي، سياسي جزائري وباحث في الاقتصاد. والده هو العلامة المؤرّخ الشّيخ مبارك الهلالي الميلي أبرز الأعضاء المؤسّسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ولد عبد الحميد في 9 محرم 1355 ه الموافق لـ 2 أبريل 1936 بمدينة ميلة قرب قسنطينة. تلقى تعليمه الأساسي على يد والده الشّيخ مبارك الميلي بمسقط رأسه حيث حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم العربية والإسلامية. وبعد وفاة والده، وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، انتقل إلى مدينة قسنطينة ليكمل تعليمه،

وكانت وقتها حاضرة للعلم والثّقافة ومركزا رئيسيا لجمعية العلماء ولمناصري الحركة الوطنية. بعد الاستقلال واصل عبد الحميد الإبراهيمي دراسته، حيث كان شغوفا بطلب العلم، وتحصل سنة 1967 على ليسانس في الاقتصاد من جامعة الجزائر. بعدها تحصل على دكتوراه في نفس التّخصص من جامعة أوهايو الأمريكية سنة 1970.

بعد اندلاع ثورة التّحرير في الأول من نوفمبر 1954 كان عبد الحميد من بين الطلبة الذين التّحقوا بها سنة 1956 وهو في سن العشرين من عمره، وترقى في صفوف جيش التّحرير الوطني إلى أن تحصل على رتبة ضابط في وحدات العمليات، وظل ضمن صفوف جيش التّحرير الوطني حتى الاستقلال. وبعد الاستقلال تقلد العديد من المناصب الهامة حيث عين سنة 1963 مسؤولا على منطقة عنابة ثم مديرا لمكتب منظمة التّعاون الصّناعي بباريس من سنة 1968 إلى1970، بعدها عين أستاذا للاقتصاد بجامعة الجزائر من سنة 1970 إلى 1973، ثم استدعي للعمل كمستشار بالشّركة الوطنية للنفط سوناطراك. وابتداء من سنة 1976 عين رئيسا لمكتب الشّركة في واشنطن. في عهد الرّئيس الشّاذلي بن جديد تم تعيينه سنة 1979 وزيرا للتخطيط والتّهيئة العمرانية في حكومة محمد بن أحمد عبد الغني، وظل في منصبه حتى كلف بمنصب وزيرا أول/ رئيس حكومة ابتداء من 22 يناير 1984 خلفا لمحمد بن أحمد عبد الغني. وظل في منصبه حتى 11 نوفمبر 1988، حيث كان من أبرز ضحايا أحداث 5 أكتوبر 1988. لقد مكنته خبرته في التّسيير الإداري وفي الاقتصاد والتّخطيط من التّرقية السّريعة في سلم المسؤوليات، وفي نفس الوقت تم تعيينه عضوا في كل من اللجنة المركزية والمكتب السّياسي لحزب جبهة التّحرير الوطني وكان الحزب الحاكم في تلك الفترة.

بعد أحداث 5 أكتوبر1988، والتّي كان الدّكتور عبد الحميد الابراهيمي من أبرز ضحاياها، استقال سنة 1990 من عضوية المكتب السّياسي لحزب جبهة التّحرير الوطني، وعاد لحقل التّدريس بالجامعة.

وبعد استقالة الرّئيس الشّاذلي بن جديد في 11 يناير 1992 واستلام الجيش مقاليد السّلطة وتعيين مجلس أعلى للدولة لتسيير تلك المرحلة، كان عبد الحميد الإبراهيمي من بين الشّخصيات الوطنية التي عارضت تلك التّوجهات، وهو ما جعله يدخل في خلافات مع القيادة التي استلمت السّلطة في تلك الفترة، وأصبح بهذه الصّفة من ضمن المعارضة. وتسببت له تلك المواقف في تصنيفه ضمن التّيار الإسلامي المعارض بينما يصنف هو نفسه ضمن رموز التّيار الوطني ذي الاتجاه العربي الإسلامي. انتقل بعدها إلى فرنسا ومنها غادر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعاش في المنفى ببريطانيا مدة ربع قرن. وكان قبل انتقاله إلى الخارج قد استقال من عضوية حزب جبهة التّحرير الوطني.

مكنته شهادته العلمية في الاقتصاد باللغة لإنكليزية من العمل كأستاذ لتلك المادة بعدة جامعات غربية، بريطانية وأمريكية وفرنسية، نذكر من بينها جامعة جورج تاون وجامعة واشنطن.

ألف الدّكتور عبد الحميد الإبراهيمي مجموعة من الكتب تعني في الغالب بالشّأن الاقتصادي، كما نشر العديد من الدّراسات والبحوث في مجال اختصاصه، من أهمها "استراتيجيات التّنمية في الجزائر"، و"القضاء على الفقر والتّنمية من وجهة نظر إسلامية"، و"نمو الشّركات المتعددة الجنسيات". وترأس خلال إقامته في بريطانيا «مركز دراسات المغرب العربي».

ونورد فيما يلي أبرز مؤلفاته:

- أبعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل (1991)،
- المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التّحولات العالمية (1996)،
- العدالة الاجتماعية والتّنمية في الاقتصاد الاسلامي (1997)،
- في أصل الأزمة الجزائرية: 1958 2000.

يعتبر كشهادة عن التّطورات التي عاشتها الجزائر من 1958 إلى سنة 2000، (2001). صدر الكتاب بالفرنسية وترجم لاحقا إلى العربية، والعنوان الأصلي للكتاب بالفرنسية هو « في جذور المأساة الجزائرية».

صدرت النّسخ العربية من هذه الكتب عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بلبنان.

عاد الدّكتور عبد الحميد الابراهيمي من منفاه، الذي دام 26 سنة قضى معظمها في بريطانيا، إلى الجزائر في شهر يناير 2016. وتوفي بعد خمس سنوات من عودته في 6 محرم سنة 1443 الموافق ل15 أغسطس/ أوت 2021 بالجزائر العاصمة عن عمر ناهز 85 عاما.

عامر بغدادي

المصادر

- وكالة الأنباء الجزائرية، 15أغسطس/ أوت 2021،
- قصة عبد الحميد الابراهيمي، نور الدّين ختال، جريدة الحوار، 1 فبراير 2016
- موقع المكتبة الجزائرية الشّاملة، المشرف عمار رقبة الشّرفي، ترجمة سيرة الدّكتور عبد الحميد الإبراهيمي، مسعود فلوسي.

■ عبد الحميد بن هدوقة (1344ه - 1925م/ت: 1417ه - 1996م)

ولد عبد الحميد بن هدوقة رائد الرّواية الجزائريّة ويعد من أوائل من كتب رواية جزائرية باللغة العربية في 9 يناير 1925 بقرية الحمراء بولاية برج بوعريريج بالجزائر، نشأ في بيئة فلاحيّة بسيطة، وتعلم القرآن الكريم في الكتّاب، التحق بالمدرسة الابتدائية في المنصورة، ثم انتقل إلى معهد ابن خلدون في قسنطينة، حيث حصل على شهادة البكالوريا عام 1945، واصل دراسته في جامع الزّيتونة بتونس، ونال شهادة التبريز عام 1949.

عاد بن هدوقة إلى الجزائر بعد تخرجه من الزّيتونة، وعمل مدرسًا للغة العربية في ثانوية قسنطينة، وانخرط بن هدوقة في النّضال الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، وشارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وكان يعمل كمدير في مؤسسة الكتاب الوطنية، وكرئيس للمجلس الأعلى للثقافة، وكعضو في مجلس الاستشاري الوطني ونائب رئيسه. كذلك درس الأدب العربي في معهد الكتانية بين 1954– 1955، وعمل كمخرج إذاعي في الإذاعة العربية بباريس، وكمنتج ومخرج في الإذاعة في تونس. وعمل في الإذاعتين الجزائرية والأمازيغية لأربع سنوات، وترأس لجنة إدارة دراسة الإخراج بالإذاعة والتلفزيون والسينما، وكان مديراً في الإذاعة والتلفزيون الجزائري. وله عدة مؤلفات في الرّواية والمسرح والشعر، من بينها

«ريح الجنوب» و«الأشعة السّبعة» و«غدا يوم جديد» و«نهاية الأمس»يُعتبر عبد الحميد بن هدوقة رائد الرّواية الجزائرية، حيث كتب أول رواية جزائرية باللغة العربية «ريح الجنوب» في عام 1971، وتتميّز روايات بن هدوقة بواقعيتها وعمقها، وتصويرها للحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال فترة الاستعمار وبعد الاستقلال، كما كتب بن هدوقة العديد من القصص القصيرة، والمقالات الأدبية والنقدية،والدراسات الإسلامية.

– روايات: ريح الجنوب 1971؛ دماء ودموع 1975؛.حكاية زمن 1985؛الزيتونة 1998؛

– قصص قصيرة: زهور الرّبيع 1956؛حكايات من الزّيتونة 1962؛صور من الجزائر 1970؛

– مُؤلّفات أخرى: الإسلام والأدب 1967؛ الثقافة العربية والإسلامية في الجزائر 1979؛ مذكرات مثقف 1992؛

نال بن هدوقة العديد من الجوائز الأدبية، منها:

– جائزة «أدب النّثر» من مهرجان الجزائر الدّولي للكتاب عام 1985.

– جائزة «المغترب» من اتحاد الكتاب العرب عام 1990.

– تم تكريمه من قبل العديد من المؤسسات الثّقافية العربية والدولية.

يُعد عبد الحميد بن هدوقة من أهمّ الأدباء الجزائريين في القرن العشرين. ساهمت أعماله في تأسيس الرّواية الجزائرية، وفتحت الطّريق أمام أجيال جديدة من الرّوائيين، ولا تزال رواياته تُقرأ وتُدرس حتى اليوم، وتُعتبر من كلاسيكيات الأدب الجزائري.

توفي عبد الحميد بن هدوقة في 21 أكتوبر 1996 في الجزائر العاصمة، عن عمر يناهز 71 عامًا.

هند موساوي

■ عبد الحميد حاجيات
(و: 1348ه - 1929م/ت: 1443ه - 2021م)

المؤرّخ والباحث المعروف الأستاذ الدّكتور (عبد الحميد حاجيات)، ولد يوم الأحد: (17جمادى الأولى 1348 ه)؛ الموافق لـ (20أكتوبر1929م) بمدينة (تلمسان) الجزائرية العريقة، نشأ في أسرة بسيطة ومتواضعة، وعرفت بلقب(بني حاجي)؛ وقد قامت سُلطات الاحتلال الفرنسي بتغيير اللقب إلى (حاجيات)، وترجع أصول عائلته إلى البلاد الأندلسية؛ حيث وفدت أسرته من الأندلس إلى تلمسان، وذلك بعد سقوطها يوم: (2 يناير 1492م)، وقد نشأ الباحث والمؤرّخ (عبد الحميد حاجيات) في مدينة (تلمسان)، حيث زاول تعليمه الأول بمسقط رأسه، وعندما بلغ الرّابعة من عمره حفظ ما تيسر من القرآن الكريم في إحدى المدارس القرآنية بمدينة (تلمسان)؛ وبعدها تلقى المبادئ الأولى في الفقه، والنّحو، والعقائد، ثم التّحق عام: (1935م) بإحدى المدارس الفرنسية قرب منطقة «أقادير» في مدينة(تلمسان)؛ حيث تعلم اللُّغة الفرنسية، وأتمّ دراسته بالمدرسة الفرنسية، عام: (1945م)، والجدير بالذكر أن كلمة «أقادير»؛ تعني الجدار القديم، أو المدينة المُحصنة، وقد احتفظت مدينة(تلمسان) بهذه التّسمية

خلال عدة مراحل من تاريخها القديم، ثم استحال اسمها إلى (بوماريّة) في عهد الحُكم الرّوماني للمدينة، ومعناها البساتين، كما أطلق عليها المرابطون في القرن الخامس الهجري اسم (تاقرارت)، وهي كلمة بربرية معناها (المُعسكر)، وهم الذين أسسوا مدينة تلمسان الحديثة، ومسجدها الجامعأثناء حصارهم للمدينة القديمة(أقادير)، وقد ارتبط اسم(المنصورة أو تلمسان الجديدة) بالمرحلة المرينية؛ حينما قاموا ببنائها على بعد قليل من مدينة(فاس) المغربية في ناحية الغرب، وشّيدوا بها مسجدا جامعا، وقصرا وحصنا مسوّرا، وذلك عند نهاية القرن السّابع، وبداية القرن الثّامن للهجرة؛ إبان حصارهم الكبير لمدينة تلمسان. وأمّا الذي بنى (تاقرارت) وهي تلمسان الحالية، فهو يوسف بن تاشفين (410 – 500 ه) ملك المرابطين، وهو الذي بنى مدينة (مراكش) كذلك، أما اسم (تلمسان)؛ فهو يرتبط بلغة زناتة البربرية، وهو مركّب من كلمتين: (تِلَم) ومعناها: (تجمع)، و(سان) ومعناه (اثنان) أي الصّحراء، والتّل، وقيل معنى (تلمسان): مدينة الينابيع.

وبعد عام: (1945م) دخل(عبد الحميد حاجيات) مدرسة «دار الحديث» العريقة في (تلمسان)؛ حيث درس مجموعة من المواد المعرفية والعلمية، مثل: التّاريخ والجغرافيا، والرّياضيات، وقد كان من بين أساتذته الشّيخ العلاّمة (محمد البشير الإبراهيمي)، وفي سنة: (1950م) نال شهادة(البكالوريا) بمدينة« وهران»، وسافر إلى« فرنسا»؛ حيث تابع دراسته بها، وكانت له أنشطة مكثفة في« اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين» في« فرنسا»، وقد حصل على شهادة« الإجازة» في الأدب العربي من

كلية الآداب بمدينة« ليون»، عام: (1954م)؛ كما نال دبلوم الدّراسات العليا من جامعة « بوردو»، سنة: (1959م)، ثم حصل بعدها على شهادة« التّبريز» في الأدب العربي من« جامعة السّوربون» بباريس، سنة: (1960م)، وبعد أن انتقل(عبد الحميد حاجيات) إلى (المغرب الأقصى)؛ عمل أستاذاً بثانوية« مولاي إدريس» في مدينة« الدّار البيضاء»، كما درّس في بعض المؤسسات التّربوية بمدينة« الرّباط»، وبعد استقلال وطنه الجزائر سنة: (1962م) عاد إلى وطنه، وعُيّن مستشاراً لدى رئاسة الجمهورية الجزائرية، وفي عام: (1966م) عمل أستاذاً مساعداً بقسم « التّاريخ» في « جامعة الجزائر»، إلى غاية عام: (1975م)، ثم واصل دراساته العليا؛ وعاد من جديد إلى« فرنسا»، ونال شهادة « دكتوراه السّلك الثّالث» من جامعة «آكس -آن-بروفانس» بفرنسا، وفي سنة: (1986م) عُيّن مديراً للمعهد الوطني للتعليم العالي للثقافة الشّعبية بمدينة« تلمسان»، وقد حصل الباحث(عبد الحميد حاجيات) على «دكتوراه الدّولة» من «آكس -آن- بروفانس» بفرنسا، في تخصص: «التّاريخ الإسلامي الوسيط» عام: (1991م)، وقد أحيل على التّقاعد من جامعة تلمسان عام: (2015م)، وقد تمّ تكريمه عدة مرات من لدن العديد من الهيئات العلمية، والمؤسسات الثّقافية، وقد توفي الباحث الدّكتور (عبد الحميد حاجيات)، يوم الاثنين: (8محرم1443ه)؛ الموافق ل(16أوت2021م) بمدينة (تلمسان).

وسيظل الباحث والمُحقق الأستاذ الدّكتور (عبد الحميد حاجيات) أحد رواد النّهضة الثّقافية بالجزائر، وأحد كبار المثقفين الجزائريين الذين عرفتهم الجزائر في تاريخها الحديث؛ فهو واحد من أعلام الثّقافة الجزائرية المعاصرة، ورمز من رموزها المناضلين؛ الذين أسهموا بأعمال جليلة في سبيل خدمة العلم والثّقافة والحضارة والتّاريخ الجزائري، ومن أهم مؤلفاته النّفيسة كتاب: (أبو حمو موسى الزّياني: حياته وآثاره)، وقد كشف النّقاب عن أسباب تأليفه له، والغرض من دراسة حياته وآثاره في المقدمة، إذ يقول: «لا شك أن أبا حمّو الثّاني يحتل مكانة خاصة في تاريخ الدّولة العبد وادية أو الزّيّانية؛ وهو في آن واحد أحد سلاطينها المشهورين، وأديب ترك لنا آثاراً شعرية ونثرية لا تخلو من أهمية، وقد كان بلاطه ملتقى العلماء والشّعراء؛ كما كان عهده عهد ازدهار وتفتح في سائر الميادين. ولهذا السّلطان الأديب شخصية جذابة، وهمة عالية، وخصال سامية؛ مكّنته من إحياء مجد أجداده، بعد أن تقلّص ظله مدة حوالي عشرين عاماً، وجعلته يقف أمام الشّدائد وتقلبات الدّهر، ويُواجهها بثبات وعزم، ويصمد لها صموداً لم يُشاهد التّاريخ مثله إلا عند القليل من القادة ورجال الحُكم. والغرض من هذه الدّراسة؛ مُحاولة إبراز هذه الشّخصية الفذة الشّهيرة بين رجالات تاريخ المغرب العربي المجيد، ومُحاولة كشف ما لا يزال يحوم حولها من غموض، وقد وافق شروعنا في عملنا هذا حلول الذكرى المئوية السّادسة لوفاته؛ فكان مجهودنا مساهمة متواضعة في الاحتفال بهذه الذكرى والتّعبير على ما تكن نفوسنا من احترام وتقدير لأحد أعلام بلادنا. وإذا كان الباحث في تاريخ المغرب في العصر الوسيط يشكو عادة من قلة المصادر؛ فالأمر يختلف عن ذلك بالنّسبة إلى موضوعنا، وذلك أن أبا حمو الثّاني قد حظي بوفادة مؤرّخين جليلين هما: عبد الرّحمن بن خلدون؛ صاحب كتاب: (العبر)، و شقيقه يحيى؛ مؤلف كتاب: (بغية الرّواد)، وقد أقاما مُدة في بلاطه جعلتهما يطلعان عن كثب على جانب وافر من المُعطيات السّياسية والحضارية لدولته، ويقومان بتدوين ذلك، وتسجيله فيما ألفاه من الكتب... ثم إننا لم نكتف بالتّعرض لحياة أبي حمو وسياسته؛ بل تناولنا أيضاً بالبحث بعض النّصوص المختارة من كتاب: (واسطة السّلوك في سياسة الملوك) لأبي حمو، ثم أضفنا إلى ذلك جميع ما وصل إلينا من شعره. وأملنا أننا نكون قد لفتنا أنظار الباحثين من أبناء الجيل الصّاعد إلى الإقبال على دراسة هذه الفترة المهمة من تاريخ المغرب الحافل بالبطولات والأمجاد، وإلى التّنقيب عما حققته الأجيال الماضية من ازدهار حضاري ونشاط فكري».

وقد نشر الباحث والمُحقق الأستاذ الدّكتور (عبد الحميد حاجيات)؛العديد من المقالات في مختلف الصّحف والمجلات الثّقافية، والأكاديمية المُحكمة في مختلف أقطار الوطن العربي، وألّف مجموعة من الكتب المفيدة ناقش فيها قضايا متنوعة، و نذكر من بينها: « عبدُ الله بن المُقفع:حياته وآثاره»، حيث تحدث في مقدمة الكتاب عن أسباب تأليفه له، وأبان عن منهجه في دراسته؛ إذ يقول: «يحتل عبد الله بن المقفع مكانة مرموقة في الأدب العربي، ويرجع ذلك بصفة خاصة إلى كتاب: (كليلة ودمنة)؛ الذي ترجمه من الفارسية، ونال شهرة عالمية قبل أن يحظى بمثلها غيره من روائع الأدب العربي. وقد تضاربت أقوال الأدباء حول ابن المقفع واختلفت آراؤهم فيه؛ فمنهم من اعتبره زنديقاً، ومنهم لم يشك في إسلامه؛ الأمر الذي جعل كثيراً من الذين عالجوا هذا الموضوع لا يخفون حيرتهم وترددهم ويكتفون برواية ما أورده القدماء من أخبار، ومعالجة هذا الموضوع تتطلب من الباحث أن يتناول ما أوثر عن القدماء من الأقوال بكثير من الحذر، وألاّ يقبل منها إلاّ ما يُوافق المعطيات التّاريخية، والاجتماعية والأدبية الثّابتة ثبوتاً يقينياً. ولا شك أن دراسة ابن المقفع من هذه الزّاوية قد يُتيح للباحث مجالاً للتخلص من كثير من المزاعم التي اعتاد النّاس أن يقبلوها، مع أنها لا تعتمد على أسس متينة، و لا تمت إلى الحقيقة بأية صلة؛ثم إن هذا الاتجاه يؤدي حتماً إلى تقييم جديد لشخصية ابن المقفع، وللدور الذي لعبه في تاريخ الأدب العربي، وفي تطور الفكر الإسلامي، ومن أهم ما يُساعد على تجديد البحث حول ابن المقفع دراسة البيئة التي عاش فيها ومدى تأثيرها في تكوينه الفكري والأدبي، ولا يقتصر البحث في هذا الصّدد على النّاحية الثّقافية؛ بل يتعداها إلى جوانب أخرى لا تقل عنها أهمية من سياسية واجتماعية وعقائدية، وغير ذلك...».

كما حقق الأستاذ الدّكتور (عبد الحميد حاجيات) مجموعة من الأسفار النّفيسة، وقام بتقديم بعض الكتب التي تكتسي أهمية بالغة، وعلّق عليها، ومن بين الكتب

التي تندرج تحت هذا اللواء نذكر، تحقيقه لكتاب: « الجواهر الحِسان في نظم أولياء تلمسان» لأبي مدين شُعيب، ومن بين ما جاء في مقدمة المُحقق: « لقد بدأت الأنظار في المغرب العربي تتجه نحو الأدب الشّعبي، وأخذ المسؤولون عن الثّقافة يولونه عناية خاصة، وينظمون دورياً المهرجانات الوطنية والجهوية؛ حرصاً على ما وصل إلينا من هذا التّراث النّفيس أن يندثر، وشعوراً بأهميته الاجتماعية والتّاريخية والفنية؛ كما أصبح بعض الأدباء والباحثين يقدّرون الثّقافة الشّعبية حقّ تقديرها، ويعنون بدراستها والتّنقيب عن أدبها الزّاخر وتدوينه وتهذيبه. غير أن البحث في هذا المضمار شاق جداً، وذلك لأنه يعتمد غالباً على المسموع من الأدب الشّعبي، وعلى ما حفظته الذاكرة... وقد ساعدنا الحظ؛ أثناء مهمة دراسية قمنا بها في المكتبة الوطنية بباريس، حول آثار تلمسان وتاريخ الدّولة العبد الوادية؛ فعثرنا على مخطوط يحتوي على مجموعة شعرية، جلها من أدبنا الشّعبي، ويحمل هذا المخطوط عنوان: (الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان)، وقد جمع هذه المختارات الشّعرية أحد أدباء تلمسان؛ يدعى محمد أمرابط، ونسخها بيده في رمضان1271ه، الموافق لشهر يوليو1855م، وقد ذكر محمد أمرابط هذا أنه انتدب إلى جمع هذه الأشعار بطلب من المستشرق الفرنسي بروصلار؛ الذي كان يشغل آنذاك منصباً إدارياً سامياً بتلمسان، وإذا كنا نجهل تماماً جامع هذا الكتاب، فإننا نعرف عن بروصلار أنه كان يُولي عناية كبرى لدراسة تاريخ تلمسان، وآثارها الإسلامية، ومن حُسن الحظ أنه عني أيضاً بالأدب الشّعبي، وبالموسيقى المغربية ذات الطابع الأندلسي؛ فطلب من أن يجمع له بعض المختارات المشهورة من ذلك الشّعر الذي اعتاد النّاس أن يلحنوه، وأن يتغنوا به في شتى الحفلات... وهذا المجموع؛ الذي يشتمل على نماذج من الشّعر الشّعبي، مما كان متداولاً على الالسّن في أواسط القرن الماضي بتلمسان، لا يُمثل إلا نسبة قليلة من الثّروة الأدبية الشّعبية التي كانت لا تزال منتشرة في زمان جمعه، بين أصحاب هذا الفن وهواته الكثيرين ».

كما حقق الدّكتور (عبد الحميد حاجيات) كتاب: «بُغية الرّواد في ذِكر المُلوك من بني عبد الواد»، لأبي زكرياء يحيى بن خلدون، وقد صدر عن منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية بالجزائر، عام: (1400ه/ 1980م).

محمد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- أبو مدين شعيب: كتاب الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، منشورات الشّركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1394ه/ 1974م.
- بُغيَةُ الرّواد في ذِكر الملوك من بني عبد الواد، تأليف: أبي زكرياء يحيى بن خلدون، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، عام: 1400ه/ 1980م.
- عبد الحميد حاجيات: أبو حمُّو موسى الزّياني:حياته وآثاره، منشورات الشّركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1402ه/ 1982م.
- عبد الحميد حاجيات: عبد الله بن المقفع: حياتُه وآثاره، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

■ عبد الرّحمان بركات
(و: 1319ه - 1901م/ت: 1377ه - 1957م)

في مطلع هذا القرن وفي حدود 21 فيفري 1901، ولد الشّيخ عبد الرّحمان بركات بن الحاج بن الصّادق بحي سيدي بركات ببسكرة، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه على يد الشّيخ المبارك الحمدي، وببني سويك بجمرة (ولاية بسكرة) على يد معلم القرآن بن البشير سي اعمر (الكفيف) وعلى يد الشّيوخ عبد الرّحيم الزاهري والعربي رماضنة وبلقاسم ميموني... ومن الذين تركوا آثارهم على حياته وشخصيته وغرسوا مبادئ الوطنية وحب العربية والإسلام النّقي في نفسه، العلامة الطّيب العقبي الذي اتخذ من مسجد بكار ببسكرة معقلا للدفاع عن الإسلام الصّحيح ومحاربة البدع والخرافات التي تغلغلت في أوساط الشّعب بتشجيع من الاستعمار الفرنسي، فكان من المؤيدين له ومن المعتنقين لأفكاره الإصلاحية التنويرية.

بفضل الله، قام الشّهيد عبد الرّحمان بركات بالعديد من الأعمال الإصلاحية الجليلة وعلى رأسها:

مؤازرة الشّيخ الطّيب العقبي في دعوته، والذي كان يجابه الاستعمار وأذنابه وبعض محدودي التصور والفكر من مدعي التصوف.

مساهمته الفعالة في تأسيس وتفعيل بعض المساجد ببسكرة كمسجد الضّلعة (أبي بكر الصّديق حاليا) ومسجد كبلوتي (عبد الله بن عباس حاليا)، ومسجد المصلى ومسجد سيدي بركات هذا الأخير الذي جعل منه مكانا للتدريس باستعمال الطّرائق التعليمية الحديثة كما جلب إليه الطّاولات والسبورات وفتح مجال التدريس به لكل من الشّيوخ: وجدي عبد الواحد الحيدوسي، عبد الرّحيم الزاهري عبد القادر الياجوري بلقاسم ميموني نعيم النّعيمي ومحمد الصّادق بولعراس وغيرهم فأصبح هذا المسجد منارة علم يتنافس الطّلبة في التسجيل ضمن قوائمها.

المساهمة في بناء وتأسيس مدرسة التربية والتعليم (في قلب سوق الحشيش ببسكرة): وقد جاء في المخطوطة التي أشرنا إليها سابقا أن بنايات هذه المدرسة كانت دورا لليهود والفرنسيين، وبفضل جهود بعض المحسنين ثم تعويض هؤلاء المعمرين وحولت إلى مدرسة. واستنادا إلى هذه الوثيقة فقد اشترى الشّهيد عبد الرّحمان بركات من الدّومان (دار التراب أرض البخاري الفسيحة عام 1945 وجعلها وقفا لله تعالى كمقبرة تتوسط مدينة بسكرة، وأول من دفن فيها أخوه محمد بركات، وهذه المقبرة الشّاسعة جدا مازال يدفن فيها النّاس إلى يومنا هذا.

رئاسته لشعبة جمعية العلماء المسلمين ببسكرة، بعد تجديد شعبتها خلال 1952، وبذلك أصبحت الشّعبة كما جاء في جريدة البصائر تتكون من:

1. الرئيس: السّيد عبد الرّحمان بركات
1. نائبه الأول، السّيد صولي أحمد بن الدّراجي
1. نائبه الثاني: السّيد علي المغربي الكاتب: السّيد عمر نوار
1. نائبه: السّيد محمد غريبي. أمين المال: السّيد فطناسي المداني. نائبه: السّيد الحاج مصطفى قرفي. المراقب: السّيد عبد الكريم جيشة.
1. أما الأعضاء المستشارون فكانوا الحكيم قصابي رمضان، محمد مغزي مراوي محمد عبد الله حمادة صالح مدور محمد نصري حفيان، المسعود عبد الرّحمان مغزي، عبد الواحد بن عمر، عبيد السّعيد البوزيدي بن مبارك، بني عبد المجيد، العماري بن مسعود.

وقد قام الشّيخ ومن معه من هؤلاء الرّجال بعمل إصلاحي جبار، كجلب الجرائد والمجلات سرا من تونس والعمل على توزيعها لاتساع دائرة الاستفادة، وإرسال التلاميذ النّجباء إلى مدينة قسنطينة للتتلمذ بمعهد بن باديس بقسنطينة، وإلى جامع الزيتونة بتونس وجامع الأزهر بمصر، وهذا كله على حساب شعبة جمعية العلماء ببسكرة، ونتيجة لهذه الأعمال الجليلة ذاع صيته وأصبح بيته مزارا ومقصدا للمصلحين والعلماء ومن بينهم الشّيوخ: ابن باديس والابراهيمي والطيب العقبي والعربي التبسي ونعيم النّعيمي ومبارك الميلي وابراهيم بيوض ومحمد العيد آل خليفة وأحمد حماني وعلي مغربي وعبد الرّحمان شيبان... وغيرهم.

لم يمنعه نشاطه في إطار جمعية العلماء المسلمين وكرئيس لشعبتها فيما بعد، من العمل السّياسي الوطني الذي هو مكمل للعمل الإصلاحي القاعدي الذي اعتمدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث ساند جماعة النّواب بقسنطينة وعلى رأسهم الدّكتور بن جلول.

تأسيس حركة أحباب البيان والحرية التي ترأسها فرحات عباس: ناصر قادتها وأيد أفكارهم وبعد مجازر 8ماي 1945 قامت سلطات الاحتلال باعتقال بعض الشّخصيات الوطنية والإصلاحية وكان الشّيخ عبد الرّحمان بركات ضمن هؤلاء الموقوفين، فسجن بقسنطينة في سجن القصبة، وخلالها تم تعذيبه ثم أفرج عنه، إلا أنو الإدارة الفرنسية ظلت تراقبه وتتبع تحركاته، وفي تقرير للحاكم الفرنسي (غابي) رئيس دائرة أريس وصف عبد الرّحمان بركات بالرجل الخطير كما وصف بعض المتهمين بأنهم من تباع بركات الذي أطلق عليه اسم هتلر بسكرة).

بعد ذلك تيقنت الحركة الوطنية والإصلاحية أنه لا بد من العمل المسلح الذي سيحقق آمال الشّعب الجزائري المقهور، وشرع في التفكير الجدي لهذا الحدث الفاصل.

العمل في إطار ثورة نوفمبر 1954 كانت للشيخ عبد الرّحمان بركات كما جاء في المصدر المشار إليه سابقا، اتصالات وثيقة قبل الثورة مع الشّهيد مصطفى بن بولعيد والشهيد أحمد بن عبد الرّزاق (المدعو سي الحواس فأسهم بماله وفكره وخطبه للتخطيط لهذه الثورة، واختيار الرّجال المخلصين والمؤهلين، وتسهيل الاتصالات وإرسال الإمدادات من ملابس وأسلحة ومؤونة..

وفي عام 1955، عمل الشّهيد على تنظيم خلايا الثورة تحت قيادة كل من بن بولعيد وسي الحواس وبلقاسمي محمد بن المسعود، كما أسندت إليه رئاسة اللجنة المركزية لمدينة بسكرة تحت رقم 10 باسم نصر الدّين الاسم المستعار الذي اختاره تحت قيادة كل من حاج عمر عساسي والشهيد نور الدّين الحواس مناني والشهيد سي. وبلقاسمي محمد، وكانت لهذه اللجنة 14 فرعا، وقد أكد الشّيخ محمد خير الدّين في مذكراته أن جبهة التحرير الوطني الجزائري قامت بتفويض الشّيخ عبد الرّحمان بركات كممثل لها بنواحي بسكرة والأوراس والصحراء مذكرا أنه من رجال حركة الإصلاح وعضو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيس شعبتها ببسكرة وما جاورها. وقد دعم الشّيخ خير الدّين في مذكراته هذا التفويض بصورة للشهيد ووثيقة (وكالة) مختومة بختم جبهة التحرير الوطني الجزائري جاء فيها في تسهيل الاتصالات بين مختلف النّواحي والمناطق التي تحيط ببسكرة إلى جانب حث الشّباب على الالتحاق بالثورة وجمع الاشتراكات والتبرعات، والاستخبار عن العدو وإبلاغ قيادة الثورة بجميع تحركاته، وكشف

الخونة ونشاطهم المضاد للثورة، وإحصاء الشّهداء والمنكوبين وإسعاف المرضى والجرحى من المجاهدين والمسبلين ودعوة الطّبيبين: العربي كبوش والطيب السّماتي للقيام بهذه المهمة، مع توزيع المناشير المحرضة ضد العدو والتي تدعو إلى تحطيم بنيته التحتية من منشآت ومراكز وغيرها. ونتيجة لهذه الأعمال التي أقلقت مضاجع العدو الفرنسي، أصبح محل بحث دائم، فما يمر أسبوع حتى يداهم بيته، ويروع أهله، ويرهب سكان حيه خاصة أثناء وبعد إضراب الثمانية أيام الذي امتد من 28 جانفي إلى 3 فيفري 1957 ولتلك الاسباب وحفاظا على حياة هذا البطل صدرت أوامر الثورة بضرورة نقله إلى العاصمة في شهر فيفري 1957، وهناك اتصل بالبطل العربي بن مهيدي الذي يعرفه عن المعرفة باعتبارهما أبناء منطقة واحدة.

وبعد إلقاء القبض على بن مهيدي في 23 فيفري 1957، هاجر بركات إلى فرنسا وظل متنقلا بين بعض مدنها، مبشرا بالثورة ومتصلا بالمجاهدين هناك، وحاثا بعض المناضلين من الحركة الوطنية للالتحاق بالثورة ومؤازرتها، وقد لبث بفرنسا قرابة الأربعة أشهر.

أما السّلطات الاستدمارية ببسكرة فبعد أن عجزت عن الإمساك به، اتجهت إلى ترويع عائلته من خلال التعذيب الوحشي الذي تعرض له أخوه الصّادق بركات واغتيال ابنه عبد الحميد بركات بتاريخ 19 أفريل 1957 وعمره 22 سنة، كما سجن أخوه الشّهيد العراقي بمعتقل الجرف بالمسيلة... وقد عاشت العائلة آنذاك أسوأ أيامها. الاستشهاد بالمغرب الأقصى: وفي نفس العام، تقرر إرسال الشّهيد عبد الرّحمان بركات إلى المغرب الأقصى ليعين عضوا بمكتب جبهة التحرير الوطني بالرباط، وبعدها عين مسؤولا للمكتب المدني للجبهة بالدار البيضاء، إلا أن سلطات الاحتلال ودوائر مخابراتها ظلت له بالمرصاد، إلى أن تمكنت من تصفيته واغتياله في أواخر عام 1957 بالمغرب الأقصى، لتبقى حيثيات استشهاده لغزا يحتاج إلى بحث دقيق، خاصة أن المغرب في ذلك الحين كان ينعم بالاستقلال الذي تحصل عليه عام 1956!!

اكتشاف وثائقه وخطبه في 1983 خلال عمليات البناء والترميم التي شهدها بستان منزله القديم ببسكرة: تم العثور على العديد من الوثائق الرّسمية والمراسلات التي تعود إلى ثورة نوفمبر، وخطب الجمعة التي كان يلقيها بالمسجد، إلى جانب بعض التقارير الشّهرية التي أشرنا إليها سابقا، وتتمثل هذه الوثائق في رسائل هامة أرسلت إليه من طرف بعض القادة والمسؤولين ومن بينهم كما جاءت في المخطوطة (المصدر الأساسي لهذه الدّراسة):

- مصطفى بن بولعيد: وهو قائد عام للمنطقة الأولى أوراس النّمامشة (شهيد)
- عجول عجول: وهو قائد عسكري وسياسي منطقة أوراس النّمامشة
- أحمد بن عبد الرّزاق (سي الحواس) قائد المنطقة رقم (6) بمنطقة (شهيد)
- بلقاسمي محمد بن مسعود: وهو قائد النّاحية رقم (1) في المنطقة رقم (3) ه
- الحاج عمر عساسي: وهو قائد قسمة بسكرة الشّرقية وضواحيها شهيد؟
- حسين عبد السّلام بن عبد الباقي، قائد الجيش الموجه للصحراء المنطقة الأولى الولاية الأولى
- نور الدّين مناني، وهو قائد ناحية الزيبان وبسكرة الغربية (شهيد)
- محمد بن بولعيد، ملازم أول إخباري عضو مجلس النّاحية الأولى مشونش (شهيد)
- أبو بكر مسعودي: ملازم أول سياسي عضو مجلس النّاحية الأولى (مشونش)
- عبد الكريم سلاطنية: عريف أول إخباري عضو مجلس قسمة سيدي عقبة - الناحية الأولى
- جناحي العقبي: عريف أول سياسي، عضو مجلس قسمة سيدي عقبة -الناحية الأولى
- عبد الحفيظ مختاري، مسؤول بنواحي الزاب الشّرقي.

كما حوت مذكرات الشّيخ محمد خير الدّين في جزئها الثاني، العديد من خطب الجمعة المخطوطة بيد الشّيخ عبد الرّحمان بركات التي كان يلقيها، إلى جانب بعض المراسلات التي كانت بينه وبين قيادة الثورة كرئيس للجنة بسكرة وموقّعة باسمه المستعار (نصر الدّين)، وضمن الدّراسة نموذج لهذه المراسلات.

كما تفحصت الخطب التي خصني بها الاستاذ سعد السّعود شخاب، فوجدت أن بصر الإنسان لا يتحمل خطها غير الواضح نتيجة للنسخ المتكررة، وإذا كان في هذا الزمان بقية فستعكف على فك رموزها ودراستها والجد في الحصول على النّسخ الأصلية منها إن شاء الله.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- فوزي مصمودي، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 163،

■ عبد الرّحمان بن عيسى بن بكير، حوَّاش (و:1346ه - 1928م/ت: 1438ه - 2017م)

المجاهد والباحث عبد الرّحمان بن عيسى بن بكير حوَّاش ولد بغرداية سنة 1346ه، الموافقة لسنة 1928م، ويعرف باهتماماته المتنوعة فهو مفكر وباحث وأحد الرّوّاد المهتمين بمدونات «الثّقافة الأمازيغية» ودراسة مختلف الالسّن المازيغية الموجودة في (شمال أفريقيا)، وقد تنوع تكوين الباحث عبد الرّحمان بين العلوم الشّرعية والأدبية واللغة الفرنسية، فقد تلقّى تعليمه الأول في مسقط رأسه في مدرسة (الإصلاح) الحرة، وإضافة إلى ذلك تعلّم «اللغة الفرنسية» على يد «الآباء البيض» وكان من المتفوّقين، وفي سنة 1944م واصل تعليمه المتوسط والثّانوي واستظهر القرآن الكريم في معهد (الحياة) بالقرارة.

بعد المرحلة الثّانوية تحول من الدّراسة إلى عالم التّجارة وذلك لظروف العيش القاسية آنذاك والتّي يضطر فيها الكثير من الشّباب المزابي إلى معاضدة آبائهم في كسب لقمة العيش، ففي سنة 1948م سافر إلى (تيارت) وزاول التّجارة هناك حينا من الدّهر، وتدرّج في سلّم التّجارة وتوسّع نشاطه في أواخر أيام الثّورة التّحريرية وبُعيد الاستقلال إذ شغل منصب «رئيس التّجار» بمدينة (تيارت)، وعُيّن في فترة رئيسا لجماعة «المزابيين" هناك في تيارت، ومن هواياته أنه كان يمارس الفروسية بل كان عضواً فعالاً في إدارة "نادي مركّب الخيول" بتيارت، وكان يسمى داخل المركب "زْكِيزَة" إذ كان بارزاً فيه.

عقب انطلاق ثورة التّحرير المظفّرة لبّى نداء الوطن وداعي الثّورة والجهاد، إذ التّحق بصفوف «جيش التّحرير الوطني» وجاهد بفكره وبدنه وماله مع إخوانه الثّوار في (تيارت)، وكان شخصية بارزة في جماعته، وكان اسمه الثّوري «الصّحرَاوِي»، ولأمانته فقد عيّنوه أمينا للمال الثّورة في تيارت، كما سبّل بيته الذي يقع في طريق «علي بختو" -ويسميه الفرنسيون شارع "بيجو"- وسط تيارت، وكان يقوم بمهمّة التّموين، حتى

ألقت عليه القبض وسجنته ثلاث مرات، ولم يظفروا من بشيء عن أسرار الثّورة.

بعد الاستقلال الوطني استقرّ في مسقط رأسه فعكف على إنشاء مشروعه الثّقافي المشهور، وسمّاه «المكتبة الشّاملة» الذي يعنى بتجميع «التّراث المازيغي" في عصامية منقطعة النّظير، تحتوي على آلاف الوثائق النّفيسة من كتب ومخطوطات وصور ورسائل وفيديوهات سمعية قديمة، وعرف بتواصله الفعّال، فله مراسلات عديدة مع مشايخ وعلماء ودكاترة وباحثين داخل وخارج الوطن، وقد أقام ندوات علمية ومعارض كثيرة محليا، وطنيا، ودوليا، كما كان من منشطي مهرجانات جمعية (الإصلاح) المشهورة بالواحة بعروضه الثّقافية النّفيسة والفريدة.

من آثاره الفكرية، مدونة ضخمة تجمع أكثر من 2500 مَثَلا شعبيا بالمزابية، وله إنجاز آخر سماه «ببلوغرافيا الثّقافة الأمازيغية» ويحتوي أكثر من 8000 عنوانا، وقد أقر باجتهاده وعمله الدّقيق باحثو منظمة «اليونيسكو» واستفادوا من تجربته وأبحاثه وعلاقاته، وله بحوث وكتب ونقود وتأملات في «الدّراسات القرآنية» و«الإعجاز القرآني» لغة وفكرا ومنهجا، وكتابات وانتقادات فقهية شرعية في بعض المسائل الفلكية، كما أسهم في إعداد «المعجم المزابي" مع الأستاذ "إبراهيم بن باحمد عبد السّلام» والأستاذ «أحمد بن محمد نوح مفنون»، وعرف ببرنامج «السّنَّغْ" الذي كان يُبثّ أسبوعياً عبر أمواج إذاعة غرداية منذ 2002م، ومن أهم تلاميذه في مجال الثّقافة المازيغية بالمنطقة: بوسعدة حمو، وعبد السّلام إبراهيم، وتيرشين صالح، والحاج يحيى أحمد، وبوسعدة عمر...، وعرف بصرامته وجدّيته، لذلك لا يقبل غير المجدّين للعمل معه، وكان كريما بماله في سبيل دعم الطلبة والأساتذة والعلم، واشتهر بالنّقد البنّاء والصّريح، كما كان منظماً ومنضبطاً في حياته، ومتفتحا للبحث في كل المجالات.

في سنة 1968م ترك الباحث عبد الرّحمان التّجارة بتيارت وعاد إلى مسقط رأسه ليبدأ رحلة الجهاد الاجتماعي بواد مزاب، فصار رجل مجتمع وفكر وإصلاح حيث شغل عدّة مناصب، من ذلك أنه عُيّن عضوا في (جمعية الإصلاح) الدّينية التّعليمية والاجتماعية، وهو عضو مؤسس ل(معهد الإصلاح) وأول مدير له سنة تأسيسه 1979م، وفي سنة 1983م عُيّن عضوا في (حلقة العزّابة)، كما كان عضوا فاعلا في عشيرته "آت علوان" فقد عيّنته عشيرته رئيساً لها بمجرد عودته إلى غرداية عامّ 1968م، فكان من المساهين في لجنة «إصلاح ذات البين».

وفي مجال التّراث والثّقافة المازيغية المحلية كان يستقبل الطلبة في منزله ليعلمهم اللغة والأدب المازيغي، كما كان يستقبل الباحثين من خارج الوطن وبخاصة المستشرقين من الفرنسيين وغيرهم إذ كانوا يزورونه ويتردّدون عليه باستمرار لأهداف معرفية للبحث وتبادل المعلومات، وكانت مكتبته مفتوحة للجميع، وكان يغرس نزعة البحث في الطلبة حيث يشتهر بالبحث الأكاديمي الدّقيق، وبعد أن تقاعد وقف حياته ووقته لخدمة البحث والعلم باحثا

إلى آخر يوم في حياته، وقد اعتمد عليه في كثير من البحوث الجامعية وأطروحات من داخل وخارج الوطن، ناضل «الباحث عبد الرّحمان حوّاش» بعصامية مبهرة وإرادة فولاذية منذ فجر الاستقلال؛ مفكرا وباحثا رائدا في «الثّقافة المازيغية" ومختلف اللغات الموجودة في (شمال أفريقيا)، ولعله يتفرّد بهذا بين عدد كبير من الباحثين في مجال الثّقافة المازيغية، حتى غدا أحد أعمدتها في الجزائر وخارجها.

قام برحلات استكشافية كثيرة للبحث إلى: المغرب، وتونس، ومصر، والقدس، وكان يتردد كثيرا على متاحف (فرنسا) حيث امتاز ببطاقة تسمح له بالدّخول إلى أي متحف أو مكتبة... كما تردّد على متحف «إكس بروفنس" و»اللّوفر" ومكتبة جامعة "السّوربون" و"المكتبة الوطنية بباريس"، وكان الباحثون ينتظرون يوم حضوره إلى فرنسا ليلتقوا به.

توفي -رحمه الله- بغرداية يوم الثّلاثاء 19 رجب 1438ه، الموافق ل16 أفريل 2017م، عن عمر ناهز 90 عاما، وقد انتقلت مكتبته الزّاخرة بعد وفاته إلى مؤسسة عمي سعيد بغرداية، وهي متاحة للباحثين كما كانت في عهد حياته.

زكرياء بن حسين أويابة

المصادر:

- موسوعة صوتية إذاعية: السّنَغ «لساننا»، تقديم عبد الرّحمن بن عيسى حواش، إذاعة غرداية.
- حوار مع رفيقه وتلميذه: الأستاذ حمو بن سليمان بوسعدة.
- زكرياء بن حسين أويابّة، مقال، مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد45 سنة2018م.

■ عبد الرّحمن بن إبراهيم حفصي
(و:1350ه - 1932م / ت: 1440ه - 2018م)

السّيد عبد الرّحمن بن إبراهيم بن عيسى حفصي من مواليد سنة 1932م بحي تقراف من أولف. تلقى مبادئ العلم على يدي أبيه وجدته لأبيه خديجة بنت مَحمد الأنصاري. وبعد ذلك أرسله والده إلى مدرسة العلامة السّيد الحاج مَحمد دادة رحمه الله ليتعمق في علوم الدّين، ثم انتقل إلى سالي سنة 1949م، ليلتحق بالمدرسة الطاهرية لينهل من معين صاحبها مولاي أحمد الطاهر الإدريسي، ليعود سنة 1957م إلى أولف متوليا التّدريس بحي مولاي المهدي. ومكث هناك إلى أن وافت المنية والده الذي كان إماما بمسجد البخاري بحي عمنات من أولف، فاضطر إلى شغل مكانه إماما ومعلما ومصلحا ذات البين. وبعد الاستقلال انتظم في سلك الشّؤون الدّينية بنفس المسجد إلى غاية تقاعده.

في سنة 1959م، أدى فريضة الحج والتقى هناك شيخه مولاي أحمد الطاهر الإدريسي، وأجازه هناك.

وغداة الاستقلال، وبالنّظر إلى استقامة حاله ولين جانبه تم تعيينه ضمن أول مندوبية خاصة لبلدية أولف. وهذه الصّفات هي التي جعلت الجماعة تكلفه بمسك سجلات بعض الفقاقير. وهي مهمة لا تعطى إلا لمن

يحوز ثقة النّاس، لأنها بمثابة الائتمان على أصولهم المادية ورؤوس أموالهم.

للشيخ نشاط علمي بارز تجسد في القائه المحاضرات وتأليفه الكتب ورده على الفتاوى والأسئلة. فهو يتميز بسعة اطلاعه ومعرفته وتضلعه في فنون شتى من فقه، ميراث، نحو، صرف، بلاغة، تفسير. كما يعتبر عالما نحويا جليلا ذا شخصية مؤثرة لا يقل شأنا عن غيره من لغويي القرن العشرين كالعلامة محمد بن أبي شنب وعبد الرّحمان الحاج صالح.

والشّيخ على قدر علو كعبه في العلم ورسوخه فيه، جم التّواضع، زاهد في الدّنيا، ناكر لذاته، مقدم غيره عليه حتى يخيل لمن لا يعرفه بأنه خالي الوفاض، ويشهد رفيقه في التّحصيل الحاج مَحمد باي بمستواه العالي في الفقه والنّحو والفرائض وسائر العلوم الشّرعية.

التّقى العديد من الشّيوخ سواء أثناء إقامته بالمدرسة الطاهرية، أو في مواسم الحج العديدة، أو أثناء تنقلاته عبر مختلف المدائن والأمصار. وهو بالإضافة إلى تدريسه في مسجد الإمام البخاري، كان يدرس في مدرسة مصعب بن عمير للعلوم الشّرعية وكذلك بمسجد حي تقراف أين يعكف على تدريس كتاب الموطأ حيث يختتمه كل عامّ بمناسبة عودة حجاج بيت الله الحرام.

للشيخ شعر جيد في أغراض شتى، منها تقريظه للكثير من المؤلفات، ومنها رثاؤه لعلماء وشخصيات المنطقة فضلا عن منظوماته العديدة.

للشيخ عبد الرّحمان حفصي العديد من المنظومات والمؤلفات، منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط، من بينها:

- نظم فتح المعين المالك على ارشاد السّالك لابن عساكر،

– منظومة درة الأطفال في نصائح تنفعهم في الحال والمآل،
– منظومة فتح الكريم الواجد لمقدمة الأزهري خالدّ،
– منظومة زهور أهل الوقت،
– منظمة إزالة الدّجنة عمن لعنوا في الكتاب والسّنة،
– مضيئة السّبيل لمن يقي أسامي الخليل،
– قنبلة الخائن تفجر في قلب الشّاتم المائن،
– فتاوي الانارة على معالم القبض،
– جوهرة الخصائص للمبرئ من النّقائص،
– فتح العلي القادر في نظم الأسماء المشتقة وأوزان المصادر،
– الأترجة الشّذية في علم النّاسخ والمنسوخ البهية،
– الغرة في الجبين لوجوه في الكلام المبين،
– واسطة العقد الثّمين في مسائل في قضاء حاجة الانسان،
– فتح الصّمد الخلاق في مواعظ وحكم وأخلاق،
– طعن السّيوف اللوامع في نحور من أحدث الجمعة في كل جامع،
– رياحين المسامرة في فوائد مثمرة،
– جمانة القراء في الرّسم القرءاني.

فضلا عن العديد من نصوص المحاضرات والرّدود والمقالات والفتاوي.

ولقد كانت بعض مؤلفاته كفتح الكريم الواجد لمقدمة الأزهري خالدّ موضوع دراسة وتحقيق في بعض الجامعة الجزائرية في إطار التّحضير لشهادات عليا كالماجستير والدّكتوراه، ولقد استمر في جهاده العلمي والمجتمعي إلى وافاه الأجل المحتوم يوم الأربعاء 13 ربيع الأول 1440ه، الموافق ل21 نوفمبر 2018م، رحمه الله رحمة واسعة.

قدي عبد المجيد

المصادر:

– بن عبو محمد، فتح الكريم الواجد نظم شرح مقدمة الازهري خالدّ في علم النّحو تألبف الشّيخ الحاج عبد الرّحمن حفصي الادراري، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة.

– بن عبو محمد، فهرسة خزانة الشّيخ عبد الرّحمان بن سيدي إبراهيم حفصي، مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا، جامعة أدرار، 2019.

■ عبد الرّحمن بن عبد الله هيباوي
(و: 1325ه - 1906م/ت: 1416ه - 1995م)

هو السيد عبد الرّحمان بن عبد الله بن الوافي بن أحمد بن هبة الله هيباوي المولود سنة 1325ه الموافق ل 1906م بزاوية مولاي هيبة (جده الثّالث بعد أبيه)، توفي والده وهو لم يكمل التاسعة من عمره في 1333ه الموافق ل1915م.

تلقى العلم على يد الشّيخ محمد عبد الله الخرشي الشّنقيطي باله‌گار. ثم عاد إلى بلدته بأولف فتولى مسؤولية الزّاوية بنفسه فقام على شؤونها وعمل على إقامة فرع لها بتمنراست في مكان يدعى الدغمولي. وساعده في ذلك تواضعه، زهده وورعه. فكان يصلح ذات البين ويعين الضّعفاء ويأوي الغرباء والأيتام.

اشتهر رحمه الله بمعرفته للأنساب بحيث يعرف أصول القبائل بالمنطقة وتواريخ قدومها إليها وفروعها في باقي الأماكن. وإدراكا منه بأن قيمة الانسان بعمله كان يقوم بنفسه على شؤون بساتينه وبساتين الزّاوية، يفلح أراضيها ويسقي نخيلها ويعتني بها حتى وهو في سن متقدمة.

كان يقضي نهاره في العمل في البساتين أو الفقاقير أو في إكرام ضيوفه. ويخصص الليل للقيام والتعبد والفكر. كانت جل وصاياه للغير الالتزام بتقوى الله في السر والعلانية؛ ولهذا كان مقصدا للزائرين للتزود بوصاياه ونصائحه أو للصلح بينهم أو لإرشادهم أو لحل معضلاتهم. إذ كان لا يبالي وهو يصلح بين اثنين كم أنفق من مال في سبيل ذلك. ولا يسأم من طول بقاء ضيف عنده بالزاوية.

كانت زاويته ملجأ للثوار يأوون إليها عند عبورهم المنطقة. يقول عنه التومي الحاج سعيدان وهو أحد المناضلين في سبيل القضية الوطنية لما مر بزاويته سنة 1956م: «كان مجلسنا كله أدب بأتم معنى الكلمة، شربنا الشّاي وتناولنا الفطور وانتقل حديثنا إلى السياسة والنجاح الذي وصلت إليه الثّورة، والمحاولات التي يقوم بها المحتل. تعرفنا على أفكار بعضنا البعض وتكونت بيننا رابطة روحية لا مثيل لها».

كانت له علاقات وطيدة مع قادة الثّورة في الولاية السادسة وفي منطقة الجنوب الصّحراوي. فكان محل احترام القادة ومستودع أسرارهم. فلما انتهت مفاوضات وقف إطلاق النار، راسلته قيادة الولاية السادسة طالبة منه الاستمرار في عملية التعبئة وتولي مسؤولية إدارة المنطقة وجمع التبرعات.

توفي رحمه الله بزاوية مولاي هيبة يوم الأحد 19 نوفمبر1995م. فشكر الله سعيه وأعلى مقامه في الصّالحين.

قدي عبد المجيد

■ عبد الرّحمن بن محمد السّكوتي
(و:1285ه - 1868م/ت: 1333ه - 1914م)

السّيد محمد عبد الرّحمن بن محمد السّكوتي الملايخافي من قبيلة من لايخاف. ولد سنة 1285ه، الموافق ل1868م بساهل من أقبلي. تربى يتيما في أحضان أخواله من أبناء الشّيخ الحاج أحمد بن مالك؛ إذ توفي والده وهو صبي. أخذ القرآن عن مشايخ قريته، وانخرط مبكرا في مجالسّ العلم فدرس العلوم الشّرعية واللغوية، على العلماء الذين كانت تعج بهم القرية مترددا بين مجالسّهم خاصة مجلس خاله حمزة بن الحاج أحمد فتضلع في العلوم الشّرعية وعلوم اللغة والتّفسير وعلوم الفرائض والحساب حتى صار عالما يشار إليه بالبنان.

كان أحد علماء المنطقة الذين نشروا العلم وأثروا المكتبات بمؤلفاتهم، ردودهم وفتاواهم الكثيرة. كما كان محاربا للبدع والخرافات.

انتقل رحمه الله إلى مدينة ورقلة ودرس بها. وقام فيها بثورة إصلاحية ساعده فيها أعيان المدينة وتلامذته من أمثال الحاج علي بن إبراهيم، والحاج محمد بن الحاج عيسى. ومن شدة تأثيره في المدينة سميت عليه بعض المواقع كعين الماء الموجودة في وسط غابات النّخيل، المعروفة بعين السّكوتي.

له علاقات واسعة مع العلماء كعلماء أبي جبيهة بالأزواد الذين كان يراسلهم ويراسلونه، وعلماء كسام بتوات الذين يتبادل معهم الرّدود حول المسائل الفقهية. انتقل رحمه الله إلى البقاع المقدسة قاصدا الحج سنة 1333هالموافق 1914م، فالتّقى في طريقه إليها بالشّيخ يوسف النّبهاني فأعجب به وأجازه.

له الكثير من القصائد منها قصيدته في مدح خاله حمزة بن الحاج أحمد، يقول فيها:

بحر النّدى والتّقى والعلم حايز أنواع
الكمال على التّفصيل والجمل
حامي حمى الدّين عن تحريف مبتدع
وزيغ غال وعن الحياد منتحل
مستجمع الذوق بالمعنى وبالحسن
مجمع الحقائق والخيرات والخصل
فإن سبرت الورى له فلست ترى
مباريا في مجال السّبق من رجل
لو لم يكن فيه من شيء سوى أنه
رطب اللسان بذكر الله لم يزل
كفاه مع أن ذا نزر من النّزر من
خصائل لم تكد تبدو لذي مقل
كما حباه بحسن الخلق والخلق
رب الخلق قد خصه بالعلم والعمل
عادوه جهلا لتركه لأهوائهم
بذاك قد حجبوا عن واضح السّبل
طوبى له جل أعمال الأعادي له
فيها يحكم يوم الموقف الوجل
فضلا من الله إذ لو شاء لانتفعوا به
وما نقموا منه مع الخبل
فاختار سبحانه ادخار أعماله
له ليوم به لم ينج ذو الحيل
هذا اعتقادي ولم تعرض له شبه
وبانتقاد جهول فيه لم أبل

ومن أشعاره قصيدته في الإشادة ببطولات المجاهدين في معركة إنغر، والتّي مطلعها:

يا أهل إينغر للسماء مجدكم
سما وصيتكم يعلو وينتشر
لله دركم بعتم نفوسكم
من الإله بجنة لها خطر
فحبذا ذاك من بيع وعاقده
وحبذا ثمن قد ساقه القدر
جاهدتم بنفوسكم وأموالكم
في الله لا مسكم أذى ولا ضرر
طوبى لكم حزتم الرّضوان الأكبر من
إلهكم معه مفاخر أخر
بشرى وروح ورحمة ومغفرة
فاستبشروا برضى الإله وافتخروا
نصر من الله مع فتح قريب وعو
نه يعينكم والحفظ والظّفر
والنّصر يصحبكم متى توجهتم
والعون والفلح والتّأييد والبشر
وعدا من الله حقا سوف ينجزه
والوعد لا يعره التّغيير والغير
حازوا جميع المعالي والذخار فلم
يبقوا لغيرهم فخرا ولم يذرُوا
لم يرهبوا كثرة العدو إذ جمعوا
لهم وقد حسبلوا من بعد ما صبروا
إذ أيقنوا بعد ذا بنصر ربهم
أكرم بها عصبة بالله تنتصر
من ينصر الله ينصره ويظفره
وليس يقدر أن يكيده بشر
فالنّصر آت لجند الله حقا كما
أتى بذلك نص الذكر والخبر
يمشون إن حمى الوطيس يوم الوغى
للموت قدما ونار الحرب تستعر
يرجون في ذلكم رضوان خالقهم
لذاك لم يعرهم ضعف ولا خور
فالدّين عز بهم جنابه واحتمى
والكفر يرفقه الإذلال والصّغر

من تلاميذه: العلامة محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بلعالم، الحاج محمد بن الحاج عيسى (1892م- 1976م) عالم ورقلة ومفتيها، الشّيخ بريقش بن الجيلالي بن إبراهيم (1879م1975-م) بورقلة، الحاج علي بن إبراهيم بورقلة، الشّيخ بحوص بونوة، الحاج محمد ناجي، الحاج قدور خيراني، الحاج إبراهيم المخادمي وغيرهم كثير.

من مؤلفاته:

- السّكوتي عبد الرّحمن بن محمد، أرجوزة

في المنطق،
- السّكوتي عبد الرّحمن بن محمد، قصيدة في الرّد على من ينكر التّجويد،
- السّكوتي عبد الرّحمن بن محمد، قصيدة في نظم أسماء الله الحسنى،
- السّكوتي عبد الرّحمن بن محمد، أرجوزة في علم الفرائض سماها جوهرة الطلاب في علمي الفرائض والحساب.

انتقل رحمه الله لأداء فريضة الحج سنة 1332 ه، وأثناء عودته منه وافته المنية في ينبع بين مكة والمدينة سنة 1333 ه 01الموافق لـ 1914م، فتقبل الله سعيه، وجازاه خير الجزاء.

نسيمة لوح

المصادر:
- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954
- لحمدي أحمد، في سبيل معجم متكامل لأعلام الجزائر تحقيق مخطوط تراجم علماء ساهل، المجلد 13، العدد 17، 2012.

■ عبد الرّحمن بن محمّد الصّغَيَّر بن محمّد بن عامر الأخضري البنطيوسي البسكري الجزائري (و: 920ه - 1514م/ت: 982 ه - 1574م)

سيدي عبد الرّحمن بن محمّد الصّغَيَّر بن محمّد بن عامر الأخضري البنطيوسي البسكري الجزائري المكنّى بأبي زيد. ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى الصّحابي الجليل العباس بن مرداس بن أبي عامر السّلمي الذي كان بالبصرة ثم انتقل إلى المغرب حيث استقرّ بها، وهناك من نسبه إلى بني هلال وفيه نظر والمعول على الأول. أما نسبه من جهة أمه فيظهر أنّ اسمها حَدَّة، وهي من تفلفال بغسيرة، تلك القريّة المحفوفة بالنّخيل والأشجار، والممتدة بامتداد الوادي الأبيض؛ بمياهه العذبة الرّقراقة، والمتكئة على سفوح جبل الأوراس الأشم.

ولد أبو زيد الأخضري عام (920ه/ 1514م- وتوفي في982ه/ م1574)، وقد تضاربت الأقوال أيضا حول مولده، ونسبه من قبل والحاصل: أن أبا زيد ولد بقريّة بنطيوس بالجانب الغربي بِبِسْكِرة بكسر الباء والكاف أو فتحها بَسْكَرة إحدى ولايات الجزائر العاصمة حاليا التي وصفها أبو عبيد البكري بكثرة بساتينها ونخيلها، ولقد نشأ أبو زيد منذ صباه نشأة علميّة فحفظ االقرآن وأتقن رسمه وتلاوته ثم واصل دراسته فحصل اللغة وعلم المواريث والفرائض والمنطق والحساب والفلك وتفقه على طريقة المالكيين حيث كان ميّالا إلى العلم نزّاعا إلى النّظم جامعا بين (العلوم العقليّة والنّقليّة). ويظهر أنه تزوج قبل وفاته لوجود أحفاده من بعده.

وأمّا عصر أبي زيد فقد كان في عصر ضعف في عهد العثمانيين حيث أبان حاله بقوله:

لا سيّما في عاشر القرون
ذي الجهل والفساد والفتون

فقد انتشر الجهل والفساد اجتماعيا بسبب ازدراء العلماء أيّما ازدراء وسوء أوضاعم وأحوالهم؛ بل توقّف تدفق رُفّاد المعرفة وانطفاء أنوار الاجتهاد والابتكار وجفاف منابع العلوم والفنون إذ ابتليت موارد المعرفة بالغور والانحسار فنكبت البلدان المغربيّة بالعموم، وكثرت الفتن والأحزاب سياسيا وتفرقت النّاس شيعا وأهواء فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا!.

لقد أوقف أبو زيد نفسه للتربيّة والتّعليم والإصلاح حيث كان ينظم الأنظام لطلابه تيسيرا عليهم، وتقريبا للمواد إليهم وفي أحايين كثيرة ينبري لشرح أنظامه بنفسه حتى يأخذ بأيديهم لتحصيل العلم ولا يدعهم يزورون عن الطريق، أو يضلون السّبيل وهو بين ظهرانيهم. كما كان يلبي رغبة من دعاه إلى نظم شيء في أيّ علم كان من طلبته بخاصة؛ وفي ذلك يقول:

وقد دعا بعض من الطلاّب
لرجز يهدي إلى الصّواب
فجئته برجز مفيد
مهذب منقح سديد

وقد كان مصلحا محاربا للأوهام والخرافات، نابذا للعنف والشّقاق، جامعا بين الحنكة السّياسيّة والحكمة الصّوفيّة، ناصحا للسلاطين برفق ولين، متصوفا تقيا زاهدا في الدّنيا غير منقطع عنها بالكليّة حيث كان يمنح المنح، ويجزل العطايا لطلبته ومن حوله بما توافر له. كما كان ناقذا لاذعا ينقد أحيانا ما وصل إليه العلم والعلماء في وقته بل استعان بالنّثر أيضا وذلك أثناء شرح منظومته السّلم المرونق:(وإذا كان العذر من حقّ المبتدي في الزّمان المتقدّم، فكيف بهذا الزّمان الصّعب الذي انقرض فيه أكابر العلماء، ولم يبق فيه إلا حثالة الحثالة)، وقد حُببت الخلوة إلى الشّيخ أبي زيد، فكان عاكفا على العبادة يصول ويجول من حين لآخر إلى الجبال المشرفة على بلدته. حيث راحته، وموطن صفاء روحه وتأمله في قدرة بارئه، هذا كان مدعاة له إلى التّأليف والتّصنيف والتّحرير والتّنوير. فقد صنّف نظمه المصون الجوهر المكنون وشرح جزءا منه لمّا آوى إلى جبل «أحمد حدّو» الذي هو من سلسلة جبال الأوراس حيث الخلوة والرّاحة.

أعاد الأخضري للأذهان سنة أسلافه من العلماء الأفذاذ كعبد الرّحمن بن خلدون وعبد الرّحمن الثّعالبي وأحمد زروق الفاسي وغيرهم كثير، فا نكبّ على التّدريس والتّأليف ووجه طلاب العلم الملتحقين بحلقته إلى تلقي العلوم النّقليّة والعقليّة على السّواء، فقد كان يعلمهم من العلوم: الفلك، والمنطق، والحساب، والبلاغة، واللغة، والنّحو؛ إلى جانب ماكان يقدمه

لهم من علوم: التّوحيد، والفقه، والفرائض، والتّصوّف.

من أبرز شيوخه الذين تتلّمذ عليهم والده الشّيخ محمّد الصّغير حيث أخذ عنه مبادئ علم الحساب والفرائض مشافهة مصداقا لقول القائل:

ومن لم يأخذ العلم عن شيخ مشافهةً
فعلمه عند أهل العلم كالعدم.

ليتمكّن فيما بعد من فهمها واستيعابها ونظمها؛ والشّيخ عمر بن محمّد المكاد أحد أكابر علماء قسنطينة في الفقه وصناعة الفتوى.

وأمّا عن رحلاته التي أكسبته مُكنة وضبطا، سفره إلى تونس حيث جامع الزّيتونة ليكتمل مراده، فقد احتك بالعلماء وجالسّهم هناك حتى توسعت مداركه ورسخت قدمه، وما لبث أن عاد إلى بنطيوس حيث مسقطُ رأسه ليشد رحاله إلى قسنطينة مرة أخرى.

تتلّمذ على أبي زيد خلق كثير، ولكن لم نجد إلا تلميذا واحدا مصرّحا به وهو: الشّيخ عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي، وأمّا الباقون من تلامذته فهم من أهل المنطقة والمغرب الأقصى وتونس.

مؤلفات الأخضري تربو عن العشرين مؤلفا ما بين نظم وشرح منها:

- الجوهر المكنون في صدف الثّلاثة فنون
- السّلم المرونق في علم المنطق
- الدّرّة البهيّة في نظم الأجروميّة وغيرها كثير.

يقول عنه حسن الورثلاني: (وقد زرت قبر الشّيخ سيدي عبد الرّحمن، وله تآليف كثيرة ومفيدة، وهو من العارفين بالله تعالى شرقا وغربا)، وقد ذكر المستشرق الفرنسي لوسياني في كتاب السّلم المرونق الذي ترجمه إلى الفرنسيّة بعنوان la soullam–traite de logique، أنّ ثمة وثائق صادرة عن الباي التّركي بقسنطينة تقضي بالتّقدير والتّبجيل والاحترام لثلاثة من أحفاد أبي زيد عبد الرّحمن الأخضري وهذا ليدل على قيمة الرّجل ومنزلته.

لقد عاش الأخضري بين سنتي: 920و953ه. وبذلك يكون قد توفي في مقتبل عمره، لتتضح بذلك عبقريّة الرّجل الذي قدم لعصره خلال سنوات، ما عجز عليه الآخرون- ممن طالتّ بهم الأيام والسّنون- في ذلك العصر المتردي في أحواله وأيّامه، كما أنّ مصنفاته تبيّن مدى القيمة والمنزلة الرّفيعة التي حققها داخل وخارج هذا الوطن المُفَدَّى، ومن أراد أن يستقصيَ ما كتب وآثاره فليرجع إلى مصنفاته ويراجع كتاب عبد الرّحمن الأخضري العالم الصّوفي الذي تفوق في عصره لكاتبه بوزيان الدّراجي، الذي يعدّ بمثابة سيرة ذاتيّة علميّة للرحّالة، تُبِيْنُ عن الشّخصيّة المرموقة والموسوعة الفكريّة. فسيُحصّل من الفوائد ما يساوي رحلة، وهؤلاء الأعلام هم في الحقيقة فخر الجزائر وعوامل عزّ ومُكنة لها في مشارق الأرض ومغاربها.

أحمد أمين بوعلام الله

المصادر:

- عبد الرّحمن الأخضري العالم الصّوفي الذي تفوق على عصره، بوزياني الدّراجي، الطبعة الثّانيّة 2009م.
- مدونة برج بن عزوز ترجمة العلامة سيدي عبد الرّحمن الأخضري.

■ عبد الرّحمن بن محمد بن ابراهيم بابا عمر جلمام
(و: 1341ه - 1923م / ت: 1401ه - 1981م)

ولد بالعطف (تجنينت) بمزاب في الفاتح من سبتمبر من سنة 1923، أول طبيب متخصص في مزاب، والدّته هي السّايح شيخه بنت عبد القادر، زاول تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه بالمدرسة القديمة ثم واصل تعليمه في مدينة المدية قرب العاصمة إلى أن تحصل على شهاده البكالوريا الأولى ثم توجه سنة 1947 رفقة زميلين له بالباخرة إلى مدينة مونبولييه (Montpellier) حيث واصل دراسته هناك وتحصل على شهادة الباكالوريا الثّانية حيث كان نظام التّعليم وقتها به امتحانان للبكالوريا ويتذكر أخوه إسماعيل يوم سفره إلى فرنسا بالباخرة حيث انطلق مع زميليه: السّيد عروة وزميل آخر من محل والده بحي بلكور بالعاصمة، وقد درس هو وزميليه في اختصاص الطب وهو الدّكتور عروة الطبيب المعروف في الجزائر العاصمة.

درس في مدينة مونبيليه لمدة سنة ثم توجه إلى مدينة ليون (Lyon) حيث درس في كلية الطب والصّيدلة ليتخرج بدكتوراه في الطب يوم 3 جويلية من سنة 1954 وكانت مذكره تخرجه بعنوان: 23 Éliocystoplastie pour cystite tuberculose rebelle à néphrectomie

وبذلك كان أول طبيب جزائري في الصّحراء، ويعود الفضل في تشجيعه على الدّراسة لوالده وللسيد إبراهيم حجوط التّاجر المعروف بالعاصمة وأصله من قصر بني يسجن، والذي كان رئيساً للجماعة المزابية بالعاصمة وقتها، أين تلقى منهم التّشجيع، وكان خلال مساره الدّراسي متميزاً ومتفوقاً.

وبعد إتمام مشواره الدّراسي عاد إلى مسقط رأسه وفتح عيادة طبية خاصة بمركز مدينة غرداية في الشّارع الرّابط بين المحكمة ومحطة الحافلات حيت كان يعالج المرضى من كل نواحي

المنطقة، كما كان يتنقل بصفة منتظمة لعلاج المرضى في مدينتي بريان والقرارة بسيارته من نوع Jeep ثم سيتروان 2Cv

كان طبيباً بارعاً سريع التّشخيص لما يعانيه مرضاه، كما كان متميزاً في علاج الأطفال الصّغار الذين كانوا يموتون بكثرة في تلك الفترة بسبب نقص العناية الصّحية ونقص الوسائل حيث كان من أسباب وفياتهم الإسهال، وكان تصرف بعض من الأمهات هو التّوقف عن إعطاء المياه للأطفال مما يؤدي إلى وفاتهم بسبب الجفاف وكان العلاج الذي يصفه لهم هو تقديم مستخلص غليان الأرز وكذا المياه المعدنية Evian.

اتصل الدّكتور المجاهد عبد الرّحمن باباعمر مبكراً بالثّورة في المنطقة وكان يساهم في علاج المصابين من الثّوار سواء في قصر العطف حيث كان يعالجهم في البيوت، أو في بعض القرى المجاورة، تحت إشراف المسؤول المحلي بكلي بابه أحمد بن حمو (الطالب بلال)، وكان يغير مكان العلاج باستمرار خوفاً من تفطن المستعمر، يساعد في المهمة المجاهد الحاج عيسى محمد بن بلحاج الذي كان ممرضاً، حيث كان الدّكتور باباعمر يقوم بمعاينة المصابين وجراحتهم ويتولى السّيد محمد علاجهم وتضميدهم.

تشير بعض التّقارير الاستخباراتية الفرنسية أنه كان يتنقّل أيضاً ليعالج الثّوار في مدينة القرارة وهذا تحت إشراف الشّيخ بيوض والشّيخ القرادي، الذين أنشئوا مستشفى ريفياً بواحة القرارة خصّصوا جزءاً منه لعلاج الجرحى من الثّوار، وكانت تساعده في علاج الجرحى في ذلك المستشفى ممرضة فرنسية متعاطفة مع الثّورة التّحريرية، وقد غادرت الجزائر بعد تشديد الرّقابة على القرارة وحصارها.

يساعده في مهامه وتنقلاته أحياناً السّيد زرقون صالح الذي كان على اتصال دائم معه، ويحكى أنه أحيانا حينما يتنقل الدّكتور إلى مناطق بعيدة لعلاج الثّوار كان يترك سيارته للسيد صالح ليتنقل بها حتى يُوهم المستعمر وأعوانه أن الدّكتور موجود في بيته بالعطف، كما تمكن الدّكتور من كسب ثقة الحاكم العسكري بمدينة غرداية فكان يتحصل من خلاله على معلومات هامة تخص تحركات القوات المسلحة ومخططاتها فيقوم هو بنقلها إلى الثّورة والمجاهدين.

وعندما أحس بأن المستعمر بدأ يتفطن إلى نشاطاته وعلاقته بالثّورة أخبر والدّيه سراً أنه سيتنقل خارج مدينة غرداية ليلتحق بالثّورة في الجهة الغربية للبلاد، بحيث تنقل إلى نواحي بلعباس وبشار وما جاورهما أين شارك في علاج الثّوار، ثم تنقل إلى فرنسا عبر المغرب ليلتحق بالثّورة بالمهجر، وقد كان له دور فعال في نقل التّمويل للثورة بين فرنسا وسويسرا، إذ كان يتنقل بسيارته الخاصة بين البلدين، ويذكر أخوه أحمد الذي كان يدرس بفرنسا وقتها أنه اصطحبه مرة إلى سويسرا للتمويه ولم يكن يعلم أنه ينقل أموالاً ووثائق تخص الثّورة، وكان الدّكتور كتوماً لا يحكي عن أعماله وعن نشاطاته.

وبعد الاستقلال عاد الدّكتور باباعمر إلى الجزائر واستقر بالعاصمة حيث فتح عيادة طبية بشارع ديدوش مراد لعدة سنوات ثم استقر لمدة بمدينة حمام بوحجر بغرب البلاد حيث اشتغل هناك.

عرف الدّكتور بطيبة أخلاقه وحبّه لعائلته، إذ يسهر على التّواصل معهم باستمرار، كما كان يحب تقديم النّصح للناس في مجال الطب والصّحة بخاصة، وكان محبا لعمله ويحب مساعدة الغير، وقد ساهم بشكل كبير في علاج الكثير من الحالات المستعصية، وكانت تربطه علاقات طيبة مع أعيان قصر تجنينت وعموم قرى وادي مزاب، وكذا في مختلف مناطق الوطن التي تنقل إليها، كان عصبي المزاج لكنه كان طيب القلب حنونا سريع الفيء، توفي رحمه الله يوم 12 جوان من سنه 1981 بفرنسا بعد عملية جراحية على القلب وتم نقله إلى أرض الوطن ودفن بمسقط رأسه بجوار آبائه وأجداده.

يحيى بن بهون حاج امحمد

المصادر:

- زرقون كريم بن أحمد، تسجيلات مع إخوة المترجم له.
- صالح بن دريسو، المزابيون على وقع الثّورة، نشر الرّستمية، غرداية، ط1، 2020.
- يحيى بن بهون حاج امحمد، الشّيخ سليمان بن داود ابن يوسف في جهاده الإصلاحي، وثائق وشهادات، نشر جمعية التّراث، القرارة – الجزائر، ط1، 2018، ص 240 – 241.

■ عبد الرّحيم مرزوق
(و: 1371ه - 1952م/ت: 1437ه - 2016م)

من مواليد مدينة ميلة بالشّرق الجزائري،، تلقى دراسته القاعدية الابتدائية، المتوسطة، والثّانوية بمسقط رأسه، اشتغل صحفيا بجريدة النّصر الصّادرة بشرق البلاد حوالي اثنين وثلاثين عاما، انتقل بين أقسامها المختلفة كالقسم الاجتماعي، الثّقافي الذي أشرف عليه لاحقا، والجهوي وكذا الوطني، وكان ميله أكثر لتغطية الأحداث والفاعليات الثّقافية، بحكم علاقاته الوطيدة بالأدباء والكتاب والشّعراء لأنه كان عضوا في اتحاد الكتاب والصّحفيين والتّراجمة الجزائريين، قبل أن يتحول إلى اتحاد الكتاب الجزائريين، إضافة إلى ميله الطبيعي للأدب، فقد بدأ كاتبا للقصة القصيرة وعرف بها في بداية مشواره الإعلامي، ثم تفرغ للمهنة الإعلامية التي أخلص فيها أيما إخلاص، يكتب المقالة والخاطرة والقصة، وله مساهمات في عدد من الحصص الثّقافية بإذاعة سيرتا المحلية بقسنطينة، وبعدها بإذاعة ميلة بعد أن تقاعد من المهنة الإعلامية مشاركا ومنتجا لبعض الحصص الإذاعية. وقد بدأ مشواره الإعلامي بدءا مراسلا صحفيا من ميلة في سبعينيات القرن الماضي، ثم انتسب انتسابا نهائيا صحفيا عاملا بصحيفة النّصر الجهوية واستمر عاملا بها حتى أحيل على التّقاعد عامّ 2012، ولما أحيل على التّقاعد لم يخلد للراحة بل دفعه حبه للإعلام إلى التّعاقد مع إذاعة ميلة معدا، ومنشطا لحصتين إذاعيتين: أوراق ميلة، وحكاية مدينة، إضافة إلى نشاطه الجمعوي ضمن جملة من الجمعيات المدنية، وكذا ترأسه مكتب اتحاد الكتاب الجزائريين بميلة.

يقول عنه زملاؤه في المهنة أنه كان شخصا مسالما، بشوشا، دائم الابتسامة إلا ناذرا حين يعكر صفو مزاجه افتزاز ما، فزميله الأديب الإعلامي علاوة جروة وهبي يقول عنه في ملف عد خصيصا من قبل الإعلامي سليم بوفنداسة بعد رحيله في جريدة النّصر اليومية والتّحاقه بالرّفيق الأعلى (فقدنا اليوم زميلا صحفيا بشوشا، عرفته مراسلا صحفيا لجريدة النّصر قبل أن ينتقل للإقامة بقسنطينة، ويلتحق بالتّحرير المركزي بالجريدة متعاونا ثم صحفيا محترفا...)، ثم يواصل فيقول في شهادته عنه (ما أذكر عن زميلي الرّاحل عبد الرّحيم مرزوق مساهماته ومشاركاته العديدة في تغطية الملتقيات الأدبية، وكذا كتاباته، ومحاولاته النّقدية المنشورة في عدد من المجلات والصّحف العربية.. ويضيف بقوله يمكنني الجزم بأن عبد الرّحيم وعلى الرّغم من قلة إنتاجه القصصي، إلا أنه يعد أحد أبناء جيل السّبعينيات الذي حفر اسمه في تاريخ القصة الجزائرية القصيرة، كما أنه تمكن بفضل تفانيه في عمله ومثابرته أن يفرض اسمه في قطاع الإعلام وبخاصة الإعلام الثّقافي).

أما زميلته السّابقة الإعلامية المتقاعدة صفية بلغربي فتؤكد بشاشته الدّائمة وإخلاصه في عمله وإيثاره لتغطية الفاعليات الثّقافية فتقول عنه: (عرف بطبيعته وهدوئه، وكانت روحه المرحة تطبع تصرفاته وابتسامته تسبق خطواته وحديثه إليك، فكانت كل الأقسام مفتوحة له، إلا أنه كان يختار الانزواء في قسم الأرشيف ليحرر مقالاته، حيث أجده هنا كما تقول حين لا أجده في مكتبه بحكم إشرافي على قسم المجتمع الذي كان يعمل به، وقد ظل وفيا يحن إلى القسم الثّقافي حتى غادر الجريدة إلى التّقاعد.)

كما يؤكد زميله محمد بكوش والذي غادر الجريدة إلى التّقاعد كذلك، وبعد أن يذكر خصاله وحلاوة شمائله يقر أنه كان مولعا بالأمور الثّقافية، وله شعبية عريضة في المحيط الثّقافي المحلي، لكونه أحد أكثر الإعلاميين تغطية للتظاهرات الثّقافية طيلة أكثر من عشرين عاما، وصلته بمجال الإعلام الثّقافي لم تنقطع بخلاف الكثيرين الذين خلدوا للراحة بعد مغادرة الصّحيفة إلى التّقاعد.

وحين نطلع على المهام التي كان يؤديها أثناء تغطيته للأحداث الثّقافية والفنية نجدها قد تنوعت بين إجراء الحوارات العديدة مع مشاهير الفن والأدب والسّينما والموسيقى إضافة إلى رجال السّياسة، علاوة على أنه كان يرافق مختلف الأجهزة الأمنية والوقائية لإجراء ريبورتاجات مكان الحدث بتغطية حية ونابضة بالواقعية، كما اهتم بمختلف الظّواهر والمظاهر الاجتماعية برؤية ناقدة فاحصة ومشرحة إذ أنه لم يكن يؤمن بالتّخصص بل كان

مفيدا وفاعلا ومؤثرا في مختلف التّخصصات باحترافية عالية.

عمل عضوا عاملا باتحاد الكتاب الجزائريين، إذ كان عضو المكتب التّنفيذي لمكتب قسنطينة لعدة سنوات

من أعماله المنشورة من أين تأتي الشّمس يا أمي (مجموعة قصص)، دار البعث للطباعة والنّشر، قسنطينة، الجزائر 1983.

ومجموعة من المخطوطات في مجالات متعددة.منها مقالات في الأدب والحياة، وحوارات مع شخصيات ثقافية وفنية وسياسية.

رحل إلى رحمة الله إثر تعرضه لوعكة صحية الزّمته فراش المشفى إقامة لمدة ليلتحق بالرّفيق الأعلى فجر يوم سبت بقسنطينة حسبما علم لدى أفراد من أسرته..

وللفقيد تجربة إعلامية طويلة قضى جزءا هاما منها بجريدة النّصر الصّادرة بشرق البلاد حيث اشتغل بها صحفيا ثم رئيسا لقسمها الثّقافي قبل أن يحال منذ سنوات قليلة على التّقاعد.

كما تعاون الفقيد خلال السّنة المنصرمة مع إذاعة ميلة المحلية، حيث كان ينشط برنامجا ثقافيا أسبوعيا بعنوان «حكاية مدينة».

ولعبد الرّحيم مرزوق الذي عرف بأخلاقه العالية مجموعة من المساهمات الأدبية والشّعرية كما كان يرأس فرع ميلة لاتحاد الكتاب الجزائريين وكذا الشّبكة الجزائرية للإعلام الثّقافي

ووري جثمان الفقيد الثّرى بمقبرة سيدي بويحيى بمدينة ميلة مسقط رأسه تاركا وراءه أرملة وأربعة أبناء.

باديس فوغالي

المصادر:

- رسالة خاصة منه في حياته
- باديس فوغالي / معجم القصاص الجزائريين في القرن العشرين.ط أولى 2006.
- وكالة الأنباء الجزائرية
- جريدة النّصر/ ملف خاصّ طلع في عدد 02 جويلية 2016

عبد الرّزاق مَنْصوري

(و: 1344ه - 1926م /ت: 1416 ه- 1995م)

وُلد الشّيخ عبد الرّزّاق منصوري في الثّامن من شهر شعبان عامّ 1344 ه المُوافق 20 فبراير 1926 م، بجبالَة دائرة ندرومة ولاية تلمسان، تَرجعُ أصول عائلته إلى عرش جْبَالة الذي يدخلُ ضمن سلسلة قبائل كومية المتفرّعة من قبيلة زناتة، وقبيلة كومية معروفة تاريخيًا بقوّتها وسيطرتها خاصة بعد مُظاهرتها للمصامِدة بالمغرب الأقصى بمُبايعة المهدي مُحمّد بن تومرت القائد الرّوحي للمُوحّدين، تقوَّت شوكتُها بعد تأسيس الدّولة الموحديّة بقيادة قائدها العسكري عبد المؤْمن بن علي الكومي التّاجري (487 ه557-ه/ 1095-1163م)، يقول ابن خلدون عن كومية: «هم المعروفون قديمًا بصطفورة إخوة مطاية ومضغرة، وهم من ولد فاتن كما قدّمنا، ولهم ثلاثة بطون، منها تفرَّعت شعوبُهم وقبائلهم وهي ندرومة وصفّاره وبنو يلول».

دخل الكتّاب بجبالة في سنٍّ مبكرة، فحفظ القرآن الكريم على يدِ مشاييخها، وتعلّم مبادئ العربيّة بمدينة ندرومة على يد علمائها، ودرس مرحلة التّعليم الابتدائي في مَدارسها، ثمّ انتقل إلى فاس بالمغرب الأقصى ودرس بجامع القرويّين فتعلّم علوم الدّين من تفسير وفقه وسيرة وغيرها على يد علماء فاس الكبار، ثم انتقل إلى جامع الزّيتونة في تونس ودرس هناك عدّة سنوات، ومنها انتقل إلى القاهرة للدّراسة في المعاهد الدّينية العلميّة الإسلاميّة، فدخل الأزهر الشّريف وتتلّمذ على كبار العلماء منهم الأستاذ عبّاس حسن صاحب كتاب النّحو الوافي، تحصّل على الشّهادة الثّانوية للبحوث سنة 1952م، الموفق 1375 ه، وكان ترتيبُه السّادس عشر من أصل ثلاثة وتسعين طالبًا، وبعد ذلك نالَ درجة الليسانس في اللُّغة

العربيّة والعلوم الإسلاميّة في محرم سنة 1381 هالموافق لشهر يونيو 1961 م. وخلال هذه الفترة درس الشّيخ علوم اللُّغة من نحو وصرف وعروض وبلاغة ونقد وخطٍّ عربي، كما درس علوم الشّريعة منتفسير وحديث شريفٍ، وفقه، وأصول فقه. عاد إلى الجزائر وتصدّر لخدمة العلم والدّين فقام بتدريس اللّغة العربيّة وآدابها بثانوية العقيد سّي الحواس بمدينة سيدي بلعباس، - وهي الثّانوية العريقة بالمدينة التي درس بها الكثير من أعلام مدينة سيدي بلعباس - من 1 رجب 1387 هجري الموافق ل 04 أكتوبر 1967 م إلى غاية 19 محرم 1409 ه الموافق ل 31 أوت 1988 م، عاش الشّيخ عبد الرّزاق متواضعًا مخلصًا في دينه حريصًا على أداء الواجب، وهَبَ حياتَه لتعليم النّاشئة فكان نِعمَ المعلّم ونِعمَ المرشد، يشهد له كلّ من تعلّم على يده بسموّ الأخلاق وبالكفاءة العلميّة الكبيرة، زهَدَ في المناصب الحكومية والإداريّة، ورفض العديد من المسؤوليات التي عرضت عليه ليس تهربًا من الواجب ولا ترفعًا كما كان يقول، ولكنّه فضّل أن يُسخّر حياتَه في تربية الأجيال وتكوين النّشء على طريقة علماء الجزائر الذين كان يهمّهم تحضير الأجيال لتحمل أعباء تحرير الوطن من الاستعمار الغاشم الذي احتلّ البلاد وأذلّ العبادَ، غرس الشّيخ عبد الرّزاق منصوري في نفوس طلابه حبّ الوطن والارتباط به، وكان يحثهم على مواصلة الجهاد، فكان كثيرًا ما يردد لطلابه في سنوات الاستقلال الأولى حديث رسول e« خرجنا من الجهادِ الأصغر إلى الجهاد الأكبر» حاثًّا إيّاهم على مواصلة رسالة الشّهداء، ببناء الوطن عن طريق تخليصه من الجهل والفقر والمرض، جال الجزائر شرقًا وغربًا وألقى العديد من الدّروس والمُحاضرات في مساجدها بعيدًا عن الأضواء، وفي تواضع تامّ.

كان الشّيخ عبد الرّزاق منصوري يقدّم دروسًا في التّفسير بمسجد عبد الله بن رواحة بمدينة سيدي بلعباس، فكان المسجد يكتظ بالحضور من مختلف الأعمار، وكان الشّيخ يقرأ القرآن الكريم في بداية الدّرس بطريقة تجلب الانتباه مازال النّاس يذكرونها بعد وفاته ويترحّمون عليه.

تتلمذ على يده الكثير من التّلاميذ على المستوى الوطني نذكر منهم العالم الجليل مختار حجّوني الذي بقي وفيًّا له وعمل على نشر بحوثِه وتسجيل العديد من محاضراته وقراءاته، والعالم الجليل أحمد محمّد شقرون الذي كانَ صديقًا مخلصًا له، وفي الوقت نفسه تلميذًا عنده، فقد كان يذكرُ في حلّه وترحاله فضلَ الشّيخ عبد الرّزاق منصوري عليه، وأنّه أخذ الكثير عنه، وقد رثاه في موته بقصيدة طويلة يقول في بعض أبياتها:

دَعاكَ ربُّك فأجبتَه وأنتَ مسرورُ
فاتْلُ وَارْقَ العُلا يحميكَ المَسطورُ
كنْتَ رفيقَ الدّربِ بالعلمِ تنيرُ
وفي العَطاء أستاذٌ وشيخٌ وقورُ
في علومِ القرآنِ أنتَ بحرٌ زَخورُ
عَطاؤُك منهُ على الأسْماعِ مَتورُ
مصابُنا فيكُ عظيمُ والخطبُ عَسيرُ
صبرًا آل مَنْصورُ فقدَرُ الله أمْرٌ مَقْدورُ
أحْمدُ شَقرونُ إلى عَفوِ اللهِ فَقيرُ
فرُحْماكَ به ربَّنا فإليكَ المَصيرُ

كان الشّيخ عبد الرّزاق منصوري يعلم أمّةً أمور دينها ودنياها، الأمر الذي جعله لا يلتفت كثيرًا للكتابة، ومع ذلك ترك آثارًا علمية قيّمة تمثّلت في مجموعة من البحوث بلغت حوالي 47 بحثًا في أصول الدّين، وأحد عشر بحثا في التّوحيد، سبعة عشر بحثًا في المنهج الرّباني، وتسعة أبحاثٍ في الإيمان والعقيدة، وعشرة أبحاثٍ في التّزكية. وله حوالي 45 بحثًا في أصول العلم، وثمانية عشر بحثًا في أصولِ الفقه وفي باقي العلوم من أدبٍ ونحوٍ وتفسيرٍ وحديثٍ. كان للشّيخ عبد الرّزاق سابق معرفةٍ بالرّئيس الرّاحل هواري بومدين - رحمه الله -منذ أيّام الأزهر، وكان يعرف باعَه في العلم والمعرفة وكان يقدّره حقّ قدره، ويعرف إخلاصه للجزائر ومدى إسهامه في توعية أبناء الجزائر من أجل المُساهمة في الجهاد لتحرير الوطن من الاستعمار الغاشم، ولذلك عرض عليه الوزارة، فاعتذر وأجاب بأنّه قرّر أن يهبَ حياته لتّربية أبناء الجزائر وتعليمهم.

تُوفي الشّيخ عبد الرّزاق منصوري يوم الجمعة 6 ربيع الثّاني عامّ 1416 ه الموافق ل 01 سبتمبر عامّ 1995 م وقد أكرمه الله عز وجل بحسن الخاتمة إذ توفي وهو يقرأ القرآن الكريم.

عبد النّاصر بوعلي

المصادر:
- رواية الدّكتور مكّي عبد الكريم أحد تلامذته.
- جريدة الشّعب، الملحق الثّقافي العدد 3258، السّنة 1996
- ابن خلدون، المقدمة، الدّار التّونسية للنشر والتّوزيع، تونس، ط9، 1982.

■ عبد العزيز بوتفليقة
(و:1356ه - 1937م/ ت:1443ه - 2021م)

عبد العزيز بوتفليقة هو الرّئيس الثّامن للجزائر، ولد في 2 مارس 1937 م بمدينة وجدة المغربية لأبوين جزائريين ينحدران من منطقة ندرومة بنواحي تلمسان. حفظ ما تيسر من القرآن الكريم في سن مبكرة على يد والده الذي كان مقدم الزّاوية الهبرية بمنطقة وجدة. وتلقى تعليمه الأساسي، خلال أربعينات القرن العشرين، بمدينة وجدة حيث التّحق بمدرسة سيدي زيان وكانت مدرسة حديثة التّكوين في تلك الفترة حيث يعود تأسيسها لبدايات القرن العشرين. وأكمل تعليمه بمدرسة الحسينية ثم تابع تحصيله العلمي بثانوية عبد المؤمن بنفس المدينة. كان متميزا في دراسته. وخلال تلك الفترة التّحق بالنّشاط المسرحي والكشفي كالكثير من أبناء جيله.

بعد انطلاق ثورة التّحرير في الأول من نوفمبر 1954 م كانت عائلة بوتفليقة من الدّاعمين لها، ففي سنة 1956التّحق عبد العزيز وهو في سن التّاسعة عشر من عمره بصفوف الثّورة، وعمل بقرية أولاد عمر في ناحية ندرومة بالولاية الخامسة التّاريخية التي كان على رأسها الشّهيد العربي بن مهيدي. وهناك التّقى بالعديد من قادة الولاية الخامسة وإطارات الثّورة نذكر منهم عبد الحفيظ بوصوف مؤسس جهاز المخابرات الجزائرية المعروف اختصارا باسم (المالغ) وزارة التّسليح والاتصالات العامة، وهواري بومدين الذي أصبح فيما بعد قائد أركان جيش التّحرير الوطني والرّئيس الثّاني للجزائر المستقلة. وتدرج في سلك المسؤوليات

حيث تم سنة 1957 م تعيينه مراقبا عاما للولاية الخامسة. ولما رقي إلى رتبة ضابط أسندت له سنة 1958 م مأموريات داخل الولاية في المنطقتين الرّابعة والسّابعة. بعدها تم انتدابه على التّوالي لدى هيئة قيادة العمليات العسكرية بالغرب وهيئة قيادة أركان الولاية الخامسة وهيئة قيادة الأركان العامة لجيش التّحرير الوطني وكان على رأسها العقيد هواري بومدين.

في سنة 1960، تمّ إيفاده رفقة مجموعة من المجاهدين، منهم محمد الشّريف مساعدية وأحمد دراية، لقيادة العمل العسكري بالجبهة الجنوبية المجاورة للحدود الجزائرية المالية، وعرف في تلك الفترة باسمه الثّوري عبد القادر المالي. كما تم تكليفه سنة 1961 م بالاتصال بالزّعماء المسجونين بفرنسا وهم أحمد بن بلة ومحمد بوضياف وحسين آيت أحمد ومحمد خيضر. خلال أزمة صائفة 1962 م وقف عبد العزيز بوتفليقة في صف هيئة قيادة الأركان في الصّراع الذي شهدته الجزائر في تلك الفترة. وكان ضمن المجموعة التي قادها أحمد بن بلة والتي عرفت بمجموعة وجدة أو مجموعة تلمسان في مواجهة مجموعة الجزائر التي كان يقودها بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة، ومجموعة تيزي وزو التي كان يقودها حسين آيت أحمد.

بعد الاستقلال، تمّ انتخابه في 20 سبتمبر 1962، عضوا في المجلس التّأسيسي الذي أسندت رئاسته لفرحات عباس. كما تم تعيينه وزيرا للشباب والرّياضة والسّياحة في أول حكومة جزائرية تشكل بعد الاستقلال برئاسة أحمد بن بلة، وكان سنه لا يتجاوز الخامسة والعشرين. وبعد اغتيال محمد خميستي أول وزير للشؤون الخارجية في الجزائر المستقلة، خلفه عبد العزيز بوتفليقة في منصبه وهو المنصب الذي ظل فيه حتى وفاة الرّئيس هواري بومدين في أواخر ديسمبر سنة1978. كما تم انتخابه في أبريل 1964 عضوا في اللجنة المركزية والمكتب السّياسي من طرف المؤتمر الأول لجبهة التّحرير الوطني.

عرف عنه أنه كان من العناصر التي أسهمت في الحركة التي قادها وزير الدّفاع الوطني العقيد هواري بومدين لإقالة أحمد بن بلة ووضعه تحت الإقامة الجبرية، وذلك في 19 يونيو/ جوان 1965 م والتّي عرفت ب(التّصحيح الثّوري). وأصبح بتلك الصّفة عضوا نافذا في مجلس قيادة الثّورة الذي استلم الحكم بعد إبعاد بن بلة. وتولى، بوصفه وزير الخارجية الجزائري،

رئاسة الدّورة التّاسعة والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1974، وهي الدّورة التي شهدت تدخل ياسر عرفات رئيس منظمة التّحرير الفلسطينية لأول مرة أمام الجمعية العامة بمبادرة من الجزائر. وعرفت الدّبلوماسية الجزائرية في عهده إشعاعا عالميا. بعد وفاة هواري بومدين وانتخاب الشّاذلي بن جديد رئيسا للجزائر مع بدايات سنة 1979، أسند لعبد العزيز بوتفليقة منصب مستشار لدى رئاسة الجمهورية وهو المنصب الذي لم ينل رضاه. غادر الجزائر سنة 1981 حيث قضى معظم عقد الثّمانيات متنقلا بين الخليج وأوروبا، وتعرض خلالها للمتابعة من طرف مجلس المحاسبة. عاد للجزائر سنة 1987 م. وبعد أحداث 5 أكتوبر 1988 م كان من بين الموقعين على اللائحة التي عرفت بلائحة ال18، كما كان من بين المشاركين في المؤتمر الاستثنائي لجبهة التّحرير الوطني الذي عقد سنة 1989 وانتخب عضوا في اللجنة المركزية.

بعد استقالة الرّئيس الشّاذلي بن جديد واستلام الجيش مقاليد السّلطة في 11 يناير 1992، طرح اسمه لتولي منصب وزير مستشار لدى المجلس الأعلى للدولة وهو الهيئة المؤقتة التي خلفت الرّئيس بن جديد في الحكم. كما اعتذر سنة 1994 عن تولي منصب رئيس الدّولة، لفترة مؤقتة، بعد انقضاء عهدة المجلس الأعلى للدولة. بعد إعلان الرّئيس اليمين زروال سنة 1978 استقالتّه من منصبه، برز عبد العزيز بوتفليقة من بين المرشحين لخلافته. وبتلك الصّفة، شارك في الانتخابات الرّئاسية التي جرت في 27 أبريل 1999 وفاز بها بينما انسحب منافسوه في حركة احتجاجية، ووُصف بأنه ممثل النّظام، وهم حسين آيت أحمد وأحمد طالب الإبراهيمي ومولود حمروش ويوسف الخطيب ومقداد سيفي وعبد الله جاب الله.

من بين الإنجازات التي تمت في عهده نذكر الاستفتاء الشّعبي على كل من قانون الوئام المدني سنة 1999 م وميثاق السّلم والمصالحة الوطنية سنة 2005، والقيام بإصلاحات مست عديد القطاعات من بينها قطاع التّربية والتّعليم وتخليص الجزائر من المديونية الخارجية والقيام بإصلاحات هيكلية في قطاعات الاقتصاد والمالية. كما تمّ في عهده بناء مدن منها علي منجلي بجوار قسنطينة وسيدي عبد الله بنواحي زرالدّة وإنجاز آلاف المساكن ومد الطريق السّيار شرق غرب وبناء جامع الجزائر الذي كان مثار جدل. وفي عهده تم تعميم قطارات المترو والتّرامواي في كبرى المدن الجزائرية. انتخب عبد العزيز بوتفليقة لمدة أربع عهدات متتالية بعد إدخال تعديلات على الدّستور سنة 2008 تجيز له ذلك. وفي عهدته الثّالثّة أصيب بجلطة دماغية أثرت على أداء مهامه ولم يتمكن من إتمام عهدته الرّابعة والذهاب نحو الخامسة بعد بروز الحركة الاحتجاجية الشّعبية التي اندلعت في 22 فبراير 2019 وعرفت بالحراك وأدت إلى استقالتّه في 20 أبريل 2019.

عرف عن عبد العزيز بوتفليقة أنه كان من أصغر الوزراء في حكومات الجزائر ما بعد الاستقلال، كما أنه كان من أكثر رؤساء الجزائر بقاء في السّلطة حيث دامت فترة حكمه حوالي عشرين سنة. وتوفي في 10 صفر 1443 ه الموافق ل18 سبتمبر 2021 عن عمر ناهز الرّابعة والثّمانين عاما ودفن في مقبرة العالية بمربع الشّهداء وقادة الجزائر.

عامر بغدادي

المصادر:
- الشّروق، الرّاحل بوتفليقة، مسار طويل. إيمان كيموش، العدد الصّادر بتاريخ 18. 09. 2021
- النّهار، أسرار عن بوتفليقة الرّجل. دليلة بلخير وخديجة ب. العدد الصّادر بتاريخ 07.07. 2009

■ عبد العزيز شكيري
(و: 1350ه - 1932م/ت: 1439ه - 2017م)

هو الأستاذ عبد العزيز بن مصطفى بنبوبكر الملقب بلقب عائلته شكيري، وعند أهل النّسب فإن عائلة شكيري تنسب إلى عرش (قبيلة) أولاد بوعافية، أحد العروش الكبرى المشكلة للتركيبة السّكانية بالبلدة.

ولد صاحب التّرجمة ببلدة قمار خلال 1932 وبمسقط رأسه نشأ وترعرع في أحضان عائلته

المحافظة التي كانت تشتغل بالفلاحة الموسمية وغراسة النّخيل بمنطقة الاهواد الفلاحية غربي البلدة.

أما حياته التّعليمية والعلمية فحسب المصادر والمراجع التّاريخية كانت على النّحو التّالي:

التّعليم القرآني: فقد تعلم المبادئ الأولية للعربية وكتاب الله تعالى على يد العديد من مشايخ البلدة نذكر منهم:

الشّيخان الأخضر خباز وعمار العمري في منطقة الاهواد.

الشّيخ سي محمد ولد حاج صالح في كُتّاب جامع فشير بالبلدة.

التّعليم الزّيتوني: بعد تعلمه لكتاب الله تعالى شد الرّحال إلى البلاد التّونسية رفقة عائلته التي هاجرت إلى هناك بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بسبب الاستعمار، الشّيء الذي سهل على الطالب عبد العزيز الالتّحاق بقلعة العلم والعلماء بالبلاد التّونسية جامع الزّيتونة المعمور حيث بقي هناك لسنوات ينهل من المعين الصّافي للعلوم من سنة 1999 إلى غاية حصوله على شهادة الأهلية. ونظرا للظروف القاهرة التي مر بها اضطر إلى الانقطاع عن التّعليم بالزّيتونة ليتوجه بعد ذلك إلى الحياة العملية.

التحق بالثّورة المسلحة مبكرا في السّنة الأولى بعد اندلاعها. أرسل إلى القاهرة عبر ليبيا مشيا على الأقدام ليتدرب في مدرسة الإشارة بالعباسية بالقاهرة.

تدرب على بعض الأسلحة الحقيقية في كلية عسكرية هناك ثم رجع إلى الوطن من الجهة الشّرقية ليكون بين فرق جيش التّحرير الوطني ليشارك في عدة معارك.

كلف بمهام محافظ سياسي في الجنوب مع القائد الطالب العربي.

كلف بمهمة قاض في جيش التّحرير بالجنوب مع القائد الطالب العربي.

كلف بمهمة مشغل جهاز راديو اللاسلكي في شبكة الاتصالات.

كلف بمهام عون اتصال بمصالح (المخابرات) المختلفة والمصالح الأخرى لجيش التّحرير الوطني.

التحق بإذاعة الجزائر الحرة المكافحة حيث عين كمنتج ومحرر وبقي في هذه المهمة إلى غاية فجر الاستقلال أين واصل رسالته بالإذاعة الجزائرية المستقلة.

بعد أن استعادت الجزائر عافيتها واستقلالها ساهم صاحب التّرجمة في عملية البناء والتّشييد من خلال

مشاركته في الحملة الانتخابية للمجلس التّأسيسي.

ساهم في تحرير مقر الإذاعة من سيطرة الاستعمار وإشرافه على إنزال العلم الفرنسي ورفع العلم الجزائري من مقر الإذاعة يوم 28/ 10/ 1962 رغم المخاطر المحدقة به.

التحق بقطاع الصّحافة وأصدر رفقة الأديب الطاهر وطار صحيفة ثم عمل بجريدة الشّعب والمجاهد ثم انتدب إلى المقر المركزي للحزب في خلية الإعلام والاتصال.

التّحق بعد ذلك بقطاع التّربية والتّعليم إلى جانب مواصلته للتعليم العالي بالجامعة وتوج مساره التّعليمي بحصوله على شهادة ليسانس في اختصاص مادة الاجتماعيات وآخر منصب عمل به هو مدير ثانوية الشّراقة بالجزائر العاصمة.

في مطلع 1989 أحيل على المعاش ليتفرغ إلى شؤونه العائلية الخاصة.

من نشاطه:

- عضو مؤسس لجمعية (المالغ) وهو عضو نشيط بها.
- له العديد من الأنشطة والملتقيات والنّدوات التّاريخية ومداخلات إذاعية.....إلخ
- عرف عن المترجَم له الجد والاجتهاد والمثابرة والإخلاص في العمل وحبه الشّديد للوطن.

توفي رحمه الله في 26 نوفمبر 2017 حيث دفن بمقبرة بوشاوي بالجزائر العاصمة.

بشير خلف

■ عبد القادر العمودي
(و:1343هـ- 1925م / ت: 1441هـ - 2020م)

ولد عبد القادر العمودي خلال سنة 1925 بوادي سوف وبها نشأ وترعرع وتلقى تعليمه الأول حيث بدأ بتعلم القرآن الكريم بالجامع (الكُتاب) على يد الشّيخين «سي زلاسي» و«زريبط لمين»، وعاش عبد القادر حادثة أثرت في نفسيته كثيرا حيث حضر وهو صغير عملية اقتحام الكتاب من قبل السّلطات الاستعمارية وأخذ الأطفال عنوة إلى المدرسة الفرنسية لتعلم لغة المستعمر.

وكان أهالي وادي سُوف يعتبرون تعلم اللغة الفرنسية ضربًا من الكفر. بعدها التّحق العمودي بالمدرسة الابتدائية الوحيدة بالوادي والتّي كانت لا تضم إلا ثلاثة أقسام، وبها زاول مشواره التّعليمي إلى غاية الحصول على الشّهادة الابتدائية خلال الموسم الدّراسي 1937-1938 وكان الحصول على هذه الشّهادة يعتبر حدثا في حد ذاته ويمثل أعلى ما يمكن الوصول إليه بالمنطقة. بعد ذلك إنتقل إلى مدينة بسكرة لمواصلة التّحصيل العلمي رفقة جده المسن الذي تكفل برعايته. ومن الطلبة الذين درسوا معه في نفس القسم «محمد العربي بن مهيدي».

عند اندلاع الحرب العالمية الثّانية في 1939 تشتت المعلمون الفرنسيون من جهة ومن جهة ثانية أصبحت الحياة صعبة من جراء الحرب ولم يعد في استطاعة الوالدّ تمويل دراسة الابن مما اضطره إلى العودة لمسقط رأسه بالوادي. وبعد مدة من البطالة عمل في ثكنة عسكرية بالمنطقة حيث اشتغل بالأعمال الكتابية (الإدارة). وقد مكنته وظيفته هذه من ملاحظة الفروق الكبيرة الموجودة بين حياة الفرنسيين مقارنة مع معيشة الجزائريين خاصة تحت النّظام العسكري المطبق على المناطق الصّحراوية. ومما اثر في نفس عبد القادر الطفل ثم الشّاب هو منظر الأهالي وهم يؤدون التّحية وقوفا عند مرور الحاكم العسكري الفرنسي ولو كانوا شيوخا مسنين، وحتى العاجز منهم عن الوقوف فكان يضطر إلى أداء

التّحية العسكرية وهو جالسّ، وهذا ما جعله يتساءل عن مصيره مستقبلا وهل خلق حقا ليكون تحت «النّعل» الإستعماري.

ويتذكر العمودي أن أعضاء جمعية العلماء المسلمين قد حضروا إلى وادي سوف في سنة 1937 بدعوة من «الشّريف عبد العزيز» لكن الإستعمار اختلق المكائد واعتقل هذا الأخير ويذكر أيضا مظاهرات 1938 بالوادي رغم عدم مشاركته فيها.

بعد 1943 وفي أتون الحرب العالمية وقعت نهضة في منطقة الوادي على غرار كامل الجزائر لأن حزب الشّعب الجزائري بذل مجهودات كبيرة لتنظيم الصّفوف بعد عودة «مصالي الحاج». وأول خلية للحزب تكونت بالوادي في أواخر سنة 1943 وكانت تضم أساسا: «عبد القادر العمودي»، «ونيسي الهاشمي» «أحمد ميلودي»، «قدادرة الشّافعي» و«ميهي بن الحاج»، وصارت هذه الخلية تنشط بما يقتضيه النّضال الحزبي كانخراط المناضلين الجدد وجمع الاشتراكات. ومن خلال حزب الشّعب بدأ الكفاح الجدي من أجل الاستقلال وهي الفكرة التي نادى بها «مصالي الحاج» باعتبارها الحل الوحيد خاصة مع المجازر التي ارتكبها المستعمر في 8 ماي 1945 في حقّ شعب اعزل مسالم، وكان من الحتمي أن تؤمن أغلبية الشّعب بأن الطريق نحو الخروج من حالة العبودية يمر حتما بالكفاح المسلح حتى الاستقلال أو الشّهادة.

في 1946 بدأت الأحزاب تنظم شؤونها وتعقد مؤتمراتها وأثناء ذلك عاد العمودي إلى الوادي ومن خلال حركة أحباب البيان والحركة الوطنية صار على اتصال مع «العربي بن مهيدي» الموجود ببسكرة حيث صارا يلتقيان أثناء الاجتماعات الجهوية ويتجاذبان أطراف الحديث عن المستقبل.

وكان حزب الشّعب منطقيا في طروحاته حيث أدرك أن النّضال السّياسي والكلام أصبحا غير كافيين لتجسيد فكرة الاستقلال، ولهذا تمخض مؤتمر سنة 1947 عن تكوين المنظمة السّرية L'os التي تعبر تطورا عاديا لسير الأمور ومرحلة تحضيرية حتمية للثورة، وكان «عبد القادر العمودي» أحد مسؤولي المنظمة بقسنطينة مع «محمد بوضياف»، «محمد العربي بن مهيدي» و«ديدوش مراد». وشرعت قيادة المنظمة السّرية في عملية تدريب مناضليها تدريبا عسكريا بعد أن تم اختيارهم حسب شروط معينة، فكان هؤلاء يتدربون على السّلاح أسبوعيا وإتقان حرب العصابات ونصب الكمائن وتنظيم منطقة العمليات وكل ما تتطلبه إستراتيجية حرب العصابات وذلك بالخروج إلى المناطق الغابية للتدريب. كما تدرب العمودي وزملاؤه في المنظمة السّرية على إطلاق النّار بالذخيرة الحية.

وقد تكفلت المنظمة السّرية بشراء الأسلحة بأموال الحزب، وكان أهالي وادي سُوف يتوفرون على الكثير من الأسلحة من نوع «ستاتي» الإيطالية خاصة وهي من مخلفات الحرب العالمية الثّانية ودخلت من ليبيا، وتقرر شراء نوعين من الأسلحة:

- شراء سلاح لتدريب المناضلين.
- شراء سلاح احتياطي لانطلاق الثّورة.

وبعد تسليم «محمد بلوزداد» الأموال إلى «محمد عصامي» لشراء الأسلحة كلف هذا الأخير المناضلين «أحمد ميلودي»

و«محمد بلحاج» بالمهمة وتوجه هذا الأخير إلى ليبيا وجلب الأسلحة على قافلة من الجمال وخزنت في مزرعة «عدوكة بلقاسم». بعد ذلك تلقى «عبد القادر العمودي» بصفته مسؤولا على الأمر من المنظمة السّرية بإيصال الأسلحة إلى زريبة حامد الواقعة بالقرب من سفوح جبال الأوراس. وقد تم التّرتيب لقافلة السّلاح المتمثلة في حمولة سبعة جمال التي وصلت سالمة إلى زريبة حامد. وبصفته مسؤولا عن المنطقة أعطى «عبد القادر العمودي» أمرا لسي «مصطفى بن بولعيد» بتدبر أمر نقل تلك الأسلحة إلى الأوراس وهذا ما تم بالفعل.

وبعد مدة من تأسيس المنظمة السّرية عين «عبد القادر العمودي» على رأس المنظمة بالوادي وقام بدوره باختيار المناضلين وتشكيل الخلايا ومن ثم عقد الاجتماعات بانتظام، والتّي تضم أساسا العمودي عن الوادي، «محمد العربي بن مهيدي» عن بسكرة و«مصطفى بن بولعيد» عن الأوراس. وبعد أن كان «محمد العربي بن مهيدي» مسؤولا عن الأوراس والنّمامشة والصّحراء أصبح مسؤولا عن النّاحية الغربية من عمالة قسنطينة كسطيف وبجاية وما جاورها وحل محله «عبد القادر العمودي» فاصبح مسؤولا عن بسكرة، الأوراس والوادي وكان أول لقاء له مع البطل الشّهيد «مصطفى بن بولعيد» في عامّ 1948. وفي مزرعة هذا الأخير أقيم تربص لبعض مناضلي المنظمة السّرية من بينهم العمودي وذلك قصد التّدرب على صناعة القنابل واستعمال السّلاح.

ونظرا لكون عناصر المنظمة السّرية هم مناضلون في الحزب فقد كانوا منضبطين وينتظرون تلقي الأوامر للشروع في العمل المسلح لأنهم تلقوا التّدريبات اللازمة ولديهم السّلاح والإرادة لذلك. غير أن هذه الأوامر لم تأت أبدا إلى أن تم اكتشاف المنظمة السّرية في مارس 1950 وألقي القبض على الكثير من مناضليها ومسؤوليها. وبعد فترة كافية لاستعادة الأنفاس عاود مناضلو المنظمة السّرية الإتصال ببعضهم خاصة بعد أن انشق الحزب إلى مصاليين ومركزيين. وبما أن «عبد القادر العمودي» لم يكن مطلوبا من قبل السّلطات الإستعمارية فقد أمكنه التّنقل والتّحرك بحرية كلما استدعت الضّرورة ذلك، مثلما هو الحال عندما أشرف العمودي على ترتيب زيارتين قام بهما «العربي بن مهيدي» إلى أهله في الفترة الممتدة من 1950 إلى 1954. وخلال هذه الفترة تعددت نشاطات العمودي وتنقله بين الجزائر، بسكرة، سطيف وغيرها من مناطق الوطن لربط الإتصال. وعن التّحضير للثورة يقول هذا الأخير: «... عند التّحضير للثورة تقرر أن يكون أكبر عدد ممكن من مناضلي المنظمة السّرية القادرين على اتخاذ القرار حاضرين وأن يكونوا ممثلين لمناطق التّراب الوطني قدر الإمكان لإعطاء البعد الوطني والصّدى الواسع للثورة، وهذا هو الهدف الذي كنا نسعى إليه وحققناه.

وبعد لقاءات واجتماعات ثنائية وغيرها تم الاتفاق على عقد اجتماع مجموعة الـ22 في جوان 1954، والعدد لم يكن محددا مسبقا وإنما فرضته الظّروف آنذاك حيث أن العديد من الشّخصيات الوطنية رفضت تلبية الدّعوة وعلى رأس هؤلاء «مصالي الحاج» الذي تم الاتصال به عدة مرات ليتبنى مشروع الثّورة ولكنه رفض ذلك بحجة أن الوقت لم يحن بعد. وفي دار دريش اجتمعت المجموعة التي كانت تنتمي إلى المنظمة السّرية ما عدا «عثمان بلوزداد» فهو من الجناح السّياسي، واتخذت القرار الذي طال انتظاره وهو الإعداد الفعلي لتفجير الثّورة في أجل لا يتعدى الـ6 أشهر حتى لا تلقى نفس مصير المنظمة السّرية وأثناء الاجتماع علم الجميع بأن «كريم بلقاسم» و«أوعمران» يؤيدان العملية. كما تم في نفس اليوم تكليف «محمد بوضياف» باختيار مجموعة من 4 أو 5 مناضلين من ضمن الـ22 لتحديد يوم تفجير الثّورة. وقد تم اختيار «محمد بوضياف» لأنه معروف لدى كل المناضلين الموجودين بالاجتماع بعد ذلك اجتمعت لجنة السّتة في «لابوانت» في بيت المناضل «مراد بوقشورة» لدراسة بعض القضايا وتوزيع المهام، وكان من الطبيعي أن يكلف «كريم بلقاسم» بمنطقة القبائل و «مصطفى بن بولعيد» بمنطقة الأوراس. في هذه الفترة تم عقد اجتماع في بسكرة حضره «محمد بوضياف»، «عبد القادر العمودي» و«محمد بلحاج» حيث كلف هذا الأخير بتشكيل خلية بالوادي لتفجير الثّورة واستقبال السّلاح وتوجيهه للداخل عبر شبكة تم تحضيرها.

وفي 24 أكتوبر 1954 عقدت لجنة السّتة آخر اجتماع لها في منزل «مراد بوقشورة» في «بوانتبيسكاد» ومن جملة ما تم الاتفاق عليه هو تاريخ تفجير الثّورة وتبليغ ذلك للمناضلين.

وفي نهاية شهر أكتوبر 1954 أعلم العمودي بموعد تفجير الثّورة من شخص أرسل إليه لا يعرف من اسمه إلا المساعد L'adjudant وعن شعوره في هذه الليلة يقول العمودي: «... كانت لحظات ارتياح مشوبة بالقلق وهذا المزيج لا يمكن فصل خيوطه في النّفس البشرية. فهناك قلق الشّخص الذي يلقي بنفسه في البحر حيث لا يعرف ما ستكون عليه هذه العملية... وهناك إخوان أعزاء سيواجهون غدا قدرهم، وقد يكون مصيرهم الموت أو السّجن أما الارتياح فمرده إلى كوننا وصلنا إلى النّهاية أي انطلاق الثّورة المسلحة ولو أن العملية تشكل مجهولا ولكن نحن قمنا بواجبنا ولهذا كنا نشعر أننا ولدنا من جديد أو المرور من حياة إلى أخرى وغدا لن يشبه اليوم أبدا.» وبعد انطلاق الثّورة اهتزت البلاد لذلك وأعقبتها عملية اعتقالات في وسط الأشخاص المعروفين بنضالهم السّياسي ومن ضمن هؤلاء كان «عبد القادر العمودي» ولكنها كانت اعتقالات احتياطية فقط لأنه تم إطلاق سراح هؤلاء بعد يومين.وبعد اعتقال واستنطاق «الطيب خراز» الذي أشرف مع مجموعة الأوراس على تفجير الثّورة ببسكرة وسجنه ألقي مرة أخرى القبض على العمودي واستنطق لعدة أيام بمركز الشّرطة ببسكرة تحت التّعذيب ثم حول إلى باتنة وهناك استنطق وعذب

مرة ثانية وبعدها أطلق سراحه. اثر ذلك عاد العمودي إلى بسكرة وعاود الإتصال ب«حميدة بن ديحة» أحد مسؤولي المنظمة السّرية و«عبد الحميد رمضانة» وغيرهم من المناضلين وكونوا خلية للنشاط وتحريك الشّعب ودفعه للثورة حتى لا تنطفئ شعلتها. وبعد تفجير الثّورة بثلاثة أو أربعة أشهر التّقى العمودي «أحمد بن عبد الرّزاق» (سي الحواس) ببسكرة وعلم منه أن «مصطفى بن بولعيد» كلفه بالتّوجه إلى العاصمة لمحاولة ربط الاتصال والتّنسيق وإيجاد طريقة لتزويد الأوراس بالإعانات. وفي العاصمة (القصبة السّفلى) ألقي القبض على العمودي وبعد الاستنطاق والتّعذيب أودع سجن سركاجي. وفي سنة 1956 تمت محاكمته وأطلق سراحه، وبعد خروجه من السّجن اتصل بجماعة الولاية السّادسة حيث حضر أحد الضّباط التّابعين لسي الحواس هو «نورالدّين مناني» الذي اتصل بالعمودي وهذا الأخير ربط له الإتصال ب«محمد العربي بن مهيدي» من أجل توضيح مهام الولاية السّادسة الجديدة. بعد إضراب الثّمانية أيام ومعركة الجزائر أصبحت كل ولاية تاريخية تنشط بمفردها.

مواصلته للكفاح حتى تحرير الجزائر ونيل الاستقلال وقد واصل العمودي نضاله السّياسي في الجزائر العاصمة وعمل في مجال التّموين وكان على اتصال بالولايتين السّادسة والثّالثة. وواصل نشاطه على هذا المنوال إلى غاية وقف إطلاق النّار في 19 مارس 1962 حيث شاهد الأعلام الوطنية ترفرف على شرفات وأزقة العاصمة وعاش أفراح الشّعب الجزائري باسترجاع سيادته الوطنية يوم 05 جويلية1962.

توفي عبد القادر لعمودي يوم الاثنين 04 ماي 2020، الموافق 11رمضان 1441هعن عمر يناهز 95 سنة، ودُفن في اليوم الموالي الثّلاثاء بعد صلاة الظّهر بمقبرة العالية، بالجزائر العاصمة.

فاتح نواري

■ عبد القادر بن إبراهيم
(و:1305ه - 1888م / ت: 1376ه - 1956م)

الإمام اللغوي النّحوي الأديب الفقيه الشّيخ عبد القادر بن ابراهيم بن الشّيخ الطعبي السّعداوي عرشا، المسعدي مولدا، في سنة 1888 في دوار عرش أولاد طعبة في سفوح مسعد، في بيت متواضع من بيوت أولاد سعد بن سالم إحدى البطون النّائلية المتمركزة في جنوب الجلفة.

ولد في أسرة كريمة عرفت بالتّقوى والصّلاح، حيث كان أبوه أحد أعيان عرش أولاد سعد بن سالم، وقد حرصت والدّته على تربيته وتنشئته على القيم والمبادئ الإسلامية، وكانت تخدمه بنفسها سواء صغيرا أم كبيرا، وأدخله والده الكتّاب فحفظ القرآن في سن مبكرة (سبع سنوات)، وكان عصاميا يجتهد لتعليم نفسه فبدأ يطالع ما وجده من الكتب، حيث قرأ القطر، ولامية الأفعال، والقاموس المحيط، والسّيرة النّبوية، والعقد الفريد، والكثير من المؤلفات الأخرى.

هذه المؤلفات أكسبته علما غزيرا وكان يحضر ندوات العلم وحلقات الدّرس التي كانت تقام عبر المساجد،

ويستمع ويسجل ثم التّحق بمقاعد الدّراسة ليتحصل على الشّهادة الابتدائية، إلا أننا لا نعرف من شيوخ المسعدي إلا اثنين أولهماالشّيخ الطاهر بن العبيدي الذي درس عليه بتگرت النّحو والفقة والتّوحيد وبقي عنده طيلة ستة أشهر، ورغم ذلك لم يؤثر فيه شيخه بسلوكه الصّوفي وختم الألفية في حضرته بقراءاتهم عليه في صفر 1328 وعمره آنذاك 24 سنة

أما معلّمه الثّاني فهو الشّيخ محمد بن على حساني (1868- 1910)، الذي درس عليه اللغة الفرنسية وأجادها بإتقان، ليصبح نابغة عصره في اللغة والفقه والحديث، حيث قرا شكسبير وترجم فيكتور هيغو

وقد أسهم في تعكير صفو حياته الضّربات الموجعة التي كان يتلقاها خاصة في وفاة رفيقيه (والده وأخيه)، حيث كان شديد الالتّصاق بعائلته وكان والده إبراهيم وأخوه محمد من أشد المقربين إليه، وقد تاثر كثيرا لوفاتهما، كما نفي إلى مدينة الجلفة من طرف الكولونيل مسوتي وحكام رباط مسعد، وفرضت عليه الإقامة الجبرية بمنطقة (المعلبة) بعض الوقت.

كان واسع الخيال ولم يكن مثل معاصريه الذين كانت ثقافتهم تقليدية ترتكز على الثّقافة الدّينية واللغوية، عرف «باتجاهه السّلفي الإصلاحي، أوى إلى شبه عزلة صوفية من أغزر الكتّاب كتابة وأطولهم نفسا اشتهر بحفظه الجيد وغزارة علمه، له قلم فياض وأسلوب يجمع بين النّقد والفكاهة».

وقد نبغ المسعدي في كثير من العلوم حيث كان يعتمد عليه في الفقه وكانت فتاواه مصدرا للتشريع آنذاك، كان يعلّم بالجامع الكبير بمسعد، كما درس بالجلفة، ويدرس طلبته كتب الصّلاة والفرائض من سيدي خليل، ومن بين أشهر تلاميذه الإمام الشّيخ محمد بن عبد الرّحمن الرّايس، والشّيخ بن عياش، والقاضي عرابي عطا الله، هذا الاخير الذي كان يكيد له الدّسائس وعين من عيون الاستعمار حيث كان سببا في قضائه 23 يوما في السّجن بعد وشاية من القاضي.

وقد عرض المسعدي شكواه ضد القاضي إلى حاكم رباط مسعد في رسالة مشهورة كتبها في 10 جوان 1939، وعرف عنه وقوفه ضد المستعمر الفرنسي الذي كان يرصد تحركاته ويكيد له إلى جانب محنة السّجن والاعتقال، والنّفي والمتابعة وكانت الادارة الفرنسية ترصد تحركاته أولا بأول في تقارير مكتوبة مسجل عليها (هذا الرّجل خطر على الأمن العامّ وعلى فرنسا.(

شهدت الفترة الممتدة ما بين 1900 إلى غاية 1956 الكثير من الأحداث، ميزها ميلاد وانبعاث الحركتين الوطنية والإصلاحية بالجزائر، رغم الظّروف الصّعبة التي كان يعيشها الشّعب تحت سلطة (المستدمر) ومرور سبعين عاما على دخول الجيوش الفرنسية الغازية إلى الجزائر

وكان المسعدي كغيره من العلماء والمفكرين ورجال الإصلاح على علاقة مباشرة بتلك الأحداث، ولم ينقطع عنها كونه أحد أبرز المسْهمين والمؤثرين فيها.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، إن عصر المسعدي كان له الأثر البالغ في تكوين شخصيته باعتباره شاهدا على العصر، وهناك أحداث مباشرة مست حياته الخاصة كوقوفه ضد المستعمر، والمكائد والدّسائس التي كان يقوم بها أعوان فرنسا للإيقاع به، والتّزامه بالتّعليم الحر، وتأثره البالغ بقانون 8 مارس المشؤوم.

والشّيء المهم التّحاقه بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتّي أصبح عضوا عاملا في صفوفها، وربط علاقات متينة مع شيوخها كعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي الذي كان يتبادل معه الزّيارات والرّسائل

أما مسقط رأسه مدينة مسعد عاصمة أولاد نائل التي اختارها يوما الرّومان لإقامة مركز عسكري متقدم بقيادة قائد قلعة كاستليوم ديميدي، فلم تكن بمنأى عما يقع من أحداث، الشّيء الذي جعلها موضع رقابة دائمة من طرف الحكام العسكريين كمنطقة عسكرية تابعة للقيادة الحربية بغرداية باعتبارها شهدت أحداثا، خاصة منذ زيارة الأمير عبد القادر إلى أولاد نائل ووصول الجنرال يوسف إلى مشارف مسعد في31 مارس 1845 حيث قام السّكان بمعركة عين الكحلة بجبل بوكحيل ضد قوات الجنرال يوسف

ثم ظهور مقاوم شرس وهو الإمام الثّائر عبد الرّحمن بن الطاهر المسعدي، المعروف بالشّيخ المرابط، والذي دعا إلى مقاومة المستعمر، كما أنه عقد في تلك الفترة ملتقى حضرته شخصيات دينية وسياسية في1923 بمنطقة (بريش) بصحراء مسعد من أجل توحيد الصّفوف وإعلان المقاومة في المغرب العربي حضره عدد من مشائخ ذلك العصر من كل الأقطار وممثلون عن تونس وليبيا والمغرب، وقد سجل الشّيخ بيوض الذي حضر اللقاء الذي دام ثلاثة أيام، ذلك في كتاب عنونه «ثلاث ليالي في الصّحراء».

وقد قبضت فرنسا على عبد الرّحمن بن الطاهر الذي عاد من ليبيا بعد دعمه للمقاومة هناك، أثناء إحدى المعارك رفقة 250 فارسا وأودعته سجن سركاجي حيث تمّ إعدامه في 14 جويلية 1931 المصادف لعيد فرنسا ودفن بمسعد. بالإضافة إلى المقاومة التي قام بها أولاد سيدي سعد خاصة معركة عين النّاقة بسبب قتل الأهالي لضابط فرنسي بمنطقة المجبارة يدعى النّقيب «ويصال» في 12أكتوبر 1854

كما أن وضع مسعد الاقتصادي والاجتماعي ليس بأحسن حال مما كانت عليه الجزائر سياسيا، اذ شهدت المجاعة التي ضربتها سنة 1945 وعرفت بعام (التّشيشة)، بالإضافة إلى سياسة المستعمر في تفقير الشّعب وتجهيله.

إلا أننا نستطيع أن نقول إنه على عكس الظّروف الاجتماعية الصّعبة والحالة السّياسية والاقتصادية التي كانت تعيشها الجزائر ومناطق الجنوب آنذاك، إلا أن البيئة الثّقافية كانت مزدهرة بل وعرفت أزهى فتراتها، فانتشرت الزّوايا في كل ربوع الولاية.

وكان المسعدي ناقما على الوضع وعلى أهله وذكر ذلك في إحدى رسائله للديسي حيث يقول: (..ولاحي الله هذا الزّمان ولا بياه، زمان سادت أراذله، وشاطت أباطله، عفت فيه القوافي ولم يبق منها سوى الرّسوم العوافي -ثم يضيف- على أني بين أظهر بني نائل، ولم استظهر من نائل، وبين بني سعد ولم يسعدني سعد..).

وهو ما جعل الدّيسي يتجاوب معه ويرد عليه في إحدى رسائله، حيث وصفه بقوله: (بدر بني سعد وإن لم ينصفوه قبل وبعد، إذ لو انصفوه لتوجوه بل وزوجوه، من تحسد عليه مسعد، وإن كان أهلها بعلمه لم تسعد...)

وقد عبر المسعدي عن ذلك في إحدى قصائده:

أصبحت في مسعد وليس يسعدني دهر
بلا صحب ولا دين
كأنني جئت أغتال العقول أو أعلمهم
طيش السّراحي

ورغم أنه كان منكبا على القراءة والكتابة والتّعليم إلا انه كان يرحل من حين لآخر لزيارة شيوخه أو حضور اجتماعات، خاصة رحلته إلى زاوية الهامل لإلقاء دروس وزيارة صديقه الدّيسي المدرّس بالزّاوية، والالتّقاء بالأعلام والشّيوخ الذين كانوا يزورون الزّاوية بانتظام.

وكان بالمناسبة يلتقي بشيخه الطاهر العبيدي، ففي إحدى وثائقه نجد بأنه أجاز صديقه الرّوحي ابن عياش بن

الطيب بالحديث المرفوع إلى السّند حيث يذكر:

(كتبت وأنا أضعف خلق الله البر الرّحيم عبد القادر بن ابراهيم لطف الله بي في الدّارين آمين حدثنا الشّيخ الطاهر بن العبيدي بالهامل حدثني الشّيخ المكي بن عزوز بسنده المتصل إلى سيدنا معاذ بن جبل tقال: قال رسول الله r: يا معاذ إني أحبك فقل دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وقال الشّيخ بسنده وأنا أحبك وأنا أقول لك يا عبد القادر إني أحبك وأنا أقول لأخي الرّوحي يا بن عياش بن الطيب إني أحبك فقل دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وقد أجزته به وأجزت له روايته عني لمن يحقق بذلك حسبما أجازني الشّيخ t، فليشدد يده بهذا الكنز الذي تنقطع دونه آمال الرّجال من سند صحبة سيد أهل الكمال والحمد لله على كل حال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم). وهذا يدل على أن المسعدي سمع عن العبيدي في الهامل)

كما كان كثير التّردد على مدينة آفلو لزيارة صديقه البشير الإبراهيمي في منفاه، أما العاصمة فكانت زيارته لحضور اجتماعات جمعية العلماء المسلمين لقاء صديقة الإبراهيمي في بيته.

عين مفتيا للجلفة سنة 1928، ووجدنا رسائل عديدة تأتي إلى الشّيخ من مختلف الأقطار، وحتى من عند العبيدي والدّيسي، يسألونه في بعض المسائل

كما عرف عنه كاتبا في صحف جمعية العلماء إذ لما تأسست جمعية العلماء أصدرت قرارا لها في 1933 يقضي بتخصيص جزء من الشّهاب تنشر فيه خطبها ومحاضراتها وفتاويها وجميع منشوراتها العلمية، ثم أنشأت الجمعية فيما بعد جرائد، وفي سنة 1935 صدرت البصائر، فنشر فيها عددا من المقالات والآراء

وعرف بأنه مترجما لإتقانه اللغتين العربية والفرنسية إذ عرف عنه أنه أول من أدخل أدب شكسبير وفيكتور هيغو إلى نواحي الجلفة وخاصة منطقة مسعد.

كما أنه كان من الأوائل الذين التّحقوا بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث شارك في الاجتماع التّأسيسي المنعقد بتاريخ 17 ذي الحجة 1349 الموافق 5 ماي 1931 بنادي التّرقي بالعاصمة. حيث تم وضع القانون الأساسي للجمعية والمصادقة عليه، والموافقة على تشكيل المكتب الإداري للجمعية.

كما كان يحضر أغلب النّدوات التي تقيمها الجمعية وحتى الاجتماعات الرّسمية، ومنها حضوره الجمعية العامة لجمعية العلماء المنعقدة في العاصمة من 1 الى 30/ 11/ 1934 بناء على الدّعوة الموجهة إليه من رئيسها بتاريخ 17/ 10/ 1934. كما شارك في الاجتماع المخصص لانتخاب المجلس الإداري العامّ لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعام 1946

وصفه شيخه العلامة الطاهر بن العبيدي بقوله:

"الإمام العلامة الهمام، خيثر المفهوم القاذف بجواهر المنطوق والمفهوم الخطيب المنشئ" ويصفه كذلك الشّيخ بن العبيدي "غرة جبين الآداب، ودرة الجحاجحة الألباب الرّواي من الكلام صحيحه والزّاوي من اللسان العربي فصيحه، الضّرغام الذي إن تكلم أفهم... وإن كتب أرهب وإن ناضل قضم وقصم وإن نازل قهر وطهر..."

ويصفه الشّيخ عبد الرّحمن الدّيسي بقوله:

"قسر البراعة وأفضل من أقر على أناملة البراعة بدر بني سعد خير جليس وأفضل أنيس "

الشّيخ عبدالقادر بن إبراهيم المسعدي أحد أعلام الجزائر الأفذاذ الذين بسقت قاماتهم في مسعد بين بساتين النّخيل والرّمان وسواقي الجنّات المعروشات وغير المعروشات هناك... وهو أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حضر الاجتماع التّأسيسي للجمعية المنعقد بتاريخ الخامس ماي سنة 1931 بنادي التّرقّي بالجزائر العاصمة، وكان يتردد على جل اجتماعاتها وندواتها...

حارب البدع، وجابه الخرفات، وكافح الدّجل والخزعبلات، وكتب عبر صحف الجمعية في الشّهاب والبصائر عديد المقالات، وكان له عمود ثابت في جريدة الأهرام المصرية... وفي إحدى المرات كتب مقالا بعنوان « استَنَّتِ الفِصَال حَتَّى الجَرَبَاء « يَذُبُّ فيه عن عرض الشّيخ عبد الحميد بن باديس ممن ناله بعتب وانتقاد، المقال قطعة أدبية راقية بحق، بأسلوب فيه المزحة والملحة والنّكتة التي لا يكاد يخلو منها حديثه.

وكانت للشيخ المسعدي حلقات علم في الزّاوية القاسمية ببلدية الهامل قرب بوسعادة وهو ما يدحض أقوال المرجفين الذين يزعمون أن الخصومة كانت على أشدها بين شيوخ الزّوايا وشيوخ جمعية العلماء... ويذكر قَيّمُ الزّاوية القاسمية الشّيخ أبو الأنوار دحية أن الشّيخ عبد القادر بن إبراهيم كانت له حلقة في شرح كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لا بن رشد، وهو من كُتُب الفقه المقارن التي يعسر شرحها على الرّاسخين في العلم وممن لهم باع طويل في علوم الفقه وعلوم اللغة.

الشّيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي فقيه نبيه، وداعية إلى الله على بصيرة، وصاحب دراية ورواية في معقول العلوم ومنقولها... يذكر الشّيخ المولود الأمين قويسم رئيس المجلس العلمي لولاية الجلفة أن الشّيخ عبد الحميد بن باديس، والشّيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشّيخ عطية مسعودي، والشّيخ العاشور الخنقي بن محمد، والشّيخ إبراهيم بيوض، والشّيخ عبد الرّحمن الدّيسي.. كل هؤلاء شهدوا للشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي بالتّفوق، وشهادة واحد من هؤلاء الأعلام تكفي، فكيف بإجماعهم كلهم على مكانته العالية في العلوم الشّرعية واللغوية...

وكان الشّيخ محمد المكي بن عزوز قاضي الأستانة في تركيا يرجع في كثير من قضايا الإفتاء والقضاء للشيخ عبد القادر بن ابراهيم، كما هو مدون في الرّسائل المتبادلة بينهما.

واشتغل الشّيخ المسعدي بالإمامة والتّدريس في المسجد العتيق بمسعد، وكان المرجع الأول في الفتوى بالمنطقة، وقد تخرج على يديه عباقرة جهابذة من أمثال: الأستاذ محمد بن عبد الرّحمان، والأستاذ محمد لبقع بن بشطح المسعدي، والإمام سي أحمد بن عطية، والإمام سي أحمد بن دحمان...

الشّيخ عبد القادر بن ابراهيم المسعدي صاحب قلم دافق وذاكرة لا تكاد تنسى... فبعدما حفظ القرآن الكريم وعمره لا يتجاوز السّابعة، التّحق بمقاعد الدّراسة ثم ما لبث أن غادرها بعد حصوله على شهادة الأهلية، وراح يكّون نفسه بنفسه، تكوينًا عصاميًا محضًا، فحفظ أشعار العرب، والمعلقات، وقرأ لامية الأفعال لبن مالك، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، والسّيرة النّبوية لابن هشام، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وشذور الذهب للمسعودي.. وغيرها من كتب التّراث الإسلامي التي نهل منها بنهم وشغف كبير... فأكسبته هذه المطالعات معارف جمة، لكنه لم يكتف بذلك، فقد شدَّ الرّحال سنة 1912 إلى مدينة تڤرت ومكث هناك زهاء عامّ ونيف يتلقى المعقول والمنقول من علوم شتى عن الشّيخ الطاهر العبيدي، وهو أحد أعلام الجزائر في عصره، وقد أظهر الشّيخ إبراهيم خلال هذه المدة الوجيزة نجابة وذكاء تحار فيها العقول، وأبان عن تفوق فاق به جميع أقرانه، وهو ما جعل الشّيخ العبيدي يخاطب تلميذه بسيدي عبد القادر.

مؤلفاته:

- شرح لامية الأفعال لابن مالك
- شرح طرق البيان على نظم تحفة الإخوان
- البدعة في الإسلام
- الصّلاة
- مظالم حاكم رباط مسعد المتوالية دكتاتورية غير متناهية
- شرح لامية العرب للشنفرى
- الكلام عن الولاية في الإسلام
- تفضيل البادية بالأدلة البادية
- ديوان شعري
- مجموع الفتاوى للشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي

وله كتابات راقية باللغة الفرنسية تحدث عنها قَيّمُ الزّاوية القاسمية الشّيخ أبو الأنوار دحية، بالإضافة إلى دروس مكتوبة عبر كناشات كان يستعملها

أما الرّسائل فلا تعد ولا تحصى، وهي نصوص أدبية أنيقة في أسلوبها، رشيقة في مبناها ومعناها، لكن ضاع أغلبها مع الأسف... كان يتبادلها مع أعلام عصره وأصدقائه من الأدباء والحكام والأعيان، وكانت أغلبها أدبية وذاع صيتها لما فيها من عيون الأدب والحكمة والشّعر وفنون النّثر وهي من نوع الرّسائل الإخوانية المتبادلة بين شيخ وتلميذه وشيخ وصديقه.

ولم تكن بعيدة عمّا عرفته تلك الفترة من أحداث خاصة، وإنه في عدد من الرّسائل نجد آراء سياسية بما فيها عدد من الأحداث الدّولية خاصة التي شهدها العالم الإسلامي كالانقلاب الذي قاده كمال أتاتورك ضد الخلافة العثمانية. وأغلبها تبادلها مع الشّيوخ: الإمام عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الابراهيمي، الطاهر بن العبيدي السّوفي (1886-1968) وأخيه احمد العبيدي (1307/ 1397) ومحمد بن عبد الرّحمن الدّيسي (1854/ 1921)

منها رسالة من الإبراهيمي بخط يده وبختم جمعية العلماء تحت رقم 337، مؤرّخة في 02 رمضان 1366/ 20 جويلية 1947، حيث جاء فيها:

(الاخ المحترم الشّيخ عبد القادر بن ابراهيم حفظه الله. بعد السّلام عليكم ورحمة الله فقد بلغتني رسالتكم ففرحنا بقدومها فرحتنا برؤية وجهكم اما ماذكرته عن استعدادكم للانتقال حيث تعمل للعلم وللدين فقد سرنا ذلك جد السّرور وقد بلغني من جماعة الجلفة انهم راغبون في قدومك اليهم ونحن نوافقهم عن ذلك ونخضك على القدوم الى الجلفة وفتح دروس الوعظ والارشاد ونحن واثقون انك تخدم الحركة الاصلاحية لا في الجلفة وحدها بل في كل مايحيط بها من قرى واعراش.بارك الله فيك واعاننا واياك على الخير وعليكم السّلام من اخيكم محمد البشير الابراهيمي)

أمّا مراسلاته مع شيخه الطاهر بن العبيدي فلا تعد ولا تحصى، منها الرّسالة التي يصفه فيها شيخه بـ: (غرة جبين الآداب ودرة الجحاجحة الأنجاب، الرّاوي من الكلام صحيحه والزّاوي من اللسان العربي فصيحه، الضّرغام الذي إن تكلم أفهم وأفحم، وإن كتب أرعب وأرهب، وإن ناضل قضم وقصم، وإن نازل قهر وظهر الأديب الذي لايجاري ولا يماري وما أدراك ما هو بلغ القصاري.)

فيرد عليه المسعدي: (الحمد لله سلام أبهى من عقود الجمان، وأزهى من روض الجنان، وأذكى من الأس والأقحوان يهدى إلى جناب الذّراكة الملاذ العلامة الأستاذ ذي الأيادي والأيدي شيخنا سيدي محمد الطاهر بن العبيدي أبقاك الله على مدد الأيام بجاه سيد الأنام وبعد يا مولانا إن عبيدكم لفي غلق عظيم ووجد جسيم لانقطاع الأخبار واندراس الآثار وقد كتبت لكم جوابا عن جوابكم ولذيذ خطابكم ورجوت الاطلاع على بعض أحوالكم مع أنك يا مولانا أهل الصّفح الجميل والفخر الأثيل...

أما الرّسائل المتبادلة مع محمد بن عبد الرّحمن الدّيسي فلا تخلوا من السّجع والصّنعة كما ذكر عمر بن قينه (حيث يختار الكلمات ذات الجرس الموسيقي والرّنين القوي...).

أما المسعدي الشّاعر، فقد ترك العديد من القصائد، لو جمعت لتشكلت أجمل الحلل لما تحويه، منها أول قصيدة قالها المسعدي بحضرة الأستاذ الطاهر بن العبيدي:

بكرا زرت بالشّمس في حلل البها
حللا كساها نجل بحدة في الملا

كان الشّيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي شاعرًا بالعامية والفصحى، وله

قصيدة عصماء عارض بها بردة كعب بن زهير «عانت سعاد فقلبي اليوم متبول».. القصيدة تعتبر واحدة من عيون الشّعر العربي بلا مبالغة، كما قام بتشطير القصيدة الحُمَيدية لصديقه الشّيخ عبدالرّحمان الدّيسي عن سقوط الخلافة الإسلامية، والتّشطير فن أدبي عزيز المنحى، صعب المنال، إلا على أديب ذكي، ونبيه ألمعي، من أمثال الشّيخ عبد القادر بن إبراهيم... ففي كل بيتين يُبقي على الشّطر الأول والشّطر الرّابع لصاحب القصيدة، بينما يأتي بالبقية من بنات أفكاره، ولعل ميلاد القصيدة من صاحبها أهون من تشطيرها من غيره.

القصيدة الحُمَيدية هي في تأبين الخلافة العثمانية عند عزل السّلطان عبد الحميد وتأنيب المتآمرين على خلعه يقول فيها الشّيخ الدّيسي:

ثنائي على عبد الحميد حميد
وحزني عليه ما حييت جديد

ويقول الشّيخ عبد القادر في التّشطير للأبيات المذكورة:

ثناء على عبد الحميد حميد
وشوقي إليه طارف وتليد

ويعجبني قول الشّيخ الدّيسي للمتآمرين:

تسميتم حزب التّرقي سفاهة
وصنعكم للإنحطاط بريد

وقول الشّيخ عبد القادر في التّشطير:

تسميتم حزب التّرقي سفاهة
وهل يترقى جاهل وبليد
وكيف التّرقي والهوى بكم هوى
وصنعكم للإنحطاط بريد

والقصيدة بتشطيرها تبلغ نحو 50 بيتا.

وشطّر كذلك "المنظومة العقبية" للشيخ الدّيسي حينما زار ضريح الشّهيد سيدي عقبة صحبة الشّيخين الفاضلين السّيدين محمد الصّغير بن الشّيخ المختار ومحمد بن الحاج محمد الهاملي يقول الشّيخ الدّيسي فيها:

أرفع الأمة الكريمة رتبة
من تشرف بإختصاص بصحبة
صحبة المصطفى شفيع البرايا
خاتم الرّسل لا تضاهن بقربة

يقول الشّيخ المسعدي:

أرفع الأمة الكريمة رتبة
وأجل الورى وأشرف صحبة
ونجوم الهدى للأجل إقتداء
من تشرف بإختصاص بصحبة
صحبة المصطفى شفيع البرايا
ملجأ الكل عظم الله حزبه

كما شرح المسعدي رسالة البيان التي ألّفها الشّيخ الدّردير منثورة ونظمها شيخه الطاهر يقول فيها:

قال الفقير الطاهر العبيدي
المرتجي نيل المنى الأيدي
ناظم نثر الجهبذ الدّردير في
فن البيان رزق اللطف الخفي

وسمى شرحه على الرّسالة «طرفة البيان على تحفة الإخوان» وهو شرح واف شاهد على بلاغته في فن البيان قرضها الشّيخ أحمد الأمين بنعزوز دفين المدينة المنورة، كما قرضها الشّيخ أحمد العبيدي وهو مخطوطة عند بعض تلامذته، كما وشرح أيضا المنظومة المعروفة ب"الشّمقمقية" للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الوناني الأنصاري الأندلسي وأوضح الألفاظ الغامضة منها.

وحل ألغازا وإخوانيات وفتاوى شرعية وأشعارا متنوعة ومدايح لبعض الأصدقاء منهم السّيد يحيى بن السّعيد تلميذ الشّيخ الدّيسي يداعبه ويهنيه في المناسبات ويعترف بجميله يقول في بعض القصائد له:

ومن رام عقد المكرمات التي لكم
فقد رام إحصاء النّجوم الزّواهر

ومن قصيدة له قابل بها أحد علماء بني نائل وهو الحاج بن عمر بن حرز الله الحركاتي لما زار مدينة مسعد يقول فيها:

تشرفت المرابع والنّوادي
وسر العرب حاضرهم وباد
وأقبلت المادة في حلاها
تسير الخيزلي والسّعد جاد
وغنتنا البشائر عن لحون
أعدن معبدا وقيان عاد

هذا وقد أجازه شيخه الأستاذ الطاهر العبيدي إجازة معترفا بنبوغه وبراعته في اللغة قال فيها:

هذا وإني قد أجزت حامله
إجازة لكل خير حامله
في كل علم فأنا متصل
بشيخنا والغير بي يتصل
سواء المعقول والمنقول
فإنه بصلتي موصول

ولمّا اندلعت ثورة التّحرير تحوّلت دروس الشّيخ ومواعظه إلى دروس تعبئة ضد المحتلين، وتحريض على الجهاد والقتال ضد الفرنسيين، وكان يقول لطلبته إن الدّرس الآن ليس هنا في هذه الدّار، وإنما هو هناك في مدرسة جبال بوكحيل

عاش الشّيخ عبد القادر بن ابراهيم المسعدي في دنيا النّاس هذه ثمانية وستين عامًا، كدح خلالها كدحًا متواصلاً بالليل والنّهار في مكابدة طلب العلم وتعليمه والعمل به

وفي يوم الخميس لسبع بقين من محرم 1376 هالموافق ل30 من شهر أوت 1956 توفي ودفن بمقبرة مسعد.

ولما بلغ الشّيخ الطاهر نعيه رثاه بقصيدة يقول فيها:

مسعد حسرتي فقدت السّعادة
وخلعت تاج العلى والسّيادة
كنت بين القرى محط رحال
في بني نائل كقصر إشادة

عامر بغدادي

■ عبد القادر بن محمد الهاشمي (ابن القاضي) (و: 1343ه - 1925م/ت: 1431ه - 2010م)

ولد ب(باتنة) يوم 22 يونيو 1925م والده محمد الهاشمي بن إبراهيم بن الشّريف بن محمد بن بلقاسم، من عائلة ابن القاضي، وهو صاحب (زاوية أولاد القاضي) القاطنين منذ عهد بعيد بنفس البلدة وبضواحيها، وأمّه يرجع نسبها إلى عائلة حداد بن محمد بن عمر بن بلقاسم بن الشّريف بقرية (تاغيت سيدي بلخير) في جبال الأوراس، وكلٌّ منهما ولد في قرية أشير في ولاية (باتنة).

قضى معظم طفولته وشبابه في (باتنة) باستثناء بعض السّنوات لا يتجاوز عددها خمساً؛ أمضاها في قرية (خنقة سيدي ناجي)، ثمّ (سيدي معنصر)، ودوار (عيون العصافير)، و(أولاد موسى) بالقرب من باتنة وقرية (عين مليلة).

درس المرحلة الابتدائية في مدارس الأهالي وفق التّسمية الاستعمارية (Ecole Indigènes) بمدينة (باتنة)، وبقرية (سيدي معنصر) ثمّ ب(عين مليلة)، وأخيراً (باتنة)، حيث واصل تعليمه الإعدادي سنة (1939م) بالمدرسة الابتدائية العليا (Ecole Primaire Supérieure)، وتعليمه الثّانوي في الكوليج العصري (Collège Moderne) إلى غاية (يونيو 1945م).

وبعد نهاية الحرب العالمية الثّانية غيّر (عبد القادر بن القاضي) مجرى دراسته، والتّحق في (أكتوبر 1945م) بمدرسة قسنطينة (La Médrsa) بعد نجاحه في مسابقة الانتساب إليها، ليتخرّج فيها بعد أربع سنوات، وأكمل دراسته في معهد الدّراسات الإسلامية العليا ب(مدينة الجزائر) من (أكتوبر 1949م) إلى (يونيو 1951م). ومع ذلك فإنّه لم ينقطع مع رفاقه عن الكتاتيب القرآنية في (باتنة) و(عين مليلة) عند الشّيوخ (الأخضر السّلامي) و(سي موسى المعافي) و(سي المكي) رحم الله الجميع.

كما أنّه كان يتردّد على حلقات عضو (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) الشّيخ (الطاهر الحركاتي)، وعلى المدرسة الحرة التّابعة للجمعية تحت إشراف الشّيخين (محمد العيد آل خليفة) و(العابد الوردي)، هذا ويعترف (عبد القادر بن القاضي) بأنّه تعثّر كثيراً في مشواره الدّراسي بسبب ظروف عائلية قاسية رفض الإفصاح عنها، وبسبب لظروف البلد الاجتماعية والسّياسية؛ ولا سيما ما تعلّق منها بالحرب العالمية الثّانية.

زاول (ابن القاضي) مهنة التّعليم في مدينة (المحمدية) بولاية (معسكر) في الغرب الجزائري سنة (1949م)، وذلك قبل أن يقرر الالتحاق بمعهد الدّراسات الإسلامية العليا في (مدينة الجزائر). وبعد إنهاء مشواره الدّراسي اشتغل (ابن القاضي) في سلك التّعليم مجدّداً، بمدرسة أرمندي (Ecole Armandy) في مدينة (عنابة) مدّة أربع سنوات من (1951م) إلى (يونيو 1955م)، ليعيّن أستاذاً للغة العربية وآدابها في مدرسة قسنطينة إلى غاية (1962م).

وغداة الاستقلال صدر قرار من المكتب السّياسي في (27 أغسطس سنة 1962م) عيّن بمقتضاه مفتّشاً للغة العربية بولاية (قسنطينة) للإشراف على الموسم الدّراسي وتنظيم تعليم اللغة العربية بتلك النّاحية، وفي (12 من شهر نوفمبر 1962م) عيّن في منصب مفتّش أكاديمية (قسنطينة) حيث قضى تسع سنوات، إلى غاية نهاية (يونيو 1971م). ليلتحق بعدها مباشرة بوزارة التّعليم الابتدائي والثّانوي، التي أسندت إليه مهمة مدير للتكوين والتّربية إلى غاية (1977م)، ثمّ انتقل إلى (لجنة التّربية والتّكوين) في (حزب جبهة التّحرير الوطني) بصفة عضو دائم منتدب إلى غاية (1979م)، ليعود بعدها إلى وزارة التّربية الوطنية للإشراف على مديرية التّكوين خلال الفترة (1979م- 1984م). ثمّ عيّن رئيساً لديوان وزير التّربية الوطنية ما بين (1984م- 1986م)، ونقل بعدها إلى وزارة العدل في المنصب نفسه ما بين (1986م- 1989م) ليعود إلى وزارة التّربية الوطنية أمينا عاماً سنة (1989م).

وفي الفترة ما بين (1991م1992-م) دُعي لتدريس مادة العروض في جامعة الجزائر المركزية، ثمّ كلّف في سنة (1992م- 1993م) بدراسة تقويمية لكتابي السّنة الأولى والسّنة الثّانية ثانوي في خصوص مادة العروض.

وفي نهاية مساره المهني عيّنه رئيس الجمهورية (عبد العزيز بوتفليقة) عضواً في اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التّربوية في (ماي 2000م).

لقد عرف الأستاذ (محمد بن القاضي) النّضال السّياسي ضد المستعمر الفرنسي منذ نعومة أظفاره، فانتسب إلى الخلايا السّرية لحزب الشّعب الجزائري (P.P.A)، ثم حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية (M.T.L.D)، ثم جبهة التّحرير الوطني (F.L.N)، وذلك في جميع المدن التي أقام بها منذ (1943م)، وهي باتنة، وقسنطينة، وعنابة، والجزائر العاصمة.

لقد حظي الأستاذ (عبد القادر بن القاضي) بالعديد من التّكريمات؛ أهمّها:

- تكريمه من تلامذته في (02/ 10/ 2010م) بثانوية حيحي المكي (ثانوية التّعليم الفرنسي الإسلامي سابقا).
- الجائزة الثّانية في مهرجان المسرح الشّعري عامّ (1987م).
- تكريم مؤسسة عبد العزيز البابطين ثلاث مرات.
- وسام الاستحقاق الوطني من وزارة التّربية بمناسبة يوم العلم في (16/ 04/ 1988م).
- كما حظي بالعديد من التّكريمات المحلية على مستوى ولايتي (باتنة) و(سطيف) تقديراً لعطاءاته الأدبية وفي مجال التّربية والتّعليم.
- نال شهادات التّقدير والتّشريف من وزارة الثّقافة نظير مشاركاته الكثيرة في المحافل الأدبية والشّعرية.

آثاره:

ترك الأستاذ (ابن القاضي) العديد من الكتب في مجالات الإبداع الشّعري

والدّراسات اللغوية، والتّرجمة الأدبية، بالإضافة إلى بعض الخواطر والمذكرات، نوجزها فيما يلي:

- بوابات النّور (ديوان شعري)، طبعته المؤسسة الوطنية للكتاب، سنة (1990م).
- شعاع الأصيل- قصائد مرتبة ترتيباً زمنياً (ديوان شعري)، طبعته الوكالة الوطنية للنشر والإشهار- ANEP سنة (2000م)
- المسرحيات الغنائية الأربع، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، ضمن الأعمال الكاملة، سنة (2013م).
- ذكرياتي في التّربية والتّعليم، طبعته الوكالة الوطنية للنشر والإشهار- ANEP سنة (2005م).
- الشّعر العربي أوزانه وقوافيه وضروراته، طبعته المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم) سنة (2003م).

كما ترجم بعض القصائد من الأدب الفرنسي بطريقة شعر التّفعيلة وفق البحور الخليلية مثل:

- الرّبيع ل(موريس كاريم): Le Printemps de Maurice Carême
- النّجم الثّاقب للسيدة (أكرمان): A la Comète de Mme Ackermann
- نشيد الفرح للألماني (شيلر): L'hymne a la Joie de Schiller
- ليلة ثلج ل(غي دو موباسان): Nuit de neige de Guy de Maupassant
- الحنين إلى الوطن ل(لامارتين): Milly ou la terre natale de Lamartine
- النّجمة الشّاحبة ل(ألفريد دي موسي): Pâle étoile du soir d'Alfred de Musset
- الطفولة ل(فيكتور هيجو): Lorsque l'enfant paraît de Victor Hugo

وفاته:

توفي الأستاذ (عبد القادر بن القاضي) يوم (24 أفريل 2010م) عن خمس وثمانين سنة بعد حياة حافلة بالنّضال، والإبداع، والتّربية والتّكوين.

حبيب بوزوادة

المصادر:

- ترجمته بقلمه في ديوانه (بوابات النّور)، طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (1990م).
- رسالة دكتوراه للباحثة (زينب بوعلالة)، تجليات الوطن والثّورة في الشّعر الجزائري- ديوان بوابات النّور لعبد القادر بن القاضي نموذجاً، جامعة أدرار، 2017-2018.

■ عبد القادر بن محمد بلعالم
(و: 1298ه - 1881م/ت: 1372ه - 1952م)

هو السّيد عبد القادر (محمد عبد القادر) بن محمد بن المختار بن أحمد بلعالم ولد سنة 1298هالموافق ل1881م بساهل أقبلي. تلقى العلم على يد مشايخ ساهل حيث لازم جده المختار والشّيخ حمزة بن الحاج أحمد والشّيخ السّكوتي، مع المواظبة وكثرة المطالعة. حصل على إجازات عديدة من علماء عصره، من بينهم: العلامة حمزة بن أحمد الفلاني، العلامة محمد عبد الرّحمن السّكوتي، الشّيخ يوسف النّبهاني.

اشتهر رحمه الله بالتّنقل والتّدريس حيثما حل سواء كان ذلك في أولف، عين صالح أم ورگلة. ويدل على ذلك اختلاف مواطن نظمه لقصائده ومؤلفاته. ففي قصيدة يقول:

وبين انغر وعين صالح
نظمتها بالجد غير مازح

وفي قصيدة أخري يقول:

نظمي لها قد جاء في الرّويسة
ببلدة معروفة بورگلة
حفظها الله من البلاء
بجاه أحمد والانبياء

ولهذا نجد له طلبة وتلاميذ في العديد من المدن والأماكن. ولقد عرض عليه القضاء فاعتذر لخوفه من تبعات حقوق العباد. والتّجأ إلى الله لكي يبعده عنه خوفا من أن يجبر على توليه، ونظم في ذلك قصيدة استغاثة للمولى لينجيه من هم القضاء.

كان صارما في محاربة البدع والخرافات حتى أنه نظم منظومة في التّنبيه عليها ومن شرورها، معددا مظاهرها في المنطقة. ومن بين ما قال في هذه القصيدة:

أهل زماني اشتغلوا يا حسرتي
بكل فعل جالب للبدعة
يتخذون قبة للاصطياد
يحضرها أهل الضّلال والفساد
ويأخذون مال غيرهم بها
ظلما حراما واعتنوا بشأنها
ويحضرون أنواع الطعام
وآلة اللهو فع كلامي
وفعلهم هذا من العصيان
والفسق والمنكر والطغيان
فهذه عادة من تقدما
قبل النّبوة رواه العلما

ولهذا أثنى عليه الكثير من علماء عصره لعلمه وتقواه، ومحاربته للبدع، فلقد كتب إليه العلامة محمد بن علان فيخاطبه بلقب فقيه توات، وبالعبقري الأتقى في قصيدة مطلعها:

سلام على خير الرّجال محمد
فقيه توات رغم أبغض حاسد
على فخر أهل العلم بهجة عصره
وحامل رايات الهداة الأماجد

كانت له مراسلات مع معاصريه مثل الشّيخ أحمد ديدي (تمنطيط)، القاضي عبد الكريم بن سيدي عبد الحق، الشّيخ مولاي أحمد الطاهر الإدريسي (سالي)، العلامة محمد بن علان (المنيعة)، محمد بن بادي(مالي)، الشّيخ العلامة السّيد محمد بن الكبير البداوي، العلامة مولاي أحمد الطاهر، الشّيخ السّيد محمد بن السّيد الحاج، الشّيخ السّيد محمد بن سيدي جعفر

وابـن عمه السّـيد محمـد (تيلولين)، السّـيد الحـاج المغيلـي ووالدهالسّـيد الحـاج عبد الكريم (تيدماين).

لـه الكثيـر مـن المؤلفـات، معظمهـا في شـكل منظومات تعتمد للدراسـة في العديد من المجالس العلمية بالمنطقة، أهمها:

– منظومـة في حال أهل الوقـت وما يجرهم للمقت،

– أرجوزة في التّوحيد سـماها تحفة الولدان مما يجب معرفته على الأعيان،

– قصيدة من البحر الكامل في مدح الرّسول e،

– منظومة في طلب النّجاة من القضاء،

– قصيـدة هديـة الطلاب تشـتمل علـى ذكر سور القرءان،

– الدّرة اليتيمة في جمع الأحزاب المنيرة،

– أرجـوزة النّصيحـة الكافيـة والموعظـة الشّافية،

– منظومـة الولدان في طلـب الدّعاء لهم من الرّحمن.

وفـي قصيـدة أخرى يشـيد فيهـا بمعارفه وتوجيهاتـه ونصائحـه وطمعـه فـي الفـوز بصداقته ومودته:

إذا جلت في الميدان جولة صائل
فلست ترى يوم الوغى غير هارب
شرود جبان الرّأي أرعج قلبه
زئير هزيز أبشع الوجه ثاقب
فأنت إذا يخشى نزالك كل من
يرى نفسه ليثا قوي المخالب

وبعـد عمـر طويـل تـرك وراءه جيـلا من التّلاميـذ، أصبحـوا علمـاء وفقهـاء موزعين فـي مختلـف المـدن الصّحراويـة كورگلـة، عين صالح، تمنراسـت، انغر، تيـط، أولف، أقبلي وغيرهـا؛ من بينهم: الحـاج مَحمد بن محمد الحسـن بـن مالك، الحـاج محمد بن عبد القادر برماكي، الحـاج أحمد بن محمد الحسـن بن مالك، عبد الرّحمـن بن الطالب عبـد الله، محمـد ناجي بن الحـاج النّعيمي، عبد الرّحمن الدّباغ، محمد المختار التّكوبة، الطالـب الأميـن برمكي، الحاج سـليمان بن ساسي، محمد الهاشمي بن ساسي، الطالب الشّبلي من فگارة الزّوى.

توفـي يـوم الاثنيـن 05 ربيـع الثّانـي 1372هالموافق لـ 22 ديسـمبر 1952م بساهل أقبلي. فرحمه الله رحمة واسعة.

عبد المجيد قدي

المصادر:

– الحمدي أحمد، «في سبيل معجم متكامل لأعلام الجزائر تحقيق مخطوط تراجم علماء ساهل»، مجلة الحضارة الإسلامية، مجلة علمية محكمة تصدرها جامعة وهران– العدد 17، ذو الحجة 1433 ه/ نوفمبر 2012 م،

– قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للترجمة والنّشر والتّوزيع، 2007.

■ عبد القادر بن محمد بن سليمان (و: 940ه - 1533م/ت: 1025ه - 1616م)

المعـروف بسـيدي الشّـيخ ولـد سـنة 940هجرية–1533م بفكيگ درس على يد والده وعمه الشّيخ احمد المجدوب انتقل بعدها إلى فـاس ودرس بهـا الطريقة الشّـاذلية عاد بعدها إلى بفكيگ وبنـى زاوية للعلم، وله العديد من المؤلفات فـي التّصوف منهـا (الياقوتة) وهي قصيـدة فـي التّصوف (رسـالة فـي التّصوف) توفي في 1025هجرية / 1616م.

ولـد سـيدي الشّـيخ: عبـد القـادر بـن محمـد بـن سـليمان بـن أبـي سـماحة (سـنة 1533م / 940 هجريـة)، بالشّـلالة ناحيـة البيـض، الجزائـر ويُدعـى ويُعـرف اختصـارا ب»سـيدي الشّـيخ»، فهـو فقيـه وأديـب مغاربي مؤسـس الزّاويـة التّعليمية الطريقـة الشّـيخية، المنتشـرة فـي المناطق الجنوبيـة الغربيـة مـن الجزائـر وفـي المناطـق الشّـرقية مـن المغـرب.، ومذهبه الفقهـي: سـني مالكـي أشـعري.

وتوفي الشّـيخ عبد القادر فـي 2ربيع الأول 1025هالموافق1616م،

آثـاره: أهـم مـا تـرك الشّـيخ السّـماحي «الياقوتة» في التّصـوف وهي قصيدة من 178 بيتا، جمع فيها بين قواعد السّـلوك، وشـروط الصّحبـة، ووصـف تجربته الذوقيـة، ودعمها بسـنده الصّوفـي، ونافـح فيهـا عـن مذهـب التّصوف، وبيّن عوار منتقديه بدون تجريح.

جـده هو سـليمان بن أبي سـماحة كان من العلمـاء، أخـذ بنصيـب وافـر مـن العلـم إبان استقراره في الأندلس، ثم بعد طرد المسلمين منها، توجه إلـى فاس حيث أخذ عن علمائها، ثم ولى وجهه نحو فجيج يوم كانت هذه الواحة مصدر إشعاع علمي بفضل أعلامها من العلماء الأجـلاء، علـى رأسـهم الشّـيخ عبـد الجبـار البرزوزي الفجيجي، الذي أخذ عنه سليمان بن أبي سماحة، ثم تولى إمامة المسجد العتيق بها. ثم يَمَمَ بعد ذلك نحو الشّـيخ الشّهير أحمد بن يوسـف الرّاشدي الملياني فأخذ عنه وكان من أخـص تلامذته، وبعد رجوعه من عند شـيخه استقر ببني ونيف حيث أسس مسجدا وزاوية، وبهـا توفي ودفن، وبها ضريحه المشـهور إلى الآن.

أما أبوه فهو محمد بن سـليمان السّـماحي الذي أخذ العلوم الشّـرعية والسّلوك الصّوفي عن الشّـيخ محمد بـن عبد الجبـار الفجيجي الـذي عاش وتوفـي ودفن بالشّـلالة الظّهرانية وضريحه بها مشهور. كان من البدهي أن يطلب المترجم له (عبد القادر السّماحي) العلم بواحة فجيج التي أصبحت بفضل آل عبد الجبار وآل السّـكوني وآل عبد الوافي معلمة عالية ومنارة مشعة تُزاحم القرويين بفاس والزّيتونة بتونس.

والزّاوية الشّـيخية نسبة إلى هذا الشّيخ وقد كانت هـذه الزّاوية مصدر إشـعاع روحي كبير في حياة مؤسسها الشّيخ عبد القادر بن محمد السّـماحي، الـذي كان مقصـد طـلاب التّربية

الذوقية والسّلوك العرفاني، وقد تخرج على يده شيوخ كثر، نشروا طريقته في الجنوبين المغربي والجزائري، وقد حاز الشّيخ عبد القادر على قصب السّبق، وكان الوارث الحقيقي لشيخه من بينهم، وذلك بشهادة شيخهم نفسه.

ومع مرور الزّمن أصبح للطريقة الشّيخية ولاء وأتباع من شتى القبائل، إلا أنه بعد قرن من وفاة مؤسس الطريقة اختلف زعماء الجيل الثّالث من أحفاده حول تسيير الزّاوية، وبعد صراع مرير توصلوا إلى حل تم بموجبه تقسيم الزّاوية الأم إلى زاوية شرقية وغربية. ولما سيطرت قوات الاحتلال الفرنسي على شمال الجزائر ووصلت جحافلها جنوبا إلى مناطق نفوذ أولاد « سيدي الشّيخ « تصدى لها هؤلاء في أطول مقاومة قامت بها قبيلة من قبائل المغرب عرفت بثورة أولاد سيدي الشّيخ.

سعت الطريقة الشّيخية عبر امتدادها الجغرافي والتّاريخي، بين 1864 أفريل اندلاع ثورة سيدي الشّيخ إلى آخر حلقة وهي ثورة الشّيخ بوعمامة، ثم إلى ما بعد الاستقلال، سعت إلى تجسيد ثقافة خاصة، ثقافة الفكر الواحد، والقلب الواحد، وهو مشروع تم تجسيده بتحقيق الدّور التّعليمي، والدّور التّربوي،والاجتماعي،

وينتسب الشّيخ بوعمامة إلى قبيلة أولاد سيدي الشّيخ (في روايات عن أصول القبيلة أن نسبها يرجع إلى الصّحابي أبي بكر الصّديق فهو بذلك أبوعمامة محمد البوشيخي الصّديقي بن العربي بن الشّيخ بن الحرمة بن محمد بن إبراهيم بن التّاج بن مؤسس الطريقة الشّيخية الشّيخ عبد القادر بن محمدبن سليمان بن أبي سماحة بن أبي ليلى بن أبي يحيا بن عيسى بن معمر بن سليمان بن سعد بن عقيل بن حرمة الله بن عسكر بن زيد بن أحمد بن عيسى بن الثّادي بن محمد بن عيسى بن زيدان بن يزيد بن طفيل بن المضي بن ازراو بن زغوان بن صفوان بن محمد بن عبد الرّحمن بن أبي بكر الصّديق)، وهي القبيلة المنتشرة بين شرق المغرب وغرب الجزائر، سليل عائلة أولاد الحرمة التي تنحدر من أولاد سيدي التّاج الابن الثّالث عشر للجد الأول «سيدي الشّيخ»؛ حيث ينتمي الشّيخ بوعمامة عقائديا إلى الطريقة الطيبية التي حلت من المغرب الأقصى، وعن طريق الحدود وصلت إلى الغرب الجزائري حيث انتشرت انتشارا واسعا، وهذا لم يمنعه من التّأثر بالطريقة السّنوسية كذلك نظراً للقرابة التي كانت بينها وبين أولاد سيدي الشّيخ، على اعتبار أن منشأها كان بالغرب الجزائري.

نعيمة سعديّة

■ عبد القادر بودار (حميد)
(و:1359ه - 1940م/ت:1444ه - 2023م)

ولد المجاهد عبد القادر بودار المدعو حميد في 6 أوت 1940 ببطحية بعين الدّفلى حاليا، أبوه عبد القادر، وأمه هنية كاشير، ينتمي إلى عائلة ثورية، حيث أن أخاه شهيد أحمد بودار، وكانت أمه وأخته مسبلتين، وتعتبر عائلتاه لأمه وأبيه من عائلات الشّهداء والمجاهدين.

التّحق عبد القادر بودار (الصّغير) الذي كان يحمل نفس اسم والده بالكتاب لحفظ القرآن، وتعلم العلوم الشّرعية خاصّة منها الفقه الإسلامي، وكان له نصيب في حفظ المتون كالأجرومية والشّيخ خليل.

وتشبع عبد القادر بودار وهو تلميذ بالكتاب بالرّوح الوطنية، والكراهية للاستعمار على يد شيوخه، الذين شعبها، فكان يحضر الدّروس التّحسيسية والتّحضيرية للانضمام إلى الثّورة التّحريرية على يدّ شيوخه، ومنهم «عبد القادر مدرك، الذي كان منضويا تحت لواء حزب الشّعب الجزائري، والذي كانت له اتصالات ولقاءات مستمرة مع أب الحركة الوطنية الجزائرية مصالي الحاج»، وبهذا تشرب عبد القادر بودار بالرّوح الوطنية من مصدرها، وكان ذا شخصية ثائرة على الاستعمار الفرنسي.

وكانت الدّروس التي تلقاها على يدّ شيوخه في الكتاب حافزا له ولأصدقائه ورفقائه لولوج عالم السّياسة، والرّغبة في الانضمام إلى الثّورة في بداياتها الأولى، وما إن حان الوقت حتى وجدوا أنفسهم مهيئين، وفي أتم الأهبة والاستعداد لمواجهة فرنسا كل من موقعه حسب قدراته.

ولم يكن من الصّعب التّحاق عبد القادر بودار بالثّورة التّحريرية، لأنه كان من قبل وبداية من 1955 يساعد شقيقه الأكبر أحمد (الذي استشهد فيما بعد) بصفته مسؤولا عن المسبلين بمنطقة بطحية، والمكلفين بالتّموين بالأسلحة والأدوية والأخبار ونشاطات أخرى مختلفة.

وفي سنة 1956 انخرط عبد القادر في صفوف جيش التّحرير الوطني كمجاهد وعمره لم يتجاوز ال16عاما بالمنطقة الثّالثة الولاية الرّابعة التّاريخية، وكانت أولى مهامه مساعد طبيب وبعد تقسيم الولايات النّظامي النّاتج عن مؤتمر الصّومام في 20 أوت 1956 صار معين طبيب متجوّل بالنّاحيتين الأولى والثّانية لنفس المنطقة والولاية.

في سنة 1957 الى 1958 انتقل إلى منطقة باب البكوش بلرجام حاليا بمستشفى الكرارمة التّابع لجيش التّحرير الوطني بجبال الونشريس من أجل التّربص والتّدريب في مجال المهمة المكلف بها وهي التّمريض، وبعد الانتهاء من التّربص عين سنة 1958 (وهي السّنة التي استشهد فيها شقيقه الأكبر أحمد) كممرض ومرشد للكتيبة القويدرية التي كان يقودها آنذاك المساعد علي شعشوع إلى سنة 1960، أين تنقل إلى النّاحية الثّالثة كممرض ومرشد

ثـم 1961 عيـن محافظـا سياسـيا قسـم رتبة رقيب أول.

شـارك عبد القادر بودار المدعو حاميد في العديد مـن المعارك بمناطق متعـددة، وكانت أولى هـذه المعـارك فـي 1957 بمعركة متيجة (بيـن الجبليـن) ببوقايـد تيسمسـيلت حاليـا مع الكتيبـة المعمريـة والكريمية تحـت قيادة سـي اعمر مصباح وفي يناير (جانفـي) 1958، وشارك في معركة بني بوستور بمنطقة نواحي واد الفضة الشّلف، مع الكتيبة الكريمية تحت قيـادة سـي اعمر مصبـاح، وفـي أواخـر 1958 شـارك في معركـة بتمـدرارة أو البيبان بمنطقة الأزهريـة ولاية شـلف مـع الكتيبـة القويدرية تحت قيادة شعشـوع علـي، وفي نفس السّـنة شـارك في معركة السّحانين بمنطقة لرجام مع الكتيبة الكريمية تحت قيادة دائما المساعد علي شعشوع.

في سـنة 1959 شارك في أربع معارك كانت حاميـة، أولهـا معركـة دوار بني زيـت بمنطقة لرجام مـع الكتيبة القويدرية تحـت قيادة علي شعشـوع، ثـم معركـة الأربعاء بنـي بوخنوس بالونشـريس بالاشـتراك مع الولاية الخامسـة التّاريخيـة الكتيبـة الثّالثّة بتاريخ 3 مـاي 1959، وهـي المعركة التي أصيب فيها على مسـتوى ساقه الأيسر بطلقات نارية، وفي خريف نفس السّـنة شـارك في معركة جبل سـعدية بمنطقة عمي موسـى مع الكتيبة القويدرية بقيادة علي شعشـوع والتّـي أصيـب أثناءهـا بحـروق من الدّرجـة الأولـى على مسـتوى ذراعـه الأيمن (السّـاعد) بقنابل النّابالم التـي قذفتها القوات الاستعمارية على المجاهدين، حيث «تعودت السّـلطات الاسـتعمارية علـى ذلـك فـي كل المعـارك والمواجهـات مـع المجاهديـن» وآخرها معركة كعريشة عرش وعزان بالشّلف مع كتيبـة القويدرية بالاشـتراك مجاهدين من الولاية الخامسة التّاريخية الكتيبة الثّالثّة.

وفـي سـنة 1960 شـارك بودار فـي معركة الخيالـة بـواد المالـح سـوق الأحـد مـا بين لرجام وتملاحت وفي آخر نفس السّنة شارك فـي معركة كبـرى بسـيدي ادريـس بالأربعاء بويلفان أصيب خلالها بشظايا المدفعية على مستوى الوجه.

وفي سنة 1961 شارك بودار في معركة جبل كسكاس بالقلعة منطقة بطحية عين الدّفلى، كما قام بآخر عملية له أثناء الثّورة التّحريرية تمثلت في مشـاركته في حرق مزارع المعمرين والتّي تزامنت مع عمليات مشـابه عبر الوطن ما أدى بالقوات الاستعمارية لإخراج فيلق متكون من 900 جندي من القوة المحلية الفرنسية بحمادية ولاية تيارت التي استقر بها إلى غاية الاستقلال بعدما تنقل إلى ولاية عين الدّفلى حيث كانت كل عائلته ملاحقة من طرف الاستعمار.

ويذكر أن بودار ينتمـي إلى عائلة ثورية من جهتي الأب والأم قدمت شـهداء ومجاهدين منهـم 40 شـهيدا مـن عائلـة كاشـير وحدهـا بالإضافـة إلى مـا يربو عن 3 شـهداء من عائلة بودار من بينهم أخوه الشّـهيد أحمد الذي كان السّـبب فـي التّحاقه بجيـش التّحريـر الوطني واستشهد سنة 1958.

بعـد الاسـتقلال وبالنّظر لمسـتواه العلمي الذي اكتسبه من حفظه للقران الكريم والمتون علـى يدّ شـيوخه، وحصولـه تـم انخراطه في سـلك التّعليم بعد اجتياره امتحانات شهادات الثّقافة العامة والمهنية وشهادة الأهلية وشهادة الكفاءة التّربوية التي تعادل شـهادة في التّعليم الثّانـوي التّحـق بسـلك التّعليـم وعمل معلم ابتدائي بحمادية.

وبالمـوازاة مـع عمله فـي سـلك التّعليم كان عضوا بالمكتب السّياسـي لحزب جبهة التّحريـر الوطنـي وتقلـد منصـب نائـب أول بالمجلـس الشّـعبي البلـدي لبلديـة حمادية لعهدتيـن ابتـداء مـن 1966، ثـم انتخـب عضـوا فـي المجلـس الشّـعبي الولائـي بين 1969 - 1974، وفـي نفـس الوقـت مسـؤول قسمة بحزب جبهة التّحرير الوطني من 1972 الى 1974، ثم عين مكلفا بشرح ميثاق وقوانين الثّورة الزّراعية وتوعية الفلاحين والمواطنين بضـرورة انجاح المشـروع، الـذي كان يعول عليـه الرّئيس هواري بومدين بتطوير الفلاحة والاقتصاد الوطني عموما.

وعلى مسـتوى منظمـة المجاهدين تولى منصـب رئيـس قسـمة ومنـدوب ناحيـة في نفـس المنظمة، وعضـو بالمجلـس الولائي للمجاهديـن بتيـارت حيـث شـارك فـي العديـد مـن المؤتمـرات الوطنيـة الخاصـة بالمجاهدين.

وخلال العشـرية السّوداء اندفع المجاهد عبـد القادر بـودار بـروح ثائـرة مشـاركاً في تحريـر الجزائـر مـن الاسـتعمار للتصـدي للإرهـاب الهمجـي، الـذي كان يسـتهدف أركان الدّولـة الجزائرية فحمل السّـلاح من جديـد، حيث كلف بمسـؤلية قيـادة فوج من المقاومـين الوطنييـن « باتريـوت " تابـع للقطـاع العسـكري بولايـة تيـارت مكلـف ببلدية حمادية.

وبعـد انتهـاء المهمـة التي أوكلـت إليه مـع عـودة الاسـتقرار والأمـن للوطـن، واصـل المجاهـد بـودار نضالـه لصالـح المجاهديـن وذوي الحقـوق بحماديـة، ورغـم تقدمـه فـي السّـن إلا أنـه حافـظ علـى ذاكرتـه القويـة وروحـه المرحـة وحبـه للجزائـر التـي سـال دمـه وأحـرق جـزء من جسـده مـن أجل أن يراهـا حرة، وكان دائمـا يحمـد اللـه أنـه عـاش وحقق حلمـه برؤية الجزائر مسـتقلة تنعم بالسّـلم والآمـان وتبنى بسـواعد أبنائهـا الذين قام بتربية وتدريـس ثلة منهم.

وفـي 4 مـاي 2023 التّحـق المجاهـد بـودار المدعـو حميـد بالرّفيـق الأعلـى بمنزلـه بحماديـة، بعدما عانى مـدة طويلة من المرض.

طاطة جخدان

■ عبد القادر (ابقادي) بن الحاج عبد الله قدي
(و: 1300ه - 1886م/ت: 1370ه - 1950م)

عبد القادر بن الحاج عبد الله بن عبد القادر (المدعو قدي) بن محجوب بن الطالب مسعود، ومباركة بنت الصّالح خودة المشهور ب» السّيد أبقادي». ولد بحي زاوية حينون سنة 1300هالموافق ل1886م، حسبما هو مسجل في الحالة المدنية، إلا أن الواقع يشير إلى ولادته قبل هذه التّاريخ بكثير بدليل انه كان من المتهمين بالمشاركة في الانتفاضة على فرنسا بقيادة الزّناني الحاج أحمد دحة، وكانت هذه المحاولة في سنة 1901، ليتم بعدها إعدام الحاج أحمد دحة في نفس العام. نشأ وتربى بين عدد من الأخوة الذكور والإناث.

كان والده الحاج عبد الله ميسور الحال وكان على صلة بأعيان وعلماء عصره أمثال محمد الشّريف بن محمد بن أحمد الدّولة، لالة مولاتي بنت السّيد مولاي زيدان، لالة باتي بنت مولاي محمد، محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عيسى وعلي.

حج بيت الله الحرام وكان حريصا على تعليم أبنائه، ولهذا أدخل أبناءه المدرسة القرآنية لدى السّيدة لالة مريم بنت الحاج عبد الرّحمن بن سيدي علي بن أحمد بن حمد أبي لحية الفزاري، إذ كانت رحمها الله ماهرة بالقرآن ومن كبار معلمي عصرها. أخذ عنها القرآن وسائر علوم الدّين فحفظ القرآن وضبطه ضبطا قل نظيره. شهد له بذلك كبار علماء عصره وعلى رأسهم السّيد أحمد بن مبارك بختي، وهو الذي حثه وحفزه على فتح مدرسة للتعليم القرآني بعد إجازته من معلمته.

جالس الكثير من علماء عصره، وتصدى لتدريس وتحفيظ القرآن وأهم متون التّوحيد والفقه المعتمدة في المنطقة. وكانت مدرسته من أكبر المدارس بالمنطقة حتى أنه غير مكانها أكثر من مرة لما ضاقت بالعدد الكبير من التّلاميذ.

كان يكسب رحمه الله قوته من عمل يده إذ كان يدرس لوجه الله؛ ولهذا اشتغل بالفلاحة وصناعة الطوب وبعض الأدوات الخشبية. وكان زاهدا في الدّنيا ورعا تقيا محبا لتلامذته خاصة النّجباء منهم ويسأل عنهم عند غيابهم، جم التّواضع حريصا على أداء كل الصّلوات في المسجد؛ حيث كانبالإضافة إلى تعليمه القرآن الكريم مؤذنا بمسجد العرب بحي زاوية حينون (أنس بن مالك حاليا).

عايش رحمه الله دخول الفرنسيين إلى المنطقة سنة 1900م، فلم يكن مرتاحا لذلك فتم الاتصال بين أعيان حيه(زاوية حينون) بقيادة الزّناني الحاج أحمد دحة قصد التّحضير لعمل يمكنهم من تحرير المدينة، بعد انكسار المقاومة في الدّغامشة بعين صالح وإنغر، إلا أن عيون الوشاية كانت لهم بالمرصاد فأخمد سعيهم في مهده وأعدم الزّناني الحاج أحمد وتعرض الباقي للضرب والتّعذيب ومنهم السّيد ابقادي، حتى أنه من شدة التّعذيب صار أعرجا، إلا أنه لم يستعطف ولم يسترحم وكان يردد قوله تعالى: « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»، "لا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم".

وفي آخر حياته، وعند اشتداد المرض عليه لازم المسجد ولم يغادره إلا محمولا إلى بيته. توفي يوم الأربعاء 13 ديسمبر 1950 الموافق ل03 من ربيع الأول سنة 1370 ه، فكان يوما مشهودا. وحضر جنازته جمع غفير من النّاس.

ترك السّيد ابقادي وراءه جيلا من حفظة القرآن والمشتغلين به، واستمرت مدرسته في العطاء بعد ذلك، ولازالتّ قائمة إلى اليوم تداول على التّدريس فيها أبناؤه واحفاده. أجزل الله ثوابه وأعلى درجته مع الصّديقين والأبرار.

عبد المجيد قدي

المصادر:
- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، موسوعة أعلام الجزائر1830-1954.
- مقلاتي عبد الله، جعفري مبارك، معجم أعلام توات، الجزائر: دار السّبيل، 2013.

■ عبد القادر (ابقدور) بن عبد الرّحمن بن عبد الكريم
(و: 1338ه - 1920م/ت: 1413ه - 1993م)

هو السّيد بن عبد الكريم عبد القادر المدعو «باقدور» ابن عبد الرّحمان والسّيدة الفاضلة عبد الدّائم جمعة. ولد سنة 1920م بمدينة تيط ونشأ بها. بدأ تعلمه القرآن الكريم ومبادئ الدّين الاسلامي على يد شيخه المرحوم بوسليم الطالب سيدي مَحمد، أين استظهر القرآن الكريم وعمره لا يتجاوز الثّانية عشر. ودرس بنفس المدرسة المتون الفقهية المتداولة بالمنطقة ويشهد له أقرانه بالذكاء الفائق وقوة الذاكرة؛ حيث كان يكفيه أن يراجع لوحته مرتين أو ثلاث ليحفظ جميع محتواها.

نشأ في أسرة ميسورة الحال، فكان أبوه من كبار ملاك قريته، متصفا بالجود والكرم وإصلاح ذات البين. وهو منشئ دار «الضّيافة» المعروفة «بالكوري» التي كانت تستقبل الزّوار والوافدين إلى القرية، والتّي كانت بالماضي القريب بمثابة زاوية حقيقية تأوي وتطعم الوافدين إليها من كل حدب وصوب وبدون تمييز ولا محاباة باستمرار وبدون انقطاع ولا إخلال. واستمرت هذه الدّار حتى بعد وفاة صاحبها ليخلفه في ذلك ابنه عبد القادر، الذي واصل المسيرة على درب أبيه بكل أمانة. فكانت هذه الدّار بالإضافة إلى دورها الإكرامي، تعتبر مكانا لفك الخصومات وإنصاف النّاس بعضهم من بعض.

وبالرّغم من نشأته الميسورة إلا أن الاعتماد على النّفس كان شعاره في الحياة، ولهذا مارس السّيد عبد القادر حرفا كثيرة كانت متداولة، منها حفر الآبار للفقارة والمشاركة في بنائها... إلخ. وتمكن السّيد

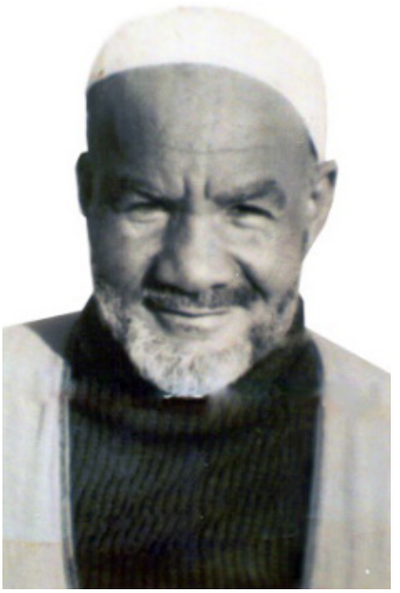

عبد القادر من تنمية الثّروة التي ورثها عن أبيه، بفتحه المتاجر بأولف والسّودان (مالي حاليا)، تربية الإبل والماشية. وفرض عليه هذا المسار الجديد مداومة الأسفار والتّجوال، إلى أن استقر في السّودان أواخر 1960م حيث التّقى بالمجاهدين سي محمد مساعديه، سي عبد الله بلهوشات، سي أحمد دراية وغيرهم حين جاؤوا لتأسيس المنطقة الجنوبية للثورة الجزائرية، مواصلا بذلك مسيرته في دعم الثّورة التي كان قد التّحق بها منذ سنة 1957م. ونظرا لما لمسوه فيه من إخلاص ومستوى اجتماعي معتبرين، ألحقوه بخلية التّنظيم والتّجديد حيث اختير عضوا في المجلس الاجتماعي للثورة.

وما لبث أن تبين له أن الإمكانيات المادية للتنظيم ضئيلة جدا وفي حاجة ماسة وضرورية إلى الدّعم، فطلب من القيادة منحه إجازة لا تتجاوز عشرين يوما من أجل الدّخول للجزائر لأمر ضروري. ولم يظل بتيط أكثر من أسبوع واحد حيث جمع من النّقود ما يكفيه لشراء سيارة جديدة من نوع 403 نفعية وطلب من ابن عمه محمد طبق أن يسمح لابنه محمد سيدي علي، الذي كان آنذاك من الشّبان القلائل الذين لديهم رخصة السّياقة، ليوصله إلى السّودان. وقدمت هذه السّيارة «ال403 باشي»، خدمة جليلة للثورة؛ حيث بها تسنى للقيادة التّنقل والتّجوال عبر أودية وصحاري «منطقة أدغاغ إفوغاس بمالي، l'Adrar des Iforas" للبحث عن الرّعايا الجزائريين قصد تعبئتهم لصالح الثّورة وحث شبانهم إلى الانضمام للجيش. كما قامت بأداء مهام أخرى كنقل الجنود، البضائع وحتى الأسلحة بين المدن من غاو إلى تسليت. وكان يستخدم التّمويه في نقل الأسلحة بوضعها في القرب وأوعية اللحم. ويستخدم التّمويه أيضا في نقل الجنود والبضائع. ولقد قدمت هذه السّيارة مرة محملة بالأسلحة إلى غاية تيط سنة 1961م، لتنطلق منها لتصل إلى نقطة معينة على الحدود الجزائرية المالية، حيث كانت تنتظرها القافلة.

ولم تقتصر مساهمته في الثّورة الجزائرية على السّيارة فحسب بل كانت له مساهمات أخرى عديدة ومتنوعة: جمال، أمتعة، مواد غذائية، نقود وغيرها، بالإضافة إلى تجنيد شبان عائلته، من بينهم ابنه محمد وابن أخيه أحمد وآخرون من أبناء تيط.

وهكذا ظل مواصلا نضاله وجهاده إلى غاية وقف إطلاق النّار في مارس 1962م، حيث عاد إلى

أرض الوطن بتكليف من القيادة الثّورية للمساهمة في التّنظيم عبر تراب منطقة تيدكلت في الفترة الممتدة من وقف إطلاق النّار إلى غاية 5 جولية 1962م، تاريخ اعلان الاستقلال. وبعد الاستقلال لم يقبل تولى أي مسؤولية رسمية، ولكن كانت له يد ورأي في التّعيينات والتّرشيحات.

لقد عاش في جو اجتماعي مليء بالاحتكاك بالغير، مما ساعده في نسج علاقات واسعة مع أعيان وعلماء المناطق المجاورة. فقد كان يرسل بالأسئلة إلى الشّيخ العلامة مولاي أحمد الطاهر الادريسي قصد الاجابة عليها. وهكذا كان يجل أهل العلم ويبادلونه التّقدير مثل العالم الكبير»علي العريبي» من علماء كيدال بمالي الذي زاره وأقام عنده بتيط خلال سنة 1969 لمدة تفوق الشّهر. وفي هذه الفترة كان الجفاف قد ضرب دولة مالي. وعمل السّيد عبد القادر على إبقائه في تيط، إلا أن السّيد علي لعريبي رد على ذلك بأن صحراء مالي قد هاجر منها فقهاؤها بسبب الجفاف، وأن تخلفه يدفع العامة إلى اللجوء إلى المحاكم العلمانية، ولهم عذرهم في ذلك بسبب فقدان العلماء؛ فاقتنع بالإجابة ولم يلح عليه بالبقاء.

ولقد عمل على استغلال هذه العلاقات في استقدام العلماء والفقهاء إلى تيط، وحرص على جلب الشّيخ بوسليم سيدي حمادو، الذي كان بعين صالح عارضا عليه ضعف ما كان يتقاضاه هناك مع العزف لديه على وتر الانتماء لتيط، وكون المجتمع التّيطي في أمس الحاجة إليه.

وفي آخر عمره، قل الضّيوف والزّوار، فكانت كثيرا ما تظهر عليه الكآبة والتّذمر إذا مر يوم بدون أن يحل بمنزله ضيف، مع أنه من النّادر أن يتناول يوما طعامه لوحده. وكان بيته بالنّسبة لمدينة تيط بمثابة الملتقى الجامع، فهو ولي من لا ولي له وعائل الفقراء والمساكين. وكان يشغل أوقات فراغه بمطالعة الكتب مما أكسبه ثقافة واسعة وإدراكا لشتى فنون المعرفة. واستمر على هذا النّهج في الحياة إلى أن وافته المنية رحمه الله ليلة الجمعة إلى السّبت في فاتح ماي 1993. فرحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته.

قدي عبد المجيد

■ عبد الكريم الطّرفاوي البيضي
(1333ه - 1914م/1399ه - 1978م)

محمد بن بوعلام بن عبد الكريم من اولاد عبد الكريم المنتمية لمنطقة البيض ولد عام 1914م بأولاد عبد الكريم.

ادخله ابوه بوعلام الكتّاب عندما بلغ السادسة من عمره ن حيث تعلم مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن، كان قوي الحافظة والنشاط.

بعد ثلاث سنوات قضاها بتلمسان التحق بجامعة القرويين لاكمال دراسته اللغوية والدينية فكانت ميوله نحو التاريخ وعلم الانساب، وبعد عودته الى ارض الوطن بعد عشر سنوات قضاها بفاس عاد الى مسقط رأسه البيض اذ فتح مدرسة لابناء منطقته.

شيوخه:

- الشيخ المهدي البوعبدلي البطيوي
- الشيخ غبد القادر الياجوري

كما كان له علاقة وطيدة بالشيخ اطفيش، توفيق المدني، المبارك الميلي والكثير من علماء بجاية.

قصده تلاميذ من كل حدب وصوب منهم احمد طالب الابراهيمي

كتبه المفقودة:

- كتاب قبائل جبال كسال البيض
- بعض الشروحات
- شرح كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى للشيخ احمد بن خالد الناصر السلاوي
- شرح المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت770ه)

كتبه الموجودة:

- كتال تمتع الطرف في علم الصرف: يضم موضوعات صرفية تيسيرا للمادة للطلبة المبتدئين.
- بعض الرسائل المتعلقة بالتاريخ: منها رسالة عثمان باشا المولى محمد الشريف العلوي وقصيدة رثاء بعثها العلامة محمد ادريس الفارسي للمولى سلمان العلوي.

– بعض الكتابات الادبية واللغوية
– كراسة كبيرة الحجم جمع فيه ملخصات مختلف الفنون الادبيةز اللغوية مت بلاغة ونحو وتفسير وتاريخ

توفي يوم 18 نوفمبر1978م ودفن بمقبرة وسط مدينة تيارت.

بن الدين يخولة

■ عبد الكريم هالي
(و: 1348ه1930-م/ت: 1348ه1957-م)

الشّيخ عبد الكريم بن العزوزي بن مبارك ابن سالم بن البي الملقب بلقب عائلته هالي ومن المعلوم أن عائلة هالي تنسب إلى عرش (قبيلة) أولاد بوعافية أحد العروش الكبرى المشكلة للنسيج السّكاني بالبلدة.

ولد صاحب التّرجمة ببلدة قمار خلال سنة 1930م، وبمسقط رأسه نشأ وترعرع في أحضان عائلته الكريمة.

أما حياته التّعليمية والعلمية والدّراسية فحسب المصادر والمراجع التّاريخية كانت على النّحو التّالي:

التّعليم القرآني: فقد تعلم كتاب الله تعالى ومبادئ اللغة العربية على يدّ العديد من المشايخ نذكر منهم الشّيخ العيد نصري في كُتّاب مسجد سيدي إبراهيم.

التّعليم العربي: كما زاول تعليمه لبقية العلوم العربية والشّرعية بمدرسة النّجاح على يدّ الشّيخ سي محمّد البرية (زبيري) وعلى يد مشايخ آخرين من خلال حضوره لحلقات التّدريس.

التّعليم النّظامي الرّسمي: تلقى تعليمه باللغة الفرنسية بالمدرسة الفرنسية الموجودة بالبلدة (رضا حوحو حاليا).

التّعليم الزّيتوني: بعد هذه المرحلة الأولية من التّعليم شد الرّحال إلى قلعة العلم والعلماء بالشّمال الأفريقي جامع الزّيتونة المعمور رفقة زميله وصديقه الشّهيد السّعيد عبد الحي وبقي في هذه القلعة العلمية ينهل من الينبوع الصّافي للعلوم.

للمترجَم له العديد من الأنشطة النّضالية من خلال انخراطه في صفوف حزب الشّعب ونسبة لأفكاره الاستقلالية منذ نعومة أظافره وبحكم نشأته في بيت علم، فأبوه عمل خوجة (نائب) بقمار وعمه سي لخضر كان تاجرا كبيرا ذهابا وإيابا بين قمار وبسكرة، وكلهم مثقفون بالثّقافتين العربية والفرنسية وكان مطالعا للصحف والمجلات ومتابعا للأخبار. في هذا الجو نشأ عبد الكريم وشارك في العديد من التّنظيمات على غرار جمعية الطّلبة الزّيتونيين.

عند اندلاع الثّورة التّحريرية كان من الأوائل الذين التّحقوا بها رفقة صديقه وزميله السّعيد عبد الحي حيث كان ضمن الطّلائع الأولى في منطقة الولاية الأولى الاوراس تحت قيادة الشّهيد مصطفى بن بولعيد وشارك في العديد من المعارك أبرز من خلالها قدرة فائقة وبطولة، لذا اختارته القيادة أن يكون مسؤولا خارج التّراب الوطني لتمويل الثّورة وفعلا تم تعيينه رفقة زميله السّعيد عبد الحي على جهاز التّنظيم الثّوري بتونس وقام هذا التّنظيم بمد الثّورة بقوافل من الأسلحة والمؤونة من مصر وليبيا إلى داخل التّراب الوطني كل هذا تحت إشراف القائدين عبد الكريم هالي والسّعيد عبد الحي إلخ.

استشهد عبد الكريم هالي والسّعيد عبد الحي وعباس لغرور وآخرون في 1957م في حوادث مؤلمة رحمهم الله تعالى جميعا.

بشير خلّف

■ عبد الله (محمّد عبد الله) الفزاري
(ت: 1294ه - 1877م)

هو عبد الله (محمّد عبد الله) بن الحاج عبد الرّحمن بن سيد علي بن أحمد بن حمد أبي لحية بن محمّد بن علي بن عبد الرّحمن بن يوسف بن عبد القادر بن عبد الحميد الفزاري، وابن السّيدة خديجة بنت أحمد بنعمر. لم نعثر على تاريخ ميلاده ولا وفاته، إلا أنه يرجح أن ولادته كانت في بدايات النّصف الثّاني من القرن الثّالثّ عشر الهجري. ينحدر من عائلة تقيم في زاوية حينون بمنطقة تدعى أولاد موسى، كانت محطة للوفود العابرة للجهة. فلقد كان السّيد عبد الرّحمن بن عمر التّينلاني في ضيافة جده سيد على أثناء زيارته لأولف في رحلته إلى الحجاز التي ابتدأها من قصر تينلان يوم الجمعة 10 جمادى الثّانية 1188هووصل فيها إلى مكة المحروسة يوم الأربعاء 07 ذي الحجة 1188 ه.

كان أبوه الحاج عبد الرّحمان رجل علم ومولعا بجمع الكتب، إذ ضمت مكتبته جزءا من مكتبة العلامة محمّد بن أبَ. وكانت أخته لالة مريم ضالعة في القرآن؛ إذ كانت لها مدرسة تخرج منها أهم حفظة القرآن في عصرها.

تعلم محمّد عبد الله على يدّ أبيه وبعض العلماء البارزين، وجال في بعض بلاد الدّنيا منها بلاد السّودان الغربي. كان واسع الصّلات مع علماء عصره؛ أمثال محمّد عبد الكريم بن التّقي التّينلاني المدرس بزاوية شيخ الرّكب النّبوي.

كانت له مكتبة ضخمة -منها جزء من مكتبة أبي الأنوار- استفاد منها الكثير من معاصريه عن طريق الاعارة فلقد خط وثيقة باسماء بعضهم كالسّيد موسى بن محمّد الطّيب، الطّالب أحمد بن محمّد بن حمد، محمّد عبد القادر بن الشّيخ سيدي محمّد، الطّالب أبي القاسم من عين صالح.

كان رحمه الله ضليعا في علوم الفقه والحديث، له فتاوي ونوازل عديدة، ترك مكتبة ضخمة من المخطوطات. من آثاره المعروفة منظومة في صناعة الشّاي مطلعها:

الحمد لله الذي بفضله
حل لنا الشّراب من حلاله
وحرم المسكر من شراب
وما يضاهيه بلا ارتياب
مصليا على النّبي اليثربي
الهاشمي القرشي العربي
وآله وصحبه الأطهار
ورضي الله عن الأنصار
وبعد فالعون من الله الكريم
في نظم أبيات لمشرب النّعيم
وقلت طالبا من الوهاب
العون والتّوفيق في الأسباب
وغيرها من كل ما يراه
لائقا بالحال فلا يخفاه
فانه سبحانه قد انعما
علينا بالحلال حيث حرما
علينا كل مسكر من الحرام
ومشروب ومن خبائث الطّعام
والخمر والميسر والأنصاب
رجس وفي استعمالهم عذاب
أتى بذاك النّص في العقود
نصا جليا واضحا مشهود
وقد أتى في سورة الأعراف
ما فيه تفصيل بلا خلاف
وهذا منه منة على العباد
سبحانه جل عن تحليل الفساد

وله قصيدة بالشّعر الملحون في تعليم قواعد الاسلام والعقائد تضمنت الضّروري من علوم الدّين لتقريبه من العامة بلغة يفهمونها، منها هذه الأبيات:

الدّين على ثلاث اقسام
ليمان واحسان واسلام
نبهو عليه اشيوخ اعلام
وأنا نظمت بلساني
للي بغى في التّعلام
رجال قاع ونسواني
الايمان تومن بالاله
واملوك واكتاب تقراه
ورسول ربي ليهم جاه
غدا عند الميزاني
واليوم الآخر بحماه
تسعار فيه النّيراني
الايمان واجب بالخوان
بجميع قدر الرّحمان
صراط والميزان أقران
كذاك جنة رضواني
طلبي الحنان المنان
تعود لي والجيراني
الاحسان تعبد مولانا
باعبادتك لي باعياني

لقد خلّف محمّد عبد الله ابنه أحمد محمود المولود يوم الاثنين 20 محرم 1294ه الموافق 04 فيفري 1877م، الذي انتقل إلى بلدة عجاجة بورگلة ليدرس هناك، إلا أنه تعرض للقتل على يدّ بعض قطاع الطّرق. وهكذا لم يقيض لتراث السّيد محمّد عبد الله من يوليه الاهتمام الواسع فضاع منه الكثير، رحمه الله رحمة واسعة.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار البحاث للترجمة والنّشر والتّوزيع، 2007.

■ عبد الله القرطبي
(ت:636ه - 1238م)

هـو الفقيـه الكاتـب الأديب أبـو محمد عبـد الله بـن عبد الله، بـن تميم الحضري، القرطبـي، نشـأ بتونـس وتوفـى بقسـنطينة، نـذر نفسـه للتدريـس والروايّـة، قـرأ عليـه العالـم الكبير أبـو عبد اللـه التميمي وغيره كثيـر، ويذكـر التميمـي أنـه قرأ عليه شـرح مقامـات الحريـري وكان فـي عالم الأدب والشـعر موئـلاً لـكل طالـب علـم وكان فـي بجايّة فـي عهد السـيد بن عمـران، من بنـي عبد المؤمن، وكان يشـرف على سـنن العدل....

ولمـا أخـذت البلاد مـن يد (السـيد بن عمـر (وخضعت بجاية وبعـض المدن إلى سـيطرة (ابـن غانيّـة(الموالـين للمرابطين إلـى أن تسـتعاد بجايّـة 583 ه وأخـذت حاشـيته معـه وكان الفقيـه (القرطبـي) من جملة المعتقلين.

يذكـر الغبرينـي قصته عـن عبـد الله بن نعيـم الحضرمـي القرطبي كيف فّك أسـره وأطلق صراحه، وقد كانـوا مقيّدين، فأكرم اللـه وأحسـن إليه وأطلق سـراحه، بسـبب تخميسـه «للجيميّة'' عند دخوله المسـجد، وهي للشـيخ أبي الفضل بن النحوي رحمه الله (المتوفى 513 ه)

وتعـرف هـذه الجيميّـة (بالمنفرجـة) وهذا تخميسه لها:

لابُد لضِيق من فرجٍ والصبرُ مطيّةُ كل
شجٍ وبِدعوة أَحْمَدَ فَابتَهِج
إِشتدّي أزمةُ تنفرجي قد آذَنَ لَيلُكِ بالبَلَجِ
يَانَفسُ رُويدَكِ لا حرَجٌ وثِقى بالله عسى
فرج وكذا ما ضاق له فرجٌ
وظلام الليل له سُرُجٌ حتى يغشاه أبو
السّرُج
فلكلِ محاولة قدرٌ وقضى لايدفعه حذرٌ
ورجوعك عن هذا غررُ

***

وسحاب الخير له مطرٌ فإذا جاء الإبَّانُ
تَجِي
في لطف الله لنا أمل لا يدني مطلبة
عجل ولكل محاولة أجل
وفوائد مولانا جُمَلٌ لسُروج الأنفسِ
والمُهَجِ
ما إن خلق الإنسان سدى والعقل يذاك
لنا شهدا وإذا هبت أرواح هدى
ولها أَرَجٌ مُحْيٍ أبدا فَافْصِد مَحْيَا ذَاكَ
الأرَجِ
و تلاف ـهديت – حيا حيا إن أنت
ظفرت به تحي واقصد بالجد لما أحيا
فَلَرُبَّمَا فَاضَ المَحْيَا بِبُحورِ المَوْجِ من
اللُّجَجِ
فعليك بصافي مورده لتكون الفائز في
غده والله مصرف مقصده
والخلق جميعا في يده فَذَوُ سَعَةٍ وذَوُ
حَرَجِ
خطت في اللوح جموعهم وأصولهم
وفروعهم ونزيلهم ورفيعهم
ونُزولُهُمُ وطُلوعُهُمُ فإلى دَرَكٍ وعلى
دَرَجِ
قد حاز الخير مراقبهم ونجا في آلحشر
مصادقهم واستقلت فيه مناقبهم
ومعايِشُهُم وعَواقِبُهُم ليست في المَشْيِ
على عِوَجِ
فهناك معاني قد كتمت ولقد كشفت حتى
فهمت لعقول خافيّة صافيّة سلمت
حِكَمٌ نُسِجَتْ بِيَدٍ حَكَمَتْ ثم انتسجَت
بالمُنْتَسِجِ
وانظر لامور قد وشجت لما مزجت ثم
امتزجت وبأول عنصرها لهجت
فإذا اقْتَصَدَت ثم انْعَرَجَت فبمُقْتَصِدٍ
وبمُنْعَرِجِ

***

لايصحب ذا علم لجج والعلم تفيض له
لجج فلكم مرة لهم حجج
شَهِدَت بعجائِبها حُجَجٌ قامت بالأمر
على الحُجَجِ
تفويضك للرحمن رجا كم جاء صباح
بعددجا ويكون الصّبر له درجا
ورِضًا بقضاء الله حِجَا فعلى مَرْكوزَتِها
فَعُجِ
فتحرب ما تلقي رشدا لا يمضي عمرك
عنك سدي وأقطع أيامك مجتهدا
فإذا انفتحت أبوابُ هُدَى فاعجل
بخزائنها ولِجِ
وتلق بعزم رايتها واقرأ وتدبر آيتها فلعلك
تبلغ غايتها
وإذا حاوَلْتَ نِهايتَها فاحذَرْ إِذْ ذَاك من
العَرَجِ
لا تلف لعين الدين قذى فتكون بظهر
منتبذا فاصدع بالحق إذا نفذا
لتكون من السّبّاقِ إذا ما جِئْتَ إلى تلك
الفُرُجِ
قامت في العالم حجته وبدت للخلق
محجته فإذا انفتحت لك فرجته
فهناك العَيْشُ وبَهجَتُهُ فَبِمُبتهِجٍ وبمُنْتَهِجِ
طوبى لنفوس قد سعدت فعلت وز گت
لمازهدت فاتهم آمالك إن فقدت
فَهِجِ الأعمال إذا رَكَدَتْ وإذا ما هِجْتَ
إِذَن تَهِجِ
ظلمات النفس محاجتها احذر تغشاك
لجاجتها فتغشي النور زجاج تها
ومعاصي الله سَمَاجَتُهَا تَزدانُ لذي
الخُلقِ السّمِجِ
فحذارتهم بساحتها فتكون رهينة راحتها
والله من براحتها
ولِطاعَتِه وصَبَاحَتِها أنوارُ صبَاحٍ مُنْبَلِجِ

***

لا تقرب أمرا مشتبها ودع الدنيا لتقلبها
واضرب عن لذة مشربها
من يخْطو بحُورَ الخُلْدِ بِها يَحظَى بالحُور
وبالفَنَجِ
فاجعل مهر ا لحور أرقا بقيام الليل وزد
فرقا واسلك بالجد لها بالطرقا
فكُنِ المَرْضِيَ لهَا بِتُقاً تَرْضَاهُ غَداً وتَكونَ
نَجِي
بلج الأنوار على نفذ فلها عوذ أسنى
العوذ وتحر مقالة كل بذي
واشرب تَسْنِيمَ مُفَجِّرِها لا مُمْتَزِجًا
وبمُمْتَزِجِ

تأخير التوبة آفتها وتميت القلب سلتفتها
وحياة النفس مخافتها
وصلاة الليل مسافَتُها فاذهَبْ فيها بالفَهْمِ
وجِي
فإذا أبصرت مبانيها فانظر إذ ذاك معانيها
واذكر بالفكر غوانيها
وتأمَّلَها ومعانِيها تَأْتِي الفِردوسَ وتَبْتَهِجِ
متى ما فزت بمنظرها فاشتنشق ريح
معطرها وأعجب لجمال معصفرها
وتأمَّلَها ومعانِيها تَأْتِي الفِردوسَ وتَبْتَهِجِ
أنفاسك قد ذهبت صعدا وذنوبك لا
تحصى عددا فبجيوش العقل اجعل مددا
مُدِحَ العَقلُ الآتِيهِ هُدًى وهَوَى المُتَوَلِّ
عنه هُجِي
الهوى أسبتك عضاضته وظننت تقيك
مفاضته حتى عضتك مضاضته
وكتاب الله رِيَاضَتُهُ لِعُقُولِ النَّاسِ
بِمُنْدَرِجِ
فالخلق جرت عاداتهم يدعون بهم
ساداتهم وهم في الحشر لذاتهم؟
وخِيارُ الخَلْقِ هُدَاتُهُمُ وسِوَاهُمْ من هَمَجِ
الهَمَجِ
خذها من قول من احتفلا ودعا
لنصيحتها الجبلا واحذر من نجمك إن
أفلا
فإذا كنت المِقْدَامَ فَلا تَجْزَعْ في الحَرَبِ
من الرّهَجِ
دع عنك أخا يبدي لددا أجرى في الغي
لغير مدى واصحب من فاز ومن رشدا
وإذا أبْصَرْتَ مَنَارَ هُدَى فاظْهَر فَرْدًا فَوْقَ
الثَّبَجِ
***
بأبي نفسي لما انفردت فعلى الرّحمن قد
اعتمدت وحداها الشّوق لما قصدت
وإذا اشْتَاقَت نفسٌ وَجَدت *** ألَمًا
بالشَّوقِ المُعْتَلِجِ
أيام العمر مماحكت وثغور الحق
ضاحكه ولياليِ الغفلة حالكة
وثَنَايَا الحَسْنا ضَاحِكةٌ وَتَمَامُ الضّحْكِ
على الفَلَجِ
أعلام الذين قد ارتفعت ونجوم العلم به
طلعت وحمام الموت لنا سجعت
وغِيابُ الأسْرارِ اجْتَمَعَتْ بأمانتِها تحت
السّرُجِ
العجب يطيش براكبه فتجنب ذروة غار
به والصبر عليك بلا حبه
والرّفْقُ يدوم لصاحِبِهِ والخِرْقُ يَصِير إلى
الهَرَجِ
فاصدع للإهك بالحمد فيما تخفيه وما
تبدي فلقد أدْكى سرج السعد
صَلَواتُ اللهِ على المَهْدِي الهادي الناس
إلى النَّهْجِ
وعلى السادات وعشرته وعلى الأنصار
وعشرته وعلى من فاز بعشرته
وأبي بكرٍ في سيرَتِه ولِسانِ مقالتِه اللَّهِجِ
ومن اسهتدى بإمامته وغدا في ظل
غمامته وجنى من زهر كماماته
وأبي حَفْصٍ وكرامتِهِ في قِصَّةِ سَارِيَة
الخَلَجِ
وعلى من جاء على بين يبغي الإسلام
بلامين خوفا من غاشيّة الحين
***
وأبي عَمْرٍ ذي النُّورَيْنِ المُسْتَهْدِ
المُسْتَحْيِ البَهِجِ
وعلى من بمقالتهم أخذا وتحامي الهدى
حين حذا ومعالي نثرته نبذا
وأبي حَسَنٍ في العِلْمِ إذَا وَافَى بسَحائِبِه
الخَلَجِ

وألحق بهذه القصيدة وصيته كما يذكرها الغبريني في عنوانه:

" بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمد لله الحفيظ، هذا ما اودع العبد يوسف الرّب الذي خلق الأشياء، ورزق الأحياء، وملك العالمين، وحفظ السماوات والأرضين أودعه جميع ولد أبيه وأهله أبيه وأهل أخيه، وجميع ما حولهما من نعمة، وملكهما من قسمه، ظاهرا وباطنا، وصير ذلك إلى أمانته، وأسلمه إلى رعايته."

واستحفظه في ذلك كله، وتبرأ إليه من حوله وقوته، ولم يرج سوى فضله وطوله، هو الحفيظ الذي لا يهمل، الوكيل الذي لا يغفل الجواد الذي لا يبخل، الأول الذي ينعم ويتطول، هو الأخير الذي لا يزال ولا يتحول.....

أسأل الله أتم الصّلاة وأزكاها وأعمّ البركة وأنماها لرسوله محمدا المصطفى وآله وسلم تسليما».

سعيد بحري

■ عبد الله بن البركة بليلة
(و: 1315ه - 1898م/ت: 1404ه - 1984م)

السّيد عبد الله بن البركة بن محمّد بليلة. ولد سنة 1898م بزاوية حينون بأولف من أبيه البركة بن محمّد بليلة وأمه مباركة بنت حميدة صفرة بوشنة من بين إخوته محمّد، عبد السّلام، عبد الرّحمن، حبارك، الزّهرة، مباركة، فاطمة، عائشة ومريم.

تعلم القرآن بمسقط رأسه وأتقنه حفظا، وتعلم مهنة الخرازة كوسيلة لكسب العيش. وانتقل في سن مبكرة إلى مدينة تيميمون طلبا للعيش تاركا وراءه أبناءه الكبار بمدينة أولف.

امتهن الخرازة في تيميمون بالتّوازي مع تدريسه القرآن الكريم للأطفال وكان معروفا لديهم ب»الدّا بليلة». من الذين أخذوا عنه هناك، كبير الحاج محمّد،

وأقاسم قادة بوراس. وكان من عمار بيت الله وأركانه مواظبا على حضور قراءة الحزب اليومي مستخلّفا الإمام عند غيابه. انتقل إليه ابنه الأكبر محمّد هناك وعمره سبعة عشر عاما ومكث معه سبع سنين ليغادر تيميمون باحثا عن الرّزق في مختلف البلاد حتى دخل تونس ومنها توجه إلى فرنسا.

ولإتقانه حرفة الخرازة تعلم على يديه الكثير من محترفيها لاحقا بتيميمون. وبعد إقامته بتيميمون ما يزيد عن الثّلاثين عاما استولى عليه الشّوق والحنين إلى مسقط رأسه فرجع قافلا إليها طالبا من ابنه الأكبر أن يعود بدوره إلى أولف ليساعده على تربية إخوته، خاصّة بعد أن تزوج بتيميمون من إمرأة أخرى وأصبح له معها عدد من الأبناء.

ولما عاد إلى أولف كان العمر قد تقدم به، إلا أنه رغم ذلك ظل مواظبا على المسجد. وأصبح من أركان مسجد المرابطين بزاوية حينون (أبي سعيد الخدري حاليا)، بل كان هو العمدة والمرجع خاصّة في حفظ القرآن وضبطه، وقراءة المتون المتداولة في المنطقة. وكان موضع احترام وتقدير لما يتحلى به من نبل وسمو أخلاق ورفعة نفس. واستمر في قيادة النّاس في قراءة الحزب اليومي والمتون، والسّهر على متابعة القراء أثناء قيامهم بالنّاس، في ليلة القدر خاصة، إلى أن أعياه البصر وصعبت عليه الحركة فنصحه محبوه بضرورة الرّفق بنفسه.

كان رحمه الله واسع الاطلاع عميق المعرفة، شأنه في ذلك شأن بعض إخوته خاصّة عبد السّلام الذي توفي بمدينة متليلي أين كان يعلم ويدرس. ومكنته سعة ثقافته وكثرة اطلاعه من نظم الشّعر الذي كان في معظمه في مدح المصطفى أو في تخليد المناسبات أو الإشادة ببعض النّاس. ولم يشتهر عنه قول الشّعر إلا بعد عودته من تيميمون، فوظف فيه خبرته ومعرفته.

من أهم قصائده المعروفة قصيدة «يا الزّائر في مكة» التي يقول في مطلعها:

يا الزّاير في مكة ادي سلامي للنبي المداني

رسول الله بو فاطمة العربي زين التّشباح

نبدا بسم المولى الكريم سيدي قادر يغنيني

علقت جدايا فيه اللي تعلق بالله ما طاح

داير عندو اليقين والصّبر أنا يكفيني

سيدي رب معلوم بالخفا داك الفتاح

كان طلبت في كل وقت ما عز ما يعطيني

عندو الارزاق باسطين ما يغلقهم مفتاح

طايح بالله والصّالحين متقدم بالرّڤاني

تلقى في بلادو روضتين ومقامات في الابطاح

وجوامع مع غندورين دونهم صبيان ونسوان

ونبغي زورة في تعراب في قرى ناس الصّلاح

إلى أن وصل إلى:

دار الطّالب علي شيوخنا تم فهمت اديالي

حرمة الله والصّالحين طيب لي الكلام

دار الطّالب مسعود ناس حينون اللي زرتوني

كان ابخلتوا هاد العبيد راه عنكم براح

وادخل للقصبه دار سيد الدّولة راحة الابداني

والشّرفا عند تم يا المولى عندو براح

بارك لي في اعمرها أو في رزقها أو عافي البداني

طايح بين الصّبيان اللي تقراهم في الألواح

نختم هاد المدحة على النّبي محمّد سلطاني

هو واجميع خلافتو اللي عند الله صحاح

تغفر لي والوالدّين والنّاس اللي سمعوني

واخوتي واحباب والمسلمين أهل الفصاح

ولد البركة عينوه داك عبد الله لا يلتاح

وهي قصيدة طويلة سارت بها الرّكبان، خلد فيها علماء المنطقة وأولياءها شيخا شيخا مثل الرّڤاني، سيد المخفي، مولاي عمر البريشي، الطّالب مسعود، المغيلي، سليمان بن علي، الطّالب علي بختي، السّيد أبو الأنوار... وهي من أكثر القصائد انتشارا وتداولا بالمنطقة. وكسائر المسلمين في تعلقهم بالحج وشوقهم لأداء هذه الشّعيرة، تحركت لديه ملكة القريض يرجو التّعلق بأهداب الكعبة وزيارة قبر المصطفى، فقال:

صلوا على النّبي يا جميع الحضار

نبغي ليه زورة يجعلها لينا في القسم

زينة وصافية حق اسمك العظيم الأعظم

صلوا عليه قد عجاج وغبار وساحي ولى مغيم

صلوا عليه قد عدد الأوراق ونبات ولى مبسم

صلوا عليه قد عدد الأطيار وعدد من حمام برقم

من صاب ليه غادي في جيش غوار

ورفاق زين منعم

وفي مدحه للمصطفي يقول أيضا:

صلوا على محمّد سلطاني

وألفماية سلام

على النّبي المختار عليه

سلام ديمة ما طال زماني

شدوها يا عاشقين يا حضار

ما دمت حي وانا ننطق بلساني

ويقول في مدح خاله عبد الرّحمن بن احميدة بن النّاجم بوشنة:

سمعوا فعايل البراني ياتي شيطاني

عبد الرّحمن بن حميدة باين تفناني

يبغي الدّم ما هو ضرب الحيواني

وينيف عليه بدراعو ونتاعو

ويبغوه كامل رجال ونسواني

سمع لغيه خالي جاني

اداني لداروا فارح شرهاني

عطاني عباية قلب شطرواني

ومعجب لون بملف وستان

وعطاني شاش تباني

وعطاني قمح من كل الألوان

هو وخوه عبد الله غير قراني

وفيتو براح ودانا
وابيض تقول عربي ما هو حرطاني
ودار ثانية في زقاق احرطاني
حمارتو سمينة كيف شيهاني

ولـه قصائـد كثيـرة تـدل كلها علـى روح سـامية وأخـلاق عاليـة واعتـراف بالفضـل لأصحابـه، تشـبعت بـروح القـرآن وأخلاق الاسلام. توفي رحمه الله في 29 يناير 1984م

فتقبلـه اللـه في الخالدّيـن وأجـزل ثوابه بين الصّالحين.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للترجمة والنّشر والتّوزيع، 2007.
- عبد الله بن عبد الرّحمن أبولحية الفزاري

■ عبد المالك معلومة
(و: 1392ه - 1973م/ت: 1418ه - 1998م)

في يـوم 31 جانفـي 1973م بحـي العيـن العتيـق، ولد لعائلة معلومـة أول مولود ذكر. أسموه على بركة الله «عبد المالك»، وكان ميـلاده حدثـا غيـر عـادي بالنسـبة لعائلتـه، وبخاصة لدى والدته رحمها الله التي أقامت لـه حفـلا كبيـرا بعد مـرور سـنة عـن ذكرى ميلاده.

قضـى طفولتـه بمسـقط رأسـه فالتحـق بكتـاب القريـة لتلقي مبـادئ اللغـة العربية، والتعليـم القرآنـي، ولـم يبلـغ بـه العمـر خمـس سـنوات حتـى التحـق بمقاعـد التعليـم النّظامـي، فنـال الشّـهادة الابتدائيـة وعمـره لـم يتجـاوز إحد عشـر عامـا، وهي السّـن التـي فُجِـعَ فيها بفقـدان والدتـه التي تـرك رحيلهـا فـي نفسـه وجعـا لـم تنسـه الأيـام إيـاه. لكـن عنايـة اللـه واحتضـان الوالـد سـاعداه علـى تخطـي المأسـاة، فسـافر عـام 1984 م إلـى ولايـة إيليـزي لمواصلـة المرحلـة الإكماليـة، فـي ظـل تحديـات عسـيرة واجهها مـع زمـلاء دفعته مـن قائمـة: بـودة محمّـد لحسـن وحمادي محمّـد زيـن العابدينو بـوده محمّـد العباس وبـكادي محمّد عبـد القادر وآخـرون. لكن العـزم والإصـرار اللذيـن تميز بهمـا جعلاه يتخطـى كل الحواجـز ويظفـر فـي الأخيـر بشـهادة البكالوريا سـنة 1991م، وكان بذلك مـن أوائـل شـباب المنطقـة الذيـن حـازوا شـرف حملهـم لقـب الطّالـب الجامعـي. بعـد انضمامـه إلى معهد الإعـلام والاتصال ببـن عكنـون فـي الجزائـر العاصمـة.

لقـد كانـت محطة الجامعـة من أخصب فتـرات العطـاء والتألـق لديـه، فتميـز بالتواضـع وحسـن التواصـل مع الأسـاتذة والزمـلاء والأصدقـاء، وكثـرة تجوالـه في الأرض، فجمـع إليـه القلـوب والألبـاب، وأُعْجِـبَ بـه الأسـاتذة والطلبـة، وانبهروا بمواهبـه وهوياتـه المتنوعـة التـي تمتـع بهـا ومارسـها، فكتـب الشّـعر وعـزف الموسـيقى، كان فنانـا ورياضيـا خفيـف الـرّوح، جيـد الخـط باللغتيـن العربيـة والفرنسـية، مما جعـل الكثيرين من زملائه يسـتعينون بقدراتـه فـي كتابـة البحـوث والمحاضرات. وظل شـخصه متوهجا إلى غايـة نيلـه لشـهادة الليسـانس فـي الإعلام والإتصال سـنة 1995م، وكان ذلـك مفتاح الدّخول إلـى الحياة العملية التـي قدم فيها الكثيـر لإيليـزي عمومـا ولتيماسـينين التي علمـه والـده كيـف يعشـقها حتـى النّخاع، فاهتمامـه بهـا كان كبيـرا ويتضـح ذلك في سـعيه الـدّؤوب لتبليـغ مشـاكلها ومعانـاة شـبابها إلى أعلى الهيئات.

- أنشأ المجلة الثّقافية والإجتماعية الأصالة.
- أسـس جمعيـة الوفـاء لتنشـيط وتثقيـف الطّفولة.
- شـارك في تنظيم العيد السّـنوي للتاسيلي العـام 1996، وأسـهم فـي فعاليـات الأعيـاد الوطنيـة سـنتي 96/ 1997.وقف إلـى جانب رجال الصّحافة وسهل عملهم الميداني على مستوى الولاية.
- من مؤسسـي الإذاعـة الجهوية للتاسـيلي سنة 1998
- شارك أيضا في تنظيم الانتخابات الرّئاسية والتشريعية وأسهم في تنظيم صباحيات برج عمر إدريس العام 1997.
- كمـا أسـهم رحمـه اللـه فـي إحيـاء ليالي رمضـان وتنظيـم المسـابقات الثّقافيـة سـنة 1998.
- قـد كان من أبـرز القائمين علـى التحضير لإقامـة العيد السّـنوي تيماسـينين ببرج عمر إدريس.

وفاته

غـادر عبد المالـك الحياة بـلا رجعة قبل أن يتم ربيعه الخامس والعشـرين، إثر حادث مـرور أليـم ومفجـع يـوم: 05/ 04/ 1998. لقد مـات رحمه الله وهو يحمـل في حقيبته وجيوب سـترته الوثائـق التخطيطيـة للطبعة الأولـى للمهرجـان الثّقافـي والاقتصـادي لبلدية برج عمر إدريس.

لقد مشـى فـي جنازته موكـب مهيب من معارفه وأصدقائه وأقاربه.

لقد أسـس الأوفياء لذكراه في أربعينيته ما أطلقـوا عليه: «نادي المرحـوم معلومة عبد المالـك برج عمـر إدريس» في إشـارة منهم إلى مواصلة المسـيرة الهادفة التي مشـى في دروبها.

حمادي محمّـد المدعو حمـادة، رئيس بلدية سـابق: المرحوم معلومة عبد المالك كان مـن خيـرة شـباب بـرج عمـر إدريس، ويشـهد علـى ذلـك كل مـن عرفـه ويكفيه

فخرا أنه توفى في فترة أدائه للخدمة الوطنية، وهذا وسام شرف كبير.

البروفيسور بوحنية قوي، عميد كلية الحقوق والعلوم السّياسية بجامعة ورڤلة: عرفته زميلا خلال المرحلة الجامعية ببن عكنون، وقد توسمت فيه خيرا كبيرا، فلو كتبت له عمر أطول لرأيتموه شخصا غير عادي

السيدة بن سالم سميرة، مذيعة بإذاعة إيليزي: زميلي عبد المالك من أرقى النّاس خلقا، وكان من أبرز الإعلاميين بولايتنا، وقد كان سببا في توظيفي بإذاعة إيليزي. رحمه الله.

وسلام عليك يا عبد المالك ورحمة لروحك ملئ السّموات والأرض، وبقدر ما كنت مثلا يقتدى به وبقدر ما يجمع بيننا من رحم ومحبة. نم هادئا في أمان الله فإنك عند الذي لا تضيع ودائعه. وما المال والأهلون إلا وديعة.. ولابد يوما أن تُرد الودائع.

العيد بوده

■ عبد المجيد الشّافعي
(و: 1352ه - 1933م / ت: 1393ه - 1973م)

عبد المجيد الشّافعي بن إبراهيم الشّافعي، وعلجية بولحية ولد في 22 جويلية عامّ 1933م بقرية (مغلسة) التّابعة لدائرة التّلاغمة، عاش حياة قاسية ومتعبة، حفظ القرآن في صباه بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى زاوية سيدي عبد الرّحمان الحملاوي ببلدية وادي يبان دائرة التّلاغمة، قرب قسنطينة ولاية ميلة وبها زاول دراسته الابتدائية والمتوسطة ثم انتقل بعد ذلك إلى المدرسة النّظامية لتعلم الفرنسية وعلوم اللغة العربية.

انتقل بعد الحرب العالمية الثّانية إلى تونس لاستكمال دراسته الثّانوية منتسبا إلى جامع الزّيتونة وبها تفتقت مواهبه الأدبية، فكتب قصته الطّويلة الطّالب المنكوب، التّي أرخ فيها لبعض جوانب حياته ويومياته بتونس أيام كان طالبا، وفيها تخرج بشهادة التّحصيل الأهلية عامّ 1948م، وفي عامّ 1951م تحصل على شهادة أخرى في العلوم.

عاد إلى أرض الوطن ليلتحق بميدان التّربية والتّعليم، إذ شغل منصب مدير مدرسة بشلغوم العيد إلى جانب ممارسته الفعلية للتدريس.

وفي عامّ 1952 عاد إلى وطنه حاملا معه شهادة التّحصيل التي أتاحت له الانخراط في سلك التّدريس تحت رعاية، ووصاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أبدى انسجاما عميقا مع طلبته فأحبوه، وفي تلك الفترة تعرف على صديقه الحميم الأديب رضاحوحو، الذي أثر فيه تأثيرا عميقا، إذ تحولت اهتماماته إلى المسرح، فقدم بعض مسرحيات حوحو على خشبة المسرح، كما كتب مسرحيات قام بتمثيلها تلاميذه داخل المدرسة وخارجها.

انتقل بعد ذلك إلى قرية «الرّواشد" التّابعة لولاية ميلة للاشتغال بالتّدريس والإمامة في الوقت نفسه.حيث قضى بها حوالي أربع سنوات مدرسا في المدارس وإماما بالمسجد.

لما شعر بمحاصرة السّلطات الفرنسية لنشاطه، انتقل إلى مدينة گالمة، فدرس هناك بمدرسة» محمّد عبده»، ليوفد بعدها إلى فرنسا للاتصال بالجالية الجزائرية، والإسهام في التّعبئة الوطنية والإعداد السّياسي لأفراد الجالية الجزائرية، إضافة إلى سبب آخر تمثل في استشهاد صديقه الأعز رضا حوحو تحت التّعذيب إذ وجد سببا مقنعا لمغادرة الوطن لأنه كان مطالبا من قبل السّلطات الفرنسية في الجزائر، كما حاصرته في فرنسا نظرا لنشاطه الثّقافي والسّياسي مع الجالية الجزائرية الأمر الذي دفعه إلى العودة إلى الوطن عامّ 1959 ليشتغل في مدرسة مولود فرعون بگالمة إلى عامّ 1962، وفي السّنة نفسها عين مديرا لمدرسة الشّهيد خليل مختار، ثم مستشارا تربويا، ثم رقي إلى مفتش للتربية والتّعليم، وقد أصدر حينها مجلة تربوية تسمى الضّحى.

يعد عبد المجيد الشّافعي ثاني أديب جزائري يخوض كتابة فن الرّواية بعد رواية أم القرى لصديقه رضاحوحو، من خلال روايته القصيرة: "الطّالب المنكوب" التي كتبها وطبعها في تونس عامّ 1951 أيام كان طالبا بجامع الزّيتونة، وصدرت عن دار مطبعة الشّريف، وهي تصور السّعي وراء العمل والحب في أجواء من البؤس والفقر.

إذ لم يعتمد في هذه الرّواية السّرد التّواصلي وإنما قسمها إلى أجزاء، يكاد يكون كل جزء يؤسس قصة قصيرة، إلا أن القارئ للنص من بدايته إلى نهايته يدرك أنها نص له بداية وله نهاية، والرّواية يمكن إدراجها ضمن مصطلح (الرّواية السّيرية)، وقد نهضت معماريا على عنصرين أساسيين هما: الواقع والخيال، وهي قصة عاطفية قوية تشبه في موضوعها الرّوايات العاطفية التي اشتهر بها الكاتب العربي المصري (مصطفى لطفي المنفلوطي)، ولقد انتهت بزواج الطّالب الفقير الذي قدم من الجزائر إلى تونس من أجل الدّراسة وطلب العلم من إحدى الفتيات التّونسيات الجميلات تنتسب إلى عائلة بورجوازية، وجاء عنوانها الكامل على هذا النّحو: -"الطّالب المنكوب في قصة غرامية موضوعية"، ولم يكن القصد من معناها سوى التّعبير عن هاجسه الفكري الرّامي إلى وحدة المغرب العربي، وتربية الأجيال على الأخلاق، والتّمسك بالدّين،

والعادات، والكفاح من أجل الحياة الكريمة ورغد العيش، والتّمسك بوحدة شعوب المغرب، والدّعوة إلى مقارعة أفكار المستعمر التي تدعو إلى التّفرقة، والبغضاء بين شعوب المغرب العربي.

حيث يوحي العنوان بنكبة الطّالب، أحد بطلي النّص الرّوائي، بينما يتوج النّص بزواج الفتاة التي بادلها الحب، وعشقها بقوة، وارتضاها لنفسه زوجة لمنزلتها الاجتماعية وحسن أخلاقها وجمالها الفتان، وقد تناول هذا "النّص" العديد من الباحثين الجزائريين، ومنهم الباحث الرّوائي المعروف واسيني الأعرج، وعبد الله بن حلي، أحمد شريبط، ومن الطّرائف التي رافقت مسيرة هذا النّص، أن بعض الباحثين والأدباء التّونسيين كانوا إلى حين يدرجونه ضمن المحاولات التّجريبية الأولى للرواية التّونسية، ومنهم:أحمد ممو، ومصطفى الكيلاني، والأديب الكبير محمّد العروسي المطوي... وغيرهم.

وقد أكدت -شخصيا أنا عبد الحميد شريبط-للأديب المرحوم، محمّد العروسي المطوي في لقاء جمعني به، في مكتبه الخاصّ هويته الجزائرية، وكان هذا اللقاء غرة كتابي:(الأديب عبد المجيد الشّافعي، مقاربة تحليلية نقدية لإنتاجه الأدبي) والذي صدر عن جمعية (الجاحظية) بتاريخ 2000م.

يعد بعض الدّارسين هذه الرّواية قصة طويلة، ويعدها البعض الآخر ميني رواية أو رواية قصيرة.

وله كتابات عديدة ومتنوعة الأجناس الأدبية، شملت الرّواية، والقصة القصيرة، والمسرحية والشّعر، والنّقد، والخاطرة، والمقالة الأدبية والاجتماعية... إلخ

لم يقتصر نشاط المرحوم عبد المجيد الشّافعي على الأنواع الأدبية السّابقة فحسب، وإنما كانت له تجارب عديدة في كتابة القصة، يقول أحمد شريبط الذي رصد نشاطه الأدبي ووقف عند كل المنجزات التي أنجزها خلال مسيرته الأدبية والتّعليمية الحافلة:وقد اطلعت على العديد من أعماله مكتوبة بخط يده مكنتني منها ابنته المقيمة بمدينة گالمة، ولقد نشرت بعض هذه القصص في كتابي عنه »الأديب عبد المجيد الشّافعي، مقاربة تحليلية نقدية لإنتاجه الأدبي، (وهذه القصص هي: الأديب المجهول، الخماسون، مجاهدون في قرية) كما كتب المسرحية، والشّعر.

كتب في معظم الأجناس الأدبية التي كانت شائعة بين معاصريه، كما اشتغل في مجال التّربية والتّعليم، وتلقى في ذلك ما تلقى معظم المثقفين باللغة العربية من تهميش، ومضايقة، وعراقيل: سواء أكان ذلك في أوكار الإدارة، أم رحاب الثّقافة، أم كواليس المؤسّسات التّربوية، إلا أن كل ذلك لم يصده عن الإنتاج والتّأليف الأدبي، والنّشاط الثّقافي، وشغل بعض المناصب التّربوية، حيث عمل أولا معلما، ثم تولى إدارة مدرسة الفتح التي أسستها جمعية العلماء عامّ 1944 م ترقى بعد ذلك إلى منصب مستشار تربوي، ثم رقي إلى منصب مفتش اللغة العربية، وهو المنصب الذي ظل يشغله إلى أن توفي في عامّ 1973م عن عمر ناهز الأربعين.

بعد الاستقلال استقر بمدينة گالمة، يشتغل بالتّعليم، حيث تدرج من مدرس إلى مدير مدرسة فمستشار تربوي، ثم مفتشا للتعليم الابتدائي، وهو المنصب الذي شغله حتى وافته المنية.

كتب في العديد من الفنون الأدبية، فقد كتب القصة، والمقالة، والمسرحية، والشّعر، أثرى مجلة البصائر التي كانت تصدر عن جمعية العلماء المسلمين بالعديد من القصص والمقالات، وذلك من مطلع 1947م إلى غاية 1956م، ثم في مختلف الصّحف الوطنية التي صدرت بعد الاستقلال.

وهو يعد من رواد الصّورة القصصية في الجزائر إضافة إلى مقالاته القصصية التي كان ينشرها تباعا في البصائر.

توفي بمدينة گالمة ودفن فيها في 23/ / 11/ 1973.

من مؤلفاته المطبوعة:

- الطّالب المنكوب / قصة طويلة، دار الكتب العربي، تونس ط1، 1951.
- مجموعة خواطر، نشرت في قسنطينة قبل اندلاع ثورة التّحرير المباركة، والتّي تكشف عن هواجس وإرهاصات عاشها وعايشها الأديب بكيانه ووجدانه.
- الأديب الشّهيد تناول فيه حياة وأعمال الأديب رضا حوحو من تاريخ ميلاده إلى تاريخ اختطافه واستشهاده تحت طائلة التّعذيب، صدر عامّ 1964، بمطبعة البعث بقسنطينة.

باديس فوغالي

المصادر:

- شريبط أحمد شريبط/ الأديب عبد المجيد الشّافعي، مقاربة تحليلية نقدية لإنتاجه الأدبي.منشورات التّبيين، الجاحظية، الجزائر 2000.
- عبد الله الرّكيبي / القصة الجزائرية القصيرة...ص 81، 119، ومن ص 120 إلى 122، 127.
- إلى غيرها من الدّراسات.
- فوزي حساينية / الأديب الرّاحل عبد المجيد الشّافعي حب وألم...أو عندما يتكلم الصّمت.مجلة المحور العربي.

■ عبد الملك مرتاض
(و: 1353 ه1935-م/ت: 1445ه- 2023م)

أُصيبت الجامعة الجزائرية والوسط الأكاديمي برُزء فادح بوفاة العلاّمة والأديب والنّاقد عبد الملك مرتاض -رحمه الله- يوم:03نوفمبر2023م؛ الذي قدم خدمات جليلة للعلم والمعرفة في الجزائر منذ سنوات الاستقلال الأولى، وبرحيله خسرت اللُّغة العربية والجامعة الجزائرية أحد فرسانها الأفذاذ، وأحد كبار العلماء الأجلاء الذين قدموا خدمات جليلة للغتنا العربيّة؛ فالعلاّمة عبد الملك مرتاض يعد قامة سامقة من قامات العلم والمعرفة، وأحد كبار علماء اللّسانيات في المغرب العربي الشّوامخ الذين عشقوا اللُّغة العربيّة، وأفنوا حياتهم في خدمتها ودراستها وسبر أغوارها؛ فقد كان الرّاحل صاحب ثقافة موسوعية، ترك بصمات راسخة في شتى الميادين العلميّة، وخلّف عدداً من الآثار العلميّة الثّمينة، وتخرج عليه خلق كثير من الطّلاب في اللُّغة العربيّة وآدابها، وقد نال عدّة شهادات تقديريّة وفخريّة، كما كرّمته هيئات علميّة وثقافيّة جملة مرّات، ولا ريب في أن جهود العلاّمة عبد الملك مرتاض تستحق الإشادة والتّنويه؛ اعترافاً بمكانته وتقديراً لخدماته الجليلة في حقول اللّسانيات واللُّغة والأدب، والثّقافة الشّعبية، لقد جمع الأديب والنّاقد عبد الملك مرتاض عدة صفات جعلته يتبوأ مكانة مرموقة ومتميزة في عالم الأدب، والثّقافة، واللغة، حيث إنه كان أحد صناع الثّقافة الجزائرية، ومن أعيان المثقفين العرب في القرن العشرين، وأحد مؤسّسي الحركة الأدبية الجزائرية المعاصرة بكفاءة، و جهد، ومثابرة، وصدق. أسهم مساهمة فعالة في خدمة التّراث العربي، وقد تناوله الباحثون في مقالاتهم، ورسائلهم الجامعية على أنه أديب، ولغوي، وروائي وناقد.

كان للدكتور عبد الملك مرتاض رحمه الله تعالى نشاط علمي دؤوب بلور ما كان يشغل فكره، وهواجسه من اهتمامات معرفية، وقضايا فكرية متنوعة، كان للتراث اللغوي بعامة، والأدبي بخاصة حظه

الملحوظ منها، إنه واحد من الوجوه العلمية، والشّخصيات الأدبية التي تفتخر بها الأمة العربية، ويعتز بها الوسط الثّقافي الجزائري، فهو العلاّمة الجليل الذي فرض نفسه بعمله الجاد، وإنتاجه المتميز، لقد أغنى المكتبة الجزائرية والعربية بمؤلفاته العلمية الرّصينة، وأعماله الأدبية الشّائقة، وبحوثه التي تناولت كثيراً من حقول اللسانيات الثّقافة، والمعرفة، فقد كان غزير الإنتاج تسنده حماسة متقدة، ظهرت في أعماله الأدبية، ودراساته التّراثية الرّصينة، كما تجلت في المهمات الثّقافية، والتّربوية التي قام بها في غير موقع، حيث اكتسب محبة الآخرين، وتقديرهم، بنظرته المتفحصة والعميقة للواقع الثّقافي، وبروحه الحيوية والمرحة، التي تفاعلت مع الحياة، وتفهمت المجتمع، وتفاعلت معه، وجسدت آماله وآلامه في أعمال إبداعية رقيقة، ومؤثرة، كما تعمقت في فهم التّراث اللغوي العربي، حيث قام العلاّمة والأديب مرتاض بجهود جبارة بإيمان منقطع النّظير، وبعزم لا يلين، فمن عرفه يُدرك بأنه قد جمع مجموعة من الصّفات النّبيلة، قد نلفيها متفرقة بين أفراد عديدين، ولكن يصعب أن تتوفر في شخص واحد، حيث جمع بين القناعة، والصّبر، مع الطّموح الكبير، والآمال الواسعة، والتّشاؤم من الواقع المرير، مع الأمل في المستقبل، فقد كان يرى أن الواقع المؤلم لا يمكن مجابهته، والتّغلب على إحباطاته إلا بالعمل، والإنتاج، والصّبر.

وُلِد عبد الملك مرتاض ابن عبد القادر ابن أحمد ابن أبي طالب ابن محمّد ابن أبي طالب، الجدّ الأعلى، وابن زينب بنت أحمد ابن عمرو سُوَالي (وأصلُها: سُؤالي) -في عاشر يناير 1935م كما ذكر في سيرته.

تميّز الدّكتور عبد الملك مرتاض بالتّواضع الجم والأخلاق العالية، وباعترافه بجهود أساتذته وشيوخه الذين درسوه، وأفاد منهم، حيث إنه كثيراً ما يذكرهم، ويعترف بفضلهم، وهم:

والده الفقيه الشّيخ الحاج عبد القادر ابن أحمد ابن أبي طالب الذي حفّظه القرآن وعلّمه مبادئ العربيّة (دارَسَ معه الآجرّوميّة) والفقه المالكيّ (درّس له المرشد المعين في الضّروريّ من علوم الدّين، لعبد الواحد ابن عاشر)؛

الأستاذ الأديب الكاتب الشّاعر أحمد ابن ذياب (من الجزائر) (معهد ابن باديس بقسنطينة)؛

الدّكتور نجيب محمّد البهبيتي (من مصر) (جامعة الرّباط)؛

الأستاذ العلاّمة محمّد الفاسي (من المغرب) (جامعة الرّباط)؛

الدّكتور جعفر الكتّاني (من المغرب) (جامعة الرّباط)؛

الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح (من الجزائر) (جامعة الرّباط)؛

الدّكتور إحسان النّص من سوريا (جامعة الجزائر)؛

الأستاذ أندري ميكائيل (الكوليج دوفرانس، باريس).

إن العلاّمة الدّكتور عبد الملك مرتاض- رحمه الله- هو رجل نبيل، وإنسان مناضل ومكافح منذ شبابه، فقد هاجر إلى فرنسا سنة 1953 من أجل الكدْح في الدّيار الفرنسيّة، فاشتغل بشماليّ فرنسا في أفران معامل «أُوبي» (Usines d'AUBY – lez DOUAI) بالشّمال الفرنسيّ؛ كيما يستطيعَ جمْعَ شيء من المال للتّمكّن من الالتّحاق بمؤسّسة معهد ابن باديس بقسنطينة، فظلّ يكدح هناك خمسة عشر شهراً، تحت أفران النّار، وبالليل والنّهار.

التّحق سنة 1954، بعد عودته من فرنسا، بمعهد ابن باديس بقسنطينة؛ ولكنه لم يدرُس به إلا خمسةَ أشهر؛ وذلك بعد أن قرّرت السّلطات الإستعباديّة الفرنسيّة تغليقَه إلى الأبد؛ فتقطّعت الأسبابُ بطلاّبه وأساتذته فتفرّقوا جِذَعَ مِذَعَ ثم التّحق في خريف سنة 1955 بجامع القرويين بفاس، لمتابعة دراسته، ولكنه لم يختلف إلى حلقات القرويين التي كانت تنتظم في حَرَم الجامع على الحصُر، إلاّ بضعةَ أسابيعَ أُضطُرَّ على إثْرِها إلى دخول مستشفى «دار الدّبيبغ» للتداوي من مرَض السّلّ الذي ألَمّ عليه فكاد يودي بحياته.

ومما لا يشوبه شك في أن النّجاح الذي حققه الدّكتور عبد الملك مرتاض في ميدان البحث العلمي والتّأليف، لم يأت هكذا اعتباطاً، فالرّجل قضى كل حياته متنسكاً في محراب العلم، والمعرفة، ولعب دوراً حاسماً في تألق الأدب والفكر الجزائري، وازدهار المعرفة الأدبية، و يتميز الدّكتور مرتاض بالموسوعية في الإنتاج، والنّأي عن التّخصص الدّقيق في مجال دون آخر، من مجالات العلم، والثّقافة، ولذلك فهو يشكل امتداداً لجيل من الرّواد الكبار من بُناة النّهضة الفكرية والأدبية والثّقافية في الوطن العربي، ملأ الدّنيا، وشغل النّاس بعلمه الجم، وخلقه الكريم، وفضله على طلابه في مشارق الأرض، ومغاربها.

نلاحظ أن فعالية النّاقد الدّكتور عبد الملك مرتاض تتركز على محاور متعددة، وهذا ما يدل على مدى عمق وثراء ثقافته ومعرفته، وتنظيراته النّقدية، والمتابع لأعمال وجهود العلاّمة الدّكتور عبد الملك مرتاض منذ صدور كتابه: «القصة في الأدب العربي القديم»، بالجزائر سنة: 1968م، يُلاحظ أنه يُركز على قضايا مهمة جداً، إنه واحد من الأساتذة الباحثين الجادّين الغُير على الأدب الجزائري، والثّقافة العربية، وقد عرف الدّكتور عبد الملك مرتاض على مدى أكثر من نصف قرن بصفته مؤلفاً مقتدراً، وباحثاً غزير الإنتاج، ومحاضراً جامعياً، وكل من خامر هذا العلاّمة الجليل، يلمس فيه التّطلّع المثالي إلى المعرفة، والعمل الدّؤوب لنيلها، ورغبته الشّديدة في إفادة القارئ بثمار ما جنى من مطالعاته، وقراءاته المكثفة، وقد شكلت قضايا الأدب الجزائري القديم والحديث مادة خصبة وحيوية، للنهوض بالعديد من الأعمال المتميّزة خدمة للثقافة الجزائرية، ونذكر من بين كتبه التي تنضوي تحت هذا اللواء: «الأدب الجزائري القديم-دراسة في الجذور-»، فهو ثمرة جهود جديرة بكلّ تقدير، درس فيه بمنهجية علمية لافتة للنظر، قضايا تكتسي أهمية بالغة، تتصل بالأدب الجزائري القديم، وحلل فيه بعض النّصوص الأدبية التي تعد درراً تراثية ثمينة، وقد ساعد النّاقد الدّكتور عبد الملك مرتاض على إنجاز هذه الدّراسة شغفه، وانكبابه على قراءة، ومطالعة التّراث الجزائري القديم، مستقصياً الأخبار، والنّصوص الأدبية القديمة، حيث أفاد أيما إفادة من قراءاته المتنوعة عن تاريخ الأدب الجزائري القديم، وتناول الموضوع من وجوه عديدة، ومن ميزة الباحث الجاد عبد الملك مرتاض أنه لا يترك عنصراً من عناصر الموضوع، إلا بعد أن يوفيه حقّه من الدّراسة، وقد استعان بمصادر، ومراجع كثيرة، ومتنوعة في الصّنف، والمادة.

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

■ عبد الوهَّاب بن عبد الرّحمن بن رستم (حكم: 171-208ه/ 787-823م)

عبد الوهَّاب بن عبد الرّحمن، ثاني الأيمَّة الرّستميين، كناه ابن عذاري بأبي الوارث، وهو الوحيد الذي أورد هذه الكنية.

تلقَّى العلمَ بالقيروان ثمَّ بتيهرت عن أبيه عبد الرّحمن وغيره من حملة العلم. عاصر الرّبيع بن حبيب إمام الإباضية بالبصرة بعد أبي عبيدة وجابر بن زيد.

عالم متضلِّع من أكبر علماء زمانه، اشترى وقر أربعين بعيرًا من الكتب من البصرة، فلمَّا تصفَّحها وقرأها وأتمَّها قال: «الحمد لله الذي علَّمني كلَّ ما فيها من قبل، ولم استفد منها إلاَّ مسالتّين لو سئلت عنها لأجبت فيها قياسًا».

وقد تصدَّر للتدريس، فكانت له حلقات علم بتيهرت وجبل نفوسة، وتخرَّج على يديه خلق كثير، منهم ابنه أفلح، فضلاً عن كثير من علماء نفوسة، حيث قضى بجبل نفوسة سبعة أعوام يلقي دروس الوعظ على العامة، وتذكر بعض المصادر أنها في فقه الصّلاة.

كان تاجرا بارعا، لم تشغله تجارته التي مارسها في عهد أبيه، ولا الحكم الذي تولاَّه بعد ذلك، عن المطالعة، فكان من عادته إذا فرغ من صلاة العشاء أخذ كتابًا ينظر فيه.

ولقد ترك عبد الوهَّاب كتابًا وصفه البرادي بأنه ضخم وهو سفر تامٌّ، ألفه عبد الوهَّاب جوابًا لأهل نفوسة في مسائل ونوازل استفتوه فيها؛ يقول عنه ابن الصّغير، مؤرِّخ الدّولة الرّستمية: «كان لعبد الوهَّاب كتاب معروف ب«مسائل نفوسة الجبل»... وكان هذا الكتاب في أيدي الإباضية مشهورًا عندهم معلومًا، يتداولونه قرنا عن قرن... فأخذته من بعض الرّستميين فدرسته ووقفت عليه»، ولعلَّ الكِتَاب المعروف اليوم ب«مسائل نفوسة» (مط) جزء من هذا السّفر.

بلغت الدّولة الرّستمية في عهد الإمام عبد الوهَّاب شأوًا بعيدًا في الحضارة، فكانت لها علاقات النّدِّ للندِّ مع الأمويِّين

بالأندلس، ومع الأغالبة في أفريقية، ومع المدراريِّين في جنوب المغرب الأقصى، وعلاقات تجارية وطيدة مع أفريقيا جنوب الصّحراء، ومع إباضِية المشرق... فإذا كان عبد الرّحمن ابن رستم قد وضع أسس الدّولة، واهتمَّ بسياستها الدّاخلية، فإنَّ عبد الوهَّاب أعطى لها أبعادًا أخرى، نعرفها من شهادة ابن الصّغير، إذ يقول: «...كان ملكًا ضخمًا، وسلطانًا قاهرًا... قد اجتمع له من أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع للإباضية قبله، ودان له ما لم يدن لغيره، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله... حاصر مدينة طرابلس، وملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان...».

والإمام عبد الوهَّاب، هو الإمام الأكثر ذكرًا في المصادر – الإباضية وغيرها – ولعلَّ ذلك يعود إلى التّأثير الكبير الذي تركه في الحياة الدّينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثّقافية، والسّياسية، والعسكرية... فقد اتسعت دولته من حدود مصر شرقًا، إلى مدينة تلمسان في أقصى المغرب الأوسط غربًا، بل إنَّ هيمنته شملت في بعض الأحيان دولة بني مدرار في المغرب الأقصى...

وفي عهده الذي دام سبعًا وثلاثين سنة (171–208ه) عرف الرّستميون قمَّة مجدهم الحضاريِّ في الدّاخل والخارج، نشَّطوا الزّراعة، ووفَّروا أسبابها، وروَّجوا التّجارة، ووفَّروا لها الأمن، وزهت الحياة الثّقافية وارتقت، فقصد عاصمةَ الرّستميين العلماءُ والطّلبة والنّاس من مختلف المذاهب، وسمحوا بحرِّية التّعبير والفكر، فتنافست التّجارة والثّقافة في أدوار لا تزال بحاجة إلى البحث والدّراسة من قِبل الباحثين والأكاديميين.

وفي عهد عبد الوهَّاب انقسم الإباضية إلى فرقها المغربية المشهورة مثل فرقة النّكَّار التي أنكرت إمامة عبد الوهَّاب، والخلّفية التي حاولت الانشقاق عن جسم الإمامة، والوهبية التي بقيت مخلصة للإمام والإمامة، حتَّى قيل: إنَّ النّسبة في اسم «الوهبية» هي للإمام عبد الوهَّاب، رغم أنَّها نسبة عَلَى غير قياس.

وفي عهد عبد الوهَّاب ظهرت المعتزلة فناظرها، وحاول دحض أفكارها، واستمدَّ العون من نفوسة، لمناظرة هذه الفرقة العقلية...

وقام بعدَّة حروب دفاعية ضدَّ من ناصب الرّستميين العداء، بعد استنفاذ الوسائل السّلمية، فلم ينهزم له جيش، ولم تسقط له راية.

كان الإمام عبد الوهاب رجل علم وحُكم وقيادة، ساس الرّعية فدانت له، وناظر المنشقِّين فكان الحاكم الحكيم، وقاد الجيوش فكان البطل، وأدار دواليب الدّولة فدرَّت له مجدًا وتألقًا...

دبر له أعداؤه مكيدة اغتيال باءت بالفشل.

وتوفِّي سنة 208ه/ 823م، تاركًا الدّولة قوية مهيبة السّلطان، وخلّفه ابنه أفلح في الإمامة بلا ولاية للعهد سابقة ولكن بترشيح من أصحاب الحلِّ والعقد.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- عبد الوهاب: مسائل نفوسة، كله
- ابن الصّغير: أخبار، 36، 48، 55، 63، 73، 98
- ابن سلاَّم: بدء الإسلام، 93، 110، 138–140
- الرّقيق القيرواني: تاريخ أفريقية، 173
- أبو زكرياء: السّيرة، 1/ 89، 128
- الوسياني: سير (مخ) 1/ 16، 50، 62، 136؛ 2/ 157
- الدّرجيني: طبقات، 1/ 47، 48، 49، 69؛ 2/ 292، 305، 315، 319، 323، 496
- ابن عذاري: البيان المغرب، 1/ 278
- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، 1/ 48
- ابن خلدون: العبر، 4/ 415؛ 6/ 287
- الشّماخي: السّير، 162 وما بعدها
- بحّاز: الدّولة الرّستمية، 114 وما بعدها
- مزهودي: جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي (مر) 311
- جمعية التّراث: الملفات الصّحفية
- عبد الرّحمن بكلّي: تاريخ الرّستميِّين، جريدة وادي ميزاب اليقظانية، ع. 8، 12، 16، 20، 1926م1927–م

جمعية التّراث: دليل المخطوطات، فهرس آل يدَّر، مج54، فهرس الإصلاح، مج6.

- Liwicki: L'etat 16–Bourouba: La vie intelectuelle، 6 69–Ennami: New Ibadi manuscripts، 68
- Negre: La fin de l'etat، 17 6–Liwicki: Document inédit، 3 517–nord africain، 514
- Cuperly: 135–Gouvion: Monographie du M'zab، 69، 84 zerouki: L'imama de Tahert، 129
- Introduction à l'étude، 295.

■ عبد الوهاب بن محمّد بن عبد النّبي (الزّيتوني)
(ت: 1392ه - 1972م)

هو السّيد عبد الوهاب بن محمّد بن عبد النّبي، والسّيدة رحمة بنت عبيد المولود سنة 1932م بقرية تيط، نشأ في أسرة ميسورة الحال. تعلم القرآن في قريته على يدّ الشّيخ حمادو بوسليم.

بعد أن حفظ القرآن غادر قريته متجها نحو عين صالح بحثا عن العمل، فمكث بها أربع سنوات ليتركها قاصدا مدينة ورگلة أين يقطن أخوه أحمد، ومنها إلى تونس حيث عمه الصّالح فاغتنم الفرصة ليلتحق بالزّيتونة بالتّوازي مع عمله كحارس، فتعلم علوم القرآن والفقه والعربية، فأتقنها. حصل من الزّيتونة على شهادة التّحصيل وشهادة حذق القرآن الكريم؛ وهو ما أهله للتدريس في جامع قرب الزّيتونة. ولما اندلعت الثّورة التّحق بصفوف جيش التّحرير الوطني في أكتوبر 1960م. وبعد الاستقلال انضم إلى سلاح المدفعية إذ كان ينتمي للكتيبة الرّابعة التي كان مقرها في بني ونيف. ولما اندلعت حرب الرّمال سنة 1963م شارك فيها وكان آنذاك يحمل رتبة مساعد.

بعد انتهاء حرب الرّمال في 1964م تم تجميع كتائب المدفعية الثّلاث في مدينة التّلاغمة كنواة لتكوين المدرسة الوطنية للمدفعية، أين تلقى مع كامل إطارات المدفعية على يدّ الخبراء الرّوس في الفترة 1964-1966م. وتلقى السّيد عبد الوهاب التّكوين باعتباره

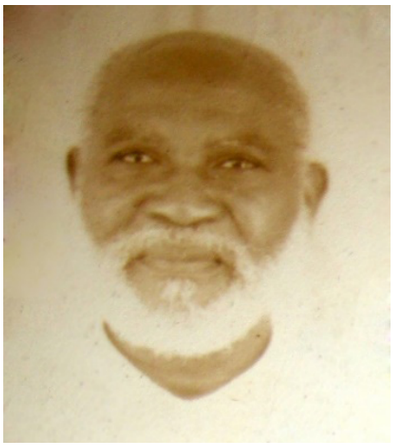

قائد فصيلة. وكان يقوم في الثّكنة بإلقاء دروس التّوجيه والإرشاد، علما بأن التّكوين الأصلي له في الجيش هو كونه محافظا سياسيا.

وبعد انفجار حرب 1967م بالشّرق الأوسط، كان من بين الدّفعة الثّانية التي التحقت بجبهة القتال في سبتمبر 1968م، في إطار حرب الاستنزاف قائدا لفصيلة المدفعية، وكان متميزا بين رفاقه إلى درجة أنه كان الوحيد الذي تم تقليده رتبة مرشح في الجبهة ومكث في الجبهة ثلاثة عشر شهرا.

كان في الجبهة مثالا للسلوك المستقيم والانضباط ومحل احترام من الجميع لكونه حاملا لكتاب الله، حتى أنه بسلوكه كان سببا في عدم سقوط رفاقه في مغريات الحياة. بعد قضاء ثلاثة عشر شهرا في جبهة القتال عاد إلى أرض الوطن في أكتوبر 1969م، ليلتحق مجددا بمدرسة المدفعية بتلاغمة، إلى أن تمت ترقيته إلى رتبة ملازم في 19 جوان 1972م.

كما اغتنم الفرصة للدراسة العامة فحصل على شهادة الأهلية في السّبعينات، التي استخدمها بعد خروجه من الجيش كأساس للالتّحاق بسلك التّربية والتّعليم، الذي لم يكن غريبا عنه؛ حيث كان في الثّكنة يعلم الجنود والضّباط في مختلف المستويات النّحو، الصّرف، الفقه فضلا عن محو الأمية، وكان يحثهم على التّعلم وحفظ القرآن الكريم ويشجعهم على ذلك بتقديم الهدايا والإكراميات.

ولما صدر القانون الذي يسمح لكبار السّن بمغادرة الجيش تقاعد، فخرج للحياة المدنية في 07 فيفري 1973م، ليلتحق مباشرة بالتّعليم الابتدائي وذلك إلى غاية تقاعده في جوان 1992م.كما تم انتخابه ضمن المجلس الشّعبي البلدي لبلدية بوسماعيل في الفترة 1975-1980م، وكان مسؤولا عن الفرع البلدي لمدينة خميستي، وكرس باقي حياته للتدريس في المساجد والقاء المحاضرات إلى أن انتقل إلى رحمة ربه يوم الأربعاء 08 جانفي 2013م. فرحمه الله برحمته الواسعة.

قدي عبد المجيد

■ عبد الوهاب عمراوي (نجيب)
(و: 1335ه - 1917م/ت: 1377ه - 1957م)

ولد عبد الوهاب عمراوى المدعو نجيب في عام 1917 بعين غرابة، دائرة سبدو، ولاية تلمسان. من عائلة متوسطة الحال، تعلم القرآن الكريم بأحد كتاب القرية، استدعى لاداء الخدمة الاجبارية في صفوف القوات الفرنسية في الفترة مابين (1937-1939)، وقد سرح منها قبيل قيام الحرب العالمية الثّانية بقليل

عاد الشّهيد الى مسقط راسه، وهناك بدأت تتوطد صلته بأقرانه

من شباب القرية، ويزداد وعيا أكثر بالقضية الوطنية وتتعمق كراهيته وسخطه على الاستعمار الفرنسي الخانق لأنفاس الوطنيين الاحرار.

وقد وجد الشّهيد ضالته المنشودة من خلال انخراطه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بيني هديل في عام 1948، اذ كان يغرف من ينبوع القيم العربية الاسلامية الاصيلة كما انخرط أيضا في بداية الخمسينات بالحركة الوطنية (حزب الشّعب الجزائري)، كمناضل نشط، هدفه التوعية ونشر القيم الوطنية الرّاسخة في أذهان. بنى وطنه التحاقه بالثورة المسلحة وما أن اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954، حتى كان الشّهيد ضمن الرّعيل الأول من مفجريها بغرب البلاد، ونجد الشّهيد نجيب من بين المناضلين البارزين، امثال احمد حمري المدعو عيد الهادى الواج أحمد المدعو عبد القوى، أحمد البوزيدي فراج الرّائد سى الظّاهر)، أولئك الذين كان لهم دور كبير في تعبئة الجماهير واعدادها للثورة على الصعيدين السّياسي والعسكرى بناحية تلمسان، تحت اشراف الشّهيد البطل محمّد العربي بن مهيدي، قائد المنطقة الخامسة ومنذ بداية عام 1956، حين بدا يتوسع الهيكل العسكري بالناحية صارت الفصيلة التي كان ضمنها الشّهيد نبية نضم ثلاث فصائل اسندت له قياده احداها. فلم يدخر الشّهيد جهدا في تدعيمها بعناصر الشّباب الواعي بالقضية الوطنية والمدرك لسياسة الاستعمار التضليلية.

وشيئا فشيئا ومن خلال الالتفات الجماهيري الواسع حول الثورة المسلحة تشكلت ثلاث كتائب تضم في المجموع (9) فصائل في أوائل عام 1957. وقد تقلد الشّهيد مهمة مسؤول قسم بالناحية الرّابعة إبلاغ بالمنطقة الخامسة، الولاية الخاصة. متنقلا بين نواحى بيدو ضواح بوسفى).

وسيدو اهم المعارك التي شارك فيها كمين قافلة العدو (شهر ديسمبر 1955): قاده الشّهيد ضمن فوج من جنود جيش التحرير الوطني بالناحية، وقد نتج عنه تدمير شاحنة للعدو قتل بها (4) عساكر، وجرح (8) آخرين، كما تم غنم قطعة رشاش 24 / 29 في الوقت الذي لم تسجل فيه أية خسائر في صفوف المجاهدين. كمين سهب اللوزة (شهر مای 1956): قاده الشّهيد ضمن فرقة تتكون من (35) مجاهدا ضد قوات للعدو تقدر بأعداد ضخمة قدمت خصيصا لتفتيش دوار مرشيش ببلدية تبرني حاليا، الا أنه وصلت أخبار قبل ذلك الى المجاهدين بالناحية تفيد بخروج هذه القوات، الامر الذي أدى بقائد الفصيلة عمراوي عبد الوهاب الى التخطيط لنصب كمين على الطّريق الرّابطة بين سبدو وتلمسان في المكان المعروف سهب اللوزة، وبالفعل تم تنفيذ الكمين على السّاعة الثّانية زوالا، ودام نصف ساعة، تكبد فيه العدو خسائر معتبر قدرت بـ (35) عسكريا بين قتيل وجريح، وفرار حوالي (15) عسكريا آخر. بينما لم يلحق بجنود جيش التحرير الوطني أية خسائر فى الوقت الذي تم فيه غنم امريكى

- 40 رشاش (فيزى قارا)
- (8) طومسون
- 4 مسدسات
- الصنع رشاشات نامبار (امريكى)
- (2) جهازا لاسلكي

على إثر وشاية من أحد اعوان الاستعمار، خرجت قوات ضخمة للعدو لتمشيط ومسح جبل تنوشفى الواقع مابين جبلى سبدو وبني هديل، على السّاعة السّادسة من أحد أيام شهر جوان صباحا1957 للبحث عن المجاهدين وشل حركتهم في المنطقة، وبمجرد اقتراب قوات العدو من جبل تنوشفى (نونى) بادرت فرقة جيش التحرير الوطني بإطلاق النّيران واستمرت المعركة من السّاعة السّابعة صباحا الى السّادسة مساء، تكبد خلالها العدو خسائر هامة في الارواح والعتاد تمثلت في إسقاط طائرتين واحدة سقطت في مكان المعركة، والأخرى سقطت بالقرب من مدينة سبدو ويسقط المجاهد عمراوى عبد الوهاب شهيدا في ساحة الشّرف خلال هذا اليوم المشهود رفقة الشّهيد دكار قويدر المدعو الاستقلال والمجاهدة زبيدة.

من المبادىء التي كان يؤمن بها الشّهيد مواصلة الكفاح لاسترداد الحرية السّلبية مهما كان الثّمن، وأن يكون المرء قدوة حسنة في التضحية والفداء ونكران الذات لتحقيق الهدف الأسمى ومما كان يتميز به إجادة الرّماية بمهارة فائقة.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- ع. بن الطّاهر، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 52، سنة 1984، ص 46.

■ عبيدي محمد الطّاهر (الحاج لخضر)
(و:1332ه - 1914م/ت: 1418ه - 1998م)

ولد المجاهد الرّمز، عبيدي محمد الطّاهر المدعو الحاج لخضر في 13 مارس 1914 بقرية تيغري أولاد شليح بباتنة، التي تعرف حاليا بوادي الشّعبة وتوفي في 23 فيفري 1998 وهو مجاهد ومناضل ثوري جزائري تركز نشاطه في الأوراس بباتنة إلى جانب مصطفى بن بولعيد، تحمل جامعة باتنة 01، اسمه حاليا.

ولد الحاج لخضر في أسرة فقيرة ماديا لأبوين هما محمد وفاطمة عبيدي وتتلمذ في مسقط رأسه على حفظ القرآن، وكغيره من الأطفال امتهن في صباه ومقتبل شبابه ما تيسره له من الأعمال المتواضعة التي كان يوفرها محيطه الذي يتميز بالفقر والحرمان.

وفي سنة 1936 سافر إلى فرنسا طلبا للرزق واستقر بمدينة كراون (100 كلم عن العاصمة باريس) واشتغل في أحد معامل المعمرين لصنع الأسلاك الشّائكة حيث عمل فيه مدة من الزّمن ليغير وجهته ويعمل عتالا في مخبزة سيدة فرنسية بفضل بنيته الجسدية القوية ثم مسيرا للمخبزة لاحقا أين سنحت له الفرصة في التعرف على الكثير من المغتربين والاجتماع بالمناضلين منهم، حيث كانت له مجموعة من الجزائريين الذين كانوا يعملون في الخفاء والكتمان والسرية.

عند اندلاع الحرب العالمية الثّانية عاد إلى أرض الوطن واستقر في مدينة عين التوتة حيث اكترى حماما يعمل فيه وشاحنة جعلها في خدمة الثّورة والمواطنين، وعند اندلاع الثّورة المجيدة كان من العناصر الأولى التي حضرت لها حيث كان أول عمل نضالي له هو تأسيس خلايا سرية بمدينة باتنة سنة 1939 واستمر نشاطه إلى غاية سنة 1941، حيث اتصل به مصطفى بن بولعيد وزوده ببرنامج عمل جديد أهم نقاطه هو توسيع الخلايا السرية وتقسيمها وتنظيمها، فكان يجمع التبرعات والاشتراكات ويبث الرّوح الوطنية وأفكارها بين الناس ويحض الشّباب على التعلم، وفي سنة 1947 تم سجنه لمدة شهر على خلفية ضربه لدركي اعتدى على أحد الباعة المتجولين وتم نفيه إلى تونس، أين استأجر محلا واستغله كمقهى مواصلا نضاله السياسي بمساعدة الطّلبة الجزائريين سواء المنتمين لجمعية العلماء أم الطّلبة المنضوين تحت لواء حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

وبعد عودته من تونس وفي خريف سنة 1952 ذهب إلى البقاع المقدسة لاداء فريضة الحج وأصبح يعرف إثر ذلك بالحاج لخضر، وعقب عودته واصل تشكيله للخلايا السرية التي مثلت نواة الثّورة من الفدائيين والمموّنين، كما قام باستقبال وإيواء الناجين من الاعتقالات التي مست أعضاء المنظمة الخاصة بشرق البلاد فهو الذي كان في انتظار مسعود بالعقون عند مدخل باتنة الشّمالي، وكان مرفوقا بالدفعة الأولى التي كان من بين عناصرها رابح بيطاط وسليمان بن طوبال.. كان ذلك في بداية صيف 1950، وتكررت العملية بعد سنة، باستقبال الفارين من سجن عنابة المحاكمين في قضية المنظمة الخاصة، وفي مقدمتهم زيغود يوسف.

وغداة انطلاق الثّورة كان العقيد الحاج لخضر من أوائل الثّوار على رأس فوج من 25 شخصا لمهاجمة ثكنة دبابات باتنة ليلة أول نوفمبر، وعقب ذلك عين على رأس قطاع باتنة ليقود بعدها عملية مهاجمة القطار الحامل للسلع إلى بسكرة عبر مدينة باتنة، وعملية سريانة التي استهدفت ضيعة المعمر «بوزو" والتي شهدت سقوط أول شهيد بالقطاع وهو عمر أقرور، ونتيجة لذلك وجهت له فرنسا رفقة بقية المجاهدين تهمة تكوين جماعة أشرار والقتل العمدي، ومحاولة تخريب مبان بواسطة متفجرات وقام الجيش الفرنسي بحملة تمشيط وبحث عن الحاج لخضر مصحوبة بحصار كبير سنة 1955 على مستوى مدينة باتنة وسريانة وعين التوتة والمعذر ومروانة من أجل الإتيان بالحاج لخضر، لكن باءت كل جهودهم بالفشل.

واصل العقيد لخضر عملياته فكانت عملية اغتيال المعمر «فيامـا» وكمين كوندورسي في شهر ديسمبر 1955، وكان الحاج لخضر من الحاضرين في معركة جبل أولاد حناش شهر أفريل 1958 بجانب عميروش، ولما توفي مصطفى بن بولعيد التحق بقيادة الولاية الجماعية رفقة علي النمر، وكان معروفا عنه أنه يرفض المناصب السياسية ويتركها للمثقفين من رفاق الدرب فقد رفض رتبة نقيب عرضها عليه عميروش، وبعد وفاة علي النمر تم تعيينه قائدا عسكريا للولاية بأمر من محمد

لعموري الذي قال له «يا عمي الحاج هذا أمر لا بد من تطبيقه»، ثم قائدا للولاية بالنيابة في أواخر 1958 حيث كانت قيادة الولاية السياسية في تونس وكان يتولاها العقيد أحمد نووارة قبل استشهاده.

حضر اجتماع العقداء بالداخل في ديسمبر 1958 بالولاية الثّانية وقام بتغييرات على مستوى قيادة الولاية الأولى في محاولة تحصيل الاستقرار والقضاء مجموعة المشوشين، وكان له دور فعال في ذلك خاصة بعد الاضطرابات التي شهدتها الولاية، كما حضر مؤتمر العقداء العشرة بالخارج في 1959 أين تم رسميا تعينه قائدا للولاية الأولى برتبة عقيد بعد استشهاد أحمد نواورة وتم تعيين عمار راجعي نائبا سياسيا والعقيد الطاهر زبيري نائبا عسكريا، لكن للأسف لم يتمكن من عبور خط موريس إلى الولاية الأولى بسبب محاولته الدخول بجيش ثقيل العدة والعدد وبعد أربعة أشهر من المحاولات الفاشلة تمكن منه الإحباط والإرهاق ما استدعى تنقله إلى سويسرا للراحة والعلاج، في حين أن نائبه العسكري الطّاهر زبيري تمكن من دخول تراب الوطن والالتحاق بالولاية الأولى ما أدى إلى تعيينه لاحقا قائدا للولاية برتبة عقيد خلفا للحاج لخضر.

من أهم إنجازات الحاج لخضر هو وضعه حجر الأساس لمسجد أول نوفمبر الكبير بباتنة، حيث كان يملك مصنع طماطم مع شريك له في واد سوف فقام ببيع نصيبه له وبتلك الأموال شيد أسس جامع أول نوفمبر الذي أكمل الناس تشييده عن طريق التبرعات، وفي 1980 تفرغ للعمل الخيري الديني حيث أسس جمعية إسلامية بهدف تأسيس مركز إسلامي فكان المعهد العالي للعلوم الإسلامية الذي ألحق آنذاك بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ثم أعيد إلحاقه بجامعة باتنة لاحقا، وقد بني المعهد والمسجد على أرض مطار عسكري أيام الاحتلال الفرنسي تنطلق منه الطّائرات للقصف وعن هذا قال الحاج: «هذا المكان الذي جعلته فرنسا جحيما تقصف منه الجزائريين، أنا سأقصفها انطلاقا منه، ولكن بالعلم».

وكان الحاج لخضر مواطنا صالحا متدينا إلى جانب كونه مناضلا وطنيا وفيا لوطنه وقد عرف عنه حفاظه الشّديد على أموال الثّورة وكان يرفض التمييز والمحاباة حيث رفض أخذ أجرة شهرية عرضها عليه الهواري بصفته عقيدا وقال إن كانت بصفتي مجاهدا وللمجاهدين غيري حق بها فأنا موافق، كما عرفت عنه الجرأة وعدم المجاملة حيث قال للرئيس الشاذلي بن جديد أثناء زيارته لباتنة: «سيادة الرّئيس الجزائر ليست مثل الدول الإفريقية الأخرى، إذا تخدم الجزائر فأنا وراءك، أما إذا انحرفت عن هذا الطّريق فسأكون أول من يقاومك»، إضافة إلى نفوذه الذي مكنه من حل العديد من المشاكل المستعصية بكثير من الحكمة والتعقل، حتى أن بعض من عايشوه يؤكدون على قدرته في حل الكثير من المعضلات عجز عنها الوزراء والولاة والمديرون التنفيذيين وممثلو المنطقة في المجالس المنتخبة.

وكان قوي الشّخصية صعب المزاج صادق القول والفعل فقد طبق عدة أحكام بالإعدام للحفاظ على الاستقرار وعاقب أحد جنوده لقتله طفلا فرنسيا صغيرا حيث قال: «صعدنا إلى الجبل لمحاربة الذين رفعوا ضدنا السلاح ولم نصعد لقتل النساء والأطفال والأبرياء»، وكان يكره الظّلم ونصيرا للمظلومين، يعزف عن تولي مناصب القيادة ويرى أن دور الشّباب في خدمة الوطن هو طلب العلم، التحق الحاج بالعلي القدير في 23 فبراير 1998 بباتنة ودفن بمقبرة بوزوران، ورغم زواجه أربع مرات إلا أنه لم يرزق بالذرية، وتمت تسمية جامعة باتنة باسمه تخليدا لذكراه.

كما ارتبط اسمه بإنشاء مسجد اول نوفمبر والذي حرص على ان يكون قلعة للإسلام لكلية العلوم الاسلامية كما كان له فضل بارز في انشاء مطار مصطفى بن بولعيد الدولي وغيرها من المنشآت الهامة تدعم التنمية المحلية في الولاية.

نعيمة سعدية

■ عتيقة لطرش (شافية بوذراع)
(و: 1348ه - 1930م/ت: 1443ه - 2022م)

شافية بوذراع واسمها الحقيقي عتيقة لطرش، رمز الفن الجزائري الأصيل، ولدت الفنانة الجزائرية القديرة شافية بوذراع في مدينة قسنطينة العريقة 22 أفريل 1930، ونشأت في أسرة ثرية. تزوجت شافية في سنّ مبكرة من المناضل الجزائري صالح بوذراع، فقدمت تضحيات جمة خلال ثورة التحرير الجزائرية، حيث ساندت زوجها في نضاله ضد الاستعمار الفرنسي، وتعرضت للاعتقال والتعذيب، وفقدت في متونها زوجها ورفيق دربها، الشّهيد صالح بوذراع، خلال أحد المعارك الفاصلة بين جيش التحرير الوطني والجيش الاستعماري سنة 1960 بالولاية السّادسة، وقد كان هذا الزوج أحد الوجوه المهمة في ولاية قسنطينة، خاصة وأنه درس في جامع الزيتونة وجامعة الأزهر، كما عاشت شافية مرحلة الاستقلال.

بدأت مسيرة شافية الفنية في ستينيات القرن الماضي، وشاركت في العديد من الأعمال المسرحية والتلفزيونية والسينمائية، وخلّدت اسمها بأحرف من ذهب في سجل الفن الجزائري.

تميزت شافية بوذراع بأدائها المتّقن للأدوار المتنوعة، وتجسيدها لشخصيات واقعية لامست قلوب الجماهير، ومن أشهر أدوارها:

عُرفت شافية بوذراع، بتسمية (لاله عيني)، وقد التصقت بها هذه التسمية إلى آخر يوم من حياتها وستبقى حتى بعد مماتها، إذ لا يتم ذكر اسمها دون ربطها بـ(لاله عيني)، وهي الشّخصية التي أدتها في المسلسل الشّهير (الحريق) أو (دار سبيطار) كما هو معروف في المخيال الشّعبي، ويتكون من 12 حلقة، مدة كل حلقة ساعة من الزمن، ويُعد هذا العمل من أكثر وأعمق الأعمال الدّرامية قربًا من الجمهور الجزائري، وقد قام بإخراجه مصطفى بديع سنة 1974، وعرض على

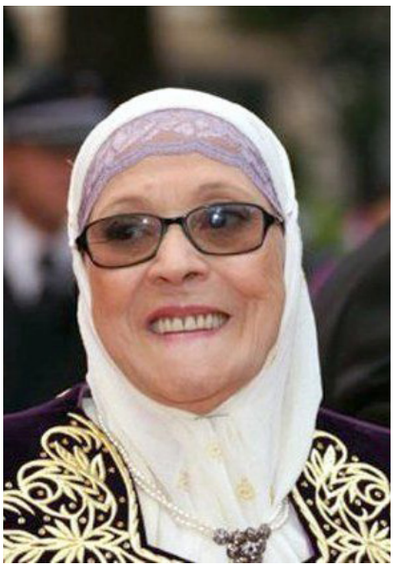

شاشة التلفزيون الجزائري، والجميل في الأمر أن الأسماء التي شاركت في هذا العمل أصبحت فيما بعد مكرسة بشكل واسع، ومن بينهم مثلا الممثلة بيونة التي أدت دور فاطمة، وعايدة كشود في دور زهرة، وعبد الرّحمان لوطاسية في دور عمر الصّغير، أما شافية فقد أدت دور (لاله عيني) التي تمارس التجارة في الأسواق الشّعبية، كما شارك في العمل كل من المصور يوسف صحراوي، والملحن لمين بشيشي، وصانع الدّيكور حسان الشّافعي، وغيرهم من الأسماء الأخرى التي صنعت هذه الملحمة، والأجمل في كل هذا أن العمل اقتبس من رواية الأديب الكبير محمّد ديب، وتجري أحداثها في مدينة تلمسان التي تقع في الغرب الجزائري، نقل من خلالها معاناة الشّعب الجزائري من قهر وتسلط وظلم الاستعمار الفرنسي، وهذا قبل الحرب العالمية الثّانية، ومن النّاحية الفنية كانت القصة عبارة عن نبوءة بالثورة الجزائرية أي الحريق (حسب العنوان) الذي سيأتي على تواجد الاستعمار الفرنسي ويحرق كل شيء، ورغم مرور تقريبا نصف قرن على إنتاج هذا العمل، إلا أنه لا يزال راسخًا في وجدان الجزائريين، ولم يستطع أي عمل درامي أن يأخذ المكانة التي حققها، كما كان مثالًا حيًا على الشّراكة النّاجحة بين الرّواية والفن بشكل عام، ولقد حوّلت شخصية لاله عيني التي أدتها شافية بوذراع إلى أيقونة في نظر الجزائريين، حتى أنه هناك من بات يطلق عليها تسمية (أم الجزائريين) خاصة وأنها عكست شعور الأمومة وتفاصيلها باقتدار.

خلال أربعة عقود، أدت شافية بوذراع أدوارا بارزة فبعد مسلسل «الحريق»، لمع اسم شافية بوذراع في المشهد الفني الجزائري، وأصبح حضورها ضروريًا في معظم الأفلام السّينمائية، حيث تهاطلت عليها العروض من داخل الجزائر وحتى خارجها، وفي فرنسا بالتحديد، ولهذا كانت لها مشاركات في معظم الأفلام الجزائرية، من بينها مثلًا مشاركتها في فيلم (الشبكة) (1976) لغوتي بن ددوش رفقة كوكبة من الممثلين كسيد علي كويرات وحسان الحسني وعبد الحليم رايس وفاطمة بلحاج، وفيلم (ليلى والأخريات) (1977) لسيد علي مازيف، و(امرأة لابني) (1982) لعلي غالم، و(شاي بالنعناع) (1984) لعبد الكريم بهلول، والفيلم الجزائري الألماني (العودة من الصّحراء) (1990) للمخرج برنارد ستيفان، والفيلم الفرنسي (محمّد برتراند دوفال) (1991)، للمخرج أليكس ماتيار، كما شاركت في تجربة ثانية مع المخرج الجزائري عبد الكريم بهلول في الفيلم الجزائري الفرنسي التونسي (مصاص دماء في الجنة) (1992)، كما كانت لها تجربة سينمائية مع عكاشة تويته في فيلم (صرخة الرّجال) (1999)، إضافة إلى مشاركتها في الفيلم الفرنسي (شارع بلو) (2001) للمخرج تشاد شينوجا،

وفيلم (زبدة بيضاء حمراء) (2006) لمحمّد زموري، وفيلم (مال وطني) (2007) للمخرجة فاطمة بلحاج، إضافة إلى العديد من الأعمال المسرحية والتلفزيونية والسينمائية الأخرى التي يصعب حصرها، ورغم تقدم سنها إلا أنها استطاعت أن تتعامل مع أدوارها باحترافية كبيرة، ما جعل العروض تتهاطل عليها من كل جهة، سواء من المخرجين الجزائريين أم الأجانب، لأنها تعكس شخصية الأمّ المتقدمة في السّن بقدرة كبيرة، سواء من ناحية الشّكل أم العواطف.

من بين أكثر الأفلام التي شاركت فيها شافية بوذراع شهرة وإثارة للجدل وذات قيمة فنية كبيرة، فيلم المخرج الجزائري رشيد بوشارب (الخارجون عن القانون) (2010)، والذي أثار وقتها جدلًا واسعًا، خاصة أثناء عرضه في فرنسا، وتدور أحداث هذا الفيلم بين فترتي 1945، و1962 في منطقة ولاية سطيف، وهذا على خلفية المظاهرات الكبيرة التي عرفتها المنطقة بعد انتهاء الحرب العالمية الثّانية، عندما رفضت فرنسا منح الاستقلال للجزائر بعد مشاركة الأهالي في حروبها، وهو الأمر الذي أخرج الشّعب الجزائري في مظاهرات، تم مواجهتها بقمع رهيب، حيث سقط أكثر من 45 ألف شهيد، وقد ركز فيلم بوشارب على ثلاثة إخوة جزائريين يعيشون في فرنسا بعد أن نجوا من تلك المجزرة الرّهيبة، وأدت شافية في هذه القصة دو الأم المجروحة والحزينة الخائفة على أبنائها.

أثار الفيلم جدلًا عالميًا واسعًا، خاصة بعد مشاركته في المسابقة الرّسمية لمهرجان (كان) السّينمائية، حيث أقيمت مظاهرات واسعة تطالب بعدم عرضه في قاعات السّينما الفرنسية وسحبه من المشاركة في المهرجان، كما أثار نقاشًا بين المؤرّخين وصناع السّينما، خاصة وأنه أظهر الوجه الخفي للمستعمر الفرنسي، وقد شاركت بوذراع في مهرجان (كان) وقدمت نفسها وسارت على البساط الأحمر رفقة النّجوم العالميين، كما وصل الفيلم إلى القائمة القصيرة التي تتنافس على جائزة أوسكار أفضل فيلم أجنبي، وهذا مع خمسة أفلام أخرى سنة 2011، كما فاز بالعديد من الجوائز العالمية المهمة، من بينها جوائز مهرجان دمشق السّينمائي الدّولي.

أما في الفن الرّابع، شاركت الممثلة، التي تقمصت دور الارملة في مسرحية (ترويض النّمرة) للمسرح الوطني الجزائري، في مونولوغ من إخراج حميدة آيت الحاج حول وضعية المرأة.

وتم تكريم الممثلة شافية بوذراع في العديد من المرات لا سيما من طرف المسرح الوطني الجزائري ومهرجان الفيلم العربي بوهران ومهرجان الفيلم بمسقط وهذا اعترافا بموهبتها الكبيرة والمسيرة الحافلة لهذه الشّخصية البارزة للثقافة الجزائرية التي كرست حياتها ومسيرتها خدمة للفن.

رحلت الفنانة القديرة شافية بوذراع عن عمر يناهز 92 عامًا في 22 مايو 2022، تاركة وراءها إرثًا فنيًا غنيًا خلّد اسمها كأحد أهم رموز الفنّ الجزائري الأصيل.

لم تقتصر إنجازات شافية بوذراع على الجانب الفني فقط، بل كانت مثالًا للمرأة الجزائرية القوية والصامدة، ورمزًا للنضال والكفاح من أجل الحرية والاستقلال.

وشكّل رحيلها صدمة كبيرة لدى الوسط الفني ومحبيها، بعد أن عاشت 92 سنة كاملة، أفنت أغلبها في العمل النّضالي والفني، ووجّه رئيس الجمهورية، عبد العزيز تبون، رسالة تعزية إلى أهلها، أبرز ما جاء فيها: «نودّعُ كوكبًا أَفَلَ من سماءِ الفنّ الجزائريّ، وقد صدَحَت المرحومةَ رفقةَ ثلّةٍ من فنّاني الرّعيلِ الأوّل للجزائر المستقلّة عبرَ رُكحِ المسارِحِ، وافتتحَت بواكيرَ الإنتاجِ التّلفزيونيّ والسّينمائيّ، وكانت مثالًا ومدرسَةً لأجيال من الفنّانين، ومَبعثًا للاحترام من جُمهور المتذوّقين على مرّ سنوات طوالٍ، فكانت (لالّه عيني) فنّانة بحقٍّ من طينة الفنّانين العالميين».

كما اعتبرت وزيرة الثّقافة والفنون، صورية ملوجي، شافية بوذراع في رسالة نعيها بأن: «الفقيدة المعروفة بشخصية (لاله عيني) تحفة لن تُمح من الذاكرة الفنية في الجزائر، فهي واحدة من الفنانات الجزائريات اللاتي عكسن الصّورة النّموذجية للمرأة الجزائرية في كفاحها، ونضالها ضد الحرمان والجهل والفقر، وبطش الاستعمار الفرنسي، فنشرت الحب والابتسامة في الوسط الفني، ومنحت الجمهور متعة المشاهدة، فأحبها، وحرص على متابعة كل كبيرة وصغيرة في مسيرتها الفنية الثّرية».

وستظل شافية بوذراع حاضرةً في ذاكرة الفن الجزائري والعربي، وإلهامًا للأجيال القادمة من الفنانين والمبدعين.

بوزيد سلامي

■ عثمان بهلول (رشيد)
(و: 1356ه - 1937م/ت: 1433ه - 2012م)

يُعدّ العقيد عثمان بهلول المعروف أثناء الثّورة المسلحة المباركة باسم (رشيد) آخر عنقود والديه علجة وبهلول بهلول من بين (5) أفراد بنتين وثلاثة أبناء، ولد في 27 نوفمبر عام 1937م بقرية الرّوضة التي تبعد عن مدينة تازمالت حوالي (2) كلم أين التحق كسائر الأبناء في سنه بمسجد القرية الذي يحمل اسم ولي الله سي أمحند ابهلول لحفظ ما تيسر من سور القرآن الكريم توطئة لالتحاقه بالمدرسة النّظامية بتازمالت التي نال فيها الشّهادة الابتدائية بتفوق نظرًا لذكائه ومواظبته.

ولكون والده الحاج بهلول متعلمًا وميسور الحال ماديًا ومحبا للعلم والعلماء. فقد أدخله إلى ثانوية بمدينة بجاية بالقسم الدّاخلي نظرًا لبعد تازمالت عن بجاية ثمانين (80)كلم، إسوة بما فعله مع أخيه أحمد الذي درس مع السّيد (عبدالرّحمن فارس) السّياسي المعروف وهذه الثّانوية ذكرها المجاهد المعروف (الجودي أتومي) في الولاية الثّالثة كونها معقل مجموعة من الطّلبة المجاهدين الذين لبّوا نداء الثّورة واستجابوا للإضراب العام عن الدّراسة في 19 ماي 1956م كما هو معلوم، ويعد الفتى عثمان في طليعة هؤلاء، حيث التحق بالمنطقة الرّابعة مجاهدًا دون تردد حتى أنه لم يستشر والده في هذا القرار المصيري، ولم يعلمه بالأمر إلا بعد مضي شهر عن طريق أحد مجاهدي عائلة بهلول، فاستقبل الوالد هذا القرار بفرح كبير سيما أن ولده عثمان صار السّكرتير الخاص للعقيد عمر أو عمران الذي تولى زمام أمور المنطقة الرّابعة بعد إلقاء القبض على قائدها رابح بيطاط في 23 مارس 1955م.

عند التحاق عمر أوعمران بتونس مباشرة بعد انتهاء أشغال مؤتمر الصّومام (20 أوت 1956م) بتكليف من قادته للإشراف على سير نظام الثّورة هناك وإعطاء أهمية قصوى لعملية جلب السّلاح للولايات السّت (06) التحق المجاهد عثمان بسي أمحمّد بوقرة سكرتيرًا خاصاً به، ونشير بهذا الصّدد إلى أن الولاية في هذه الفترة الزّمنية قد ضمت مجموعة شبابية مجاهدة ومثقفة إلى حدّ ما من ضمنهم هؤلاء

الضّباط على سبيل المثال محمّد بوسماحة الذي أصبح رئيس نادي شباب بلوزداد في ستينيات القرن الماضي، الرّائد بن خروف، تيتري، لخضر بورقعة، الكومندان عز الدّين زراري، بشير رويس، علي خوجة المشرف على كومندو الولاية؛ برعاية وتأطير من خيرة ضباط جيش وجبهة التحرير الوطني في طليعتهم سويداني بوجمعة، بوعجاج، يوسف الخطيب (سي حسن)، والعقيد الصّادق ديهليس، وهذه المجموعة تتحلى ببعد سياسي إلى جانب البعد العسكري حيث أنها استطاعت بهما رغم دسائس العدو بتخطيط النّقيب الدّاهية لجي والعقيد قودار نائب الجنرال السّفاح سالان وقواته المتمركزة بقوة في الجزائر أن تحرز عدة انتصارات عسكرية في الجبال خاصة بعد تشكيل كومندو (سي جمال) بقيادة علي خوجة، إضافة إلى العمل الفدائي الجبار الذي قاده المجاهد ياسف سعدي بمدينة الجزائر، وعلي عمار المعروف بعلي لبوانت وبوشافة بلقاسم المعروف بسي المختار دون ان ننسى اسهامات المرأة في هذا الجانب الحيوي الذي أربك فعلا خطط العدو المتمثل في نضال الجميلات الثّلاث: جميلة بوباشة، جميلة بوحيرد جميلة بوعزة، حسيبة بن بوعلي، احريز إيغيل وزهرة ظريف لا يسع المجال للاستطراد في هذا الموضوع الحيوي.

وحسب شهادة المجاهد محي الدّين علواش الذي كان إطارا بوزارة الاعلام والثّقافة في عقدي السّبعينات والثمانينات من القرن الماضي وصحافيا بعد ذلك يقول فيها إن عثمان بهلول شارك في بعض المعارك مع كومندو سي جمال، مما يرجح أن إصابته بجروح في إحدى عينيه تم في إحداها مما استوجب إرساله إلى الخارج للعلاج عبر تونس نظرا لاستحالة علاجه في الجبل وهكذا التحق بتونس في ربيع عام 1957م أين تم إدخاله إلى مستشفى الرّمادي المتخصص في علاج العيون ولكن ذلك لم يُجد نفعا فتقرر إرساله إلى بلغاريا الصّديقة وهناك تم علاجه؛ بعد معاناة كبيرة؛ لإنّ الإصابة كانت بليغة في إحدى عينيه بقيت آثارها وتبعاتها إلى ان انتقل إلى رحمة الله في 08 فبراير من عام 2012م بإسبانيا.

نظرا للعلاقة المتينة القائمة بين العقيد عمر أو عمران وعثمان لما كانا معًا في المنطقة الرّابعة فقد التحق هذا الأخير بمسؤوله الذي قضى معه مدة في تركيا وفي مصر كذلك، كما عمل أيضا في جيش الحدود التّونسية الجزائريّة وخاصّة مع مسؤوله المباشر في الولاية الرّابعة الرّائد عز الدّين الذي كان ضمن قيادة أركان الجيش التي أسندت للعقيد هواري بومدين في ديسمبر عام 1960م ومساعدة الكومندان سي سليمان (قائد أحمد) وعلي منجلي إلى غاية استرجاع السّيادة الوطنيّة عام 1962م.

دخل العقيد عثمان إلى الجزائر بعد استعادة السّيادة الوطنية برتبة ملازم أول في جهاز الأمن العسكري ما يرجح انتماءه إلى هذا الجهاز الحساس منذ أن كان في جيش الحدود الشّرقية، وتلقى تكوينًا عسكريًا أكاديميًا في الاتحاد السّوفياتي مما سمح له بأن يترقى بالتدرج إلى رتبة عقيد في الثّمانينات، وهي رتبة سامية في غاية الحساسية تتطلب شروطا في الذكاء والنزاهة والاستقامة والانضباط لإعطاء المثل. وفي هذا المجال قال لي الضّابط المتقاعد في الدّرك الوطني محمّد الأمين بن شريف في عام 1984م خلال مناسبة الاحتفال بالذكرى الثّلاثين لاستعادة السّيادة الوطنية ونحن بالقاعة الشّرفية لمطار هواري

بومدين ما معناه أن سي رشيد بهلول لا تستطيع المخابرات الامريكية ((CIA أن تستغفله أو توقع به لأنه ذكي ومتمكن من عمله جيدا.

نظرا لتولي العقيد قاصدي مرباح الأمانة العامّة لوزارة الدّفاع الوطني عام 1979م، بدل الجهاز الأمن العسكري تم تغيير طفيف في هذا الجهاز؛ حيث أسند منصب الملحق العسكري للعقيد عثمان بالاتحاد السّوفياتي في ربيع عام 1980م، وقام بهذه المهمّة خير قيام حيث أنه شهدت هذه الفترة شراء الجزائر أحسن وأرقى الأسلحة على غرار سام 1 وسام 2 التي كان العقيد عثمان يشارك في عمليات التفاوض نظرا لتكوينه الممتاز في هذا المجال، كما سبق قبل ذلك أنه قدم محاضرات على طلبة الأكاديمية العسكرية بشرشال من حين لآخر.

تميز بأخلاق فاضلة ممّا جعله محل تقدير واحترام من كلّ من عرفوه أو عملوا معه وهذه عينات منها؛

نظرا إلى أنّ أخاه أحمد له ستة (06) أبناء وأربع (04) بنات قرر أن يمنح لأحد أبنائه جزءا من تركته كمساعدة؛ ومرة ترجاه أحد أبناء أخيه كي يساعده في تمديد آجل التحاقه بالخدمة الوطنية فرفض ذلك بشدة قائلا له: إنك مثل باقية أبناء الشّعب؛

اتصلت به شخصيا في صائفة عام 1966م ليساعدني في استخراج جواز سفر وأنا مقبل على الدّراسة في جامعة بغداد قال لي بالحرف الواحد إنّ الرّئيس هواري بومدين منعنا من التدخل في مثل هذه الأمور وما عليك إلا الانتظار للحصول عليه في الوقت المحدد لذلك؛

في عام 1961م كنت نائب مدير في وزارة الاتصال وكان على رأسها أبو بكر بلقايد الذي كان صديقا حميما للعقيد عثمان لكنه لم يقدم لي أية خدمة لترقيتي نظرا لكوني ابن عمه؛

في إحدى المرات كنت في منزله عندما اتصلت به إحدى السّيدات تخبره بأن مجموعة من أولياء تلاميذ ثانوية ديكارت عزموا أن ينظموا مسيرة احتجاج على قرار الجزائر تأميمها وإعطائها اسم بطل المقاومة بوعمامة، فنصحها بعدم المشاركة قائلا: هل يعقل أن يدرّس تاريخنا من قبل الفرنسيين؟!

لقد تمت وفاته في 08 فيفري عام 2012م وهو في إسبانيا خلال فترة علاجه من جروح في عينه وكذلك إصابته بمرض السّرطان الذي توفي به دون اكتشافه إلا في أخر لحظة لم يتمكن من التعافي منه ونقل من هناك إلى الجزائر مباشرة إلى القاعة الشّرفية بمطار هواري بومدين تقديرا وإكراما له. وقد اتصلت بالمجاهد والوزير الأسبق السّعيد عبادو فقام بتأبينه بحضور سامي الشّخصيات العسكرية والمدنية يتقدمهم الألوية: توفيق مدين، عبد المجيد تاريكت، عبد الحميد جوادي، عبد المالك ساسي، السّعيد باي والوزراء: عبد الحق برارحي، خالدة تومي، ونقل رأسا من المطار إلى قرية الرّوضة بتازمالت؛ حيث دفن إلى جانب والده الحاج بهلول بهلول كما أوصى بذلك بحضور ممثل النّاحية العسكرية الخامسة تاركا ابنين صالحين هما الهاشمي ونبيل رحم الله العقيد المجاهد رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

لحسن بهلول

المصادر:

- المجاهد لحسن بهلول ابن عم العقيد عثمان؛
- السّيد الهاشمي بهلول ابن العقيد عثمان؛
- مجلة الجيش الصّادرة في شهر مارس عام 2012م.

■ عقيدة بنت عبد الكريم بوشنة
(و:1318ه - 1901م/ت: 1393ه - 1973م)

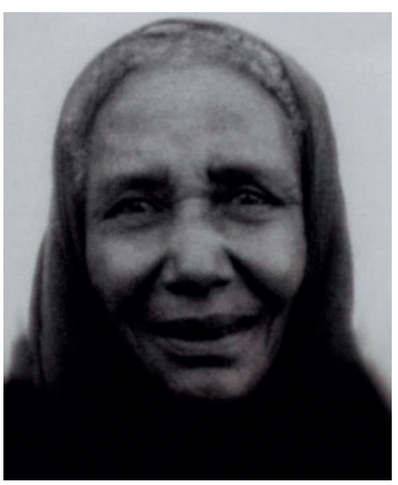

السّيدة عقيدة بنت عبد الكريم بن حميدة صفرة بن النّاجم بوشنة والسّيدة مباركة بن أمحمّد بن محمّد خويض. ولدت سنة 1901م بحي زاوية حينون بأولف. نشأت بين أحضان والدّيها مع إخوتها متأثرة بنمط التّربية المعتمدة على الدّين والأخلاق الفاضلة ورجاحة عقل والدّيها وسداد تفكيرهما.

تعلمت في الكتاتيب القرآن ومبادئ الدّين إلى أن بلغت سن الزّواج فتمت خطبتها إلى السّيد عبد الرّحمن بن حمادي خويض فأنجبت منه بنتين وولدا، ثم اختاره الله إلى جواره سنة 1945م. وبعد ترمل لم يدم طويلا تزوجها قريبها محمّد بن أحمد بله بوشنة فانجبت منه ولدين وبنتا، إلا أن القدر أختاره أيضا إلى جواره، فتولت بنفسها تربية أولادها وكفالتّهم وإعالتّهم مما كانت تكسبه من عمل يديها في الفلاحة والحرف التّقليدية ومشط وتصفيف شعور النّساء.

كانت رحمها الله على خلاف باقي ماشطات (مصففات شعر النّساء) عصرها ترفض القيل والقال في مجلسها وكذلك الغيبة والنّميمة، إذ كانت تشغل روادها

وجليساتها بالحديث عن الدّين وسيرة الرّسول الأعظم وشمائل الصّالحين من السّلف والخلّف، وأحيانا بإنشادها لقصائد المديح والأذكار. كانت لبقة في حديثها مع النّاس. تشد إليها النّفوس بحسن حديثها ولطف تعاملها، فلا تكاد تجدها من دون زائر أو أنيس. جمعت حولها بشاشة وجهها وحلاوة كلامها وطيب دعائها للناس بالخير والعافية والتّوفيق.

كانت في خارج أوقات عملها ملازمة لمجالس الذكر وأماكن العلم عند لالة الطّاهرة بنت محمّد الشّريف بن محمّد أحمد الدّولة أو السّيد ابقادي بن الحاج عبد الله قدي وبعده ابنه أحمد أو الطّالب أحمد النّعمة منصوري. ونتيجة هذا الحرص على تلقي العلم توفيت ولوحها مكتوب، إذ كانت شغوفة بتكرار بعض سور القرآن ذات الفضل الخاصّ وبعض المتون المشهورة بالمنطقة والخاصة بفقه النّساء.

ونتيجة لما تتمتع به من ذاكرة قوية وخيال خصب ورهافة حس وسلامة ذوق حفظت الكثير من أشعار المتقدمين الأمر الذي صقل موهبتها وأهلها بجدارة لقول الشّعر في مختلف الأغراض. ففي الرّثاء نجدها ترثي صديقتها ومعلمتها لالة الطّاهرة بنت محمّد الشّريف بن محمّد بن أحمد الدّولة بقولها:

دار سيدي مقصد
واللي هرب ليها يمنع
ولا يخيب مسلم
من فضل الله ذاك الغاني
يوم ضاقت بي
مشيت عند البرينية
سقاتني من الآية
فجات الغيض والمحاين
مقدمة يحجبها
هي العارفة مقعدها
على الحوض تفرني
هاديك لالتّي يحجبها
الله لا يغلقها دار
حتى لين تكبر لصغار
وتشد قاع مركز الأجواد
اللي بعيد واللي حاضر

وفي مدحها لإحدى صديقاتها السّيدة خديجة بنت بن عمر:

دخلت للقصبة باسم الله
لقيت فيها نواره
على أولاد بن عمر الفايزين
يعرفوا لخصايل
الله يجمع أولادك يالرّيم
تخلق لبشاره
على خديجة قلتوا للو زين
رايس لغوالي

ولما بلغت ابنتها مباركة أشدها وأصبحت تحسن الكلام وتبلغ المرسول، قالت فيها:

نحمد ربي لين نفعت للمرسول
حتى التّمريت ما نعيدو ذاك اليوم
على زين مباركة ينضر لوقات
لعظام مسيفة سواري في جامع
والحواجب ناشطين حرفين من خليل
لعيان مقعدة حرمة من تيسان
على روس السّلطنة وحكامة لبلاد
وأنا قلبي رضا وما عندي في النّاس
وعلى زين مباركة العالم ما صار

وفي وصفها لإبنتيها فاطمة ومباركة خويض، قالتّ:

عندي بدرين طلعوا في نهار
ولد الغزال يترتع ترتاع
النّيف هلال صوروا مول القدرة
والكاره كذاب ما يعيد كلام الخير
قلبو مدغوم واللسان ينطق بالعار
هدا لفيطنة والشّاهد ربي

كما نظمت في مدح الرّسول e أكثر من قصيد.

توفيت رحمها الله في 12 أفريل 1973م. فأحسن الله إليها ورفع مقعدها بين الصّالحين.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للترجمة والنّشر والتّوزيع، 2007.

■ علي الثّليجي (عمار)
(و: 1342ه - 1923م/ت: 1385ه - 1965م)

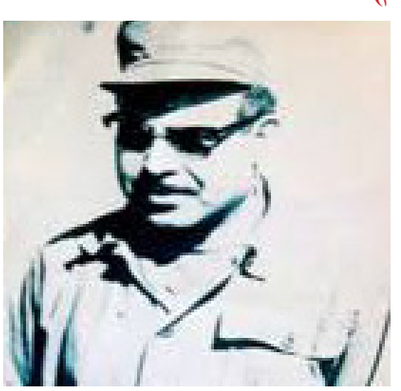

ولد المجاهد الشّهيد علي ثليجي المدعو سي عمار في يوم 26 ديسمبر 1923 بمدينة الأغواط من أسرة متواضعة ومحافظة. فقد كان أبوه يعمل في ميدان البناء. ولما بلغ علي سن الطّفولة فقد والده فعاش يتيماً في كفالة عمه، الذي تولى تربيته وتعليمه وعوضه حنان الوالد وأحسن تنشئته، وقد ظهرت ملامح شخصية علي منذ نعومة أظافره، فكان يمقت الظلم والاستعباد ويثور متى شعر بالذل والإهانة، وفي الوقت نفسه اتسم بالتسامح وحب الخير وبذل كل ما في وسعه من أجل سعادة الآخرين.

وقد تجلت فيه علمات النّبوغ والتفوق وهو في مرحلة التعليم الإبتدائي، وعرف بحدة الذكاء وسرعة البديهية وقوة الإرادة، وروح المثابرة، والميل إلى المرح والترويح عن النّفس. ولم يتنازل قط عن المراتب الأولى في جميع امتحانات المرحلة

الإبتدائية وبفضل هذه الميزات والسّلوكات تمكن بقوة من الفوز بمقعد في ثانوية ابن الشّنب بالمدية والتي قلما يحصل جزائري على مقعد في مرحلة التعليم الثّانوي بها، غير أنه لم ينه دراسته فيها فغادرها ليجد نفسه جندياً في الجيش الفرنسي، وكانت الصّدمة عنيفة عندما بلغ هذا النّبأ أسرته، فلم تكن تتوقع منه هذا التصرف لأن أبناء الجنوب في ذلك العهد غير ملزمين بتأدية الخدمة الإجبارية في الجيش الفرنسي، ومن اراد ذلك بمحض إرادته فله ذلك.

والعجيب أن علي ثليجي لم يستشر أحداً من أسرته ولا من اقاربه. ولعل التفسير الوحيد لهذا التصرف هو تذمره من تصرفات السّلطة الاستعمارية اتجاه المناضلين، لاسيما بعد أن أعتقل أخوه محمّد الثّليجي وزج به في السّجن وواجه أبشع أنواع التعذيب والتنكيل، ولم يلبث بالجيش وقتا طويلا حتى نفته السّلطات الإستعمارية إلى فرنسا فأودعته السّجن ومن هناك كتب مقالا في جريدة فرنسية يصف فيه معاناة المعتقلين الجزائريين في سجون فرنسا.

فقد يكون هذا الوضع المتأزم وما وقع لأخيه وغيره من المناضلين وخاصة من حزب الشّعب الجزائري هو الذي دفع به إلى التجنيد في الجيش الفرنسي لأنه كان المتنفس الوحيد الذي لجأ إليه الكثير من أمثاله علهم بذلك يجدون الوسيلة الوحيدة لإثبات الذات.

وأثناء وجوده في الجيش الفرنسي تنقل إلى جهات كثيرة من بينها الجنوب الجزائري ومنها إلى الهند الصّينية ليستقر به المقام في المغرب الشّقيق، وكان آنذاك ضابطاً في سلاح الإشارة ونظراً لمواهبه وذكائه الحاد وقوة شخصيته إكتسب خبرة عالية في ميدان العمل وبحكم الإتفاقات العسكرية التي تلزم فرنسا كدولة مستعمرة بوضع امكانياتها تحت تصرف الجانب الآخر.

كان الرّائد علي ثليجي من بين الضّباط الذين وضعوا تحت تصرف الجيش الملكي المغربي لمساعدته في اقتناء مفاهيم الإشارة بما في ذلك استعمال الرّاديو والصيانة وغير ذلك من المسائل المتعلقة بهذا الجانب. فقدم خدمات جليلة ومعتبرة للجيش الملكي، ومازال كذلك إلى ان التحق في شهر جوان 1956بجيش التحرير الوطني بواسطة الأخوين الطّيب بن يخلف وإبن اشنهو الذي كان موظفاً في الإدارة المغربية.

يُعد من بين المجنّدين الجزائريين الأوائل الذين فروا من صفوف الجيش الفرنسي وكان اتصاله الاول بالعقيد عبد الحفيظ بوصوف "سي مبروك" الذي أسند له إدارة أول مدرسة جزائرية للإشارة حيث تخرجت على يده أول دفعة في شهر أوت 1956 تحمل إسم الشّهيد "أحمد زبانة" وذلك في خلال شهر فقط عوض مدة التكوين القانونية التي تستغرق سنة على الأقل تلتها دفعات أخرى كانت بمثابة القاعدة الاساسية لسلاح الإشارة.

كما أشرف الرّائد علي ثليجي بالتعاون مع سي موسى على بث أول إرسال لاسلكي من الحدود المغربية إلى غاية القاهرة عبر حوالي ثلاثة آلاف كلم 3000 عبر الجو حيث تعرف المراسلان الجزائري والمصري على هوية كل منهما رغم محاولات التشويش اللاسلكية التي كانت تبثها فرنسا إنطلاقاً من محطتها بإبن عكنون الجزائر ويومها كانت فرحة العقيد بوصوف عظيمة لا توصف فرحته بهذا الجهاز العظيم الذي فتح آفاقاً جديدة للثورة الجزائرية ودفعها أكثر للمضي نحو انتزاع نصر جديد عبر الفضاء. ومن ثم تشكلت فرق الإشارة من المتخرجين الجدد، كلّف سي بومدين "الرئيس الرّاحل هواري بومدين " بمهمة إدخالها إلى الجهة الغربية من الوطن.

وفي ديسمبر 1956 أشرف الرّائد علي ثليجي على اول إرسال بصوت الجزائر الحرة من الحدود المغربية حيث كان لها الأثر الكبير في نفوس الجزائريين وتلتها بتطوان. واستمر مع رفقائه في الإشراف على المعدات لتكوين التخصص في الإشارة، وقد اشتهر بقدرته الفائقة في فك رموز مراسلات العدو، وكان له دور هام في تأسيس إذاعة الجزائر الحرة المكافحة في 16 ديسمبر 1956.

عُيّن على رأس قيادة الاتصالات السّلكية واللاسلكية عام 1957 وتكوين دُفعات من متخصصين في سلاح الإشارة وفك الرّموز. وبعد استرجاع السّيادة الوطنية واصل عمله بمسقط رأسه في الأغواط إلى غاية وفاته في 3 جوان 1965 على إثر حادث سير رفقة سائقه.

سمية خامس

المصادر:

- عيسى بوقرين، «مهندس الحرب الصّامتة الرّائد علي ثليجي (المدعو عمار) ودوره في بناء الأجهزة السّلكية واللاسلكية أثناء الثّورة»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 14، العدد 3، (2021).

■ عليُّ بن الفَحّام التِّلِمْساني
(ت:760 ه - 1359م)

أبو حسن عليّ بن محمّد، المعروف باسم ابن الفحّام تتلمذ على يدّ مجموعة من علماء تلمسان من أبرزهم عالمُ الرّياضيات الشّهير أبي عبد الله بن النّجار الّذي بلغ الذروة في علمي الجبر والهندسة، وكان ابنُ الفحّام كما قالَ عبد الرّحمن بن خلدون: «أكثَر رجالِ عَصْرنا تبحُّرًا في مُختلفِ فروع الرّياضيّات وفي الجبر والهندسةِ».

يعدُّ ابنُ الفحّام رائد علم الميكانيك والرّياضيات، ومُخترع أوّل منبّه في التّاريخ، عاصرَ الملوك التّلمسانيّين إبّان العهد

الزّياني، وكان من المقرّبين للسّلطان أبي موسى حمو الثّاني. صنعَ ابنُ الفحّام المَنْجانَةَ الموجودة بقصرِ المشور في تلمسان، هاته المدينة التي امتدحَها الخليفة العبّاسي هارون الرّشيد بقوله: « تِلِمْسَانُ بابُ أفريقية، ومن ملك البابَ ملك الدّار»، ولمّا ذاعَ صيتُ اختراعه هذا في بلاد المغرب طلبهُ السّلطان أبو عنان ليصنعَ له مَنْجانَة بفاس بالمغرب الأقصى.

والمَنْجانَة ساعةٌ ميكانيكيّة جدّ معقّدة لم يسبقْ لها مثيلٌ، وآلة لرصدِ الوقتِ ذات شكلٍ هندسيّ غريب، تعتبر أوّل ماكنَة ميقاتيّة ذاتية التّشغيل تَعملُ بدقّة عاليّة. وهي ساعَة بحجم باب ضخم بمصراعين، وصفها ابن خلدونٌ وصفًا دقيقًا مُبهرًا فقال: «...حِيَلٌ أحْكَمَتْ يدّ الهندسَةِ وضْعَها»، ظنَّها قنصلُ البرتغال جِنًّا عندما زارَ السّلطان الزّياني أبا موسى حمّو الثّاني في قصر المشور فقالَ لملك بلاده: « ولَقَدْ رأيْتُ بعيني جِنًّا وراء ملكِ تلمسان وسَمعتُ صَوتَه: تيكْ تيكْ تيكْ».

والمنجانَة، أو المنقانَة، أو الميقاتة، أو المنغالة، أو منكلة: آلةٌ لمعرفة الوقتِ تقوم مقامَ السّاعة الآن وأصلُ كلمةِ منكانَة فارسيّ.

وجاء ذكرُ هذه الآلة عند الكثيرِ من المُؤرّخين المغاربَة والأندلسيين، والرّحالة العلماء من أشهرهم المقري التّلمساني أحمد شهاب الدّين(ت 1041ه/ 1631م)، ويحي بن خلدون، وما تزخر به كتب التّاريخ حول هذا الاختراع نجد ما تمّ ذكره، قال عنها المقرّي وهو يصف طريقَه بالمشور:« أنه وبالقرب من السّلطان - رضوان الله عليه - خزانة المَنْجانَة وقد زخرفت كأنّها حلّة يَمانيّة لها أبوابٌ مركّبة على عددِ ساعات اللّيل الزّمانيّة، فمهما مضت ساعة وقع النّقر بقدر حسابِها وفتح عند ذلك بابٌ من أبوابها، وبرزت منه جاريّة صُوِّرت في أحسن صورةٍ، في يدها اليُمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك السّاعة باسمها، مسطورة فتضعها بين يدي السّلطان بلطافَة ويداها على فمِها كالمؤديّة بالمُبايعة حقّ الخلافة هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصّباح».

أمّا يحي بن خلدون شقيق عبد الرّحمن بن خلدون (ت 788ه) وهو من أفاضل العلماء وكاتب السّلطان أبي حمو موسى حمّو الثّاني، ومؤرِّخ دولته، فقد وصف المنجانَة العجيبة في كتابه: «بغية الرّواد في أخبار بني عبد الواد وأبي حمّو الشّامخة الأطواد» بقوله: « وخزانةُ المنجانَة ذاتُ تماثيل اللّجين المحكمة قائمة

المصنع تجاهه، بأعلاها أيْكة تحملُ طائرًا فرْخاهُ تحْت جناحيْه، ويخاتله فيهما أرقمٌ خارج من كُوّة بجذر الأيكَة صُعدًا وبصدرها أبواب موجفة عدد ساعات اللّيل الزّمانيّة، يعاقب طرفيها بابان موجفان أطول من الأولى وأعرض فوق جميعها، ودون رأس الخزانة قمرٌ أكمل يسيرعلى خطّ استواء نظيره في الفلك، ويُسامت أوّل كلّ ساعة بابها المربّع، فينقضّ من البابين الكبيرين عُقابان يفي كلّ واحد منهما صنجة صفر يُلقيها إلى طستٍ من الصّفر مجوّف، بوسطه ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة، فيرنُّ وينهشُ الأرقم أحد الفرخين فيصفّر له أبوه، فهنالك يفتح باب السّاعة الرّاهنَة وتبرزُ منه جاريَةٌ محترمة كأظراف ما أنت راء، بيمناها إذبارة فيها اسم ساعتها منظومًا، ويسراها موضوعة على فيها (فمِها) كالمُبايعة بالخلافة لأمير المؤمنين -أيدَّه الله-، حِيَلٌ أحكمت يدّ الهندسة وضعها وراضَ تدبير الخلافة، أعلى الله مقامه، شماسها».

إنّ هذا الوصفَ الدّقيق، بجزيّئات هذه السّاعة العجيبة ووظيفتها وما تقوم به من حركات، عند مضي كلّ ساعة، يدلّ على تطوّر صناعة الميكانيك في تلمسان، وتعدّ من الاختراعات الهامّة التي أبدعها العالم التّلمساني ليلة المولد

النّبويّ الشّريف، التي أصبح المجتمع التّلمساني يحتفل بها سنويًا.

وخلّد ذكرها بقصيدة بين يدي السّلطان أبي حمو موسى حمو الثّاني، على لسان جارية المنجانة للإخبار عمّا انقضى، من تلك اللّيلة وهذه أبيات قالها بعد الخامسة:

العالم الجزائريّ ابن الفحام التّلمساني مُخترع أوّل مُنبّه في التّاريخ

من مَجزوء الرّمل:

يا أميرَ المُسلمينا وجَمالَ العالمينا
والذي حازَ المَعالي كلّها دُنيا ودينا
قَد مَضَت لليْلٍ خمس حُسنها راقَ العيونا
وانْقضى النّصفُ فآه هكذا تَمْضي السّنونا
ومت في عزّ وسعد خالدّ الملك مكينا

في عامّ 1924 نشر المستشرقُ الفرنسي بروسبير ريكار(Prospère Ricard) دراسة مُعمّقة حول هذه السّاعة وصفًا وتفصيلا، لكن مع الأسف لم يبق منها إلّا هيكلها الخارجي، فقد ضاعت مع الحروب التي شهدتها المنطقة، وربّما فكّكت أجزاؤها، ويقال بأنّ بعض قطعها موجودة لدى بعض العائلات التّلمسانيّة.

قيل: «لو وُجدت المنجانةُ الآن لأعتُبرت من عجائبِ الدّنيا".

تمثل الصّورةُ السّلطان أبا حمو موسى الثّاني الزّياني وسط ساعة المنجانة، ذلك الاختراع العجيب من إبداع المهندس التّلمساني علي ابن الفحام في القرن 14 م، وهي عبارة عن ساعة ميكانيكيّة جدّ معقّدة، وجدت بقلعة المشور.

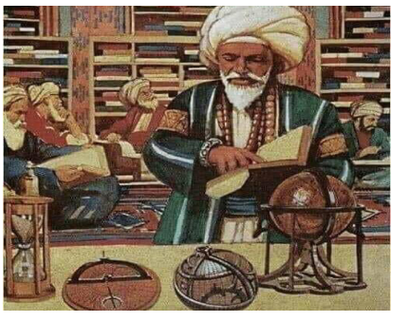

عبد النّاصر بوعلي.

المصادر:

- أحمد بن المقري، أزهارُ الرّياض في أخبار القاضي عيّاض، تحقيق محمّد مصطفى السّقا وآخرون، ج1، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، 1943.
- عبد الرّحمن بن خلدون، المقدّمة، حقّقها وقدّم لها وعلّق عليها عبد السّلام الشّدادي، الطّبعة الخامسة في خمسة مجلدات، الجزء الخامس، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون للعلوم والآداب، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، السّنة 2005
- عبد الحميد حاجيّات، الحياة الفكرية في تلمسان الزّيّانيّة، مجلة الأصالة العدد 26 السّنة 1977.
- يحيَ بن خلدون، بُغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: آلفراد بال، ج2، الجزائر، 1913.
- Ricard P – "L'Horloge de la Médersa Bou–Anania de Fès" in: Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord، vol. 25، 1924.

■ علي بن سعد الگماري السّوفي
(و: 1325ه - 1908م/ت: 1394ه - 1974م)

علي بن سعد بن علي خرن وتكتب خيران ولد خلال 1908م بگمار ولاية الوادي من أسرة محافظة متوسّطة الحال، تتكون من سبعة أفراد الأب والأم وخمسة أوّلاد (ثلاث ذكور وبنتان)، هاجر معظمهم أثناء الهجرات الإصلاحيّة الحجازيّة، تزوج وخلّف ذريّة بناتا وبنين.

نشأ الشّيخ علي بن سعد خرن في جو محافظ وعائلة محبة للعلم في بلدة ترزح تحت ظلم الحكم العسكري الاستعمّاري، وما أن بدأ الشّاب ينضج حتى فتحت مدرسة ببلدته متنورة يدرس بها الأستاذ الزّيتوني الشّيخ محمّد اللقاني ما جعله يعيش جوا علميا مع بعض أقرانه خاصّة وان شيخه كان يبث فيهم روح الاجتهاد والتّنافس فكان ينافس في حفظ القرآن والمتون المختلفة. ولم يلبث هذا الحال حتى فتحت مدرسة أخرى موازيّة لتلك إنّها المدرسة الإصلاحيّة التي أسسها الشّيخ عمّار بن لزعر القادم من الزّيتونة فأنخرط هذا الشّباب في هذه المدرسة أيضا واشتدّ التّنافس على طلب العلم بين الأقران، تأثّر بهذه المدرسة وبشيخها وأصبح من دعاة الإصلاح ومن رجال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين.

قرأ الشّيخ علي القرآن في بلدته على يدّ الشّيخ أحمد بن سالم هالي، وأتم حفظه على يدّ الشّيخ الأخضر بن الحبيب بوجلخة، أمّا باقي العلوم من فقه والعقيدة واللغة والحساب وغيرهم فقد جلس إلى مجموعة من شيوخ وعلماء بلدته خاصّة الشّيخ محمّد بن البريّة زبيري، والشّيخ محمّد اللقاني مؤسّس المدرسة الحديثة، والشّيخ عمّار بن الأزعر مؤسّس المدرسة الإصلاحيّة وقد أجازه هذا الأخير بإجازات

مختلفة مما أهله أن يلتحق بجامع الزّيتونة خلال 1927، الذي درس به سبع سنوات على عادتهم حيث تخرج سنة 1933 بشهادة التّطويع كان من أبرز رفاقه في رحلة الطّلب هذه الشّيوخ محمّد الطّاهر تليلي والحفناوي هالي وعبد القادر الياجوري، ليرجع معهم ويبدأ مسيرة حافلة بالعطاء.

أثناء رجوعه من الزّيتونة درس فترة قصيرة في المدرسة الإصلاحيّة الأزعريّة التي تخرج منها ثم ألحقته جمعيّة العلماء بمدارسها في مناطق مختلفة من الوطن خاصّة بسكرة والجزائر العاصمة ثم رجع سنة 1937 ليلتحق بالمعهد الذي أسّسه الشّيخ عبد العزيز شريف سنة 1936، في هذه الأثناء استفاد منه الكثير من الطّلبة الذين بث فيهم مبادئ الدّين الصّحيح وسنجد هؤلاء التّلاميذ هم طليعة المجاهدين في الثّورة المباركة أمثال عبد الكريم هالي والسّعيد عبد الحي وغيرهم.

هاجر والده بعد مضايقاته من طرف السّلطة إلى الحجاز سنة 1952 إلا أن علي بن سعد لم يهاجر معهم بداعي خلو السّاحة من المعلمين والأساتذة الذين بإمكانهم تعليم النّاشئة وبث روح الدّين والوطنيّة في نفوسهم.

كان من مستقبلي الشّيخ عبد الحميد بن باديس ووفد جمعيّة العلماء الذين حلوا بسوف تلك السّنة، ولكن السّلطة الفرنسيّة كانت لهم بالمرصاد وما أن حلت سنة 1938م وصدر القانون المتعلق بالتّعليم الحر حتى ثارت ثائرة هذا الرّجل ورفاقه عبد العزيز الشّريف والشّيخ عبد القادر الياجوري وعبد الكامل نجعي وغيرهم واستجاب لهم الشّعب، فكانت حوادث سوف الأليمة سنة 1938 التي كتب عنها الشّيخ عبد الحميد حيث اقتيد هؤلاء الرّجال الذين دافعوا عن التّعليم العربي الإسلامي إلى سجن الكديّة بعد تعذيب وإيهانة في سجن الواد ولدى حاكمها، مكث في السّجن حتى فجر 1940، حيث خرج وبقي تحت الإقامة الجبريّة اتصل وقتها رفقة الشّيخ الياجوري بالشّيخ عبد الحميد بن باديس وراجعوه في قرارات ورؤيّة جمعيّة العلماء ودعوه ليتبن فكرة الاستقلال والثّورة على المستعمر بالسّلاح وقد وافقهم على ذلك رحمه الله إلا أن المرض عاجله.

ثم توجّه إلى العاصمة التي استقرّ بها مدرسا في مدارس جمعيّة العلماء خاصّة بوفريك. وخلال ذلك حج الشّيخ علي بن سعد خرن عدّة مرات.

على غرار أكثر رجال جمعيّة العلماء الذين اشتغلوا بالتّعليم فلم يترك الشّيخ علي بن سعد مؤلّفات وكتبا ولكنّه ترك آثارًا في ذلك متمثلة في إسهامه في الصّحافة العربيّة الجزائريّة، حيث أسس سنة 1936 وهو مقيم بالعاصمة رفقة الشّيخ حمزة بكوشة جريدة الليالي، وقد جمع لها كتّابا من مناطق مختلفة من الوطن أمثال مفدي زكريا ومحمّد السّعيد الزّاهري والطّاهر بوشوشي وغيرهم. وقد كانت تكتب بحزم وشدة يقول عنها الأستاذ محمّد ناصر (ويبدو من أسلوبها في مخاطبة السّلطات الحاكمة صراحة شديدة، وهو غير ذلك الأسلوب المعتاد الهادئ الذي نلاحظه عند أغلب الصّحف الإصلاحيّة الأخرى)

يقول عنه الأستاذ سعد الله (أسس الشّيخ علي بن سعد الگماري جريدة (الليالي) سنة 1936 وكان صوتا هاما من أصوات الإصلاح على المستوى الوطني، وعاش السّجن والتّشريد).

ويقول عنه الأستاذ البشير خلّف (كان رحمه الله شرسًا في مقاومته للبدع والضّلالات، وصلبًا في مواجهة السّلطة الاستعمّاريّة الفرنسيّة.. وقد أصدر جريدة « الليالي» في العاصمة الجزائريّة 1936م إذْ كان قلمه سيفًا مسلطا على رقبة السّلطة الفرنسيّة في الجزائر، وما لبثت هذه أن أوقفتها عن الصّدور.)

بعد الاستقلال 1962 انخرط الشّيخ علي بن سعد في سلك التّعليم من جديد كأستاذ الثّانوي في عدّة مناطق من العاصمة آخرها ثانويّة الأمير عبد القادر في حي باب الوادي التي توفّي بها وهو يلقي درسه رحمه الله.

توفّي الشّيخ يوم جمعة في شهر حراما، كان ذلك يوم 17 محرّم 1394هالموافق ليوم 08 فيفري 1974م عن عمر ناهز 67 سنة إثر سكتة قلبيّة أثناء إلقائه الدّرس في القسم أمام تلامذته.

محمّد بن عمّار ماني

■ علي بن يحي
في حدود القرن 18

الولي الصّالح الشّيخ الجليل علي بن يحي، كان مولده في حدود القرن الثّامن عشر، نشأ الشّيخ نشأة علميّة في أسرة عريقة الجذور شديدة الأركان ثابتة الأسس والدّعائم متمسّكة بروح القيم الدّينيّة والمثل السّاميّة من هذا الينبوع النّقيّ ارتوت هذه النّفس الزّكيّة وترعرعت في وسط معتدل في روحه وذاته ومقامه ومأواه وتعامل مع الكون، منح أرضه زينة من عرق جبينه وراحتي يديه سيرا وقدما على قدم آبائه وكان شغوفا منذ صباه بحب العلم والمشايخ والتّأمل في ملكوت الله والنّظر بترو في هذا الفضاء الواسع الأركان وما يحتويه من دلائل وبراهين قائمة وبالسّعي والعمل الجادّ.

أضحي هذا القبس يزداد يوما بعد يوم إشعاعا ونورا وهو في مقتبل العمر وريعان الشّباب فكانت نقطة البداية لخوض غمار

أطوار الحياة وأوّل نقلة في كيان الشّيخ. وبالرّغم مما كان يمتاز به من حلم وأناة وحنكة وشهامة وكرامات مولاه الجليلة ارتقى على سائر إخوانه فضلا وشرفا.

طفق الشّيخ يحول الأنفاق والأقطار يغرف من مناهيل العلوم وفنونها جاب أنحاء المشرق والمغرب في طلب مبتغاه تنقل بين علماء أجلاء يرتوي من معينهم ويستلهم من أفكارهم آخذا بين الشّريعة والحقيقة فحاز شرف المأمول وبغيّة المني، ففاق أقرانه في الفقه والحديث والعربية وسائر المعارف وبلغ في التّصرّف والتّحقّق شأنا عظيما ومنزلة جليلة لدى العلماء وأهل الحقيقة.

كان لسابق العنايّة الرّعايّة شأن عظيم في ارتقاء الشّيخ الجليل القدر والأسوة الحسنة لأتباعه ومريديه ومحبيه في نهج طريقه القويم الى معراج السّالكين ومنار حجيج الله القائمة في عالم الشّهود فتجلّت في ذاته وصورته الصّفات العلى والأسماء السّنيّة بمعانيها ومعنوياتها على مقدار من الأنوار المحمّديّة فتحلّى بحلى الجمال والجلال وبدت في شخصه السّماحة والصّلاح باسمي معانيها وازداد بتواضعه وعفوه إجلالا وتقديرا عظيمين وبالإذلال والافتقار إلى مولاه وسنده عزا ومنعة وغناء وسموا وهبة في أعين الملاء وعامّة النّاس، وكان رحيما بالمستضعفين والمساكين والأيتام حليما مع كل فظ عنيد، جوادا بما لديه من زاد روحي ومادي أيقظ آذانا صمّاء وفتح أعينا عمياء وبسط أيد معلولة وقلوبا غلفا والسّنا بكمّا بنور الحكمة وشعاع العرفان، فكان بحق محل الفيوضات الإلهيّة والأخلاق السّاميّة في حله وترحاله.

القضاء منصب سام ولا يليه إلا من سمت نفوسهم وتجردت من كل الأعراض والأغراض واكتسبت المدد والعون من أحكم الحاكمين بافتقارها وخضوعها لغرته وعظمته وليس الإقدام بالأمر الهين عند من لا بصيرة له تنقل شيخنا في بقاع الأرض منطلقا من مسقط رأسه بمنداس بدوار بن عبد الله مقام ضريحه الآن وعبر مناطق الوطن العزيز يستنشق نسيم المعارف ويخوض بحار العلوم غائصا في أعماقها يستخرج ما لذ وطاب واستقرّ في مكنون المحيط من لألىء ومرجان وكنوز جمة على شتّى أصنافها من عيون وإنّهار ولطائف أجوائها ورحيق أغصانها وفروعها، كانت وبكل جدارة موطنه الثّاني فيها أنشا بذرة طيبة الأعراق من منابع شيخه الجليل وصهره العريق من واجه الميمون بابنة أستاذه ومعلمه وكان له منها نسمة سنيّة بريئة من كل عيب سميت باسمه المبارك علي الخليفة وسمي بالخليفة لان والده الشّيخ علي بن يحي خلّفه في بطن أمه ألا وهو علي بن علي. واستقرّ المقام آخر المطاف بفاس وتنفس الصّعداء وذاع صيته لدى أهل فاس وعرف شأنه ومنزلته لدى العلماء العيان وكانت فاس آنذاك المغرب تحت حكم الأدارسة بزعامّة إدريس الأكبر المؤسّس، فأصبح الشّيخ محط اهتمام وعنايّة لا مثيل لها فارتأت السّلطة الحاكمة وهيئة العلماء والعامّة من أهل البلد تعيين العالم العلّامة قاضيا للقضاة لنزاهته وسيرته النّظرة الوجود لدى الأوساط، وبعد ترو وبعد نظر في إقدامه على هذا الأمر الجلل والمنصب الجليل الخطب، واحاطة بكل الجوانب، تولى الشّيخ القضاء وسار في أحكامه سيرة أسلافه الصّالحين يزن الأمور بميزان العدل وينصف الحقوق والواجبات بمعيار الشّرع والحقيقة، فكم من قضايا شائكة عويصة تعرض عليه من بعض الأطراف فيفصل فيها في مدة وجيزة مبرزا خلّفياتها وكاشفا حقائقها ومدحضا أباطيلها ولا تأخذه في الله لومة لائم، ينصف للمحكوم من الحاكم مبتغيا إعلاء الحق، فعم عدله البلاد وحسنت أحوال العباد وصلح أمرهم وشاع الأمن والاستقرّار في كل شبر من بلاد فاس.

عني علي بن يحي عنايّة كبيرة بالمجال التّعليمي والتّربوي ونسخ حياته وما عز عليه في سبيل تغذيّة الرّوح والعقل، والانفتاح على المستقبل فكان بعد أداء صلاة الصّبح يجلس للدرس وللمذاكرة، إما في الفقهيات أو اللغة أو الحديث أو السّيرة النّبويّة العطرة وعند الضّحى وبعد صلاة العصر والمغرب.

وللذكر مقام جليل عند الشّيخ، فكان يعطيه جل اهتماماته ويحث مريديه على المواضبة على الذكر والأوراد والحزب وذلك أحيانا بعد العصر وأحيانا بعد المغرب وسائر أيام السّنة.

ظهرت على يدّ شيخنا كرامات عديدة لا يمكننا حصرها والإحاطة بها، فقد تحتاج الى وقفة خاصّة بها ونبرز للقارئ الكريم طرفا منها:

إن من إكرام الله لعبده إنّه وهبه ستة عشر ولدا كانوا كلهم علماء أتقياء أوّلياء نبعت من أصلابهم أرواح زكيّة وبذور طيبة، وهذه من أعظم الكرامات وللمهابة الجميلة لدى شيخنا الأغر والتّي تعد من هبة المولى جل وعلا ويكفينا فخرا واعتزازا التّضحيات الجسميّة والبطولات الفذة التي حمل لواءها عباقرة المجد وجهابذة العلماء وأنصارهم عبر الأحقاب والعصور لتحرير الوطن وصون المقومات والمقدسات الدّينيّة من براثن الاستعمّار، وللدور القيادي الذي قامت به الزّاويّة والتّي تعد نقطة الانطلاق ومركز الإشعاع ومهد الحضارة عبر التّاريخ لأجل وأعظم. والتّي تجلت مرات عديدة في تصديه للعدو ولأهل الجور من العامّة والخاصّة.

القائمة الاسميّة لأبنائه السّتة عشر:

- أوّلهم: سيدي راشد الصّغير بن سيدي علي بن يحيى جد أوّلاد سيدي أمحمّد بخدة المسمون الآن العمامرة أصحاب الحاسي هذا الأخير هو أكبر إخوانه.
- الثّاني: سيدي عبد الرّحمن بن سيدي علي بن يحيى جدّ الزّهايريّة.
- الثّالثّ: سيدي اسبع القاطن بازاء جبل الونشريس شمال شرق تيارت.
- الرّابع: سيدي أحمد بن محمّد.
- الخامس: سيدي بن يحي القاطن بازاء العطاف ولاية الاصنام سابقا.
- السّادس: سيدي احسين.
- السّابع: سيدي عبد القوي.
- الثّامن: سيدي عبد العزيز.

– التّاسع: سيدي لزرق رحمه الله.
– العاشر: سيدي ابو بكر.
– الحادي عشر: سيدي عبد المالك جد البعض من الشّوالة.
– الثّاني عشر: سيدي الهواري جد البعض من الشّوالة امهم علو البقضويّة.
– الثّالث عشر: سيدي السّعيد يقيم بازاء مشتى غانم وأولاده في واد امجاريف.
– الرّابع عشر: سيدي خلّف الله القاطن بازاء السّوگر ولاية تيارت.
– الخامس عشر: سيدي إبراهيم يقال قاطن بازاء أوّلاد ميمون ولاية تلمسان.
– السّادس عشر: سيدي علي بن علي القاطن بمشريّة امه من فاس بنت شيخة – فأما البنات فهن السّيدة بختة أم أولاد سيدي عبد الله ابن الخطّاب الثّانية ذهيبة أم أولاد بن ذهيبة الثّالثة السّيدة فاطمة أم أولاد سيدي بن فاطمة القاطنين بازدامة.

بلعالية بن يحي

■ علي خوجة
(و:1351ه - 1933م/ت: 1376ه - 1956م)

مصطفى خوجة المدعو سي خوجة، ولد يوم 21 جانفي 1933، بالجزائر العاصمة، وهو الطّفل السّادس من أحمد خوجة وخداوج بن جعفر، نشأ في أحضان أسرة متوسطة الحال حيث كان والده يعمل في محل للتبغ ببلكور يسمى معمل الميهوب. بعد فترة انتقلت الأسرة للإقامة ببن عكنون حيث التحق علي خوجة بالمدرسة الابتدائية الفرنسية أين تمكّن من ملاحظة الفوارق بين أبناء الأوربيين وأبناء الجزائر المتمدرسين، وبعد سنوات من التمدرس طرد منها وهو في سن الرّابعة عشر، ولأنه تربى يتيم الأب بعد وفاة والده سنة 1942، تولى شقيقه حميدو مسؤوليته ومسؤولية العائلة.

في سنة 1952 أُجبر علي خوجة على أداء الخدمة العسكرية لأول مرة لمدة ثمانية عشر شهرا ببودواو أولا ثم ببوزريعة، ورغم أنه كان جنديا مثاليا محبوبا من مسئوليه إلا أنه تأثر كثيرا بأساليب التدريب القاسية إتجاه الجزائريين خصوصا أولئك الذين لا يحسنون اللغة الفرنسية، وقد أكمل مدة تجنيده وخرج من الجيش الفرنسي وهو يتوعد بالثأر ذات يوم من هذه المعاملة العنصرية.

سنة 1955 أستدعي مرة ثانية للخدمة العسكرية فلم يرقه الأمر وأثر فيه كثيرا خصوصا وأنه قد بدأ العمل من جهة، والثورة قد اندلعت من جهة أخرى. لكنه أجبر على العودة للجيش الفرنسي وبالذات إلى ثكنة « الأرسونال " في Champ manœuvre ونظرا لسجله المشرف أثناء الخمة العسكرية أوكلت له مهمة « مسئول مركز « برتبة عريف مع القوات الفرنسية في حربها في الفيتنام.

عندما توسّعت نشاطات الثّورة بعد هجمات 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني،

الوقوف من اليمين إلى اليسار: أعمر أوعمران، رشيد غرين، علي خوجة، إسماعيل عبد السّلامي، رابح مقراني، أمحمّد بوقرة، محمّد زعموم
الجلوس من اليمين إلى اليسار: عبد الله بربار، عبد الرّحمان لعلا، محمّد فراج، حسين البوشي، عبد القادر كبدي، (مجهول)

إلتقى علي خوجة في الثّكنة بأحد المجنّدين الجزائريين يدعى علي سواق وأقنعه بالفرار من الثّكنة والانضمام إلى الثّورة، لاسيما أنّ الثّورة في هذه الفترة كانت بحاجة إلى رجال يحسنون استعمال السّلاح، ومنهم الذين جنّدتهم فرنسا في الحربين العالميتين أو شاركوا

قرّر علي خوجة وزميله الفرار من الثّكنة العسكرية والانضمام إلى الثّورة

في ليلة 17 أكتوبر 1955، إغتنم علي خوجة وزميله فرصة نوم جنود الثّكنة وهربا نحو القصبة ومعهما الأسلحة والذخيرة التي كانت بحوزتهما، وفي هذه الأثناء أعلنت القوات الفرنسية

حالة إستنفار قصوى للبحث عن الفارّين وأرسلت الدّوريات للبحث عنهما. لبث مصطفى خوجة وزميله مدة أسبوع بمنزل يقع في آعالي القصبة بالقرب من مستشفى فيردان (مستشفى علي آيت إيدير حاليا) وبعد أن هدأ البحث عنهما نزلا إلى ساحة بور سعيد تحت حماية الفدائيين حيث كانت هناك سيارة قامت بتهريبهما إلى معاقل الثّورة ببني عمران بالقرب من باليسطرو (الأخضرية حاليا)، أين كان في انتظارهما مسؤولو جيش التحرير الوطني على رأسهم أعمر أوعمران. ونظرا لذكاء علي خوجة وخبرته العسكرية العالية وقدرته على التخطيط، أسندت إليه مسؤولية الإشراف على مجموعة من المجاهدين.

وفي نهاية جوان 1956، وبعد أن تدعّمت صفوف الثّورة بعناصر بشرية شابة، إقترح الشّهيد على قيادة الولاية الرّابعة تشكيل وحدة الكومندوس، كما أشترط على من يريد الانضمام أن يكون قوي البنية وذا تجربة عسكرية كبيرة، وبخاصة أولئك الذين شاركوا في الحرب بين فرنسا والفيتنام، وحظي اقتراحه بالموافقة. إبتكر علي خوجة خطة لنصب الكمائن والهجومات، فكان يخبر أفراد الكومندوس أولا بالعملية المطلوبة ولكنه لا يطلعهم على تفاصيلها قبل موعد التنفيذ، ثم يذهب مع بعض رفاقه إلى المكان الذي ستنفّذ فيه العملية، ليعاينه ويدرس الخطة على أرض الواقع ثم يعود، وقبل التنفيذ ينتقل مع فرقة الكومندوس إلى مكان العملية قبل الوقت المحدّد ليشرح لأفرادها كيفية التنفيذ. فاستطاع بهذا الأسلوب أن يحقق الكثير من الانتصارات، وفي بعض الأحيان يستعين بالمجنّدين الجزائريين العاملين بثكنات العدو بعدما ربط علاقة بهم وتمكّن من إقناعهم بضرورة التعاون مع الثّورة.

قام علي خوجة بعدة عمليات من أهمها الهجوم الذي قاده على مركز عين الدّفلى وأسول ببلدية أولاد موسى في 23 سبتمبر 1955 حيث تمكن من القضاء على 37 جنديا فرنسيا وكمين بالسترو (الأخضرية حاليا) الذي نصبه رفقة جنوده لدورية عسكرية في 18 ماي 1956 وأودى بحياة 20 جنديا فرنسيا. والكمين الذي نصبه في 1956 ببلدية تابلاط وقاد في نفس اليوم اشتباكا في نفس النّاحية أسفر عن القضاء على 18 جنديا فرنسيا وتوالت انتصاراته فعيّن قائدا على المنطقة الأولى بالولاية الرّابعة بنواحي جبل بوزقزة.

بعد شهرين من انعقاد مؤتمر الصّومام، خطّط علي خوجة لعملية جريئة بالهجوم على ثكنة عسكرية ببرج البحري ليشعر العدو بأنّ قواته في المدن، لكن العدو اكتشفوا مكان تواجدهم حينما قبضوا على أحد المناضلين، فهجمت قوات العدو مدجّجة بالآليات الحربية الثّقيلة على المنزل الذي اتخذه مناضلو الجبهة مركزا صحيا لمعالجة المجاهدين الجرحى، أين تبادل المجاهدون إطلاق النّار مع القوات الفرنسية، ونظرا لتفوّق العدو تمكّن من القضاء على بعض المجاهدين من بينهم علي خوجة، الذي سقط قتيلا رفقة 9 من رفاقه في هذه المواجهة بتاريخ 11 أكتوبر 1956 ببرج الكيفان.

نظيرة شتوان

المصادر:

- عبد القادر ماجن، « الشّهيد علي خوجة «، مجلة أول نوفمبر، العدد 73، 1985، ص 36-40.

■ علي زرماني
(و: 1344ه - 1925م/ت: 1377ه - 1957م)

ولد علي زرماني في عام 1925 بمشتى بني برومان، دائرة بوقاعة بولاية سطيف، من عائلة فقيرة تتكون من 5 بنين وبنات لم تسعفه الظّروف للتعلم. كان يعيل الأسرة، كونه أكبر إخوته، متنقلا بين الحين والآخر من قرية بوسلام ببوقاعة إلى الجزائر العاصمة، وقد باشر العمل بها منذ عام 1946 وذلك كعامل يومي يقطع الأخشاب ويبيعها بغابة بينام واستمر على هذا المنوال حتى أواخر عام 1949.

وفي بداية عام 1950 سافر إلى فرنسا طلبا للعمل حيث اشتغل في مصنع للكبريت بشارع سان دوني بضواحي باريس، وبقي باستمرار على اتصال بأسرته في بوسلام، يقتطع دائما من أجره لإعالة أفرادها، هذا من جهة. ومن جهة ثانية بدأ يشارك في الاجتماعات التي كان يعقدها أعضاء من الجالية العاملة بالمهجر، يقوم بالاتصالات التي كانت توكل إليه في سرية. ومن بين الإخوة الذين تعرف عليهم العقيد عميروش ضمن الاجتماعات التي كانت تعقد بالضاحيتين 18 و20 بباريس، وذلك في إطار توعية المناضلين بالقضية الوطنية، ولم يلبث أن عاد الشّهيد إلى قريته ببوسلام في عام 1952، وظل الشّهيد يواصل نشاطاته باعتباره أحد مناضلي حزب الشّعب الجزائري، وأحد المكلفين بجمع الاشتراكات

والإشراف على عقد الاجتماعات وتنشيط خلايا الحزب هناك.

وما أن اندلعت الثّورة التحريرية في أول نوفمبر 1954، وبدأت أفواج المناضلين من الشّباب العامل بالمهجر تعود للجزائر للالتحاق بالثورة حتى تكثفت النّشاطات السّياسية أكثر من ذي قبل بمختلف المدن الفرنسية وحيثما يوجد العمال الجزائريون، مما اضطر السّلطات الفرنسية إلى تشديد الرّقابة على الأعضاء البارزين من المناضلين والمساندين للقضية الوطنية. وبالرغم من مضايقات الشّرطة وأعوانها فإن العمل السّياسي لم يتوقف من جمع الاشتراكات وغيره، كما أن سبل عودة المناضلين للجزائر والتحاقهم بالثورة لم يتوقف أيضا، فقد كان الدّخول للجزائر يتوالى باستمرار ونذكر بأنه على إثر عودة الشّهيد علي زرماني في شهر أوت 1955، إلى مسقط رأسه ببوسلام، اتصل بقيادة جيش التحرير الوطني وتم تجنيده من قبل العقيد عميروش وذلك بدشرة أولاد عمارة ببلدية بوسلام. وتعين كمسؤول سياسي في المنطقة الثّالثة، الولاية الثّالثة. إضافة إلى أهم المعارك التي خاضها الشّهيد وعمله السّياسي المتمثل في توعية الشّعب وتعبئته، فقد شارك بفعالية في عدة معارك واشتباكات وأبلى فيها بلاء حسنا، ومن أهمها نذكر: خلال شهر سبتمبر 1955، هاجم الشّهيد مدرسة بتيزى ابراهم وقتل بها بعض الخونة من أعوان الاستعمار. كما شارك في معركة بني خلاد (6 يناير 1956) التي خلفت في صفوف العدو (40) جنديا بين قتيل وجريح، في الوقت الذي سقط فيه 3 من جنود جيش التحرير.

وقد تنقل الشّهيد إلى الولاية الثّانية (الشمال القسنطيني)، في المنتصف الأول لسنة 1956، لأداء مهمته المتمثلة في توعية الشّعب وربط الاتصالات بينه وبين جيش التحرير الوطني بكل تفان وإخلاص، عاد بعدها للولاية الثّالثة لمواصلة مهمته ويشارك في عدة معارك واشتباكات من بينها:

معركة تيزى كورغ (بوسلام) في 17 اوت 1956 التي شارك فيها الشّهيد بفرقة تتألف من 30 جنديا ضد كتيبتين للعدو تتكون من حركة ولفيف أجنبي، واستمرت المعركة من منتصف النّهار إلى غروب الشّمس لحقت فيها بصفوف العدو خسائر كبيرة تمثلت في 8 قتلى من جنود اللفيف الأجنبي، وتم غنم بندقية رشاش من نوع ماط 49، بينما لم تسجل أية خسائر في صفوف جيش التحرير سوى جرح المجاهد يوسف لفناي في رجله.

معركة بني مليكة دوار كنديرة (بجاية حاليا) شهر ماي 1957: خاضت هذه المعركة كتيبة لجيش التحرير الوطني بقيادة الشّهيد علي زرماني ضد قوات ضخمة للعدو واستمرت المعركة من منتصف النّهار إلى غاية التاسعة ليلا، وقد تكبدت فيها قوات العدو خسائر فادحة قدرت بـ 60 عسكريا وعدد كبير من الجرحى، كما تم إسقاط طائرة عمودية، بينما تمثلت خسائر جيش التحرير الوطني في استشهاد مجاهد واحد وجرح امرأة عجوز في صفوف المدنيين.

معركة تاعرقوبت (شتاء 1957) شارك فيها فوج يتكون من 13 مجاهدا بقيادة الشّهيد علي زرماني ضد قوات للعدو قدرت بـ 700 عسكري، منها 200 قدمت من ناحية بني مليكة، ومن نتائج المعركة مقتل 15 جنديا للعدو وجرح عدد مماثل بينما استشهد في صفوف جيش التحرير الوطني 4 شهداء.

قبيل المعركة وبيوم سابق لها، كان المساعد علي زرماني على رأس كتيبة لجيش التحرير الوطني قوامها 85 مجاهدا وينوبه كل من أمريج الطّاهر وبقة وارى بتاوريرت البير، دوار كنديرة، وقد تحول بالكتيبة إلى دشرة آيت ترعة حيث كانت الليلة مقمرة. وبمجرد تقدم جنود الكتيبة سمعت طلقات من النّيران بالسفح الآخر من الجبل، واكتشفوا حينئذ تواجد قوات العدو التي نصبت لهم كمينا بتيزي كنبيثه غير بعيد عن موقع تمركزهم. وبعد أن تأكد جنود الكتيبة من محاصرة قوات العدو لهم في الصّباح الباكر من يوم 13 أوت 1957، عمدوا إلى تسلق الجبل والصعود إلى قمته بينما كانت قوات العدو تقصفهم بمدافعها، وفي تلك الأثناء أصيب الشّهيد علي زرماني نتيجة انفجار شظايا قنبلة في كتفه، واستشهد إلى جانبه المجاهد عمار بوغيذن.

يجمع أغلب المجاهدين من رفقاء الشّهيد في السّلاح بأن الشّهيد كان رمزا في الاستماتة

والتحدي، وكان في مستوى المهمة التي أنيطت به، بحيث كانت له قدرة على التأثير في أوساط الشّعب إلى جانب الإرادة الصّلبة التي كان يتحلى بها، وفي أعماقه كبير الأمل في استقلال الجزائر وحريتها. من أقواله الشّهيرة التي كان يرددها «بنا أو بدوننا ستستقل الجزائر..»

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- علية عثمان بن الطّاهر، مجلّة أول نوفمبر 1954، عدد 65 سنة 1984، ص 32.

■ علي شكيري
(و: 1347ه - 1928م/ت: 1375ه - 1956م)

الشّيخ علي بن بوبكر الملقب بلقب عائلته شكيري ومن المعلوم عند أهل النّسب أن عائلة شكيري تنسب إلى عرش (قبيلة) أولاد بوعافية أحد العروش الكبرى التي يتشكل منها النّسيج السّكاني للبلدة.

ولد صاحب ببلدة قمار يوم 28/ 09/ 1928م وبمسقط رأسه نشأ وترعرع في أحضان عائلته التي كانت تشتغل بالفلاحة الموسمية وغراسة النّخيل بمنطقة الاهواد الفلاحية غربي مقر البلدة.

أما الحياة التّعليمية والدّراسية للمترجَم له فحسب المصادر والمراجع التّاريخية كانت على النّحو التّالي:

التّعليم القرآني: فقد تعلم كتاب الله تعالى على يدّ الشّيوخ: الشّيخ الأخضر خباز والشّيخ عمار العمري.

التّعليم العربي الحر على يدّ مشايخ البلدة في مدرسة النّجاح.

التّعليم النّظامي العصري: زاول تعليمه النّظامي باللغة العربية بالمدرسة الفرنسية الموجودة في البلدة (رضا حوحو حاليا).

التّعليم الزّيتوني: بعد ذلك شد الرّحال إلى قبلة العلم والعلماء بالشّمال الأفريقي جامع الزّيتونة المعمور وبقي سنوات ينهل من المنهل الصّافي للعلوم إلى أن توج مساره العلمي بحصوله على شهادة الأهلية دورة أكتوبر 1948 وإحرازه على شهادة التّحصيل للعلوم دورة أكتوبر 1951 ورسم بالسّنة الأولى من المرتبة العالية بالقسم الشّرعي للسنة الدّراسية (1951-1952) وتولى في هذه الفترة خطة مراقب عامّ لجمعية الطّلبة الجزائريين الزّيتونيين سنة 1952م.

بعد ذلك شدّ الرّحال في بعثة علمية لمواصلة تعليمه العالي بجامعة بغداد وبعد سنوات من الدّراسة توج مساره بحصوله على شهادة ليسانس في العلوم القانونية والإدارية 1956 من كلية الحقوق بالجامعة المذكورة أعلاه ليعود بعد ذلك إلى البلاد التّونسية.

بدأ نشاطه السّياسي والنّضالي في سن مبكرة حيث انخرط سنة 1946 في حزب الشّعب الجزائري

ترأس جمعية الطّلبة الجزائريين في تونس في الفترة ما بين 1950-1952.

كان عضوا في المنظمة السّرية التّابعة لحزب حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية.

كما عمل في الرّابطة الثّقافية الكمارية.

له مقالات في الجرائد و ا لصّحف .

كان من الأوائل الذين انضموا إلى جبهة التّحرير الوطني وأسهم مساهمة فعالة في الثّورة التّحريرية ومن أهم أعماله التي قام بها في سبيل تحرير بلاده نجد أنه:

كان على اتصال دائم بمكتب جبهة التّحرير بالخارج والموجود مقره بالقاهرة والذي كان من أعضائه حسين آيت احمد وأحمد بن بلة ومحمّد خيضر....

كان يراسل الصّحف العربية بالمشرق العربي من أجل التّعريف بالقضية الجزائرية خاصّة الصّحف العراقية وكل كتاباته تلك كان يوقعها باسم (علي الجزائري) وهو اسم مستعار وهذا الاسم في حقيقة الأمر قد لزمه منذ 1946 تاريخ انضمامه إلى حزب حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية.

ومن الشّخصيات الوطنية والنّضالية التي كان لها احتكاك بعلي شكيري نجد المرحومين مولود قاسم نايت بلقاسم وعبد الحميد مهري.

بعد عودته من بغداد سنة 1956 استقر بتونس وعمل مع القادة السّعيد عبد الحي وهالي عبد الكريم قادة التّنظيم الثّوري بالبلاد التّونسية وكلف علي شكيري بجهاز الأمن وأبلى في ذلك البلاء الحسن.

استشهاده:

استشهد علي شكيري في نفس السّنة التي تخرج منها وقدم نفسه عزيزة في سبيل الله دفاعا عن الوطن والأرض والعرض.وتاريخ استشهاده سنة 1956 وذلك على إثر حوادث مؤلمة عرفتها الثّورة التّحريرية.

التّيجاني التّهامي

■ علي محساس
(و: 1341ه - 1923م/ت: 1434ه - 2013م)

ولد المناضل أحمد محساس (الأصح مهساس) "المدعو علي" بودواو سنة 1923 في عائلة تشتغل بالفلاحة، وقد ترك مقاعد الدراسة سنة 1940 في المرحلة الثّانوية، ولقد كانت مسيرته النّضالية متميزة، وكذلك المواقف التي انبثقت عنها وواكبتها، ولقد وجد نفسه بحكم الظّروف دائما في مواقف ثورية، الأمر الذّي جعله ينظر للأحداث نظرة خاصة.

ولقد كان والد «علي» محساس في مطلع ثلاثينات فلاحا بضواحي بودواو، وكعادة الفلاحين كان يقص على أبنائه من حين لآخر بعد مآثر الأجداد، ومنها المشاركة في ثورة المقراني، وذات يوم كان الصّبي مع والده وراء المحراث فإذا بالأرض تنفرج أمامهم عن رفات إنسان، فقال الوالد أنه رفات مجاهدين من ثورة 1871، وبادر بدفنها ثانية عند زيتونة كانت ماثلة في الحقل، ولم يكن حاضر هذا الطّفل أقل إيحاء من ماضي آبائه فقد نشأ الطّفل على الوطنية نشأة طبيعية، وفي المدرسة الابتدائية جند «علي» من شباب الحركة الوطنية لبيع صحف الحركة ومنها صحيفة الأمة، وفي تلك السّنّ المبكرة اتخذ الطّفل مع بعض أقرانه مثلا أعلى قدوة، وهم المناضلون الذّين سبقوهم، ولم تكن الوضعية العائلية تسمح لعلي بمواصلة الدراسة، فدخل مثل عامة الجزائريين عالم الشّغل مبكرا، ليكتشف حالة الاستغلال التي كان عليها أبناء بودواو القرية الكولونيالية في معمل تعاونية التبغ، كان ذلك سنة 1940، وسرعان ما وجدت النّزعة المطلبية الكامنة في علي ما يغذيها فشارك في تنظيم إضراب بالتعاونية أودى به إلى السّجن لأول مرة.

ولم تطل إقامته بالسّجن، لكن هذا الحادث بالإضافة إلى مواقفه الوطنية

جعله شخصا غير مرغوب فيه تقريبا بالقرية فكان عرضه لمتاعب وإزعاجات يومية من قبل رجال الدرك.

ثم هاجر «علي» إلى بلكور، وهناك وجد ضالته، فقد التقى بمجموعة من الشّباب يشاطرونه الوعي نفسه والحماس نفسه ويحترقون شوقا باللحاق بالرّعيل الأول من مناضلي حزب الشّعب الجزائري، وضمن فوج من هؤلاء الشّباب ومنهم: تازير باشا وحمود واعراب بعد أن كتب تعهدا رفقة زملائه ينذر فيه نفسه للمعركة في سبيل الاستقلال، وكانت الخطوة الأولى في العمل النّضالي المنظم المشاركة مع نخبة من الشّباب منهم محمّد بلوزداد وامحمّد يوسفي في تأسيس لجنه شباب بلكور وهي لجنة استطاعت أن تفرض نفسها بسرعة على المناضلين الأوائل وتحظى باحترام قيادة الحزب وقد توسعت في ما بعد لتشكل مع شباب الحزب اللجنة المركزية للشباب على مستوى الجزائر الكبرى.

ومن أهم أعمال هذه العناصر الطّلائعية الشّابة:

- الدعوة للحزب والاستقلال في الأعراس في المناسبات الدينية؛
- طبع نشرة سرية تحمل عنوان «الوطن» تخاطب الشّباب وتسهم في نشر الفكر الوطني الثّوري.
- تكوين شبكه لسرقة الأسلحة من معسكرات قوات الحلفاء التي نزلت بالجزائر في أواخر 1942، ومن هذه الشّبكة (محساس)، و(عبد القادر بودة)، (حدانو) المدعو (كابا)، و(محمّد خميسة)، (بوعلام) وكان هذا الأخير هو دليل الجماعة بحكم عمله كسائق عند ضابط أمريكي مرابط بمعسكر في بئر توتة. وتسرق الاسلحة ليلا بعد أن يتم رصدها نهارا وتخزن بسيدي محمّد عند مناضل شيوعي سابق يدعى محمّد سرادوني.
- توزيع صحف الحزب وأدبياته وكذلك مناشيره السّرية.

وبسبب هذا النّشاط الأخير ألقي القبض على «محساس» ثانية سنه 1945، وحبس في السّجن العسكري بباب الواد ثم حكم عليه بالسّجن لمدة سنتين نقل بعدها إلى سجن البرواگية الذّي مكث به لغاية أفريل 1946 بعد أن شمله إجراء العفو العام.

ولم تطل فرحة علي بالخروج من البرواگية طويلا، إذ فوجئ ذات صباح باستدعائه للخدمة العسكرية فأشعر إدارة الحزب بالموضوع فأمرته بالعصيان على أن يصبح) دائما(، والدوام يعني أن يعيش المناضل من أجل قضية الثّورة والاستقلال، ويتضمن ذلك التضحية بالعائلة وبكل شيء، ويقول علي أنه اندمج في الدوام وفي الحياة السّرية إلى درجة أنه نسي اسمه.

وأول مسؤولية أسندت إليه بعد تعيينه في اللجنة المركزية كانت ثقيلة جدا: لقد عين على رأس ولاية سطيف بهدف تجديد النّظام بها بعد حوادث ماي 45 المؤلمة، وكانت الوضعية بالولاية معقدة وصعبة في النّاحيتين السّياسية والنّظامية.

فعلى الصّعيد السّياسي كان هناك تحالف ضمني بين الإدارة الاستعمارية، والأحزاب الإصلاحية لتحميل الحزب مسؤولية حوادث ماي 45، ومحاولة تقليص دائرتي نشاطه ونفوذه وجعله حزب «أقلية دموية» متطرفة لا شأن لها. وكان نشاطا دعائيا مكثفا

في هـذا الاتجاه ممـا جعل مسـؤول الولاية يستقبل بتحفظ أين اتجه وحيثما حل، ناهيك أن العائـلات التـي شـملتها موجـة القمـع الوحشـي كانت تتحفظ حتى فـي تلقي إعانة الحزب.

وعلـى الصّعيـد النّظامـي كاد الهيـكل الحزبـي يتلاشـى تحـت ضربـات القمـع الاستعماري، الأمر الذّي كان يستدعي بناءه من جديد.

ويقـول محسـاس: «لقد بذلنا بمسـاعدة أقلية قليلـة مـن المناضلين الذّيـن بقوا على ميثـاق الحـزب جهـوداً مضنيـة لمعالجـة الوضـع السّياسـي والنّظامـي، وتوجت هذه الجهود نظاميا بتنصيب مجلس ولائي جديد مـن بيـن أعضائـه: محمّـد بوضياف وبشـير بومعزة، وعلى مسـتوى القاعدة استطعنا في فتـره قصيرة أن ننافس بـل نتفوق على أنصار فرحـات عباس في كثير مـن حواضر الولاية التـي كانت تعتبـر المعقـل الرّئيسـية لحزب البيان.

واسـتطعنا في تلك الأثنـاء أن ننظم جولة سياسـية عبر الولاية عرفـت نجاحا كبيرا من النّاحية الجماهيرية حتـى أنّ إدارة الاحتلال اضطرت للتدخل لوقفها بواد أميزور ببجاية.

كما اسـتطعنا أن ننظم مهرجانات سياسية جـدا بحضـور أقطـاب كل حـزب وفيهـا يسـتعرض كل طـرف مواقفـه وأطروحاتـه أمـام الجماهيـر تـارك لها فرصـه هضم هذه الأطروحات وأتباع أكثرها تعبيرا عن واقعها وتطلعاتها.

كان بلوزداد رحمه اللّه يشـرف على قول تلـك المعركـة الحاميـة المتعـددة الجبهات على مستوى عمالة قسنطينة كلها، فاستنزفت قـواه حتـى سـقط مريضـا وعندما اسـتدعي للعاصمة بهدف العلاج، خلفه «محساس» الذّي اسـتخلف على ولاية سطيف «محمّد بوضياف.»

ثم ألقي القبض مرة أخرى على محساس بتهمـة التمـرد علـى الخدمـة العسـكرية، وجندته الزّاميا بناحية الشّـلف، وبقي كذلك إلى غاية اكتشـاف أمـر «المنظمة الخاصة» فـي مـارس 1950 حيـث كان -وهـو فـي الخدمة-أحد أركان قيادتها، وعند اكتشـاف سـلطات الاحتلال ذلك ألقـت القبض عليه وسجنته بالعاصمة.

وفـي أواخـر 1951 تمكـن محسـاس مـن الهـروب، وعـاد مـرة أخـرى إلـى حيـاة العصيـان والسّـرية.

وبعـد حادثة اختطـاف الطّائرة التي كانت تنقـل أربعة مـن العناصـر القيادية فـي البعثة الخارجية، عقد محسـاس نـدوة صحفية إثر الحـادث، ولـم يزد فيها علـى القول بأن إلقاء القبـض على أربعة من القـادة لا يعني توقف الثّورة.

وواصـل محسـاس نضاله علـى جبهات أخـرى أهمهـا السّـهر علـى تموين الثّـورة بالسّـلاح من الشّـرق الأوسـط ومن أوروبا، وهي المهمة التي شغلته حتى الاستقلال.

وبعـد الاسـتقلال عيـن كوزيـر للفلاحة والإصـلاح الفلاحـي فـي عهـد أحمـد بـن بلـة. وبعد الانقـلاب على بن بلـة انضم إلى مجلس الثّورة ولكن سـرعان مـا اختلف مع النّظام الجديـد لينتقل إلى منفى اختياري في فرنسـا سـنة 1966. ظل هناك حتى سنة 1981 تاريـخ عودتـه للجزائـر بعد عامين مـن وفاة هواري بومدين.

توفـي فـي 24 فبرايـر 2013 في مستشـفى عين نعجة العسكري في الجزائر العاصمة.

رابح دوب

المصادر:

- محمّد عباس: رواد الوطنية، الكتاب الثّاني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

■ علي مقران

(و: 1351ه - 1932م/ت: 1379ه - 1959م)

ولد الشّهيد قصار على المدعو خلال حرب التحرير سي علي مقران في الحادي عشر أفريل سنة 1932 بقرية أولاد الصّاف التابعة لبلدية مفتاح دائرة الاربعاء ولاية البليدة نشأ في أحضان أسرة متوسطة الحال بين عشرة أشقاء، ولما بلغ سن السّابعة من عمره ادخله ابوه مسجد القرية الذي كان يدرس به أصول الدّين الحنيف ومبادئ علوم اللغة العربية التي أهلته للالتحاق بمدرسة حرة تأسست حديثا بقلب مدينة مفتاح من قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أوفدت لها هذه الاخيرة مدرسين أكفاء لا يزال سكان النّاحية يذكرون فضلهم في تكوين النّشء وتوعيته وفى المدرسة المذكورة توطدت علاقة الشّهيد مع مجموعة كانت تعمل على توعية الجماهير واعدادها لخوض المعركة المسلحة، وهنا ازداد الشّهيد ادراكا للمأساة التي يعيشها ابناء وطنه وتبلورت افكاره أكثر من خلال النّدوات والمحاضرات التي كان يواظب على حضورها والتي كانت تنظم باستمرار.

وفـى سـنة 1953 توقـف الشّـهيد عـن الدّراسـة لظـروف قاهـرة، واصبح يشـتغل في مزارع المعمريـن، وعند ذاك لاحظ عن كثـب مـدى وحشـية المعمريـن وقسـوتهم وهـذا مـا زاده ايمانـا بالقضيـة الوطنيـة، وفعـلا فقد وجـد الشّـهيد ضالته المنشـودة فـى انضمامـه، لصفـوف جبهـة التحريـر الوطني غداة اندلاع ثـورة نوفمبر المجيدة، وتكثف نشـاطه السّياسـي أكثر بعـد أن وقع الاختيـار علـى منزلـه كمركز للثـورة تجمع فيـه الاسـلحة والذخيـرة الحربيـة ويجتمع

فيه المجاهدون الذين كان يرافقهم الشّهيد في الاعمال الفدائية والتخريبية ومن ذلك حصار مدينة مفتاح كلها والهجوم على مركز الدّرك الفرنسي وذلك في صيف 1955، كما كان الشّهيد يقوم بتوزيع المنشورات التي تدعو المواطنين لليقظة ومواجهة كل مؤامرات العدو الفرنسي الى أن تستعيد الجزائر استقلالها والى جانب ذلك فقد شارك الشّهيد اخوانه المجاهدين في عدة أعمال استهدفت زرع الرّعب والهلع في أوساط المعمرين، ونصب الكمائن، ووضع المتفجرات وتصفية الخونة جسديا وفي صيف عام 1956 حين تنبهت السّلطات الفرنسية لأعماله وتأكدت من انتمائه لجبهة التحرير الوطني حاولت القاء القبض عليه لكن دون جدوى ومن ثم التحق الشّهيد نهائيا بصفوف المجاهدين الذين عرفوا خصاله الحميدة ومواقفه الشّجاعة. انضم بعد فترة وجيزة لجنود الكتيبة الرّحمانية التي برهن الشّهيد خلالها عن قدرته وشجاعته، حيث أسندت اليه قيادة فصيلة من الكتيبة المذكورة والتي الحقت بجنود العدو أفدح الخسائر.

من بطولات الشّهيد:

معركة زغارة التي الحق فيها بجيوش العدو أفدح الخسائر المادية والبشرية وكان ذلك في صيف 1957. معركة اشطابية التي كان لها أكبر الأثر على نفسية السّكان، بحيث تمكنت الفصيلة التي كان يقودها الشّهيد القضاء على الدّورية العسكرية التي جاءت إلى القرية، العيث فسادا كما تعودت وهكذا فقد حان أوانها وقضى على آخرها وأخذت أسلحتها وغادر المجاهدون القرية دون أن يصاب مجاهد واحد بجروح وكان هذا في نهاية صيف 1957.

ولم تمض الا ايام قلائل حتى اشتبكت فصيلة الشّهيد مع قوات العدو في معركة تخراط بلدية بني عمران التي كان من نتائجها قتل ستين جنديا من جنود العدو واسقاط ثلاث طائرات فرنسية، واستشهد أربعة مجاهدين من المنطقة وخمسة مسبلين وبعد هذه الانتصارات الرّائعة عاد الشّهيد الى القسم الثّالث بالناحية الثّالثة من الأولى (الولاية الرّابعة) وكان ذلك في مارس 1958 وعلى اثر التحاقه في القسم السّالف الذكر أسندت له مسؤولية قائد عسكري بالقسم المذكور وواصل هجوماته و اشتباكاته ومن ذلك:

نصب كمين لدورية عسكرية قرب مستشفى مفتاح الذي تمكن جنوده من القضاء على معظم جنود الدّورية ولم يصب الا مجاهد واحد مجروح.

وبعد أيام قلائل هاجم الشّهيد رفقة جنوده مركز الخضراء الواقع ببلدية مفتاح الى جانب الشّهيد سي مفتاح وعلى إثر ذلك أسندت للشهيد سي على مقران قيادة القسم الثّالث.

سقط الشّهيد سي على مقران في ميدان الشّرف يوم 28 جانفي 1959 بالحواشين تراب بلدية الاربعاء ولاية البليدة حاليا وكان ذلك على اثر معركة خاضها المجاهدون ضد القوات الاستعمارية التي أقبلت على المنطقة بجيش قوامه الالف جندي مدعما بالدبابات وطائرات الجغوار حيث بدأ تبادل اطلاق النّار في الصّباح الباكر وتواصل بكل ضراوة حتى المساء، سقط خلالها الشّهيد سي على مقران والتحق بركب.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- عبد القادر ماجن، مجلّة أوّل نوفمبر 1954 العدد 50 سنة 1981 ص 46.

■ علي ملاح (سي شريف)
(و: 1343ه - 1924م/ت: 1379ه - 1959م)

ولد علي ملاح الذي كان يعرف باسمه الثّوري (سي الشّريف) في الرّابع عشر (14) فيفري سنة 1924 في مغيرة، دوار طاقا، بلدية ذراع الميزان ولاية تيزي وزو، وتلقى المبادئ الاولى للتعليم باللغة العربية والدين الإسلامي بواسطة والده الشّيخ أحمد أمام. وبذلك استطاع الشّهيد وهو صغير أن يتعلم القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية، واستمر في دراسته بنجاح في زاوية المنطقة ثم في زاوية بني جناد وسيدي عبد الرّحمان، وسيدي بهلول فزاوية سيدي سالم الموجودة في ناحية عين بسام بولاية البويرة حاليا.

انضم الشّهيد في عام 1945 الى صفوف حزب الشّعب الجزائري، وبفضل حنكته وشجاعته عين على رأس قسمة المغيرة في نوفمبر 1946 ونتيجة نشاطه المكثف ضد الاستعمار وتفانيه في خدمة بلاده فقد أصبح مطاردا من طرف سلطات الاستعمار الفرنسي، ولكي لا تهتدي اليه السّلطات الاستعمارية فقد نقل الى بلدية تيكزرت حيث عين قائدا للناحية وكذلك عززكة بإشراف وتكليف من القائد كريم بلقاسم، وفي سنة 1948 – 1949 وفي الوقت الذي كانت فيه سلطات الاستعمار دائبة في البحث عنه، كان الشّهيد علي ملاح(سي شريف) يدرس في زاوية سيدى سالم السّالفة الذكر، حتى سنة1950 حيث تم تعيينه من طرف قيادة حزب انتصار الحريات الدّيمقراطية قائدا لناحية دلس لغاية اندلاع الثّورة التحريرية في أول نوفمبر 1954، حيث أصبح المسؤول السّياسي والعسكري للمنطقة وهكذا واصل الشّهيد نضاله في سبيل الوطن حيث عمل على تدعيم قواعد

جيش وجبهة التحرير الوطني في جميع أرجاء المنطقة، وفى جوان 1955 وأثناء قيامه بمهمة عسكرية جرح في ساقه، وانتقل اثر ذلك الى ناحية عين الحمام ميشلي سابقًا اين تم اسعافه، ومن عين الحمام واصل الشّهيد تسيير النّاحية بواسطة نوابه الذين كان يلتقى معهم بصورة منتظمة ليطلع على اعمالهم ويشرف على تسيير شؤون المنطقة حتى تم شفاؤه، وفى أول نوفمبر من نفس السّنة شارك الشّهيد في الهجوم على المركز العسكري لعين الحمام الى جانب الشّيخ عمار (أعمر أث الشّيخ) قائد الهجوم الذي سقط شهيدا في ساحة الوغى فواصل سي الشّريف قيادة العملية التي كللت بالانتصار على العدو. وفى سنة 1956 لقنت افواج جيش التحرير الوطني قوات العدو بقيادة الشّهيد علي ملاح اروع الدّروس في البطولة وهكذا عمت الثّورة جميع المداشر والقرى بمنطقة وأحواز القبائل الكبرى.

وقد شارك العقيد سي الشّريف مشاركة فعالة وبقسط وافر في التحضير لمؤتمر الصّومام، سواء من النّاحية السّياسية أو العسكرية أو التنظيمية، وجميع من عرفه من مسؤولي الثّورة يقرون بمدى قوة ذكائه وحكمته واخلاصه وتفانيه في نصرة القضية الوطنية.

وخلال مؤتمر الصّومام الذي شارك فيه مشاركة فعالة تم تعيينه عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية وتم تنصيبه عقيدا وقائدًا على الولاية السّادسة(الصحراء) التاريخية، باقتراح من العقيد عمر أوعمران، وموافقة قادة المؤتمر.

بمجرد انتهاء اعمال المؤتمر التحق الشّهيد بالولاية السّادسة اين واصل عمله بنفس العزيمة والاصرار فى تكوين وتنظيم خلايا جيش التحرير الوطني والأفواج المسلحة في الولاية التي تسمح بالتغلغل واختراق المناطق الجنوبية من البلاد وبالتالي محاصرة قوات العدو.

ولم يتوقف نشاط الشّهيد علي ملاح(سي شريف) في حدود تنظيم ولايته وقيادة عملياتها، بل تجاوزه الى التعاون والتنسيق مع بقية الولايات الخمس، وفى هذا الاطار، وخلال مهمة قادته الى الولاية الخامسة لتبادل الآراء مع قادتها بخصوص تمتين التنسيق في العمليات وقضية الحصول على الأسلحة التي تحتاجها ولايته، وفي اثناء تنقله سقط العقيد سي الشّريف شهيدا في ساحة الشّرف وذلك في أواخر أبريل 1957 وكذلك سكرتيره الخاص ودليله فى منطقة تدعى أولاد بجة دوار حيدورية جبل شعون في حدود الولاية الرّابعة حاليا بلدية طارق بن زياد دائرة مليانة.

والجدير بالذكر أنه اثناء انعقاد مؤتمر الصّومام في 20 أوت 1956، تمت تسمية المناطق الخمس المعروفة بالولايات بدل المناطق وهي الاوراس النّمامشة، الشّمال القسنطيني، القبائل والجزائر وما جاورها والغرب الجزائري(وهران).

وباستشهاد العقيد علي ملاح(سي شريف) تولى قيادة الولاية السّادسة أحمد بن عبد الرّزاق المعروف بسي الحواس الذي استشهد هو كذلك في 29 مارس 1959 مع العقيد عميروش بجبل ثامر بولاية المسيلة حاليا وهما في الطّريق إلى تونس في مهمة لحث القيادة الخارجية على تموين الولايات بالسلاح والتمويل اللازم، حيث لاحظت القيادة الدّاخلية النّقص في هذا المجال الحيوي الذي بواسطته يتكبد الاستعمار الخسائر في العتاد والأوراح سيما بعد أن تم وضع خط شال في عام 1958 الذي يضاف إلى خط موريس مما صعّب كثيرًا من مهمة جلب السّلاح، حتى أن العقيد بوصوف (سي المبروك) فكّر في أن يكوّن قادة في مجال قيادة الطّائرات الحوامة التي لا تحتاج إلى مطارات للنزول لكي ترمي الأسلحة بل نحتاج فقط إلى تعيين أماكن يتم الاتفاق عليها مسبقا لرمي الأسلحة ليتسلمها الجيش.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- ع.علي، مجلّة أوّل نوفمبر 1954 العدد 50 سنة 1981 ص 45. بتصرف.

■ عمّار بلّحسن
(و: 1373ه - 1953م/ت: 1414ه - 19936م)

أكاديمي وقاصّ وعالم اجتماع جزائريّ، ولد يوم 13 فيفري (1953) في منطقة (مسيردة) بولاية تلمسان في الغرب الجزائري، تلقّى تعليما في الكتاتيب بالطريقة التقليدية قبل أن يواصل تعليمه بالجامعة لينال شهادتي اللّيسانس والماجستير في علم الاجتماع الثّقافي، ثم يلتحق أستاذا بجامعة وهران وعضوا في المجلس الأعلى للثقافة. وهو أول من أدخل تدريس سوسيولوجيا الأدب في الجامعة سنة (1976) في تحضير مذكّرته في علم اجتماع الأدب حول رواية (اللاز) للطاهر وطار وكان له مشروع بحث ماجستير في ضوء سوسيولوجيا الأدب حول ثلاثية (محمّد ديب) وأنشأ مخبرا في سوسيولوجيا الأدب والفن ضمن وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الثّقافيّة والاجتماعيّة. وقد أصبح، وهو في ريعان الشّباب مثلما يقول عنه (عز الدّين ميهوبي) (العراب الحقيقي لمرحلة اقترب فيها المثقفون من الأسئلة المسكوت عنها، وكان إلى جانبه (بختي بن عودة) المسكون

بالحداثة والنصّ الجديد والرّؤية التي لا تأبه بالإيديولوجيا والفكر المعلّب، وهكذا كان التّأسيس لثقافة بلا حدود)

تخصّص (عمّار بلّحسن) في التّحليل الثّقافي والسّوسيولوجيّ للأدب والثّقافة وكتب في قضايا الثّقافة الجزائرية والإنسان في مجتمعه، في عشرات المقالات والكتب منها: (الأدب والإيديولوجية) و(كشف الغمة في هموم الأمة) الذي يدعو فيه إلى ضرورة تثقيف السّياسة بدل تسييس الثّقافة، كما أصدر بداية الثّمانينات كتابا لعلّه الأهمّ والأشمل وهو (أنتلجنسيا أم مثقّفون في الجزائر؟) فكان به رائدا في المشهد الجزائري في التحليل الثّقافي وسوسيولوجيا الرّواية، ونقد الإيديولوجيا، وهو نفسه الهمّ الذي كان يشغله في مجال الإبداع، وقد قال موضّحا هدفه الأساس من الكتابة (بأن اهتماماته الفنية، تتعلّق أساسا بالكتابة حول أزمة الإنسان في مجتمعنا) وهو ما تعكسه مجموعاته القصصيّة المشحونة بالنّقد الاجتماعيّ والسّخرية مثلما ورد في (حرائق البحر) وهي أوّل مجموعة قصصيّة تصدر له ثم تلتها (أصوات)، و(فوانيس). وأخيرا (يوميات الوجع) التي صدرت في طبعة محدودة عن جمعيّة الجاحظيّة في أيّامه الأخيرة من مرضه.

كان عمّار بلّحسن إلى جانب نشاطه العلميّ الأكاديميّ والإبداعيّ، ناشطا ثقافيّا من الطّراز الرّفيع، حيث كان مشرفا على الملحق الثّقافي (أوراق معاصرة) كما نشّط حصصا إذاعيّة ثقافيّة في قضايا الفكر والإبداع والمجتمع. وكان مترجما بارعا من الفرنسية إلى العربية حيث ترجم أعمال العديد من علماء الاجتماع وفي مقدمتهم (لوسيان غولدمان/ Lusien Goldman)

جسّد مثالا للمثقّف العصاميّ المتميّز الذي لا يتوقّف نشاطه قراءة وكتابة، وقد اعتبره الرّوائيّ (أمين الزّاوي) بمثابة «المثقّف الجسر الذي جمع بين الكتلتين المعرّبة والمفرنسة من الكتّاب والمثقفين) وكان من جيل السّوسيولوجين الجزائريّين الذين كتب أغلبهم باللّغة الفرنسية ك (هواري عدّي وعلي الكنز) وعلى خلاف هؤلاء كان ينظر إلى الحداثة الغربية على أنّها مجرّد حداثة معطوبة وخاصة إذا ما تمّ استعمالها من قبل الأنظمة وكذا النّخبة المثقّفة لتزييف الوعي لتصبح مجرّد وعي زائف وهو المفهوم الذي وصف به (كارل ماركس) الإيديولجيا، ولذلك كان مثقفا رؤيويا نشر في مجلّة (آفاق) التابعة لاتحاد كتّاب المغرب مقالا بعنوان (الإسلام والديمقراطية) تنبّأ فيه بظهور آفة الإرهاب في الدّول الغربية وتطرّق إلى موضوع الدّيموقراطية في العالم الثّالث وظاهرة انغلاق المجتمع وآثارها على الأفراد والثّقافة.

وعلى فراش المرض، كتب (يوميّات الوجع) بعد أن تمكّن السّرطان من جسمه الهزيل؛ ونشرته الجاحظيّة بعد رحيله وقد كان رئيس تحرير مجلة (التبيين) فيها آنذاك. فكتب رسالة مؤثرة تشبه الوصيّة إلى زوجته (فاطنة) بعد أن أحسّ بدنوّ أجله؛ ونشر الرّسالة صديقه الكاتب الرّاحل الطّاهر وطّار في مجلّة (التّبيين، العدد 7 سنة 1993) ومن بين ما جاء في الرّسالة:

(... اجعلي من أبنائي أزهارا ورجالا ونساء مثقّفين نظيفين ومكافحين، كما أحببت أن أكون، رغم الدّاء والهمّ والأيام التي لم تكن جميلة أو لطيفة. لم تعطني الجزائر سوى قرحة وورما، صحيح لم أفعل لها كثيرا، ولكنها فعلت فيّ الكثير، أحببتها واغتالت أحلامي كثيرا، لم أكن أتخيّل أن الحلم سيصبح كابوسا).

وعلى الرّغم من المرض فقد كان مشغولا بوضع الجزائر وخاصة مع بداية الوضعيّة السّياسيّة المأساويّة التي عاشها الجزائريّون خلال العشريّة السّوداء، حين كانت الأخبار تصله وخاصة عن اغتيال المثقّفين الذين كانوا الهدف الأوّل للإرهاب فألقت بظلالها على نفسيّته الموجوعة فخاطب الوطن قائلا: (تباً لك يا وطني... بلاد الألم العريض.. لم يعرف فنانوك وشرفاؤك سوى الاغتيال أو الموت بالسرطان وحيدون في مستشفيات نتنة، معزولون إلاّ من حنينهم وآهاتهم).

وكان قبل سنوات من ذلك لاحظ التّردّي الذي وصلت إليه أضاع الثّقافة في البلاد بعدما تمّ توقيف استيراد الكتب والصّحف والمجلاّت من الخارج؛ فكان من المطالبين في زمن الحزب الواحد برفع الحظر فورا عن الكتب والمجلات، وشبّه الجزائر بدول منغلقة على نفسها مثل كوريا الشّمالية؛ ليؤكّد دوره كمثقّف عضوي مارسه من خلال مواقفه من تردّي الوضع الثّقافي والاجتماعي مع نهاية الثّمانينات، سواء في محاضراته بالجامعة أو فيما كان يكتبه في الصّحف والمجلاّت الجزائريّة والعربيّة، أو في الملتقيات واللّقاءات المختلفة التي كانت تنظّم آنذاك.

وكان قد نشر في مجلة (التبيين العدد 4 سنة 1991) مقالا بعنوان: (من تسييس الثّقافة إلى تثقيف السّياسة) قدّم فيه توصيفا لما سمّاه (الانغلاق السّياسي) الذي تسبّب في (في حياة يوميّة صعبة، ووسط ثقافي فقير ومدقع، من الكتاب والمجلّة والجريدة، حتى السّينما والمسرح والسّياحة والتّرفيه والمقهى، فليس أمام شاب من حيّ الحمري أو باب الوادي سوى الانتحار أو المخدّرات أو المسجد، رغم أن هذا الأخير تسيّس هو الآخر، وتحوّل إلى مجال حزبي، وأفرغ من مضمونه وموقعه كفضاء روحي وإيماني وثقافي، داخل نسق ثقافي متوازن ومتنوّع، من المدرسة والنّادي والشارع، وصولا إلى المقهى والملعب والكشك والمكتبة والرّحلة وعلاقات الاختلاط والصداقة والحب).

رحل عمّار بلّحسن يوم 29 أوت (1993) وأجّلت مشاريعه الفكريّة والثّقافيّة الواعدة إلى الأبد، وقد وصفه النّقاد كأكبر القصّاصين العالميين الكبار أمثال: (موباسان وتشيكوف، وزكريا تامر) وقال عنه (الحبيب السّايح) في إحدى شهاداته (لو طال العمر بعمّار بلّحسن إلى هذا الزّمن، لكان، ليس أكبر كاتب قصة قصيرة، ولكن ربما من أكبر الرّوائيين في جيلنا)

كتب عمّار بلّحسن في مجلات جزائرية وعربية، كمجلة الأقلام العراقية وآفاق المغربية والثقافة التونسية وفصول

المصرية والمنتدى الإماراتية، وغيرها وترجمت قصصه إلى عدة لغات كالفرنسية والانجليزية والروسية، وسجل اسمه في قاموس (لاروس/ Larousse) وكان مثقّفا عضويا كبيرا انتهى إلى صوفي متبصّر بأحوال الثّقافة والإيديولوجيا وقضايا الإنسان في المجتمع، جسّده إيمانه المنهجي بدور علم الاجتماع، في توصيف الظّواهر الثّقافية والاجتماعية، وقدرته على إيصال الباحث إلى تشريح الأسباب التي تقف وراء تخلّف الشّعوب وتعطيل حركة التاريخ، وظهور الأزمات الأخلاقيّة وفساد الأنظمة السّياسية، وهي من المسائل الجوهريّة التي شغلت الباحث عمّار بلّحسن في حلّه الأكاديمي، وترحاله الإبداعيّ ولكن بكثير من الوجع الذي انتهى به إلى مفارقة الحياة في الأربعين من العمر، في كفاح مرير مع داء السّرطان حاملا معه مشروع عالم اجتماعيّ وناقد ثقافيّ من الطّراز الرّفيع.

آمنة بلّعلى

المصادر:

- رسالته الأخيرة، مجلة التبيين، ع4 سنة 1991
- شهادات الكتاب الجزائريين.

■ عمار بن لزعر
(و: 1316ه - 1898م/ت: 1387ه - 1968 م)

ركّز على التّوحيد، والفقه الإسلامي، والتّاريخ، وعلوم اللغة العربية، وصار يؤمُّ حلقته جمْعٌ غفيرٌ من الكبار والصّغار، وبدأ الوعي الدّيني ينتشر، ممّا فتح بذلك صفحة جديدة من صفحات الجهاد المقدس في سبيل نشْر العقيدة، والدّعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله، ومحاربة البدع والخرافات، كما كان الشّيخ أحد المؤسّسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورئيسًا لشعبتها في جنوب الجزائر.

هو عمار بن عبد الله بن الطّاهر بن أحمد الهلالي الگماري، وُلد في بلدة گمار بوادي سوف خلال سنة 1316 ه الموافق لسنة 1898م. ولمّا بلغ الثّالثة من عمره رحل مع والده إلى بلدة «فلياش» من قُرى سيدي عقبة ضواحي بسكرة، حيث أتمّ حفظ كتاب الله الكريم، ليرحل إلى زاوية سيدي المولدي ببلدة توزر بتونس التي كان نظام التّدريس بها داخليا، إذْ كانت تستقبل الطّلبة الفقراء فيُتمّون حفظ كتاب الله، وكذا يدرسون المتون الفقهية.

طموحات الفتى عمّار بن لزعر ما كانت حينها قاصرة على حفْظ كتاب الله، وإتقان فنونه، فقد كان يريد الخوض في معركة مع المعرفة بأوسع مفهومه في ذاك الزّمن، فرحل إلى تونس العاصمة مشيًا على الأقدام، وتكبّد من المصاعب الكثير، ونال من المشقّة حتى وصل إليها سنة 1334 ه، وما لبث أن لحق بجامع الزّيتونة، فانكبّ على طلب العلم فيه، علمًا أن المقررات كانت جافّة وحافلة بموادّ وكتب غزيرة المادة يدرّسها شيوخ، كل شيخ بصدد فنّه الذي تخصّص فيه.

يقول الشّيخ عمّار بن لزعر في ترجمة لنفسه كتبها محمّد سعيد دفتر دار:

«ومن فضل الله عليّ أني أدركت الكبار من هؤلاء العلماء كالشّيخ الصّادق النّيفر، والشّيخ أبو الحسن النّجار، والشّيخ الزّغواني، والشّيخ عثمان بن المكي، والشّيخ الطّاهر بن عاشور، الشّيخ عبد العزيز بن جعيط وبعد تمام الدّراسة في تسع سنوات تخرّجتُ بشهادة التّطويع المعادلة لشهادة العالمية يومئذ، وذلك سنة 1341 ه»

بعدما تخرّج الشّيخ عمّار بن لزعر من جامع الزّيتونة قرّر العودة إلى بلدته گمار مُشْبعًا بالعلم، وبرأسه أفكارٌ إصلاحية وما أن استقرّبها حتى بدأ يلقي دروسًا بمسجد السّوق العتيق ب گمار؛ وبدأ بتغيير تلك المعتقدات التي كانت موجودة، وقد اختلطت بالبدع المنافية للدين الحنيف كالذبح، والنّذْر، والتّقديس رويدا رويدا إلاّ أنه كان يُواجَه بالصّدّ، إنما بروح الصّبر والجلَد استطاع أن يغيّر الباطل.

لقي الشّيخ في برنامجه الإصلاحي متاعب جمّة من الإدارة الاستعمارية الفرنسية المحلّية وأعوانها، وخاصة من الطّرقيين.

مكث الشّيخ مكافحًا محاربًا للبدع، والضّلالات الموجودة ب گمار، وسوف عامة سواء منها الأخلاقية، أو العادية، أو الطّرقية والاستعمارية الحكومية. في سنة 1937 م هاجر إلى المدينة المنوّرة. ما غادر قمار حتى ترك فيها طابعه الإصلاحي، وترك في قلوب أهلها محبته وإجلاله، وتعظيمه وإكباره؛ وكان من آثاره الماديّة الملموسة تجديده للجامع الكبير « جامع السّوق » والذي كان يسمّى قبل التّجديد « جامع الطّلْبة » الذي استغرق تجديده عدة سنوات، حتى سنة 1930 م وكذلك بناء مدرسة النّجاح التي تأسست سنة 1931 م وكذلك كان من أثره الأدبي إجبار نساء البلدة وفتياتها على عدم الخروج متبرّجات من بيوتهن إلى الاختلاط بشبّان القرية، ومغازلة فتياتها، ولا سيّما أيام الأعياد والاحتفالات العامة.

قاوم الشّيخ الزّاوية التّجانية مقاومة عنيفة بكل وسائله الخاصة. كما ترك الشّيخ عمّار بن لزعر تلامذة في قمار، وقد ساعد الحظُّ بعضهم فرحلوا إلى تونس في طلب العلم، والزّيادة منه، وانخرطوا في سلك تلامذة الزّيتونة، ورجعوا إلى بلادهم مزوّدين بثقافة عربية دينية إصلاحية، فعملوا على نشْر العلم وبثّ الإصلاح في قمار وفي غيرها من القطر الجزائري، منهم الشّيخ علي بن ساعد، وعبد القادر الياجوري، والحفناوي هالي، والطّاهر التّليلي.».

اتخذ الشّيخ عمّار من مسجد « الطّلبة » ومنزله مركزا لإشعاع العلم المبني على أساس كتاب الله، وسنة رسوله، وعمل السّلف الصّالح

حتى أصبح للمسجد الذي يدرس به الدّور الفعال، فقصده النّاس للتلقّي والتّحصيل، وكان رحمه الله يدرّس التّفسير والحديث، والفقه المالكي، وأصوله، والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم، واللغة العربية، والقواعد والبلاغة، والمنطق، وعلم التّوحيد.

أخرج جيلاً من المصلحين علّمهم بعد أمية وجهالة، وبذلك أنقذ مجموعة كبيرة من براثن الجهل والتّخلّف، وممّا يُجمع عليه العديد من أهل قمار الذين تتّبعوا الحركة الإصلاحية بها أن الفضل في قيام هذه النّهضة يرجع لله أوّلاً ثم إلى الشّيخ عمار بن لزعر بفضل جهوده الطّيبة التي أثمرت، وأفكاره الإصلاحية التي استغرقت أحد عشر عامًا قضاها مدرّسًا، وواعظًا.

في عامّ 1352 ه أدّى فريضة الحجّ ورجع إلى مسقط رأسه قمار، في هذا الظّرف تزايدت عليه مضايقات فرنسا وأذنابها فآثر الهجرة إلى المدينة المنورة وهناك من يؤكد على أن الحاكم العسكري بالوادي، وبإيعاز من «القائد» «بقمار وأتباع الطّرقية وأهل البدع منْ أمر بنفيه من التّراب الجزائري، وأن لا بقاء في وسط بلدته، هذا الوسط الجاحد، وذلك خشية على أهله وذريته من الفتن وكان ذلك سنة 1353 ه الموافق لسنة 1937 م إذْ هاجر مع جمْعٍ غفيرٍ واستقرّ في المدينة المنوّرة..لقد كان يومُ رحيله يومًا مشهودًا اجتمع فيه الكثير من النّاس فمنهم الفرح بخروجه، ومنهم الباكي، ولمّا حان وقتُ رحيله صعد له بعض أعدائه إلى السّيارة، وطلبوا منه العفو، وناشدوه القرابة وصلة الرّحم، فقال لهم:

«لقد أخرجتمونا، وقاومتمونا، الله بيننا وبينكم، الله حسْبنا، نعم المولى ونعم الوكيل.»

في المدينة المنوّرة استقبله العلماء، ورحّبوا به، والتّقت معه القلوب، واتسع نطاق معارفه، وعلموا بما عنده من علمٍ فبدأ يعطي دروسه حتى اشتهر، وذاع صيته فرشّحوه مدرسا رسميا بتاريخ 01/ 01/ 1366 ه وعقد للعلم وأهله سوقًا نافعًا، فالتّفّ حوله طلاب العلم من المدينة المنوّرة ومن المهاجرين إليها؛ ومن أشهر تلاميذه الشّيخ المرحوم محمّد الحركان وزير العدل السّعودي، والشّيخ العلاّمة عمر فلاته المدرس بالمسجد النّبوي الشّريف، والشّيخ القاضي عطية محمّد سالم المدرس بالمسجد النّبوي الشّريف، والأستاذ الأديب حمزة محمّد قاسم.

وأفاد بعلمه ليس في المسجد النّبوي الشّريف فحسب، بل بمجرّد استقراره بالمدينة المنوّرة اشتغل بالتّدريس في مدرسة العلوم الشّرعية بالقسم العالي من التّعليم في السّعودية، ودرّس بها ما يقارب العشرين عامًا، درّس الحديث وعلوم القرآن، واللغة العربية، وكذا فقد عُيّن مدرّسًا بدار الحديث بالمدينة المنوّرة.. واستمرّ مدرّسًا بالمسجد النّبوي الشّريف حتى قبل وفاته بسنوات قليلة. توفي رحمه الله بالمدينة المنورة سنة 1968م.

بشير خلّف

■ عمر برجي
(و:1341ه - 1923م/ت:1374ه - 1954م)

ولد الشّهيد برجي أعمر سنة 1923 بدوار أولاد الحاج ضواحي بلدية بن عبد المالك رمضان، هو الابن الثّاني وسط أسرة ريفية فقيرة الحال، دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية سنة 1929 بمسقط رأسه أين تابع تعليمه الى غاية نهاية المرحلة الابتدائية. الا أن ظروف القهر الاستعماري حرمته مع أبناء المنطقة من مزاولة الدّراسة، حيث سعى الاستعمار الفرنسي الى تكريس سياسة التجهيل والحرمان الاجتماعي. عندئذ لم يجد الشّهيد مخرجا سوى البحث عن عمل في إحدى مزارع المعمرين، فألتحق بمزرعة المعمر بيلو الذي كان يستحوذ على مئات الهكتارات من أخصب أراضي الظهرة وذلك سنة 1937.إشتغل برجي أعمر رحمه الله ليؤمن رغيف خبز ويسد

رمق عائلته، شب الشّهيد برجي أعمر على حب الأرض التي اغتصبها المعمرون من أبائه.

وبحلول سنة 1942 أستدعي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في صفوف القوات الفرنسية فالتحق بسلاح البحرية بتونس الشّقيقة التي كانت آنذاك تحت نظام الحماية الفرنسية. وبقاعدة بنزرت اشتغل،

في وقت كانت الحرب العالمية الثّانية مشتعلة بين الحلفاء والمحور. عاد بعدها برجي عمر إلى مسقط رأسه أي بعد انقضاء سنوات الخدمة العسكرية، الأمر الذي زاده وعيا وحمّسه للانخراط في صفوف الحركة الوطنية المناضلة، وفي مقدمتها حزب الشّعب الجزائري. وأصبح عضوا نشيطا بين مناضلي المنطقة، وارتقى إلى مسؤول جهوي بناحية الظهرة واستمال جماعة من القادة الأفذاذ وهم: ـ المناضل صحراوي عبد القادر أشرف على دوار البرايكية، ـ دوار المساعد أشرف على خليته المسؤول قرعاوي عبد الله، ـ دوار اولاد بوخاتم أشرف على خليته قواد السّبع

الميلود بالإضافة الى دوار الرّواونة وأولاد لحسن.

وسعت القاعدة النّضالية في ربوع هذه القرى التي كانت تعاني من الاضطهاد الاستعماري والذي قابله الشّباب أمثال برجي عمر وبلحميتي وصحراوي وبرجي قدور بحملات التحسيس والتوعية والتعريف بالقضية الوطنية في وقت كانت الحرب العالمية الثّانية على وشك نهايتها وعلى إثر مجازر الثّامن ماي 1945 صعّد مناضلو المنطقة من نشاطهم السّري تحضيرا للعمل العسكري.

اتخذ برجي عمر رحمه الله من منزله بدوار أولاد الحاج مركزا لاجتماعات خلايا المنظمة الخاصة (لوص) وأظهر نشاطه في تكوين الرّجال وتدعيما للثقة التي اولاها اياه المناضلون، وقيادة الجهة الغربية من مناضليها حمو بوتليليس (شهيد بدون قبر).

أصبح برجي عمر عضوا بارزا في المنظمة الخاصة سنة 1948.

عقد الشّهيد عدة اجتماعات سرية تحظيرا للعمل العسكري وبحلول سنة 1952 تزوج وخلف طفلا توفي ولازالت بنته على قيد الحياة.

استمر نشاط المخابرات الفرنسية من أجل اكتشاف التنظيم السّري الذي كان يشرف عليه برجي اعمر الأمر الذي دفعه الى التقليل من تحركاته، واصل اتصالاته بقادة المنطقة الغربية وقام بنشاط تحسيسي خلال الانتخابات التي جرت في بداية الخمسينيات ببيلل ولاية غليزان حاليا مما أزعج حكام فرنسا.

بعد سقوط بن عبد المالك رمضان شهيدا رحمه الله في 1954.11.04استمر منزل برجي اعمر معقلا للاجتماعات في النّصف الأول من سنة 1954 حيث اجتمع مع العربي بن مهيدي العقيد عثمان العقيد عباس وفرطاس محمّد.

كيف تم التحضير للثورة:

عقد برجي عمر عدة اجتماعات منها بوادي ايرس الذي يبعد عن دوار أولاد الحاج ب:2 كلم حضره 350 مجاهدا واستغرق ساعتين ليلا اطلع من خلاله المناضلين على مجريات الأحداث وتطورات التحظير للثورة ثم عقد اجتماعا آخر بفيض الغسول حضر معه سي سليمان وخططوا للمراكز التي تستهدفها العمليات العسكرية (مركز حراس الغابات ـ خطوط الكهرباء ـ محولات الكهرباء)

نفذو هجومات بالمنطقة وما زاد عساكر الاحتلال تأهبا حادثة مقتل أحد أبناء المعمرين فرانسوا لوران صاحب 22 ربيعا الذي كان على متن سيارة أربعة أحصنة وصورتها بحوزتي الى جانب صورة القتيل وقعت العملية قرب مزرعة مونسونيغو غرة نوفمبر تجاوبت مستغانم مع الأوراس وعلى اثر خيانة سقط الشّهيدان برجي عمر رفقة برجي قدور في 22 ديسمبر 1954.

نكل العدو بجثته أمام مرأى أهالي المنطقة قصد ترهيبهم.

نظيرة شتوان

المصادر:

- جريدة أخبار المدينة، إحياء الذكرى 67 لاستشهاد برجي عمر بولاية مستغانم، العدد 25 ديسمبر 2021.

■ عمر بنُ البسكري العقبي
(1316ه - 1898م/ت: 1388ه - 1968م)

ابْنُ الْبِسَكْرِي (عُمَرُ بْنُ مُحَمّد بْنُ نَاجِي بْنُ بِسَكْرِي الْعُقْبِي) ينتهي نسبه إلى (بسكري) وهو جدّه الأكبر الّذي صار اِسمه لقباً لعائلته، وأصله من (زْرِيبَة الْوَادِي) وهي-حالياً- بلَدِية بدائرة (سِيدِي عُقْبَة)، ولاية(بِسَكْرَة) بالجزائر.

ولد ابن البسكري سنة (1898م) بسيدي عقبة، وتوفي في اليوم الثّالث من شهر مارس (1968م) بسكتة قلبية في المستشفى بوهران، وكانت جنازته - رحمة الله عليه- مشهودة.

نشأ ابن البسكري نشأةً صالحةً بمسقط رأسه (سيدي عقبة)، فحفظ القرآن الكريم في سنّ مبكّرة، نظراً لشغفه بالتّعليم منذ الصّغر، وزاول تعليمه بجامع الفاتح عقبة، الّذي كان عامراً بالعلم والعلماء، متتلمذاً على صفوة شيوخه، وقد» امتاز عمر بين طلاب الجامع بالذكاء النادر والنبوغ المبكّر»، وسنحت له الفرصة- حينذاك - ليتدرّب على أساليب الدّعوة والإرشاد، والتّحكّم- لغويّاً وأدبيّاً- في فنّ الخطابة وإلقاء المحاضرات، إذ كان يميل إلى الأدب والشعر، حتّى صار ينعت ب (النّابغة اللّغوي) وب(شاعر الصّحراء).

ويشهد التّاريخ أنّ منطقة الزيبان عامرة بأهل العلم والتّقوى والصّلاح، "وإن لفظ الزاب يعني الأرض الخصبة الممرعة لوفرة مائها، وهذا الخصب والإمراع جعلها تعج بالعلماء الذين لا يأتي عليهم الإحصاء. "لذا كان للشيخ عمر حظ وافر في تكوين متميّز علماً وديناً وأخلاقاً، في زمن تتربّص فيه إدارة الاستعمار الفرنسي لكل من تراه متشبّعاً بالقيم الدّينية والوطنية، فتعزله وتصادر مشروعه، أو تطرده من مكان عمله.

بعد تخرّجه على يد علماء أجلاّء، تفرّغ لنشر العلم والتّعليم عبر كتاتيب بلدته (سيدي عقبة)، ثمّ عكف على تدريس البلاغة بجامع الفاتح (سيدي عقبة) إلى عام (1931م) سنة انتقاله إلى مدينة (بسَكرَة)، حيث شرع في التّدريس بمدرسة (الإخاء) صحبة كلّ من

الشّيخ بلقاسم الميموني، والشّيخ الطرابلسي القراري.

وفي سنة (1936م) بدأ العمل في التّدريس مع جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة بجاية لمدّة عامين، والّتي غادرها مكرهاً إثر طرده من قبل الإدارة الاستعمارية الّتي لاحظت نجاحه في نشر الأفكار الإصلاحية بين شباب الأمّة، وفي عام (1938م) تمّ نقله إلى منطقة سطيف بصفته داعياً ومعلّماً، وظلّ يدرّس فيها، ويحاضر في نادي الإرشاد، و في عام(1944م) تمّ تحويله مرّة أخرى نحو وهران، وبقي فيها ينافح عن دينه ووطنه الى أن تقدّم به العمر.

في سنة 1931م تأسّست جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، فانضمّ إليها الشّيخ عمر ابن البسكري، لا سيّما وقد كان مشاركاً في الحركة الإصلاحية الّتي كان رائدها الدّاعية الكبير الشّيخ الطيب العقبي في منطقة بسكرة، ووجدها فرصة مواتية لتجسيد موقفه السّياسي، ونشر الفكر الإصلاحي بين الشّباب الجزائري، وذلك من خلال التّعليم والصّحافة، حيث قام بنشر قصائد جمّة في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كصحيفتي الشّهاب والبصائر وغيرهما، كما تسنّى له أن ينشر فيها عدّة مقالات، وقد كانت الأشعار الّتي ينظمها، والمقالات الّتي يدبّجها تطفح بالمشاعر الدّينية، والنّزعة الوطنية والتّاريخية الّتي تدلّ على عمق ثقافته، وتنبئ عن رغبته وحرصه على بثّ بذور الخير والصّلاح بين أفراد شعبه.

ومن أعمال الخير الّتي كان يقوم بها تطوّعه لدروس الوعظ والإرشاد بعدّة مساجد في القطاع الوهراني، إضافة إلى مشاركاته الفعّالة في الاحتفالات الّتي تقام بمناسبات تدشين المدارس والمساجد عبر الغرب الجزائري، أو في أعراس الأمّة كما سمّاها الشّيخ البشير الإبراهيمي. وقد ساعده على الاستغناء عن مال الجمعيات الّتي تدير هذه الاحتفالات فتحه لمحلّ تجاري يوهم به المصالح الإدارية والأمنية للاستعمار.

يقول فيه الشّيخ عبد الحميد بن باديس:»...ونحن نعرف فضيلته من يوم عرفناه

لا ينقطع عن الكتابة والتّعليم والإرشاد، فإذا لم يكتب فهو يعلّم أو يرشد فلم ينقطع - والحمد لله- عن الخير.»

ومن أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم العلوم :

1- الشيخ المصلح علي بن عثمان بن خلف الله الشريف والّذي درّسه العروض وعلم القوافي، وكان أشدَّ شيوخه أثراً فيه وفي تكوينه، قال فيه الشّيخ عمر (مِن الّذين ملكواْ المشاعر بمننهم الحسّية، وحثّواْ الخواطر بما نفثوه فيها من روح نصائحهم الدّينية والأدبية شيخي المصلح علي بن عثمان الشّريف.)

2-والشيخ البشير بن الصادق العقبي الّذي درّسه علوم اللّغة والبلاغة، ولد ببلدة سيدي عقبة سنة(1844م) حيث نشأ وتلقّى تعليمه الأوّلي، ثمّ سافر إلى (نفطة)بالجريد التونسي لإتمام دراسته، فأقام بها مدّة اثني عشرة عاماً، ثمّ عاد وتصدّر للتّدريس بجامع الفاتح مدة خمسين سنة، تخرّج على يده كثير من العلماء.منهم الشّيخ المصلح علي بن عثمان، السّابق الذّكر.

3- والشيخ العلامة الهاشمي بن المبارك بن محمد الشريف العقبي: الّذي تلقّى تعليمه في المستوى الثّانوي العالي بمسجد الفاتح، وكان منخرطاً في الحركة الإصلاحية الّتي يقودها الشّيخ الطيبي العقبي في منطقة بسكرة.

4- والشيخ علي بن إبراهيم:وكان قد تخرّج من معهد الهامل (قرب مدينة بوسعادة بالجزائر) ومن جامع الزّيتونة المشهور، وامتاز بتعمّقه خاصّةً في علوم الفرائض والنّحو والفقه، ولد بمدينة(سيدي عقبة) عام(1868م) وتوفي بمدينة (بسكرة) سنة (1921م).

كان للشيخ عمر فضل كبير في تكوين النّاشئة وطلبة العلم، فإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم، كان يقدّم دروساً في البلاغة وغيرها،

ومن أشهر تلامذته الأديب رضا حوحو.

للشّيخ عمر بن البسكري ديوان شعر مخطوط بعنوان:(العلويات) وهو ديوان جمع فيه ما نظّمه في شيخه علي بن عثمان الشّريف من كلّ عقد ثمين، وعمره إذ ذاك يناهز العشرين.

وله ديوان شعر آخر مخطوط يقول الأستاذ الحسن فضلاء عنه:'' وأذكر أنّي كنت أزوره في متجره بوهران، فأطلعني في إحدى المرّات على كرّاس كبير الحجم، يضمّ عدداً من القصائد، وقد قرأت بعضها...»

وله ديوان كذلك بعنوان (الوهرانيات).

يعرّف به الشّيخ الإبراهيمي فيقول:

''الشّيخ عمر البسكري داعية جهير الصّوت بالإصلاح، كاتب متين القلم في الدّيانات، سديد الرّأي فيها، قويّ الحجّة في مباحثها، أكسبه ذلك قيامه على كتب الفحول من فقهاء السّنّة، أمثال: ابن تيميّة، ابن القيّم، والشّوكاني، وهي كتب تربّي ملكة البرهان، والشّيخ عمر أجلد دعاتنا وكتّابنا على المطالعة والقراءة.»

ويقول ابن باديس وهو يعرّف به:

''لنا أخ في اللّه ببلد الفاتح العظيم سيدي عقبة بن نافع، ممّن يحفظون كتاب اللّه ويتدبّرونه، ويهتدون به، ويعملون على نشر هدايته، كما يشاركون في العلوم الشّرعيّة والأدبيّة والعقليّة، ويضربون في اللّغة الفرنسيّة بسهم، هو الشّيخ عمر بن البسكري».

رويسات محمّد

المصادر:

- موسوعة الشعر الجزائري، مجموعة أساتذة من جامعة منتوري، ج1 ص236.
- موسوعة أعلام جزائريّة، ص2
- مجلّة الشّهاب، العدد الخاص بالاحتفال بختم ابن باديس لتفسير القرآن الكريم.ج4

■ عمر بن حمُّو بن باحمد بن عيسى بن بكلِّي
(و:1253ه - 1877م/ت: 1340ه - 1922م)

أحد العلماء العاملين، من بلدة تجنينت العطف بميزاب، ويعدّ أيضاً من الوطنيين المخلصين، الذين سعوا لتطهير المجتمع من الجهل والفساد، ومقاومة الاستعمار والاستعباد.

عرف بلقب «بكلِّي» والحقيقة أنه كنية عرف بها جدُّه. ولد في مدينة العطف وفيها حفظ القرآن، ودرس مبادئ العلوم على والده حمُّو بن باحمد؛ ثمَّ انتقل إلى مدينة بني يسجن وتتلّمذ على مشايخها، منهم: الحاج سعيد بن بافو، عمر ابن سليمان نوح، محمّد بن سليمان ابن ادريسو وغيرهم؛ وأخيرًا حطَّ الرّحال بمعهد القطب اطفيَّش ولازمه كثيرًا، وأسند إليه القطب التّدريس في معهده، لكفاءته وبروزه.

نبغ في العلوم الشّرعية واللغوية، وبرع في الحساب والفلك، وكان آية في الحفظ لأنساب العرب القدامى، وأنساب عصره، وبخاصة قبائل البادية في الجنوب وبطونها وتواريخها، فضلاً عن تاريخ ميزاب وأنساب عشائره.

لاهتمامه بعلم الفلك ومنازل النّجوم كان لا يخطئ في معرفة الأوقات، ومسالك الطّرق المجهولة في الصّحراء.

بعد تخرُّجه في معهد القطب عاد إلى بلدته العطف، فخلّف والده في الوعظ والإرشاد في مسجد أبي سالم عامّ 1303ه/ 1885م، ثمَّ في المسجد العتيق.

ودرَّس مختلف العلوم التي أخذها عن شيخه القطب، فهو الذي وصفه بالعالم الكامل، وفسَّر القرآن كاملاً في دروس المسجد، لمدَّة خمسة وعشرين عاماً، معتمداً في ذلك على تفسير البيضاوي.

وخصَّص لطلبة العلم نصيبهم ففتح في داره معهدًا للتعليم يبين لهم القواعد، ثمَّ يرسلهم إلى القطب لاستكمال الدّراسات العليا أو إلى جامع الزّيتونة بتونس.

أسندت إليه مهامُّ اجتماعية كثيرة، إذ تولَّى مشيخة العزَّابة خلّفا لوالده بعد وفاته، فرعى شؤون البلدة الاجتماعية، وكانت حينها تعجُّ بالجهل والخرافات، وكان الشّيخ عمر كأبيه شديدًا على الفساد والمفسدين.

ولم تنقطع صلته بالقطب، فقد ظلَّ مستشارًا له في المشاكل العويصة التي تعرض عليه.

وأهلته خبرته الميدانية فاختير رئيسًا لمجلس عمِّي سعيد يوم 28 فيفري 1883م، الهيئة العليا لمجالسّ عزابة وادي ميزاب.

وفي الجانب الوطني، ناصر ثورة أولاد سيدي الشّيخ، يبعث إليهم بالقوافل من السّلاح والبارود واللباس والمؤن، وكان يستوردها من جنوب تونس ومن ليبيا عبر الصّحراء بوسائله الخاصة؛ وكان على اتصال بقيادة تلك الثّورات: سي الاعلى، سي سليمان، وبوعمامة.

ولخطورته على الوجود الفرنسي اعتبرته السّلطات مشاغبا (agitateur)، وزجَّ به في سجن تاعظميت قرب الأغواط لعدَّة أشهر سنة 1915م، وبعد الإفراج عنه واصل جهاده.

ولمَّا فُرض التّجنيد الإجباريُّ على الجزائريِّين قاد معركة حامية ضدَّ هذا القانون.

تخرَّج على يديه تلاميذ عديدون، من أبرزهم: الحاج مسعود بن إبراهيم قبَّاض، الطّالب بكير بن إبراهيم بن الحاج إسماعيل، الشّيخ يوسف بن بكير، الحاج مسعود بن محمّد بكلِّي، الطّالب إبراهيم بن سليمان، الشّيخ سليمان ابن داود ابن يوسف، الشّيخ عبد الرّحمن بن عمر بكلِّي.

وعلى مستوى العالم الإسلاميِّ كان الشّيخ عمر على اتصال بأقطاب الحركة الإصلاحية منهم الشّيخ محمّد عبده عند مجيئه إلى الجزائر عامّ 1903م.

وله مراسلات مع علماء تركيا وزنجبار، إضافة إلى اتِّصاله بعلماء الجزائر من أمثال الشّيخ عبد القادر المجاوي، والمولود بن الموهوب.

ترك مكتبة قيِّمة من نفائس المخطوطات والمطبوعات.

وقد كان أستاذه القطب أطفيش يجلّه ويقدّره وله عنده مكانة خاصّة فقد كان أمين سره، ومما يدّل على ذلك رسائل عديدة بينهما منها هذه:

أمّا بعد فسلام على الفاضل الواصف، العالم، الكامل، الحاج عمر بن حمو من كاتبه أمحمّد بن الحاج يوسف داعيا لك بزيادة الخير الدّيني والدّنيوي على ما عندك منهما، وقائلا: أصبر على موت أخيك الحاج أحمد يوتيك أجرك في الدّارين، ويزدك نصرا على الأعداء وغيرهم.

وقد رافق الشّيخ عمر بن حمو بكلي أستاذه الشّيخ القطب أطفيَّش في رحلته الثّانية إلى الحج سنة 1885م، وقد مدحه القطب في حجازيته وأثنى عليه وعلى أهل بلدته العطف

هَجَرنَا مَسَاقِطَ الرّؤُوسِ وَمَا نَرَى
سِوَى الحَجِّ إِنَّ الحَجَّ قَد حَانَ أَنْ يُرَى
وَغَيرَ اعتِمَارٍ وَالزّيَارَةِ لِلنَّبِي
عَلَيهِ الصّلاةُ وَالسّلاَمُ زَهَا التّرَى
فَلِلَّهِ حَمدٌ حَمدُ فَانٍ لِذِي البَقَا
وَحَمدُ فَقِيرٍ لِلغَنِيِّ عَنِ الوَرَى
خَرَجنَا بِضَحوَةِ الخَمِيسِ بِمِثلِ مِا
خَمِيسٍ، وَنَحنُ فِي خَلاَءٍ عَنِ المِرَا
وَفِينَا فَتَى الفِتيَانِ أَشجَعُ مَن أَرَى
وَأَصدَقُهُم حُبًّا وَأَيقظُ مَن سَرَى
وَأَنقَبُهُم ذِهنًا وَأَطوَلُهُم يَدًا
وَمَجرَى أَبِيهِ فِي شَمَائِلِهِ جَرَى
أَلاَ إِنَّهُ ابنُ السّيدِ المُنتَخَى عُمَر
تَعَبدَلَ مَرَّتَينِ لِلخَيرِ مَصدَرَا
فَيَا لَيتَهُ فِي صُحبَتِي كُلَّ رِحلَةٍ
إِلى مَكَّةَ الغَرَّاءَ فَاتِحَةِ القُرَى
كَسَائِرِ أَهلِ العَطفِ جُلُّهُمُ ذَوُو
سَخَاءٍ وَرِفقٍ بِالذِي بَرَا وَقَرَا
وَفِيهِم بَقِيَّةُ الزّيَارَةِ وَالوَرَع
وَنُطقٍ سَوَاءٍ لاَ قَلِيلٍ وَلاَ هُرَا
وَتَصحِيحُ صَومٍ وَالصّلاَةُ مَعَ الإِمَامِ
فِي رَاجِحِ الأَوقَاتِ وَالحَجِّ إِن حَرَى

كما شهد له الشّيخ سليمان باشا البارونـي بعلو الكعب في العلم. فقد

حضر له درسا بمسجد "أبي سالم" بالعطف في التّفسير. ويقال إنّ هذا الدّرس كان في سورة الكهف، وقد مدحه بأبيات نشرها في ديوانه المطبوع قال فيها:

إلى العطف حرّكنا الرّكاب وعرّجنا على مجلس الذكر الحكيم وحاججنا
فكنّا نرى بحرا تلاطم موجه لدى الفجر فاستهوى النّفوس فأخرجنا

توفّي في مسقط رأسه في آخر يوم من ذي الحجّة عامّ 1340ه/ 1922م.

من آثاره:

- تفسير القرآن الكريم (مخطوط) مفقود.
- مراسلات وأجوبة (مخطوطة).
- منسوخات علمية (مخطوطة).
- شروح وحواشي على بعض الكتب الفقهية (مخ).
- مكتبة زاخرة بنفائس المخطوطات (تآليف أصلية وأخرى منسوخة).

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- بكلّي عبد الرّحمن بن عمر: ترجمة الشّيخ عمر بن حمو بكلي في 20 صفحة (أحال عليها النّوري) بكلّي الحاج يحيى: ملامح عن حياة الشّيخ الحاج عمر بن حمُّو بكلّي (مرقون) 7صفحات دبوز: نهضة الجزائر، 2/ 147-150 د/ محمّد ناصر: الشّيخ القرادي، 128، 147 النّوري: نبذة، 1/ 84، 288-293 الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، 119، 131، 135، 146، 230 فخار حمو بن عمر: رسالة فيها نبذة عن تاريخ مجلس عمّي سعيد، (مخ) 2 نويهض: معجم أعلام الجزائر، 45 جمعية التّراث: دليل المخطوطات، فهرس مكتبة إروان، المقدّمة، ص (ع) الشّيخ عدون: م.ن.ت.م (مخ).
- ينظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، المطبعة العربية - غرداية، ط1، 1999، ج3، ص632.

■ عمر بن سليمان بن حاج بكير، بهون علي (و: 1346ه1927-م /ت: 1442ه2021-م)

خلال سنة (1346ه1927-م) ولد السّيد المجاهد بهون علي عمر بن سليمان بن حاج بكير بن سعيد بمدينة العطف ولاية غرداية جنوب الجزائر وينتهي إلى عشيرة آت الخلفي العريقة، أبوه كان تاجرا في سور الغزلان ولاية البويرة، وأمه هي السّيدة حاج إبراهيم منة بنت حمو بن سليمان وحيدة إخوتها الخمسة: محمد، بهون، عمر، بكير، إبراهيم من آل بوكابوس بعشيرة آل الحجاج الكريمة، وقد ذاق مرارة الفراق بين الوالدّين منذ العامين من عمره فنشأ في بادية سور الغزلان ولم يرجع إلى أمه إلا في السّنة الرّابعة من عمره.

تعلفي سنة 1932م تعلم في زاوية في سور الغزلان ولاية البويرة لعلها زاوية الشّيخ بن لعموري.

وفي سنة 1940م ذهب إلى العمل عند خاله حاج إبراهيم عمر بن حمو بن سليمان بوكابوس في متجر مواد غذائية ببوسعادة.

في سنة 1955م تحول إلى دكان مواد غذائية للسيد حاج إبراهيم عمر بن سليمان كشريك في مدينة بوسعادة ولاية الجلفة.

في سنة 1958م اشترى دكانا بجانب أخواله في بوسعادة لبيع القماش والأحذية.

في سنة 1962م تحول إلى دكان قرب حسين داي بالجزائر العاصمة.

في سنة 1968م تحول إلى دكان آخر للمواد الغذائية في مدينة الحراش بالجزائر العاصمة.

في سنة 1974م أدّى فريضة الحج في البقاع المقدسة.

في سنة 1976م استقر به المقام للعمل موظفا في البلدية بغرداية.

عائلته:

في سنة 1950م اقترن بشريكة حياته المرحومة بهون علي لالة بنت حاج علي بن حاج باسعيد، في سنة 1980م بعد وفاة زوجته الأولى اقترن بشريكة حياته الثّانية السّيدة عيسى حنة بنت محمد بن عيسى.

وقد أنجب منهما أربعة عشر ولدا: ستة إناث وثمانية ذكور هم السّادة: زيلوخة، سليمان، محمد، علي، أحمد، إبراهيم، مريم، حنة، صالح، عبد النّور، داود، وقد بارك الله في عمره وعمرهم حتى أصبح يصافحه خمسة وتسعون حفيدا.

ما بين سنة 1945- 1949م كان يحضر الاجتماعات السّياسية التي ينظمها فرحات عباس ومصالي الحاج في مقر حزبهم ببوسعادة ويتبادل قراءة جريدة النّصر مع رفاقه السّياسيين.

في سنة 1955م كان له أول اتصال بالثّورة والثّوار على يد المجاهد حمو بن سعد القعموري في دكّان السّيد حاج إبراهيم عمر بن سليمان.

كانت مشاركته في الثّورة هو تقديم الاشتراكات المادية وجمع الأغطية والألبسة والأحذية وأدوات التّطبيب وأدوات الكتابة والقهوة والسّلاح لإرسالها إلى الثّوار في الجبال على يد عقوني عامر وقد اكترى دارا وراء

ثكنة الجيش الفرنسي لصنع القنابل والسّيزاي للثورة والثّوار.

عمل مسبلا في النّاحية الأولى من المنطقة الثّالثة بالولاية السّادسة تحت رقم 1107 بقسمة رقم 51 وقد حافظ على سر الثّورة بنقل الرّسائل طيلة أيام الجهاد رغم أنه يجتمع في دكانه أحيانا المجاهدون في طابق وآل بن لونيس في طابق والاستعمار في مكان آخر.

في مارس 1961م طلب من الثّوار أن يفجّروا دكّانه حتى يبعد عنه أعين الاستعمار، وبعد ذلك قدم شكوى للأمن الاستعماري حتى لا يتعرض دكّانه للتفتيش والملاحقات العسكرية.

بعد وقف إطلاق النّار في 19 مارس 1962م حضر احتفالات جبهة التّحرير الوطني في مدوكانية دائرة بريكة ولاية باتنة.

في سنة 1985م حصل على بطاقة مجاهد.

بقي وفيا لحزب جبهة التّحرير الوطني إلى حين وفاته.

لقد اشتهر المجاهد عمر بهون علي بخصال حميدة جعلته محبوبا لدى كل النّاس أذكر منها: أنه كان ممن سلم النّاس من لسانه ويده، لقد كان مشهورا بضبط المواعيد، يتقن عمله ويخلص في جهاده.، يكثر النّصيحة ولا يكتمها، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم، يمتاز بالتّسامح والعفو عند المقدرة، كان كثير الصّدقة فقد تبرّع بدكّانه التّاريخي لدار العرش ببوسعادة، قلبه متعلق بالمسجد لا يفارق صلاة الجماعة، يمتاز بحب الوطن، يمتاز بالصّبر الجميل.

بعد عملية جراحية للبروستات وغيرها لبّى نداء ربه يوم الثّلاثاء 27 شوال 1442ه/ 08 جوان 2021م عن عمر يناهز 95 عاما رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه مع الصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا.

حاج أحمد بن محمد كروم

المصادر:

- صالح بن ادريسو، الميزابيون على وقع الثّورة 1945- 1962م الجزء الأول، الرّستمية للنشر، 2020م، ص 272. 273.
- حمو بن محمد عيسى النّوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار البعث قسنطينة، المجلد الرّابع، ص 138- 139.

■ عمر بن قدّور
(و: 1304ه - 1886م/ ت: 1349ه - 1930م)

أبو حفص عمر بن قدّور الجزائري، المولود في الجزائر العاصمة والمتوفى فيها، قضى سنوات عمره في وطنه الجزائر، أخذ تعليمه الأول في الكتّاب، فحفظ القرآن الكريم، وبعض المتون في اللغة وفي الشّريعة، بعدها واصل تعليمه بالمدرسة الثّعالبيّة، فحصل على إجازتها العليا بحسب نظام دراسته الذي يجمع بين المناهج الأصيلة والحديثة.

اشتغل بالعمل الصّحفي، فأنشأ جريدة «الفاروق» عامّ 1913، كما تولّى تحرير جريدة «الصّديق». بالإضافة إلى هذا فقد كان يكتب في بعض الجرائد التي تصدر في العالم العربي والإسلامي من مثل «الحضارة» الصّادرة بالآستانة بتركيا، و«المؤيد» و«اللواء» بمصر عامّ 1914، وكذلك «التّقدم بتونس». وقد كانت نزعته الإصلاحيّة الوطنيّة، وجرأته في طرح القضايا الوطنيّة التّحرريّة هي السّبب في تعطيل جريدته «الفاروق» ونفيه إلى مدينة الأغواط بالجنوب الجزائري من قبل سلطات الاستعمار الفرنسي. وبعد الإفراج عنه عاد إلى الجزائر العاصمة وأصدر «الفاروق» في صورة مجلّة، لكنها لم تعمّر طويلا وذلك بسبب اعتزال عمر بن قدور كل نشاط له صلة بالسّياسة، فلزم البيت ومال نحو التّصوّف وبقي في عزلة حتى وفاته.

له قصائد عديدة منشورة في جريدة «الفاروق»، وفي جريدة «الحضارة».

ما يمكن أن نلاحظه على شعره هو أنه شعر تقليدي من حيث بناؤه، وجديد من حيث موضوعاته، إذ نجد له قصائد تعبر بكل صدق عن نزعته الدّينيّة الإصلاحيّة وعن قوميته، فقد كان يتابع كل قضايا العرب والمسلمين في كل بقاع الأرض. وقد أفاد كثيراً من الثّقافة الإسلاميّة والتّاريخ العربي، كما أنه كان ينظر بعين الرّيبة والحذر من التّمدّن والعلم الغربي، الفاقد للقيم الأخلاقيّة، داعياً في قصائده إلى الاقتداء بأفعال الأسلاف والأجداد. أمّا لغته فهي سهلة تمتاز بدقتها وسلاستها. وعباراته عذبة منسابة في حين أنّ أسلوبه رصينًا محكمًا حيث يميل في بعض الأحيان إلى المباشرة والتّقريريّة، كما أنّ خياله قريب وقد جاءت صوره الشّعريّة ترتكز أساسًا على الموروث الشّعري وعلى أجزاء البلاغة.

من قصيدة: يا شرق

يا شرقُ، هل هذي المصائب تنجلي
أو ينتهي الغليان من ذا المرجلِ؟
يا شرقَنا حتى متى نجني المنى؟
أم ذي المنى عنوان ما لم نعمل؟
قد خلتُها هيفاءَ تنفر كالمها
وعشيقُها أضناه كيد العُذَّل
دَنِفٌ عراه اليأس، حتى قلبُه
يقضي السّنين بحسرةٍ وتململ
يا شرقَنا إني ظننتك ناهضاً
فجعلتَ ظني الماءَ وسط المُنْخل
يا شرقُ، ما لعقول قومك لا تعي

نصحاً من الماضي إلى المستقبل
فكأنها عميتْ فلم تُبصر أنا
ساً لا ولا خَلْقاً، ولم تتجوّل
لو كنتَ تعلم كيف تعمل للعلا
لغدا لمدرسةٍ بنوك ومعمل
ما بين لهوٍ دائبين وغفلةٍ
وتكاسلٍ وتقاعدٍ وتعلّلِ
إن كان حقك في الحقيقة ضائعاً
فكما تضيع إذن حقوق الغُفّل
صالتّ عليك مطامعُ الغرب الذي
أرضعتَه لبنَ التّرقّي الأكمل
إن كان أهل الغرب قومَ تَمدُّنٍ
فهمُ الثّعالب سُبَّقاً بتحيُّل
ليس التّمدّن باختلاس ممالِكٍ
هيهات ما إن ذاك دأب الكُمَّل
جعلوا مواطننا حمى لذويهمُ
وأبَوا علينا أن نقرّ بمعقل
يا شرقَنا، إني أعيذك أن ترى
متغافلا عنهم فتسقط من عل
عَدّوك مُحتضراً، ويومئذٍ رأوا
تقسيمَ ملكك هيناً لمؤمّل
إني أعيذك أن يسود نفوذهم
وتُساق حيلتهم عليك فتنطلي
يا شرقَنا يكفيك ما هو حاصلٌ
فأعدْ فعال السّالفين البُسَّل
وانهض فديتك واتَّخذ لك قوّةً
مقرونةً بالسّعي دون تَمهُّل
إن القُوى عند الشّدائد تُبتغى
بالحزم والتّدبير ثم الصّيقل

من قصيدة: نفثاتُ مَصدورٍ

أليفَ التّواني ليت شعري أتعلمُ
بأن صروفَ الدّهر تبني وتهدمُ
وأن حياةَ القوم أوسعُ مَرْسحٍ
لتمثيلِ أعمال الرّجال وأفخم
بربِّكَ هل تدري الحياة وأنها
جهادٌ وأن العيش ضِيقٌ ومَغْرم؟
وهل تعلمُ القومَ الذين تقدَّموا
علينا بعلمٍ لا بجهلٍ تقدَّموا؟
صحيفةُ هذا الكون تنشرُ دائماً
وتعلمُ أن المجدَ أمرٌ محتَّم
عجيبٌ من الأيام ذلّةُ مصلحٍ
وعزّةُ مغرورٍ له الشّرُّ سُلَّم
عظيمٌ على نفس اللبيب مذلّةٌ
تدوس نفوساً تُستهاضُ وتُظلم
نعم حسرةٌ تعدو على القلب حينما
يرى أمّةً تفنى وأخرى تُقسَّم
ولكن مَجاري الدّهر دقّتْ لحكمةٍ
فركنُ الوفا بين العباد مُهدَّم
فلو لاح سرُّ الأمر أصبح كلُّ من
جفا مصلحاً يوماً عليه يُسلَّم
ولا خالطتْ عيشَ الرّشيدِ مُلمّةٌ
ولا أبصرتْ عيناه مَنْ يتألّم
ولو شاء ربي لاستتبَّ بأمره
وئامٌ، ونعمَ الخُلْقُ فضلٌ مُتمِّم
خليلي ألا في القوم من يتألّمُ
وتصريفُ هذا الدّهر وخزٌ يُؤلِّم
أَسُرُّوا بهذا النّوم أم غاب عنهمُ الشّ
شُعور؟ وللنيام رمسٌ ومأتم
أتاهوا عن النّهج السّويّ فأصبحوا
أذلاءَ ضاعوا عن رشادٍ وأحجموا؟
ألم يَأْنِ للقوم الذين تفرّقوا
وناموا طويلا أن يهبّوا ويُقدِموا؟
أليسوا بأبناء الذين تقدَّموا
وسادوا بني الدّنيا فشادوا وأحكموا؟

إلى الأمة الإسلاميّة

نظرت فأهدتني البصيرة للوقت
إلى نظرة تقضي على الحسن بالرّفت
وإني لبين الضّيم والضّغط دائماً
مقيم، ومن يغدو يغير لي بختي
ومن ذا يكن مثلي، ويطرح جانباً
ولوع الفؤاد الحيّ بالصّالح البحت
ومن يستطع حمل الثّقال بضعفه
ويبدي لقاء الضّغط باديّة الصّمت
ومن كان ذا قلب عليل مؤلم
فحظه من بين المآتم في الصّوت
أقول وربِّ النّاس، ما السّعد حاصل
لحرّ على وجه البسيطة في وقتي
وما اِنفك ذو الفكر الصّحيح مقيداً
أليف الضّنى والضّير في السّوق والبيت
ولا سيما من كان يفنى لأمة
أضيع بها الإسلام بالنّبذ والرّفت
نظرت الورى طرًّا، تحرّوا رشادهم
ولم أنظر الإسلام ينفك عن ست
عن الجهل والإحجام والبخل والنّوى
وعن دولة الآفاك، والأكل في السّحت
وعن بدعة الإغضاء عن كل منكر
وكم أنب القرآن متبعي الجبت
أيا أمة الإسلام، هلا لصالح
تفيضي، أم الإفضاء للغي والمقت
لقد غرك الأنذال، لما توصلت
أناملهم للعيث بالدّين والتّخت
وأضحى زعيم الرّشد موقع سخطهم
يكيدونه كيداً، فضاع، وقد ضعت
ألم تذكري في قريّة البحر، إذ عتت
على ربها، بالحوت في صحوة السّبت
فذاقت وبال الأمر واندكّ مجدها
إلى حيثما صارت تماماً لقد صرت
تمسكت بالأهواء في كل وجهة
وفي دولة الأهواء قارعة الموت
فما تسمعي إلا لناقض غزله
وإن راغ للإحجام يوماً، له رغت

رابح دوب

المصادر:
- صالح خرفي: عمر بن قدور الجزائري، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر 1984.
- صالح خرفي: شعر المقاومة الجزائريّة، الشّركة الوطنيّة للتوزيع والنّشر، الجزائر.
- محمّد ناصر: المقالة الصّحفيّة الجزائريّة، الشّركة الوطنيّة للتوزيع والنّشر، الجزائر 1978.

■ عمر ديدوح
(و:1374ه - 1954م/ت: 1442ه - 2021م)

ولد الباحث الأستاذ الدّكتور عمر ديدوح في العاشر من سبتمبر سنة 1954م ببلدية تيرني بني هديل المحاذية لتلمسان، نشأ وترعرع في كنف أسرة ثورية بسيطة ومحافظة، والده عبد القادر بن البشير ووالدّته بلعباسي فاطمة. تلقّى تعليمه الأوّلي بمسجد الحي أولاد بنوار بني هديل، أين تعلم مبادئ اللغة العربية وحفظ جزءا من القرآن الكريم، ثم زاول تعليمه بالمدرسة الابتدائية للمطمر التي لا تبعد كثيرا عن قريته أولاد بنوار، ثم انتقل إلى متوسطة دار الحديث سنة 1974م، ومنها إلى ثانوية يغمراسن الواقعة وسط مدينة تلمسان أين تحّصل على شهادة البكالوريا سنة1977م شعبة آداب وعلوم إنسانية. التّحق بالجيش الشّعبي الوطني لأداء الخدمة العسكرية وأنهى واجبه الوطني سنة1985م، وبعد أدائه للخدمة الوطنية شقّ طريقه في مواصلة مساره العلمي.

سجّل الباحث عمر ديدوح في قسم اللغة العربية وآدابها، حيث اختار تخصص الأدب العربي ليتحصّل على شهادة الليسانس سنة1989م، واجتاز مسابقة الماجستير تخصص لسانيات تطبيقية ونال المراتب الأولى بكل جدارة واستحقاق بجامعة تلمسان في 11 مارس 1997م.

تعرّف على كوكبة من الأصدقاء والزّملاء، ولعلّ أقربهم صديقه الّذي كان معه كالظّل الذي لا يفارقه الأستاذ الدّكتور سيدي محمّد غيثري.

وشغل عمر ديدوح منصب أستاذ التّعليم الثّانوي بالثّانوية المختلطة الحناية، فضلا عن مواصلته التّحضير لرسالة الماجستير خلال هذه الفترة ليتحصّل عليها سنة1997م بتقدير مشرّف جدا. وفي الوقت نفسه واصل مساره العلمي، وسجّل أطروحة الدّكتوراه، وبعدها أستاذا محاضرا مثبتا ليتحصّل على أستاذ التّعليم العالي سنة2010م.

كان الأستاذ عضوا مؤسّسا لمخبر المعالجة الآلية للغة العربية بجامعة تلمسان سنة 2000م. وترأّس فرقة التّعرف الآلي على الخط العربي اليدوي لأزيد من عشرين سنة. كما كان عضوا مؤسّسا للذخيرة العربية بالجزائر، وعضوا مؤسّسا لجمعية اللسانيين الخليليين برئاسة الدّكتور عبد الرحمان الحاج صالح، وباحثا مشاركا بمركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللغة العربية ببوزريعة من 2001 إلى2008، وعضوا بأكاديمية تعليم اللغات لجامعة منيسوتا مركز الارتباط الدّولي عن بعد. وعضوا بهيئة التّحرير لمجلات وطنية ودولية ومراجعا لكثير من الأبحاث الدّولية والوطنية. وخبيرا معتمدا لدى المجلس الأعلى للغة العربية. وقد مثّل المجلس الأعلى للغة العربية في مشروع النّواميس البشرية مع مديرية الحكامة مشروع بين لجان الأعمال القطاعية سنة2018.

كما كان رئيسا وعضوا مشاركا في عدة مشاريع بحث علمية في جامعة تلمسان وجامعة الأغواط ومركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللغة العربية، ومركز البحث العلمي والتّقني في الأنتروبولوجيا الثّقافية والاجتماعية.

وعزّز الأستاذ الباحث تكوينه لتحسين النّوعية خارج الوطن وداخله، من ذلك زيارته للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السّعودية سنة 2000، كما أنه استفاد من تكوين حول المعالجة الآلية للغة العربية بمركز شركة صخر الدّولية بجمهورية مصر العربية في الفترة الممتدة من «2003-2004»، وكانت له عدّة زيارات أخرى لمجموعة من الجامعات المصرية والسّورية والماليزية وغيرها. وزيارات أخرى تكوينية لعدّة جامعات ومراكز بحث علمية داخل الوطن.

أشرف الدّكتور الباحث على تأطير عدد كبير من مذكرات الليسانس ورسائل الماجستير وأطروحات الدّكتوراه ومناقشتها في اللسانيات التّطبيقية واللسانيات التّعليمية واللسانيات الحاسوبية وعلم الطّوبونيمية وعلم التّرجمة، والبرمجة اللغوية في النّظامين القديم والحديث. كما ناقش عدّة رسائل ماجستير ودكتوراه خارج الوطن في التّخصصات نفسها.

قام الأستاذ الباحث بتدريس عدة مقاييس علمية في جامعة أبوبكر بلقايد منها اللسانيات الحاسوبية، ومصادر اللغة والأدب، وأصول النّحو، واللسانيات التّطبيقية، وتقنيات البرمجة اللغوية.

أسهم الباحث الشّغوف بحب اللغة العربية وعلومها بعدّة أبحاث علمية دولية منشورة أهمّها تطوير البرمجيات العربية للتسيير الإلكتروني للمؤسّسات مصلحة المستخدمين بلدية تلمسان أنموذجا، منهج النّماذج المنغولة في توصيف اللغات الطّبيعية، توطين تقانات تعليم الحاسوب تمييز الخط العربي اليدوي، اللغة من القدرة إلى التّواصل، ظاهرة الزّيادة في الأبنية الصّرفية العربية، اللغة بين المنطوق والمخطوط، كما تألق بكم هائل من المنشورات الوطنية التي أثرى بها المجلات والدّوريات الوطنية الدّولية بالجامعات الجزائرية في تخصصات لغوية متعددة نتجت عن مجموعة من العلوم المعرفية التي ارتبطت ارتباطا وثيقا فيما بينها ضمن مجال الدّراسات البينية التي تهتم بالتّكامل والرّبط بين علمين أو أكثر من خلال الاستفادة من النّظريات والمعطيات والمفاهيم والمناهج والأدوات داخل كل علم لبلوغ رؤى وإنجاز مهمات مشتركة بهدف دمج المعرفة وتحقيق الإبداع بطرق التّفكير، ومن بينها «إنتاج المصطلح بين اللسانيين والمناطقة، ودور الصّحافة الرّياضية الجزائرية في نشر اللغة العربية، واللسانيات النّسبية واللسانيات الكلية، وفعالية اللسانيات الحاسوبية، والعقبات المواجهة للترجمة الآلية، وحوسبة المعجم العربي ضمن مشروع الذخيرة العربية وغيرها كثير من الأوراق البحثية المنشورة في مجلات علمية مختلفة.

وعلاوة على ذلك شارك الأستاذ الباحث في ملتقيات دولية ووطنية، وترك بصمة علمية في محافل متميزة شملت عدّة مجالات ومنها على سبيل المثال لا الحصر الحاسوبية وتعليم اللغة العربية التي أولى اهتماما بالغا لها وكتب فيها عدة أوراق بحثية، ومنها توطين تقانات التّعرف الآلي على الحروف العربية اليدوية باعتماد الشّبكة الأعصابية، واستخدام تقانات

تعدد الوسائط لتوفير بيئات استكشافية لتعلم وتعليم اللغة بالإضافة إلى تعليم اللغة العربية للناطقين بها ولغير النّاطقين بها ومن مشاركاته مداخلة ثنائية برفقة الدّكتورة فاطمة سعدي حول تمكين برامج الألعاب الالكترونية في مهارات التّواصل الشّفهي للناطقين بغير العربية من الأتراك، وتزايد الإقبال على تعلم وتعليم اللغة العربية في بيئة المعرفة ناهيك عن ميادن أخرى ومنها اللسانيات العرفانية التي بصم فيها بأعمال رصينة منها الصّفات التّمييزية للسيالة العصبية في إنتاج الكلام- حالة تطبيقية على منطقتي بروكا وفرنيكا، كما أنه اهتم كثيرا بمجال الطّوبونيميا ونذكر منها الدّراسات الطّوبونيمية والتّنمية المستدامة مقاربة بيانية في نظم المعلومات، إنشاء وتطوير قاعدة معارف لأسامي الأعلام الشّخصية الجزائرية باعتماد شبكة الأنطولوجيات الأنوماستيكية التّفاعلية.

كما قام بنشر كتاب بعنوان الدّور الإعلامي للشعر الشّعبي وترك خمسة مخطوطات غير منشورة:

- الرّحلة التّقنية للخط العربي من عصر النّقوش إلى مجتمع المعرفة والبيئة الرّقمانية؛
- مدخل إلى اللسانيات الحاسوبية؛
- اللسانيات التّطبيقية هذه الثّورة في عالمنا المعولم؛
- الأنطولوجيا العربية والويب الدّلالي؛
- ميلاد اللسانيات العصبية من رحم اللسانيات النّفسية.

توفي الأستاذ الباحث في يوم 07 أوت سنة 2021م عن عمر يناهز 67 سنة متأثرا بإصابته بوباء كوفيد19 ودفن بمقبرة إمامة تلمسان وحضر الجنازة جمع من عائلة الفقيد وأصدقائه المقربين. وكتب في رثائه الشّاعر سفيان برسيس:

يا تلمسانَ فَقَدتِ أستاذًا رَثَاهُ القلبُ قبلَ
الشّعرِ حُزنا..
تكالبَتِ الهمومُ عليك قهرًا بفَقْدِ الشّمِّ
أعلامًا خسرنا..
فهذا الدّكتور عُمر شيخٌ قضى عمرًا يُعلِّمُ
فيكِ فنّا..
تفنَّن في لغتنا كما رأينا لغةٌ قد علَتْ
بالحسنِ مُزْنَا..
وآدابٌ يُعلِّمُها أبيًّا يُعِيدُ المجدَ فينا إذْ
ضَعُفْنَا..
يَطيرُ بنا على سُحُبِ المعاني يُزيحُ عنِ
العربية الشّيخِ وَهْنَا..
بتلمسانٍ فقيدٍ راح يُحْيِي.. رُفاتَ
الأقدمينَ.. بها تغنَّى
يشقُّ الأرضَ بحثًا عن جديدٍ ويَسْقِي بَذْرَ
علمٍ كاد يَفْنَى..
يقولُ الشّيخُ في درسٍ: تعالَوا تغنَّوا..
أَسمِعوا للصُمِّ لَحْنَا..
السّنَا خيرَ مَن دانَتْ علومٌ لهم.. بالسّبقِ
فضلًا قد عَلَوْنا..
السّنَا.. مَن تعلَّمتِ الأعادي بأرضِ
العُرْبِ ألوانًا.. لَدَيْنَا..
نَشَرْنا عِلْمَنا في الأرضِ فضلًا وقدَّمْنا..
فصارَ اليومَ دَيْنَا..
أَعِيدُوا المجدَ إنْ رُمْتُمْ عُلوًّا وهُبُّوا
اليومَ.. إنَّا الأمسِ قُمْنَا..
أيا جيلًا تقاصَرْنا تِباعًا له حقًّا.. وفي
صِغَرٍ هَرِمْنَا..
فأجيالٌ تُلاحقُ كلَّ غرٍّ وأجيالٌ تَخِذْنَ
الغربَ عَوْنَا..
فأسبغْ ربَّنا بجميلِ تَوْبٍ وعامِلْهُ بعفوٍ
منكَ حُسْنَا..

أبرق وزير التّعليم العالي والبحث العلمي السّيد عبد الباقي بن زيان برسالة إلى عائلة المرحوم عمر ديدوح يوم 11 أوت 2021.

فاطمة سعدي وسعاد عباسي

■ عمر شكيري
(و: 1338ه - 1920م/ت: 1433ه - 2012م)

الشّيخ عمر بن بوبكر الملقب بلقب عائلته شكيري، ومن المعلوم أن عائلة شكيري تنسب إلى عرش (قبيلة) أولاد بوعافية أحد العروش الكبرى التي تشكل منها النّسيج السّكاني بالبلدة.

ولد شيخنا الفاضل بمدينة گمار خلال سنة 1920 وبمسقط رأسه نشأ وترعرع في أحضان عائلته المحافظة التي كانت تشتغل بالفلاحة الموسمية وغراسة النّخيل بمنطقة الاهواد الفلاحية غربي البلدة.

أما الجوانب التّعليمية والعلمية للمترجَم له فحسب المصادر والمراجع التّاريخية كانت على النّحو التّالي:

التّعليم القرآني: فقد تعلم كتاب الله تعالى والعلوم العربية على يدّ الشّيخين الجليلين: الحاج عمار ياجور في كُتاب جامع الطّلبة وبلقاسم بن السّاسي (صالحي) في كُتاب جامع الطّلبة. كما واصل إلمامه بالعلوم العربية والشّرعية من خلال حضوره لحلقات التّدريس وحفظه للمتون العلمية استعدادا لمواصلة تعليمه بالزّيتونة.

التّعليم الزّيتوني: بعد المرحلة الأولية من حفظه القرآن الكريم وتحصيله للعلوم شد الرّحال إلى قلعة العلم والعلماء بالشّمال الأفريقي جامع الزّيتونة المعمور مطلع السّنة الدّراسية سنة 1936 وبقي ينهل من المعين الصّافي للعلوم سنوات دون انقطاع بكل جد واجتهاد ومثابرة إلى أن توج بإحرازه على شهادة التّحصيل للعلوم دورة 1944م.

عاد إلى مسقط رأسه فلم يمكث إلا قليلا حتى دعي من بسكرة ليكون معلما في (مدرسة الإخاء) للتربية والتّعليم التي أسسها وأشرف عليها العالم الشّيخ محمّد خير الدّين إثر دعوة جمعية العلماء لتأسيس المدارس الحرة وحينما نزل بها بعث فيها روحا جديدة ونشاطا فياضا، بدا ذلك في الاحتفال الذي أقامته المدرسة بمناسبة

الذكرى الخامسة لوفاة الإمام عبد الحميد بن باديس.

قضى في المدرسة سنة كاملة، وأدركته فيها حوادث 8 مايو 1945 وقد حفظه الله من ويلاتها.

وفي مستهل العام الدّراسي 45/ 1946 نقل إلى مدرسة التّربية والتّعليم بقسنطينة وأصبح من معلميها، وفي الوقت نفسه دعي ليدرس مادة الخط لطلبة (معهد عبد الحميد بن باديس) عند تأسيسه في سنة 1947.

وفي هذه السّنة نفسها تم اقترانه بإحدى معلمات (مدرسة التّربية والتّعليم) الآنسة (نعناعة ونيسي)، وجرت مراسيم الزّواج في حفل ودي وأدبي وعلمي يقتضيه زواج معلم بمعلمة، وحضر الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي الحفل فقدم بدوره هدية رمزية للزوج وهي عبارة عن مصحف بتفسير البيضاوي كتب عليه ما يلي: (الحمد لله - أهديت هذا المصحف المبارك بتفسير البيضاوي لولدنا عمر شكيري يوم زواجه ببنتنا المثقفة نعناعة بنت علي ونيسي ليبقى ذكرى لهذا الزّواج المجيد الذي قرن بين معلم ومعلمة يعملان لتربية الجيل الجديد على الإسلام والعروبة.

في 25 ذي القعدة 1367 محمّد البشير الإبراهيمي.)..

قضى في التّربية والتّعليم والمعهد سنتين ثم نقل لمدرسة التّهذيب بشلغوم العيد فانتقل إليها برفقة زوجته المعلمة فلم يمكث فيها إلا سنة واحدة نقل منها للمرة الثّالثة في صالح العمل لإدارة مدرسة التّهذيب ببرج بوعريريج فأقام فيها أربع سنوات.

وفي بداية العام الدّراسي 52/ 1953 نقل إلى الجزائر العاصمة فعين مديرا (مدرسة الصّادقية) في حي صلامبي ومعه زوجته السّيدة نعناعة، وصادف أن اشترت جمعية الصّادقية دارا خصصته بأقسامه الأربعة للبنات فاشتغلت به مع طائفة أخرى من المعلمات الأوانس: الزّهور ونيسي، زهية باية سلماني، زينب فرحي وغيرهن، وكان الاستاذ شكيري علاوة عن كونه يدير المدرستين ويعلم فهو يقوم أيضا بصلاة الجمعة في مسجد الصّادقية وبخطبتيها إلى أن ألقي عليه القبض.

ففي شهر أبريل 1956 اقتحم الجيش الاستعماري منزله ليلا فأخرج منه حافيا عاريا إلا من عباءة منزلية كان يرتديها وسيق إلى الاستنطاق ثم إلى معتقل البرواقية الذي مكث فيه أكثر من سنة، ثم نقل على التّوالي إلى معتقلات: بطيرة، سان لو، سيدي الشّحمي، بوسوي، أركول.

وفي شهر يوليو 1961 أفرج عنه ليوضع تحت الإقامة الجبرية ستة أشهر في الجزائر العاصمة.

وتحركت شاعريته الثّورية في أثناء الاعتقال الذي قضى فيه خمسة أعوام فكتب قصائد عديدة بعث بمعظمها إلى الجهات التي كان يتراسل معها، ويبدو لي الآن بعد ديوانا ينشره إذا تيسرت الظّروف واستقامت الأحوال.

واستقلت البلاد:

التحق بوزارة الأوقاف موظفا ساميا وحين أدمج المعلمون الأحرار في إطار الوظيف العمومي عين أستاذا في ثانوية بوفاريك ومن ثم تم انتدابه من وزارة التّربية إلى وزارة الأوقاف كنائب مدير للتعليم الدّيني، ثم اسندت له إدارة المعهد الإسلامي (بوالكين) بحسين داي فأشرف عليه سنتين ثم عاد إلى الوزارة نائب مدير للتعليم الدّيني والبحوث الإسلامية إلى نهاية سنة 1988 حيث أحيل فيها على التّقاعد.

نموذج من شعره:

في معتقل البرواقية 27 ديسمبر 1956 نظم قصيدة في 67 بيتا بعنوان (الله أكبر) وقد تخيل عند تنظيم أبياتها استقلال الجزائر وأراد أن تلقى في مهرجان الاستقلال: وقد ألقيت فعلا وحضرها وهذا بعض منها:

قف قبل نطقك بالتّهاني خاشعا حي
الجنود ومصرع الشّهداء
أد السّلام مهللا ومكبرا للراية البيضاء والخضراء
والثّم بثغرك ذ الهلال ونجمه متحمسا
بالرّقعة الحمراء
إن الهلال ونجمه بلوائنا أثر الطّعان بأمة الهيجاء
جمعت دما الشّهداء فهي أهلة والنّجم
مثل الطّعنة النّجلاء
الله أكبر يا مآذن رددي الله أكبر واهتفي بنداء
هذي الجزائر حطمت أغلالها وتحررت
من ربقة الأعداء
وتحفزت تبغي الوثوب كأنها أسد تمطى
بعد طول ثواء

ومن قصيدة بعنوان (وداع العام الدّراسي) سنة 1948 من 50 بيتا نشرت في جريدة البصائر العدد 49 سبتمبر 1948 ختمها بما يلي:

هنيئا للبنات هناء سعد وطوبى للمجد
من البنينا
لهم منا جميعا كل عطف وتقدير على
مر السّنينا
وداعا يا أعز النّاس عندي ودمتم في
العلوم مبرزينا
وعشتم والجزائر في ازدهار بتاج
الانتصار متوجينا

أثاره العلمية:

ترك بعض المخطوطات والأشعار وديوان شعر به مجموعة من القصائد موجود في مكتبته وبيته. ي آخر عمره أصيب بمرض عضال الزّمه الفراش مدة من الزّمن لينتقل إلى جوار ربه يوم 08/ 01/ 2012 وشيع إلى مثواه الأخير بأحد مقابر الجزائر العاصمة.

التّيجاني التّهامي

■ عومر بن عطيَّة بن بلقاسم، مغازي (و:1350ه - 1932م/ت: 1433ه - 2011م)

ولد خلال سنة 1932م، وتوفي يوم 16 محرم 1433ه، الموافق ليوم 11 ديسمبر 2011م.

بمدينة بريان، ولاية غرداية، في الجنوب الجزائري، من عشيرة آل عمّي سعيد.

معلّم اللغة العربية، ناشط جمعوي، قائد كشفي، رياضي في كرة القدم، مجاهد في صفوف الثّورة التّحريرية، سياسي بعد الاستقلال.

نشأ في مسقط رأسه بريان، وتلقّى تعليمه الابتدائي في الكُتاب (المحضرة)، ثمَّ في المدرسة الابتدائية الحرَّة «الفتح» سنة 1947م، ثمَّ انتقل إلى معهد «الحياة» بالقرارة من سنة 1950م إلى سنة 1952م. ثمَّ رحل إلى تونس من سنة 1952م إلى سنة 1953م، حيث زاول تعليمه في الجامع اليوسفي بالعاصمة تونس، ولكن انقطع عن مواصلة التّعليم لأسباب قاهرة، فرجع إلى معهد «الحياة» بالقرارة من سنة 1953م إلى سنة 1954م.

نشا أثناء الحرب العالمية الثّانية مع ما صاحبها من شظف العيش والحرمان، خاصّة في الجنوب، وعايش كلَّ مراحل الثّورة التّحريرية، وأسهم في بناء الدّولة الجزائرية بعد دحر المستدمر.

تلقّى علومه ومعارفه على يدّ عدَّة أساتذة ومشايخ، منهم على سبيل المثال:

- كروشي سليمان بن بابا.
- لعساكر إبراهيم بن باعلي (الزّعيم).
- لبسيس صالح بن يوسف.
- أولاد داود محمّد بن أمحمّد (البرياني).
- بكلي عبد الرّحمان بن عمر (البكري).
- الطّالب باحمد صالح بن يحيى.
- ابن يامي محمّد بن بالحاج.
- بيوض إبراهيم بن عمر.
- بيوض بكير بن عمر.
- شريفي سعيد بن بالحاج (الشّيخ عدون).
- أدّاود إبراهيم بن....
- محد عليّ دبوز.
- النّاصر بن محمّد مرموري.
- عثمان الكعاك.
- حسن حسني عبد الوهاب.
- الفاضل بن عاشور.
- لحبيب بلخوجة.
- المطوي لعروسي.
- البشير النّيفر.... وغيرهم.

علّم أجيالا من الفتيان، ومن أبرز تلاميذه في الكشّافة من أصبح قادة، منهم الأستاذين:

- اسعودي محمّد بن باحمد.
- لعساكر علي بن إبراهيم.

له كتاب «مسار» تركه مخطوطا وثّق فيه جزءا من سيرته الذاتية وأحداث عصره، طُبع في سنة 2022م، في كتاب من 378 صفحة، منها 258 صفحة أصل المخطوط والباقي فهارس متعددة، من إعداد وتحقيق زميله: محمّد بن موسى أولاد داود، كما ترك عدة قصائد وتمثيليات في التّربية واستنهاض الهمم وجمال الطّبيعة.

إلى جانب أثر كلِّ معلِّم مخلص في النّاشئة، كان مستنهضا للهمم موجِّها للمجتمع من خلال قصائده وتمثيلياته الفكاهية الهادفة في الأفراح والمناسبات، والنّشاط الكشفي.

كان منتميا إلى المدرسة الإصلاحية التي تزعمها في الجنوب الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض امتدادا للحركة الإصلاحية عبر الوطن، والتّي كانت تقودها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسها الشّيخ بن باديس. وكان كذلك من مؤسّسي حزب التّجمع الوطني الدّيمقراطي.

كان مربِّيا خلوقا مخلصا، وموجِّها بارعا للمجتمع، رياضيا متميِّزا، وكان له الفضل في تأسيس أوَّل فرع للكشّافة الإسلامية في بريان سنة 1954م، ثمَّ مناضلا في جبهة التّحرير الوطني ابتداء من سنة 1957م، والتّحق بجيش التّحرير الوطني سنة 1961م، بعد محاولته الأولى سنة 1957م التي لم تثمر، وبعد الاستقلال تقلَّد عدَّة مسؤوليات في جبهة التّحرير الوطني بغرداية وركّلة، ثمَّ محافظا للحزب في مدينة تيارت فسوق اهراس؛ وانتخب نائبا في المجلس الوطني عن ولاية غرداية في العهدة الأولى: من سنة 1977م إلى سنة 1982م، والعهدة الثّانية من سنة 1982م إلى سنة 1987م. كما شارك في تأسيس حزب التّجمع الوطني الدّيمقراطي.

في إطار مهام رسمية، رحل إلى جمهورية العراق، وإلى الجمهورية العربية السّورية.

ترك ستَّة أولاد ذكور، منهم ضابطين سابقا في الجيش الوطني الشّعبي، وثلاث بنات.

نموذج من شعره: قصيدة حول البطالة وكثرة الكلام: صورة للقصيدة مرفقة من خط يده

البطالة والقيل والقال

ألي قالكم قالو قالو
ذاك ما سمعوا لقوالو
قوالو كلها ريح ما فيها قول صحيح
احذر من لي راك اتجمع بالاك إغروك
أو تتبع
اختار مليح اصحابك تمنع
ما تشوف الشّينه ما تسمع
هاذي نصيحة يا ناس
ما اللي فنيان اخطيك بمراضو راه يعديك
كل صباح للدار إجيك على صواصلحك
ديما إلهيك
هو العرة فالنّاس
شوفات والله اتحيّر الشّارع منها امعمر
جمايع أتقَطُّع أو تهضر اجمايع فالقهوة
أتقمر
فالسّب ديما وادواس
لمرة ألي ما عندها صوف طبيعتها اتحب
لكلوف
تلبس حولي والبنتوف الخالتّها تروح
تشوف
نهار كامل فالتّحواس
ربي يهدينا ويعف البلاء علينا يصرف
لمرة هي تتقف امعا الدّنيا تعود في
الصّف

افلاخرة ان شاء الله لا باس

ومقاطع من نشيد حول جمال مسقط رأسه: «عروسة الواحة»:

ريان يا جميل
ريان يا جميل
نسيمك عليل
يا ارض النّخيل
ألي إجيك زاير
يبقى فيك حاير
إشوفك ناير
ضوك بعيد
أنخل بيك ضاير
يسلب اسراير
انت في الواحة
خَضرة فياحة
في هواك الرّاحة
إلي جيك سعيد
لوجوه وضاحة
جود واسماحة

ومقاطع من نشيد حول الجهل: الجاهل في الأمة علّة:

الفكر احتار ياناس
في الرّؤوس لمغلقة
شُيبو ألي اصغار يانس
اتعب وامشقة
آه امع الرّوس لمغلقة
آه اتعب ومشقة
الرّاس لمغلق قاسي حجرة
ما يتحرك غير بَتْشورة
إعدِّي حياتو كامل مُرة
والنّاس ديمة امعاه في وحلة
الرّاس المغلق امعاه تتعب
علمو فايدة إقول راك تكذب
مَسْلُو أعوايَد إصيح يندب
هذا الزّمان لا دين لا ملة
جهل الأمة راه اصعيب
مايفهموك حتى نتشيب
هكذا علينا عار أُعيب

محمّد أولاد داود

المصادر:

- كتاب «مسار» سيرة ذاتية للعلم من تأليفه.
- السّيد عبد الوهاب بكلي وزير وبرلماني سابق زميل للعلم.
- السّيد حني بكير مجاهد وعضو مجلس الأمة سابقا ورفيق درب المعني.
- كاتب البطاقة محمّد أولاد داود برلماني سابق وكشاف في أول فوج للمعني ومعاشره.

■ عياض البوعبدلي

(و: 1340ه - 1922م/ت: 1443ه - 2021م)

عياض بن بوعبد الله بن عبد القادر البوعبدلي، مجاهد وأحد علماء وهران وقضاتها وقامة تربوية وإصلاحية، ينحدر من عائلة عرف عنها التّمتع بالسّلطة الرّوحية، يعود نسبها إلى الولي الصّالح الشّيخ بوعبد الله المغوفل دفين بلدية وادي رْهيو. ولد سنة 1922 ببطيوة، ووالده هو الشّيخ بوعبد الله البوعبدلي العالم والشّاعر الصّوفي المتوفي سنة 1952 م، والذي استقر ببلدة بطيوة شرق وهران وأسس بها زاوية صار لها صيت كبير في غرب الجزائر عرفت بالطّريقة الدّرقاوية البوعبدلية. وقد زاره الشّيخ عبد الحميد بن باديس في مقر الزّاوية وربطته بجمعية العلماء علاقة طيبة. تلقى عياض تعليمه الأساسي في زاوية والده وذلك في الفترة الواقعة بين 1928 و1934. وفي سنة 1935 انتقل إلى مازونة لمواصلة تعليمه حيث انتسب إلى مدرسة الشّيخ هني وأنهى بها دراسته سنة 1938 م، وشكلت مازونة تاريخيا أحد الأقطاب الثّقافية المشهود لها بنشر العلم والمعرفة في ربوع الجزائر. وفي سنة 1940 توجه إلى تلمسان ليكمل تعليمه، فالتّحق بالمدرسة الإسلامية وتخرج منها

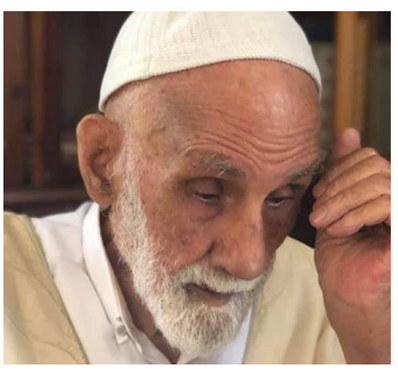

سنة 1944م. وبعد أن أتم دراسته في تلمسان ارتحل إلى الجزائر العاصمة حيث التّحق بالمدرسة الثّعالبية سنة 1944 وتخرج منها في فرع القضاء سنة 1946. أشارت بعض الكتابات التي تناولت سيرته إلى أنه هاجر سنة 1946 إلى فرنسا، لمدة قصيرة، انتسب خلالها لجامعة السّوربون لدراسة الحقوق.

وبعد أن أكمل تحصيله العلمي اشتغل في مجال الصّحافة من 1947 إلى 1949. وفي سنة 1950 عين مدرسا للغة الفرنسية بمنطقة البيض ثم انتقل سنة 1952 للعمل كأستاذ للغة العربية بأرزيو قرب وهران. انخرط خلال تلك المرحلة في الحركة الإصلاحية التي قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان والده على صلة طيبة بجمعية العلماء.

وبعد اندلاع ثورة التّحرير في الأول من نوفمبر 1954 م، وضعت السّلطات الاستعمارية الفرنسية، ابتداء من سنة 1955، الشّاب عياض البوعبدلي تحت المراقبة للتضييق على نشاطه، فتم نقله سنة 1956 م إلى المغرب مع مجموعة من الشّباب. وجرى إلحاقه بورشة تعليمية لتدريبه على فنون العمل الصّحفي.

فأسهم في تأسيس إذاعة صوت الجزائر بمدينة طنجة في المغرب والتي كانت تبث خلال ثورة التّحرير. كما كان ضمن الطّاقم الصّحفي لجريدة المقاومة الجزائرية، وكذا صحيفة المجاهد لسان حال جبهة التّحرير الوطني. وعرف في تلك المرحلة بلقبه الثّوري «سي أحمد».

بعد الاستقلال تولى عدة مسؤوليات، ويذكر بعض من كتب سيرته أنه تم تعيينه كأول مدير جهوي للأمن الوطني بوهران ولم يطل به المقام في هذا المنصب حيث عين مديرا لمصنع في وهران. كما تم انتخابه

سنة 1971 رئيسا لبلدية بطيوة وكذلك عضوا بالمجلس الشّعبي الولائي لوهران. وبعد إنتهاء عهدته، تفرغ للعمل بزاوية والده وتخرج على يديه الكثير من الطّلبة ومن عدة ولايات في مجال القضاء. وبعد وفاة شقيقه الأكبر الشّيخ المهدي البوعبدلي سنة 1992، تسلم الشّيخ عياض منصب المشيخة على رأس الزّاوية البوعبدلية التي أسسها والده الشّيخ عبد الله البوعبدلي وهي إحدى فروع الطّريقة الدّرقاوية التي تنسب لمولاي العربي الدّرقاوي المغربي، والتّي تفرعت عن الطّريقة الشّاذلية المنسوبة لأبي الحسن الشّاذلي. تأسست الطّريقة الدّرقاوية في حدود سنة 1723 م أي خلال النّصف الأول من القرن الثّامن عشر، بينما ظهرت الطّريقة الشّاذلية في حدود سنة 1227 أي في النّصف الأول من القرن الثّالثّ عشر. وبعد وفاة مؤسّس الطّريقة الشّيخ بوعبد الله البوعبدلي سنة 1952 م، تولى ابنه الشّيخ عبد البر مشيخة الزّاوية حتى وفاته سنة 1974م بالمدينة المنورة، فخلّفه شقيقه الشّيخ المهدي البوعبدلي الباحث والمؤرخ المعروف بمؤلفاته في التّراث والتّاريخ والإفتاء، والذي أسهم بقدر وافر في إثراء المكتبة الجزائرية بدراسات وبحوث قيمة، مشيخة الطّريقة البوعبدلية. تتوفر الزّاوية على عدد كبير من المخطوطات والكتب في التّاريخ ومختلف العلوم وانتشر نفوذها في غرب الجزائر عموما وبمنطقة غليزان على وجه الخصوص حيث صار لها تلاميذ ومريدون خاصّة ببلدة يلّلْ. وكانت الزّاوية البوعبدلية ملجأ للمجاهدين أثناء الثّورة التّحريرية.

وُصف الشّيخ عياض البوعبدلي في حفل تأبينه بأنه « كان واحدا من أولئك الرّجال الكبار، والشّيوخ الأجلاء ووطنيا خالصا، مجاهدا وإماما مؤتمنا وناصحا صدوقا». كما قيل عنه في نفس المناسبة بأنه «» الفقيه المجاهد، صاحب السّيرة العطرة والقدوة الطّيبة الذي أفنى حياته في تنشئة الأجيال على أقوم ما تكون التّنشئة الصّالحة، تربية وطنية ودينية وتعليمية. التّحق بالثّورة في رعيان شبابه فكان حافظ الأسرار والصّحفي المتمكن الذي أسهم في تسفيه الدّعاية التّضليلية للقوات الاستعمارية». كما وصفته جريدة الشّعب بأنه كان قامة شامخة من قامات الجزائر الدّينية والنّضالية.

توفي الشّيخ عياض البوعبدلي في 27 صفر 1443 للهجرة الموافق ل5 أكتوبر 2021 حسب التّقويم الميلادي عن عمر ناهز التّاسعة والتّسعين عاما ودفن في المقبرة العائلية ببطيوة مقر الزّاوية البوعبدلية.

عامر بغدادي

المصادر:

- من تاريخ الطّريقة الشّاذلية في منطقة غليزان، محمّد مفلاح، دار القدس العربي، وهران، 2016
- ثورات رجال الزّوايا والطّرقية في الجزائر، محمّد مكحلي، دار آفاق كوم للنشر والتّوزيع
- . الموقع الإلكتروني «بوابه التّاريخ»، خوجة زين الدّين

■ عيسى بن سليمان، الحاج سعيد
(و:1362ه - 1942م/ ت:1419ه - 1998م)

الأستاذ عيسى بن سليمان بن أيوب لقب عائلته (الحاج سعيد) أخذ من جده الخامس واللقب المميز هو (لخبورات) ولد ونشأ في مدينة غرداية العريقة، وبالضّبط في واحات شمال الصّحراء الجزائرية بتاريخ 13 سبتمبر سنة 1942م، وعما كان يفتخر به هو أنه ينحدر من عائلة الشّماخي بجبل نفوسة، وتتمة نسبه هو: عيسى بن سليمان بن أيوب بن صالح بن أحمد بن بكير الحاج سعيد وينتهي نسبه إلى الشّيخ عامر الشّماخي صاحب الإيضاح، وهو من عشيرة آل انشاشبة بغرداية.

هو السّيدج سليمان بن أيوب (لخبورات) من حملة كتاب الله وعضو حلقة إمسوردان بمحضرة عمور (غرداية)، ومن كبار التّجار الموفورين بوادي ميزاب، كان رجلا شديد المراس، عصبي المزاج، محبّا للخير، يحترم العلم والعلماء، شجاعا في مواطن الحق، يربّي أبناءه على حفظ القرآن الكريم وسير السّلف الصّالح حتى أصبحوا أعضاء حلقة إروان جميعا، وهو ممن أسهم في شراء دار الإباضية في جدة سنة 1961م، توفي – رحمه الله– سنة 1386ه/ 1965م.

أمه هي السّيدة باباز زيلوخة بنت عيسى من عشيرة آل يونس العريقة بغرداية.. لم تدم في تربية ابنها مع والدّ عيسى إلا مدة خمس سنوات.. وبعد ذلك عاشت أرملة وأصبح عيسى لا ينال من الحنان – المقدر له – إلا ما ينال الرّبيب من زوجة الوالدّ.. وقد تزوجت بعد ذلك السّيد الجعدي حمو بن باحمد فخلفت معه سبعة أبناء منهم يونس الذي يعمل إطارا عالي المستوى في كندا، وهي ما تزال حية ترزق تتذكر عن ابنها المرحوم عيسى في نشأته ورجولته أياما طيبة وأخلاقا حميدة... وهي امرأة متفتحة على المجتمع، تعين على نوائب الدّهر، صابرة في الشّدائد، حريصة على دينها، خفيفة الظّل، شجاعة في مواطن الحق.. حفظها الله وأكرم مثواها.

نشأ عيسى بين أحضان والده مدللا لبوادر النّبوغ التي ظهرت منه منذ نعومة أظفاره، كما ذاق مرارة الفراق بين الوالدّين وكثرة أبناء العلات، وقد تربى بين أربعة إخوة وهم: محمد وهو أخوه الشّقيق، وعلي وأيوب وعائشة وهم إخوته الأبويون. وقد أسهمت في تربيته بفعالية زوجة أخيه الأكبر (أيوب) السّيدة المرحومة بابا وموسى لالة بنت داود وهو يعترف لها بالفضل ويحسن إليها ويزورها باستمرار قبل وفاتها رحمة الله عليها.

لقد تنقّل عيسى بين عدّة مدارس ورحل إلى العلم في عدّة أماكن نذكر منها ما يلي:

غرداية: في سنة 1948 بدأ حفظ القرآن الكريم عند الشّيخ أبي الحسن علي بن صالح ثم ختمه عند الشّيخ الحاج عمر الزّعبي والشّيخ الحاج حمو بن بكير اشقبقب في مدرسة بوكامل واستظهره في سنة 1959 عند الشّيخ الحاج عيسى بن داود فخار.. ولم ينضم إلى حلقة «إروان" إلا عندما أنهى دراسته في المدارس الفرنسية في صائفة نفس السّنة.

وفي المدرسة التّقنية الفرنسية بغرداية تخرّج بشهادة في المحاسبة والمراسلات الإدارية والكتابة على الآلة الرّاقنة والكتابة الصّحفية باللغة الفرنسية المعروفة (الاختزال - ستينوغرافية). وبعدها انكبّ على حفظ المتون مثل ألفية ابن مالك في النّحو.. ومنظومة الدّرر اللوامع في التّجويد. وحضر بعض دروس حلقة الشّيخ يوسف بن بعمور بافولولو بغرداية عندما كان يقرأ له الشّيخ إبراهيم بن عمر كربوش متن الأجرومية وغيرها.

بني يزجن: التّحق بالمعهد الجابري مع صديقه الأستاذ ج قاسم بن اسماعيل بابا واسماعيل، والحاج سعيد علي بن صالح، وموسى واعلي قاسم بن ج بكير، وأخذ علوم التّفسير والفقه والتّجويد واللغة العربية والسّيرة النّبوية والتّاريخ وفن الخطابة عن الشّيخ محمد بن بانوح نوح مفنون، والشّيخ عمر بن يوسف عبد الرّحمن والشّيخ يوسف بن بكير حمو علي والشّيخ صدقي محمد بن أيوب تحت إشراف الشّيخ ج محمد بن ج يوسف بابانو - رحمه الله -.

انتقل إلى العاصمة سنة 1961م حيث غادر ميدان الدّراسة متوجّها إلى العمل والكسب فانضم إلى شركة «نور الهدى» لجماعة من تجار الكرارة في الحراش يشتغل في المحاسبة العامة للشركة.. إلا أن نفسه ما زالتّ تتوق إلى العلم والتّعلم فشارك في فجر الاستقلال الوطني عن طريق المراسلة في امتحانات الشّهادة الأهلية وشهادة الباكلوريا حتى بلغ غايته من الوصول إلى مدرّجات الجامعة فتخرّج في كلية التّاريخ والجغرافيا أستاذا، وتعاقد مع المدرسة العليا للأساتذة للانضمام إلى التّعليم الثّانوي.. ومما تعلّمه كذلك في هذه الفترة من تكوينه العصامي اللغة الانكليزية عن طريق المراسلة مدة ثلاثة أشهر. فأصبح يتقن اللغة العربية ويتكلم الفرنسية ويتفهّم الانكليزية. كما كان يهتم كثيرا في هذه الفترة بحضور ندوات المفكر الإسلامي الجزائري "مالك بن نبي" بالأبيار..

في سنة 1960م اقترن بأم أولاده الأولى فأنجب معها سعيدا.. ثم اقترن بثانية ثم بثالثة هي السّيدة باسعيد والحاج الزّهرة وأنجب معها ابنا آخر سمّاه سليمان.

وقد حضن أسرته في عدة مساكن بعد مفارقة منزل والديه. منها: مسكن ناله بالوراثة في بساتين غرداية ثم ملك في ضاحية بابا السّعد بغرداية دارا كانت مقر كثير من اللقاءات العلمية في المجتمع، وبنى دارا ثالثة للأسرة في ضاحية الخُراجة كانت آخر مستقره في الدّنيا.

ما فتئ الطالب عيسى يقدم خدمات تطوعية جليلة لمجتمعه بفضل غيرته وإحساسه بمسؤوليته في خدمة المجتمع وتطويره واعترافا بالجميل الذي تلقّاه منذ نشأته الأولى.

1- التّدريس:

لقد جبل عيسى على حب التّعليم والعلم فهو ما يزال يتنقل بين رياضها معلما وأستاذا وناظرا ومرشدا:

في المدرسة الابتدائية والمتوسطة: في ديار البركة حي براقي بالجزائر العاصمة وذلك عندما نال شهادة المدرس في سنة 1963م فانضم إلى المدرسة الرّسمية معلما مع تدريس المعلمين في الحصص المسائية، وقد تحصل على مسكن وظيفي شجعه على التّعلم والتّعليم في آن واحد، وشجعه أخوه أيوب أيضا بمسكن آخر في ناحية باب الواد..

معهد تكوين المعلمين بوهران: عندما تخرج من الجامعة سنة 1969 عين أستاذا في معهد تكوين المعلمين بوهران.

ثانوية الغزالي بالأغواط: في سنة 1971 انتقل إلى ثانوية الغزالي بالأغواط فعيّن أستاذا للتاريخ والجغرافيا.

مدرسة البنات بغرداية: في سنة 1973 تحول إلى غرداية ليكون أستاذا للتاريخ والجغرافيا في مستوى إكمالية البنات بغرداية ريثما تفتح ثانوية غرداية أبوابها للطلاب عن قريب.

ثانوية محمد الأخضر فيلالي بغرداية: في سنة 1977 عُيّن أستاذا للتاريخ والجغرافيا في ثانوية محمد الأخضر فيلالي مع المجموعة الأولى من الأساتذة عند افتتاح هذه الثّانوية الأولى على مستوى وادي ميزاب.

مدرسة المسجد بغرداية: هذه المدرسة التّابعة للمسجد العتيق بغرداية لم تبرح تفكيره وقلبه أينما حل وارتحل فهو يفكر دائما وبصفة جدية وعملية في الأساليب التي تطورها وترفع من مستوى العربية والتّعليم فيها.. وكان يتطوع مجانا خلال العطل الصّيفية التي يقضيها في أحضان الواحة بدروس تدعيمية لتلاميذ السّنوات التّكميلية في المواد العصرية مثل التّاريخ والجغرافيا والرّياضيات والأدب وغيرها، ليتمكنوا من النّجاح في شهادة التّعليم الابتدائي أو الأهلية.. كما كان يتطوع أيضا بتدريس الأساليب البيداغوجية الحديثة لمعلمي المدارس الحرة حتى يتمكنوا من أداء مهامهم التّربوية في أحسن تقويم.

معهد عمي سعيد غرداية: وكنتيجة لهذا الطموح الفعال في تطوير التّعليم بوادي ميزاب كلل الله جهوده الخيرة مع ثلة من أهل الغيرة والصّلاح في وادي ميزاب إلى إنشاء معهد عمي سعيد - الذي نحتفل بذكرى ربع قرن على تأسيسه - والدّافع المباشر في ذلك هو تأطير الطلبة الرّاسبين في الشّهادة الابتدائية.. والذين لم تمكنهم الظّروف من مواصلة دراستهم في المدارس الرّسمية..

وقد وقعت محاولات منذ فجر الاستقلال لتأسيس هذا المعلم الحضاري الرّفيع..

ولكن الأسباب لم تتهيأ لذلك، وكان الأستاذ عيسى ممن حرك عجلة المساعي في السّنين الأخيرة بصفة عملية إلى أن انطلق الموكب في غرة أكتوبر من سنة 1393ه/ 1973م.. سجل عدد الطلبة أكثر من ثمانين طالبا وعدد الأساتذة أحد عشر أستاذا.. والبرنامج المعتمد هو برنامج وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية في الجزائر مع تزاوج بين المواد الدّينية والرّسمية. الكافية في جميع العلوم ولا يحس بفرق بينه وبين الطالب المتخرج في المدارس الرّسمية.. وكان المدير لهذه القافلة السّعيدة السّيد ج داود بن قاسم حواش – رحمه الله – وأما الأستاذ ج عيسى فكان مسؤول الدّراسات والبرامج وأستاذ التّاريخ والجغرافيا والسّيرة النّبوية يعينه الأستاذ ج قاسم بن يوسف تزبينت في أعمال الإدارة، والشّيخ ج حمو بن بكير اشقبقب مع بكير سيوسيو يتعاونان في المراقبة العامة للمؤسسة، ويشرف على المؤسسة مجلس الإدارة، وينصرها مسؤولو الطلبة في المدن المجاورة لمدينة غرداية مع جمعيات أولياء التّلاميذ، وينتقل إليها هؤلاء الطلبة ويرجعون بحافلة خاصة لأن النّظام الدّاخلي للطلبة لم يحدث في هذه المؤسسة.. وكان انطلاق الرّحلة من مدرسة المسجد بغرداية فرع بابا السّعد.. ولما تم لمسير القافلة أربع سنوات كاملة شجعتهم النّتائج المحققة في الشّهادة الأهلية على المضي قدما نحو شهادة الباكالوريا، ولكن هذه المرة كان انطلاق المسيرة من المقر الرّسمي للمؤسسة في حي باعيسى وعلوان بغرداية.

وبعد ثلاث سنوات من الكفاح في هذه التّجربة الأولى من نوعها وفقت الرّحلة إلى تحقيق نتائج باهرة.. وخلال هذه المرحلة شغل الأستاذ عيسى منصب نائب المدير وأستاذا مدرسا للتاريخ والجغرافيا.

وفي أثناء ذلك كانت القافلة تتوسع بأفواج متلاحقة من الطلبة في جميع المستويات، ويزيد بالطّبع لذلك عدد الأساتذة الذين يتولى ج عيسى بالتّنسيق مع مسؤولي الطلبة اختيارهم وتعيينهم.. وفي كل عام كانت الوسائل والاحتياجات تتضاعف، والمشاكل تتلاحق، وقسم التّسيير اليومي للمؤسسة يتوسع ويتطور من حسن إلى أحسن.. فجهزت المؤسسة بمخبر ومخزن للكتب ومصلى ومقر للكتابة العامة.. ونشطت حركة التّأليف المدرسي للمواد الدّينية والتّاريخية التي لا تتوفر فيها كتب من الدّولة.. وقد تقاسم هذا النّشاط مع الأستاذ ج عيسى أساتذة آخرون منهم الشّيخ بلحاج بن عدون قشار والشّيخ ج سليمان بن باسة بامون والشّيخ ج محمد بن أيوب صدقي.

نادي عمي سعيد: الهدف الأساسي من إنشاء هذه المؤسسة هو خدمة المجتمع وترشيده وتأطيره في المثل العليا بنشر الثّقافة والأصالة في مختلف المناسبات واللقاءات، ففكرت الجماعة في تأسيس نادي عمي سعيد سنة 1974م تحت إشراف الأستاذ ج عيسى وقد استطاع أن يلبّي الرّغبات التّالية:

الفن: أنشئت مجموعة صوتية تقوم بتأطير حفلات الأعراس والمناسبات الدّينية والوطنية، ويرافقها ج عيسى أحيانا ليلقي كلمة توجيهية مناسبة للجمهور.

الرّياضة: جهزت المؤسسة سنة 1976م بقاعة لرياضة الجيدو وكان حاج عيسى ممن مارس فيها هذه الرّياضة لأول مرة عند افتتاحه، وساحة لرياضة الكرة الطائرة، وكان إلى جانب ذلك يمارس رياضة العدو الرّيفي مع صديقه الأستاذ ج قاسم تزبينت.

المطالعة: تكونت على مر الأيام مكتبة مدرسية دشّنت عامّ 1977م لمساعدة طلاب المؤسسة في بحوثهم اليومية ثم توسّعت إلى أن تم إرساؤها في دار خاصة في شارع "بهون فخار" حي حواشة بغرداية سنة 1985.

الكتابة: في سنة 1980 صدر العدد الأول من مجلة "الأصالة والثّقافة" بمواضيع متنوعة وقبلها "المجلة الحائطية" عام1977. و"المجلة النّاطقة" التي تعنى بنشر وقراءة مواضيع توعية في مختلف المناسبات الخاصة والعامة.

الثّقافة: رفعا من المستوى الثّقافي للجمهور وقع تنظيم سلسلة من المحاضرات والنّدوات واللقاءات مع ثلة من المشايخ والأساتذة في مواضيع شتى ذات أهمية كبرى نذكر منها محاضرات حول القطب اطفيش شارك فيها ج عيسى بحصة الأسد، والشّيخ يوسف بن بكير حمو علي، الشّيخ ج صالح بزملال، ومحاضرة الهدي المحمدي مع الشّيخ ج محمد مطهري والشّيخ بلحاج قشار، ومحاضرة المشاكل الاجتماعية للعائلات الميزابية مع الأستاذ محمد حجاج. وتوسعت اللقاءات والنّدوات مع الأطباء والاجتماعيين والاقتصاديين والمهندسين وغيرهم.

المسابقات: لقد اهتم النّادي بإذكاء روح التّنافس بين الطلبة فنظم مسابقات في كتابة المجلات الحائطية، والإجابة على بعض الأسئلة الثّقافية في بعض المناسبات، وكتابة الشّعر والقصة والتّنشيط في بعض حفلات الأعراس بمواضيع مختلفة، كما شارك النّادي في عدة مسابقات محلية ووطنية في مختلف أنشطته، فحصد الجوائز القيّمة وحطّم الأرقام العالية، كما لم يغفل الرّياضات المحلية مثل تسلق النّخيل.

الرّحلات: من أجل تنمية غريزة حب الاطلاع قام النّادي بتنظيم رحلات استطلاعية للطلبة خلال السّنة الدّراسية وللناجحين في نهاية السّنة الدّراسية إلى بعض الأماكن الأثرية مثل: سدراتة بوارجلان، وحصن بابا السّعد في غرداية، وحمام زلفانة، وآثار الدّولة الرّستمية بتيهرت.

التّظاهرات: لقد اقتصرت في أيامها الأولى على احتضان بعض حفلات أسبوع المولد النّبوي الشّريف، وبعض المقابلات الودية في رياضة المصارعة اليابانية بين نوادي المنطقة.

تأطير الوفود: لقد أطّر النّادي زيارات مهمة لوفود عديدة نذكر منها زيارة الشّيخ علي يحي معمر النّفوسي – رحمه الله – لوادي ميزاب عندما كان يجمع تاريخ الإباضية في الجزائر سنة 1977، وزيارة الدّكتور مصطفى شلبي المؤرّخ المصري الذي يحاضر في أمريكا.

استطاع الحاج عيسى بفضل ما قدمه من خدمات جليلة لتطوير التّعليم أن ينال ثقة

مدير معهد عمي سعيد السّيد ج داود حواش وأعضاء مجلس الإدارة فكلفوه بمهام نائب مدير المؤسسة سنة 1977م ولكنه لم يدم في هذه الإدارة إلا عامًا واحدًا فقدم استقالتّه من هذه النّيابة سنة 1978، ثم واصل رسالتّه النّبيلة كأستاذ للتاريخ والجغرافيا والسّيرة النّبوية.. يعين الإدارة بتجربته وخبرته السّابقة.

لقد رشح الحاج عيسى نفسه لمنصب مفتش التّعليم الأصلي لولاية الأغواط في مراسلة أرسلها إلى سيادة وزير التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية مولود قاسم نايث بلقاسم مؤرّخة بيوم 09 رمضان 1395هالموافق ل15 سبتمبر 1975م فرفض طلبه لكن أصدقاءه في حزب جبهة التّحرير الوطني بغرداية كلّفوه بمحاضرات في مدينة «جانت» بالجنوب الشّرقي كموجه ديني ورافقه إلى عين أمناس الأستاذ صالح بن علي كربوش حيث ألقى دروسا توجيهية في قاعدة سونطراك (غدنوس) فقدم سلسلة دروس ومحاضرات في إطار إحياء ليالي رمضان المباركة. وألقى محاضرة عن الدّولة الرّستمية في قاعة المداولات ببلدية غرداية نالتّ رضى الجميع.

عندما تعطل السّيد ج داود حواش – رحمه الله – عن منصب نظارة الأوقاف الإباضية بالجزائر بسبب علاج أرجله أخبر الوزارة بأن نائبه في مهامه أثناء غيابه هو الأستاذ ج سعيد عيسى بن ج سليمان في مراسلة إلى وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية مؤرّخة بيوم 21 جمادى الثّانية 1394هالموافق ل11 جويلية 1974م، وقد اضطلع بمهامه وقام بها أحسن قيام بالدّفاع عن أراضي المسجد ومدارسه، وقد كاد أن يجتاحها قرار التّأميم جميعا، كما دافع بحماس عن المرشد الأول في المسجد الأعظم بغرداية الشّيخ حمو بن موسى عمي سعيد – شفاه الله – عندما أراد بعض النّاس النّيل منه، فانتقل من أجل ذلك إلى وزارة الشّؤون الدّينية مرات عديدة حتى كلل الله مساعيه بالنّجاح.

بفضل حبّه للمسجد والاستمرار على عمارته وقع في سبتمبر سنة 1978 تعيين ج سعيد عيسى عضوا في حلقة العزابة بغرداية مع ثلة من رفقائه بسب اتساع نشاطها ونقص أعضائها وكلف بمهمة مرشد المسجد الكبير بحي بابا السّعد بغرداية.. وقد أدى مهامه في أحسن أداء إلى حين وفاته لسبق التّجربة له في هذا المسجد عندما كان عضو حلقة إروان، ويذكر عنه بعض من كان يحضره في المسجد أنه كان جد مؤثرا في الجماهير بسبب إخلاصه واعتنائه بالتّحضير الجدي للدرس، وأخذ الصّور من الواقع ومعالجتها باهتمام وإخلاص. وكانت له قبل هذا كله دروس يتدرب عليها في محضرة عمور. وعندما كان أستاذا هنالك في وهران تدرّب على الإمامة والإرشاد في دار الجماعة.

وبعد جميع هذه النّشاطات الخيرة وقبلها كان – رحمه الله – كثيرا ما يرجع إلى المنزل بعد منتصف الليل لأنه قد استدعي لجلسة عمل في مقر عشيرته آل انشاشبة بغرداية.. ويقول عنه بعض رفقائه في المكتب إنه كان كثيرا ما يسيطر على الجلسة يحاول تنظيم المناقشة والحوار لكي لا يضيع الوقت بدون جدوى.

لقد قام الأستاذ بعدة رحلات خلال أيام العطل الصّيفية من أجل أن يستفيد ويأتي بجديد يفيد به المجتمع أو الطلبة منها:

عام 1968 قام برحلة إلى الكرارة مع صديقه ج قاسم بابا واسماعيل والأستاذ حاج أحمد كاره على متن دراجات نارية للالتّقاء بالمؤرّخ الأستاذ محمد علي دبوز ليقدموا له ملاحظات واقتراحات على كتابه «النّهضة الجزائرية الحديثة وثورتها المباركة» في المنهجية.

عامّ 1977 قام برحلة إلى تيهرت للتعرف على آثار الرّستميين بالغرب الجزائري فوجد غار يعقوب بن أفلح في حالة يؤسف لها، فقام بتنظيفه هو وأصدقاؤه. فأصبحت سنّة متبعة بعده.

قام برحلة إلى تونس في سنة 1979 مع صديقه ج محمد رمضان وزار المشايخ والآثار الخالدّة في العاصمة وجزيرة جربة.

لقد اهتم الأستاذ ج عيس بمؤتمرات الفكر الإسلامي التي كانت تعقدها وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية كل سنة في إحدى ولايات الجمهورية الجزائرية تدعو إليها محاضرين من مختلف بقاع العالم الإسلامي ليلتقوا مع نخبة من رجال الثّقافة في الجزائر ليعالجوا موضوعا معينا بالمناقشة والتّحليل حتى ينتهي المؤتمر بتوصيات يتفق عليها الجميع للتبليغ والتّنفيذ.

وكان ج عيسى قد حضر منها أكثر من عشر مؤتمرات ابتداء من أول مؤتمر عقد في جبال مفتاح بالجزائر العاصمة سنة 1967 إلى سنة 1981 وقد فسح له المجال في المؤتمر الخامس عامّ 1971 بوهران ليلقي محاضرة عنوانها «المذهب الإباضي وعلاقته بالمذاهب الأخرى» وهي التي يحملها عنوان هذا الكتاب. وقد نالتّ هذه المحاضرة صدى بالغ الأهمية فأعادها في عدة نوادي بوادي ميزاب، وهي تعتبر من الصّرخات الأولى للتعريف بالمذهب الإباضي في وسط عالي المستوى.

وأما في المؤتمرات الأخرى فإنه كان لا ينفك عن مداخلة للتصحيح والتّوضيح والإثراء وقد سجلنا له خمس تعقيبات إذا أردت – عزيزي القارئ – الاستفادة منها في هذا الكتاب.

إضافة إلى جميع هذه النّشاطات الفكرية الخالدّة كان الأستاذ عيسى – رحمه الله – شابا غيورا على الحريم لا يتغيب عن حصته الأسبوعية لليقظة في البلدة مع سائر الجنود المتطوعين في محضرة عمور وقد انضم إليها مع صديقه حاج قاسم بابا واسماعيل قبل الزّواج.. ولأهمية هذا النّشاط القديم قدم نشأة وادي ميزاب، سعى هذا البطل مع غيره من أبطال الغيرة والخير إلى توسيع نشاطها، فكون خلايا في جميع ولايات الوطن تقوم بالمراقبة عن بعد وتستعد لأي طارئ جديد تستدعيه الظّروف العصيبة والتّطورات الجديدة بوادي ميزاب، وكانت درعا واقيا في كثير من الأزمات.

عندما كان الحاج عيسى طالبا في الجامعة وفي أيام العطل لم ينس دوره في تأطير الطلبة والشّباب المندمج في ميدان العمل يوجههم وير شدهم ويوعيهم بالدّور المنوط بهم في خدمة الجزائر عموما وميزاب بصفة خاصة حتى لا يستكينوا إلى الفشل والكسل واللامبالاة فيجتهد الطالب في دراسته والعامل في تجارته، فكانوا يحبونه

ويسمعون كلامه وينتبهون إلى توجيهاته، كما كانت له لقاءات توجيهية لطلبة السّنة النّهائية المتوجهين نحو الجامعة كل عامّ بصفة منتظمة.

في غمرة الجهاد والنّشاط الدّؤوب في سبيل إعلاء كلمة الله وتمكين النّصر للعلم ضد الجهل وللفضيلة ضد الرّذيلة سقط شهيد الواجب بعد 24 ساعة من حادث في سيارته وقع له في مدخل بريان ولاية غرداية بعد أذان المغرب يوم 10 نوفمبر 1982، وهو راجع من مهمة كلف بها من إدارة ثانوية محمد الأخضر فيلالي.. وهي الإتيان بمجموعة خرائط من المركز الوطني لتوزيع الأدوات المدرسية في برج الكيفان بالعاصمة وعجل الرّجوع إلى غرداية لأجل جلسة عمل تنتظره مساء مع أصدقائه لينظموا دروس التّفسير في المسجد الكبير بابا السّعد غرداية. وقد رافقه في هذه الرّحلة زوجته التي توفيت في مكان الحادث نفسه وابنه الأصغر «سليمان» الذي مد الله في أجله فلم يصب بأذى فهو ما يزال حيا يرزق. وقد شيع جثمانه إلى مثواه الأخير في موكب جنائزي رهيب حضره رجال الثّقافة من مختلف أنحاء الولاية، وتعاقب على منبر الجنازة الشّيخ ج حمو بن موسى عمي سعيد المرشد الأول في حلقة العزابة بغرداية، والسّيد ج داود بن قاسم حواش مدير معهد عمي سعيد وصديقه الحميم الأستاذ ج قاسم بابا واسماعيل الذي فارقه قبل الحادث بساعات حينما زاره في الأغواط، ودفن بمقبرة تاولوالتّ بمقبرة الشّيخ عمي سعيد بغرادية.

وهكذا انطفأت شعلة وهاجة كانت تضيء للناس حينا من الدّهر. نَمْ يا عيسى قرير العين فقد تركت خلائف واصلوا المسيرة من بعدك في مختلف الميادين التي كنت تنشطها، غفر الله لك وشكر سعيك وأجزل مثوبتك وأسكنك فسيح جنانه مع الصّديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا. آمين.

المؤلفات: لقد ترك المرحوم مؤلفات قيمة في التّاريخ للتدريس في المعاهد الحرة تشهد له بالتّمكن العلمي والفكري نذكر منها:

1. السّيرة النّبوية في حلقتين أتمها سنة 1976 (مرقونة).
2. تاريخ الأمويين والعباسيين (مرقونة).
3. محاضرة حول تاريخ المذهب الإباضي ألقاها في مؤتمر الفكر الإسلامي المنعقد في وهران سنة 1971.
4. محاضرات قيمة عن حياة القطب اطفيش منها المرقونة ومنها المسجلة في الأشرطة في محفوظات معهد عمي سعيد، وكان قد أعدها بطاقات لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ – ولم يتمها –.
5. تاريخ عمان عبارة عن دروس أتمها عامّ 1974.
6. مسرحية نشأة الدّولة الرّستمية. ومسرحية عن بعثة الرّسول (ص).
7. مسرحية عن ثورة يزيد بن فندين. ومسرحية عن عمر بن الخطاب.

المنسوخات: واهتم الأستاذ بنسخ المخطوطات القديمة نذكر منها:

8. أخبار الأئمة الرّستميين لابن الصّغير.
9. تاريخ استيلاء النّصارى الإسبان على وهران وبجاية وطرابلس وجربة عامّ 915ه(8 صفحات) من تقييد ونقل الشّيخ محمد بن زكرياء الباروني عن غيره.

توفي يوم الجمعة 17 ربيع الأول 1419ه، الموافق ل10 جويلية 1998

فاتح نواري

■ عيسى بن محمّد بن عيسى، حاج إبراهيم
(و: 1362ه - 1943 م/ ت: 1436ه - 2014م)

عيسى بن محمّد بن عيسى حاج إبراهيم، أمّه بهون نانة، ولد يوم 27 ماي 1943م ببلدة (تجنينت)، بلدية العطف بميزاب جنوب الجزائر، من عائلة ميسورة الحال، كان والده تاجراً أميناً بمدينة بوسعادة ورئيساً لجماعة التّجار المزابيين بها، وقد وقفنا على وثيقة تاريخية نادرة تفيد بتعيين جده -الذي سُمي باسمه- وهو السّيد «الحاج عيسى بن بهون» أمينا للمزابيين المقيمين في مدينة بوسعادة، وذلك باتفاق أعيانها، وثيقة ممضاة من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي بتاريخ 1 نوفمبر 1911م، تشيد بحسن سيرته وكفاية مكسبه، وهو لذلك جدير بالاحترام والتّقدير، وهو أهل لتحمل هذه المسؤولية ومكلف بحماية منافع التّجار المزابيين ببوسعادة...

وقد ورث الفقيد عن جده اسمه وسمعته، وحظي بذلك التّقدير، فكان محل ثقة أهل بلديته وكل الجهات التي عمل فيها وأقام بها، كما كان بالفعل أمينا على كل المناصب والمهام الحكومية المختلفة التي تقلدها في عدة مناطق من الوطن، وكان مضرب المثل في الانضباط والجدية والالتّزام.

تلقى تعليمه الأول ببلدته ثم بالمنيعة حيث حصل على شهادتين بالعربية والفرنسية، رغب في التّجنيد والانضمام إلى صفوف المجاهدين في أول سنة 1962، وعمره حينها سبع عشرة سنة، حيث انتقل إلى منطقة الزّعفرانية (الجلفة) حيث مقر الولاية السّادسة التّاريخية مع ثلة من شباب بلدته العطفاء ومن غرداية وغيرها، ليشهد احتفالات وقف إطلاق النّار هنالك، فقبل في التّجنيد واستمر بها من بعد الاستقلال وترقى إلى أن أصبح مديراً للمصلحة الجهوية للعتاد في مدينة بشار على الحدود المغربية.

انخرط رفقة ثلة من أبناء بلدته الطّيبة في صفوف الشّرطة بعد استقلال الجزائر مباشرة سنة 1962، وهم: (حاج إبراهيم سليمان بن عيسى «عزبار"، وبن لولو اسليمان بن صالح، واسماوي باحمد بن حمو)، وكانت تلك أولّ دفعة من البلدة. ومن حينها كان ظلاّ وفياً لمهنته، متشبعاً بالإخلاص والالتّزام، ومفعماً بالرّوح الوطنية.

بعد أن تكوّن عمل في صفوف الأمن الوطني في اختصاص «الشّرطة القضائية»، وتنقّل بين ولايات جزائرية عدّة منها: بسكرة - وعنابة - والجزائر العاصمة - وورگلة - وبشار -وقسنطينة.

كما تقلّد مناصب إدارية سامية في عدّة مؤسّسات وطنية منها:

مدير عامّ الشّركة الوطنية لنقل البضائع بأدرار.

مدير عامّ جهوي للوكالة العقارية بأدرار.

مدير جهوي للعتاد بالمديرية العامة للأمن الوطني بورگلة.

وأخيراً وبعد تقاعده طالبه عموم أعيان بلدته للترشح لإدارة المجلس البلدي المنتخب فلبى الدّعوة حباً ووفاء لمسقط رأسه، وبذل في خدمة مصالح المواطنين كل جهده في الفترة ما بين 2002 إلى 2004 وعرف في عهدته القصيرة تلك بالجدية والحزم والصّرامة، كما سعى إلى تطهير محيط البلدية من كل ما يكدّر صفو الحياة لأهلها وحارب أسباب التّخلّف، ووضع مختلف اللوائح والقوانين التّنظيمية، وبذل جهداً قلّ نظيره في تنظيم الحياة العامة والعمران والمرور بتراب البلدية، جلب العديد من المشاريع التّنموية للبلدية، ونظم شؤونها الدّاخلية، ولم يدّخر جهدا في جعلها قبلة سياحية وثقافية...

يبدو أن أسلوبه الصّارم وانضباطه واحترافيته، أتعبت من حوله فجوبه بالعراقيل حتى اضطر إلى مغادرة منصبه قبل نهاية عهدته الانتخابية، فخسرت بذلك البلدة رجلاً عاملاً متفانياً قلّ مثيله في الإدارة المحلية.

عرف بتخصصه في الشّؤون القانون القانونية والإدارية، وقد تلقى تكوينات وتربصات في معاهد حكومية طيلة مشواره العملي في قطاع الشّرطة، وكان لا يبخل على أحد يطلب منه استشارة قانونية.

كما نال عدة أوسمة استحقاق وشهادات تقدير وعرفان نظير جهوده وتفانيه في خدمة الوطن والصّالح العام، وكذا شهادات من جمعيات عدة ببلدته العطف وخارجها.

عرف بتعاونه في خدمة الصّالح العام والالتّزام بالدّفاع عن المصالح العامة، وبالتّواضع ودماثة الأخلاق وكرم الطّبع وعلوّ الهمة والنّصح لله، كما كان إلى جانب من عمّار بيوت الله بعد نهاية دوام العمل، ملازماً لمسجد أبي سالم حيث يقيم، حتى تكاد تميز مكان جلوسه قرب مجلس الذكر وحلق العلم.

توفي رحمه الله بمرض مفاجئ لم يمهله كثيراً، وانتقلت روحه إلى بارئها بمسقط رأسه العطف يوم الأحد 21 ديسمبر 2014م.

مما أوثر عنه أيضاً أنه كان مثالاً يحتذى في الجدّية والصّرامة في العمل، والنّزاهة والإخلاص لله والوطن، والوفاء للمبادئ والقيم التي نشأ وتربى عليها في أحضان والديه ومجتمعه، وعلى تلك المبادئ ربّي أبناءه بحيث تجنّد كل من ابنه «محمّد» في صفوف الدّفاع الذاتي أيام العشرية السّوداء بالجزائر، كما التّحقت ابنته «شريفة» في صفوف الشّرطة أسوة بأبيها، وقد سقطت شهيدة الواجب بمدينة أدرار وهي تؤدي مهامها في محاربة الفساد رحمها الله.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- سيرة ذاتية من إعداد الفقيد المترجم له.
- حمو عيسى النّوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً، ج3، ص 378.
- شهادات من ابنه وبعض معارف المترجم له.
- استمارة معدة لمعجم أعلام الإباضية، جمعية التّراث، القرارة – غرداية، ط3، مرقون.

■ عيسى بن موسى التيجاني (و:962هـ - 1555م)

الشيخ عيسى (أبو مهدي) بن موسى التجيني (توفي سنة 962هـ/ 1555م) المشهور بين سكان المنطقة باسم سيدي عيسى، من اعيان وادي التاغية (معسكر، الجزائر)، وهو كذلك من علماء المغرب العربي للقرن 10هـ/ 16م، كانت له زاوية في منطقة واد التاغية بمعسكر حاليا.

أخذ العلم عن الشّيخ محمّد بن احمد ابن غازي عالم فاس وشيخ جماعتها، وتلميذه عبد الله بن عبد الرّزاق الغريسي وجمع غفير من علماء الرّاشدية من علماء عصره و تتلمذ على يديه جمع غفير من طلبة العلم، قد نفعهم الله بعلمه.

كان لبني توجين على عهد دولة بني مرين، ودولة بني زيان امارة وتواجد في الغرب الجزائري وكانت عاصمتهم

تيهرت وكان لأمي رهم محمّد بن عبد القوي بن عطية التجيني يد في إعانة السلطان أبى سالم المريني على حرب بني زيان أمراء تلمسان.

لقد عاش عيسى بن موسى التيجيني خلال مرحلة صعبة من تاريخ الجزائر، حيث جاء مباشرة بعد عصر سقوط الاندلس 897 هـ (1492م)فقد سارع الاسبان في احتلال السّاحل الجزائري وخاصة وهران سنة 915هـ(1509م).

فكان الجيش الاسباني خلال هذه المرحلة ينهب ويسبي ويقتل إلى درجة إبادة قبائل كاملة. وتراجعت الحياة الاقتصادية إذ تحولت أراض شاسعة من الفلاحة إلى تربية المواشي وانتقل النّاس من سكنى القرى إلى اللجوء إلى الخيم والاستقرار في الجبال خوفاً من غدر الفرق العسكرية الاسبانية، إنه زمن الرّعب والخوف.

وكان قائد الاسبان يشن الغارات على المسلمين إلى أن دخلت في طاعته قبائل شافع وحميان وأولاد علي وغيرهم من بني عامر والذين أصبح القائد الاسباني يعتمد عليهم في جلب الاخبار والمسير في الطّرق واتخذ منهم جواسيس يقال لهم المغاطيس، وقويت بهم شوكته، واصبحت سيرات وملاته من جملة أراضيه المحتلة وتعددت غزواته على سهل الهبري.

وكانت وفاة الشّيخ أبو مهدي في سنة 962ه/ 1555م ودفن في ضواحي وادي التاغية وقبره معلوم في الجهة الشّرقية من هذه المدينة.

الف عيسى أبو مهدي قصيدة «الغوثية» في علماء عصره من منطقته سماها بغية الطّالب في ذكر الكواكب، شرحها بعده الشّيخ محمّد بن الاعرج الاغريسي وسماها تسهيل المطالب لبغية الطّالب، وقد نشرها ابن بكار في كتاب مجموع النّسب، وقد ذكر فيها مجموعة من أعيان منطقة سهل غريس وعلماء الرّاشدية في القرن العاشر هجري(القرن السّادس عشر ميلادي) وما قبله، وقد جاء فيها ذكر أسماء الاعيان: أيوب وميمون المهاجي، أحمد الورغي، عثمان بن زيان والملقب ب قدار، أبو الحسن البهلول المجاجي، أحمد بن يوسف الرّاشدي المليانى.

بدأت ببسم الله ربِّي ومالكي
مجيبي ومنقذي عند النّوائب
وصليت ثانيا على خير خلقه
محمّد المختار من أل غالب
ألا إن أهل الله ملجأ هارب
وغنية محتاج وبُغية طالب
رجا ل كرام أدبو فتأدَّبوا
بآداب تنزيل من الله غالبُ
بقوا بشهود الحق من بعد ما فنوا
على الكون فاستجلو ضياء المواهب
يداوون أمراض النّفوس بحملها
على ضِّدّ ما تهواه ذات المصائب
ويُحيونها بالقتل بين رياضة
وتهذيب أخال ق وخشية راقبَ
مجاهد أسدت إليهم معارفًا
ا ضاءوا بها في النّاس مثل الكواكب
مقلدهم يعطى لواء الولاية
يحد بها يحوي كنوَز المطالبِ
وفي راشد جمع وهم بنوراشد
وحل من الأنجاد كل بغارب
فمنهم أبو موسى شريف وماجد
والأفضل ميمُون مبيُن العجائب
من الغيب أبدا للُضيوف مطامعا
ووَّكل ضرغا بحرِّس المراكب
أيوب وميمون المّهاجي شقيقه
ضياءهم في شرقها والمغارب
فما هما في البطحاء إلا فريدة
حواها نظام المجد في كل جانب
وللعَمري الغُوثي وهو أبو الحسن
علي بن عثمان عظيم المواهب
بدا فضله للخلق حتى ساعها
وبُشر بالُحسنى وحسن العواقب
ومنهم ولي الله عثمان ما له
إذا قستَه في جيله من ُمناسب
به ربنا أنجى كباشا بحالب
وأنقذَ أذوادًا من نار الحاسب
أبو زكريا وابن يحي محمّد
بعلمهما حازا كثير المناقب
ترى علمه في الرّاشدية زاخرا
لعمِّر بدا كالشمس من غير حاجب
ومجدُ أبي اسحاق نجل محمّد
سموح إذا يُرجى سمى المراتب
وتجويدُ القرأن سرا أذاعه
فحامله يتلوه خير مصائب
ويوسف والورغي أحمد كهفهم
وبهلولهم عيسى رئيس الكتائب
والشّيخ عثمان بن زيان والذي ي
لقب ب قدّار أعلى المراتب
وعبد الجليل جل قدرا ورفعة
وعبد الكريم صهُره خيُر نائب
ونجل أبي بكر محمّد فخرهم
سليل أبي بكر رئيس المراكب
واحمام والقطني وهو أبو الحسن
كذا عابد الرّحمان بدر المغارب
أبو يحي لا تخفى محاسنُه كما
أبو الحسن البهلول حاوي الرّغائب
وداوود إبراهيم عيسى خليفة
ونجل أبي صدور الكتائب
أبو حفص يغزو العدو بسيفه
وبصفح في معناه أقوم كاتب
وجمع ما فيهم تفّرق أحمد
بن يوسف الأصفياء الأقارب
حباهُ اله العالمين محبةً
يُلَقّن أذكارا حسان لراغب
بجاههم يا مالك الملك كن لنا
من أشراك نفس صيدُها في مخالب
فمن ذا الذي يُرجى سواك بجلّب ما
يلائم أو سلّب أو لم نائب
و صل على غوث الوجود محمّد
الحميِّد صلاةً كالسّحائب الصّوائب
وآله من سادوا الأنام بمجدهم
وأصحابه أهل القنى والقواضب

هند موساوي

■ عيسى قدور
(و: 1328ه - 1911م/ت: 1413ه- 1939م)

ولـد الشّـيخ عيسـى قـدور بقريـة ثقرابت بولايـة بجايـة يـوم 16 سـبتمبر 1911، وتربـى فـي حجر والـده تربية قوامهـا الدّيـن والوطنية والأخـلاق، ولما تهيأت مداركه الفكرية لقراءة القرآن أدخله والده مسجد القرية وكان به الشّيخ بشير الشّـرفاوي شقيق العلامة الشّـيخ الرّزقي الشّـرفاوي الأزهري، فلازمـه حتى حفظ عليه أجزاء من القرآن ثم لازم شـيخا يدعى حسـين أمزيان فحفظ عليـه أجـزاء أخرى.

ثـم التحـق بزاويـة سـيدي أحمـد يوسـف بحنديـس ثـم بزاوية سيدي موسى ببني وغليس وبجاية حيث أتم حفظ القرآن الكريم.

ثم انتقل لقسنطينة ليلتحق بالامام عبدالحميد بـن باديـس، ورغم قصر المدة التـي قضاها مع الامام فإنه انتفع بنصائحه وتوجيهاته لأن اعجابه به وحبه له وتلهفه الى السّـماع عنه جعله سريع التأثـر بأفـكاره مما كتبه عنـه وكان يذكـره عند الحديث عن قيمة الوقت «إن الانسان في هذه الحياة مجموع أيـــام إذا انقضى يوم ضاع جزء من الانسـان فـهـــو علـــى النّقصان دائما حتى ينتهي بانتهاء أيامه، ولكن الذي يعمـــر يـومـــه بـــالعمل النّافع يعد يومه غير ضائـع وان ذهب بلا عودة وخرج من العمـر بـلا رجعة، فليعرف الانسان قيمة الوقت»

وبعد مدة التحق بزاوية سيدي عبد الرّحمان اليلولي، وكان بها العلامة الفلكي الشّهير مولود الحافظي الأزهري فلازم بعض دروسه في الفقه واللّغة.

ولـما جاء بعـده العلامـة الأصولي الشّـيخ الرّزقي الشّـرفاوي الأزهـري لازم أيضا طائفة من دروسـه، وكان الشّـيخ عيسى وهو في هذه الزّاويـة يحـرص جد الحـرص على قـراءة « البصائـر» قـراءة جديـة نافعـة وكان المرحوم الشّيخ باعزيز بن عمر منافسه النّد في قراءتهما ونشـر ما فيهما مـن الأفكار بيـن الطّلبة، وكان الأسـتاذ الحافظي ومن بعده الأستاذ الشّرفوي يتنبآن للطالبين بمستقبل أدبـي باسم، وتحقق تنبؤهما فبرز الشّيخ باعزيز كاتبا ظل طول عمره ينبوعا فياضـا فلم يجف قلمه، ولـم يفتر فكره، ولـم يصبه يوما ملل أو سأم تشهد بذلك مجلة « الشّهاب «، وصحيفة «البصائر» وغيرهما من صحف الجزائر والوطن العربي.

أما الشّـيخ عيسـى برز فـي ميـدان الخطابة وخاصة خطابة الجماهير فاذا أطلق لسـانه أمام الجموع الشّعبية أذكى في كل قلـب جـذوة، وملأ كل رأس فكرة، واتجه بالجميع الى حيث يريد.

وعاد الشّـيخ عيسـى الى قسـنطينة بعد مدة قضاها في زاوية اليلولـي، ويبدو أن تعلقه بابن باديس واعجابه به

رحـب به الامـام عبد الحميد واسـتمع اليه باهتمـام وهو يحدثـه عن نظام الزّاوية ونشـاط الأسـتاذ الشّـرفاوي ودروسـه المختلفة وكان الشّيخ قد زار هـذه الزّاوية في صائفة سنة 1930 م فأعجب بها وبموقعها الطّبيعي، الجميل أيما اعجاب واسـتطاع الشّيخ عيسـى هذه المرة أن يجد عملا بأحـد المخازن، ووفـق في الجمع بين العمل والدراسـة فكان اذا انقطع للدراسـة لا يفكـر في العمل واذا انقطـع للعمل لا يفكر في الدّراسـة، وكان الشّـيخ عبد الحميد ينوه به وبجهاده في سـبيل العلم ويراه مثالا للعصامي الـذي لا يتكل على أحد، وعاد الشّـيخ عيسـى بعـد مـدة مـن الدّراسـة ليمـارس التعليـم في مدارس جمعية العلماء، وكان فيها مثالا للجد والنّشاط والسّلوك القويم، بيد أن غيرته الوطنية ومواقفـه الاصلاحيـة وقدرته علـى المواجهة بالكلمة الصّريحة جعلت السّـلطات الفرنسية الاستعمارية تضايقه وتحاربه وتمنعه من التعليم في الكثير من المناطق، ويقضي شهرا في مكان دون تفتيش أو ايقاف أو نقل، ورغم كل هذا فهو على الدّوام شـعلة متأججة ان نضجت الفكرة في رأسـه صدع بها غير مكتـرث بعواقبها وإذا رأى منكـرا غيره غير عابئ بمـن رضي أو بمن سـخط، تجرأ أحـد الأوغـاد فأنكر عليـه قولا أو عمـلا واجهه بالحكمة والموعظة الحسـنة وعالجه معالجة الطّبيب الحاذق، وإذا اسـتنفد وسعه ولـم تجد الحكمة والملاينة أدبه الذاتي.

واندلعـت ثـورة نوفمبر الخالدة سـنة 1954 م، ووجدت الشّـيخ عيسـى لها نفسـيا وفكريا وروحيا فأخذ يعمل في صفوفها، وينهض خير نهوض بكل ما يسند اليه، وتجمعت له صور من بطولة هذا الشّـعب وتضحيته الخارقة لو كتبها ودونها لكانت من خير ما يقرأ عن هذه الثّورة.

ولما اسـتقلت الجزائر عينته وزارة الشّؤون الدّينيـة فـي احـدى مصالحهـا وكان مثـالا للجد والنّشـاط، ومضـرب المثل فـي النّزاهة والاخـلاص، وكان لا يشـعر باللـذة والرّاحـة الا وهو يخطط أو يعمـل ولا يرى الا متحركا: ذاهبا الى مهمة أو راجعا منها أو مخططا لها، أو متحدثا عنها ومما كان يشغل باله ويحمل همه اعادة بناء زاوية سيدي عبد الرّحمن اليلولي التي دمرها الجيش الفرنسي خلال حرب التحرير، وقد كانـت له في ذلك مسـاع حميـدة تذكر له بالتقدير علمـا أن له ابن مجاهـد يدعى الطاهر أرسـله العقيد عميروش عـام 1957 إلى تونس ومنها إلى الكلية الحربية بجمهورية مصر العربية فـي أول دفعـة للبحريـة الجزائرية بدايـة 1958 ضمن العميد بن نلسي ثغمونث ارزقي وغضبان وتوفي في منتصف سبعينات القرن الماضي.

وعـاش الشّـيخ حياتـه كما شـاءها واضحا غيـر مبهم مسـتقيما غير منحـرف محبوبا غير مكـروه، مجاهدا بالكلمـة الصّريحة الواضحة والسّير على منهاج الدّعاة الى الاصلاح الدّيني والاجتماعي والأخلاقي حتى توفاه الله يـوم ابريل 1993.

هند موساوي

المصادر:
- محمّد الصّالح الصّديق، أعلام من المغرب العربي، الجزء الثّاني، موفم للنشر، 2000.

غ

■ غازي عثمانين
(و: 1358ه - 1939م/ ت: 1444ه - 2022م)

الدّكتور المهندس غازي عثمانين، المولود بالمدية يوم 26 نوفمبر 1939. وقد تحصل المرحوم على شهادة مهندس من المعهد الجزائري للبترول، وكذا على شهادة مهندس دولة عام 1967 والدكتوراه من جامعة موسكو عام 1979 في تكنولوجيا النّفط. وكان موضوع أطروحته "دراسة المواد الخام لإنتاج أسود الكربون من المنتجات البترولية الجزائرية".

ومن مؤلفاته المتميّزة كتاب "أساسيات تكنولوجيا النّفط" الذي يقع في 512 صفحة من القطع الكبيرة (21×29 سم). صدرت الطّبعة الأولى لهذا الكتاب الضّخم عام 2016 لدى دار الخلدونية (القبة، الجزائر)، ومن المنتظر أن تصدر طبعته الثّانية خلال هذه السّنة.

وقد فاز الأستاذ غازي بجدارة عام 2012، إثر إنجازه هذا العمل الكبير، الجائزة الأولى التي أسسها المجلس الأعلى للغة العربية، وذلك بتزكية من السّيد وزير الطّاقة والمناجم يوسف يوسفي آنذاك، حيث كتب بتاريخ 3 ماي 2012 بخصوص هذا الكتاب: "فهذا الكتاب ليس مجرد مادة تثقيفية عن صناعة تلعب دورا محوريا ورائدا في حياتنا اليوم، بل هو كتاب يقدم معلومات علمية للجامعات وللصناعة، سواء في الدّول المستهلكة للبترول أم المنتجة له، يعرفهم بواقع أهم مصدر

من مصادر الطّاقة في العالم، ألا وهو البترول".

قضى الدّكتور غازي سنوات طويلة في وضع الكتاب باللغة العربية التي كانت ولا تزال في أمس الحاجة إلى هذا النّوع من التأليف إذ لا يلتفت إليه إلا النّادر من المختصين في البلاد العربية. ونعتقد أن أكثر ما عانى منه المؤلف هو وضع اليد على المصطلح العربي العلمي المناسب. وهذا ما دفع به إلى تذييل كتابه بمعجم للمصطلحات (عربي/ فرنسي/ إنكليزي) يقع في 23 صفحة.

وبذلك يكون الأستاذ غازي قد قدّم خدمة علمية قيمة للغة العربية العلمية ليس عبر المصطلحات المستعملة فحسب، بل أيضا بإصدار كتاب باللغة العربية، بهذا الحجم، فهو يضم 15 فصلا، وفي هذا الاختصاص. إنه لعمل شاق قام به المرحوم غازي فجاء في حُلّة فنية ممتازة أسهم في تجسيدها عدد من الأساتذة والفنّيين أتى على شكرهم المؤلف في مقدمة الكتاب.

وتقلّب المؤلف في عدة مناصب، منها التدريس بجامعة بومرداس ومعاهدها، ومنها أيضا المسؤوليات الإدارية والبحثية. وقد أدّت سعة تجربته بوزارة الطّاقة والصّناعات الكيميائية والبتروكيميائية إلى أنها فرّغته عام 1991 ليلتحق بمعهد النّفط العربي للتدريب الكائن في بغداد والتابع لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط. فكان في ذلك المعهد محاضرا ورئيس قسم التدريب. إلا أن ظروف حرب الخليج الأولى حالت آنذاك دون أن يواصل الأستاذ غازي مهمته في العراق بعد أن تمّ تعيينه مديرا عاما لهذا المعهد.

وعندما عاد إلى أرض الوطن ظل يدرّس في المعهد الوطني للمحروقات وكلية المحروقات والكيمياء بجامعة بومرداس. ومن المهام التي كُلف بها الاشراف على مخبر تكنولوجيا المحروقات. وبطبيعة الحال كانت هذه المهام مصحوبة بالإشراف على الرّسائل الجامعية وبإصدار عديد المؤلفات البحثية والبيداغوجية. وفي هذا الخضم من العمل الأكاديمي صدر الكتاب "أساسيات تكنولوجيا النّفط" المشار إليه آنفا.

بعض أرائه

ومن جهة أخرى، كتب المرحوم غازي عديد المقالات التي تعبر عن آرائه في عديد القضايا سيما في ركن الرّأي بصحيفة الشّروق. ففي مطلع مارس الماضي كتب مقالا بعنوان " الحرب الرّوسية - الأوكرانية والأمن الغذائي في الجزائر" لاحظ فيه أنه من غير المعقول أن تظل الجزائر تعيش أزمة خانقة في المياه سواء كان للشرب أو للفلاحة. والغريب أننا نبرر ذلك بنقص في منسوب المياه في السّدود بسبب التغيّرات المناخية، والتبذير عند استعمال المياه، والتسريبات التي تحدث في الأنابيب. وتساءل: ماذا ينتظر المسؤولون لاتخاذ الإجراءات اللازمة لحل هذه الإشكالية بوضع خطط للطوارئ مثل إنشاء مشاريع محطات تحلية مياه البحر الممتد على سواحلنا وحفر الآبار في أرضنا الشّاسعة علما أن للجزائر مخزون مياه يكفي لـ 40 قرنا.

ويواصل المرحوم ملاحظته بالتنبيه إلى أن سوناطراك تعتزم استثمار نحو 40 مليار دولار، على مدار السّنوات الخمس المقبلة لتطوير حقول النّفط الحالية. وهذا شيء جميل في نظره، لكنه يطرح السّؤال: لماذا لا تخصّص الدّولة مبلغا يضاهي المبلغ الذي أعلنت عنه سونطراك لإنعاش صحرائنا، وبذلك نضمن ليس الأمن الغذائي فحسب، وإنما نضمن أيضا الاكتفاء الذاتي وتصدير الحبوب من قمح وشعير وذرة وخضراوات وغيرها... وحتى ماء الشّرب والماء للفلاحة. ويختم غازي عثمانين كلامه عن الحرب الرّوسية الأكرانية بهذه العبارة: "يجب علينا أن نأخذ من هذه الحرب عبرة ودروسا لنتوكل على أنفسنا بعد الله ونعمل كثيرا ونتكلم قليلا".

وقد نشر في مطلع جويلية الفارط مقالا بعنوان "عن إصلاح المنظومة التربوية ول م د" أبدى فيه رأيه الصّريح مستخلصا أنه يجب علينا أن نعترف بأخطائنا ونصححها مضيفا أن أي إصلاح لا تتوفر فيه الشّروط والظّروف المادية والبشرية لنجاحه يكون مآله الفشل.

وتفاعل الأستاذ غازي مع الشّأن اللغوي، وهو من الدّاعين إلى دعم اللغة العربية وتدريس العلوم بها إلى جانب التوجه نحو تعلم اللغة الأنكليزية. وفي هذا السّياق، دعا إلى التفريق بين لغة التدريس ولغة البحث العلمي، فالتدريس يتم في كل بلاد العالم باللغة الوطنية، ولا يوجد بلدٌ مهما كان صغيرا إلا ويدرّس بلغته. وأورد مثال جزيرة آيسلندا التي لا يتجاوز عدد سكانها 300 ألف نسمة، وهي تدرِّس باللغة الآيسلندية. كما أن الدّانمارك بلدٌ عدد سكانه يناهز 5 ملايين نسمة، وهو يدرّس بلغته الدّانماركية. ويلاحظ أن هذا البلد ذائع الصّيت في مجال الفيزياء، وفيه معهد يعدّ من أهم المراكز العلمية في العالم. أما لغة البحث العلمي المتداولة حاليا فهي اللغة الإنكليزية. وأشار المرحوم في هذا الموضوع إلى مقولة مفادها أنه "عندما نقول ونعتقد أن لغتنا لا تصلح للعلم، فهذا يعني أننا أيضا نحن لا نصلح، ولن نفهم هذا العلم".

رحل عنّا بغتة الدّكتور المهندس غازي عثمانين يوم الخميس 08 سبتمبر 2022.

أبو بكر خالد سعد الله

■ غلام عبد اللي
(و:1373ه - 1954م/ت: 1415ه - 1995م)

علم من أعلام الجزائر عاش صادقا منسجما ومتفاعلا مع المهام التي أنيطت به داعية وخطيبا مصقعا ومحدثا مفوها، ينحدر من بلدية عين الزّيتون الكائنة بولاية أم البواقي من أبوين كريمين، إذعرفت أسرته بالمحافظة والتعفف مما تشوبه شائبة في الأكل وفي السّلوكات، وكذا العادات والتقاليد فوالده هو عمار عبدلي، ووالدته هي رحيمة بوزيد من عائلة البازيد الكبرى المستوطنة ببسكرة ومداخل الجنوب الجزائري والتي عرف الكثير من أفرادها ببعض

الكرامات التي حباهم بها الخالق دون غيرهم، رأى نور الحياة في 09 أكتوبر 1954ببلدية عين الزّيتون، أي قبل أقل من شهر واحد من تفجير ثورة التحرير الكبرى، فكان فال خير على أسرته وعلى بلده الجزائر.

غادرت أسرته كغيرها من الأسر التي أنزاحت إلى المدن الكبرى قبيل الاستقلال بعام واحد بحثا عن العيش الكريم، والابتعاد من شظف العيش وصعوبة الحياة.

وقد كان أكبر إخوته، تحمل تبعة إخوانه الذكور الثّلاثة وأخواته البنات في سن مبكر، الأمر الذي جعله يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه وهو في شرخ الشّباب، ويتحملها على أكمل وجه.

وبمدينة عين البيضاء التي آثرت العائلة أن تستقر بها اشترت الأسرة بيتا متواضعا في أهم أحيائها آنذاك وهو حي ماريان المعروف بأصالته وقدمه قبالة مسجد الهداية راهنا.

ولما بلغ سن التمدرس زاول تعليمه القاعدي، حيث انتسب بدءا بالكتاب فحفظ ما تيسر من القرآن الكليم ثم التحق بالتعليم النّظامي ابتداء بمدرسة كانوني الطّيب الكائنة بعين البيضاء ثم التعليم الإكمالي فالتعليم الثّانوي، وقد عرف بتفوقه ونبوغه المبكر في شتى المواد التي كان يتلقاها مع حدة الحفظ وسرعة البديهة، ولأن تعليمه كان بالعربية والفرنسية، فقد اتقن اللغتين إتقانا مكنه من القراءة والمطالعة باللغتين والإفادة من مختلف المراجع والمصادر إلى جانب تعلمه الإنكليزية وبخاصة كتب العقيدة والفقه والسّيرة حتى غدا محدثا بارعا وإماما مصقعا فيما بعد.

ولأن الحاجة دفعت والده إلى الهجرة إلى فرنسا طلبا للعمل، فقد تكاثفت التبعات على غلام وهو في أمس الحاجة إلى الاستمتاع بشبابه كديدن أقرانه وأترابه، وهو الأمر الذي مهره على التقشف والابتعاد عن مغريات الشّباب الذين في سنه، وبحكم أنه الابن البار والأكبر بين إخوانه وأخواته فقد تمكن بفضل عمله المبكر على تحمل المسؤولية على أكمل وجه وملء الفراغ الذي تركه والده مرغما، والذي هاجر إلى فرنسا حتى يلين الحياة لأسرته.

وقد كان هذا عاملا أساسيا في تشكيل شخصيته وصقل قدراته في التأقلم مع صعوبة الحياة، وعلى الرّغم مما أوكل له قدرا، فقد أحرز على الحصول على شهادة الابتدائية التي فرح بها الجميع.

بعدها انتقل مباشرة إلى المدرسة الإكمالية ابن سينا راهنا، أين تفتقت مواهبه، وتوسعت مداركه، وصار قدوة بين زملائه، الذين كانوا يهرعون إليه لتذليل صعوباتهم التلقينية أويلتمسون الحل للمسائل المستعصية عليهم، وقد زامن رعيلا أول غدوا فيما بعد صفوة مثقفي ورائدي الصّحوة الإسلامية في مدينة عين البيضاء وما جاورها.وبفضل الإرادة الصّلبة التي اكتسبها وهو صبي يكاد يكون غريرا، متن عوده، وقويت عزيمته فانغمس في القراءة ونهم كل ما تقع عليه يده من كتب وأمات الكتب في كل مجالات اللغة العربية والثّقافة والعقيدة وفقه الأصول وغيرها، تقول ابنة أخته الدّكتور انتصار قاسمي التي بصدد تحضير منجز حياتي حوله أنه كان مهوسا بالقراءة والمطالعة، وقد (شهدت سقيفة البيت في ماريان انعزال الفتى ـــ تقصد به خالها ـــ واستراقه الغياب في المناسبات العائلية وجلوسه على الدّرج ملتهما كل ما يقع عليه بصره من كتب وكان الكتاب عنده اثمن ما يرغب فيه لباسا، أو أكلا، أو تفسحا هنا وهناك كانت متعته الوحيدة العيش بين الصّفحات والسّفر الى العوالم الخفية لأصحاب أمات الكتب كان يقرأ في تلك المرحلة للرصافي وحافظ ابراهيم والمنفلوطي رغم حداثة سنه. كان رحمه الله مكتبة متنقلة، أكبّ على طلب العلم الشّرعي منذ صغره وقد حباه الله بكفاءة عالية على التعلم والاستيعاب والفهم وأمدّه بذهنية علمية عالية)

وقد كان من بين رجال الصّحوة الدّينية في الشّرق الجزائري، عاش ومات وهو شديد التمسك بالوسطية والاعتدال كما تقول ابنة أخته، وقد دفع مقابل اعتداله ثمنا باهظا كان دمه الطّاهر الذي سفك من قبل جماعة رعناء، وقد حاول تفسير وتحليل بعض سور وآيات القرآن في شكل خواطر قرآنية التي كانت تفد عليه من حين إلى حين، غير أن هذه الخواطر، إضافة إلى دروسه ومواعظه، وكذا خطبه الأسبوعية بالمسجد الذي كان خطيبا فيه ضاعت أو ربما شملها النّسيان، وقد تجد يوما مع الأشرطة التي سجلت له طريقها إلى النّور.

تقول في ذكرى تأبينه أخته نعيمة عبدلي في خاطرة عامرة بالتأثر:

كم كنت عظيما يابن أمي، يابن أبي
وأمي كم كنت عظيما
يا رجلا أحب الوسطية وحارب
التطرف وأعداء الدّين
يا رجلا شريفا وشهما وعالما فحلا
يا فارسا وأميرا وفقيها للضاد
والبلاغة والنّطق السّليم
يا حبيبا وبسيطا وضليعا في أمور
الدّنيا والدين
يا شيخ المدينة ورفيق الصّغير
والكبير
ياغلاما ولد وعاش ومات رجلا
عظيما...إلخ

ظل صلبا وفيا لمبادئه غير عابئ بالقوى الظّلامية التي كانت تتربص به الدّوائر حتى جاء اليوم المشؤوم كان ذلك مساء الواحد والثّلاثين مارس عام 1995، حيث اقتحمت بيته جماعة إرهابية ملثمة، تحترف الموت واقتلعته من بين دفء زوجته وأبنائه لتقتاده إلى جهة غير معلومة، ودام البحث عنه حوالى خمسة أيام شارك فيها الجيران وأحباؤه ومريدوه من طلبة العلم وإخوانه في الدّعوة، ليعثر عليه المارة جثة هامدة بعد غياب فقد لوع أسرته، ووري التراب مودعا من قبل جماهير غفيرة من معارفه ومحبيه جاؤوا من مختلف أحياء عين البيضاء ومن مدن وقرى مجاورة بعد صلاة الجنازة في المسجد الذي حفل بخطبه ودروسه يوم 06 أفريل 1995.

باديس فوغالي

المصادر:
- د. انتصار قاسمي، شهيد المنبر، مقال منشور في صفختها في الفايس بوك
- نعيمة عبدلي في شهادة تأبينية بمناسبة ذكرى استشهاده

ف

■ فريدة صابونجي
(و: 1349ه - 1930م/ت: 1444ه - 2022م)

فريدة صابونجي ممثلة سينمائية ومسرحية جزائرية اشتهرت بأدوارها القوية في العديد من الأعمال السّينمائية والتلفزيونية، من مواليد 10 أغسطس 1930 بحي الدّويرات العتيق بالبليدة، المدينة التي أنجبت العديد من كبار الفن في الجزائر، تعتبر صابونجي من رواد الفن في الجزائر حيث اشتهرت خصوصا بأداء أدوار المرأة البرجوازية والسيدة العاصمية ذات الشّخصية القوية، وقد تميزت بإبداعها الكبير وشخصيتها الفنية وحضورها الطّاغي الذي جعلها واحدة من عمالقة الفن في الجزائر، وخلّدت اسمها كأحد أهم رموز الفن الجزائري.

دخلت الرّاحلة المسرح الإذاعي في سن مبكرة جدا بدعم من المسرحي الرّاحل محي الدّين باشطارزي حيث كان عمرها آنذاك لا يتجاوز 13 عاما ووقفت على الرّكح إلى جانب كبار الفنانين على غرار بشطارزي وأحمد عياد (رويشد) ومحمّد التوري وكلثوم ونورية، لتقدم في الخمسينيات العديد من الأعمال والأدوار وخصوصا في المسرح الكلاسيكي بالمسرح الوطني الذي كان يعرف بـ «الأوبرا» على غرار «عطيل»

و«أوتيفون» و«تارتيف» و"قناع الجحيم" و«الدنجوان" والعشرات غيرها من الكلاسيكيات.

شاركت صابونجي أيضا في العديد من الأعمال السّينمائية الرّائعة التي لا تزال راسخة لدى الجمهور ولعل أشهرها «خوذ ما اعطاك الله» للمخرج حاج رحيم وهو عمل اجتماعي كوميدي شارك فيه كبار الفنانين في الجزائر على غرار نورية وفتيحة بربار ووردية ومصطفى العنقى وحسان الحساني.

كما مثلت أيضا في فيلم «ميدالية لحسان» أو «البوابون» لحاج رحيم والمقتبس عن مسرحية «البوابون» إلى جانب سيد علي كويرات ورويشد ويحي بن مبروك ومصطفى بربور وآخرين، بالإضافة إلى «باب الواب" لمرزاق علواش و"الآن بإمكانهم المجيء" لسالم الابراهيمي.

وفي التلفزيون برزت الفنانة في الكثير من المسلسلات أبرزها «كيد الزّمن» (1999) للمخرج الرّاحل جمال فزاز و"المصير" (1989) لنفس المخرج أين أدت فيهما وبنجاح كبير دور المرأة الأرستقراطية المتغطرسة، إلى جانب السّكاتش الفكاهي الرّائع «العروسة والعجوزة» رفقة نورية، بينما كان آخر مسلسلاتها «دار البهجة» إلى جانب بيونة وآخرين.

كما مثلت الرّاحلة في الفيلم التلفزيوني «ضياف بلا عرضة» للمخرج الرّاحل محمّد حلمي والذي شاركت فيه إلى جانب كبار الفن في الجزائر كمحمّد حلمي وعمر قندوز وصالح أوقروت وأنيسة وعبد الحميد رابية.

وتمّ تكريم صابونجي في 2017 بوسام الاستحقاق الوطني من مصف «جدير" إضافة إلى

تكريمات أخرى على مر مسارها الفني الطّويل، وهذا اعترافا بالموهبة الكبيرة والمسيرة الحافلة لهذه الشّخصية البارزة في الفن الجزائري والتي كرّست حياتها ومسيرتها خدمة للثقافة الجزائرية.

رحلت الفنانة القديرة فريدة صابونجي أيقونة الفن في الجزائري وإحدى أهم الشّخصيات في المسرح والسينما والتلفزيون الجزائري، وقد تألقت في الكثير من الأعمال ومع كبار الممثلين والمخرجين الجزائريين على مدار أكثر من سبعة عقود، عن عمر يناهز 92 عامًا في 17 سبتمبر 2022، مخلفة وراءها إرثًا فنيًا غنيًا وحزنًا عميقًا في قلوب محبيها.

كما بعث الرّئيس الجزائري عبد المجيد تبون ببرقية عزاء إلى أسرتها جاء فيها «بهذا المصاب الجلل نودع اسما لامعا من كبار الفنانين الجزائريين، فقد نالت رفقة ثلة من الفنانين التقدير والاحترام من خلال ما قدمته من أعمال مسرحية وسينمائية راقية، وكانت بذلك مثالا لأجيال من الفنانين».

وستظل فريدة صابونجي رمزًا خالداً للفن الجزائري، وإلهامًا للأجيال القادمة من الفنانين والمبدعين.

بوزيد سلامي

ق

■ قاسم بن عمر الزّواوي
(ت: 927ه - 1520م)

قاسم بن عمر الزّواوي، ويكنى بشرف الدّين. ويضيف بعض من كتب عنه نسب «القيرواني المغربي المالكي». فالزّواوي نسبة إلى قبائل زواوة، وهي تسمية ظهرت خلال العهد العثماني ومع تقادم الوقت سقطت كلمة زواوة وبقي لفظ قبائل قيد الاستعمال حتى اليوم. أما القيرواني فنظراً لإقامته في القيروان طلباً للعلم فنسبه أهل المشرق إليها بحكم أنه استقر بها فترة من الزّمن، بينما سُمي بالمغربي لِكونه من أهل المغرب، وهو وصف جامع ظهر خلال العهد الإسلامي، كان يطلق على كل سكان بلاد المغرب قديماً، وهذا بالمقارنة مع أهل المشرق. في حين وُصف بالمالكي لأنه كان كسائر أهل المغرب على مذهب الإمام مالك بن أنس، إمام أهل المدينة. لم يعرف تاريخ ميلاد الشّيخ قاسم بن عمر الزّواوي أما وفاته فكانت في الرّابع عشر من شهر شعبان سنة 927 حسب التقويم الهجري، وهو ما يوافق سنة 1520 م حسب التقويم الميلادي. مما يعني أنه كان على قيد الحياة خلال النّصف الأول من القرن العاشر الهجري، الموافق للنصف الأول من القرن السّادس عشر الميلادي. ولذلك صنّفه الشّيخ نجم الدّين محمّد بن محمّد الغزي في كتابه الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة من بين أعيان القرن العاشر للهجرة. وهذا يعني أن ولادته كانت مع بدايات النّصف الثّاني من القرن التاسع الهجري، الموافق للنصف الثّاني من القرن الخامس عشر الميلادي، لأن شيخه الإمام السّيوطي كان قد انتظم في سلك التدريس بداية من سنة 870 هـ/ 1465 م أي خلال النّصف الثّاني من القرن التاسع للهجرة الموافق للقرن الخامس عشر للميلاد.

وكما جرت عليه العادة في ذلك العصر، فإن الشّيخ قاسم يكون قد تلقّى، بمسقط رأسه مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وِفق المعارف السّائدة في زمانه. وعندما شبّ انتقل إلى القيروان بتونس طلباً للعلم، حيث أخذ على عدد من شيوخ جامع القيروان علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية. وبعد إقامته في القيروان لبعض الوقت، ارتحل إلى مصر واستقر في الإسكندرية بجوار مقام الشّيخ تاج الدّين أبو الفضل أحمد ابن عطاء الله السّكندري، وهو فقيه مالكي صوفي النّزعة شاذلي الطّريقة، يلقب بقطب العارفين. وظل الشّيخ قاسم هناك فترة من الزّمن، بعدها انتقل إلى الإقامة بمقام الإمام الشّافعي خادما لضريحه. وصحب خلال تلك الفترة الشّيخ جلال الدّين عبد الرّحمن بن محمّد السّيوطي وصار ملازما ومقلدا له. ولذلك يضعه البعض ضمن أبرز تلاميذ الشّيخ جلال الدّين السّيوطي، ولعله يأتي في مرتبة متقدمة.

ورد ذكر سيرة الشّيخ قاسم في إطار الحديث عن تلامذة الشّيخ جلال الدّين السّيوطي ضمن العديد من المصنّفات منها كتاب معجم المؤلفين ومعجم أعلام الجزائر وشذرات الذهب في أخبار من ذهب وغيرها. فقد وصفه الإمام شهاب الدّين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد ابن العماد الحنبلي صاحب كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب بالشّيخ الفاضل، الصّالح المعتَقد، ووصفه بـ « الزّواوي المغربي القيرواني المالكي". وقال عنه عادل نويهض صاحب كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر بأنه فقيه مالكي فاضل وصوفي مشهور وعابد زاهد. وذكرته الباحثة إسراء كريم عبد الله في تحقيقها لكتاب نواهد الأبكار وشواهد الأفكار ــ حاشية على تفسير البيضاوي ــ للشيخ جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر بن محمّد السّيوطي، ووصفته بالشّيخ الفاضل، الصّالح المبارك. وقالت: "وبما أن تلاميذه كثيرون، تقصد السّيوطي، فسأقتصر على ذكر المشاهير منهم والملازمين له». ضمن هذا الإطار ذكرت الشّيخ قاسم وقالت عنه هو «شرف الدّين قاسم بن عمر الزّواوي المغربي القيرواني المالكي، الشّيخ الفاضل، الصّالح، المبارك، صحب الشّيخ جلال الدّين وقلده في ملازمته لبس الطّيلسان صيفا وشتاء".

كما ورد ذكره من طرف عمر رضا كحالة صاحب كتاب معجم المؤلفين لكن دون أي تفاصيل أخرى. وقال عنه الشّيخ نجم الدّين محمّد بن محمّد الغزي المتوفي سنة 1061 للهجرة مؤلف كتاب الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة إن له تصانيف لكنه لم يتعرض لها، ولعلها اندثرت ولم تعد محل طباعة أو تداول.

والمعروف عن الشّيخ جلال الدّين السّيوطي، الذي عاش في مصر خلال عهد المماليك، وتتلّمذ الشّيخ قاسم على يديه وصاحبه، أنه كان من كبار علماء عصره فهو صاحب الكتاب المعروف «أسباب النّزول». وهو واضعُ أكثر من ثلاثمائة تصنيف في مختلف علوم عصره. تصدر للتدريس في وقت مبكر ابتداء من سنة 870 هـ/ 1465 م، وكثُر تلاميذه فكان منهم الفقيه والمحدّث والمؤرخ واللغوي. وقد أسهم هؤلاء التلاميذ في نسخ مؤلفاته وشرحها ونشرها. وكان الشّيخ شرف الدّين قاسم بن عمر الزّواوي أبرز هؤلاء التلاميذ ولعله يُعد من أنجبهم وأوفرهم حظا لدى شيخه، ولذلك نال عناية من تناولوا حياة الشّيخ جلال الدّين السّيوطي.

توفي الشّيخ شرف الدّين قاسم بن عمر الزّواوي بالقاهرة ودفن بها في 14 شعبان من سنة 927 هـ / 1520م.

عامر بغدادي

المصادر:

– معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، نسخة إلكترونية.
– نواهد الأبكار وشواهد الأفكار، حاشية على تفسير البيضاوي، تحقيق إسراء كريم عبد الله، نسخة إلكترونية
– الموسوعة الشّاملة، موقع إلكتروني

■ قاسمي إبراهيم

ولد الشّهيد قاسمي ابراهيم ببلدية اولاد جلال، ولاية بسكرة، فقد والده صغيرا فتحملت أمه مسؤولية تربيته ورعايته، وقد تمكن بفضل توجيهها الحسن من الحصول على الشّهادة الابتدائية باللغة الفرنسية. يحدثنا الأخ غزال عيسى عن الظّروف والشروط التي التحق بها الشّهيد قاسمي بصفوف الثّورة، حيث يقول: قبل 1957 كان البطل قاسمي ابراهيم يعمل بفرنسا من أجل الحصول على لقمة العيش كبقية المهاجرين الجزائريين، وقد أبلغني الأخ منيب محمّد الذي كان زميلا له في العمل أنه كان منخرطا في صفوف الجبهة.

وعن كيفية التحاق الشّهيد بصفوف جيش التحرير الوطني يقول الأخ محمّد روينة المعروف باسم (محمّد غنتير): في أواخر الرّبيع من سنة 1958 جئت في مهمة إلى بادية أولاد جلال رفقة ثمانية مجاهدين، وأثناء ذلك التقيت بالشهيد قاسمي مسؤول المسبلين المدعو غزال عيسى. وبعد أسبوع أنهيت المهمة التي جئت من أجلها وحين عزمت مغادرة المدينة التمس مني الشّهيد وبإلحاح شديد أن أساعده في الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني وأفهمني أن سلاحه سيحصل عليه بنفسه، وقد حاولت إقناعه بأن مواطني أولاد جلال والثورة ككل في حاجة إليه أكثر منا أي جيش التحرير الوطني، لكن دون جدوى، عندئذ وعدته بأنني سأبلغ رغبته للقيادة وسيتلقى الجواب في أقرب وقت ممكن. وبالفعل وافقت القيادة على التحاقه بصفوف جيش التحرير، على أن يبقى تابعا للقسم السّابق (76).

وقد كان البطل يمتاز بالشجاعة النّادرة والحكمة البالغة، حيث كان أول مواطن في النّاحية يطلب التجنيد في صفوف جيش التحرير الوطني، ويحصل على سلاحه بنفسه. كما أنه كان على الدّوام يرفض المسؤولية عندما تعرض عليه. ولم تكن العمليات التي كان ينفذها الشّهيد قاسمي بين الحين والآخر عادية، حيث كان يدخل المدينة في واضحة النّهار، وفي أي وقت يشاء.

لقد كانت العمليات الفدائية الجريئة التي ينفذها الشّهيد بين الحين والآخر تعتبر جد هامة حيث نجد كل قرار يصدر عن قيادة الثّورة يتعلق بتنفيذ الاعدام في ضابط للعدو أو أحد عملاء الاستعمار من الذين يشكّلون خطرا على الثّورة والشعب معا إلا وتوكل مهمة تنفيذه إلى البطل قاسمي، وتكون النّتيجة دائما إيجابية وكان يساعده في معظم عملياته الفدائية، الشّهيد حشاني شلاقة بحكم أن هذا الأخير كان

يشرف على مجموعة من الفدائيين بأولاد جلال يجلبون له معلومات كافية عن العدو وعملائه. ونتيجة لعملياته الفدائية الكثيرة خصصت له القيادة سنة 1960 ميزانية خاصة للذخيرة تقدر بـ (1000) خرطوش. من بين بعض النّماذج لعملياته كما رواها الأخ الهاشمي جديدي، إذ يقول: « في سنة 1960 رافق الشّهيد قاسمي في مهمة الإخوة الرّقيب أول سياسي الشّهيد محمّد دهان، والرقيب الإخباري الشّهيد عمار مشنق، والشهيد حشاني شلاقة إلى بلدية أولاد جلال، وقضى الأربعة ليلتهم عند أحد المواطنين، وفي الصّباح الباكر وجدوا المنزل المتواجدين به مطوقا بجنود العدو من جميع الجهات؛ وكانت الخطة التي وضعها الشّهيد قاسمي تقتضي أن لا يواجهوا جنود العدو، وهم في هذه الوضعية، حفاظا على سلامة أفراد العائلة، وإنما يفوتوا الفرصة عليه بمرورهم فوق سطوح المنازل، على أن يسير هو في الأمام ليتأكد من خلو السّطوح من جنود العدو، وبالفعل نجح في خطته، إذ تمكنوا من دخول بستان للنخيل يؤدي بدوره إلى غابة أولاد جلال التي تقدر مساحتها بحوالي (5) كلم مربع. وهذا بعد أن فاجأ الشّهيد قاسمي جنود العدو والذين كانوا محاصرين الطّريق المؤدي إلى البستان بإطلاق النّيران عليهم وانتزاعه بندقية الرّشاش من يد أحد العساكر الذي سقط جثة هامدة أمام أعينهم؛ الشّيء الذي جعلهم يفرون. ويضيف الأخ الهاشمي جديدي أن من عمليات الشّهيد التي بقيت عالقة بذهنه أنه كان هناك حركي (قومي) برتبة رقيب أول متسلطا على مواطني أولاد جلال. وعندما أصدرت القيادة حكم تنفيذ الاعدام فيه فورا، تعهد الشّهيد قاسمي بالإتيان به حيا، وكان هذا ما بين شهري ماي وجوان 1959. وبالفعل توجه الشّهيد في حينها إلى بلدية أولاد جلال للحصول على معلومات دقيقة عن هذا الحركي الخطير. وبعد حصوله على المعلومات، قام بمراقبة تحركات الحركي الذي قدم في أحد الأيام على الدّكان وهو يتبختر في مشيته وبندقية الرّشاش تلمع فوق كتفيه. وبمجرد اجتيازه عتبة الدّكان إلى الدّاخل حتى فاجأه الشّهيد بتسديد فوهة المسدس تجاه رأسه وقال له لو تتفوه بكلمة واحدة فان الرّصاصة ستستقر في رأسك حالا، وكان أول شيء قام به الشّهيد هو تجريده من السّلاح وربط يديه بالحبل وألبسه قشابة، واتجه به نحو الغابة. وفي أثناء الطّريق قرر الشّهيد بينه وبين نفسه بأنه في حال تعرضه لحصار أو اشتباك مع جنود العدو سيقضي عليه في البداية حتى يخلص المواطنين من شروره، لكن في الوقت نفسه كانت تسيطر عليه فكرة غريبة. وهي أنه في حالة موت الحركي سيحرم من الثّياب العسكرية الجديدة الفاخرة التي يرتديها. وكانت تنبؤات الشّهيد صائبة حيث أقبل جنود العدو بعد علمهم بالحادث وقاموا بتفتيش واسع للناحية لكنهم أخطأوا الطّريق الذي سلكه الشّهيد إلى الغابة السّالفة الذكر.

. وعند حلول الظّلام أخذ الشّهيد جملا من البدو الرّحل وحمل الحركي فوقه حتى لا يتعطل في الطّريق ويدركه جنود العدو، وقد وصل في الصّباح الباكر إلى مركز جبل نسيسة الواقع قرب جبل تامر بلدية أولاد رحمة، دائرة عين الملح، ولاية المسيلة.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- حسن بومالي، مجلّة أول نوفمبر، العدد 59 سنة 1983، ص27.

■ قدّور بن عاشور

(و: 1267ه - 1850م/ت:1356ه - 1938م)

ولدَ الشّاعر قدّور بن عاشور سنة 1267ه المُوافق 1850م بمدينة ندرومة ولاية تلمسان الّتي أنجبت مجموعة من أعلام وفطاحل تعتزُّ بهم الجزائر في دُنيا الأدب والفكر والفقه والعلم، ويعدّ من بين روّاد الشّعر الملحون في العصر الحديث، استقرّ الشّاعر قدّور بن عاشور بمدينة تلمسان من 1926 إلى سنة1930 قبل أن يعودَ إلى مسقط رأسه وموطن أسلافِه ندرومة ويواصل حياتَه.

ترعرع الشّيخ قدّوربن عاشور في ندرومة التي كانت من الحواضر المتقدّمة في سائر

مناحي الحياة العلميّة والأدبيّة والتّجاريّة والصّناعيّة، تربّى في حضن أسرته الّتي كان فيها من أصحاب المروءة والفضائل والمواهب بما يمكن اعتبارها برجالها ونسائها ملخّصًا للمجتمع النّدرومي المتحضّر آنذاك، ودرس ما كان يدرسُه أقرانُه من الصّبيان واقتصر في الدّراسة على ما تيّسر له كأترابه الذين تشاء لهم الأقدار الانقطاع عن طلب العلم تفرغًا في سنّ مبكرة، لخوضِ غمار الحياة قبل حينِه. تعلم القراءة والكتابة في الجامع جريًا على الطّريقة المتّبعة في عهده، وأكسبه ما حفظه من سور الذّكر الحكيم وتعلّمه من مبادئ العربيّة قوّة الحافظة وحدّة الذّاكرة وخصوبة المُخيّلة، وهو ما مكّنه من تحصيل المعرفة باجتهاده الخاصّ وبعونِ مَنْ اتفقت له مجالستُه من العلماء فأثرى رصيده اللّغوي الغزير ووسّع علمَه.

تعاطى الشّيخ قدّور بن عاشور نظم الشّعر مبكّرًا كرياضة فكريّة وأدبيّة على سُنّة الأدباء الشّعبيّين في عصره، ثمّ كوسيلة للتّعبير عن خلجات صدره ومشاعره للاتّصال مع غيره تارة وتارة أخرى للإدلاء بدلوه في أغراض كان النّاس يقبلون عليها وخاصة منها الغزل ووصف الطّبيعة والفخر والمديح النّبوي والأذكار والمواعظ، كما تعاطى العزف والغناء في مجالس الطّرب الشّعبية التي تُقام بمناسبة الأعراس والولائم، غير أنّه لم يعرف عنه أنّه غنّى من أجل التّكسّب، نبغ في الشّعر وبلغ فيه منزلة القُدامى الفحول، وقد تداول العديد من المطربين المتعاطين للّون الشّعبي واللّون الحوزي على أداء الكثير من قصائده الّتي نجت من الضّياع، ولعلّ أشهر قصائده تلك الّتي أدّاها الفنّان النّدرومي الحاج محمّد غفّور، وهو الّذي لا يمكن أن ينسى تأثره الكبير بشعر وغناء الشّيخ قدّور بن عاشور رائد الأغنيّة النّدروميّة، ومن شدّة إعجابه وتأثّره غنّى بعض قصائده المطوّلة، واشتهر خاصّة بقصيدة: **حلّة مريم**، ومطلعُها:

آي والله عذراء محضرة طلّت من سَرْجُ
عارمْ زلالّة باهيّة بِقدْ مَخَنّث في قْوامِهْ
وبالحُسنْ الفَايقْ يفتخرَعَن ذريّة سامْ
بهضتني يا عشّاقْ صَرْت من وَجْدي نْدَمّمْ
وأنَادي من شَوقِي ولِيعْتِي قَلبي هاجْ غْرامَه
حين نَظَرتْ الكَاوْية دَليلي دَاعْجة الأنْيامْ

ومن قصائده الغزلية الرّائعة الّتي نالت حقّها من الشّهرة والإنتشار تلك القصيدة التي يُناجي فيها طائر القُمري ويوصيه خيرًا بمحبوبته الغاليّة، والّتي غنّاها العديد من مطربي الشّعبي والحوزي، يقول في مطلعها:

ربّي يَهْديكْ يَا القُمري
تَعْمَلْ وَحْدْ الجْميلْ فِيَّ
رَفْرفْ جْنحيكْ يا القُمري
توصَلْ للتّايهة عْليّ
قُلْ لهَا إذا فنَاتْ عُمْري
مَا نَعْشَقْ أحدْ غيرْهِيَ

لقد كان الشّيخ قدّور بن عاشور صورة ملخصة لرموز النّبوغ الأدبي والفنّي في عصره، في كلّ من ندرومة وتلمسان، أمثال: سعيد المنداسي، محمّد بن مسايب، بومدين بن سهلة، محمّد رمعون، مصطفى بن ديمراد، ظلّ الشّيخ قدّور فنّانًا مطبوعًا يعشق الأدب ويهوى الموسيقى، فأخذ عن السّابقين وسار على نهجهم، وأنشأ في ندرومة فرقة موسيقيّة ما لبثت أن اشتهرت بإتقان أدائها وبإبداع رئيسها في نظم القصائد. خصّص الشّيخ قدّور بن عاشور السّنوات الأخيرة من حياته للعبادة والتّصوف على الطّريقة العلاويّة الدّرقاويّة الشّاذليّة الّتي أخذها عن الشّيخ أحمد العلاوي، كان يعتزل عن النّاس ويطيلُ الخلوة ويبيت أحيانًا في مقام سيّدي أحمد البجّائي.

توفي الشّاعر قدّور بن عاشور -رحمه الله- في 7 ربيع الثّاني عام 1357ه/ 6 جوان عام 1938م، وهو في الثّامنة والثّمانين من عمره، ودُفن في مسقطِ رأسه بمدينة ندرومة.

ترك ديوان شعر من تحقيق الكاتب مُحمّد بن عمرو الزّرهوني الّذي حرص على إصدار الطّبعة الأولى من هذا الدّيوان سنة 1996 لتمتدّ عبر 828 صفحة من الحجم الكبير، قبل أن يعودَ لتنقيحها وإصدارها في طبعتها الثّانية سنة 2011 مُتوَّجة بكلمة تصدير من الرّئيس عبد العزيز بوتفليقة ركّز فيها على مُضاعفة الجهود بتراثنا الأدبي الأصيل، ولا سيّما رصيد الأمازيغية والعربيّة العاميّة الذي ظلّ مهملًا ومسكوتًا عنه عهودًا طال أمدُها.

يحتوي هذا الدّيوان على قصائد مطوّلة من نوع الزّجل وشعر الملحون تشمل مجموعة من الأغراض، من مديح لخير الأنام وسراج النّورمحمّد صلّى اللهُ عليه وسلّم، الى الابتهال والرّثاء والوعظ والتوسّل، إلى قصائد العشق والحنين.

تمّ إنتاج فيلم وثائقي عن حياته وأعماله عرض لأوّل مرّة منتصف مارس 2011 أمام جمهور نوعي من الصّحفيّين والكتّاب والمثقّفين غصّت بهم قاعة العروض بدار الثّقافة عبد القادر علولة بتلمسان، من إخراج محمّد نزيم قايدي وتأليف وسيناريو الأديب عبد الوهّاب بن

منصور، يبرز شخصيّة هذا الشّاعر المتصوّف ومدى تأثره بكبار شيوخ الطّرائق الصّوفيّة، ويلقي المزيد من الأضواء على الجانب الفنّي من حياته. ويحتوي على شهادات حيّة من أبرزها شهادة الوزير الأسبق محمّد بن عمرو الزّرهوني، الذي كشف أنّ الشّيخ قدّور خلّف وراءه أكثر من 3000 قصيدة، لم يتم جمع سوى 200 منها. وظلّت البقيّة الباقيّة مطموسة مغمورة، تنتظر الأيادي البيضاء لتبحث عنها وتنتشلها من الضّياع والإهمال، خدمة لتراثنا الشّعبي وثقافتنا الوطنيّة.

عبد الناصر بوعلي

المصادر:

- الزّرهوني محمّد بن عمرو، ديوان الشّيخ قدّور بن عاشور الزّرهوني، شعر من نوعِ الزّجل الملحون، المكتبة الوطنيّة الجزائريّة، الجزائر، ط1، 1996.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي ج8، (1830/ 1954)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
- عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحاضِر، مؤسّسة نويهض الثّقافية للتّأليف والتّرجمة والنّشر، ط2، 1980.

■ قدور دحيري

(و: 1343ه - 1925م/ت: 1436ه - 2015م)

ولد الشّيخ قدور دحيري سنة 1925 ببوسعادة، وبها تلقى تعليمه الأساسي بمسجد الشّرفة على يدّ الشّيخ محمّد بن عبد الله الذيب، وبعد أن اكتسب المعارف الأولى من التعليم الذي كان سائدا في تلك المرحلة والمرتكز على حفظ القرآن الكريم وتفسيره، انتقل إلى الزّاوية المختارية بأولاد جلاّل فأقام بها لفترة محدودة، ثم توجه إلى زاوية سيدي علي بن عمر بطولگة حيث اختتم حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ الفقه الإسلامي وقواعد اللغة العربية. عاد بعدها إلى بوسعادة وانتسب إلى حلقات الدّراسة التي كانت تعقد في المسجد العتيق المعروف بجامع النّخلة أو مسجد سيدي ثامر، وكان يشرف عليها الشّيخ بلقاسم بن أبي بكر حوحو. وفي بوسعادة عمق تكوينه في العلوم الشّرعية واللغة العربية على يدّ الشّيخين خليفة بن الزّروق وبن السّنوسي بن عبد الرّحمن.

في سنة 1952، مع بدايات شبابه، أذن له شيخه سي بن السّنوسي بإمامة المصلين في صلاة الجمعة مع مزاولة التعليم القرآني. ومع اندلاع ثورة التحرير في الأول من نوفمبر 1954م، كان الشّيخ قدور من المبادرين بالالتحاق بها. وفي أواخر سنة 1956 م عينته جبهة التحرير في منصب قاض للأحوال الشّخصية كالإشراف على عقود الزّواج وحل النّزاعات الزّوجية وهذا لدفع المواطنين بعدم التقاضي أمام الإدارة الاستعمارية الفرنسية. ولما اكتشفت السّلطات الاستعمارية الفرنسية نشاطه ضمن جبهة التحرير، صار ملاحقاً من الأجهزة الأمنية مما دفعه لمغادرة بوسعادة سنة 1957 م والتوجه إلى جبل مْحارقة أحد المراكز الأساسية لقيادة الثّورة بالمنطقة الثّالثّة في الولاية السّادسة التاريخية والذي يقع ضمن دائرة الخُبّانة اليوم. وأسندت له قيادة المنطقة مهمة الإفتاء في المسائل الفقهية والاشراف على التعليم القرآني لأبناء المنطقة إلى جانب الإسهام في جمع التبرعات النّقدية التي كانت تتلقاها جبهة وجيش التحرير من المواطنين. وظل يمارس تلك المهام حتى استرجاع السّيادة الوطنية سنة 1962م.

بعد الاستقلال، واصل الشّيخ قدور دحيري نشاطه في قطاع التعليم بشقّيه، التعليم القرآني والتعليم العام، وأسهم مع بعثة الأزهر التعليمية المصرية، في التدريس بالمعهد الإسلامي في بوسعادة والذي عرف فيما بعد بثانوية أبي مزراق. بعدها انتدب لمتابعة دورة تكوينية بدار المعلمين في بوزريعة خصصتها وزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف للمتميزين من معلمي القرآن الكريم لإدماجهم في سلك موظفي الشّؤون الدّينية. انتصب

بعدها إماما وخطيبا بجامع الزّغم ببوسعادة المعروف اليوم بمسجد مصعب بن عُمير، وعين في الوقت نفسه معتمدا للأئمة على مستوى دائرة بوسعادة. وابتداء من سنة 1967 تم انتدابه للعمل ضمن البعثة الدّينية التي كانت توجهها وزارة الشّؤون الدّينية إلى فرنسا لإمامة المغتربين خلال شهر رمضان من كل سنة. وخلال منتصف السّبعينات من القرن المنصرم عين كمرافق لبعثات الحج إلى البقاع المقدسة.

ظل في منصبه كإمام وخطيب بمسجد مصعب بن عمير إلى حين بلوغه سن التقاعد، لكنه بقي ملازما للمسجد رغم تقدم سنه إلى حين وفاته. وقد وافته المنية عن عمر ناهز التسعين عاما، وذلك في 15 أوت سنة 2015م.

الحاج دحيري

ك

■ كريتلي مختار
(و: 1342ه - 1924م/ت: 1376ه - 1956م)

المدعو سي بن يوسف، ولد الشّهيد مختار كريتلي في 18 أو 19 أفريل 1924 بقرواو حوالي 8 كلم شرق البليدة، ابن حمود وخيرة كرباش، يقال أن عائلة كريتلي من أصول كرغلية لأن كلمة كريتلي (تنطق ڤريتلي) تعني بالعثمانية: الذي ينحدر من جزيرة كريت شرق المتوسط (تابعة لليونان اليوم)، دخل البطل زاوية سيدي الجيلالي بمشطوفة بضواحي قرواو أين حفظ القرآن الكريم وتعلم أبجديات اللغة العربية، اشتغل في الفلاحة منذ صغره كما هو حال أغلب أبناء منطقته، في سنة 1938 إلتحق بالكشافة الإسلامية الجزائرية وعمره 14 سنة، أين بدأ تكوينه النّضالي في سبيل الوطن.

عرف الشّاب مختار بلقب «الحاج» رغم سنه الصغير، لرجاحة عقله ورزانته وأخلاقه الرّاقية.

في سنة 1942 وفي قلب الحرب العالمية الثّانية، قام الفرنسيون بتجنيد الشّاب مختار إجباريا في إطار الخدمة العسكرية وبعثوه إلى المغرب الأقصى، هناك تعرف البطل على أصدقاء مغاربة كانوا ينشطون في حزب الاستقلال الذي أسسه علال الفاسي، آنذاك كان حزب الاستقلال سريا وينشط من أجل تحقيق استقلال المغرب الشّقيق، كانت التجربة المغربية جد مفيدة للشاب كريتلي

مختار الذي تطورت معارفه وأفكاره وايقن حينها بضرورة الانخراط في النّضال السّياسي ببلده.

مباشرة بعد عودته إلى الجزائر انضم كريتلي مختار إلى حزب انتصار الحريات الدّيمقراطية، حيث جعل من المنزل العائلي مكانا لنشر أفكار الحزب في منطقة الصّومعة وقرواو وبوفاريك وضواحي البليدة بصفة عامة، لذلك يعتبر البطل كريتلي مختار من أعمدة النّضال السّياسي الوطني في البليدة قبل ثورة التحرير، ومن أوائل الذين بدؤوا في تشكيل خلايا ومجموعات المناضلين في المنطقة، خاصة بعد مشاركته في اجتماعات بالعاصمة واحتكاكه بمناضلي المنظمة الخاصة: ديدوش مراد سويداني بوجمعة، رابح بيطاط... إلخ، لما تطور نشاط كريتلي مختار بالبليدة وضعه الفرنسيون تحت المراقبة بعد اكتشاف نشاط المنظمة الخاصة، ثم أدخلوه السّجن في إطار حملة اعتقالات طالت أغلب شباب الحركة الوطنية.

بعد خروجه من السّجن واصل البطل نشاطه السّياسي لكن بحذر، وكان وراء تنظيم اجتماع أولاد يعيش في مارس 1954 لبحث حل للأزمة لتي عصفت بحزب الشّعب الجزائري بين المصاليين الموالين لمصالي الحاج الذي تغيرت طريقة تسييره وأصبح مستبدا بآرائه، والمركزيين أي قادة اللجنة المركزية لحزب انتصار الحريات الدّيمقراطية (PPA /MTLD) الذين كانوا يطالبون بتسيير تشاوري وبتعديل نهج مصالي.

في تلك الفترة ظهرت جماعة ثالثة بقيادة مناضلين شباب لم يكونوا لا مع المصاليين ولا المركزيين، شباب بقيادة بن بوالعيد وبن مهيدي وديدوش وبوضياف وغيرهم، سئموا من الخلافات الفلسفية والزعامية وقرروا الانتقال للعمل المسلح وتفجير الثّورة في أقرب وقت مستغلين الظروف الدّاخلية والدّولية

كان كريتلي مختار أقرب إلى المركزيين، وعلى الرّغم من ذلك قدم كل الدّعم للشباب الذين كانوا يحضرون للثورة وأسسوا اللجنة الثّورية للوحدة

والعمل التي انبثقت منها مجموعة السّتة + ثلاثة: بن بو العيد، بن مهيدي، ديدوش، بوضياف، كريم وبيطاط + بن بلة وآيت أحمد خيضر كممثلين في الخارج، الجماعة التي قررت تفجير الثّورة في 1 نوفمبر 1954.... أسهم البطل كريتلي مختار في تلك الفترة بتشكيل أفواج الفدائيين والمناضلين مستغلا الخلايا التي أسسها خلال فترة نضاله السّياسي، وكذلك تنظيم خلية صنع المتفجرات التي أسست في ماي 1954 وأشرف عليها سويداني بوجمعة وبوعلام قانون والتي كانت بمنطقة حلوية شمال الصومعة في وسط بساتين البرتقال على ضفاف واد بوشمعلة، أسهم البطل كريتلي مختار كذلك في التحضير لهجوم ليلة 1 نوفمبر 1954 ببوفاريك الذي قاده سويداني بوجمعة واعمر أوعمران مع مجاهدين آخرين مثل بوعلام قانون وعمر صامت وغيرهم.

التحق كريتلي مختار بالثورة منذ بدايتها تحت كنية «سي بن يوسف» أو « الحاج بن يوسف « أو « الشّيخ بن يوسف» كما كان يناديه أبناء المنطقة، ودخل في العمل السّري حيث أوكلت إليه مهمة التنسيق بين جماعات المجاهدين والفدائيين وتجنيد وتعبئة الشّباب وجمع وتوزيع السّلاح والمتفجرات، وقام بعمل جبار في المنطقة الرّابعة التي كانت تحت قيادة رابح بيطاط في البداية، لكن سرعان ما ألقي عليه القبض سنة 1955 ليعوضه اعمر أوعمران كقائد للمنطقة، توسع نشاط البطل كريتلي مختار ليمتد حتى جبال الظهرة ووارسنيس وتيطري، بعد فرار عبان رمضان من الإقامة الجبرية سنة 1955 اتجه نحو العاصمة للم شمل المناضلين خاصة الأعضاء السابقين في المنظمة الخاصة واللجنة المركزية لحزب الشّعب بهدف تنظيم الثّورة، كما اتصل بكل التيارات السّياسية مثل الإدماجيين وجمعية العلماء المسلمين وأقنعهم بالانضمام للثورة بصفتهم الشخصيّة لا الحزبيّة.

آنذاك بدأت تتبلور فكرة تنظيم مؤتمر جامع يضم كل قادة المناطق والقادة السّياسيين لتقييم وتنظيم الثّورة وتحديد أهدافها، الفكرة في الحقيقة طرحها السّتة لما فجروا الثّورة يوم 1 نوفمبر وقال لهم البطل مصطفى بن بوالعيد: المنطقة الأولى أي الأوراس ستتحمل الثّورة لمدة 5 إلى 8 أشهر لأننا نملك السّلاح والعتاد، ريثما تنتظم المناطق الأخرى، سنلتقي بعد سنة وننظم مؤتمرا لتقييم الثّورة. لكن للأسف لم يتحقق ذلك: ديدوش رحمه الله استشهد بداية 1955، بن بوالعيد وبيطاط دخلا السّجن، كريم كان محاصرا بمنطقة القبائل، بن مهيدي محاصرا في الغرب وبوضياف في الخارج

لما فر عبان من الإقامة الجبرية اتصل مباشرة ببن مهيدي وقررا تنظيم مؤتمر الصّومام بعد تحضيرات طويلة وسرية تقول الرّوايات أن البطل كريتلي مختار كان في الجبال الشّرقية لمتيجة، وقيل إنه كان في طريقه إلى مؤتمر الصّومام، لكنه وقع في كمين بمنطقة إسبغان (سباغنية) بجبال حمام ملوان، وقيل أن الكمين كان بجبال زبربر بين لخضرية وتابلاط، وقيل أنه تعرض لاغتيال من طرف معارضين له.

استشهد كريتلي مختار رحمه الله يوم 18 أوت 1956.

نظيرة شتوان

المصادر:

- نظيرة شتوان، الثّورة التحريرية 1954-1962 « الولاية الرّابعة انموذجا»، أطروحة دكتوراه جامعة الجزائر 2008، ص 34.

ل

■ لعريبي تومية
(و:1354ه‍1936-م/ت:1439ه‍2017-م)

المدعوة باية الكحلة، من مواليد 1936، من عائلة متواضعة تقطن بأحد أحياء الأبيار بجوار أحد قدماء مناضلي حزب الشّعب، وهو زوج أخت علي خوجة وكان والدها يعمل بوابا في قصر الحكومة. تعلمت مهنة التمريض في مدرسة الشّبه الطّبي «الصليب الأحمر» رفقة باج مسعودة، بدأت نشاطها النّضالي في مارس 1956 كعضوة في خلية القصبة حيث كلفت بمهمة توزيع المناشير ونقل الأسلحة وبعد اكتشاف أمر الخلية التحقت بمراكز جيش التحرير بالجبال، حيث تسترت بحائك وركبت سيارة مغطاة من نوع 403 في وسط صناديق الخضر وكانت برفقتها أخت علي خوجة وزوجها عبد الكريم.

توجهت إلى النّاحية الأولى من المنطقة الرّابعة بدشرة " تامقانيت" وهناك التقت بمجموعة من المجاهدين المشكلين لكوموندوس علي خوجة كانوا يلبسون لباسا عسكريا حسن المنظر مسلحين بأسلحة حربية. واستقبلوها أحسن استقبال وقدموها لأهل الدّوار كأول ممرضة مجاهدة، ثم سلموا لها بزة عسكرية ومسدساً تدربت على استعماله. باشرت مهمتها في معالجة الجرحى من المجاهدين وسكان المداشر المدنيين، كما عملت أيضا كقابلة ومدرسة حيث كانت تشرح للأمهات كيفية تقديم الرّعاية الصّحية لأطفالهن ووقايتهم من الأمراض المختلفة أمام نقص التغذية وانعدام الرّعاية الصّحية لعدم وقلة الدّواء. ولتغطية هذا النّقص في وسائل العلاج كانت تلجأ إلى ماء جافيل كمطهر للتعفنات. واستعمال بعض الوسائل البسيطة كالمقص لإجراء بعض العمليات البسيطة فعلى سبيل المثال اضطرت إلى قص بعض الأعضاء المتعفنة لأحد الجرحى المدعو بوعلام، تعفنت جروحه فتعرض إلى الإصابة بـ: «La Gangraine"، ونظفت مكان الجرح بماء جافيل والتأمت جروحه، وكانت أيضا تستعمل غبرة مادة البنسيلين في أماكن الجرح ليلتئم بسرعة.

ومع نهاية 1956 أصبحت مسؤولة عن مصحة بالمنطقة الأولى. وكانت مساعدتها الرّئيسية آنذاك الممرضة «حورية بن لمو". واجهت باية أثناء ممارسة عملها العديد من الصّعوبات خاصة أمام عمليات التمشيط الواسعة النّطاق، التي كانت تستهدف المنطقة والمعارك الكبرى التي كان يخوضها جيش التحرير كمعركة جراح، حيث لعبت فيها دورا لا يستهان به استطاعت أن تقوم بتسريب الغذاء إلى الكوموندو علي خوجة المحاصر وكان تحت قيادة النّقيب سي عز الدّين وتمكينه من الانسحاب.

غادرت باية الكحلة المجاهدين في الجبال بعد صدور أمر العقيد سي أمحمّد القاضي بتحويل المجاهدات نحو تونس والمغرب لمواصلة تكوينهن واتقائهن من مخاطر العمليات العسكرية خاصة بعد إقامة المناطق المحرمة. ورغم أن الأمر استثناها رفقة عدد قليل منهن، إلا أنهن فضلت الخروج مع بقية الممرضات اللواتي أعطاهن سي أمحمّد بوقرة قائد الولاية الرّابعة أمرا بالتوجه إلى تونس لإكمال دراستهن. وعن هذه التجربة التي انتهت بإلقاء القبض عليها تروي المجاهدة باية: "... في نهاية 1957 أعطى سي أمحمّد أمرا لإبعاد كل الفتيات ما عدا ميمي ومريم عبد اللطيف وأنا، لكن ميمي هي الوحيدة التي بقيت، لأنني فضلت الذهاب، وكذلك مريم، وكان بإمكاني البقاء في الجبل، لأن الجنود كانوا يطالبون ببقائي لكنني تعبت.. التحقت مع مجموعة من الفتيات من الولاية الثّالثة والرابعة والتقينا بجبل بوطالب وقضينا الليل مع بعض وبعده قسمنا، فكنت رفقة مريم عبد اللطيف وحورية بن لمو" وكان برفقتنا 14 جريحا. لم ترافقنا حراسة وكنا نتنقل من قرية إلى أخرى بتوجيه من المسبلين، عانين الكثير لما دخلنا الولاية الأولى. وكان 4 جرحى من الـ 14 يملكون قطعة سلاح من نوع "ستاتي". ولما اقتربنا من جهة الأسلاك الشّائكة قضينا الليل في إحدى الخيام بطلب من صاحبها، وأحضر لنا عشاء، في الوقت الذي كنا نتناول العشاء ذهب ليخبر الفرنسيين، وبعد فترة قصيرة حاصرتنا قوات فرنسية فكنا نحن الثّلاث مع النّساء في الخيمة ورفاقنا من الجرحى في خيمة أخرى، فقمت بإخبار هؤلاء بالخطر، فقام أحدهم وهو محمّد من المدية بالرد علي قائلا: لا تخافي يا باية ينبغي علي أن أموت قبل أن يلقى عليكم القبض، فاشتبك معهم محمّد إلى أن استشهد وأصيب رفقاؤه، بعد أن قتل اثنين من الفرنسيين، وألقي القبض على بقية الجرحى الـ 13 فبطحوهم

أرضا على ظهورهم، ومرت عليهم الدّبابة ذات السّلاسل وهم أحياء، وقد رأيت هذه الصّورة بأم عيني ولن أنساها..لقد وجدوا لدى محمّد رخص المرور كتبت عليها أسماء الممرضات المتجهات نحو تونس وعددهن 6 بينما كنا في عين المكان ثلاثة أما الثّلاث الباقيات كن في جهة أخرى.. بعدها اختبأن في دشرة من المداشر الموجودة في المنطقة التي تعرضت لعملية تفتيش واسعة بسببنا، وعندها وخوفا من انتقامها من السّكان العزل خرجت من وسط النّساء وقلت: نحن الممرضات اللاتي تبحثون عنهن، أخذوني أنا وحورية ومريم وانهالوا علينا بالضرب ونقلونا على ثكنة واستنطقونا دون أي نتيجة نقلوني من مركز إلى آخر من عنابة، سوق أهراس إلى كل مناطق الجهة الشّرقية ثم على الجزائر فوضعوني في مركز ببن عكنون ثم في مركز بني مسوس ثم أحالوني على النّقيب «Servant» المتخصص في الاستنطاق، طلب مني أن أنتقل معه إلى المنطقة الأولى لأخبره عن مكان تواجد المخابئ، فرفضت، ووضعوني تحت التعذيب اليومي وكشفوا عن عورتي، واحرقوا أعضائي الحساسة بالسيجارة ثم أطلق سراحي مؤقتا أجبرت على الحضور اليومي لدى محافظة الشّرطة...".

وبعد إطلاق سراحها سجلت إحدى صديقاتها اسمها في رحلة إلى باريس نظمتها الكشافة الإسلامية فاغتنمت باية الفرصة وانتقلت مع فوج الكشافة إلى باريس وأقامت عند الأخوات البيض ومن هناك استطاعت ربط اتصال مع بعض الطّلبة المنضويين تحت لواء جبهة التحرير الوطني، وطلبت من هؤلاء مساعدتها على العودة إلى الجبال أو إلى تونس، فأحضروا لها بطاقة مزورة ثم انتقلت إلى فرانكفورت بألمانيا ومن هناك حولت على تونس في سنة 1959، وبعد فترة منحت لها منحة لمواصلة دراستها في سويسرا واختارت تخصص قابلة. وكانت أول من تحصل على دبلوم قابلة، تولت مهامها كقابلة في مستشفى البليدة، مباشرة بعد الاستقلال.

وافتها المنيّة يوم الخميس 02 نوفمبر 2017، عن عمر يناهز 81 سنة ودفنت بمقبرة بوفاريك بولاية البليدة.

نظيرة شتوان

المصادر:

- Boukhalfa Amazit: Baya EL Kahla résistante, L'hérine aux yeux triste, El watan , jeudi 5aout 2004 , p 12, 13.
- Tewfik Hakem: Baya El-Kahla Peau noire, blouse blanche, bilan Mitigiene-in- le monde, jeudi 28 Octobre 2004
- Daniéle Djamila Amrane: Des femmes dans la guerre d'Algérie, Edition originale KARTHALA, Alger 2004, p 80

■ لعساكر إبراهيم بن باعلي لعساكر (1337ه - 1919م / 1433ه - 2012م)

ولد بمدينة بريان (ولاية غرداية) يوم: 08 شوال 1337ه / 07 جويلية 1919م. وتوفّي يوم: 07 شعبان 1433ه / 27 جوان 2012م في مسقط رأسه.

نشأ، واشتغل في مدينة بريان، ولاية غرداية، من عشيرة آل بنّاصر.

شيخ فاضل صالح، حافظ للقرآن الكريم، يتقن تجويد القرآن الكريم بالأحكام، والإنشاد الدّيني الاسلامي، ومعلّم للقرآن، عضو في حلقة العزّابة، ومؤذّن بالمسجد العتيق، ووكيل الأوقاف فيه.

نشأ في أسرة صالحة ملتزمة، متواضعة الحال بسيطة الإمكانيات، بين أبوين صالحين حرصا على تربيته تربية أساسها الدّين، والخلق، والقيم الإسلامية، والاجتماعية.

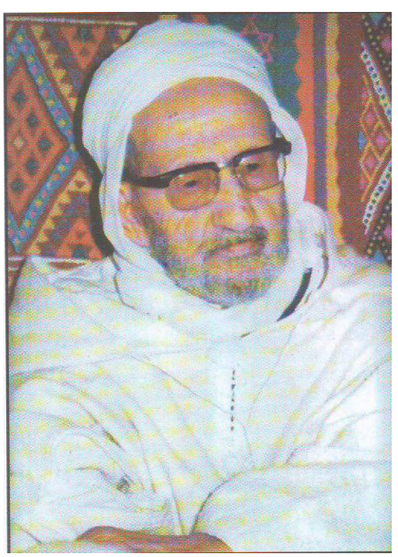

التحق سنة 1927م بمدرسة الفتح القرآنية الابتدائية في مسقط رأسه لحفظ القرآن، وتعلُّم مبادئ العلوم الشّرعية، واللغة العربية، ثمَّ انتقل في 15 مارس 1931م إلى الگرارة حيث أكمل حفظ القرآن الكريم كاملا، واستظهره على معلّمه الشّيخ: عمر بن الحاج سعيد أبسيس، ثمَّ مرَّة ثانية على إمام المسجد الشّيخ: أحمد بن إبراهيم حميد أوجانة، وانخرط بعد ذلك مباشرة في حلقات العلم لمواصلة الدّراسة المتوسّطة، والثّانوية في معهد الحياة.

عاصر في تلك المرحلة (مرحلة الدّراسة) الحركة الوطنية، والاصلاحية في أوجّهما، فقد تتلمذ أثناءها على يد رائد الحركة الاصلاحية في الجنوب الجزائري: الشّيخ إبراهيم بن عمر بيُّوض، وغيره من أقطابها في الگرارة خاصّةأيّام دراسته على يد أساتذة، وطنيِّين إصلاحيِّين أمثال:

- الشّيخ إبراهيم بن عمر بيُّوض.
- الشّيخ سعيد بن بالحاج شريفي (الشّيخ عدُّون).
- الشّيخ بكير بن عمر بيُّوض.
- الشّيخ عمر بن صالح أدَّاود.
- الشّيخ إبراهيم بن باحمد حجَّاج.
- الشّيخ قاسم بن اسعيد لبسيس.

وبعد تخرُّجه من معهد الحياة سنة 1943م، تولَّى تعليم القرآن للأطفال الصّغار بالكتاب (المحضرة)، ثمَّ بمدرسة الفتح القرآنية التي تخرَّج منها بالأمس القريب، معلِّما للقرآن، والعلوم الشّرعية، واللغة العربية من سنة 1946م إلى أن تقاعد سنة في 15 جوان 1983م؛ إضافة إلى تعليم البنت لأوَّل مرَّة في تاريخ البلدة يوم 22 جوان 1947م، فكان هو المؤسّس الأول لتعليم البنت، الذي كان إلى ذلك الحين من الطّابوهات الاجتماعية في المجتمع المزابي المحافظ.

تخرج على يديه العديد من الطّلبة النّجباء، نجحوا في حياتهم العلمية، والعملية، منهم من حمل مشعل التربية، والتعليم في البلدة، وخارجها، ومنهم من تدرَّج في المعاهد، والجامعات الجزائرية حتى غدوا إطارات سامية في مناصب عالية في الدّولة الجزائرية، منهم على سبيل المثال:

- الدّكتور داود بن عيسى بورڤيبه.
- الشّيخ محمّد بن بكير أرشوم.
- الشّيخ النّاصر بن أمحمّد حريزي....

كان له تأثير بيِّن في ميدان التعليم، إذ طوَّر طريقة التعليم في الكتاب (المحضرة) من التلقين التقليدي لآيات القرآن، إلى التلقين الملتزم بقواعد، وأحكام التجويد؛ وبمبادرته الشّجاعة في تعليم البنت، وترسيخ قواعده في المنظومة التربويّة إلى يومنا هذا؛ وإحياء الأفراح الدّينية، والاجتماعية بتجويد القرآن الكريم، وأداء الأناشيد الوطنية، والدينية، والحماسية رغم مراقبة، وملاحقة الاستعمار، ومنعه لكلِّ ما يحمل روحا، وطنية، ودينية توعوية للفرد والمجتمع.

كان يحمل فكرا إصلاحيا، وطنيًّا، مناصرا للحركة الإصلاحية تحت قيادة الشّيخ بيُّوض، وزملائه، يسعى جاهدا، وبمختلف الوسائل، والأساليب إلى ترسيخها في المجتمع لتوحيد صفوفه حولها، وبعث الرّوح الوطنية في أبنائه، والدعوة إلى الانخراط في العمل الجهادي الثّوري لتحرير الوطن، عندما قامت الثّورة التحريرية، سخر بستانه لاستقبال قادة جيش التحرير الوطني، وإطعامهم، وحمايتهم عن أعين الاستعمار، وأذنابه.

إلى جانب نشاطه التربوي التعليمي الذي كان عمله الرّئيسي في حياته كلِّها، كان له حضور فعَّال في حلقَّة العزَّابة منذ أن عُيِّن فيها عضوا في 15 مارس 1947م، وبعد أن ترأَّسها في 08 أكتوبر 1981م إلى يوم، وفاته، ونشاط متميِّز مع زملائه في التدريس في تنظيم رحلات تدريبية، وسياحية ترفيهية استكشافية إلى جهات مختلفة من الجمهورية الجزائرية، إضافة إلى العمل الاجتماعي الخيري في عشيرته التي كان رئيسها لسنوات عديدة إلى أن أقعدته الشّيخوخة.

كما كان من المهندسين الأساسيِّين في تنظيم الأعراس الجماعية المسجدية في بلدته بريان، لثلاثة عقود كاملة، من سنة 1982م إلى سنة 2012م

وجعل من بيته صالونا أدبيا منتظَما ليومين في الأسبوع، يؤمُّه المثقَّفون، والمعلِّمون، والباحثون، ونخبة المجتمع من داخل البلدة، وخارجها، للمطالعة، والاستفسار عن معلومات تاريخية عن تاريخ الجزائر، والمنطقة خصِّيصا، فهو يعتبر حافظا موثوقا لتاريخ المنطقة، والحركة الإصلاحية فيها، وهو أيضا نسَّابة البلدة.

وكان من عشَّاق الكتاب مطالعة، وبحثا، واقتناء، ما جعله يسعى إلى اكتساب مكتبة قيِّمة غنيَّة بأمَّهات الكتب الدّينية، والتاريخية، والأدبية الرّفيعة، تحتوي على المئات من العناوين، أوصى بها، وقفا لمكتبة مدرسة الفتح بعد، وفاته.

وكان دائم الدّعوة، والعمل إلى جمع أطياف المسلمين في البلدة بكلِّ مذاهبهم، ومشاربهم، وأعراقهم، وعشائرهم، لتوحيد صفوفهم، وكلمتهم، ومواقفهم حول القضايا المختلفة التي تهمُّ البلدة، والمجتمع، ومن أهمِّ مظاهر سعيه هذا، جمعه لكلِّ أعيان المجتمع، والطّلبة، والأساتذة، والنّخبة المثقَّفة فيه، والسّلطات المحلِّية الرّسمية، وذلك في ليلة السّابع، والعشرين من شهر رمضان في كلِّ عام، وفيه يتمُّ التوافق، والاتفاق على كلِّ ما يهمُّ البلدة، والمجتمع للعام القادم، ومعالجة المشاكل، والاشكالات التي اعترضت جهود النّخبة خلال العام المنصرم؛ وتواصلت هذه اللقاءات في بيته العامر من سنة 1982م التي تحمَّل فيها هذه المسؤولية ممَّن سبقه إليها الشّيخ: عمر بن سليمان بودي (الطّالب) بعد، وفاته، فقام بها بصدق، ووفاء إلى سنة، وفاته 2012م.

ومَّما حفظ من أقواله، وتداوله المجتمع:

- البيت الذي لا يخلو من ضيفٍ، ودعاء، لا يخلو من الخير، والبركة أبدا.
- تُصنع الشّعوب بالفنِّ، والتمثيل.
- بيت الرّجال، ولا بيت المال.
- إبليس ينهى عن المنكر.
- أجسام البغال، وعقول العصافير.
- أنْبَتْ، تنبَتْ.

يوسف بن يحي الواهج

المصادر:
- نور الدّين بن يوسف زيطاني، نبذة تاريخية للشيخ الزّعيم، مارس 2007م
- يوسف بن يحي الواهج، إبراهيم بن باعلي العساكر، نشر جمعية الأمل الرّستمي، سنة 2013م.

■ لعماري محمّد
(و: 1350ه - 1932م/ت: 1416ه - 1995م)

ولد المجاهد لعماري محمّد بن عبد القادر المدعو المقراني سنة 1932 بمدينة البيض.

التحق المجاهد بالحركة الوطنية في مسقط راسه وعمره لم يتجاوز 13 سنة حيث تم تشكيل لجنة الحركة الوطنية في المنطقة وكان هو من ضمنها. رفقة الكثير من المناضلين منهم بن ديدة الشّيخ، الحسني إدريس، زواوي سي بقاسم، مولاي محمّد بن محمّد، بورنان خليفة، وقد استمر نشاطه داخل هذه اللجنة مما ادى بالسلطات الفرنسية إلى اعتباره من الخارجين عن القانون والمتمدردين ضد السّلطة الفرنسية فألقت عليه القبض.

استمر نشاطه خارج البيض بتكوينه لجان للحركة الوطنية في كل من الكاف لحمر وبوقطب والرّقاصة وبوسمغون والرّبوات والأبيض سيدي الشّيخ والمشرية وعين ماضي والأغواط، وعين سيدي علي، أولاد يعقوب بنو هلال وتاجرونة (أفلو)، ومدريسة وسوقر (تيارت) ومن بين الشّخصيات التي كانت في هذه

اللجان حسب ما ذكره هو في مذكراته

وللإشارة فإن لعماري كان يربطه اتصال مع الدّكتور نقاش محمّد الذي كان يدعمه سياسيا ويمده بالأدوية.

نشاطه أثناء الثّورة:

من أهم مسؤولياته اثناء الثّورة

- قيادته لمنطقة الهضاب العليا الشّاملة البيض والأبيض سيدي شيخ وأفلو والأغواط.
- قيامه بحملة توعية واسعةبين ا لمنا ضلين
- التنقل من ناحية الى أخرى بحثا عن السّلاح والذخيرة
- شارك في معارك ثورية منها معركة قنطرة اولاد سعدون 1955 التي كانت بمثابة كمين اقامه المجاهد ورفاقه على هذا الجسر للإيقاع بقافلة من جيش العدو.
- وايضا قاد معركة الرّقايق التي وقعت بتاريخ 2 اكتوبر 1956 وعن هذه المعركة يروي المجاهد قائلا،...» انطلق أول قرطاس بأفلو بمكان يدعى بالرقايق وبالشويحية قرب تاويلة بين البيض وأفلو، انطلقت المعركة على السّاعة الثّالثة مساء من هذا اليوم الثّاني من أكتوبر 1956،إذ نصب كمين للجيش الفرنسي كانت خسائر العدو فادحة في الأرواح والعتاد التي حرقت عن آخرها وغنمنا 73 بندقية مختلفة الأنواع و8000 قرطاس من الذخيرة ومذياعين للاتصال، كما ألقينا القبض على ضابطين وثلاثة من العساكر، في حين لم يمت سوى مجاهد واحد فقط....»

توفي المجاهد لعماري محمّد يوم 8 جوان 1995 ودفن بمقبرة الشّهداء ببللدية الرّقاصة ولاية البيض

نظيرة شتوان

المصادر:

- فطيمة الزهراء حوتية، السّياسة الفرنسية في الجنوب الغربي الجزائري وردود فعل الثّورة التحريرية، اطروحة دكتوراه في تاريخ الثّورة الجزائرية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، ال جزائر2017.ص 130.

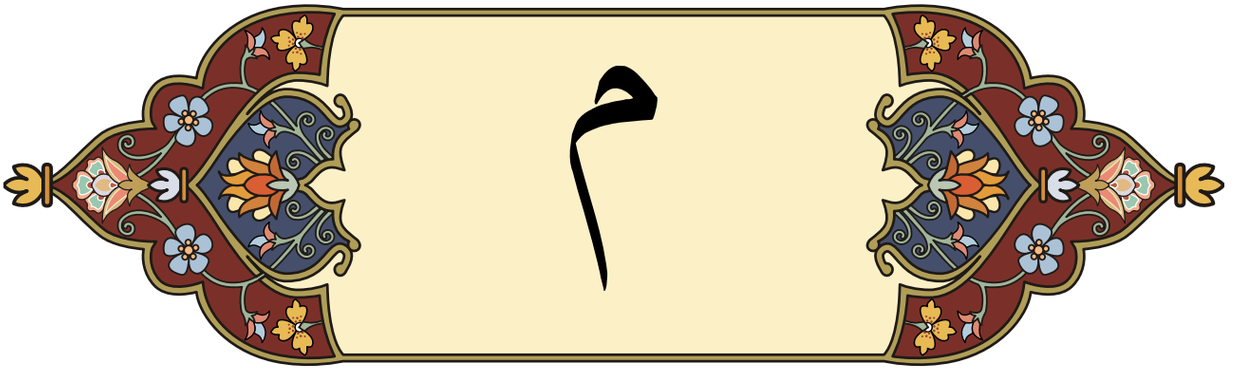

■ مامة بنت سليمان ابن إبراهيم، بَابَّاز
(و: 1280ه - 1863م /ت: 1349ه - 1931م)

زعيمة وعالمة من عشيرة أولاد يونس بغرداية، أخذت مبادئ الفقه واللغة عند الحاج بحماني المليكي، وعند بوهون أوموسى، وحفظت نصف القرآن الكريم حفظا جيِّداً، ثمَّ أكملت دراستها على يد زوجها الأوَّل يعقوب عرنوث، وكانت تعتمد على مؤلَّفات القطب امحمّد ابن يوسف أطفيش في الإفتاء.

تولَّت رئاسة عزابيات غرداية بعد مامة بنت بلحاج سنة 1905م، وترأَّست مؤتمراً كبيراً من مؤتمرات «لا إله إلاَّ الله». وهو مؤتمر دعويٌّ لنساء بميزاب يعقد سنويًّا.

قادت مواجهة اقتصادية ضدَّ المستعمر الفرنسي في المنطقة، فحرَّمت على النّساء اقتناء بضائعه، وحرَّمت حتى الحديث بلغته، وكانت قراراتها تلك تأخذ صفة القانون، وتطبَّق في جميع قرى وادي ميزاب، خاصّة القرارات التي تصدرها في المؤتمر.

ومن نشاطاتها العلمية تنظيمها لدروس أسبوعية، وأحياناً تنظِّم درسا إلى ثلاثة في الأسبوع، تفسِّر فيها أحكام الدّين ومعاني القرآن الكريم باللغة الميزابية للنساء.

ولها مراسلات عديدة مع الشّيوخ العلماء.

يقول عنها الشّيخ أبو اليقظان في كتابه «فذات الإباضيات»: «قمر تدور حول فلكه نجوم ثواقب في سماء غرداية، مصدر العلم والنّور والمعرفة... قلعة الأمر والنّهي، رهيبة ترتعد منها فرائس العصاة والفسَّاق».

وقد اعتبرها صاحب كتاب «ثورات النّساء في الإسلام» واحدة من اثنتي عشرة امرأة اشتهرن بمواقف بطولية في العالم.

قال عنها الشّيخ القرادي:...أكثر القضايا التي يتحدثن فيها هي الأمور المستحدثة لاسيما بعد الاحتلال الفرنسي، فقد أصدرت تحت قيادة «مَامَة نَ سْلِيمَان» رئيسة نساء غرداية أيام الاحتلال في 1882 قائمة من الأوامر الصّارمة لمقاطعة كل ما هو فرنسي من لباس وعطور وأحذية إلى آخر القائمة، وقد ذُكرت هذه المرأة باسمها وبقائمة الأوامر التي أصدرها ملتقى «لا إله إلا الله» في كتاب «ثورات النّساء في الإسلام» للكاتب الإيطالي أومتليو جوريو.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- أبو اليقظان: فذّات الإباضيات (مخ) 23
- أبو اليقظان: ملحق السّير (مخ)
- فخار حمو: رسالة فيها تراجم مشاهير النّساء بغرداية (مخ) 2
- جوردون بيرون: ثورات النّساء في الإسلام
- علي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ح4/ 584
- الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، 177
- أعوشت وكروم: مسلمات، 100.
- راس النّعامة عمر: نبذة من حياة مامة بنت سليمان، (مخ)، كلُّه.
- ملاحظات: ينطق اللقب بالتفخيم، ويكتب أيضاً: بَبَّاز.
- ينظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، المطبعة العربية -غرداية، ط1، 1999، ج4، ص742.
- Goichon: La vie feminine au MZAB، 1/ 221-237، 2/ 244-258.

■ مبارك بن عبد القادر خويض
(و: 1317ه - 1900م/ت: 1387ه - 1967م)

هو السّيد مبارك بن عبد القادر خويض من مواليد سنة 1900م بحي زاوية حينون بأولف، تلقى تكوينه الأول في الكتاتيب القرآنية بمسقط رأسه. ولما اشتد عوده وقف على فظاعة الاستعمار بالتعذيب الذي تعرض له أعيان حيه زاوية حينون ومنهم بعض أقربائه، بتهمة التآمر على فرنسا ومحاولة الثّورة عليها.

اختار الهجرة نحو الشّمال طلبا للرزق، فاستقر بالعاصمة وامتهن الخرازة كحرفة بحي القصبة. ولما ظهرت الحركة الإصلاحية كان من المواظبين على حضور دروس الشّيخ الطّيب العقبي بنادي الترقي فتأثر به كثيرا، فانخرط في العمل الخيري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالاهتمام بالأيتام والأرامل والمدارس. وكان بيته رحمه الله مأوى للغريب وذي الحاجة.

كان رحمه الله سلفيا في اعتقاده، شديدا على البدع والخرافات، ناقما على الطّرقيين، مجاهرا بالحق صادعا به لا يخاف في الله لومة لائم. ولما وقع الشّرخ في جمعية العلماء المسلمين بين الشّيخ الإبراهيمي رحمه الله وأتباعه من جهة والشّيخ العقبي

رحمه الله من جهة ثانية، إنحاز إلى صف الشّيخ العقبي، فقام مجموعة من الشّبان الإصلاحيين في هذه الظّروف بتأسيس جريدة « عصا موسى»، وطلبوا من السّيد مبارك بن عبد القادر تبني الجريدة فكانت تصدر باسمه باعتباره صاحبها. ظهر العدد الأول منها يوم الخميس 21 رمضان1369 هـ الموافق لـ 06 جويلية 1950م، وكان مقرها بـ11 نهج بلو-الجزائر.

وبقراءتنا لموضوعات العدد الأول من الجريدة نجد مقالا بعنوان «الإمام الشّيخ العقبي يتحدى» ومنه يمكن استشفاف اتجاه الجريدة المعبر عن هوة الخلاف القائم آنذاك بين الطّرفين.

كانت له علاقات واسعة مع قادة الحركة الوطنية أمثال فرحات عباس وقادة الثّورة فيما بعد، الثّورة، حيث كان منزله مركزا للنشاط السّياسي يلتقي فيه أهل الجنوب بالعاصمة، وكانت منطلقا لانخراط العديد منهم في حزب الشّعب وحركة الانتصار.

بعد الاستقلال استمر على دربه في الدّعوة إلى تطهير العقيدة مركزا جهوده على المقيمين بالعاصمة من أبناء منطقته، حاملا هموم الأمة الاسلامية في قلبه، ومن بينها هم فلسطين والمسجد الأقصى. وتكالبت عليه أنواع شتى من الأمراض فهدت جسده.

ولما وقعت النّكسة العربية الكبرى، سنة 1967م، لم يستطع قلبه تحمل الصّدمة فانتقلت روحه إلى بارئها في التاسع عشر من شهر أوت من نفس السّنة. فتقبله الله قبولا حسنا وتغمده برحمته الواسعة.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- حكوم سليمان بن محمّد، ورڤلة المجاهدة، غرداية، دار صبحي للنشر والتوزيع، 2016.
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للترجمة والنّشر والتوزيع، 2007.

■ مبارك بن قادي حمودة
(و: 1322ه - 1905م/ت: 1419ه - 1999م)

السّيد مبارك بن قادي حمودة من مواليد 1905م بزاوية حينون أولف. التحق بالكتاتيب القرآنية في سن مبكرة حيث حفظ القرآن على يدي الشّيخ أحمد النّعمة منصوري. ولقد أوتي السّيد مبارك حمودة موهبة الحفظ وسرعة التعلم، إذ أتقن مهنة الخرازة واتخذها وسيلة لكسب قوته. وكان فيها من المجيدين بحيث كانت سلعته لا تعرف الكساد بل الطّلب عليها في أغلب الأحيان يفوق قدرته على الانجاز. ونال على هذه الصّنعة الكثير من الجوائز وشهادات التقدير والعرفان.

ولقد قادته هذه الحرفة إلى الانتقال والتجوال في كثير من البلدان، حيث استقر حينا من الدّهر في تيميمون، أهنت، تندوف وأدرار التي أقام بها حوالي سبع سنوات. وتعلم فيها بالإضافة إلى مهنة الخرازة الكثير من الفنون الشّعبية كالضّرب على الدّف والإيقاع على النّاي والمزمار... إلخ.

بعد عودته إلى مسقط رأسه انصرف إلى الاطلاع وحفظ المتون والقصائد والاشتغال

بأشعار المتقدمين من شعراء المنطقة وعلى رأسهم ولد سيد الحاج، فتكونت لديه ملكة القريض مبكرا، فأنشأ الكثير من القصائد في شتى الأغراض. وكانت أول محاولة له سنة 1950م، وهي عبارة عن قصيدة استغاثة واستنهاض لهمم النّاس قصد الوقوف في وجه الكفار الذين غزوا المنطقة. منها هذه الأبيات:

باسم الله باش بديت
مولانا هو الرّحيم
يشرح قلبي باش نقول
والصّلاة على محمّد
نبدا بالقول المذكور
لا إله إلا الله بالنّور
تشفع في صحرا وتلول
تنفعني في وسط ابداني
جيتك طايح بالزّبور
يا رب هين الأمور

حتى وصل إلى قوله:

نهيفوا قوم الكفارة
وانلوحوهم في النّيران
تاكلهم بالله غبارة
حرمة نبينا المختار

ولما فجَر الفرنسيون القنبلة الذرية في صحراء رڤان، قال:

أنا يا الاخوان نظم هذا القول
على ذا الصّحرا دخلت غبينة
دخلوها كفار ما فيهم أمان
طلقوا لينا قنبلة فيها شينة
فيقوا يا الاخوان وتجمعوا في دار
شوفوا ناس خيار يعودوا منا
نفيدكم بكلام من هذا اللي صار
باش تفيقوا كل وتجيكم زينة

إلى أن قال:

طلبنا ربي يكمل هذا القول
على ذا الكافر طردوه علينا
لو قعد في الصّحرا حرام عليه يزول
ولو قعد فيها يفسدها لينا

وواصل قصيده قائلا:

الحمد لله عربنا فياق
يعرفوا ربي بالطّريق الزّينة
فرنسا راحت جمعوها في دار
لا يبقى منها راس تزول علينا

وأثناء الاعتداء الأمريكي على العراق سنة 1991م، لم يستطع السّيطرة على مشاعره فجادت قريحته بقصيدة عصماء منها هذا المقطع:

الحمد لله تعينكم يا ذا المسلمين
من هذا الكفار تغمهم ثم أجمعين
المريك واليهود شاعوا في ذا الزّمان
ينصر العراق بالله يطمرهم في غار
يولوا حشمانين يا لله دمرهم تدمار
من حق المسلمين ذاك فلسطين
المسكين
هلك المساكين والنّاس جملة كاملين
قتلوهم بالسّكين والرّصاص ماتوا
كاملين
ينصر العراق يا لله على الكافرين
وإيران هي تعاونوا بفضلك يا معين
نحن جزائر كلنا عدنا مهمومين
من هذا الكافرين يا الله دمرهم في الحين
اليهود والمريك تجبروا حقا في ذا
الزّمان
حيدهم يا رب كلهم من هذا المكان

كما أتاه الله لحنا مميزا استعمله للتغني بقصائد مدح الرّسول في شهر المولد. وكان صوته من القوة بمكان بحيث يعجز الجميع عن مجاراته أو محاكاته. ولم يمنعه سنه المتقدم من الانخراط في حلقات الدّرس للشيخ محمّد باي حيث كان يحضر دروسه وندواته فحفظ وهو في سن متقدمة متن أسهل المسالك في الفقه، وكتاب حياة الاسلام، وكثير من منظومات الشّيخ محمّد باي.

وكان في آخر عمره يشغل نفسه بتكرار وصايا أبي هريرة ويرددها على مسامع من يأتي لزيارته من باب النّصح للناس وحب الخير لهم. ولقد فسح الله في عمر الشّيخ الحاج مبارك حموده وبارك له فيه، حيثالتحق بالرّفيق الأعلى عن عمر تجاوز التسعين عاما. ورغم شيخوخته كان ذا ذاكرة وقادة نادرة وحافظة ليست حتى عند الشّباب. وكان فراقه لهذه الدّنيا في يوم 20 يناير1999م، فتقبله الله في الصّالحين وأعلى مقامه في عليين.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للنشر والتوزيع والترجمة، 2007.

■ محمّد أبو عبد الله التلاليسي
(و:7060ه - 1359م/ت:767ه - 1366م)

محمّد أبو عبد الله بن أبي جمعة بن علي التلاليسي التلمساني، شاعر وأديب وطبيب، نبغ في عائلة اشتهرت بالطّب، تجمع المؤلفات على قلتها التي أرخت لعالمنا أنه ولد سنة 1359 م الموافق لـ 760هـ، أما وفاته فكانت سنة 1366م الموافق لـ 767 هـ بتلمسان الجزائرية، في عهد الدّولة الزّيانية.

راجت مهنة الطّب ولقيت عناية وإقبالا في تلمسان خلال العهد الزّياني، إذ حرص الأطباء والعلماء على تدريس العلوم الطّبية بفرعيها النّظري والعملي للطلبة، في بعض مساجد تلمسان ومدارسها، وفي البيمارستان التي كانت تحتوي على كراسي لتدريس هذا العلم. حيث حرص سلاطين بني زيان وذوو النّباهة من أبناء تلمسان وعلمائها على العناية بالطّب، ومثله أيضا عنايتهم بالعلوم الأخرى الرّائدة، من مثل

العلوم الدّينية والآداب، وقد ساعدها ذلك اقتناء نفائس كتبها، وتجميع مصادرها من المغرب والأندلس والمشرق، وبذلك تعددت مصادر العلوم بخزائن تلمسان ومكتباتها في الطّب والصّيدلة والعلوم الطّبيعية والبيطرة وعلم النّبات وغيرها، وقدوجد الطّلبة في هذه الكتب والرّسائل العلمية ظالتهم وراحوا يشتغلون على هذا العلم الحيوي حتى شاعت تلمسان واشتهرت بالطّب آنذاك.

كان التلاليسي، جراحا ممتازا، ذائع الصّيت وقد ازداد شيوعا تلك العملية الجراحية التي قام بها لأمعاء السّلطان أبي يعقوب المريني، وأخاط الجرح الذي أحدثه في بطنه، بالمنصورة كطبيب محترف، فاختصه السّلطان أبي حمو موسى الثّاني لنفسه، وصار طبيب البلاط.

والتلاليسي الذي عُرف واشتهر بتلك العملية الجراحية كان شاعرا فذا له من القصائد في المديح ما يرقى إلى شعر الذهب، ومن ذلك قوله في مدح تلمسان:

سقا الله من صوب الحيا هاطلا وبلا
ربوع تلمسان التي قدرها استعلى
ربوع كان بها الشّباب مصاحبي
جررت إلى اللّذات في دارها الذيلا
فكم نلت فيها من أمان قصيّة
وكم منح الدّهر الظنين بها النّيلا
وكم غازلتني العيد فيها تلاعبا
وكل عذول لا أطيع له قولا

ومثله أيضا في رثاء أبي يعقوب والد أبي حمو موسى، حيث يقول:» قال الطّبيب أبو عبد الله محمّد التلاليسي في رثاء أبي يعقوب والد أبي حمو موسى سلطان تلمسان»

كاس الحمام على الأنام يدور
ما ان لها إلا القضاء مدير
وكذا الليالي لا وفاء لعهدها
ان اقسطت يوما فسوف تخور
فجمعت بمولانا الأمير وخلّفت
في الدّمع آهات الجفون تغور
مولاي يوسف والد الخلّف الذي
منعاه خطب في الوجود كبير

وما يلفت الانتباه هنا هو عبارة قال الطّبيب، فقد اشتهر بالطّب لا بالشّعر، والحمام هنا بكسر الحاء بمعنى الموت.

أمينة طيبي

المصادر:

- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثّقافية، بيروت، بنان، ط2، 1980.
- نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، أحمد بن محمّد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1968.
- قصيدة الرّثاء تجدونها بخيط يده في كتاب:
- CONTES ARABES، EXTRAITS DES MANUSCRITS ، de la BIBIOTHEQUE NATIONALE par florence GROFF Elève a l'école des Langue Orientales vivantes ، PARIS، ERNEST LEROUX Editeur ،1988 .

■ محمّد أبو عبد الله المغوفل
(و:828ه - 1424م/ت: 923ه - 1517م)

محمّد أبو عبد الله المغوفل من أعلام القرن التاسع هجري ومن أشهر الصّوفية بالمغرب الأوسط من مواليد 828 هجري بالونشريس وكانت له حظوة فعند قدوم العثمانيين للمنطقة لجأ إليه السّاكنة نظرا لسلطته الرّوحية وتأثيره القوي.

ولد أبو عبد الله عام 828 هجري بمنطقة الونشريس عند قبيلة بني تغرين لعائلة مشهورة بالعلم والتقوى خاصة جده واضح الملقب بالفركون إضافة عيسى ولها نفوذ ديني قوي لدى القبائل البربرية والعربية على حد سواء وكانت له فرصة تأدية مناسك الحج وإنتقل لتونس حيث تقلد مرتبة المشيخة وهي من المراتب الصّوفية في بلاد المغرب وتتلمذ على يد أحمد بن احمادوش وعلي الجوثي واستقر ببلاد مغراوة ناحية واد أرهيو وأصبح يطلق عليه أبو عبد الله المغرواي وترك إرثا علميا حقيقا متجسدا بشعر في غاية الجمال.

ترك أبو عبد الله تراثًا علميًا متمثل في أشعار في مدح النّبي عليه الصّلاة والسلام وذكر الأولياء والصلحاء من القرن 6 هجري لغاية 9 هجري أي ذاكرة وأرشيف للعلماء خاصة أن الفترة التي عاصرها الشّيخ كانت غير مستقرة على الصّعيد السّياسي حيث شهدت منطقة بلاد المغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الموحدية حروباً طاحنة بين الزيانيين الحفصيين والمرنيين والتي أثرت على استقرار القبائل وكذلك على العلماء أطلق الشّيخ على أشعاره عنوان: " فلك الكواكب وسلم الرّقيا إلى المراتب "

تعد قصيدة فلك الكواكب وسلم الرّقيا إلى المراتب من أهم الأعمال الشّعرية للقرن 9 هجري في العهد الزياني وشمل بلاد المغرب الأوسط عامة وإقليم البطحاء خاصة، الذي يضم سهول غليزان والشلف إضافة لقلعة بني راشد وتناول العلماء والصلحاء ابتداء من القرن 6 هجري و9 هجري والجميل في أشعار الشّيخ أنه ذكر شيوخه عرفانا ورد الجميل لهم وتضم القصيدة حوالي 240 بيتاً شعريا.

نزل فيها كثيرون كالغيث
شيخ شيوخنا علي الجوثي
نجم السّعود حل بالمنازل
ونوره مستمر لا يأفل

نظم الشّيخ قصيدة أخرى لمدح النبي r وسماها بالقصيدة الصّماء وأشار إليها أبو راس النّاصري لأن كل حروفها غير منقوطة وتضم 70 بيتًا شعريًا.

شهد القرن 10 هجري صراعات سياسية بين الأمراء الزيانيين لتولي سدة الحكم إضافة للثورات الدّاخلية التي قادها عبد الكريم المغيلي وأحمد بن يوسف التي كانت ضد سياسة الزيانيين التي جعلت لليهود في دواليب السّلطة مكانة لم يحلموا بها مما قوي استبدادهم وتحكم في النّشاط الإقتصادي القائم على الربا. وساد بلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني حالة اللاأمن بسبب ظاهر قطع الطّريق وإفساد السّابلة من قبل قبائل محاربة شرسة تخرج في جماعات من الفرسان مسلحين ونشروا الرّعب والخوف في النّاس الذين تركوا أراضيهم ونشاطهم الاقتصادي ولجأوا للجبال مما أسهم في تدهور خزينة الدّولة القائمة على جباية المغارم لكنهم كانوا يحترمون الشّيخ ويهابونه لإعتقادهم الولاية فيه إذ توسط مرة لأحمد بن يوسف وأرجع له ما نهب منه من قبل القبائل.

وكانت له قصة مع زعيمهم حميدة العبد الذي أراد مصاهرة الشّيخ لكن الأخير رفض. وكل هذه الأمور مهدت للاحتلال الإسباني للموانئ الزيانية مثل تنسومزغران ووهران ومرسى الكبير مما أدى لتدخل العثمانيين بقيادة الأخوين عروج الذين رفعوا راية الجهاد وعند دخولهم للمنطقة الغربية للجزائر استنجدوا بأبو عبد الله نظرًا لنفوذه ونظرًا لكبر سنه أرسل إبنيه عمار وأمحمّد بن فغول للجهاد ناحية تلمسان ونظرًا لخدمته النّبيلة قلد العثمانيون أبناءه وأحفاده بمقاليد مشيخة المنطقة لغاية دخول الاحتلال الفرنسي.

توفي أبو عبد الله بعد أن عمر طويلاً عام 923 هجري ودفن شرق واد ارهيو بجانب ضفة واد السّلف وأقيمت عليه قبة التي أصبحت مزاراً يقصده النّاس.

خلدت ذكرى أبو عبد الله من قبل النّاس خواصهم وعوامهم وجعلوا له مناسبة في كل بداية خريف تمجيدًا لذكراه ويقام على شرفه احتفالات تضرب من أجلها الخيام تنشطه مجموعة من الفرسان مشكلين عروض فانتازيا ساحرة والفرق الفولكلورية والشعراء والمداحين والقصاصين القادمة من مختلف الوطن بالإضافة للمغتربين الذين ينتظرون المناسبة بفارغ الصّبر لإحياء صلة الرّحم والالتقاء مع الأحباب والضيوف في أجواء بهيجة والأمر البارز في هذه الوعدة الكرم والجود وإعداد طبق الكسكسي بمختلف أنواعه.

وتعد المناسبة فرصة للتجار المتوافدين من أرجاء البلاد والذين ينشطون ويكسرون هدوء المدينة ويجلبون معهم مختلف السّلع والبضائع لتلبية حاجيات زبائنهم.

وتعد الأغاني الممجدة لأبو عبد الله العلامة المسجلة للشيخ وأشهرها على الإطلاق قصيدة: أنا بالله بك يا سيدي بوعبد الله والتي أعادتها الفرق النّسوية المداحات بمناسبة الأعراس والأفراح.

هند موساوي

■ محمّد الحسن بن محمّد بن مالك
(و: 1283ه - 1866م/ت: 1352ه - 1934م)

السّيد محمّد الحسن بن محمّد بن الحاج أحمد بن محمّد بن مالك الفلاني. ولد سنة1283هـ الموافق لـ 1866م، بساهل من أقبلي (دائرة أولف). دخل الكتاب في سن مبكرة وتلقى العلم على يدي عمه حمزة بن الحاج أحمد والمختار بن أحمد العالم. تبحر في علوم اللغة والفقه والحديث، ودعم تكوينه بالرّحلات والجولات في ليبيا ومالي وغيرها أين التقى بالعلماء والأعيان، فأصبح محط أنظار معاصريه وموضع تقديرهم أمثال الشّيخ باي بن عمر الكنتي ومحمّد بن بادي، محمّد بن البكاي والشّيخ المختار بن اسماعيل السّلاوي. كما أجازه الكثير من كبار العلماء من بينهم:

- العلامة حمزة بن أحمد بن مالك،
- محمّد بن أحمد الحبيب البلبالي،
- العلامة المختار بن اسماعيل بن وديعة الله السّلاوي.

تصدى للتدريس والفتوى في بلده ساهل بأقبلي، كما تولى لعلمه وورعه وظيفة قضاء الجماعة. له مناظرات مع معاصريه، منها مناظرته مع السّيد محمّد بن بادي الكنتي، أحد علماء الصّحراء المالية، في اثبات الشّفعة في البيع، والتي اختتمها بقصيدة منها هذه الأبيات:

سلام طيب وثني جميل
على من خصه المولى الجليل
بعلم ثم فضل لا يوازى
من الأقطاب أنت لهم سليل
محمّد سيدي قد فقت فهما
صفيا ذو تقى بر مثيل
أتاني من لدنك كتاب شعر
على رسم أتوك به نقول
فتلك شهادة تحتاج شرحا
فمات ولم يفصلها الأصيل
بذاك الصّك من كل جزء
وبالتفصيل يرتفع الذهول

وواصل حتى بلغ:

محمّد بن بادي لا تلمني

عـــن النّهج السّـــوي لا نميل
وظنك صادق من دون ريـــب
وقـول الـخصـــم زور أو خطيل
ولم نـحكم بأصل أو بفـــرع
بغـــير الحـــــق حكمـا يستحيل
ولا تصغوا لكـــذاب أتوكم
بزخرف كذبـهم وبه يـجـــول
ولا تجزع فـــإن لكل قـــوم
من العديان في العلما يقـــول

ومن قصائده القصيدة التي قالها بمناسبة زيارة محمّد العالم بن سيدي العابد الهاملي الكنتي، وفيها:

إلى السّيد الأرضى المكرم الأصعد
سري المزايا ذي الـمكارم الأمجد
بعيد المدى سهل الخليقة هـين
حليف العلا محمّد العالم النّدي
فتى قد حـوى سبا الفتوة كلها
وأحرز قصب السّبق في كـــل مشـــهد
كـــريم منيل المعتفين مناهم
وجاديه ينثني بما جاء يـجـتدي
سليل التقي سيد العـــابد الـــولي
كفـــاك به مـــن عـــابد متزهد
فمـــوجبه أني إلى الله ضـــارع
بجاهـــك عـنده ليسني مقـــصدي
فإن يك للمولى الدّوعلي ضـــارعا
بعصبة صدق ســـادة ذي تعـــبد
وفاز بما يرجو ونـــال مـرامه
وخص بفخـــر دائم متعدد
فإني بذا النّدب المكرم مكتف
فحسبي به من كل مـــا أرتـجـيه قدي
أؤمل أن أحظى بما أرتـــجيه مـــن
منال ومـــن فضل وخير مســـرمد
أيا خلّف الهدى خلّفت الآباء في
السّجايا وفي كـــل العـــلا والتعبد
ويا نخبة الصّيد الهداة الألى علا
علاهم سنا فوق السّمـــاك والأسعـــد
فعـــار عليك أن أمـــد يدي إلى
نداك ولم تنجح بكل الـمنى يدي
ولم لا وليس في كناتة عصرنا
مجاريك في حـــلم وفخـــر وسؤدد
وبعد صلاة الله ما دامت الدّنا
على أحمد والآل والصّحـــب ذي
الـمـد

ألف في النّحو شرحا على مقدمة ابن أجروم، سماه « تفريج الغموم على مقدمة ابن أجروم".

توفي رحمه الله بأقبلي سنة1352هـ (1934م

قدي عبد المجيد

المصادر:

- بلعالم محمّد باي، الرّحلة العلية إلى توات، الجزائر: دار هومة للنشر، 2005.
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ أولف، الجزائر: دار الأبحاث للترجمة والنّشر والتوزيع، 2007.

■ محمّد الرّايس
(و: 1330هـ - 1912م/ت: 1987هـ - 1968م)

ولد الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرايس بتاريخ: 21 رمضان 1330هـ الموافق لـــ: 02 سبتمبر 1912م بقصر دمد الواقع جنوب شرق منطقة الجلفة، قضى طفولته هناك يتيما، حيث توفي والده مبكرا وهو لم يتجاوز السنتين، ثمّ لحقته الأمّ، وقد سبقتها ابنتها التي تكبر الشيخ محمد بن عبد الرحمان، فبقي الشيخ وحيدا فكفله خاله عمر بن بلقاسم فريطس معلّم القرية، وجدّته لأمّه مريم بنت التومي اليحياويّة، وكانت أنداك معلّمة قرآن أيضا، وقد أحبّته، و اعتنت به عناية خاصّة، وكان لها حرص على تعليمه بما أثّر في شخصيته، و توجّهه للعلم.

لقد سلك الشّيخ محمد الرّايس الطريقة المتداولة في عصره للتعلم، فدخل الكتاب القرآني، حفظ القرآن الكريم في سنّ مبكّرة لم تتجاوز العاشرة و أتقن حفظه، كما تلقى مبادئ العلوم، وصار بعد ذلك مساعدا

لخاله عمر في تعليم الصبيان؛ ثمّ درس بعد ذلك بمسعد على يد الشّيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي، حيث درس عليه بعض كتب الآداب والنحو والفقه، ويعتبر الشيخ محمد بن عبد الرحمان من أنجب طلبة الشيخ عبد القادر المسعدي، فقد ختم عليه مصنفات جليلة، فأنشد الشيخ محمد بن عبد الرحمان بمناسبة ختمه الكتاب الأول من الشرح الكبير للعلامة الدردير على شيخيه:

لنا من زاد العلم قبس له انمحى
ظلام بهذا القطر قد أسدل التسرا
وأوقد نبراسا أنار ظلامه
وأعلا له قدرا وأحيا له ذكرا

تزامنت فترة تمدرس الشاب محمد بن عبد الرحمان مع بداية انتشار أفكار حركة الإصلاح و التربية، التي تولاّها الشّيخ ابن باديس في قسنطينة التي أصبحت محط الأنظار و الأسماع والأبصار، فرغب الشاب أن يعيشها عن قرب، فانتقل إلى قسنطينة بتاريخ: السبت 21 شعبان 1357هـ الموافق لـــ: 15 أكتوبر 1938م والتحق بالجامع الأخضر و جالس الإمام عبد الحميد بن باديس الذي كان في قمة عطائه، فتتلمذ على يديه وعلى يد الشّيخ

الجيلالـي الفارسـي، ثـمّ درس فـي السـنة التـي بعدهـا علـى الشّـيخ أمبـارك الميلـي.

قيـد الشـيخ محمـد بـن عبـد الرحمان، الطريقـة التـي كان يدرسـهم بهـا الشـيخ عبـد الحميـد بـن باديـس ومنهجه وأسـلوبه وأبـرز مبـدأ شـيخه الإصلاحي، وممّـا أورد فـي ترجمتـه لمنهـج الشـيخ عبـد الحميـد بـن باديـس، لإعـداد طلبتـه لحمـل عبـئ الدعـوة أنـه: «...وكان يلـزم الطالـب الـذي يصلـه دور قـراءة الـدرس، بقراءتـه واقفـا، كـي يتربـى و يتعـود عـن الـكلام أمـام الجماهيـر بـدون حشـمة أو هيبـة ... »، وأنـه –أي الشـيخ عبـد الحميـد بـن باديـس– حثهـم أنّ يكونـوا قـدوة حسـنة لأقوامهـم إذا رجعـوا إليهـم، فقـال: «كان يوصينـا بعـد اختتـام الـدّروس، عنـد رجوعنـا إلـى بلداننـا أن نّكـون متحلّيـن بأخلاقنـا الفاضلـة و الآداب، وأن نكـون مثـلا حسـنا يقتـدى بنـا ».

كمـا أشـار إلـى أسـلوب شـيخه و كثـرة اسـتنباطاته، واسـتحضاره لشـواهد القرآن، فـأورد: « وكانـت طريقته فـي التدريس، أن يقرا النص أولا ثمّ يعقبه بالشـرح، و التفسير مع الاسـتنتاج، و الاسـتنباط، و الاستشـهاد للشـواهد، وكان مسـتحضرا لآيـات القـرآن على طرف لسانه، فكلما عرضت عليه مسألة علميّـة إلاّ و كان الاستشـهاد لهـا بالقـرآن الكريم على طرف لسانه ... ».

هـذا بالإضافة إلـى إبرازه مبدأ شـيخ عبد الحميـد بـن باديـس الإصلاحـي، و منهجه الديني تحت عنوان: "عبد الحميد المصلح الديني السـلفي " فذكر مبدأ أسـتاذه وما كان يكتبـه في ظاهر مجلته، من قول الإمام مالك بـن انس –رحمـه الله– (لا يصلـح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوّلها)،

تعلّق الشـاب بشيخه الشـيخ عبد الحميد بن باديس كثيرا، وهذا ما تم لمسـه من خلال رثائـه بقصائـد قويـة تعكـس عظيـم مصابـه بفراقه و جليل حبه له ، فقال:

قضى الأمر ربي لا مقال لقائـــل
ولا حيلة ترجى لدفع الغوائـــــل
أعبد الحميـــــد ما درينا بأننـــا
سنرزأ فيك عاجلا غير آجـــــــل
رحلت عن الدنيا و غادرتنا بهـــا
كغرقى حيارى من خطوب نوازل

بعد وفاة الشـيخ عبد الحميـد ابن باديس توجه الشـيخ لطلـب العلم خـارج الجزائر، فشـق طريقه إلى تونس لاسـتزادة مـن العلم وتطبيقـا لوصيـة شـيخه الشـيخ عبـد القادر المسـعدي الـذي حثه علـى أخـذ العلم ولو خارج الجزائر كالأزهر والزيتونة والقرويين.

لـم تطـل إقامـة الشّـيخ محمـد الرّايس بقسـنطينة بعـد وفـاة شـيخه ابـن باديـس، فاتجـه صـوب تونـس ونـزل بهـا بتاريخ 06 ديسـمبر1940م، ثـم اتصـل بـإدارة الجامـع بتاريـخ 15 جانفـي 1941م، وتـم قبولـه وقـد باشر التلميذ محمد بن عبد الرحمان دروسه في السنة الرابعة بعد أن أثبت أنه درس العلوم التي « تدرس في السـنوات الثلاث بالجامع الأعظم وفروعـه من المرتبة الابتدائية فأنتج أنـه مـن أهل لقـراءة كتـب السـنة الرابعة من تلك المرتبة....»، وبعد دراسته العلوم التي تدرس بالسنة الرابعة حصل الشهادة الأهلية، وانتقل إلى السـنة أولى ثانوي في ذي القعدة 1360هـ الموافق لـ: نوفمبـر 1941م، وبعد تمكنـه واجتـازه السـنة أولـى مـن التعليـم الثانوي انتقل إلى السنة الثانية بتاريخ: رجب 1362 هـ الموافق لـ: جويلية 1943 م، وبعد تحصل على دروس السـنة الثانيـة انتقل إلى السـنة الثالثة من التعليم الثانـوي من الدورة الأولـى بتاريـخ: رجـب 1363 هـ الموافق لـ: جويليـة 1944م، وبعد اجتيـازه امتحان السـنة الثالثة من التعليم الثانوي، وذلك في: 5 شـعبان 1364هـ الموافق لـ: 15 جويلية 1945م، وحصل بذلك على شهادة التحصيل التي يحمنها الجامـع الأعظم وفروعه، تلقى أثنـاء دراسـته علومـا عديـدة: كالتجويـد؛ والتوحيـد؛ الفقـه؛ والنحـو؛ والصـرف؛ والبلاغة؛ والحسـاب؛ والهندسة؛ والتاريخ؛ والأدب وأصـول الفقه؛ والسـيرة النبوية...، على يد علمـاء كثيرين مـن أعـلام الزيتونة، وقـد عدد شـيوخه الذين درس علـى أيديهم وكذا العلوم التي درسها وضمنها في مسودة مـا زالـت موجـودة اليـوم بمكتبتـه (بحوزة حفيده)، ومن هؤلاء الشـيوخ الشّـيخ معاوية التميمي، وقد كان متأثرا به كثيرا،

كما نشـر محمـد بن عبـد الرحمـان عدة قصائد ومقالات في المجلـة الزيتونية ومنها تلـك القصيـدة التـي هنـئ فيهـا الشـيخ ابن عاشـور عند توليه مشـيخة الجامع الأعظم، فقال في مطلعها:

عاد المنا وسرور النفس قد آباو زال عنّا
العنا والعيش قد طابا
و الفكر من فرح هزّت مشاعره
ففاض مغتنما للقول أسبابـــــا

وبعـد حصوله على شـهادة التحصيل في العلوم، عاد الشـيخ محمد بـن عبد الرحمان إلى وطنه أواخر سنة 1945م.

لـم يستسـغ محمد بـن عبـد الرحمان في البدايـة الأفـكار الإصلاحيـة التـي حملتهـا جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائريين عند تأسيسـها سنة 1931م كهيئة، بل أكثر من ذلك فكان يناوئها بعنف، لكن سـرعان ما انجلت له الحقيقة، فتبنـى الدعوة الإصلاحية، فكان يـردد: «...أنـا لا أدخـل شـيئا حتـى أقتنـع بـه، قبـل أن أعتنق الإصـلاح، كنـت عنيفا و متشـدّدا فـي الطرقيّة، و شـديدا علـى حركة الإصـلاح، ومـا دخلـت الإصـلاح إلا بعـد اليقيـن، و التثبّت من صحّته و سـلامته، ولم أكن كالذين اندفعـوا للإصلاح ثمّ تنكّروا له ...»، وأصبح عضوا نشـطا بـارزا في جمعية العلمـاء المسـلمين الجزائرييـن وممثلا لها ليـس فـي منطقـة الجلفـة فحسـب، بـل عبر مناطـق كثيرة مـن الوطـن، و يرجـع الفضل في ذلـك – بعد اللـه عز وجل – إلى شـيخه عبـد القـادر بـن إبراهيـم المسـعدي الـذي نصح تلميـذه بقراءة جريـدة البصائر، إذ كان قبل ذلك يقـرأ جريدة البـلاغ و النجاح على مسـامع الطرقيين في بلده كلّما صَدَرَتَا، لقلة من يقرأ منهم.

تعلـق الشـيخ محمد بـن عبـد الرحمان المسـعدي بشـيخه عبد القادر بـن ابراهيم المسـعدي المتشـبع بالأفـكار الإصلاحية والمتشـدد فيها لدرجـة أنه لقـب بالعقبي، وهـذا مـا جعـل شـيخه متابعـا مـن طـرف الإدارة الفرنسـية وأذنابهـا، ممـا جعـل الشـيخ لا يسـلم هـو الآخـر مـن الأذى الـذي كان موجهـا لشـيخه، فقد تسـبب له هـذا التعلـق الكثيـر مـن المتاعـب ومنها؛

ضربه وسجنه بغير حق سنة 1356هـ الموافق لـ: 1937م، في محاولة من الإدارة الفرنسية وأذنابها ثنيه عن هدفه المتمثل في التعلق برجال الإصلاح وأفكارها، وقد سرد هذه الواقعة الشيخ محمد عبد الرحمان في رسالة بعث بها إلى عبد الحميد بن باديس : « نخبركم بأنني كنت مع رفيق لي في السنة الماضية 1356هـ نذهب من قريتنا إلى بلدة مسعد على بعد 2 كلم نزاول دروسا علمية على الشيخ عبد القادر بن إبراهيم إلى أن سعت بعض الأذناب الحكومية واتهمونا بالخوض في السياسة وسب مصالحيهم، فمنعت الحكومة الشيخ من التدريس ثم أغروا بي أنا ورفيقي بعض سفهائهم، فاعترضونا ونحن ذاهبون إلى قريتنا، فضربوني أنا ضربة شديدة على رأسي أسالت دمي وسقطت منها على الأرض وكذلك رفيقي حتى سال دمه..... فحكم عاينا بخمسة عشرة يوما سجنا وخمسين فرنكا »، وهذا ما أكده شيخه عبد القادر المسعدي فكتب: « ضربوا بقاعة السوق رجلين من خيرة الطلبة: السيدين: محمد الصغير ومحمد بن عبد الرحمان، فحملا مضجرين بدمائهما إلى ذلك الحكام، فعاقبهما رغما عما ظلما به بالسجن،...»، إلا أن هذه الواقعة لم تثني الشيخ محمد بن عبد الرحمان عن ارتباطه بشيخه، بل زادته تعلقا أكثر به وبالأفكار الإصلاحية التنويرية، ففي فترة سجنه تم افتتاح النادي الإسلامي للشباب بالجلفة، التابع لجمعية العلماء المسلمين أواخر سنة 1937م، فتحصر الشّاب محمّد ابن عبد الرحمان على أنه لم يكن من السّابقين الأوّلين إليه، فكتب قصيدته التي تعكس حرقته لعدم حضوره افتتاح للنادي، وسروره بفتحه، لم يتوقف الأمر عند حد قول القصائد من طرف الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي بمناسبة افتتاح النادي الإسلامي، بل أنه بمجرد خروجه من السجن، التحق به في بداية 1938م فوجد شيخه عبد القادر بن إبراهيم أستقدم من بلده مسعد للتدريس بالنادي في الجلفة، وفي إحدى المرات قدمه شيخه فألقى خطاب بحضرته وأشاد فيه بجمعية العلماء المسلمين ونوّه بفضلها على الأمّة الجزائرية، فقال عنها شَخَّصَت الداء ووصفت الدواء وبثت في الأمة حب العلم، و الإرشاد، والتعاون، و التي سرت بفضلها في جسم الأمة الجزائرية، وشكر مساعي القائمين عن النادي.

وعندما تجددت إدارة النادي الإسلامي في عامها الثاني وذلك في سبتمبر 1938م كان الشاب محمد بن عبد الرحمان المسعدي ضمن أعضاء إدارته فشغل نائب الكاتب العام، كما ذكر هو بنفسه في مقال له نشر في جريدة البصائر في نفس السنة التي تجدد فيها أعضاء إدارة النادي في عامها الثاني سنة 1938م.

هذا وقد كانت رحلته لطلب العلم إلى قسنطينة والتحاقه بالجامع الأخضر، والنهل من العلوم التي كانت تدرس به على شيوخ فطاحل وعلى رأسهم رجل الإصلاح بالجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان في قمة عطائه، دور كبير في الاستزادة من التشبع بالأفكار الإصلاحية والعمل على نشرها، وهذا ما عكسه نشاطه في صفوف الجمعية .

كان الشيخ محمد بن عبد الرحمان كاتبا في جريدة البصائر، وتنوعت الموضوعات التي نشرها فمنها؛ موضوعات متعلقة بالنشاط الإصلاحي بالمنطقة وطريقة تسييره؛ والمقالات السياسية التي كثيرا ما كانت تفضح الجرائم، والممارسات العدوانية المنتهجة من طرف السلطات العسكريّة في منطقة الجنوب

عاد الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي إلى وطنه بعد رحلة علمية خارج الديار بتونس، و كله جدّ ونشاط وإخلاص لخدمة وطنه بتعليم أبنائه، بدأ التّدريس في مسقط رأسه "مسعد"، فكان يقيم دروسا للكبار في المسجد بين المغرب والعشاء، و دروسا للصّغار، و كان يلقي درس الجمعة في المسجد الواقع بوسط مسعد سنة 1946 م، ثم التحق رسميا بمدارس جمعية العلماء المسلمين من 1945م إلى غاية 1956م، فاشتغل بـ: الجلفة، وعين تموشنت، المغير، تيارت، ورجع للجلفة للمرة الثانية، ثم طولقة.

ففي السنة الدّراسية 1946/ 1947م عيّن مديرا و معلّما بمدرسة الإخلاص بالجلفة ثمّ عيّن مديرا بمدرسة الإصلاح بمدينة عين تيموشنت 1947/ 1948م، كما شغل منصب مدير بمدرسة المغير لمدة ثلاث مواسم دراسية وهي على التوالي: 1948/ 1949م 1949 / 1950م و 1950/ 1951م، وله ذكريات ومراسلات كثيرة مع أهلها، و في سنة 1951/ 1952م عيّن مديرا وخطيبا وواعظا بمدرسة الفلاح بوهران ثمّ مديرا في تيارت،

عاد إلى مدينة الجلفة بعد مراسلات كثيرة من طرف محمد شونان كانت موجهة لمحمد بن عبد الرحمان ولجمعية العلماء المسلمين من أجل عودة الشيخ محمد بن عبد الرحمان إلى منطقة الجلفة للتدريس، ومن هذه المراسلات تلك المراسلة التي بعث بها محمد شونان للشيخ وللجمعية بشأن هذا الموضوع التي تعود لتاريخ 18 أكتوبر 1949م، لكنه لم يعد لمدينة الجلفة وبالضّبط إلى مدرسة الإخلاص إلا في السنة 1953/ 1954م، وبقي يتنقل عبر تراب الوطن مكلفا من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإدارة مدارسها والتعليم بها.

توفي رحمه الله في 28 شوال 1987هـ الموافق لـ: 28 جانفي 1968م، إثر مرض عانى منه طويلا، من جراء التعذيب والسجون وكابد مشاق طلب العلم والتنقلات الكثير، ودفن بمقبرة دمد.

لم يخلف الشيخ محمد بن عبد الرحمان أعمالا كاملة، ولعل السبب في ذلك يعود لقلة تفرغه للبحث لاشتغاله بالتحصيل وانهماكه في التعليم والتدريس بعد التخرج من الزيتونة، وكثرة مضايقات الاحتلال الفرنسي له، خاصة بعد اندلاع الثورة، فقد أخذوا كثيرا من كراريسه ومذكراته أثناء مداهماتهم لبيته، وربما ضاع شيء منها في تنقلاته، ومن بين بعض

الآثار التي بقيت محفوظة في مكتبته وجد:
- كتاب بعنوان: "الفصيح المحرف عن الفصيح"، تناول في هذا الكتاب الكلمات العامية، وقارنها باللغة العربية؛ فذكر أولا عن لفظها هل هو مطابق للمعنى العربي أم محرف عنها، ثم كان يتناول معناها عند العامة، وهل هو مطابق للمعنى العربي أم لا، وأحيانا كان يستشهد بالقرآن أو الشعر أو الحديث، ويبدو أنه كتاب ثري ومهم لو قدر له التمام، لكن لأسف لم منه إلا قصاصات كناشات متناشرة.
- قصائد شعرية كثيرة في أغراض مختلفة منها ما هو منشور في جريدة البصائر ومنها ترك في مكتبته الخاصة، قام بجمع أغلبها والتعليق عليها تلميذه الدكتور سالم العلوي في كتاب سماها: من آثار الشيخ محمدبن عبد الرحمان الأدبية الشعرية والنثرية - رايس محمد بن عبد الرحمان المسعدي أديب وشاعر: نماذج من شعره، طبع سنة 2013م.
- بعض الفتاوي المكتوبة بخط يده، خطب جمعية وأخرى وفي مناسبات مختلفة، بحوث قصيرة في علوم اللغة والشريعة.
- رسالة من ست صفحات، ذكر فيها أعماله الثورية، وموقفه من بلونيس.
- ترجمة للشيخ ابن باديس في قسمين مخطوطة، لكن تنقصها أوراق

حفيظة معمر

المصادر:
- حفيظة معمر: منطقة الجلفة دراسة منوغرافية (1830-1954)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الجديد ومعاصر، جامعة الجزائر2، الجزائر ، 2021.
- جريدة البصائر
- -مجموعة من الوثائق الخاصة به

■ محمّد الزّيْقَـــم
(و: 1357ه - 1892م/ 1406ه - 1985م)

الشّيخ محمّد بن عطية بن محمّد بن عطية بن الزّيْقم، إمام وفقيه على مذهب الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة. ولد سنة 1892 م بوادي الشّعير المعروفة اليوم ببلدية محمّد بوضياف قرب بن سرور جنوب المسيلة. أخذ مبادئ التعليم كحفظ القرآن الكريم والتفقه في أصول الدّين بزاوية القصيعات التي كانت معْلما دينيا معروفاً بنواحي عين فارس. بعدها، أرسله والده إلى زاوية الهامل لمواصلة تحصيله المعرفي في اللغة العربية وعلوم الدّين. ثم انتقل وهو في سن مبكرة إلى منطقة وادي سوف لإكمال تعليمه، كما تردد على الزّاوية المختارية بأولاد جلال والزّاوية العثمانية في طولقة، وأخذ هناك عن بعض مشايخ الزّاويتيْن كما التقى بالشّيخ نعيم النّعيمي في شبابه.

بعد أن حصل على قدر وافٍ من المعارف الأولى لعلوم عصره، توجه إلى مدينة تونس تدفعه في ذلك الرّغبة للالتحاق بجامع الزّيتونة ليواصل الدّراسة فيه على غرار معظم أبناء جيله. وكان في تلك الفترة يشكل إحدى الحواضر الكبرى للعلم والمعرفة. ونظرا لضيق ذات يده وعدم تمكنه من توفير المصاريف اللازمة لإقامته بتونس توجه الشّيخ محمّد بن الزّيقم إلى مدينة القيروان التي استقر فيها لبعض الوقت، وأخذ عن بعض مشايخها. وصادفت فتره تنقله إلى تونس نهاية الحرب العالمية الأولى، وذلك في الفترة الواقعة بين سنتيْ 1918 و1922 وبعد سنة 1922، عاد إلى الجزائر حيث استقر بنواحي خنشلة لدى عرش أولاد بوغدير. وهناك أسهم في الحركة التعليمية، وتخرج على يديه العديد من أبناء تلك الجهة. رجع بعدها إلى مسقط رأسه بوادي الشّعير، وأسهم في الحركة التعليمية. وفي سنة 1946 م كان من بين أعيان منطقة بن سْرور والذين استقبلوا فرحات عباس رئيس حزب الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري خلال زيارته للمنطقة. ولم ينقطع الشّيخ محمّد الزّيقم عن تواصله بمنطقة الشّرق الجزائري فقد كان له دور مشهود في الحركة التعليمية ببلدة الجازية بنواحي عين البيضاء ابتداء من سنة 1947 م، حيث مارس مهنة التعليم وكان إماماً بالمدرسة القرآنية التي أسهم في تشييدها بالمنطقة. وخلال تلك الفترة، تواصل مع الشّيخ العربي التبسي أحد مؤسّسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن طريق الشّيخ عثمان بلخيْري، مما جعله على اتصال بالجمعية ومتابعة أنشطتها. ومع بدايات ثورة التحرير، توجه إلى منطقة مْتوسة بنواحي خنشلة وظل بها حتى سنة 1955 م حيث شيّد مدرسة قرآنية بتلك النّاحية لكنها أصبحت أثراً بعد عين. وكان من بين طلابه الشّهيد الشّاذلي الرّهوني وبعض

أفراد عائلات رحيم وبوسالم وغيرهم.

في سنة 1956 م عاد للاستقرار بمسقط رأسه. وتم تكليفه من طرف قيادة الولاية السّادسة التاريخية بالتعليم وبث الوعي والوعظ والإرشاد، وعمل معلما للأطفال ببرج الآغا بتلك النّاحية مما جعله يتعرض لمضايقات من السّلطات الاستعمارية الفرنسية. وظل على اتصال برجال الثّورة وعيناً ساهرة على متابعة مجرياتها بالمنطقة. كان متحدثًا لبِقاً ومفتياً متمكّناً وإماماً قديراً، يتميز بقلم حاد، حاضر البديهة، عفيفاً كريماً. بعد الاستقلال، لزم بيته بحكم كبر سنه، وظل يحظى بتقدير أبناء المنطقة. وفي سنة 1977م توجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، وتوفي في 13 رمضان 1406 ه الموافق لـ 2 يونيو/ جوان 1985 م، وكان في سنّ متقدمة، ودفن ببلدة بن سْرور.

الصّادق زيقم

المصادر:

- معلومات جمعها حفيده الصّادق زيقم مفتش سابق للتعليم الإبتدائي
- شهادات كل من عطية الغربي وشقيقه أحمد والإمام عبد الرّحمن بوعشرين وعلي بن الضّيف وعبد القادر عبد الجبار وومحمّد بن عزوز وغيرهم

■ محمد السّعيد بن شايب
(و: 1350ه - 1931م/ت: 1377ه - 1957م)

ولد محمد السّعيد بن شايب في مدينة بسكرة بتاريخ الثامن جويلية 1931، لأبوين ينحدران من برج بوعريريج وتحديدا من بلدة زمورة ذات التاريخ العريق أبوه أحمد وأمه تدعى قمير بن شايب. وقد تنقل أحمد من مسقط رأسه زمورة إلى مدينة بسكرة للعمل عونا في محكمة بسكرة واكترى منزلا في «حارة المحطة».

ترعرع الطّفل محمد السّعيد في وسط عائلي متواضع في حي محطة القطار (ساحة الكومندوس سابقا)، وهي السّاحة التي تتشرف بحمل اسمه الآن، زاول دراسته آنذاك الابتدائية والثانوية في المدرسة التي كانت تسمى أ (لافيجري)، وتلقى تعليمه باللغة الفرنسية، حتى حصل على شهادة الأهلية، فأتقن اللغة الفرنسية بسبب ذلك.

وفي نفس الوقت كان مواظبا على تعلم اللغة العربية في كتاتيب القرآن والمدرسة الحرة، وكان بارعا في دراسته يتقن الكتابة وهو ما تثبته كراريسه حسب شهادات استقيناها من عائلته.

اضطرت الظروف العائلية الصّعبة الفتى السّعيد بن شايب إلى ولوج معترك الحياة العملية لإعالة إخوانه

أنه الثمانية، فشغل منصب محاسب مالي لدى أحد تجار المدينة يدعى مسعودي سفيان، لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة دراسته بالمراسلة لينمي معارفه بيد لم يستمر طويلا في عمله، فانتقل إلى وظيفة بشركة السّكك الحديدية، ليجد نفسه زميلا للقائد الثوري الشّهيد محمد العربي بن مهيدي.

انضم إلى فوج الكشافة الإسلامية رفقة رفيقه بن مهيدي، وهو ما يفسر ولعه الشّديد بالنشاط السّياسي والنضال لاحقا، وكان يحب العمل والنشاط وعاشقا للوطن، وطنيا حتى النّخاع، تأثر بشدة بما كان يراه من مظاهر الظلم والفقر الذي كان يغرق فيه الجزائريون وعائلته، وكل ذلك حفزه على ممارسة النّشاط السّياسي وهو مازال فتى، بداية بفريق الوطني المدينة بسكرة، ليتحول محمد السّعيد بن شايب إلى مناضل نشيط في صفوف الحركة الوطنية رفقة صديقه ورفيقه في الجهاد لاحقا الشّهيد نور الدّين مناني. استجابة عاجلة لنداء الثورة وسجن مبكر عند اندلاع الثورة التحريرية كان محمد السّعيد بن شايب من الأوائل الذين لبوا نداء الجهاد والتضحية مخبرا عائلته بأنه مصمم على الكفاح المسلح وبأنه لن يتراجع عن قراره، ويبقينه بأن الاحتلال الفرنسي زائل لا محالة، ويذكر المجاهد، وزير المجاهدين السّابق السّعيد عبادو، أن بن شايب كان من الأوائل الذين تكونت بهم الخلايا السّرية في مدينة بسكرة عند اندلاع الثورة التحريرية، لكن الاحتلال الفرنسي كان له بالمرصاد، وسرعان ما ألقى عليه القبض في مكان عمله بمحطة القطار في أوائل عام 1955 وزج به في السّجن المدني ببسكرة، وحوكم في مدينة باتنة، إذ حكم عليه بعدة شهور سجنا نافذا وعاما سجنا دون تنفيذ وغرامة مالية قدرها 20 ألف فرنك فرنسي قديم. وبعد إطلاق سراحه، لم يلبث الشّاب محمد السّعيد أكثر من أسبوعين ليلتحق بصفوف جيش التحرير، ليكون مثالا للمجاهد المخلص والشاب المثقف الذي استفادت منه الثورة في تعزيز قدراتها التنظيمية في سنواتها الأولى.

كانت والدته وأخته تحيكان الألبسة العسكرية له وللمجاهدين، وترسلان بها إليهم عبر وسيط سري ومما كانتا تخيطانه الأعلام الوطنية والقبعات وشارات جيش التحرير الوطني، وبسبب انضمامه إلى الثورة تعرض شقيقه الأصغر عز الدّين للسجن، ما جعل حياة العائلة جحيما حقيقيا بفعل اقتحام عسكر الاحتلال المنزل العائلة وتحطيمه علاقة متينة تشكلت بين العقيد سي الحواس قائد الولاية التاريخية السّادسة والشاب محمد السّعيد بن شايب، إذ كان يثق به ثقة عمياء ويعتبره ذراعه الأيمن، خاصة أن بن شايب كان مثقفا ومزدوج الثقافة واللغة، وكان له رصيد تكويني مهم

جدا، وعلاقته بالجميع كانت أخوية، وعلى سبيل المثال فعلاقته بمحمد شعباني كانت قوية، إذ كانا يعيشان معا كما لو كانا أخوين.

وبفضل وطنيته وشجاعته وكفاءته العالية في التسيير، ورغم صغر سنه، كان العقيد سي الحواس يعتمد عليه في المهام الخطيرة والدقيقة، وتقلد عدة مناصب، أهمها خلافته للقائد سي الحواس في قيادة الولاية السّادسة بعد سفره إلى تونس بداية سنة 1957. وتقلد هذه الرّتبة (نائب العقيد سي الحواس رسميا في شهر مارس 1957، اجتماع بوشقرة) بعد وصول الأوسمة ومقررات مؤتمر الصّومام، حيث عين ضابطا أول نائب أول للعقيد سي الحواس وعلي بن مسعود على رأس النّاحية الثالثة، ونور الدّين مناني على رأس النّاحية الثانية، وصادق بوكريشة على رأس النّاحية الأولى (منطقة الصّحراء رقم 03 تابعة للولاية الأولى أوارس النّمامشة).

وفضلا عن ذلك، كان بن شايب سياسيا متمكنا ومثقفا، يترجم المناشير من وإلى الفرنسية، ويتكفل بعملية الطّبع، وكانت له قدرة عجيبة على فهم سياسات الاحتلال، وكان لا يسمع صوته ولا يتكلم كثيرا، رغم أنه كان اجتماعيا ويعامل الجميع بنفس المعاملة. يقول عنه المجاهد عمر صخري في شهادته: «لقد تميز بخصال حميدة، فهو شاب مثقف وعاقل ومنضبط، غير متعطش للمسؤولية أو فرض نفسه مسؤولا إنسان مربي أكثر منه مسؤول يعالج المشاكل بهدوء وعقلانية دون توبيخ بل يسعى لمعالجة المشكل بأسلوب تربية وتعليم، وكيف يكون المسؤول المثالي الذي يعرف كيف يموّن جنوده وكيف ينصحهم، لذلك كان متميزا جدا عن كثير من المسؤولين.

كل هذه الشّهادات تؤكد أن السّعيد بن شايب كان متشبعا بالأخلاق الطّيبة والرزانة والصدق والإخلاص والتواضع وكان يحرص دوما على عدم كشف هويته في أوساط الشّعب، نظرا لمنصبه الحساس في جيش التحرير، خاصة أنه خلال تسييره للمنطقة كان يتفقد كثيرا الوحدات والقسمات.

كانت علاقة بن شايب قوية ومتينة جدا بالعقيد سي الحواس، يحترمه الأخير جدا كحال ضباط المنطقة الذين كانوا يحترمونه بشدة ويحبونه كثيرا مثل محمد شعباني ونور الدّين مناني وصادق بوكريشة وعلي بن مسعود والعربي بعرير وعبد الرّحمان عبداوي...

استطاع سي السّعيد بن شايب خلال توليه المهام العسكرية المنوطة به أن يثبت وجوده وأن يبرهن على جدارته في تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه في ظروف جد صعبة، كانت تجتازها المنطقة الثالثة للولاية السّادسة في تلك المرحلة، وشارك سي السّعيد في عدة معارك إلى جانب سي الحواس وأخرى لم يحضر فيها سي الحواس ومنها:

– الهجوم على ورشة ترميم الطّريق الوطني رقم 03(بسكرة – ورقلة بتاريخ 24 أفريل 1956، وكان من المشاركين في الهجوم السّعيد بن شايب، محمد شعباني نور الدّين مناني، أحمد خبزي السّايب بولرباح، جيلاني صولي، محمد جغابة حفناوي علوي عامر لخذاري، موسى حامدي، سالم،هالي عبد المجيد رماضنة، منصور غمري وعمار سعدي.

– معركة الدّخان التي وقعت يوم 12 نوفمبر 1956.. معركة مضيان ضد الطّيران الحربي الفرنسي، إذ أسقط المجاهدون طائرة حربية لجيش الاحتلال. المشاركة في حريق «لوكوموتيف» في الشّقة، رفقة مجاهدين آخرين منهم نور الدّين مناني وحفناوي بن ساعد.

– معركة جبل الميمونة التي وقعت في 10 أفريل 1957، وأصيب فيها بجروح لازمته حتى استشهاده، وحسب شهادة المجاهد خالد جباري، فإن المعركة قادها علي معيري ومن الجيش الفرنسي قادها الجنرال ماسو، وأبلى فيها المجاهدون بلاء حسنا، وأسقطت فيها طائرة مروحية.

ويعتبر بن شايب قائدا للمعركة رفقة معيري (مسؤول القسمة)، وقد حدث اتفاق بين الرّجلين على تنفيذ العملية (المعركة الكمين)، بعد ورود معلومة إليهما من واد الشّعير مفادها أن الجيش الفرنسي يحضر نفسه لعملية تمشيط. معركة البالة التي كان حاضرا فيها سي السّعيد بن شايب وأبلى فيها بلاء حسنا. وكان بن شايب من الحاضرين في الاجتماع الذي عقد حول كيفية التنقل إلى منطقة الصّومام بالولاية الثالثة من أجل لقاء اللجنة التي انبثقت عن مؤتمر الصّومام رفقة سي الحواس وعبد الرّحمان عبداوي ومحمد وشعباني وذبيح وعمر صخري ومناني وحفناوي وسالم الصّوار وقتال الذي كان متواجدا بالصحراء، وتم الاجتماع في جبل الزاب القبلي، والغرض من ذلك استلام مقررات مؤتمر الصّومام وأيضا الرّتب العسكرية.

في شهادته التي خصنا بها، يقول المجاهد خالد جباري إنه في صيف عام 1957، كان «الخائن» بلونيس ينفذ عمليات ضد المجاهدين وقضى على 84 مجاهدا، ومنهم ضباط وضباط صف وقد أعدمهم، ويضيف جباري رغم ذلك، فإن سي السّعيد بن شايب كان يأمل بعودة بلونيس وأتباعه لكنهم لم يفعلوا، بل كانوا في صف العدو وعبثوا بالشعب وكانوا خدما لضباط فرنسا.

كان العقيد سي الحواس في تونس خلال خرجته الثانية إلى هناك، وعند عودته مكث بجبال الأوراس وطلب لقاء ضابطه السّعيد بن شايب، وتنفيذا لطلب قائده، سار سي السّعيد بن شايب بجيشه(نقلا عن المجاهد جباري وشهادة موثقة لوزير المجاهدين السّابق السّعيد عبادو، الذي كان الكاتب الخاص لبن شايب).

لم تكن الطّرق والممرات آنذاك مؤمنة في غياب وسائل النّقل، وفي الغالب يكون المشي على الأقدام. يقول المجاهد عمر صخري عن ظروف تلك الأيام كان جيش تنظيم اليد الحمراء يخرج ويتنقل نهارا وعلى رأسه حركي يدعى السّعيد، وقام هذا العميل بعمليات قتل عديدة منها عملية قتل الشّيخ العموري.. كانت مجموعات اليد الحمراء بالمنطقة تتنقل بأسلوب تنكري، حيث يخيل لمن يراها أنها مجموعات البدو الرّحل (مرحول مثلما

يسميها سكان (المنطقة ويتحركون ليلا ونهارا، ولا يمكن معرفتها أبداً».

نصبت إحدى هذه المجموعات خيامها في الطّريق الذي يربط قسمة بسكرة بقسمة طولقة في الطّريق إلى مشونش، وعند وصول السّعيد بن شايب وجيشه إلى بلاد لعمور» في دائرة طولقة حاليا، قوبل بوابل من الرّصاص، استهدفه هو أولا فاستشهد في الحين بالمكان المسمى واد النّسا» بطريق «السلقة، وكان رفقته كاتبه السّعيد عبادو الذي أصيب بجروح بليغة.

أما المجاهد السّعيد عبادو رحمه الله (وزير المجاهدين وأمين عام المنظمة المجاهدين (سابقا) فيقول عن استشهاد مسؤوله: استشهد في كمين نصبه له العدو في المكان المسمى ثنية بوجرا قرب السّلقة الذي يبعد عن مدينة طولقة بحوالي 18 كلم، وذلك يوم الخميس 28 نوفمبر 1957 على السّاعة التاسعة ليلا بعد مقاومة عنيفة، كما سقط معه عدد من المجاهدين شهداء أيضا ».

شكل استشهاد السّعيد بن شايب صدمة قوية جدا على مجاهدي المنطقة، وخلف حزنا عميقا جدا، فهو قائدهم الصّادق الوطني، وليس هناك أفضل من شهادة المجاهد عمر صخري: شكل استشهاد سي السّعيد صدمة كبيرة بالنسبة للمجاهدين، لأنه كان عزيزا عليهم وعلى إطارات الجيش وسي الحواس تأثر بشدة، وجب الإشارة إلى أن السّعيد كان التقى بدورية لجيش التحرير في طريقه فطمأنته بأن الأمور على ما يرام، لكن بمجرد مغادرة الدّورية نحو الكتيبة، سقط في الكمين واستشهد.. لذا فإن سي الحواس عاقب مسؤول تلك الدّورية بفعل تأثره الشّديد، وقد تحدث عنه كثيرا وعن دوره، وبأنه فقد مجاهدا عظيما ورجل ثقة ثوري كانت تعتمد عليه الثورة».

أما المجاهد خالد جباري فيدلي بشهادته: «عندما استشهد السّعيد بن شايب، كنت أنا أعالج في المستشفى وبعد شهرين من التداوي، خرجت وعلمت باستشهاده. لقد علمت بأن سي الحواس جمع الجيش وتحدث عن استشهاد بن شايب، وقال إنه بطل، لكن الثورة لن تتوقف هنا ونحن سائرون للأمام. أما شعباني فبكي بحرقة على استشهاد رفيقه، وعندما التقيته بعد خروجي من المستشفى استقبلني شعباني وتحدثنا عن بن شايب فانفجر باكيا». المجاهد عمار صخري: سي السّعيد بن شايب في مرتبة عميروش وسي الدّواس

أردنا تقديم مقالنا هذا بشهادة لوزير المجاهدين السّابق السّعيد عبادو الذي كان الكاتب الخاص للشهيد محمد السّعيد بن شايب، وليس أفضل من اختتام المقال بشهادة أخرى لمجاهد آخر عرف عنه صدقه وإخلاصه، وهو المجاهد عمر صخري، إذ يقول في لقائنا به في بيته بعين طاية شرق الجزائر العاصمة: لو عاش السّعيد بن شايب حتى الاستقلال، لرأيناه رجل دولة حقيقي، لقد كان في المستوى العالي بتفكيره وذكائه ونقاشه العميق متسامح ومتأدب يناقش ببعد نظر.. لو كتبت له الحياة لرأيناه وزيرا أو رئيس حكومة، وهذا ليس بكثير على شخص مثله، بفضل حسه بقيمة المسؤولية.. سي السّعيد أحسن بكثير من الوزراء الذين عرفتهم، أما بالنسبة للشهداء، وبصرف النّظر عن سي مصطفى بن بولعيد الذي كان رجلا بمستوى عال جد، فأنا أضع سي السّعيد بن شايب في ذلك الوقت في مستوى وطني وهو في مرتبة عميروش وسي الحواس وزيغود رحمهم الله جميعا».

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- رياض بن مهدي، مجلّة أول نوفمبر 1954، العدد195، سنة 2023.

■ محمّد الشّبوكي
(و: 1380ه - 1961م/ت: 1425ه - 2005م)

محمّد بن عبد الله الشّبويكي المدعو الشّبوكي من آل شبوكي الحميديّة، من قبيلة الشّبايكيّة، إحدى بطون أولاد حميدة من الفرع الأكبر للنمامشة، ولد عام 1916م ببحيرة الأرنب إحدى بوادي منطقة (ثليجان) التابعة لدائرة الشّريعة ولاية تبسة، في البداية تتلمذ على يد والده، فحفظ جزءًا من القرآن الكريم، ثمّ التحق بكُتاب الأسرة، فخصّص له والده معلّما حفّظه القرآن الكريم كلّه، كما حفظ عددا من المصنّفات والمتون العلميّة المتنوعة ومجموعة من أشعار العرب القديمة، وأخذ عن العربي التبسي أصول اللّغة والفقه.

انتقل سنة 1932 إلى واحة نفطة بالجنوب التونسي لتلقي المبادئ العلميّة عن شيوخه الأجلاء، نذكر منهم: الشّيخ (محمّد بن أحمد)، الشّيخ (إبراهيم الحدّاد)، الشّيخ (محمّد العروسي العبادي)، الشّيخ (التابعي بن الوادي). ثمّ عاد إلى تبسة وانضمّ إلى تلاميذ الشّيخ (العربي التبسي).

وفي عام 1934 تحوّل الشّاعر إلى تونس العاصمة لمواصلة الدّراسة بجامع الزّيتونة فتخرّج بدرجة التحصيل سنة 1942م، ثمّ عاد إلى الجزائر، فنشط في جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وانضمّ إلى سلك التعليم في المدارس الحرّة التي أشرفت عليها الجمعيّة، فعمل في كلّ من مدرسة (تهذيب البنين والبنات) بمدينة تبسة، و(مدرسة الحياة) في مدينة الشّريعة، ومدرسة (التربيّة والتعليم) بمدينة باتنة،

وفي الوقت نفسه كان مشاركا في النّضال السّياسي. ثمّ أصبح عضوا عاملا في حركة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، ثم عضوا في مجلسها الإداري في مرحلتها الأخيرة.

وباندلاع ثورة التحرير الكبرى في نوفمبر 1954م، انخرط (محمّد الشّبوكي) في خليّة لجبهة التحرير الوطني في الشّريعة، ثمّ التحق عمليا بالثّورة سنة 1955، فكلّفته الثّورة بالإعلام والتوجيه في منطقته وبث الدّعايّة للثورة، وبعد تأليفه لنشيد (جزائرنا يا بلاد الجدود)، ألقت القبض عليه السّلطات الاستعماريّة الفرنسيّة في فيفري 1956، وظلّ في السّجون الاستعماريّة حتى 13 مارس 1962م.

بقي(الشّبوكي) في المعتقلات الوحشيّة ست سنوات، حيث تعرّض من خلالها إلى أنواع كثيرة من التعذيب، وقد قال في ذلك: «تعرّضنا في المعتقلات إلى أنواع كثيرة من الممارسات اللاّإنسانيّة! ومن الأمثلة على ذلك أنّ الجنود الفرنسيين كانوا يقتحمون علينا الزّنزانات ونحن نائمون، وبأيديهم عصيّ، فيشرعون في ضربنا وتفتيشنا بكلّ وحشيّة».

وكان هدف الاستعمار من تلك الاعتقالات، إرغام الشّعب على عدم التعامل مع الثّورة وإبعاده عنها قدر الإمكان، وبثّ فكرة أنّ المجاهدين ليسوا إلاّ جماعة متمرّدة ينبغي القضاء عليهم. غير أنّ سفينة الحريّة كانت تجري عكس اتجاه رياح الهدف الاستعماري، فلم تزد المعتقلات وأنواع القمع والتعذيب إلا تصميما على التحام المعتقلين والتفافهم حول الثّورة.

وفي المعتقلات قرأ (محمّد الشّبوكي) مجموعة كبيرة من الكتب الأدبيّة وكتب عدّة قصائد، إلاّ أنّ المستعمر كان له بالمرصاد، فكان يحاصره ويمزّق الكتب والأوراق التي يجدها بحوزته، فيقول: «وعلى الرّغم من أنّني كتبت العديد من القصائد الشّعريّة-وأنا في المعتقل-فإنّ الاستعمار أحرقها كلّها! ولم تنجُ من سطوته إلاّ بعض الأشعار القليلة جدا».

ومن جهة أخرى لجأ (الشّبوكي) في السّجن إلى تعليم كلّ الإخوة المعتقلين، فيقول: «كنّا نؤدي هذا العمل بطريقة محكمة، وآتت نتائجه الطّيّبة، بحيث عندما أطلقوا سراحي وجدت الكثير ممن كانوا يتعلّمون عندنا في المعتقلات قد واصلوا تعلّمهم، حتى أصبحوا بعد ذلك إطارات مثقّفة بعد أن كانوا أميّين أو أشباههم».

كما كان يقيم ندوات داخل الغرف القصديريّة التي كانوا يسكنونها رغم الموانع التي تفرضها حراسة المعتقل واستطاع إلى جانب نخبة معتبرة من الأدباء والشّعراء والمعلّمين، تكوين حركة ثقافيّة توجيهيّة قويّة.

أطلق سراحه يوم 13 مارس 1962م، فعاد إلى مهنة التعليم كأستاذ في الثّانويّة، ثمّ أصبح عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، ورئيسا للمجلس الشّعبي البلدي ببلديّة الشّريعة بولاية تبسة من 1963 إلى غايّة 1975 ثمّ عضوا بالمجلس الولائي بتبسة من 1975 إلى غايّة 1979، حيث انتُخب رئيسا للمجلس الشّعبي الولائي وأخيرا نائبا بالمجلس الشّعبي الوطني في مرحلته الثّالثة.

كما انطلق شعره الوطني صارخا بعد خروجه من السّجن، وفي هذا يقول» محمّد الحسن فضلاء: «ولمّا اندلعت الثّورة التحريريّة كان (الشّبوكي) من أوائل المحتضنين لها فعمل في صفوف المنظمات السّريّة وخلاياها المدنيّة، فسجن وعرف عدّة معتقلات قضى فيها ستة أعوام، ولم يطلق سراحه إلا قبيل إيقاف القتال بستة أيام وفيها انبثقت شاعريته اللاّهبة الوطنيّة».

توفي (محمّد الشّبوكي) يوم الاثنين 13 جوان 2005م الموافق لـ 6 جمادي الأولى 1426ه عن عمر ناهز 89 سنة، وخلّف ولديْن هما: سعدان وصالح، كما خلّف لنا كلمات كانت أحسن دعوة للثّورة الجزائريّة، صورت الواقع وأبرزت بشاعة العدو، فألهب بقصائده النّفوس، وأيقظها من غفلتها، فهيّأها لتغيير الواقع، ولعلّ نشيد (جزائرنا يا بلاد الجدود) من أروع ما كتبه الشّاعر.

لقد كانت تجربة (محمّد الشّبوكي) تجربة عمل فعلي سياسي وعسكري ثوري، وصاحب رسالة سعى إلى إبلاغها لكلّ الجزائريين، فكان كلّ همه الثّورة والوطن، ومن ثمّ الحريّة والاستقلال، فلم يكن يرضى أن تمس الثّوابت ولم يرض «إلاّ بالعليّة في دينه ووطنه وفي لغته وعقيدته» كما أكّد ذلك «محمّد كناي»، وهذا ما تجلى في كلّ انشغالاته التي كان يطرحها ومواقفه أثناء مناقشته القضايا الوطنيّة.

وكان وفاؤه للّغة العربيّة واضحا في شخصيته وفي شعره، حيث عقد في شعره مقارنة بينها وبين لغة العدو التي تمسّك بها الكثير ظنا منهم أنّها لغة الحضارة والتمدّن، مؤكدا أنّ اللّغة العربيّة لغة أصيلة شامخة محفوظة لا تتغيّر ولا تتبدّل لأنّها لغة القرآن الكريم.

فكان (الشّبوكي) من شعراء الجزائر الذّين امتازوا بروح وطنيّة وثوريّة ولّدت لديهم غيرة على وطنهم، فراحوا يخدمونه بأغلى ما لديهم ويقدّمون مصلحته على كلّ مصلحة، فكان شاعرا وصاحب دين وأدب وإصلاح وسياسة، مؤمنا بالتعليم وأهميته في صلاح الأمة، ومؤمنا بالوحدة الدّينيّة والوطنيّة، وقد امتاز شعره بالنّبرة الخطابيّة الإصلاحيّة، كيف لا وهو أحد أعضاء جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وأحد أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى.

حكيمة بوقرومة

المصادر:
- محمّد الشّبوكي، ديوان الشّيخ الشّبوكي، دار هومة للطّباعة والنّشر، الجزائر، 2010.
- عبد الملك مرتاض، معجم الشّعراء الجزائريين في القرن 20، دارهومة للطّباعة والنّشر، الجزائر.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 2007.

■ محمد الشّريف (بوتسطة)
(و: 1347ه - 1928م/ت: 1439ه - 2017م)

ولد المجاهد بوتسطة محمد الشّريف يوم 10ماي 1928 بولاية جيجل نشأ وسط عائلة متوسطة الحال تعيش من التجارة والفلاحة وتربية المواشي، تعلم القرآن الكريم على يد الشّيخ حمدوش يوسف وعندما بلغ العشرين عاما سافر إلى مدينة عنابة بحثا عن العمل ثم إلى الجزائر العاصمة للعمل كحلاق. عاد بعد اندلاع الثورة التحريرية إلى مسقط رأسه لينضم إلى النّشاط الثوري السّري بجبال الشّقفة بقيادة بن الصّم عبد الله المدعو مسعود الطّاهيري، دخلي المختار المدعو البركة، بوغريرة علاوة وناصري رمضان المدعو الحاج خونة. عند تكوين الفرقة الأولى بداية 1955 بقيادة بوغريرة علاوة أصبح بوتسطة محمد الشّريف جنديا في صفوف الفرقة التي يقود أفواجها الثلاثة كل من: دخلي المختار، ناصري رمضان وبوشلاغم بوجمعة. عند تكوين الفرقة الأولى بداية 1955 بقيادة بوغريرة علاوة أصبح بوتسطة محمد الشّريف جنديا في صفوف الفرقة التي يقود أفواجها الثلاثة كل من: دخلي المختار، ناصري رمضان

وبوشلاغم بوجمعة. وبعد فترة تم تقسيم الفرقة الأولى إلى تشكيل من ثلاثة فرق: الأولى بقيادة دخلي المختار بضواحي الشّقفة والطّاهير، الثانية بقيادة ناصري رمضان بضواحي تاكسنة وجيجل والثالثة بقيادة بوغريرة علاوة بضواحي المنصورية إلى غاية حدود الولاية الثالثة للربط بين الولايتين الثانية والثالثة

في 1956، تولّى المجاهد بوتسطة محمد الشّريف قيادة فوج بداية رفقة لعبني أحمد وغديري مختار المدعو بوقليع، ثم عين سنة 1957 قائدا لفرقة بالقسم الأول النّاحية الثانية وكانت أولى المعارك مع العدو بمنطقة "السّقاطة» قرب بلدية تاكسنة غنم فيها 06 قطع أسلحة وقتل عددا معتبرا من أفراد الجيش الفرنسي بالإضافة إلى الهجوم النّاجح الذي شنه على معسكر العدو بقرية ستراسبورغ (حاليا بلدية الأمير عبد القادر).

بعدها تعرض إلى إصابة على مستوى البطن و عالجه الطّبيب بوجمعة حفيظ بمشتى بني سيار ليعود مباشرة إلى نشاطه الثوري في سنة 1957 ذهب إلى تونس على رأس فرقة ضمن كتيبة يقودها عز الدّين بن مبارك من النّاحية الثالثة (المنطقة الأولى) وهو نائبا له، وأثناء العودة تعذر على عز الدّين الرّجوع وبقي بتونس بغرض العلاج، حيث تولى بوتسطة محمد الشّريف قيادة الكتيبة ليعود محملا بالسلاح والذخيرة. بعد هذه المهمة النّاجحة كلف مرة أخرى للذهاب إلى تونس لأداء نفس المهمة كقائد كتيبة وتم ذلك بنجاح رغم استشهاد مجاهد غرقا عند عبور الواد الكبير.

وفي أواخر عام 1957، عين مسؤولا للأخبار بالقسم الأول النّاحية الثانية. وفي جويلية 1958 حول إلى القسم الأول النّاحية الأولى للمنطقة الأولى –الولاية الثانية في نفس مهمة الإخبار والاتصال.

قام بإنشاء شبكة قوية للاتصال والأخبار تمتد من كافالو (العوانة حاليا) إلى غاية ميلبو وسوق الاثنين مرورا بزيامة رفقة لعبني أحمد وغديري مختار المدعو وفي أواخر عام 1957، عين مسؤولا للأخبار بالقسم الأول بوقليع، ثم عُيّن سنة 1957 قائدا لفرقة بالقسم الأول النّاحية الثانية، وفي جويلية 1958 حُوِّل إلى القسم الأول النّاحية الثانية وكانت أولى المعارك مع العدو بمنطقة – النّاحية الأولى للمنطقة الأولى – الولاية الثانية في نفس مهمة السّقاطة قرب بلدية تاكسنة غنم فيها عددا معتبرا من أفراد الجيش الفرنسي بالإضافة إلى الهجوم النّاجح الذي شنه على معسكر العدو بقرية ستراسبورغ (حاليا بلدية الأمير عبد القادر). قطع أسلحة وقتل الإخبار والاتصال. قام بإنشاء شبكة قوية للاتصال والأخبار تمتد من كافالو (العوانة حاليا) إلى غاية ميلبو وسوق الإثنين مرورا بزيامة المنصورية، وذلك على مستوى أرياف ومشاتي هذه البلديات بما فيها محتشداتها ومراكزها العسكرية ومزارع الكولون.

نظم مركز البريد على مستوى القسم وفروعه بالدواوير واختار مجاهدين معروفين بالشجاعة والخبرة والدراية بالمسالك لضمان شبكة اتصال محكمة محليا داخل الولاية.

تمكن بفضل حنكته من تجنيد 8 شبان من محتشد بطاشا قرب زيامة منصورية من خلال توجيههم للعمل كمترجمين أو كتاب إداريين على مستوى لاصاص والتقرب إلى العدو لكسب الثقة، وفي الوقت المناسب لبوا الأمر بالالتحاق بالثورة محملين بالأمتعة والأسلحة وهم: بوزيد ابراهيمي، سيسي العياد، بوزروة عمار، علوطي مصطفى، شطيبي أحمد، حيبوط أحمد، أطويل علي وشاقور وكان في استقبالهم بوتسطة محمد الشّريف خارج المحتشد في اليوم العاشر من شهر ماي 1958 و تركت العملية صدى على مستوى الولاية الثانية والثالثة.

بعد ترقيته إلى مسؤول عام بالقسم عام 1959، واصل أعماله العسكري بشجاعة نذكر منها: نصب كمين لشاحنة عسكرية تخرج بانتظام من مركز أفتيس ببلدية العوانة وعلى متنها ثمانية من العساكر، وتم قطع القضاء على سبعة منهم وحرق الشّاحنة وغنم أسلحة مختلفة، كما تخلل تنظيم هذا الكمين تولى فوج دفاع المجاهدين ضرب المركز العسكري بالرشاش الثقيل «30» لمنعهم من الخروج بمشاركة المسؤول العسكري جمال بن عياد عبد القادر المدعو أعراب.

قام أيضا بتكليف المجاهد سعدلي العياشي برصد تحركات العدو بين زيامة منصورية ومركز ديسيلوز محتشد بوبلاظن ومحتشد ميلبو، حيث تم نصب كمين للعدو قرب مركز ديسيلوز (مجمع الشّهيد عزيرو

حاليا) فقتل أحد العسكريين والاستيلاء على رشاش ماط 49 وتم نصب كمين بأفاغير قرب بوبلاظن الشّاحنة تنقل 17 عسكريا فقتلوا 061منهم.

في شهر ديسمبر 1959، تمكن من التوغل إلى محتشد بطاشا بالتنسيق مع مجندين (02) من المحتشد، حيث دخله بلباسه المدني حاملا سلاحه خفية وسط المواطنين المدنيين وتمكن من الاستيلاء على مركز المراقبة وأسر ثلاثة عسكريين بمعية مجموعة من المجاهدين جمعوا بعض أدوات الطّبخ والأسلحة.

في سنة 1960، عين مسؤولا عسكريا بالناحية 3 الأولى، في سنة 1961 كلف سعدلي العياشي مرة أخرى باستهداف المركز العسكري بمنطقة ميلبو، حيث قام هذا الأخير بضبط الخطة بالتنسيق مع جنديين من محتشد ميلبو، لكن العملية الغيت بسبب تغيير طرأ على مستوى المركز، وعلى إثره التحق أحد الجنديين بالثورة محملا بسلاحه والذخيرة.

بالإضافة إلى مختلف العمليات الأخرى التي مكنت جيش التحرير من بسط سيطرته ومجابهة العدو على مستوى أقسام النّاحية الأولى وهي: العوانة، زيامة منصورية، جبال البابور، العلمة، سوق الإثنين، خراطة و بني عزيز.

أصيب بجروح خطيرة خلال اشتباك مع قوات العدو بدائرة بني عزيز وألقي القبض عليه رفقة كاتبه إبراهيمي بوزيد ثم نقل على إثرها إلى مستشفى سطيف في بداية سنة 1962.

قام بعض الفدائيين بتهريبه إلى دار أحد المناضلين لإتمام علاجه، وبعد شهرين عاد إلى الجبال كمسؤول عسكري بالناحية الأولى إلى غاية 19 مارس 1962، عندها كلف بقيادة الفيلق الأول بعد هيكلة النّظام العسكري إلى أربعة فيالق بمنطقة القروش بلدية العوانة، وبعد استفتاء 05 جويلية 1962 دخل فيلقه إلى مدينة قسنطينة بأمر من قيادة الولاية الثانية.

وبتاريخ 24 اكتوبر 1962 تخلى عن المهام العسكرية وحوّل إلى المهام السّياسية والإدارية ليتولى المهام التالية:

- سنة 1963 عضو مكتب اتحادية جبهة التحرير الوطني بجيجل.
- سنة 1975 عضو الأمانة الوطنية للمجاهدين. جيجل
- تحصل على التقاعد كأحد إطارات الثورة التحريرية.

توفي يوم 18 جانفي 2017 بمقر سكناه ودفن بمقبرة الشّهداء.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- مجلّة أول نوفمبر، 113، سنة 2003، من إعداد / المكتب الولائي للمجاهدين بجيجل.

■ محمّد الصّالح آيت علجت
(و:1359ه - 1941م/ت: 1444ه - 2023م)

الشيخ محمّد الصّالح آيت علجت نجل العلامة محمّد الطّاهر آيت علجت، من مواليد سنة 1941 بتمقرة، بولاية بجاية وكان شيخا لزاويتها، وقد تتلمذ صغيرا على يدّ جدّه الشّيخ مقران، الذي لقنه كتاب الله والقراءة والكتابة وتحفيظ بعض من أجزاء القرآن الكريم قبل أن يلتحق بزاوية سيدي السّعيد مع أبيه سنة 1948.

وأتم الشّيخ محمّد الصّالح حفظ القرآن الكريم ودراسة اللغة العربية وآدابها ودراسة الفقه وعدد من العلوم بالزاوية قبل أن يتم إرساله إلى تونس، إبان فترة الاحتلال الاستعمار للجزائر، لمواصلة الدّراسة، فقد أرسله القائد عميروش إلى تونس من البعثات الطّلابية وفيها أخذ الدّراسة الثّانوية.

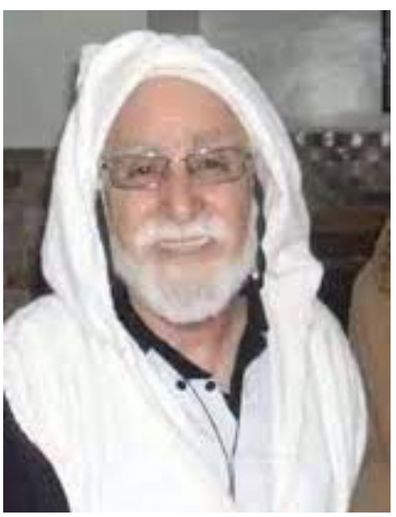

وبعد استقلال الجزائر التحق الشّيخ بالتعليم الابتدائي ثم الثّانوي وتحصل على شهادة الليسانس من جامعة الجزائر جوان 1971 تخصّص آداب ولغة عربيّة وحضارة إسلامية.

ومن مؤلفاته:

- الشيخ المولود الحافظي: حياة وآثار؛
- فتاوى الشّيخ المولود الحافظي؛
- صحف التصوف الجزائريّة من سنة 1920-1955؛
- رحلة قرن من حياة العلامة الشّيخ محمّد الطّاهر آيت علجت.

وقد قدم الشّيخ المفضال محمّد الصّالح آيت علجت، مادة علميّة غزيرة للمجلس الأعلى للّغة العربيّة، في مشروع الموسوعة الجزائريّة في المجلّدين الأوّل والثّاني، ولم يتوان في تلبية دعوة المجلس في الإسهام بمجموعة من السيّر الذّاتيّة

ذات القيمة والشهادات الحيّة، لأعلام الجزائر، بل كان سبّاق في العطاء قبل الطّلب.

وتمّ تعيين الشّيخ محمّد الصّالح آيت علجت في لجنة الفتوى في مكة المكرمة لموسم حج سنة 1432ه.

انتقل إلى رحمة الله، في يوم الاثنين، 01 ماي 2023، الشّيخ محمّد الصّالح آيت علجت، نجل العلامة محمّد الطّاهر آيت علجت، عن عمر ناهز 82 سنة، وتقدم وزير الشّؤون الدّينية والأوقاف، يوسف بلمهدي إلى عائلته بخالص عبارات العزاء والمواساة، داعيا الله عز وجل أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جناته ويرزق أهله جميل الصّبر والسلوان.

سناء رمضاني

■ محمّد الصّالح بن أحمد بن مبارك بختي
(و: 1302ه - 1885م/ت: 1380ه - 1961م)

محمّد الصّالح بن أحمد بن مبارك بختي والسّيدة مريم بنت محمّد بن أبي بكر صمادي. ولد سنة 1885م، بحي قصبة بلال من أولف. نشأ وتربى في عائلة علمية ودينية إذ كان أبوه قاضي الجماعة ومفتيها بأولف، وأمه من عائلة ميسورة الحال ذات صلة بالعلم والدين. وهو ما وفر له حياة اجتماعية وثقافية مناسبة. تفرغ منذ نعومة أظافره إلى قراءة القرءان الكريم، كتب الفقه ومتونه، كتب السّيرة النّبوية وصحاح الحديث، على يدّ والده وعمه عبد العالي بن مبارك بختي.

كرس حياته للعلم والتفقه في أمور الدّين حيث لم يشتغل بالفلاحة كسائر أبناء المنطقة أو بأي نشاط اقتصادي آخر. ولما عجز أبوه في أواخر حياته، جلس ليدرس القرءان للفتية. وبعد وفاته واصل نفس النّشاط رفقة إخوانه الكبار بمدرسة أبيه. كان يقوم إلى جانب تدريس القرءان للطلبة في النّهار في الفترتين الصّباحية والمسائية، بشرح المتون للكبار (الحديث والفقه) في فترة الظّهيرة.

كان شغوفا بالمطالعة إلى الحد الذي تمكن فيه من مطالعة موجودات مكتبة أبيه مرتين، وهي أكبر مكتبة بالمنطقة. كما حرص على المحافظة عليها، وتزويدها بالعناوين التي كانت تأتيه من منطقة توات خاصّة المتعلقة بالنّوازل والأحكام. وهو بالإضافة إلى هذا يتمتع بخط جميل ورائق، كتب به مئات المتون لمن يطلبونها منه، فضلا عن كتابة الأرسام.

جلس للإفتاء والإجابة على الأسئلة والنّوازل وحل قضايا المجتمع ومشكلاته، رغم أنه رفض تولي مهمة القضاء بعد وفاة أبيه حتى وإن كان أبوه يطلق عليه لقب القاضي. ولهذا اتفق الأعيان بعد ذلك على تنصيب السّيد محمّد بن الحاج محمّد دادة لتولي القضاء.

تولى إمامة مسجد العرب (أنس بن مالك حاليا) بزاوية حينون مدة يسيرة بعد وفاة والده وبعدها اقتصر نشاطه على التدريس، وصلاة العيدين في حي قصبة بلال.

كانت للشيخ محمّد الصّالح بختي صلات وعلاقات مع علماء عصره باللقاءات والمراسلة، أمثال السّيد محمّد بن السّيد جعفر، محمّد عبد الكريم المغيلي المنوفي، محمّد عبد القادر بلعالم، محمّد الطّيب اق عمي.

بعد عمر حافل بالعطاء العلمي والمعرفي، انتقل إلى رحمة الله سنة 1961م، ودفن بمقبرة زاوية حينون جوار أبيه وأجداده. رحمه الله وأثابه عما قدم للإسلام والمسلمين.

قدي عبد المجيد

■ محمّد الصّديق بن يحي
(و:1350ه - 1932م/ت: 1402ه - 1982م)

ولد محمّد الصّديق بن يحي بشارع سي الحواس بقلب مدينة جيجل يوم 30 يناير 1932، وسط عائلة محترمة ذات سمعة طيبة، فوالده من أعيان المدينة، زاول دراسته الثّانوية بثانوية ألبيرتيني بمدينة سطيف، وهناك احتك في شبابه بعدة شخصيات على غرار بلعيد عبد السّلام ولمين خان.

واستطاع الحصول على شهادة الليسانس في الحقوق سنة 1954 من جامعة الجزائر، أول نشاط سياسي لبن يحي كان في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذي كان رئيسا له، كما يعد الفقيد أحد مؤيدي أحداث 19 مايو 1956 التي غادر فيها مئات الطّلبة والثّانويين المدرجات والأقسام الدّراسية من أجل الالتحاق بالثورة.

وفي سنة 1956 تمكنت المخابرات العسكرية الفرنسية من كشف أمره، فأصدرت السّلطات الاستعمارية أمرا بالتوقيف ضد بن يحيى ولخضر الابراهيمي اللذين كانا حينها في جاكارتا. ولضمان حمايتهما، قرر قادة جبهة التحرير الوطني توجيههما الى المكتب المحلي لجبهة التحرير الوطني في اندونيسيا، فتم تهريبه إلى مصر عن طريق تونس. فاشتغل محرّرا ومذيعا في صوت العرب الذي كان يبث من القاهرة، وقد شارك في النّدوة الآفروأسياوية المنعقدة في (باندونغ) باندونيسيا سنة 1955،1955 والتي شاركت فيها الجزائر التي كانت تخوض حربا ضد المستعمر، كبلد ملاحظ حيث كان بن يحيى وسنه لا يتعدى 23 سنة ضمن الوفد الجزائري بقيادة آيت أحمد وامحمّد يزيد.

وقد فرض المناضل الشّاب هيبته وارتقى في مناصب جيش التحرير الوطني المجيد

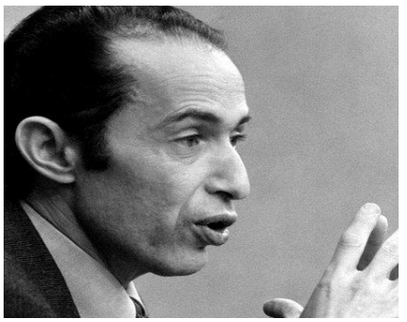

ليصبح الأمين العام للرئاسة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وسرعان ما اكتشف أمره قادة الثّورة آنذاك ومواهبه الكبيرة وذكاءه الخارق. مما أهله وبسرعة للدخول في شؤون السّياسة والديبلوماسية من بابها الواسع وعمره لا يتعدى 26 سنة شارك مع الوفد الجزائري في مفاوضات اتفاقات ايفيان في سنة 1962. ضمن الوفد الذي قده كريم بلقاسم وقد كان له دور حاسم في مختلف مراحل المفاوضات، وكان أحد مهندسي اتفاقيات وقف القتال في 19 جوان 1956، وقد أعجبت بحنكته الشّخصيات الفرنسية المشاركة في المفاوضات حيث لقبته جريدة) باري ماتش ((بثعلب الصّحراء) وذلك لما أظهره من قدرة على الجدل والإقناع.

كما مثل الى جانب رضا مالك، الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية خلال أحد لقاءات من المفاوضات المنعقد يوم 28 أكتوبر 1961 في بال بسويسرا.

إن التجربة الطّويلة لمحمّد الصّديق بن يحي ومستواه العالي جدا وحبه للوطن جعل منه رجلا متعدّد الخدمات لذلك تراه تقلّد مسؤوليات شتى في عدّة وزارات وأدّاها كلها بتفوّق وامتياز أثار دهشة وإعجاب الخبراء والمختصّين، لقد ترك أثارا بارزة في قطاع الثّقافة والإعلام من خلال الإنجازات والبرامج والمخططات التي تحققت فيما بعد، فقد تقلّد منصب وزير التعليم العالي والبحث العلمي من 1970 إلى 1976، ثم وزير للمالية من 1976 إلى 1978، وزير الخارجية من 1978 إلى 1982، ومن أبرز أعماله كوزير للخارجية أنه استطاع بفضل حنكته السّياسية الشّروع في استرجاع جزء من أرشيف الجزائر المسروق من طرف فرنسا إلى أرض الجزائر فقد أبهر العالم بفصاحته وسداد رأيه وحنكته الدّبلوماسية ولا يزال التاريخ يحتفظ حتى اليوم، بعد مرور 39 عامًا من اختفائه في حادث تحطم طائرة مأساوي، بدوره في حلّ أزمة ال52 أمريكيًا الذين احتجزوا كرهائن لمدة 444 يومًا في مقرّ سفارة الولايات المتّحدة في طهران، من خلال التّوصل الى حمل الطّرفين الأمريكي والإيراني على التوقيع على اتفاق الجزائر في 19 يناير 1981.

تعرض محمّد الصّديق بن يحي في جوان 1981 لحادث سقوط طائرة كان على متنها رفقة الوفد المرافق له، اثر تقلب مفاجئ للأحوال الجوية، ولحسن الحظه نجا بأعجوبة، وبعد مرور سنة تتكرّر الحادثة لكن هذه المرة أدت لوفاة محمّد الصّديق بن يحي، وكل من كان معه بمن فيهم طاقم الطّائرة والمضيفة، في 03جوان 1982 في حادث سقوط طائرة على الحدود التركية الإيرانية والتي كانت متوجّهة من العراق إلى إيران، في مهمّة وساطة في النّزاع الحدودي بين طهران وبغداد.

سناء رمضاني

■ محمّد الصّغير بن الحاجّ
(و: 1191ه - 1777م/ت: 1260ه - 1844م)

محمّد الصّغير بن الحاجّ عالم وخليفة من خلّفاء الأمير عبد القادر، محمّد الصّغير بن عبد الرّحمان بن الحاجّ أحمد بن الحاجّ محمّد بن الحاجّ التواتي الشّريف العقبي، ولد سنة 1777، في بلدة «سيدي عقبة»، الواقعة بالقرب من مدينة (بسكرة)، من عرش الشّرفة، وهو عرش مشهور في بسكرة وباتنة وخنشلة وغيرها، و(الشّرفة) أي الأشراف؛ لأن نسبهم ينتهي إلى الأدارسة في المغرب الأقصى، نسبة إلى إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله e. وإدريس الأكبر هو مؤسّس عام الدّولة الإدريسيّة 172هـ التي تعتبر ثاني دولة إسلاميّة مستقلة (عن الخلافة الإسلاميّة) في المغرب الأقصى بعد دولة الأمويين في الأندلس. وأقارب الشّيخ «محمّد الصّغير بن الحاجّ» يحملون اليوم لقب (بن مبارك)، وقد توارث أجداده مشيخة البلدة كابرا عن كابر منذ استقرارهم بها في القرن الثّاني عشر الميلادي 12م. كان جده الشّيخ الحاجّ أحمد هو شيخ البلدة. وقد كانت لهم علاقة مصاهرة مع عائلة (بن گانة)، وكان لزاما على أشراف سيدي عقبة أن يتصاهروا مع عائلة بن گانة كي يحافظوا على سلطتهم بسيدي عقبة وعن مكانتهم الاجتماعيّة، لأنّ مشيخة العرب كانت بيد عائلة (بن ڤانة) المتسلطة على الزّيبان تحت رايّة الحكم التركي لبايلك الشّرق. وفي سنة 1823م تزوج الشّاب محمّد الصّغير بامرأة تدعى (مباركة بنت الأغا) الكرغليّة كي يحصل على المشيخة المستقلة لواحة سيدي عقبة تحت حمايّة القايديّة التركيّة الأمير الي ببسكرة. لأن الأتراك لا يولون المشيخة إلاّ للذين تربطهم بهم علاقة مصاهرة.

تلقى الشّيخ محمّد الصّغير بن الحاجّ تعليمه في زاويّة سيدي عقبة، حيث حفظ القرآن الكريم، وتعلّم الفقه والتوحيد والحديث وغير ذلك من العلوم، كما أخذ الطّريقة الرّحمانيّة من شيوخ المنطقة الذين كان أغلبهم ينتمي إلى هذه الطّريقة، وقد صار بعد ذلك مقدَّما لهذه الطّريقة بسيدي عقبة، وكان يعرف بالتعبّد والزّهد والتبتل، كما كان محبّا للعزلة والخلوة حتى لقب بـ (ثعلب الغيران) لشدة لزومه لها.

نظرا للعلاقة الطّيبة التي كانت تجمعه بعائلة (بن گانة)، فقد عيّنه شيخ العرب (بن گانة) شيخا لمدينة سيدي عقبة، وكان ذلك سنة 1837، واستطاع أن يحقق في مدينة سيدي عقبة استقرارا ورخاء، كما عمل على توسيع عمرانها بزيادة سكانها بعد أن استطاع بحكمته إقناع بعض القبائل بالإقامة في مدينة سيدي عقبة .

عينه الأمير (عبد القادر) خليفة جديدا بعد مقتل (فرحات بن السّعيد) سنة 1841 ينوب عنه في منطقة الزّيبان. وقد وقع عليه الاختيار لكونه مقدّم الطّريقة الرّحمانيّة في المنطقة، فقد كان الأمير يقدم رجال الدّين في الوظائف الإداريّة والحربيّة على رجال المخزن، وكان يلجأ إلى تجنيد رجال العلم الذين كان كثير منهم قد تخرجوا من الزّوايا مثله. كما أنّ الأمير عيّنة للاستعانة بالرّحمانيين الذين كانوا على أهبة الاستعداد للمشاركة في الجهاد. وكان تعيينه في الفترة التي هاجر فيها (بن گانة) مع أنصاره نحو الشّمال بحثا عن مناطق الرّعي.

وقد كان محاربا ومؤمنا بضرورة الجهاد ومقاومة العدو، وقد سبق له العمل مع خلّفاء وأنصار(لأمير عبد القادر الجزائري) في المنطقة، والذي نصب خلّفا له (أحمد بن عمر)، وترك له بعض الجنود والمعدات، وذلك في سنة 1843، ولكن خلافة(بن الحاجّ) جاءت في وقت صعب للمقاومة، في ظرف كان العدو الفرنسي قد استعمل كل وسائله للقضاء عليها، وتعتبر سنة 1843 من السّنوات البارزة في عمر المقاومة، لما تكبدته من خسائر هامة، خصوصا بعد الزّمالة (دولة الأمير) عنها، وكذلك سنة 1844 التي وقعت فيها معاهدة طنجة مع الاستعمار الفرنسي، والتي عزلت المغرب عن الأمير عبد القادر.

وهكذا فإنه وبالرّغم من الجهود الجبارة التي بذلها «ابن الحاجّ» فإنه لم يستطع وقف تقدم العدو المدعوم بقوات من المنطقة، فبمساعدة «ابن گانة» دخلت القوات الفرنسيّة بسكرة (4 مارس 1844)، ولكن «ابن الحاجّ» قد غادرها قبل خمسة أيام مع جنوده النّظاميين، وقد توجه بهم إلى الأوراس كما خرج معه بعض السّكان واشتدت الحرب بين المقاومين والعدو في «مشونش»، وهاجم المجاهدون مركز باتنة، الذي جعله العدو مقدمة لغزو الصّحراء وقتلوا واحدا وستين (61) من جنود العدو. وبعد ذلك لجأ الخليفة «محمّد الصّغير بن الحاجّ» إلى بلاد الجريد بـ(تونس) مؤقتا.

احتل الدّوق (DUMAL) بسكرة بمساعدة (بن گانة) ولكنه ما كاد يخرج منها حتى وقعت فيها ثورة دمويّة أعادت هيبة (الأمير عبد القادر) في المنطقة، وكانت الحركة قد تولاها (علي بن ميلي)، الذي قاد في 12 ماي 1844 الهجوم على قصبة بسكرة حيث توجد الحاميّة الفرنسيّة وفي اليوم الموالي للهجوم رجع الخليفة «محمّد بن الحاجّ»

من جديد واحتل القصبة ورفع رايّة الأمير عبد القادر. بقي الخليفة ابن الحاجّ أياما في بسكرة يعيدها إلى حظيرة المقاومة ويرتب أمورها، ولكنه كان يعرف أن الفرنسيين سيعودون وأنهم سينتقمون منه.

وفعلا فقد رجع الدّوق (DUMAL) إلى بسكرة فصادر أملاك السّكان ثم أغار على بلدة سيدي عقبة وعاقب أهلها واستولى على قوتهم.

أما ابن الحاجّ فقد نزل عند (أولاد صولة) ولكن الجنرال (بيدو/ BEDEAU) أخذ يطارده ولم يسعه إلا اللجوء إلى الجريد التونسي عبر «وادي سوف» بعد أن أقام وقتا في «نگرين».

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي، عالم المعرفة، الجزائر 2011؛
- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنيّة الجزائريّة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992؛
- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار مداد يونيفرستي، قسنطينة، 2015؛
- الأمير بوغدادة: دور الإخوان الرّحمانيين في المقاومة بمنطقة الزّيبان خلال القرن 13 هجري/ 19 ميلادي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 15، جوان 2015.

■ محمّد الطّاهر آيت علجت
(و: 1355ه - 1917م/ت: 1444ه - 2023م)

ولد العلامة الشّيخ محمّد الطّاهر آيت علجت في 05 محرم 1335 الموافق 07 فيفري 1917 بقرية تمقرة، ولاية بجاية، والده الشّيخ مقران بن محمّد الطّاهر بن صالح المتصل النّسب إلى الشّيخ الولي الصّالح سيدي أبي زكريا يحي بن أحمد العدلي (المتوفى سنة 881ه/ 1476م) فهو من عائلة محافظة ومتدينة، ومتمسّكة بالموروث الثّقافي والديني والعلمي والخلقي أبا عن جدّ، فلم تغيّرهم ظروف الدّهر وويلاته.

حافظت هذه العائلة كلّ المحافظة على تنشئة ابنها هذا الأول تنشئة خُلقية، واهتمّت برعايته رعاية فائقة، خاصّة فيما يتعلّق بشأن تربيته وتعليمه، ولقد تولّى الشّيخ مقران أمر تعليم ابنه بنفسه أولا بتعليمه الحروف وأجزاء من القرآن الكريم في جامع القرية التي يتولّى فيها الشّيخ مقران إمامة النّاس في الصّلاة.

في سن الثّالثة عشر (13) كان قد أتم حفظ القرآن الكريم وانتقل إلى زاوية أحمد بن يحي بقرية آمالو في بني عيدل، تلقّى العلم بها على يد الشّيخ لحلو خياري والشيخ السّعيد اليجري، في فترة تعليمية دامت خمس (05) سنوات، ثم انتقل إلى زاوية الشّيخ عبد الرّحمن

بلحملاوي بدائرة تلاغمة ولاية ميلة (1935-1937) وشرفه الشّيخ عبد الرحمن بلحملاوي بتقديمه للقيام بصلاة وخطبتي عيد الفطر وإلباسه لبرنوس جزائري أصيل.

وفي سنة 1937 عاد لمسقط رأسه وتمّ بعون الله إعادة فتح زاوية جدّه الشّيخ يحي العيدلي التي دمرها المستدمر الفرنسي، لكن أعيد فتحها في يوم تاريخي خالد وحافل ومشهود في تاريخ تمقرة، حضره جمع غفير من شيوخ العلم وأعيان القرى المحيطة بتمقرة، بعدما توقف النّشاط فيها بسبب التدمير، وكان ذلك اليوم من أسعد أيام حياته.

وقد برمج الشّيخ محمّد الطّاهر آيت علجت برنامجا دراسيا حافلا، تتجاوز فيه أوقات الدّراسة 12 ساعة في اليوم، مخصصة للمواد التعليمية من فقه ولغة وقراءات وسيرة نبوية وحديث شريف وإنشاء ومحفوظات وعلوم طبيعية وحساب وتاريخ وجغرافيا، أي تطبيق برامج ونظم جامع الزيتونة بتونس الذي يعد الطّلبة بعد انتهاء مرحلتهم التحضيرية للقبول في جامع الزيتونة ومعهد الشّيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، وموازاة لذلك يتم تحفيظ القرآن وتجويده كذلك قبل صلاة الصّبح وبعد صلاة العشاء، وما بين هذين الوقتين بالنسبة لغير الحافظ من الطلبة.

ولقد توارث أحفاد الشّيخ العيدلي المكانة الاجتماعية المحترمة في كل الوسط المحيط بهم بما كانوا يقومون به في هذا الوسط من تعليم وإصلاح اجتماعي وإفتاء للناس لمسائلهم الشّرعية، ولذا كانوا قبلة لهم حين الحاجة؛ فلا يردونهم خائبين ويسعون ما استطاعوا لقضاء حاجات النّاس وفض الخصومات بالإصلاح والتراضي، وبالنجاح المحقق في إصلاح النّفوس

تحقق إصلاح ذات البين، وكان الشّيخ آيت علجت يبذل جهدا كبيرا لتلبية كلّ دعوة لها مناسبة أو اقتضتها الأحداث الاجتماعية، من وفاة وزواج وأفراح وأتراح، وكلّ تجمّع تكون فيه الفرصة متاحة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ذات البين وإنهاء النّزاعات القديمة التي طال أمدها وتوارثتها الأجيال وتغلغلت فيها الأحقاد ذات الأسباب القائمة على التركة والحدود في جوار الحقول والدور والقمار والطلاق ومختلف المعاملات التجارية والفلاحية المخالفة للقاعدة الفقهية القائمة على أنه (لا ضرر ولا ضِرار) والمبنية على التسامح، فأصبح النّاس حين الاختلاف في أمر من أمورهم الخاصّة والعامّة، وكان الأمر مستعصيا، يرفعونه إلى شيخ الزاوية، وعنده تكون النّهاية المرضية لجميع الأطراف فلا غالب ولا مغلوب، ويختم الاجتماع بالدعاء بالخير والتوفيق للخصمين ولشهود الاجتماع وكل الحاضرين، فيبث الصّلح ويأخذ الحق مجراه ويحرر في هذا الشّأن محضر يبين فيه ما تمّ الاتفاق عليه.

وحين نادى منادي الجهاد لبّى الشّيخ مع تلامذته نداء الواجب المقدس؛ فكانوا ضمن جنود الثّورة البواسل، ولم يثنهم عن غايتهم تدمير المحتل الفرنسي لزاويتهم سنة 1956؛ إذ تحوّل الرّباط منها إلى ميادين الجهاد، وتولى الشّيخ مهمة القضاء وفصل الخصومات في جيش التحرير بقيادة العقيد الشّهيد عميروش، والذي كلّف الشّيخ آيت علجت برفقة مجموعة من الطّلبة عددهم 2 طالبا سنة 1957، بالتوجّه إلى تونس في مأمورية تمثلت في استقبال ورعاية الطّلبة المتواجدين هناك، والذين سيلتحقون على دفعات متتالية، وضمان تمدرسهم، ومتابعة مسارهم الدّراسي، وبذل كل الجهود في سبيل تحقيق ذلك.

وفي صائفة سنة 1960 قام الشّيخ محمّد الطّاهر آيت علجت بزيارة للعديد من بلدان المشرق العربي، وكانت انطلاقتها من تونس عبر ليبيا، ثم القاهرة، ثم دمشق، فبيروت، والأردن، وعمان،، والقدس الشّريف، وفي كل هذه البلدان يحرص على الاطلاع على أحوال الطّلبة الجزائريين المتواجدين فيها، فعقد عدة لقاءات معهم وشجعهم على طلب العلم والاجتهاد في التحصيل المعرفي، وتوّج هذه الرّحلة بالقيام بزيارة القدس الشّريف ومدينة الجليل، والصلاة في القدس، كما كانت للشيخ في هذه الرّحلة عدة لقاءات بالشخصيات الفكرية والسياسية والدينية.

وفي أواخر سنة 1960، عيّن كملحق ثقافي في مكتب طرابلس للبعثة الجزائريّة، وظلّ بها حتى استعاد الشّعب حريته وكرامته، وهي مهمّة ديبلوماسية بامتياز ومهمة اجتماعية بالممارسة الميدانية، وكذلك هي مهمة ثقافية بحكم التسمية، يتولّى ويسيّر فيها كل ما له صلة بالثقافة، من ذلك شؤون الطّلبة الجزائريين الذين يتابعون دراستهم في المؤسسات التعليمية الليبية على مختلف المستويات.

وبعد أن استعادت الجزائر استقلالها سيادتها دخل الشّيخ محمّد الطّاهر آيت علجت للجزائر، وانتسب لوزراة الشّؤون الدّينية ليعمل بها فترة في وظيفة تعليمية وتكوينية فأشرف على تحرير دروس بالمراسلة لفائدة الرّاغبين من أئمة وغيرهم من الطّلاب، كما ركز الشّيخ نشاطه حول التعليم الحرّ الدّعوي وميدانه المسجد، فكان يقدّم دروسا في العلوم الشّرعية واللغوية، وتفرغ للإرشاد والخطابة بمختلف مساجد العاصمة، وصار من أهم مراجع الفتوى في وزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف. وسعى لتأسيس رابطة الدّعوة الإسلامية، ولم ينقطع صوته عن النّصح والإرشاد، يغشى المجالس والمساجد والمجامع، وكلّ همّه ورسالته أن يوجّه النّاس إلى طريق السّعادة في المعاش والمعاد، ويسعد برؤيتهم أفرادا صالحين يبنون الوطن وينفعون العباد.

ولئن لم ينشر من نتاج قلمه الكثير، فإن له مذكرات تروي جوانب من هذا الجهاد المبارك. فضلا عن آلاف الرّجال الذين أعدهم لجزائر الاستقلال، انبثوا في جنبات الوطن في مختلف الميادين رسل خير وبناة لمجد الجزائر.

وكفاه شرفا أن يكون من ثمرات غراسه أعلام كثر هم عنوان على تلك الأجيال؛ مثل المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم الوزير والمفكر الرّائد، والوطني المجاهد. والمرحوم الدّكتور محمّد شريف قاهر- أيقونة المجلس الإسلامي الأعلى لعقود من الزمن.

وقد نال الشّيخ محمّد الطّاهر آيت علجت تقدير كلّ الجزائريين، ومحبتهم الصّادقة، والخالصة لوجه الله الكريم تبارك وتعالى، خاصة بإسهامه في لجنة الأهلة، فقد كان بدراً يضفي جلسة الترقب نورا على نور، وكم افتقده الجزائريون وتم تكريمه من رئيس الجمهوريّة الأسبق عبد العزيز بوتفليقة في الذكرى الخمسينيّة الإحتفال بالاستقلال بإقتراح من المجلس الأعلى للغة العربيّة ضمن مجموعة من العلماء والمفكرين.

توفي الشّيخ الجليل محمّد الطّاهر آيت علجت، عن عمر ناهز 106 سنة مساء يوم الثّلاثاء 13 يونيو 2023 في مستشفى مصطفى باشا بالعاصمة الجزائرية بعد تدهور حالته الصّحية، ودفن في مقبرة عيسات إيدير ببني سوس.

سناء رمضاني

المصادر:
- رحلة قرن من عمر العلامة محمّد الطّاهر آيت علجت، 2016.

■ محمد العربي بعرير
(و: 1356ه - 1937م/ 1378ه - 1959م)

شـهيد الوطن البطل محمد العربي بعرير مـن مواليد 19 جانفي 1937 بقرية فرفار بلدية طولقة ولاية بسكرة حاليا.

هـو الابن البكـر لوالديه الحقـه والده في بدايـة عهـده بكتـاب القرية بمسـقط رأسـه، حيـث حفـظ قسـطا مـن كتـاب اللـه العزيز الحكيـم، وفـي عـام 1942 دخـل المدرسـة الابتدائيـة الفرنسـية بـذات البلـدة، وكانـت تحمل انذاك، اسم مدرسة الزعاطشة، وبهذه الاخيـرة تابـع تعليمـه باللغـة الاجنبيـة حتى اكمل المرجلة الابتدائية (1946/ 1947).

فـي العـام الدّراسـي 47 48 انتقل الشّـاب محمـد العربـي بعريـر الـى مدينـة بسـكرة والتحـق باكماليـة لافيجـري التـي تحمـل الآن اسـم الشّـهيد يوسـف العمودي وبهذه الاكمالية تابع الشّـهيد دراسـته فـي المرحلة المتوسـطة وانهاها في عام 1952، وقد عرف خلالها بالجـد والاجتهاد في دراسـته فضلا عن التحلي بالسـلوك الحسن والانضباط مم اجعل مكانته عالية بين اقرانه من الجزائريين والفرنسيين على حد سواء.

والـى جانب جـده واجتهاده في دروسـه كان الشّـهيد عضـوا نشـطا وحيويا فـي فريق الكشافة الإسـلامية الجزائرية بمدينة بسكرة والـذي كان يتولاه ويرعاه ويعده للمسـتقبل الشّـهيد يوسـف العمـودى، ونظـرا لكونـه واحد من انشـط عناصر فريق الكشـافة على مسـتوى بلدته شـارك الشّـاب محمد العربي بعريـر فـي جـولات كشـفية عبـر المنطقـة وحتـى خارجهـا، كما شـارك بـذات الصّفة فـي مخيمـات كشـفية فتحـت امامـه البـاب واسـعا للتفتح علي المحيط العـام، ووفرت له فرصة الاحتكاك والتعرف وبشـكل واسع على اقرانـه من الشّـباب الوطنـي كان بدون شـك الكثير منهم يشـاطرونه نفس الاهتمام والتوجه والتطلعات نحو المسـتقبل وهذا ما مكنه ايضا مـن الوقوف على حقيقة خلفيات الكثير من القضايـا والوقائع التي كانت تملأ السّـاحة الوطنية آنذاك وتشغل بال الكثير من الوطنيين المخلصين العربي.

ان هذا الجو المليء بالنشـاط والمفعم بالحيويـة وبشـتى الاغـراءات لشـاب فـي مثـل سـنه لـم يجعلـه يندفـع وراء رغباتـه الانيـة وبالتالـي يبعـده عـن الاهـداف السّـامية التـي كان يسـعي الـى الوصـول اليها بل دفعه الى بدل المزيد من الاهتمام بدراسـته والتـزود بالمعـارف العلميـة وغيرهـا وقد دشـن هـذه المرحلـة بانتقاله فـي عـام 1952 الـى المرحلـة الثانويـة، ولهـذا الغـرض انتقـل الـى مدينـة باتنـة والتحـق بثانويتهـا التـي تابع الدّراسـة بها بنفـس الارادة والقـوة متخـدا مـن تجاربه السّـابقة معينـا لـه علـى تخطـي حواجـز المرحلـة وعقباتهـا.. اندلعـت الثـورة والشـاب محمـد بعرير مـازال فـي مقاعد الدّراسـة بثانويـة باتنة، وكان مـن الطّبيعي ان يتأثـر مثـل بقيـة اقرانـه مـن الوطنييـن المخلصيـن لمـا يجـري علـى السّـاحة، خاصـة وانـه صارفـي مسـتوى مـن السّـن ومـن النّضـج الفكري مايؤهله لاسـتيعاب معطيـات المرحلة وفهم ابعادها وفي سـنة 1956 كان الشّـاب محمـد العربي قد ادرك السّـنة الثانيـة مـن التعليم الثانـوي وكانت هـذه المرحلـة من اخصـب فتـرات حياته واكثرها حساسـية بالنظر للوضع السّياسي المتميـز الـذي تمـر بـه البلاد والـذي كان المحـور الرّئيسـي الـذي طغـى بوقائعـه وتفاعلاتـه علـى مجمـل نشـاط وتفكيـر العديـد من الطّلبـة الجزائريين من مختلف نواحـي المنطقـة ودفعهـم الي تتبـع اخبار الثـورة وانتصاراتها السّياسـية والعسـكرية بل وحتي انكسـاراتها.. في هـذا العام اي في عام 1956 شـارك الشّاب محمد العربي بعريـر في امتحان الجزء الاول من شـهادة البكالوريـا في هـذه الفترة كانت الشّـهادة مقسـمة الـى جزءيـن ولكـن يبـدو ان الاوضـاع التـي كانـت عليها البـلاد انذاك قد سـيطرت علـى مشـاعر وعقـول الكثير مـن طلبة الثانويـة بباتنة كما فـي غيرها من ثانويـات القطـر فاهتمـوا بالحـدث وبتتبع اخبـار الثـورة بـدل الاسـتمرار فـي متابعة الدّراسـة. وكان الخيـار الاول هـو الـذي تقـرر الاخذ بـه والعمل علـى تحقيقه رغم كل الظروف.

وللوصـول الـى ذلـك ضاعفـوا مـن تحرياتهـم وبحثهـم مـن اجل الوصـول الى الخيـط الـذي سـيربطهم بالثـورة وتمكنـوا بعـد جهـد معتبر ان توصـل وغيـره الى ربط الاتصـال مـع احـد المناضليـن بالمدينة هو بوفـروة والمدعو حركيا باسـم الطّالبو وعن طريـق هذا الشّـخص الذي عمـل لفترة على اعدادهـم وتنظيمهـم تمكـن الشّـهيد وغيره مـن الطّلبـة بعـد ذلك مـن الالتحـاق بركب الثـورة المسـلحة، حيث دخلوهـا عن طريق المشـاركة في اضراب الطّلبة الشّـهير في 19 مـاي 1956 تلبية لنداء جبهـة التحرير الوطني التحاقه بالثورة.

كان الشّـهيد قـد اعـد نفسـه واسـتعد للالتحاق بركب الثورة قبـل اضراب الطّلبة في 19 ماي65 19وما مشاركته في الاضراب الـذي جرى في ذلك العـام الا دليل اضافي علـى نيتـه الصّادقـة واسـتعداده الكامـل للولـوج في عالـم النّضال والكفـاح بكل ما يملك من طاقات مادية وفكرية بالخصوص ممـن يملكـون لكونـه واحد رصيـدا معتبرا من العلـم والمعرفة وتلك كانت واحدة من الميادين التي كانت تحتاجها الثورة لتسـيير دواليبهـا وبعـد ان رتـب امـوره تـم التحاقه بركب الثورة عن طريق البطلين الشّـهيد نور الدّيـن مناني وعلي حفنـاوي وتم ذلك فعلا بالناحيـة الثانية التي كان علـى رأس قيادتها الشّـهيد علـي بـن المسـعود وهـذا عقـب اضراب الطّلبة مباشـرة في عام 1956الناحية كانـت تابعـة للمنطقـة الثالثـة وكان علـى رأس قيادتهـا انـذاك الشّـهيد البطـل احمـد بن عبد الـرّزاق الحواس) نشـاطه الميداني عقـب التحاقه بالثورة بحكـم تكوينه العالي وثقافتـه الجيـدة رأت القيـادة على مسـتوى المنطقة توجيهـه الى الميدان الذي رأت انه بحاجة ماسة اليه وهو العمل الإداري.

لقد عمل بالكتابة العامة بالقسم لفترة من الوقت تم حول الى ادارة النّاحية كذلك ومارس هذه المهمة نحو عام تقريبا النّصف الثاني من عام 56 والنصف الاول من العام الموالي له » اظهر خلالها قدرة | ومهارة فائقتين في ادارة وترتيب شؤون ادارة القسم ثم النّاحية تباعا رغم ضعف الامكانيات وبدائياتها ورغم ظروف الحرب | وتعقيداتها وخاصة في تلك المنطقة الا انه برهن على اهليته وشجاعته وقدرته العجيبة على العمل بدون كلل أو ملل فصار | مضرب المثل بين اخوانه المجاهدين في السّلوك والانضباط والتفاني في اداء الواجب مما جعل ادارة المنطقة تفتح الباب امامه في ارتقاء سلم المسؤوليات خاصة وان القائد الحواس كان يتولي بنفسه عملية المتابعة والمراقبة اليومية للاطارات الشّابة على مستوى منطقته يرشدهم ويمدهم بتوجيهاته السّديدة وبعد ان يتأكد من استيعاب هؤلاء لتلك fer لتوجيهات والارشادات والعمل بها وابراز قدراتهم على تحمل اعباء المسؤولية

ما يملك من الصّدق والايمان بعدالة القضية وبخبرته حنكته وشجاعته ان يتصدى للعدو وان يسد ويحقق عليه الانتصار وان يسعى دوما الى تطوير اساليب المواجهة والمقاومة حتى تتجاوب مع تطورات الحرب وتعقيداتها.

على هذا النّسق اذن وبهذه القوة واصل البطل مسعاه من اجل الوصول الى غايته وهو استعادة الحرية والاستقلال، الى ان سقط شهيدا في ساحة الشّرف مع عدد من رفاقه الابطال.

يأتي في مقدمتهم القائدان الحواس وعميروش وعمر ادريس فيما بعد...

بعد حياة حافلة بالاعمال الجليلة والبطولية من اجل القضية الوطنية المقدسة سقط البطل محمد العربي بعرير شهيد في ميدان الشّرف يوم 29 مارس 1959 بجبل ثامر جنوب مدينة بوسعادة بولاية مسيلة حاليا اثر معركة غير متكافئة مع قوات العدو البرية والجوية وكان يومها مرافقا للقائد احمد حمودة بن عبد الرّزاق الحواس قائد الولاية السّادسة وأيت حمودة عميروش قائد الولاية الثالثة وبعض من القيادات والجنود كانوا في طريقهم نحو تونس.

وباستشهاده فقدت الثورة احدا عمدتها وركيزتها الاساسية. ولكن رغم ذلك استمرت الثورة وتحقق حلم الشّهداء واستعادة الجزائر حريتها وسيادتها وعزتها.. رحم الله الشّهداء.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- الزبير بوشلاغم، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 162، 1999.

■ محمّد العموري
(و:1348ه - 1929م/ت: 1379ه - 1957م)

شهيد الوطن العقيد محمد العموري من مواليد 1929 بقرية عين ياقوت بولاية باتنة حاليا: من الأسرة جزائرية تمتهن حرفة الفلاحة والتجارة بالوسائل التقليدية، توفي والده وهو مايزال في بداية العقد الثاني من عمره، فتولت والدته رعايته وتربيته تربية صالحة.

التحق في بداية عهده بكتاب القرية حيث حفظ ما تيسر من كتاب الله العزيز الحكيم قبل أن يكمل عقده الأول. ثم انتقل في عام 1938 إلى عين ياقوت (مقر الدّائرة الآن) حيث واصل تعليمه بها على يد المرحوم الشّيخ محمد بن عامر حيث أتقن مبادئ اللغة العربية.

في نهاية الحرب العالمية الثانية، وفي ظروف غير معروفة سافر رفقة شخص آخر يدعى اسماعيل وهو من ناحية خميس مليانة (ولاية عين الدّفلة حاليا) إلى المغرب الأقصى، غير أنه لم يستقر به سوى فترة يسيرة وطرد من طرف السّلطات الاستعمارية لأسباب مجهولة، فعاد من جديد إلى أرض الوطن واستقر بمسقط رأسه، حيث استأنف نشاطه السّابق في ميدان الفلاحة والتجارة لتوفير الحياة الكريمة لعائلته، ويبدو أن تنقله نحو المغرب ووسّع اطلاعه على الحياة هناك قد فتح سريرته دائرة معارفه بصورة مكنته من فهم حقائق وقضايا لم يكن له عهد بها من قبل. في عام 1945 وفي أعقاب مجازر 8 ماي الشّهيرة اهتزت نفسيته وأصيب بصدمة هزته من الأعماق من جراء هذه المجازر الرّهيبة التي ارتكبها العدو في حق أبناء وطنه.

وفي عام 1946 أو في بداية العام الموالي له، غادر قريته باتجاه مدينة قسنطينة والتحق من جديد بمقاعد الدّراسة، فالتحق بمعهد العلامة الشّيخ عبد الحميد بن باديس، حيث زاول التعليم به إلى غاية عام 1954، وكغيره من الشّباب الوطني بدأ ممارسة النّشاط السّياسي خلال تواجده بالمعهد.

في عام 1949، سافر الشّهيد العموري إلى المهجر ويعود ذلك حسب المعلومات المتوفرة بسبب ملاحقة مصالح أمن العدو له، نتيجة نشاطه السّياسي الذي بات يشكل خطرا على أمن واستقرار التواجد الاستعماري ببلادنا.

بعد وصوله لأرض الغربة استقر بناحية «ساميشال »، حيث يتواجد عدد كبير من العمال المهاجرين، وهيكل ضمن خلايا حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية التي كانت تنشط وسط هؤلاء العمال، لكنه لم يمكث طويلا وتم اعتقاله من طرف الدّرك

الفرنسي وزج به في السّجن في انتظار ترحيله إلى الجزائر لمحاكمته.

في عام 1950 رحل إلى الجزائر وقدم للمحكمة الفرنسية التي أصدرت في حقه السّجن لمدة ستة (٠٦) شهور بحجة ممارسة نشاط سياسي ممنوع يشكل خطرا على الأمن العام.

وعقب انتهاء فترة السّجن غادر مرة ثانية البلاد واتجه إلى فرنسا وهذه المرة تنفيذا التعليمات النّظام حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية واستقر بناحية «سافوا» وهي منطقة تقع على الحدود الإيطالية الفرنسية تكثر بها جاليتنا المغتربة، وبهذه الأخيرة التحق بمركز للتكوين المهني حيث قضى به نحو (59) شهور وفي نفس الوقت متابعة النّشاط التنظيمي والتعبوي وسط العمال الجزائريين مما أكسبه خبرة ومهارة في مجال التعبئة والتنظيم مما أهله لأن يصبح مسؤول خلية كان لها دور بارز في ميدان التنظيم وتعبئة العمال المهاجرين. مما وسع من رقعة النّظام وتغلغله في أوساط الجالية وضبط أمورها بما يتلاءم وظروف المرحلة.

في عام 1952 عاد الشّهيد إلى أرض الوطن وهو أكثر وعيا وتصميما على متابعة السّير في الطّريق الذي ارتضاه رغم مشاقه وخطورته، واستقر بمسقط رأسه بناحية عين ياقوت.

ثم استأنف نشاطه في الميدان الفلاحي ظاهريا لإخفاء نشاطه الحقيقي وهو تعبئة المواطنين وتنويرهم بحقائق الوضع المأساوي الذي كان يعيشه عامة الشّعب الجزائري في ظل الاستعمار الاستيطاني اللعين، خاصة وأن منطقة الأوراس كانت من بين المناطق التي ركز عليها العدو استغلاله وجبروته وتعسفه بما ضاعف من عسر حياة سكانه ومعاناتهم وفقرهم.

واجه الشّهيد حينئذ الأوضاع المستجدة على مستوى السّاحة السّياسية بمضاعفة نشاطه على مختلف المستويات من أجل اعداد العدة لليوم الأغر، وهذا بالتنسيق مع الشّهيد شيهاني بشير الذي حل بالمنطقة هو الآخر في عام 1953 وتلاقت جهودهما وتطورت بمرور الوقت تحت رعاية وتوجيه القائد الشّهيد مصطفى بن بولعيد.

محمد العموري واندلاع الثورة نظرا للظروف التي عرفتها عمليات الاعداد للثورة وكذا الصّعوبات التي واجهتها خلال عملية انطلاقها، لم يتمكن الشّهيد من المشاركة في العمليات الأولى التي جرت بالمنطقة الأولى إيذانا بتفجير الثورة المسلحة رغم مشاركته في التحضير لها والاستعداد المادي والمعنوي الذي كان عليه الشّهيد، وحتى لا يفوته شرف المشاركة في هذا العمل الوطني الكبير، سارع إلى في البحث عن السّبل التي تمكنه من ربط الاتصال مع نظام جبهة وجيش التحرير الوطنيين.

ونظرا لخبرته في هذا المجال تمكن الشّهيد من ربط الاتصال مع نظام الثورة خلال شهر ديسمبر 1954 عقب اندلاع الثورة بشهر واحد، غير أن مسؤولي النّظام انذاك طلبوا منه التريث والبقاء في حالة الاستعداد حتى الوقت المناسب، وقد قبل الأمر وإن كان على مضض.

تميز نشاط الشّهيد العموري ما بين شهر ديسمبر 1954 ومارس 1955 وهو الشّهر الذي التحق فيه نهائيا بركب الثورة المسلحة بمراقبة الوضع وتوسيع دائرة اتصاله وحث السّكان على احتضان الثورة والتبشير برسالتها الوطنية المقدسة، وفي 2 مارس 1955 التحق الشّهيد بصفوف اخوانه المجاهدين بصفة جندي وذلك بمزرعة عائلة المجاهد مصطفى بن النّوي بالأوراس، وبذلك تحققت رغبته وأمنيته والتي كرس شبابه من أجلها، خاصة وأنه تمرس على النّضال السّياسي والتنظيمي وأتقنه بشكل جيد ابان فترة النّضال السّياسي سواء داخل الوطن أم بالمهجر فضلا عن مستواه الثقافي. هذه العوامل مجتمعة مكنته من التدرج في مراتب المسؤولية والقيادة بسرعة وكانت أولى المهام التي كلف بها الشّهيد عقب سفر القائد سي مصطفى بن بولعيد نحو الحدود الشّرقية كما هو معلوم في شهر يناير 1955، أنه تنقل بأمر من قيادة المنطقة الأولى أنذاك والمتمثلة في شخص الشّهيد شيهاني بشير واللذين كانت تربطهما علاقة حميمة قبل اندلاع الثورة إلى قيادة المنطقة الثالثة لإطلاعها على مجريات الأوضاع بالمنطقة الأولى والعكس. وأيضا لضبط عملية التنسيق فيما بين المنطقتين في شتى المجالات و أدى المهمة بكل نجاح وبعد عودته إلى ميدان عملياته شارك بكل قوة ووعي في ضبط أمور المنطقة لمواجهة حملات العدو الشّرسة لاضعاف الثورة وتحجيم دورها الذي بات يتعاظم من حين لآخر ونظرا لقدرته على التعبئة والتنظيم وقيادة الرّجال في الأوقات الصّعبة جعلته يحوز على ثقة قيادة الثورة بالمنطقة فارتقى بعد تطبيق قرارات مؤتمر وادي الصّومام المنعقد في 20 أوت 1956إلى رتبة مسؤول عام للمنطقة الأولى من الولاية الأولى، حيث عرفت المنطقة بعدها تطورا مضطردا في الميادين السّياسية والعسكرية وغيرها، الأمر الذي أعطاه فرصة أخرى لتوظيف قدراته وخبرته الميدانية التي أفضت إلى الحاق خسائر معتبرة في صفوف العدو وتحطيم منشأته وهياكله القاعدية على مستوى منطقة عملياته.

محمد العموري عضو مجلس قيادة الولاية في عام 1957 تنقل الشّهيد العموري إلى تونس في مهمة وخلال وجوده هناك تم تشكيل قيادة الولاية الأولى التي أصبحت فارغة منذ استشهاد القائد البطل سي مصطفى بن بوالعيد يوم 22 مارس 1956 كما هو معلوم، وكان تشكيلها على النّحو التالي:

- المرحوم محمود الشّريف المسؤول العام للولاية برتبة صاغ ثان
- (عقيد) محمد العموري عضو
- الشّهيد سي. مجلس الولاية (صاغ أول) مكلف بالشؤون السّياسية
- الشّهيد أحمد أنواورة عضو مجلس الولاية (صاغ أول) مكلف بالاتصال والأخبار
- المجاهد عبد الله بلهوشات عضو مجلس الولاية (صاغ أول مكلف بالشؤون العسكرية)

وفي ذات العام أصبح الشّهيد العموري المسؤول العام للولاية الأولى برتبة صاغ ثان (عقيد) بعد أن ارتقى مسؤوله الأول محمود الشّريف إلى عضوية لجنة العمليات

الكوم COM، وأصبحت قيادة الولاية الأولى مشكلة على النّحو التالي:

– الشّهيد محمد العموري المسؤول العام للولاية برتبة صاغ ثان (عقيد)؛

– الشهيد أحمد أنواورة عضو مجلس الولاية مكلف بالشؤون السّياسية برتبة صاغ أول)؛

– المجاهد عبد الله بلهوشات عضو مجلس الولاية مكلف بالشؤون العسكرية برتبة صاغ أول)؛

– المرحوم الحاج لخضر عبيد عضو مجلس الولاية مكلف بالاتصال والأخبار (برتبة صاغ أول).

وفي مطلع صيف عام 1959، أعيد تشكيل قيادة الولاية الأولى بعد ارتقاء العقيد لعموري إلى عضوية قيادة العمليات وصار تشكيلها كالتالي:

– الشّهيد أحمد نواورة المسؤول العام للولاية برتبة صاغ ثان / عقيد)؛

– المجاهد عبد الله بلهوشات عضو مجلس قيادة الولاية مكلف بالشؤون العسكرية (برتبة صاغ أول)؛

– الشّهيد علي النّمر عضو مجلس قيادة الولاية مكلف بالاتصال والأخبار (برتبة صاغ أول رائد)؛

– الحاج لخضر عبيد عضو مجلس قيادة الولاية سياسي (برتبة صاغ أول رائد).

وقد أثبت الشّهيد العموري خلال توليه لهذه المسؤوليات على مختلف مستوياتها جدارته واخلاصه وتفانيه في أداء الواجب وانضباطه السّياسي والعسكري إلى غاية استشهاده.

بعد حياة حافلة بالنضال وبالأعمال المجيدة والجليلة خدمة للوطن ولقضيته العادلة استشهد البطل. سي محمد العموري خلال شهر مارس 1959 بتونس، في ظروف مازالت غامضة وقد استشهد معه في هذا الحادث قادة آخرون هم العقيد سي أحمد انواورة؛ الرّائد محمد عواشرية؛ النّقيب مصطفى لكحل؛

وباستشهادهم فقدت الثورة رجالا من طيب ومعدن نفيس في فترة كانت في أمس الحاجة إليهم، وإلى أمثالهم الذين قال الله عز شانه فيهم: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» رحم اللّه محمد العموري وكل شهداء الثورة الأبرار

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

– الزبير بوشلاغم، مجلّة أول نوفمبر 1954، العدد 165، 2001.

■ محمّد العيد محمّدي(الهرش)

(و: 1350ه - 1932م/ ت: 1432 ه - 2011م)

المجاهد محمّد العيد محمّدي بن سي العروسي بن الطّالب عبد الله بن عبد القادر، ولد خلال سنة 1932بحي المصاعبة بالوادي

تربى المجاهد محمّد العيد على يدي والده وكان كثير الاحتكاك به واستمد قوته منه، وقد تأثر به تأثرا كبيرا فكان أبوه رجلا زاهدا، كاتبا وصوفيّا، معروفا بزهده وورعه، وأمه كانت متحضرة، وجده الإمام المربي الطّالب عبد الله الذي كان من الورعين ومن الحافظين لكتاب الله، وكان بيته معروفا بالعلم والأخلاق الفاضلة

درس محمّد العيد محمّدي في الثّلاثينيات والأربعينيات في مدرسة ميهي بالحاج التي كانت تسمى مدرسة الوسط للبنين باللغة الفرنسية، وتحصل على شهادة الابتدائية، ثم درس في مدرسة سعدودي وهي مدرسة تابعة للحركة الوطنية، كان يديرها المجاهد العروسي ميلودي من أعلام الحركة الوطنية بسوف. وقد تلقى تعليمه على يدّ الشّيخ الهاشمي بن حميدة حسني، والشّيخ محمّد بلقروي، وأستاذه الفرنسي كوشوا، وكل هذا كان تحت عين والده.

واصل المجاهد محمّد العيد محمّدي دراسته بالطّريقة العصامية وذلك بتكثيف المطالعة باللغتين العربية والفرنسية، والقراءة والبحث، حيث كوّن نفسه بمطالعة الكتب والجرائد والمجلات، فكان يقرأ الأدب والتاريخ والإسلاميات والسّياسة والسّيرة النّبوية.

كما كان موسوعة في اللغة والأدب، ولا يفوته شيء في الجمل من النّاحية الصّرفية واللغوية والنّحوية، وقد قام بالاحتفال سنة 2000م بقراءته 2000 كتابا.

تميزت حياته بالزّهد والورع وبعده عن الأضواء وإنكاره للذّات.

أجيز في الطّريقة بمرتبة القدامة في سنة 1952 شفويا، بعد وفاة والده، وكان ذلك من قبل الخليفة الشّيخ احمد التجاني التماسيني.

كان له الفضل في تكوين الشّباب وتعليمهم وتربيتهم على حب الوطن والتمسك بالطّريقة التجانية ومحبة مخلوقات الله تعالى، والتآخي والتآزر فيما بينها.

أتى بفكرة الجامعة الصّيفية وشجع عليها عام 0200م،بتولي الشّيخ محمّد العيد التجاني خلافة الطّريقة التجانية، وشجع على تكوين الجمعيات والنّوادي.

في سنة 1950م كان المجاهد محمّد العيد محمّدي وعمره 18سنة قد بدأ العمل في مكتب عرب(LANECSS) فكانت الوادي مقاطعة تابعة لتقرب فشغل منصب المكلف بالاتصالات والإشارة ما يسمى بعامل

هاتف حيث يقوم بفك شيفرة الرّسائل التي ترسل من الإدارة العامة والمقاطعات الأخرى واكتشاف المعلومات قبل حتى أن يطلع عليها الحاكم العسكري، ومن خلال هذا العمل اكتسب خبرة كبيرة في معرفة المعلومات الهامة فكان في السّنوات الأولى من الخمسينيات قبل اندلاع الثّورة مسخرا لتقديم المعلومات لقادة الحركة الوطنية، واصل عمله ونشاطه النّضالي في الحركة الوطنية إلى غاية 1954م، ثم انتقل إلى العمل الثّوري فكان دخوله للثورة بأمر من شيخ الطّريقة التجانية الشّيخ أحمد التجاني التماسيني سنة1955، و تمثل عمله الثّوري في العمل ألاستخباراتي بسبب طبيعة عمله فكان يقوم بإخراج المعلومات السّرية من الإدارة الفرنسية، ويعطيها لخلية الوادي التابعة للمنظمة المدنية فقد قدم الكثير في سبيل الوطن ومن هذا كله أنه استطاع أن ينقذ العديد من الأشخاص من اليد الحديدية للاستعمار الفرنسي.

فقد كان عينا من عيون الثّورة بحيث ينقل المعلومات إلى المجاهدين عن طريق المجاهد لمسقم مسعود خونه ومصباح بكاكرة وعلي شطرون، فيأخذونها إلى البشير غربي رئيس التنظيم المدني عن الأشخاص الذين تستهدفهم الإدارة الفرنسية، وينبّههم ليأخذوا حذرهم واحتياطهم من فرنسا وكذلك من الأشخاص المتواطئين معها، وبهذا العمل تفادى التنظيم الثّوري بالمنطقة التهديدات التي تطارده، كما أنه استطاع أن يخطط وينفذ سرقة ختم الحاكم وقام بتزوير أوراق من أجل الحصول على وصلات الغذاء والأسلحة من المخزن العام.

في يوم 8أفريل 1957 أثناء مجازر رمضان ألقت السّلطة الفرنسية القبض على المجاهد محمّد العيد محمّدي وتم استنطاقه والتحق يق معه ثم فصل عن العمل في 29 أفريل 1957.

وبعد ذلك فرضت عليه السّلطات الاستعمارية الإقامة الجبرية في منزله بقرار من الحاكم العسكري الفرنسي بتگرت رقم 78 مؤرخ في 4 جوان 1957م.

في أواخر سنة 1959م تأسيس مجلس الوادي من طرف ثلة من المجاهدين، اتصل إبراهيم السّاكر بالمجاهد محمّد العيد محمّدي ودعاه للانضمام إلى مجلس الوادي فانضم مباشرة، وكلف بمهمة الاستخبارات؛ وهي جمع المعلومات من المصدر (مكتب العرب)، إضافة إلى ذلك كان يحذرهم من الأشخاص المتواطئين مع فرنسا الذين يراهم في الإدارة مع الحاكم العسكري، كما كانت من مهامه إنقاذ العديد من المجاهدين وإبعاد الشّبهة عنهم، يقول إبراهيم السّاكر: "لقد كان المقدم محمّد العيد يقدم لنا معلومات حقيقية ومهمة".

وفي نوفمبر1961 اكتشف المنظمه المدنية بسوف مرة ثانية فسمع الدّكتور احمد ناجح من كبار المسؤولين في السّلطة الفرنسية أنه سيتم القبض على بعض الأسماء من مجلس الوادي فأخبر المجاهد محمّد العيد فقام بتبليغهم في أسرع وقت كما قام باستخراج بطاقات تعريف لهم بأسماء مستعارة، ووصولات بإذن التنقل من منطقة إلى أخرى بختم الحاكم الفرنسي، وأوصاهم بأن يخرجوا حينا.

وفي يوم 19نوفمبر1961داهمت القوات الاستعمارية بيت المجاهد محمّد العيد ليلا وألقت عليه القبض وتم اقتياده إلى مركز التعذيب المعروف بـ (D.O.P) بالثّكنة العسكرية، بناءً على تلك الرّسالة التي وجدت لدى محمّد العيد الغوري رئيس مجلس گمار وتعرض محمّد العيد محمّدي لأشد العذاب.

وهكذا بقي في العذاب حوالي ثلاثة أشهر ذاق فيها الويلات وتعرض فيها لكل أنواع التعذيب، وفي جانفي 1962 أفرج عنه من طرف السّلطة الفرنسية بتدخل من الدّكتور أحمد ناجح عضو المجلس الاقتصادي والاجتماعي الفرنسي وقتئذ.

وافته المنية يوم 03 رمضان 1432الموافق لـ03ـ أوت2011.

عبد الكامل عطية

■ محمّد المصطفى (الدّحاوي) (ت: 1215ه - 1801م)

هو الشّيخ محمّد المصطفى بن عبد الله، سليل الولي الشّهير (سيدي دحو بن زرفة) نسبةً إلى مرضعته زرفة، و(آل سيدي دحو) من شرفاء معسكر، يحظون على مرّ التاريخ بالمكانة المرموقة اجتماعياً، وخصوصاً في العهد التركي، حيث كان البايات يستشيرون مشايخ قبيلة (سيدي دحو)، ويقرّبونهم، ويحترمونهم ويكرمونهم، وقد وظّفوا عدداً منهم في سلك القضاء وفض النزاعات.

لا نعرف من شيوخه سوى ثلاثة، وهم:

– العلاّمة محمّد أبو راس الناصريّ، الفقيه والمؤرّخ الشّهير، فقد أثنى في كتابه (فتح الإله ومنته) على الشّيخ (الدحاوي) واعتبره من تلامذته النجباء، وكان يحلّيه بالألقاب العلميّة الساميّة، وقد تأسّف الشّيخ أبو راس على وفاة تلميذه في ريعان شبابه أسفاً كبيراً.

– الشّيخ المكي بن عيسى، قاضي قلعة بني راشد (التابعة إدارياً لولايّة غليزان)، وصفه (المصطفى الدّحاوي) في رحلته (شيخنا الفقيه الفرضي النحوي اللغويّ الشّاعر العروضيّ آخر قضاة العدل، أبو

عبد الله السيد المكي بن عيسى)، وحلاّه مرة أخرى بالقول (شيخنا العلامة الفقيه النحويّ الشّاعر العدل النزيه قاضي المحلة المنصورة ومجدد نظام الشّريعة المبرورة من بأدبه يساغ الشّجا ويجلى الأسى أبو عبد الله السيد المكي بن عيسى)

– الشّيخ أبو طالب المازوني، فقد انتقل إليه (الشّيخ الدّحاوي) في (مازونة) حيث كان يقوم بتدريس الفقه المالكي معتمدًا على شرح الموطّأ للزرقاني ومختصر خليل للخراشي، وقد شارك -رغم كبر سنه- رفقة أربعمائة من طلبته في فتح وهران.

أثنى عليه شيخه (أبو راس الناصريّ) في كتابه (فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته) بقوله (كبير العلماء العاملين، والجهابذة الفاضلين، الذي لا يتحرّك إلاّ بقلبٍ حاضر، ولسان ذاكر، عظيم القدر، رفيع الذكر، العالم الأصفى، والتقيّ الأضفى، تلميذنا مصطفى بن عبد الله بن دحو، أنجب من كلّ من حثّوا في طلب العلم ولحّوا، جليلٌ متفنّن، جميلٌ عدلٌ ماجدٌ كاتبٌ بارعٌ، ناظم ناثر ذو المعاني والإعراب، والفنون والآداب، والكرم والفضائل، مع الحسب الأصيل، والمعارف والتحصيل، نشأ على عفافٍ وطهارة، وحسن سمت وشارة، مجتنب المواضع الأريبة، حتى توفي في حال الشّبيبة).

ووصفه (الآغا بن عودة المزاري) في كتابه طلوع سعد السعود بأنّه (من علماء الرّاشديّة الأذكياء، السادات الكرام الأصفياء، العلاّمة الأجل، والقدوة الأبجل، مؤلّف كتاب فتح وهران، النّقاد الرّاوي، الخالي من سائر المساوي، أحد شرفاء غريس، الشّريف الحسني، السيّد مصطفى بن عبد الله الدحاوي)

بعد رحلة حافلة في طلب العلم أصبح (المصطفى الدّحاوي) مؤهّلاً للتدريس والتعليم، فقد أصبح مدرّساً بالمدرسة المحمّديّة التي كان يديرها العلاّمة (محمّد بن عبد الله الجلاّلي) بقلب مدينة (معسكر) عاصمة الإيالة الغربيّة، وزامل فيها مدرّسين آخرين وهما الشّيخ (محمّد بن حواء بن يخلف) والمؤرّخ الشّهير (أحمد بن سحنون الرّاشدي)، كما عمل في القضاء، ونظراً لما توفّر فيه منالخصال والمؤهّلات عيّنه الباي (محمّد بن عثمان الكبير) كاتباً لديه، ثمّ ألحقه برباط الطّلبة الذي حاصر مدينة (وهران) خلال معركة تحريرها من الإسپان وكان مساعداً لرئيس الرّباط الشّيخ (محمّد بن عبد الله الجلاّلي)، ثمّ قاضياً في (وهران) بعد تحريرها.

رغم حداثة السن فقد ترك الشّيخ (المصطفى الدحاوي) ميراثاً علمياً مهمّا، قال عنه شيخه (أبو راس الناصريّ): (له كتابات على أسئلة كبار كأنها من الدرر أو المعيار، ومناظرات وأجوبة مع العلماء، وله في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم قصائد فيها من البلاغة عجائب وغرائب)، وممّا نعرف من تلك الآثار:

– كتاب الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفا (مخطوط)، يتحدّث فيه عن جواز أخذ العلماء الهدايا والأعطيات من السلاطين والأمراء، وقد ألّفه بتكليف من الباي (محمّد بن عثمان) الذي كان يغدق على العلماء والمثقفين بالجوائز والصلات.

– الرّحلة القمريّة في السيرة المحمّديّة (مطبوع)، وهو كتابٌ ألّفه بأمرٍ من الباي (محمّد بن عثمان الكبير)، لتأريخ حوادث فتح وهران سنة (1206ه/ 1792م)، فبدأ تأليفه خلال الحصار الذي دام عاماً كاملاً، لكنّه انشغل عنه ثمّ عاد إلى إتماهه بعد التحرير.

– تلخيص الجمان من حياة الحيوان، وهو كتابٌ في الطّب مستخلصٌ من كتاب الحيوان للدميري، يتضمن وصفات طبيّة من أعضاء الحيوانات، حقّقه الباحث تقي الدين بوكعبر ونال به درجة الدكتوراه من جامعة وهران.

لقد خلّف (المصطفى بن عبد الله الدّحاويّ) رصيداً شعرياً لا بأس به شمل موضوعات المديح والوصف والتقريظ وغيرها من الأغراض الشّائعة في عصره، نقتبس منه قوله في مدح شيخه (أبي راس الناصريّ):

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى مِنْ نَصِيْرِ
مُنْصِفٍ لِمَجْدِ الكِرَامِ الأَفَاضِلْ
يُطْنِبُ القَوْلَ في امْتِدَاحِ فَقِيْهٍ
لاحَ نُورُهُ في سَمَاءِ الفَوَاضِلْ
أَبَا رَاسٍ لِلْعُلَمَاءِ أَنْتَ عِمَادٌ
أَنْتَ نَجْمُ الهُدَى شِفَاءُ العَرَاقِلْ
لَمْ تَزَلْ عَاضِدَ الفِقْهِ مُنْذُ زَمَانٍ
كَكَوْكَبِ سَعْدٍ مِنْهُ حِيْنَ تُنَاضِلْ
فَتَنَيْتَ عِنَانَ نُصْحِكَ لِلنَّحْوِ
وَفِيْهِ شَفَيْتَ كُلَّ غَلاَئِلْ
وَرَقَيْتَ مِنَ الحَدِيْثِ مَنَارًا
قَصَرَتْ عَنْهُ هِمَّةُ المُتَطَاوِلْ
فَانْتَضَيْتَ يَمَانِيًّا كَوَمِيْضٍ
فَلَقَ الصّبْحَ عَنْ شُرُوقِ الدَّلاَئِلْ
إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مِنْكَ عُجَابٌ
فَكَيْفَ رَكِبْتَ دَلِيْلَ الدَّلاَئِلْ
فَلاَزِلْتَ مِنَ الخَلِيْقَةِ تُدْعَى
قَوَّالَ حَقٍّ دَامِغًا لِلأَبَاطِلْ

توفي الشّيخ (مصطفى بن عبد الله الدحاويّ) وهو في سن الشّباب بسبب عاصفة ريح الوباء الجارف وذالك يوم 29 من شهر ذي الحجة عند سنة 1215 هجريّة.

حبيب بوزوادة

المصادر:

– جيلالي جلول، معسكر رجال وتاريخ، دار الأديب، وهران، 2006م.

– محمّد المصطفى الدحاوي، تلخيص الجمان من كتاب الحيوان، تحقيق ودراسة تقي الدين بوكعبر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة وهران، 2019م– 2020م.

■ محمّد المكي بن مصطفى بن عزوز
(و: 1272ه - 1854م/ت: 1334ه - 1916م)

الشّيخ أبو عبد الله محمّد المكي بن مصطفى بن محمّد بن عزوز الشّريف الحسني الإدريسي المالكي البرجي أصلا، نسبة إلى قرية تدعى برج بن عزوز بالقرب من طولگة ولاية بسكرة، سميت نسبة إلى جده محمّد بن عزوز، ووالده هو الشّيخ مصطفى بن عزوز مؤسّس زاوية نفطة بالجريد التونسي، وكان جده المذكور هو شيخ الطّريقة الرّحمانية في الجنوب الشّرقي بالجزائر ومنها انتقلت إلى تونس وليبيا.

ولد الشّيخ محمّد المكي بنفطة في الخامس عشر من رمضان عام 1854 وتربى في كنف زاوية أبيه، فحفظ القرآن على يديه وتلقى عنه مبادئ العلوم واعتنى بحفظ المتون وبدأ بالتوسع في طلب العلم على العلماء والمشايخ في الزّاوية، فدرس في النّحو شرح الشّيخ خالدّ الأزهري على الأجرومية، وألفية بن مالك بشروحها، وقرأ في الفقه مختصر خليل بشروحه، وشرح ميارة على ابن عاشر، ومنظومتي الرّحبية والدرة البيضاء في المواريث، ومبادئ علم الفلك، شرح جامع الترمذي.

ارتحل إلى جامع الزّيتونة عام 1877 للتعمق في العلوم والمعارف اللغوية والشّرعية، فمن جملة ما درس موطأ مالك و»جمع الجوامع» في أصول الفقه بشروحه، وشرح مقامات الحريري، و»مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" في النّحو، وشرح العِزِّي في الصّرف للزنجاني، وبعض كتب السّيوطي، والقراءات السّبع، ومختصر السّعد في العقائد وغير ذلك من الأمهات.

وقد كان الشّيخ محمّد المكي كثير التنقل إلى الجزائر، فكان كل عام يزورها وقد ويطول مقامه بها حيث يمتد إلى أشهر، يزور أقاربه ويتصل بعلمائها ليكمل تعليمه وسلوكه، فاتصل بكبار علماء مدينتي الجزائر وقسنطينة، وأخذ عنهم العلم ومنهم مفتي الجزائر الشّيخ محمّد بن الحفاف الذي أخذ منه صحيح البخاري بسنده العالي عام 1888.

تقلد الشّيخ محمّد المكي وظيفة الإفتاء بنفطة من غير طلب منه ولا حرص عليه سنة 1880، وهو ابن 26 عاما، كما أسند إليه القضاء بنفطة أيضا عام 1889، وفي سنة 1891 انتقل هو وعائلته إلى تونس العاصمة مدرسا في جامع الزّيتونة، فأقرأ فيه شرح الدّردير على مختصر خليل، وشرح البخاري من أحد شروحه، والأربعين النّووية، والجامع الصّغير، وفي الوقت ذاته كان يعطي دروسا في المساجد منها مسجد «الهوا» ومسجد الفتح ومسجد المر وجامع العصر. وكان يعطي دروسا في الجزائر كل عام عند نزوله بها خاصّة في زاوية الهامل.

وقد كان للشيخ مواقف معادية للاستعمار الفرنسي في تونس والجزائر ففي تونس كان من المعارضين للحماية الفرنسية لتونس وقاد حركة تحريضية معارضة توسعت إلى مقاومة سياسية موسعة وفي الجزائر كان يدعو إلى النّهوض والأخذ بأسباب القوة والتحرر من الاستعمار كلما زار الجزائر، وفي إحداها أفتى بتحريم كل المواد الدّسمة التي تأتي من فرنسا كالصّابون والشّمع والشّحم، وكان الاستعمار يتابعه بجواسيسه وعيونه في الجزائر وتونس، ومرة قرر القبض عليه وكان في الجزائر فنصبت له كمينا في زريبة الوادي ببسكرة ولكن بعض المخلصين حذّروه فعاد مسرعا إلى نفطة ومنها إلى تونس، واستمر الاستعمار يطارده حتى قرر الهجرة من المغرب العربي.

وفي عام 1896 هاجر إلى الأستانة ومر بليبيا فمكث فيها أربعة أشهر يلقى الدّروس كعادته حيثما حل أو ارتحل، ثم أكمل طريقه إلى الأستانة التي استقبله فيها العلماء والوجهاء، ولم يلبث أن تعلم التركية وأتقنها فاقترح عليه جماعة من العلماء أن يلقي دروسا فتصدى للقيام بهذا الواجب فألقى دروسا في عدة علوم، فأقرأ كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري، وشرح المحلى على جمع الجوامع في الأصول، وصحيح مسلم، وشرح ألفية ابن مالك وشرح الكافيجي في النّحو، ورسالة أبي زيد القيرواني في الفقه، والجغرافيا والفلك وشرح المعلقات والسّيرة النّبوية وفي النّحو» بلوغ المرام» وغيرها من علوم البلاغة واللسان.

وفي 1905 أسست الدّولة العثمانية كلية « دار الخير» أو مدرسة الفنون وأسندت إلى الشّيخ تدريس الحديث فيها، وجمعت إليه في 1909 درس التفسير عند وفاة مدرس التفسير، كما عين في السّنة ذاتها أساذا في « مدرسة الوعاظ» فكان يلقي دروسا باللسانين العربي والتركي.

ومن جهوده مع الجالية المغاربية تأسيسه «جمعية الشّرفاء»، بالمدينة المنورة عام 1913 وهي تضم أعضاء جزائريين وتونسيين ومغاربة، وهي جمعية إسلامية تدعو إلى الجامعة الإسلامية التي تبناها الخليفة عبد الحميد الثّاني، ومن أهدافها: العمل على تحرير المغرب العربي ومناهضة الاستعمار، وخدمة الخلافة العثمانية ومساعدة المهاجرين المغاربة، وكان لهذه الجمعية فروع في تونس والجزائر.

واستمر الشّيخ محمّد المكي في حركة دائبة إلى أن أقعده المرض الذي أعيى الأطباء شفاؤه وهو الشّلل النّصفي عام 1915 فمكث في بيته إلى أن توفاه الله تعالى في سنة 1916، وحضر جنازته أكابر الدّولة العثمانية وكبار العلماء والمئات من تلاميذه ومحبيه.

للشيخ محمّد المكي مشايخ كثر في الجريد في تونس وفي الجزائر فمن مشايخه بالجريد التونسي:

عمه الشّيخ محمّد المدني بن عزوز (جزائري) والشّيخ محمّد التارزي وهو ابن عمه (جزائري)، والشّيخ النّوري بن بلقاسم النّفطي، والشّيخ إبراهيم البحتري التوزري...

ومن مشايخه بالزّيتونة: العلامة عمر بن الشّيخ، والشّيخ سالم بو حاجب، والشّيخ محمّد البشير التواتي والشّيخ مصطفى الرّضواني، وشيخ الإسلام الشّاذلي بن صالح، وشيخ الإسلام أحمد الخوجة.

ومن شيوخه بالجزائر الشّيخ محمّد بن الحفّاف مفتي المالكية أخذ عنه البخاري بسنده العالي الذي لديه والشّيخ محمّد بن بلقاسم الهاملي وذكر الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي أن الشّيخ محمّد المكي تتلّمذ على كبار علماء قسنطينة والعاصمة أثناء زياراته المتكررة للجزائر.

ذكر الشّيخ أنه له مئات التلاميذ في تونس، والجزائر، وطرابلس، وبنغازي، والأستانة، ومن أشهرهم:

- الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي السّياسي التونسي المعروف درس عليه بالزّيتونة.
- والعلامة محمّد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر.
- وأستاذ الشّيخ عبد الحميد بن باديس، وهو ابن أخت الشّيخ محمّد المكي.
- والشّيخ محمّد الجنيد حسين أخو الشّيخ الخضر حسين.
- والأستاذ محسن زكرياء.
- والشّيخ محمّد الدّراجي الصّولي المدرس لجامع سيدي عقبة.
- والشّيخ إدريس بن محفوظ الدّلسي درس عليه في الزّيتونة.
- والشّيخ المحدث عبد الحي الكتاني أجازه بسند العالي في البخاري.
- والشّيخ عبد الحي يعتبره مسند أفريقيا.
- والشّيخ أحمد أوذيني الجزائري درس عليه في نفطة.

كان الشّيخ محمّد المكي مكثرا من التآليف فقد جاوزت المائة، وتتميز تآليفه بالاختصار والدقة، وتدل قائمة مؤلفاته على موسوعية واستبحار، ومن أهم هذه المؤلفات:

العقيدة الإسلامية، وعقائد التوحيد الكبرى والصّغرى، وترجيح تفويض السّلف، وحاشية على صغرى السّنوسي، والتنزيه في التعطيل والتشبيه، والرّياض البواسم في رواية حفص عن عاصم، وإرشاد الحيران إلى خلاف قالون لعثمان، والنّفح المسكي في قراءة ابن كثير المكي، والحق الصّريح في المناسك على القول الصّحيح، وتنوير الحوالك في أن رفع اليدين في الصّلاة هو الرّاجح من مذهب الإمام مالك، والمبرة في أن القبض في الصّلاة هو مذهب إمام دار الهجرة، ورسالة في أصول الحديث، وعمدة الأثبات في الاتصال بالفهارس والأثبات، ورد الذاهب فيما يقلد وما لا يقلد من المذاهب، ورفع النّزاع في معنى التقليد والاتباع ومجموع فتاوى العبد الفقير، وشعاع الأدب ديوان جمع فيه قصائده.

قال عنه الشّيخ عبد الرّحمن الجيلالي: «تخرج على يديه جم غفير في سائر الأقطار الإسلامية في العلوم العقلية والنّقلية، بتونس والجزائر وطرابلس وبنغازي والأستانة".

وقال عنه عبد الحي الكتاني: «هذا الرّجل كان مسند أفريقيا ونادرتها، ولم نر ولم نسمع فيها بأكثر اعتناء منه بالرّواية والإسناد والإتقان والمعرفة، مع مزيد تبحر في بقية العلوم».

قال الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي: «وقد تلقيت عليه رحمه الله أول درس في الوطنية وأحسنها الأمر استفدت منه في عملي الوطني فيما بعد ولم أنسه له ما حييت».

توفيق جعمات

المصادر:

- هشام ذياب، محمّد المكي بن عزوز حياته ومواقفه وآثاره، رسالة مقدمة لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمّد بوضياف، مسيلة، لنيل شهادة ماجستير، 2014.
- شمس الدّين حماش، ترجمة الإمام مجمد المكي ن عزوز التوزري،
- الفكر الاجتهادي عند الشّيخ محمّد المكي بن عزوز شمس الدّين حماش
- binbadis.net /archives /10 397
- /www.tasfia-tarbia.org

■ محمّد الهاشمي التلمساني
(و: 1298هـ - 1880م / ت: 1381هـ - 1961م)

محمّد بن أحمد بن الهاشمي بن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي جمعة الحسني الدّمشقيّ مسكنا، السّاحليّ التلمسانيّ الجزائريّ أصلا، المالكيّ مذهبا، الأشعريّ عقيدة، الشّاذلي طريقة ومذهبا، من أبوين صالحين، كلاهما من آل بيت النّبوة، يرجع نسبهما إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما.

ولد يوم السّبت 22 شوّال سنة (1298هـ) الموافق (1880م)، في مدينة (سبدو) التابعة لولاية (تلمسان) ونشأ في كنف والديه إذ كان والده من علمائها وقاضياً فيها، فلمّا توفّي ترك أولاداً صغاراً، كان هو أكبرهم سنّاً، فتحمّل مسؤوليتهم ولم يتجاوز سن الثّالثة عشر آنذاك.

تتلّمذ على يد والده،فتلقى عنه العلوم الشّرعية من فقه وتوحيد وغيرها وعلى بعض علماء مدينته،ثمّ انتقل إلى مدينة (تلمسان) ليجتمع بعلمائها، فجدّ واجتهد في الأخذ عنهم، فدرس عليهم علوم العربيّة وعلوم القرآن والتفسير وعلم مصطلح الحديث، وكتب السّنّة والفقه المالكي، وأصول

الفقه وعلم التوحيد والسّيرة وغيرها، وفي (تلمسان) اجتمع بشيخه (محمّد بن يلّس التلمساني) فلازمه (15) عاما، وسلك عليه طريق الشّاذلية وانتفع به فأجازه بإعطاء الأوراد ونشر الطّريقة، ثمّ هاجر سنة(1329هـ) مع شيخه (محمّد بن يَلّس) إلى بلاد الشّام فراراً من ظلم الاستعمار الفرنسيّ، الّذي ضيّق على العلماء ومنع حلقاتهم، فقد كان الشّيخ سببا في تحريض الجزائريين ضدّ المستعمر، وقد سجن عدّة مرات بعد أن أفتى بتحريم التجنيد لحساب الفرنسيّين المستعمرين، وبعد تعرّضه للأذى والملاحقة أشار عليه شيخه بالهجرة، فهاجر من (تلمسان) إلى (تركيا) في البداية وأقام في (أضنة) وبقي فيها عاما كاملا لم يجتمع فيها بشيخه بسبب ظروف (سوريا) في ذلك الوقت، حيث كانت مستعمرة للفرنسيّين إلى أن تيسّر له دخولها، فأقام في (دمشق) عند أحد أصحاب الدّكاكين في (الحميدية) ثم استقر في (الصّالحية).

وفي بلاد (الشّام) نهل الشّيخ محمّد الهاشمي من علمائها فأخذ عن المحدّث الكبير (بدر الدّين الحسني)، وعن الشّيخ (علي الدّقر) والشّيخ (محمّد هاشم الخطيب الحسني)، وللشّيخ هاشم إجازة خاصة منه، كما أخذ عن الشّيخ (عبد القادر الدّوكالي)، والشّيخ (عبد المجيد الطّرابيشي)، والشّيخ (محمّد أمين سويد)، والشّيخ (محمّد جعفر الكتاني)، والشّيخ (محمّد نجيب كيوان)، والشّيخ (توفيق الأيّوبي)، والشّيخ (محمّد سليم الحلواني)، والشّيخ (عبد الحي الكتاني)، والشّيخ (محمود العطّار) الّذي أخذ عنه علم أصول الفقه، والشّيخ (محمّد بن يوسف الكافي) الّذي أخذ عنه الفقه المالكي، كما أجازوه بالعلوم العقلية والنّقلية.

وعندما قدم الشّيخ (أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي) لزيارة بلاد (الشّام) و(بيت المقدس) بعد أداء فريضة الحجّ، أجازه بالأوراد العامّة والخاصّة ليكون خلفا له في بلاد (الشّام)، فقام بنشر الطّريقة في(دمشق)، و(حمص)، و(حماة)، و(حلب)، و(الأردن)، و(العراق)، و(لبنان)، و(فلسطين) وعرفت الطّريقة باسمه (الدّرقاوية الهاشميّة)، حتى وصلت إلى (تركيا)، و(أمريكا) وبعض دول (أوروبا).

وقد كانت له زيارات كثيرة خارج (سوريا) منها إلى (الأردن)، حيث زار مدينة (اربد) مركز الطّريقة وخليفته فيها الشّيخ (محمّد سعيد الكردي) وزاره أيضا في بلدة (الصّريح) بجوار (اربد) وصلّى في مسجدها القديم واستقبله أهلها استقبال الملوك.

كما زار الشّيخ بيت المقدس برفقة خليفته الشّيخ (سعيد الكردي) راكبين على البغال وتوجه إلى (جبل الطّور)، حتى إذا بلغ أوله نزل عن بغلته وخلع نعليه ومشى حافيا إلى أن وصل في الجبل إلى بيت الشّيخ (محمّد هاشم البغدادي) شيخ الطّريقة القادرية في (فلسطين) و(الأردن) وجرت بينهما مذاكرات عجيبة حفظها البعض، ثمّ قصد (الحجاز) للحجّ والعمرة مرّات عديدة حيث كان للشّيخ مجلس في الحرمين معلوم يجلس فيه وإخوانه.

وكان للشّيخ محمّد الهاشمي دور فعّال في التوعية الدّينية للنّاس من تقاليد الغربيّين وما دخل على بلاد المسلمين من عاداتهم.

وكان من المشاركين في تأسيس (رابطة علماء دمشق) سنة (1946م) وكان نائب الرّئيس فيها وحرص على جمع كلمة علماء (دمشق)، وترأّس لفترة هيئة أرباب الشّعائر الدّينية التابعة لوزارة الأوقاف لفترة مؤقّتة. وأسهم في تأسيس (مسجد الرّضوان) قرب داره، وفي إنشاء (زاوية جوبر) التي زارها مرارا برفقة أحد كبار خلفائه وهو الشّيخ (محمّد سعيد البرهاني). ولم ينس الشّيخ بعد الهجرة قضيّة وطنه المحتل (الجزائر)، فقام بتأسيس مؤتمر علماء سوريا لبحث أوضاع المسلمين القابعين تحت حكم المستعمرين الغربيّين وخاصّة في بلده، ولبحث قضيّة المسلمين الأولى (فلسطين)، وكان له مواقف جليلة في دعم المقاومين الجزائريين، وفي دعم المجاهدين في (فلسطين) المحتلّة ومساعدة المهاجرين منهم إلى (دمشق).

وشارك في الجهاد في سبيل الله إثر العدوان الثّلاثي على (مصر)، في 1956وأسهم في مدّ يد العون من (دمشق) للمجاهدين في (الجزائر).

تتلمذ على يديه نخبة من العلماء وطلاّب العلم ومن بينهم: الشّيخ (محمّد سعيد البُرهاني)، والشّيخ (محمّد سعيد الحَمزاوي)، والشّيخ (محمّد سعيد الكُردي)، والشّيخ (محمّد النّبهان)، والشّيخ (عبد القادر عيسى)، والشّيخ (أحمد الشّامي)، والشّيخ (عبد الرّحمن الشّاغوري)، والشّيخ (إبراهيم اليعقوبي) والشّيخ (عبد الوكيل الدّروبي)، والشّيخ (قاسم القيسي)، والشّيخ (شكري اللحفي).

كان الشّيخ محمّد الهاشمي متخلّقاً بأخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، متابعاً له في جميع أقواله وأحواله وأخلاقه وأفعاله، وكان متواضعاً، حليماً، زاهدا قريبا إلى قلوب النّاس محبوبا عند كلّ الأطياف حتى من الشّخصيات السّياسية، مسموع الكلمة عند الجميع، كريماً لا يردّ سائلاً، وكانت موائده حافلة، وابتسامته مشرقة، لا يضجر من أحد، تاب على يديه خلق كثير من العصاة والملحدين لتخلّقه بالأخلاق النّبويّة الكاملة في الدّعوة إلى الله ونشر العلوم والفنون.

وكان يهتمّ بأحوال المسلمين ويتألّم لما يصيبهم، ويحذّر من تفرّقهم، ويكره الاستعمار كلّ الكراهية، ولهذا انضمّ إلى صفوف المقاومة الشّعبيّة، يتدرّب على أنواع الأسلحة مع ضعف جسمه ونحوله وكبر سنّه.

خلّف الشّيخ محمّد الهاشمي مجموعة قيمّة من المؤلفات جلّها في علم التوحيد، أهمّها:

- أنيس الخائفين وسمير العاكفين في شرح شِطرنج العارفين؛
- سبيل السّعادة في معنى كلمتَي الشّهادة: وهو رسالة في علم التوحيد، يتبعها نظم يتألّف من أربعة وعشرين بيتا؛
- شرح نظم عقيدةِ أهل السّنّة: وهو شرح مبسّط في التوحيد، يتبعه نظم يتألّف من ثمانية وأربعين بيتا؛

– مفتاحُ الجنّة في شرح متنِ عقيدة أهل السّنّة: وهو كتاب نفيس في التوحيد إذ يعدّ من أوسع كتبه؛
– الأجوبةُ الواقيةُ الوفيّة على الأسئلة العراقية: أجاب فيها الشّيخ عن أسئلة من قبل الشّيخ (قاسم القيسي) مفتي (العراق) وتسمّى هذه الرّسالة أيضا (الدّرر المنتثرة في أجوبة الأسئلة العشرة).
– الحلّ السّديد لما استَشْكل على المُريد من جواز الأخذِ عن مُرشِدين؛
– الغَيثُ الهامِعُ والبَرقُ اللاّمع فيما يتعلّق بالصّنعة والصّانع؛
– القولُ الفصلُ القويم في بيان المرادِ من وصيَّة الحكيم: وقد دعا فيها إلى وحدة المسلمين.

كما قام بتحقيق وطباعة بعض المخطوطات منها: (معراج) للشّيخ (أحمد بن عجيبة الحسني) صاحب (إيقاظ الهمم)، وقام بإعادة طباعة ديوان شيخه (سيّدي العلاوي)، وأشرف على طباعة الكثير من المؤلفات لشيخه (محمّد بن يلّس) ولبعض مريديه مثل الشّيخ (محمّد سعيد الكردي) خليفته.

وكان الشّيخ شاعراً لا يشق له غبار، فله قصائد في الرّثاء، وقصائد تعليمية في السّلوك وله نظمان في علم التوحيد.

توفّي يوم الثّلاثاء 12 رجب (1381هـ) الموافق لـ 19 كانون الأوّل (1961م)، وصُلي عليه بالجامع الأموي، ثمّ دفن في مقبرة الدّحداح (بدمشق).

نسيمة لوح

المصادر:

– شرح نظم عقيدة أهل السّنّة، سيدي محمّد الهاشمي(1298ه1381–ه)، تح: عبد الرّحمن محمّد رشيد الشّعّار، كتاب ـ ناشرون، بيروت، لبنان.

■ محمّد أوماية محمّد
(و:1350ه - 1932م/ت: 1437ه - 2016م)

المجاهد أوماية محمّد بن بلخير وحلالي الزّهرة، المولود بورگلة في قصور الشّط سنة 1932م. ويُعْرَفُ اجتماعيا بـ: حمد فاريك، وهو رابع مواليد عائلة أوماية، التي نشأ المجاهد في كنف بساطتها، وطبيعتها المحافظة واعتنائها بالنّشاط الفلاحي. مما جعل حمد فاريك ينشغل بالفلاحة مع والده، ومزاولة تعليمه الدّيني بِكُتابِ القرية في الوقت نفسه.

لقد حاول التنقل مرات عديدة إلى الجزائر العاصمة، بغية العمل أو التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، لكنه لقي معارضة شديدة من أبويه لا سيما والدته، إلا أن اصراره دفعه للسفر خفيةوكان عمره آنذاك لا يتجاوز العشرين ربيعا، وقد رافقه المجاهد محمّد غربي المعروف بـ حمة محمّد، إذ انضما سويا إلى الجيش الفرنسي، الذي أتاح لهما التعرف على حقيقة الثّورة المباركة، من خلال المناضلين الثّوريين الوطنيين السّجناء، حيث كان حمة وحمد فاريك يبذلان مجهودات طيبة من أجل تخفيف العذاب المسلط على أولئك المجاهدين السّجناء، وكان ذلك حافزا كبيرا

للالتحاق بصفوف الثّورة التحريرية سنة 1959م.

وعندما قرر الانسحاب من الجيش الفرنسي، أمرت قيادة الثّورة مُمَثَّلَةً في الشّهيد نصرات الحشاني قائد النّاحية العسكرية الرّابعة، أن يواصل مجاهدنا حمد فريك استغلال ثقة الجيش الفرنسي، وأن يبقى عينا للثورة التحريرية على الجيش الدّخيل، وهذا مما سهل عليه مهمة نقل أخبار الفرنسيين إلى قادة الثّورة التحريرية المباركة.

وبعد سنتين من هذا النّشاط الجهادي اكتشفت الإدارة الفرنسية حقيقته الثّورية، فألقت عليه القبض بتاريخ 23 نوفمبر1961م وأمرت بنقله إلى سجن باتنة، ثم تم ترحيله إلى دار الشّيخ بالمغير، رفقة أرمادة من زملائه الوطنيين، من قائمة: غربي محمّد، منصور زعباط، كشرودة محمّد، سعود سعود، بالعربي عبد الجبار، دكمة الشّايب وتم الإفراج عليه قبل إعلان استرجاع السّيادة الوطنية بشهرين، وكان ذلك في أفريل 1962م، وبعد الاستقلال اعترف له بصفة العضوية في المنظمة الوطنية لجبهة التحرير الوطني من 1960م إلى غاية 1962م.

بالهيئة الوطنية للأمن ((C.N.S CORPS NATIONAL DE SECURITE) بحسين داي الجزائر العاصمة وفي السّنة نفسها تم إلحاقه كطالب متدرب في قوات حفظ السّلام(en qualite d´eleves gardiens de paix stagiaires) بمدرسة الشّرطة بسيدي بلعباس. ثم تم تحويله إلى مغنية بتلمسان سنة 1968م اشتغل رحمه الله في منصب

عون حافظ النّظام العمومي بوهران منذ عام 1969م إلى غاية 1970 حيث تم تحويله إلى أمن دائرة المنيعة إلى غاية 1978م، ثم إلى أمن دائرة غرداية. ومكث هنالك تسع سنوات كاملة، أحيل على إثرها على التقاعد بتاريخ 28 فيفري 1987 م. وبعد عامين من تقاعده عاد المجاهد أوامية بن بلخير إلى مسقط رأسه بورگلة في جوان 1989م، أين استقر به المقام وظل مناضلا وفيا للمنظمة الوطنية للمجاهدين بالولاية.

حاز على شهادة حسن السّيرة من المديرية العامة للأمن الوطني في جوان 1987م.

تحصل الرّاحل على شهادة إشعار بإسداء وسام (المقاوم) من وزارة المجاهدين، المؤرخة بتاريخ 16جانفي 1996م.

وفي مارس 1997م أصيب المجاهد بمرض القلب، ثم مرض السّكري، لكنه ظل صابرا متعايشا مع مرضه، مثلما صبر على أهوال الجهاد والظّلم الاستعماري، لكن الضّعف قدر البشر، فقد تدهورت حالته الصّحية مع بداية الألفية السّادسة، فوافاه الأجل بقرية الحدب ببلدية الرّويسات ورگلة بتاريخ 29 جوان 2016م.

رحل المجاهد حمد فريك تاركا وراءه رصيدا نضاليا مشرقا، وقد تم تخليد ذكراه في إطارات الاحتفالات الرّسمية للذكرى المزدوجة الثّامنة والخمسين لعيدي الاستقلال والشّباب بتاريخ 05 جويلية 2020م، من خلال تسمية مرفق عمومي باسمه، ويتعلق الأمر بدار الرّحمة التابعة لمديرية النّشاط الاجتماعي، ببلدية الرّويسات حي الحدب. حيث تم تكريم عائلة المجاهد بالمناسبة، في حضور الإطارات الرّسمية لولاية ورگلة، وأعضاء من الأسرة الثّورية، وفعاليات المجتمع المدني.

العيد بوده

المصادر:

- حفيدته الباحثة الدكتورالية: فتيحة طيبي التي قدمت جهدا طيبا في جمع المصادر والمعلومات.

■ محمّد بابا عمر
(و:1311ه - 1893م/ت: 1396ه - 1976م)

الشيخ محمّد بابا عمر بن الحاج مصطفى مفتي الجزائر الأسبق، وأحد أئمة المالكية في الجزائر، وشيخ الإقراء ومسند المقرئين وفقيه. ويعد واحدا من رواد الإصلاح الفكري والديني لدى الأجيال المتعاقبة من أبناء الجزائر في القرن العشرين، ولد الشّيخ محمّد بابا عمر بن الحاج مصطفى بمدينة البليدة يوم السّبت الثاني والعشرين من محرم عام 1311 للهجرة الموافق لـ 5 أوت سنة 1893م وتابع دراسته على الطّريقة التقليدية في جامع ابن سعدون بالبليدة حيث حصل على أولى إجازاته في القراءات السّبع قراءة وإقراء منحها إياه العلامة المغربي (محمّد عبد الحي الكتاني الحسني الإدريسي الفاسي) وكان سنه آنذاك دون الثّلاثين، فكان إماما في القراءات.

وتلت هذه الإجازة إجازات أخرى هي:

- إجازة في جميع التصانيف العلمية المتداولة في جميع الدّيار والأقطار (نظم ابن عاشر، رسالة ابن أبي زيد القيرواني متن مختصر خليل، ومتن الأجرومية، متن قطر النّدى وبل الصّدى صغرى الإمام السّنوسي،

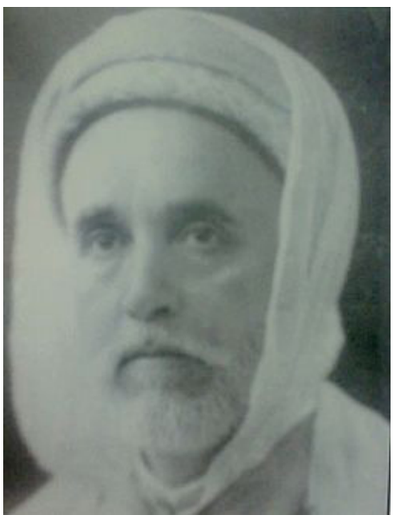

نظم السّلم في المنطق)...إلخ سلمها له الشّيخ (قدور أحمد بن الحاج العربي) المفتي المالكي بمحروسة البليدة.

- إجازة في الحديث النّبوي الشّريف سلمها له الشّيخ (قدور الأمين) الإمام الأول في الجامع الكبير بالجزائر.
- إجازة منحها إياه الشّيخ (محمّد الطّاهر بن عاشور التونسي الحسني) في رواية الحديث النّبوي فيما ثبت له روايته من الكتب الحديثية وكتب العلوم الشّرعية والأدبية.

وقد كان الشّيخ يفتتح رواية البخاري بالسند المتصل كالتالي: بالسند المتصل بإجازة من شيخنا سيدي قدور الأمين عن الأستاذ سيدي محمّد ابن أبي قندورة عن علامة الجزائر ومفتي المالكية سيدي عبد الرّحمن بن الحفاف عن شيخه العلامة المحدث قاضي الجزائر ثم مفتيها سيدي أحمد ابن الكاهية بسند مذكور رجاله مصرح بهم إلى عبد الله سيدي محمّد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي وعن الحميدي عبد الله بن الزبير قال حدثنا سفيان قال حدثنا يحيى ابن سعيد الأنصاري قال أخبرني محمّد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّما الأعمال بالنّيات».

وقد عينته وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدّينية للمشاركة عدة مرات في ملتقيات قراءات القرآن، حيث ترأس غير

مرة مسابقات تجويد القرآن الكريم، كما كلفته الوزارة نفسها بتدريس القراءات القرآنية في معاهد تكوين الأئمة. وقد أطلق اسمه منذ بضع سنين على دفعة من الأئمة المتخرجين (دفعة الشّيخ محمّد بابا عمر) تكريما لذكراه وعرفانا بمجهوداته الجبارة ودوره الفعال في تكوين الأئمة وتوجيههم.

وقد تدرج قيد حياته عدة مهام هي:

– تم تعيينه حزّابا بمسجد البليدة سنة 1919م.

– ثم عين إماما بمسجد القبة سنة 1925 م حاليا يسمى المسجد العتيق.

– عين إماما بالجامع الجديد بالجزائر العاصمة سنة 1940 م.

– ثم عين مفتي الدّيار الجزائرية في الجامع الكبير بالجزائر العاصمة ابتداء من سنة 1941م.

وفضلا على كل هذا فقد عرف الشّيخ طوال حياته وخاصة أثناء حرب التحرير بنضاله الحثيث من أجل إعلاء شأن الدّين الإسلامي والمحافظة على العقيدة والإيمان وبمواقفه المشرفة من هذه الثّورة المباركة.

فقد فتح أبواب الجامع الأعظم على مصراعيه أمام مناضلي الثّورة التحريرية كما قام بإيوائهم في مكتبه بل كان أيضا يقوم بإخفاء أسلحتهم والأدوية الموجهة إليهم فيه مما جعله محل تفتيش من قبل السّلطات الفرنسية. ونذكر في هذا السّياق الرّسالة المفتوحة المشرفة التي وجهها الشّيخ محمّد بابا عمر للسلطات الفرنسية بتوقيعه وتوقيع عدد آخر من العلماء منددا بالقمع الفرنسي في الجزائر والانتهاكات المرتكبة ضد الشّعب الجزائري مبينا فيها على الخصوص بأن الحل الوحيد لإنهاء ثورة الجزائر هو التفاوض مع جبهة التحرير الوطني. وقد أثار هذا التصريح الذي نشر في الجزائر وفرنسا وتونس والمغرب جدلا كبيرا في الأوساط السّياسية الفرنسية والدولية وقد ورد في جريدة لوموند بتاريخ 14–11–1956م.

وقد كانت معارضة الشّيخ شديدة لمحاولة إدخال إصلاحات مزعومة على النّصوص القانونية المتعلقة بوضعية المرأة المسلمة الجزائرية، وقد دامت أكثر من سبعة أشهر وتوجت أخيرا بتصريح أدلى به في جريدة (لوجورنال دا لجي) الصّادر في 8 – 9 فبراير 1959م (أي في خضم ثورة التحرير) ونشر المقال في ثلاثة أعمدة من الصّفحة الأولى قال فيه إن كل محاولة إدخال أي إصلاح على قانون المرأة المسلمة الجزائرية تبوء بالفشل إذا كانت مخالفة لمبادئ الشّريعة الإسلامية.

وقد جاء تصريحه ردا على السّلطات الفرنسية التي كانت على وشك إصدار قوانين (عصرية) جديدة مستمدة من التشريع الفرنسي بشأن الأحوال الشّخصية الخاصة بالأسرة الجزائرية المسلمة.

كما صرح الشّيخ في أغسطس 1958م للجنرال ديكول الذي خصه باستقبال في قصر الإليزي بباريس بدعوة خاصة منه قائلا: إن الحل الوحيد لإيقاف الثورة في الجزائر هو فتح مفاوضات مع ممثلي جبهة التحرير الوطني.

انتقل الشّيخ بعد حياة حافلة بالجهاد إلى جوار ربه يوم عيد الأضحى الخميس العاشر من ذي الحجة سنة 1396 هـ ودفن بمقبرة سيدي امحمّد في اليوم الموالي أي الجمعة المصادف للثالث من شهر ديسمبر 1976م.

هند موساوي

■ محمّد بلحاج عيسى
(و: 1309ه - 1892م/ت:1369ه - 1976م)

ولد العلاّمة محمّد بن الحاج عيسى مسروق بن علال بقرية تسمى الشط تبعد 7 كلم عن ورگلة وقد وجدتُ اختلافا في المصادر حول تاريخ ميلاده، فمنهم من يقول بسنة 1889م، ومنهم من قال بسنة 1887م، ومنهم ذهب للقول بميلاده سنة 1892م.

ينتمي الشّيخ إلى عائلة محافظة، عُرفت بِحُبها للعلم ومجالسة العلماء، وكان والداه حريصين على تربيته فأصبح، عالما جليلا ومفتي الصحراء حسبما وصفه الشّيخ عبد الرحمن الجيلالي رحمه الله.

زاول الشّيخ مسروق تعليمه مبكرا حيث التحق بالكتاب لتلقي تعاليم القرآن الكريم، وسنه لم يتجاوز 04 سنوات. حيث كان أبوه يقسم له أن لا يدخل المنزل إلا بعد حفظ لوحته. كما كانت أمه حريصة على إيقاظه فجرا ليلتحق بالمسجد، فَعُرِفَ منذ صغره بذكائه وسرعة حفظه. حيث تمكن من حفظ القرآن كاملا وسنه لا يتجاوز الحادية عشر، إلى جانب ألفية ابن مالك وغيرها من المتون والشروحات.

تتلمذ رحمه الله على يد اثنين من كبار العلماء؛ أولهما الشيخ السّكوتي من عاصمة توات والذي نزل بالقصر العتيق بورگلة، هذا الأخير الذي استأذنه العلاّمة محمّد بن الحاج عيسى ذات مرة بأن يأذن له لزيارة البقاع المقدسة، وقد علم شيخه أن الصّفات التي يحملها هذا الطّفل هي صفات العلماء الأتقياء، فمنعه من السّفر وحثه على مواصلة تعلمه، وبعد إلحاح شديد منه أذن له بذلك.

وثانيهما الشّيخ عبد الله الشّنقيطي الموريتاني، الذي كان مقيما بورگلة مدة من الزّمن، وقد قال في العلامة محمّد بن الحاج عيسى مسروق «ما سبب مجاورتي لورگلة إلا أنت». نهل من شيوخه علوم الحديث،

الفقه، النّحو الوظيفي، الشّعر، البلاغة والعروض، واكتسب منهم الاعتماد على النّفس، والتواضع والرفعة وحسن المعاملة، وضرورة الدّفاع على مبادئه وقيمه، كما كانت له اتصالات بعديد العلماء سيما أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على غرار البشير الإبراهيمي، والعربي التبسي.

وبعد نضجه واشتداد عوده، أخذ على نفسه أمانة الإصلاح ونشر العلم في ربوع الصّحراء، حيث كان يجوب بفرسه مختلف القرى والمناطق البعيدة عن قلب المدينة، حيث قسم أيامه على جهات المنطقة، فكان يدرس بالسبت في سيدي خويلد، والأحد بالرويسات، ويوم الاثنين بعين البيضاء، والثلاثاء والأربعاء ببني ثور، ويوم الخميس بالقصر العتيق، ويوم الجمعة بمدرسته الواقعة بالشط، الأمر الذي مكّن الكثيرين من تعلم القرآن الكريم والأحاديث النّبوية. ومن بين العلوم التي كان يدرسها علوم الفقه، وأصول الشّريعة، وعلوم اللغة، وعلوم القرآن، فكان يلقن متن ابن عاشر، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والخليل وأسهل المسالك، وعلم التوحيد وعلم الكلام «المنطق» وعلم الرّسم والقراءات والتجويد وكذا ملحة الإعراب والأجرمية، والألفية، وعلم المعاني والبيان، وفي الحديث خصوصا صحيح البخاري ومسلم.

اشتهر الشّيخ مسروق بشدة شغفه بالعلم، فكان لا ينام من الليل إلا ساعتين، حيث كان يشغل نفسه بالتدوين فكان يكتب كل ليلة ما لا يقل عن 300 سطر. فصدرت له فتاوى عديدة، إذ كان يفتي بالمذهب المالكي والقول المشهور والصحيح عند جمهور العلماء. وله في النّظم 300 بيت جُمعت في ديوان.

كما كان له في فترة حياته، لقاءات ومراسلات عديدة مع علماء وشيوخ عصره، من قائمة الشّيخ الطّاهر بلعبيدي، والشيخ الهاشمي بن سيدي إبراهيم بن أحمد الشّريف شيخ الطّريقة القادرية، والشيخ محمّد الحبيب شيخ الطّريقة الشاذلية من مكناس من المغرب والذي قدم لزيارة العلامة مسروق سنة 1973م، والشيخ محمّد بلكبير من أدرار الذي التقاه بالبقاع المقدسة عام 1974م

بعد مسيرة علمية حافلة بالعطاء والنور انتقلت روح العلامة إلى بارئها ليلة الجمعة 29 جويلية 1976م.. رحمه الله وتولاه بعفوه وإحسانه وجعله من المقبولين.

العيد بوده

■ محمد بن أُبَ المزمري
(و: 1094ه - 1683م/ت: 1160ه - 1747م)

هو السيد محمد بن أبَ بن حميد بن عثمان بن أبي بكر المزمري. ولد بقرية أولاد الحاج من أولف سنة 1094ه الموافق ل 1683م، أخذ مبادئ العلم والقرآن في مسقط رأسه وانتقلت عائلته بعد ذلك إلى زاوية كنتة للإقامة بها والاستقرار فيها لصلات قديمة بينها وبين آل الرّقاد، فضلا عن الرّغبة في تعليم الأبناء لديهم. وهو ما مكنه من إكمال تعليمه على أيدي علمائها أمثال محمد الصّالح بن المقداد والشيخ سيد عمر الرّقادي. كما أخذ عن الشّيخ علي بوسماح التلمساني، وحضر مجلس العلامة سيدي إبراهيم الملايخافي. وأخذ الطّريقة عن الشّيخ سيدي يوسف أحنصال، وطاف في أماكن أخرى طلبا للعلم والمعرفة.

وهكذا تفتقت قريحته وعلا شأنه بين علماء عصره.

ورغم انتقال عائلته إلى زاوية كنتة إلا أنه كان كثير التردد على مسقط رأسه أولف، حيث كان يقيم مطولا في تقرافت. وكان كثيرا ما يزور أبا الأنوار التينلاني بزاوية مولاي هيبة، فضلا عن ارسال الكثير من كتبه إلى أولف وأقبلي. وهكذا أقام فترة من عمره بزاوية كنتة لينتقل منها إلى مدينة تميمون نتيجة خصومة مع بعض الناس، فتأسف أعلام زاوية كنته لفراقه وكاتبوه آملين منه مراجعة موقفه.

برع في علوم العربية وفنونها، وتمكن من علم العروض إلى الحد الذي أضاف فيه بحرا جديدا في الشّعر خارجا عن البحور الخليلية، أسماه البحر المضطرب، تفعيلاته كالتالي:

فاعلن فعولن فاعلاتن فاعلن فعولن فاعلاتن

ونظم فيه قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم من 89 بيتا مطلعها:

صل يا إلهي ثم سلم
دائما على خير الأنام
ما دعاك أو لباك محرم
قاصدا إلى البيت الحرام
أحمد رسول الله أحمد
سيد الورى طه الممجد
فضله مبين ليس يجحد
إذ حوى المعالي بالتمام
فهو في ضروب الفخر أوحد
غير أن فيه القول نام

ولشدة براعته في علم العروض وصناعة الشّعر قال متحدثا عن نفسه:

إذا ساد بالإقدام عمرو وبالذكا
تفرد إياس وبالجود حاتم
فإن شعاري صنعة الشّعر فالذي
ينازعني فيها فذلك ظالم

ولقد اعترف له علماء عصره ببراعته في فنون اللغة والأدب، كان رحمه الله صاحب أسفار وتنقلات، إذ سافر إلى المغرب الأقصى وزار بلاد السودان الغربي معلما ومستزيدا من المعرفة وطالبا ملاقاة العلماء. وفي إحدى زياراته لدولة مالي حاليا، وبمدينة أروان منها، ضاقت نفسه فأراد تسليتها فنظم قائلا:

وقائلة لي يا ابن أب محمدا
أرى الناس طرا ها هنا فيك زهدا
فلا مذهبا من أنسة لك وحشة
ولا سامعا ماذا تقول من الهدى
وبعض يكاد إن ذهبت لتبتغي
مصافحة ألا يمد لك اليدا
فو الله ما أدري أذلك منهم
تجاهل أم جهل بقدرك قد بدا
فقلت جهلت الأمر لو جئت تاجرا
أسوق حمالة وأبرز عسجدا
لكنت لدى أبناء قومي وغيرهم
حبيبا إليهم بل أميرا وسيدا
يسيرون نحوي بكرة وعشية
سراعا إلى مثواي مثنى وموحدا
فمن قائل مهما بدت لك حاجة
قل يا فلان آت عبدا معبدا
ومن قائل من شئت فاخطب فإننا
جعلنا لك التفويض فاحلل واعقدا
ومن قائل حاكيت في الفقه مالكا
ومثلي غبي جاهل غير مقتدى

أسهم رحمه الله في الكثير من الفنون فترك وراءه الكثير من المخطوطات في شتى المجالات.

إن المتأمل في مؤلفات العلامة محمد بن أبَ يجد أنه بالرغم من اهتمامه بالفقه وعلم الكلام، فهو أكثر ميلا للاهتمام بمختلف فنون اللغة والأدب فضلا عن قرض الشّعر، والتعامل مع قضاياه وأدواته. ولقد لقيت مؤلفاته القبول الواسع في المنطقة، فاعتمد بعضها مرجعا للدراسة في المجالس العلمية كما هو الحال بالنسبة لمنظومة العبقري في السهو في الصّلاة، ولقد كان له الدور البارز في تيسير النحو، وتذليل صعوبته على المتعلمين الناشئة، وذلك من خلال وضع المادة النحوية داخل منظومات كي يسهل حفظها، فضلا عن شرحه للمختصرات النحوية وتوضيح مبهمها، مع ابتعاده عن كثرة الخلافات النحوية والتعليلات المفرطة.

كان ابن أب مولعا بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ وهذا ما دفعه، بالإضافة إلى شرحه قصيدة الهمزية وتخميسه لقصيدة الإدوعلي في مدح الرّسول، إلى معارضة قصيدة الوسائل المتقبلة لابن مهيب في مدح الرّسول بقصيدة خماسية مطلعها:

ولما غدت سفن الهموم غريقة
وصارت حبال الود مني وثيقة
وأضحت رياض القول فيك أنيقة
وكنت يا بدر السعود حقيقة

وختمها بقوله:

إلا أنني أرجو بذاك شفاعة
وإن كنت ممن قل بضاعة
ولست من أحلاس القوافي براعة
وما كنت بالأشعار أدري صناعة

من أهم تلاميذه:

- إبنه ضيف الله،
- الشيخ عبد الرّحمان بن عمر التينلاني،
- سيدي أحمد بن الصّالح الذي قرأ عليه الخزرجية في النحو،
- أحمد بن الصّديق بن محمد بن الشّيخ،
- أبو العباس أحمد بن صالح السوقي الأرواني.

دارت بينه وبين علماء عصره محاورات، وكان كثير المراسلات مع الشّيخ أبي الأنوار التينلاني. وكان رحمه الله مجلا للعلم مقدرا له، فقد قال لمن طلب منه أن يعلمه الخزرجية خفية: «إن علمنا لا يسرق فمن أراد أن يقرأ فليات جهرا على أعين الناس».

توفي رحمه الله يوم الإثنين 10جمادى الثّانية من سنة 1160ه الموافق 19 يونيو 1747م، بمدينة تيميمون أين دفن هناك،

قال فيه تلميذه عبد الرّحمان بن عمر التينلاني، واصفا أخلاقه وسعة علمه: « كان رحمه الله ورعا في الفتوى لا يكاد يجيب في نازلة، ويحيل على غيره ولو كان أدنى منه لأنه غلب عليه علم الأدب وأكثر نظره وإقرائه فيه، وكان كثير المطالعة لا تكاد تجد كتابا بتوات إلا وتجد خطه فيه، وكان متفننا في الضّبط لا يتساهل فيه».

ونتيجة هذه الغزارة الفكرية واللغوية للسيد محمد بن أبَ كان موضوعا للكثير من الدراسات الأكاديمية، رحمه الله رحمة واسعة وقيض لتراثه من يقوم بتحقيقه وإحيائه.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للترجمة والطباعة والنشر، 2007.
- محمد بن أبا، الرّحلة في زيارة قبر الوالد، تحقيق جعفري أحمد، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2015.
- مقدم مبروك، الشّيخ محمد بن أب المزمري، عبد الرّحمن بن عمر التنلاني: حياتهما وأثارهما، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2016.

■ محمّد بن إبراهيم بن يحيى قرادي، حاج أيوب
(و: 1367ه - 1948م/ ت: 1441ه - 2020م)

هو الفاضل السّريّ والفقيه والنّسّابة محمّد بن الحاج إبراهيم بن يحيى قرادي، حاج أيوب، ولد بتجنينت (العطف)، غرداية في الفاتح من أكتوبر 1948م، وفيها نشأ وتربى في أحضان والده الشّيخ حاج إبراهيم بن يحيى قرادي رحمه الله،التحق بمحضرة المسجد العتيق وفيها تلقى تعليمه الأول، ثم انتقل إلى مدرسة النّهضة ودرس في قسم القرآن عند الشّيخ «خير النّاس مسعود بن الطّالب ابراهيم، والدروس في مراحل التعليم الابتدائي على يد ثلة من المشائخ منهم: محمّد بن ابراهيم سعيد كعباش، وبكلي بابه باحمد بن حمو (طالب بلال)، وحاج اسماعيل يحيى بن طالب إبراهيم.

انخرط في النّشاط الكشفي ضمن أفواج النّهضة للكشافة الإسلامية الجزائرية وهو تلميذ بمدرسة النّهضة، وشارك مع نخبة من رفاقه في إحياء مختلف التظاهرات والمناسبات الوطنية والثّقافية تحت إشراف الأستاذ بكلي بابه باحمد (طالب بلال) والأستاذ تعموت ابراهيم، والأستاذ حاج مسعود محمّد القراري، والأستاذ بكلي بكير بن الشّيخ عبد الرّحمن، كما انضم إلى جمعية الأدب والفن التابعة لمدرسة وجمعية النّهضة التي تعنى بالتكوين الأدبي والفني والمسرحي لإحياء مختلف المناسبات وأفراح الأعراس والتمثيل الإذاعي والمسرحي.

التحق سنة 1961م بالبعثة العلمية البيوضية بالقرارة تحت إشراف الأستاذ الرّئيس والمربي بليدي صالح بن عمر، وكان الشّيخ شريفي سعيد الشّيخ عدون بمثابة الأب الثّاني له في الرّعاية والتوجيه، واصل دراسته بمصلى مدرسة الحياة عند الشّيخ الحاج عمر لبسيس، حيث استظهر القرآن الكريم لديه في سلكة كاملة سنة 1965 ثم عند الإمام حميد أوجانه الحاج محمّد، وانضم إلى حلقة إروان بالقرارة وتجنينت في حفل تكريمي وتتويج تحت إشراف الإمام الشّيخ إبراهيم بيوض، ثمالتحق سنة

1966م بمعهد الحياة بالقرارة، ودرس عند المشائخ بالمعهد: الشّيخ شريفي سعيد الشّيخ عدون، والشّيخ بكير بيّوض، والشّيخ بلحاج الحاج محمّد (الشّيخ بن الشّيخ)، والشّيخ بلحاج بكير (باش عادل) وغيرهم إلى سنة 1969م.

في صائفة سنة 1969 انتقل إلى مدينة برج بوعريريج عند عمه حاج أيوب بكير بن يحيى القرادي، وبابا عمي الحاج محمّد بن الحاج محمّد للعمل معهما في التجارة، وبعد أن قضى سبعة أشهر في العمل التجاري مع عمه، فكّر في توجيهه لمواصلة الدّراسة.

في سنة 1970م انتسب إلى جامعة الجزائر بعد نجاحه في مسابقة الدّخول والتحق بكلية الحقوق وتخرج سنة 1975م بشهادة الليسانس في الحقوق، وأثناء فترة الدّراسة الجامعية درّس بالتوازي بمدرسة الآباء البيض بحي حيدرة إلى سنة 1978م.

خلال سنة 1979م التحق بالتجارة كعامل لدى معمل شكولاتة المتيجة (شُكُومي)، تحت إدارة مسيّرها المجاهد حاج أيوب ابراهيم بن بلحاج (شُكُومي)، والذي انتدبه لتسيير حركة تجارية بالجملة بالحراش، ثم انتقل بعدها إلى حي المُرادية ثم مدينة بُوينان بالبليدة إلى غاية 1994م، حيث انتقل للعمل في غرداية بالمنطقة الصّناعية قارة طعام بدائرة بونورة، كما عمل خلال 1996م 1997-م في التجارة بمدينة حاسي مسعود ثم عاد أخيراً ليستقر في مسقط رأسه.

في سنة 1998م انضم إلى إدارة جمعية النّهضة والتحق بالتدريس في مدرسة النّهضة، كما انضم إلى المجلس الإداري للجمعية تحت رئاسة الشّيخ اسماوي عيسى بن إبراهيم رحمه الله، وبرز نشاطه ضمن لجنة التربية ولجنة الثّقافة، وضمن اللجان المكلفة بتحيين البرامج الدّراسية للإناث إلى سنة 2007.

اختير عضواً في مجلس أعيان بلدته ممثلاً لعشيرته خلال سنوات 1993 2002-م، وفي سنة 1999م انضم إلى حلقة العزَّابة التابعة للمسجد العتيق الجامع بتجنينت، وواصل مهمّة التدريس بمدرسة النّهضة ومهمة الوعظ والإرشاد بالمسجد العتيق، كما اضطلع بمهمة متابعة استظهار الطّلبة والطّالبات لكتاب الله العزيز، وفاق عدد المستظهرين على يده أزيد من ستين مستظهراً ومستظهرة، كما اضطلع بمهمة الإمامة وله خطب جمعة مخطوطة تزيد عن 30 خطبة.

ابتلي بمرض السّكري فتعرض سنة 2005 لفقد إحدى رجليه، وبعد فترة فقد رجله الثّانية، فكان مثالاً للصبر واليقين، وعرف كيف يحوّل تلك المحنة إلى منحة، واستمر في نشاطه الدّعوي للرجال والنّساء، وتخريج الحافظين والحافظات لكتاب الله العزيز، كما كان عضواً في المجلس العائلي لإدارة عشيرته آل عبد الله، وانتسب إلى لجنة الفتوى لبلدة العطف عند تأسيسها وكان مواظباً على حضور جلستها التي تعقد دورياً بمكتبة التوفيق بالعطف تحت إشراف الشّيخ محمّد سعيد كعباش، وكان فيها مرجعاً متضلعاً في الفقه يُسعف اللجنة بحافظته القوية لكثير من المسائل وفروعها من أمهات كتب الفقه الإسلامي.

يُعد بالإضافة إلى ذلك واحداً من نسابة بلدته المعاصرين، وحافظاً لأصول وفروع عائلتها، حيث اشتغل على مشروع تدوين

شجرة أنساب عائلات تجنينت جميعها وضعها في مصنفات مبوبة بطريقة بديعة يزيد عددها عن ثلاثين مصنفاً، كما ترك مذكرات وملخصات مخطوطة، ومكتبة ثرية بالمصادر والمراجع الفقهية أوقفها أولاده من بعده في مقرّ اللجنة العلمية التابعة للجنة الفتوى للبلدة ومكتبة النّهضة لتكون امتداداً لذكره وتسدّ الفراغ الذي تركه في لجنة الفتوى.

توفي بالعاصمة يوم الأربعاء 10 ذو القعدة 1441/ 01 جويلية 2020 بعد مرض لزمه خمسة أشهر كاملة، كان فيها صابراً محتسباً، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ودُفن بمقبرة باله ومسلم يوم الخميس 02 جويلية 2020م بجوار آبائه وأجداده.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- ترجمة موسعة، إعداد محمّد بن يحيى حاج عيسى، ضمن كتابه: هيئاتنا الرّوحية الفكرية والعلمية في ذاكرة التاريخ العطف تجنينت نموذجا.
- خزانته ومكتبه الخاصة في منزله، يحيى بن بهون حاج امحمّد
- ترجمة معدّة لمعجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ط3، مرقون.

■ محمّد بن ابراهيم قرقر (الطّرابلسي)
(و: 1304ه - 1887م / ت: 1368ه - 1948م)

الشّيخ الفقيه محمّد بن ابراهيم بن سليمان قرقر المشهور بـ «الطّرابلسي» من أشهر وأنبغ علماء مزاب، ولد بطرابلس الغرب بجبل نفوسة، ليبيا يوم السّبت 21 ربيع الثّاني 1304هـ، الموافق لـ: 15 جانفي 1887م. أصله من بريان – وادي مزاب – ولاية غرداية، الجزائر، هاجر والده منها عام 1885م قاصدا طرابلس.

دخل الكتاتيب وهو ابن خمس سنين، حفظ القرآن الكريم على يدّ المقرئ الشّيخ محمّد بن عبد القادر الفزّاني المرزوقي، وأتقن حفظه بالقراءات السّبع وهو صغير.

كما أنه أخذ مبادئ النّحو والصّرف واللغة والفقه في حلقة الشّيخ ابن محمود بجامع درغوث باشا بطرابلس، وحضر دروس التفسير والفرائض للشيخ نصر القمي مفتي طرابلس.

وفي عام 1322هـ/ 1904م شدّ الرّحال مسافراً إلى مزاب، وفي طريقه مرّ على جامع الزّيتونة بتونس فمكث فيه سبعة أشهر يتلقّى عن مشائخ الجامع العلوم الشّرعية والعربية. كما أنه دخل مدرسة جمعية الاتحاد والترقّي العصرية بطرابلس لتعلم اللغة التركية. ثمّ واصل المسير إلى بريان، ومكث بها شهرين، ثمّ قصد بني يزگن لزيارة قطب الأئمة العلاّمة الشّيخ امحمّد بن يوسف اطفيش -- لينهل من علمه الغزير، والتقى هناك بالشّيخ الحاج عمر بن حمو بكلي الذي استضافه في بلدة العطف، حيث لازمه ثمانية أشهر قرأ خلالها كتباً كثيرة، وكان يزور القطب كلّ يوم خميس ويراجعه في بعض المسائل، وفي هذا يقول الشّيخ الطّرابلسي: «كانت تلك الشّهور من أحسن شهور حياتي، لأنّني تفرّغت فيها للعلم»، ولولا أنّ والده استدعاه إلى طرابلس لمكث في مزاب أكثر ليستفيد من علمائها الأجلاّء.

وفي طريق عودته إلى طرابلس حلّ بالجزائر العاصمة، فلازم الشّيخ عبد القادر المجّاوي شهراً يأخذ من علمه.

فكان الشّيخ الطّرابلسي عالماً جليلاً، أتقن العلوم الشّرعية والعربية والتاريخية، تخصّص في الحديث النّبوي الشّريف، فكان من أبرز علماء المغرب الكبير فيه حفظاً وعلماً.

امتاز الشّيخ بشدّة حفظه لكتاب الله، وعذوبة صوته في تلاوته الذي سحر به الألباب، كما كانت له ثقافة دينية أصيلة، وفصاحة وأدب رفيع انعكست في قصائده ومقالاته.

في عام 1327هـ/ 1909م عُيّن معلّما في مدرسة الاتحاد والترقّي العصرية في طرابلس، فأدّى عمله على أحسن وجه، كما تعلّم في ذات المدرسة اللّغة التركية وبدأ نظم الشّعر والكتابة في الصّحف. ولم يقتصر دوره في طرابلس على التعليم فحسب، بل كان يعاضد المصلحين هناك بما ينظمه من قصائد وأناشيد حماسية للطّلبة ومقالات نارية ضدّ الاستعمار الإيطالي، الشّيء الذي جعل اسمه يدرج ضمن قائمة المصلحين الذين تقرّب بهم خونة البلد إلى السّلطات الإيطالية. ولما احتلّت ليبيا عام 1330هـ/ 1911م، نكّل الاستعمار بهؤلاء المصلحين ونهبت السّلطات الإيطالية أموال أسرة الشّيخ الطّرابلسي الذي تمكّن من الفرار مع أسرته متجهاً إلى بريان.

مرّ الشّيخ في طريقه إلى بريان على القرارة، فحلّ بها واحتفت به المدينة احتفاءً عظيماً واستضافته نحو أسبوعين. ولما وصل الشّيخ إلى بريان فتح له السّيد الحاج سليمان قلّو داراً للتعليم أمام المسجد العتيق في دار آل ادباش.

ورغم أنّ الشّيخ لم يمكث طويلا في بلدته بعد أن غادر القرارة، إلاّ أنه كان له فضل هنالك، إذ أنّ المعلّم الذي انطلقت به مسيرة التعليم في مدرسة الفتح عام 1928م كان من تلاميذه وهو الشّيخ صالح بن يوسف أبسيس، كما تولّى القضاء في المدينة تلميذه الحاج محمّد بن بكير باشعادل.

كانت الگرارة قبل قدوم الشّيخ الطّرابلسي قد بدأت تستفيق من الغفلة الدّينية والعلمية التي كانت تعشّش على الجزائر عموماً ووادي مزاب خصوصاً، بسبب الاستعمار الفرنسي، ومن بين من حمل على كاهله مسؤولية الإصلاح ومحاربة محاربيه في القرارة: الشّيخ الحاج إبراهيم بن عيسى البريكي والشّيخ

الحاج عمر بن يحي المليكي بمعهديهما، ثمّ من بعدهما الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض تلميذهما.

ظلّت الگرارة على ذلك حتى جاء اليوم الذي حلّ عليهم فيه الشّيخ الطّرابلسي ماراً إلى بريان، فأُعجبوا بفصاحة لسانه وحفظه للقرآن الكريم وعذوبة صوته في تجويده، فعلموا أنّه المعلّم الذي ينشدون خاصّة لما عرفوا عزمه على إنشاء مدرسة عصرية، دعوه إلى التعليم في الگرارة فأجابهم إلى ذلك.

وكان أوّل ما اعتنى به الشّيخ في تعليمه:

- تحفيظ القرآن الكريم وإتقان تجويده،
- غرس العقيدة في نفوس التلاميذ،
- تعليم الصّلاة وأحكامها،
- تعليم الحديث النّبوي الشّريف.

كما كان يُعنى بفصاحة اللّسان والبلاغة فعلم النّشء بعضاً من قصائد الحكماء، ومن النّاحية التربوية كان الشّيخ يخصّص كلّ خميسٍ درساً في الأخلاق، يغرس في تلاميذه الصّفاء والنّشاط والشّجاعة والجدّ والتضحية وحبّ العمل.

ولم يهمل الشّيخ الجانب البدني، فكان يخرج بتلامذته مساء كلّ خميسٍ إلى ظاهر الگرارة، ليمارسوا ألعاباً رياضية مختلفة، إضافة إلى السّباحة في الآبار.

بعد أن تم الشّيخ محمّد الطّرابلسي دراسته في ليبيا عاد إلى بلدته بريان، مع أسرته في عام 1912م ليباشر فيها تعليمه للنشء، وبعدها اتجه إلى الگرارة بطلب من أهاليها بتعليم القرآن لأبنائهم، فلبّى النّداء فكان له فضل كبير في التمهيد لمعهد الحياة إلى جانب الحاج عمر بن يحي. ليتخرج على يديه قرابة مائتي طالب حافظ لكتاب الله أمثال: الشّيخ صالح بن يوسف لبسيس... وخرّج جيلاً من العلماء الأفذاذ، والمعلمين المخلصين وجنود النّهضة والإصلاح، أمثال: الحاج محمّد بن بكير باش عادل، والشّيخ شريفي سعيد بن بلحاج (الشّيخ عدون)، والشّيخ عمر ابن الحاج سعيد ابسيس...

وبعد أن تيقّن الشّيخ من أداء واجبه في الگرارة، انتقل عام 1349هـ/ 1930م إلى بسكرة. حسب الشّيخ محمّد علي دبوز وعلى قول من عاصر الشّيخ الطّرابلسي واطّلع على نشاطه الإصلاحي والتربوي هناك أمثال الحاج حمو بن عبد الله لعساكر فإنّ الشّيخ محمّد بن ابراهيم الطّرابلسي:

كان من الثّلاثة الذين افتتحوا التعليم عام 1350هـ/ 1931م في مدرسة الإخاء التي أنشأها آل بسكرة وتولّى إدارتها الشّيخ محمّد خير الدّين.

اشتغل بعدها كاتباً للسيد عيسى بن عمارة خبزي، ثمّ عاد إلى التعليم في مدرسة الميزابيين، وهي خلاف مدرسة الإخاء، وأبلى فيها مثلما فعل في الگرارة بلاءً حسنًا.

تولّى الإدارة في هذه المدرسة الإباضية على قول الشّيخ أبو اليقظان.

كان يلقي دروس الوعظ والإرشاد في مسجد الإباضية خاصّة في ليالي شهر رمضان المعظّم.

وكان يفصل في الخصومات ويشرف على الاجتماعات.

كما أنّه كان يلقي دروساً في مدن الشّمال كلما زارها.

وبعد أن وجد الشّيخ الخلائف الحسنة في التعليم اعتزل هذا المجال نهائياً واعتكف على مكتبته العامرة، إلى أن عاد إلى بريان عام 1947م.

اشتُهر بحفظه الجيِّد لكتاب الله قراءة وتجويدا، وله مواهب علمية عديدة، من أهمّها موهبة كتابة الشّعر الرّفيع، وقد نشر بعضا من قصائده محمّد الزّاهري في كتاب «شعراء الجزائر»، وله مقالات عديدة متناثرة في صحافة الشّيخ أبي اليقظان إبراهيم: «وادي ميزاب»، و«الأمة» وغيرهما. ومقالات في جريدة «المنتقد» و«الشّهاب» للشيخ ابن باديس.

ومن كتاباته قصيدة عنوانها:"العلم والوطن"، نشرها سنة 1926 في جريدة صدى الصّحراء، الصّادرة ببسكرة، لصاحبها أحمد بن العابد العقبي، جاء في مطلعها:

العلم بحر والفنون جواهر
والشّعر در راجح الميزان
والنّاس تسبح في بحار فنونه
وتغوص أسفله بكل (أواني)
هذا يصادف صدفة في وسطه
درر وذاك يفوز بالمرجان.

ويعدُّ الشّيخ محمّد الطّرابلسي أوّل مَن أدخلَ خطَّ النّسخ إلى مزاب، كما أنه ترك مكتبة، وهي وقف لمسجد بربورة العتيق.

دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

كان الشّيخ محمّد الطّرابلسي من الأعضاء المؤسّسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م وهو الذي افتتح الجلسة التأسيسية الأولى للجمعية بتجويد أواخر سورة الحشر، وكان ذلك في مقرها بنادي الترقي بالعاصمة، وكان عضوا نشطا بها إلى حين أجله.

توفي الشّيخ محمّد الطّرابلسي في 23 صفر 1368ه الموافق لـ: 25 ديسمبر 1948 ببريان، دفن فيها وأبنّه بعض الكتاب في جريدة البصائر.

فاطمة بنت صالح بورقيبة

المصادر:

- الحاج سعيد، يوسف، تاريخ بني مزاب، 176.
- النّوري، حمو عيسى، نبذة من حياة المزابيين، 1/ 102.
- ناصر، محمّد، الشّعر الجزائري الحديث، 680.
- دبوز، محمّد علي، نهضة الجزائر، 2/ 220، 225.
- لعساكر، اسماعيل، بريان تاريخ وحضارة.
- موقع آت مزاب.

■ محمّد بن أبي القاسم بن عبد الصّمد المشدالي
(و: 780ه - 1378م /ت: 866ه - 1461م)

هو أبو عبد الله محمّد بن بلقاسم بن محمّد بن عبد الصّمد بن حسين بن عبد الله المحسن المشدالي الأصل البجاوي الدّار وهذا التعريف متفق عليه في معظم كتب التراجم التي راجعتها وذكرت في الهوامش، وهذه الترجمة كتبها صاحب الضّوء اللامع الإمام السّخاوي -رحمه الله - ج 8 ص 290.

لم يتعرض أحد من المترجمين لميلاده، غير أنهم يرجحون أنه ولد ما بين 790هـ إلى 800 هـ لأن ولادة ابنه أبي الفضل المشدالي كانت سنة 820هـ وقد كان له أخ أكبر منه وربما كان له من الأخوات ممن هن أكبر منه فظن أكثر المترجمين أن ميلاده كان كما ذكرنا والله أعلم.

ذكر صاحب نيل الابتهاج ما نص أخذ عن أبيه وترقى معه في بعض شيوخه، وكان إماما مقدما على أهل عصره الفقه وغيره» نيل الإبتهاج ص 583.

خطيب الجامع الأعظم ببجاية وتصدر فيه للتدريس والإفتاء.

وذكر السّخافي أنه حفظ القرآن على أبيه وقرأ عليه السّبع. وهذا دليل على أن أباه كان من حفظة القرآن المجيدين له والمجودين.

لقد أسهم أبو عبد الله المشدالي في إثراء المكتبة الإسلامية بما هو أهله من الفقه والعلم. فقد ألف واختصر البعض منها:

اختصر كتاب البيان والتحصيل: لابن رشد وهو كتاب معروف عند الفقهاء والعلماء واسمه يغني عن التعريف به، وسماه «مختصر البيان».

اختصر أبحاث ابن عرفة في مختصره، وسماه تكملة المختصر.

تكملة حاشية الوانوغي على تهذيب المدونة للبراذعي -وكان عمله فيها توضيح ما صعب من عبارات الوانوغي وإظهار ما خفي من إشاراته سواء بشرحه أم الإحالة عليه، أم نقله خدمة لأهل العلم من الطّلبة.

وقد قام بدراستها الأستاذ الطّالب عبد الرّحمن حجار ابن الشّيخ عبد الله حجاز دراسة طيّبة تحتاج إلى النّظر. تحت إشراف الأستاذ الدّكتور محمّد عيسى حفظه الله. وقد قرأت هذه الرّسالة. وقد اعتنى بها ممن سبق، وقد اهتم بتأليف هذا الإمام المؤرخ السّوداني، أحمد بابا التنبكي عناية فائقة، بحيث اهتم بجمعها... فقال في نيل الابتهاج وأما تأليفه فمنها تكملة حاشية الوانوغي على المدونة...».

لقد أثنى عليه جمع غفير من أهل العلم وشهدوا له بالعلم والفقه منهم:

1. الفقيه أبو الفضل قاسم العقباني: أثنى عليه ثناء بالغا، وذلك بعد اطلاعه على فتواه في المسألة التي كانت بينه وبعض طلبته. فردوا في ذلك الأمر إلى الفقيه فأجاب بما يوافق ما ذهب إليه أبو عبد الله المشدالي، وقال في افتتاح الجواب «الحمد الله تصفحت الجواب المسطر في هذا الدّفتر فأطلعت به على نقل سعير ونظر مبارك سديد ورأى موفق -إن شاء الله - رشيد. أنظر التفصيل في المعيار. صفحة 30 إلى 32

1. وقال فيه السّخاوي العلامة الورع الزّاهد أبو عبد الله ابن العلامة الزّاهد المنقطع وكان يضرب به المثل حيث يقال أتريد أن تكون مثل أبي عبد الله المشدالي. كل هذا في الدّيانة وقوة الشّخصية ومثل الرّجال الحمل» أنظر الضّوء اللامع ج8، ص 290.

1. أما الونشريسي فوصفه في معياره الفقيه العالم الأشهر أبو عبد الله سيدي محمّد بن بلقاسم المشدالي المعيار ج 6، ص 5.

1. وقال عنه صاحب شجرة النّور الزّكية -هو المحقق النّظار الشّيخ الصّالح البركة المتحلي بالوقار».

1. ذكره القرافي المالكي العلامة الورع الزّاهد... كان إماما كبيرا مقدما على أهل زمانه في الفقه وغيره» توسع الدّيباج.

1. قال عنه الرّصاع في فهرسته ص 188 وكان قوي المشاركة صحيح «المذاكرة وذكره غيرهم بمحامد تشهد له بأنه كان إماما نابغة زمانه.

إن هذه الأوصاف التي وصفه بها أهل العلم ممن ترجموا له هي تحلية أهل العلم وتزكية أهل الخير والمعرفة يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات...» سورة المجادلة.

- ابنه أبو الفضل محمّد بن محمّد المشدالي؛

- ابنه الأكبر أبو عبد الله بن محمّد المشدالي الفقيه؛

- أبو الرّبيع سليمان بن إبراهيم الحسناوي البجائي؛

- ابن مرزوق الكفيف وهو أبو عبد الله بن محمّد بن أحمد بن الطّيب ابن الإمام؛

- ابن الشّاط عيسى بن أحمد الهنديسي البجائي المغربي المعروف بابن الشّاط. وهو فقيه وعالم بالفقه وأصوله والعربية ومشتقاتها. وتقدم للإفتاء الإقراء والخطابة بالجامع الأعظم ببجاية؛

- الشّيخ أحمد أحمد بن بن محمّد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزروق. وهو إمام عالم فقيه محدث له تصانيف عديدة أخذ عن كبار العلماء في زمانه مثل الشّيخ الثّعالبي والمشدالي والمجدولي. وغيرهم كثير. ومن تلاميذه حمزة بن محمّد

بن حسن البجائي المغربي نزيل الشّيخونية.

توفي رحمه الله بعد عمل دؤوب خدمة لنشر العلم والدين دون تعصب ولا إفراط ولا تفريط ودون كلل ولا ملل فكانت وفاته في أغلب الرّوايات عام 866 هـ كما ذكره الونشريس في معياره والزّركلي في أعلامه وقال البعض أن وفاته كانت 867هـ، وقال البعض الآخر أن وفاته 868 هـ.

وقد ذكر الشّيخ رابح بونار في إحدى محاضراته في الأصالة أنه توفي عام 859 هـ وأحاله إلى نيل الابتهاج وقد راجعت هذا في المرجع نفسه. والله أعلم.

إبراهيم مقلاتي

■ محمد بن أبي يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب الحسني التلمساني
(و: 832ه - 1429م /ت: 895ه - 1490م)

هو الإمام السنوسيّ الحسنيّ التلمسانيّ الأشعريّ المالكيّ، ينتسب إلى قبيلة بني سنوس، وإلى تلمسان باعتبار المولد (832ه- 895ه) وهو إلى ذلك أشعريّ العقيدة، مالكيّ المذهب.

درس الإمام السنوسي على عدد من علماء عصره، وانتفع بكبار مشايخ تلمسان؛ على رأسهم:

- أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، وهو والده الذي قرأ عليه بعض القرآن الكريم في صغره.
- أبو الحسن عليّ بن محمد السنوسي الشّهير بالتالوتي الأنصاري، وهو أخو السنوسي لأمّه، أخذ عنه في صغره رسالة ابن أبي زيد القرواني.
- الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي الراشدي، الشهير ب«أبركان»، لازمه السنوسي في الصغر.
- أبو الحسن علي بن محمد القرشي بالقلصادي، الرّحالة الشهير، قرأ عليه الحساب والفرائض وأجازه القلصادي في جميع ما يرويه.
- محمد بن أحمد المغيلي الشهير بالجلاب، قرأ عليه المدوّنة في الفقه، وقيل أنّه ختمه عليه مرتين.
- أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، قرأ عليه صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث، وكتب له إجازة بخط يده.

لقد كان مجلس الإمام السنوسي بتلمسان زاخراً بطلاب العلم، وذلك لِما في درسه من البيان بالتلطّف وترقيق القلوب والصدق والإخلاص وغيرها، ومن تلامذته الذين حفظت المصادر أسماءهم نذكر:

- محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني، وهو صاحب المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، الذي ترجم فيه لشيخه السنوسي، ووضع شرحاً على العقيدة الصغرى المعروفة بأم البراهين.
- محمد بن محمد بن العباس التلمساني، الشهير بأبي عبد الله، قال ابن مريم في البستان بأنّه كان ملازماً للإمام السنوسي.
- محمد بن صعد التلمساني.
- محمد بن عبد الرحمن الحوضي، صاحب منظومة (واسطة السلوك) في العقائد، التي شرحها السنوسي بطلب منه.
- بلقاسم بن محمد الزّواوي، وهو من أكابر أصحاب السنوسي وقدمائهم، كا قال صاحب البستان.

الإمام السنوسي من العلماء المكثرين في التأليف، وتصانيفه مشهورة متداولة إلى يوم الناس هذا، معظمها في التوحيد والعقائد، وقد حظيت –لأهميتها وقيمتها العلمية– بعناية المحققين فنشر الكثير منها، ومن هذه التصانيف نذكر:

- عقيدة أهل التوحيد المخرجة بعون الله من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة بفضل الله أنف كلّ مبتدع وعنيد، المعروفة بالعقيدة الكبرى. «طبعت»
- شرح العقيدة الكبرى، المسمّى عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، «طبع».
- العقيدة الوسطى، وهي اختصار للعقيدة الكبرى مع بعض الزيادات.
- شرح العقيدة الوسطى، وهي اختصار لشرح العقيدة الكبرى المتقدم، «طبع».
- العقيدة الصغرى، المعروفة بأمّ البراهين، «طبعت».
- شرح العقيدة الصغرى، «طبع».
- المقدّمات، وهي العقائد.
- شرح المقدّمات، «طبع».
- شرح أسماء الله الحسنى، «طبع».
- المنهج السديد في شرح كفاية المريد، وهو شرح على لامية أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري في التوحيد، «طبع»
- مختصر شرح صحيح مسلم للأبي المسمّى إكمال الإكمال، «طبع».
- شرح صحيح البخاري، لم يكمله وهو موجود في المكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2736.

كان إذا صلّى الصّبح قرأ وِرْدَهُ، ثمّ شرع في إلقاء الدّرس، ثمّ دخل بيته فصلّى الضحى، ثمّ أخذ في المطالعة إلى الظهر، ثمّ خرج فصلّى بالناس، ويتنفّلُ ما شاء الله تعالى، ثمّ يُقرِئ العلم إلى العصر، ثم يصلي العصر، وربّما خارج إلى داره فقرأ وِرْدًا له، ثمّ خرج لصلاة المغرب، فلا يعود إلاّ بعد صلاة العشاء، وربّما قرأ بعدها ما تيسّر، ثمّ يرجع إلى داره فينام ساعة، ثمّ يستيقظ فيشتغل بالمطالعة أو النساخ ساعة، ثمّ يتوضّأ ويصلي، أو يذكر ربّه حتى مطلع الفجر. كان ذلك أكثر حاله رحمه الله تعالى.

لقد جمع الإمام السنوسي بين العلم والتربية، فكان شديد العناية بالعلم والفقه دراسة وتدريساً، كتابة وتحقيقاً، وهو إلى ذلك شديد العناية بتزكية النفس وتهذيبها، فقد ذكر ابن مريم في البستان أنّ السنوسيّ كان حليماً كثير الصبر، ربما يسمع ما يكره فيتعافى عنه، ولا يؤثّر فيه بل يبتسم حينئذ، وهذا شأنه في كلّ ما يغضبه، لا يلقي له بالاً بوجهٍ، ولا يحقد على أحد، ولا يعبس في وجهه إذا لقيه، يُفاتح من تكلّم في عرضه بكلام طيّب وإعظام، ولا يلومه حتى يُعتقَد أنّه صديقه، ولمّا ألّف بعض عقائده أنكر عليه كثيرٌ من علماء وقته، وتكلموا بما لا يليق، فتغيّر لذلك كثيراً، ثم لان قلبه وعفا عن الجميع لرؤيا رآها.

أثنى على الإمام السنوسي أجيالٌ من العلماء، نظراً لما قدّمه خدمة للإسلام في مجال العقائد والتوحيد وسائر علوم الدين، ومن هؤلاء العلماء نقتبس هذه الكلمات:

وصفه تلميذه الملالي ب»الشيخ الإمام، حامل لواء شريعة الإسلام، الزّاهد العابد النّاسك، الولي الصّالح الوارع، النّاصح القطب العارف، الغوث المكاشف، إمام الطّريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة»

وقال ابن عسكر الشفشاوني: ”كان من أكابر الأولياء، وأعلام العلماء، وتآليفه تدلّ على تحقيقه وغزارة علمه، وعقائدُهُ الخمس وشروحها من أفضل ما ألّف في الإسلام».

وقال ابن مريم التلمساني: «كان –رحمه الله– آيةً في علمه وهديه وصلاحه وسيرته وزهده وورعه وتوقّيه»

وحلاّه أحمد بابا التنبكتي ب»الإمام العلاّمة الوليّ الصّالح».

واعتبره صاحب كتاب شجرة النور الزكية «عالم تلمسان وصالحها وفاضلها، العلاّمة المتكلّم المتفنّن، شيخ العلماء والزّهاد، والأساتذة العبّاد، العارف بالله، الجامع بين العلم والعمل».

يعتبر الشيخ السنوسي من العلماء الأكثر تأثيراً في مجال التوحيد والعقائد وعلم الكلام، فقد ملأ الدّنيا وشغل النّاس، بما فتح الله عليه من التآليف، التي أحسن عرضها وتبويبها، فقد أجاد في تصنيف المتون، وبرع في التعامل معها شرحاً واختصاراً، بسطاً وإيجازاً، مع عمق الفكرة، ودقّة التحرير، وحسن العرض، وجودة الأسلوب.

لقد استطاعت كتب السنوسي أن تزاحم كتب كبار علماء العقائد، وصارت مقرّرة في المعاهد والمدارس والزوايا، كالقرويين والزيتونة والأزهر وجوامع الشام وشنقيط والقوقاز والسودان وغيرها، بل إنّه غطّى على الكثير من العلماء المتقدّمين نظراً لتميّز مؤلفاته بالطابع التعليمي، مع الجرأة في الطرح، تدلّ عليها تعقيباته على كبار المتكلّمين كالأشعريّ والباقلاني والجويني والرازي وغيرهم. ولذلك انكبّ العلماء –مشرقاً ومغرباً– على كتب السنوسي بالشرح والتحشية والتعليق، بشكلٍ يندر وقوعه لشخصية علمية واحدة.

قال تلميذه محمد بن عمر الملالي: ”وتوفي –رضي الله عنه– يوم الأحد بعد العصر، الثامن عشر من جمادى الآخرة من عام خمسة وتسعين بعد ثمانمائة (895ه)، وأخبرتني والدتي – رحمها الله تعالى– عن بنت الشيخ –رضي الله عنهما– أنّه شمّت المسك في البيت بنفس موت أبيها، وشمّته أيضاً في جسده، والله أعلم».

حبيب بوزوادة

مصادر:

- ابن مريم التلمسان، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان
- نزار حمادي (محقق)، شرح المقدّمات للسنوسي، (قسم الدّراسة)
- بلكرد بوكعبر (محقق)، شرح السنوسية الكبرى، (قسم الدراسة)

■ محمّد بن أحمد البوكادي
(و: 1323ه - 1906م/ت: 1396ه - 1976م)

السّيد محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد القادر البوكادي، ولد بمدينة أولف بحي قصبة ميخاف سنة 1906م. تلقى القرآن ومبادئ العلم في البداية على يدي عمه المختار، فحفظ القرآن عليه، وبعد ذلك التحق بمجلس السّيد بختي أحمد بن مبارك المعروف بالعالم، كما أخذ على العالم العلامة محمّد بن أحمد دادة وأجازه في جميع الفنون.

بعد وفاة والده الذي كان مدرسا بمدينة متليلي في21 ديسمبر 1921م، انتقل إلى هناك سنة 1929م ليخلّفه في التدريس، واغتنم فرصة وجود العالم الفقيه محمّد بن عبد العالي أبختي الذي كان آنذاك مفتي الدّيار بمتليلي وفقيهها بلا منازع، فانضم إلى مجلسه وأخذ عنه.

وبالتوازي مع ذلك أسس مجلسا له لتعليم الفقه والتفسير وعلوم الشّريعة، فالتف حوله عدد كبير من التلاميذ. وأثناء أدائه لفريضة الحج سنة 1953م مع بعض شيوخ وعلماء المنطقة حط الرّحال بمصر، فالتقى في الأزهر الشّريف بأحد قادة حزب الشّعب الجزائري ويدعى مصطفى خليل، فانضم معه للنضال في سبيل القضية الوطنية.

وهذا ما جعله ينخرط مبكرا في الثّورة التحريرية المباركة غداة اندلاعها في 1954م، فعين قاضيا من

قبل جبهة التحرير الوطني في 15 أفريل 1956م إلى أن تم اكتشافه من المستعمر سنة 1957م، فتم اعتقاله وسجنه لمدة ثلاثة أشهر.

وتم اعتقاله مرة ثانية سنة 1960م حيث تم تقديمه للمحكمة العسكرية بالأغواط سنة1961م، أين تم الحكم عليه بالنّفي إلى مسقط رأسه - أولف- مع فرض الإقامة الجبرية عليه فيها.

ومباشرة بعد وقف إطلاق النّار في 19مارس1962م عاد إلى متليلي مباشرا مهمة التعليم والإفتاء والوعظ والإرشاد متخذا من المسجد العتيق منبرا له، يدرس فيه التفسير وكتب الحديث ومتون الفقه، والاجابة على أسئلة المجتمع والصّلح بين المتخاصمين. ولكثرة نشاطه تكالب عليه المرض فنقل إلى العاصمة لإجراء عملية جراحية، فعاجلته المنية إثرها في 25 نوفمبر1976م بمستشفى مصطفى باشا الجامعي، فنقل جثمانه إلى متليلي التي أحبها ووهبها عمره ليدفن جوار قبر والده. وكانت جنازته يوما مشهودا في تاريخ مدينة متليلي فرحمه الله رحمة واسعة.

يقول عنه الشّيخ الحاج محمّد باي: «كان مقيما بمتليلي الشّعانبة يعلم ويحفظ القرآن، وفي أثناء الثّورة أبلى بلاء حسنا وسجن ونفي من متليلي إلى مسقط رأسه بأولف، وله مستوى لا بأس به في الفقه، كان رجلا مرموقا في متليلي ومحترما شأنه شأن الشّيخ الحاج محمّد بن قلمونة، فكانا يحلان المشاكل ويصلحان بين المتخاصمين، وكان النّاس في متليلي يحترمونهما ويرضون بحلولهما للمشاكل».

له الكثير من المراسلات مع علماء عصره، منها الاخواني ومنها ما يتعلق بتبادل الآراء بخصوص القضايا الفقهية والمجتمعية بالإضافة إلى الفتاوي المتعددة، لازالت مشتتة وتحتاج إلى جمع وتنسيق.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث، 2007.
- بن ولهة عبد الحميد مسعود، الحركة الوطنية والثّورة التحريرية بناحية غرداية إداريا وتنظيميا، متليلي: دار صبحي للطباعة والنّشر، 2013.

■ محمّد بن أحمد بن محمّد الحرشوي النّدرومي (و: 1241ه - 1826م/ ت: 1313ه - 1896م)

محمّد بن أحمد بن محمّد بن أمحمّد بن عبد الرّحمن بن عبد الله الحرشوي أو الحرشاوي، نسبة إلى دار أحرشاو الّذي ولد به وفي بعض المراجع الخرشوفي.

ولد بمدينة (ندرومة) سنة (1241ه-1826م)، بمكان يقع في حوض الرّمان، ويعرف بدار أحرشاو.

من أسرة علمية شّهيرة، فجدّه كان فقيها، ووالده، وأبناء عمومته.

تتلمذ الحرشوي في مرحلة دراسته الأولى في (ندرومة) على يدي جدّه الفقيه العلاّمة (محمّد الحرشوي)، وعليه ختم القرآن وقرأ المشيشية ونظّم الخراز في الحذف، ثمّ قرأ على والده الفقيه (أحمد بن محمّد) وعلى ابن عمّه الفقيه (بن أبي زيان)، كما قرأ القرآن تحقيقا وتصحيحا على الشّيخ (الجندوز بن عدّة) وعلى الفقيه (البشير بن البقال بن موسى النّدرومي) وغيرهم.

كما تتلمذ على الشّيخ الفقيه (العبّاس بن الرّحّال النّدرومي)، الّذي أخذ عنه نظم (ابن عاشر) في الفقه المالكي، والعقيدة الصّغرى للإمام (السّنوسي)

وعلى السّيّد (محمّد رحمون)، والسّيّد (أحمد الزّرهوني).

سافر لطلب العلم إلى (وجدة)، فقرأ على الشّيخ (جلوّل بورورو المستغانمي) مختصر الشّيخ خليل دراية، ثمّ قرأ على الشّيخ الفقيه الصّوفي (سيد أحمد بن عيسى المستغانمي) أيضا المختصر المذكور.

سافر من (وجدة) إلى (مازونة)، فقرأ بها المختصر على الشّيخ (أبو العبّاس أحمد بن هنّي المازوني)، وعلى ولده العلاّمة سيدي (محمّد بن أحمد بن هني)، وعلى الشّيخ السّيّد (عيسى ابن أمبارك)، وعلى الفقيه سيدي (أبي مدين بن التهامي)، وأجازه سيدي (أحمد بن هني) وابنه المذكور.

كما أخذ عن الشّيخ (عيسى المزبور)، والفقيه (محمّد العربي المازوني)، وشيوخه من (بني وراغ)، كالشّيخ (الحاج محمّد بن

الطّيّب الوراغي)، والشّيخ (عبد القادر بن الطّيّب)، وغيرهم من فقهاء العصر.

سافر إلى (فاس) فأخذ الفقه من مشايخ عدّة، منهم العلاّمة الشّيخ (محمّد بن عبد الرّحمن الفلالي الفاسي)، وأخذ أيضا على الشّيخ (أحمد بن أمحمّد المرنيسي الفاسي) علم الحديث إذ قرأ عليه صحيح البخاري والنّحو والتوحيد، وأخذ الفقه عن الأخوين سيدي (الحاج عمر بن سودة) وسيدي (الحاج المهدي)، كما أخذ البيان والنّحو أيضا عن سيدي (الحاج المهدي)، وأخذ الفقه أيضا عن سيدي (محمّد الدّاودي التلمساني)، والنّحو والتوحيد، والمنطق والبيان، وقرأ الفقه أيضا عن الفقيه (أبو عبد الله محمّد بن محمّد التازي) الملقّب (مسواك)، وأصول الفقه عن الشّيخ (عبد السّلام بغانم)، والنّحو عن الشّيخ (محمّد بن إدريس البقراوي)، والقاضي (محمّد المهدي بن الطّالب بن سودة) صاحب الجلود، وعن سيدي (أحمد الغازي بن أحمد العربي المرابط)، أمّا التفسير فعلى الشّيخ (أبو محمّد عبد الله المدعو الوليد العراقي).

وأخذ عن العلاّمة المشارك الميقاتي (محمّد بن الطّاهر الحبابي)، الّذي كان ماهرا في الحساب والتوقيت والتعديل والفرائض، أخذ عنه شيئا من علم الكرة وجهاز الرّبع المجيب في الفلك، وكتب القلصادي.

كما أخذ عن العالم المشارك (أبو غالب عبد السّلام بن الطّائع الشّريف الإدريسي)، رجز الفاسي في علم مصطلح الحديث، وعن الشّيخ المدرّس (محمّد بن الفقيه علي بن عبد الله المتيوي)، الّذي أخذ عنه الأرجومية، وعن العلاّمة (أبو بكر) ابن العلاّمة الكبير الشّيخ (الطّيب بن كيران)، أخذ عنه ألفية ابن مالك، والشّيخ (عمر الزّرهوني)، أخذ عنه رسالة الماردني في الرّبع المجيب.

تقلّد خطّة القضاء الشّرعي في (ندرومة) و(تلمسان)، ثمّ خطّة الإفتاء والتدريس في الجامع الكبير (بتلمسان) في مختلف فروع الشّريعة الإسلامية، فأعطى للتعليم جلّ وقته، فدرّس عدّة مؤلّفات مهجورة منها الشّمائل للترمذي، والأربعين النّووية في علم الحديث وفي العقائد، وأم البراهين للسّنوسي عدّة مرّات بشرح البيجوري، وفي النّحو الأجرومية والألفية، وفي الفقه المالكي المرشد المعين (لابن عاشر)، والعاصميّة في علم القضاء والرّسالة (لابن أبي زيد القيرواني)، ومختصر خليل وخاصّة علم الفرائض، وفي الثّقافة العامّة قصيدة (أبي عبد الله بن زكري) في العام الأعجمي، وغيرها من الكتب.

زيادة على هذا فإنّ الشّيخ عندما كان ينتقل في ربوع القطر الجزائري، كان يلقي الدّروس العلمية على كبار الطّلبة، حتى أنّ المفتين والقضاة كانوا يحضرون دروسه لمكانته العلمية وقدرته على تطبيق قواعد الدّراسة والتعليم، ونفع الطّالب في مدّة قياسية.

تولّى الشّيخ التدريس عندما كان طالبا بالقرويّين، ثمّ تولّى خطّة القضاء وتركها مفضّلا مهمّة التدريس، وقد تخرّج على يديه الكثير من الطّلبة، حتى أنّ بعض القضاة والمفتين كانوا يجلسون بين يديه في حلقات

علمه بطلب منهم، وينهلون من معارفه المتنوّعة، ومن هؤلاء التلاميذ:

الفقيه (الحاج محمّد بن الحاج علال بن بلحسن بن الحاج علي بن محمّد بن يلس) الملقّب (بالشّاوش)، أخذ عنه في الجامع الكبير (بتلمسان).

الفقيه المدرّس (عبد الرّحمن بن أحمد زروق البليدي)، توجّه إلى (تلمسان) وأخذ عن الشّيخ.

الفقيه (أبو عبد الله البوعبدلي البطوي)، كان يثني عليه كثيرا الشّيخ كلّما ذكره.

(الحاج محمّد بن الحاج حمّو)، الّذي كان يحضر مجالسّ العلم بالأخص مجالسّ الشّيخ (محمّد الحرشاوي)، والشّيخ (أحمد الدّكالي).

مقدّم الطّريقة الهبرية (الحاج عبد القادر بن محمّد وزين التلمساني)، أخذ عن الشّيخ الشّريعة.

(الحاج محمّد بلقايد)، و(أحمد السّتوتي)، و(بوزيان بوشناق)، كانوا يواظبون على دروس الشّيخ في الجامع الكبير (بتلمسان).

ومن الطّلبة الّذين تأثّروا به تلميذه (محمّد بن محمّد بن علال الدّيلمي)، فكان يجلّه إجلالا، ولا يتصرّف في بعض المواقف إلاّ بإذنه، وممّا ذكره في شأن شيخه في تقييد آخر جمعه (العربي بن محمّد الحرشوي) قوله:

أقول للّذي أراد حكمة
وسرا باهرا وعلو همه
تمسك يا أخي بالحرشوي
فكل ما أردت تجده ثمه
ولازم درسه تنل علوما
وترجع حينا ممن ساد قومه
وتحظى بوصلك المولى وتنجى
من الجهل العميم وكل ظلمه
فقيه غطريف قمر منير
عديم الشّكل حرشوي النّسبه

المواهب المعطية في ذكر أجوبة المسائل الفقهيّة المنشأة عن الأسئلة المرضية، ويقع الكتاب في مجلّدين، وهو شرح على الأسئلة المرضية (لمحمّد الخروبي القلعي).

النّهي الفائض في حلّ ألفاظ المختصر في الفرائض.

حُلّة التسديد فيما به الخروج من ربقة التقليد، وهو نظم لخّص فيه صغرى (الإمام السّنوسي).

الرّكن الشّديد في حل ألفاظ حلّة التسديد، وهو شرح وتوضيح لما جاء في حلّة التسديد.

شرح المرادية لإبراهيم التازي، وهو شرح على النّظم بالمراد للشّيخ (إبراهيم التازي).

شرح على بردة المديح للبصيري.

تعليق على كتاب القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبه بالمغربين الأقصى والأوسط. وأصل الكتاب للسّيّد (جورج دولفان Georges Delphin) (ت1340 هـ -1922 م) مدير المدرسة الثّعالبيّة (بالجزائر العاصمة)، والأستاذ السّابق للّغة العربيّة (بوهران)، الذي أرسل بمسوّدة كتابه هذا إلى الشّيخ الحرشاوي لمراجعته والتعليق عليه. وقد استجاب هذا الأخير للاستكتاب فأثرى الكتاب بتعليق لا بأس به بخطه وقلمه على مواضع كثيرة من كتاب دلفان، تتبع ما أمكنه -كما صرح هو بعبارته- مسائل الكراريس وأمعن النّظر في أسماء مَن فيها، منبها على أغلاط وقعت مصوبا إياها، مصورا لنا الأجواء العلمية في الطّلب والتحصيل والقراءة والتدريس بفاس وتلمسان في ذلك الوقت، وقد بعث الشّيخ برسالة اعتذار إلى دولفان مبينا فيها الأسباب التي حالت بينه وبين إتمام التعليق. سنة (25نوفمبر1889م).

كتاب تحفة الأكياس في الأجوبة عن كيفية التدريس بفاس.

توفّي الشّيخ الحرشاوي (بتلمسان) في 27 رجب سنة (1313ه) الموافق لـ24 يناير(1896م)، ودفن بالعباد.

نسيمة لوح

المصادر:

- تعريف الخلف برجال السّلف، حفناوي محمّد، تح: بطيخ عثمان، ابواجفان محمّد، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ج1982،2م.
- تاريخ ندرومة علماء أقطاب وشخصيات، جمع وإعداد: أ.عز الدّين ميدون، مؤسّسة عبد القادر الياجوري وهران، عنوان المحاضرة الثّانية عشر (الشّيخ الحرشاوي النّدرومي -حياته وأثاره)، أ.بليل حسني، سلسلة إصدارات جمعية الموحّديّة ندرومة،2011م.

■ محمّد بن أحمد بن محمّد بن مرزوق العجيسي التلمساني الحفيد (و: 766ه - 1364م/ت: 842ه - 1439م)

أبو عبد الله (محمّد بن أحمد بن محمّد بن محمّد بن أبي بكر بن مرزوق) العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد لتمييزه عن جده ابن مرزوق الخطيب.

ولد ابن مرزوق الحفيد ليلة الاثنين 14 ربيع الأوّل 766ه الموافق لـ 08 ديسمبر 1364م بتلمسان، وكانت وفاته بتلمسان في الخميس 14 شعبان 842ه الموافق لـ 30 جانفي 1439م، ودفن بها في جنازة مهيبة، حضرها السّلطان وكبار رجال الدّولة والعلماء.

ينسب إلى قبيلة العجّيسَى أو العجيسِي كما نسب نفسه وهي قبيلة بربرية. قال الخطيب في المنقب: «وعجيسة قبيلة من

زناتة معروف مكانها منها، متفرقون في بلاد المغرب من أقصى بلاد أفريقية إلى أقصى بلاد المغرب، وبالأندلس جماعة منهم.

وقال عبد الرّحمن الجيلالي: «نسبة إلى القبيلة الجزائرية العظيمة المقيمة بجبال مدينة مسيلة -شرقيّ صنهاجة وجنوب زواوة -أي في المكان الذي أنشئت فيه القلعة الحمادية.

أجمعت المصادر على سعة علمه في الفقه وفي التفسير وسعة اطلاعه على حقائق التأويل وإحاطته بالحديث وفنونه، وحفظ رواياته ومتونه، وإلمامه بالأصول، وتمكنه من النّحو وقواعده ومن البيان وجماله.

نشأ بتلمسان وحفظ القرآن وتعلم المبادئ الأوليّة اللغوية والدينية عن والده وعن جده الخطيب، وهو من عائلة المرازقة، وهي عائلة عريقة في الثّقافة والعلوم، وأنجبت لنا كثيرا من العلماء الفطاحل نحو ثمانية علماء، فكانت أكثر بيوتات العلماء عددا وأنشطهم مشاركة في المنجزات الحضارية لتلمسان الزّيّانية، واشتهر كل منهم حسب وجوده في الأسرة، ونذكر منهم: ابن مرزوق الجد وابن مرزوق الأب وابن مرزوق الحفيد والكفيف وحفيد الحفيد.

عاصر فترة حصار المرابطين لتلمسان ما بين سنتيّ 472ه/ 1079م 475-ه/ 1082م حلّ بتلمسان مرزوق العجيسي مهاجرا من القيروان، فاستقرّ بتلمسان، وكان هذا الاستقرار حجر الأساس لإنجاب هذا البيت علماء أجلاء، ومن ابن مرزوق الحفيد الذي عاش في العهد الزّيّاني.

تلقّى العلم عن جده الخطيب بالإجازة، وكذلك أخذ عن والده وعمه، وجماعة أجلاء منهم العلامة محمّد عبد الله الشّريف الحسني التلمساني وعالم المغرب القاضي سيدي السّعيد بن محمّد العقباني التلمساني، والولي العابد الصّالح أبو إسحاق سيدي إبراهيم المصمودي، وأشار شمس الدّين السّخاوي إلى رحلتين له للحج، لقي فيهما عددا من علماء المشرق وأخذ عنهم؛ أمثال البهاء الدّماميني، والنّور العقيلي والزّيني رضوان وابن حجر العسقلاني. كما أخذ بمدينة فاس عن بعض الشّيوخ الفاسيين لا سيما عن النّحوي أبي حيان وأبي زيد المكودي، وبمصر عن السّراج البلقيني والزّين الحافظ العراقي والشّمس الغماري والفيروز آبادي وناصر الدّين التنسي وابن جزي وابن خلدون وغيرهم.

تخرج على يدّ ابن مرزوق الحفيد جمع من العلماء من بينهم:

- إبراهيم بن فائد بن موسى الزّواوي القسنطيني 796ه/ 857ه؛
- أبو الفضل محمّد بن محمّد المغربي المالكي 820ه/ 865ه؛
- أبو زيد عبد الرّحمن الثّعالبي 786ه/ أواخر 875ه أو 876ه؛
- أبو زكريا يحي بن موسى المقيلي المازوني ت 883ه؛
- أبو الحسن علي بن محمّد بن علي الأندلسي القلصادي ت891ه.

يعد ابن مرزوق الحفيد من المكثرين في التصنيف في شتى العلوم والفنون، ومما كتبه في مجال اللغة والأدب نذكر:

- أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك؛
- الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب؛
- أرجوزة في نظم «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني، واسمها «مواهب الفتاح في نظم تلخيص المفتاح»؛
- المفاتيح المرزوقية في شرح الخزرجية، وهي منظومة في العروض والقوافي؛
- شرح التسهيل لابن مالك.

ومِمَّا ألّفه في الدّين والمنطق نذكر:

- أرجوزة ألفية في محاداة الشّاطبية، سمّاها بـ «كنز الأماني»؛
- أرجوزة في «نظم جمل الخونجي»؛
- أرجوزة في علم الفرائض اختصر فيها «منتهى الأماني» للتلمساني؛
- خطب أو ديوان الخطب، وصفها التنبكتي وابن مريم بالعجيبة؛
- مفتاح باب الجنة في مقرأ السّبعة أهل السّنة؛
- المقنع الشّافي، أرجوزة في الميقات في ألف وسبعمائة بيت؛
- مناقب إبراهيم المصمودي، ترجمة شيخه؛
- النّور البدري في التعريف بالمقري.

يقول الثّعالبي: «قدم علينا بتونس شيخنا ابن مرزوق قاصدا الحج فأقام بتونس تلك السّنة أو جلّها، فأخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطأ وأجازني رحمه الله بجميع رواياته. وأجازه من الأندلس الأئمّة كابن الجزري وغيره».

بعد رحلته العلمية والتكوينية مغربا ومشرقا يعود إلى تلمسان بعد سنة 790ه/ 1388م فينتصب للتدريس والعطاء بعد الأخذ إلى غاية 816ه/ 1416م، حيث يتوجه نحو البقاع المقدّسة ليعود بعد ذلك إلى تلمسان، ويواصل مهنته الشّريفة بكل حزم وعزم ليثبت جدارته وكفاءته، ومن تلمسان زادت شهرته وهذا لرسوخه في العلم، ولحسن بيانه وفصاحة خطبته، واتساع فقهه للمذاهب الفقهية عامّة ومذهب الإمام مالك خاصّة، فوفد عليه الطّلبة من كل أنحاء المغرب الإسلامي، واستمرّ في التدريس حتى وفاته، أي ما يُعادلُ الخمسين سنة. وفي ذلك قال التنبكتي: "الإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ المحقق الكبير الثّقة الثّبت النّظّار المصنّف التقي الصّالح الزّاهد... الفقيه المجتهد الأبرع الأصولي المفسّر المحدّث الحافظ المسنّد فارس الكراسي والمنابر سليل الأفاضل الأكابر سيد العلماء الجلّة وصفي أئمة الملّة وآخر السّادات الأعلام ذوي الرّسوخ الكرام بدر تمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشّريعة بأوفر محصول»، ومن بين ما قاله عنه أيضا: «وأمّا النّحو فلو رآه الزّمخشري لتجلجل في قراءة المفصل واستقل ما عنده من القد المحصل».

لقد وصفه غير واحد ممن ترجم له بالرّحالة، قال التنبكتي أحمد بابا (ت1036ه) مثنيا على فعله هذا: «الرّحالة الحاج»، وقال أيضا رضا كحَالة(ت1408ه):

«ورحل إلى الحجاز والمشرق» فغرّب وشرّق (والمقصود: الحجاز والأندلس والقاهرة...).

وتوغل في فنون العلم ملازما في ذلك الكتاب والسّنة لا يفارقهما. حج سنة 790ه رفيقا لابن عرفة وسمع البهاء الدّماميني والنّور العقيلي بمكة، وقرأ بها البخاري عن ابن صديق ولازم المحب ابن هشام في العربية ثمّ حج سنة 819ه ولقيه رضوان الزّيني بمكة وكذا ابن حجر.

آمنة شنتوف

المصادر:

- أحمد أبو العباس المقري، نفح الطّيب في غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق إحسان عباس.
- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تحقيق: علي عمر.
- خير الدّين الزّركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء عن العرب والمستعربين والمستشرقين.
- يحي محمّد أبو زكريا، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات.

■ محمّد بن أحمد همدي (التواتي محمّد)
(و: 1342ه - 1924م/ت: 1438ه - 2017م)

السّيد محمّد بن أحمد همدي المولود بأولف سنة 1924م، بحي زاوية حينون، أين نشأ وترعرع فيه. وكغيره من أبناء المنطقة في هذه الفترة، عانى من مرارة العيش وويلات الفقر والحرمان ونظام الإقطاع الذي كان سائدا آنذاك. مما دفع به إلى الرّحيل للبحث عن حياة أفضل؛ حيث توجه إلى تونس سنة 1945م. واستقر به المقام فيها، حيث كان يقيم بوكالة الدّباغين. واشتغل بالفلاحة من أجل الحصول على لقمة العيش.

وبظهور الخلايا السّرية للثورة الجزائرية سنة 1956م، انضم إلى الخلية رقم (01) التي كانت من بين الخلايا التي تجمع التبرعات لمساندة الثّورة التحريرية. وقد كان يتولى رئاسة هذه الخلية السّيد عبد القادر الدّباغ ويساعده في إدارة شؤونها كل من محمّد بن داده محمّد ومبارك بن بوجمعة المرتاجي والدباغ أحمد بالإضافة إلى السّيد همدي محمّد. وكان عدد أعضاء هذه الخلية 25 عضوا موزعين في (منطقة بوعرقوب) من أجل جمع التبرعات والاشتراكات ودفعها للمكتب في نهاية كل شهر.

بعد أن جاء نداء التطوع في صفوف جيش التحرير الوطني في سنة 1959م، تم إرسال دفاتر التطوع من طرف وكالة الدّباغين إلى الخلايا. وبعد استلام السّيد داده محمّد للدفاتر عقد اجتماعا من أجل حث أفراد خليته على التطوع وتلبية الواجب الوطني، فكان السّيد همدي محمّد ممن لبوا النّداء.

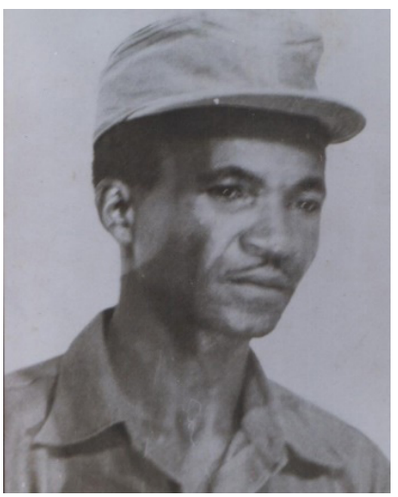

ولما تم إحصاء المتطوعين على مستوى الخلايا تم الاتصال بمنطقة قرمبالية بالسّيد محمّد لفرك عماني. وكان هذا الأخير مساعدا للسيد الكحلاوي وتتمثل مهمته في التنسيق وتسلم الاشتراكات التي كانت تجمعها الخلايا الموجودة على مستوى المنطقة.

بعد أن تم جمع المتطوعين وإحصاؤهم، قام محمّد الفرك بنقلهم إلى منطقة ملاّك أين تم تسليمهم إلى المدعو محمّد الطّويل الذي أشرف على المرحلة الأولى من تدريبهم. وقد كانت فترة للتدريب بدون سلاح. وقد دامت 25 يوما فقط، بعدها نقل المتطوعون إلى منطقة أخرى تسمى قرن حلفاية وقد تولى هذه المهمة المدعو سي السّعيد من أولاد جلال وكذا المدعو سي مصطفى من بسكرة، حيث استقبلهم السّيد عبد المؤمن وكذا رئيس المركز مصطفى القبايلي الذي كان برتبة ملازم، بالإضافة إلى الملازم بوغانم. وكلف هذا الأخير عبد الرّحمان بن سليمان بالإشراف على المرحلة الثّانية من تدريب المجموعة وتم فيها التدريب على كيفية استعمال السّلاح استعمالا جيدا من حيث الصّيانة ودقة الرّمي، وكانت هذه الفترة تتراوح مابين 03 و06 أشهر وذلك حسب استعدادات المتدرب وقدراته. وقد بلغ عدد المتدربين في المنطقة الذين وفدوا من مختلف الخلايا 900 متدربا، إذ تقع قرن حلفاية بين جبل سيد أحمد والونزة وتتميز بقسوة مناخها وقلة مواردها المائية.

بعد انتهاء فترة التدريب وفي أكتوبر1960م، تم توزيع المتدربين على الكتائب، فكان السّيد همدي محمّد ممن أرسلوا إلى الفيلق 25 في منطقة تقع بين المكلاتية وعين دراهم. وتم إعطاؤهم الأسلحة فكان من نصيب السّيد همدي محمّد سلاح موزير من صنع ألماني، وأول مهمة قام بها الفيلق 25 هي استطلاع المنطقة بقيادة يوسف بوبير وبمساعدة أحمد جنوحات، وذلك بإجراء دوريات ومسيرات للإطلاع على خفايا المنطقة. وكل هذه الأعمال كانت تتم ليلا خفية عن أنظار عساكر المستعمر بالمنطقة.

بعد أن تم لهم ذلك لجأوا إلى عملية ثانية تمثلت في مراقبة العدو ورصد تحركاته

والأعمال التي كان يقوم بها، بعدها تم التخطيط لهجوم على ثكنة أعديسة. وقد انتظر القائد يوسف بوبير مجيء الأمر بالتنفيذ من قائد الأركان آنذاك الرّاحل هواري بومدين. ولما تلقى الأمر كان الهجوم على ثكنة اعديسة في 10مارس 1961م، حيث بدأ الاشتباك في السّاعة العاشرة ليلا ودام ساعتين، وقد تكبد العدو خسائر في الأرواح والعتاد. وممن استشهدوا من المجاهدين المدعو بوعيطة الصّغير. وبعد هذه العملية تم نصب كمين للعدو ما بين منطقتي خيوشة ومجودة في الحدود التونسية حيت تم اشتباك بين المجاهدين وقوات العدو الفرنسي وقد استشهد في هذه العملية ميهوبي السّعيد، وقد كان طالبا قبل أن ينضم إلى جيش التحرير الوطني.

كان من بين رفقائه في النّضال والكفاح: براكشي أحمد (أولاد جلال)، سي مسعود (وهران)، محمّد البسكري، الطّيقان عبد القادر (أولف)، بليلة الصّالح (أولف)، بن عثمان مبروك (أولف)، قدي لحسن (أولف)، المختار بن الطّالب مبارك (أولف).

وبعد أن أتم الفيلق 25 مهمته وإعلان وقف إطلاق النّار استقر في سكيكدة، بعدها انتقل إلى الحامة أين أنهيت مهام أعضائه سنة 1963.

انتقل إلى رحمة ربه يوم الأحد 01 يناير 2017 الموافق لـ 02 ربيع الثّاني 1438 هـ، فتقبله الله وأعلى درجته في عليين.

قدي عبد المجيد

■ محمد بن أعمارة الوزلاجي
(و: 1258ه - 1842م/ت:1338ه - 1921م)

ولد الشيخ محمد بن أعمارة بقرية ثيمليوين عرش أوزلاقن عام(1842م)، وحظي في طفولته برعاية والده الذي ساعده على تعلّم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ ما تيسر من سور القرآن القصار، ثم أدخله إلى كتّاب القرية، وكان في الكتّاب يحفظ القرآن وفي البيت يتابع دروس اللغة والفقه، وكانت مواهبه الفطرية ومخائل نجابته تحدد له مستقبلا وضيئا، وغدا مشرقا، مما جعل والده يتابعه بجدية واهتمام ويراعيه بعناية زائدة، إلا أنّه لم يكتب لهذه الرعاية أن تستمر، إذ توفي والده سنة (1854م) قبل أن يبلغ محمد سن الرشد، فتكفلت به أمه «فاظمة" التي لم تقصّر في واجبها، وأرسلته إلى «زاوية أحمد أويحي" بأمالو في حدود سنة (1855م)، أين زاول دراسته تحت رعاية أخواله، أتمّ حفظ القرآن ترتيلا وتجويدا بالقراءات العشر، وأخذ ما تيسر له من علوم اللغة والفقه، ثم شدّ الرحال إلى زاوية صدوق فواصل دراسته على يد الشيخ الحداد الذي كان زميلا لوالده في الدراسة بزاوية الشيخ الصديق بن أعراب في بني يراثن، وكلّ هذا شرح قلب الولد، وزاده رغبة في الانتساب إلى هذه الزاوية، فقد كان الولد يبجل الشيخ الحداد ويقدّره غاية التقدير، ويراه في منزلة والده وصورة له مما جعله يتخذه شيخا وقدوة.

وقد أخذ عنه الفقه والأصول والتوحيد وعلم الفلك، كما أخذ الطريقة الرحمانية التي أخذها هو بدوره من المهدي بن عيسى، وأجازه فيما أخذ عنه ومما جاء في الإجازة قوله: « أمّا بعد فليعلم الواقف على كتابنا هذا من المؤمنين بالله ورسوله أننا أجزنا وقدّمنا حامله الشيخ محمد بن أعمارة الوزلاجي في كلّ ما فتح الله به على أيدينا من فقه وطريقة رحمانية، بل وجميع ما يؤذن فيه شرعا في حياتي، واستخلفته بعد ذلك في مماتي، فمن أخذ عنه في ذلك كمن أخذ عنّي، ومن خالفه فقد خالفني والله المسؤول أن ينفع به كما نفعه وأن يصلح به العباد، ويعمر به البلاد».

وبعد أن أنهى الشيخ محمد بن أعمارة دراسته وأجازه الشيخ بلحداد تلك الإجازة كلّفه بالتدريس في زاويته، حيث رأى أنّ طلبته أحق بالانتفاع بهذا الشيخ قبل غيرهم، ولكنه اعتذر بعدم قدرته على التدريس تواضعا منه، وتهيبا لشيخه غير أنّ شيخه الذي يعرف كفاءته ومقدرته على الإفادة ألزمه بالتدريس وقال له: « إنك ستقوم بالمهمة وأنت لها أهل».

ولم يبق للشيخ بعد هذا إلا أن يستعد للمهمة، ويتصدى لها بكل ما أوتي من مؤهلات، فالتف حوله الطلبة، وكلهم رغبة في التحصيل، وتعطش إلى العلم والمعرفة، وكان الشيخ شديد الشغف بحب طلبته، ورغبته في التغذية العلمية، وما هي إلا فترة وجيزة من الجهاد العلمي الدائب حتى أخذت الثمار تبدو وتعد بنتائج طيبة، وحصاد رفيع موفور وتحققت بذلك فراسة الشيخ في تلميذه.وبإذن من شيخه حوّل داره إلى زاوية لنشر العلم، ولمّا وضعت الحرب أوزارها كان الشيخ محمد ضمن قائمة المحكوم عليهم غيابيا بالسجن أو النفي، وكان من حسن حظّه أنّه لجأ إلى زاوية عين الفكرون فتنكر وتولى التدريس فيها لمدة ثماني سنوات، وبعد عودته صار الشيخ محل مراقبة من طرف الإدارة الفرنسية التي لم تخف قلقها من نشاطه، غير أنّ ذلك لم يفت من عضده، وبعد أن أفشلت فرنسا مشروعه القاضي بإعادة فتح زاوية سيدي يونس بناحية «إغزر أمقران"، تفرغ لتدريس القرآن في زوايا وادي الصومام، وزاوية

«محمد أبو القاسم البوجليلي بآث عباس»، وزاوية «عبد الرحمن الإيلولي"، ثم بزاوية «أحمد إدريس» التي مكث بها مدة خمسة عشرة سنة.

وإزاء هذه المهمة التربوية الهامة التي كان يقوم بها الشيخ، فقد كان أيضا مجاهدا يدافع عن وطنه، وعليه فقد عمل على تعبئة المواطنين وتجنيدهم لدعم صفوف الثورة خاصة في نواحي أوزلاقن، وآث وغليس، وآث عباس، وشلاطة، إذ كان له دورا مهما في ذلك، فقد عايش الشيخ محمد بن أعمارة في طفولته وشبابه توسع الاستعمار الفرنسي بقيادة الماريشال "راندون" وغيره من الضباط، في منطقة وادي الصومام وما رافق ذلك من جرائم بشعة أصابت السكان في أرواحهم وأرزاقهم وأملاكهم، خاصة وأنّ سكان أعراش أوزلاقن قد احتضنوا ثورة الشريف بوبغلة، وبالنظر إلى العلاقة الحميمة التي تربط الشيخ محمد بن أعمارة بمعلّمه الشيخ محمد أمزيان بن حداد فمن الطبيعي أن يكون الساعد الأيمن له في ثورة (1871م).

وقد شارك الشيخ محمد بن أعمارة في هذا السياق إلى جانب الشيخ عزيز بن الحداد في حصار مدينة بجاية، ولمّا دارت الدوائر على الجزائريين بسبب ضعف التنظيم وقلة التسليح، أسرع محمد بن أعمارة إلى إنقاذ مكتبة الشيخ الحداد بعد أن قرر الضابط «بدي لاكروا" مصادرة أملاك عائلته، فنقل بصفة مؤقتة ما أمكنه من كتبه ووثائقه إلى قرية ثيميلوين ليلتجئ بعد ذلك إلى «زاوية عين الفكرون"، التي مكث بها بعيدا عن عيون فرنسا إلى سنة(1880م).

انتقل الشيخ محمد بن أعمارة إلى جوار ربّه سنة (1338ه الموافق ل 1921م) بعد أن قضى حوالي خمسين سنة مدرّسا في مختلف الزوايا، تخرّج على يده مئات الطلبة والعلماء أمثال الشيخ عاشور الخنقي والشيخ أحمد المقنيعاوي، والشيخ سعيد اليجري...إلخ، وكان موته خطبا جللا على أهل المنطقة، وعلى كلّ عارفي فضله ومكانته في كلّ مكان.وشيّعت جنازته في مشهد رهيب قلما عرف أهل المنطقة مثيلا له، حضره العلماء ومشائخ الزوايا والطلبة والمريدون، وجموع غفيرة من الناس جاءوا من مختلف الأنحاء، وأبنه جمع من العلماء تنافسوا في ذكر مناقبه ومآثره والتنويه بجهاده العلمي والوطني والاجتماعي، وكلهم حثوا الحاضرين على الاقتداء به في كلّ جانب من جوانب حياته.

وقد ترك الشيخ عدّة مؤلفات مخطوطة في التاريخ، والنسب الشريف والفقه، ونسخ من القرآن الكريم فهي لا تزال في حوزة حفيده «محمد الصادق وعلي» ومنها:

- تاريخ المغرب الكبير
- عمود النسب: تناول فيه تاريخ الأشراف في منطقة القبائل عامة ووادي الصومام على وجه الخصوص.
- رسالة في التصوف
- شروح وتعليقات في الفقه والفرائض
- وكتب بيده مصحفين، إذ كان له خط رائع.
- إضافة إلى عدّة فتاوى مشهورة في مجال المعاملات.

لحول تسعديت

المصادر:

- محمد الصالح الصديق « الشيخ محمد بن أعمارة الوزلاجي» جريدة البصائر صفحة شخصيات ومعالم، العدد 233، يوم 28 مارس – 04 أفريل 2005.
- محمد أرزقي فراد «المآثر العلمية لعائلة الشيخ محمد واعمارة الوزلاجي» جريدة الشروق، صفحة رأي، العدد 2422، الاثنين 06 أكتوبر 2008.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس.
- Octave DEPONT et XAVIER COPPOLANI Les Confréries religieuse Paris.

■ محمّد بن البركة لحسين
(و:1297ه - 1880م/ت: 1382ه - 1963م)

السّيد محمّد بن البركة لحسين ولد حوالي سنة 1880م بعين بلبال، أين نشأ وترعرع وتعلم مبادئ العربية والقرآن على مشايخ قريته وعلى يدّ السّيد أحمد بن حمزة بن مالك دفين المالح بين أولف ورگان. عاش في البادية، فخالطّ شعراء جهته واشتغل كسائر أبناء منطقته بالرّعي فأكثر من تأمل الطّبيعة مما صقل موهبته لقول الشّعر، فنظم العديد من القصائد في شتى الأغراض. إلا أن أكثر أشعاره كانت في الغزل، ف في قصيدة له نجده يبعث برسالة إلى حبيبته عن طريق الحمام، فيقول:

لله يا ڤمري كانك صايب
نغدو شوار الرّيم كحل العين
والرّيم تامو سبتي يا طالب
هيهات منها ما بقى ليقين
وڤول ليها راني مريض وعاطب
وعار طبي كانهو في الزّين
ويهوضو البنات كل غرايب
وينوضو الأضرار شوف منين
واللي بعقلوا قال راجل تايب
يضحك مريك لا صلاه لا دين
هي تقول مدوبة في قالب
ربي يخطيها الفعل الشّين
نطفو جراحي رحت من الغرايب
عقل تمرمد طحت بين ايدين

وفي نفس الغرض الشّعري له قصيدة شهيرة بعنوان «هاض علي غرامها بودواح"، جاء فيها:

يا عذابي سبة للناس واش قالوا

هـاض علي غـرامها بـودواح
سباب ضرو البنات مهالكين حالو
قالوا لصغار كاملا خـونا جاح
حـرام ما نبرا منه غير في هـوالو
هاض علي غرام قاطـع وقساح
منين نزها نلقاهم كاملين مالو
لو كان جيت انا نتوب ونرد صـلاح
هاكدا كـي شوايم والغيم كيف حالو
دارو ليام ها نسيم وفـطاح
قلبت عـيني نلقاهم في لبها طوالو
جبال ملولبين لـزرق وارتـاح
داية ولد الرّيم مفصله فصـالو
نعطيكم نعتها اللاشو وطفـاح
خارجة تتعذر من كل شئ أبدالو
من ناس الـجود مارقه من لرباح
وما تبرد محنه لي سنين طالو
مـا تنفع ياغرابي قولة جاح
ما جبرنا طبه مـحال لا دوا لو
وين اللي سقاتني من لرماح
أنا بغيت النّوبه للي متيل حالو
نطلب ربي ها رجـال الصّلاح
اللي قصد واللي فرض يبالو خصالو
الله الله كان راد الفتاح

ويعتبـر الشّـاعر مـن المشـبعين بالـرّوح الوطنيـة المنافحيـن عـن الشّـعب وسـيادته، ففـي قصيـدة لـه فرحـا باسـتقلال الجزائـر وانتصـار الثّـورة التحريريـة، والاشـادة بالمجاهديـن، أنشـدها وهـو علـى فـراش المـوت علـى مسـامع عبـد اللـه بـن أحمـد البلبالـي وبـن موسـى موسـى، يقـول:

صلى الله وسلّم على النّبي محمّد
وصحابو
وازواجو وآله طول في كـل مساء
وصباح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
حرم القرآن يفـوت بالنّصب واجزاؤو
واحزابو
آياتو والسّجدات والهجا واسوار الفتّاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
واهل الدّعاء والاقطاب والاوتاد اللي ليه
اقرابوا
والبدلاء والغوث كامـلة وجميع الصّلاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
بجاه العشرة المجاهدين في ظـل الله
اصحابوا
بشرهم بالجـنات قبل أن تفنى الأرواح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
يـحجبهم ياربي اللي فاجـاو للقلـب
شقابوا
اعضاء خاوة متحدين همو حزب الفلاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
والشّهداء رأس الجهاد هم اللي فتحـو
بابوا
بشرهم ياربي ارواحـهم في الجنة ترتاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
سبع سنوات ونصف في الجبل ما هبطو
ما رابو
غلبوهم باليقين والصّبر وطنوك الكفـاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
ايجوهم بالطّيار والقنابل منهم ما هـابوا
ڤلاوهم بالقرطاس والجعب وكـوابيس
ملاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
عند الثّورة وقت الطّراد فهموا للضرب
حرابو
بالزّحف يجوهم سايرين يقلوهم
بالكفاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
هدا طايح الأخر ينين مخـروب جنابو
دماهم بالجملة تفور تجري منهم البطاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
يوم الحفلة هاد الجيش يطرب ويكـتر
تدرابو
يحجبهم يا ربي في الـمـدارس يقـراو
الألواح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
رشقوا لعلام وشيدوه بالجير هـو وڤبابو
فوق القصبة مرشوڤ في الهوا يترهـوج
فَيْساح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
هو ضنّي مرشوش بالذّهب من حدّو
لـهـدابو
هو ضنّي طبعو حـرير ما هـو كتـان شباح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
الهي والرّسول رسمتك باسم الله حجابو
طبعو نجمة وهلال فيه صافي يضـوي
وضـاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
رئيسنا مشنوع في دزاير مـبروك ركابو
فرحت بيه الصّحرا وشعبها ورڤوڤ
الصّحْصَاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
عاقل سيس مدوب كل واحـد يفهم
خطابو
يعرف حق المسكين والاعمى واللّي
فمّـو طاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
عينك للفلك يدور بالدّقائق والدرج
حسابو
هدا زاهي يحكم بساعتو الأخـر منها
طاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
نصر المولى قريب كل شي ربـي دار
عدادوا
ما يسهى ما ينسى كـريم ربـي هو الفتاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
يفجي عنا هدا الظّلام يسحي ويغيب
ضبابو
تزهي القلوب تعود طـاهرة تصفى من
الوداح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
يهزم جيش الاستعمار بالعالي طفي من
شهـابوا
جيش الاستعمار تغيب جرتوا تسفيها
الارياح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
حشـروهم شور فرنسا وسقطت واهليها
سابوا
داروهم في الطّيار سار البلاد وكامـل
راح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
نزعوهم من الأوطان وادزاير عراو
طـرابو
معطوبة تمرد في تراب مكـسورة من
الجناح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
وين الطّغاة وين قوتو غابت وين ربابـو
عبادين الاوثان في جبابير عليهـم طـاح

صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
ملح القول يجي على الدّزاير واهليها
جابوا
ناس الهمة والجود والقيامة رجال
صحاح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح

هادا محمّد بن بريك ڤايل دا النّشد وجابو
وارد ڤولو يبغي يغنّنو للناس الڤراح
صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
ربي تغفر دنبي ووالديّ واللي ڤـــــرابو
بحرمة الامجد بو فاطمة الطّاهر سيد
الاملاح

صلوا عنو يا غافلين ذكروا بيه المفتاح
انتقل إلى رحمة ربه في فيفري 1963م بعد أن تجاوز السّبعين من العمر، فأحسن الله إليه وتقبله في الصّالحين.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للنشر والتوزيع والترجمة، 2007.

■ محمّد بن الحاج محمّد دادة
(و:1304ه - 1887م/ت: 1372ه - 1953م)

السّيد محمّد بن الحاج محمّد بن أحمد بن محمّد بن دادة محمّد ولد رحمه الله سنة 1887م، بحي الجديد من أولف. وينتسب إلى عائلة مشهورة بالعلم إذ تولى أحد أجداده – محمّد – التدريس بزاوية شيخ الرّكب النّبوي الشّيخ محمّد أبي نعامة، وأمه هي السّيدة ربيعة بنت محمّد بن الطّالب علي بختي. تعلم القرآن عند أبيه وحفظه وهو صغير. وبعد وفاة والده واصل تعليمه على يدي أخويه عبد الجبار والمختار، اللذين ما فتئا أن انتقل الأول منهما إلى مدينة ركّان لتولي الإمامة بمسجد الولي الصّالح عبد الملك الرّكّاني، والثّاني إلى فقارة الزّوى، بضواحي عين صالح، للإمامة والتدريس. فالتحق رحمه الله بمجلس العلامة السّيد أحمد بن مبارك بختي للتعمق في الفقه وعلوم الدّين. وكان من أكثر الملازمين له. ووصلت هذه الصّحبة إلى ثلاثة وأربعين عاما، حيث كان بمثابة كاتبه الخاصّ لاسيما في سنوات مرضه، إذ كان يكتب له القضايا ويدون الأحكام ويرسل الرّسائل ويقرأ عليه ما يرد من استفسارات وفتاوي.

ولقد تلقى عن شيوخ آخرين أجازوه كلهم، يشير إليهم فذكر منهم: العلامة أحمد بن مبارك بختي، محمّد عبد القادر بن الطّالب علي بختي، أخوه عبد الجبار دادة، أخوه المختار دادة، العلامة حمزة بن الحاج أحمد، الفقيه محمّد الحسن بن مالك، العلامة سيد الحاج محمّد بن سيدي جعفر، أخاه سيدي محمّد بن سيدي جعفر المعروف بسيدي الحاج.

كان قليل النّوم مجتهدا في العبادة والإقبال على العلم. وكان إذا اشتكى إليه أحد قلة نومه قال «العمر قصير والنّوم بعده طويل». وإذا سمع بمريض عاده فإذا اشتكى له قلة النّوم، قال له: «اغتنم ذلك بالدّعاء والذكر فإنه فضل من الله ان لا تنام لتنشغل بالطّاعة».

تولى الإمامة والتدريس بمسجد أبيه الحاج محمّد دادة بالمنصور من حي الجديد، وكان صاحب نظر ثاقب وسلوك مستقيم وتقوى ظاهرة وورع. وهذا ما جعل النّاس يختارونه بعد وفاة شيخه سنة 1942م لتولي قضاء الجماعة. فكان يحكم رغم ضغوط المستعمر بما يعتقد أنه صواب ومنسجم مع أحكام الشّريعة، مما جعل بعض الكائدين يكيدون له ويزورون أحكامه؛ الأمر الذي دفع المستعمر إلى سجنه، إلا أنه سرعان ما تبين مكرهم وكيدهم فخرج من السّجن واعتزل القضاء وتفرغ للتدريس والعبادة.

كان ينظر في حجج المتخاصمين ويفتي ويقضي بما تبين له من الحق. وكان على قدم عالية من الجود والكرم فكان النّاس يقصدونه من جميع نواحي أولف فيكرمهم بحسب طاقته.

كان يتورع لدينه ولا يقبل الهدية من الوجهاء خوفا من الإغراء، فلقد قدم له مرة أحد النّاس خروفا وكمية من القمح، وكانت له قضية أمام القضاء لم يكن السّيد محمّد قد نظر فيها بعد؛ فرد عليه هديته. وقال «هذا سحت، غدا قضيته، إن اعطته الشّريعة شيئا أخذه وإلا فلا، أرجعوا له متاعه فإنا لا نأكل رشوة ولا نطعم ضيوفنا حراما».

كما كان رحمه الله بارعا في الخط، حيث نسخ بيده عدة مصاحف وأجزاء والكثير من القصائد وشروح بعض المتون كالموطأ وكتب المواريث، فلقد نسخ في سنة واحدة خمسة عشر مصحفا فضلا عن الأنصاف والأرباع. كما صحح الكثير من المفاهيم الخاطئة الشّائعة في المنطقة كالاعتقاد بضرورة الاسراع بأذان العصر لأن عصر الجمعة على البراق. فكان المؤذن يؤذن بمجرد ختم سورة الكهف، التي كان النّاس في عصره يواظبون على قراءتها مباشرة بعد الانتهاء من صلاة الجمعة، ولم يكن الآذان يراعي دخول الوقت. فكان يقول العصر على الوقت لا على البراق. وكان حريصا على أداء صلاة الجمعة مأموما في مسجد حي زاوية حينون، وفاء منه للمكان الذي كان يؤم فيه شيخه العلامة بختي أحمد بن مبارك بختي.

كان له مجلس للتدريس تخرج منه الكثير من العلماء الذين انتشروا عبر

مختلف مناطق البلاد، ومن بين الذين تتلّمذوا على يده: ابنه محمّد الذي هاجر إلى تونس واستقر بها حتى وافته المنية هناك سنة 1990م، إبنه الطّالب أحمد الذي شغل الإمامة بمسجد المنصور بحي الجديد، ابنته صفية مدرسة القرآن بمتليلي، القايم مولاي عمر بن الشّريف، الطّالب محمّد البوكادي الذي هاجر إلى متليلي للتدريس والافتاء، الطّالب عبد الله البوكادي الذي تولى الإمامة بمسجد حي قصبة ميخاف، الطّالب أحمد بن أخيه محمّد دادة، وزوج إبنته صفية، الطّالب عبد الكريم بن أخيه أحمد دادة وخليفته في الإمامة بمسجد المنصور بعد وفاته، حفصي السّيد إبراهيم بن عيسى، يوسفي أحمد البكري، حفصي عبد الرّحمن بن إبراهيم قبل أن يلتحق بمدرسة مولاي أحمد الطّاهر بسالي، حفصي محمّد بن قدور، الجيلالي بن بوعمامة معراج من فقارة الزّوى، بوكار محمّد بن إبراهيم، وغيرهم.

ترك وراءه العديد من الفتاوي والأحكام، انتقل إلى الرّفيق الأعلى بعد عمر طويل قضاه في التدريس والتوعية، في يوم الثّلاثاء 05 جمادى الأولى 1372هـ الموافق لـ 20 جانفي من سنة 1953م. فتقبله الله في الصّالحين.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- بن نعيمة عبد المجيد (منسق)، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للنشر والتوزيع والترجمة، 2007.

■ محمّد بن الطّيب بودور
(و:1336هـ - 1917م)

ولد محمّد بن الطّيب بودور في عام 1917 بدوار بني مجالد، بلدية بني عزيز دائرة عين الكبيرة بولاية سطيف، من عائلة فقيرة تعيش على فلاحة الأرض وتربية الماشية. درس في سن مبكرة القرآن الكريم بمسقط رأسه على يد عمه سي السّعدي. وما أن اندلعت الحرب العالمية الثّانية حتى نودى لأداء الخدمة الإجبارية في صفوف الجيش الفرنسي. ولم يلبث طويلا، فقد تمكن من الفرار عام 1940 ومكث بالجزائر العاصمة؛ غير أن السّلطات الاستعمارية أجبرته مرة ثانية على الالتحاق بصفوف القوات الفرنسية وأعيد تجنيده من جديد في عام1942 ومكث الى سنة 1945، حيث فر على إثر انتهاء الحرب، من ثكنة البليدة. وعاد الى مسقط رأسه، وهناك صادفته أحداث 8 ماي الرّهيبة، فشارك فيها كبقية أقرانه من الشّباب بكل فعالية وعزم متعرضا للمطاردة والتنكيل.

على إثر أحداث 8 ماي 1945، التحق الشّهيد بالجزائر العاصمة متنكرا، وظل يعمل خفية ويجتمع ببعض السّياسيين من حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية ومن الشّخصيات المقربة إليه المناضل عزوز السّعيد بن البشير. وقد ازدادت اللقاءات بينه وبين جماعة من المناضلين، الأمر الذي جعله يعود مرة ثانية في عام 1953 إلى مدينة بني عزيز بحجة زيارة عائلته وذويه وذلك رفقة المناضل عزوز السّعيد. هذا الأخير أعدمته السّلطات الاستعمارية في شهر مارس 1957، حيث كانوا يجتمعون سريا في جبال والبان وعين السّطاح. ولما اكتشف الاستعمار أمرهم، أسس مركزا تابعا للقوات الفرنسية هناك لمراقبة نواحي جبال والبان وعين السّطاح، وسرج الغول، والحلفاء. ومنذ هذا التاريخ غادر الشّهيد المنطقة، وبقي بعيدا عن أنظار السّلطات الاستعمارية الى خريف عام 1954.

وبما أن الإخوة المناضلين، الذين فجروا هجوم أول نوفمبر 1954 بناحية ميلة، كانت لهم معلومات وافية عن النّضال السّياسي والعسكري، فقد اتصل الشّهيد بالأخوين الرّائدين عز الدّين بن المبارك وابن رجم العربي المدعو الميلي، حيث كلفاه منذ بداية عام 1955 بمهمة التنظيم وجمع الأسلحة والاشتراكات وذلك في منطقة ميلة (الولاية الثّانية فيما بعد). ونظرا للخبرة العسكرية والحنكة السّياسية التي يتحلى بهما، فقد استطاع في وقت وجيز أن يكسب مجموعة من شباب القرية ويضمهم إلى صفوف جيش التحرير الوطني بحيث اصبحت لديه فرقة تتكون من 35 مجاهد، اضطلعت بعدة مهام منها: القيام بتدريبات عسكرية في جبال النّاحية، وتنصيب مسؤولي المداشر وتكوين فرق الحراسة وجمع الاشتراكات والألبسة والسلاح، وتنفيذ الأوامر بكل صرامة، بالإضافة الى التوعية السّياسية بالقضية الوطنية.

وتتلخص العمليات العسكرية التي كان يقودها الشّهيد بانتظام في تحطيم منشآت العدو وتحصيناته، ومن ذلك قطع الطّرق وهدم الجسور وأعمدة الكهرباء والهاتف وحرق مزارع وأملاك المعمرين وبث الرّعب في كيانهم، وقد كانت نقاط تمركز الشّهيد عبارة عن مخابئ مجهزة بكل الوسائل وضروريات الجندي من ألبسة عسكرية واسلحة واغذية وغيرها. من أهم المعارك التي خاضها الشّهيد، نذكر:

- هجوم الاربعاء: 13 مارس1956، شارك فيه الشّهيد الى جانب الرّائد عز الدّين. ولم تسجل أية خسائر في صفوف جيش

التحرير، إلا أنه ألحقت بالعدو خسائر قدرت بـ 35 جندي بين قتيل وجريح.

– كمين عين السّطاح «المركب 15 أبريل 1956»: الذي خلف 7 بين قتيل وجريح من جنود العدو وتدمير شاحتين ج م س، وسيارة جيب.

– هجوم على مركز جنان السّبع مروج بوقارس شهر مای 1956: الذي أدى إلى مقتل 9 من جنود العدو.

– معركة جبل والبان ببنى عزيز (10 أوت 1957):

في نطاق عمليات التمشيط التي يقوم بها العدو بين الحين والآخر، اصطدم بجنود جيش التحرير بمنطقة بئر المالح وجبل سيدي صالح وعين السّطاح وجبل والبان؛ وكانت قوات العدو تقدر بـ 7000 عسكري، بينما شاركت قوات جيش التحرير بكتيبة، وقد كانت هذه المعارك شديدة تدخل العدو بطيرانه واستمرت من السّاعة السّابعة صباحا الى غروب الشّمس. وأسفرت نتائجها عن إصابة 270 جندي بين قتيل وجريح في صفوف العدو، وكانت الخسائر في صفوف جيش التحرير تقدر بـ: 47 شهيدا. وهكذا كانت نقمة العدو شديدة على سكان المنطقة على إثر انتهاء هذه المعركة، فقد دفع الغضب بالاستعمار إلى إبادة السّكان جماعيا، ولم تنج حتى الحيوانات من البطش، وخربت ودمرت عدة قرى منها قرية مسيد –العرائسية ــ اسرنجه–رعايوية أمزيلن.

وفي إطار تسليح الولاية الثّانية، انطلقت كتيبة قوامها 103 جندي بقيادة عمر مخيلف ونائبه محمّد بودور، وجهتها القطر التونسي الشّقيق في مهمة لجلب السّلاح، وقد انطلقت الكتيبة بتاريخ 9 / 11 / 1957 من مركز أولاد مسعودة، وبمجرد وصولها إلى ناحية سوق اهراس، تعرضت للقنابل من طيران العدو. وبعد فترة وجيزة من التريث واصلت مسيرها إلى قرية أم الطّبول التي تسلل عبرها جنود الكتيبة ليلا، واستطاعوا الالتحاق بقيادة جبهة وجيش التحرير الوطني، حيث مكثوا شهرين كاملين في نواحي ساقية سيدي يوسف، شاركوا خلال هذه الفترة في تنفيذ عدة اشتباكات ضد جنود العدو، تحصلت خلالها الكتيبة على شحنة من الأسلحة. وعند العودة كان لزاما على جنود الكتيبة قطع الاسلاك المكهربة والدخول الى قرية كيفان سيدي على ضواحي سوق أهراس، وواصلوا السّير نحو جبل هوارة ثم دهوارة. وفجأة اصطدم جنود الكتيبة بقوات العدو، ودار قتال رهيب بين الطّرفين منذ الخامسة والنصف صباحا، استمر بكل ضراوة مدة (3) أيام بلياليها، وذلك على رقعة مساحتها 40 كيلو متر مربع امتدادا من قرية هليوبوليس بولاية قالمة حاليا الى البسباس (عنابة) بقوات ضخمة قدرت بآلاف العساكر. وتشاء الأقدار أن يسقط محمّد بودور، نائب قائد الكتيبة، شهيدا.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

– ع. بن الطّاهر، مجلّة أول نوفمبر 1954، العدد 64، سنة 1984، ص 34.

■ محمّد بن رحال

(و: 1227ه - 1858 م /ت: 1297ه - 1928م)

محمّد بن حمزة بن بشير بن رحال، سليل أسرة عريقة تتمتع بمكانة علمية وسياسية متميّزة، فقد كان والده (حمزة بن رحال) من أكبر علماء بلاده وهذا ما جعل (الأمير عبد القادر) يعيّنه سنة (1839م) إماما وقاضيا على (ندرومة)، وثبّتته السّلطات الفرنسية في منصبه وعيّن آغا سنة (1858م).

ولد في الثّالث من شوّال 1227هـ / 16 ماي1858م (بندرومة) (تلمسان).

اهتمّ والده بتربيته وتعليمه، فأدخله إلى المدرسة الرّسمية الأولى المزدوجة اللّغة (بندرومة) التي فتحت أبوابها سنة (1865م)، كما كان يتردّد على كتاب حيّه، فحفظ القرآن الكريم، كما تشرّب الثّقافة الصّوفية من محيطه الاجتماعي والزّاوية الدّرقاوية، ثم انتقل إلى مدينة (الجزائر) لمواصلة تعليمه الثّانوي من سنة (1870م) إلى سنة (1874م)، وكان أوّل شاب جزائري تحصّل على شهادة البكالوريا سنة(1874م) وسنّه لم يتجاوز 16 سنة، وقد مكّنه تكوينه الدّراسي من

إتقان اللّغة الفرنسية واستيعاب ثقافتها، ممّا جعله يشارك في المعرض العالمي(بباريس)، حيث كان قامة سامية بثقافة مزدوجة ما جعله يتعرّف على مظاهر الحضارة الغربية، ومخالطّة الأوساط السّياسية والثّقافية، فاغتنم هذه الفرصة للالتحاق بجامعة (السّوربون) ونال شهادة اللّيسانس في الآداب الفرنسية، لكن ذلك لم يجعل ابن رحال ينسلخ من هويّته رغم مواقفه التي دعت إلى التفتح وهذا ما أكّده حين قال:

" بالتأكيد لا يجب أن نتقبّل ما تقدّمه الحضارة الغربية بأعين مغمضة".

واتفقت المصادر والمراجع على إتقانه للفرنسية بشكل راق حتى تفوّق على الفرنسيين في الخطابة، وليس هنا الإشادة باللّغة الفرنسية لغة المستعمر وقتئذ، لكن ابن رحال استخدمها كسلاح في مشواره السّياسي أمام الإدارة الفرنسية.

تقلّد منصب خليفة الآغا سنة(1876م)، وبعدها تولّى وظيفة قائد (ندرومة) إثر استقالة أبيه عنها سنة (1878م)، ولكنّ نفسه ضاقت بهذا المنصب الفارغ من المحتوى فاستقال منه سنة (1884م)، ليتفرّغ للدّفاع عن مصالح الجزائريّين عندما أصبح متحدّثا عنهم وممثّلا لهم أمام لجنة مجلس الشّيوخ لسنة (1891م)، وقد عاش ابن رحال عهد (لويس تيرمان)، ونشأة قانون الأهالي (الاندجينا) البغيض، وتجريد القضاة المسلمين من صلاحياتهم، وتغيير الحالة المدنية، فرفع عقيرته أمام اللّجنة المذكورة، وجرّد قلمه للدّفاع عن حقوق الجزائريّين في التعليم باللّغة العربيّة، وفي التمثيل البرلماني، والمحافظة على تطبيق الشّريعة الإسلامية، ومن أجل ذلك سافر مع زميله الطّبيب (محمّد بن العربي) إلى (فرنسا) سنة (1894م) لتبليغ صوت الجزائريّين إلى السّلطات الفرنسية، فوضع تقريرا في شكل عريضة، وندّد فيه بالاستبداد الممارس على الجزائريّين، وطالب بمجموعة من الإصلاحات التي تمس مجال الضّرائب والقضاء، وطالب بتوسيع وتنظيم التعليم لدى الجزائريّين وضرورة إدخال اللّغة العربيّة في كلّ مراحل التعليم، وتنظيم القروض في مجال الزّراعة، كما طالب في آخر هذا التقرير بحق التمثيل النّيابي للأهالي في البرلمان الفرنسي، ووجّه (محمّد بن رحال) عريضة للوزير(كومبس E.Combes) يطالب فيها بإعادة تنظيم التعليم العربي في (الجزائر) واقترح تأسيس مدرسة عليا في (الجزائر).

في سنة (1897م) شارك في (باريس) في مؤتمر المستشرقين وألقى محاضرة عن الإسلام، أكّد فيها إيمانه في نهضة حتمية للعالم الإسلامي، فقد كان غيورا متقدا متحمسا للإسلام، وكان يرى بأنّ تخلّف الجزائريّين والمسلمين عامّة يعود إلى عدم تمسّكهم بإسلامهم النّقي، وأكّد ذلك حين صرّح «أنّ المسلم الّذي كان على رأس الحضارة وأدخلها إلى أوربا يمكن أن يسترجع مكانته هذه إذا كانت الظّروف مواتية «، ونشر سنة (1901 م) مقالة بالفرنسية بعنوان (مستقبل الإسلام) (L'avenir de l'islam) في مجلة ذائعة اسمها (المسائل الدّبلوماسية والاستعمارية)، ومع مطلع القرن العشرين دخل التمثيل النّيابي للدّفاع عن قضايا الجزائريّين، فشغل من (1903م) إلى (1907م) منصب معاون مسلم في المجلس العام (لوهران)، وحظي بشرف إلقاء خطاب رسمي تضمّن 3 صفحات باللّغة الفرنسية بمناسبة استقبال رئيس الجمهورية الفرنسية (أيميل لوبي) (بتلمسان) في شهر أفريل سنة (1903 م)، وكان فحوى الخطاب يتمحور حول مطلب رئيسي وهو عدم الإدماج والمطالبة بتمثيل سياسي في البرلمان.

وفي سنة (1912م) قاد وفدا من القطاع الوهراني إلى (باريس) للمطالبة بإلغاء مرسوم (ميسيمي Messimy) الخاصّ بتجنيد الجزائريّين، وفي (1920م) انتخب مستشارا عامّا على دائرة (الرّمشي) ونائبا ماليا، ثمّ انتخب سنة (1925م) نائبا لرئيس المجلس العام (لوهران).

كانت له إسهامات فكرية وعلمية محلّية وخارجيّة، من خلال مشاركته في حركة اليقظة الثّقافية التي عرفتها (الجزائر)، حيث كتب في أعمدة الصّحف الجزائرية الفتيّة كجريدة الحق، والإقدام، والتقدم، كما شارك في نشر بعض المقالات في الصّحف الاستعمارية مثل جريدة صدى وهران(l'Echo d'Oran) وصدى الجزائر (l'Echo d'Algér)، وله بعض المذكّرات التي كانت موجهّة للسّلطات الاستعمارية تتناول تنظيم التعليم العالي، وقدّم محاضرات في النّوادي الثّقافية التي تأسّست مطلع القرن العشرين وبخاصة الجمعية الرّشيدية في مدينة (الجزائر)، والنّادي الإسلامي في (تلمسان).

ويرى (عبد القادر جغلول) أنّ ابن رحال يختلف عن الكثير من معاصريه بسبب مطالبه التي تصنّف على أنّها ذات أفق واسع، بينما صنّفت السّلطات الاستعمارية مطالبه بالمتطرّفة، فقد كان موقف السّلطات الفرنسية منها آنذاك سلبيّا لأنّها كانت ترفض أن تحاور النّخب الجزائريّة، والطّرف المحاور الوحيد الّذي تتقبّله هذه السّلطات هو قادة الجزائريّين المتعاونين مع الإدارة الفرنسية.

وحسب تقدير الكثير من المصادر والمراجع التي تكلّمت عن النّخب الجزائريّة مطلع القرن العشرين، فإنّها تصنّف محمّد بن رحال ضمن الكتلة المحافظة التي ضمّت أسماء أخرى مثل (عمر بن قدّور الجزائري) و(عبد الحليم بن سماية)، و(عبد القادر المجاوي) و(عمر راسم)، الّذين طالبوا السّلطات الفرنسية القيام بإصلاحات يستفيد منها الجزائريّون، ويقر (أبو القاسم سعد الله) أنّ أعضاء هذه الكتلة يشتركون في أنّهم كانوا معادين لفكرة التجنّس والخدمة الوطنيّة تحت الرّاية الفرنسية، وكان بن رحال من بين هؤلاء الّذين تصب مطالبهم في هذا المجال.

كما كان ابن رحال عضوا في الجمعية الآسيوية وله العديد من الكتابات التي نشرت في نشرة الجمعية الجغرافية لمدينة (وهران) La societè gèographie Bulletin d'Oran منها بحث حول (السّودان) في القرن السّادس عشر، وهو بحث مترجم استخرجه من كتاب (نزهة الحادي) (للإفراني)، كما كتب محمّد بن رحال قصة (انتقام الشّيخ) ونشرها سنة (1891 م) في المجلّة الجزائريّة والتونسية.

بعض ما قيل فيه:

قال عنه الشّيخ (البشير الإبراهيمي) الّذي شاهده سنة (1921م):»موقفه هالة من الجلال يبدو كأنّه قطعة من الثّلج، وجه جميل ولحية بيضاء وألبسة صوفية بيضاء...وهو ليّن هش يجمع الصّفات التي وردت في المؤمن ما لم يصل الأمر إلى الدّين، فإذا مسّ الدّين استحال ذلك الهدوء إلى غضبة لا يقوم لها شيء.“

وقال عنه (مصالي الحاج) «: كان رئيس عائلة كبيرة ومشهورة في الجزائر والمغرب، كان كبير القامة، طلق المحيّا، له ثقافة عربية وفرنسية واسعة، وقد كانت له أناقة رئيس عربي حقيقي، وكان يُعتقد في كل الأوساط بأنه عالم ووطني كبير».

صنّفه (مالك بن نبي) من أوائل رجال الفكرة الوطنيّة غربي الجزائر.

وقال عنه (أبو القاسم سعد الله):“يعتبر محمّد بن رحال من أبرز عناصر هذا الجيل الّذي أراد الفرنسيّون أن يجعلوا منه وسيطا بينهم وبين الجزائريين، فجمع بين الثّقافتين وبين اللّغتين، وتوظّف عندهم، ولكنّه لم يتخلّ عن أصوله وتراثه الوطني والديني. فرغم الجاه العائلي والمكانة الاجتماعية كان ابن رحال صوت الجزائر العميقة وصوت التاريخ، ولم ينسه الوظيف والاعتبار المعنوي لدى الفرنسيين الدّفاع عن الثّقافة واللّغة العربية والحضارة الإسلامية. ولم يكن في ذلك وحيد زمانه وإنّما كان أكثر معاصريه تعبيرا عمّا يجيش في صدور المواطنين من تطلّعات. كان يمكن أن يذوب في الثّقافة الفرنسية وينبهر بالنّظم والمخترعات الفرنسية، ولكن حصانته العربية الإسلامية وارتباطه بالجذور جعلته يدعو إلى التطور وليس إلى الاندماج ويواجه الفرنسيين في مختلف المناسبات بمطالب هي من صميم الانعتاق للشعب.»

توفّي (بندرومة) يوم06 أكتوبر (1928م) .

نسيمة لوح

المصادر:

- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435 هـ)، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع للنشر والتوزيع- الجزائر، 1981 م.
- الحركة الوطنيّة الجزائرية 1860-1900، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، الجزائر.ج1.
- تاريخ الجزائر الحديث -دراسة سوسيولوجية-، عبد القادر جغلول، ترجمة: فيصل عبّاس، مراجعة: خليل أحمد خليل، دار الحداثة للطّباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ط1981م.

■ محمد بن رقية
(و: 1237ه - 1820م/ت: 1300ه - 1883م)

من أبرز أعلام الطّريقة الشّاذلية في القرن 19م بالجزائر، وهو الشّيخ الموسوم محمد بن رقية ولد بعرش غريب بين بوغار وملیانة بلدية جندل، وسكن قصر البخاري جنوب المدية على مشارف الصّحراء وأسس هناك الزّاوية الشّاذلية، والده الشّيخ محمد ينحدر من الشّيخ سيدي عبد العزيز مؤسس قصر الشّارف في جبال أولاد نايل (الجلفة)، والدته فاطمة الزّهراء بنت العربي أو العريبي المنتمية إلى الولي الصّالح سيدي بوعبدالله دفين وادرهيو (غليزان). نجده في العديد من التعاريف منه « أنه من أولاد عبد العزيز الحاج رئيس الطّريقة الشّاذلية سيدي محمد الموسوم دفين قصر البخاري المتوفي عشية الجمعة الرّابع والعشرون من ربيع الأوّل.» وفي تعريف آخر « هو محمد بن أحمد الموسوم الفقيه المالكي، رحل في طلب العلم ولد ونشأ في قبيلة غريب في ضواحي ملیانة، وقد جاء في كتاب المرآة الجلية على أنّه «هو الشّيخ الموسوم صاحب الزّاوية العامرة بقصر البخاري وقد جمع بين الشّريعة والحقيقة وله باع واسع في علم القوم وفي الفقه والنحو وعلم الكلام والمعاني»

حفظ القرآن الكريم في سن السابعة من عمره، ودرس عند الحاج شفيع بن سي العربي بن سي الطّيب الحذيفي الذي اشتغل بالقضاء في أواخر العهد العثماني بالجزائر، كما درس عن الحاج يعقوب وأخذ عنه المذهب المالكي وعلى يد كذلك الشّيخ البريشي، ثم انتقل إلى معسكر لطلب العلم على يد شيخها أبي راس الناصري المعسكري، كما درس بمدرسة مازونة التي كانت تحت إشراف سيدي أحمد هني. فأصبح بارعا في علوم اللغة والأدب والبلاغة والفقه وعلم الكلام والقرآن، في وقت كان التعليم متدنيا لكن موهبته التي تميزت بقوة الحفظ وتفتح ذهنه جعله من القلائل في ذلك العهد الذين ألموا بالعلوم، أصبح الشّيخ فقيها مالكيا وعالما بالحديث وقد تمكن من حفظ الصّحاح الستة وجلّ المتون.

وكان والده قد أجلسه على الكُرسي كما أمره بإنشاء زاوية للتعليم بمقر قريته فامتثل له، وقد بنى الشّيح الموسوم مدرستين في وادر الشّرفاء في سنة 1855 لمختلف الأعمار تدوم فيها الدراسة لمدة 10 سنوات كاملة وقسمها إلى قسمين:

– القسم الأول: كانت تدرس فيه العلوم الرّوحية ويمثل المدرسة القرآنية

– والقسم الثّاني: يدرس فيه النحو والمنطق والفقه الإسلامي، ويمثل المدرسة العلمية.

عن طريقته يذكر الشّيخ الموسوم في كتابه التحفة المختارة " وذلك أنّي كنت في بداية أمري أطلب رجال الطّريقة ومشايخها تارة ليتعلق قلبي بالعارف بالله سيدي مولاي العربي بن عطية، وتارة بالشيخ سيدي موسى وتارة نريد الذهاب إلى وزّان.» جاء هذا في مرحلة تميزت بتأملاته في الطّرق الصّوفية ذلك أنّ بعض الطّرق الصّوفية لم تنل إعجابه وقد نقل في كتابه مخطوط الدالية قوله:" بعض الطّرق مليئة بتصرفات لا فائدة منها أو محرَّمة والغاية منها جلب الأنظار والشهرة من أجل المنافع الدُنياوية عوض تهذيب النفس من أجل النجاة». وفي عام 1860 سافر الشّيخ الموسوم إلى مقام سيدي عبد الرّحمان الثّعالبي ذكر في كتابه التحفة المختارة « ثم ينفض الله عزيمتي إلى سنة تسعة وستين(هجرية)، زرت سيدي عبد الرّحمان الثّعالبي رضي الله عنه»، ولمّا رجع من زيارته رأى الشّيخ الموسوم رؤيا يشير فيها الشّيخ سيدي عدة برأسه للقدوم وهو متوجه إلى جهته، وبالفعل سافر إليه برفقة سيدي عبد الرّحمان العصنوني، ولمّا وصل إليه فرح بهما فرحا شديدا مخاطبا الشّيخ الموسوم: «وأعلم يا ولدي أنّ الأب هو الذي يفرح بازدياد الابن عنده ويحسن اسمه.» وكان الشّيخ الموسوم قد طلب من الشّيخ التقديم فرد عليه سيدي عدة « يا ولدي المراد أن تكون شيخا ولا نرضى أن تكون مقدما... وظني في الله أنك ولي الله تعالى.» ولقد توفي الشّيخ سيدي عدة في جمادى الثّاني 1283 ه/ 1866م وبعده توفي ابنه سيدي المختار ليصبح الشّيخ الموسوم شيخا للطريقة الشّاذلية.

في عام 1865 أسس الشّيخ محمد الموسوم زاويته في قصر البخاري وهي في الأصل مسجد حيث كانت تابعة لزاوية غريب بواد الشّرفاء، حيث قام ببناء زاويته بين المدينة الأوروبية والقصر القديم، وامتدت سلطته بعد أن أصبح قطبا وشيخ الطّريقة الشّاذلية في التل والقطاع الوهراني ووسط الجزائر، وقد عين الشّيخ الموسوم مقدمين له في أهم المراكز الرّئيسية في القطاع الوهراني واحد في معسكر وهو سيدي محمد بن عبد الله، وآخر في مستغانم وهو سيدي قدور بن سليمان.

جاء الشّيخ الموسوم في النصف الثّاني من القرن 19م في فترة عرفت بالانتفاضات الشّعبية من جهة وغطرسة السلطات الفرنسية فكانت حياة زاويته نموذجا للعمل الصّوفي في إطار الطّريقة الشّاذلية من حيث الاستمرارية في وقت عرف بالاضطراب السياسي والاقتصادي، ما جلب إليه أنظار السلطات الفرنسية فعرضت عليه وظيفة إدارة المدرسة الحكومية الثّعالبية بالعاصمة التي تعمل على تكوين الجزائريين المسلمين في الوظائف الشّرعية، فقدم اعتذاره وعزم على البقاء في خدمة الدين والعلم والوعظ والإرشاد في قصر البخاري، في وقت ذاع فيه صيته بين الناس فكان يبث العلم الممكن في وقت الاحتلال الفرنسي ومبادئ الدين والتصوف، إذ كان يعتقد وفق ما ذكر أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثّقافي أنّ ذلك أبلغ وسيلة في الجهاد ضد العدو، الذي كان يخنق أنفاس أمثاله ممن تسميهم السلطات الفرنسية بالمرابطين المستقلين.

وقد نشطت زاويته بقصر البخاري في وقت تمت محاربة المدارس القرآنية والتعليم الإسلامي واللغة العربية من

طرف السلطة الاستعمارية لمحو الشّخصية الجزائرية الإسلامية، وفي وقت تميز بزيارة الإمبراطور الفرنسي نابليون الثّالث للجزائر وصدور قرار (السيناتيس كونسيلت / Sénatus-Consulte) 22 أفريل 1863 الهادف إلى ضرب القبيلة والطابع الجماعي للملكية وإقرار الملكية الفردية، بما يمكن من انتزاع أراضي الجزائريين من يد مالكيها الفعليين وتمكينها للاستيطان الأوروبي، وصدور قانون الجنسية 14 جويلية 1865 الذي أُعلن فيه أنَّ الجزائريين مجرد رعايا فرنسيين لا حقوق لهم في الحياة السياسية والمدنية ولا جنسية لهم إلاّ إذا تخلوا عن أحوالهم الشّخصية، وفي فترة تميزت بتردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين جراء السياسة الكولونيالية في الجزائر ما عصف بالمجتمع الجزائري جراء الكوارث الإنسانية.

تجنب الشّيخ الموسوم كل الحركات السياسية وقد بعث في هذا الشّأن برسالة إلى تلميذه محمد بن محمد في التركيز على الجانب التربوي والتعليمي وذلك لأجل استمرارية الزّاوية في التعليم في مرحلة تميزت بمحاربة التعليم العربي الإسلامي، وقد رأى الشّيخ أنَّه أبلغ وسيلة للجهاد، وأنَّ مُصادمة الاستعمار بقوى غير متكافئة وعدم إعداد العدة سيجر إلى الهزيمة لا محالة»، ذلك أنّ الانتفاضات التي سبقته لا فائدة منها في إخراج المحتل الفرنسي والمجابهة التي لم تُخلِّف غير مصادرة الأراضي وقتل المريدين ونفي آخرين وحرق زوايا وتدميرها وقطع رؤوس شيوخها وسجن آخرين ونفيهم، فرأى أنَّ السلم أقل ضررا.

ومع ذلك كان الشّيخ الموسوم تحت رقابة السلطات الاستعمارية في برنامجه التعليمي وحتى في أذكاره الصّوفية بعد الفشل في احتوائه، وقد ازدادت الشّكوك حوله في استعداده لتحريك انتفاضة وأنه بزاويته غريب أسلحة فتمت مداهمة الزّاوية من طرف السلطة الاستعمارية أثناء غياب الشّيخ ولم يعثروا على الأسلحة وإنّما وجدوا أوراق الشّيخ فحملتها لأجل معاينتها. ومع سنة 1870 اتهم بمعارضة الحكم المدني فتمت مداهمة الزّاوية وفتشوا أوراقه ووجدوا أن جنيرالا فرنسيا كتب إليه برسالة يطلب منه معارضة تغيير النظام من العسكري إلى المدني، غير أنّ الشّيخ كتب على هامش الرّسالة بالرصاص أنّه لا يتدخل في مثل هاته الشّؤون. كما خشيت منه السلطات الاستعمارية « لما زار سيرقين أو الحمام الساخن بقصر الشّلالة بالخصوص لمَّا تجمع حوله الناس وأقاموا له حفلا كبيرا ومرّ الحفل دون عواقب سياسية» كما ذكر ايفون تيران في كتابه(Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale 1830-1880):" أنّ المكتب العربي لبوغار آنذاك في تقرير صدر له أنّ زاوية الشّيخ الموسوم قد اعتبرها المستعمر مجتمعا سريا هدفه الدائم إشعال نار الفتنة من خلال انقلاب السلطات الفرنسية، والأخطر من ذلك تربية جيل جديد.»

كما كان للشيخ الموسوم دور مهم في التصدي للحملات التبشيرية من ذلك ما قام به تلميذ الشّيخ الموسوم سيدي الحاج بن شرقي بالعطاف في محاربة التنصير حفاظا على الشّخصية الجزائرية الإسلامية التي حاولت فرنسا هدمها. ومن هذا المنطلق كلف الشّيخ الموسوم في عام 1870 زوجته الأولى لالة فاطمة الزّهراء بنت المصطفى بتدريس البنات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين الست والعشر سنوات، فخصص لهن بيتا كبيرا لتدريسهن حفظ القرآن الكريم مع ضمان الغداء للطالبات، وكان هذا نموذجا فريدا من النماذج الأولى للتعليم والمتعلق بتحفيظ البنات القرآن الكريم من قبل زوجته في تلك الحقبة التي تميزت بالظلامية وسياسة التجهيل للمجتمع الجزائر إدراكا منه أنه إذا علمت بنتا فأنَّما علمت أمة كاملة.

كان لزاوية الشّيخ الموسوم تأثيرا كبيرا على المجتمع الجزائري في وقت تميز بمحاولات المسخ والإدماج من طرف السلطة الكولونيالية، إذ نجدها تبث في القضايا الأسرية من خلال إقامة الزّواج ومعالجة مشاكل الطّلاق إضافة إلى معالجة الخصومات بين الأعراش والقبائل في إطار تعاليم الشّريعة الإسلامية، إلى جانب تقديم المعونات والصدقات وإيواء اليتامى والمساكين وعابري السبيل في فترة تميزت أيضا بالكوارث الإنسانية جراء القحط الذي أصاب الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي وسياسته الرّامية إلى إفقار المجتمع، إلى جانب التكوين والتربية والتعليم فكانت زاويته دار فتوى يقدم فيها الرّأي في المسائل العويصة والمطروحة عليها.

إذ عاش الشّيخ الموسوم 63 عاما فترك تأثيرا في معظم المناطق ففي ظرف عشر سنوات انتشرت طريقته في منطقة قصر البخاري والونشريس والشلالة والشلف والأطلس المتيجي والتل الوهراني والوسط الجزائري... فكانت حياته مليئة بالتحفظ فقليلا ما كان يغادر زاويته بقصر البخاري فكان يفضل البقاء وسط تلاميذته وأتباعه لتناول فضائل الرّسول صلى الله عليه وسلم بين الظّهر والعصر وبين المغرب والعشاء، وكان يغادر زاويته إلى بيته ودائما ما يكون برفقة اثنين من تلاميذته. ذكر اسكندر جولي (Alexandre Joly):" أنّ الشّيخ الموسوم اشتهر في المنطقة بالعلم والتقى والزهد والغيرة الدينية، فأثر على الناس وجعلهم يتخلون عن الخرافات والبدع، وقد أعطى هو المثل فكان يرفض المدح، وكذلك العروض (Propositions) التي قدمها له الفرنسيون".

كانت أكثر تأليفه في الصّلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فترك أكثر من 26 كتاب ومنه ديوانه المسمى «الغوثية» وبعض الرّسائل منها: رسائل إلى المريدين، رسائل إلى سيدي محمد بن محمد، رسائل إلى أولاده.

ومن كتبه وهي مؤلفات صغيرة الحجم ومتخصصة في التصوف أغلبها ومنه تأليف في التوحيد رآه الحفناوي وقال عنه:" طالعته فوجدته عجبا عجبا".

ومن تآليفه نذكر: التحفة المختارة في ثواب الزّيارة، تفريج الهموم في الصّلاة على النبي كل يوم لعبيد الله محمد الموسوم، الرّسالة في اسم الجلالة، كشف الغمة عن هذه الأمة، رسالة تحمي السنة وتميت البدعة، الأنوار المضيئة في اتباع خير البرية، الدالية الكبرى على سير المريد،

الداليـة الصّغرى على سـير المريد مع شـيخه، العقد الثّمين في الصّلاة على النبي يوم الاثنين، المكيـال الأوفى في الصّـلاة على المصطفى، حزب الأنوار الجامع لسـائر الأدعية والأذكار، شرح عقيدة السنوسي الصّغرى، النور الوقاد في تعزيـة الأولاد(في خمـس كراريس)، ترجمان الأشـواق في رؤية سـيد الخلق على الإطلاق، عصا موسى في الرّد على من أنكر وأسا، الدرر البوعبدلية فـي الصّلاة على خير البرية، ورحلة ذكر فيها جميع من أخذ عنه...

أما جل المخطوطات موجودة على نسـخة واحـدة وقد تفرقت بين تلامذتـه وأولاده، وقد قام سـي أحمد بن يعقوب بطبع بعض رسـائله وكتبـه، حيث ضمت مكتبة الشّـيخ الموسـوم حوالـي 1.000 مجلد تفرقت بعد وفاته ولم يتم استرجاعها.

توفي الشّـيخ الموسـوم في 24 ربيع الأول 1300 الموافـق ل 03 فيفري 1883 وخلفه على رأس الزّاويـة ابنـه أحمـد بوصيـة منـه، تاركا مجموعـة مـن المؤلفـات، يقول أبو القاسـم سـعد الله وقد أترث وفاته فـي الجميع وقيل أن مشـروعه الذي قد شيده قد انحط من بعده بعدما تقاسـم أبنـاؤه التركـة الرّوحيـة وزاوية بوغار(البخاري) فانخفـض الحماس الديني عنـد الأتبـاع وذهبت هيبـة الزّاويـة وتبعثرت الجهود التي كان الشّيخ الموسوم قد بذلها.

ليلى بلقاسم

المصادر:

- بن بكار بلهاشمي ، مجموع الحسب و النسب و الفضائل و التاريخ و الأدب في أرعة كتب، مطعة إبن خلدون، تلمسان، 1961م
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار البصائر، طبعة 5، الجزائر 2007.
- ابن الحكم اليحياوي العاطفي، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولد سيدي يحي بن صفية و في التعريف بمشاهير علماء الصوفية، ط 1، تلمسان، الجزائر 1974م .

■ محمّد بن ساعي (حمودة)
(و: 1302ه - 1902م/ت: 1419ه - 1998م)

مفكـر جزائـري مـن مواليد مدينـة باتنة في شـرق البـلاد سـنة 1902. توجّـه لتعلـم القرآن في الكتاتيـب، وبالموازاة مـع ذلك تعلم اللغة الفرنسـية وأتقنهـا، لينتقـل بعدهـا إلـى مدينة قسـنطينة للالتحـاق بـدروس العلامـة «عبد الحميد بن باديـس» (1889–1940)، أين بدأت تظهر اهتماماته الإصلاحية. وهناك، كانت أولى محاولاته للكتابة، انتصـارا لتوجهه المناهض لسياسـة الإدماج، وقد أبدى ابن باديس إعجابه بقلم حمودة بن سـاعي، وقد كان انضمامه إلى أسرة جريدة «النجاح» محررا ومترجما إضافة نوعية لمسيرته الفكرية، حيث فتحت له المجال لنشر بعض إسهاماته.

أسـهمت الفتـرة التـي قضاهـا بقسـنطينة في بدايـة بلورة شـخصيته الفكرية، وإن كان تواجده بهذه المدينة يشكل بالنسبة له فسحة معرفية، إلا أن نشاطه بها جعله تحت المجهر الاسـتعماري. وبالموازاة مع تقربه من التيار الاصلاحـي كان بن سـاعي على اطلاع على متـون الفلسـفة الغربيـة، مـا جعلـه يفكر في الانتقال إلى منبع هذا الفكر «أوروبا" متخذا مـن فرنسـا طريقـا لذلك، فسـجّل في قسـم الفلسفة بجامعة السّوربون، واستطاع الجمع

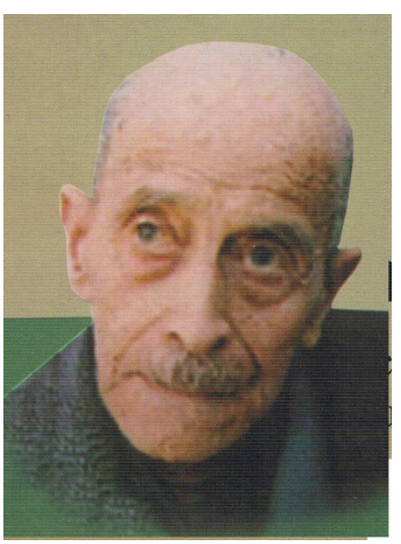

بين الثّقافة العربية الإسلامية والفكر الغربي. لقـد عُـدّ حمـودة بـن سـاعي أول جزائـري يحضّـر لأطروحة دكتـوراه في الفلسـفة عن «أبي حامد الغزالي». غير أن رغبته في اتمام دراسـته اصطدمت بضغوط رهيبة مورسـت عليه نتيجة نشـاطه في فرنسـا وهو المعروف بتوجهاتـه الوطنيـة، فلـم يتمكـن مـن إتمام دراسـاته العليا. (بدران مسـعود: حمودة بن ساعي أو النّخبة المهدورة)

تواجده بفرنسـا وعلاقته مالـك بن نبي كان اختيار بن ساعي لفرنسـا وجهة معرفية، إدراكا منه بـأن الجو الثّقافي هناك سـيفتح له المجال لامتـلاك أدوات الفلسـفة والولـوج إلـى عالم التأسـيس لفكـر نهضـوي نابـع مـن خلفيات المجتمـع الجزائري، مـع التفتح علـى الثّقافة الغربية. وقد اختار الاستقرار في الحي اللاتيني "Quartier latin" الذي كان يعج بالنخبة المثقفة والشـخصيات الفكريـة العربيـة والأوروبيـة. واضطـر للعمـل بإحـدى المصانـع لتأميـن مصاريفـه اليوميـة وتغطيـة متطلبات دراسـته. (Mohamed Hamouda ben saï p22)، وقـد كان تواجده بفرنسا فرصة لربط علاقات بكبار المفكريـن والكُتّاب، كـ «جون بول سـارتر» "1905) "Jean–Paul Sartre–1980) و"أندري جيد" «1869)«André Gid–1951).

في فرنسـا كان حمودة بن سـاعي قريبا من «مالـك بن نبي»، حيث يلتقيان لتبادل الأفكار ومناقشة القضايا التي تدخل ضمن اهتماماتهما. ونظرا للتأثير الكبير الذي أحدثه بن سـاعي في شـخصية «مالك بن نبـي»، فإن كتابـات هذا الأخيـر هي التـي أرخـت للمرحلة الباريسـية مـن حياة بن سـاعي، خاصـة وأنـه كانت لهما

تجربة مهمة في «جمعية طلبة إفريقيا الشّمالية المسلمين". لقد أصبح حمودة بن ساعي مُحَاضِرا مميزا. ومن المحاضرات التي تركت صدى لدى المستمعين وأبانت على قدراته العلمية، محاضرة ألقاها بجمعية «الطلبة الوحدويين»، عنوانها: «القرآن والسياسة»، وذلك خلال صائفة 1932. (مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، ص254).

يبدو أن المرحلة الأولى من تواجده بفرنسا كانت مثمرة جدا بالنسبة لبن ساعي، فلم يمض وقت طويل حتى أثبت اندماجه في المنظومة الثّقافية الفرنسية خاصة بين الطّلبة المهاجرين، فقد أصبح أحد الوجوه الثّقافية المعروفة في الأوساط الطّلابية والثقافية. غير أن هذه الدّينامكية لم تستمر بنفس الوتيرة، حيث تعرض للتضييق مما جعله يضطر للتخلي عن دراسته والعودة إلى أرض الوطن، لكننا حقيقة لا نعرف نوع ومدى هذا التضييق، فالغريب في الأمر أن بن ساعي كان يدرك تماما أن الظّروف في الجزائر المُستعمَرة أصعب بكثير مما هو عليه الحال في فرنسا، فهل العودة إلى الجزائر كانت إعلانا مسبقا بتخليه عن مشروعه الفكري والإصلاحي الذي كان قد بدأ التأسيس له؟.

كان هناك تقارب فكري بين كل من بن ساعي وبن نبي في نظرتهما لواقع العالم الإسلامي، وقد قام حمودة بن ساعي بإقناع صديقه "مالك بن نبي" بضرورة التوجه نحو الدّراسات الاسلامية. حيث يعترف بذلك في قوله: "أُدين لحمودة بن ساعي باتجاهي ككاتب متخصص في شؤون العالم الإسلامي». يؤكد مالك بن نبي في إحدى معارض الاعتراف، تأثره ببن ساعي في دراسة التاريخ الإسلامي، فتقسيم المراحل التاريخية الإسلامية بالاعتماد على موقعة صفّين استمدها من فكرة حمودة بن ساعي. كما أنه أثنى على شراكته الفكرية، حيث يقول: "كان الوحيد من جيلي الجزائري، الذي أستطيع العمل الفكري معه لأن شيطان المعرفة قد استولى عليه منذ صباه".

رغم أن الفارق العمري بينهما لا يتجاوز ثلاث (03) سنوات، إلا أن الآفاق المعرفية التي فتحتها اللقاءات التي جمعت الرّجلين، جعلت «مالك بن نبي» يصف بن ساعي بـ «معلمي»، خاصة وأنه دفعه لكتابة أول مقالة له بعنوان: «خطاب مفتوح للضمير العالمي»، كما شجّعه على إلقاء محاضرة في إحدى اللقاءات العلمية بباريس. (نور الدّين مسعودان: مالك بن نبي حياة وآثار شهادات ومواقف، ص14).

كان بن ساعي في بداية مشواره الدّراسي بفرنسا على علاقة جيدة بأستاذه «ماسينيون"، الذي كان معجبا بطالبه. وهو ما جعله يهتم لأمره، لكن هذه العلاقة بدأت تتغير، لكن «صادق سلام» يرى أن حمودة بن ساعي تمكن من التأثير لاحقا على توجه المستشرق الفرنسي «ماسينيون"، الذي بدأت أفكاره تتغير بعد مجازر 08 ماي 1945 بالجزائر، حيث كان لرسالة بن ساعي وقع خاص على نفسية "ماسينيون" الذي اعترف بذلك خلال إحدى محاضراته، والظاهر أن أحداث الثّامن ماي ورسالة حمودة بن ساعي كان لهما الأثر البالغ في تغيير "ماسينيون" للهجته تجاه السّياسة الاستعمارية، حيث تنبأ بعد هذه الأحداث بمصير سيء للاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وتنبغي الإشارة إلى أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حاولت استمالة حمودة بن ساعي واستقطابه، فقد تلقى رسالة من «ابن باديس" يدعوه إلى الانخراط في جمعية العلماء، ويأتي إصرار «ابن باديس» عليه لأنه كان يعتبره من خيرة الشّباب الذين درسوا بفرنسا. لكن بن ساعي لم يكن متحمسا لفكرة الانخراط في هذه الجمعية، مؤكدا في المقابل أنه سيبقى وفيا للغاية التي أُسِّسَتْ من أجلها.

موقف حمودة بن ساعي لم يمنعه من خدمة المشروع الإصلاحي الذي تبنته الجمعية، فقد كان يقوم رفقة «مالك بن نبي» وبعض الطّلبة في باريس بتوزيع مناشير جمعية العلماء التي تتضمن احتجاجا على التضييق الاستعماري على أنشطتها، فيوصلونها إلى صناديق البريد الخاصة بالصحافيين والنواب وأعضاء مجلس الشّيوخ والشخصيات الفاعلة. (مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، ص243).

رغم مواقفه المختلفة من الجمعية، إلا أن بن ساعي يبدو من خلال كتاباته متعاطفا مع رئيسها «عبد الحميد بن باديس»، الذي يكن له احتراما كبيرا، حيث يعود في كتابه «Au service de ma foi»للذكريات التي جمعتهما، فيذكر كيف أصبح يتغيب عن دروس الشّيخ «ابن العابد» بالزاوية السّنوسية من أجل حضور درس «عبد الحميد بن باديس»، كما كان يواظب على مطالعة جرائده كـ «المنتقد» و»الشهاب».

بعد استقلال الجزائر سنة 1962 لم يستعد بن ساعي نشاطه الفكري، حيث اكتفى بالعمل ككاتب عمومي، وعاش أيامه الأخير ملتزما بيته، إلى أن توفي في ربيع 1998. لقد توفي في صمت رهيب، وترك عدّة مؤلفات، منها:

- «في خدمة الجزائر»
- «كتابات حول ذكريات الشّباب»
- «مذكرات رجل عانى الكثير»
- «Au service de ma foi» (في سبيل عقيدتي).

ناهيك عن بعض المقالات التي نشرها في مناسبات مختلفة، تتناول مواضيع تدخل ضمن اهتماماته المعرفية. وبالعودة إلى مواضيع كتاباته المنشورة والمخطوطة يتبين أن صاحب القلم المزدوج (عربي/ فرنسي) مثقف صاحب قضية، حيث كتب عن الجزائر، الاستعمار، السّياسة...

محمّد بن ساعو

■ محمّد بن سحنون الكومي (النّدروميّ) (580ه - 1184م /ت: بعد 634ه - بعد 1237م)

اسمه الكامل أبوعبد الله محمد بن سحنون ويعرف بالكوميّ النّدروميّ، نسبة لمدينة ندرومة الّتي أخذت اسم قبيلة ندرومة، والّتي هي بطن من كومية الّتي عمّرت منطقة (فلاّوسن) خلال القرن (3ه/ 9م).

والكومي نسبة إلى قبيلة كومية وهي قبيلة بربريّة من فرع بطون بني فاتن بن نمصيت بن ضريس) كما -ذكر ابن خلدون-، وقد عمّرت شمال منطقة تلمسان وانتقلت من هنين إلى ندرومة. ومدينة ندرومة تبعد عن تلمسان بحوالي (60) كيلومترا.

ولد سنة(580ه/ 1184م) بقرطبة بعدما هاجر والده من ندرومة إلى (الأندلس ونشأ بها، ولعلّ هجرته تكون بعد دخول الموحّدين إلى الأندلس مع منتصف القرن(6ه / 12م)، وقد عاش في العهد الأخير للدّولة الموحّديّة.

انتقل محمّد بن سحنون إلى إشبيليا- سفيليا -حاضرة الموحّدين، الّتي اشتهرت بعلمها وآدابها ومنها صناعة الطّب، الّتي اشتهر بها بنو زهر الّذين توارثوها عن جدّهم عبد الجبّار بن أبي سلمة القرشي الزّهري، الّذي دخل الأندلس مع موسى بن نصير.

وسمح له تواجده بالأندلس منارة العلم والعلماء، أن يتتلمذ على يد أهمّ علمائها، قاضي جماعة قرطبة وفقيهها وفيلسوفها وطبيبها الأديب اللّغوي والنّحوي أبو الوليد ابن رشد (1126م/ 1198 م)، الّذي أدركه في آخر حياته وهو مع منتصف العقد الثّاني من عمره، واشتغل عليه بصناعة الطّب، وكان ابن رشد بين قرطبة وإشبيليا وجيها لدولة الموحّدين على عهد المنصور، وأبيه النّاصر وله عدّة مؤلّفات في الطّب أهمّها الكليات وشرح الأرجوزة في الطّب لابن سينا والأدوية المفردة وحلية البرء وغيرها، وكان ابن رشد فضلا عن ممارسته الطّب والتّأليف لا ينقطع عن التّدريس في قرطبة وإشبيليا، فكانت فرصة ابن سحنون في مجالسته والاغتراف من منهل علمه في الطّب.

ومن أساتذته كذلك أبي الحجّاج يوسف بن موراطير العالم الطّبيب والأديب الشّاعر الّذي برع في الطّب وأصبح خبيرا بصناعته، خدم الخليفة المنصور وابنه النّاصر ثمّ يوسف بن الناصر، وقد ذكر عنه صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء أنّه عمّر طويلا ومات بالنّقرس في مرّاكش في دولة المستنصر، وتذكر أغلب المصادر أنّ تلامذته أخذوا عنه الطّب في مرّاكش، ولا نستبعد إذن أن يكون أبو عبد الله قد ارتحل إلى مرّاكش للأخذ عن ابن موراطير، وقد كان نصيب ابن سحنون منه في مجالسته والانتفاع به، فثبت ما أخذ عن ابن رشد وزاد في توسيع معارفه وتعميق مفاهيمه الطّبيّة، فضلا عن أدبه وشعره.

بعد تحصيله وتكوينه أصبح من أطبّاء الأندلس علما ومزاولة له، حتّى أصبح من الأطبّاء الخاصّين بخلفاء الموحّدين، فكان من أطبّاء النّاصر المؤمني أبو عبد الله محمد بن يعقوب (ت610ه/ 1213م) في آخر دولته، ثمّ من أطبّاء المستنصر المؤمني يوسف بن محمد (ت620ه/ 1223م)، ثمّ خدم بعد انتقاله إلى إشبيلية، النّجاء سالم بن هود ولأخيه المتوكّل على الله محمد بن يوسف بن هود (634ه)، قال أحمد بن أبي أصيبعه: « وخدم النّاصر في آخر دولته بصناعة الطّب وخدم بعده ولده المستنصر»، وكان أبو عبد الله محمد بن سحنون النّدرومي فضلا عن نبوغه في صناعة الطّب من جملة المتميّزين في علم الأدب والعربيّة.

إنّ المصادر الّتي ترجمت لابن سحنون جاءت مادّتها شحيحة، وأشارت إلى كتبه ممّا يدلّ على مساهمته وآثاره المخطوطة في المجال العلمي، ومنها ما ذكره ابن أبي أصيبعه:"ولأبي عبد الله النّدرومي من الكتب اختصار كتاب المستصفى للإمام الغزالي»، وكتاب المستصفى لأبي حامد الغزالي (505ه/ 1111م) يتناول أركان علم أصول الفقه وهو في أربعة أجزاء، ويعدّ من الكتب القيّمة الّتي أدرك ابن سحنون أهمّيتها فقام بتلخيصه ليكون في متناول طلبة علم أصول الفقه.

وتوحي عبارة من الكتب الّتي ذكرها ابن أبي أصيبعه، أنّ لابن سحنون كتبا أخرى لكنّها مفقودة لم تصل إلينا، ولا نستبعد أن تكون بعضها في الطّب الّذي نبغ فيه.

لقد كان محمّد بن سحنون جليل القدر، فاضل النّفس، متخلّقا بالخصال الحميدة، متواضعا، وكان حادّ الذّكاء، سريع البديهة، عميق الرّؤية، وقد مكّنته هذه الخصال من التّعمّق في المسائل العلميّة والنبوغ فيها.

قال في وصف أخلاقه أحمد بن أبي أصيبعه:«جليل القدر، فاضل النّفس محب للفضائل حادّ الذّهن، مفرط الذّكاء»، فهذه شهادة من طبيب ومؤرّخ عاصره وترجم له في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء من زمن اليونان والرومان إلى عهد الدّولة الأيّوبية والدّولة الموحّديّة الّذي يعدّ من أشهر الكتب في تاريخ الطّب وأعلامه.

توفي (بعد 634ه/ 1237م)، إذ لم تحدد كتب التراجم تاريخا محدّدا لوفاته.

نسيمة لوح

المصادر:

- عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء لأحمد بن قاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدّين أبو العباس ابن أبي أصيبعة(ت668ه)، تح:د.نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لسعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت: 475ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1/ 1411ه1990-م.

■ محمّد بن سليمان التلمساني (ابن الصّائم)
(و: 1014ه - 1605م/ت: 1066ه - 1656م)

محمّد بن سليمان الصّائم التلمساني، وعرف بالجزولي تيمّنا وتبرّكا بالشّيخ الصّوفي المعروف (أبو عبد الله محمّد بن سليمان الجزولي) صاحب كتاب (دلائل الخيرات)، وذكر محمّد بن سليمان أنّ نسبه عربيّ حجازيّ أنصاري ويثبت نسبه كالآتي: «فكاتب هذا اسمه محمّد بن سليمان بن عبد الرّحمان بن مؤمن بن سعيد بن عثمان بن سلطان...الأنصاري».

لم تشر كتب التراجم إلى هذا العلم، وقد توصّل بعض الباحثين إلى أنّ اسمه ورد مقرونا بكتاب (كعبة الطّائفين) دون ترجمة في كتاب (إيضاح المكنون)، وبالتالي فإنّ الباحثين الّذين حاولوا الترجمة له أمثالا قد عادوا إلى كتابه (كعبة الطّائفين) وحاولوا جمع المعلومات التي جاءت مبثوثة فيه حول حياته، وقد ورد تاريخ ميلاد هذا العلم في كتابه (كعبة الطّائفين بأجزائه الثّلاثة) وذكر أنّه من مواليد سنة (1014ه-1605م).

نشأ محمّد بن سليمان بتلمسان وكان والده ميسورا، فكان من الأغنياء الّذين يتخذون لهم الخدم والحشم، وكان ممن ينتسبون لأهل العلم والتصوّف، وقد لقّب بالصّائم بعد أن زهد في ثروته وجاهه وخالط أهل العلم والتصوّف وكرّس حياته للقرآن والعلوم الدّينية، وكان منتسبا إلى الطّريقة الشّاذليّة وقد انتسب إليها ابنه محمّد بن سليمان أيضا، ويذكر أنّه نقل عنه كثيرا من الفوائد والحكم، والأذكار والتوجيهات، وله قصائد شعبية ذكر بعضها في كتابه (كعبة الطّائفين).

لقد ذكر محمّد بن سليمان العديد من أسماء الشّيوخ والعلماء والصّلحاء، الّذين أخذ عنهم أو لازمهم زمنا أو التقى بهم عرضا أو أخذ عنهم بواسطة، ومن بينهم: الشّيخ (موسى بن علي اللالتي): وهو صاحب قصيدة (حزب العارفين) موضوع كتاب (كعبة الطّائفين)، وممّا قال فيه تلميذه محمّد بن سليمان واصفا إيّاه:

ثنيت إلى ثان الشّيوخ شريفهم
سمّي الكليم بالمدائح مولع

وهذا البيت مأخوذ من قصيدة له في مدح مناقب شيوخه، وقد أسبل محمّد بن سليمان على شيخه كثيرا من عبارات التبجيل التي توحي بسموّ منزلته وعلوّ كعبه في التصوّف.

الشّيخ (سيدي العبدلّي): وهو (سيدي محمّد بن علي بن عبد الرّحمان البوحيدي) المدعو (العبدلّي الوطّاسي)، دفين البلديّة التي تحمل اسمه الآن (بلديّة سيدي العبدلّي بتلمسان)، ويخبر محمّد بن سليمان أنّ الشّيخ (العبدلّي) كان صهرا له متزوّجا من أخته، وكان يجمع بين العلم والتصوّف، وأنّه أيضا بلغ القطبانية في التصوّف، وكان يتصدّر الإمامة (بجامع الوزّان) الواقع (بباب الجياد) حاليا، وممّا يذكره عنه أنّه اضطلع بأدوار إصلاحية واجتماعية وجهادية في) تلمسان)، وكان يسعى دائما لجمع النّاس على كلمة سواء.

الشّيخ (بلقاسم بن موسى بن صابر): وصفه محمّد بن سليمان بـ (عروس الصّالحين)، وقال عنه إنّه كان ملتزما بالكتاب والسّنّة في جميع حركاته وسكناته، مولعا بمطالعة كتب التصوّف والحديث وعلوم القرآن متصدّرا لتدريس علم التوحيد، وقد سخّر ماله للعلماء والمريدين والفقراء.

ثقافته وتكوينه العلمي:

ذكر محمّد بن سليمان في كتابه (كعبة الطّائفين) معلومات مفصّلة عن تكوينه العلمي والثّقافي، لخّصها (د.محمّد قيداري) فيما يلي:

حفظ القرآن الكريم وهو في سن الثّامنة (8) في روايتي ورش وقالون رسما ورواية، وختمه ثمان(8) مرّات رسما وأداء.

انتقل بعد ذلك لدار العلم والتقوى (بقرية مجّاجة)، فزاد هناك ختمة أخرى للقرآن الكريم، وقرأ عقائد السّنوسي الثّلاث، والآجرومية والقرطبيّة على الشّيخ (سيدي عمر أترار) وسنّه يومئذ أحد عشر(11) سنة.

رجع إلى (تلمسان) وسار يقرأ القرآن بروايتي ورش وقالون على الأستاذ (سيدي عمر بن يوسف) وعلى شيخه (سيدي الحسن الضّراوي المغربي)، وحفظ الرّبع الأوّل من رسالة (ابن أبي زيد) بشرح (الفاكهاني) على الشّيخ (سيدي الحاج محمّد بن قاسم الموبل)، كما كان يحضر في مجلس إقراء (سيدي محمّد الغشوي) على الرّسالة وصحيح البخاري وتفسير القرآن للثّعالبي والسّيوطي، وحكم ابن عطاء بشرح ابن عبّاد النّفزي.

لقّبه الشّيخ (بلقاسم الدّرّاجي) في (تلمسان) (بمالك الصّغير) لشدّة نبوغه في الفقه المالكي.

قرأ مختصر ابن الحاجب على شيخه (سيدي محمّد بن رحمة)، وقرأ القرآن في الجامع العتيق (بأغادير)، ومختصر خليل والألفية والتلمسانية والرّسالة والسّلم في المنطق والسّراج للشّيخ (سيدي عبد الرّحمان الأخضري).

وقرأ صحيح البخاري على الشّيخ (أبي عبد الله سيدي محمّد بن علي أنكروف)، وحضر عنده في اللاّمية والزّرجيّة، وكان ملازما لمجلس إقراء شيخه (العبدلّي) في الحديث والتفسير والحكم العطائية ومختصر خليل.

سافر إلى (مستغانم) واحتكّ بطلبة العلم فيها وقرأ هنالك على يدّ خيرة علمائها، منهم الشّيخ (بلقاسم بن عثمان الولاّجي)، والشّيخ (محمّد الزّهري).

زار (المغرب الأقصى) حيث دخل (وجدة) وصاحب بعض مشايخها وصلحائها، كما دخل (فيجيج) ونزل بزاوية العبيد، وحضر مجلس إقراء الشّيخ (حدّوش بن موسى البرّيشي)، و(سيدي محمّد الحاج السّلاوي)، و(سيدي محمّد الشّموري)، وغيرهم.

مواقفه من قضايا عصره:

في كتاب (كعبة الطّائفين) عدّة مواقف لمحمّد بن سليمان في قضايا كانت سائدة في مجتمعه، سواء من النّاحية الدّينية أم الثّقافية أم الاجتماعية:

ففي المجال الدّيني قد نأى بنفسه عن التصوّف البدعي المبني على الدّجل والخرافات، ودعا إلى التصوّف الحقيقي القائم على العلم والعمل والوعي الاجتماعي، وكان محتكًا بأطياف مجتمعه علماء وصلحاء ومع عامّة النّاس، يسعى مع شيوخه إلى رفع الغبن عن النّاس، وتحسّس شواغلهم وهمومهم.

أمّا في الجانب السّياسي فتتجلّى مواقفه في الفتنتين (أو الثّورتين) اللّتين وقعتا بين أهالي (تلمسان) والحكّام (الأتراك)، حيث أسهم رفقة شيخه العبدلّي في تهدئة الأوضاع العامّة وطمأنة النّفوس المروّعة من جهة وزجر القائد التركي (محمّد بن سوري) في مقرّه بالمشور من جهة أخرى، ودخوله مع شيخه على القائد التركي فيه دلالة على أنّه كان يتمتع بسلطة روحيّة وعلميّة واجتماعيّة في المجتمع التلمساني.

ومن أدواره ذات الطّابع الاجتماعي السّياسي إسهامه مع شيخه العبدلّي الّذي جعل سكناه بباب الجياد بمثابة زاوية يلجأ إليها المضطهدون، مسلمون وذمّيّون، خاصّة من جور الحكّام الأتراك وظلمهم.

كما شارك الشّيخ محمّد بن سليمان شيخه العبدلّي رفقة والده الغزو مرارا لدحر (الإسپان) المحتلّين عن (وهران) والسّواحل الجزائريّة.

آثاره ومؤلّفاته:

له كتاب (كعبة الطّائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين)، وهو عبارة عن شرح لقصيدة (حزب العارفين) وهي قصيدة شعبيّة لشيخه (موسى بن علي اللالتي)، وضمّن كتابه هذا عدّة علوم ومعارف، ففيه الأخبار والأنساب والتراجم والمناقب، والتفسير والفقه والحديث، والأمثال والحكم، والشّعر الفصيح والشّعبي، والحكايات والنّوادر والطّرائف، والكرامات والرّؤى والاستطرادات المتنوّعة، لذلك جاء الكتاب في ثلاثة أجزاء.

وله شعر فصيح (في أركان بيت الولاية)، وتعرّض في الأبيات الأولى منها إلى الحاكم التركي (محمّد بن سوري) الّذي أرهق ساكنة (تلمسان) بالظّلم والجور، يقول فيها:

ترقّب يوم موتك يا فلان
وراهقك الرّحيل عن الدّيار
ولم يعطاك ما جمعت فيها
فلا تنسى النّصيب مع الإيثار
ألم تسمع لقوله كلّ نفس
بكأس الموت ذائقة المرار
ولا تستبعدنّ له هجوما
عن بغتة حذار يا حذار
فلا تستأنس بما تراه
يفارقك الجليس مع المزوار
ولا يغني منك شيئا
من الإله ذي البطش القهّار

وله أيضا قصيدة قالها ساخطا على القبائل المتعاونة مع الغزاة (الإسپان) لمدينة (وهران)، منها هذه الأبيات:

فكيف يا قبائل العربان
عافاكم الله من الشّيطان
أتخدموا هارون في وهران
يهوديّا ملعونا في القرآن
مع دكيك كافر نصراني
يعبد يا ويلاه عود فان
تبايعونهم على الإثمان
نسيتم الله لدى الإحسان

وله كتاب آخر في التصوّف سمّاه (حياة القلوب) وهو في الأوراد، ألّفه سنة ألف وستة وستين(1066هـ).

وفاته:

لا يعرف تاريخ وفاته بالتحديد، لكن رجّح بعض الباحثين تاريخ وفاته إلى سنة (1066ه1656-م).

نسيمة لوح

المصادر:

- مجلّة الفضاء المغاربي، الشّيخ محمّد بن سليمان الصّائم التلمساني (ق:11ه/ 17م)، تصوّفه ومواقفه من قضايا عصره، قراءة في مخطوطة كعبة الطّائفين، د.قويدر قيداري، المجلّد3، العدد3.
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435 هـ)، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع للنشر والتوزيع- الجزائر، 1981 م.

■ محمّد بن سليمان القايم
(و: 1370ه - 1951م/ت: 1441ه - 2020م)

السّيد محمّد بن سليمان القايم من مواليد سنة 1951م بأولف. أبوه سليمان بن القائم بن أحمد بن القائم الكبير أحد أفخاذ آل عبد الله بن هبة الله، وأمه السّيدة نفيسة بنت السّيد محمّد بن السّيد عمر بن السّيد علي الكنتية الفهرية. تعلم القرآن الكريم على ثلاثة من الشّيوخ الشّناقطة: سيدي محمّد الأغلالي، أحمد خول الجكني ومحمّد محمود البوساتي. انتقل إلى منطقة الحلة بالصّحراء المالية للتعلم على يدّ أبناء الشّيخ المختار الكبير الكنتي. وكان شيخه في علوم الدّين واللغة السّيد محمّد الأمين بن الشّيخ باي. درس عليه مختصر خليل، تحفة الحكام لإبن عاصم، رسالة بن أبي زيد القيرواني، الألفية ولامية الأفعال لابن مالك، الورقات لإمام الحرمين في أصول الفقه، وكتب أخرى مع بعض النّوازل.

ولما اطمأن الشّيخ إلى علمه وتحصيله أجازه وأسند إليه وظيفة الفصل بين المتخاصمين، فكان يحكم بين يديه بين الخصوم مستشهدا بالنّصوص الشّرعية المعتمدة فيقبل ذلك. وبعد ذلك انتقل إلى مدينة تمنراست فأقام مدرسة شرعية لتحفيظ القرآن وتعليم علوم الدّين واللغة، يقصدها النّاس من مختلف البقاع قصد الإفادة منه، أو طلبا للصلح في المنازعات. ولقد تخرج منها عدد من الفقهاء، من بينهم: إبراهيم بن حمدن الزّرهوني، أحمد بن البكاي الوافي الكنتي، محمّد بن الشّريف بن عبد الله ومحمّد المامي الأحبوسي.

يعتبر الشّيخ من العارفين بالأنساب، إذ يتم الرّجوع إليه في تحقيق الأنساب ومعرفة الأصول وفروع القبائل. وللشيخ محمّد بن سليمان القائم علاقات واسعة مع علماء المنطقة يسألهم ويسألونه ويتبادل معهم الرّأي بخصوص القضايا والنّوازل ويمحص معهم المسائل.

للشيخ العديد من المؤلفات أبرزها:

– كتاب الدّعاء وفوائده، وهو شرح للدعاء المروي عن الشّيخ المختار الكبير؛

– كتاب في الرّد على المنكرين لمدح الرّسول في المولد النّبوي الشّريف.

كما للشيخ العديد من الأشعار والقصائد منها قصيدته العصماء في الاشادة بالجزائر والحث على الوفاء لها وحبها، يقول فيها:

لله لله كم للدهر أوطار
وكم له من رجال نحوه ساروا
يا ابن الجزائر لا تعبث بتربتها
ففي الجزائر أمجاد وأسرار
ما بال ما بال من أمسى يهددها
أليس من رزقها يمتاز يختار
من بعد أخذك منها كل طيبة
جازيتها بكما جوزي سنمار
تبتاعها بثمين ثم تخسرها
لله غبنك يا بياع سمسار
من للجزائر إن ابناؤها غدروا
من للجزائر إن حماتها غاروا
من للجزائر إن قتالها مرجوا
خلالها وتنامى الوبل والعار
من للجزائر إن أسودها اختزلت
من بعد نجدتها إن جاء مغوار
من للدواهي كفيل إذ نعانقها
إن كان في داخل الأبناء مكار
من ذا يقوم علينا في مضاربنا
حال التنقل إن أصابت أمطار
من ذا يقوم علينا في مساكننا
والسّاكنون لهم في الفكر أوطار
يا غارة الله جدي واستجدي فقد
ضاق الخناق بنا وفاحت النّار
يا غارة الله ذاب القلب من كمد
وجاشت النّفس واستولينا أكدار
يا غارة الله شدي الأزر جاهدة
فقد دهتنا من الأحداث أقدار
يا غارة الله جدي السّير وانتصري
واحم حماك فإن السّيف بتار
أنظر بعينك ما دهى العراق وما
بالشّام من غادر ألقاه إبحار
إن الجزائر لا ترضى بغيركم
بالرّغم من حاسد يختال يمتار
أين العقول التي كانت تحيط بنا
ماذا التحول بإغفال بصار
هذه النّصيحة والأيام مقبلة
وللجزائر أبطال وأنصار

انتقل إلى جوار ربه في 22 جوان 2020 بتمنراست، فرحمه الله.

قدي عبد المجيد

■ محمّد بن عبد الجبار الفجيجي (الثّجيجي) (ت: 950ه1543-م)

محمّد بن عبد الجبّار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي نسبة إلى فجيج الواقعة بجنوب (المغرب الأقصى).

لم تحمل كتب التراجم أيّ إشارة عن تاريخ مولده.

أخذ الشّيخ محمّد بن عبد الجبّار عن (أحمد بن يوسف الرّاشدي) و(محمّد بن عبد الرّحمن الكفيف) و(أحمد الحاج النّميش العامري)، و(أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي).

ومن تلامذته (أحمد الغماري التلمساني) فقيه موحّد، كان شاعرا ماهرا في النّظم، و(محمّد بن سليمان السّماحي) الفقيه الصّوفي مؤسّس الطّريقة (الشّيخية)، والشّيخ (عبد القادر بن محمّد بن سليمان بن أبي سماحة) (ولد سنة940 هـ – 1533م) ويُدعى ويُعرف بـ (سيدي الشّيخ) الّذي أخذ عنه العلوم الشّرّعية والسّلوك الصّوفية، والفقيه المدرّس (محمّد بن أحمد بن داود العطافي التلمساني).

آثاره: تذكر كتب التراجم أنّ الشّيخ (محمّد بن عبد الجبّار الفيجيجي التلمساني) كان شاعرا صوفيا وصاحب كرامات، له منظومة في مدح الرّسول صلّ الله عليه وسلّم في مجلّد كبير، ويحتمل أن يكون قد وقف على قصيدة شيخه (أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي) في مدح النّبي صلّ الله عليه وسلّم، فاستلهم منها.

قال (ابن مريم) في البستان: «له زاوية في وطنه، المعروف بحدّوش من تاسالة، وكان قد بنى مسجدا على عين وبيتا للفقراء المريدين الذّاكرين الله على الدّوام لا يفترون عن القراءة والذّكر حتى صار قطبا يأتيه الزّوار من كلّ بلد».

وكان الشّيخ محمّد بن عبد الجبار يُنفق على مريدي زاويته وزوّارها ويموّلهم، بعدما باع جميع ما له من الأرض، وأنفقها عليهم.

وعن شيمه وأخلاقه كان الشّيخ محمّد بن عبد الجبّار فاضلا نزيها، خيّرا، صاحب كرامات، محبّا للفقراء، مكثرا للصّدقات، وقد تأثّر بشيخه (المغيلي) ويظهر هذا التأثير من حيث التأليف، وانتهاجه طريقته في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

ويذكر (أبو القاسم سعد الله) أنّ الشّيخ محمّد بن عبد الجبّار كان صديقا حميما (لأحمد بن يوسف الملياني) المتصوّف، ويذكر أيضا أنّه كان على علاقة طيّبة بالعثمانيين.

وفاته: وذكر (ابن مريم) أنّه توفّي في العام الّذي أخذ فيه النّصارى (تلمسان) أي في سنة (950ه).

نسيمة لوح

المصادر:

– البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم المليتي المديوني التلمساني، تح: أ.د.عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

– مُعجَمُ أعلام الجزائِر –مِن صَدر الإسلام حَتى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثّقافية للتأليف والترجمة والنّشر، بيروت، لبنان الطّبعة: الثّانية، (1400هـ – 1980م).

– تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435 هـ)، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع للنشر والتوزيع– الجزائر، 1981 م.

■ محمّد بن عبد الجليل أبو عبد الله التنسي التلمساني (و: حوالي820ه - 1418م /ت: 899 ه - 1494م)

الشّيخ الحافظ المحدّث الفقيه المؤرّخ الأديب النّاظم: محمّد بن عبد الجليل أبو عبد الله التنسي التلمساني.

ولد بمدينة (تنس) لذلك كنّي بالتنسي ونشأ (بتلمسان) فكُنّي بالتلمساني، لم تورد كتب التراجم تاريخ ميلاده بالتحديد، لكن ورد في تحقيق كتابه (نظم الدّر والعقيان) للباحث) محمود بوعياد) أنّه يرجّح تاريخ ميلاده إلى سنة (820ه– 1418م) معتمدا على ما جاء في كتاب (الضّوء اللاّمع لأهل القرن التاسع) للسّخاوي.

شيوخه وأساتذته:

نشأ أبو عبد الله التنسي (بتلمسان)، وتتلّمذ على يدّ علمائها، فأخذ عن (محمّد بن مرزوق الحفيد((842ه– 1438م) التفسير والفقه وأصول الفقه والحديث، وأخذ عن (أحمد بن زاغو التلمساني) (845ه– 1414م) العلوم الدّينية كالفقه والتفسير والتصّوف والحديث، وأخذ عن (الحسن بن مخلوف أبركان) التصوّف والفقه والحديث، كما أخذ عن (محمّد أبو الفضل بن إبراهيم بن الإمام) (846ه– 1442م) الّذي نبغ في البيان والتصوّف والأدبيات والشّعر والطّب، كما أخذ عن(قاسم العقباني) و(محمّد بن العبّاس).

كان التنسي يدرّس بالجامع الأعظم (بتلمسان) وفي مدارسها المشهورة كالتاشفينية واليعقوبية، كما كان لا يغيب عن مجالسّ السّلاطين العلمية التي تميّزت بمناظرات بين العلماء ومنافسات شعريّة، فتتلّمذ على يده عدد كبير من العلماء نذكر منهم:

- (أحمد البرنسي برزوق) (889ه- 1484م): أخذ عن التنسي في التصوّف والحديث.

- (أحمد بن داود الأندلسي): وهو فقيه وكاتب ارتحل مع والده (علي القلصادي) صاحب (الرّحلة من غرناطة إلى تلمسان بعد سنة 890ه/ 1485م)، فأخذ عن شيوخها ومنهم التنسي.

- (محمّد بن صعد) (901ه- 1496م): صاحب كتاب (النّجم الثّاقب فيما لأولياء الله من المناقب) و(روضة النّسرين).

- (محمّد بن العبّاس الصّغير): الفقيه المتصوّف الّذي برع في العلوم معقولها ومنقولها، الّذي قال عن التنسي:» لازمت مجلس الفقيه العالم الشّهير سيدي التنسي عشرة أعوام، وحضرت إقراءه تفسيرا وحديثا وفقها وعربيّة وغيرها «.

كانت للشّيخ التنسي مكانة مرموقة بين معاصريه، إذ وصفه تلميذه (أحمد بن داود الأندلسي) بـــ:" بقيّة الحفّاظ وقدوة الأدباء "، وقال فيه لمّا كان خارجا من تلمسان وسُئل عن علمائها:" العلم مع التنسي والصّلاح مع السّنوسي والرّئاسة مع ابن زكري»، ووصفه (أحمد بن يحي الونشريسي) في وفياته:" بالفقيه التاريخي الحافظ الأديب الشّاعر»، أمّا(المقري) صاحب (نفح الطّيب) فقد أشار إليه بقوله:» شيخ شيوخنا «، ووصفه بحافظ عصره.

لقد نبغ التنسي في عدّة علوم فأثرى الحركة العلمية بعدّة مؤلّفات ذكرتها كتب التراجم، أهمّها: كتاب (نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزّمان):

ويعد هذا المؤلّف من أهم ما وصلنا من القرن التاسع الهجري، والّذي عالج فيه صاحبه سبعين(70) سنة من تاريخ المغرب الأوسط (الجزائر)، خاصّة تاريخ الدّولة الزّيانيّة وذلك من سنة (764ه- 1363م) إلى غاية سنة (868ه- 1464م).

ومن دوافع تأليف التنسي لهذا الكتاب، فهو تقديمه إلى السّلطان (محمّد المتوكّل) الّذي حكم من سنة (866ه إلى873ه)، الّذي كان يكنّ له الاحترام والتقدير لما كان لهذا الأخير من خصال الحزم والشّجاعة والكرم والعناية بالعلم والعلماء، وقد أثبت ذلك في مقدّمة مؤلّفه قائلا:»...ولمّا كنت من جملة ما غمرته آلاؤه وتواترت عليه نعماؤه وألبست منها حللا صافية، وأوردت منها مشارع صافية نهضت في خدمته بقدر طاقتي واستعملت في ذلك ما رجوت أن يكون نافقا من بضاعتي، جاهدا في مرضاته خاطري ولساني، وأعملت فيما يزلف لديه ناظري وشأني، جاهدا في ذلك بما في الوسع لدي، عسى أن أقوم ببعض واجب حقّه علي...».

وقد قسّم التنسي مؤلّفه إلى خمسة أجزاء وقسّم كلّ جزء إلى أبواب، وتناول في هذه الأجزاء الخمسة ما يلي:

- القسم الأوّل: عرّف فيه المؤلّف بنسب السّلطان الزّياني (محمّد المتوكّل)، كما تطرّق بالذّكر لأسلافه وبيّن شرفهم المنتهي إلى آل البيت خاصّة فرع الأدارسة الأشراف؛

- القسم الثّاني: وعالج فيه ما يتفرّد من الخصال وما يليق به من السّيرة الحسنة والأخلاق الحميدة؛

- القسم الثّالثّ: ذكر فيه الملح والنّوادر المستطرفة التي رويت عن الأقوام المختلفة؛

- القسم الرّابع: تناول فيه محاسن الكلام المستعملة في النّثر والنّظم؛

- القسم الخامس: خصّه لذكر المواعظ والحكم الواردة في مختلف الأمم.

ثمّ ختم التنسي كتابه برسالة في أصل العرب وبسبع قصائد للسّلطان (أبي حمّو). (رسالة في القراءات) وهو تأليف في علم القراءات.

كتاب (الطّراز في شرح ضبط الخرّاز):

وهو شرح لأرجوزة نظمها (عبد الله بن إبراهيم الشّريشي) المعروف بالخرّاز سنة (703ه- 1303م)، والموسومة بـ:(مورد الظّمآن في رسم أحرف القرآن)، وتتكوّن من (608) بيتا في ضبط القرآن ورسمه، خصّص منها الخرّاز (454) بيتا في رسم أحرف القرآن و(154) بيتا للضّبط، وقد اعتنى التنسي بشرح الجزءالخاصّ بالضّبط، وذكر الباعث على هذا التأليف قائلا:» وبعد...فإنّي كما رأيت من تكلّم على ضبط الأستاذ أبي عبد الله الشّريشي الشّهير بالخرّاز، وجدتهم بين مختصر اختصارا مخلاّ، ومطوّل تطويلا مملاّ، فتاقت نفسي إلى أن أضع عليه شرحا متوسّطا يكون أبسط لقارئيه، وأقرب لفهم طالبيه، فشرعت فيه مستعينا بالله تعالى وسمّيته الطّراز في شرح ضبط الخرّاز «كتاب (شرح نبذة من أحاديث الرّسول) وهو كتاب في الحديث.

وكتب التنسي كذلك في علم الفقه، فتذكر كتب التراجم أنّ له تأليفا بعنوان (تعليق على مختصر ابن الحاجب)، كما له فتوى (جواب في قضيّة يهود توات) وهي عبارة عن فتوى استفتاه فيها الشّيخ (أبو عبد الله محمّد بن عبد الكريم المغيلي)، القاضية بتهديم بِيَع وكنائس اليهود التي أحدثوها في منطقة توات، والتي تصدّى له فيها خصمه القاضي (أبو محمّد عبد الله بن أبي بكر العصنوني) (قاضي تمنطيط)، وقد انقسم علماء بلاد المغرب العربي: (تلمسان) و(فاس) و(تونس) إلى قسمين إزاء هذه القضيّة آنذاك، فمنهم من أيّد المغيلي وآزره ومنهم من أيّد خصمه العصنوني، أمّا الشّيخ التنسي فقد انتصر في هذه الرّسالة وشاطر المغيلي الّذي لم يتخذ ذلك الموقف إلاّ بعد أن رأى ما عليه اليهود (من التعالي والطّغيان والتمّرد على الأحكام الشّرعية بتولية أرباب الشّوكة وخدمة السّلطان)، فالمسألة إذن ليست دينية كما فهمها من أراد المس بالدّين الإسلامي وبأهله لرميهم بالتعصب وضيق الأفق ولكنّها مسألة سياسية بالدّرجة الأولى، ذلك أنّ اليهود (وأهل الذّمّة

عامّة) اغتنموا فرصة الضّعف السّياسي والاقتصادي للدّولة وراحوا يستعملون حيلهم ونفوذهم للتدخل في شؤون المسلمين وفي صميم الحكم نفسه.

كان التنسي من كبار كتاب عصره وشعرائه، فترك بصمته بتأليف كتاب اشتمل شعر من سبقه، خاصّة السّلطان الزّياني(أبو حمو موسى الثّاني) والّذي سمّاه (راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشّعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حساب الاقتراح).

وفاته:

توفّي (محمّد بن عبد الجليل التنسي) في جمادى الأولى سنة (899ه- 1494م).

نسيمة لوح

المصادر:

- الحياة الثّقافية بالجزائر جوانب من الحياة الثّقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن(10ه13-ه)، المهدي البو عبدلي، جمع وإعداد: عبد الرّحمن دويب، دار المعرفة الدّولية للنّشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- الفقيه التاريخي محمّد بن عبد الله التنسي (ت899ه- 1494م)، أ.محمّد بوشقيف، مجلّة عصور الجديدة، العدد3-4، 1432ه2011-م / 1433ه2012-م.
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435 ه)، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع -الجزائر،1981م.

■ محمّد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري التلمساني (و: 536ه - 1141م / ت: 625ه - 1228م)

محمّد بن عبد الحق بن سليمان أبو عبد الله الكومي اليعفري التلمساني، وقد كثرت كناه في بعض كتب التراجم: أبو عبد الله بن سليمان: القاضي، اليفرني، اليعمري، الكومي، البطّيوي، النّدرومي، المالكي.

ولد بتلمسان سنة (536ه1141-م) وبها نشأ، وكان والده من أشرف أهلها إذ كان يتولّى القضاء بها.

تفنّن (أبو عبد الله التلمساني) في علوم جمّة، فكان مشاركا في الفقه عارفا براويته بصيرا بعلم الكلام، فقيها، مقرئا، حافظا، بارعا في الخطّ جمّاعا للكتب الجليلة.

سمع محمّد بن عبد الحق من أبيه وتفقّه على يديه، وأخذ القراءات والنّحو في سنة (551ه) عن (أبي علي بن الخرّاز النّحوي)، وأخذ عن (أبي بكر بن عصفور) و(أبي بكر اللّقنتي) و(أبي الحسن بن أبي قنون)، ولم يكتف محمّد بن عبد الحق بطلب العلم في بلده بل قام برحلة لقي فيها كثيرا من أهل العلم والدين والزّهد وأخذ عنهم (بفاس) و(مراكش)و(سبتة) و(إشبيلية) ففي مدينة (فاس) سمع من (أبي الحسن بن حنين) و(أبي عبد الله بن الرّمّامة)، و(أبي محمّد قاسم بن الزّقاق)، ولقِيَ بها (أبا الحُسَين اللَّوَاتيَّ) وأجاز له، و(بمَرّاكُشَ) أخذ عن (أبي الحسن مجُاهد)، و(أبي عبد الله بن خليل) و(وأبي عبد الله بن الفَخّار)، و(أبي القاسم بن حُبَيْش) و(أبي القاسم السّهَيْليّ)، و(بسبتة) أخذ عن (أبي محمّد بن عبيد الله)، وصحب بها (أبا الصّبر أيوب) ولقي بها (أبا الحسين بن الصّائغ)، و(أبا عبد الله بن حميد)، و(أبا محمّد عبد المنعم بن الفرس) و(بإشبيلِيَةَ)أخذ عن (أبي بكر بن الجَدّ)، و(أبي جعفرِ بن مَضَاء)، و(أبي الحَسَن نَجَبَةَ)، ولقِيَ بها (أَبا عِمرانَ الزّاهد)، وأجاز له (أبو الحسن بن هذيل) و(أبو طاهر السّلفي) و(ابن عمران التليدي) وغيرهم من علماء المشرق والأندلس، كما صحب الوليين الزّاهدين (أبا مدين شعيب بن الحسين) و(أبا عبد الله محمّد بن مجبر الهواري).

روى عنه (ابن مسدي) فأكثر عنه، وروى عنه (علي بن عبد الله بن إبراهيم أبو الحسن الباهلي المالقي) الأديب، الشّاعر، (ت 670 هـ) لقيه (بتلمسان) وقرأ عليه، وروى عنه (أبو الحجاج بن محمّد بن علي الأسدي)، و(أبو زكرياء بن أبي بكر بن عصفور)، و(أبو عبد الله بن أبي بكر البري)، و(أبو عبد الله بن علي بن حماد)، و(أبو العباس المورووري)، و(أبو العيش محمّد بن عبد الرّحيم الأنصاري)، و(أبو موسى بن يوسف بن تامحجلت).

وحدّث عنه بالإجازة (أبو الحسن الرّعيني)، و(أبو علي الماقري)، و(أبو عبد الرّحمن عبد الله بن القاسم بن زغبوش) وغيرهم.

وهي وليّ قضاء (تلمسان) مرّتين فحمدت سيرته، وعرف بالعدل، والإنصاف، والجزالة.

لأبي عبد الله تصانيف كثيرة أجلّها: (المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار) في عشرين(20) سفرا وثلاثة آلاف(3000) ورقة وقد جمع فيه بين كتاب (المنتقى) للقاضي (أبي الوليد سليمان بن خلّف بن سعد بن أيوب الباجي) وكتاب (التمهيد والاستذكار) (لأبي عمر بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن البر النّمري)، وله أيضا (غريب الموطّأ وإعرابه)، و(التسلي عن الرّزية والتحلّي بالرّضا بقضاء باري البريّة)، و(نظم العقود ورقم الحلل والبرود) فرغ منه سنة (588ه)، و(لباب الإعراب)، و(فرقان الفرقان وميزان القرآن)، و(الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم)، و(إرشاد المسترشد وبغيّة المريد

المستبصر المجتهد)، و(الإقناع في كيفية الإسماع) الّذي ذكر فيه من أخذ عنهم وكيفية تلقّيه عنهم، سواء في رحلته العلميّة أم ممّن لقيهم في بلاده ومن أجاز له من بلاد المشرق، وله كذلك (نفثة ذي الضّراء ومسلاته برثاء الآباء للأبناء)، و(التذكرة للنواد المتخيرة وفصل المقال في مناقل أحوال غزوة أهل الإلحاد والضّلال إلى طليطلة) وغيرها من المؤلّفات.

ومن نظمه، هذين البيتين في عدد أحاديث (البخاري) رحمه الله:

جميع أحاديث الصّحيح الّذي روى
البخاري خمسة وسبعون في العدّ
وسبعة آلاف تضاف وما بقي(مضى)
إلى مئتين عدّ ذاك أولو الجدّ

كان أبو عبد الله مكرّما وجيها عند الأمراء والملوك والسّلاطين، قال عنه(الحافظ الذّهبي):» وكان من أهل التقشّف والتصنيفِ، فصيحا، لَسِنًا... كان إماما متفنّنا جميل السّيرة معظما في النّفوس كثير الكتب»، وقال (ابن الأبار):" كان حميد السّيرة، مشاركا في الفقه وعلم الكلام معتنيا بالحديث وروايته جوادا، واسع المروءة، فقيها، حافظا متكلّما، متفننا في علوم جمة، بارع الكتابة، حسن الخط، جمّاعة للكتب الجليلة، مغاليا في أثمانها، احتوت خزانته على ما لم يجتمع لأحد من أبناء جنسه كثرة ونفاسة، وكتب بخطّه الكثير، وعني بتصحيح كتبه... معظما عند الخاصّة وحدّث ودرّس...»، وقال عنه (ابن الزّبير) إنّه: «كان حافظا من أهل الضّبط والتقييد..وكان فصيحا لسنا، شاعرا كاتبا مشاركا».

توفّي (بتلمسان) سنة (625ه- 1228م).

نسيمة لوح

المصادر:

- غاية النّهاية في طبقات القراء. شمس الدّين أبو الخير ابن الجزري، محمّد بن محمّد بن يوسف (ت: 833هـ)، مكتبة ابن تيمية «: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.
- تاريخ ندرومة علماء أقطاب وشخصيات، جمع وإعداد: أ.عز الدّين ميدون، مساهمة البربر في الحركة العلمية الثّقافية في الأندلس (عالمان من ندرومة نموذجا)، د.عبد القادر بوباية، سلسلة إصدارات جمعية الموحّديّة ندرومة، 2011م.
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنّحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزّبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن فحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمّد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر -بريطانيا ط-1 1424 هـ / 2003 م.
- -4تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، تح: الدّكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1-2003 م.

■ محمّد بن عبد الحقّ بن سليمان(البطّيوي) (و: 536ه - 1141م/ت: 625ه - 1228م)

هو أبو عبد الله محمّد بن عبد الحقّ بن سليمان، المكنّى بعدّة كنى، فقد ورد اسمه في المصادر وكتب التّراجم بعدّة كنى كالبطيويّ والنّدروميّ الكوميّ والكوفيّ البربريّ واليفرنّي والتّلمسانيّ المنزل، من أسرة علم.

(اليَفُرَنِي): وقد تحرّفت هذه النّسبة في كثير من المصادر إلى (النّفزيّ) أو (اليَعْفُريّ) أوِ (اليَعْمُرِيّ)، نسبة إلى (يَفْرُنَ)، وهي قَبِيْلَةٌ مَشْهُوْرَةٌ ببلاد المغرب وجاء في سير أعلام النّبلاء، في نسبه: البَرْبَرِيُّ، (البَطُّوئِيُّ): ذَكَرَه المُرَّاكِشِيُّ في الذَّيْلِ والتَّكْمِلَة وفي مَوسوعة عُلَمَاء المغرب، وضَبَطَهَا هكَذَا: بِضَمِّ الطَّاءِ مُشَدَّدَةً، فَوَاوٌ، وَهَمْزَةٌ قَبْلَ يَاءِ النِّسَبِ، التِّلِمْسَانِي: نسبة إلى تِلِمْسَانِ، المدينة المشهورة بغرب الجزائر، النّدْرُومِي: نسبة إلى نَدْرُومَة، المدينة المعروفة في طرف جبل تَاجَرَا، الكُومِي: وقد تحرفت في سير أعلام النّبلاء إلى الكوفي: نسبة إلى كُومِيَّة، قبيلة بربريّة من فرع بطون بني فاتن بن نمصيت بن ضريس)كما - ذكر ابن خلدون -، وقد عمّرت شمال منطقة تلمسان وانتقلت من (هنين) إلى ندرومة.

ولد سنة (536ه1141-م) ولقد حصل الإمام الفقيه أبو عبد الله محمّد بن عبد الحق بن سليمان أبو عبد الله الكومي) على علوم عصره من فقه ونحو، وقراءات، وحديث، وعلوم القرآن، وتصوّف ؛ فتتلمذ وتفقّه بداية عن أبيه وكان ذلك في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وعن كثير من شيوخ بلده منهم عمران التّليدي، وسمع من أبي عبد الله بن خليل، ومن

أبي الحسن بن أبي قنون صاحبي ابن الطّلاع وأخذ القراءات والعربيّة عن أبي علي الحسن بن الخراز النّحويّ، وسمع عن أبي الحسن بن حنين وأجاز له ابن هذيل والسّلفي وأبو الحسن بن النّعمة.

وصحب كلّ من أبي مدين شعيب في بجاية وأبي عبد الله محمّد بن جابر الهواري في تونس، هذا الأخير الّذي كان من أتباع المدرسة الغزالية، وهو ما يبين أنّ ابن عبد الحق صحب وعاش مع من أسّسوا (مدرسة التّصوّ) في بلاد المغرب.

تتلمذ علي يده عدد من العلماء من بينهم أبو الحسن علي بن مُمد بن علي الرّعينيّ الإشبيليّ، حيث أحصاه ضمن شيوخه من خلال مصنفه برنامج شيوخ الرّعيني، ومن تلامذته كذلك الّذين رووا عنه العلامة الرّحال ابن مسدي محمّد بن يوسف الأزدي الغرناطي الأندلسي المهلبي (ت 663ه) فأكثر عنه وابن مسدي هو صاحب معجم في ثلاث مجلّدات عمل تراجمه مسجوعة وَهُوَ سجع مُتَمَكن.

لقد كان ابن عبد الحق بن سليمان متفنّنًا في علوم: الفقه، والحديث، والقراءات، وعلم الكلام، وكان شاعرًا بارع الخط، وعرف ابن عبد الحق)كذلك بجمعه الكُتب الجليلة يبذل فيها الأموال الكثيرة، وكان يقوم بنسخ بعضها بنفسه.

كان وجيهًا ببلده ذو جاه ومال وحظوة عند سلاطينها، فتولى لهم القضاء مرتين.

ألّف أبو عبد الله محمّد بن عبد الحق كتبًا عديدة حسب ما روت عنه المصادر، إذ بلغ عددها ثلاثة وعشرون مصنّفًا أهمّها: غريب الموطّأ، والتّسلي عن الرّزية والتّحلي برضى باري البرية، والمختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار، قال ابن الابار:» أنّ أبا عبد الله كتبه في عشرين سفرا في نحو ثلاثة آلاف ورقة منه المجلدات الأول والسّادس، مخطوطان، في خزانة القرويين بفاس (الرقم 174) ومنه مجلد ضخم قديم في خزانة الرّباط (176أوقاف)»، و الاقناع في كيفية الإسماع الّذي ذكر فيه شيوخه، وكيفية تلقّيه عنهم والّذي يرجّح أنّه فرغ من تأليفه سنة (600ه) حسب ما جاء عند المراكشي في الذّيل والتّكملة، وله كذلك الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم ونظم العقود ورقم الحلل والبرود، ولباب الإعراب، وفرقان الفرقان ميزان القرآن، وإرشاد المسترشد وبغية المريد المستبصر المجتهد وغيرهم حسب رواية تلميذه الرعيني.

وبقيّة تصانيفه مذكورة في الذيل والتّكملة. قال مصنفه المراكشي: «نقلتها من آخر نسخته من الإقناع وعلى ظهرها خطه مؤرخا برجب ستمائة».

ومن نظمه هذان البيتان في عدد أحاديث (الإمام البخاري):

جميع أحاديث الصّحيح الّذي روى
البخاري خمسة وسبعون في العد
وسبعة آلاف تضاف وما بقي
إلى مئتين عدّ ذاك أولو الجدّ

قال عنه الحافظ (الذهبي):» كان إماما متفنّنا جميل السّيرة معظما في النّفوس، كثير الكتب، صنف كتاب الجامع المختار من المنتقى والاستذكار في نحو عشرين مجلدًا، مات بتلمسان وقد قارب التّسعين في سنة خمس وعشرين وستمائة».

وقال عنه(ابن الأبار) واصفا:" كان حميد السّيرة، مشاركا في الفقه وعلم الكلام، معتنيا بالحديث وروايته، معظما عند الخاصة والعامة، وحدّث ودرّس، وغيره أحسن تصرفا منه وأمتن تحصيلا منه».

توفي ب(تلمسان)، ودفن بها سنة(625ه1228-م) وقد قارب التّسعين من عمره.

نسيمة لوح

المصادر:

- المناقب المرزوقية، أبو عبد الله مُمد بن مرزوق التّلمساني، دراسة وتحقيق: سلوى الزّاهري، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية ط 1/ 2008م.
- معجم أعلام تلمسان، التّيجيني بن عيسى، كنوز للإنتاج والنّشر والتّوزيع، تلمسان، الجزائر، 2011 م.

■ محمّد بن عبد الرّحمان أبو نعامة (و:1060ه - 1650م/ت: 1163ه - 1750م)

السّيد محمّد أبو نعامة بن عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي بكر الحاج بن أحمد البكاي بودمعة بن محمّد الكنتي العقباوي، المولود سنة 1060هـ الموافق لـ1650م بأطراف مدينة سلجماسة. أخذ العلم على يدّ مجموعة من الشّيوخ والعلماء منهم السّيد أحمد اللمطي بتفيلالت، الشّيخ أحمد بن موسى دفين كرزاز، السّيد أحمد الخليفة بن عمر بن الشّيخ سيد أحمد الفيرم بتنبكتو وفيما بعد الحاج أبو بكر بن عمر الوافي بالمبروك. لقب بأبي نعامة لركوبه على ظهر النّعامة اثناء حجه.

تزوج ابنة عمه السّيد عروة المقيم بالصّحراء المالية. وبعد وفاة عمه اتجه صوب الصّحراء الجزائرية فبنى مسجدا في منطقة تدعى والان بتنزروفت وحفر بئرا قربها، ثم ما لبث أن قصد مدينة تيمادنين قرب رڤان أين بنى مسجدا ودرس به حينا من الدّهر فتخرج على يده العديد من النّاس. ثم أخذ عصا الترحال مجددا وهذه المرة صوب منطقة تيدكلت أين لقي الترحاب من أهلها، فأسس زاويته هناك سنة 1137 ه الموافق لـ1725م.

ولقد أسس الزّاوية على نهج الطّريقة القادرية التي أخذ أورادها وأصولها عن الشّيخ السّيد أحمد اللمطي، وجعلها محلا للذكر ومأوى للضيف ومدرسة للعلم. واستقدم لزاويته العديد من العلماء والمدرسين وسار على هذا النّهج في ذلك أبناؤه وأحفاده. وممن تعاقبوا على التدريس في هذه الزّاوية، نذكر: السّيد علي بن المختار، السّيد يحي بن صالح، الشّيخ عبد الكريم بن محمّد التقي التينلاني، الشّيخ محمّد عبد القادر بن الطّالب علي بختي، السّيد ضيف الله بن عبد الكريم بن محمّد التقي التينلاني، السّيد يحي بن عثمان... إلخ.

وبعد استقراره بزاويته أحيا السّيد محمّد أبو نعامة سنة إقامة المراكب والوفود نحو البقاع المقدسة إبتداء من سنة 1138هـ الموافق لـ 1726م، إذ كانت تجتمع لديه وفود بلاد التكرور وتوات وتيدكلت ليقودها فحج على هذا النّحو سبع مرات، إلى أن أخذ منه الكبر وعجز عن الأسفار فعهد بذلك إلى ابنه الشّيخ السّيد أحمد الحبيب. وكان يقوم على استقبال وفود الحجيج بنفسه ويبذل في سبيل ذلك الغالي والنّفيس، وبهذا ازدهرت في عهده أقبلي كمحطة تجارية للقوافل القادمة من طرابلس، غدامس وبلاد السّودان.

كانت للشيخ علاقات مع علماء ومشايخ عصره كمولاي هيبة، الشّيخ مولاي عبد الله بن علي الرّگاني، الشّيخ علي بن حنيني بزاوية كنته، السّيد محمّد المغيلي حفيد الشّيخ محمّد بن عبد الكريم، الحاج محمّد دحة الزّناني وشيوخ قبائل التوارك بالهگار وفزان وقبائل أولاد زنان وأولاد بحمو وغيرهم. وأخذ عنه أوراد الطّريقة مجموعة من الفضلاء والنّبلاء كالحاج محمّد دحة الزّناني، الحاج بوزيد الهلالي، الحاج محمّد الطّاوس. وبالتوازي مع اهتمامه بالجوانب الرّوحية اهتم الشّيخ بإحياء الموات، فغرس النّخيل بأقبلي، وحفر وأبناؤه فقارتين ما زالتا تجريان بالماء.

ترك وراءه من الأبناء السّيد أحمد الحبيب، السّيد أحمد البكاي، السّيد أحمد، السّيد محمّد الأمين، السّيد محمّد الحاج والسّيد أحمد باي.

وتعاقب على مشيخة الزّاوية بعد وفاته ابنه السّيد أحمد الحبيب (1122هـ- 1205هـ) ليخلّفه إبنه الشّيخ محمّد عبد الرّحمان المولود في 1178هـ، وبعده إبن أخيه الشّيخ سيد العابد (1206هـ - 1294هـ) الذي تولى الإمامة بمسجد يعرف باسمه إلى الآن بحي زاوية حينون بأولف. وبعده إبنه السّيد محمّد بن سيد العابد المتوفى سنة 1298هـ، وأعقبه أخوه سيد أحمد الحبيب المولود في 1253ه، ـ ويليه أخوه أبو نعامة بن السّيد محمّد بن سيد العابد المولود في 1268هـ، وبعده إبن أخيه محمّد عزيزي بن سيد أحمد لحبيب (1286 - 1373هـ)، ليتولاها فيما بعد إبنه محمّد الأمين (1327هـ - 1416هـ) ويقوم عليها حاليا ابنه الأكبر سيد الحبيب.

توفي الشّيخ محمّد أبي نعامة في ليلة التاسع عشر من رمضان 1163هـ الموافق ليوم السّبت 22 أوت 1750م، عن عمر يناهز القرن. وترك وراءه سجلا زاخرا بالمآثر وجلائل الأعمال من إصلاح لذات البين وتعمير للمساجد وإيواء للضعفاء والأيتام، ونشر للدعوة وإحياء للسنة. رحمه الله برحمته الواسعة وأجزل له الثّواب في عليين.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- عقباوي عزيزي بن بوبكر، النّفحات البهية في أفنان الشّجرة الكنتية، عين مليلة: طبع دار الهدي، 2016.
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للنشر والتوزيع والترجمة، 2007.

■ محمّد بن عبد الرّحمان الزّاوي
(و: 1358ه - 1940م/ت:1428ه - 2008م)

السّيد محمّد بن عبد الرّحمان الزّاوي من مواليد 1940 بعين صالح، التحق بمدرسة الشّيخ أحمد المغربي بقصر العرب، وهو في السّابعة من عمره، فأتم على يده حفظ القرآن الكريم سنة 1953، وكان ذا حظوة لدى شيخ المدرسة لما لاحظه فيه من محبة للعلم ونبوغ ينبئ عن مستقبل زاهر. وشاء الله أن يتزامن اتمامه لحفظ القرآن مع افتتاح المدرسة الشّرعية للعلامة أمحمّد بن مالك، فالتحق بها على غرار اقرانه من أمثال أمحمّد المغربي، أمحمّد طالبو، قادة السّاقني، عبد العزيز بن محمّد بلقاسم...إلخ، حيث درس فيها العلوم الشّرعية وعلوم اللغة. ولقد جعل من بيته ملتقى يجتمع فيه مع زملائه لمعالجة ومناقشة القضايا أو استذكار ما تم أخذه في المدرسة الشّرعية.

ولما قدر الشّيخ أمحمّد بن مالك تمكنه من مختلف العلوم أجازه وأذن له بفتح مدرسته سنة 1956. وكان ذلك في بيت والدته، الذي حوله إلى خلية للتعليم واستقبال الضّيوف وتقديم دروس لمحو الأمية. ولما ضاق البيت عن استيعاب الطّلبة والوافدين، انتقل إلى مدرسة جديدة تم بناؤها لهذا الغرض، فكرس حياته لتعليم البنين والبنات، وبهذا تحولت المدرسة إلى مركز اشعاع وتنوير اجتماعي وتوعية سياسية في اتجاه محاربة الاستعمار، والتشبع بالرّوح الوطنية.

وبعد الاستقلال شارك في مسابقة للتعليم القرآني سنة 1969، فكان هو الأول بين النّاجحين الأربعة عشر على مستوى دائرة عين صالح، وكان من ضمن الفائزين معه بن موسى محمّد بن أحمد، قدي مبارك بن ابقادي، الطّالب عبد الله عبد الله، عبد العزيز بن محمّد بلقاسم، الحاج أمحمّد دباغ... وتم على إثر هذا النّجاح انتسابه لقطاع الشّؤون الدّينية. وبعد التقسيم الإداري الذي أصبحت بموجبه تمنراست ولاية، تم تعيينه ناظرا للشؤون الدّينية سنة 1983 إلى غاية 1999، بعد أن كان معتمدا للشؤون الدّينية على مستوى دائرة عين صالح. فقام بنهضة علمية كبيرة تم فيها استيعاب الكثير من الشّيوخ في القطاع بمن فيهم معلمات القرآن على غرار حفصة بنت محمّد بن عبد العالي بختي، فتح عشرات المدارس القرآنية خاصّة في المناطق النّائية. ولقد تمكن من كسب القلوب، وأداء أدوار كبرى في القضاء على الآفات الاجتماعية والتشنجات المجتمعية، وإطلاق ديناميكية علمية كبيرة. كما حرص على فتح معهد لتكوين الأئمة بعين صالح يكون قريبا من ولاية أدرار، ذات الزّوايا القرآنية الكثيرة حتى يتيح الفرصة لخريجيها الالتحاق بهذا المعهد.

حرص رحمه الله على إعطاء ابعاد إيجابية جديدة للعادات المعروفة في المنطقة؛ من ذلك تحويل إحياء ذكرى مواسم بعض الأولياء والعلماء إلى محطات علمية يلتقي فيها العلماء والأساتذة من كل المناطق لمناقشة القضايا الاجتماعية والمسائل العلمية، وكان مواظبا على استقطاب كبار الشّيوخ والأساتذة إلى المنطقة من أجل القاء الدّروس والمحاضرات.

كان منفتحا على مختلف الأفكار، يتميز بالإصغاء الجيد وقبول الآراء مهما كانت، وهو ما ساعده في نسج علاقات واسعة مع العلماء بالدّاخل والخارج، وفهم مشكلات المجتمع بشكل عميق، وأسهم في ذلك كثرة اطلاعه وشغفه بالكتب. وحتى بعد تقاعده ظل محافظا على ملتقاه العلمي السّنوي بفقارة الزّوى على هامش احياء ذكرى وفاة جده فجعل من هذا الملتقى جامعة موسمية تعالج مختلف القضايا. وهكذا قضى سواد عمره وبياضه في خدمة العربية والإسلام والقيم السّامية، فتخرج على يده الكثير من التلاميذ، وأنار درب سكان المنطقة بتوجيهاته، وبقي على عهده حتّى التحق بجوار ربه في سنة 2008.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- الزّاوي محمّد، الشّيخ الزّاوي محمّد خادم القرآن الكريم، متليلي: دار صبحي للنشر والتوزيع، 2017.

■ محمّد بن عبد الرّحمن الأزهري
(ت: 1208ه - 1794م)

محمّد بن عبد الرّحمن بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي الجرجري تاريخ ميلاده غير متفق عليه، ولكن قدّره بعضهم بين (1127ه و1142ه- 1715م و1730م).

تعلّم بزاوية الشّيّخ (الصّدّيق بن أعراب) (بآيت إيراثن)، ثمّ توجّه إلى المشرق حوالي (1152ه)، حيث ظلّ مدّة طويلة قدّرها بعضهم بثلاثين (30) سنة وقدّرها آخرون بربع قرن، ثمّ عاد إلى قريته (آيت إسماعيل) حوالي سنة (1177ه) نشر أفكاره وطريقته بين أهل بلاده وأسّس زاويته هناك.

تتلّمذ على يدّ الشّيخ (سيدي محمّد بن عبد الله بن أيوب) الملقّب (بالمنور التلمساني)، والسّيد (الحسين بن أعراب) الّذي شجّعه على زيارة المشرق العربي، فقام الشّيخ محمّد بأداء فريضة الحج ثمّ نزل (القاهرة)، مجاورا (بالأزهر) برواق المغاربة،

فأخذ هناك عن جملة من العلماء منهم (سالم النّفراوي) و(عمر الطّحلاوي) و(حسن بن غالي الجداوي) و(علي بن خضر بن أحمد العمروسي).

أجاز الأزهري (لحمودة المقايسي) أثناء تواجدهما (بمصر)، وكان تلاميذه يتراسلون معه ويعلّمهم مبادئ الطّريقة الخلوتية، وممّن أجاز لهم (بلقاسم بن محمّد المعاتقي) الّذي رفعه إلى رتبة مقدّم الطّريقة والشّيّخ (العابد بن الأعلى الشّرشالي)، كما أخذ عنه الشّيخ (أحمد التيجاني) مؤسّس الطّريقة التيجانية.

الأزهري وتأسيس الطّريقة الرّحمانية في القرن (12ه-18م): أخذ الأزهري عن شيخه (محمّد بن سالم الحفناوي المصري) (ت:1181ه) تعاليم الطّريقة الخلوتية عندما كان (بالقاهرة)، وأمره بنشر طريقته في (الهند) و(السّودان)، فتوجّه إلى (دارفور) (بالسّودان) ومكث بها ست(6) سنوات، ثمّ عاد إلى (مصر) ليصرفه شيخه إلى وطنه بعدما نال الإجازة في الطّريقة الخلوتية، وما لبث أن أصبح شيخها، فعرفت طريقته بالرّحمانية الخلوتية، وقد لقيت قبولا عظيما من جماهير الأمّة، حتى أنّ بعض المؤرّخين قد أحصوا عام (1314 هـ-897م) أكثر من (177) زاوية بلغ عدد أتباعها أكثر من (156) ألفا.

وقد انتشرت تعاليم الأزهري في (الجزائر) وخصوصا في شرقها ووسطها وفي (تونس)، وكان لها كثير من الأتباع غداة الاحتلال الفرنسي، كما أدّت زاوية الأزهري خدمة هامّة في نشر التعليم، فقد كان لها عدد من الأساتذة في حياة الأزهري نفسه، كالشّيخ (أحمد بن الطّيب بن الصّالح الرّحموني) الّذي وضع سنة(1212ه) رجزا في الفقه ظلّ قضاة (جرجرة) يستعملونه.

لمحمّد بن عبد الرّحمن الأزهري شرح على (رسالة في آداب طريق الصّوفية) للشّيخ (عبد الله الرّفاعي) المسمّاة (قوتة قولي)، وله قصيدة مطوّلة في الحنين إلى (المدينة المنورة) وزيارة ساكنها عليه الصّلاة والسّلام ومدحه وعنوانها: (تحريك السّاكن وتهييج الشّوق الكامن في زيارة طيبة ومن بها ساكن). ومطلعها[من الطّويل]:

«دعاني الهوى والشّوق أقلق ما بيا
وحادي الرّكاب حنّ بالعيش غاديا»

ومنها:

«ويأبى رسول الله يسلم جاره
ومن زاره أو كان بالقصد آتيا
إليك رسول الله ولّيت وجهتي
وباسمك أدعو مصبحا ومماسيا
وباسمك حلّي وارتحالي وغيبتي
وفي سفري أو حاضري وباديا
فلا تسلمني في الفلاة فإنني
إليك رسول الله جئت الفيافيا
وخضت البحار والمهامه قاطعا
تخوم الحجاز والجبال الرّواسيا
وهان عليّ في رضاك ولذّ لي
بنفسي ومالي كل ما كنت لاقيا
عبيد ضعيف آسرته ذنوبه
عسى ولعل أن يفك رهانيا»

وله أيضا عدة رسائل عن التصوّف أرسلها من (القاهرة) إلى تلاميذه وأتباعه، وهي رسائل عن أهل الدّائرة وأهل التصريف ومراتب الغوث ومراتب القطب، ونحو ذلك ممّا يتعلّق بأصول التصوّف التي أصبحت أصولا للطّريقة الرّحمانية.

توفّي محمّد بن عبد الرّحمن الأزهري سنة (1208ه- 1794م) (بآيت إسماعيل) ودفن بها، ولكن أهل (الجزائر) نقلوه ذات ليلة إلى ضريحه بقرب (الحامّة) (بالجزائر)، "ففطن أهله لنقله وعزموا على ردّه وآل الأمر إلى النّزاع، وانفصلت النّازلة بوجوده في قبره عندهم أيضا فسمّي يومئذ (بأبي قبرين)، الأوّل في (جرجرة) والثّاني (بالجزائر العاصمة)".

نسيمة لوح

المصادر:

- معجم أعلام شعراء المدح النّبوي، محمّد أحمد درنيقة، تقديم: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، ط1، ج1.
- تعريف الخلّف برجال السّلف، أبو القاسم محمّد الحفناوي، تقديم: محمّد رؤوف القاسمي الحسني، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبيعيّة، الرّغاية، الجزائر، 2007م، ج2.
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435 ه)، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع -الجزائر، 1981 م.

■ محمّد بن عبد الرّحمن الحوضي التلمساني (ت: 910ه - 1505م)

محمّد بن عبد الرّحمن الحوضي أبو عبد الله التلمساني، وورد في (شجرة نور الزّكية) أنّ اسمه محمّد بن عبد الرّحمن الحضرمي عوض الحوضي، ولد بمدينة)تلمسان (ونشأ بها، ولم تذكر كتب التراجم تاريخا لميلاده، تفوّق أبو عبد الله الحوضي في الأصول والفقه والأدب وخاصّة في نظم الأشعار، فاشتهر بشعر المدح والشّعر الدّيني، درس الحوضي على يدّ ثلّة من علماء)تلمسان(، ورفع ذكر اسمه في المعيار، له نظم في العقائد سمّاه (واسطة السّلوك) شرحه الإمام (محمّد بن يوسف السّنوسي)، كما قام (محمّد بن قاسم دحمان الغساني) بشرحه كذلك وأسماه (شرح الحوضية) في العقائد، وقد بدأ الحوضي نظمه بقوله:

الحمد لله الّذي دلّ عليه
إيجادنا ثم افتقارنا
وبعد فالتوحيد أشرف العلوم
وهو أساسها الّذي به تقوم

ويشير الحوضي في رجزه إلى سبب وضعه له وهو إفادة الطّلاّب في المدارس وفتح طريق النّظر أمام القارئ بدل التقليد، بل أنّه كان يطمح

إلى أن تكون (واسطة السّلوك) مفيدة للأساتذة لاختصارها ووضوح عباراتها:

وقد سالت الله في تيسير
أرجوزة مفهومة التعبير
قريبة المأخذ والمطالب
يقرأها الصّبيان في المكاتب
يخرج قاريها من التقليد
ضرورة بنظر سديد
ورب منصف من الكبار
بها اكتفى من أجل الاختصار

وقد أشار إلى تسميتها (واسطة السّلوك) لأنّها تبيّن سلوك الإنسان المسلم الصّحيح:

سمّيتها (واسطة السّلوك) إذ بينت كيفية السّلوك

وقد قسّم الحوضي أرجوزته إلى فصول، فكان هناك فعل في حكم العقل وآخر في الصّفات وثالث في ما يجوز من أفعال الله تعالى ورابع في بعث الرّسل، وهكذا، وأحيانا كان عنوان الفصل بيتا من الأرجوزة.

وللحوضي أيضا كتاب في التصوّف سمّاه (الوسائل العظمى للمقصد الأسمى)، وهو في الصّلاة على النّبي e وهو الكتاب الّذي استوحاه كما قال من كتاب في نفس المعنى) لأبي عبد الله أبي البركات(، وقد رتب الحوضي كتابه على حروف المعجم وبدأ بمقدّمة ذكر فيها ما جاء عن الحديث الوارد في الصّلاة على النّبي والمواضع التي تجب فيها أو تستحب والفوائد التي يجنيها المصلّي، وقسّم الكتاب بعد ذلك إلى مجموعة من الوسائل، فهناك (وسيلة الباء) وتبدأ بـ (اللّهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد النّبي الأمّي الهاشمي المجتبا) ولكل وسيلة عنوان يناسبها ويناسب الحرف الموضوع لها، فحرف الدّال هو (وسيلة نافعة في الحال والاستقبال، منوعة على حرف الدّال)، أمّا بالنّسبة لحرف الظّاء (فوسيلة رفيعة الحظي، منجية من لظى، منوعة على حرف الظّاء)، وهكذا.

وللحوضي قصيدة لامية ومرثية في الإمام (السّنوسي) وله أشعار في أغراض كثيرة كالغزل والرّثاء والتصوّف، وله أيضا تخميس قصيدة (أبي مدين شعيب)، التي مطلعها:

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا
ارحم عبيدا أكف الفقر قد بسطوا

ومن شعره في مدح السّلطان (الزّياني أبي عبد الله الزّياني) قوله:

أصبح المزن من عطائك يعطي
يوم تفخر الأنام عطاء
كيف يدعي لك الغمام شبيها
ولقد فقته سنا وسناء
أنت تعطي إذا تقصر مالا
وهو يعطي إذا تطول ماء

وقوله في مدح الرّسول (صلّ الله عليه وسلّم):

لا تسل عن غرام قيس وليلى
واستمع سورة الهدى كيف تتلى
آية الحبّ في المحبّين وجد
معه لا ترى الحياة بأولى
أنا صبّ متيّم مستهام
لم يدع لي من أحبّه عقلا
قد سرى حبّه بكلّي وبعضي
كيف أسلو وكيف لي أتسلّى

ومن شعره في الغزل هذه الأبيات من قصيدته (الطّنانة):

أرذاذ المزن من عيني نزل أم
دموع الشّوق إذ رق الغزل
أبعيني دمعة وكافة أم
شعيب للنّوى منها انتزل
لا بكت عيني ولا أبكى البكا
ضوءها عن فعلها أن لم تزل
دع عذولي اللّوم إني شائق
رقّ طبعي دون صنعي في الأزل
أو ينسى العهد قلب دنف
والهوى قبل النّوى عنه نزل
لا تلمني دون علم عاذلي
فسمعي صمم عمن عذل
إنّ في نار هواكم جنّتي
لو علمت الحبل منكم يتصل
آمنوا روعة قلبي باللّقا
فانتظار الوعد قرب أن حصل

ومن شعره في الرّثاء، قوله في قصيدة طويلة رثا فيها شيخه (محمّد بن يوسف السّنوسي):

ما للمنازل أظلمت أرجاؤها
والأرض رجت حين خاب رجاؤها
وأتى عليها النّقص من أطرافها
وتراكمت وتعاطفت أرزاؤها
رزء عظيم خطبه ومصيبة
لم ندر يا للقوم كيف عزاؤها
فقد السّنوسي الإمام محمّد
وهو ابن يوسف هد منه علاؤها
قد كان بحرا للمعارف زاخرا
فانزاح عنها حين بث غطاؤها

وصفه صاحب (نيل الابتهاج) بالفقيه الأصولي التلمساني العالم الشّاعر المكثر، وممّا قيل في شعره قول (أبي حامد المشرفي) في قصيدته الغزليّة (الطّنانة) أنّها قصيدة تفتح الشّهيّة، ووصفه (أبو القاسم سعد الله) بشاعر القصر وشاعر الحبّ النّبوي في نفس الوقت.

توفّي محمّد بن عبد الرّحمن الحوضي التلمساني، (بتلمسان) في ذي القعدة من سنة (910ه/ 1505م).

نسيمة لوح

المصادر:

- الأعلام، خير الدّين بن محمود بن محمّد بن علي بن فارس، الزّركلي الدّمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط-15 أيار / مايو 2002 م.
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435 ه)، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع -الجزائر، 1981 م.
- نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمّد التكروري التنبكتي السّوداني، أبو العباس (ت: 1036 ه) عناية وتقديم: الدّكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2-2000 م.

■ محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي زيان القندوسي (القنادسي بوزيان) (و: 1062 ه - 1650م /ت: 1145ه - 1733م)

محمّد بن عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي زيان بن عبد الرّحمن بن أحمد بن عثمان بن مسعود بن عبد الله الغزواني. والده عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي زيان ووالدته السّيدة نجمة وهي شريفة من قصر بربي ببني جومي من قوم يقال لهم البيزان، رحلوا فيما بعد من (بربي) إلى نواحي (مكناس).

ولد الشّيخ ابن أبي زيان حوالي (1062 هـ / 1650م) بقصر بربي بالقرب من واحة تاغيت) (80 كلم جنوب ولاية بشار)، عاش طفولة صعبة بعد أن توفّي والداه، فكفله عمّه الحاج (إبراهيم ابن الحاج عبد الرّحمن) الّذي كان موجودا بالزّاوية التي كانت تنسب إلى الشّيخ عبد الرّحمن بن أحمد والمسماة آنذاك (الزّاوية الرّحمانية) (بالقنادسة).

رحلته العلمية وشيوخه: تكفّل عمّه بمصاريف رحلته وأرسله طلبا للعلم إلى سجلماسة (تافيلالت) (بالمغرب)، فقصد زاوية الشّيخ (أبو عبد الله مبارك بن عبد العزيز بن عزي الغرفي العنبري السّجلماسي) المعروف بـ(سيدي مبارك بن عزي العنبري الغرفي) أحد أشهر علماء تلك الفترة، (بسجلماسة)، بدشرة (العنبري) بمقاطعة (الغرفة) بإقليم (تافيلالت) بجنوب(المغرب الأقصى)، على مسافة 180 كلم تقريبا من (القنادسة)، وبقي بن أبي زيان ملازما شيخه مدّة عشرين(20) عاما إلى حدود سنة (1089ه)، وهي السّنة التي وصل فيها الطّاعون (بسجلماسة) وكان من بين ضحاياه الأوائل الشّيخ (مبارك بن عزي) الذي توفي عام (1090 هـ/ 1679م)، وقد سئل وهو في النّزع الأخير عمن يتولّى غسل جسده الطّاهر فقال:" (محمّد بن أبي زيان) ليعلم بذلك من حضر من الأخوان إنّه هو الوارث لسره»، إلاّ أنّ ظهور بعض القلاقل في المنطقة جعلته يغادر (سجلماسة)، وخرج قاصدا مدينة العلم (فاس) لإثراء معارفه، فاستقرّ بمدرسة سيدي مصباح التي كانت تعد من أشهر مدارس (فاس) آنذاك والتي أقام بها ثمانية(8) أعوام من (1089هـ- 1678م) إلى (1097هـ/ 1689م)، فكان ينهل من حلقات العلم والفقه التي كان ينشّطها علماء كبار أمثال الشّيخ (عبد القادر الفاسي)، الّذي لقّنه الحكم العطائية (لابن عطاء السّكندري) والشّيخ (عبد السّلام بن أحمد أوحمدون قسوس) الذي وصفه ابن أبي زيان بأنه شيخ الطّريقة وبحر الحقيقة، والشّيخ (أحمد بن العربي المعروف بابن الحاج) توفي أوّل ربيع الأول سنة1109(هـ))وكان يدرّس ألفية ابن مالك، وشمائل الترمذي وموطأ الإمام مالك والشّفا للقاضي عياض، والشّيخ (أحمد اليمنى) توفي (1113ه)، وتحدّث ابن أبي زيان عن صاحبيه في العشرة والدراسة والعبادة العارفين بأحواله، (سيدي أحمد الحبيب اللمطي السّجلماسي) والشّيخ (علي بن تيرس) الّذي كان يلازمه ويأمره بالكتمان، وبعد أن أتمّ دراسته بهذه المدرسة توجّه إلى أداء فريضة الحجّ فمكث (بالمدينة المنوّرة) لطلب العلم أيضا ثم(مكّة المكرّمة)، وعند رجوعه بعد إتمام فريضة الحج عرج على الأزهر وأكمل دراسته في الزّيتونة (بتونس) ومنها رجع إلى (القنادسة).

تأسيس الزّاوية والطّريقة الزّيانية:عاد الشّيخ ابن أبي زيان إلى (القنادسة) عام(1098 هـ/ 1686م) بعد جمع رصيد وافر من العلم الشّرعي والتصوّف السّني ناهيك عن الخبرات والتجارب، وقرّر الإقامة بها وشرع في تأسيس طريقته الشّهيرة (الزّيّانية) على النّظام الصّوفي الشّاذلي بعد أدائه لمناسك الحجّ، وشيّد بها زاويته المشهورة التي استقبلت الألوف من الزّوار من كل الأنحاء(الجزائر، المغرب، تونس، وهران، تلمسان، زواوة الترك، الحجاز،...) والتي تحوّلت إلى مركز علمي لتدريس الشّريعة الإسلامية والتربية الصّوفية وتقديم الخدمة الاجتماعية والسّلم الاجتماعي، من خلال تعيين شيخها القاضي يتولّى صلاحيات واسعة من أهمّها الإشراف على تحرير وتوثيق عقود مختلف المعاملات، من شراء ورهن وتوثيق ملك عقاري وإيجار وكتابة دين، كما كان للزّاوية هيئة خاصّة تنظر في الأحوال الشّخصية، ناهيك عن الدّور السّياسي الّذي كانت تضطلع به.

وكان الشّيخ (ابن أبي زيان) يلقن أوراد طريقته التي أخذها عن شيخه (أبي عبد الله سيدي مبارك بن عزي) والّذي أخذها بدوره عن شيخه (أبي عبد الله محمّد بن ناصر الدّرعي) صاحب زاوية تمكروت (بوادي درعة) بجنوب (المغرب) المتوفى بها عام(1085 هـ/ 1674م)، فهي طريقة يوسفية ملیانية زروقية شاذلية، وقد اشتهر الشّيخ بزهده في الدّنيا وكراماته وتمسّكه بالسّنة وكراهيته للبدعة وأهلها.

تمكّن الشّيخ(محمّد بن أبي زيان) من استقطاب عدد كبير من التلاميذ والأتباع والمريدين الّذين وفدوا إليه لطلب العلم ونيل البركة من كل حدب وصوب، وأولى الشّيخ عناية بالغة لتحفيظ القرآن وتعليمه، حيث قام ببناء مدرسة وجامع وأنجز كثيرا من البيوت لإيواء الوافدين من مناطق بعيدة وتكفّل بإطعامهم وسهر على تفقّد أحوالهم، وتذكر المراجع في الجانب الاجتماعي للطريقة الزّيانية فيما يخص خدمة الزّائرين والضّيوف، فقد كانت تشرف على تغطيته السّيدة الفاضلة زوجة الشّيخ والتي يقول عنها صاحب (فتح المنان): « وكانت أم الأولاد الكرام السّيدة الفاضلة أم كلثوم صالحة عارفة بأمور الضّيافة وكانت رضي الله عنها رفيقة وملجأ للأيتام وكانت تصل الرّحم».

ومن تلامذته (عبد الرّحمن اليعقوبي) و(الشّريف إدريس محمّد المنجرة الكبير الفاسي) المتوفى عام(1137ه). وقد أسندت مهام الزّاوية بعد وفاته إلى ابنه الشّيخ (محمّد لعرج) بعد موافقة كل أهالي البلدة والقبائل المجاورة.

أقوال بعض معاصريه فيه: تركت هذه الشّخصية آثارا كبرى في مختلف مجالات الحياة، وتركت جيلا كبيرا من الأتباع والمريدين والمحبّين، الذين حاولوا نشر منهجه وتعاليمه المستمدّة من شريعة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، منتهجين طريقته ومقتفين لآثاره، فقد أشاد بفضله تلميذه العلاّمة الشّريف (إدريس محمّد المنجرة الكبير الفاسي) المتوفّى عام(1137ه)، الّذي قال فيه عندما زاره (بالقنادسة) عام (1136 هـ/ 1723م):"ومنهم الشّيخ الفقيه الإمام أبو الإقبال الحاج الأبر صاحب الكرامات سيدي محمّد بن عبد الرّحمان بن أبي زيان المراكشي نزيل الصّحراء قرب جبل بشار، له أحوال وكرامات يبوح بها ويفشيها ويحب ذكرها وله حال في التصريف. لقيته ببلده واستفدت منه ولقنني وواعدني وصرح لي بما أرجو الله في حصوله وأكثر وكاتبني ووقعت بيني وبينه أشياء لا تفشى وهو في قيد الحياة إلى الآن عام (1136 هـ1723- م)".

ويقول العلاّمة (محمّد بن الطّيب القادري) المتوفّى عام (1187 هـ1773- م) في كتابه (نشر المثاني):"ومنهم الشّيخ الكثير التلامذة والأتباع أبو عبد الله محمّد-بالفتح- ابن بوزيان القندوسي والقنادسة بلاد ذات نخيل بالصّحراء على مسيرة يوم من فيجيج. يحدث عنه أصحابه بكرامات وحسن السّيرة... إلى أن توفي في العشرة السّادسة، وخلّف أولادا يسلكون طريقه...».

توفّي يوم 11رمضان (1145ه / 1733م)، ودفن في مدينة (القنادسة).

نسيمة لوح

المصادر:

- مجلّة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 11 ديسمبر2016م، امحمّد بن أبي زيان القندوسي طريقته الصّوفية والأدوار المتعدّدة لزاويته، د.علي نابتي، جامعة سعيدة.
- من أعلام الجنوب الجزائري، إبراهيم بن ساسي، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الرّغاية، الجزائر، 2011م.
- الرّحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، محمّد باي بلعالم، دار هومة الجزائر، طبعة 2005، ج 2.

■ محمد بن عبد العالي بختي
(و:1306ه - 1889م/ت: 1379ه - 1959م)

هو السيد محمد بن عبد العالي بن مبارك بن علي بن محمد الصّالح بختي. ولد رحمه الله بأولف سنة 1889م، وكان وحيد أبيه من الذكور مع أربع أخوات. تلقى العلم في بداية أمره بأولف على يد أبيه ثم على يد عمه السيد أحمد بن مبارك بختي وتضلع في الفقه ونبغ فيه. ولقد كان أبوه عبد العالي إماما لمسجد حي قصبة بلال، فلما توفي أبوه سنة 1914م خلفه في الإمامة، إلا أنه لم يمكث بها طويلا نتيجة بعض المضايقات.

ولقد تركت وفاة السيد أحمد بن عبد القادر البوكادي سنة 1921م بمتليلي فراغا علميا هناك، ولم يكن آنذاك عود ابنه مَحمد قد اشتد، فقرر السيد أحمد بن مبارك بختي أستاذه وعمه، أن يرسل السيد محمد بن عبد العالي إلى مدينة متليلي ليتولى بها التدريس والإفتاء والإرشاد، فأرسله إلى هناك سنة 1924م. فدرس القرآن للصغار والفقه والحديث للكبار، فأخذ عنه خلق كبير منهم العلامة مَحمد البوكادي، الشّيخ بكار بن اسماعيل شريف، الشّيخ على بن ديبة وكذلك السيد الحاج محمد بوقلمونة المعروف بزعليق أحد وجهاء وأعيان المدينة.

كان شديد الكراهية للاستعمار الفرنسي، فلما اندلعت الثّورة التحريرية انخرط فيها مبكرا، وتولى رئاسة المكتب الشّرعي التابع للمجلس البلدي للثورة التحريرية بمتليلي عقب إعادة هيكلته في 02 نوفمبر 1956. وكان هذا المكتب بمثابة الهيئة الشّرعية للإفتاء بالمنطقة. ولقد شغل باله استقلال الجزائر، إلى الحد الذي أوصى فيه أحد تلاميذه (وهو الحاج محمد بوقلمونة) بأن يأتي إلى قبره مبشرا إياه بالاستقلال إذا لم يدركه.

له مراسلات عديدة مع أعلام عصره كعمه العلامة أحمد بن مبارك بختي، وعم والده أحمد بن علي بن محمد الصّالح بختي. وترك العديد من الفتاوي والنوازل، أعلى الله مقامه في الصّالحين.

توفي رحمه الله يوم الجمعة 17 جويلية 1959م، الموافق لليوم العاشر من محرم من سنة 1379ه، بمدينة متليلي. وترك وراءه ثلة من الأبناء والتلاميذ تولوا التدريس والتعليم بمتليلي وجنات وأولف وورقلة.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للنشر والتوزيع والترجمة، 2007.

■ محمّد بن عبد الكريم المغيلي (أبي عبد الله)
(و: 790ه - 1388م/ ت: 909ه - 1504م)

اتفقت كتب التراجم والفهارس في اسمه، فهو: محمّد بن عبد الكريم بن محمّد، أبو عبد الله، محيي الدّين، المغيلي، التلمساني، التواتي، الجزائري. فاسمه محمّد، وأبوه عبد الكريم، وجده محمّد، لكن اختلف الباحثون في تحديد تاريخ ميلاد الشّيخ المغيلي، وسبب ذلك أن كل من ترجم له من القدماء لم يذكر ذلك، وعلى إثر ذلك تمكنا من حصر الخلاف في تحديد سنة الميلاد حسب وَفق الآتي:

وُلد سنة 790هـ1388-م حسب ماورد في الشّجرة الجامعة لكبرى أنساب سكان توات المتواجدة بخزانة بلبالي عبد الله، كوسام. إلاّ أنه هناك من لم يُرجّح هذا التاريخ باعتبار أن الشّيخ المغيلي قد قاتل اليهود في المرة الثّانية سنة 902هـ1496-م، وعمره قد تجاوز المائة سنة، ومعلوم أنه تولى قيادة جيشه بنفسه.

وُلد سنة 820هـ1417-م، وهو التاريخ الذي رجّحه المؤرخ القاضي المكناسي (ت1025هـ)، حيث يقول في ذلك عبد الحميد بكري: » اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده، غير أن أرجح الرّوايات ما ذكره العلامة ابن القاضي، وهو 820هـ1417-م «.

وُلد سنة 831هـ1427-م، وهو التاريخ الذي رجّحه مبروك مقدم في معظم مؤلفاته، ولعلّه أقرب ما يكون للصحة، وعندها يكون قد عاش ثمان وسبعين 78 سنة.

وأمام هذه الاختلافات في التحديد الدّقيق لسنة الميلاد، يمكننا أن نذهب إلى ماذهب إليه يحي بوعزيز -رحمة الله عليه-أنه وُلد في مطلع القرنين 9هـ/ 15م، حيث يقول: » لانعرف بالضّبط متى وُلد محمّد بن عبد الكريم المغيلي؛ لأن الذين ترجموا له لم يحددوا ذلك، وما اطّلعنا عليه من كتاباته هو أنه تُشر إلى ذلك، ولكن يبدو أنه وُلد في مطلع القرنين: التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي، استناداً إلى تاريخ وفاته «.

نشأ الشّيخ المغيلي في قريته مغيلة، في أسرة عُرفت بالعلم والأخلاق الفاضلة، فأبوه من المشتهرين بالعلم والصّلاح والورع والتقوى. كما اشتهرت أمه بأنها سيدة فاضلة، تعطف على الفقراء والمساكين وتنفق عليهم بسخاء، فقد قام هذان الوالدان بتربية ابنهما وتنشئته تنشئة حسنة.

تعلّم في مراحله الأولى القرآن الكريم على يدّ والده، بالإضافة إلى الآداب والجلوس والحديث مع الطّلبة، الذي من خلاله يلاحظ توقير الطّلبة لوالده، فازداد توقيراً له، مما جعله يطمح في أن يصبح مثل والده حينما يكبر، فكان له ما أراد.

إضافة إلى حفظه القرآن الكريم على يدّ والده، فقد علّمه أيضا مبادئ العربية من صرف ونحو بيان، كما قرأ عليه -أيضاً-موطأ الإمام مالك وكتاب ابن الحاجب الأصلي.

ثم واصل تعليمه على يدّ الشّيخ محمّد بن أبي عيسى المغيلي، الذي أخذ عنه بعض أمهات الكتب الفقهية، وتلقينه مبادئ الأخلاق وأبجديات العلوم، فاشتهر بذكائه المفرط، وعلُو همّته وتوقّد ذاكرته، وكلها أشياء أساسية تساعد على التحصيل.

ولكن الشّيخ المغيلي لم يكتف بهذا القدر من التحصيل، بل رغب في تحصيل علوم أخرى بنفس منطقة مغيلة، على يدّ الفقيه محمّد المغيلي المشهور بالجلاّب التلمساني، فكان له ما أراد؛ فد أخذ عنه بعض التفسير والقراءات، ولقّنه الفقه المالكي. ومما يَذكر المغيلي أنه ختم عليه المدوّنة مرتين، ومختصر خليل والفرائض من مختصر ابن الحاجب، والرّسالة لابن أبي زيد، وهكذا ظل الابن يتنقل بين العلماء مقتبساً العلم والأخلاق، فحاز الحُسنيين معاً.

ولمّا تمكن من تحصيله لعدة علوم بين مُدن تلمسان وعُلمائها، انتقل إلى مدينة بجاية فأدرك بها مشائخ أجِلاّء أخذ عنهم جملة من التفسير والحديث، إلى أن أرشدوه للقائه بالشّيخ عبد الرّحمان الثّعالبي، حيث أخذ عنه تفسير القرآن، والتصوف والقراءات، ثم أصبح زوجاً لابنته السّيدة زينب، وأوصاه عند رحيله بدعوة منه، بأن لا يعاشر أهل سفاهة وألا يستوطن مكانة إهانة.

وبعد ذلك، عاد إلى تلمسان واستمر في طلب العلم وتحصيل ما أمكن تحصيله، إلى أن غادر تلمسان ساخطاً على فساد ساستها وُحكامها، فقد أنشد قائلاً:

تلمسان أرض لا تليق بحالنّا
ولكن لطف الله نسأل في القضا
وكيف يحب المرء أرضاً يسوسها
يهود وفُجار ومن ليس يُرتضى

متوجّه من تلمسان إلى توات التي وصل إليها عام 870هـ1465-م، حسب ما أكده الشّيخ محمّد باي بلعالم -رحمة الله عليه-، فأخذ عن الشّيخ يحي بن يدير التلمساني التواتي-رحمة الله عليه- الذي قدم من تلمسان إلى توات سنة 845هـ ماكان ينقصه من فقه وعلوم، فقرأ عليه من كتب الحديث الصّحيحين وكتب السّنن، وموطأ الإمام مالك، وأمّهات كتب الفقه المالكي.

ومما هو معروف أن الشّيخ المغيلي قبل دخوله إلى توات تنقل إلى مصر، وربما قصدها حينما قصد البقاع المقدسة حاجّاً شأن بقية المغاربة وكان ذلك بالتقدير 866هـ وقد تكون الفترة نفسها حين أقام بالأسكندرية، كما جاء في مقدمة كتابه «شرح التبيان في علم البيان» وهو بصدد ذكر اسمه ونسبه قائلاً: » الإسكندري منزلاً «.

ثم رحلته إلى فاس، وذلك إبّان حادثة اليهود في توات التي وقعت أواخر القرن التاسع للهجرة، لمّا رحل إليها صُحبة تلامذته ليشرح القضية لعلمائها ويُوضّح أسبابها وأهدافها.

كما أن انتقاله نحو بلاد السّودان الغربي ثبت في سنة حادثة اليهود المذكورة، وعن ذلك يقول صاحب البستان: » ثم رحل إلى بلاد آهير، ودخل بلدة تكدة، ثم دخل بلاد كشن، واجتمع بسلطان كنو... ثم إلى بلاد التكرور، فوصل إلى بلاد كاغو، واجتمع بسلطانها أسكيا محمّد... وبلغه هناك خبر قتل والده وارتحل إلى توات، فأدركته المنية بها «.

كما تشير جل المصادر أنه قضى حوالي ثلاث عشرة سنة في بلاد السّودان أو أقل بقليل، يجوب في ربوعها داعياً إلى الله وناشراً لتعاليم دينه إلى أن بلغه نعي ابنه عبد الجبار، فعاد

إلى توات في تاريخ يمكن أن يكون سنة وفاته (909هـ)؛ إذ أغفلت التراجم حياته بعد رجوعه، لكن تواريخ الأحداث السّابقة توحي في الاعتقاد أن لم يمكث في توات طويلاً قبيل وفاته -رحمة الله عليه-.

وهكذا أصبح مُتمكناً في العلوم الشّرعية، ومنها اطلاعه على أغلب مصادر المذهب المالكي، إضافة إلى تبحره في علوم العربية، من صرف ونحو وبلاغة، خبيراً في علم العروض والقوافي، كما أنه أصبح لا يشق له جانب في علوم الحديث، متضلعاً في علم الفرائض والمواريث، مُتفوقاً في فهم السّياسة الشّرعية والعقيدة الإسلامية والتوحيد، وقَّاد الذهن في علم المنطق.

لم تقف المصادر التاريخية التفصيل على حياته الأسرية إلاّ القليل فقط، ومما هو متعارف عليه أن الشّيخ عبد الرّحمان الثّعالبي لمّا أُعجب بالشّيخ المغيلي من حيث ذكاؤه وعلمه وأخلاقه، ما كان له إلاّ أن زوّجه بابنته السّيدة زينب سنة 875هـ1474-م، وهذا ما يعني أن الشّيخ المغيلي تزوج وهو في سن أربع وأربعين سنة إذا ما رجّحنا تاريخ ميلاده سنة 831هـ.

ولمّا تزوج الشّيخ المغيلي بالسّيدة زينب في الجزائر انتقل بها إلى تلمسان، ثم إلى توات، حيث عاشت هناك بقيت حياتها إلى توفت بأولاد سعيد تيميمون، وقبرها معروف هناك إلى غاية اليوم.

وُلِد للشّيخ المغيلي من زوجته السّيدة زينب ثلاثة أبناء، وهم: سيدي علي الذي وُلِد وتوفى بأولاد سعيد بتيميمون، وسيدي عبد الجبار الذي جعله والده خليفة له على منطقة توات أثناء سفره إلى السّودان الغربي، إلى أن عبد الجبار قُتل في أحوال غامضة بتواطؤ اليهود مع الأتراك. وأما الابن الثّالث فهو سيدي عبد الله الذي كان الشّيخ المغيلي يتكنى باسمه، وهو الابن الأكبر الذي يرجع إليه كل أبناء المغيلي بتوات.

ولكن الشّيخ المغيلي لم يتزوج بالسّيدة زينب فقط، وإنما تزوّج بأخرى -أيضا- لمّا رحل إلى السّودان الغربي بـ «كانو"، مُخلّفاً ثلاثة أولاد معها، هم: أحمد، وعيسى، والسّيد الأبيض. ذلك أن هناك جماعة من مدينة "كانو" النّيجيرية لا تزال إلى الآن أصل عائلتها إلى الشّيخ المغيلي، لكن الغموض يحيط بأسرته النّيجيرية وظروف عيشها هناك رغم كثافة نشاطه بالإقليم. إلاّ أن الوضع العائلي للشيخ المغيلي سواء في توات أو السّودان الغربي لا يزال يشوبه الغموض سواء بحياته الأسرية، أو بظروف عيشه. فالمعلومات والمصادر عن ذلك شحيحة، ويبدو من ذلك أن نضال الشّيخ الدّعوي والإصلاحي قد جلب تركيز المؤرخين والمترجمين سواء المعاصرين منهم أو اللاحقين.

أخذ الشّيخ المغيلي العلم عن جملة من المشائخ حسب ما أثبتته العديد من المصادر والتراجم التي وقفنا عندها، ومن هؤلاء المشائخ نجد:

عبد الكريم المغيلي؛ هو سيدي عبد الكريم بن محمّد المغيلي، والد الشّيخ المغيلي الذي هو محل الدّراسة اشتهر بالعلم والصّلاح. حفظ ابنه على يديه القرآن الكريم، وأخذ عليه مبادئ العربية من نحو وصرف وبيان، كما قرأ عليه -أيضا- موطأ الإمام مالك وكتاب ابن الحاجب الأصلي؛

أبو العباس الوغليسي؛ لم يذكر هذا الشّيخ أحد ممن ترجم للشيخ المغيلي ما عدا الباحث مبروك مقدم، فقد ذكر أن الشّيخ المغيلي تربى على يدّ أبي العباس الوغليسي؛

أحمد بن إبراهيم البجائي؛ هو الشّيخ أحمد بن إبراهيم البجائي إمام جليل، اشتهر بالتفسير والفقه، تتلّمذ له الشّيخ الثّعالبي، كما تتلّمذ عليه الشّيخ المغيلي عند سفره إلى بجاية، وأخذ عنه التفسير والفقه. توفى سنة 840هـ. ؛

محمّد التلمساني «ابن الإمام»؛ هو محمّد بن يحي -أو إبراهيم- بن عبد الرّحمن، التلمساني، المغربي، المالكي المعروف بابن الإمام؛ وهو بكنيته أشهر. عالم بالتفسير والفقه، توفى سنة 845هـ؛

منصور الزّواوي؛ هو منصور بن علي بن عثمان، أبو علي، الزّواوي، المنجلاتي. أحد كبار علماء وفقهاء بجاية، ونظراً لمكانته المرموقة التي حظي بها أصبح من أصحاب الرّأي والتدخل في الأحداث السّياسية، وأخذ عنه الشّيخ المغيلي العلم عند حلوله ببجاية، كما أخذ عنه -أيضاً- الشّيخ يحي السّرّاج والإمام الشّاطبي، له بعض الأشعار، توفى سنة 846هـ؛

محمّد بن أحمد المغيلي؛ هو أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عيسى المغيلي، الشّهير بالجلّاب، التلمساني قاضي الجماعة بها، أخذ عن أئمة وعنه أبو العباس الونشريسي والإمام السّنوسي الذي ختم عليه المدوّنة مرتين، له فتاوى نقلَ الونشريسي والمازوني بعضها، وأخذ عنه الشّيخ المغيلي بعض التفسير والقراءات ولقنه الفقه المالكي، ككتاب المدونة، الرّسالة، مختصر خليل، الفرائض من مختصر ابن الحاجب، وبعض كتب ابن يونس، توفى سنة 875هـ؛

عبد الرّحمن الثّعالبي؛ هو عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف، أبو زيد، الثّعالبي، المالكي. العارف بالله صاحب التصانيف المفيدة، المفسّر، الفقيه، الصّوفي، المتكلم، علامة الجزائر في زمنه. له عدة تآليف منها: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ورياض الصّالحين، وشرح ابن الحاجب الفرعي وغيرها، وُلد سنة 785هـ، وتوفى سنة: 875هـ. وقد أخذ منه الشّيخ المغيلي: التفسير، التصوف، والقراءات؛

الحسن أبركان؛ هو الشّيخ الحسن بن مخلوف بن مسعود، أبو علي، المزيلي، الرّاشدي، شُهر بأربكان، صاحب الكرامات الإمام العالم العلَم، الولي الصّالح، أخذ عنه أبو عبد الله التنسي والشّيخ علي التالوتي والسّنوسي، ولازمه هذا الأخير كثيراً وانتفع به، وأخذ عنه علم الفقه، أثنى عليه الشّيخ السّنوسي وأطال، توفى سنة 875هـ.

وهناك بعض المصادر التاريخية تؤكد على أن الشّيخ المغيلي جاء لتوات بإذن شيخه؛ الشّيخ أبركان لتعليم أهل توات السّنن والفرائض، وهذا ما يفيد أن الشّيخ أبركان من جملة مشائخ الشّيخ المغيلي؛

يحي بن يدير؛ هو أبو زكرياء يحي بن يدير بن عتيق التدلسي، الفقيه العالم، من كبار فقهاء المالكية، من أهل تدلس، تعلم بتلمسان. وولي القضاء بتوات. أخذ عن الإمام أبي العباس أحمد بن محمّد بن عبد الرّحمان الشّهير بابن زاغو التلمساني. توفى يوم الجمعة قبل الزّوال 10 صفر، سنة 877هـ؛

محمّد بن يوسف السّنوسي؛ هو أبو عبد الله محمّد بن يوسف السّنوسي التلمساني، العلاّمة المتكلم، العابد والزّاهد، أخذ عن أئمة منهم: الشّيخ عبد الرّحمان الثّعالبي، والشّيخ علي التالوتي، والشّيخ إبراهيم التازي وغيرهم. له عدة تآليف منها: العقيدة الكبرى وشرحها، والوسطى وشرحها، والصّغرى وشرحها، وشرح البخاري، وشرح أسماء الله الحسنى، توفي سنة 895ه.

من خلال تنقلات الشّيخ المغيلي من بلد إلى بلد داخل الجزائر وخارجها، فأنه كان يُدرِّس ويُفتي، ويُعلّم وينشر أفكاره هنا وهناك، ولكن ليس من اليسير حصر كل تلامذته، وإنما سنقف عد البعض منهم وَفق الآتي:

أبو العباس الونشريسي؛ هو أحمد بن يحي الونشريسي التلمساني ثم الفاسي، أخذ عن أبي الفضل العقباني وأبي عبد الله الجلاّب وابن مرزوق الكفيف وجماعة. صاحب كتاب المعيار الموسوعة الكبيرة في النّوازل، جمع فيها الكثير من فتاوى المتقدمين والمتأخرين، توفي سنة 914 هـ بمدينة فاس؛

محمّد بن عبد الجبار الفجيجي؛ كان فقيهاً عارفاً أديباً شاعراً ماجداً فاضلاً نزيهاً خيّراً، صاحب كرامات، مُحباً للفقراء، مُكثراً للصدقات، له عدة قصائد في مدح النّبي r، توفي سنة 956ه؛

عمر الشّيخ الكنتي: هو سيدي عمر بن محمّد بن علي الكنتي، أحد الأولياء المشهورين بالعلم والولاية، تواتر عنه أنه حفظ قبل بلوغه الأشدّ، ألّف مجلّدا في فنون العلم، وارتحل إلى المغرب قصد طلب العلم، ثم إلى الشّام ومصر، ثم إلى التكرور، وانتفع به خلق كثير، توفي سنة 959ه.

العاقب الأنصمني؛ القاضي ابن عبد الله المسوفي بن محمود بن عمر التنبكتي، من علماء أكدس «تكدة" بلدة قريبة من بلاد السّودان، أخذ العلم عن والده العالم محمود بن عمر أقيت، وعن الشّيخ المغيلي وجلال الدّين السّيوطي. كان الأنصمني حيّاً قريباً من الخمسين وتسعمائة 950ه، باعتبار أن المصادر لم تقف على تاريخ وفاته بالتحديد.

ولقد أثنى العديد من العلماء على شخصية الشّيخ المغيلي، وهذا ما يدل على عُلوّ قدره ومكانته العلمية الفذّة، وممّا قيل عنه نجد:

ما قاله جلال الدّين السّيوطي من ثناء في حق الشّيخ المغيلي من خلال المناظرة التي تمت بينهما حول المنطق حيث قال عنه في رسالته «مرّ النّسيم إلى ابن عبد الكريم»: » الشّيخ المحقق المدقق الآمر بالمعروف والنّاهي عن المنكر، تاج الدّين الدّي أبي الفضل محمّد بن عبد الكريم التلمساني، أدام الله لي وله التوفيق، وأذاقني وإيّاه حلاوة التحقيق «.

ثم قال مُعقّباً على النّظم الذي كتبه المغيلي يرد فيه عليه حين ذمّ المنطق والاشتغال به:

عجِبتُ لنظمٍ ما سمعتُ بمثله
أتاني عن حَبْرٍ أُقِـرُّ بِنُبلِه
سلامٌ على هذا الإمام فكم له
لديَّ ثناءٌ واعترافٌ بفضله

ومما خاطبه الإمام محمّد بن يوسف السّنوسي بقوله: » إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزّمان من فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، التي القيام بها لا سيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية، وعمارة القلب بالإيمان السّيد أبي عبد اللّه بن عبد الكريم المغيلي، حفظ اللّه حياته وبارك في دينه ودنياه وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسّعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه، بعد السّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته «؛

وقال عنه أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ): » خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصّالح السّني أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السّنة وبعض أعداء الدّين «.

قال عنه ابن مريم: » القدوة الصّالح الحبر، أحد أذكياء العالم، وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم «. ثم أضاف قائلاً: » كان رحمه الله مقداماً على الأمور جسوراً، جريء القلب، فصيح اللّسان، مُحبّاً في السّنّة، جدليّاً، نظّاراً، مُحقّقاً «؛

وقال عنه ابن عسكر (ت986هـ): »الشّيخ الفقيه الصّدر الأوحد، أبو عبد الله محمّد بن عبد الكريم المغيلي، كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء، وكان شديد الشّكيمة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر «؛

وقال عنه محمّد مخلوف: »خاتمة الأئمة المحققين والعلماء العاملين، مع البراعة والتفنن في العلوم والصّلاح والدين والمتين «؛

وقال عنه الشّيخ محمّد باي بلعالم: »خاتمة المحققين وقدوة النّاسكين الإمام العالم الهمام الكامل، المحتفل بذكراه الشّيخ سيدي محمّد بن عبد الكريم المغيلي «.

قال آدم عبد الله الألوري: » كان المغيلي -رحمه الله- وجيهاً عند أمراء السّودان وملوكها، وكان مقداماً على الأمور جسوراً«.

ويقول عنه -أيضا-: »وقد نسب علماؤنا هذا العصر إلى الشّيخ محمّد بن عبد الكريم التلمساني الذي استوطن مدينة (كنو) و(كاتشنة)، وتصدّر للتدريس بها مدة طويلة، وأخذ عنه أكابر علمائها لأنه هو العالم العربي الوحيد الذي سجل التاريخ آثاره في هذه البلاد...وآثاره كثيرة في ميادين عديدة واضحة ملموسة بكل صغير وكبير في الحكم والسّياسة والعلم والأدب «.

خلّف لنا الشّيخ المغيلي أزيد من سبعة وأربعين مؤلفاً، هي الآن بين مخطوط ومطبوع، وأن أغلب هذه النّسخ المخطوطة متواجدة في خزائن منطقة توات، وكذا بعض الخزائن والمكتبات الأفريقية، إضافة إلى أن معظم هذه المؤلفات لاتزال مخطوطة؛ منها ما هو متواجد في الخزائن ينتظر إخراجه إلى النّور عن طريق التحقيق والدراسة، ومنها ما هو مفقود لم نعرف عنه إلاّ العنوان فقط.

كما أن مؤلّفات الشّيخ المغيلي شملت علوما عديدة، لتعكس حقيقة براعته في علم التفسير والحديث والفقه واللغة والمنطق، إضافة إلى إبداعه الأدبي المتمثل في قصائد ومقطوعات نثرية التي عكست لنا عن حسّه الأدبي المفعم بالأحاسيس الجياشة.

وبخصوص مؤلفاته حسب الإحصائيات التي وقفنا عندها نجد الآتي:

– الإجابة عن سؤال حول قبائل في آخر الصّحراء لاتنالهم أحكام الأمراء يتخذهم اليهود أخلاء يلقبونهم بالغلائف؛
– أحكام أهل الذمة؛
– الأربعون المغيلية أو أربعون حديثا؛
– أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي؛
– إفهام الأنجال في أحكام الآجال؛
– إكليل مغني النّبيل؛
– إمناح الأحباب من منح الوهاب؛
– إيضاح السّبيل في بيوع آجال خليل؛
– البدر المنير في علوم التفسير؛
– التبيان في علم البيان؛
– تأليف في المنهيات؛
– تفسير تأويلي للسور الأولى من القرآن؛
– تفسير سورة الفاتحة؛
– تلخيص المفتاح؛
– تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين؛
– الدّالية في مدح النّبي r؛
– الدّالية في هجاء أنصار اليهود؛
– رسالة الاستخلاف؛
– رسالة في الرّد على المعتزلة؛
– رسالة سراج الأرواح؛
– رسالة في عمل اليوم والليلة؛
– رسالة فيما يجب على الأمير؛
– شرح التبيان في علم البيان؛
– شرح جمل الخونجي؛
– شرح خطبة مختصر خليل؛
– شرح المقدمة الوغليسية؛
– شرح النّفحة والمنح؛
– علوم السّنّة؛
– الفتح المبين في شرح الأربعين؛
– فتوى في نازلة يهود توات؛
– فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصّواب؛
– فهرسته ومروياته؛
– فيما يجوز للحكّام من ردع النّاس عن الحرام؛
– لب اللباب في رد الفكر إلى الصّواب؛
– ما يلغي الوضوء وسبل البيع؛
– مختصر تلخيص المفتاح؛
– مختصر في علم الفرائض؛
– مصباح الأرواح في أصول الفلاح؛
– مصباح الأرواح في ميزان؛
– مغني النّبيل في شرح مختصر خليل؛
– مفتاح الكنوز في شرح بيوع خليل؛
– مفتاح النّظر في علم الحديث؛
– المفروض في علم الفروض؛
– مقدمة في العربية؛
– مقدمة في المنطق؛
– مكتوب في شأن الحق؛
– مناظرة بين المغيلي والسّنوسي؛
– مراسلة بين المغيلي والسّيوطي؛
– منظومة منح الوهاب في رد الفكر إلى الصّواب؛
– الميمية في مدح الرّسول r؛
– نازلة فقهية؛
– النّظم الكامل في علم الميزان؛
– نوازل وفتاوى؛
– هدية المسترشدين؛
– هدية الأسرار بلسان الأنوار...تدور حول حياة النّاس بأفريقيا؛
– الوجيز الكافي للرَّجل الذكي؛
– وصية في أصول الاجتهاد القياسي.

وممـا ورد في بعض المصادر التي قدمت ترجمة له، هو أنه لمّا حضرته الموت وكان إلى جانبه الشّيخ سيدي عمر الكنتي (ت1826م)، جمع من ثَمَّ من النّاس من تلامذة وغيرهم، وأوصاهم بقوله: » من يريد منّي بركة أو نفعاً فليطلبها من سيدي عمر الشّيخ، فإنه احتوى على جميع ما عندي، فأكله كما يأكل الإنسان التمرة ويلقي النّواة «، عندها أوصى سيد عمر الشّيخ أن يتولى غسله وتجهيزه.

كما أن العديد من الدّارسين رجّح على أن تاريخ وفاته في غرة شهر رمضان سنة 909هـ، وضريحه متواجد إلى الآن بقصر زاوية الشّيخ - زاوية كنتة أدرار. كما أن من كراماته هو أن أحد اليهود الملاعين الحاقدين عليه، ذهب إلى قبره وتبوَّلَ عليه، فأصيب بالعمى.

رحمة الله عليه رحمة واسعة، وأسكنه المولى U الفردوس الأعلى، وحشره مع جده سيدنا محمّد r.

فاطمة برماتي

المصادر:

– الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، عبد القادر باجي، 1/ 103–127، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.

– المغيلي ابن عبد الكريم الإمام صاحب نازلة يهود توات حقائق ووثائق، أ.عبد الرحمان حمّادو الكُتبي، ص59، مؤسسة البلاغ، للنشر والدراسات والأبحاث، الجزائر، 2013م.

– وصف إفريقيا، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، 1/ 297، ترجمة: د.محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.

– تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، مادة (مغل)، 30/ 411، مجموعة من المحققين: دار الهداية، د.ت.

– فصل الخطاب في ردّ الفكر إلى الصواب، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص01، مخطوط، بخزانة الشيخ أمحمد كنتاوي، زاوية كنة، ولاية أدرار.

– الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي نبذة عن حياته ومآثره، الشيخ أمحمد الكنتي، ص4–5، المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، 1985م.

■ محمّد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري
(و: 1228ه - 1813م/ ت: 1283ه - 1866م)

محمّد بن عبد الله بن عبد المالك الخالدّي ولد في جبل (هلالة) (بالجزائر) سنة (1228هـ - 1813م).

ونشأ الفقيه والعالم المفسّر المضطلع بالحديث محمّد بن عبد الله الخالدي بجبل (هلالة) وبها قرأ القرآن على يدّ والده، وكان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً، تقيّاً فاضلاً، فلمّا حفظ القرآن وأتقنه مجوّداً، توجّه إلى بلدتي (مازونة) ثمّ (قسنطينة) وذلك بين سنتي ألف ومائتين واثنتين وأربعين (1242هـ) وألف ومائتين وخمس وأربعين (1245هـ)، حيث اشتغل بالعلوم الشّرعية، وحفظ متن الشّيخ (خليل) في مذهب الإمام (مالك) وقرأ بعض شروحه (بمازونة)، وطلب (بقسنطينة) العلوم التي ترام، وأخذ عن علمائها الأعلام، وفي سنة ألف ومائتين وست وأربعين (1246هـ) رجع إلى مسقط رأسه، واشتغل بنشر العلوم وفصل القضايا بين النّاس، كما كان ذلك دأب والده.

وفي سنة ألف ومائتين واثنتين وخمسين (1252هـ) توجّه إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحجّ الشّريف، وجاور في (المدينة المنورة) سنتين، ثمّ قدم إلى (مصر) (القاهرة) للمجاورة في جامعها الأزهر، فأخذ عن أكابر علمائها المحقّقين كشيخ الإسلام العلاّمة الشّيخ (إبراهيم الباجوري) والشّيخ (محمّد عليش المالكي)والشّيخ (السّقا) والشّيخ (المبلط) وغيرهم، وأخذ القراءة عرضا عن الفقيه (إسماعيل القسط)، وأجازه كل منهم بما حواه ثبت الشّيخ (محمّد الأمير) أو صحّت له روايته عن غيره إجازة عامّة، وفي عام ألف ومائتين وثمانية وستين (1268ه) قصد (دمشق) (الشّام) وجعلها له دار مقام، وعكف على التدريس في مدرسة دار الحديث، في المنقول والمعقول، وتصدّر للإفتاء، وفصل القضايا بين المهاجرين من المغاربة بأمر من (الأمير عبد القادر الجزائري) الّذي استقرّ (بدمشق) بعد مغادرته (بروسة بتركيا) التي استقرّ بها بعد مجيئه من منفاه بقصر (أمبواز بفرنسا)، وكان (محمّد بن عبد الله الخالدّي) مرافقا (للأمير عبد القادر)، وكان الخالدّي من قبل قد أخذ الطّريقة الخلوتية، وصاحب جملة من أهلها منهم الشّيخ (سيدي علي بن عيسى البكري الخلوتي) في بلاد (المغرب)، ولما توجّه إلى (مكّة) المشرّفة تلقّن الطّريقة السّنوسية الإدريسية على الشّيخ (محمّد السّنوسي)، وفي الدّيار (الشّامية) لازم الشّيخ (محمّد المبارك البكري الخلوتي) حتى توفّي، ثم اشتغل بالطّريقة الشّاذلية وصحب بعض أهلها (كالأمير عبد القادر الجزائري)، ولم يصده الاشتغال بالعلم الظّاهر عن المجاهدة في علم الله تعالى، قال (البيطار): "وكان لي معه حضور واجتماع، ومذاكرة وملاطفة وعشرة قويّة، ومحبّة كثيرة وتودّد غزير، وكان عابداً صالحاً تقيّاً فالحاً، مكبّاً على العلم والعمل، وكان مقيماً في مدرسة دار الحديث في العصرونية من (دمشق) المحمية، في الصّف الشّرقي من الطّبقة السّفلى، وكان كثير العزلة عن النّاس مقيماً على المجاهدة والإقبال على ما يعنيه، إلى أن خطبته المنية لدار نوال الأمنية، في أواخر جمادى الثّانية سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين في دمشق ودفن بها".

ويذكر الباحث (سهيل الخالدّي) في كتابه «الإشعاع المغربي في المشرق»، أن الشّيخ (محمّد بن عبد الله الخالدّي) قد هاجر إلى (دمشق) في هجرة الجزائريين الأولى، حيث قسّم هجرة الجزائريين إلى أربع موجات تبدأ أوّلها سنة (1847م) وآخرها سنة(1914م)، وفي هذه الموجة الأولى التي تميّزت بهجرة الشّيخ (الخالدّي) إضافة إلى (أحمد بن سالم خليفة الأمير) وشيخ الطّريقة الرّحمانية (محمّد المهدي السّكلاوي) و(المبارك الطّيب).

وقد كان للشّيخ الخالدّي دور في الحياة الثّقافية (بسوريا) خاصّة في حقل التعليم، إذ برز الكثير من الجزائريّين وخاصّة من عائلة الأمير وأتباعه في هذا المجال، درسوا ودرّسوا وأسهموا في إنشاء المدارس وتخرّج منها وعلى أيديهم العديد من العلماء وكبار المفكّرين الشّاميّن، ومن بين هذه الشّخصيات الهامّة في هذا الحقل رفقة الشّيخ الخالدّي نجد كلاّ من (الأمير أحمد بن محي الدّين) و(الأمير محمّد بن عبد القادر) و(أحمد بن محمّد التلمساني) و(أحمد الغريسي الجزائري) و(محمّد المبارك) و(أبو يعلى الزّواوي)و(أحمد جودت الهاشمي) و(أحمد زروق وصالح السّمعوني)، كما كان للشّيخ محمّد الخالدّي الفضل في بناء مدرسة والمسجد الجزائري في بلدة (تليل الحسينية) (بفلسطين) وذلك قبيل وفاة (الأمير عبد القادر)، والتي كانت تسكنها جالية جزائرية محافظة على التواصل مع بقية الجزائريين في (الشّام)، لا سيما مع (الأمير عبد القادر الجزائري) وأبنائه والتنسيق معهم في عدد من القضايا، حيث كان

(موسى الحاج حسين الكْبِيرْ) أحد أعيانهم وأغنيائهم ومثقّفيهم، الوسيط بينهم وبين صديقه الأمير الجزائري الّذي كانوا يُكنُّون له احترامًا كبيرا ويُعوِّلون عليه كُلَّما تعرَّضوا إلى تحديات ومشاكل تفوق مواجهتُها قدراتِ القرية ورجالَها، وهي القرية التي بلغ عدد سكّانها، آنذاك، المئات، بل فاقوا الـ: (500) حسب وثائق بريطانية، وكانوا يُقيمون في عشرات المنازل.

روى الحروف عنه الفقيه (عبد الوهاب بن فليح)، ومن تلامذته أيضا السّيد (محيي الدّين باشا) و(الهاشمي) ابني (الأمير عبد القادر الحسني الجزائري)، فقرأ عليه (محيي الدّين باشا) فقه مالك، كما أخذ عنه العالم الصّوفي (أحمد بن محي الدّين الحسني الجزائري) شقيق (الأمير عبد القادر).

توفّي في أواخر جمادى الثّانية سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين (1283ه 1866-م) في (دمشق) (سوريا) ودفن بها.

نسيمة لوح

المصادر:

- حلية البشر في تاريخ القرن الثّالثّ عشر، عبد الرّزّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدّمشقي (المتوفى: 1335هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمّد بهجة البيطار -من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت، لبنان، ط:2، 1413 هـ 1993- م.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إعداد مجموعة من الأساتذة، تقديم: أ.د.محمّد الأمين بلغيث، إشراف: أ.رابح خدوسي، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر، ج1، الطّبعة2014م
- مُعجَمُ أعلام الجزائِر -مِن صَدر الإسلام حَتى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، ؤسسة نويهض الثّقافية للتأليف والترجمة والنّشر، بيروت، لبنان، ط:2،

■ محمّد بن عبد الله بن أيوب، أبو عبد الله، المعروف بالمنور التلمساني (ت: 1173ه - 1760م)

العلاّمة الأديب المحدث المسند الرّحّالة محمّد بن عبد الله بن أيوب، أبو عبد الله، المعروف بالمنور التلمساني، نسبة إلى مدينة (تلمسان). ولد بها ولم تورد كتب التراجم تاريخ مولده وبها نشأ.

نشأ المنور التلمساني في (تلمسان) منارة العلم والعلماء وبها تتلّمذ ونهل من علمائها، ومن شيوخه في (الجزائر) الشّيخ الفقيه (أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرّماصي) الّذي أخذ عنه الفقه، و(أبي علي الرّحال)، والشّيخ (سيدي امحمّد بن أبي زيان القندوسي) الّذي أخذ عنه الطّريقة الشّاذلية، رحل في طلب العلم، فأخذ عن كثير من علماء المشرق وأجازه آخرون فقد ذكر منهم (عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني) (أبا عبد الله محمّد المسناوي) وكان ذلك سنة (1133ه)، _وقد حصل (الكتاني) على معظم إجازات المنور_، كما أخذ الشّيخ المنور التلمساني عن (أبي العبّاس أحمد بن مبارك اللّمطي)، و(أحمد الحبيب الفيلالي) الّذي درس عليه الكبرى (للشيخ السّنوسي) و(أحمد المجيري الملوي) (ت1181ه) وكان ذلك سنة (1168ه) و(أبي عبد الله محمّد بن عبد الرّحمن بن زكري الفاسي) المجاز من (محمّد بن أبي السّعود الفاسي) و(أحمد بن العربي ابن الحاج) و(محمّد العربي بن أحمد بردلة) و(المسناوي) و(محمّد القسنطيني) وغيرهم.

ومن (أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد الحاج)، كما أجاز له هو (محمّد العربي بن أحمد بردلة) و(أبي عبد الله محمّد المسناوي) و(ميارة الحفيد) و(عبد السّلام جسوس) و(ابن زكري) و(ابن حمدون بناني) وغيرهم، ومن (محمّد بن محمّد بن حمدون بناني)، كما أجاز له هو (محمّد بن عبد القادر الفاسي) وولده (محمّد الطّيّب) ومن(حمّد الكمّاد) و(بردلة) و(التجموعتي) و(علي بركة) و(عبد السّلام القادري) و(محمّد بن أحمد الحريشي) وغيرهم.

ومن المعمر العلاّمة القاضي (محمّد العربي بن أحمد بردلة) ولعلّه أعلى شيوخه إسنادا لأنّه شارك (أبا سالم) في أشياخ رحلته الثّالثّة.

ومن العارف (أبي عبد الله محمّد الصّالح بن المعطي الشّرقاوي البجعدي) (ت1092ه) عامة، كما أجيز هو من (أبي علي اليوسي) و(أبي العبّاس ابن ناصر) و(أبي عيسى المهدي بن أحمد الفاسي)، وصافحه كما يروي المصافحة عن والده (محمّد المعطي) عن

(ابن سعيد المرغتي) عن (مولاي عبد الله بن علي) عن (المنور) بأسانيده، وشابكه كما شابكه (أبو العبّاس ابن ناصر) عن (أبي مهدي الثّعالبي) بأسانيده.

ومن (أبي الحسن علي بن أحمد الحريشي) عامّة، كما أجازه (أبو السّعود الفاسي) وغيره، ومن صاحب المنح (أبي عبد الله محمّد بن عبد الرّحمن الفاسي).

تولّى التدريس بالجامع الأزهر، فكان يدرّس (كبرى السّنوسي) و(أم البراهين) في رواق (المغاربة) وكان يجتمع عليه خلق كثير، وأخذ عنه أعلام منهم: الشّيخ (محمّد بن عبد الرّحمن الأزهري) منشئ الطّريقة الرّحمانية و(أحمد بن عمار) صاحب (الرّحلة) المشهورة و(لواء النّصر في فضلاء العصر) وأخذ عنه عهد الطريقة الشّاذلية وأورادها، و(عبد القادر المشرفي)، كما أخذ عنه (محمّد سعيد الزّواوي) صاحب زاوية (آقبو) وأجاز (لعلي بن محمّد الجزائري) المعروف (بابن الترجمان) (ت1185ه) والشّيخ (أحمد بن الحسن بن محمّد المعروف بالورشان الملقب بالمكودي) و(الحافظ مرتضى الزّبيدي) الّذي ذكره في(ألفية السّند) التي ألّفها عام(1198ه)، وقال عنه: "العالم الفاقد" للأشباه الجهبذ البارع في الفنون، عالم قطر المغرب الميمون:

لقيته بمصر لما وردا
أجازني ونلت منه المددا»

والأوصاف التي أطلقت على هذا الشّيخ تدلّ على باعه الطّويل في علم الحديث والسّند.

يقول (الدّكتور أبو القاسم سعد الله):» لعلّ هذا الإعجاب بالشّيخ المنور يعود إلى كونه من الّذين أجازوا (الزّبيدي) أيضا، وقد ترجم له الحافظ مرتضى في قصيدته التي ألّفها عام (1198 هـ) والتي اشتملت على ألف وخمسمائة(1500) بيت، شرحها ناظمها في نحو عشر(10) كراريس افتتحها بتبيان أنواع الحديث ونقله وأنواع الإجازة».

له مجموعة في إجازاته ومشايخه، ويؤكّد (الكتاني) أنّ علماء (الجزائر) في وقته كانوا يروون مرويات المنور التلمساني في الحديث، يقول (عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني): «نتصل به في جميع ما له من المرويات من طريق الحافظ مرتضى عنه، قال في ألفيته:

لقيته بمصر لما وردا
أجازني ونلت منه المددا

ونتصل به من طريق أهل الجزائر وذلك عن علامة القطر ومفخرته الشّمس (محمّد بن عبد الرّحمن الدّيسي البوسعادي الجزائري) والشّيخ (الحاج محمّد بن أبي القاسم الهاملي)، كلاهما عن عم الأخير (العارف أبي عبد الله محمّد بن أبي القاسم) صاحب ((زاوية الهامل)) عن شيخه العارف (أبي محمّد المختار بن عبد الرّحمن الجلالي) عن (أبي الحسن علي بن عمر الطّولكي) عن الشّيخ (أبي عبد الله محمّد بن عزوز البرجي) عن الشّيخ (سيدي عبد الرّحمن بن أحمد تارزي) عن الشّيخ سيدي (محمّد بن عبد الرّحمن الزّواوي) عن (محمّد بن عبد الله بن أيّوب) المترجم إجازة عامّة".

توفّي المنور(بمصر) في12شوّال سنة(1173هـ - 1760 م) أثناء عودته من الحجّ وبها دفن حسبما أورده (مرتضى الزّبيدي) في (تاج العروس)، وفي كتاب(تاريخ الجزائر الثّقافي) يذكر الدّكتور: (أبو القاسم سعد الله) أنّه توفّي عام (1172هـ).

نسيمة لوح

المصادر:

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تح: د.إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2/ / 1402ه1982-م.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إعداد مجموعة من الأساتذة، تقديم: أ.د.محمّد الأمين بلغيث، إشراف: أ.رابح خدوسي، منشورات الحضارة، بئرتوتة، الجزائر، ج1، الطّبعة2014 م.
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله (ت 1435 هـ)، الشّركة الوطنية للنّشر والتوزيع للنشر والتوزيع- الجزائر، 1981 م.
- الحياة الثّقافية بالجزائر جوانب من الحياة الثّقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن(10ه13-ه)، المهدي البوعبدلي، جمع وإعداد: عبد الرّحمن دويب، دار المعرفة الدّولية للنّشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

■ محمّد بن عبد الله بن عبد النّور أبو عبد الله النّدرومي (الصّنهاجيّ) (ت: 779ه - 1348م)

محمّد بن عبد الله بن عبد النّور أبو عبد الله النّدرومي التلمسانيّ ونسبه في صنهاجة وهي قبيلة تنسب حسب ابن خلدون إلى (صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن كيمتا بن سدر...بن حام).

من أعلام القرن الثّامن الهجري الموافق للقرن الرّابع عشر الميلادي، يجهل تاريخ ميلاده، أمّا وفاته فكانت سنة (779هـ / 1348م).

يذكر ابن خلدون أنّه كان مبرزا في الفقه على مذهب الإمام مالك، تفقّه على يدّ الأخوين (أبي يزيد عبد الرّحمان بن محمّد) (ت749هـ/ 1348م) وأبي موسى بن محمّد (757هـ/ 1396م)، ابني الإمام محمّد بن عبد الله التنسيّ البرشكيّ.

قام الفقيه القاضي أبو عبد الله محمّد بن عبد النّور النّدرومي بالتدريس في تونس أثناء مدّة سيطرة السّلطان (أبي الحسن المريني) على تونس سنة (748هـ/ 1347م)، وكان من تلامذته مدّة بقائه في تونس (العلاّمة عبد الرّحمان بن خلدون) وأخوه (يحي)، وأخذ عنه كذلك (محمّد بن مرزوق التلمساني) الشّهير بالخطيب والجد (ت 781ه/ 1379م) الّذي ذكره من جملة العلماء والفقهاء الّذين أخذ عنهم العلم، كما أخذ عنه الفقيه (محمّد ابن محمّد بن أحمد المقري التلمساني) (ت759هـ/ 1405م).

ورد في نفح الطّيب للمقرّي إشارة عن رحلته إلى المشرق ولقائه بجلال الدّين القزويني قاضي القضاة ومحدّث العراق (ت 750ه/ 1349م)، ولكن لا توجد تفاصيل لهذه الرّحلة، ولا توجد في المصادر إشارة إليها.

يذكر ابن خلدون قصّة تولّيه قضاء عسكر (أبي الحسن المريني) قائلا: « ولمّا فتح أبو الحسن تلمسان ورفع منزلة ابني الإمام واختصّهما بالشّورى، فكان يستكثر من العلماء ويعمّر بهم مجلسه، طلب منهما أن يختارا له من أصحابهما من ينطقه في فقهاء مجلسه، فأشارا عليه بابن عبد النّور هذا فأدناه وولاّه قضاء عسكره»، و قد أورد ابن مرزوق أنّ أبا الحسن المريني استعمله في الزّكوات ولسماع شكايات النّاس، وأُختُلِف في المدن التي تولّى فيها القضاء، فذُكِرت تلمسان وفاس وسبتة.

وقد أثنى عليه (ابن مرزوق) في ترجمته له فوصفه قائلا: «أنّه أفصح النّاس لسانا بالعربيّة والزّناتية.....وكان حسن الخلق وطيء الأكتاف ليّن الجانب، قريبا متواضعا متخلّقا، وكان مشاركا في العلوم وأعانه على ظهوره لسانه». وقال عنه يحيى بن خلدون أنّه من الفقهاء المدرّسين، وأهل الفتيا والدين المتين.

ظلّ أبو عبد الله محمّد بن عبد النّور النّدرومي ملازما لأبي الحسن متولّيا خطّة القضاء إلى أن توفي بتونس بالوباء (الطّاعون) سنة(749هـ/ 1348م)، ودفن بالزّلاج بتونس، وشهد (أبو الحسن المريني) جنازته والملأ من الخاصّة والعامّة.

نسيمة لوح

المصادر:

- نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب. أحمدبن المقرّي التلمسانيّ. تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت 1968م.
- التعريف بابن خلدون رحلته غربا وشرقا، عبد الرّحمان بن خلدون، عرض أصوله وعلّق حواشيه محمّد بن تاويت الطّنجي، صدر عن وزارة الثّقافة، الجزائر 2007م.
- نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج. أحمد بابا بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمّد التكروري التنبكتي السّوداني أبو العبّاس (ت136ه)، تقديم: د عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2/ 2000م.

■ محمد بن عرفة (و: 1345ه - 1926م/1377ه - 1958م)

شهيد الوطن البطل محمد بن عرفة من مواليد 1926 بدوار بلكفيف بلدية عين الذهب دائرة مرصد ولاية تبسة حاليا.

أبوه العربي بن عرفة وأمه تدعى بكاكرية عانس، ينحدر من أسرة جزائرية بسيطة تحترف مهنة الفلاحة وتربية الحيوانات بالطرق والوسائل التقليدية، في ظل هذه الظروف تربى الشّاب وترعرع في أحضان هذه الأسرة الكادحة مثل غيرها من الأسر الجزائرية الرّيفية التي عرفت عسر وظنك الحياة في ظل الاستعمار الاستيطاني البغيض الذي فرض على أبناء الوطن الشّرعيين العيش في ظلمات الجهل والفقر والجوع.

نتيجة لهذا الوضع لم يتمكن الشّاب من الالتحاق بمقاعد الدّراسة مثل البقية من أقرانه ولاحتى بكتاب القرية، وبتقدم سنه، يعي الأوضاع المزرية التي بدأ يعيشها أبناء وطنه، ولتجاوز هذه الوضعية التي كانت عليها حالة أسرته والتخفيف عنها على الأقل، سعى بكل جهده للبحث عن عمل يضمن له مدخولا لضمان العيش الكريم لأفراد أسرته ولو في حده الأدنى، هذا الوضع أيضا علّمه منذ الصّغر أن يعتمد على

نفسه في البحث عن سبل العيش ومواجهة ما يعترضه من الصّعوبات والتمرس على الشّدائد وتقلبات الدّهر.

في سعيه الدّؤوب من أجل توفير الحد الأدنى من ضرورات الحياة لأسرته أقدم الشّاب محمد بن عرفة في الأربعينيات على التطوع في الجيش الفرنسي وهو مازال لم يتخط بعد العقد الثاني من عمره، حيث قضى فترة التدريب الأولى بأرض الوطن ثم نقل بعدها إلى الوحدات العسكرية الفرنسية العاملة بأروبا، وهناك قضى فترة أخرى سمحت له على أية حال باكتشاف العالم الجديد وأطلع على كل مناهي الحياة التي لم يكن له عهد بها من قبل، كما مكنته من التعرف والاحتكاك بغيره من أبناء وطنه والذين أجبرتهم الظروف مثله على الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي، ومن خلالهم ازداد وعيا بحقائق البلاد وخطورة المرحلة التي تمر بها.

بقاؤه بأروبا لم يعمر طويلا ونقل ثانية إلى الهند الصّينية، حيث شارك ضمن وحدته في الحرب العدوانية التي قامت بها الجيوش الفرنسية الاستعمارية ضد الشّعب الفيتنامي الصّديق ولكنها منيت في الأخير بهزيمة ساحقة.

لقد كانت مشاركته في حروب الهند الصّينية فرصة ثمينة مكنته من اكتساب الخبرة في الميدان العسكري واتقان فنون الحرب بشقيها الحروب النّظامية وحرب العصابات، وفتحت المجال أمامه بعد أن برهن في الميدان على التدرج في سلم المسؤولية وتحصل على رتبة ضابط صف (رقيب) وهي رتبة لا يصلها من الجزائريين إلا القليل جدا ممن يظهر من الشّجاعة والبطولة الخارقة في ميادين القتال والاقدام، وانتهت الحرب العدوانية بالفيتنام بانهزام واندحار فرنسا الاستعمارية وعاد الرّقيب محمد بن عرفة مع غيره أكثر وعيا وادراكا بالوضع خاصة وأن الثورة التحريرية كانت قد انطلقت عبر ربوع الوطن وصارت انتصاراتها السّياسية والعسكرية حديث النّاس اليومي ومصدر فخرهم واعتزازهم.

وهو في مطلع عام 1956 أو قبله بقليل عاد الشّهيد محمد بن عرفة إلى أرض الوطن واستقر بالثكنة ضمن الوحدة العسكرية التي ينتمي إليها ومن حين الآخر يزور عائلته بدوار بلكفيف وهناك يستمع لأحاديث عن الثورة والثوار، فأعد نفسه للالتحاق بركب الثورة متى كان الوقت مناسبا للمشاركة في ملحمة التحرير الوطني، وبالفعل لم ينقض وقتا طويلا على ذلك حتى تم الاتصال به من طرف نظام جبهة التحرير الوطني، فوجد عنده الاستعداد الكامل للالتحاق بالثورة خاصة وأن الثورة كانت في حاجة ماسة لعناصر مثله.

تفيد كل الشّهادات التي تحصلنا عليها سواء من أفراد أسرته أو من أفراد آخرين ممن كانوا على علم بمجريات الأحداث بالمنطقة في: الفترة على أن الشّهيد محمد بن عرفة قد التحق بالثورة بصفة جندي في بداية شهر أفريل عام 1956 بمسقط رأسه، وهذا عقب زيارة سريعة لعائلته بالقرية إذ ركب سيارته الخاصة وصعد بها إلى نقطة ما في الجبل ثم أشعل فيها النّار، وانضم لجيش التحرير الوطني وهيكل مباشرة ضمن فوج كان ينشط بالناحية حيث استفاد اثر ذلك عناصره من خبرته ومعارفه الجيدة في الميدان العسكري والتنظيمي بالخصوص. وعن ذلك يقول المجاهد محمود قنز أنه تقابل أول مرة مع الشّهيد محمد بن عرفة في شهر جوان من عام ١٩٥٦، عقب معركة وادي هلال وكان ضمن فوج الجيش التحرير الوطني يقوده الشّهيد زروق الوردي وقد لاحظت عليه مباشرة في هذا اللقاء أنه واع ومثقف، كان يكتب ويتحدث الفرنسية بطلاقة (يحتمل أنه تعلمها أثناء وجوده في الجندية) كما كان يمتلك معارف جيدة في الميدان العسكري النّظري والتطبيقي -فضلا عن تواضعه ونشاطه الملحوظ وسط عناصر الفوج. في هذه الفترة كنت قد عينت ضمن مجموعة مسؤولة عن الثورة عبر منطقة شمال تبسة والتي كانت تعرف بمنطقة سدراتة والتي تمتد حدودها من التلاغمة حتى الحدود التونسية وشكلت لها قيادة جماعية متكونة من الاخوة: محمود قنز؛ عبد الله بلهوشات -عمار راجعي -الحاج علي.

وحدد مجال نشاط كل واحد على ناحية معينة، وقد طلب حينها أن ينظم إلى القوة التي كانت تحت مسؤوليتي، فوافقت على ذلك بعد أن علمت بتكوينه العسكري وخبرته الميدانية خاصة ونحن كنا في حاجة للعسكريين من أمثاله للاستفادة من خبرتهم وتجاربهم.

وبالفعل أسندت إليه بعد فترة من التحاقه بنا مسؤولية قيادة كتيبة لجيش التحرير الوطني قادها بعد ذلك في عدة معارك وعمليات ناجحة أثبت خلالها أنه أهلا للمسؤولية وقيادة الرّجال في الحالات الصّعبة وعلى هذه الوثيرة تابع نضاله وجهاده فاكتسب بذلك المزيد من الثقة والاحترام بين المجاهدين جنودا ومسؤولين على حد سواء.

في نهاية عام 1956 عرفت النّاحية تطورات سياسية وعسكرية كبيرة، شارك محمد بن عرفة بجهد في معظمها، معتبرا الأمر الذي جعل قيادة المنطقة تسند إليه مهمة قيادة النّاحية الأولى من المنطقة الخامسة التي كان يتولى قيادتها أنذاك المجاهد محمود قنز، وقد أولى الشّهيد عناية كبرى للنشاط العسكري والتنظيمي بالناحية، قوى بذلك من عضد الثورة ونشر رسالتها التحريرية وألحق بقوات العدو خسائر هامة في الأفراد والمعدّات، وهذا من. خلال المواجهات التي كان يقودها والتي كانت تقع غالبا كل الأمر الذي أهّله لأن يتبوأ مكانة أعلى في هرم قيادة الثورة على مستوى منطقته وهو ما سنلاحظه من خلال ما يأتي.

عرفت مختلف نواحي المنطقة الخامسة من الولاية الأولى - أوراس النّمامشة- بداية من مطلع عام ١٩٥٧ عمليات سياسية وعسكرية على غاية من الأهمية خاصة بعد أن تدعمت الثورة بأسلحة حديثة

ومتنوعة مما مكنها من القيام بعدة مواجهات عسكرية مع العدو وتحقيق

الانتصار عليه، رغم قوة عدده وعدته بالمقارنة بامكانية المجاهدين المتواضعة، وقد تحقق ذلك بفضل الشّجاعة وبعد نظر قيادة الثورة على مستوى المنطقة من خلال المجهود الكبير الذي بدلته القيادة في ميادين التدريب والتكوين ورفع القدرات القتالية لعناصر جيش التحرير الوطني وتمكينهم من أساليب القتال واستيعاب أساليب حرب العصابات التي سهر على تلقينها الشّهيد محمد بن عرفة لجنوده مع حرصه الدّائم على تطوير العمليات العسكرية حتى تستجيب لتطورات الحرب وتعقيداتها أن حاز الشّهيد على ثقة القيادة فعين عضوا بقيادة المنطقة الخامسة ابتداء من مطلع عام ١٩٥٧ كما يوضحه مسؤول المنطقة أنذاك المجاهد محمود قنز أطال الله في عمره حيث أنه اعتبارا لما أظهره الشّهيد من نضج فكري وقدرة على التنظيم والتعامل مع الوقائع والأحداث بحنكة وحكمة، فضلا. عن انضباطه وتفانيه في أداء الواجب ارتقى الشّهيد محمد بن عرفة في بداية عام ١٩٥٧ إلى عضوية قيادة المنطقة الخامسة من الولاية الأولى –أوراس النّمامشة والتي كانت قيادتها مشكلة على النّحو التالي:

– محمود قنز –المسؤول العام للمنظمة؛

– محمد بن عرفة عضو قيادة المنطقة عسكري؛

– سعد قسطل عضوا – عوايطية صالح عضوا – ابراهيم بلغيث عضوا.

وبتوليه هذا المنصب تعاظمت مسؤولياته وتشعبت في ظل اقدام العدو الأخر على تدعيم مراكزه بالجهة وانشاء عدد آخر في مناطق لم يكن متواجد بها من قبل بغرض فر الحصار على الثورة وشل قدراتها باستخدامه لأسلحة وأساليب جديدة في المعركة لم يكن للمجاهدين عهد بها من قبل وهو بهذه الصّفة قد شارك عمليا على رأس كتائب المجاهدين التي أشرف على إعدادها في عدة معارك كبرى وكمائن ناجحة عبر تراب المنطقة الخامسة مما اكسبه المزيد من الاحترام والتبجيل سواء على مستوى القيادة أو وسط المجاهدين، وقد واصل سيره على هذا النّهج إلى أن رزقه الله الشّهادة وسقط في ساحة الشّرف بعد عام واحد فقط على التحاقه بالثورة. وذلكم ما سنتطرق إليه فيما يلي من خلال شهادات بعض المجاهدين الذين حضروا الواقعة وهم:

– المجاهد محمود قنز المجاهد عبد الواحد بوجابر؛

– المجاهد بن حمزة أحمد.

– المجاهد عوايطية مولي يقول هؤولاء ما يلي:

في شهر أفريل عام 1957 تجمعت قوة من المجاهدين بجبل بوشبعة القريب من جبل بوخظرة بدائرة مرصد حاليا بحضور قيادة المنطقة بكاملها وذلك لدراسة قضايا نظامية خاصة بالمنطقة ودام الاجتماع نحو يومين وبعد ذلك تحركت القوة التي بلغ عددها نحو 350 مجاهدا نحو جبل السّطح ديرة ولما وصلت للجبل تمركزت بوادي المهري، كما تمركزت قوة أخرى كان على رأسها عضو المنطقة محمد بن عرفة في نقطة قريبة من الأولى، وبينما هم بمواقعهم إذا بهم يكتشفون تحركات مريبة للعدو على مستوى النّقاط المحيطة بالجبل وبعد التمعن في تحركها تبين أن الجبل المتواجدين به ربما يكون هو المقصود بالعملية، ولمواجهة الموقف المستجد قامت القيادة بدراسة الوضع بسرعة وقد خلصت في الأخير إلى القيام بالاجراء التالي:

– القيام وعلى وجه السّرعة بتوزيع المجاهدين على عدة مجموعات

– احتلال النّقاط المميزة بالجبل ونصب القطع الجماعية في الرّوابي والمرتفعات قبل أن يتطور الوضع

– الرصد الجيد لكل الطّرق والسبل التي يتحرك عبرها العدو لكن الاحداث تسارعت واتجهت بسرعة الاصطدام

– تأكد للقيادة منذ لحظة اكتشاف العدو بالجهة بأن الوضع ينبئ باقدام المنطقة على تطورات لا يعلم مجراها إلا الله.

وبالفعل بدأ العدو منذ الصّباح الباكر في قصف منطقة العمليات بواسطة مدفعية الميدان ألقى خلالها بعدة أطنان من القذائف والحمم الرّهيبة دامت نحو عشرون دقيقة وبعدها أقدمت عدة طائرات حربية حيث ألقت هي الأخرى بأطنان من القنابل على مختلف نقاط الجبل التي كان العدو يعتقد بتواجد المجاهدين بها لكن القنبلة الجوية المكثفة قد اربكتها نيران أسلحة المجاهدين ولم تسمح لها بتحقيق ماكانت تصبوا إليه، وأخرت تقدم القوات البرية بعض الشّيئ.

لكن بعد زوال ذلك اليوم المشهود تطور الوضع والتحم الجيشان في قتال شديد ورهيب شمل أطراف وعمق الجبل واستمر القتال على أشده إلى غاية حلول ظلام الليل، فاختلط الأمر على الطّرفين وتفرق الجنود عبر الجبل وعند إطرافه، كما تمكن البعض من الانسحاب من الميدان بالطريقة التي كانت متاحة.

في حين أعطى المسؤول العسكري للمنطقة محمد بن عرفة أمرا لجنوده بالانسحاب نحو جبل بلكفيف الغير بعيد عن الجبل الأول من النّاحية الغربية وهذا لأسباب منها:

– انتشار القوة وتوزيعها عبر النّاحية حتى لا تتعرض لضربات العدو.

– لتزويد المجاهدين بكمية من الذخيرة التي كان قد خبأها هناك لوقت الحاجة.

لكن الحظ كان ضده، بحيث لما شرعت القوة في تنفيذ خطة الانسحاب الموضوعة سلفا حتى تفطن العدو لها وحاول الايقاع بها لكن يقظة الشّهيد محمد بن عرفة وبراعته أفشلت خطة العدو وخرج من الكمين بسلام وواصل تحركه نحو جبل بلكفيف الذي يمتاز بغطاء نباتي جيد وبموانع طبيعية وتمركز بجنوده في نطاق مميزة داخل الجبل.

العدو يطور عملياته باتجاه جبل بلكفيف بعد وصول المجاهدين للجبل أعطى القائد محمد بن عرفة أمر بناء على تجاربه السّابقة باحتلال النّقاط المميزة بالجبل استعدادا لأي تطورات محتملة لكن العدو كان قد رصد تحركات المجاهدين ومواقع تمركزهم ولأجل ذلك جهز قوات برية ضخمة تساندها وتدعمها أسراب من الطّائرات الحربية ذات الأحجام والمهام المتعددة وكتائب من الدّبابات والعربات المجنزرة، ثم أقدم في مطلع اليوم الثاني

بهجوم شرس على جبل بلكفيف استخدم خلالها جميع قواته البرية والجوية من أجل الحاق الهزيمة بالمجاهدين الذين واجهوا الموقف رغم ضعف عددهم وعدتهم بحزم وقوة واستماتوا في الدّفاع عن مواقعهم رغم تفوق العدو عليهم حينئذ شرع في توسيع نطاق الحصار الذي ضربه حول كل المنافذ المؤدية إلى الجبل، وهو الأمر الذي أدى إلى زعزعت المجاهدين وتصدع خطتهم وبالتالي قلل من فاعلية نيرانهم، فأجبروا عندئذ باعادة انتشارهم والاحتماء بالموانع الطّبيعية التي يتوفر عليها الجبل كالصخور والكهوف...الخ.

لكن الوضع قد انقلب بسبب كثرة نيران العدو الجوية والبرية التي سلطها على مواقع المجاهدين مما أوقع في صفوفهم خسائر هامة، استشهد فيها عدد من المجاهدين كان على رأسهم البطل المجاهد محمد بن عرفة في منتصف نهار اليوم الثاني للمعركة ويرجح أنه استشهد بفعل القنبلة الجوية الرّهيبة التي عرفها جبل بلكفيف في هذا اليوم وهذا بعد أن أبلى البلاء الحسن في مقارعة العدو وأظهر من الشّجاعة والاقدام مالا يمكن وصفه في مثل هذه المواقف. وباستشهاده فقدت الثورة بالمنطقة واحد من الرّجال الذين يتوفرون على مؤهلات تجعلهم يرتقون إلى مصاف العلماء.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- الزبير بوشلاغم، مجلة أول نوفمبر العدد 166، 2001.

■ محمّد بن علي السّنوسي
(و: 1202ه - 1787م/ت: 1276ه - 1859م)

محمّد بن علي السّنوسي بن العربي المعروف بالسنوسي الكبير ولد بالجزائر في 21 ديسمبر 1787

بضاحية وادى مينا بمنداس الواقعة على ضفة وادي شِلْف التابعة في الوقت الحالي لبلدة مستغانم نشأ يتيم الوالدين، حيث توفي والده وعمره سنتان وأعقبته والدته بقليل وتركاه صغيراً فتولت كفالته عمته فاطمة الزّهراء بنت السّنوسي بن العربي التي كانت وجيهة في قومها لها سمعة طيبة ونسب شريف، وقد كانت معلمة ومرشدة دينية مما أنبته نباتا دينيا حسنا ونظرا لسمعتها وخدمتها لكتاب الله فقد كان طلاب العلم يرحلون إليها للأخذ عنها.

تولت عمته فاطمة تربيته وتنشئته تنشئة صالحة، وكانت من فضليات أهل زمانها، ومتبحرة في العلوم ومنقطعة للتدريس والوعظ، يحضر دروسها ومواعظها الرّجال.

واهتمت السّيدة فاطمة بابن أخيها الذي أظهر حباً عظيماً لتحصيل العلوم، فأخذ يطلب العلوم من شيوخ مستغانم، وغيرها من البلاد المجاورة لها، مع تعهد عمته له، ومن أشهر شيوخه في تلك المرحلة، ممن أخذ عنهم القرآن الكريم مع القراءات السّبع: محمّد بن قعمش الطّهراوي زوج عمته، وابنه عبد القادر؛ وكانا عالمين جليلين صالحين، وابن عمه الشّيخ محمّد السّنوسي الذي تولاه بعد وفاة عمته بالطاعون عام (1209 هـ) وعمره لم يتجاوز السّابعة، وأتم على ابن عمه حفظ القرآن الكريم برواياته السّبع مع علم رسم الخط للمصحف والضبط وقرأ عليه الرّسالات الآتية: مورد الظّمآن، المصباح، العقيلية، النّدى، الجزرية، الهداية المرضية في القراءة المكية، حرز الأماني للشاطبي، وغيرها مما هو من وظائف قارئ القرآن.

ونعت بالسنوسي نسبة إلى جبل أسنوس الكائن ضواحي مدينة تلمسان، والذي كان يقطنه فخد من قبيلة بربرية يقال لها كومية، وقد أطلق على هذا الفخد المقيم بالجبل بني اسنوس، فهو ينحدر منهم وينتسب إليهم.

فهو زعيم الحركة السّنوسية، ومؤسس الطّريقة السّنوسية، والأسرة المالكة السّابقة في ليبيا، شيخ الشّيوخ، وقد كان يعرف بالسنوسي الكبير، ونسبه الكامل هو بن العربي الأطرش ابن محمّد بن عبد القادر بن أحمد شهيدة بن محمّد شائب الذراع بن يوسف أبو ذهيبة ابن عبد الله بن خطّاب بن علي أبو العسل بن يحي بن راشد بن أحمد المُرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرّحمن بن يوسف بن زيّان بن زين العابدين بن يوسف بن الحسن بن إدريس بن عبد الله بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داوود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس الأزهر (الأصغر) أمير المسلمين وباني مدينة فاس بن الإمام إدريس الأكبر أول ملوك الأشراف الأدارسة بالمغرب بن عبد الله الكامل بن الحسن المُثنّى بن الإمام الحسن السّبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

بدأ طلب العلم على يد علماء مستغانم، ثم رحل إلى فاس والتحق بجامع القرويين، وحصل على المشيخة الكبرى، وعين مدرسا بالجامع الكبير بفاس ودرس فيها الطّرائق القادرية والناصرية والحبيبية والشاذلية والجازولية، ولكن دعوته إلى جمع المسلمين أقلقت حكومة السّلطان (الوالي العثماني)، فرحل أواخر عام 1829 إلى عين ماضي، حيث درس بها التيجانية، ثم إلى الأغواط.

بعد احتلال فرنسا للجزائر قرر السّفر شرقا ليطلع على أحوال العالم الإسلامي ويحج بيت الله، فزار قابس وطرابلس وبنغازي، ثم بلغ مصر عام 1834 ودرس بالأزهر، فلم يجد فيها الأمل الذي كان يرجوه لما وجد عليه

شيوخ الأزهر وعلاقتهم بالسلطة، فغادر إلى مكة المكرمة، حيث التقى بالشيخ أحمد بن إدريس الفاسي الذي كان رئيسا «للخضيرية» فاجتمع به ولازم دروسه حتى ارتحل معه إلى صبيا فسار معه وأقام بها حتى توفي ابن إدريس سنة 1835.

وللشيخ محمّد علي السّنوسي ولدان محمّد المهدي ومحمّد الشّريف، وكانت خطط السّنوسي للإصلاح تنطلق من الأساس التالي «ليست هناك حدود تقسم العالم الإسلامي، فالحركة الإصلاحية يلزم أن تكون شاملة لكل أقطاره أو أكثرها بدقة، فالإسلام دين ودولة، عبادة وعمل، ولذلك يلزم بنشر الإسلام، وبخاصة بين اللادينيين قبل أن يسبقه التبشير المسيحي، والعودة إلى يسر الدّين الإسلامي، بالاعتماد على الكتاب والسنة، والانتفاع بالمذاهب المختلفة، فيما يناسب المسلمين وييسر حياتهم، وقد اتبع وأتباعه المذهب المالكي بشكل أساسي، كما اهتموا بمعالجة الجهل بالتعاليم الإسلامية، وتصحيح بعض الممارسات الخاطئة للإسلام، كالزهد والخمول والاستجداء التي انطبعت به الطّرق الصّوفية التي لا علاقة لها بالإسلام.

مخططه المنهجي كان إنشاء الزّوايا، كمراكز دينية وثقافية واجتماعية وعسكرية، والزاوية مركز ديني وثقافي واجتماعي وعسكري تنشأ في مكان حصين، بمفارق الطّرق للتواصل والصلة بالزوايا الأخرى.

وتدعو إلى إتقان الرّماية. وهناك جماعة صغيرة يسمون (الخواص) وهم الذين بلغوا درجة عالية في العلم والمعرفة، وهم أشبه بمجلس يشرف على إدارة الزّوايا كلها.

فكان يرسل أحد أتباعه إلى جهة ما، أو يطلب سكان الجهة منه أن يرسل لهم أحد أتباعه لنفس الغرض، وتؤسس الزّاوية في الجهة، وتنشأ الزّوايا في مكان حصين، على جبل أو نحوه لتكون أشبه بالقلعة إذا احتاج الأمر للدفاع عنها، ويختار مكانها في مفارق الطّرق حتى تكون على صلة بالزوايا الأخرى، ولتكوّن معها شبكة ضخمة، ويقوم على الزّاوية (مقدم) هو شيخها والقائم عليها، وهو يتولى أمور القبيلة أو النّاحية، وله وكيل يتولى (الدخل والخرج)، وينظر في زراعة الأراضي، وجميع الشّئون الاقتصادية

ولكل منها شيخ يقيم الصّلاة، ويعلم الأولاد، ويباشر عقود النّكاح، والصلاة على الجنائز، وتشجع السّنوسية الإخوان على الزّراعة والتجارة، وتدعو إلى إتقان الرّماية، وهناك «الخواص» وهم النّخبة في العلم والمعرفة، يشكلون مجلسًا يشرف على إدارة الزّوايا كلها، وكان مركز دعوته في الجبل الأخضر، وأقام فيه زاوية بالبيضاء وسميت «جامعة محمّد بن علي السّنوسي الإسلامية»، ثم انتقلت إلى واحة الجغبوب وانتشرت الزّوايا في نواحي برقة وطرابلس.

بعد وفاة الشّيخ أحمد الإدريسي استقلَّ الشّيخ السّنوسي بالدعوة إلى حركته التي ركّز فيها على العلم والعمل، وأخرج مؤسسة الزّاوية من سلبيتها إلى الإيجابية، ولم تعُد الزّاوية تعتمد على غيرها، وإنما أصبحت هي التي تعطي لمن هو في حاجة من المسلمين حتى وغير المسلمين، وقد كانت تمنع التسوُّل على المنتسبين إليها. وصارت الزّوايا السّنوسية في ليبيا خاصة معاهدَ للعلم، وحقولا للزراعة، ومعاملَ للحِرف والصناعات، وميادينَ للتدريب على الفروسية والجهاد ضد الأوروبيين الذين بدأوا مخططهم الإحتلالي للعالم الإسلامي.

وقد كانت الحركة السّنوسية شوكة في حلوق المنصِّرين. ولهذا تكالبت عليها كل من انجلترا وفرنسا وإيطاليا. ومن أهمِّ أعمال السّنوسيين في الجزائر قتلهم الجاسوس الفرنسي المجرم والمترَهْبن شارل دوفوكو في 1919.

ومن أهم المبادئ والأهداف التي كان يرمي إليها:

- ليست هناك حدود تقسم العالم الإسلامي، فالحركة الإصلاحية يلزم أن تكون شاملة لكل أقطاره أو أكثرها بدقة؛
- الحركات الإصلاحية يلزم أن تكون سياسية وفكرية في نفس الوقت، أما إصلاح جانب دون الآخر فذلك نقص في الحركة، فالإسلام دين ودولة، عبادة وعمل؛
- ومادام العالم الإسلامي يواجه حركة التبشير المسيحية، ولذلك يلزم أن تعنى الحركة الإصلاحية بنشر الإسلام وبخاصة بين اللادينيين قبل أن تسبقه المسيحية في هذا الميدان؛
- العودة إلى يسر الدّين الإسلامي، والاعتماد الكتاب والسنة، والانتفاع بالمذاهب المختلفة، بما يناسب المسلمين وييسر حياتهم، وقد اتبع السّنوسي وأتباعه المذهب المالكي بشكل أساسي، كما اهتموا بمعالجة الجهل بالتعاليم الإسلامية، وتصحيح بعض الممارسات الخاطئة للإسلام؛
- الزّهد والخمول والاستجداء الذي كان طابع أغلب الطّرق الصّوفية.
- واصل مساره نشطا فعالا حتى وافته المنية بالجغبوب بليبيا في 07/ 09/ 1859، عن عمر ناهز 72 سنة، وخلفه ابنه محمّد المهدي.

باديس فوغالي

المصادر:

- محمّد بن علي السّنوسي/ ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
- محمّد الهادي الحسني / محمّد بن علي السّنوسي. يومية الشّروق. العدد 1864.05/ 08/ 2021.
- سيرة الإمام محمّد بن علي السّنوسي. نشأته ونبوغه المبكر. موقع علي الصّليبي.

■ محمّد بن علي المجاجي
(و: 945ه - 1539م/ت: 1008ه - 1599م)

محمّد بن علي المجاجي أو كما يعرف سيدي امحمّد بن علي أبهلول المجاجي من مشاهير الصّلحاء والشعراء في الجزائر إبّان القرن 16م و17م ولد عام هجري ونال حظوة عند العثمانيين بفضل مواقفه ضد الإسبان الغزاة للساحل الجزائري

يرجع أصل سيدي امحمّد بن علي إلى شرفاء الأندلس وغرناطة بالتحديد.

وأجداده هم الفارين من بلاد الأدارسة إتجاه الأندلس في عهد فتنتهم مع العمال الفاطميين وكانت لهم إمارة بالأندلس تسمى إمارة بني حمود الأدارسة ولبثوا فيها لغاية سقوط الأندلس وهاجروا اتجاه ساحل المغرب الأوسط. واستقرت عائلته بمجاجة بالقرب من مدينة الشّلف الحالية وإقترنت جغرافية المجاجي باسمه.

ككل رجل عالم زاهد تقي وورع كان سيدي امحمّد بن علي في غاية الجود والكرم وكان بيته مزارا لعابري السّبيل والمجاهدين وبابه مفتوحا للجميع دون سواء مما خلد العديد من القصص عتد ضيوفه الذين انبهروا لإيثاره.وأبرز شهادة التي تنبهر من الشّيخ هي شهادة الشّريف أبو الحسن الذي كان قاصد ثغر تنس مع عسكره البالغ عددهم 300 ولقاهم الشّيخ بالعسل والثريد والسمن واللحم بعد قسمهم لـ 24 جلسة بزغ علم الشّيخ أمحمّد بن علي وذاع صيته في الآفاق فبرع في الشّعر والنحو والعلوم الشّرعية إضافة للزهد والورع والتقوى وبذلك ملك قلوب النّاس وإعتقدوا فيه الصّلاح وكانت الرّحال تشد إليه لقدرته على تفسير الحديث والتدريس والإفتاء بشهادة تلميذه السعيد قدورة وله العديد من الأشعار على شكل فتوة رد بها على سؤال على هيئة شعر نظمها سيدي الحاج المطماطي.

كانت مازونة عاصمة بايلك الغرب الجزائري تحت حكم رجل متسلط إسمه الباي الصّواق الذي أراد أن يتزوج زوجة أبيه مما أثار سخط سيدي امحمّد بن علي الذي أعلن عداءه مباشرة في حين ان جل علماء العصر إما خافوا أو إستتروا نظرا لسطوة الباي الصّواق الذي لم يتجرع رد الشّيخ فدبر له مكيدة وقتله غيلة وغدرا بسيف أحد الشّيوخ الذي لم يكن يعلم ما يجري لكي يبعد الباي الصّواق التهم عن نفسه.

رثاء الشّيوخ فيه

نظرا للمكانة التي حظيي بها الشّيخ في أوساط الخاصة والعوام لم تمر حادثة قتله هباءً فبكاه النّاس ورثوه في العديد من الأشعار على غرار تلميذه السعيد قدورة:

مصاب جسيم كاد يصمني مقاتلي
ورزء عظيم قاطع للمفاصل.
ألمت دواهي أذهلت كل ذي حجى
وأي امرئ من مذهل غير ذاهل
فلم أر خطبا كافتقاد أحبة
ثووا في الثّرى ما بين صم الجنادل
ونحن نسام غافلون عن الذي
يراد بنا فويح نومان غافل
فهمنا بدنيا قد حلت وهي جيفة
و كل امرئ يلهو بها غير مقابل
فكم ذا أنا م أتخذ زاد رحلة
كأني من دنياي لست براحل
و مالي لم أعلم بما قد علمته
فيا أسفا من عالم غير عامل
أضيع فيما لا يدوم سروره
حياتي كأن العيش ليس بزائل
فما زهرة الدّنيا وزخرفها الذي
له هادم اللذات أسرع نازل
وأي سرور للذي ضاع عمره
وأنفقه في كل لهو وباطل
أنوح على نفسي وفقد أحبتي
فقد هاج قلبي ذكر فقد الأفاضل
ولم لا أهل العلم بانوا وأقفرت
ديارهم بعد اعتمار المنازل
كأن قد نای عنا قتيلا فأصبحت
عليه عيون ندمعها مثل وابل
لقد فقئت عين المكارم فانزعج
لإطفاء نور وقت فقد القنادل
تبدد شمل الدّين وانهد ركنه
لبدر فقدنا في لخلائق كامل
فقدنا إماما ما له في خصاله
نظيره ولا في عصره من معادل
على علم الأعلام غرة عصره
حزنت وما حزني عليه بزائل
بحق لوفد العلم أن يشهروا الأسى
لنجم هوى من أنجم الأرض أفل
خليلي ما أولى الأحبة بعده
بقيض نفوس من بكاء ثواكل
فأين الذي قد كان ركنا لشدة
وأين الذي قد صار قصدا لنائل
فأف لدهره جار فيه تطاولت
على العلماء الجهال أي تطاول
أرى الغرب يقضي أمره بعده أسى
تآمر أو باش ونهب أرذال
وتخفق في ناديه راية فتنة
تلم بمفضول وتزري بفاضل
فإني به شيخ الشّيوخ محمّدا
أبهلولا الباهي أجل البهائل
توفي شهيدا في تحنثه الذي
ينال في الخلد أفضل نائل
إمام إذا ما جئته تجدنه
لدى الدّرس بحر العلم من غير المسائل
فما جئته في الدّرس إلا وجدته
من العلماء العالمين الأوئل
له طيب أخلاق وحسن سياسة
وهو المداري كل قاس وجاهل
فن للأسارى والأرامل في الظما
ومن للبريا يوم صولة صائل
ومن لفنون العلم نحوا ومنظما نحو
منطلقا
وفقها وتوحيدا وفتوى لسائل
لمنزله كانت تشدر رحالنا
فمن راكب يسعى إليه وراجل
ومن قاصد يبغي انكشاف ملمة
ومن وافد يرجوا التماس نوافل
ففي طلعة الرّحمان لومة لائم
ولم يختش في الحق قتله قاتل
أمستجلب الخسران والطرد والرّدى

وأقوى البلايا عاجلا غير آفل
ومن قد تعدى طوره سفها ومن
له زين الشّيطان قبح الفعائل
أحقا قتلت الألمعي تعمدا
على قول حق لا على قول باطل
أحقا دم الشّيخ المصون سفكته
إلى أن سقيت الأرض منه بهاطل
أحقا صدور المؤمنين جرحتها
وفي فرح خلفت أهل الأباطل
جنيت على الإسلام أي جناية
وما الله عما قد فعلت بغافل
قتلت امرأ من شأنه العلم والتقى
فيا خير مقتول ويا شر قاتل
سنقتل كالحجاج سبعين قتلة
لأنك لم تترك له من مماثل
عدوت على الضّر غام يا كلب خدعة
ولم يك قسط كفؤا لنائل
عذابك في الدّنيا لقتل وروعة
وهيهات تنجو لا نجاة لقاتل
وراءك كم من ثائر عن دم الذي
على ثأره جميع القبائل
فمالك يوم العرض إلا جهنم
تقاد غليها صاغرا بالسلاسل
وإن عشت في الدّنيا حقيرا ففي غد
تخلد في النّيران أسفل سافل
أعزي بينه والسري أبا علي
على قدر ماض من الله نازل
فيا أوليائي سلموا الأمر واصبروا
عليه وكفوا من دموع هواطل
فيا أوليائي سلموا الأمر واصبروا
عليه وكفوا من دموع هواطل
وأبقاك للإسلام كهنا أبا علي
مصونا عن الأعدا وجمع العواذل
وقد صار روح الشّيخ في جنة العلا
وأسكنه في الخلد أعلى المنازل
عليه من الرّحمان أوسع رحمة
وأزكى سلام في الضّحى والأصائل

خلّدت ملحمة الشّيخ سيدي امحمّد بن علي بتراث علمي جسّد في زاوية علميّة قصدها طلبة العلم من كل البلاد. وأشهر من تتلمذ بها سيدي امحمّد بن عودة وسعيد قدورة.

توفي عام 1008 هجري ويوجد قبره حاليا ببلدية تحمل إسمه سيدي امحمّد بن علي رنو سابقا ولاية غليزان.

هند موساوي

■ محمّد بن عمار فرجاني
(و: 1343ه - 1925م/ت: 1435ه - 2014م)

السّيد محمّد بن عمار فرجاني والسّيدة لالة التنيلاني من مواليد سنة 1925م، بمدينة أولف، أين درس في الكتاب القرءاني (أقربيش) على يدّ الشّيخ الحاج محمّد باشيخ بعمنات. تعلم المبادئ الفقهية الأولى على يدّ شيوخ المنطقة، كما استفاد من العلماء الذين كانوا يغشون دار والده ويقيمون فيها الدّروس كحال العلامة محمّد عبد القادر بلعالم.

اشتغل محمّد بن عمار فرجاني منذ نعومة أظافره بالتجارة التي كان يمارسها والده، فأخذ عنه فنونها، فأتقنها منذ الصّغر مما حفزه على السّفر إلى بلاد السّودان الغربي (النّيجر ومالي) منذ الخمسينات من القرن الماضي وظل يتردد بين الجزائر ومالي والنّيجر حيث كون مشايع تجارية ضخمة، جعلته يصنف المستثمر الأول في النّيجر في قطاع التجارة والسّيارات والمحروقات.

وقد استفاد من العمل معه العديد من أبناء منطقته حيث يعود الفضل له في مساعدة الكثير منهم لأن أصبحوا من كبار التجار جراء عملهم معه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

شارك محمّد بن عمار فرجاني مع إخوانه التجار الجزائريين في النّيجر – من أمثال عبد القادر دحاج والحاج محمود تفريج وغيرهم- في دعم الثّورة بماله، كما تعرض للاعتقال بأولف مع والده، وتم سجنهما نظير اكتشاف مساعدتهما للثورة.

يعتبر محمّد بن عمار فرجاني، بالإضافة إلى كونه رجل أعمال، رجل خير وبر وإحسان يجسد بصدق المقولة الشّهيرة: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»، فلقد كرس حياته لخدمة العلم والعلماء وبناء المساجد والزّوايا والأوقاف. فلقد أنشأ بالعاصمة زاوية أبي بكر الصّديق، وكان يمول مدرسة مصعب بن عمير بأولف. وكان من المواظبين على إعانة الزّوايا والمدارس القرآنية عبر مختلف ولايات الوطن. كما بنى أوقافا لمدرسة العلامة الشّيخ محمّد بن الكبير ولمدرسة الشّيخ التهامي غيتاوي، وأوقف أرضا بمنطقة بالم بيتش السّاحلية بالعاصمة لبناء مسجد، وغيرها من الأعمال.

ومن المفارقات العجيبة أنه بعد وفاته تم اكتشاف أنه قد سجل كل ممتلكاته العقارية أوقافا لوجه الله الكريم. كما أسهم في نشر الإسلام في البلاد الأفريقية ببناء المساجد والمدارس القرآنية والتكفل بالأرامل واليتامى.

كان محمّد بن عمار فرجاني من المدركين لأهمية الاستثمار في رأس المال البشري ولأهمية العلم في بناء الأوطان؛ ولهذا عمل على ارسال العديد من الطّلبة من أقاربه وغيرهم للدراسة في كبريات الجامعات العالمية بسويسرا، فرنسا، الولايات المتحدة، الامارات العربية والأردن.

وبالرّغم من تنقلاته الكثيرة واغترابه، لم ينس المنطقة التي أنجبته؛ ولهذا أسهم في إرسال العديد من البعثات الطّبية في مختلف التخصصات إلى ولاية أدرار من أجل معالجة الفقراء والمساكين، وتكفل بمصاريف معالجة العديد من المرضى من ذويه وغيرهم داخل الوطن وخارجه.

كان محمّد بن عمار فرجاني محبا للعلم والعلماء، ولهذا كان على علاقة وثيقة بهم في الدّاخل والخارج كالشّيخ العلامة محمّد باي بلعالم، العلامة محمّد بن الكبير، الدّكتور محمّد المختار ولد محمّد المامي مدير مركز تكوين العلماء بموريتانيا، عبد الرّحيم عبد الله النّامي.... فكان يكرمهم ويدعمهم في أداء رسالتهم. وأسهمت هذه الصّلات في أن يكون لديه فهما وسطيا للإسلام وإدراكا للرهانات والتحديات التي تواجه الأمة الاسلامية.

رغم ضخامة مشاريعه وتوزعها في ثلاث قارات (أفريقيا أسيا أوروبا) وتقدمه في السّن وإصابته بمرض السّكري لأكثر من أربعين عاما؛ كان محمّد بن عمار فرجاني محافظا على أداء الصّلوات الخمس بالمسجد من صلاة الفجر إلى العشاء، حيث لا تفوته تكبيرة الإحرام خلّف الإمام أين ما حل وارتحل.

التحق محمّد بن عمار فرجاني بربه صبيحة يوم السّبت 21جمادى الأولى 1435هـ الموافق لـ22 مارس 2014م، عن عمر يناهز التسعين عاما، فرحمه الله وغفر له وأنزله جنة الفردوس.

قدي عبد المجيد

■ محمّد بن عمر بن عيسى، حاج امحمّد
(و: 1359ه - 1940م / ت: 1443ه - 2022م)

ولد بالعطف، ولاية غرداية. وبها تلقى تعليمه الأول بمحضرة مسجد أبي سالم بالعطف ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة حيث كان والده تاجراً في الحراش، فدرس باقي المراحل التعليمية بالجزائر العاصمة، وكان والده من الرّجال الوطنيين ورجال مزاب الأفذاذ وهو الشّهير بوكيل الأمة المزابية المفوض في قضية التجنيد الإجباري، قضى والده في هذه المسألة أزيد من ثمانية عشر عاماً يجابه القانون الفرنسي الجائر الذي كان يقضي بزجّ الشّباب الجزائري في جبهات القتال في أوروبا، في حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، كما كان والده أيضاً من الوطنيين الأحرار الذين أسهموا بإخلاصٍ في خدمة الثّورة وهو مسبل من 1956 إلى الاستقلال.

واصل الدّكتور محمّد دراسته الثّانوية بالعاصمة، ثمالتحق رسمياً بكلية الطّب جامعة الجزائر مطلع الاستقلال، وكان

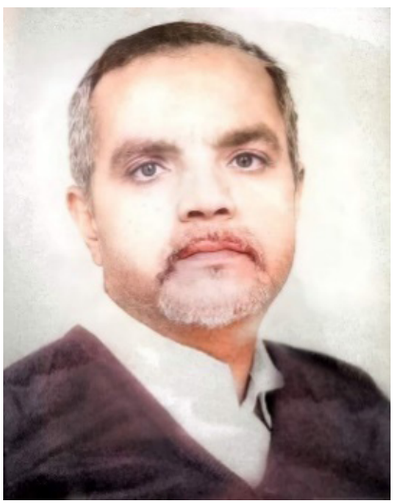

قد تبرع أيام الثّورة التحريرية بأدواته الدّراسية وهي مقلمته الخاصة بمعدّات التمريض والجراحة لصالح الثّورة التحريرية لتستعمل في علاج المصابين من المجاهدين والفدائيين.

عمل أثناء فترة التربص في مستشفى مصطفى باشا الجامعي وتخرج طبيباً عاماً بعد مناقشة أطروحته بتاريخ 12 جويلية 1968 الموسومة بـ(Contribution a l'étude de la STERILIT FEMININE EN ALGERIE)، وفيها ناقش مسألة استعمال موانع الحمل وخطرها على صحة المرأة، وبعد تخرّجه مباشرة أوفد للعمل بالقطاع الاستشفائي العام في مدينة بوسعادة بتاريخ 02 أوت 1968، وبقي مرابطاً بهذه المدينة التي احتضنته إلى أن أقعده العجز والمرض عن العمل في أخريات حياته وعاد إلى مسقط رأسه.

في رحاب بوسعادة انطلق في مهنته النّبيلة بكل حزم وإخلاص وذلك في إطار تطبيق نظام العمل بالدّوام الجزئي، في ظروف صعبة للغاية مع قلة الوسائل والإمكانات، وبما أنه كان

الطّبيب الوحيد في المنطقة فقد عُوّل عليه أيضاً كطبيب شرعي محلّف لدى الجهات القضائية والأسلاك الأمنية وإدارة السّجون والقطاع العسكري وفي الفحوصات الدّورية والتشريحية والانتقائية...، كما كان يتنقل بوسائله الخاصة إلى القرى والبلديات المجاورة لبوسعادة متجشماً الصّعاب والظّروف القاسية ليسعف المرضى ويقدّم خدماته في المناطق النّائية متطوعاً طيلة الوقت، وبتلك الخصال النّبيلة والتفاني المنقطع النّظير حاز تقدير المواطنين وذاع صيته في مدينة بوسعادة وما جاورها.

عرف الفقيد بنشاطه الجمعوي المتنوع وإسهامه الكبير في نشر الخير والفضيلة في مدينة بوسعادة وهي أعمال جليلة عن أن تعدّ أو تحصى مع كثرة التزاماته المهنية والاجتماعية كما كان وثيق الصّلة أيضاً بمسقط رأسه بلدة العطف بميزاب، فكان يزورها باستمرار في مختلف المناسبات الدّينية والاجتماعية، ويتابع أطوار التنمية فيها ويسهم بماله وفكره وجهده مع العاملين فيها، ولا يدخر جهداً في المساعدة حتى بالنّصيحة والرّأي السّديد إذا تعذر عليه الحضور.

من بين أبرز أنشطته الجمعوية في مدينة بوسعادة:

- تأسيس نادي الطّيران للهواة والذي تدرّب فيه عديد الطّيارين المحليين والدوليين من أبناء المنطقة؛
- تأسيس نادي «الكاراتي دُو» ونظم هذه الرّياضة وغيرها من الرّياضات القتالية؛
- تأسيس نادي الرّاديو للهواة، وقد أسهم بشكل فعال في حادثة زلزال الأصنام بالشّلف أكتوبر 1980 لتسهيل الاتصالات من أجل تقديم المساعدات الإنسانية للمتضررين؛
- تأسيس جمعية دار الشّفاء لداء السّكري؛
- تأسيس الجمعية الولائية لحماية الطّفولة (دار الأيتام)؛
- من نشطاء الكشافة الإسلامية الجزائرية ببوسعادة.

أما نشاطه في ميزاب عامة والعطف خصوصاً:

فيعد عضوا نشطاً في إدارة عشيرته آل الحُجاج الماجدة، وكان من الفاعلين والمسهمين الأوائل في بناء مقرها الجديد بحي الشّيخ بلحاج، كما اعتاد أيضاً طيلة سنوات طويلة على فتح عيادته المؤقتة في العطف وهي في الأصل جزء من صالة الضّيوف، وذلك بصفة منتظمة من منتصف رمضان المعظم إلى نهايته من كل عام يقدم فحوصات طبية مجانية لأهل بلدته في سهرات رمضان وهي مكرمة جليلة حفظها له أهل بلدته.

مع اهتمامه بالفلاحة واستصلاح الأراضي في ناحية ميطر ببوسعادة وكاف الدّخان بالعطف، أوثر عنه حبّه للأسفار إذ زار العديد من الدّول الغربية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان...، وكان شغوفاً بالمطالعة واقتناء الكتب، إذ ترك مكتبة ثرية، ومستودعاً مليئاً بأجهزة الرّاديو كان يقضي فيه أوقات فراغه في المطالعة وإصلاح أجهزة الرّاديو.

أوثر عنه عنايته بمكارم الأخلاق، ومن خصاله كرم الضّيافة والرّأفة بالضّعفاء والإحسان إليهم، وبوجه عام إغاثة الملهوف والنّجدة، والعزيمة والإقدام في كل الأمور، فتجده يقتحم الأهوال بكل رباطة جأش، ففي زلزال مدينة الشّلف سنة 1980 سافر على جناح السّرعة فور وقوع الكارثة ليكون ضمن فريق المسعفين متطوعا بنفسه وماله، وأنشأ محطة راديو ميدانية في بوسعادة لنقل أخبار الإسعاف وتنظيم أفواج الإنقاذ وجمع التبرعات وتوصيل المساعدات والمؤن إلى المتضررين...

وفي عشرية الاضطرابات الأمنية في الجزائر لم يتوقف عن نشاطه الاجتماعي، بل كان يقصد المناطق المعزولة في مدينة بوسعادة وما جاورها ليسعف المرضى ويبث الطّمأنينة في النّفوس، ويجبر خواطر الضّعفاء، وكان لسان حال الجمعيات ومختلف المنظمات أمام السّلط الرّسمية يدافع عن حقوقها بكل بسالة ورباطة جأش، فكان بحق قناة لنقل الخير والفضيلة، لذلك تجده عضواً عاملاً في كثير من الجمعيات والمنظمات المدنية والاجتماعية في بوسعادة، وبقي عضواً شرفياً حتى بعد تقاعده القسري، لأنه مع تقدمه في السّن كان يحزّ في نفسه أن لا يشارك في الأعمال التطوعية.

من آخر أعماله الخيرية إنشاء وقف في مدينة بوسعادة، عبارة عن دار استراحة لعابري السّبيل من المسافرين المتوجهين إلى الشّرق الجزائري تقع في المدخل الشّمالي لمدينة بوسعادة.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصدر:

- سيرة ذاتية مختصرة من إعداد الدّكتور يحيى بن بهون حاج امحمّد في تأبين الفقيد.
- استمارات معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، القرارة -غرداية، ط3، 3 صفحات مرقونة.

■ محمّد بن محمّد الحاج عقباوي الكنتي (ولد سيد الحاج) (و: 1170ه - 1757م/ت:1253ه - 1837م)

محمّد بن محمّد الحاج بن سيدي محمّد أبي نعامة بن عبد الرّحمن الهاملي عقباوي الكنتي المعروف بـ «ولد سيد الحاج» لولادة أبيه في البقاع المقدسة في موسم الحج. ولد بحي الزّاوية من أقبلي (دائرة أولف) سنة 1170ه، الموافق لـ 1757م. أمه هي السّيدة العافية المكناة بأم العفو من عائلة بلكو. تعلم القرآن والعلوم

الشّرعية على يدّ مشايخ الزّاوية الكنتية، وتشبع بمعرفة سيرة المصطفى e.

كان ميالا منذ صغره إلى قول الشّعر الملحون، وكان الغزل أول الأغراض التي قال فيها الشّعر، إلا أن عمه البكاي وعمته نصحاه باجتناب ذلك واتباع سيرة آبائه في الصّلاح والعفاف. فكانت تلك النّصيحة منعرجا في حياته فتوجه إلى مدح الرّسول e، حتى سمي بذلك أي «مداح الرّسول». ولهذه التسمية حكاية، إذ أنه كان يتجول في إحدى قرى توات فصادف إمرأتين في الطّريق، فقالت إحداهما للأخرى لا تخافي (وكانت عادة النّساء في المنطقة آنذاك أنهن إذا صادفن رجلا ذا وجاهة في قومه في الطّريق غيرنها حشمة وحياء) أكملي السّير إنه مجرد المديديح - تصغيرا لكلمة مداح- ، فلما سمع قولها أنشد مفتخرا لمدحه للرسول:

أنا مداح الرّسول والغير لايكف عني
يستاهل فيه ما نقول ياسعدتي به واني
ماني متمني نغيب الأوطان والحبيب
من صابوا لي قريب ونشاهد نورو بعيني
بحبو جوارحي طيب رجلي ما
يوصلوني
لونو كربان والجبال مثلهم أبيض
واكحل

برع في الشّعر الملحون، وتخصص في مدح الرّسول فسارت بأشعاره ومدائحه الرّكبان، ولقد جسد في أشعاره حبه الكبير للمصطفى. ونذر حياته كلها لمدحه e.

ينتمي محمّد بن محمّد الحاج إلى عائلة شاعرة. فلقد كانت أخته عائشة تقرض الشّعر، وكان أخوه عبد الرّحمن كذلك شاعرا. كما عاصر رحمه الله بعض الفحول في المنطقة وضواحيها كالشّاعر بن الزّروق وبن الحرمة. ولقد التقى في أكثر من مرة على الأقل بن الزّروق، وتحتفظ الذاكرة الشّعبية لهما بمساجلة شعرية، إذ بادر إبن الزّروق صاحبنا بقوله:

خلقت جبول وفنات
خلقت إيلا نديرا
تنفع صلاة لوقات
حسناتها كثيره

فأجابه ولد سيد الحاج قائلا:

باغي زوره لسيدنا رسول الله
دبر يا خالقي علي
فوق فحل صحيح ساحي
من لضرار بي ويظل جاري

وصقل موهبته الشّعرية وخياله بكثرة أسفاره فتجول في أغلب مدن وقرى توات وتيدكلت وبلاد السّودان الغربي، ولقد خلد جزءا من ذلك في بعض أشعاره بالإشارة إلى تلك الأماكن واستلهام بعض الصّور منها، وتضمين قصائده بعض مفردات لهجات ولغات تلك البلدان.

كما انعكست معرفته رحمه الله بالقرآن الكريم وكتب السّيرة والحديث وعلوم الدّين عموما في أشعاره، وفي كثرة ابتهاله في قصائده للمولى بأن يعفو عنه، إذ كان شديد الخوف من الله، كثير المناجاة والاستغفار، جسد ذلك في أشعاره، فمما قال:

ساعة اللي نتفكر في اعمايلي
واش من وجه نقابل به
المعاصي والذنوب جاو قبايلي
لو كان استحييت لربي به

كان شغوفا إلى حد الهيام بزيارة قبر المصطفى، إلا أن حاله لم يسعفه لذلك فصور رحلته المأمولة مكانا مكانا ومسلكا مسلكا ابتداء من أقبلي إلى غاية البقاع المقدسة. وهذا من باب الإسهام في ارشاد الحجيج وتوضيح الطّريق لهم، خاصّة وأن جده كان قائد ركب الحجيج. ومطلع هذه الرّحلة الشّوقية:

صل يا رب على النّبي وأهل الصّحبة
دوك اللي جيران في القبر
بوبكر والسّيد عمر

ويستعرض فيها الطّريق قائلا:

من قصور أقبلي نروح يا اخوتي سربة
بطبلنا وعلمنا اخضر
نستدبر عقب النّهار وانحط الغابة
ومن تيط لإنغر
عين صالح بين القصور من زين لو اركابه
وامدبر طريق لأزجر
كرداسة تلقى انياق ثم عزابة
واين الرّاسح كان يستتمر

وله قصيدة في الزّهد وتذكر الآخرة، جاء فيها:

لا بدّ الدّنيا تفوت، الاعمار الصّح في
المدينة
سبحان الحي ما يموت، مفروض
نهارها يجينا
سبحان الحي الكريم، قادر الرّحمان
الرّحيم
هو في ملكو خبير، يجعل سترو ما
يخطينا
ابن آدم ما قبحو زعيم ما يستعبر بالدّفينة
الدّنيا دار الغرور غدارة وفلكها يدور
مدى خوّات من قصور، مدى كسرتْ
من سفينة
كم من غرسة أضحت بور عادت تشرب
بالقنينة
الدّنيا كانهي زهات عادت واليوم ما بقات
عادوا فيها مرادفات لمسايل يا النّاس
الشّينة
تقيل هون ما تبات، خفيفة ما هي رزينة
الدّنيا زهوها يفوت، الدّنيا حيها يموت
الدّنيا دي إلا بهوت تتقلب كيف السّفينة
شهدو مني راني رضيت لو مت حداه
يشفع فينا
لو مت حداه ما نضيع نندار معاه في
البقيع
يتهنى خاطري ويريح في ركب كبير
فاش كنا
كيف اللي فاتو قبيل، ساروا ومشاو
خير منا
كانوا في الدّين حارصين ولكلمة الحق
واقفين
وعلى الشّينة مجندين ما يعنوش غير
معنى
يلقينا بك فارحين يا مولانا لو رحلنا
ذكر المصطفى حلو عند كل مسلم
شاغلو
وصلاتو لو تسولوا هي اللي عروة متينة
اللي حاكمها توصلوا يسكن بها عليينا
وصلاتو تمحي الذنوب تفاجي
الهموم والكروب

عيينها جات في الكتوب وصى بها اللي خـلقنا
عشرة في المية حساب والفا كفاتو الجنة
الفين صلاة مع سلام تدوم بالبدر والتمام
سيد العرب والعجام في فـم العاشقين بنينه
أحلى والد من الطّعام، أملح وابرد من الشّنينة
حبو يا ناس قسني، دايم بيها يحطني مولانا به ودني وردني للطـــريق الزّينة
يوم الضّيقة يفكني من صهد النّار السّخونة
ياربي ليك طلبتي يا مستجيب دعوتي
لا تقبضني بزلتي بغطاك استر عـــيوبنا
يوم تصفف الصّفوف في المحشر جـملة وقوف
ما ينفع تم الكدوب وخلق الله شاهدين علينا

فانتقـل إلـى رحمـة ربـه فـي سـنة 1253هـ، الموافـق لـ 1837م، عـن عمـر يقـارب الثّلاثـة والثّمانيـن، ودفـن فـي المسـجد العتيـق بحـي الزّاويـة مـن أقبلـي، فتقبلـه اللـه فـي الصّالحيـن.

قدي عبد المجيد

المصادر:
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للنشر والتوزيع والترجمة، 2007.

■ مُحمّد بن مُحمّد القبّاطي
(و: 1338ه - 1907م/ت: 1431ه - 2010م)

ولـد القبَّاطـي مُحمّـد بـن محمّـد في19/ 12/ 1907م بالغزوات ولاية تلمسـان من أسـرة عريقة، يعلو نسبُها إلى سيّدي دحّو دفين معسـكر، عُرفـت بالعلم، فأبوهُ الشّـيخ محمّـد القبّاطي عالـم جليل ومصلـح كبير. حفـظ القرآن الكريـم، وتلقى مبـادئ العلوم وفكـرة الإصـلاح عن والـده الشّـيخ محمّد القبّاطـي. ثم انتقـل إلى مدينة وهـران وأخذ علـوم النّحـو والصّـرف والبلاغـة علـى يـد الشّـيخ طيب مهاجي، وتعلّم اللغة الفرنسـية في المدارس الحكوميّة فحذقها جيّداً.

سـافر إلـى المغـرب الأقصـى وانتسـب إلـى جامع القرويّين بفاس، وقضى فيه سـبع سـنوات في الدّراسة تحصّل في نهايتها على شهادة نهاية الدروس سنة 1938م.

ومن أساتذته هناك:
- الشّيخ عبّاس البنّاني.
- الشّيخ حسين العراقي.
- الشّيخ حسن الزّرهوني.

عـاد إلـى الجزائـر وانضـمَّ إلـى جمعيّـة العلماء المسلمين الجزائريّين.

شدّدت السّلطات الفرنسـية الخناق على آل القبّاطـي، فمـا كان مـن الشّـيخ محمّـد وشـقيقه الأخضـر إلّا محاولـة الفـرار نحـو اسـپانيا، ومـن ثمّ متابعـة الطّريـق نحو مصر لمواصلـة الدراسـة بجامـع الأزهـر، لكـنّ محاولتهمـا لـم تنجـح، ففُرضـت عليهمـا بعـد ذلـك الإقامـة الجبريّـة بتيـارت وأطلق سراحهما سنة 1943م.

أشاد به الشّيخ عبد الحميد بن باديس عند زيارتـه لمدينة الغـزوات عام 1932 بمناسـبة ترسـيم شـعبة الجمعيّـة فقـال:» يوجَـد في القطر الجزائري ثمانيَّة رجال من مِثلِهِ».

أسـس مدرسـة التربية والتعليم في مدينة مغنيّـة، ولكـن الإدارة الفرنسـيّة ضايقتـه وحاربتـه وغرمتـه فدافع عنـه البَـاش آغا بن سـالم، وتحمل مسؤوليته فسـمح له بمزاولة نشـاطه فـي التعليـم والإرشـاد فـي عـدة مـدارس، وسـجن أكثر مـن مرة. ونفـي إلى منطقة تيارت.

مـارس التعليـم بطلب من جبهـة التّحرير الوطنـي. ثـم أسـندت لـه سـنة 1961م مهمّة القيـام بأعمـال القنصليـة الجزائريـة بعمالـة (تِطـوان) بالمغرب الأقصى، ومثّـل فدرالية جبهـة التّحرير الوطنـي بالعرائـش، وكان له نشـاط كبير فـي جمع المـال وتقديـم الدّعم للمجاهدين إلى غاية الاستقلال.

نشـر سـنة 1937 قصيـدة علـى صفحـات جريـدة البصائـر فـي عددهـا 91 بتاريـخ 27/ 12/ 1937 ومما ورد فيها:

حرِّكوا الشَّوقَ إلى العلياءِ
فما مَنْ حادَ سادَ
وارفعوا الجورَ من الأرضِ
إلى السَّبع الشِّداد
وتنادوا أيُّها القومُ
فما هذا الرقادُ
إنَّ بالبابِ ناساً
دأبهم ظلم العبادِ
دأبهم أنْ يسلبوا
الأُمَّةَ من خيرٍ وزادِ.

التحق بالتّعليم الثّانوي ودرَّس في العديد من الثّانويات في الجزائر خصوصاً في مدينة سـيدي بلعبَّاس، والتي مازالت تذكر نشـاطه وتحيـي ذكرياته، إلى أن أحيل علـى التَّقاعد سنة 1983م.

عيـن فـي 17/ 06/ 1966م عضـواً فـي المجلـس الإسـلامي الأعلـى، وعضـواً في اتِّحاد الكتَّاب الجزائريّين.

كانـت لـه سـمعة طيّبـة عنـد الجمعيـات والجمهـور، وصـار مـن الشّـخصيات المحترمـة أثناء الثّـورة الجزائريـة التحريريَّة المسلحة. كرّس حياته لنشر الخير مرشداً في زمن ضعُفـت فيه القيم وطغـت عليه الماديّة والأنانية معتمداً على الثقافة الإسلامية.

كان وفيـاً للمثـل العليـا التـي آمـن بهـا، والرّسـالة التي نذر نفسـه لخدمتهـا، وعرف بالصّراحـة والوضـوح حتى فـي أدقّ الأمور وأكثرها حساسـيّة، فهو من الدّعـاة للوقوف

على أسرار الدِّين وحقيقته وله مخزون علمي ومسار نضالي وتراث فكري، وهو إمام وخطيب وفقيه ومؤلِّف وهو ما شهد به الشّيخ أبو عمران رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الأسبق ومحمد بورغام السّفير السابق.

خلّف الشّيخ القبّاطي محمّد بن محمّد مؤلّفات علميّة قيّمة نذكرُ منها

- اقتصاديات الوطن العربي، بالاشتراك مع بض سفراء الدّول العربية في الجزائر
- الإنسانُ خليفة الله في الأرضِ.
- المقام الكريم للإنسانيّة.
- عِظاتٌ من التّاريخ.
- الغزو الثّقافي وحياة الأمير عبد القادر.
- موادُّ الخطب المنبريّة والدّروس المسجديّة

كما أشرف الشّيخ على تنشيط عدة محاضرات وألقى الكثير من الدّروس التّاريخية والفقهية.

ويعد تحفة نادرة في علوم الدين والتّاريخ، كما كانت النّكت والدّعابة لا تفارق لسانه العربي الفصيح الإسلامي.

توفي الشيخ يوم 14 أوت 2010م.

عبد النّاصر بوعلي

■ محمّد بن محمّد المختار بن مالك
(و:1339ه - 1921م/ت: 1434ه - 2018م)

السّيد محمّد بن محمّد المختار بن محمّد بن حمزة بن الحاج أحمد بن السّيد محمّد بن مالك، ولد حوالي سنة 1921م بحي ساهل من أقبلي. تربى في عائلة معروفة بالعلم أنجبت علماء تفرقوا في ربوع صحراء الجزائر وخارج الوطن ناشرين دين الله عز وجل. ذاق مرارة اليتم؛ إذ توفي والده وهو صغير. حفظ القرآن وأخذ بعض مبادئ الفقه على يدّ الشّيخ الطّالب محمّد بن عبد الرّحمان بن مكي بلعالم وأخذ علم التجويد على يدّ خاله الشّيخ محمّد عمار بابا بن مالك، ثم انتقل إلى المدرسة الطّاهرية بسالي سنة 1945م، فتعلم الفقه، واللغة ومبادئ الشّريعة على يدّ الشّيخ مولاي أحمد الطّاهر الإدريسي حيث مكث في المدرسة سبع سنوات، توجها بحصوله على إجازات في مختلف العلوم الشّرعية واللّغوية.

بعد تخرجه من المدرسة الطّاهرية انتقل إلى عين صالح سنة 1953م؛ ليؤسس مدرسة دينية بوسط المدينة تم افتتاحها تحت رعاية الشّيخ مولاي أحمد الطّاهر وبإشارة منه وبحضوره. وقد انضم إليها جَمع كبير من الطّلبة من داخل عين صالح ومن خارجها؛ حيث يقوم بتدريسهم -باعتماد طريقة الوقفات-أهم المتون الفقهية المعتمدة في المنطقة كمختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد وابن عاشر وأسهل

المسالك للشيخ محمّد البشار والنّظم المسمى بالعبقري في سجود السّهو في الصّلاة لابن أب الزّموري، فضلا عن العلوم الأخرى كالنّحو من كتبه المعروفة كألفية بن مالك وملحة الإعراب ومتن الأجرومية.

لقد عرفت مسيرة الشّيخ والمدرسة خلال الفترة الاستعمارية الكثير من المضايقات كالمراقبة المستمرة لبرنامج المدرسة وما يدرس فيها فمنعت السّلطات تدريس باب الجهاد، ومراقبة الشّيخ شخصيا واعتقاله وأخذه إلى الاستجوابات المتكررة. كما لجأت إلى مداهمة المدرسة وإرهاب الطّلبة بضربهم وتشتيتهم، وقد أدّت هذه المضايقات إلى غلق المدرسة وحضر نشاطها طوال عام 1961م.

ولقد انخرط في سلك موظفي الشّؤون الدّينية حيث يعتبر إماما بمسجد زاوية سيد الحاج بلقاسم، التي تبعد عن عين صالح مسافة كيلومترين، ولم تمنعه هذه المسافة من إمامة النّاس والخطابة فيهم خاصّة في الجمعات.

يعتبر الشّيخ من المرجعيات الفقهية والاجتماعية في عين صالح وما جاورها، وقام بدور محوري في محاربة البدع والخرافات، الإجابة على الأسئلة والنّوازل الفقهية المستجدة، إقامة الصّلح بين المتخاصمين.

ولم تتوقف جهوده عند حدود مدينة عين صالح، حيث كان يخصص يوم الخميس للانتقال إلى القرى المجاورة فيجمع النّاس لتعليمهم أمور دينهم، وقد عرفت هذه الجولات إقبالا ونجاحا كبيرين. وهذا ما دفع الأئمة ومعلمي القرآن الكريم إلى التتلّمذ على يديه واستفتائه في النّوازل. ولقد تعلم على يديه الكثير ممن تولوا مقاليد الأمور الدّينية والاجتماعية لاحقا؛ مثل فضيلة الشّيخ محمّد الزّاوي رحمه الله مدير الشّؤون الدّينية والأوقاف لولاية تمنراست ومدير المعهد

الإسلامي بعين صالح سابقا، وكذا الأستاذ الطّالب محمّد لمغربي والأستاذ الطّالب طاليبو أحمد رحمه الله والأستاذ الحاج قادي السّاقني والأستاذ محمّد عبد القادر غرمه والأستاذ شناي مبروك والشّيخ الطّالب باعزيز رحمه الله إمام مسجد سيدنا حمزة سابقا وناجمي صويلحي بمسجد الزّاوية الحاج بلقاسم حاليا وابنه الأستاذ أحمد بن مالك مدير المعهد الإسلامي حاليا، وغيرهم كثير...

ولقد حظي بزيارة شيخه في آخر زيارة له لمدينة عين صالح سنة 1975م، وأعجب بالنّتائج التي حققها تلميذه، فتفقد أحوال المدرسة، وألقى بها درسا كان درس المبارك والمودع، أشاد في آخره بخصال تلميذه، ودعا النّاس إلى المزيد من الالتفاف حوله طلبا للعلم وتفقها في الدّين.

يقول فيه العلامة مولاي أحمد الطّاهر الادريسي: «تلميذنا البار السّيد الحاج محمّد بن سيدي محمّد المختار ابن الفقيه سيدي حمزة صاحب أقبلي والذي تخرج على يدنا من الرّعيل الأول فتح الله عليه وعلى يديه وأعانه على نشر العلم وبثه وكان المثال الأعلى في صدق النّية في جانبنا».

توفي رحمه الله يوم الاثنين 13 أوت 2018 بعين صالح.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- الإدريسي مولاي أحمد الطّاهر، نسيم النّفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء والصّالحين والعلماء العاملين الثّقات، مخطوط
- بلعالم محمّد باي بن مالك، قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من المعرفة والعلوم والمآثر، الجزائر: دار هومة للطباعة والنّشر والتوزيع، 2004.

■ محمّد بن محمّد بن أحمد بن العربي بن بولنوار (و: 1348ه - 1929م/ت: 1430ه - 2009م)

الشّيخ محمّد بن محمّد بن أحمد بن العربي بن بولنوار بن أحمد الشّريف المدعو بالسّي عبد الرّحيم، ولد يوم 15 أغسطس 1929، بقرية عين غرابة –أو عين الغرباء– ببني هذيل جنوب غرب مدينة تلمسان، وتبعد عنها بخمسة وعشرين كيلومتر؛ والتي كانت تُسمّى بالمنطقة الحمراء في الخريطة العسكرية الفرنسية لِمَا تكبّدته من خسائر مادية وبشرية، واستبسال أبناء المنطقة من المجاهدين والشّهداء. إنّه من عائلة ثورية ومن أصول شريفة تنحدر من سلالة سيدي أحمد الشّريف الذي يوجد ضريحه ببلدية عين غرابة وتُسمّى المطمر، وأمّه «يامنة بشيري» جدّه الأكبر سيدي مسعود المدعو الودغيري المدفون بجبل موطاس قرب مدينة مغنية التي تبعد عن تلمسان غربا بثلاثة وستّين كيلومترا؛ ينحدر من سلالة إدريس الأصغر ثمّ إدريس الأكبر وهما من أحفاد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ابن عمّ المصطفى r وفاطمة الزّهراء رضي الله تعالى عنها بنت الرّسول عليه الصّلاة والسّلام.

في الرّابعة من عمره بدأ الشّيخ محمّد بولنوار الدّراسة بقريته التي وُلد بها، وعند بلوغه سنّ الثّامنة انتقل إلى قرية زهرة ببني سنوس المجاورة لبني هذيل وتتلمذ على شيوخها ولمّا رأوا فيه النّضج والفهم المبكّر والوعي نصحوا والده بأن يأخذه إلى منطقة أولاد سيدي الحاج قرب وادي الشّولي شرق تلمسان حيث أخواله ليتمّ حفظ القرآن الكريم. وبالفعل ختم حفظ القرآن الكريم في سنّ الثّالثة عشر من عمره.

وفي سنة 1943 قام والده المحبّ للعلم والعلماء ليوجّه ابنه إلى مدينة مغنية، ليتحصّل على علوم الفقه والتّفسير عند شيخ بالمنطقة (لم يُذكر اسمه) وكان من علمائها وهو من أقارب الرّئيس السّابق أحمد بن بلّه رحمة الله تعالى عليهم جميعا. فوجد هذا الشّيخ العالم في الشّاب محمّد بولنوار الكفاءة التي تُمكّنه من الذّهاب بعيدا في طلب علوم الدّين والفقه والقدرة على مواجهة المعركة مستقبلا.

وفي سنة 1946 نصح الشّيوخ والده بتوجيه ابنه إلى جامعة القرويّين بالمملكة المغربية الشّقيقة ليكمل دراسته، ماكثا هناك أربع سنوات يدرس فيها علوم الشّريعة على يد علمائها وشيوخها من أبرزهم الشّيخ الحلوي والشّيخ الهادي التّازي والشّيخ الفاطمي.

وفي سنة 1947 قام برحلة إلى جمهورية تونس الحبيبة ليدرس بجامع الزّيتونة مدّة حولين، إلى سنة 1950 حيث تحصّل على شهادة التّحصيل أو التّطويع في العلوم بما تعادل شهادة البكالوريا حاليا.

عاد الشّيخ إلى أرض الوطن بعدما قامت الإدارة الفرنسية بطرد جميع الجزائريّين المتواجدين بتونس وبالخصوص الطّلبة الذين يزاولون دروسهم بجامع الزّيتونة، وكان الشّيخ محمّد بولنوار من بينهم، وكانت الإدارة الفرنسية ترى في هؤلاء الطّلبة الخطر المحدق بالاستدمار الفرنسي.

أحبّ الشّيخ المجاهد بولنوار الشّيخ العلّامة البشير الإبراهيمي وكان معجبًا به وكان يقرأ الكثير من المقالات التي كانت تُنشر له بجريدة البصائر إبّان

الثّورة التّحريرية، ومازال يحتفظ ببعض أعداد جريدة البصائر، وقد استمع للشّيخ البشير الإبراهيمي ذات مرّة وهو يقول للحاضرين: «كونوا متبوعين ولا تكونوا تابعين..»

وباعتباره من أبناء ورجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين قام الشّيخ بمزاولة التّعليم بمدرسة جمعية العلماء بالمحمّدية بولاية معسكر وذلك سنة 1950، تحت إدارة الشّيخ الأخضر بن الغويني من ولاية الجلفة رحمه الله تعالى وكان دورها محاربة الجهل والأمّية والخرافات والشّعوذة والمعتقدات الدّينية الفاسدة والباطلة التي ساعد على انتشارها الاستدمار الفرنسي وتعليم التّاريخ الصّحيح للجزائر والتّاريخ الإسلامي بصفة عامّة، إلى سنة 1956 وهي السّنة التي تمّ غلق جميع المدارس التّابعة لجمعية العلماء على المستوى الوطني من قبل الاستدمار الفرنسي، بل قامت الإدارة الفرنسية بملاحقة شيوخها ومعلّميها، حتّى يتسنّى لهم القضاء على الهوية الجزائرية ويخلو لهم الجو الخبيث لمواصلة ما جاؤوا من أجله. ومن وقتها صار الشّيخ محمّد بولنوار مراقبا من قبل السّلطات الفرنسية، لأنّها كانت ترى فيه الرّجل العالم بدينه والسّياسيّ.

في أواخر سنة 1956 كان له لقاء بالمجاهد والرّئيس الرّاحل هوّاري بومدين في بيت أخت الشّيخ محمّد بولنوار ومجموعة من المجاهدين بالمنطقة والشّهيد الملازم الأوّل حسيني حسين زوج أخته المسمّاة خيرة، ولمّا رأى فيه النّباهة والفطنة وقدرته على تقديم دفع هام للثّورة كونه شابًا مثقّفاً خاطبه هوّاري بومدين رحمهم الله تعالى أجمعين بأنّ الثّورة بحاجة ماسّة لجميع أبنائها.

وفي 1957 انطلقت مسيرته الجهادية فالتحق بصفوف المجاهدين الأحرار وعمره ثمانية وعشرون عاما، كما أدّى دوره التّوعوي الدّيني، وبعدها تمّ تعيينه قاضيا عسكريا مع حمله السّلاح إبّان الثّورة التّحريرية منذ سنة 1957 إلى يوم الاستقلال بالمنطقة الخامسة، الولاية الخامسة في صفوف جيش التّحرير الوطني إلى جانب زميله الرّائد فرّاج وحمري أحمد المدعو عبد الهادي رحمة الله تعالى عليهم.

وما يُذكر عن الشّيخ بولنوار أنّه لم يقض يوما بحكم الإعدام في حقّ شخص مشتبه فيه، لعدم توفّر الأدلّة الشّرعية القطعية، لأنّه كان يخشى الله من ظلم العباد، ولعلّه كان يطبّق القاعدة الشّرعية: لأنْ يُخطئ القاضي في الحكم على المتّهم بالبراءة، خير له من أن يُخطئ بالحكم عليه بالإعدام.

وممّا شهد بذلك أهل قريته عن كرامات الشّيخ أنّه يوم حُوصر هو ورفقاؤه من المجاهدين سنة 1957 من شهر رمضان في غار بتغزّة بني هذيل من قِبل الجيش الفرنسي، واتّفق المجاهدون على الفرار من المخبإ إمّا نجاة وإمّا شهادة ولا يُمسكون للاستنطاق والتّعذيب حتّى الموت والبوح بأسرار الثّورة، فخرجوا يجرون متفرّقين، وقال شهود عيان أنّ الشّيخ لمّا خرج يجري بسرعة البرق وهو شاب مع رفاقه تاركين خلفهم الغبار يتبعهم رصاص الرّشاشات والبنادق بدون انقطاع، وكان تارة يقع أرضا وتارة ينهض..استشهد السّيّد كرّوم قويدر وهو من قرية سيدي علي بلحاج عند خروجه من الغار، وكان هذا الأخير كاتبا للنّقيب الشّهيد أحمد حمري المعروف بعبد الهادي.

وللعلم فإنّ الشّهيد كرّوم قويدر ابن أخت المجاهد عبد القادر شيخاوي أحد رجالات جمعية العلماء الجزائريّين بسبدو ورئيس الجمعية الدّينية والثّقافية والعلمية لدار الحديث بتلمسان رحمة الله عليهم أجمعين.

وممّا شجّعهم على ذلك زغاريد الأمّ يامنة بشيري ومن معها من نسوة القرية التي كانت تتناغم مع الرّصاص وتلاوته لآيات من القرآن الكريم، إلى أن اعتلى جريا جبلا آمنا يبعد عن الغار الذي فرّوا منه ببعض الكيلومترات، ثمّ نزل قرب الوادي حيث حُجب عن كلّ الأنظار وتوقّف الرّصاص، جلس ليستريح ويستمع إلى أنفاسه ويتأكّد من نبضات قلبه متسائلا أهو على قيد الحياة!!؟ فرأى جلّابيته التي كان يلبسها عليها ثقوب كثيرة خرقها الرّصاص؛ ومازال يحتفظ بها أبناؤه إلى اليوم.

فخلعها ليتأكّد من نفسه إن سلم جسمه من الرّصاص، فلم يجد أثرا للجروح أو على الأقلّ قطرة دم. هذه الحادثة لم يذكرها لأحد خوفا من الرّياء والعُجب، إلاّ في أواخر أيّام حياته ليرويها لابن أخيه عبد القادر الحكيم أمين بمستشفى مدينة عين تموشنت، والتي يسمّيها هذا الأخير ببردة الإيمان.

كان دور الشّيخ المجاهد فعّالا في تحضير المجاهدين نفسيا للمقاومة وللجهاد ضدّ العدو الفرنسي موجّها إليهم نصائح منها أنّ جزاء الشّهادة في سبيل الله ثمّ الوطن الجنّة ونعيمها مستشهدا بقوله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.» سورة آل عمران 169-170.

فقد سمع ابنُ أخيه الحكيم أمين عمّه يقول للمجاهدين إنّ شهيد الوطن الذي فاضت روحه إلى بارئها بالرّصاص أو التّعذيب جزاؤه الجنّة ولكن ليس بمنزلة شهداء بدر الذين قُتلوا بالسّيف.

وفي التّاسع عشرة مارس 1962 وهو يوم النّصر من أجل الاتفاق مع العدو الفرنسي على إيقاف إطلاق النّار تحضيرا للاستقلال، فكانت فرحته كبيرة بهذه المناسبة العظيمة بالمقابل كان حزينا على فراق الإخوة في ميادين الشّرف من أجل هذا اليوم العظيم.

وبعد الاستقلال في الخامس جويلية 1962 أقام الشّيخ المجاهد بولنوار في قرية شعبة اللّحم بولاية عين تموشنت مدّة أربعين سنة، وعُيّن قاضيا عسكريا بولاية عين تموشنت ليكون أوّل قاض جزائري بالولاية خلفا للقاضي الفرنسي للمدينة نفسها حتّى سنة 1963.

وبمناسبة اعتلائه هذا المنصب خاطب المسؤولين الذين كانوا يعملون في الإدارة الفرنسية بأنّ هذا اليوم يوم جديد في الجزائر الحرّة المستقلّة، في حكم جبهة التّحرير الوطني وهي المسؤول الوحيد والأوحد على رعاية الشّعب الجزائري البطل.

ويُحكى عن الشّيخ المجاهد بولنوار عن وقفة جليلة من رجل ليس بالغريبة عن

شيمه الإيمانية وأفعاله الإنسانية حين تمكّن المجاهدون بعد أيّام قليلة من القبض على ضابط فرنسي بمدينة عين تموشنت، جاؤوا به إلى الشّيخ المجاهد لينظر بما سيحكم عليه وهو في حالة يُرثى لها من الضّرب انتقاما لأنفسهم؛ فما كان قرار الشّيخ المجاهد وجوابه الرّاقي بتعاليم ديننا الحنيف من تسامح وعفو عند المقدرة، فقال للحاضرين: (لقد وضعت الحرب أوزارها، وهذا الرّجل ضابط فرنسي علينا أن نحترمه ونعيد له كرامته، لأنّنا لسنا في حرب وقد استرجعت الجزائر سيادتها ولا يجوز أن نؤذيه.)

فتعجّب ذلك الضّابط الفرنسي من قرار وحكم الشّيخ المجاهد، فقال الضّابط الفرنسي وقد دمعت عيناه: (الآن فهمت لماذا تمكّن الجزائريّون من نيل استقلالهم برجال أمثال هذا الرّجل المثالي.) وهذه الوقفة التّاريخية يرويها لي أخوه عبد القادر، وهي من خصاله التي نجهل منها الكثير.

شغل منصب المنسّق باتّحادية جبهة التّحرير الوطني بولاية عين تموشنت، وعضوا مسؤولا سنة 1963؛ حيث في هذه الفترة لم يتوقّف عن دوره الدّعوي بمساجد الولاية الموسومة بالبساطة والوسطية والاعتدال.

وحدّثني ابنُ أخيه الحكيم أمين عن صديق الشّيخ المجاهد بولنوار السّيّد «ظريف» أنّ سكّان بعض مناطق ولاية عين تموشنت كانت تأخذهم الدّهشة عند سماع الأذان لعدم تفقّههم في الدّين، مشيرا إلى أنّ الشّيخ المجاهد بولنوار هو أوّل من أسهم في نشر تعاليم الإسلام بضواحي المدينة لكون سكّان الولاية كانت حياتهم تنقصها الكثير من تعاليم ديننا الحنيف، لما تركه الاستدمار اللّعين من آثار سلبية في ثقافتهم.

وبشهادة مقرّبيه ممّن عاصروه أنّ المسجد الذي يلقي فيه الجمعة كان يمتلئ، والكلّ يجلس يستمع إلى خطبه وكأنّ على رؤوسهم الطّير.

وفي سنة 1973 تحصّل الشّيخ المجاهد على شهادة ليسانس في العلوم الإنسانية والأدب العربي بجامعة. وهران.

وكان يقوم بالدّليل والبرهان من الكتاب والسُّنّة بمحاربة البدع المنتشرة والخرافات التي تركها الاستدمار الفرنسي اللّعين، فكانت دروسه ومحاضراته لا تتوقف إن في المساجد وإن في المزارع وجميع قرى الولاية ملبّيا دعوات الأئمّة ليلقي عليهم ندوات دينية ومشاركا في المحاضرات؛ حتّى صار محبوبا ومحترما عند جميع من استمعوا لدروسه، ولسعة علمه بالدّين وجدوا عنده الأجوبة لكلّ الأسئلة في علوم الفقه والسّيرة النّبوية العطرة على صاحبها أزكى التّحيّات وأطيب التّسليم، كما تقرّبوا منه أكثر فأكثر حين تعرّفوا عليه ووجدوه بحرا لا ساحل له؛ أمّا عن خصاله الحميدة وتواضعه فحدّث ولا حرج.

وفي عام 1965 وجد الشّيخ المجاهد نفسه غير قادر على تحمّل مسؤولية القضاء والعمل السّياسي لميوله إلى العمل التّربوي والتّعليمي بمساعدة الشّيخين مصباح حويذق والأخضر الغويني. فتحوّل إلى التّعليم المتوسّط بإكمالية -ماكس مارشان- ليمتهن تدريس مادّة اللّغة العربية ببلدية شعبة اللّحم بعين تموشنت إلى سنة 1987؛ وهي السّنة التي أُحيل فيها على التقاعد، ليتفرّغ لقراءة الجرائد والمجلاّت ومطالعة أُمّات الكتب والمجلّدات التي كانت تملأ مكتبته؛ لأنّه كان يرى فيها خيرَ جليس ومؤنس له، والتي تصفّحها كلّها كما قال للذي سأله يوما عنها، وكان يقول لمن حوله من الأقارب: (إنّ الكتاب بالنّسبة لي رفيقٌ، فلو لا الكتاب لمتّ)

ويوم تبنّت الجزائر سياسة تعدّد الأحزاب بكلّ الإيديولوجيات والأطياف السّياسية ومارست الدّيمقراطية الحقّة، وظهرت فيها حرية التّعبير، كان الشّيخ المجاهد محمّد بولنوار على مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين ووفيا لجبهة التّحرير الوطني قلبا وقالبا، ويوم سئل عن فكر وتصوّر التّيارات الإسلامية بالجزائر في تلك الفترة، كانت قناعته أنّ الإسلام لا يُحصر في حزب.

تمّ تكريمه بوسام جبهة التّحرير الوطني لكونه مجاهدا وفيّا وعضوا سياسيّا فعّالا، عمل من أجل وحدة الجزائر لم يبدّل فيها أفكاره ولم يغيّر. قال الله تعالى: ''مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا.» الأحزاب: 23-24.

وفي آخر أيّامه مرض الشّيخ المجاهد مرضا أفقده وعيه وأُدخل مستشفى أحمد مدّغري بمدينة عين تموشنت، وكان أبناؤه وابن أخيه الحكيم أمين ممّن لازموه عن قرب فترة مرضه. وأخبرني هذا الأخير: أنّهم كانوا حول الشّيخ المجاهد وبينما هو فاقد للوعي استيقظ فجأة وهو يكرّر: رأيت الجنّة...! رأيت الجنّة...! رأيت الجنّة! فسأله ابنه الأكبر: ماذا رأيت؟ ماذا فيها يا أبي؟ قال الشّيخ المجاهد: فيها خيرٌ كثير... فيها خير كثير! وبعدها استلقى على فراشه ولم ينطق بكلمة واحدة حتّى فاضت روحه إلى بارئها يوم 20 جوان 2009، ليُوارى التّراب بمسقط رأسه ببلدية عين غرابة بتلمسان.

وبدعوة من عشيرة الشّيخ المجاهد محمّد بولنوار سعت مديرية المجاهدين بتلمسان بمساعدة السّلطات المحلّية لتلبّي طلبها متمثّلة في تكريم الشّيخ المجاهد بعد مماته بتسمية مسجد المنطقة الجديد باسمه.

نظيرة شتوان

■ محمّد بن محمّد بن يحي أبو عبد الله الكوميّ النّدروميّ (التلمسانيّ) (ت: 777ه أو775ه - 1376م أو 1374م)

محمّد بن محمّد بن يحي أبو عبد الله الكوميّ، المكنّى بالنّدروميّ والتلمسانيّ والمغربيّ، ويكنّى كذلك بأبي عبد الله الكوميّ النّدروميّ المقدسيّ نسبة إلى القدس الشّريف الّذي ارتحل إليه وبقي فيه فترة من الزّمن.

تاريخ ولادته مجهول، أمّا وفاته فكانت في حدود(777هـ/ 1376م) كما جاء في معجم أعلام الجزائر أو (775هـ، حسب الزّركلي)، فقد عاش في القرن الثّامن الهجري، وهو فقيه مالكي من أهل مدينة ندرومة.

رحل إلى المشرق طلبا للعلم، فزار القدس ومكث بها ما بين (751هـ/ 767هـ 1350-م/ 1366م)، وحجّ سنة (757هـ/ 1374م)، مرّ بمصر سنة758هـ/ 1357م، وكان في دمشق سنة 785هـ/ 1374م. وأخذ من علمائها علم الحديث.

ومن بين المشايخ الّذين قرأ عليهم أو سمع منهم أبو عبد الله النّدرومي وذكرهم في الثّبت:

الشّيخ العلاّمة (مجد الدّين أبو عبد الله محمّد بن الشّيخ الإمام تقي الدّين يعقوب بن أبي عبد الله محمّد الشّيرازيّ الشّافعيّ)، قرأ عليه كتاب (جامع الأصول) لابن الأثير في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظّم سنة(766هـ)؛

الشّيخان (شمس الدّين محمّد بن عبد الله الصّفويّ السّاعاتيّ)، و(أبو العباس أحمد بن علي بن جماز الحلبيّ)، سمع عليهما (ثلاثيات الدّارميّ)، وكان السّماع في المسجد الأموي بدمشق في ثامن عشر من صفر المبارك (سنة755 هـ)؛

الشّيخ العالم القدوة (شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن سليمان بن علي الزّهريّ). سمع عليه شيئًا من(كتاب الحجة)، وكان السّماع (سنة 753هـ)؛

الإمام الحافظ (أبو عبد الله محمّد بن الإمام الحافظ محب الدّين عبد الله بن أحمد بن المحب عبد الله المقدسيّ)، سمع منه قطعة من(صحيح ابن خزيمة)، وهو الجزء الرّابع بكماله، وقراءة(المحدث محمّد بن محمود الحلبيّ)، وكان السّماع بدار الحديث - المدرسة الضّيائية - بالصّالحيّة في دمشق؛

-القاضي (محمّد بن عبد الرّحيم بن علي بن عبد الملك المالكيّ المسلاتي)، قاضي قضاة المالكية يومئذ بالشّام، سمع عليه أغلب (كتاب الدّعاء)(للحافظ الحسين بن إسماعيل بن محمّد العتبي المحاملي.) وكان السّماع بمكة يوم الأربعاء، سادس شهر ذي الحجة (سنة757هـ (؛

(محمّد ابن الشّيخ الإمام العالم شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن زين الدّين أبي القاسم الأمويّ الإسكندريّ عرف بابن البوري الشّافعيّ)، سمع منه جزءا من أحاديث (جامع الترمذيّ) من (الرّباعيات) من الجزء الأوّل منه، بقراءة الشّيخ الحافظ (تقيّ الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن عوام القرشيّ الشّافعيّ)، وذلك في سابع جمادى الأولى (سنة 758هـ)؛

(أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمود، أبو العبّاس ابن الجوخي)، ويقال له: (ابن زقاق)، قرأ عليه المعاد الأخير من(صحيح البخاري)، بقراءة(علاء الدّين القدسيّ)، في يوم الجمعة تاسع عشر من شهر رمضان المبارك(سنة 747هـ(بالقدس الشّريف؛

قاضي القضاة (شمس الدّين محمّد بن عبد المعطي بن سالم الشّافعيّ)، الشّهير(بابن السّبع)، قرأ عليه (ثلاثيات البخاري)، قرأه بحرم سيدنا رسول الله e في الحادي والعشرين من ذي الحجة (سنة 757هـ(؛

الشّيخ الإمام العلاّمة الحافظ علاء الدّين أبو الحسن علي بن أيّوب بن منصور بن وزير بن راشد بن معن بن عبد العالي بن محمّد بن إبراهيم الخواصي، سمع عليه المعاد الأخير من (الجامع الصّحيح للبخاري) وكان السّماع بالمسجد الأقصى في شهر رمضان المعظّم (سنة 747ه).

وقد تتلّمذ على يده في بيت المقدس (عبد الرّحيم بن عبد الكريم أبي عبد الله بن سعد الدّين بن الخطيب جمال الدّين القرشيّ البكريّ الصّديقيّ)، و(أحمد بن محمّد بن محمّد الشّهاب أبو العبّاس بن الشّمس بن القاضي الشّمس الأنصاريّ القدسيّ الشّافعيّ).

ومن آثاره المخطوطة (ثبت النّدروميّ)، الّذي يتألّف من واحد وخمسين(51) ورقة، كل ورقة تشتمل على صفحتين متقابلتين، حيث ترجم في هذا المخطوط بإيجاز للعلماء والمحدّثين الّذين أخذ عنهم وتتلّمذ على أيديهم، وقد اشتمل على إجازات بخطوط بعض العلماء كـ (صلاح الدّين العلائيّ الدّمشقيّ)،

و(محمّد بن غازي الحنفي)، و(محمّد بن محمّد الرّبيعي) و(سليمان بن سالم الغزيّ)، و(الإمام إسماعيل بن عمر ابن كثير الدّمشقيّ) وآخرين.

ومنهج المؤلّف في هذا المخطوط، هو البدء بذكر سماعه لكتاب معيّن ويذكر ممّن سمعه من المشايخ، ومن قرأه في مجلس السّماع، وبعض من حضره من العلماء، ويؤرّخ لذلك السّماع بذكر اليوم والسّنة والمكان ويصرّح بإجازة الشّيخ له، وبثبوت سماع ذلك عنه، ويذكر في بعض الأحيان تاريخ وفاة الشّيخ الّذي أجازه قراءة هذا الكتاب أو ذاك.

جاء في معجم أعلام الجزائر أنّ وفاته كانت في حدود(777هـ/ 1376م) أمّا في الأعلام للزّركلي فكانت (سنة775هـ).

نسيمة لوح

المصادر:

- عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجايَة. أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمّد، أبو العباس الغِبْرِيني (ت: 714هـ)، حققه وعلّق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2/ 1979 م ج1 ص15.
- معجم أعلام تلمسان. الدّكتور التيجيني بن عيسى، كنوز للإنتاج والنّشر والتوزيع تلمسان، الجزائر 2011 ص354.
- للمزيد أكثر ينظر: محمّد بن محمّد بن يحيى الكومي النّدرومي دراسة في (ثبت النّدرومي) للدكتور:عمر أنور الزّبداني.جامعة الشّبكة الإسلامية.الدّوحة قطر. ندرومة مدينة عبد المؤمن: مجتمع أنثروبولوجيا وذاكرة. سلسلة إصدارات جمعية الموحدية ندرومة، ج2(ص 517 –ص560)

■ محمّد بن محمود بن محمّد بن حسين (ابن العنابي)
(و: 1189ه - 1775م/ت: 1267ه - 1851م)

ولد الشّيخ ابن العنابي سنة (1189هجرية/ 1775ميلادي)، عاصر الثّورة الفرنسية وما نتج عنها من أحداث مست جوانب متعددة من الحضارة الإسلامية، وعاصر في بلاده الجزائر حروباً خارجية خاصّة ضد الإنكليز، الأمريكان، الفرنسيين والإسبان وغيرهم، اسمه الحقيقي هو محمّد بن محمود بن محمّد بن حسين الذي عرف بابن العنابي تارة وبالعنابي تارة أخرى، من أسرة جزائرية كان لها اعتبارها الدّيني والفكري، تولى بعض أفرادها مناصب دينية وسياسية وفكرية، فقد تولى جده الأكبر (حسين بن محمّد) الإفتاء الحنفي كمنصب لشيخ الإسلام لا يفوقه في الاعتبار سوى الدّاي أو رئيس الدّولة، واشتهر جده الأدنى (محمّد بن حسين) بالعلم وحظي بالتقدير الكبير مما رشح ابن العنابي للوظائف، تساعده في كل ذلك، إمكانياته الفكرية التي فرضت احترامه وتقديره.

تثقف ابن العنابي ثقافة واسعة بمفهوم عصره، سواء منها تلك التي تمت بصلة إلى علوم الدّين أم علوم الدّنيا، من الأوائل الذين أخذ عنهم العلم في وطنه، جده، ثم والده، فالمفتي المالكي علي بن عبد القادر بن الأمين سنة 1820ميلادي. وكان تمكن ابن العنابي في العلوم الشّرعية أقوى مع تفتح واع على مشاكل العصر وتفاعل معها، وجاءت ثقافته من اهتمامه الشّخصي بالدّرجة الأولى، ومن تقاليد أسرته بالدّرجة الثّانية. فتلقى علومه على عدد من كبار الأساتذة يومئذ، كما أمدته تقاليد أسرته بتراث غزير.

أما وظائفه فكان أولها منصب القضاء الحنفي، ولاه الدّاي أحمد باشا هذه الوظيفة بالإضافة إلى مهمة ثانية وهي الكتابة إلى باي تونس، ويختفي اسم ابن العنابي ولا يعود إلا في عهد عمر باشا الذي كلفه (بسفارة للمغرب الأقصى) وبذلك (ينضح أن ابن العنابي لم يكن مجرد عالم بالفقه وما إليه من علوم الدّين، بل كان أيضا ديبلوماسيا ناجحاً وخبيراً لشؤون الدّول.و بعد هذه الفترة يكتنف حياته بعض الغموض، وقد أخذت وظيفة المفتي تتعرض إلى تقلبات خلال السّنة الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر. وقد أضحى ابن العنابي موضع شبهة من سلطات الاحتلال خاصّة عندما أجبره كلوزيل على تسليم بعض المساجد لجعلها مستشفيات للجيش، وقد اتسمت لهجة ابن العنابي بالنّقد للسلطات الفرنسية على خرقها للإتفاق الموقع بين الدّاي حسين باشا والكونت دي بورمون مما جعل كلوزيل يضيق به ذرعاً، فاعتزم على وضع حد له، فتم إلقاء القبض عليه من طرف رجال الدّرك وقادوه إلى السّجن، كما أهينت أسرته بدعوى تدبير مؤامرة ضد الفرنسيين، وإعادة الحكم الإسلامي للجزائر ثم قرر كلوزيل نفيه من الجزائر في مهلة ضيقة، ولم يحصل له (حمدان خوجة) على مهلة عشرين يوما من أجل بيع أملاكه وتصفية ديونه إلا بصعوبة كبيرة، ثم ترك وطنه لآخر مرة قبل نهاية (1831 ميلادية) وانتهى إلى مصر، فأقام بالإسكندرية حيث

ولاه محمّد علي باشا وظيفة الفتوى الحنفية بهذه المدينة.

وقد التف حول ابن العنابي تلاميذ وعلماء من الأزهر بعد أن تصدر لتدريس الحديث والفقه، فأجاز الكثيرين من تلاميذه في مصر وتونس وغيرهما، كما كانت له مراسلات كثيرة لكثرة مراسليه الذين يطلبون الرّأي أو الفتوى أو الإجازة، أو غيرها من المراسلات الأدبية، كما اتسمت شخصيته بالرّوح الدّينية والفكر الاقتصادي، والسّياسي، فكان له دوره الدّيني والسّياسي، لعب دوره الأول وهو يباشر وظيفة الإفتاء ويتصدر للتدريس ويمنح الإجازات لتلاميذه والمعجبين بعلمه، أما الدّور السّياسي فيتمثل في صلته بدايات الجزائر وفي موقفه من الاحتلال الفرنسي لبلاده، وهو الاحتلال الذي نفاه باعتباره عالماً منفياً لأسباب سياسية.

توفي ابن العنابي سنة 1851 ميلادية بمصر، وقد ترك العديد من المراسلات في العديد من المواضيع خاصّة الدّينية منها، وأشعارا، وكتبا، أهمها (السّعي المحمود في نظام الجنود)، الذي قال عنه ابن العنابي (أن الأوروبيين نظموا جنودهم ليضروا بالإسلام وأهله، وأمام هذا الخطر الدّاهم، أصبح من المحتم على المسلمين أن يتعلموا منهم ما اخترعوه من صنائع ونظم) وهذا الكتاب مكون من أربعة عشر فصلاً، يتعلق بنظم الجيش والأخذ بأسباب الحضارة.

فاتح نواري

المصادر:
- كتاب «شخصيات جزائرية» للدكتور عمر بن قينة، الطّبعة الأولى 1983م
- كتاب (ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي)، الدّكتور أبو القاسم سعد الله، الشّركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977

■ محمّد بن يوسف بن محمّد المصعبي المليكي الجربي (أبو عبد الله) (ت: 1207ه - 1792م)

محمّد بن يوسف المصعبي المليكي أصلا بوادي مزاب، عاش بجربة وبها توفي، أخذ العلم عن والده العالم، وعن غيره من مشايخ عصره.

كان من الأقطاب الذين تدور عليهم أمور عصرهم في جربة، تولّى منصب والده في جميع المهامّ بالجزيرة من رئاسة مجالسّ التعليم، والحكم، والتدريس، والفتوى بالجامع الكبير.

اختاره مجلس الشّورى بجربة رئيساً للوفد الذي أرسل للدفاع عن المذهب، ولمناظرة علماء تونس بحضرة الباي الجربي، وكانت بينهما مراسلات في الفقه والتوحيد والأحكام.

له خطٌّ جميل نسخ به كثيراً من أمّهات الكتب؛

من آثاره الفكرية:

1. «شرح لقصيدة تحريض الطّلبة»، لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي، (مخ).
2. «حاشية على الإجارات»، المنسوب ليحيى الجناوني، (مخ).
3. «حاشية على كتاب تبيين أفعال العباد»، للشيخ أبي العباس أحمد بن محمّد
4. بن بكر، لم يكملها، (مخ).
5. «رسائل وفتاوى وأجوبة»، في مختلف الفنون الشّرعية، (مخ).
6. «حاشية على كتاب الفرائض» للشيخ إسماعيل الجيطالي، (مخ).

كما تولّى التدريس بمدرسة الجامع الكبير بجربة، وتخرَّج على يديه ثلّة من العلماء منهم:

- أبو الأعناق داود بن أبي بكر المصعبي الغرداوي نسباً، الجربي مسكناً؛
- إبراهيم بن صالح المصعبي؛
- قاسم بن أحمد المثني؛
- محمّد بن يحيى القلالي؛
- موسى بن علي الباروني؛
- أحمد بن عمر البغطر؛
- بو العباس أحمد بن محمّد بن يوسف المصعب؛
- سليمان بن محمّد الباروني؛
- سليمان بن محمّد الشّماخي.

وبموته أخذ نظام العزَّابة في الاندثار بجزيرة جربة.

أوثر عنه أن باي تونس حمودة باشا الحسيني بعث إلى علماء جربة طالبا منهم أن يوفدوا عليه جماعة من أهل العلم ليختبرهم لوشاية قام بها علماء تونس عند الباي، يذمونهم ويعتبرونهم خاليين من العلم وانهم أهل بدعة وليسوا من السّنة في شيء.

فاختار مجلس الشّورى بجربة الشّيخ محمّد المصعبي ليكون رئيساً للوفد، ولما وصل الوفد تونس أكرمه الباي وفي الغد أو بعده ركب الباي وسار قاصداً زاوية بلحسن ومدينة تونس أراضي زراعية، فشقّ الباي تلك المزارع بخيله فتتبعه سائر النّاس وكانوا آلافاً يدوسون تلك المزارع، ولكن الوفد الجربي لم يتبع الباي بل دار متبعاً الفواصل التي بين الزّروع حتى وصل مكان وقوف الباي فقال للوفد منبئاً عليه لماذا

خالفتموني واتخذتم طريقاً غير التي سرت أنا فيه؛ أعصيتموني؟ قال كبيرهم الشّيخ محمّد: «لا لم نعصك ولكن أشفقنا على الزّرع لم نرض أن ندوسه بأقدامنا لقوله: "لا يدخل الزّرع إلاّ ثلاثة: واقيه وساقيه وناقيه"، وأنت واقيه، فعلم حينئذٍ مقدرا تورعهم وآدابهم وأنهم عاملون بما عملوا، ورجع الباي بالأئمة على الذين اتبعوه وهمّشوا مزارع النّاس وانهم لا يخافون الله ولا يراقبونه إنما يتقربون إلى الأمراء.

يحيى بن بهون حاج امحمّد

المصادر:

- ابن تعاريت: رسالة في تراجم علماء جربة (مخ) 8، 9
- أبو اليقظان: ملحق السّير (مخ) 65
- علي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ح2/ 200-201
- سالم بن يعقوب: تاريخ جزيرة جربة، 135-138
- الجعبيري: نظام العزابة، 228-231، 274، 284، 231-310
- الجعبيري: ملامح عن الحركة الإباضية، 16
- ابن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، 240 جمعية التراث: دليل المخطوطات، فهرس آل يدّر، مج 43
- -فهرس القطب اطفيش، و28
- -فهرس البكري، مج ق 21-22.
- ينظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، المطبعة العربية -غرداية، ط1، 1999، ج4، ص850.

■ محمّد بوده
(و: 1320ه - 1903م/ت: 1387ه - 1967م)

راحِلٌ أنت أيُّها الشّيْخ المُفَدَّى، لكنك
في الذاكرة حاضرٌ لا تغيب.
أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ بَعْدَ مَوْتِهِ وأَوْصَالُهُ
تَحْتَ التُرَابْ رَمِيْمُ

هو رجل مِفضال؛ سليل السّالكين سُبُل العلم الدّيني، والتعليم القرآني، فآباؤه شيوخ أفاضل، وبهم يتصل نسب جدِّي: محمّد بن الشّيخ عبد القادر، بن الشّيخ أحمد، بن الشّيخ عبد الله، بن الشّيخ عبد الرّحمان، بن الشّيخ مصطفى، بن الشّيخ مختار، بن الشّيخ بوبكر بوده صاحب حينون، نسبة لمنطقة تسمى زاوية حينون بدائرة أولف بإقليم التيديكلت، حيث ولد رحمه الله خلال عام 1903م، وبها تلقى تعليمه الأول على يدّ والده لفترة قصيرة، قبل أن يتوفاه الله، ثم واصل تعليمه الدّيني على يدّ شيخه «سيد أحمد العالم أبختي" رحمهم الله أجمعين.

وبعد أن أتمَّ الله عليه نعمة حفظ كتابه المبين، استأذن والدته في السّفر إلى إقليم الهقار، فهبط مدينة تمنراست سنة 1930م، وعكف على تدريس القرآن الكريم، سيرا على خطى والده الشّيخ عبد القادر وأجداده السّابقين، ومكث هنالك ثلاث سنوات،

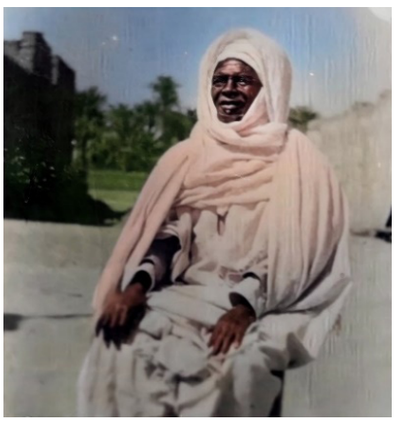

انتقل على إثرها إلى إقليم التاسيلي العتيق، بعدما أشار عليه مولاي النّاجم الرّقاني، بالذهاب إلى زاوية سيدي موسى بوقبرين، التي لم يكن بها معلم قرآن في تلك الفترة، فاستجاب له الشّيخ محمّد بوده، ويمَّمَ شطر تيماسينين التي حلَّ بها سنة 1933م، واستقبله فيها الرّاحل بن عبد النّبي محمّد كبير البلدة آنذاك، ثم شرع الشّيخ محمّد بوده، مرة أخرى في تعليم النّاس القرآن الكريم، وأمور الدّين القويم وأحكامه، سنة 1936م، وقد اجتمع عنده ناشئة القرية وكبارها، من قائمة: الشّيخ بن عبد النّبي البكري (المدعو بوجادي)، والحاج مولاي بن عبد النّبي، وسيد أحمد بابا أحمد (المدعو كشيشي)، والحاج آخا بن الصّغير، وبن عبد الحاكم خوَّاتا، والحاج بن موسى البشير، والحاج بن موسى أمَّامَة، والحاج صالح حمادي، والحاج بوجمعة حمادي، وحمادي عبد القادر، والحاج بن سالم أحمد (المدعو حميد)، والحاج بن سالم أمحمّد(المدعو حمى)، والحاج وانتيمضي أخموك، وأسغير اخموك، وبن عبد الحاكم المختار(المدعو التلال)، وآخرون ممن نترحم على الأموات فيهم وندعو ببركة العمر للأحياء منهم.

لقد كان رحمه الله حريصا على الاستزادة من علوم الدّين، مما أسهم في رفع أفقه العلمي، فأشرقت مسيرته بحصيلة وازنة؛ قوامها عشرات المراسلات الفقهية مع أرمادة من شيوخ وعلماء المشرق العربي، كمصر، وسوريا، والعراق، وليبيا، والمملكة العربية السّعودية، ناهيك عن تواصله العلمي والإنساني مع كوكبة من علمائنا الأجلاء في الجزائر؛ ونذكر منهم الشّيخ باي بلعالم سليل ودفين أولف، والشّيخ سيدي محمّد بلكبير سليل ودفين أدرار، والشّيخ

مولاي أحمد الطّاهري نزيل سالي بآدرار، ودفين مراكش بالمغرب الأقصى والشّيخ بلعبيدي من إقليم وادي ريغ (تـگرت)، والشّيخ السّي محمّد بلحاج عيسى مسروق من منطقة الشّط بولاية ورگلة، والشّيخ حمزة مخطار بوسعيد من سالي بأدرار، والشّيخ حمزة خدارة بمنطقة في ورگلة، والشّيخ عطية بن مصطفى من ولاية الجلفة، والشّيخ محمّد بن مالك بتمنراست. وغيرهم ممن لم أُحِطْ بهم خُبْرًا.

وقد قصَّ عليَّا والدي بارك الله عمره، أنَّ الشّيخ باي بلعالم رحمه الله، رأى مخطوطا لجدي محمّد بوده فَحَسِبَ أنَّ المخطوط للشيخ سيد أحمد العالم، فقالوا له: إن المخطوط منسوخ بخط الشّيخ بوده، وليس بخط الشّيخ سيد أحمد العالم، فقال الشّيخ باي عندئذ: لا شك أن الشّيخ بوده أحد تلامذة الشّيخ سيد أحمد العالم، -لما بينهما من شبه الرّسم الإملائي وجودة المضمون- فقالوا له: نعم إنه كذلك.

وكغيره من أفذاذ الوطن الأشاوس، استجاب جدي رحمه الله، لواجب الجهاد، عشية اندلاع الكفاح المسلح؛ منذ أواخر سنة 1955م، حيث أسهم في العمل الجهادي إلى جانب إخوانه من مجاهدي المنطقة، وأَخُصُّ بالذكر الحاج كادي التيلامو، والحاج أمبيريك دحماني رحمهم الله جميعا، وقد تكفل حينها بإيصال رسائل الثّورة إلى مجاهدي المنطقة، كما اضطلع بمهمة جمع التبرعات المالية الموجهة لدعم العمل الثّوري المسلح. وتجدر الإشارة أنه تعرض لمضايقات السّلطة الفرنسية آنذاك؛ بعدما اِشْتُبِهَ في دعمه للثوار، فتم سَجْنُهُ في معتقل فلاتيرز خلال سنة 1960م، ودخل معه السّجن مجموعة من رجال البلدة، على غرار: عبد القادر بن سالم (المدعو كاقل)، والحاج أمبيريك دحماني، والحاج بوجمعة حمادي، والحاج سالم بيلو، والحاج إبراهيم بن سالم، والحاج أحمد بن النّوي (المدعو الغول)، والطّالب حمية من ورگلة.

حجَّ الشّيخ المجاهد محمّد بوده بيت الله الحرام، غداة الاستقلال المظفر، وكان ذلك سنة 1965م، ورافقه في رحلته تلك الحاج التيلامو كادي، والحاج أمبيريك دحماني، والحاج وانتيني أخو، رحمهم الله جميعا. وقد سافروا حينها بحرا على متن باخرة، أقلَّتْهُم من ليبيا نحو المملكة العربية السّعودية، مرورا بمياه الجمهورية المصرية.

وبعد عامين من هذه الزّيارة الميمونة، توفي شيخنا الجليل رحمه الله، يوم الخميس الموافق للسادس ربيع الأول، من سنة 1967م، في حدود الواحدة ونصف زوالا، بعد أن بلغ من العمر 64 عاما، وقد كانت وفاته حدثا موجعا في تيماسينين التي ماتزال شاهدة على دوره التنويري والجهادي، ولما بلغ النّاس نَعْيُه، جاء المعزون من مختلف بقاع الصّحراء، على غرار أولف وتمنراست وعين صالح وورگلة.

رحل الشّيخ المجاهد محمّد بوده رحمه الله، الذي عُرِف عنه تواضعه الجم، وكرمه المشهود، حيث كان يأوي إلى منزله القريب والغريب، ويُكْرِمُ فيه النّاس بما أوتي من علم، ورزق حسن.

العيد بوده

■ محمّد توامة
(و: 1386ه - 1966م/ت: 1441ه - 2020م)

ولد الإمام العصامي محمّد توامة بن قدّور بن حمود يوم 03 جويلية 1966م بمدينة بوسعادة، وهو ينتمي إلى أسرة عريقة محافظة، إذ كان والده (قدور) من حفظة القران الكريم ومن أوائل المعلمين بعد الاستقلال، وقد عُرف عنه في الوسط التربوي الذي اشتغل فيه زهاء 28 عاما 1962--1990م- الصّرامة والكفاءة والانضباط والإخلاص، إذ درّس أغلب كوادر جيل ما بعد الاستقلال في مدينة بوسعادة وما جاورها، ولعل هذه الأسرة الكريمة الوقورة هي من كانت تصقل شخصيّة هذا الإمام الهادئ، الذي درج في تعلمه عبر مختلف مراحل التعليم، إذ درس الابتدائي في مدرسة (الإخوة بوتشيشة) والتي كانت تعرف في عهده بمدرسة (الدّشرة القبليّة للذّكور) بحي أول نوفمبر ببوسعادة عام 1972م، أنهى الشّيخ مرحلة التعليم الابتدائي عام 1978م، لينتقل إلى متوسّطة (عائشة الباعونيّة) ليدرس عاما واحدا خلال الموسم الدّراسي 1978/ 1979م، أكمل دراسته بمتوسّطة (ابن خلدون) بحيّ بلاطو وسط مدينة بوسعادة من 1979 إلى 1983م، ثمّ وُجّه الى شعبة الأدب العربي بثانويّة أبي مزراق المقراني ببوسعادة، التي كانت تعرف بالمعهد الإسلامي مع مطلع ستينيات وأواخر سبعينيات القرن العشرين، والتي كان يدرّس به أغلب الأساتذة العلماء من بلاد الشّام والمشرق العربي، ويفد إليها الطّلاب من كل أقاصي البلاد.

وبما أنّ الشّيخ محمّد توامة كان محبّا لعلوم الشّريعة وميوله نحو الدّرس المسجدي وحلق القرآن والذّكر منذ صغره؛ فقد اختار أن يشارك في مسابقة تكوين الأئمة بمعهد سيدي عقبة بولاية بسكرة عام 1988م، فكان له ما أراد وتخرّج عام 1990م إماما شابا أين وظف عام 1994م في مسجد (عمر بن الخطاب ببلديّة بانيو)

على تخوم مدينة بوسعادة، لكنّه لم يلبث إلّا أشهرا معدودات حتى عاد إلى مسجد الحيّ -عبد الله بن الزّبير- الذي احتضنه صغيرا لمّا كان طالبا في الزّاويّة، حافظا للقرآن الكريم ومجيدا لتلاوته، ودارسا لمختلف العلوم الشّرعيّة على يدي ثلّة من المشايخ والأساتذة أمثال الشّيخ الإمام أحمّد عطلاوي والإمام الشّريف عبد اللاوي من أشهر شيوخ المدينة في التحفيظ القرآني آنذاك.

كما تتلّمذ في هذا المسجد العتيق المعروف بنشاطه الدّؤوب من خلال الحلقات العامّة التي كانت تعقد أسبوعيّا والنّدوات العلميّة التي تدار سنويّا خلال السّبعينيّات والثّمانينيّات، فأخذ العلم عن العديد من المشايخ والدكاترة من أمثال الدّكتور عامر لعرابي والدكتور موسى عتيق والدكتور عبد القادر لوعيل والدكتور الحواس خالدّي، والإمام الخطيب العصامي الشّيخ عبد النّاصر زوارق والإمام عثمان مبروكي والأستاذ لخضر بوتشيشة والأستاذ النّذير ديلمي وغيرهم.

رافق الشّيخ محمّد توامة زمرة من التلاميذ الشّباب مطلع التسعينيات، فكان مدرّسا لهم في ذات المسجد -عبد الله بن الزّبير- مُحفّظا لهم القرآن الكريم، ومُلقنا لهم مختلف العلوم الشّرعيّة ومُبحرا بهم في شتى المسائل الفقهيّة والعلوم الدّينيّة والأدبيّة، من هؤلاء التلاميذ: الإمام النّواري حليتيم والمعلّم جمال الزّاوي والمهندس عبد الحميد ناجم، والأستاذ فواز سديرة، والدكتور عاشور توامة، والأستاذ موسى لزرق، والأستاذ عيسى حمدي، والأستاذ فريد الزّاوي، والأستاذ جلول طيبي، والأستاذ السّعيد بوضياف، والمرحوم عبد الحليم، الزّاوي، وعمار زواقي، وكمال توامة، ومبروك تومي وغيرهم.

انتقل الشّيخ محمّد توامة إلى مسجد ابن تيميّة ببوسعادة إماما خطيبا من عام 1996م حتى عام 2001م ثمّ حُوّل إلى مسجد (عبد الله بن مسعود) بحيّ الموامين وسط المدينة حيث استقرّ به المقام تسعة عشر عاما، مُدّرسا وواعظا وموجها فاعلا للخير بمعيّة جماعة المسجد، ومتفاعلا مع الجمعيات الخيريّة من المدينة من مثل جمعيّة أحباب المدينة وجمعيّة سواعد الخير وغيرها في مختلف المناسبات وخصوصا شهر رمضان والأعياد الدّينيّة.

كان الشّيخ محمّد توامة إماما سمحا ينزع للتجديد والتيسير في نقل فتواه؛ بما يقتضي مساءلة أهل العلم والاختصاص، والاعتماد على المصادر الأولى في أعقد المسائل، ولعلّ هذا نتيجة تمكّنه من مواصلة مساره الدّراسي في الجامعة، إذ حصل على شهادة البكالوريا عام 2009م ليدرس الآداب وعلوم اللّغة العربيّة بجامعة المسيلة، وحصوله على شهادتي اللسانس عام 2012م والماستر عام 2014م (نظام ل م د) بإشراف الدّكتور عبد القادر العربي، فأخذ بذلك الكفايّة المنهجيّة والدقة الفكريّة والموضوعيّة العلميّة في تلقّي العلوم الأدبيّة وتقديم الدّروس الشّرعيّة، مناقشا أصولها وفروعها وقضاياها حتى انعكس هذا على مراجعة كثير من المسائل والآراء التي فيها لبسا في الفهم والإفهام، بما يقتضي المنطق وروح العصر دون مغالاة أو تعصب أو إفراط وتفريط.

قال عنه الدّكتور عثمان مقيرش أحد أساتذته في جامعة المسيلة: «كان دمث الأخلاق حييا محبّا لطلب العلم والعلماء لايتوانى في قول الحقّ ما استطاع إلى ذلك سبيلا وكان متواضعا في غير مذلة، كريم الأصل والمنبت يقدر الشّيوخ وأهل العلم».

وقال فيه الأستاذ الشّاعر (عمر طرافي) مُنعيا وهو أحد أصدقائه وزملائه في مرحلة الماستر: «هادم اللذّات ومفرّق الجماعات يتخطّف زميلي المقرّب في مرحلة الماستر وإمام مسجد (عبد الله بن مسعود) إنه الأستاذ: محمّد توامة عليه شآبيب الرّحمة والغفران أرفع لجناب روحه الطّيبة هذا الرّثاء:"

أهالوا عليه التربَ وهْوَ المُطيَّبُ
فأهرق دمعي ذا الفراق المُغيِّبُ
وهزّ ضلوعي نعيُه اليوم راحلا
إلى الله...كلُّ الخلق لله آيبُ
يقولون قد مات الإمام فلم أزلْ
أكذّبُ من ينعاه أبكي وأندُبُ
إلى أن تجلى الصّدقُ فانهارَ بي البُكا
وأمضيتُ ليلي كاملا أتقلّبُ
تعود بيَ الذّكرى إلى الأمس كيفما
قضينا معا عامين في العلم نطلب
بجامعة نحو المسيلة وجهة
نُيمّمُها والشّعرُ في الرّأس أشيب!!
درسنا على عُمْر تقلّصَ فارقا
نخوض غمار النّقد لا نتهيّب
لعمرك أيام الهناء قد انقضت
سراعا وقد كنّا معا حين نركب
نناقش تحصيلا درسناه جُملة
ونأتي بتفصيل الشّروح ونطنب
فواحرّ قلبي كيف ترحل فجأةً
ومازلتُ لِلّقيا أحِنُّ وأرغب
خليلي عذاب البُعد لست أطيقُه
فكيف النّوى لوكان للموت يُنسَبُ؟!
لقد كنتُ أقلو النّأي عند افتراقنا
وكنتُ وددتُ الدّهر نقرا ونكتبُ
كتبتَ قُبيل الموت فلتحذروا الوبا
ولا تجزعوا للموت لكنْ تجنّبوا
فمِت شهيدا عند ربّك شاهدا
على النّاس فيهم كنتَ تدعو وتخطب
سقى الله مثواك المُطيّبَ في الثّرى
وجاد بعفو منه كالغيث يُسكب
رثيتكُ يا ابن الأكرمين بأدمعي
فزرني مناما خالصّا منك يوهب!
تكفكفُ عَبْراتي وتطفئ لوعتي
وتخمدُ شوقا بات في الصّدر يلهب!

ترك الشّيخ محمّد توامة مخطوطين بعنوان في الأدب العربي الأول بعنوان: (جماليّة النّظم عند عبد القاهر الجرجاني)، والمخطوط الثّاني وسمه بـ: (تاج مصطفى صادق الرّافعي _ دراسة جماليّة)، ومخطوطا في التوجيه الدّيني سمّاه: "رسالة الإمام" عكف على تأليفه منذ 2015م، وكان ينوي مواصلة الاجتهاد فيه بحسب شهادة أصدقائه المقربين من مثل صديقه ورفيق دربه منذ أكثر من أربعين عاما الإمام (علي بن شلالي) وكذلك أخوه الأكبر أستاذ الأدب العربي زين الدّين توامة، والأستاذ زيان السّايحي، والأستاذ موسى معروف، والأستاذ مصطفى بن السّراج، والدكتور عمر حمدي، والأستاذ حيدش مبارك. ولعلّ

مضامين هذه الشّهادة في مجملها تهدف إلى تعزيز دور الإمام المجتهد المنفتح عن قضايا المجتمع ومعالجة مشاكله بما يخدم الإسلام وتعاليمه، ويُمكّن له في النّفوس والعقول دون رتابة وعظيّة وسلفيّة نمطيّة منغلقة عن الحياة ومستلزماتها.

توفي الشّيخ محمّد إثر وعكة مفاجئة ألمت بجسده الضّعيف يوم الأحد 22 نوفمبر 2020م بمستشفى الشّهيد بشير رزيق ببوسعادة، حيث فاضت روحه إلى بارئها السّاعة الثّامنة ونصف مساء عن عمر يناهز 54 عاما، ودفن إلى جانب والده يوم 23 نوفمبر2020م، بمقبرة أولاد أحميدة ببوسعادة، رحم الله الفقيد الشّيخ الإمام الهادئ محمّد توامة وأسكنه فسيح جناته.

عاشور توامة

المصادر:
- عاشور توامة، الإمام الهادئ محمّد توامة، جريدة البصائر الأسبوعيّة، ع1040؛
- حواري مع الإمام علي بن شلالي صديق المرحوم الإمام محمّد توامة؛
- Amar Tarrafi Facebook.

■ محمّد خير الدّين البسكري
(و: 1319ه - 1902م/ ت: 1413ه - 1993م)

محمّد خير الدّين بن حمد أبي جمليين الفرفاري الجزائري البسكري عالم مصلح مدرس سياسي. ولد ببلدة فرفار إحدى قرى بسكرة، وفيها حفظ القرآن الكريم ودرس المبادئ الأولى، في سنة 1916 انتقل إلى مدينة قسنطينة ودرس فيها على أبرز شيوخها مثل العلامة عبد الحميد بن باديس والشّيخ الطّاهر بن زقوطة

وفي سنة 1918 واصل دراسته بجامع الزّيتونة الذي حصل فيه على شهادة التطويع سنة 1925م. وفي سنة 1929 انتقل من فرفار إلى مدينة بسكرة.

في سنة 1931 تأسست جمعية الإخاء ومدرستها ببسكرة فكان أحد الأعضاء البارزين في إدارتها. وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931 كان محمّد خير الدّين من مؤسسيها الأوائل، حيث حضر غالب اجتماعات الجمعية وتقلد فيها مناصب عدة منها عضو مستشار ثم مراقب عام

ثم أمين مال الجمعية بعد وفاة مبارك الميلي، كما شغل أيضا منصب نائب رئيس الجمعية.

وعند حدوث مظاهرات 8 ماي 1945 اعتقلته السّلطات الفرنسية رفقة الشّيخ العربي التبسي وفي سنة 1947 كان مسهما في إدارة معهد عبد الحميد بن باديس مع الأستاذين العربي التبسي وأحمد رضا حوحو.

بعد اندلاع ثورة نوفمبر انتقل إلى المغرب وكلف بتمثيل جبهة التحرير الوطني.

في أواخر شهر أفريل 1958 شارك في مؤتمر طنجة مع عبد الحفيظ بوصوف وعبد الحميد مهري وفرحات عباس وأحمد فرنسيس.

بقي محمّد خير الدّين مسؤولا سياسيا في المغرب إلى أن أخذت الجزائر استقلالها سنة 1962، حيث عاد إلى الوطن وعين عضوا في البرلمان الجزائري الأول، لكنه استقال منه فيما بعد. في مارس من سنة 1976 فرضت عليه الإقامة الجبرية بسبب توقيعه على بيان إلى الشّعب الجزائري هو ومجموعة من السّياسيين الجزائريين. من آثاره: مذكرات تقع في جزئين منفصلين طبعتها المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر العاصمة.

توفي الشّيخ محمّد خير الدّين بالعاصمة ودفن بمدينة بسكرة.

نعيمة سعدية

■ محمّد سعيداني
(ت: 1376ه - 1957م)

ويتبوأ الشّهيد الفدائي البطل(محمّد سعيداني) مكانة مرموقة ومتميّزة جداً في الكفاح الثّوري بمنطقة الميلية التابعة إلى ولاية جيجل، ويستحق لقب: (نمر الميلية)، أو (أسد الميلية)، حيث إنه صورة طبق الأصل من ملحمة الثّورة الجزائرية العظيمة، وقد كان الشّهيد الفدائي البطل(محمّد سعيداني)، كثيراً ما يتردد على مكتب حاكم الميلية المُجرم الفرنسي(جيرمان فور)؛ وذلك من أجل الحصول على رخصة للسفر إلى تونس لمعالجة ساقه المريضة، والتي طال مرضه بها، وازدادت آلامه منذ فترة، وهذا ما سهَّل مُهمة النّهوض بتنفيذ حُكم الإعدام في المجرم(جيرمان فور)؛ الذي اشتهر بجرائمه الفظيعة في منطقة الميلية وضواحيها، فقد تمّ تعيينه عقب مقتل المتصرف الأول(الحاكم) المدعو(رينو)؛ الذي قُتل في الطّريق القريب من منطقة(تاسقيف)، الرّابط بين منطقة الميلية ومدينة قسنطينة، وذلك خلال هجوم 20أوت1955م بالمنطقة، حيث يذكر المجاهد عمّار قليل في الجزء الثّاني من كتابه: «ملحمة الجزائر الجديدة» أن سلطات الاستعمار الفرنسي عيّنت مكانه الحاكم(جيرمان فور)؛ الذي قاد عملية انتقام واسعة من الأهالي، وارتكب عدداً كبيراً من الجرائم البشعة؛ لذلك قرر النّظام تصفية هذا الطّاغية المُجرم، وبالفعل فقد تمت عدة محاولات لتنفيذ حُكم الإعدام فيه، بيد أنها لم يُكتب لها النّجاح بسبب وجود نقص، أو خلل في التنظيم والتخطيط، وبعد فشل محاولات كثيرة انبرى له البطل الفدائي(محمّد سعيداني)، حيث يقول المجاهد عمّار قليل عن هذا الأمر في الصّفحة 184 من الجزء الثّاني من كتاب: «ملحمة الجزائر الجديدة»:«... وأخيراً وقع اختيار النّظام على الشّهيد(سعيداني محمّد)، لتنفيذ هذه المهمة، وقد اشتهر الشّهيد سعيداني محمّد بشجاعته الفائقة، ورباطة جأشه الصّلبة في تنفيذ العمليات الفدائية الخطيرة؛ حيث تطوّع في وقت سابق لقتل النّقيب(روسو)، الذي اشتهر بفساده وجرائمه ووحشيته بمنطقة العنصر في

جيجل، وبالفعل قام الشّهيد سعيداني محمّد بدخول مكتب النّقيب(روسو)، وإطلاق النّار على الجالس وراء المكتب الذي لم يكن سوى كاتب النّقيب، واستطاع الشّهيد سعيداني الانسحاب سليماً».

والحق أن من يقرأ سيرة الشّهيد البطل(محمّد سعيداني)؛ الذي ينحدر من أسرة جزائرية وطنية، يُدرك بأنه قد وجد في وسط منطقة أولاد عيدون، التي ولد ونشأ بها مُحيطاً صالحاً لتنمية عواطفه الوطنية، وتكوين شخصيته القوية، وقد اتصف بحسن السّيرة والأخلاق، وهو بسيط الحال، ومتواضع في علاقاته مع الآخرين، وأسرته معروفة بالجهة بتمسكها بعاداتها وتقاليدها العربية الإسلامية، وبتضحياتها ونضالها وعطائها الغزير من أجل القضية الوطنية، ولقد سمحت الظّروف القاسية التي عاشها الشّهيد البطل(محمّد سعيداني)، باكتشاف العديد من الحقائق، ومعايشة جرائم فظيعة تعرض لها أبناء قريته، فعايش ويلات الاستدمار الفرنسي في منطقة ذات طبيعة جبلية صعبة، واكتسب خبرة وحنكة في مدينة الميلية، بعد احتكاكه بعدد غير قليل من المناضلين والمجاهدين والفدائيين والمسبلين، ومن أهم الصّفات التي كان يتحلى بها الشّهيد البطل(محمّد سعيداني)؛ الصّبر في الشّدائد، والتواضع والتسامح المعقول، والشّجاعة والإقدام، لذلك لا نتعجب عندما نلفيه ينفذ عملية إعدام المجرم الفرنسي الحاكم(جيرمان فور) في وضح النّهار، حيث جاء في وصف المجاهد(عمّار قليل) لهذه العملية البطولية: «... لم يكن الوصول إلى مكتب الحاكم في الدّائرة يتم بسهولة، لأنه كان لابد للذاهب إلى هذا المكتب أن يتعرض إلى عمليات تفتيش دقيقة، وقد ساعد الشّهيد محمّد سعيداني في توصيل المسدس الذي نُفذت به العملية إلى مكتب الحاكم، كاتب ضبط في دار العدالة يدعى مولود بوجمعة، لأنه لم يكن محل شبهة من طرف جنود الحراسة الفرنسيين، وهذا ما سهّل له إدخال المسدس الذي أوصله إلى الشّرطي بلقاسم بوشامة الذي وضعه في أحد جدران مكتب الحاكم، وعندما أصبح المسدس داخل مكتب الحاكم تحدد يوم:15جانفي1957م لتنفيذ العملية، وقبل أن يتوجه الشّهيد سعيداني محمّد لتنفيذ العملية، التقى بإسماعيل زعيمش؛ مسؤول التنظيم داخل الميلية، وأخبره بنيته قتل الحاكم، وذكر له بأنه متأكد من استشهاده بعد العملية؛ نظراً للحراسة الشّديدة خارج المكتب، ومبنى الحاكم من جهة، ونظراً للجرح الذي يُعاني منه في ساقه، والذي يُعيقه عن سرعة الحركة من جهة أخرى، فطلب منه أن يهتم ببناته بعد استشهاده، وبالفعل توجّه الشّهيد سعيداني في ذلك اليوم(15-01-1957م) إلى مكتب الحاكم؛ حيث صرعه بعدة رصاصات من المسدس داخل مكتبه، وعندما حاول الشّهيد الانسحاب من المكان؛ تعرض لطلقات نارية من جنود الحراسة الخارجية، فسقط على إثرها شهيداً، وقد تمّ القبض على كاتب ضبط المحكمة مولود بوجمعة، والشّرطي بلقاسم بوشامة، حيث استشهدا تحت التعذيب».

وقد ذكر لي أحد أقاربه في منطقة (أولاد عيدون)أن سلطات الاحتلال الفرنسي، قامت بالتنكيل بجثته بعد استشهاده بطرائق بشعة، وقد تمكّن من الوصول إلى مكتب الحاكم المجرم (جيرمان فور) على السّاعة 11 والنّصف، وقد استخدم سلاح: colt 11mm 43.

وقد أشار المجاهد(عمر شيدخ العيدوني)، في كتاب: «مملكة الفلاقة» إلى أن تنفيذ حكم الإعدام في المجرم (جيرمان فور)، جاء بعد اشتداد الثّورة في المنطقة بشكل كبير، وكان في سياق الإضراب الشّامل الذي عُرف بإضراب الثّمانية أيام، حيث يقول: « قررت الثّورة شن إضراب شامل عرف بإضراب الثّمانية أيام، وفي حقيقة الأمر لقد تقرر هذا الإضراب في مؤتمر الصّومام على مستوى وطني، وبالنّسبة إلى منطقة أولاد عيدون خرجت كل الشّخصيات الجزائرية المُسلمة السّاكنة بوسط المدينة، واجتمعت في العتقة مركز قيادة المجاهدين، وعلى رأسهم مسعود بوعلي، ومن بين هؤلاء: بوجمعة قريد، وكان يشغل منصب مستشار عام لوالي قسنطينة، وكان صديقا لروني مايير رئيس الوزراء الفرنسي، وهو من مواليد قسنطينة، وكان ينتمي سياسيا إلى المُستقلين، ومن بين الشّخصيات أيضا القاضي مصطفى بن يزار، وكان يعمل بأولاد عيدون، وأحمد قارة محام، وعبد الرّحمان حمودة أستاذ ثانوي، وسليمان مسقالجي تاجر ينتمي إلى حركة البيان، وقريد محمّد الصّالح وكان تاجرا كبيرا يصدر السّلع إلى فرنسا وغيرهم كثير...، وقد كلفتهم الثّورة في هذا الاجتماع بضرورة القيام بإضراب عام، وحمل النّاس على ذلك، فنفذوا الأمر، وبالتزامهم نجح الإضراب بنسبة 100٪ والذين كانوا مسؤولين على هذا النّجاح من القسم الرّابع وهم بن حملاوي مسؤول، ونوابه سي رابح غيوة، وسي أحمد بوشريط، وسي أحسن زعيمش وغيرهم...، وعلى إثر هذا الإضراب قام الاستعمار بتخريب كل المحلات التجارية المضربة عن آخرها، ومخافة القتل أو الأسر أو... حملهم على العمل بالقوة فغادر أغلب السّكان المدينة، واستقروا بجبال بني فرقان ومشاط، وأولاد عربي، والعتقة، وأولاد الصّالح.

في هذه الأيام المشحونة تمكنت الثّورة من ضرب العدو من خلال عملية نوعية جريئة تمثلت في قتل الحاكم»جيرمان فور» برتبة عقيد، وهو العقيد الثّالث الذي يسقط في المنطقة، إذ تمكن البطل سعيداني محمّد من التسلل إلى مكتبه، وقتله، وعند محاولة خروجه اشتبك مع أفراد من الجيش الفرنسي فسقط شهيدا، وكرد عاجل على مقتل الحاكم (جيرمان فور) قامت السّلطة الاستعمارية بإعدام حوالي 20سجينا من بينهم: حسين قوطاس وبلقاسم بوشامة، ولبصير...وغيرهم.

بعد مدة تمكنت المخابرات الفرنسية من كشف رؤوس الإضراب في أولاد عيدون وقامت باعتقالهم، وعند لقائهم بنقيب المخابرات هددهم ورمى العلم الفرنسي أرضا في محاولة استفزازية يجد من خلالها مبررا لقتلهم إن هم أساؤوا التصرف مع العلم، ولكن بوجمعة قريد أخذه ووضعه في منديله ودسه في جيبه متظاهرا باحترامه، وهكذا نجوا من القتل المحتم، واكتفى النّقيب بنفيهم إلى أماكن أخرى بعيدة (الجرف، وسطيف...)، ومنهم من لم يتمكن من الرّجوع إلى أولاد عيدون، وبعض الذين تم نفيهم، مازال على قيد الحياة، وهم: عبد الرّحمان حمودة، وسليمان مسقالجي، ومحفوظ بلارة ».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

■ محمّد طالب البوسطجي
(و: 1361ه - 1943م/ت: 1415ه - 1994م)

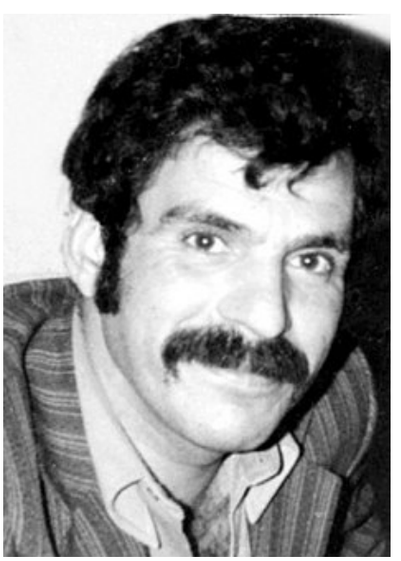

محمّد طالب البوسطجي من مواليد البصرة بالبلد الشّقيق العراق رأى النّور في عام 1943م

متخرج من قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة بغداد. درس في مدارس البصرة، ثم في كلية الآداب –جامعة بغداد، وتخرج في قسم اللغة العربية. غادر العراق إلى الجزائر عام 1968

في إطار بعثة للتدريس ضمن مشروع التعريب الذي شرعت فيه الجزائر عن طريق تعزيز هيأتها التدريسية بالبعثات الموفدة من عدة بلدان عربية، واكتسب الجنسية الجزائرية منذ عام 1968م بعد زواجه من سيدة جزائرية.

استقر بمدينة الطّاهير حيث عمل مدرسا في ثانوية ناصري رمضان. قرأ الكثير من التراث الشّعري العربي مما أثرى حصيلته اللغوية وصقل ذوقه الفني. بدأ النّشر في الصّحف والمجلات العراقية والعربية، وكان له عمود ثابت في جريدة «الشّرق الجزائري.

كتب إلى جانب الشّعر القصة القصيرة والرّواية وقد نشر بعضا منها في الصّحف والمجلات الجزائرية.

نشر العديد من أعماله في الصّحف المجلات العراقية والعربية وقد ترجمت بعض أشعاره إلى اللغة الفرنسية.

كان واحدا من ستة عشر شاعرا عراقيا ترجمت لهم نماذج شعرية إلى اللغة الفرنسية. وكتب عنه وعن شعره بعض النّقاد.

هو عضو في اتحاد الكتاب الجزائريين.

من مؤلفاته المطبوعة:

- ـ التسول في ارتفاع النّهار (مجموعة شعرية)، الجزائر 1974.
- ـ متاهات لاتنتهي (مجموعة شعرية)، الجزائر، 1990.

يقول محمّد الأسعد صديقه وزميله في الدّراسة عن نسيانه ورحيله في صمت مطبق:

لم يذكره أحد آنذاك يقصد حين أغتيل سوى زوجه الجزائرية وأطفاله، وحتى أنا الذي زاملته خلال سنوات الدّراسة المتوسطة في البصرة، مدينة النّخيل التي ولد فيها في العام، 1943 واقتنيتُ أول مجموعاته الشّعرية المنشورة تحت اسم «التسول في ارتفاع النّهار» (1974)، لم تصلني هذه المعلومات إلا بعد عقد تقريباً. ففي تلك السّنة التي اغتاله فيها أحد الهمج كنت متنقلاً بين المنافي بلا قرار، تأخذني رحلتي من مطار إلى مطار وتسلمني مدينة عابسة إلى أخرى أشدّ عبوساً. وحين كنت أسأل عدداً من الأصدقاء، سواء ممن غادرتُ في قبرص وراء قضبان معتقل المبعدين، أوممن تركتُ في صوفيا متأهباً للتسلل عبر الحدود أو الانتحار القريب، عن صديقنا «البوسطجي»، لم أكن أجد لديهم سوى خبر رحيله المبكر

ومن مقاطع قصيدة له حول المنفى والفقد اقتطع الأبيات الآتية:

«في هذا المنفى الحافل بجذوع الأشجار
المتحجرة
منذ الحقب الأولى
الحافلُ بالموتى والآبار النّاضبة
وأوهام صداع مطبق
وحدائق مزروعة
بالأحجار وبالنّسيان وبالموت
أتعرّى
أغطسُ في الماءِ
الرّاحل عبر البلدان
في هجرتهِ العظمى
لا من يذكرني
غير الجسد المثقل بالأحلام».

يسرد بعض حكاياته معه فيقول:

من سنوات الدّراسة المتوسطة ظلت عالقة في ذهني صورة الزّميل محمّد طالب البوسطجي السّاخر والمرح، حتى وهو يعلق على اسم الفيزيائي والكيميائي البريطاني «كافنديش"، فيعقب على تكرار الأستاذ للاسم: "هو كفن.. وديك أيضاً". وستلازمني هذه الصّورة طويلاً، ثم تتقاطع معها صورة أخرى، وقد جمعنا قطار ليلي في طريقنا إلى بغداد لاستكمال دراستنا، هو إلى كلية الآداب وأنا إلى كلية التجارة والاقتصاد؛ فيقول وهو يتناول منشفة ويهم بحلاقة ذقنه: ".. حتى لا ترانا بنات بغداد على هيئة سكان غابات" . لم نكن قادمين من غابة بالطّبع، ولكن المسافات بين العواصم والمدن النّائية لم تكن تقاس في تلك الأيام بالسّاعات والكيلومترات، بل بتعابير الرّيفي وساكن المدينة، والبدوي والفلاح، وهكذا سيجد الوافد إلى العاصمة للمرة الأولى عالماً مختلفاً، قد يتنافر مع تصوراته المسبقة، وقد يكون أقل ألفة، إلا أنه سيكون مصدر قلق في كل الأحوال، وفي كل الأحوال سيكون عليه أن يتنكر حين يدخله بزي ملائم لا يعرضه للسخرية. يقول عنه جواد وادي في دراسة له موسومة ب أدب المنفى: بين عمق التجربة ووجع الغياب محمّد طالب البوسطجي نموذجا قراءة في ديوان آهات لا تنتهي:

كان الشّاعر الرّاحل محمّد طالب البوسطجي صلبا ولم يخضع لتهديدات القتلة، فواصل تحديه لانجاز مشروعه الشّعري الذي نذر حياته من أجله حتى أتحفنا نحن اللاهفين للولوج الى مملكته الشّعرية بغناها وتفردها وكم آلمنا نحن الصّحب المحبين لهذه الموهبة الفذة ان يخسر المشهد الشّعري العربي عموما والعراقي على وجه التحديد هذا الصّوت المعطاء الذي تميز عن الرّاهن في الكتابة الشّعرية وخلق له كيانا مستقلا ومتميزا يكاد لا يقترب عن التجارب الأخرى من حيث التأثر والتقليد والتناصات الشّعرية التي كثيرا ما تصدمنا حين قراتنا لها.

ثم يواصل منوها بشاعريته بقوله: إن محمّد طالب البوسطجي صوت شعري صادح، كم شعرت بالضّيم وانا اقرأ نصوصه، فتذكرت مآسي بدر شاكر السّياب ومعاناته مع المرض وعشقه الصّوفي لوطنه العراق، سيما اذا ما قارنا بين الاثنين فنجد الكثير من الصّور الشّعرية توحدهما معا من وصف النّخيل، الى وصف الطّبيعة وكثيرا ما تكون تلك الصّور الشّعرية لصيقة بمدينتهما البصرة، ثغر العراق التي أنجبت الشّعراء والمفكرين والعباقرة....

استشهد على يدّ بعض الجماعات الارهابيه المتطرفة سنة 1994 بمدينة الطّاهير وهو في طريقه إلى زيارة صديقه عبد الإلاه الصّائغ بشرق الجزائر، كما يقال أنه سقط شهيدا برصاص الغدر وهو يتأهب لدخول الثّانوية التي كان يشتغل بها.

باديس فوغالي

المصادر:

- إميل بديع يعقوب. معجم الشّعراء منذ بدء عصر النّهضة. المجلد الثّالثّ (الطّبعة الأولى). بيروت: دار صادر. صفحة 1009.
- محمّد الأسعد/ البوسطجي...راحل لا يذكره أحد.ملحق الخليج.16/ 02/ 2015.
- جواد وادي / الحوار المتمدن.محور الأدب والفن.العدد 2924. 21/ 02/ 2010.
- ـ مجلة الرّؤيا، اتحاد الكتاب الجزائريين، العدد الرّابع، 1983، الجزائر، ص 137ـ138.ل مناحي الإبداع الإنساني المتعدد المشارب والاتجاهات

■ محمّد طهاري
(و: 1361ه - 1943م/ت: 1439ه - 2018م)

من الأساتذة المسهمين في الدّراسات الحديثة للبحث في فلسفة الحركة الإصلاحيّة النّاشئة وتأثيراتها على المجتمع الإسلامي بدايّة من القرن العشرين، الدّكتور محمّد طهاري (رحمه الله) الذي فقدته السّاحة الثّقافيّة الجزائريّة بتاريخ 25 أوت سنة 2018م، وهو من مواليد بلدة بوسعادة سنة 1943م، عرفناه بكونه رجل ثقافة وتربيّة، عاش محمود السّيرة مع فكره وقلمه في كنف السّتر، فشأنُه البُعد عن الأضواء، ونفسه الأبيّة ترتفع عن التباهي وغرام الظّهور، حفظ القرآن الكريم وعمره 12 سنة على يدّ الشّيخ بلقاسم حوحو بزاويّة الجامع العتيق، وزاول مراحل الدّراسة ببلدته، واشتغل في التعليم بدايّة من سنة 1960م، تحصل على شهادة الباكالوريا سنة 1963م، ثم شهادة اللّيسانس من الجامعة المركزيّة في الفلسفة والعلوم الإنسانيّة، ثم الماجستير في الفلسفة الإسلاميّة، عمل مديرا للتربيّة بالأغواط وتمراست مدّة 12 سنة، ثمّ مفتشا عاما بالتعليم الثّانوي في مادة الفلسفة. نال دبلوم الدّراسات المعمقة في الفلسفة سنة 1981م، وكان موضوع بحثه (الإصلاح بين جمال الدّين الأفغاني ومحمّد عبده)، مقاربة فلسفيّة شملت مفهوم الإصلاح الدّيني والسّياسي والتعليمي عند كلّ واحد منهما، وموقفهما من بعض الفرق العقائديّة والصّوفيّة واللائكيّة والمذاهب الماديّة، وامتداد المدرسة الإصلاحيّة الذي ظهر في اتجاهات مختلفة ذكر منها أنصار التجديد والمعاصرة، وقال بأنه يمثلهم (طه حسين)، وأنصار القوميّة العربيّة وعلى رأس هذا الاتجاه (عبد الرّحمن الكواكبي)، وأنصار العلمانيّة ويمثل هذا التيار شبلي الشّميل، وفرج انطوان، وصادق جلال العظم.

لم تثن الدّكتور (طهاري) سنوات العمل في التربيّة والتعليم عن البحث في مجال الفلسفة الحديثة ودراسة الحركات الإصلاحيّة المعاصرة نهايّة القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فألف في ذلك كتابا نشره بعنوان (الحركة الإصلاحيّة في الفكر الإسلامي المعاصر)، تناول في أجزائه الثّلاثة فلسفة الإصلاح عند رواد النّهضة المعاصرة، أمثال جمال الدّين الأفغاني، ومحمّد عبد، وعبد الحميد بن باديس ومحمّد إقبال، حاول من خلاله أن يعيش مع مختلف الأفكار الإصلاحيّة التي سادت العالم الإسلامي عبر المناهج التي حددها كلّ مفكر حسب نظرته، ومحاور وفصول هذه الأجزاء الثّلاثة جاءت كالآتي.

الجزء الأول: عرض فيه دور جمال الدّين الأفغاني في ميدان التجديد في العصر الحديث، وقسمه إلى خمسة فصول، تطرّق في الفصل الأول لمصادر الإصلاح ومفهومه في القرآن الكريم ومعناه في الثّقافة الأجنبيّة، وخصّ الفصل الثّاني للإصلاح الدّيني والفلسفي عند كل من الأفغاني وعبده، والثّالث في الإصلاح السّياسي والاجتماعي عندهما، والفصل الرّابع تحدث فيه عن منهج الحركة الإصلاحيّة وتأثيره، والفصل الخامس والأخير درس فيه تطور المدرسة الإصلاحيّة من خلال محمّد رشيد رضا وقاسم أمين ومصطفى عبد الرّزاق.

الجزء الثّاني: تناول فيه فلسفة وفكر (محمّد إقبال)، وقسمه إلى ثلاث فصول، الأول في تطور الإصلاح في الهند من خلال حركة محمّد إقبال، والثّاني: محمّد إقبال وحركته الفكريّة، والفصل الثّالث، في وجه الشّبه والاختلاف بين إقبال، وأحمد خان وجمال الدّين الأفغاني.

الجزء الثّالث: دراسةٌ في فكر ابن باديس الإصلاحيّة، وفلسفته الدّينيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة، وقسّمه إلى أربعة فصول، الأول: تطور الحركة الإصلاحيّة في الجزائر من خلال الشّيخ عبد الحميد بن باديس، والفصل الثّاني: مناهج الإصلاح في المدارس الثّلاثة (الأفغاني، وعبده، وابن باديس)، الفصل الثّالث: امتداد الحركات الإصلاحيّة في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين، الفصل الرّابع: مستقبل العالم الإسلامي من النّاحيّة الفكريّة وطرق الإصلاح.

الدّكتور محمّد طهاري كما كتب عنه صديقه الأستاذ (محمّد بن حوحو) « أحدُ الباعثين للمدرسة الجزائريّة بعد الاستقلال، ينتمي إلى جيل يفتخر بابن خلدون وابن باديس ومالك بن نبي، والحركة الوطنيّة وثورة التحرير، ثقافته العصاميّة المزدوجة اللغة جعلته يوظف بسهولة في بحثه عددا كبيرا من المراجع والانفراد بمقاربات معاصرة هادفة»، والمواضيع التي عالجها في كتبه الأربعة تدور حول مجالات الفلسفة الإسلاميّة الغامضة، والتجديد وإشكالاته من خلال آثار زعمائه، وهي قضيّة في نظره تمثل مشكلة أساسيّة استقطبت الدّراسات الحديثة لتطور هذا الفكر المعاصر في فترة حاسمة من تاريخه.

والمقاربة ما هي إلّا عمليّة بحث في معطيات مختلفة، وللإحاطة بموضوع ما وفق تصوّر معين، للوصول إلى نتائج وأهداف وفق منهجيّة محددة، والدكتور (طهاري) بثقافته الواسعة وتمكنه في مجال اختصاصه في الفلسفة الإسلاميّة استطاع أن يبسط في مؤلفاته رؤيّة رائدي اليقظة العربيّة الحديثة للإصلاح السّياسي والاجتماعي والتعليمي، ويُظهرَ أوجه الشّبه والاختلاف في فكرهما الإصلاحي؛ لأنّ كلّ مصلح يختلف عن غيره في تحديد مفهوم الإصلاح، فكلّ واحد ينظر من زاويته الخاضعة لعوامل بيئيّة واجتماعيّة وثقافيّة مختلفة، وإن كان الفرق واضحا بين الأفغاني المثقف باعتراف الفيلسوف الفرنسي رينان وغيره، والشّيخ محمّد عبده العالم في مجال الدّين فقط.

السّيد جمال الدّين الأفغاني فلسفته المزيج من التصوف والفلسفة القديمة والحديثة، وهو من دعاة تحرير العقل وإعطائه مكانته الحقيقيّة، فكان يعادي الفلسفات« التي تؤمن بأنّ في الكون منطقة مغلقة إلى الأبد لا يمكن اقتحامها »، أما نظرته إلى الإصلاح الدّيني فهي مبنيّة على ضرورة القيام بحركة دينيّة تقوم « بقلع ما رسخ في عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدّينيّة والنّصوص الشّرعيّة في غير وجهها الحقيقي»، ويستنتج الدّكتور طهاري أنّ (الأفغاني) كان يعلم أنّ ضعف الدّولة الإسلاميّة راجع إلى الجهل، وأنّ على الشّرق أن يتعلم علوم وفنون أوروبا المفيدة لا عن طريق التقليد، وإنما بنظرة فكريّة شاملة.

لا تختلف فلسفة (محمّد عبده) كثيرا عن فلسفة شيخه (الأفغاني)، فهو يعطي للدّين والعقل أهميتهما ومكانتهما، فالدّين في نظره يكمل العقل ويقومه، والإسلام قرر بأنّ الإنسان قادر على الوصول إلى معرفة الله بالعقل، وأنّ العقل مقدم على النّقل عند التعارض بينهما، ويبقى في النّقل طريقان، التسليم بصحة المنقول مع الإقرار بالعجز عن فهمه، والطّريق الثّاني تفويض الأمر لله.

محمّد بسكر

المصادر:

- مفهوم الإصلاح بين الأفغاني وعبده، خير الدّين حمادي، جريدة الشّعب، العدد: 5619، بتاريخ 22 نوفمبر 1981م.
- محمّد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدّين الأفغاني ومحمّد عبده.
- المدرسة الإصلاحيّة والتجديد: مجلة البيان، العدد 10، ص09.

■ محمّد عبد الرّحمن السّكوتي
(و: 1285ه - 1865م /ت: 1333ه - 1912م)

محمّد عبد الرّحمن السّكوتي الملايخافي من القبيلة الشّهيرة بأولاد ملا يخاف، ولد سنة (1285هـ) الموافق لـ (1865م) بقرية (ساهل) في (أقبلي) (بأولف) ولاية (أدرار)، توفّي أبوه فتربّى في كنف أخواله، في عائلة علم وقرآن.

قرأ القرآن على مشايخ القرية وحفظه في صباه، وحضر مجالس العلماء والمشايخ الّذين كانت تزخر بهم بلاد توات، فلزم خاله الفقيه العالم (الحاج حمزة بن الحاج أحمد) الّذي يعد عميد علماء تلك النّاحية متعلّما الفقه والحديث وعلوم اللّغة والفرائض والحساب حتى أصبح من العلماء الأعلام، وقد كتب له شيخه (حمزة) إجازة شاملة، كما أجازه الشّيخ (عمر بن عثمان) الّذي أخذ عنه الحديث والفقه والتفسير.

بعد رحلته العلمية الأولى التي طاف خلالها قصور (ساهل) وما حولها، اضطرّته الظّروف ليجمع بين التجارة وتبليغ العلم، فساقه القدر إلى بلدة (الرّويسات) في قلب (ورگلة) التي مرّ بها في طريق تجارته نحو (الجريد التونسي) فكان أوّل نزوله عند عرش (أولاد إبراهيم)، وحين قابله (علي بن إبراهيم بن ساسي) في قصر الرّويسات توسّم فيه خيرا ودعاه للبقاء عنده إماما معلّما مرشدا، ورغم إصرار الشّيخ (علي بن إبراهيم) فإنّ الشّيخ السّكوتي اعتذر ووعده بالعودة بعد إتمام مهمّته التجارية واستئذان أمّه وأخواله في العودة إلى (ورقلة)، وقد تمّ ذلك في حدود سنة (1907م)، وفي (الرّويسات) وجد ترحابا وإقبالا كبيرين، وكعربون للمحبّة والإكرام فقد أهداه (الحاج علي بن إبراهيم) سطرين من النّخيل في غابة بين (الرّويسات) و(بني ثور)، وسرعان ما أخذت تلك الغابة اسم (عين السّكوتي) حين تفجّرت بها مياه السّقي والشّرب سنة(1924م)، ولم تطل إقامته (بالرّويسات) ليتحوّل إلى قصور مدينة (ورگلة) لحاجة المنطقة له، وهناك كان يبعث أنوار علمه وفكره محاربا بدعا كثيرة وانحرافات خطيرة بروح علمية إصلاحية.

تتلمذ على يدي الشّيخ (عبد الرّحمن السّكوتي) جيل من العلماء في أماكن كثيرة صاروا بعده أساطين علم ودعوة وإرشاد خصوصا في (ورگلة) التي طالت إقامته بها، فقد أخذ عنه (الحاج علي بن إبراهيم) الّذي آواه وأكرمه حين قدومه لورگلة، و(سليمان بن إبراهيم) و(الشّيخ محمّد ناجي قريشي) و(الطّالب النّوّي حقيقة) والرّحّالة (الحاج عمر حقيقة) وغيرهم، وحين انتقل إلى قصر (ورگلة) اتصل به الشّيخ (محمّد بن الحاج عيسى) مباشرة بعد توجّه شيخه (عبد القادر بن الحاج النّعيمي) من (الرّويسات) إلى كل من (القرارة) و(الأغواط)، كما حضر مجالس علمه كل من الشّيخ (دادنة) والشّيخ (بريقش) والشّيخ (بحوص بونوة) والحاج (إبراهيم المخدمي) وكذا الشّيخ الإمام (قريشي النّقوسي) والحاج(قدّور خيراني)، كما

أخذ عنه العلوم والمعارف ابن بلدته الشّيخ (محمّد عبد القادر بلعالم) والد الشّيخ (محمّد باي بلعالم) وآخرون.

لقد قام العلاّمة (السّكوتي) بدعوة إصلاحية (بورگلة) ضد الخرافات التي كانت آنذاك سائدة في تلك المنطقة وخصوصا في القصر، وقد أيّده على نصرة الحقّ والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر تلامذته الأبرار، وعلى رأسهم (الحاج علي بن إبراهيم) وإخوانه، وتلميذه الفقيه الشّيخ (السّيد الحاج محمّد بن الحاج عيسى) وجماعة من (الرّويسات) و(بني ثور) و(ورگلة) و(القصر) و(عجاجة) و(أنقوسة)، وبفضله انتصر الحق على الباطل والعلم على الجهل والنّور على الظّلمات ولقد وجد في أهل (ورگلة) من التأييد والمحبّة لدين الله ما لا يكاد يوجد في أيّ ناحية من نواحي الجنوب.

لقد ترك الشّيخ السّكّوتي علما زاخرا، ومن أبرز ما كتب كتابه القيّم في علم المنطق الذي لا يزال ضائعا إلى اليوم، كما ترجم الشّيخ علومه ومعارفه إلى أراجيز ومنظومات شعرية بليغة أهمّها:

أرجوزة في علم الفرائض

سمّاها (جوهرة الطّالب في علمي الفروض والحساب)، مطلعها:

باسم الاله والصّلاة والسّلام
على النّبي والآل والصّحب الكرام
وبعد حمد وارث الأرض ومن
له البقا وليس يفنيه زمن
فأجدر العلوم علم الإرث
بالنّظر السّديد أو بالبحث
حضّ على تعليمه خير الورى
للنّاس بعد علمه بلا امترا
سمّيته جوهرة الطّلاّب
في علم الفرائض والحساب

وعدد أبياتها (180) بيتا، تولّى شرحها العلاّمة الشّيخ (محمّد باي بلعالم) رحمه الله في مؤلّف بديع سمّاه (كشف الجلباب على جوهرة الطّلاّب) وهو من مؤلّفات الشّيخ باي المطبوعة.

قصيدة رائعة للرّد على منكري علم التجويد والطّعن في أهل المغرب يقول فيها:

فإنّ لحوم أهل العلم سمّ
لآكلها مجلبة العذاب
وأهل الغرب قام الدّين حقّا
بهم وحموه من أهل التباب
كفى جهلا وتوبيخا لمن لم
يكن يدري لتجويد الكتاب
ورتل مع لتقرأه على مكث
دليل ظهر دون ارتياب

وله قصيدة في مدح أهل (إينّغر) (بعين صالح) غداة انتصارهم على المستدمر الفرنسي الّذي حاول غزو ديارهم، وعدد أبياتها (30) بيتا:

يا أهل إينغر للسّماء مجدكم
سما وصيتكم يعلو وينتشر
لله درّكم بعتم نفوسكم
من الإله بجنّة لها خضر
فحبّذا ذلك من بيع وعاقد
هوحبّذا ثمن قد ساقه القدر
جاهدتم بنفوسكم وأموالكم
لامسكم أذى ولا ضرر

كما جمعته عدّة مراسلات علمية وتوجيهية مع كثير من المعارف منها ما بعثه لعلماء (كسام) في موضوع مسألة غصب، يقول:

إلى علماء كسام أبلغ مجلّتي
مغلغلة واقرأ عليهم تحيّتي
أخص بها القاضي محمّد سيدي
ونخبته محمّدا ذا الفتوّة
ومن عطف عليهما ببديهة
بلا نظر في الحكم أو دون فكرة
وموجب ذا من إبله غصبت وقد
شراها لغير غاصب بعد مدة

وله قصيدة نظّم فيها أسماء الله الحسنى، قال في مستهلّها:

أدعوك يا ربّ الورى ربّ الورى
الله والرّحمن أرجو أن أرى
أوّل من نظّم هذا الدّررا
من السّلوك الغرّ في اثني عشرا
تسعا وتسعون بنظم زاه
في عدّة الشّهور عند الله

وله قصيدة أرسلها لصديقه (الحاج بشير):

لحضرة الأكرم الحاج بشير الرّضى
أخي وخلّي الأجل السّيّد السّامي
أزكى السّلام وأنماه وأكماه
يتلو التحيّة مقرونا بإعظام

وله رسالة إلى علماء (أبي جبيهة) (بأزواد) الّذين كانت له علاقة بهم، تجديدا للعهد واستعطافا لهم واستقطابا للدّعاء الصّالح منهم، وهذه الرّسالة مختومة بأبيات ولكنّها تلاشت وتقطّعت وهي تمثّل عشر صفحات.

توفي رحمه الله أثناء رجوعه من الدّيار المقدّسة بعد أداء الحج وزيارة مدينة رسول الله (صل الله عليه وسلّم) في (ينبوع النّخيل) بين (مكة) و(المدينة) سنة (1333هـ) الموافق لـ (1912م)، ووري الثّرى هناك.

نسيمة لوح

المصادر:

- من أعلام الجنوب الجزائري، إبراهيم بن ساسي، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعية، وحدة الرّغاية، الجزائر، 2011م.
- الفرقد النّائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، محفوظ بن ساعد بوكراع السّطيفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

■ محمّد عبد القادر غرمة
(و: 1364ه - 1945م)

مُعَلِّمٌ ألمعي. سليل مُعَلِّمٍ جليل، فمن شجرة طيبة خرج فقيدنا محمّد عبد القادر بن أحميدة بن محمّد بن عبد القادر غرمة رحمهم الله جميعاً.

هناك في أقاصي شمال التاسيلي نازجر بزاوية سيدي موسى من سنة 1945م. رزق الله شيخنا الرّمز وأستاذنا القدوة سيدي الشّيخ أحميده غرمة رحمه الله ابنه البكر، فسماه محمّد عبد القادر. تَيَمُّنَاً بأحد فضلاء وشيوخ الجنوب الغربي. وهو الحاج محمّد عبد القادر بلعالم، والد الشّيخ العلامة ومفخرة التيدكلت والوطن محمّد باي بلعالم رحمهم الله جميعاً.

التحق شيخنا الفقيد كغيره من أبناء جيله بالكتاتيب لتلقي مبادئ اللغة العربية، وحِفْظِ كتاب الله العزيز، فتتلّمذ أولا بالمدرسة القرآنية للطالب أحمد لمغربي، ثم ختم القرآن الكريم بالمدرسة القرآنية للطالب أحمد طاليبو. كما واصل التحصيل الدّيني بالمدرسة الفقهية للشيخ أمحمّد بن مالك رحمهم الله أجمعين.

إي نعم لقد نَبَتَ أستاذنا الرّاحل نباتا حسنا في رحاب القرآن الكريم، وخصال الصّفاء، وقد وفقه الله تعالى إلى افتتاح مسيرته التعليمية منتصف السّتينات. بعد توظيفه مُمَرِّنا بقطاع التعليم. وعمره لم يتجاوز خمسًا وعشرين سنة آنذاك. ليخوض بذلك مسيرة ملأى بالعطاء والتعب الجميل. سَيْراً على خطى والده الذي كان يعمل مُمَرِّناً هو الآخر بصحراء الجنوب الشّرقي للوطن. كما أشرنا إلى ذلك في ورقة تعريفية به في منشور سابق. أما ابنه محمّد عبد القادر، فقد توزعت جهوده التعليمية بين ربوع الجنوب الغربي في إقليم التيدكلت بكل من أولف، وأقبلي، وعين صالح. عبر الأطوار التي شهدت ترقيات الفقيد من مُمَرِّنٍ، فمعلم بالطّور الإبتدائي، فأستاذ للتعليم المتوسط، ثم أستاذ للتعليم الثّانوي. ناهيك عن تجربته التعليمية بالمعهد الوطني لتكوين إطارات الشّؤون الدّينية بعين صالح. إنها ترقيات مضيئة عكست بجلاء همة الرّاحل، وسعيه الدّائم نحو الفوائد والعلا.

وإن مما يجدر ذكره هو ما أعلمني به شيخنا الرّاحل ذات مكالمة هاتفية قبل شهرين من الآن. بخصوص استفادته من عدة تكوينات تأهيليه؛ منها التحاقه بالتكوين البيداغوجي بثانوية القديس أوغستين في ولاية عنابة سنة 1966م.

وبعد أزيد من ثلاثين سنة في معابر التعليم والتربية والتنوير. أُحِيل فقيدنا على التقاعد سنة 2000م. ليتفرغ بعد ذلك للعمل الإصلاحي والإرشادي؛ حيث أسهم في إصلاح ذات البين، ونشر معارفه، ومواعظه في مختلف المناسبات والمنابر، وخاصة بمدرسة الشّيخ أمحمّد بن مالك الفقهية، وبمسجد سيدنا حمزة t، ومسجد النّور، ومسجد الشّيخ السّنوسي. علاوة على إحياء ليالي رمضان في مختلف مساجد المنطقة. دون أن ننسى قيامه بفتح مكتبة قيمة شَكَّلت رافدا للباحثين، وطلبة العلم في المدينة.

لقد ظل أستاذنا وَفِيَّاً لمسقط رأسه، فكان يزور برج عمر إدريس في مختلف المناسبات، فيلتقي الشّيوخ والشّباب وطلبة العلم، ويُلْقي خلال ذلك الدّروس والمحاضرات؛ على غرار الأعراس الجماعية، واحتفالات الزّيارة السّنوية التي كانت آخر محطة له بزاوية سيدي موسى قبل أيام من رحيله الأخير.

إننا نفقد برحيلك يا سَيِّدي أستاذا فاضلا، وشيخا وقورا، ومربيا قديرا، ومنارة أضاءت ماحولها، ومدرسة فاض معينها علما نافعاً، وفضلا عميما، فالله ندعوه أن يرحمك، ويجزل ثوابك، وأن يرفع درجتك في المهديين، وأن يجعلك يوم العرض عليه راضيا مرضيا، وأن يحشرك مع الصّديقين والشّهداء وحَسُنَ أولئك رفيقا.

العيد بوده

■ محمّد عصّامي
(و:1336ه - 1918م / ت: 1434ه - 2013م)

المناضل الكبير محمّد عصّامي سمّيت باسمه المكتبة الولائية ببسكرة في بادرة هي الأولى من نوعها، وبمناسبة الذكرى الـ 58 لاندلاع الثّورة المجيدة، عمدت السّلطات المحلية ببسكرة إلى إطلاق اسم المناضل السّياسي الكبير والمجاهد محمّد عصّامي (94 عاما) على المكتبة الولائية ببسكرة، حيث أشرف على العمليّة السّيّد والي الولاية وبحضور السّلطات المدنية والعسكرية وجمع من المجاهدين وأبناء الشّهداء وأبناء المجاهدين والمواطنين ووجوه ثقافية وفنية.

وقد استحسنوا جميعهم هذه المبادرة لما لشخصية محمّد عصّامي – رحمه الله– من دور متميّز في مسار الحركة الوطنية والثورة التحريرية، حيث كان من الأعضاء البارزين في حزب الشّعب ببسكرة، كما كان له شرف خياطة العلم الوطني الذي رُفع في مظاهرات 8 ماي 1945 ببسكرة، كما أسهم في تأسيس المنظمة الخاصة المسلحة واقترح على مسؤوليها اسم المناضل العربي بن مهيدي،

والمناضل مصطفى بن بولعيد، كما أشرف على جلب الأسلحة من الحدود الجزائرية الليبية وعبر وادي سوف ومنطقة الزّيبان.

ولد المجاهد محمّد عصّامي بمدينة الفاتح عقبة بن نافع الفهري ببسكرة عام 1918، دخل المدرسة الابتدائية بمسقط رأسه عام 1928 إلى غاية السّنة الخامسة ابتدائي، كما تعلم اللغة العربية ومبادىء الدّين الإسلامي بجامع عقبة بن نافع وقد تشبّع عصّامي بالأفكار الثّورية الوطنية والإصلاحية التي بدأت تظهر عقب الحرب العالمية الأولى، وقد كانت عاصمة الزّيبان بسكرة من أهم معاقل الحركة الوطنية لاسيما بعد عودة الشّيخ الطّيّب العقبي إليها قادما من الحجاز في مارس 1920، وزيارة الأمير خالد إلى بسكرة لانخراطه في العمل الثوري في 1922.

وفي حدود عام 1932 توجّه إلى تعلم حرفة الخياطة فاتقنها عام 1936، وهي السّنة التي هاجر فيها إلى مدينة سكيكدة في سبيل العمل، وأثناء تواجده في سكيكدة تأسس حزب الشّعب الجزائري في 11 مارس 1937 فانخرط فيه، وكان رفيق دربه المناضل مسعود كابران رئيسا لفرع الحزب هناك وسرعان ما أضحى نائبا له، وبعد حل الحزب عام 1939 وفي حدود عام 1940 عاد إلى بسكرة التي استقر بها ليعمل هناك في ميدان الخياطة وليستأنف نضاله السّياسي بعد أن اتصل به مسؤول الحزب السّيد غريب أحمد (بدّة). وبدأ نشاطه السّري في مجال التوجيه النّضالي والتوعية السّياسية. واستعدادا لتنظيم مظاهرات 8 ماي 1945 ببسكرة على غرار مدن سطيف وگالمة وخراطة وغيرها، وباشراف المناضل الكبير الشّاذلي المكي تم تقسيم مناضلي بسكرة إلى فريقين، فريق بقيادة المناضل محمّد العربي بن مهيدي ومهمته الأساسية كتابة الشّعارات في لافتات، وهي (الجزائر المستقلة، الكلمة للشعب، تحيا الجزائر)، أما الفريق الثّاني فكلّف به المناضل محمّد عصّامي ومهمته خياطة الأعلام الوطنية وهذا بمساعدة السّادة: البشير العشوري، مبارك الصّالح، وعمر محبوب وغريب أحمد..

وقد انطلقت المسيرة كما خُطط لها حيث جابت الشّوارع الرّئيسة لبسكرة، وتوقفت عند محطة القطار حيث رفع العلم الوطني، ولحسن الحظ لم تجابه شرطة الإحتلال المتظاهرين ولم تقابلهم بالرصاص كما حدث في الكثير من المدن الجزائرية خاصة بالشرق، لكن وعقب ذلك تم القبض على السّادة: عصّامي، ابن مهيدي، وعلوي صالح ومبارك صالح ومجيد بنّي..وغيرهم من مناضلي حزب الشّعب (المحل) وأحباب البيان والحرية..وقد تعرّضوا لشتى صنوف التعذيب والتنكيل في مراكز الشّرطة والدرك. ولبث مترجمنا في السّجن (11 يوما) فيما لبث ابن مهيدي (21 يوما).

بعد هذه المجازر الأليمة وخلال عام 1945 عقد اجتماع ببسكرة بحضور سي مسعود المرسل من قبل السّيد محمّد بلوزداد الذي عيّن في جويلية 1945 مسؤولا للنظام بشرق البلاد، وفي هذا الاجتماع تقرر تشكيل الولاية الحزبية التي تتكون من (بسكرة والأوراس)، وقد عُين على رأسها السّيد محمّد عصّامي المدعو (سي مروان) كما قُسمت هذه الولاية إلى عدة قسمات وهي:

- قسمة بسكرة: عيّن على رأسها المناضل عمر محبوب.
- قسمة وادي سوف: وعيّن على رأسها المناضل ميلودي أحمد.
- قسمة تقرت: وعيّن على رأسها المناضل درويش عبد الحفيظ.
- قسمة مشونش: وعيّن على رأسها المناضل أحمد بن عبد الرّزاق (الشّهيد سي الحواس)
- قسمة أريس: وعيّن على رأسها المناضل مختاري صالح.
- قسمة بريكة: وعيّن على رأسها المناضل ختدرة محمّد.
- قسمة فم الطّوب وعيّن على رأسها المناضل مصطفى بن بولعيد.

وقبل تأسيس المنظمة الخاصة عام 1947 زار المناضل محمّد بلوزداد مدينة بسكرة حيث لجأ إلى السّيد محمّد عصّامي، وبيت العلامة الشّيخ محمّد بن العابد الجلالي عقدوا اجتماعا سريا.

بعد هذا الاجتماع كلّفه محمّد بلوزداد - الذي كان مطاردا من قبل شرطة الاحتلال- باستلام مسؤوليته السّياسية لشرق البلاد التي حددها له والمتمثلة في الأوراس، وادي ريغ، وادي سوف، ورگلة، بسكرة...

وأثناء انعقاد مؤتمر حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية يومي 15و16 فيفري 1947 كان محمّد عصّامي أحد المشاركين فيه، ثم عضوا باللجنة المركزية، بعدها كلّف بتسليح الجيش السّري عقب تأسيس المنظمة الخاصة.

وبعد انعقاد المؤتمر زار بسكرة السّيدان أحمد محساس والجيلاني عبد القادر المدعو (كوبيس) وطلبا من السّيد عصّامي اقتراح من يراه مناسبا لتولي أمر المنظمة الخاصة في ولايته الحزبية (بسكرة والأوراس) فاقترح عليهما البطل محمّد العربي بن مهيدي ليكون على رأس منطقة بسكرة والبطل مصطفى بن بولعيد على منطقة باتنة.

وقد تشكلت خلية المنظمة الخاصة ببسكرة من السّادة: العربي بن مهيدي (مسؤولا للخلية(، وعضوية السّادة: الهاشمي طرودي، بن ديحة أحمد، ميدة عبد الله، ميرة علي.

وليقوم المناضل عصّامي بمهمة التسليح على أكمل وجه بعث إليه السّيد محمّد بلوزداد مبلغ (300.000 فرنك) عن طريق المناضل أحمد محساس، ثم أردفها بمبلغ (500.000 فرنك)

وقد تمكن من شراء الدّفعة الأولى من الأسلحة، حيث تنقّل رفقة السّيد أحمد زرقوني إلى وادي سوف وجلب الأسلحة إلى بسكرة، ثم إلى قسنطينة ومنها إلى المناضل العربي بن مهيدي وبوجريدة عمّار إلى الحروش.

أما الدّفعة الثّانية فشملت (103 قطعة سلاح) نقلها المناضل محمّد حمودي من غدامس بالحدود الليبية الجزائرية إلى مدينة الوادي، حيث وجد السّيد عصّامي في انتظاره رفقة السّيد عبد القادر العمودي (عضو مجموعة الـ 22 فيما بعد) والسيد أحمد ميلودي، والتي نقلها عبر قرية طوماس بالزاب الشّرقي من ولاية بسكرة (والتي تحوّل اسمها حديثا إلى قرية الإخوة حرزلي) ومنها إلى البطل مصطفى بن بولعيد بالأوراس الأشم خلال شهر ماي 1948.

أما الدّفعة الثّالثة فضمّت (100 بندقية) سلّمها إلى سي مصطفى بن بولعيد بعد تنظيم اجتماع ببسكرة حضرهُ المناضل محمّد بوضياف ومحمّد العربي بن مهيدي بمقر الكشافة الاسلامية ببسكرة.

وفي عام 1949 سافر إلى تونس رفقة السّيد روابحية حامد في مهمة كلّفه بها السّيد محمّد بلوزداد في سبيل جلب كمّية أخرى من الاسلحة وقد تكلّلت العملية بالنجاح.

بالموازاة مع عمله العسكري ضمن المنظمة الخاصة فقد ظهر اسمه في قائمة حزب حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية ببسكرة في انتخابات 19 أكتوبر 1947 التي أشرفت على تنظيمها سلطات الاحتلال بعد إقرارها لما عرف بدستور الجزائر، وقد ضمت القائمة السّادة: محبوب عمر، خليفة بومدين، غريب أحمد، العشوري محمّد البشير، عمري محمّد، بن زيد اجموعي، الصّادق حديد، خراشي بشير، بن ديحة أحمد، ومان أحمد، عصّامي محمّد، بوفروة محمّد، شنقل محمّد، زيد أحمد.

أما قائمة الاتحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري ببسكرة وكان شعارها (ضد الاستعمار) فكانت تتشكل من السّادة: الدّكتور سعدان، بن قانة باي، دبابش الرّشيد، بن شريف عبد العالي، عبيد السّعيد، بن لاغا عمر المدعو المكي، دبابش محمّد الصّغير، قويزي النّذير، حوحو الصّادق، حملاوي عمر، خليفة الخان، لوّام الصّادق، ميدة معّمر، صفاقصي عبد الكريم. وكعادتها قامت الإدارة الفرنسية بمصادرة اختيار الشّعب الجزائري وعمدت إلى تزوير هذه الإنتخابات.

تعرّضه للسجن والاستنطاق بعد اكتشاف المنظمة الخاصة من قبل مخابرات الاحتلال في مارس 1950، قامت إدارة العدو باعتقال مجموعة كبيرة من المناضلين ومؤطري هذه المنظمة، وكان من بينهم المناضل محمّد عصّامي وتعرّض خلالها إلى ألوان من التعذيب والتنكيل والاضطهاد، باعتبار الفرنسيين أساتذة في هذا الميدان. وقد فاقوا بذلك النّازيين والفاشيين..إلى جانب تجريده من حقوقه المدنية إلى غاية الاستقلال، حيث كلف بالإشراف على استفتاء تقرير المصير في 1 جويلية 1962.

وبالرغم من هذه الأعمال الوطنية الكبرى والنضالات المتميزة التي قدّمها للجزائر، إلا أن البطل محمّد عصّامي لم يحظ بالتأريخ والدراسة من قبل الباحثينو الدّارسين بأعمالو دراساتو كتب مستقلة، باستثناء ما كتبه الدّكتور لحسن زغيدي في كتابه (شخصيات نموذجية في المقاومة والإصلاح والحركة الوطنية وثورة التحرير) وكذا الحوار الصّحفي الذي أجراه معه الصحفي الزّبير بوشلاغم، أو ما كتبه عنه المؤرخ محمّد عبّاس.

كما تحتفظ إذاعة الجزائر من بسكرة بأربع حلقات إذاعية أجريت مع شخصه الكريم ضمن البرنامج التاريخي (شاهد على الحقيقة) خلال شهر جويلية 2002.

-توفي المجاهد المناضل محمّد عصامي يوم 13-09-2013 ببسكرة.

نعيمة سعدية

■ محمّد علي دبوز
(و: 1337ه - 1919م/ ت: 1402ه - 1981م)

محمّد علي دبوز من مواليد فبراير 1919 ببريان (غرداية)، مؤرخ، دخل المدرسة القرآنية وتعلم اصول المعرفة والدين، توجه إلى تونس سنة 1942م (جامع الزّيتونة والخلدونية)، ثم إلى القاهرة والتحق بكلية الآداب. عاد إلى الجزائر سنة 1948م، عمل أستاذا للتاريخ والأدب والتربية وعلم النّفس بمعهد الحياة (الغرارة).

ولد محمّد بن علي بن عيسى دبوز ببريان بولاية غرداية بالجنوب الجزائري في عام 1337 ه/ فبراير سنة 1919م، نشأ وترعرع تحت رعاية أبوين اعتنيا به وربياه تربية إسلامية صحيحة فغرسا فيه حب العلم والعلماء والأخلاق الحميدة والروح الدّينية والوطنية. فأبوه من أبرز مؤسسي الجمعية الخيرية في بريان سنة 1927.

في سنة 1928 بدأ الدّراسة في المدرسة القرآنية عند افتتاحها وهي مدرسة الفتح، ودرس على الشّيخ صالح بن يوسف أبسيس، وفي سنة 1934 توجه إلى القرارة لمواصلة الدّراسة فتتلمذ على يد الشيخ إبراهيم

بن عمر بيوض، والشيخ عدون وما لبث أن استظهر القرآن الكريم، ثم في سنة 1935 انخرط في معهد الحياة بالقرارة وكان من أبرز وأنجب تلامذته، وتشهد له مجلة الشّباب وتحفظ له الكثير من مقالاته المطوَّلة وفصوله الأدبية الرّفيعة ومناظراته ومعاركه الأدبية، خاصة مع الأستاذ علي يحي معمر.

في شهر شعبان من سنة 1944م بعد تخرُّجه من معهد الحياة أرسله والده وأستاذه الشيخ بيوض إلى تونس ليلتحق بجامع الزّيتونة ومعهد ابن خلدون، فدرس فيهما الكثير من الكتب القيِّمة في كثير من الفنون كالأدب والشريعة والفلسفة. ومن تونس انتقل في شعبان من سنة 1946م إلى مصر برًّا، متنكرا مستخفيا عن الاستعمار وهو لا يحمل جواز سفر في حين كانت نيران الحرب العالمية الثّانية مشتعلة، حتى بلغ مصر بعد ستَّة وعشرين يوما سيرا على الأقدام، وبعد دخوله مصر توجَّه إلى كلية الآداب من جامعة القاهرة ورحب به الدّكتور عبد الوهاب عزام عميد الجامعة. وفيها درس على كبار أساتذتها الأدب وتاريخه، والتاريخ الإسلامي والفلسفة، كما انكبَّ على أمَّهات الكتب في دار الكتب المصرية، فدرس كتبا قيمة في الأدب، والتاريخ، وعلم النّفس، والتربية والعلوم الاجتماعية، وأصول الفقه وفلسفة التشريع، والفقه والحديث. وبقي في القاهرة حتى سنة 1948م إذ رجع إلى الجزائر بعد أن نال بغيته من العلم هناك.

بعد رجوعه من القاهرة إلى الجزائر، اختاره معهد الحياة مدرِّسا فيه لمادتي التاريخ والأدب، ثم أضاف إليهما التربية وعلم النّفس، وقد كانتا مجهولتين لا يعرفهما المعهد قبل ذلك وقضي في تربية النّشء وتكوين الأجوال ما يقارب ثلث قرن، أي حتى آخر جوان 1981. وقد سعى سعيا حثيثا للتعريف بالمعهد داخل الوطن وخارجه، وكابد من أجل أن تعترف الجامعات المصرية بشهادة المعهد، فتمَّ له ذلك بعد عدَّة محاولات مضنية في شهر جانفي 1963م.

تخرَّجت على يده أفواج من الطّلبة والباحثين، ممَّن كان له شأو كبير في المجالات الفكرية والسياسية، خارج الوطن وداخله، أمثال: الدّكتور محمّد ناصر، والأستاذ بابهون بكير، الدّكتور محمّد ناصر بوحجام.

كتب العديد من المقالات في مجلة البصائر لسان الجزائريين، وقد نشر الدّكتور محمّد ناصر نماذج من هذه المقالات في كتابه: «الشيخ محمّد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ». كما كانت له مراسلات مع أعضائها ومنهم الأستاذ أحمد توفيق المدني. إلى جانب ذلك وبالإضافة إلى التدريس فقد عكف على التأليف في التاريخ الجزائري فكانت كتابة تاريخ المغرب الكبير، بأسلوب جديد، وقام لأجل ذلك بجولات عبر الوطن وخارجه لجمع المادَّة الخبرية، من المكتبات العامة والخاصة، ومن أفواه العلماء بصفة خاصَّة. وفي سنة 1962م – وبعد الاستقلال مباشرة – بدأ في نشر كتبه. ويقول الشّيخ دبوز في ذلك:

عزمت أن أكتب شيئا في تاريخ المغرب الكبير بأسلوب أدبي وتحليل فلسفي، وببحث علمي نزيه يليق لمطالعة مثقفينا ويكون مرجعا لجامعتنا ومدارسنا ويصفِّي أبواب تاريخ المغرب التي كدَّرتها ودنَّستها أكاذيب السّياسة القديمة ودعايات المستعمرين وسمومهم فصارت خطرا على المغرب ومنبعا للسموم التي تكدِّر صفاءه وتفرِّق جماعته وتمكِّن الحسَّاد والدسَّاسين من بثِّ الفرقة والشقاق في مغربنا الحبيب.

ويقول المؤلف الشّيخ دبوز عن المشاق التي تكبَّدها في ذلك:

إنَّ تاريخ الجزائر الحديث سيما ما كتبناه لا يوجد في الكتب فيسهل الإطلاع عليه ولكن في صدور مشائخنا الثّقاة الحافظين، وفي الوثائق المخطوطة القديمة، وفي الصّحف العربية الجزائرية الأولى التي أصبحت مفقودة لا توجد إلاَّ في الخزائن الخاصة التي يصعب الوصول إليها. لهذا كان الموضوع صعبا، وقد تجشمنا مشاقه وصبرنا فيه، ويسَّر الله لي مشائخي الكرام الحافظين الثّقاة، وأصدقائي المخلصين فاستطعت أن أظفر بالمادة التاريخية المطلوبة.

كتاب: تاريخ المغرب الكبير، في ثلاثة أجزاء كبيرة، من العصر الحجري إلى الدّول الإسلامية المستقلة في المغرب الكبير، وصف فيه تاريخ المغرب نظيفا من الأكاذيب السّياسية.

قال عنه المفكِّر أنور الجندي:

تعدُّ موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الكبيرة الدّالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حين يقوم مؤرِّخ باحث كالأستاذ دبوز بكتابة أكثر من خمسة آلاف صفحة، مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال، مراجعا كلَّ ما كتب في هذا الصّدد، كاشفا عن عشرات من الحقائق التي شوَّهها المؤرِّخون والكتب...

كتاب: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، في ثلاثة أجزاء كبيرة.

كتاب: أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921 إلى 1974، في خمسة أجزاء كبيرة.

وله عدة تآليف ومخطوطات تاريخية وأدبية ونقدية وتربوية منها: تاريخ الدّولة العثمانية...الخ، وعدة مسرحيات تاريخية واجتماعية، وله مقالات عديدة.

ألمَّ به مرض عضال فأقعده في صيف سنة 1981م، فاعتزل الحياة العامَّة وقضى أيَّاما في المستشفى بالعاصمة، نُقل بعدها إلى مسقط

رأسه حيث وافته المنيَّة مساء يوم الجمعة 16 محرم 1402 ه، الموافق ليوم 13 نوفمبر 1981م، بعد حوالي ثلث قرن من العمل المتواصل في ميداني التربية والتأليف.

انتظم له حفل جنائزي رهيب ببريان، يوم السّبت 17 محرم 1402 ه، الموافق ليوم 14 نوفمبر 1981م، حضره جمهور من البلدة وضيوف عديدون من مختف الجهات. وكان لنبا وفاته وقع كبير في ميزاب والجزائر والعالم الإسلامي كلِّه، وبكاه تلاميذه وأصدقاؤه.

حبيب مونسي

المصادر:
- الشيخ محمّد علي دبوز، بقلم يوسف بن يحي الواهج
- محمّد بن علي، دبـُّوز، مركز الدّراسات الإباضية

■ محمّد قتاتلية
(و: 1324ه - 1907م/ت: 1407ه - 1986م)

قد يموت الرّجال وتبقى العبر يموتون ولكن في غير الفناء لتبقى الذاكرة تحفظ عن صدق مجهوداتهم واجتهاداتهم بل وتضحياتهم، حتى أنهم ملكوا اليقين جهادا بالقلم علما، وبالسلاح نارا وبالكلمة خطابا، ونحن إذ نطوي صفحتهم تخاذلا منا فلا يمكننا محو بريق علمهم الذي ينير عقولنا، وصدى الصّوت الجهوري الذي تعودنا سماعه كل يوم جمعة ولنا في الشّيخ محمّد بن الحاج لخميسي قتاتلية خير دليل وبرهان.

ولد الشّيخ محمّد/ كما يدعى في وسطه في اليوم الثّامن من فيفري عام 1907 بدوار صفاحلي في وسط عائلة فقيرة كثيرة العيال من أب فلاحو أم بدوية من بنات الأشم، حفظ القرآن الكريمو عمره 11 سنة على يد الشّيخ سي العربي زوايمية -رحمه الله- وبقي يتردد عليه لمساعدته في علمه فيما بعد ليدرس إلى جانبه الفقهو العلوم الشّرعية عند الشّيخ مختار-رحمه الله- ثم انتقل إلى سوق أهراس لمواصلة تعليمه على يد الشّيخ المرحوم عبد المجيد، ثم واصل دراسته بجامع الزّيتونة حتى نال شهادة التحصيل في العلوم عام 1933، ودرس العلم للطلاب بنفس الجامع لمدة قصيرة، وكان من رفقائه البارزين الشّيخ -أحمد حماني، بعدها رجع إلى أرض الوطن حيث وجد الاستعمار الفرنسي قد عشش بشكل رهيب واشتد عود حقده، يجهض القوى الحية الفاعلة،و يطارد العلماءو يسجنهم، فكان الشّيخ بين هؤلاء المساجين بمدينة المشروحة، وسوق أهراسو بجاية بعد انتفاضة 8ماي 1945، وواصلت فرنسا مطاردته بصفته عالما سياسيا، ومعلم قرآن وناشرا للوعظ ومرشدا، فقد رجع إلى الوطن من أجل توعية إخوانه المجاهدين بوسائل إعلامية متنقلة بسيطة، كانت عاصمته آنذاك مسقط رأسه قوية -حمام النّبائل- ونحى من الموت بعد أن توفي بعض أصدقائه شنقا بدوار (أمهايبية). وبعد أن عذب أشد التعذيب بقي تحت المراقبة إلى حين انجلاء القوات الفرنسية في 5 جويلية1962، فتح أول مدرسة بقرية- حمام النّبائل- / بلوصيف عبد الحميد. إلا أنه توقف عن التدريس سنة 1964 تنازلا عن المسؤولية، وبعد أن أوكلت له مهام الإدارة ولأسباب صحية حالت دون مواصلته لمهامه ورسالته، وبقي يشغل منصب إمام متطوع حتى عام 1972، حيث عين إماما خطيبا ممتازا، ويعلم الأئمة بالولاية / گالمة/ . إلى أن اشتد به المرض في أواخر1986، فتوفي أثناءها- رحمه الله-بتاريخ 21ديسمبر1986، ودفن بمقبرة-حمام النّبائل -.

ترك الشّيخ أعمالا فكرية وعظية في شكل مخطوطات هي عبارة عن دروس ومحاضرات في الإرشاد، من أشهر تلامذته ابنه جمال الدّين وعبد الكريم.

مات الشّيخ فترك فراغا كبيرا سجله أبناؤه وتلامذته، وكل أئمة إقليمهو الذين تعلم معظمهم على يده، فقد كان المرشد الذي لا تضيع نصائحه،و المربي الذي ختم على مجتمعه أنبل الصّفات، مات الشّيخ -محمّد-وتذكره كل هؤلاء سنين طويلة وبقوا يدعون له بالرّحمة، تذكروه في أيام النّسيان الطّويلة العجاف، أيام غاب صوته عن المنبرو الصّومعة، تذكروه حتى ملوا وجودهم، وفي نيتهم عملا لتغيير منطق الأيام ليعطوه حقه، بل ليردوا جميله، ولكن كانت السّواعد قصيرة فقد فرضت الظّروف منطقها أن تطوي صفحتهو ينسى، فذكرنا ديسمبر الرّجال، كيف نرجع في تاريخ نوابغنا الأبطال عن حين غفلة.

نعيمة سعدية

■ محمّد لواج (فراج)
(و: 1378ه - 1934م/ت: 1378ه - 1958م)

ولد الرّائد لواج محمّد فراج سنة 1934 بودانة. عين غرابة – بلدية ترنى بنى هديل دائرة تلمسان – ولاية تلمسان – ينحدر من أسرة كانت تمتهن الفلاحة كمعظم الأسر الجزائرية أيام الاستعمار الفرنسي وهى متكونة من خمس بنات وولدين (هو أصغرهما).

وقد التحق الولدان بجيش التحرير الوطني، وكعادة ابناء الفلاحين أيام الاستعمار الفرنسي الذين لم تتح لهم فرصة الدّراسة في المدارس الرّسمية (الفرنسية) ورغم أن هذا الوضع المادي الذي كان يعيش فيه الاب لا يحسد عليه؛ لكن هذا لم يمنعه من تعليم ابنه محمّد حيث أدخله إحدى المدارس الأهلية التي تعلم فيها القرآن بعد أن بلغ من العمر خمس سنوات وذلك بقرية الحناية في سنة 1948 – 1950، ثم عاد الشّاب لواج محمّد إلى مسقط رأسه بعين غرابة سنة 1952 ليواصل دراسته بمدرسة التهذيب التي شيدت في مسقط رأسه، بفضل الأهالي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولينهل من العلوم ويحصل على قسط وافر منها على يد الشّيخ مصباح.

وكالعادة أصبح الشّهيد فراج يتعاطى العمل السّياسي بعد أن بلغ من العمر 19 سنة فأصبح مطاردا من قبل الاستعمار الفرنسي من جراء نشاطه السّياسي، وبسبب سلوكه هذا ودخوله الميدان السّياسي اضطر إلى الانقطاع عن الدّراسة وفارق أهله وغادر المنطقة ليستقر بعد ذلك في مدينة سعيدة، وفي هذه المدينة، اشتغل في مهنة الخياطة، ليوفر لنفسه أسباب الحياة ولتسمح له بتجديد وتمتين تكوينه السّياسي في إطار الجو العام السّائد آنذاك.

وفى سنة 1954، عرف الشّهيد لواج محمّد تحت اسم "عبد المؤمن" وعين

مسؤولا عن القسمة وباشر عمله بكل دراية ومهارة بمدينة سعيدة حيث أتاح له هذا العمل الاحتكاك بالأوساط الشّعبية وبعد اندلاع الثّورة المباركة في أول نوفمبر 1954 لم يقف الشّهيد مكتوف الأيدي بل بدأ يعد العدة، فادخر كمية من الأدوية، وهيأ مخابئ تحت الارض لتخزين الاسلحة والتموين.

ونظرا لنشاطاته المتزايدة اضطر الرّائد فراج أن يغير اسمه عدة مرات حتى يختفي عن أعين العدو، وهكذا عرف باسم "سي الطّاهر" ثم فراج، وأخيرا عرف باسم "سي امبارك" ولقد كان هذا التغيير للأسماء ضرورة فرضتها ظروف العمل الثّوري، وقد تولّى الشّهيد فرّاج بالتدريج منصب مسؤول القسمة ثم رئيس المنطقة ثم مسؤول النّاحية الخامسة فعضو بالولاية الخامسة التي تشمل وهران والغرب الجزائري.

وشهيدنا البطل كان دمث الأخلاق، بعيد النّظر، يتحلى بالأخلاق النّضالية والإنسانية ولقد كان محبوبا من جنوده ورؤسائه نظرا لتواضعه وشجاعته التي يضرب بها المثل فكان يفضل أن يعيش وسط جنوده يقاسمهم أفراحهم وآلامهم وفى سنة 1958 التحق سي فراج بالمغرب أين عين ملازما أولا للولاية ومقر القيادة، ويمارس عمله النّضالي، على طول الحدود الجزائرية المغربية، في ناحية تويست، بوعرفة فيقيق وفى هذه الاثناء التقى الشّهيد العقيد لطفي مع الشّهيد الرّائد فراج الذي أمره بالدخول الى الوطن للالتحاق بصفوف جبهة التحرير واجتياز الاسلاك الشّائكة المكهربة الموجودة في الحدود الجزائرية المغربية وكان عليهما أن يمرا على الصّحراء حيث كانت قوات المستعمر تقوم بدوريات متتابعة وبعد مسيرهما يومين كاملين اكتشفهما العدو بجنوب بشار على بعد 20 كلم من المدينة، حينما كانا ذاهبين الى ناحية أفلو وهنا سارعت القوات الاستعمارية بأعداد ضخمة تساندها أسراب من الطّائرات الحربية حيث دارت معركة طاحنة بين مجموعة محدودة من المجاهدين لا يتعدى عددهم خمسة أشخاص وأسر الخامس الذي لازال على قيد الحياة –.

وكان الشّهيد رحمه الله المثل الاعلى في الثّبات والشجاعة والنضال الدّؤوب من أجل أن تعيش هذه الامة في عزة وكرامة، ولكن إذا مات الرّائد فراج فان اعماله البطولية وخصاله النّضالية لا زالت تنير لغيره الرّؤية الواضحة ونبراس ينير طريق الحرية والعدالة ويحقق المثل العليا والمبادئ التي نستلهم منها العبر من اجل استكمال بناء المجتمع الذي استشهد من أجله، عدد كبير من المجاهدين في الجزائر.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
– الزبير بوشلاغم، العقيد لطفي في ذكراه 19، مجلّة أوّل نوفمبر العدد35 سنة 1979 ص 34. (بتصرف)

■ محمّد محدة
(و: 1374ه - 1955م/ ت: 1427ه - 2006م)

ولد محمّد محدة بقرية (أميه ونسى) بالوادي عام 1955.

ينحدر من أسرة متوسطة الحال، فقد كان والده فلاّحا يفلح الأرض بإمكانات بسيطة، ويؤم النّاس في الوقت نفسه للصلاة في مسجد القرية.

تنحدر أسرته الصّغيرة من عائلة (المحايدة) والمحايدة عرش كبير استقر منذ القدم بمناطق عديدة بإقليم الوادي وبخاصة (بوادي العلندة).

زاول تعليمه القاعدي الأول أي المرحلة الابتدائية بمسقط رأسه، موازاة مع الاختلاف للكتاب لحفظ القرآن الكريم وبعض مبادئ الشّريعة الإسلامية،

ولما بلغ الثّالثة عشر من عمره أي في عام 1968 التحق بالمعهد الإسلامي بالوادي، مكث به سبع سنوات ليتخرج فيه عام 1975 حائزا على شهادة بكالوريا التعليم الأصلي. بعدها مباشرة انتسب إلى جامعة قسنطينة ليسجل عامه الجامعي الأول بمعهد الحقوق ويتمدرس طالبا في سنته الأولى خلال العام الجامعي 1976ـ 1977.

وقد كان آنذاك الحصول على غرفة مستقلة وحيدًا بالحي الجامعي الوحيد أمرا صعب المنال نظرا لمحدودية فرص استقبال الطّلبة الأمر الذي جعله يلتجئ في البداية كما يشير الأستاذ حسان جيلاني إلى الإقامة بالفنادق خاصة فندق (سبلنديد) الذي كان موجودا بالقصبة، والذي لا يتوفر على أدنى شروط الرّاحة، ولما تعرف على الأستاذ المرحوم (سعدي الطّاهر حراث) الذي كان آنذاك مديرا لثانوية ابن باديس

أنقذه من هذه الوضعية الكارثية على مستوى الإقامة ومنحه وظيفة مراقب بالثانوية موفرا له الإقامة.

ظل محدة محمّد يعمل مراقبا ويدرس الحقوق، ويراجع محاضراته رفقة الأستاذ سعدي إلى أن حصل في سنة 1979 على الليسانس فالتحق مباشرة بقسم الدّراسات العليا بعد أن أجرى مسابقة فاز فيها ضمن الأوائل وصار معيدا بقسم الحقوق بجامعة قسنطينة.

وفي عام 1983 ناقش رسالة الماجستير في القانون تحت عنوان ضمانات المشتبه فيه أثناء مرحلة التحريات الأولية بمعهد الحقوق، وتحصل على الماجستير بتقدير مشرف جدّا، وبعدها أقبل على التحصيل والتأليف في ميدان الشّريعة الإسلامية وكان أول كتاب أصدره يتعلق بالزواج والطلاق.

وفي نهاية الثّمانيات انتسب إلى المحاماة وفتح مكتبه في البداية بمدينة (المنيعة) ثم نقله إلى الوادي وصار فيما بعد محاميا معتمدا لدى المحكمة العليا ومجلس الدّولة.

وفي سنة 1991 تحصل على شهادة الدّكتوراه في القانون الجنائي من معهد الحقوق بجامعة قسنطينة حول موضوع (ضمانات المتهم) بدرجة مشرف جدّا ليصبح بعدها أستاذا محاضرا وقد أشرف على عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه.

وفي عام 1996 تمت ترقيته إلى مصف أستاذ التعليم العالي وقد كان يشارك محاضرا في جامعات وطنية عديدة بشرق البلاد دون كلل ولا ملل، منها: جامعات سطيف، قسنطينة، باتنة، عنابة، وأم البواقي إضافة إلى جامعة الوادي، وبعد عامين تحول من جامعة قسنطينة التي احتضنته طالبا ثم أستاذا إلى جامعة بسكرة أين استقر نهائيا للعمل حتى التحق بالرفيق الأعلى في حادث سير بسيارته إذ أصطدم برتل من الجمال في وسط ليل صحراوي.

وعلى الرّغم من استقراره مهنيا بجامعة بسكرة إلا أنه كان ينتقل تقريبا أسبوعيا، وقد عمل على تمكين المركز الجامعي لبسكرة آنذاك للارتقاء إلى مصف جامعة بفضل إقناعه لبعض الأساتذة مع التعاون مع قسم الحقوق وكذا الأقسام الأخرى كما انتخب رئيسا للمجلس العلمي لكلية الحقوق وأسس مخبرا للعلوم القانونية وظل يترأسه إلى يوم وفاته.

في بداية حياته العملية بالمنيعة فتح مكتب محاماة، وظل مواظبا على الانتقال من قسنطينة إلى المنيعة أسبوعيا بقطع مسافة حوالي (2000كلم) ذهابا وإيابا، ثم نقل مكتبه إلى الوادي وظل يسافر من قسنطينة إلى الوادي أسبوعيا مسافة حوالي (900 كلم) ذهابا وإيابا مدة عشر سنوات أو أكثر.

ولقد ترك جملة من الإصدارات أهمها:

أول كتاب أصدره كان جملة محاضرات قدمها لطلبة الحقوق إبان الثّمانينيات

في مادة الأحوال الشّخصية لطلبة الحقوق، واستطاع أن يجمع تلك المحاضرات في كتاب طبعه بدار البعث بقسنطينة عام 1984.

وفي مجال التركات والمواريث، أصدر جزأين عن دار الشّهاب بباتنة

كما حقق وشرح وعلق على رسالة السّتر» للشيخ الطّاهر العبيدي مستعينا بالعديد من كتب الفقه طبع بدار البعث بقسنطينة سنة 1985.

والمصنف شرح وتحليل وتعليق لمنظومة فقهية ألفها الشّيخ الطّاهر العبيدي أحد علماء وادي سوف في الخمسينات، وقد عثر عليها المرحوم محمّد محدة مخطوطا وقام بتحقيقها مستعينا بالعديد من كتب الفقه.

إضافة إلى كتاب علم أصول الفقه وهو كتاب ضخم تجاوز حجمه 600 صفحة كما آلف كتابا في مسائل الرّحبية في شرح الفرائض وهو رسالة فقهية تصدى لها بالشرح والتحليل.

في ثلاثة أجزاء صدرت عام 1988 عن دار الهدى بعين مليلة وهي تشكل أطروحته للماجستير.

إضافة إلى أطروحته للدكتوراه حول ضمانات المتهم وآخر كتاب صدر له بالقاهرة عام 2005 حول جرائم الشّيك.

لقد استطاع الرّاحل محمّد محدة أن يخوض في مسألة التركات والمواريث حتى صار مرجعا يعود إليه أصحاب الاختصاص،

ومصدرا هاما لكل المسائل المتعلقة بالتركات بل إنه أسس فيها نظريات جديدة في ميراث الجد خاصة، وقد طرح نظرياته في الجزء الأول والثاني من كتابه التركات والمواريث المطبوع بدار الشّهاب بباتنة.

كان كريما، خدوما، مضيافا، لا يعرف الكسل ولا البخل ولا العياء طريقا إليه، وكأنه خلق من معدن آخر غير معدن البشر، لا ينام إلا قليلا ولا يستريح إلا قليلا ويعمل دون هوادة، فهو جريء، مقدام، لا يعرف التباطؤ في العمل أو تأجيل عمل اليوم إلى غد، أو التثاقل إذا واجهته مهمة صعبة أو حتى مستحيلة، ذلك أنه من طبعه أن يجعل من المستحيل ممكننا وأن يرسم بنفسه طريقا وسط الصّعاب والعقبات الكأداء.

كان لا يعرف الرّجوع إلى الوراء، إنه يسافر باستمرار لحضور جلسات المحكمة العليا بالجزائر، ثم يعود إلى المجلس القضائي ببسكرة ثم يرجع إلى مكتبه بالوادي. وقد يتعرض إلى حادث أثناء سفره، وقد يرى الموت بعينيه أثناء الحادث ولكنه لا يبالي ولا يولي أهمية لذلك فيعود إلى السّفر من جديد وكأنه ما تعرض لحادث، إنه مثل النّملة التي تصعد فوق الشّجرة وتقارب الوصول إلى مستقرها ولكنها تقع من الأعلى، فتنهض، وتصعد من جديد وكأن شيئا لم يكن إلى أن تصل في الأخير إلى جحرها الصّغير.

هذا هو طبع محمّد محدة وديدنه كما جاء في سيرته من توقيع صديقه الصّدوق المرحوم الأستاذ حسان الجيلالي رحمهما الله، يقول عن تجازوه للمحن والكدمات الحياتية: تعرض في سنة 1988 على ما أذكر إلى حادث أليم وهو في حافلة نقل المسافرين حيث انقلبتبهم الحافلة وجرح في وجهه وكتفه، ولكنه نهض أقوى، ورجع للسفر من جديد.

كان محدة عنيدا، مكافحا، صلبا، عصاميا، استطاع أن يعتمد على نفسه في كل شيء، ويؤمن في بعض الأحيان بأن الغاية تبرر الوسيلة، وما أكثر الغايات الجميلة التي حققها، ولكن بوسائل بسيطة لا ترقى إلى القيم التي ينادي بها في بعض الأحيان.

توفي رحمه الله إثر حادث مرور بمنطقة "الحمراية" (100كلم شمال غرب مدينة الوادي) يوم الاثنين 27 صفر 1427هـ الموافق لـ:27 مارس 2006 في حدود الثّامنة ليلا، إذ اصطدم بقطيع من الجمال ونقل على جناح السّرعة إلى مشفى الواد لكن في حدود العاشرة ليلا لقي ربه. ودفن مساء اليوم الموالي (الثلاثاء) بعد صلاة العصر بمسقط رأسه. وقد شيع جنازته المئات من محبيه وعارفيه ورفاق دربه، من قسنطينة وباتنة وبسكرة إلى جانب أهله وذويه وتلاميذه بالوادي. وقد ألقى أ. د. محمّد الأخضر مالكي كلمة تأبينية مؤثرة في توديع المرحوم، كما قدم ممثل نقابة المحامين بباتنة كلمة مماثلة.

باديس فوغالي

المصادر:

- صفحة حسان الجيلاني الخاصة بالفايسبوك 09/ 04/ 2016
- ترجمة العلامة الدّكتور محمّد محدة السّوفي الجزائري. ابراهيم رماني.WWW.SHAMELA.DZ.NET

■ محمّد وعلي مداغ
(و: 1305ه - 1888م/ت: 1390ه - 1971م)

محمّد على بن الطّاهر ولقبه العائلي مداغ، مولده في قرية سيدي يدير سنة 1888 هذه القريّة تابعة لبلدية المائن دائرة جعافرة ولاية برج بوعريريج، ينتسب إلى عائلة علم ودين ونبل وشرف وتصوف متوارث أبا عن جد، ونشأ في بيئته محافظة وفي وضع مادي متوسط موافق للطبيعة الفلاحيّة القليلة المردود الكثيرة الجهود.

دراسته: حفظ القرآن الكريم على يدّ الشّيخ محمّد الصّديق بن العربي بن يحي، محمّد أخذ الفقه على الشّيخ محمّد ارزقي أويحي ثمّ على الشّيخ العربي آيت حمودة قاضي القضاة المعاصر للمقراني، ومن الذين كان لهم التّأثير البالغ، في مسار شخصيّة هم: الشّيخ أحمد بن مصطفى العلوي المستعانمي وثانيهما الشّيخ المولود الحافظي الأزهري، وثالثهما الشّيخ العربي القباني الذي أجازه.

التّدريس وطلبته: دعي الشّيخ محمّد وعلى من قبل أهل قرية التّعالبة سنة 1918 لتّعليم القرآن الكريم لأبناء هذه القرية ثم منها التنقل إلى قرية غير بعيدة عن الأولى وهي قريّة عباد الشّريف لإمامة النّاس ولقرب هذه القريّة الأخيرة إلى قريّة الشّيخ المولود الحافظي تردد الشّيخ محمّد وعلى معهد الحافظي فلازمه مدة ثلاث سنوات فكان يحضر دروسه ويقوم بالإقامة في قرية عباد الشّريف.

وفي سنة 1926 عين إماما بمسجد العوينات بالقرب من عنابة وبعد العودة إلى قرية يحل بتمقرة لينفرغ لتدريس العلوم الشّرعيّة واللغويّة وذلك سنة 1931 إلى غايّة سنة 1933 وهنا كان من تلاميذه والدي الشّيخ الطّاهر آيت علجت الذي يذكر لي أنه درس عليه الأجرومية في النّحو والمجراديّة في اعراب الجمل، وابن عاشر في الفقه.

وعلى ذكر طلبته اذكر ابن الشّيخ المولود الحافظي الأستاذ المجاهد العربي سحابي وذلك حينما انتقل مترحمنا إلى بني حافظ في حدود سنة 1949 وقد التحق فيها بعد وفاة الحافظي في فبراير 1948 ومما اخذه عنه الشّيخ العربي مختصر الأخضري في العبادات والاجرومية في النّحو والجوهرة في العقيدة.

الشّيخ محمّد وعلي ودوره الاجتماعي:
كما هو معهود في المجتمع الجزائري كان المرجع الوحيد لأفراده حين يحتاجون لمرشد بينهم شأنا من شؤون دينهم المتعلقة بالمعاملات والعبادات أو العقيدة لا يقصدون غير الإمام فكانت حياة مترجمنا خير مرشد وخير مصلح وخير مفت فقام الشّيخ محمّد وعلي بهذه المهام فكان بطلها المغوار فاستقام للمجتمع وضعه بما كان له من تدخلات ومساعي في هذا السّبيل وابلى فيه البلاء الحسن باحلال الوئام بدل الخصام وآخى بين الاخوة الأعداء واصلح ذات البين بما أنزل إليه في كتابه وأوضح الرّسول صلى الله عليه وسلم في سننه فكان نعم المصلح كما كان نعم الأستاذ وعلى هذا تشهد كثرة فتاويه المخطوطة ورسائله الشّخصيّة الواردة إليه من العديد من كبار العلماء والتي رد فيها على تلك الرّسائل أو محرراته للكثير من الفتاوي وللأنصبة في التركة للمواريث فكانت غاية في الصّياغة وبالأخير للمعارف العميقة تبدى التمكن من ناحية المبنى والمعنى وقوة الحجة والمعبرة عن الشّخصيّة الفكريّة والوزن الاجتماعي وعن مكانته بين علماء عصره. ومن جملة هؤلاء الذين تبادل معهم الرّسائل اذكر على سبيل المثال الحافضي والتّباني والعوى وعدة بن تونس ومنها رسالة تعزية إلى أولاد الشّيخ محمّد القاضي الصّدوقي وأخرى إلى ابي يعلى الزّواوى وأخرى إلى محمّد بوير الزّمورى والأخيرة إلى علي البرديلمي.

مقالاته الصّحفية ورسائله: وهي كثيرة ومتعددة المواضيع منها التي يشير فيها بعودة الحافظي للكتابة في صحيفة البلاغ الجزائري وقد نشرت في الصّحيفة السّالفة الذّكر، وله كذلك العديد من الخطب المنبرية وهي مخطوطة كما هو حال كل آثاره كانت أحدى بناته صارة لي في القبة وكان أبناؤها من تلاميذي كما كان ابناه المرحومين جعفر والعباس من تلاميذ الوالد وغن كانت الموت قد بكرت بقدان شيخنا لابنيه جعفر فإن العباس كان معلما بل مكونا للمعلمين وله نشاط دعوى في مسجد الرّحمة في العاصمة.

الفضل كل الفضل للأستاذ عبد الحكيم بوبكر في انجاز هذه النّبذة التّاريخيّة عن المترجم له فمن خلال كتابه بعنوان الفقيه الصّوفي الشّيخ محمّد وعلي مداغ اليديري المايلي الصّادر عن ابجديات للاتصال والنشر في سلسلة التّراث، من أعلام برج بوعريريج فجزاه الله عن ذلك بكل خير.

ومن الذين كتبوا عن المترجم له الدّكتور يحي بوعزير في اعلام الفكر ج1ص148 ومما ينبغي التّنويه به هو موقفة عن الخلاف بين علماء الإصلاح والعلماء المحافظين الطّرفيين منهم بصفة خاصة بدعوته الشّيخ السّعيد أبن يعلى الزّواوي العمل على انهاء هذا الخلاف الحاد الذي بلغ إلى مستوى من العداء والتّعرفة وذلك نظرا للمكانة المحترمة للشّيخ السّعيد لدى كل من الفريقين.

محمّد الصّالح آيت علجت

■ محمّد يزيد
(و: 1341ه - 1923م /ت: 1423ه - 2003م)

محمّد يزيد أوامحمّد يزيد كما يندة له شخصية وطنية بارزة، مجاهد وسياسي ودبلوماسي ووزير للإعلام سابق، ولد بمدينة الورود البليدة عام 1923، كان له نشاط دؤوب إبان الثّورة وعلى الرّغم من ذلك لم يبرز كشخصية سياسية ودبلوماسية لافتة بعد الاستقلال.

زاول دراسته بمسقط رأسه إلى أن أحرز شهادة البكالوريا، بعدها مباشرة انتقل إلى باريس سنة 1945 لمواصلة دراسته بمعهد اللغات الشّرقية، وفي هذه الفترة أستغلها استغلالا عميقا حيث أتقن عدة لغات.

انخرط قبل سفريته إلى باريس طلبا للعلم في صفوف حزب الشّعب الجزائري وكان ذلك عام 1942 وهو لا يزال طالبا، وانتخب كاتبا عاما لجمعية مسلمي شمال إفريقيا 1946، 1947.

وفي عام 1948 ألقي عليه القبض وحكم عليه بسنتين سجنا بتهمة القبض عليه وبحوزته مناشير سرية، زج به في سجن بربروس سركاجي فيما بعد، نظم في السّجن مع رفيقه الطّيب بولحروف إضرابا، ولما أطلق سراحه عاد إلى فرنسا، حيث كلف بتمثيل حركة انتصار الحريات الدّيمقراطية، كما انتخب عضوا في اللجنة المركزية من سنة 1950 إلى 1954.

وقبل اندلاع الثّورة كان على علم بنشاط اللجنة الثّورية للوحدة والعمل وكان يتتبع نشاطها.

كلفته اللجنة المركزية بالاتصال باللجنة الخارجية بالقاهرة، وصل إلى هناك يوم 27 أكتوبر 1954، وانضم إلى جبهة التّحرير الوطني.

وحين اندلعت الثّورة كان امحمّد يزيد عضوا في اللجنة الخارجية مع حسين لحول وقد مثّل الجزائر رفقة حسين آيت أحمد في مؤتمر باندونغ عام 1955.

ثم عين ممثلا لجبهة التّحرير الوطني في أمريكا من 1955 إلى الاستقلال. وشارك بفعالية في الدّورات 10 و11 و12 للأمم

المتحدة التي سجلت القضية الجزائرية وأدرجتها في جدول أعمالها.

وحينما تأسس المجلس الوطني للثورة الجزائرية عام 1956 صار عضوا فيه، كما عين عضوا في تشكيلة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وزيرا لقطاع الأخبار، والنّاطق الرّسمي لها من 1958 إلى 1962.

وقد تميز بنشاط مكثف ضمن الحركة الوطنية وإبان ثورة التّحرير الوطني في مجالي الإعلام والدّبلوماسية، وقد كان نشاطه ضمن حزب الشّعب الجزائري، وإبان حرب التّحرير الوطني بارزا وبخاصة في دوره الكبير في تأسيس فيدرالية فرنسا لحزب الشّعب الجزائري وضمن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بصفته وزيرا للأخبار، ولدى الأمم المتحدة بصفته ممثلا لجبهة التّحرير الوطني..

وفي هذا الإطار نذكر بأن محمّد يزيد كان من بين المناضلين الذين تركوا بصماتهم من خلال نشاطهم المكثف في الحركة الوطنية على غرار لمين دباغين، وسعد دحلب، وعبان رمضان، وبن يوسف بن خدة، وغيرهم.

كما شارك في تكوين جيل من المناضلين الوطنيين ضمن فيدرالية فرنسا لجبهة التّحرير الوطني التي تمكنت من شن الكفاح الوطني حتى داخل إقليم المحتل، وبخاصة عمله في مجال الاتصال فقد كان يتمتع بقدرات فائقة تجلت في ربط علاقات الجزائر مع الحركات التّحررية والأحزاب السّياسية عبر العالم وبخاصة في آسيا وافريقيا.

وقد كللت جهوده الدّبلوماسية في تفعيل مشروع مذكرة قدمته جبهة التّحرير الوطني والبلدان الصّديقة للجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة والتي تم تعديلها من قبل فرنسا. وقد نجح في إقناع البلدان الصّديقة للثورة الجزائرية التّصويت لصالح المذكرة الجزائرية، الأمر الذي فاجأ ممثلي فرنسا التي كانت تظن بأنها انتصرت على مساعيه.

يعترف من عرفوه وعايشوه عن كثب أنه كان مرجعا وطنيا في العمل الدّبلوماسي خلال فترة الكفاح من أجل استقلال الجزائر.

وقد نجحت مساعي أمحمّد يزيد من ضم رئيس لجنة الشّؤون الخارجية في مجلس الشّيوخ الأمريكي جون كبندي لمناصرة القضية الجزائرية، كما لعب دورا بارزا خلال أشغال مؤتمر باندونغ سنة 1955 الذي أيد كفاح الشّعب الجزائري من أجل الاستقلال.

يعد أول مؤسس لوكالة الأنباء الجزائرية، ونظرا لخبرته الطّويلة وحنكته في مجال الخبر تقلد منصب وزير الأخبار في الحكومة الجزائرية المؤقتة المشكلة مباشرة بعد وقف إطلاق النّار سنة 1958، كما شغل منصب سفير للجزائر في لبنان بعد الإستقلال.

وقبل تقاعده عمل مديرا لمعهد الدّراسات الإستراتيجية الشّاملة، وهو مؤسسة تابعة لرئاسة الجمهورية.

وكان أيضا أحد أعضاء الوفد الجزائري المشارك في المفاوضات مع الفرنسيين قبل أن تتوج تلك المحادثات بما اصطلح عليه اتفاقيات ايفيان وهي مدينة فرنسية متاخمة للحدود السّويسرية.

وفي عام 1999 برز كأحد المؤيدين لرئيس الحكومة الأسبق مولود حمروش ودعمه في حملته للانتخابات الرّئاسية قبل أن يعلن حمروش انسحابه مع خمسة مرشحين آخرين، يوما قبل موعد الاقتراع، تاركين المرشح عبد العزيز بوتفليقة وحيدا في السّباق.

وقد أسس محمّد يزيد دار الحريات للصحافة، وخصص لها مقرا في أحد أركان بيته. وقد اشتغل في هذا المشروع مدة من الزّمن بهدف مساعدة الصّحافيين الجزائريين الشّباب على التّمكن من أبجديات المهنة والدّفاع عن مصالحهم في إطار أخلاقيات المهنة.

كما كان يتردد يوميا على دار الصّحافة الطّاهر جاعوط في ساحة أول ماي بوسط العاصمة، وكان كثير النّقاش مع الصّحافيين حول تطور الأوضاع السّياسية في الجزائر.

توفي عشية استعداد الجزائر للاحتفال بالذكرى 49 لاندلاع ثورة التّحرير أول نوفمبر عن عمر ناهز 97 سنة عام 2003 إثر سكتة قلبية ألمت به وهو يتأهب للخروج من بيته في حي المرادية بالعاصمة الجزائرية ودفن بمسقط رأسه. تاركا ثلاثة أولاد يعيشون حين وفاته مع والدّتهم الأمريكية في الولايات المتحدة، في حين فضل هو البقاء في الجزائر ليواصل نضاله ومساعيه، علما أنه تعرف على زوجته أوليف خلال تردده على مقر الأمم المتحدة بنيويورك، قبل استقلال الجزائر، ثم كللت العلاقة بينهما بالزّواج.

وقد أفاد عبد العزيز بوباكير في تدوينة له على حسابه في فيسبوك بأن أوليفيا، التي كان الرّاحل يزيد يسميها "زيتونة"، قدمت خدمات جليلة للقضية الجزائرية في نيويورك مع الرّئيس الأمريكي الرّاحل جون كنيدي.

باديس فوغالي

المصادر:

- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
- ar. Wikipedia.org. يزيدمحمّد من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

■ محمود بوغابة
(و: 1345ه - 1927م/ت: 1423ه - 2003م)

ولد المجاهد بوغابة محمود في 21 أوت عام 1927 في الشّمال القسنطيني، بقرية « بيزو» التي هي الآن باسم الشّهيد ديدوش مراد تنحدر عائلته من قرية «السّمندو" سابقا زيغود يوسف حاليا.

وبالصّبط من عرش السّفرجلة الذي قضى عليه الاستدمار الفرنسي فتشتت العائلة في القرى المجاورة. والده بلقاسم المدعو صالح، من قدماء المحاربين في صفوف جيش فرنسا والمجبرين ضد النّازية. ووالدته خديجة حبيباتني من سلالة علماء دين من بينهم الشّيخ الحبيباتني مرافق الشّيخ بن باديس.

نشأ وترعرع محمود بوغابة في قريته مثلما نشأ أبناء الشّعب خلال استعمار استنزف حياتهم فثاروا وهم صغار، انتسب إلى الدّراسة القاعدية في المدرسة الابتدائية الوحيدة التي كانت آنذاك لتعليم العربية وبها تشبع بقيم النّضال على يد معلم فلسطيني.

ولهذا السّبب وهو التدريس باللغة العربية أغلقت السّلطات الفرنسية المدرسة فكان له ولأترابه متسع للبحث عن طرق نضال بديل فانضم إلى حزب الشّعب مع أخويه بوغابة يوسف وبوغابة ابراهيم.

لكن نشاطه الحقيقي برز في النّقابة الحرة لعمال البناء، وبدأ صوته عبرها يزعج سلطة الاحتلال فصار مطلوبا ليزج به كل مرة في السّجون مثل معتقل لامباز، والجرف حيث كان معه الشّيخ مولود قاسم نايت بلقاسم وابراهيم بلبحري وسجناء آخرون اهتموا بسلاح القلم مثل محمّد الشّبوكي حتى انه كان قد ذكر أن نشيد جزائرنا يا بلاد الجدود قد ألفه الشّاعر وأنشده السّجناء أوّل مرّة في معتقل الجرف، أين زجّ بالمعتقلين من العلماء والسّياسيين الذين كانت لهم منزلة للتعليم والتأطير الثّقافي والسّياسي.

وقد روى المجاهد الرّاحل محمود بوغابة لابنته إلهام بوغابة أنه قد قرأ أمام الكتب في هذا المعتقل. الحركة التعليمية النّشيطة التي وقف عليها علماء الثّورة وعاش وتعايش وقد قضى أغلب سنوات الثّورة في السّجون والمعتقلات، ولما لاحظت قيادة حزب الشّعب انتباه السّلطات الفرنسية لنشاطه الدؤوب سفرته لفرنسا لأنه كان مسؤولا على وثائق سرية وأسلحة وأشياء أخرى تخص الثّورة.

في فرنسا برز بروزا نضاليا مع منظمي مظاهرات 17 أكتوبر وقبض عليه واقتيد في باخرة إلى الجزائر وسجن بقسنطينة، حيث عوقب عقوبة قاسية فرضت عليه الأشغال الشّاقة فشارك مع عديد السّجناء في بناء ثكنة سيدي مبروك و» لارموط" لتربية الخيول.

الحمد لله أن آل كل بناء إلى ملكية بلدنا الحبيب بنيل الاستقلال وتذكر ابنته أنه إذا أخذها وإخوتها للفسحة وهم صغار يجتاز بهم غابة الصّنوبر ليلتحفوا مباشرة ب(لارموت) والثّكنة فيشيد بساعديه: ويقول بساعديّ هاذين حملت الحجارة وشيّدت مدرسة الرّجال / كما كان الرّئيس بومدين يسمي الثّكنات لم يغادر محمود بوغابة السّجن إلا مع الاستقلال فعاهد نفسه على مواصلة النّضال حتى الاستقلال عرضت عليه مناصب مهمة إلّا أنه تخلى عنها لصالح المتعلّمين خريجي الثّانويات والجامعة بينما اختار لنفسه أن يكون في خدمة البريد والمواصلات فراح عبر القرى والمداشر يفتح مراكز البريد لتحقيق أمنيات الأمهات في كسب صناديق بريد لرسائل وطرود أزواجهن وأبنائهن المهاجرين. كان يقول: إن فتح مركز بريد في دشرة مثل شق طريق لفك العزلة. وكل هذا وثقته ابنته إلهام في مختلف قصصها عبر مؤلفاتها الأدبية. يذكر أنه على يده فتحت جلّ مراكز البريد عبر الشّريط السّاحلي الشّرقي من الطّارف إلى بجاية وقرى جيجل. تقول ابنته كنا نرحل معه في العطل المدرسية لأن إدارة البريد كانت تجهّز له مسكنا في كل مركز يفتحه. إلا أننا نغادره في الموسم الدّراسي لنستقر في بيتنا بقسنطينة ويظل وحده منقطعا عن أسرته، يخدم نفسه بنفسه لأجل خدمة النّاس. وكم كان يرى مهنته عظيمة ويحتاجها النّاس كثيرا ولم يعد ليستقر في مدينته مع أسرته إلا عند التقاعد. أنهى خدمته بشرف. لكنه ظل نشيطا يخدم وطنه بما استطاع. عمل مرشدا سياحيا لأنه خبر المدينة وعرف مداخلها ومخارجها حتى السّريّة منها وكان يحسن أربع لغات كتابة ونطقا، مما مكنه أيضا من العمل مع الشّركة الألمانية التي كانت بالمدينة للرافعات والجرارات.

عمل مترجما ومعلّما للغة العربية للعمال ولأفراد أسرته عمل مخلصا لأجل الوطن محتسبا كل نضاله في ميزانه يوم الحساب العظيم رغم ما تركته آثار التعذيب بالكهرباء وبغيرها على جسده ونفسه. فقد عاش يحمل أحفاده بذراع معطوبة ويكتب بيد ترتعش آيات القرآن على ألواح المساجد لتحفيظ الأطفال كتاب الله. كان مسجد التقوى بشارع خرخار مولود مقرّه الأخير حيث كان يجمع في حلقته رجال الحي لتلاوة القرآن وتدراسه. جعله الله في ميزانه

غادر الدّنيا رحمه الله إلى مثواه الأخير في 04 جانفي 2003.

إلهام بوغابة

المصادر:
- شهادة حيّة لابنته الأديبة إلهام بوغابة.

■ محمود زيدان
(و: 1315ه - 1898م/ت: 1378ه - 1959م)

ولد الشّهيد محمود زيدان سنة 1898م وتم إدراجه في السّجل (خلال 1915م) بقرية عين النّاقة التابعة لبلدية سيدي عقبة ولاية بسكرة، وهو «ابن علي بن زيدان الأخضري نسبة لقبيلة الخذران الهلالية» نشأ وترعرع وسط عائلة ريفية متواضعة معروفة بتقاليدها العربية ودينها الإسلامي الحنيف وهو أخ الشّهيد علي بن لعماري علية من جهة الأم حيث توفي هذا الأخير في معركة فرغوس وله إخوته من والديه وهم المجاهدين علي زيدان وموسى زيدان وزيدان زيدان.

كان يمارس النّشاط الفلاحي وتربية المواشي قبل أن يُجبر على الالتحاق بالخدمة العسكرية الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثّانية في إطار قانون التجنيد الإجباري كغيره من الجزائريين الذين جندتهم فرنسا في صفوفها أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية حيث تعرف واحتك بالقائد مصطفى بن بولعيد وبعد تأسيس المنظمة الخاصة سنة 1947م أرسله بن بولعيد إلى قادة الثّورة في منطقة مشونش وقد اتصل بهم رفقة عمه الشّهيد «قدور زيدان» ومن بينهم: عبد الكريم سلطاني؛ المعروف بسلاطنية، وحسوني رمضان ومسعود الزّحاف وبلقاسم قرين، وقد كان ينسق ويتبادل الزّيارات معهم بحكم معرفته للهجة الشّاوية واللغة الأمازيغية نتيجة اختلاطه بأهل المنطقة من قبل، وقد كلف من طرفهم بتجنيد كل من يثق فيهم من أهله وسكان منطقته للالتحاق بالثورة، كما كان يعقد معهم اجتماعات بمشونش وعين النّاقة قبل أن يتم سجنه.

اكتشفت السّلطات الفرنسية تحركات الشّهيد «محمود زيدان» وتم سجنه مرتين متتاليتين قبل اندلاع الثّورة التحريرية وهذا ما روته أرملته المجاهدة «فطيمة خليفة»، لكن ذلك لم يثنه عن مواصلة النّضال فواصل -عند خروجه من السّجن- تجنيده للثوار وتعبئتهم وحثهم على ضرورة الالتحاق بالثورة ودعمها بالأسلحة التي كانوا يملكونها وبقي عضوا مدنيا في جبهة التحرير الوطني يقوم بإيصال المعلومات وإعداد التقارير المفصلة عن تحركات العدو الفرنسي لإرسالها للقادة في الأوراس، وكان أيضا يقوم بإيصال المؤونة لجيش التحرير بالأوراس وتذكر شقيقته «فاطمة» أنه كان يتنقل على ظهر فرس كان يملكها إلى جبال الأوراس للاجتماع بقادة الثّورة، وعندما أصبح مشبوها لدى السّلطات الاستعمارية بعد أن وشى به بعض الخونة ألقى عليه القبض من طرف العدو الفرنسي سنة 1957م وزج به في سجن (بني مرة ببسكرة) حيث تعرض هنالك لأبشع طرق التعذيب ومن بين الطّرق التي طبقت عليه تسميره في باب خشبي وإحداث جروح عميقة في جسمه ووضع الملح فيها ليزيدوا من معاناته وألمه، كما أمر الضّباط الفرنسيين الذين أشرفوا على عملية تعذيبه كلابهم بنهش لحمه وقد عانى كثيرا بعد خروجه من السّجن من تورّمات خطيرة حتى تعفنت أماكن من جسده وبعد تعافيه واصل عمله النّضالي حتى ألقي عليه القبض مرة أخرى سنة 1959م وزج به في سجن الثّكنة العسكرية الفرنسية بسيدي عقبة والمسمى "الكبانية" وقد لقي في سجنه عذابا شديدا حيث يروي رفيقه في السّجن المجاهد "موسى هلالي" أنه استشهد بسبب تضحيته من أجل السّجناء حيث إن الضّباط الفرنسيين من أجل إذلاله كانوا يأمرونه بأن يلوح عليهم بالمروحة وفي الفترة التي يغيب فيها الضّباط يقوم بجلب الطّعام المتبقي إلى رفاقه في السّجن وفي أحد الأيام اكتشف أمره فقاموا بضربه بوحشية حتى كسر فكه وعظامه وبقي ينزف لأيام حتى استشهد داخل السّجن سنة 1959م ثم أخذته قوات الجيش الفرنسي ورمته في ساحة من ساحات قرية عين النّاقة وهذا لترهيب السّكان وتهديدهم بأن يلقوا المصير نفسه إن حاولوا التمرد.

نعيمة سعديّة

■ محي الدّين باشطارزي
(و: 1315ه - 1897م/ت: 1407ه - 1986م)

محي الدّين باش تارزي أو باشطارزي، من مواليد القصبة بالجزائر العاصمة في 5 ديسمبر عام 1897، وتوفي في 6 فبراير عام 1986 بالجزائر العاصمة، بدأ حياته «حَزَّابًا»، في الجامع الحنفي بالجزائر العاصمة، (والحزّاب هو شخص يلازم المسجد ويقرأ من القرآن الكريم حزبين كاملين يوميا بمعية جماعة من الحزّابين مثله، وهي عادة أهل الجزائر، سادت إلى غاية زمن الاستقلال في كل جوامعها). وشارك مع طلبة المدارس الإسلامية في تمثيل عدّة مسرحيات ثم انضَمَّ إلى المجالس الغنائية للفنّ الأندلسي، فلمع نجمه بين مطربي زمانه ونال شهرة واسعة وتميّز بصوته الصدّاح. و ظلّ إلى سنة 1932 منشغلا بالغناء وحده، ولاسيما الغناء الأندلسي منه.

أخذ علوم القرآن واللّغة العربية عن الشّيخ المفتي بوقندورة أحد أعلام الجزائر العاصمة، وتعلّم الغناء الأندلسي على يد رئيس جمعية المطربية "ناطال إدمون يافيل". ومن خلال تتبّع مراحل تدرّجه في المسرح يبدو أنّه أخذ عن علي سلالي المعروف بـ: "علالو"، على أساس أنّ الأخير سبقه في تأليف المسرحيات، فمسرحية "الصّياد والعفريت"، التي شارك في تمثيلها، ألّفها علالو سنة 1928، وأنّ محي الدّين باش تارزي لم يباشر مهّمة التّأليف المسرحي إلاّ بعد سنة 1932. ويمكن أن يكون قد تأثّر أيضا بمسرح جورج أبيض، ويوسف بيك وهبي، ونجيب الرّيحاني، إثر زيارتهم للجزائر منذ1925.

ألف العديد من المسرحيات، من بينها: «جهلاء مدعون بالعلم»، و»بني وِي وِي"، و"على النّيف"، و»الخدّاعين"، كما كتب مذكّراته، التي أرّخت للمسرح الجزائري منذ عام 1919 إلى غاية 1974، في ثلاثة أجزاء صدرت تباعا أعوام 1969 و1984 و1986. وكانت هذه المذكرات سببا في أن يكون باش تارزي أوفر حظا من غيره، من أمثال علي سلالي(علالو) وبلخضر رشيد (رشيد

قسنطيني)، في الحفاظ على مخطوطات مسرحياته وتوثيقه إيّاها.

أسّس محي الدّين باش تارزي للمسرح الجزائري، وذلك بإنشائه فرقا مسرحية عديدة، وتكوينه لجيل مسرحي ومن ثمة تركه لتراث مسرحي ضخم، إذ أصبح سجلا تاريخيا وثّق للحركة المسرحية الجزائرية منذ مطلع القرن العشرين. ومن مظاهر تأثيره، إثارة وعي الأهالي، كما كان يطلق عليهم إبان الاستعمار الفرنسي، الأمر الذي يدخله في خانة الشخصيات التي كان لها تأثير على الحركة التّحررية الجزائرية، فقد طرح العديد من القضايا الشّعبية من خلال المسرح، الأمر الذي أورثه حبّ الجماهير وتقديرها لمسرحه.

أسّس محي الدين باش تارزي لمشروع إبداعي فنّي، لُبّه التمييز بين الخصوصية وهي بناء شخصية متميزة، مستلهمة من معطيات الحاضر التي هي أيضا من نتاج الماضي التي لا يستطيع المرء أن ينفيها حسب إرادته. والأصالة أي الإبقاء على نمط اجتماعي سلوكي... كان أصلا لمسيرتنا ولم يعد صالحا للظروف الحالية لأنه لا وجود لظاهرة ثابتة في التاريخ. وقد جسّد هذه الرؤية الواعية عندما بادر إلى فكرة ريادية تمثلت في التنقل بفرقة «المطربية" وبرمجة عروضها عبر المدن والقرى الجزائرية للخروج من مركزية العاصمة. وتزامنت هذه المبادرة مع موعد تاريخي هام جدا وحراك سياسي، نتج عن مشروع قانون «بلوم فيولات" الذي يمنح حق الانتخاب لبعض من شرائح الفئات المسلمة، ومواجهة اليمين الفرنسي والمتشدّدين من البرلمانيين باحتجاج شديد اللّهجة لهذا المشروع. وتصدّت "وهران الصّباح" و"صدى وهران"، وهما جريدتان تمثلان اليمين الفرنسي للتصعيد من لهجة التخويف إذا ما تمكن مسلمو الجزائر من حق الانتخاب والمساواة في الحقوق السّياسية.

وعلى الرغم من اختيار مسرح باش تارزي أن يؤسّس لقناعات مناصرة لقيم أكثر انفتاحا وأقل تسلطا، من خلال الكوميديا الشعبية المطعمة بالأمثال والأغاني سّهلة الحفظ بمنأى عن الأفكار والممارسات السّياسية الفضّة التي تولد شعورا بعدم الأمان والأمل، وترعب الأفراد. إلاّ أن السلطات الفرنسية تفطّنت إلى أنه ليس مسرحا يريد أن ينعش واقع الأهالي بمتخيل جماعي مدهش وأقوال شعبية وأغاني وأهازيج وأحلام فقط، بل هو مسرح يطرح مشاكلهم في إطارها السّياسي والاجتماعي، كقضية المزاحمة القائمة بين الكولون وكبار الملّاك المسلمين، وكذلك البؤس المتزايد الذي يتخبّط فيه الفلاح الجزائري الصّغير، وبروز طبقة من البرجوازيين الصّغار من الموظّفين، وكذلك الزّواج المختلط، وشرب الخمر، وغيرها من الموضوعات الاجتماعية التي انجرت عن الاستعمار، وكتحصيل حاصل ينبغي القضاء على هذا المستعمر. وعموما فباش تارزي ابن بيئته بحق؛ تفاعل مع ثقافته العربية والإسلامية، فمثل المثقف الجزائري بحق.

بدأ باش تارزي مهمّة التّأليف المسرحي بعد سنة 1932، وتجدر الإشارة إلى أنّ بداياته الأولى في التّأليف المسرحي كانت مع صديق له فرنسي الجنسية يهودي الأصل، هو لويس شابور، فألّف معه ثلاث مسرحيات. وأسّس الفرقة المسرحية

المسمّاة «المطربية"، وقدّم أعمالا مسرحية مع مجموعة من الهواة، وكانت هذه الأعمال مزيجا من التمّثيل والغناء والرّقص. وأنشأ عام 1947 فرقة المسرح العربي بدار الأوبرا، وبعد الاستقلال عيّن مديرا للمعهد البلدي للموسيقى. وكانت له مشاركات في العديد من الأعمال في السنيما، كفيلم: كنزة، وحسان طيرو، والأفيون والعصا، والوصية. وأشرف أيضا على تسيير عدّة فرق موسيقية ومسرحية، كفرقة (زاهية) التي أسّسها (علالو). ولم يقف عند حدّ التّأليف المسرحي والتمّثيل والإخراج بل كوّن جيلا مسرحيا جزائريا.

كما تجدر الإشارة إلى أن مسرح باش تارزي انحصر بين عامي 1934/ 1939 قدم خلالهما عشرين مسرحية ناجحة، ويرجّح أن يكون سبب نجاحها هو قيامه بالأدوار الرّئيسية فيها، معتمدا على الغناء بالدّرجة الأولى والفكاهة بمشاركة بعض الممثلين (كرشيد قسنطيني) و(ماري سوزان). وهناك سبب آخر هو كثرة تنقّله خارج العاصمة.

كوّن جيلا مسرحيا وترك محيي الدين تراثا مسرحيا ضخما، توفي عام 1986م بالجزائر.

فاطمة الزهراء حبيب زحماني

المصادر:

- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله.
- دراسات في المسرح1 المسرح في الجزائر النشأة والرواد والنصوص، صالح لمباركية.
- قراءات في المسرح الجزائري، مسرحية «بني وي وي» لمحي الدين باشطارزي، طامر أنوال.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة.

■ محيي الدّين الجزائري
(و: 1259ه - 1843م/ت: 1336 ه - 1918م)

محيي الدّين بن الأمير عبد القادر بن محيي الدّين الجزائري، المولود في الجزائر، والمتوفى في دمشق. قضى حياته في وطنه الأم الجزائر وسوريا.

حفظ القرآن الكريم في صغره على والدّه، كما أخذ عنه مبادئ العلوم وحفظ المتون.

لقد قاسى والدّه الأمير من ويلات السّجن والنّفي على يد سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مما جعل ابنه محيي الدّين يعاني اضطرابات، لكن بعدما هاجر والدّه إلى دمشق فيمن هاجر من سلالة الأمير عبد القادر واستقرّ في سوريا، انتظمت حياته العلميّة فقرأ فقه مالك وأخذ الحديث والعقيدة، كما تعلم اللغة التّركيّة وأتقنها. وقد كان شغوفًا بالمطالعة والقراءة لمصادر وأمهات الكتب.

اشتغل مدرسًا في سن باكرة من حياته، ولمّا بلغ السّابعة والعشرين من العمر، ترك الشّام وتوجّه إلى وطنه الجزائر متخفيًا من سلطات الاستعمار الفرنسي، «و جاء إلى الجزائر سنة 1871 – 1870 لإثارة شعبها ضد فرنسا، تحت تأثير أخيه محمّد السّعيد شيخ القادريّة، وهو جانب لم يتعرض إليه الباحثون مكتفين بغضب والده عليه من المحاولة، إذ حاول تثوير الجزائر من جهة تبسة وسوف، وقد جمع الأنصار من الغاضبين الجزائريين في تونس وليبيا، وراسل أعيان الطّرق الصّوفيّة وأعيان الأجواد والعلماء داعيا إياهم للجهاد، منذ خريف 1870، وكان من نصرائه ناصر بن شهرة، ويبدو أن الأمير محيي الدّين كان يحمل دعم الخلافة العثمانيّة، وربما موافقة أبيه غير العلنيّة».

وبعد مدَّة عادَ إلى دمشق، فقربته السّلطات العثمانيّة وأكرمه سلاطينها.

لقد أورد له كتاب «حليّة البشر» مجموعة من القصائد الشّعريّة وذكر معجم البابطين لشعراء العربيّة أن له ديوانًا مخطوطًا لكن دُون ذكر تفاصيل عنه.

ما يمكن أن نلاحظه على شعره هو أنه في عمومه يتمحور حول الأغراض التّقليديّة المألوفة لدى شعراء عصره. وبخاصة المدح والتّهاني اللذين اختص بهما والدّه الأمير وقد مدح فيه تفرّده بالمزايا، داعيًا له بدوام العزّ والبقاء.

ويعدّ هذا الشّعر أنموذجًا يستحق الدّراسة لشعر أبناء الملوك الموجه إلى آبائهم، كما أنَّ له شعرًا في الحنين والشّكور والفخر الذاتي والقبلي، وله شعر في المطارحات والمساجلات والإخوانيات، إلى جانب هذا له شعر في الغزل الرّمزي وشعر في المناسبات. أمَّا لغته فهي تتسم بالسّهولة والوضوح، وعباراته متدفقة وخياله نشط، لذلك جاءت صوره الشّعريّة ذات دلالات إيحائيّة مكثفة.

نماذج من شعره:

من قصيدة: الأمير الفرد

زمانُ الأنس والأفراح مِنَّا
دنا إذْ مُنيتَي بالوصْل سَنَّا
فبادرْ للصّفاء وللتَّصابي
فمن خوف التّقاطع قد أمِنَّا
ويا ساقي المُدام أدرْ وعجِّلْ
فطير الرّوض بالبُشْرى تَغَنَّى
وناوْل رفقتي كأسًا فكأسًا
بظل حديقةٍ بالزّهر غَنَّا
بها طير وظبي قد تبارَى
فذا يشدو على غصن تَثَنَّى
وذا شادٍ تثنَّى فوقَ عودٍ،
ولم أسمع بظبي قبْلُ غَنَّى
تثنَّى مفردٌ في الحسن فاعجبْ
بلا ثانٍ فكيف به تَثَنَّى
إذا أبدى الدّلال وهزَّ قدًّا

فلا تسأل عن الصّبّ المعنَّى
غدا مَلكَ الملاح بلا اعـترضٍ
وقالوا كلُّهم إنَّا أطعْنا
له قَتْلُ الخلائق صارَ فَرْضًا
وسيفَ اللَّحْظ للعُشَّاق سَنّا
فهل للعاشقين له نصيـر
بسحـر عيونه إنا فُتِنَّا
تـرى عُشاقه سكرَى غرامٍ
كأنهمُ سُقوا دنًّا ودنّا
تـراهم في النّهار وهمْ حَيارَى
وويلهمُ إذا ما الليلُ جُنَّا
تبارك من بـراه بلا شبـيهٍ
فلا عَجَبٌ إذا ما الصّبُّ جَنَّا
ولا أنسَى مراجعةً تقَضَّتْ
بأولِ وهْلةٍ لما التّقينا
رنا شَزْرًا إليَّ وقال: مَهْلا
فما لَكَ من نجاةٍ إن طَعَنَّا
فقلتُ له: فديتك لا أُبالي
سأصبـر فـي الغرام فمن تأَنَّى
وأبلغ منك مقصودي بلُطْفٍ
وإلا بالمهنَّد وهو أدْنَـى
فماسَ يتـيه من قولي دلالا
وقال: أراكَ قد أخلفتَ ظَنّا
فإنْ معاشري فرسانُ حَرْب
ولا يخشَوْن يوم الرّوع طَعْنا
فقلت له: ألم تسمع بقومـي؟
فقد جعلوا الوغي والفتْك فَنَّا
وقد ذاعت مفاخرُهم وشاعت
تناقلها الرّواة بكلّ مَغْـنـى
وسَلْ عنا الفرنجةَ فهـي تُنْبـي
بما قاست من الأهوال مِنَّا
وقائدُ مَعْشري بطلٌ هُمامٌ
غدا لي والدّا وبه افتخرنا
بعبد القادر المولَى تَسَمـى
لعمرك في اسمه قد لاح مَعْنَـى
وفي الأسماء للأشخاص فألٌ
كذا نقل الرّواة وقد صدقنا
أميـر قد تفرَّدَ في البـرايا
غدا لجمـيع أهل العصر رُكْنا
له الجودُ العمـيمُ بكل قُطْرٍ
به أهل الفضائل قد سعدنا
له جَدٌّ وجِدٌّ ثمَّ جِدٌّ
بهم نالَ الفَخار وما تمنَّى
فجَدٌّ فاق أهلَ الأرض طُرًّا
وشرَفَ ذكرُه سَهْلا وحَزْنا
وجَدٌّ في المعارف والمزايا
به نال العلا فنًّا ففَنّا
وجدٌّ منه يدنـي كل قاص
فلو طلبَ النّجومَ لما بَعُدْنا

حديث البسالة

بُعْدُ الأحبَّةِ عن عَيانـي مُحْرقي
يا ويحَ قلبِ المستهام الشّيِّقِ
يا قلبُ هل تقضي زمانك بالأسَى؟
اِرْبَأْ بنفسك واشفقَنْ وتـرفَّق
كم تقطعنَّ الليلَ بـين تنهُّدٍ
وتحسُّرٍ وتفكّر وتحرُّق

***

هل نلتقي يا أهلَ وُدِّي ساعة؟
يا أهل ودي ساعةً هل نلتقي؟
فأبثكم شكواي من ألم النّوى
تَبًّا له بمُتـيمٍ له يـرفق
أنا ذلك الصّبّ الذي وحياتِكم
وحياتكم لسواكم لم يَعشَق
هل تحفظون ذِمامَ خِلٍّ عنده؟
إن السّلْوَ سجـيّة لم تُخْلَق

***

إنـي ورثت شـجاعةَ الآباء فـي
صِغَري وإنْ بفعالهم لم ألْحق
إنـي اجتهدت وخاننـي دهري فلا
عارٌ عليَّ بـردِّ سعْي المخْفِق
لله أشْهبُ كالشّهاب عَلَوْتُه
لولا اللجام غدا لشهبٍ يـرتقي
وطلبتُ سهمَ الموت قِدمًا جاهدًا
لكنه لتعاستـي لم يـرشُق

رابح دوب

المصادر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثّقافي. عالم المعرفة الجزائر 2011؛
- عبد الرّزاق البـيطار: حليّة البشر في تاريخ القرن الثّالثّ عشر (تحقيق وتعليق: محمّد البـيطار) -دار صادر بـيـروت 1993؛
- معجم البابطين لشعراء العربـيّة في القرنـين التّاسع عشر والعشرين المجلد العشرون -الكويت 2008.

■ محيي الدّين بن مصطفى الغريسي(الرّاشدي)
(و:1990ه - 1776م/ت:1249ه - 1883م)

ولد (الشـيخ محيي الدّيـن) بقرية القيطنة فـي وادي الحمّـام غربي مدينة معسـكر، أو الرّاشـدية كما كانت تُسمّى في القديم، نسبة إلى مؤسسـها راشـد بن المرشـد القرشـي، وفيها زاوية أبيه (الشـيخ مصطفى بن محمّد بن المختار) التـي كانت معهداً علمياً تخرّج منـه كبـار علمـاء معسـكر، فالأسـرة كلّهـا معروفة بالعلم والثقافة، تحظى بتقدير النّاس واحترامهـم، وفي هذه الأجواء نشـأ (محيي الدّين)، وتعلّم أصـول الدّين والفقه واللغة، كمـا تربّى على الكرم والجود وخدمة النّاس والسـعي في قضـاء مصالحهم، وسـار على طريـق آبائه ومشـايخه فـي الزّهـد وتهذيب النّفـس، فتلقـى أوراد الطّريقـة القادريـة، وترقـى فـي مدارجها إلـى أن تولّى مشـيخة الزّاوية، وصار يشار إليه بالبنان.

وقـد كان محـي الدّيـن رئيـس الأسـرة متزوجا بأربع نسوة وهن:

- السّـيّدة زوبيدة؛ ولـدت له ولديـن وهما: «محمّد السّعيد ومصطفى وأحمد»
- السّـيّدة الزّهرة بنت الشّـيخ بودومة شـيخ زاويـة حمـام بوحجـر بعيـن تيموشـنت، وكانـت سـيّدة مثقفـة أنجبـت لـه « الأميـر عبـد القـادر وخديجـة»

- السّيّدة فاطمة ولدت له ابناً اسمه «الحسين» وابنة اسمها «يامنة»
- السّيّدة خيرة؛ أنجبت «المرتضى «

لقد تمكّن (الشيخ محيي الدّين) من قيادة زاوية أبيه على أكمل وجه، واستطاع من خلالها أن يضطلع بأدوار علمية واجتماعية وإصلاحية تقاوم الظّلم، وتنحاز إلى الضّعفاء، وهو ما لفت إليه أنظار باي البايلك الغربي بمدينة وهران (حسن بن موسى)، بوشاية من بعض خصوم (الشيخ)، فتمّ إبعاده عن زاويته وترحيله إلى مدينة وهران ليكون تحت رقابة الباي، وقريباً من عيونه المكلفين بنقل أخباره إلى السّلطات. فرُحِّل (الشيخ محيي الدّين) رفقة ابنه (عبد القادر) عام (1236هـ/ 1821م)إلى وهران وبقيا هناك إلى غاية (1241هـ/ 1825م)، وفي هذه الظّروف الصّعبة كتب إليه تلميذه (الشيخ السّنوسي بن عبد القادر الدّحاوي الحسني الرّاشدي) يسليه بقصيدة جاء فيها :

وَلا تَرُعْكَ بِمَا فَاجَتْكَ وَهْرَانُ
عَوِّلْ عَلَى الصّبْرِ لا تَفْزَعْكَ أَشْجَانُ
بَلَى هِيَ الدّارُ أَغْيَارٌ وَأَحْزَانُ
أَمَّا هِيَ الدّارُ لَمْ تُؤْمَنْ غَوَائِلُهَا
وَلَمْ تُعَاقِدْهَا –والله– أَيْمَانُ
تُخْفِي الدّسَائِسَ لَمْ تَظْهَرْ لَهَا حِيَلٌ
إِلَّا وَمِنْ غَدْرِهَا صَدٌّ وَهِجْرَانُ
شَبَّتْ عَلَى الغَدْرِ لَمْ تَعْطِفْ عَلَى أَحَدٍ
وَلا بِأَوْسَطَ مَنْ خَانَتْهُ إِخْوَانُ
مَا أَنْتَ أَوّلَ مَنْ أَذْهَتَ وَآخِرَهُمْ
في السّجْنِ نَفْسُهُ لَمْ تَزُرْهُ خِلَّانُ
أُنْظُرْ إِلى يُوسُفَ الصّدِيْقِ كَمْ لَبِثَتْ
هَلُمَّ جَرًّا وَمَا لاقَاهُ عُثْمَانُ
وَانْظُرْ إِلى ابْنِ رَسُولِ اللهِ ثُمَّ إِلى
مُدَبِّرِ الأَمْرِ كَيْفَ شَاءَ دَيَّانُ
تِلْكَ العَوَائِدُ أَجْرَاهَا عَلَى قَدَرٍ

وبعد أن فرّج الله كربة (الشيخ محيي الدّين) برفع الرّقابة عنه شّد الرّحال سنة (1826هـ) إلى البقاع المقدّسة لأداء مناسك الحج برًّا رفقة ابنه (عبد القادر)، عبر تونس، ومنها ركبا البحر إلى مصر فالحجاز، واستغرقت رحلتهما عامين، أدّيا خلالها مناسك الحج مرّتين، وزارا معظم عواصم المشرق الإسلامي (مكة، والمدينة، وبغداد، ودمشق، والقدس، والإسكندرية والقاهرة)، وفي بغداد أخذ (الشيخ محيي الدّين) الطّريقة القادرية ولبس الخرقة مع مقدّم ضريح الشّيخ (عبد القادر الجيلاني).

وعند عودتهما زار (محيي الدّين) وولده مدينة (برقة) في ليبيا، حيث يوجد قبر (الشيخ مصطفى بن المختار) والد (الشيخ محيي الدّين) دفين (عين غزالة)، قرب مدينة درنة في إقليم برقة شرق ليبيا، ليزورا (طرابلس، وتونس، والكاف)، وكان وصولهما إلى (القيطنة) أوائل عام (1243هـ/ 1828م)، وكان في استقبالهما جمع من العلماء والأعيان.

إنّ المكانة الدّينية والاجتماعية التي كان (الشيخ محيي الدّين) يتمتّع بها، بالإضافة إلى نفوذه الكبير على القبائل، وإشرافه على (زاوية القيطنة)؛ كلّ ذلك حمّله مسؤولية كبيرة عندما فُجع الجزائريون بدخول قوات الاحتلال الفرنسي إلى بلادهم، وازدادت هذه المسؤولية ثقلاً عندما دخل الاحتلال الجهة الغربية، وسيطرت قواته على وهران يوم 04 يناير 1331م، فاستنفر (الشيخ محيي الدّين) قبائل مدينة (معسكر)، وطلبة الزّوايا القرآنية، ودعا إلى الجهاد ضدّ الاستعمار الفرنسي، وقاد بنفسه عدة معارك في نواحي وهران بجيش من المتطّوعين قوامه ما بين 500 إلى 1000 مقاتل، تزيد وتنقص بحسب الظّروف، كبّد فيها العدوّ خسائر بالغة، وأظهر فيها (ولده عبد القادر) مهارة قتالية بالغة، فطالبه الأهالي بأن يتفرّغ لقيادة المقاومة، والقيام بأعباء الأمة التي انفرط عقدها بعد هزيمة الحكومة التركية في الجزائر، لكنه اعتذر، ورشّح ابنه (عبد القادر) لقيادة المقاومة الشّعبية، فتمّت البيعة له يوم 05 رجب 1248هـ، الموافق لـ 28 نوفمبر 1832م من المشايخ والأشراف وأعيان المنطقة على إمارة الجهاد وتأسيس الدّولة بحضور والده (الشيخ محيي الدّين) الذي كان من المبايعين له على السّمع والطاعة، وأطلق على ولده لقب (ناصر الدّين عبد القادر بن محيي الدّين).

توفي (الشيخ محيي الدّين) يوم الأحد 03 ربيع الأول 1249هـ الموافق لـ 21 يوليو 1833م عن تسع وخمسين سنة، إثر مرض ألمّ به، وكان ابنه (الأمير) –يومئذ– بعيدا عنه في مهمة عسكرية باتجاه تلمسان، فتم دفنه بروضة جدّه سيدي قادة بلمختار إلى الجنوب الشّرقي من معسكر، وقد أمر ببناء ضريحه حفيده (الأمير عبد المالك بن عبد القادر بن محيي الدّين) وحفيد ابنه (الأمير خالد بن الهاشمي بن عبد القادر بن محيي الدّين)، فخلفه ابنه (محمّد السّعيد) في رئاسة الزّاوية بـ(القيطنة)، وابنه (عبد القادر) في الجهاد والمقاومة.

حبيب بوزوادة

المصادر:
- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (2/ 245).
- آغا المزاري، طلوع سعد السّعود (1/ 361).
- مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ص133.

■ مختار نويوات
(و: 1348ه - 1930م/ت: 1444ه - 2023م)

جمع العلاّمة مُختار الأحمدي نويوات العديد من الخصال التي لا تتوافر إلا للعلماء من بلاغة التواضع، والخلق الكريم، وطيب المعشر، وبرحيله فقدت العربية واحداً من أفضل عشاقها، حيث كان منهلاً ثراً للباحثين، والحقيقة أن الجامعة الجزائرية قد أُصيبت برُزء فادح بوفاته يوم:02ماي2023م؛ فقد قدم خدمات جليلة للعلم والمعرفة في الجزائر منذ سنوات الاستقلال الأولى، وبرحيله خسرت اللُّغة العربية والجامعة الجزائرية أحد فرسانها الأفذاذ، وأحد كبار العلماء الأجلاء الذين قدموا خدمات جليلة للغتنا العربية؛ فالعلاّمة نويوات يعد قامة سامقة من قامات العلم والمعرفة، وأحد كبار علماء المغرب العربي الشّوامخ الذين عشقوا اللغة العربية، وأفنوا حياتهم في خدمتهاو دراستها، وسبر أغوارها؛ لقد كان الرّاحل صاحب ثقافة موسوعية، ترك بصمات راسخة في شتى ميادين المعرفة، وخلف عدداً من الآثار العلميّة الثّمينة، وتخرج عليه خلق كثير من الطّلاب في اللُّغة العربيّة وآدابها، وقد نال عدّة شهادات تقديريّة وفخريّة، كما كرّمته هيئات علميّة وثقافيّة جملة مرّات.

ولا ريب في أن جهود العلاّمة مختار نويوات تستحق الإشادة والتنويه؛ اعترافاً بمكانته وتقديراً لخدماته الجليلة في حقول اللُّغة والأدب والثقافة الشّعبية،و اعتماداً على السّيرة الذاتية التي كتبها الشّيخ مختار نويوات بنفسه عن نفسه؛ فقد وُلد خلال عام:1930م بأولاد عديّ لقبالة في ولاية المسيلة، وعن بداياته يقول في حوار له مع مجلة: «النور»:« ولدت سنة:1930م، بدأت بحفظ القرآن الكريم وعمري 5سنوات حتى أتممته، وفي سن السّادسة بدأ والدي موسى الأحمدي نويوات يُحفظني الشّعر وفقاً لقدراتي الفكرية، وكانت لي ذاكرة قوية...دأب والدي على ذلك حتى منحني قوة حب الشّعر العربي، وصرت لا أستطيع أن أقضي يوماً دون حفظ الشّعر

ومطالعة الدّواوين، ثم توجهت لدراسة الفرنسية في برج بوعريريج، وتخرجت لأدرس الإعدادي في مدرسة قسنطينة أين حفظت المتون الأساسية من نحو والألفية والأدب والفقه والعروض والأدب الفرنسي والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والعلوم التجريبية، وبعدها انتقلت إلى معهد الدّراسات الإسلامية». وعن فترة طفولته، يقول الشّيخ مختار نويوات: «كنت أنظم الشّعر في الصّغر أنشره في جريدة البصائر، وكنت في تمرينات الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف بالمدرسة أحفظ كل أدوار غيري من التلاميذ؛ حيث أسمع القصيدة مرة واحدة فأحفظها»، وقد حصل الشّيخ مختار نويوات على شهادة الدّراسات الإسلاميّة سنة:1951م من جامعة الجزائر، وشهادة اللّيسانس في الأدب العربيّ التّبريز من باريس عام:1963م، وقد نال الباحث(مُختار نويوات) «دكتوراه الدّولة» في الآداب والعلوم الإنسانية من« جامعة السّوربون: باريس4»، سنة:1981م، بعد إنجازه رسالة عن: « السّيِّد الحِميريُّ ومصادر شعره»، ويبدو أنه قد شغف بالسَيِّد الحميري ومصادر شعره؛ نظراً للمكانة التي حظي بها في تاريخ الشّعرية العربيّة، حيث يُوصف بأنه: « شاعر مطبوع مُجيد مُكثر جداً من مخضرمي الدّولتين الأموية والعباسية، وقد كان السّيِّد الحميريو بشار بن برد أشعر المُحدثين له طراز من الشّعر قلّما يُلحق فيه، ولشعره جزالة ومتانة ورونق معنىً، وقد وقف السّيد الحميري شعره على مدح آل هاشم عامّة، ومدح عليّ وأبنائه خاصة: أخذ على نفسه أن ينظم فضائل الإمام علي شعراً، ومدح الحُسين، غير أنه هجا صحابة رسول الله وهجا عائشة زوج الرّسول، من أجل ذلك هجر النّاس شعره».ينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج:02، ص:109.

عمل الشّيخ مختار نويوات أستاذاً بالتعليم الثّانوي ما بين سنوات: (1954–1962م)، وكان مديراً لثانوية القدّيس أوغستين بعنّابة، واشتغل في الوقت نفسه مفتش آكاديميّة بعنّابة ما بين: (1962–1965م)، وكلّف بعدها بالتّفتيش العامّ البيداغوجي بوزارة التربية الوطنيّة، ما بين سنوات: (1965–1981م)، وبعدها انتقل للعمل في قسم اللُّغة العربية وآدابها بجامعة عنّابة ابتداء من سنة:1981م، عن جُهوده التربويّة، يقول: «دُرِّبت على فنّ التربية والتعليم بمعهد الدّراسات العليا ومدرسة المعلّمين ببوزرّيعة مدّة سنتين: (1949–1951م)، ومدرسته في المرحلتين الثّانويّة والجامعيّة، وباشرته مفتّشاً عامّا من سنة:1965م إلى سنة:1981م على مستوى القطر ثمّ على مستوى الشّرق، ونظّمت في تلك الفترة ما يربو على الأربعين ملتقى تربوياً».

وبالنسبة إلى مراحل التّدريس بجامعة عنّابة، يقول الشّيخ نويوات: «درّست في التدرّج العروض والنحو والصّرف، وفيما بعد التدرّج الأدب العربيّ لاسيّما الأدب الشّيعيّ ودعائمه العقديّة، والأدب الصّوفيّ وأسسه، وتحليل الخطاب على الطّرائق الحديثة بنماذج عربيّة ومعرّبة، ونظريّة الشّعر عند أرسطو والأدباء الغربيّين لاسيّما الإيطاليّين والفرنسيّين إلى القرن السّابع عشر، وأدب المسرح: نشأته ونماذج منه في المشرق العربيّ وفي الجزائر وتونس

والمغرب الأقصى، والبلاغتين العربيّة والفرنسيّة (دراسة مُقارنة)».

وسيظل العلاّمة الأستاذ الدّكتور (مختار نويوات) أحد رواد النّهضة الثّقافية بالجزائر، وأحد كبار المثقفين الموسوعيين الذين عرفتهم الجزائر بعد الاستقلال؛ فهو واحد من الذين أسهموا بأعمال جليلة في سبيل خدمة العلم والثقافة والحضارة، وتشريح الأوضاع الثّقافية والجامعية في البلاد؛ فلدى تشريحه للمشاكل الحقيقية في الجامعة الجزائرية، نجده يقول: «المشكلة الحقيقية في الجزائر هي أزمة قراءة التي ستقضي على كل آمال التقدم والازدهار ومواكبة العالم؛ بل إن أزمة المطالعة ستقضي على مستقبل الأجيال، والأستاذ هنا مظلوم ومثله الطّالب؛ فهذا هو التعليم الذي تقترحه المدرسة الجزائرية والمتوسطة والثانوية وحتى الجامعة، والتي تخلفت عن اللُّغات ومنها العربية، وتخلت على قوة المطالعة التي تفطن وأدرك الكثيرون في العالم قدرتها على التنوير والتثقيف وبناء الحضارة؛ نحن بحاجة إلى تفعيل آليات القراءة بتوفير الكتب للأفراد بداية من الطّفل، على أن تكون متوافقة مع سن الطّفولة والميول الطّبيعية لكل صغير؛ لصنع جيل صحي غير مريض، والجامعة تراكم للمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ونحن بحاجة أولاً إلى تغيير ثقافي نغرس من خلاله حب القراءة منذ الصّغر، ثانياً أن يكون تعليماً حقيقياً للغات، وثالثاً استعمال اللُّغة العربية استعمالاً صحيحاً في التدريس؛ إذ يجب أن نسعى لأن تكون عربيتنا سليمة لكي نواصل البحث على وجهه الحقيقي، ولكي نسلم من كل هبات الرّيح».

ويعترف العلاّمة (مختار نويوات) في حوار مع مجلة: «النور» بأن الجامعة قد أعاقته كثيراً عن التأليف، حيث يقول: «في الحقيقة إن الجامعة قد أعاقتني كثيراً عن التأليف، فلطالما حلمت بتكوين إطارات بشرية تحمل المشعل في البلاد بعدنا، وقدمت كل ما أملك للجامعة، لكنها وقفت بيني وبين التأليف».

ومن أهم مؤلفاته النّفيسة كتاب: «البلاغة العربيّة في ضوء البلاغات المُعاصرة-بين البلاغتين الفرنسيّة والعربيّة-»؛ الذي تطرق فيه إلى قضايا تكتسي أهمية كبيرة،و كشف النّقاب في مقدمته عن أسباب تأليفه له والغرض من النّهوض بدراسة مقارنة، حيث يقول: «للدّراسات المقارنة أهميّة كبرى في وضع الثّقافات جنباً إلى جنب وإدراكها مستنيراً بعضها ببعض وفي مجال أوسع من مجالها منفردة، ونريد أن ندرس البلاغتين العربيّة والفرنسيّة متقابلتين متكاملتين تستمدّ كلتاهما من الأخرى ما هي في أمسّ الحاجة إليه وتمدّها بخير ما فيها من مادّة ومن تصوّر ومن وسائل تخدم الفكر وتغذّي المواهب وتوسّع المدارك. ونقدّم إلى الطّالب العربيّ أيًّا كان موطنه هذه المُحاولة المتواضعة آملين أن يجد فيها ما يُوسّع أفقه وما يُعمّق معرفته لأدبه؛ فالآداب لا تُدرك في حقيقتها إلاّ إذا وُضعت في ميدان أرحب وقورنت بمثيلاتها، وقد اخترنا البلاغة الفرنسيّة لأنّها صورة من البلاغة الأوروبيّة في عمومها، ولأن اللّسان الفرنسيّ أسهل علينا من غيره، واخترنا فنّ البلاغة لأنّ الدّراسات البلاغيّة نشطت في النّصف الأخير من القرن العشرين، عُني بها عُلماء اللّسانيّات وبعثوها بروح جديدة وبتصوّرات زادت من حيويّتها وخصّوها ببحوث مستفيضة...، ونذكّر بأن دراستنا دراسة مقارنة، بكلّ ما للوصف في اللّغة الأدبيّة المعاصرة من إيجاب، وليست موازِنة بكلّ ما لهذا الوصف أيضاً من سلب».

كما حقّق وشرح وعلّق على ديوان ابن سِنان الخفاجيّ، وقد نُشر تحقيقه هذا الذي تمّ بالاشتراك مع الدّكتور نسيب نشاوي-رحمه الله-، ضمن مطبوعات مجمع اللّغة العربية بدمشق، وقد أنجز دراسة مستفيضة في مُستهله تحدث فيها عن ديوان ابن سنان والنسخ المعتمدة، وتحدث عن خصائص شعره، وحياته، وآثاره، وأسلوبه؛ حيث يقول في هذا الصّدد: «أسلوب ابن سنان قديم جديد في مضمونه وفي شكله، في مادّته وفي تنوّع أشكاله؛ وذلك ما ضمن للشعر العربيّ السّير بخطوات ثابتة لم تتنكر للقديم ولم تتجاهل محاسن الحديث». وقد ختم دراسته بالقول: «وصفوة القول إن ابن سنان شاعر مطبوع من فطاحل شعراء القرن الخامس، ظلّ مغموراً إلاّ عند مُعاصريه وذويه من الخفاجيّين، وعند المؤرخين لمدينة حلب، وقد ذكرنا عند الحديث عن آثاره بعض الأسباب التي يرجع إليها، في تقديرنا، إهمال هذا التراث الجدير بكلّ عناية في تاريخ الأدب العربيّ، ولعلّ في شرحنا وتحقيقنا له بعض الإنصاف لصاحبه».

كما صدر للشيخ(مختار نويوات) معجم ثلاثيّ اللُّغات، بعنوان: «الأساس في مصطلحات علم التشريح»، تحدث في تصديره له عن الأسباب التي دعته إلى إنجازه، حيث يقول: «بدأ اهتمامي بعلم التشريح الوصفيّ في الثّمانينيّات من القرن الماضي حين كنت أدير مكتب التعريب في كليّة الطّبّ بجامعة عنّابة، واشتدّ اهتمامي به يوم طُلب منّي أن أُشارك في تعريب المصطلحات الواردة في كتاب: (علم التشريح الطّوبوغرافي)-خمسة مجلدات- لعبد الحفيظ الحلايدي أستاذ المادّة بجامعة الرّباط، ألّفه بمساعدة ثلّة من زملائه وقرّظه عدّة من علماء أوروبا، شاء الله أن أنجز في عدّة سنوات ما كُلِّفتُ به من عمل، وتطلّب منّي ذلك اقتناء مراجع عديدة من الشّرق والغرب بلغة واحدة أو بعدّة لغات، ولما تّمت ترجمة المصطلحات بفضل جهود فرقة تنتمي إلى مختلف أقطار المشرق والمغرب طُبع الكتاب طبعة ثانية لم أطلع عليها، وبمصطلحات ثلاثيّة اللّغة؛ ذلك ما جعلني أتابع العمل في هذا المجال منذ أكثر من عشرين سنة، وبتشجيع من الأستاذ السّعيد شيبان الذي زوّدني بمرجعين لم أكن أملكهما».

وقد نشر الأستاذ مختار نويوات العديد من المقالات في مختلف المجلات الثّقافية والأكاديمية المُحكّمة في مختلف أقطار الوطن العربي، وألّف مجموعة من الكتب المفيدة ناقش فيها

قضايا متنوعة، ونذكر من بينها: «العاميّة الجزائريّة وصلتها بالفصحى»، و«تعريب مُصطلحات التشريح»، و«مصطلحات في علمي التشريح والفزيويوجيا»، كما قام بكتابة مُقدمات ثمينة لعدد من الكتب العربية المتنوعة من بينها كتب تراثية وكتب أكاديمية لباحثين جزائريين وعرب، ومن بينها مقدمته النّفيسة لكتاب: «نهج البلاغة» للإمام علي.

وقد شهد بفضل العلاّمة مختار نويوات عشرات الباحثين والعلماء في المغرب العربي والمشرق، وهناك شهادات كثيرة اطلعنا عليها لا يتسع المقام لذكرها هنا، رحم الله أستاذنا العلاّمة مختار الأحمدي نويوات؛ الذي يُمثِّل قيمة ثقافية عالية وشخصية أدبية راقية، وهو باحث موضوعي جاد، ومسؤول تربوي ملتزم، كما أنه قلب ودود، ورجل نبيل ومتواضع.

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

– حوار مع الأستاذ الدّكتور مختار نويوات، بعنوان: الرّجل الموسوعة البروفيسور الأستاذ نويوات من قسم الأدب العربي: أزمة القراءة في المجتمع الجزائري قد تقضي على مستقبل أجيال كاملة، مجلة النّور، مجلة إعلامية تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الشّهيد باجي مختار بعنابة، الجزائر، العدد:01، جانفي2011م، ص:6.

– تكريم قامة الأستاذ الدّكتور مختار نويوات عُمر من المعرفة كلمات وشهادات، كتاب جماعي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م، ص:11.

– مختار نويوات: البلاغة العربيّة في ضوء البلاغات المُعاصرة–بين البلاغتين الفرنسيّة والعربيّة–، منشورات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص:17.

– ديوان ابن سنان الخفاجي: أبو محمّد عبد الله بن سعيد بن يحيى بن الحُسين، حققه وشرحه وعلّق عليه: مختار الأحمدي نويوات، ونسيب نشاوي، منشورات مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1428هـ/ 2007م، ص:91 وما بعدها

– مختار نويوات: الأساس في مصطلحات علم التشريح: معجم عربيّ–فرنسيّ–أنكليزي، منشورات مخبر اللسانيات واللّغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2010م، ص: 1.

– مختار نويوات: عن اللسان وفي البيان: مقالات وافتتاحيات، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2012م.

■ مراد رايس
(ت: 1017ه - 1609م)

من أشهر رياس إيالة الجزائر في نهايّة القرن السّادس عشر وبداية القرن السّابع عشر، يعرف باسم مراد الأكبر تمييزا له عن الرّياس الذين اسمهم مراد، اختلف المؤرّخون في أصله فمنهم من قال إنه مسيحي أسر في حداثة عمره واقتيد إلى الجزائر حيث اعتنق الاسلام، ومنهم من قال أن مراد رايس ألباني (أرنؤوط)، ويذكر كذلك أن مراد رايس في طفولته كان من بين الذين يؤخذون في طفولتهم لتقديمهم كجزية للسّلطان، وهناك من اعتبره تركي الأصل.

يتحلّى مراد رايس بروح المبادرة مما يدفعه أحيانا إلى التّصرف كقرصان مستقل، ففي سنة 1565م أثناء حصار مالطة ترك التّشكيلة التي كان يقودها قارة علي وراح لإصطياد الغنائم في مياه إيطاليا. وحين أراد قارة علي معاقبته ترك العمل في تشكيلته وقاد سفينة هي ملك لبعض الخواص وذهب للقرصنة. وبعد أيام عاد إلى الجزائر مع ثلاثة غليوطات استولى عليها وفيها 140مسيحي.

من أشهر اعماله:

واجه مراد ريس الإسبان (بأليكنت/ Alicante) وبجزر الكناري في سنة 1586م، وأعادة الكرة نفسها سنة 1587م كما قام بمواجهة الإسبان في ميورقا وأحلافهم بمالطا سنة 1589م وفي نفس السّنة حاصر سواحل إسبانيا؛

ومن بين الفضائل التي أداها الجزائريون تحت قيادة مراد رايس لفائدة قضيّة الحلفاء الأوروبيين لابد من إدراج تدخلات مراد أثناء العشريّة الأخيرة من القرن السّادس عشر تدخلات أجراها استجابة لإشارة السّلطان وبعد التماس ملح من هنري الرّابع يهدف إلى حمايّة السّاحل الفرنسي ضد سفن طوسكانيا وقد إعترف هنري الرّابع بهذا الامتنان، ولكن هذا لم يمنعه من إبرام معاهدة مع دوق طوسكانا؛

عين مراد رايس سنة 1595م قائدا عاما للأسطول الجزائري بعد ذهاب أرنوؤط مامي إلى استنبول؛

تمثل الفترة الممتدة من 1603م إلى 1606م مرحلة مهمة في مسار مهامه إذ قام مراد ريس سنة 1603م بهدم (حصن فرنس/ Bastion de France) بالقالة جراء تصدير غير شرعي للحبوب قام به تجار مرسيليا في سنة قحط ومجاعة كما واجه تحرشات القرصنة

الإنكليزيّة والفرنسيّة. حول هذا الموضوع كتب جون وولف، أن الإنكشاريّة الجزائريّة مدعمة بسفن الرّايس مراد، ذلك الامير البحري الشّهير، هاجموا الحصن وأخلوه. ولما احتج هنري الرّابع لدى إسطنبول أجاب الجزائريون بلغة التحدي ضد شخص القنصل الفرنسي؛

قام بتخريب كامل لساحل جنوة والجزر المجاورة اين أقام مدة طويلة في حريّة بدون أن يعترضه أحد، مباغتا العديد من السّفن، وأخضع لنفوذه عددا كبيرا من المسيحيين.

كرس مراد رايس جهده في مواجهة السّياسة التّوسعيّة الإسبانيّة، وقبل 1607م انهمك في مواجهة الحصار المفروض على التجارة الخارجيّة الجزائريّة جراء استراتيجيّة العدوة الشّماليّة في منع اشتراك دول شمال أفريقيا في الحركة التجاريّة المتوسطيّة.

كانت الجزائر آنذاك تحت حكم الباشا رضوان باكرلي، وحتي 1607 كان لمراد رايس اليد العليا على السّلطة بالجزائر خاصّة على البحريّة والرّياس، فكان على اتصال مع القناصل الفرنسيين وكبار تجار لندن وحاكم مرسيليا.

عاصر مراد رايس الدّوق الأكبر فردناند دوق طوسكانا والذي يعرف باسم الشّيطان الاكبر والسّلطان العثماني أحمد الذي عين مراد كسنجق باي في سنة 1607م، ثم بقلرباي بمقاطعة (موريا) جنوب بلاد اليونان أي أنه غادر غرب البحر المتوسط إلى شرقه، واستقبله السّلطان سنة 1608م على رأس الاسطول العثماني، وألبسه قفطان الشّرف كما عاصر سيلفيو بيكلودمني أشهر المحاربين البحريين في تلك الفترة. وهنري الرّابع ملك فرنسا، والقس الأب دوبويس الذي عاب على هذا الاخير تحالفه مع العثمانيين والجزائريين.

ويعتبر كتاب الهدايا الملكيّة من أهم الكتب التي كتبت في سنوات القرن السّابع عشر وأشارت إلى مراد رايس واسطوله ومدينة بونة يقابلهم فردناند دوق طوسكانا على رأس طريقة سان إيتيان الرّهبانيّة والمعارضون الفرنسيون لسياسة التّعاون مع الجزائر وإسطانبول التي يسلكها ملكهم هنري الرّابع.

من أهم ما قيل عن مراد رايس أنه يجيد الفرنسيّة، يكلّف من قبل الحكومة العثمانيّة بالسّفر إلى الإيالات المغاربيّة لتسهيل مهمة مندوب السّلطان والسّفير الفرنسي. في رسالة ارسلها السّفير الفرنسي لبلاده مؤرّخة في 13 نوفمبر 1609م قال فيها سأصف لكم كيف جاء مراد رايس يقضي آخر أيامه، ويذكر أنه جرح في معركة بين الاسطول العثماني ومالطّا (تسمي بمعركة الجحيم الاسود) ونقل لقبرص للعلاج حيث توفي ودفن بناء على توصيه منه.

صرهودة يوسفي

المصادر:

- مؤلف مجهول، الهدايا الملكيّة، ترجمة: سعيد دحماني، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2011م؛
- *مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، دط، ج2، دار القصبة للنّشر، الجزائر، 2009م؛
- غزوة الطّوسكانيين لبونة في سبتمبر 1607م، حسب تقرير من جمهوريّة البندقيّة في الثّامن والعشرين من اكتوبر1607م، تقديم وتعليق: محمّد لخضر بوبكر، سعيد دحماني، مؤسّسة الرّجاء للنشر، قسنطينة، الجزائر، 2013م.

■ مريم بن محمّد
(و: 1343ه - 1925م)

وتدعى «ميمي» كانت مناضلة وممرضة، قبل التحاقها بالثورة عملت رفقة الطّبيب زميرلي منذ سنة 1955م، في أوّل مركز أنشأته قيادة المنطقة الرّابعة ما قبل مؤتمر الصّومام. حيث كانت موظفة في عيادة طبية فرنسية، ورغم ذلك استجابت منذ البداية إلى نداء الثّورة، ووضعت إمكانياتها تحت تصرف الثّورة.

وعن ظروف التحاقها تقول: «... في1955 طلب مني أحد زبائني إذ كان بإمكاني تقديم إسعافات لمجاهدين، فقبلت بدون تردد، وبعد أيام جاءني هذا الزبون وأخذني بسيارة إلى إحدى الدّور بصلامبي وهناك وجدت عز الدّين وحسين وهما المجاهدين الجريحين الأوائل اللذين أسعفتهما...».

كانت المجاهدة ميمي تتنقل بين البيوت لنفس الهدف، فتعرفت على العديد من المناضلين كما طلب منها أيضا إيجاد مخابئ لبعض المطلوبين، ففتحت بيتها لإيوائهم ومن بين الذين آوتهم عبد الحميد بوضياف أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشّيوعي، وانضم إلى الثّورة بالولاية الرّابعة.

كما اتصل بها كل من « حميدات» رئيس خلية جبهة التحرير الوطني بمدينة الجزائر وحسين الجزار أحد الأوائل الذين التحقوا بمنطقة باليسترو، وقد كلفت بمهمة الاتصال -بحكم طبيعة مهنتها- ببعض الأطباء لطلب تقديم المساعدة في حدود الإمكانيات المتاحة منذ ذلك التاريخ أصبحت ميمي أحد عناصر التمريض البارزين الذين قدموا خدمات جليلة في مجالهم، وبرهنوا برهانا قاطعا أن الجهاد ليس فقط حمل السّلاح ومقاتلة العدو، وإنما أيضا

هو التخفيف من عذاب المناضلين وآلامهم، فكانت تأوي الجرحى القادمين من الجبال في أماكن آمنة وتقدم لهم الإسعافات الأولية مستعينة في الحالات الصّعبة بالدكتور زميرلي، فشكلت معه فريقا طبيا لهذا الغرض.

ولما أقامت قيادة المنطقة الرّابعة مركزا صحيا ببرج الكيفان استدعيت للعمل فيه لتصبح إحدى مؤطرات هذا المركز وأصبحت تنتقل مرتين في اليوم بين الحراش وبرج الكيفان لتقديم الإسعافات. وكانت أيضا على اتصال دائم بالكموندو علي خوجة عن طريق أعوان الاتصال من بينهم أحمد الحراشي. وكانت تنقل جرحاها ذوي الحالات الخطيرة إلى مستشفيات العدو بالتواطؤ مع بعض الأطباء الفرنسيين منهم "الطبيب بيارشولي" (Pierre Chaulet) و"ستوبا" (STTOPA).

وقد تم اكتشاف المركز الصّحي ببرج الكيفان في أكتوبر 1956، إثر وقوع اشتباك بين قوات العدو وكوموندوس علي خوجة، استشهد على إثره علي خوجة مع بعض رفاقه وانتشر خبر استشهاده في الصّحف الفرنسية منها صحيفة: La dépêche quotidienne الصّادرة يوم 12 أكتوبر 1956.

وأصبحت الممرضة «ميمي» محل بحث وشكوك من طرف الشّرطة الفرنسية، ففضلت الابتعاد عن بيتها وانتقلت إلى وهران لبعض الوقت ثم عادت إلى مدينة الجزائر، لكن وجدت الخلية التي تنتمي إليها قد تم تفكيكها، فالتحقت بجبال متيجة أين استقبلها سي إسماعيل وسي محمّد وسي كمال وهو مسؤول مركز صحي متنقل بالمنطقة الثّانية. ولم تكن تقوم بإسعاف الجرحى والمرضى فقط بل أيضا كانت تقدم إسعافاتها لسكان المداشر لاسيما بعد أن أصبح جيش التحرير يمنع سكان المداشر نقل مرضاهم إلى مصحات الإدارة الفرنسية. ورغم القرار الذي اتخذه العقيد أمحمّد بوقرة في أكتوبر 1957، والقاضي إرسال المجاهدات الممرضات في الولاية الرّابعة إلى الخارج لإتمام تعليمهم وتحضيرهم لمرحلة ما بعد الاستقلال، إلا أن ميمي أصرت وأقنعت مسؤوليها بالبقاء معهم في الجبل، حتى أصبحت مسؤولة عن التمريض في المنطقة الأولى، وهناك دربت على استعمال المسدسات، إلى أن ألقي عليها القبض من طرف السّلطات الفرنسية، لولاية الرّابعة.

في نهاية 1959 في إحدى القرى ولم يكن باستطاعتها الفرار، حيث دخلت في مجموعة من النّساء القرويات لكن أحد الحركى اكتشف أمرها فتم القبض عليها، وقد نشر خبر إلقاء القبض عليها في جريدة: La dépêche quotidienne يوم 5 نوفمبر 1959 بالبنط العريض: «... Mimi chef infirmière rebelle depuis trois ans au maquis capturée dans la région de palestro ....».

نظيرة شتوان

المصادر:

– Daniéle Djamila Amrane – Minne: Des femmes dans la guerre d'Algérie Edition originale KARTHALA Alger 2004 p 43.

– و ايضا: Cdt Azzedine: Les Fellaga Edition ENAG p 142

مريم عبد العزيز
(و: 1356هـ - 1937م /ت: 1377هـ - 1957م)

ترجع ولادة مريم عبد العزيز إلى الرّابع من جويلية من عام 1937 بساحة أول ماي بالجزائر العاصمة. ونظرا للوضعية المادية السّيئة التي كانت تعيشها عائلتها آنذاك فإنها انقطعت عن الدّراسة لما بلغت مستوى الشّهادة الابتدائية، والتحقت بمدرسة (بيجي) الخاصة بتعليم الضّرب على الآلة الرّاقنة. وعندما تحصلت مريم على شهادة الآلة الرّاقنة، صارت تتنقل ما بين المؤسسات والإدارة الاستعمارية علها تجد عملا تعيل به عائلتها الفقيرة، غير أنها كانت في كل مرة تقدم طلبها للعمل إلا وتواجه بالرفض التام من قبل المستعمرين لكونها جزائرية.

وهذا ما دفع مريم عبد العزيز إلى الالتحاق بعيادة الصّليب الأحمر (كرواروج) لصاحبته الآنسة (لونك) الأوربية التي كان مقرها آنذاك بالمدنية (صلامبي سابقا) ثم حولتها الى مستشفى عيسات إيدير للأعصاب (عيادة فيردان سابقا).

وعندما أنهت فترة التربص التي دامت ستة أشهر، انتقلت الى مستشفى مصطفى باشا الجامعي كممرضة، في مستشفى القطار الذي بقيت به ثلاث سنوات.

والجدير بالذكر أن مريم قد طلبت من والدها أثناء فترة تربصها بعيادة فيردان أن يشتري لها آلة راقنة لتواصل تدريبها عليها في المنزل، وقد أصبحت تشتغل في كل أوقات فراغها في كتابة وثائق بالآلة الرّاقنة، مدعية لعائلتها أن تلك الوثائق هي للزملاء الذين يشتغلون معها في المستشفى. كما كانت تتأخر من حين لآخر عن الدّخول إلى المنزل مساءً، وتدعي لعائلتها أنها قد تخلفت في الشّغل أو قامت بزيارة إحدى صديقاتها. ومع تكرار تغيبها وبمرور الأيام، بدأ الشّك يتسرب إلى نفوس أفراد عائلتها، فهي بالإضافة الى تكرارها عملية الدّخول إلى المنزل في أوقات متأخرة، صارت تأخذ من المنزل المرة تلو المرة كمية من المواد الغذائية، وتزعم أنها ستذهب بها الى مرضى مستشفى القطار من المساكين، وكذلك شغفها باللباس العسكري، فقد كانت تنتهز فرصة عطلة شقيقها الأكبر الذي كان مجندا ضمن صفوف الطّيران الفرنسي، فترتدي ثيابه العسكرية وتبقى بعض اللحظات تلف في غرف الشّقة جيئة وذهابا وهي تتطلع على نفسها في المرآة. وذات يوم وضعت قبعة أخيها فوق رأسها وخرجت إلى الشّرفة وصادف خروج جارتهم السّيدة باردو الأوربية إلى شرفتها هي الأخرى فلفتت انتباهها، وبعد تبادلهما التحية تصنعت السّيدة باردو ابتسامة وقالت لمريم (إن اللباس العسكري يناسبك)، وقد ردت عليها مريم بسرعة بأنها ستلبسه عن قريب إن شاء الله. ومما لفت انتباه عائلة مريم الى تصرفاتها الغريبة أيضا هو أنها قامت في أواخر عام 1955 بتوزيع نسخ من صورتها على كل أفراد عائلتها، ثم جمعت ثيابها في حقيبة مدعية بأنها ستبقى مدة في المستشفى للمناوبة، لكن الذي أدهش خاصة والديها هو ابتياعها كنزة صوفية سميكة (بيلوفير) وصبغ معطفها الاحمر بلون مغاير. ولم تمض أيام قلائل من تغيبها عن المنزل حتى قدم شخص إلى عائلتها وأبلغها التحية منها وأخبرها أن مريم بخير وبذلك تأكد لعائلتها بأنها قد حققت حلمها الغالي المتمثل في الالتحاق بإخوانها المجاهدين من جهة ومشاركتها في مواجهة جنود العدو في ميدان القتال من جهة ثانية.

تقول المجاهدة زهية مبارك عن الظّروف التي تعرفت فيها بمريم قبل أن تلتحق بصفوف الثّورة وبعد التحاقها: لقد تعرفت على الأخت مريم عبد العزيز في فترة تربصي بمستشفى القطار وكانت مريم تعمل هناك ممرضة آنذاك. وفي نوفمبر من سنة 1956 التحقت بصفوف جيش التحرير الوطني بعد أن أصدرت محكمة العدو حكمها على غيابيا يتمثل في 20 سنة أعمال شاقة، وهذا بعد أن اكتشفت خلية الفدائيين التي كنت أنتمي اليها منذ جانفي 1956 والكائنة بحي بلكور. هذا وقد أرسلتني الثّورة مباشرة إلى النّاحية الأولى المنطقة الاولى من الولاية الأولى، وهناك فوجئت بوجود الأخت مريم التي سعدت أيما سعادة بلقائها، والتي علمت منها فيما بعد أنها التحقت بصفوف جيش التحرير الوطني في جانفي 1956.

يقول الأستاذ المجاهد الدّكتور عبد الرّحمان بو ضياف عن واقعة استشادها: "في مطلع فيفري 1957 كلفت قيادة ناحية المسيلة مريم عبد العزيز وفتيحة أراتنى بالقيام بمهمة فتوجهتا في الحال رفقة الشّهيدين الهاشمي والمرحوم بو اضياف الصّديق من جبل المعاضيد إلى الحضنة. وفى 26 فيفري من نفس السّنة وقع اشتباك بين مجموعة مريم عبد العزيز وقوات العدو بدوار بوحمادو، وقد دام هذا الاشتباك عدة ساعات سقط فيه عدد كبير من جنود العدو، واستشهد سي الهاشمي وفتيحة أراتني، وأصيبت مريم عبد العزيز بجروح خطيرة، وقد أسرها العدو مع سي بو اضياف الصّديق، وتم نقلها الى مستشفى سطيف وتوفيت فيه متأثرة بجراحها. وقد أخبرت كل من أم الشّهيدة وشقيقتها الكبيرة بأن مريم عبد العزيز، بالرغم من إصابتها بجروح خطيرة، وبالرغم من الضّربات الوحشية التي تلقتها على أيدى جنود العدو بأخمس البندقيات على رأسها أثناء وقوعها في الأسر كما صرحت بذلك لوالدها قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة في مستشفى سطيف حيث قالت له: إن جروحي يا أبي لم تؤثر على كثيرا ولكن الشّيء الذي آلمني وصرت أشعر من جرائه أن جسدى يتقطع إربا، هي الضّربات العنيفة التي أنزلها جنود العدو على رأسي بأخمس البندقيات".

ولكن رغم كل ذلك بقيت مريم محتفظة بهدوئها وشجاعتها في مواجهة الظّلم والطغيان، كما يتضح من الحديث القصير الذي جرى بينها وبين شقيقها الأكبر الذي كان مجندا في الجيش الفرنسي حين زارها في المستشفى حيث قالت له: إنني يا أخي أعتبر نفسي أشرف منك، فأنا جندية مقاتلة في صفوف جيش التحرير الوطني، في سبيل ديني ووطني، بينما ترتدى انت لباس العدو وتقاتل في سبيل الطّاغوت، تقاتل ابناء وطنك من أجل ملذات الحياة رغم أنك تعترف بينك وبين نفسك بأن الاستعماريين يبخلون على أمثالك بأن ينزلونهم حتى منزلة الوضعاء منهم. رحم الله الشّهيدة مريم عبد العزيز وأسكنها فسيح جناته.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- حسن بومالي، مجلة أوّل نوفمبر 1954، العدد 69، سنة 1984، ص10.

■ مسروق محمد بلحاج عيسى
(و: 1309ه - 1892م/ت: 1369ه - 1976م)

ولد العلاّمة محمّد بن الحاج عيسى مسروق بن علال بقرية تسمى الشط تبعد 7 كلم عن ورگلة وقد وجدتُ اختلافا في المصادر حول تاريخ ميلاده، فمنهم من يقول بسنة 1889م، ومنهم من قال بسنة 1887م، ومنهم ذهب للقول بميلاده سنة 1892م.

ينتمي الشّيخ إلى عائلة محافظة، عُرفت بِحُبها للعلم ومجالسة العلماء، وكان والداه حريصين على تربيته فأصبح، عالما جليلا ومفتي الصحراء حسبما وصفه الشّيخ عبد الرحمن الجيلالي رحمه الله.

زاول الشّيخ مسروق تعليمه مبكرا حيث التحق بالكتاب لتلقي تعاليم القرآن الكريم، وسنه لم يتجاوز 04 سنوات. حيث كان أبوه يقسم له أن لا يدخل المنزل إلا بعد حفظ لوحته. كما كانت أمه حريصة على إيقاظه فجرا ليلتحق بالمسجد، فَعُرِفَ منذ صغره بذكائه وسرعة حفظه. حيث تمكن من حفظ القرآن كاملا وسنه لا يتجاوز الحادية عشر، إلى جانب ألفية ابن مالك وغيرها من المتون والشروحات.

تتلمذ رحمه الله على يد اثنين من كبار العلماء؛ أولهما الشيخ السكوتي من عاصمة توات والذي نزل بالقصر العتيق بورڤلة، هذا الأخير الذي استأذنه العلاّمة محمّد بن الحاج عيسى ذات مرة بأن يأذن له لزيارة البقاع المقدسة، وقد علم شيخه أن الصّفات التي يحملها هذا الطّفل هي صفات العلماء الأتقياء، فمنعه من السفر وحثه على مواصلة تعلمه، وبعد إلحاح شديد منه أذن له بذلك.

وثانيهما الشّيخ عبد الله الشّنقيطي الموريتاني، الذي كان مقيما بورگلة مدة من الزّمن، وقد قال في العلامة محمّد بن الحاج عيسى مسروق «ما سبب مجاورتي لورگلة إلا أنت». نهل من شيوخه علوم الحديث، الفقه، النحو الوظيفي، الشّعر، البلاغة والعروض، واكتسب منهم الاعتماد على النفس، والتواضع والرفعة وحسن المعاملة، وضرورة الدفاع على مبادئه وقيمه، كما كانت له اتصالات بعديد العلماء سيما أعضاء جمعية العلماء المسلمين على غرار البشير الإبراهيمي، والعربي التبسي.

وبعد نضجه واشتداد عوده، أخذ على نفسه أمانة الإصلاح ونشر العلم في ربوع الصّحراء، حيث كان يجوب بفرسه مختلف القرى والمناطق البعيدة عن قلب المدينة، حيث قسم أيامه على جهات المنطقة، فكان يدرس بالسبت في سيدي خويلد، والأحد بالرويسات، ويوم الاثنين بعين البيضاء، والثلاثاء والأربعاء ببني ثور، ويوم الخميس بالقصر العتيق، ويوم الجمعة بمدرسته الواقعة بالشط، الأمر الذي مكّن الكثيرين من تعلم القرآن الكريم والأحاديث النبوية. ومن بين العلوم التي كان يدرسها علوم الفقه، وأصول الشّريعة، وعلوم اللغة، وعلوم القرآن، فكان يلقن متن ابن عاشر، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والخليل وأسهل المسالك، وعلم التوحيد وعلم الكلام «المنطق» وعلم الرّسم والقراءات والتجويد وكذا ملحة الإعراب والأجرمية، والألفية، وعلم المعاني والبيان، وفي الحديث خصوصا صحيح البخاري ومسلم.

اشتهر الشّيخ مسروق بشدة شغفه بالعلم، فكان لا ينام من الليل إلا ساعتين، حيث كان يشغل نفسه بالتدوين فكان يكتب كل ليلة ما لا يقل عن 300 سطر. فصدرت له فتاوى عديدة، إذ كان يفتي بالمذهب المالكي والقول المشهور والصحيح عند جمهور العلماء. وله في النظم 300 بيت جُمعت في ديوان.

كما كان له في فترة حياته، لقاءات ومراسلات عديدة مع علماء وشيوخ عصره، من قائمة الشّيخ الطّاهر بلعبيدي، والشيخ الهاشمي بن سيدي إبراهيم بن أحمد الشّريف شيخ الطّريقة القادرية، والشيخ محمد الحبيب شيخ الطّريقة الشاذلية من مكناس من المغرب والذي قدم لزيارة العلامة مسروق سنة 1973م، والشيخ محمد بلكبير من أدرار الذي التقاه بالبقاع المقدسة عام 1974م

بعد مسيرة علمية حافلة بالعطاء والنور انتقلت روح العلامة إلى بارئها ليلة الجمعة 29 جويلية 1976م.. رحمه الله وتولاه بعفوه وإحسانه وجعله من المقبولين.

العيد بوده

■ مسعود بن محمد الصّالح بن عثمان الغاتي (ت: 1160ه - 1747م)

هو مسعود بن محمد الصّالح بن عثمان الغاتي (نسبة إلى غات بليبيا)، الشّهير بالطالب مسعود. ولد بزاوية بلال قرب زاوية كنتة. يعتبر الطّالب مسعود ابنا لمحمد الصّالح الذي كان يقيم في زاوية بلال ودفين تيطاوين (بولاية أدرار حاليا). ولقد كان محمد الصّالح هذا أحد الأئمة الكبار بمنطقة توات الذين كانوا مقصدا من كل الجهات بغية تزويدها بأبنائه وطلبته لتعليمهم أمور دينهم.

توزع ابناؤه على الكثير من المدن والقرى بتوات وتيدكلت وقورارة مثل بوعلي، تيطاف، أولاد راشد. وكان ابنه مسعود من نصيب قصر حينون الذي كانت تسكنه قبيلة أولاد أحمد بأولف، فكان إمامه ومدرسه.

ومحمد الصّالح هو ابن عثمان القادم إلى منطقة توات من بلاد غات بليبيا حاليا؛ ولهذا يسمونه بعثمان الغاتي. ويذكر شيوخ زاوية بلال أن محمد الصّالح تربى بقصرهم وحفظ به القرآن، ثم انتقل بعد ذلك إلى قصر تيطاوين ليدرس به إلى أن وافته المنية به، فدفن هناك. وذات ليلة مر الولي الصّالح مولاي حمادي بن الشّريف من قصر تيدمايين على قبر محمد الصّالح، فظهر له نور ساطع من ذلك القبر، فوضع علامة عليه ليعرفه وسأل عنه في اليوم الموالي، فقيل له بأن صاحبه محمد الصّالح، فتكفل طيلة حياته بقراءة القرآن عليه وإقامة السلكة والزيارة، وبعد وفاته تكفل بها أهل زاوية بلال لتستقر بتيطاوين.

يعتبر الطّالب مسعود الجد الأكبر لعائلات قدي، أبليلة، محجوب، فودو ومسعودي بأولف.

يجهل تاريخ قدوم الطّالب مسعود إلى قصر حينون، وتاريخ تأسيس هذا القصر؛ إلا أن VOINOT في كتابه حول تيدكلت يشير إلى وجود هذا القصر في القرن السابع عشر ميلادي - الحادي عشر هجري-؛ إذ استنجدت قبيلة مولاي هيبة في سنة 1640م (=1050ه) بسكان قصر حينون للانتقام من قبيلة أولاد أحمد خالات بعد قتلهم لأحد أفراد عائلتها. ونتيجة هذا الاستنجاد تم نفي أولاد أحمد خالات إلى مدينة بوفادي بنواحي أدرار.

يعتقد سكان منطقة أولف وما جاورها أن الطّالب مسعود هو أحد الأولياء الصّالحين، فيحيون ذكراه يوم السابع من ميلاد الرّسول صلى الله عليه وسلم، حيث ينتقل الناس إلى جوار مدفنه يحملون معهم الطّعام عشية ذلك اليوم، ويقرأون القرآن الكريم ويختمونه على روحه. وإلى هذا المعنى يشير الشّاعر عبد الله بن البركة بليلة في قصيدته «يالزاير في مكة»، حيث يقول:

دار الطّالب مسعود ناس حينون اللي
زرتوني
كان ابخلتوا هاد العبيد راه عنكم براح

وهي قصيدة طويلة سارت بها الرّكبان، خلد فيها صاحبها علماء المنطقة وأولياءها عالما عالما وشيخا شيخا مثل الرّقاني، سيد المخفي، مولاي عمر البريشي، الطّالب مسعود، محمد بن عبد الكريم المغيلي، سليمان بن علي، الطّالب علي بختي، السيد أبي الأنوار... وهي من أكثر القصائد الشّعبية انتشارا وتداولا بالمنطقة.

يذكر VOINOT أن أصول قبيلة أولاد أحمد تعود إلى ورقلة، وهي قبيلة تفرغ رجالها للتجارة والغزو، بحيث أصبحوا بفعل ذلك أثرياء وأقوياء إلى درجة أنهم يتهجون بغزو جيرانهم. وبلغت بهم الغطرسة إلى إجبار المارين بديارهم على نزع نعالهم.

ويذكر ضيف الله بن محمد بن أبَ في رحلته لزيارة قبر والده، الذي توفي في 10 جمادى الثّانية سنة 1160 ه الموافق ل 19 يونيو 1747م، أنه مر ضحى بالقصر لزيارة أخواله من أولاد أحمد هناك؛ فإذا بهم مقنعون بالسلاح قبالة أولاد زنان، وإذا بأولاد زنان كذلك. فأراد أن يمسي بينهم ليصل رحمهم ويزور والدته في مقبرتهم؛ إلا أنه خاف أن يقع قتال فتصيبه من ذلك مصيبة، فسار على حاله متوجها إلى تقرافت.

ويشير VOINOT من جهة أخرى إلى أن هذا القصر تم إخلاؤه من أولاد أحمد على يد قبيلة أولاد زنان في حدود 1810م، حيث قتل منهم الكثير وتفرق الباقي في بقاع الأرض، ولم يبق من القصر إلا أطلاله. ولازال بالقصر مقبرتان باقيتان إلى اليوم، وتدلان من حيث حجمهما على أهمية عدد القاطنين بالقصر آنذاك. كما أن عدد الفقاقير للجهة الجنوبية للقصر توحي بالعدد الكبير للبساتين التابعة للقصر. وهذا مؤشر على أهمية هذا القصر.

قدي عبد المجيد

المصادر:

- بن أبا، الرّحلة في زيارة قبر الوالد، تحقيق جعفري أحمد أبا الصّافي، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2015
- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ منطقة أولف، الجزائر: دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، 2007
- Voinot Louis le Tidikelt: étude sur la géographie l'histoire les mœurs du pays Calvisson: éditions Jacques Gandini 1995.

■ مسعودة موساوي
(و: 1338ه - 1920م/ت: 1376ه - 1957م)

تشبعت الشّهيدة مسعودة وأختها ليلى والأسرة بالأفكار السّياسية والثورية التي كان يتنفسها «الحاج» والد البطلتين، العضو النّشيط في حزب «البيان» الذي كان يتزعمه عباس فرحات بجيجل.

استوطنت الأسرة تونس العاصمة، ومنها إلى عروس السّاحل – رادس المدينة الأثرية السّاحرة، كان اسمها -ماكسولا رادس نسبة إلى الإمبراطور الرّوماني وفي عهد الاستدمار الفرنسي أضحت المدينة تعج بالمعمرين الغاصبين العنصريين، ما عدا بعض الأسر المتجذرة المعروفة مثل أسرة الهاشمي باي، والمذيع البارز عبد العزيز العروي، والزعيم النّقابي الشّهيد فرحات حشاد، وأسرة موساوي الجيجلية الأصل التونسية النّشأة التي منها بطلة الثورتين الشّهيدة موساوي مسعودة. كانت المناوشات الحادة لا تنقطع بين المواطنين والمعمرين الحاقدين الشّيء الذي دفع موساوي مسعودة وأختها ليلى للتحريض على تصدي وتحدي ومواجهة أولئك الغزاة لأنهما كانتا منخرطتين ناشطتين في حركات النّضال التونسية بعد اندلاع المقاومة التونسية بقيادة البطل لزهر شرايطي بالجنوب انظمت مسعودة إليها دون علم أهلها.

وبعد بحث مرير عن مصيرها بلا جدوى، ورد كتاب لأسرتها تخبرهم فيه أنها انظمت إلى صفوف المقاومة التونسية المسلحة وأنها رفقة مفجرها شرايطي لزهر.

كانت البطلة محجوبة همزة وصل بين قائد المقاومة لزهر شرايطي التونسي وبين لزهر شريط الجزائري بالولاية الأولى بالأوراس وبعد كفاح مرير أخضعت المقاومة التونسية العدو إلى التفاوض حول الاستقلال

الداخلي مع قادة الثورة بقيادة بورقيبة، وكان ضمن الشّروط تسليم سلاح المقاومين. رفض شرايطي لزهر في أول الأمر تسليم السّلاح وتراجع خدمة للمصلحة العليا للوطن. تدخلت محجوبة التي كانت همزة وصل بين القائدين الأزهرين، أزهر تونس، وأزهر الجزائري وطلبت من شرايطي تسليم الأسلحة التقليدية وتهريب الأسلحة الحديثة للثورة الجزائرية التي كانت في أمس الحاجة إليها، كما تدخلت سابقا للإطلاق سراح أسيرة فرنسية لم يتردد شرايطي في تلبية طلبها لما للثورة الجزائرية من مكانة عنده وما للبطلة محجوبة من فضل على المقاومة التونسية وما قدمته من تضحيات واستبسالات في المعارك الطّاحنة.

هذا ما ورد على لسان ابنة قائد المقاومة التونسية السّيدة ربح شرايطي بجريدة «الأنوار التونسية الصّادرة في ماي 2006 بعنوان «بورقيبة أعدم والدي وبن علي أكرمه»، حيث قالت:

سلم والدي السّلاح للسلطة الاستعمارية ففوجئت بأن السّلاح قديم وتقليدي، واستغربت كيف تمكن المجاهدون بالقيام بعمليات كبرى بهاته الأسلحة وهكذا هرب والدي السّلاح المتطور والقنابل إلى الجزائريين وسلمها للثوار بواسطة المناضلة الجزائرية محجوبة موساوي التي كانت همزة وصل بين أبي بوصفه من قادة المقاومة التونسية وبين الثوار الجزائريين».

بعد توقيف القتال قدم لزهر شرايطي البطلة محجوبة إلى بورقيبة الذي طلب لقاءها فأكرمها وبجلها واستضافها مدة بين أهله، واقترح عليها أن تطلب ما تريد. فطلبت الحصول على مقر لائق ليكون مركز لتكوين الممرضين والمسعفين الجزائريين فلبي طلبها بسرور. وهكذا أضحت الزاوية البكريه بالحلفاوين بالعاصمة التونسية مركزا لتكوين الممرضين تحت إشراف الدّكتور محمد الصّغير النّقاش، فتهافت الطّلبة الجزائريون المتطوعون على المركز وكنت أنا بين الرّعيل الأول من المتربصين بعد التخلي عن مقاعد الدّراسة، وبعد أن كنت أجوب شوارع تونس لبيع جريدة المقاومة الجزائرية باللغتين والدعاية للثورة بين صفوف الطّلبة للإلتحاق بالثورة.

كانت محجوبة في اتصال دائم مع لزهر شريط فالتحقت بالكفاح المسلح بالأوراس دون علم أهلها، فأصبح اسمها منصورة بعد محجوبة.

وبعد مدة بعثت برسالة لأهلها بتاريخ 57/ 05/ 20 هذا فحواها: سعيدة بالكتابة إليكم إنني بخير مع إخواني المجاهدين وأتمنى أن تجدكم رسالتي كذلك.

لا تراعوا إن الله معنا سلامي إلى كل العائلة وإلى أمي وأبي.

كان عنبر -إكس-بمستشفى الحبيب ثامر مخصصا كذلك لاستقبال الجرحى سمي لأن أغلبهم كان بجباههم وشم على شكل علامة (x).

كان المشرف على العلاج والتكوين الأستاذ المجاهد محمد التومي المتخصص في أمراض القلب الذي ضحى

بمستقبله كسائر المخلصين واستجاب لنداء جبهة التحرير من فرنسا هو وثلة من الأساتذة الأستاذ بن عصمان منهم والأستاذ المتخصص في أمراض العيون رشيد معيزة.

التحق الأستاذ التومي بالكفاح المقدس، وأشرف على تكوين وتنظيم وتطوير السّلك الطّبي بالولاية، فكان له الفضل في كسب الرّهان ورفع التحدي واستجاب لمرحلته الزمنية فرحنا نقوم بأدق العمليات بأبسط الإمكانيات.

ذكرت لي أختها ليلى رفيقتي في الكفاح التي كانت ممرضة بعنبر (x) أن محجوبة كانت تتردد متنكرة من حين الآخر بحجاب السّفساري التونسي، متنقلة بين الجبل والمشفى للإتصال ببعض الجرحى المعنيين للقيام بمهمات ثم تعود.

عرضت إدارة مشفى الحبيب ثامر على ليلى باقتراح الجراح عز الدّين حجري البقاء بالمشفى فلما استشارت أختها محجوبة قالت لها – إن قبلت فأنت رخيسة.

وهكذا التحقت ليلى بالمنطقة الأولى الولاية الثانية ناحية جيجل، حيث كنت متوجدا بناحية جبال قروش وبوحنش وبني عاقر مشرفا على العلاج والتكوين هناك.

علمت ليلى بواسطة البريد نبأ استشهاد أختها بطلة الثورتين بميدان الشّرف ناحية الأوراس الأشم، وبعد التحرير زارت ليلى قبر أختها رفقة الدّكتور عثامنه محمود الذي ألقى محاضرة بالمناسبة عدد فيها مآثر وشجاعة ومواقف البطلة، وذكر أنه اقترح عليها العودة معا إلى تونس قال: عدت أنا وأصرت البطلة متصورة على البقاء والاستشهاد على أرض الجزائر، رغم أنها عاشت هناك –فكان لها ما أرادت –رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه وكافة الشّهداء الأبرار.

ولا يسعني إلا أن أقول: كم دماء قد جرت عابقات بالثرى خضبت جذب الرّبا بعدما ساد الظما رصعت صدر الوطن شامخات بالذرا إلى كل. رحمة ربي أعطى الدّما من زارت ليلى قبر أختها رفقة الدّكتور عثامنه محمود الذي ألقى محاضرة بالمناسبة عدد فيها مآثر وشجاعة ومواقف البطلة، وذكر أنه اقترح عليها

العودة معا إلى تونس قال: عدت أنا وأصرت البطلة متصورة على البقاء والاستشهاد على أرض الجزائر، رغم أنها عاشت هناك –فكان لها ما أرادت –رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه وكافة الشّهداء الأبرار.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

■ مصطفى بن إبراهيم
(و: 1214ه - 1800م /ت: 1283ه - 1867م)

هو شاعر الأغنية البدوية الجزائرية مصطفى بن إبراهيم، من مواليد 1800م/ 1214ه بوجبهة – سفيزف ولاية سيدي بلعباس، الجزائر، عاش فارسا مغوارا وشاعرا فذا جمع شعره عبد القادر بن عزة في ديوان سماه باسمه، حتى وافته المنية سنة 1867م/ 1283ه، وقد سميت إحدى بلديات الولاية باسمه.

وُلد ونشأ الشّاعر مصطفى بن إبراهيم في أسرة متديّنة، لأبٍ معلّم كتّاب أو كم كان يسمى في المنطقة الدّرار، يلقن الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن، حيث حفظ شاعرنا القرآن الكريم في صغره، واشتغل بالتعليم بعد ذلك، ليمارس القضاء في كهولته، وكان ذلك في فترة ثورة الأمير عبد القادر، كما ذكر هو ذلك في حكم قضائي أصدره سنة 1846م-1262ه.

اتصف مصطفى بن إبراهيم بعزة نفس وعلو همّة وانضباط في العمل، ما جعله مميزا في قريته، محبوباً ومحترماً، أضف إلى ذلك قرضه للشعر الشّعبي والفروسية.

إن المكانة التي احتلها الشّاعر في منطقته جعلت فرنسا تختاره ليكون خليفة (نائب القائد) على أولاد سليمان من بني عامر في بوجبهة، وهي رتبة كانت تعطيها لمقربيها سرعان ما تحولت إلى قائد، لتصير سيرته أشهر بعد ذلك وأرقى بين قومه بني عامر.

غير أن ولاءه لمنصبه (القائد)جعله ينحاز إلى العمل مع فرنسا مخالفا بذلك قومه بنو عامر الذين بايعوا الأمير وحاربوا إلى جانبه، حيث ألقى القبض على مجاهدين من جيش الأمير وسلّمهم إلى فرنسا، منهم بوسيف محمد بن عبو سنة 1848م، كذلك إفشاله ثورة أولاد سيدي الشّيخ 1864م.

كان مصطفى بن إبراهيم شاعرا فذا في الملحون، تغنى بالوطن والقبيلة، وأرّخ للعديد من الأحداث التي عايشها، كان فصيح اللسان والقول، جوادا معتزا بقبيلته، كما ذكر أبو القاسم سعد الله، وقد بقي شعره منقولا شفويا، انتشر وذاع في كل الغرب الجزائري، تغنى به أهل الحواضر وسكان البوادي في حفلاتهم وجلسات سمرهم، لذلك سهُل جمعه فيما بعد على يد عبد القادر عزة.

رحل مصطفى بن إبراهيم إلى فاس، ومكث فيها خمس سنوات، عاد بعدها إلى مسقط رأسه، غير أنه لم يكن عزيز أهله هذه المرة، حيث عاش ما بقي له من أيام في سكون وهدوء إلى أن توفي سنة 1867م، ويكون بهذا قد عاصر فترتين هامتين في تاريخ الجزائر، الأولى التواجد العثماني في الجزائر، والثاني التواجد الفرنسي وثورة الأمير عبد القادر.

انقسم الباحثون حول مصطفى بن إبراهيم بين متهم له بالخيانة، ومدافع عن حمية الشّاعر القبلية، كونه تغنى كثيرا بالوطن والمدينة والقبيلة، حتى مع تواجده في قبلة المسلمين آنذاك فاس، غير أنه كان يشعر بالعزلة والحنين إلى الوطن، وكل هذا موجود في شعره.

نماذج من شعره:

قلبي تفكر لَوطان والهالة
راني مْهَوَّل مانيش في حالي
قلبي تخبّل بالوَحش تخبالة
وعلاه يا مرو غريب تلغى لي
نوبة نجالس شي ناس عقالة
ونقول ذا لّول خير من التّالي
نوبة نتفكّر يا لمثالة
ويثور جرح المحنة ويربى لي
و من بعد ما كنت عزيز في حالة
ماني شي باخس بسومتي غالي
شاني مع الطّلبة شعت بمسالة
ونآمر الجن وعلاش يهوى لي
ولّيت قاضي عندي العدالة
ونفكّ بين الشّرّاع بفصالي
اعييت قايد بطبول زعالة
والحكم يظلم ما درت بفعالي
اهلي وناسي في الشّوم رجّآلة
اشحال من فجّ هداوه خالي

أمينة طيبي

المصادر:

- DJeghloul Abdel kader، Eléments d'histoire culturelle Algerienne، Enal، Alger ;1984.
- Abdelkader Azza، MESTEFA BEN BRAHIM de l'oranais et chantre des beni ameur، Alger، S.N.E.D 1997.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دا الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
- مقال بعنوان:»العرش والقبيلة في منظومة الشّعر الملحون لمصطفى بن إبراهيم» أ/ د هلايلي حنيفي.

■ مصطفى بن عودة
(و:1343ه - 1925م/ت: 1439ه - 2018م)

مصطفى بن عودة المدعو عمار بن عودة (ولد سنة 1925)، عضو لجنة «22» (1954) وعضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية (1957)، وعضو لجنة القيادة العسكرية للمنطقة الشّرقية (1958). ولد بعنابة انخرط في حزب الشّعب الجزائري في نهاية الحرب العالمية الثّانية. عضو المنظمة الخاصة في 1948، اعتقل في مارس 1950، عند اكتشاف الشّرطة لهذه المنظمة شبه العسكرية فرّ في 1952 من سجن عنابة برفقة زيغود يوسف، قائد الولاية الثّانية لاحقا. اختبأ في سكيكدة، ثم في الأوراس وأخيرا في القبائل الكبرى عند مقاومي كريم وأو عمران. عضو مجموعة «22» ثم مسؤول، عند اندلاع ثورة نوفمبر 1954، عن ناحية قالمة – عنابة. وفي 1956 حضر مؤتمر الصّومام لكنه لم يدخل عضوا في المجلس الوطني للثورة لجزائر المنبثق عن المؤتمر. وعند نهاية المؤتمر أرسل إلى تونس مع إبراهيم مزهودي، بغرض فرض سلطة لجنة التنسيق والتنفيذ على الفصائل والمجموعات التي عم فيها عدم الانضباط والفوضى. ثم عوض في هذه المهمة بعد ذلك بمدة قصيرة بالعقيد أو عمران الذي كلف بالخصوص بفرض الانضباط على المنسقين، ومعظمهم كانوا يتعرضون على أهلية مؤتمر

الصّومام وفي الدّورة الثّانية للمجلس الوطني للثورة الجزائرية (القاهرة في 20-28 أوت 1957)، أصبح عضوا في هذه الهيئة حيث انتقل عدد أعضائها من 34 إلى 54 عضوا 1958 أصبح عضوا في لجنة التنظيم العسكري للمنطقة الشّرقية، أي القيادة العامة للقوات المتمركزة في شرق البلاد، تحت قيادة العقيد سعيد محمّدي. وبعد تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة في سبتمبر 1958، عين في وزارة التسليح والتموين. وشارك في المرحلة النّهائية من المفاوضات مع فرنسا (إيفيان 2) وعند الاستقلال عين ملحقا عسكريا بالقاهرة ثم بباريس ثم بتونس قبل أن يعين سفيرا بليبيا في 1979. ثم ترأس هيئة وسام الاستحقاق التابعة لرئاسة الجمهورية منذ إنشائها من قبل الرّئيس الشّاذلي بن جديد.

توفي في صبيحة يوم 5 فبراير 2018 بعد معاناته من المرض عن عمر ناهز 93 سنة، حيث أصابته تعقيدات طبية أين تقرر نقله إلى بروكسل في بلجيكا لكي يتلقى العلاج، وتنقل معه الابن الأكبر ياسين وابنته فاطمة الزهراء، ولما تركه ابنه ليرتاح من التعب؛ ليغوص في نوم عميق إلى غاية انتقال روحه إلى الرّفيق الأعلى.

وكتب رئيس الجمهورية في برقية تعزية بعث بها إلى كافة أفراد أسرته قائلا: "رزئت الجزائر اليوم في واحد من أبنائها الذين عاهدوا الله والشعب على أن يضحوا بأرواحهم لنصرة الحق وتحرير الأمة، فتوافدوا إلى ساحات الوغى ينشدون النّصر أوالشهادة غير عابئين بجحافل العدو ولا بوسائله الفتاكة التي عاث بها في الأرض فسادا وقتلا وتدميرا".

وفي 07 فبراير 2018 وصل جثمانه إلى مطار الجزائر الدّولي هواري بومدين بعد الظهر حيث أُقيمت تأبينة بحضور عدد من كبار المسؤولين وتم نقله إلى مقر مجلس الشّعب لتقام التعزية على روحه تم نقله إلى مسقط رأسه عنابة ليدفن في 08 فبراير 2018 في مقبرة عنابة قرب قبر والده كما أوصى بذلك.

نظيرة شتوان

المصادر:
- Achour cheurfi; dictionnaire.

■ مصطفى بومزراق
(و:1182ه - 1769م)

هو الباي مصطفى بو مزراق آخر بايات بايلك التيطري (المقاطعة الإدارية الثّالثة في التنظيم الإداري العثماني المدية والجنوب)، ولد عام 1769 في مدينة « مينيمن" بإزمير التركية، ابتدأت علاقته بالجزائر عندما استدعاه الدّاي حسين باشا ليعينه على رأس بايلك التيطري إثر الثّورة التي قام بها الكراغلة والعرب نتيجة

إرهاقهم بالضرائب في عهد الباي السّابق إبراهيم القرتلي.

لا يعرف الكثير عن حياته التي سبقت اضطلاعه بمسؤولية الباي، ومن القليل الذي يُعرف نشأته في إزمير في تركيا ولربما أخذه بأسباب العلم وممارسته من شؤون الإدارة ما يؤهله للاضطلاع بمسؤولية هامة كمسؤولية حكم إقليم يعدل ثلث الجزائر.

استهل الباي نشاطه فور تكليفه بالمسؤولية عام 1819 بإصلاح مخلفات الثّورة الشّعبية من حرائق طالت قسما كبيرا من المدينة حتى وصلت إلى المسجد المالكي، وأثرت على المباني والممتلكات، فرمم المباني التركية القديمة ورمم المسجد المالكي وبنى المدارس القرآنية وجعل الضّرائب رمزية، وأصلح أمور السّوق، واستغل أراضي البايللك في صالح الشّعب، وفرض النّظام بالحزم والسياسة فاستقرت له الأوضاع واستمر في وظيفته بايا على التيطري إلى. غداة الحملة الفرنسية على الجزائر دعا الدّاي حسين بايات قسنطينةو وهران والتيطري وعموم الشّعب للمشاركة في صد الهجوم الفرنسي، فاستجاب الباي مصطفى بومزراق واتجه إلى الجزائر على رأس قوة من جيش البايلك، وشارك ببسالة في معركة سطاوالي، ولكن تلك البسالة لم تكن لتنفع في جيش جزائري قليل التنظيم والتحضير، لم يكن في مستوى الحملة الفرنسية لا عددا ولا عدة ولا تكتيكا، نظرا لضعف الآغا إبراهيم قائد الجيش الجزائري وانعدام كفاءته وتجربته، وضربه نصائح أصحاب الخبرة كالحاج أحمد باي قسنطينة عرض الحائط، ثم في الأخير فراره من أرض المعركة، وترك مهمته كقائد للجيش والمعركة لا تزال قائمة، مما دعا الدّاي إلى تكليف الباي بومزراق بقيادة الجيش ولكن الوقت فات على التدارك ولم تكن كفاءة وخبرة وشجاعة الباي لتمنع تقدم الفرنسيين، فوقعت الهزيمة وانسحب كل باي بمن نجا من رجاله إلى مقر إدارته لتنظيم المقاومة، وكذلك فعل مصطفى بومزراق الذي وجد بعض التمرد في إقليمه، فأعاد تنظيم صفوفه وسيطر على الوضع، وعين خزناجيا وآغا وسك العملة ونادى باسمه باشا على الجزائر بعد توقيع الدّاي حسين معاهدة الاستسلام، وطلب من صهره الباي الحاج أحمد باي قسنطينة إمداده بالمقاتلين والمال والذخيرة الحربية لمواصلة الجهاد المقدس، فلم يستجب له هذا الأخير، فأرسل إليه رسالة أخرى مع قفطان ومرسوم تثبيته بايا، فقام الحاج أحمد باي بقطع رأس أحد رسوله، وعند ذلك أعلن الباي بومزراق عدم شرعية الحاج أحمد، وعيّن مكانه باي قسنطينة السّابق إبراهيم باي، وعين فرحات بن السّعيد شيخا للعرب على الإقليم الصّحراوي، وقام الباي المعين وشيخ العرب بحصار قسنطينة، ولكن الباي الحاج أحمد استمال بدهائه بعض شيوخ وزعماء القبائل من الجبهة المضادة وهكذا شتت شملهم وأفشل مشروع عزله.

وفي هذه الأثناء عرض الجنرال كلوزيل قائد القوات الفرنسية على الباي بومزراق تثبيته بايا على التيطري تحت السّلطة الفرنسية فرفض ورفع لواء المقاومة، وبدأ في دعم المقاومة التي انطلقت بمجرد محاولة الفرنسيين التوغل في الجزائر بعد احتلال العاصمة، وعند محاولة الجيش الفرنسي التوغل في المدية بقيادة دامريمون أحبط الباي بومزراق محاولتهم، فوجّه الفرنسيون حملة أخرى أضخم في نوفمبر 1830 قادها السّفاح كلوزيل، فلما اجتاز «موزاية» التقى بجيش بومزراق البالغ 4000 مقاتل والذي ليس لديه سوى مدفعين، وكانت الدّائرة على بومزراق، فانسحب من المعركة بعد الهزيمة، ودخل كلوزيل المدية وعيّن بايا جديدا تابعا لفرنسا هو مصطفى بن الحاج عمر، ووجد الباي بومزراق نفسه معزولاو وحيدا مطاردا من الفرنسيين ومن خصومه أنصار الحاج أحمد باي، فاستسلم لكلوزيل في نوفمبر 1830 مع أسرته، فاعتقله وتم نقله إلى فرنسا، ثم سُمِح له بعد ذلك بالانتقال إلى إزمير، وقيل بأنه مات في الإسكندرية.

توفيق جعمات

المصادر:

- تاريخ المدن الثّلاث الجزائر والمدية وملیانة، عبد الرّحمن الجيلالي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007.
- المرآة، حمدان بن عثمان خوجة، تح: محمّد العربي الزّبيري، طبع ENAG-رغاية، 2006.

■ مصطفى سريدي
(و: 1359ه - 1941م/ت: 1442ه - 2021م)

ولد في الأول من شهر أفريل سنة 1941 م ب بني عدي (بلدية هواري بومدين حاليا)، تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرأن الكريم وعمره خمس (5) سنوات في السادسة من عمره دخل المدرسة الرّسمية لتعلم اللغة الفرنسية Alam pire، عند بلوغه سن الرّابعة عشر (14) طرد من المدرسة الرّسمية ووجه الى مركز التكوين المهني لتعلم حرفة التجارة الخشبية لمدة سنتين.

وبقيت الأمور تجري على النسق الكوني الذي أراده الله لها، إلى أن تحولت أسرة سريدي إلى مدينة گالمة وبها تم تسجيل الحاج مصطفى سريدي بمدرسة ألمبير إكمالية محمد عبده حاليا، أين تعلم مبادئ اللغة الفرنسية وفي وقت فراغه كان يتلقى قواعد اللغة العربية وطريقة التعبير

والإنشاء. ولم ينس المرحوم التطرق إلى لحظة التحاقه بمؤسسة التكوين المهني، حيث أخذ فيها مبادئ النجارة لمدة عامين لكن دون جدوى، ثم تقدم إلى مسابقة أجريت بقسنطينة للدخول بما كان يسمى بالمدارس الحكومية، ويوجد في الجزائر كلها ثلاث مدارس من هذا النوع، في كل من قسنطينة والجزائر وتلمسان.

التحق بجامعة الجزائر وواصل دراسته الى أن تخرج منها بدبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وأدابها، إختار مهنة التعليم في مدرسة الذكور بالرويبة سنة 1960م وفي ثانوية گالمة سنة 1963م.

أحيل على التقاعد سنة 1994 برتبة مفتش للتربية والتكوين.

مصطفى سريدي معلم شهد له الكثير بأنه متميز في عطائه وخدمته للساحة الثّقافية، فقدته مدينة قالمة والجزائر كلها بعد مرض مفاجئ ولّد حزنا لكل من عرفوه، وهو أبرز الوجوه التي تركت بصمتها على المشهد الثّقافي والأدبي على المستوى المحلي، شغل منصب رئيس المجلس الولائي بقالمة من عام 1974 الى 1979.

كان عضواً بجمعية التاريخ والمعالم الأثرية، ساهم في عديد الندوات والمؤتمرات وأغلبها كانت مداخلات، كذلك نشط في المساجد وقدم دروسا دينية في الوعظ والإرشاد في رمضان.

عرف عن الشّيخ إنه أستاذ مزدوج اللغة، عاشق المتنبي، متمسك باللباس التقليدي لمنطقته الذي كان يميزه في كل الملتقيات ويحب البروز به؛ رجل عصري متمسك بتقاليد أجداده، فالحداثة لم تنسه تقاليده.

كان يتمتع بصحة جيدة يتابع نظاما غذائيا ممتازا، ومنذ شهر لاحظنا أن صحته بدأت تتلاشى بسبب مرض، إلى أن وافته المنية عن عمر 81 سنة بمستشفى ابن سينا بعنابة».

توفي الرّجل يوم 02 ماي 2021.

نعيمة سعدية

■ مصطفى عاشوري
(و: 1346ه - 1927م/ت: 1381ه - 1961م)

شهيد الوطن مصطفى عاشوري المعروف خلال الثورة التحريرية باسم مصطفى لحليب من مواليد 1928 بقرية بادس من أبوين كريمين هما الطّاهر وفاطمة. نشأ وتربى وسط أسرة معروفة بتمسكها الشّديد بتقاليدها العربية الاسلامية، وترعرع في بيئة ريفية بقرية بادس الهادئة المتواجدة على ضفاف نهر وادي العرب جنوب شرق جبال الأوراس. وما بين مدينتي زريبة الوادي غربا ومدينة خنقة سيدي ناجي شرقا هذا ونظرا للوضع الاجتماعي الذي كانت عليه أسرته فلم يمكنه ذلك من الالتحاق بمقاعد الدّراسة مثل بقية أقرانه، لكنه رغم ذلك فقد أنتسب وهو لم يتخط بعد العقد الأول من عمره إلى كتاب القرية لحفظ صور من كتاب الله العزيز الحكيم. بعد أن بلغ العقد الثاني من عمره ورغبة منه في اكتساب المعارف والتزود من مناهل العلم، أن أصبح مواظبا ومستمعا يجالس العلماء، ويسترشدهم في أمور دينه ودنياه، كما عرف عنه خلال هذه الفترة من حياته أن حرص أشد الحرص على الاستماع إلى القصص والروايات المتعلقة بمغامرات الفرسان والأبطال التاريخيين مثل عنتر ابن شداد وغيره هذا المنحى مهد له الطّريق فضلا عن الاستزادة من مجالس الفقهاء باكتساب ثروة فكرية وتربوية انعكست بشكل واضح في اخلاقه وسلوكه حيث امتاز بها عن غيره من شباب القرية.

«لقد عاش الشّهيد وعرف مثل أبناء قريته ومنذ صباه ظروفا قاسية بسبب ضيق ذات اليد، نظرا لاعتماد أسرته على ما تجود به قطعة الأرض التي تمتلكها وتفلحها بوسائل تقليدية بسيطة، يرتبط انتاجها بما تجود به السّماء، وحسب جريان وادي العرب، بيد أنه رغم هذا الوضع الكتيب وعسر الحياة، فقد كان شهيدنا يتمتع بأخلاق وصفات حميدة وفاضلة وهو ماجعله يحضى باحترام وثقة الجميع صغارا وكبارا على حد سواء، يحبهم ويتضامن معهم، ويمد لهم يد المساعدة في حدود الامكان وعند الضّرورة وسبحان الله هكذا ستكون سيرته وسلوكه ومعاملته للمجاهدين طوال سنوات الثورة منذ التحاقه بها إلى غاية استشهاده وهو الأمر الذي جعلهم يطلقون عليه اسم مصطفى لحليب الطّهارة قلبه وشدة تواضعه وسمو أخلاقه. سفره إلى فرنسا في محاولة منه لتحسين الأوضاع المعيشية لأسرته وترقيتها أقدم الشّهيد على السّفر نحو فرنسا في عام ١٩٥٢، وكله أمل في الحصول على عمل من شأنه أن يحسن من أحواله المادية، وأن يعود ذلك بالنفع الكبير على أسرته، لكن الحظ لم يسعفه ويحقق أمانيه فاضطر إلى العودة إلى أرض الوطن في نفس السّنة واستقر من جديد بمسقط رأسه، يواجه مصاعب الحياة ومشاقها ولعل ذلك كان من بين الأسباب التي جعلته يعزف عن اكمال نصفه، دينه فكرس كل جهده حينئذ إلى العمل الخيري واصلاح ذات البين بين أهل القرية وغيرهم.

لقد عرف بحبه للعمل التضامني وزرع المحبة والدعوة إلى تجنب كل ما من شأنه إثارة النّعرة الجهوية والعروشية بالمنطقة وإلى جانب هذا النّشاط الاجتماعي الهادئ،

كان للشهيد نشاط سياسي متميز سواء ضمن إطار حركة الانتصار للحريات الدّيمقراطية المعروف باسم «الحزب الوطني» أو ضمن صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان متأثرا بقوة بتوجهاتها وبأسلوبها كحركة اصلاحية وطنية.

مشاركته في الاعداد للثورة في هذا الجانب يمكن أن نسجل بأنه شارك وان كان بصفة غير مباشرة في عملية الاعداد للثورة المسلحة، وهذا بحكم قرابته وصداقته للمناضل المعروف بالجهة وهو السّيد عبد السّلام صحراوي المدعو «الحاج عبد السّلام» هذا الأخير كان على صلة وثيقة ودائمة بالقائد الشّهيد مصطفى بن بوالعيد، والذي كلفه سي بمهمة جمع وشراء الأسلحة استعدادا لتفجير الثورة المسلحة، تحت هذه الصّفة كان نشاط الشّهيد مع الحاج عبد السّلام وغيره وهو ما يؤكد انضمامه إلى الثورة منذ البداية. التحاقه بصفوف الثورة انضم الشّهيد مصطفى عاشوري إلى صفوف الثورة المسلحة في 15 جانفي 1955 رفقة زميله مبروك عاشوري والحاج عبد السّلام، وكان هذا إثر اقدامهم على تنفيذ عملية فدائية بالجهة ضد مجموعة من جنود العدو (سبايس والخيالة، وتمكنوا من مباغتتهم والاستيلاء على أسلحتهم (ست قطع) ثم التحقوا بعدها مباشرة بإخوانهم المجاهدين بجبال المنطقة وتم هذا عن طريق المجاهد مسعود الزحاف بناحية كيمل حيث استقبلوا هناك من طرف قيادة الثورة بالجهة التي هنأتهم على جرأتهم وعلى نجاح عمليتهم التي أحدثت صدى إيجابيا لدى الثورة جنودا ومسؤولين ولما كانت القيادة بالناحية على معرفة جيدة بهم فقد أوكلت لهم مهمة نشر رسالة الثورة والتبشير بها وسط منطقة سكان الزاب الشّرقي وبصفة خاصة قرى بادس لقصر ليانة زريبة الوادي الخنقة- زريبة حامد الفيض، الشّيخ سي محمد موسى الحوش ثم فيما بعد باتجاه منطقة وادي ريغ وقد أدو المهمة على أحسن ما يرام، ان على المستوى السّياسي أو العسكري وذلكم ما يمكن استخلاصه فيما بعد. نسجل في هذا الباب بكل تقدير وإجلال أن الحياة العسكرية بل النّشاط العسكري للشهيد مصطفى عاشوري بداية من التحاقه بالثورة في يناير 1955 إلى غاية استشهاده في شهر جوان 1960 كانت مليئة بالأعمال الجليلة والبطولية، وقد تمثلت في قيامه بالعديد من المهمات النّاجحة، سواء في مجال التنظيم أو في ميدان توحيد الصّفوف أو من خلال القيام بمهام جلب الأسلحة وربط الاتصال مع قيادة الثورة بالحدود الشّرقية ناهيك عن الأعمال القتالية التي نفذها عبر المناطق التي تواجد بها وخاصة عبر تراب المنطقتين الأولى والثانية من الولاية الأولى – أوراس النّمامشة وقد ذهب في ذلك حتى منطقة أرقو والجرف ووادي هلال وكل تراب المنطقة السّادسة من الولاية الأولى ونتيجة لما أظهره من شجاعة وانضباط والتحلي بالسلوك الحسن، ان تدرج في مراتب المسؤولية من مسؤول فوج ثم فرقة إلى قائد كتيبة برتبة ملازم أول، وكان في كل الحالات محبوبا ومطاعا من كل المجاهدين الذين قادهم بنجاح في جل المعارك شجاعته أخلاقه عن والاشتباكات التي أشرف على تنفيذها ضد العدو. إن الكلام في هذا الموضوع طويل وعريض عندما نتحدث عن المجاهد الشّهيد مصطفى الحليب، عن وعن تواضعه وإخلاصه لقضية بلاده فاستحق بذلك اطلاق اسم «الحليب» عليه لنقاء سريرته وصفاء أخلاقه ولكن رغم هذه الصّفات التي جعلته في هذه المرتبة التي تدنوا من المثالية فإنه يكون شديدا وحازما إذا ما تعلق الأمر بتنفيذ أوامر الثورة خاصة فيما يتعلق بتنفيذ العمليات الفذاءية والعسكرية ضد المستدمر الغاشم، حتى أنه إذا خاطب المجاهدين في أمر من الأمور بدأهم بقوله (اسمعوا يا أمة النّبي كونوا رجالا وكونوا أبطالا في ضرب العدو وما تخافوش الموت بالأرجل ورصاص أولاد فافا ماهوش هو اللي يقتل وعندكم تسجلوا علينا العار، ويقولوا عليكم خوافين. لقد كان وقع هذاه الكلمات شديدا على المجاهدين فيثير فيهم الحماس ويحفزهم على الصّمود والاستماتة على المقاومة والثبات في الميدان لمواجهة آلة العدو الرّهيبة والحاق الضّرر بها حتى أن رصد عدد المعارك والكمائن والاشتباكات والهجومات سواء تلك التي شارك فيها مجاهدا مقاتلا شرسا، أو قائد مساعدا، أو قائدا منفذا لا يسمح المجال لضبطها وهذا لكثرتها، وفي كل الحالات فإن مصطفى الحليب كان بطلا في ميدان الوغى وقائدا محنكا يعرف كيف يقود الرّجال ويوجههم حتى في الحالات الاستثنائية بدون مبالغة فجبال الأوراس بطولها وعرضها من جبل أم لكماكم بولاية تبسة شرقا إلى جبل بوطالب بالمسيلة غربا، تشهد بأن مصطفى الحليب كان يصول ويجول فيها ينصب الكمائن هنا ويقود المعارك هناك ويغزو الفيافي يتعقب العدو ويلحق به خسائر في الأفراد والمعداة، كيف وحالة الرّجل هكذا أن يتمكن الفرد من ضبط واحصاء عملياته القتالية بتواريخها وا مكنتها ونتائجها وقديما قالوا مالم يمكن كله لا يترك بعضه أو جله، وعلى العموم فإن عملياته القتالية تدنوا من الثلاثين عملية مابين المعارك والكمائن والاشتباكات والهجومات دارت رحاها عبر تراب الولاية الأولى التاريخية.

واقعة استشهاده: يشاء القدر أن تكتب الشّهادة للبطل مصطفى عاشوري (الحليب) في معركة بطولية خاضها في آخر حياته بما بقي معه من عناصر كتيبته ضد جحافل لقوات العدو بالمكان المعروف باسم «تعفانت'' بجبل معافي بناحية عين التوتة، في يوم 6 جوان 1960 حيث سقط في ساحة الشّرف بطلقة قوية من مدفع رشاش لطائرة عمودية مزقت بطنه وخرجت أمعاؤه ولكنه رغم ذلك فقد تمسك بالحياة وأمر مجاهدان أصرا على البقاء إلى جانبه بأن يأخذا سلاحه وينجوا بأنفسهما على أن يتركا له قنبلة يدوية استخدمها وهو في حالة احتضار ضد مجموعة من عساكر العدو فأوقع في صفوفهم قتلى وجرحى واستشهد بعدها ليلتحق بركب الخالدين رحمه الله ورحم كل شهداء الوطن.

من مآثر الرّجل كان سي مصطفى رحمه الله معروف عنه أنه بار بوالدته يحبها حبا

شديدا بلغ حد التقديس ويذكر في هذا الصّدد أنه وهو مجاهد يتذكرها بحرارة وشوق، ويتمنى أن تسامحه لأنه فضل عنها «الجهاد» وتركها وحيدة في قرية بادس وفي هذا الاطار يذكر (الراوي) أننا كنا في شهر نوفمبر 1957 متمركزين بالمكان المعروف باسم «ناقة» عين الماء شمال الدّرمون بناحية كيمل وكان المجاهدون في أيام راحة مختفين في شعبة سي بها شجيرات الدّفلى وكان. مصطفى الحليب على رأس هذه القوة وقد سأل عني لأكتب له تقريرا إلى قيادة النّاحية يطلب فيه تزويده بالألبسة للمجاهدين نظرا لكون فصل الشّتاء كان على الأبواب، فرحت أسأل عنه وعن مكان تواجده، فأشاروا لي بأنه صعد منذ الصّباح الباكر إلى قمة الجبل حيث تتمركز الحراسة ولم يعد إلى الآن، وكانت السّاعة حوالي العاشرة صباحا، فتسللت إليه لأجده منزويا في ركن منفرد وكانت وجهته نحو الصّحراء وتظهر على محياه مسحة من الحزن والكآبة، فحييته وقلت له ما بلك يا مصطفى أراك كئيبا ولم نتعود عنك هكذا، فقال لي سي إيه بالشيخ الوردي (العجوز ماتت الله يرحمها وكان يقصد بالعجوز والدته فقلت سبحان الله من قال لك هذا؟ فحذق في وجهي مليا ثم قال: رأيتها تموت في المنام قبل سويعات فجر هذا اليوم، فقلت له لا تهتم وقد عاهدناك بطلا ومن الصّابرين لكل المحن، ربما هي أضغاط أحلام فقط وقدر الله بخير، وفعلا كان الأمر كما رأى في المنام، ففي زوال ذلك اليوم جاءنا اتصال من جهة زريبة الوادي اسمه المسعود على ما أذكر وكان أول سؤال وجهه إليه مصطفى لحليب هل قالوا لك العجوز أمي توفيت رحمها الله؟ فارتبك الرّجل واحتار في الأمر، وقال: عظم الله أجركم في والدتك رحمها الله من أخبرك بوفاتها؟ فالتفت إلى مصطفى وقال ألم أقل لك أنها ماتت الله الله إنا لله وإنا إليه راجعون.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

- جمعية أول نوفمبر بسكرة، مجلة أول نوفمبر العدد 166، 2001.

■ مصيبسا بن ماسينيسا
(و:203ق م / ت: 148ق م)

هو أحد أبرز الملوك الأمازيغ، وهو ملك نوميديا؛ يُسمى في مختلف المصادر التليدة، باسم(مسيبسن)، أو(ماسيبسا)، أو(مكيبسا)، وهو ابن(ماسينيسا) ؛الذي تولى مقاليد السّلطة في حوالي عام: (203قبل الميلاد)، والذي عزل عمه الأكبر الذي كان يعود له العرش حسب القوانين السّائدة في المجتمع الأمازيغي القديم، ويقع الإجماع على أن«من أهم ما اشتهر به ما سينيسا عمله لتوحيد نوميديا؛حيث تحالف مع الرّومان ضد سيفاكس وحلفائه القرطاجيين الذين واجههم في الحروب البونيقية الثّانية، فضم جيشه إلى الجيش الرّوماني، وتغلّب على القائد القرطاجي حنيبعل في معركة زاما، وهكذا أسهم في إضعاف قرطاجة».

ويتفق عدة مؤرخين على أن(ماسينيسا) قد مدّن النّوميديين، وحبّب إليهم خدمة الأرض، والفلاحة، وكان يرمي إلى تكوين شعب موحد، ودولة مستقلة، وهيكل اقتصادي عظيم، ويقول عنه(بوليبس): « قبل ماسينيسا كانت نوميدية كلها لا تُجدي نفعاً، ولا تأتي بفائدة، وكانت تعتبر غير قادرة بطبيعتها على إعطاء شيء من المُنتجات الفلاحية فكان ما سينيسا أول واحد، بل كان الرّجل الوحيد الذي أظهر أن نوميديا قادرة على إعطاء جميع تلك المنتجات مثلما تعطيه أية جهة أخرى، وذلك لأنه أحيا مسافات شاسعة، وتعهدها بالحرث والزراعة ».

بعد وفاة (ماسينيسا) سنة: (148 قبل الميلاد)، مثقلاً بالأعمال الجليلة، وسنوات الكفاح، جلس على كرسي الملك ابنه (ماسيبسا)، أو (مكيبسا) سنة: (149 قبل الميلاد)، وتذكر جُلّ المصادر أن استلامه مقاليد الحكم جاء بترشيح من والده (ماسينيسا)، وقد شارك الحكم معه بعض أشقائه (منستابعل)، وكان يشغل منصب وزير القضاء، وكان (قولوسة) قائداً عاماً للجيش، وقد توفيا في حياته، فاستعان بابنيه (آذربعل)، و(هيمصال)، أو (هيامشال)، كما استعان بابن أخيه (يوغرطة) بن (مستابعل)، وقد امتدت مملكة (مصيبسا بن ماسينيسا) غرباً إلى (وادي ملوية) بالمغرب الأقصى، وسارت شرقاً إلى (السرت الأصغر-قابس) بتونس، وتذكر عدة مصادر أن (ماسيبسا) كان مُتشبعاً بالعلوم وبالفلسفة، وكان صاحب ثقافة واسعة، وكان مُطلعاً على العلوم، والمعارف اليونانية، والرومانية، كما كان مُشجعاً للعلم، ويدعو أبناء أُمته إلى الاهتمام بالعلوم، ونشر المعارف، وقد بلغت(سيرتا)-على سبيل المثال-في عهده شهرة واسعة؛ إذ غدت عاصمة العلم والجمال، وقد توفي (ماسيبسا)، حوالي عام: (119 قبل الميلاد)، وتذكر بعض المصادر تاريخ وفاته ب (118 قبل الميلاد).

إن أهم ما ميز ما سبق فترة حكم (ماسيبسا)، وما جاء بعده بفترة وجيزة، هو أن المملكة كانت شاسعة، ومُترامية الأطراف، وقد قدم في تلك الظّروف (شيبون الايميلي) إلى مدينة (قرطة) بطلب من الملك (ماسينيسا) ؛الذي أحس بدنو أجله، وقد وصل (شيبون الايميلي) بعد موت (ماسينيسا) بفترة وجيزة، وفور

تولي (ماسيبسا) الحكم رجع (شيبون الايميلي) إلى محاربة القرطاجيين، وأخذ معه (قولوسة) المُعيّن من قبل (ماسيبسا) الذي أسهم معه في الحرب بقواته العسكرية وفرسانه، إذ تذكر المصادر أن قائد جيش (ماسيبسا) كان خير عون وأكبر مُساعد على الانتصار في الحرب البونيقية الثّالثة، والتي انتهت بتهديم قرطاج، ويُنبه الباحث (أحمد صفر) إلى أن ذلك الانتصار كان فصلياً، وبعده اكتفت روما مبدئياً بالاستيلاء على حكومة قرطاج (أفريكا)، لأن أبناء (ماسينيسا) كانوا كلهم طوع أمرها، ورهن إشارتها، وكانت تعتبرهم تحت ظلها وحمايتها ؛ ولذلك لم تر فائدة في زيادة الاستيلاء على مملكتهم ؛ التي كانت تستغلها بدون عناء، أو كلفة، أو نفقات، وفي ظل حُكم (ماسيبسا) تصرفت في قائد الجيش (قولوسة)، وفي قواته العسكرية، فربحت بهم الحرب ضد القرطاجيين، وقد تركت روما لأبناء (ماسينيسا) بعض الغنائم التي لاتُسمن ولا تُغني من جوع، فتركت لهم مكتبة قرطاج، وتنازلت لهم عن بعض الأراضي.

إن أبرز ما يقع عليه الاتفاق من لدن ثلة من المؤرخين والمهتمين بتاريخ مملكة (نوميديا)، هو أنه قد « سار بهذه المملكة سيرة محمودة؛ فعمم التعليم بها، وهو العالم بالفلسفة المتضلع في العلوم اليونانية والرومانية، تلك العلوم التي استفاد منها ؛ فنشر الدّيمقراطية والمساواة والسلام بين أفراد شعبه، وقد حصّن عاصمته-قرطة- ورقاها حتى أصبحت في عهده عاصمة العلم والجمال والرفاهية».

ومن أكثر ما يُذكر وما يُحمد لـ(ماسيبسا) هو أن مدينة قرطة (سيرتا-قسنطينة) قد تجملت في عهده، وأضحت عاصمة ثقافية؛ بسبب تشجيعه للآداب والفنون، وقد ازدهرت في عهده مجموعة من المدن، وفي مقدمتها مدينة قرطة(سيرتا-قسنطينة) التي أحبها (ماسيبسا)، وهي مدينة لها مكانة خاصة في تاريخ الجزائر، والوطن العربي، فجذورها ضاربة في أعماق التاريخ، وما يزال تاريخها يكتنفه الكثير من الغموض، فكل من يُحاول أن يؤرخ تأريخاً دقيقاً لها، تُواجهه جُملة من الصّعوبات، ولاسيما في العصرين القديم، والوسيط، حيث يُرجع الدّكتور (عبد الله حمادي) هذه الصّعوبة إلى تاريخ المدينة العريق، والذي يزيد عن ثلاثة آلاف عام، والذي ما يزال الكثير منه مجهولاً بسبب غياب الوثائق الرّسمية التي كُتبت عن المدينة، وأغلب من كتب عنها، كتب بأسلوب الغازي، وعلى الرّغم من أن المدينة كانت «عاصمة سياسية، وثقافية، وإدارية لمملكة نوميديا في القديم، وعاصمة إقليمية في العصر الوسيط، وهي الوظيفة نفسها التي احتفظت بها في العصرين الحديث والمعاصر، فإن دراسة المدينة هي دراسة صعبة، وعسيرة، وذلك لأن مصادرها مصادر نادرة، وغير مباشرة، والأخبار عنها أخبار مقتضبة، ومختصرة، يغلب عليها السّياق العارض، والغموض في كثير من الأحيان، وهذا ما يجعل الدّارس يميل إلى الافتراضات، والتخمينات في معالجة تاريخ قسنطينة، لأن مصادرها، ووثائقها، وحتى آثارها الصّماء، تكاد تكون منعدمة...».

إن مدينة قسنطينة الجزائرية، هي واحدة من المدن العربية العريقة، فقد كانت خزاناً للعلماء والفقهاء، وجامعة للعلوم، والمعارف، بفضل مدارسها، وزواياها العتيقة، فقد ظلت على مدى قرون مضت مزاراً لطلاب العلم، ومحطة لأصحاب الرّحلات، وقبلة للأولياء الصّالحين، ومن بين الذين وصفوا مدينة قسنطينة (أحمد بن المبارك العطار)، الذي يقول: «قيل بناها قسطنطين الذي بنى القسطنطينية العظمى، التي اسمها اليوم إسلانبول، وهي المسماة بلغتنا اسطنبول، وقيل بناها عامل على وطن إفريقيا...والصحيح أنها مدينة قديمة بناها الذي بنى مدينة قرطاجنة، بنيت في زمن عاد قبل إبراهيم الخليل عليه السّلام، يشهد لهذا القول أننا نسمع من أهل العلم أن قسنطينة من زمن إبراهيم، وهي عامرة لم تطفأ لها نار، ولا دخلها عدو قهار...».

ويُعلق الدّكتور (عبد الله حمادي) على هذا النّص، بالإشارة إلى أنه يُبرز صعوبة البحث في تاريخ مدينة (قسنطينة)، بالإضافة إلى أنه يقُر بالقصور عن إدراك هذا المرام، وذلك لعدم توفر الوثائق الشّافية التي تستطيع الكشف عن خبايا، وأسرار مدينة عريقة عتيقة كقسنطينة، فقد ورد في هذا النّص ذكر قسطنطين قيصر الرّوم الذي حكم ما بين:306إلى337م، وهو الذي اعتنق الدّيانة المسيحية سنة:313م، وما اقتران مدينة قسنطينة به، إلا لأنه باعث مجدها، ومجدد عروشها، وأركانها، وقد كانت قبل مجيئه تعرف بتسمية أخرى.

وقد ذكر الأمير (محمّد بن عبد القادر الجزائري)، أن قسنطينة أصلها يعود إلى قبائل كتامة، وقد دخلها الفينيقيون ملوك الشّام من كولونية، لما خرجوا إلى إفريقية من صور سنة:836 ق.م، واسمها في القديم سيرتا، وكانت عاصمة الوندال من إسبانيا، ولم يزل ملكهم فيها إلى أن استولى المسلمون عليها.

يقول الباحث (أحمد صفر) عن(ماسيبسا) وظروف عصره: «...ومات قولوسة ومستعنبعل بعد ذلك بسنوات قليلة، وانفرد مسيبسا وحده بالملك، وكان إذ ذاك شيخاً مُسناً، وكان ولوعاً بالعلم والفلسفة، كثير الاجتماع بالعلماء اليونانيين؛ حريصاً على تجميل مدينة قرطة (سيرتا-قسنطينة)، وكانت علاقته طيبة مع روما، حتى أنه وضع تحت تصرفها جيوشه، وأفياله، وقموحه، وكل خيرات بلاده، ومد لها يد المساعدة بالمال والرجال، والزاد والعتاد في مناسبات كثيرة يطول ذكرها، ففي سنة: (134 قبل الميلاد)سير إلى شيبون الايميلي جيشاً يتألف من 12 فيلاً، ومن عدد من الفرسان، وحاملي القسي، وحاملي المقاليع، تحت قيادة ابن أخيه يوغرطة لتهديم نومنسة، ومات (مسيبسا) سنة: قبل الميلاد118، وهو شيخ طاعن في السّن تجاوز الثّمانين، وخلف ابنين صغيرين شرعيين، هما:آذربعل، وهيامبسال... ».

ويُشير الأستاذ (سُليمان الصّيد) إلى أن (ماسيبسا) قبل وفاته جمع ابنيه، وابن أخيه، وأوصاهم بالتكتل والاتحاد، ولكن وصيته لم تنفذ بعد وفاته، إذ تفرقوا، وتنازعوا، وقسموا المملكة بينهم، فأخذ (يوغرطة)

القسم الغربي من بجاية (صلداي) إلى وادي ملوية، واقتسم الأخوان الباقي.

ويقول الباحث والمؤرخ الجزائري (أحمد توفيق المدني) عن (ماسيبسا): «استمر الملك مسيبسا ابن ماسينيسا يحكم بلاده بحكمة وحنكة، وكان بعيداً عن المطامع يشغل أوقاته بدراسة الفلسفة اليونانية، ومات أخواه وشريكاه في الحكم، فصار وحده الملك المطلق، واستعان بولديه حمصال وظهر بعل، وبابن أخيه يوغرطة، وجعله على غربي المملكة، ولقد أظهر يوغرطة من الذكاء والمقدرة؛ ما أوجب له إعجاب النّاس، فخشي مسيبسا مزاحمته لولديه بعد موته، وأرسله إلى عدة بعثات حربية تخلصاً منه، لكنه عاد منها ظافراً كريماً، وأدرك مسيبسا الموت، فأوصى بالملك من بعده لولديه ولابن أخيه، ووضع الأولين على شرقي البلاد، والثالث على غربها، وما لبث يوغرطة حتى ظهرت فيه علائم العبقرية، وأهلته مقدرته لأن يكون الزّعيم الذي تنتظره الأمة البربرية».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- أحمد صفر: مدينة المغرب العربي في التاريخ، منشورات دار بوسلامة للنشر والتوزيع، تونس، 1959م.
- سُليمان الصّيد: تاريخ الجزائر القديم، منشورات مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط:02، 1966م.
- أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- د.عبد الله حمادي: نفاضة الجراب-تأملات في الأدب والسياسة-، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

■ مُعَمَّرُ حَنِي
(و: 1337ه - 1921م/ت: 1435ه - 2014م)

الشّيخ معمر حنّي من الرّعيل الأوّل من المختصين في القراءات، وأول خريج جزائريّ من الزّيتونة في القراءات حيث كان من العلماء الكبار الذين عرفتهم مساجد وهران.

مولده ونشأته: وُلد سنة 1337 هـ، 1921م، بمدينة گمار بربوع وادي سُوفْ. كان الشّيخ ممن يُشار إليهم بعمق الفقه وبالتّبحر في القراءات، فالتّفّتْ حوله حلقاتُ طلبة العلم بمسجد قباء، وكان العطاء كبيرا بقدر صاحبه. فضلا على أنه كان مثالا للزهد والبعد عن الأضواء، إخلاصا للرسالة العلميّة وترفعا، وعفة منه؛ بالإضافة إلى حكمته في التّعاطي مع عموم النّاس كبيرهم وصغيرهم.

حفظ القرآن على يدّ الشّيخ أحمد بوقة رحمه الله، وهو رجل كفيفٌ، وهو ابن 14 عاما. ولمتانة حفظه قدّمه شيخه ليصلّي التّراويح بالنّاس.

ثم تلقّى تعليم المبادئ الفقهية والنّحويّة على يدّ العالم الجليل الشّيخ محمّد الزّبيريّ الگماري رحمه الله بمدينة گمار بربوع وادي سُوفْ. طالبٌ في جامع الزّيتونة.

حين بلغ الواحدة والعشرين من عمره، قرَّر والده رحمه الله إرساله إلى تونس ليتم دراسته بجامع الزّيتونة المعمور، حيث كان كالأزهر، وكان خرِّيجه يتلقى في وطنه وبين أهله كل الإجلال والتّقدير، وكان اسم مدير جامع الزّيتونة آنذاك هو عبد العزيز بن زعيط.

بعد سنوات من الدّراسة تحصل الشّيخ معمّر على شهادة التّحصيل في العلوم الشّرعية والنّحويّة، وهي نفسها شهادة التّحصيل في القراءات العشر. شهادة تعادل شهادة البكالوريا، ثم تحصل على العالِمِيَّة في القراءات، وهي تعادل شهادة الليسانس في ذلك الزّمان.

ولحاجة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى تخصص الشّيخ في القراءات اتصل به الشّيخ العربي التّبسي ليقول له «مقعدك في المعهد ينتظرك!»، لينظم إليها وهو لم يتجاوز الـ30 من عمره، و كان يحظى بالتّقدير والاحترام لدى كل شيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تزوج الشّيخ معمر من عائلة من مدينة غليزان كانت تسكن ببني عباس في نواحي سطيف وكان والد زوجته رحمه الله رئيسَ مدرسة جمعية العلماء في تلك المنطقة، وبموجب هذا القِران ارتأتْ جمعية العلماء تحويله إلى غليزان حيث مكث فيها إلى الاستقلال 1962.

بعد الاستقلال عُيِّن الشّيخ في وزارة الأوقاف حيث لم يلبث أن غادرها رفقة الشّيخ عبد القادر الياجوري، حيث انتقل إلى قطاع التّربية الذي بقي فيه 18 عاما كأستاذ في ثانوية العقيدلطفي.

منذ أن ترك التّعليم نُصِّب بمسجد قباء بوهران إمامًا، قارئاً، مدرِّسا؛ بكلّ أسفٍ فالتّدريس أعاقه كثيراً عن التّأليف، وجُل خطبه ودروسه غير محتفظ بها، ولو جُمعت لزادت على 20 كتابا.

تُوفّي الشّيخ العلامة الكبير المقرئ معمر حني إمام مسجد قباء بوهران يوم 17 شوال 1435 الموافق لـ13/ 08 / 2014.

بشير خلف

■ مكي الشّاذلي
(و: 1331هـ - 1913م/ت: 1409هـ - 1988م)

ولد بخنقة سيدي ناجي يوم 15 ماي 1913، وبها حفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية، كما حصل بها على الشّهادة الإبتدائية في اللغة الفرنسية، التحق سنة 1935 بتونس، ونظرا لنشاطه وحيويته أنتخب رئيسا لجمعية الطّلبة الجزائريين الزّيتونيين التونسيين، وذلك إلى غاية 1939، وفي ذات السّنة تكون تكوينا عسكريا بإيطاليا ليكون من أوائل الطّيارين العرب والمسلمين.

في سنة 1939 وبعد عودته إلى الجزائر، وتزامنا مع قيام الحرب العالمية الثّانية، اعتقلته السّلطات الفرنسية بمعية أخيه سي امحمّد، وذلك في جنان بورزق، حيث بقي في المعتقل مدة أربع سنوات.

في سنة 1943 وبعد إطلاق سراحه، أسهم في حملة تدعو إلى تمرد المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي، كما شارك في مظاهرات 1 ماي 1945 بالعاصمة، وقام بتوزيع المناشير في شرق الجزائر ليخرج الشّعب يوم الثّلاثاء 8 ماي 1945 في مظاهراته السّلمية المشهود لها تاريخيا والمطالبة باستقلال الجزائر، فأصبح مطلوبا من السّلطات الاستدمارية، بتهمة التحريض على تلك المظاهرات، وحكم عليه بالإعدام غيابيا، مع تخصيص مكافأة مالية كبيرة لمن يأتي به حيا أو ميتا..

قام مكي الشّاذلي بتصميم العلم الوطني بمعية مصطفاي شوقي، وحسين عسلة، وكلف الخياط إسماعيل عبد الرّحمن بخياطة أول علم، ورفع في مظاهرات 1 و8 ماي 1945.

توارى عن الأنظار وسافر إلى القاهرة واصلا إليها من تونس في 20 أكتوبر 1945، ليمثل الحركة الوطنية الاستقلالية هناك، ووطد علاقته مع عبد الرّحمن عزام باشا، أول أمين عام لجامعة الدّول العربية، في سنة 1947 كان من مؤسسي مكتب المغرب العربي بالقاهرة، وكان من الدّعاة لتكتل العرب ضد اليهود في حرب 1948، وحرصا منه على تعريف الشّعوب الإسلامية بما تعانيه الجزائر من ويلات الاستعمار، شارك سنة 1951 في مؤتمر الشّعوب الإسلامية، المنعقد بكراتشي بباكستان.

ساعد بقوة الطّلبة الجزائريين المتوافدين على القاهرة لمتابعة دراستهم في مختلف المعاهد والتخصصات، كما تدخل الشّاذلي مكي لدى السّلطات المصرية للإفراج عن الطّلبة الجزائريين المعتقلين بسبب تظاهرهم داخل القنصلية الفرنسية، ومن بين هؤلاء الطّلبة محمّد بوخروبة، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية الجزائرية سنة 1965.

في 17 فيفري 1955 كان من بين الموقعين على بيان التأييد المطلق للكفاح المسلح ضد الإستدمار الفرنسي، ومساندة جيش التحرير الوطني.

وفي أفريل من سنة 1955 مثل مكي الشّاذلي جبهة التحرير الوطني في أول مؤتمر آفرو أسيوي بباندونغ، وكانت قضية الجزائر أدرجت ضمن جدول أعمال المؤتمرين آنذاك، وبذلك كسبت ولأول مرة القضية الجزائرية بعدا دوليا.

أعتقل سنة 1955 وأدخل السّجن العسكري بمصر وبقي فيه إلى غاية 1960، وبعد الإستقلال وبالضبط سنة 1963 عاد إلى الجزائر، حيث عمل أستاذا بثانوية حسيبة بن بوعلي، ثم بمدرسة تكوين المعلمات ببن عكنون، ثم نائبا لمدير الشّؤون الثّقافية بوزارة التربية الوطنية، فمديرا مركزيا بوزارة الشّؤون الدّينية، أين أحيل غلى التقاعد سنة 1982.

توفي المناضل والمجاهد والرمز الوطني مكي الشّاذلي يوم الجمعة 2 سبتمبر 1988 عن عمر يناهز خمسا وسبعين سنة، كلها كفاح وجهاد، وبذل وعطاء، في سبيل الجزائر والعروبة والإسلام، رحمه الله برحمته الواسعة، وجعله نبراسا يُقتدى به في العطاء والنضال والوطنية.

نعيمة سعدية

■ منّة بنت الحاج محمد بوكراع
(و: 1354هـ - 1936م / ت: 1432هـ - 2011م)

ولدت السّيدة الفاضلة منّة بنت الحاج عمر بن قاسم بوكراع، ببريان سنة 1936م الموافق لـ: 1354هـ، نشأت وترعرعت مع أبوين كريمين بالقرب من المسجد والكتاب. شهرتها: «منة الحاج تعزابت"

كانت الأم منّة محبة للعلم، فكانت كثيرة التردد على دار العلم؛ بشكل ملفت للانتباه، تذهب إلى معلمتها أكثر من مرّة في اليوم الواحد، لاستظهار ما حفظت من القرآن الكريم على معلمتها « مامة ن عفّاري»، إلى أن حفظته كاملا، إلى جانب القرآن الكريم كانت

الأم منّة الحاج تحفظ الأحاديث النّبوية الشّريفة، والأدعية المأثورة، والقصائد المطولة المنظومة في مدح خير البرية محمد ﷺ، وكمّا هائلا من الحكم البليغة والأقوال المأثورة والمفيدة، وسير الخلفاء الرّاشدين، والسّلف الصّالح، كما تفقّهت في دينها بشكل جيّد، وتخصّصت في أحكام الصّلاة والصّوم، وأحكام المسائل الخاصة بالنّساء، وحقوق الأزواج والأبناء

اختبرتها معلمتها « مامة ن عفاري» بعد أن كلّفتها ببعض المهام مثل:

- تلقين الآيات القرآنية للبنات والطالبات، وتحفيظهن بعض الأحاديث النّبوية، وتدريبهن على أداء بعض المدائح، وتقديم بعض الدّروس الوعظية في دار العلم للفتيات خاصة في بعض المناسبات الدّينية والاجتماعية.
- مرافقتها إلى المؤتمر الدّيني النّسوي المعروف «بلا إله إلا الله» والذي يقام كلّ عام في مدن وقرى مزاب بالتناوب؛
- بعد سنوات قليلة كلفتها الشّيخة « مامّة ن عفاري « بتمثيلها وتمثيل قصر بريان في هذا المؤتمر.
- كلفتها ورافقتها تكوينا وإعدادا لها، ولتكون سندها خاصة وأن المعلمة «مامّة ن عفاري» ضريرة فاقدة للبصر، فكانت خير خليفة لمعلمتها بعد وفاتها.

تزوجت المعلمة «منّة الحاج تعزابت'' مرة في حياتها، وبعد طلاقها، تقدم الشّباب لطلب يدها للزواج مرة أخرى لكنها آثرت العلم على حياتها الشّخصية، فتفرغت للعلم والتعليم، ففتحت بيتها: للراغبات في حفظ كتاب الله؛ فلقّنتهن القرآن الكريم، والحديث الشّريف.

تدريب الفتيات على إنشاد قصائد في مدح الرّسول ﷺ، وقصائد دينية وتربوية هادفة ذات ألحان جميلة وعذبة.

تأوي عددا من الفتيات قبيل سنّ البلوغ؛

تعلمهن أحكام وأركان الصّلاة والصّوم وما يتعلق بهما.

تقيم تربصات مغلقة للفتيات المقبلات على الزّواج، خاصة في زمن الأعراس الجماعية.

جعلت من بيتها ناديا علميا تقصده النّساء والفتيات أفواجا خاصة الأمهات وربات البيوت والمسنات في المناسبات الدّينة والاجتماعية، مثل: ليلة النّصف من محرم، وليلة النّصف من شعبان، وليلة حلول شهر رمضان المبارك، وعشّية عيد الفطر المبارك، وعشّية يوم عرفة وغيرها من الأيام والمناسبات الدّينية..

تجتمع النّسوة في بيتها لتلاوة القرآن تلاوة جماعية، ولتقرأ عليهنّ الشّيخة «منّة الحاج» الأدعية والأذكار، كما تلقي عليهن كلمة بالمناسبة التي تجمعهن .

كانت تفسح المجال للمواهب المتخرجة من معهد الفتح للدراسات الاسلامية -إناث- فتقدمهن في الكثير من المناسبات الدّينية والاجتماعية خاصة في الأفراح والمآتم؛ وذلك رغبة منها في تدريبهن على الأداء الميداني، ليصبحن بعد ذلك مرشدات وداعيات ذوات خبرة وكفاءة وطلاقة لسان، ليستفيد منهن المجتمع النّسوي.

إلى جانب نشاطها العلمي والدعوي، كانت للمعلمة والشّيخة «منّة الحاج» نشاط اجتماعي متواصل:

كانت تصلح ذات البين، خاصة المتخاصمات من النّساء.

كانت توزع زكاة الأموال لثقتها وأمانتها، فتوزعها على الفقراء والمساكين والمحتاجين.

تحرص على النّساء اللواتي تعرضنّ لعقوبة «البراءة» حتى يتبن ويرجعن إلى مجتمعهن .

تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في الوسط النّسوي.

كانت تحرص على الوحدّة وتماسك المجتمع، والحفاظ على المورث الحضاري الأصيل للأجداد من عادات وتقاليد التي تحفظ شمية المرء وقيمته ومُثله العليا.

كانت الشّيخة «منّة ن الحاج» ذات شخصية متميزة، بمواصفات فريدة، وأخلاق عالية، ومواقف ثابتة، وأهداف عالية، تقترب من الكمال، وتسمو إلى المثالية وترتقي إلى مراتب العلماء والأولياء الصّالحين والحكماء.

كانت ذات هيبة وقوة شخصية يحسب لها ألف حساب من طرف النّساء والفتيات.

كانت تمتاز بسمو الرّوح وكرم النّفس، كما كانت تمتاز بخصائص ذاتية ومؤثرات دينية وحضارية منها:

الورع وتقوى الله تعالى.

الحفظ الجيّد وقوة الذاكرة.

السّمت الحسن.

الجدية والانضباط....

بعد مسيرة حافلة بالعلم والتعليم والعمل في سبيل إعلاء كلمة الله لبت نداء ربها: 19 أوت 2011م الموافق لـ: 19 رمضان 1432ه.

فاطمة بنت صالح بورقيبة

■ منصور آيت منقلات
(و: 787ه - 1385م/ت: 846ه - 1442م)

هو(أبو علي منصور بن علي بن عثمان المنجلاتي البجائي الزّواوي)، وُلد سنة: (787هـ)، المُوافق لـ(1385م)في مدينة(بجاية) وفيها نشأ وترعرع يُنسب إلى مدينة(بجاية) العريقة، وهي مدينة يصفها المؤرخ(أحمد توفيق المدني)،بقوله: «وأبناء عمنا الكنعانيون الفينيقيون هم الذين أسسوا هذه المدينة ودعوها صلدة، ثم أصبحت رومانية تحت اسم صلداي، وأقام بها الإمبراطور أوغوست جالية رومانية، وخربت بعد ذلك بأيدي الوندال والبربر، وبقيت خراباتها ماثلة للعيان إلى أن جاءها سنة:1076م النّاصر الحمادي من القلعة فاختط أسسها من جديد، ودعاها النّاصرية، ثم سُميت بجاية على اسم القبيلة البربرية التي تخيم حولها، واتخذها المنصور الحمادي ابن النّاصر عاصمة لملكه العظيم سنة:1090م».

كما يُنسب الشّيخ (منصور آيت منقلات) إلى منطقة (زواوة)، وهم مجموعة من الأعراش الأمازيغية من الشّمال الشّرقي في الجزائر، ويذكر الشّيخ (أبو يعلى الزّواوي) في كتاب: «تاريخ الزّواوة» أن المؤرخين اختلفوا في نسب الزّواوة، والزواوة «قبائل كثيرة مشهورة، ومواطنهم ومساكنهم بشمال إفريقية يجعلهم البحر الأبيض المتوسط المُمتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية إحدى عواصمهم، وإلى جيجل نصف دائرة فهؤلاء هم المعروفون والمشهورون بالزواوة».

تتلمذ الشّيخ(منصور آيت منقلات) في طفولته على يد والده الشّيخ(سيدي علي المنجلاتي) في مسجد(عين البربر)، وبعد فترة التحصيل أضحى من أبرز فقهاء وعلماء مدينة(بجاية)في عهد الدّولة الحفصية، وتذكر المصادر أنه كان من ذوي القوة والنفوذ فيها، كما كان من «أصحاب الرّأي والتدخل في الأحداث السّياسية لمكانته المرموقة»، والمتميزة؛ ففي عام: (843هـ)عندما كان يتولى الإفتتاء قام بإبرام مصالحة في مسجد(عين البربر)بمدينة(بجاية) ما بين سُلطان الدّولة الحفصية المُسمى(أبو عمرو عثمان بن محمّد المنصور 821-893هـ)، مع عمه والي مدينة(بجاية)في حينها(أبو الحسن علي بن أبي فارس)، وقد توفي في تونس عام: (846هـ)، المُوافق لـ(1442م).

من أبرز الشّيوخ الذين تأثر بهم: (سيدي علي آيت منقلات)، و(سيدي عبد الرّحمن الثّعالبي)،و (سيدي إبراهيم بوسحاقي)، و(سيدي محمّد المغيلي)، و(سيدي يحيى العبيدلي).

ومن بين تلامذته الذين تأثروا به الإمام الشّيخ (محمّد بن عبد الكريم بن محمّد المغيلي التلمساني)، الذي عاش خلال الفترة الممتدة من: (1425-1504م).

قال عنه (أحمد بابا التمبكتي): «منصور بن علي بن عثمان الزّواوي المنجلاتي البجائي، عالمها ومفتيها الإمام العلاّمة الفقيه الحجة أبو علي ابن الفقيه العلاّمة أبي الحسن، له فتاو عدة منقولة في المازونية، والمعيار، كان حياً في حدود الخمسين وثمانمائة(850هـ) في غالب الظّن، مُعاصراً لأبي عبد الله المشدالي».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عادل نويهض: مُعجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثّقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 02، 1400هـ/ 1980م.
- مسعود بريكة: النخبة والسلطة في بجاية الحفصية(7-9هـ/ 13-15م)، منشورات دار ميم للنشر، الجزائر، ط:01، 2014م.

■ موريس أودان
(و: 1350ه - 1932م/ت: 1376ه - 1957م)

هو (موريس أودان) ؛ واحد من الفرنسيين الأحرار الذين ناضلوا في صفوف الثّورة الجزائرية المظفرة، وقد ناضل ضمن صفوف الشّعب الجزائري، ولد يوم: (8شوال1350ه)، المُوافق ل(14فيفري1932م)في مدينة(باجة)بتونس، وزاول تعليمه في مدينة(الجزائر)، وعمل أستاذاً مُساعداً بكلية العلوم في قسم الرّياضيات بجامعة الجزائر، وقد انخرط في الكفاح من أجل استقلال الجزائر، وكان عضواً في الحزب الشّيوعي الجزائري، اختطفه المظليون خلال معركة الجزائر، يوم: (11جوان1957م)، وقاموا بتعذيبه في أعالي الأبيار بالجزائر العاصمة، وقد أصدر إليهم الجنرال السفاح(أوساريس)الأوامر بقتله، فتمّ قتله يوم: (23ذو القعدة1376ه)، المُوافق ل (21جوان1957م)، وقد

اعترفت السلطات الفرنسية رسمياً بمسؤوليتها عن تعذيب وقتل(موريس أودان)، وقد أضحى رمزاً من رموز التعذيب والجرائم التي ارتكبتها السلطات الاستعمارية الفرنسية أثناء الثّورة الجزائرية.

يقول الأستاذ الباحث والمترجم(عبد العزيز بوباكير)عنه: «بعد11جوان1957م اختفى موريس أودان ؛ لكنه ظل حياً في ذاكرة الجزائريين، وجرحاً فاغراً في الضّمير الفرنسي، موريس أستاذ في الرّياضيات، كان عضواً في الحزب الشّيوعي الجزائري، اختفى بشكل غامض في معركة الجزائر، ويُجهل يوم موته، وظلّت جثته مخفيّة إلى الآن، المعروف حسب شهادات أسرته أن فصيلة من المظليين اعتقلته في بيته يوم:11جوان1957م، وخضع لأبشع أنواع التعذيب، ويروي صديقه هنري علاّق في كتابه السؤال أن موريس قال له بعد التعذيب الذي تعرّض له: (c'est dur henri). حاول الجيش الفرنسي إخفاء جريمته مدعياً أن موريس قفز أثناء نقله من سيارة جيب عسكرية، لكن الجلاد(شاربونيي)الذي كان يعمل اعترف أنه خنق موريس ودفنه... ».

واعترف الرّئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في سبتمبر 2018 «نيابة عن الجمهورية الفرنسية»، بأن عالم الرّياضيات الشّاب موريس أودان قد «تعرض للتعذيب حتى الموت أو تم تعذيبه ثم أعدمه الجيش الفرنسي» عام 1957. كما طلب «الاعتذار» من أرملته جوزيت أودان.

محمد اسلام بوفلاقة

المصادر:

- هرفي هامون وباتريك روتمان: حملة الحقائب المقاومة الفرنسية ضد حرب الجزائر، ترجمة:الأستاذ عبر الرّحمن كابوية، والأستاذ محمد سالم، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2010م.-شارل أنري فافرود:الثورة الجزائرية، ترجمة:الأستاذ عبر الرّحمن كابوية، والأستاذ محمد سالم، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2010م.
- أحمد منغور:موقف الرّأي العام الفرنسي من الثّورة الجزائرية، 1954-1962م، منشورات دار التنوير، الجزائر، 2013م.

■ موسى أغ أمستان
(و: 1284ه - 1867م/ت:1339ه - 1920م)

هو(محمد بن سيدي المختار باي الكونتي)، والذي عُرف لاحقا باسم(موسى أغ أمستان) أحد زعماء قبائل الطّوارق، ولد عام: (1284ه/ 1867م)، وهو(طوارقي)، و(أمنوكال)، نشأ يتيم الأب في ظروف قاسية، وكان يرعى غنم أحد أقاربه، وفي سن المراهقة سافر إلى (الغزوات) التي تقع في الجنوب، والجنوب الغربي للأهقار، ومنذ مرحلة المراهقة ظهرت عليه علامات الذكاء، والنبوغ، والتفوق، والإقدام في المعارك الداخلية التي كانت تخوضها قبيلته(كل غيلا)، كان مستقراً بمنطقة(الهقار)بالجزائر، كما كان رئيساً لقبيلة(كل أهقار)، وامتدت رئاسته من سنة: (1323ه/ 1338ه)، المُوافق ل (1905-1920م).

تعود أصوله إلى قبيلة(كل غيلا) ؛ وهي تعني(أهل الغلبة)، وقد قاوم(موسى أغ أمستان)الاستعمار الفرنسي، وقاد معركة(تيت)ضد الاحتلال الفرنسي، و التي انطلقت يوم: (29محرم1320ه)، المُوافق ل (07ماي1902م)، وقد انتهت هذه المعركة بدخول قوات الاحتلال الفرنسي إلى الصّحراء الكبرى الجزائرية، وقد وقع معاهدة سلام مع الاحتلال الفرنسي، يوم: (02ذو القعدة1321ه)، المُوافق ل (19 يناير1904م)، وذلك بمنطقة(عين صالح)، وقد وقع اتفاقية السلام من طرف الاحتلال الفرنسي؛القائد العسكري(فرنسوا هنري لابرين)، وقد التقى(موسى أغ أمستان) بالقسيس والراهب (شارل دوفوكو)سنة: (1322ه/ 1905م)، والذي وقع الإجماع من لدن مجموعة كبيرة من المؤرخين الجزائريين على أنه جاسوس، ومجرم ارتكب جرائم فظيعة ضد المواطنين الجزائريين الأبرياء، وقام بتعذيبهم، ولاسيما أثناء جهاد الشّيخ المقاوم البطل(بوعمامة)، وقد التقى(موسى أغ أمستان)ب(شارل دوفوكو) عندما كان في طريقه إلى مدينة(تمنراست)، وقد نشأت بينهما علاقة مودة وصداقة، ونظمت حكومة الاحتلال الفرنسي رحلة للسيد(موسى أغ أمستان)إلى فرنسا، واستقر في منطقة(بروكوني) عند أخت(شارل دوفوكو)، ويصف الأستاذ والباحث(محمد الهادي الحسني) القسيس (شارل دوفوكو) بأنه شيطان حاول أن يظهر بشراً مجيداً، ولكنه لم يكن إلا شيطاناً مريداً، حيث يقول الأستاذ(محمد الهادي الحسني) في هذا الصّدد: «الحقيقة هي أن هذا الكائن(شارل دوفوكو)الذي عمل على سرقة خيرات الجزائريين وعقولهم، قد أُعدّ إعداداً خاصاً ليُمارس أقذر المهمات وأشدها إجراماً ووحشية،

إنها مهمة قتل الشّعب الجزائري، وقد مارس ذلك بأسلوبين:

1. أسلوب القتل المادي، وقد أعد لذلك في مدرسة سان سير العسكرية، حيث يعد المجرمون الفرنسيون على أحط أساليب القتل على أيدي أكثر الفرنسيين عُتواً وقسوة، ولما أنهى تكوينه زُج به في الميدان ليُطبق ما عُلِّم على الشّعب الجزائري الأعزل، وكان الميدان الذي عمل فيه، ومارس جرائمه هو الغرب الجزائري؛حيث شارك تحت قيادة أحد كبار المجرمين(الجنرال ليوتي)في قتل الجزائريين، وتعذيبهم في أثناء جهاد الشّيخ بوعمامة-رحمه الله- ...

2. أسلوب القتل المعنوي، حيث عمل هذا الشّيطان(شارل دوفوكو)الذي تمثل بشراً في إطار المخطط الفرنسي الصّليبي على إخراج الجزائريين من نور التوحيد إلى ظلمات التثليث... لقد عمل (دوفوكو) كل ما استطاعه من مكر وخداع، وتلبيس ليُضل الجزائريين، ولم ينج من مكره الكبار حتى الصّغار، الذي شهد هو نفسه بأنهم كانوا عندما يرونه يتولون منه فراراً، ويحسبونه شيطاناً لا بشراً، لقد كان هذا الشّيطان يُسابق الزّمن ليُحقق هدف فرنسا الأكبر، وهو تنصير الجزائريين، وقد قال في رسالة وجهها من (تمنراست) إلى أحد أصدقائه في باريس في سنة: (1912م): إننا إن لم نُنصر الجزائريين في مدى خمسين سنة، فستتكون روح قومية أساسها الإسلام لطرد فرنسا من إمبراطوريتها».

وقد توفي(موسى أغ أمستان)، يوم:(13ربيع الآخر1339ه)، المُوافق ل (23ديسمبر1920م).وتُجمع المصادر التاريخية أن (موسى أغ أمستان) كان يميل إلى فتح العلاقات مع فرنسا، والخضوع لاحتلالها، وتوثيق الصّلات مع إدارتها الاستعمارية، بينما كان يرى بعض أفراد قبيلته ضرورة مقاومة الاحتلال الفرنسي، ومحاربته إلى غاية نهاية آخر رجل، وهذا سبب تعميق الخلاف مع مجموعة كبيرة من قبائل الهقار.

يقول الأستاذ(صلاح الدين محمد) عن(موسى أغ أمستان): «...كان أكثر لمعاناً في المعارك منه في الملتقيات الداخلية(الميعاد)، فهو رجل ميداني، وما لبث أن أصبح أحد الوجوه البارزة من(كل غيلا)أهل الغلبة والحكم في أهقار، وكان كثير الميل إلى رجال الدين، ويبحث دائماً عن دعمهم ونصائحهم، وبركتهم، مما جعل الولي الصّالح(خمدن)يتنبأ له بمستقبل سياسي مُهم...ظهر خطان سياسيان متناقضان بأهقار أحدهما بقيادة اتسي الرّافض للتوغل الفرنسي، ويُلح على المقاومة إلى آخر رجل، والثاني يقوده موسى أغ أمستان يميل إلى الخضوع والدخول في علاقات مع الإدارة الفرنسية... الخصومات الداخلية كانت شديدة إلى درجة أنها هددت بانقسام كونفدرالية الهقار...».

محمد سيف الإسلام بوفلاقة

■ مُوسى بن علي (اللالتي) (و: 1045ه - 1635م)

هو (موسى بن علي بن موسى اللالتي)؛ يكاد يقع الإجماع على أنه حسني النّسب، وقد نشأ وترعرع في مدينة (تلمسان) العريقة، و تعد مدينة (تلمسان) الجزائرية واحدة من أهم المدن العربية العريقة، حيث إنها تحظى بقيمة تراثية، ومعنوية كبيرة، وتتميز بتاريخها العريق، ومآثرها الحضارية، و توصف تلمسان بجوهرة المغرب العربي، حيث إنها تحتل موقعاً في غاية الرّوعة، وهذا ما جعل (الخطيب بن مرزوق) يقول عنها: «يكفيك ماؤها وهواؤها»، تُشرف على هضبة صخرية واسعة، وتتوسط أودية التافنة والصفصاف، وعلى شمالها نجد الكثير من السّهول الخصبة الخضراء، ومن الجنوب يحيط بها طوق «لالاسيتي»، الذي هو بمثابة حصن يحميها من هجمات الأعداء، إضافة إلى مجموعة من الأسوار والحصون العريقة، ويجمع الدّارسون-أو يكادون- على أن(تلمسان) قد بلغت أوج ازدهارها العلمي والأدبي في عهد الدّولة الزّيانية، ومن أبرز الأسماء اللامعة التي اشتهرت في تلك المرحلة نذكر: (ابن خميس التلمساني)، و(محمّد بن يوسف القيسي) المعروف بالثغري التلمساني، فقد كانت في تلك الفترة قبلة للعلماء والطلاب، وقد كان للكثير منهم دور كبير في نقل معالم الحضارة الإسلامية إلى إفريقيا الوسطى والغربية، عندما كانت القوافل التجارية تنطلق من (تلمسان) نحو ما وراء الصّحراء،

ونظراً لأبعادها الثّقافية، والحضارية، والعلمية، وأمام زخمها التاريخي، والحضاري الذي اتسمت به، واعترافاً بدورها الثّقافي والحضاري المتميز، فقد تم اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية سنة: (1432ه / 2011م)، حيث احتفلت الجزائر، والعالم الإسلامي باختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية، وذلك تقديراً، وتكريماً لهذه المدينة حاضرة التاريخ، والحضارة الإسلامية.

يذكر مجموعة من المؤرخين الذين ترجموا لأعلام التصوف في الجزائر، أن الشّيخ (موسى بن علي بن موسى اللالتي) كان من شيوخ العلم والتصوف، ويُدرس كتب الصّوفية في منزله بالعباد، وهي قرية عريقة تتميز بأزقتها المتميزة والضيقة، وتذكر المصادر التليدة أنها شيّدت إبان دولة(بني مرين)، وهي تضم عدداً كبيراً من الآثار التاريخية المُهمة، ويعتبر ضريح مسجد (سيدي أبي مدين الغوث)، الذي يقع بقرية (العباد) (جمع عابد)، التي تبعد بكيلومترين عن تلمسان تحفة فنية راقية، «وآية من آيات الجمال الفني، التي تُبرز روعة الهندسة العربية البديعة، وقد شيده محمّد النّاصر بن المنصور الموحدي على قبر الولي الصّالح والعلاّمة الشّهير الشّيخ سيدي شعيب بن حسين الأندلسي الملقب بأبي مدين الغوث، الذي وُلد بإشبيلية سنة: (520ه).

وقد توفي الشّيخ (موسى بن علي بن موسى اللالتي) في الأيام الأخيرة من ذي القعدة، عام: (1045هـ)، الموافق لسنة: (1635م).

يقول الأستاذ (عبد المنعم القاسمي الحسني) عن الشّيخ (موسى بن علي بن موسى اللالتي): «كان في الأصل من سُكان البوادي، ثم نزل تلمسان وسكنها؛ حيث قدم إليها من (ولهاصة)-بالقرب من تلمسان-...اتخذ من الزّهد طريقة للحياة، وكان ناقماً على الحياة السّياسية والاجتماعية بتلمسان، صاحب كرامات كثيرة، أورد بعضها ابن الصّائم في كعبة الطّائفين، ووصفه بقوله: (كان لا ينام الليل، ويتغذى بالأذكار والأسرار، متواجداً متطارحاً)، كان يُردد دائماً: قد غبت عن حبيبي حتى انحل رسمي، أولع بالمطالعة، وجمع الكتب، بالرغم من فقره، وكثرة عياله، نالت قصيدته شهرة كبيرة، وتصدى لشرحها الكثيرون، لعل أشهرهم تلميذه ابن الصّائم، وقد حفظ لنا التاريخ هذا الشّرح».

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، منشورات دار الخليل القاسمي، الجزائر، ط: 01، 1427هـ/ 2007م.
- د.سعد بوفلاقة: أوراق تلمسانية، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1432هـ/ 2011م.

■ مُوسى بن عيسى (المازوني)
(و:770ه - 1369م)

هو موسى بن عيسى (أبو عمران) المازوني؛ وُلد سنة: (770هـ) بمدينة(مازونة) بالغرب الجزائري، وفيها نشأ وترعرع، وتعلم؛ حتى أضحى من أكبر فقهاء المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط(الجزائر)، كان قاضياً، وخلف عدة مؤلفات، من بينها: «ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار»،و «الرائق في تدريب النّاشئ من القضاة وأهل الوثائق»، و«حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه».

وقد توفي الشّيخ موسى بن عيسى (أبو عمران) المازوني، سنة: (845هـ)،و أنجب الشّيخ (موسى بن عيسى المازوني) أحد كبار علماء الجزائر، فهو والد(يحيى)، المعروف باسم (يحيى بن موسى بن عيسى بن يحيى أبو زكرياء، المغيلي المازوني) ؛ الذي كان من أعيان المالكية، وخلف عدة مؤلفات، من بينها: «الدرر المكنونة في نوازل مازونة».

يقول الشّيخ (أبو القاسم محمّد الحفناوي)عنه: «أبو عمران موسى بن عيسى المازوني عالم جليل، وعامل أصيل، تمكن في السّنة حتى لم يدع مدخلاً إلا سده، ولا لأهلها مقتلاً إلا قده، فهو في الدّين طود شامخ ذو مجد باذخ على أولياء الله مناضل، وفي سبيل الذب عن حماهم مُقاتل، وقفت له على تأليف عظيم القدر كبير الفائدة، لخصه من كتاب له في مناقبهم سماه ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، واقتصر في ملخصه على مناقب المشيخة

المشتهرة بالصلاح في أوطان السّلف(الوادي المعروف)، وذكر فيه علماً كثيراً نافعاً...وصفه بعضهم بالفقيه الأجل المدرس المحقق القاضي الأكمل، وهو والد صاحب النّوازل».

يقول الأستاذ (عبد المنعم القاسمي الحسني) عن الشّيخ (موسى بن عيسى المازوني): «الفقيه الأجل المدرس المحقق القاضي الأكمل، موسى بن عيسى بن يحيى المغيلي، قاضي مازونة، وهو والد صاحب نوازل مازونة، أخذ عن أبي محمّد عبد الحق الملياني، وتمكن في السّنة»

محمّد سيف الإسلام بوفلاقة

المصادر:

- أبو القاسم محمّد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السّلف، الجزء الثّاني، منشورات موفم للنشر، الجزائر، 1991م.
- عادل نويهض: مُعجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثّقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 02، 1400هـ/ 1980م.
- عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، منشورات دار الخليل القاسمي، الجزائر، ط: 01، 1427هـ/ 2007م.

■ موسى زقاق
(و: 1322ه - 1905م/ت:1360ه - 1942م)

ولد الشّيخ موسى زقاق عام 1905، والده الطّاهر كان شيخ زاوية العلية بالجزار، فكان نشوءه في أسرة متدينة حافظة للقرآن الكريم، أرسله والده إلى زاوية الحداد بالقبائل الكبرى حيث تعلم مبادئ اللغة والأدب والعلوم الشّرعية، ثم انتقل إلى قسنطينة حيث درس عند الشّيخ عبد الحميد بن باديس، ثم انتقل إلى جامع الزّيتونة بتونس إلا أن مقامه لم يطل وعاد إلى قسنطينة لاستكمال دراسته بالجامع الأخضر، ولما أكمل دراسته عاد إلى مسقط رأسه بريكة مؤديا الرّسالة العلمية والدينية وفي ذي الحجة من عام 1354ه / 1935م، زار عبد الحميد بن باديس مدينة بريكة على رأس وفد من رجال جمعية العلماء المسلمين وكان الهدف من الزّيارة تنصيب الشّيخ موسى زقاق إماما على مسجد بريكة (مسجد الشّيخ عيسى يحياوي العتيق حاليا)، وحظي الشّيخ ابن باديس ووفده بتكريم وافر من أهل بريكة فكان هذا التنصيب انطلاقة كبيرة للشيخ موسى زقاق في مجال الوعظ والإصلاح وتربية النفوس، حيث اتبع في ذلك النهج البادیسي في التربية والتعليم فإلى جانب ما كان يقدم من دروس في المسجد وتحفيظ القرآن للناشئة وللكبار فقد أسّس مدرسة في السنة نفسها (1935) لتدريس علوم العربية وعلوم الشّرع.

فكانت المدرسة الأولى قرب مسجد العتيق في منزل مسعود بن بوزيد قبابي الذي منحه منزله لأداء هذا العمل النافع، وشرع الشّيخ في تسجيل الناشئة حيث اعتبر سكان بريكة هذا الأمر فتحا عظيما، ولكن الاستعمار الفرنسي لم يترك الأمر يسير ببساطة، فطلبت من الشّيخ إصدار الرّخصة من الإدارة الفرنسية وإلا ستغلق المدرسة وواجه الشّيخ موسى هذا الأمر بتحد وواصل مشواره التعليمي واصطدم مرة أخرى مع بعض المغرضين الذين أرادوا إجهاض هذه التجربة خاصة بعد أن سجل الشّيخ البنات للدراسة بالمدرسة رفقة الذكور، فكان المغرضون يواجهون الأمر بتهكم «هذا علم إبليس «، فاضطر الشّيخ إلى فصل الإناث عن الذكور.

ولم يتردد الشّيخ في إرسال النجباء من التلاميذ إلى قسنطينة، وفي سنة 1936 عينه الشّيخ عبد الحميد بن باديس في لجنة الدعاية فيذكر الشّيخ العربي التبسي أن: « المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين قرر في جلسته المنعقدة في 1355ه الموافق ل 01 أكتوبر 1936م تأسيس أربع لجان فرعية أعمال خصوصية وهي: لجنة الأدب، لجنة الدعاية لجنة التعليم ولجنة الإصلاح الاجتماعي، وقسم المشايخ على هذه اللجان مراعيا كل عضو واختصاصه القريب بأعمال اللجنة التي نسب إليها وكفاءته المشهودة المبنية على التجارب في العمل الخاص باللجنة والقوة النفسية التي يعهدها في كل عضو، فكان الشّيخ موسى زقاق والشيخ محمد بعلي الشّريف بلجنة الدعاية والشّيخ عيسى يحياوي بلجنة التعليم...»

ثم أنشأ الشّيخ مدرسة السُنة عام 1937 وكان مقرها بالشارع الرّئيسي للمدينة، وواجهت هذه المدرسة اضطهادا من السلطات الاستعمارية أدت إلى غلقها لمدة خمسة أشهر استمر الشّيخ في أعماله الخيرية والثقافية، حيث كان ينفق من ماله في سبيل إصلاح شؤون الناس، وذكر في جريدة البصائر على أن الشّيخ موسى زقاق كان من المتبرعين لصندوق الطّلبة بقسنطينة عام 1938 بمبلغ مقداره 50 فرنك

توفي الشّيخ موسى زقاق عام 1942 وترك وصية بتعيين الشّيخ عيسى يحياوي إماما ومدرسا ومديرا على

مدرسة ومسجد العتيق الذي سمي عليه فيما بعد، ومازال الكثير من أهالي بريكة يذكرون الشّيخ وخصاله الحميدة، فيذكر تلميذه سلالي السعيد: « لقد كان شيخنا مثالا نادرا في الأخلاق الحسنة وقدوة في الكرم والجود وطيب الخاطر، فقد كان يقضي جل وقته مع طلبته سواء في المدرسة أو المسجد، فقد تفرغ للعلم وأناب عنه ابنه في شؤون الحياة الأخرى كتدبير أمور البيت.»

فاتح نواري

■ مولاي إبراهيم عبد الوهاب
(و: 1343ه - 1925م/ت: 1431ه - 2010م)

من مواليد 12 مارس 1925 بمنطقة عين لعراك من قبيلة أولاد سيدي الحاج بن عامر، وهي إحدى القبائل العربية الوافدة، إذ انتقل عامر إلى تلمسان عند الولي الصّالح محمّد بن يوسف السّنوسي فزوجه إبنته الشّريفة فاطمة والتي اشترك معها بولدين هما الحاج وإبراهيم. وبعد وفاة زوجته انتقل إلى بلاد بني يعقوب بالقرب من الجعافرة بصحبة أولاده ثم افترق عنهم، فأما سيدي الحاج بن عامر فانتقل إلى الصّحراء بالقرب من جبل عمور، أما سيدي إبراهيم بن عامر استقر بالقرب من ملوية بالمغرب.

ترعرع وسط أسرة متواضعة متمسكة بالتقاليد العربية. لمتهن منذ ضغره رعي الغنم والفلاحة وكان عند تراجع المحصول يسافر شتاء إلى أدرار لجلب التمور وصيافا إلى تيارت لجلب القمح. ولقد واكب عن كثب معاناة محيطه واكتشف ظلم الاستعمار الفرنسي مبكرا.

منذ صغره اكتفى بمبادئ تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرين الكريم على يد عمه مولاي محمّد.

في حدود 1940 رفض إبراهيم التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، إذ فضل الإلتحاق بمنطقة بشار للعمل بالسكة الحديدية، وهناك اطلع على تجربة التجمعات العمالية النّاشطة في مجال استخراج البترول ليعود في سنة 1941 إلى البيض ويبقى مع إخوته في منطقة الصّبيحي البعيدة عن البيض بحوالي 30 كم، حيث ظل مكلفا بشؤون الفلاحة والتجارة.

تفاعل إبراهيم مع إرهاصات النّشاط السّياسي التي نهضت به الحركة الوطنية انضم في سنة 1947 إلى خلية مسؤولها ابن عمه مولاي محمّد وبن ديدة الشّيخ وحسني أحمد. شارك في حملة انتخاب أول مجلس جزائري بموجب القانون الخاص الصّادر في 20 سبتمبر 1947.

نشط في القسم 15 (البيض والابيض سيدي الشّيخ) النّاحية الثّالثة من الولاية الخامسة واهتم بمسألة تأمين السّلاح إلى غاية صائفة 1955. كما شارك في العديد من العمليات العسكرية منها كمين «الزرزور الأول» في نوفمبر 1955 بين الأربوات والابيض سيدي الشّيخ والذي استهدف حافلة ركاب قادمة من البيض نحو الأبيض سيدي الشّيخ. وكمين « مطي» اين تم مهاجمة سيارة كان على متنها ملازم وجندي فرنسيين وقد استولى إبراهيم على مسدس الملازم وقتله به، كمين لكريمة بأربوات استهدف حافلة كان على متنها الآباء البيض حيث رفض إبراهيم قتل هؤلاء باعتبار أن الثّورة كانت موجهة للإستعمار وأتباعه فقط. كما شارك في اكتوبر 1956 في معركة الشّوابير الشّهيرة بجبل عمور. وفي سنة 1958. تولى مسؤولية قيادة المنطقة الثّالثة من الولاية الخامسة مابين 1958–1962 وخلالها أشرف على تنظيم كومندو المنطقة الذي كان يضم حوالي 99 جندي لا يتعدى سنهم 24 سنة أطلقت عليه فرنسا إسم " الشّيطان الأحمر" نظرا لقوته ومن أهم العمليات العسكرية التي قادها هذا الكومندو كان كمين عين القصور في 9 جانفي 1959 وكمين لقليتة في 21 ماي 1959.

كما كان للمجاهد دور كبير في مواجهة مشروع فصل الصّحراء وتنظيم الثّورة بالعرق.

شارك في مؤتمر طرابلس (28 ماي–7 جوان 1962) وفي تدخله دعا إلى إعطاء أهمية للجنوب. وكان من الموقعين على محضر إدانة بن يوسف بن خذة كما كان من الحاضرين في تلمسان» جماعة تلمسان.

وخلال أزمة صائفة 1962 قام أحمد بن بلة بتعيين سي عبد الوهاب رفقة اعمر أو عمران وجلول الملايكة من أجل التفاوض مع الولاية الرّابعة.

إن المهام التي تولاها سي إبراهيم بعد الإستقلال تندرج ضمن سياسة تأكيد سياسة الحزب على الدّولة وكان ضمن قائمة المرشحين التي قدمها المكتب السّياسي لانتخابات المجلس الوطني التأسيسي في 20 سبتمبر 1962، حيث ترشح ضمن دائرة سعيدة.

اثناء أحداث اتفاقية 19 جوان 1965 كان سي عبد الوهاب بالبيض وقد كان مؤيدا لنظام بن بلة ولهذا تم إعتقاله ليوم واحد بعد الانقلاب، ثم سجن مرة أخرى بسعيدة ليطلق سراحه لاحقا.

استقال من تنظيم حزب جبهة التحرير الوطني سنة 1969 وابتعد نهائيا عن الحياة السّياسية ليقضي فترة من الزمن ببشار ويعود بعدها إلى البيض. توفي في 10 جوان 2010 في مستشفى عين النعجة بالعاصمة عن عمر يناهز خمسة وثمانين سنة لينقل جثمانه إلى البيض أين وري التراب بمقبرة أولاد الحاج بن عامر بحضور شخصيات سياسية وتاريخية.

نظيرة شتوان

المصادر:

- عتيقة مصطفى، «المجاهد مولاي إبراهيم الرّائد عبد الوهاب حياته ومسيرته النّضالية»، مجلة عصور الجديدة العدد 7، 8، / 2012-2013، ص 318إلى ص 331.

■ مولاي الحاج محمّد
(و: 1347ه - 1929م/ ت: 1376ه - 1957م)

ولد الشّهيد مولاي الحاج محمّد ابن محمّد وبوسيف حدهوم بمدينة الغزوات في 02 أبريل 1929. التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في سنة 1955 واستشهد في 16 أبريل من سنة 1957.

الشّهيد مولاي الحاج محمّد كان المفضل المحبوب من قبل رفاقه المجاهدين لرزانته وحنكته وإخلاصه وحبه لوطنه.

يعد الشّهيد مولاي الحاج محمّد من الشّهداء المفاخر الأمجاد للمنطقة الثّانية الذين ناضلوا من أجل أن تتحرّر الجزائر.

قدّر الله وشاء، أن يرحل الشّهيد مولاي الحاج محمّد من هذا العالم في نفس اليوم الذي ولدت فيه ابنته الوحيدة، التي تقدمت شخصيا بشهادة تروي من خلالها قصة استشهاد والدها الشّهيد مولاي الحاج محمّد.

في سنة 1955، بمدينة الغزوات، أبدى فيها جيل من أبناء تلك المدينة، حماسه وحميته للثورة ضد المستعمر الفرنسي وتحقيق الاستقلال، فكان من وراء كل الكمائن التي نُصبت وكل الهجمات التي شُنّت مستهدفين القوات الفرنسية، ذلك ما أدى بهذه الأخيرة إلى تعزيز صفوف جيشها وتكثيف عملياتها التمشيطية لدرجة أن جعلت من المنطقة معسكرا مفصولا عن باقي المناطق.

وتروي ابنة الشهيد: «عاشت أسرتي السّاكنة بحي سيدي اعمر المتواجد شرق الغزوات يوم ولادتي مصيبة مفزعة أحداثها مأساوية ومؤثرة جدّاً. بينما كان والدي في الجيش مجاهدا مناضلا من أجل تحرير وطنه، كانت أسرتي الصّغيرة المتكونة من الأم والجد والجدّة تحت أعين السّلطات الفرنسية محروسة حراسة مستمرة متواصلة. علم أبي أن زوجته التي تركها حُبلى وضعت له مولودة جديدة. ومن شدة فرحته تعجل لرؤيتها، فأسرع للالتحاق بالبيت العائلي رفقة مجموعة من إخوانه المجاهدين، متسترين متنكرين تجنبا لمقابلة العدو. انفعل والدي وتأثر عند أول لحظة رآني فيها، فأشالني بضمة واحتضنني بذراعيه حضنةً كلها عطف وحنان، من شدّة الشّوق.

كانت عمّتي التي تقطن بالقرب من دارنا حاضرة في تلك العشية لمقاسمة العائلة فرحتها، فقامت باستضافة أبي بيتها المجاور رفقة إخوانه المجاهدين إلى مأدبة عشاء احتفاءا بولادتي. لكن عمّتي لم تكن تدري أن زوجها متواطئ مع جيش الاحتلال، فما أن رأى والدي حل بدارنا، حتى أسرع كالبرق مستعملا دراجته الهوائية لإعلام عسكر الاحتلال بحضور والدي إلى بيته.

بينما كانت العائلة والضيوف متحلقين حول مائدة العشاء يتقاسمون فرحتهم، سمعوا محركات سيارات الجيش الفرنسي تعرج بنحو البيت، فتحقق الأمر بأن أفراد الجيش حاصروا البيت بكامله، وكانوا يترقبون لحظة الهجوم، اتجه والدي إلى نافذة البيت للتأكد مرة ثانية ليرى بعين اليقين ما يحدث خارج البيت، فإذا به يبصر أضواء سياراتهم المنبعثة موجهة نحو البيت وأمام كل سيارة مجموعة من الجنود المدججين بالسلاح انذهل والدي وتيقن أن الموت أحاط به وبرفاقه المجاهدين من كل جانب، فما بقي له إلا أن ارتدى جلابيته بسرعة كلمح البصر ليخفي بدلته العسكرية بدلة المجاهد، وخرج من الجهة الخلفية للبيت مسرعا هو ورفاقه، وبغتة عندما أراد أن يتسلق الحائط تمسكت جلابيته بالحائط فتمزقت وانكشف حاله، فأطلق عليه العسكر

في الحال وابلا من الرّصاص أصابه في رأسه فطرحه على الأرض شهيدا.

بهذه الكيفية قتل والدي الشّهيد مولاي الحاج محمّد مصابا في رأسه برصاص العدو الجائر على مرأى من أفراد عائلته يوم ولادتي حدث ذلك في يوم الثّلاثاء 16 أبريل 1957 في يوم من أيام شهر رمضان المبارك، في يوم لم يسعدني الحظ ولا الزمن أن أعرف والدي، لكن بالمقابل أبدلني الله تعالى فضلا وهبة أن توفى أبي شهيدا من أجل حرية الجزائر.

نظيرة شتوان

المصادر:

- فاطمة الزهراء حوتية: السياسة الفرنسية في الجنوب الغربي الجزائري، ص 94.
- مديرية المجاهدين لولية البيض، نبذة تاريخية للشهيد مولي محمد.

■ مولاي عبد الله الرّگاني
(و:1250ه - 1833م/ت: 1317ه - 1900م)

الشهيد مولاي عبد الله الرّگاني، بن مولاي العباس، بن مولاي عبد الله المعروف بسيدي بله، ولد في حدود سنة 1250 ه الموافقة 1833م برگان، فهو ينتمي إلى الزاوية والطريقة الرّگانية الشّهيرة بتوات وهو سليل مؤسسها مولاي عبد الله الرّگاني وابنه مولاي عبد المالك، وهذه الزاوية والطريقة التي كان لها دور علمي وجهادي كبير في منطقة توات والمناطق المجاورة.

حفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ اللّغة العربيّة والفقه والحديث. وانتقل بعدها إلى قرية أولاد إبراهيم بعرش تيمي، وهناك تضلع في مختلف العلوم على يدّ الشّيخ مولاي اعلى بن سيدي حمادي المعروف بمولاي اعلى الشّريف، رجع بعدها إلى مسقط رأسه برگان ليمارس نشاطه كباقي أقرانه من العمل في الزّراعة وخدمة الفگارة والسهر على خدمة الضّيوف القادمين للزاوية، وبعد أن اشتد عضده بدأ وكعادة أغلب سكان توات في الخروج مع القوافل التجارية المتّجهة إلى بلاد السّودان الغربي، وهناك حط الرّحال في مدينة تمبوكتو والتي كانت لها شهرة ومكانة لا تضاهيها أيّ من مدن السّودان الغربي كعاصمة ثقافية وتجارية، وفيها التقى بالعديد من العلماء وأخذ عنهم مختلف الفنون، وبقي هناك ردحا من الزمن.

وأثناء تواجده في تمبوكتو كانت تصل مسامعه الأخبار عن ما يقترفه الاستعمار الفرنسي في وطنه، وكان يتأثر شديد التأثر بذلك ويبدي رغبته في الجهاد ومحاربة المستعمر، وكان يبعث السّلاح من تمبوكتو إلى الزاوية الرّگانية في أكياس جلد البعير تسمى أغرغير استعداد للحرب.

وبعد عودته لمنطقة توات سنة 1885م واستقراره بها نهائيا بدأ مباشرة في توعية النّاس وحثهم على الجهاد في سبيل الله، وتحذيرهم من المستعمر الغاشم ومكايده. أسس دار المكاحلية في الزاوية الرّگانية في مكان يسمى الميشار، وهي بمثابة مصنع صغير للسلاح يتم فيه صناعة البارود، وإصلاح البنادق، وتدريب الشّباب على الرّماية. وتنقل كذلك إلى مدينة أولف أين يوجد منزل جدّه بزاوية حينون، وأسس هناك أيضا دار المكاحلية وجهزها بأدوات صناعة البارود، والدار لا زالت موجودة إلى اليوم.

وفرقة الرّماية أو ما عرف فيما بعد (لمكاحلية) فرقة قديمة في الزاوية والطريقة الرّگانية، يعود تأسيسها للمؤسس مولاي عبد الله الرّگاني الذي جعل لها أوراد مخصصات وأماكن تدريب، وتقوم هذه الفرقة على أساس جهادي محضّ، نابعا من كون الجهاد هو أعلى درجات التصوف وخدمة الدّين.

خرجت حملة فرنسية من ورگلة سنة 1899 وكانت مهمتها تقديم دراسة عن الطّرق التي يمكن أن تسلكها القوافل من الجزائر إلى توات ومنها السّودان، ووصلت الحملة إلى عين صالح وعندما علم السّكان بوصولها بدأت الاستعدادات لمواجهة هذه الحملة وهاجم المجاهدون الحامية بشجاعة وبسالة.

ولكن نظرا للأسلحة المتطورة التي كان يمتلكها العدو، ووجود عدد كبير من الرّماة والصبايحية الذين يعرفون المنطقة جيدا تمكن الفرنسيون من صد الهجوم، وتكبيد المهاجمين خسائر فادحة في الأرواح، وإجبارهم على الانسحاب، مخلفين وراءهم غنائم كثيرة غنمها العدو، وبعد هذه المعركة تمكن الفرنسيون من احتلال عين صالح،

ولم علما سكان توات بذلك بدءوا في الاستعداد لمواجهة المستعمر وتحرير المدينة، وتم جمع السّلاح والمؤن والجند ومراسلة الأعيان في توات وغيرها من أجل تقديم المعونة وجاء المتطوعين من مختلف أنحاء توات، ولم أتم استعداداته تقدم الشّهيد ممتطيا فرسه ومتوجها بجيشه نحو عين صالح، وكان المجاهدون يلبسون ثيابا مزركشة، ويضعون الحناء كالعرسان، وتجمعوا بقرية البركة وكانت الخطة التي وضعها الشّهيد هي المبيت في قرية البركة ثم التوجّه إلى عين صالح في اليوم الموالي مباشرة ومهاجمة الجيش الفرنسي هناك، لكن المستعمر علم من خلال عيونه بتحركات المجاهدين والخطة التي وضعوها فعمل من خلال جواسيسه بإقناع المجاهدين بالابتعاد عن مسالك البساتين ومباغتة الفرنسيين من الخلف وهو ما انطلى على المجاهدين الذين هاجموا القوات الفرنسية ليلا من جهة الدّغامشة على بعد كيلومترين من جنوب عين صالح، في وقت كانت القوات الفرنسية تتحصن بالكثبان الرّملية، عند مكان زاوية الماء وهي منطقة جرداء مستوية لا تساعد على الهجوم، وعند وصول المجاهدين إلى هذا المكان هاجمتهم القوات الفرنسية، ورغم إدراك المجاهدين للكمين والخطأ الذي وقعوا فيه إلا أنهم رفضوا الاستسلام أو الفرار بل آثروا الشّهادة وهو ما جسده شاعر المقاومة عبد النّبي بوتقي بقوله:

الغلبة ماهيش عيب عيب الإستدبار
هذه خلقة في عهد النّبي حرك أحنا
لكن المكتوب وين نهرب من القدر
لابد نصرفوا هذا الشّي دراكنا

ونظرا لعامل المفاجأة والاختلاف في العدة والعتاد وبدائية أسلحة المجاهدين وانفجار برميل االبارود منيّ المجاهدين بهزيمة قاسية وسقط منهم أكثر من 150 شهيدا وفي مقدمتم مولاي عبد الله الرّگاني، في 04 من جانفي 1900، وجسد شهيد مولاي عبد الله الرّگاني موقفا بطوليا وقرارا يصعب اتخاذه بقبول المواجهة مع المستعمر وهو يدرك تفوقه في العدة والعتاد ولكنه آثر الشّهادة على الاستسلام والرضوخ وهنا تذكر الرّوايات أن المجاهدين قدموا على المعركة كالعرسان وحملوا معهم حنوطهم وأكفانهم، وأدوا ما عليهم من ديون، وهذا دليل على قوة إيمانهم، وإيقانهم بالشهادة، بعدما سمعوا بقوة العدو وعدته فلم يهابوه وآثروا الموت على الرّضوخ له.

بوزيد سلامي

المصادر:

- محمّد بن مصطفى بن الحاج الرّقادي الكنتي، نبذة عن حياة الشّيخ مولاي عبد الله الرّگاني، مخطوط، نسخ شاري الطّيب بن عبد الله، خزانة كوسام، أدرار.
- عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العربيثة، 2006.
- مبارك جعفري، الشّهيد مولاي عبد الله الرّگاني قائد مقاومة الدّغامشة بعين صالح، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 17.

ن

■ نعيم النعيمي
(و: 1327ه - 1909م/ ت: 1393ه - 1973م)

الشيخ العلامة النسابة المحدث الفقيه اللغوي المدرس المصلح نعيم النعيمي بن أحمد بن علي بن صالح. ولد سنة (1909م، 1327ه) في قرية سيدي خالد (غرب ولاية بسكرة على الحدود مع ولاية الجلفة- الجزائر)، وهو سابع إخوته الثَّمانية، بمكان يسمى (الخماري) وهو من قبيلة أولاد حركات التي تعرف بتلك المنطقة؛ وهي قبيلة عربية اتصفت بالعلم والعمل والكرم.

نشأ نعيم النعيمي على تعلم القرآن. وحفظه على يد خاله الشيخ مصطفى بن صحراوي في بلدة سيدي خالد، وهو ابن تسع سنوات. وتلقى المبادئ الأولية من القرآن الكريم عن الشيخ محمد بقيرة في الزاوية المختارية بأولاد جلال، ثم انكب على حفظ متون اللغة العربية ورسائل البلغاء قديما وحديثا، وتعلم الفقه المالكي والتفسير والأصول والبلاغة والعروض وعلم المنطق على عدد من شيوخ عصره، حيث مكث في هذه الزاوية أربع سنوات.

قصد تونس سنة (1924م)، لمزاولة دراسته بجامعة الزيتونة، ولكنه لم يمكث فيها بسبب ظروف مادية كان يمر بها، ثم عاد ليتنقل في الغرب الجزائري. واتصل بشيوخ جمعية العلماء الجزائريين في كل من الجلفة ومستغانم وتيارت ومعسكر والشلف، إلا أن مكوثه طال في مدينة الشلف باحثًا ومنقبًا عن الكتب والمخطوطات ومجالسة العلماء.

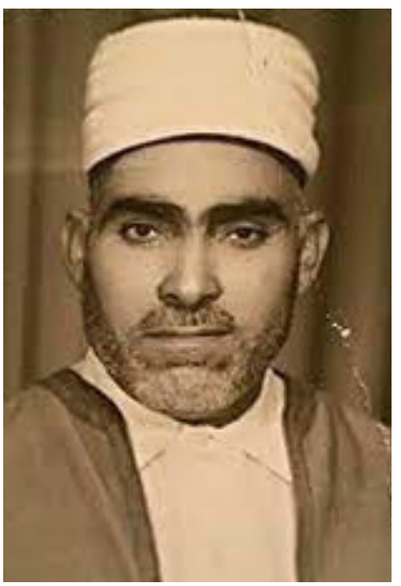

من شيوخه في الزاوية المختارية بأولاد جلال نذكر:

- الشيخ العالم الأديب والشاعر العابد بن عبد الله (هو ابن الشيخ محمد بن العابد الأديب الشهير).
- الشيخ مصطفى بن قويدر الضرير العالم الأديب الشاعر.
- الشيخ العوامر إبراهيم صاحب الكتاب التاريخي (الصروف في تاريخ الصحراء وسوف).

وكان -حتى في آخر أيامه- يتحدث عن شيوخه في الزاوية المختارية بشيء من الإجلال والتعظيم ويعترف لهم بالفضل الجزيل وكان يصفهم بغزارة المعرفة والتمكن البالغ من المعارف الدينية واللغوية والورع الشديد والتعبد الدائم، وتخرج من هذه الزاوية سنة (1342 ه – 1923م) بعد أن وعى واستوعب ما فيها.

أما في تونس فقد قرأ وحفظ القراءات عن الشيخ عثمان والشيخ إبراهيم عوض. وتوجه إلى الإسكندرية واتصل بالشيخ محمد بن عبد الرحمن وناوله ألفيته في القراءات، وبعامة فقد اتصل بعلماء كثيرين في البلاد العربية وأخذ عنهم الأحاديث النبوية رواية ودراية

وقد أجمع عارفوه أنّه ذو نفس عصامية وعزم شديد. سهلت عليه الضرب والسير في البلاد بعيدا عن مضارب أهله. ودام ذلك عددا من السنين، احتك فيها بأهل العلم واستفاد منهم، وهذا ما جعل الشيخ البشير الإبراهيمي يدلي فيه بكلمة حق وشهادة هذا نصها: « وأما الشيخ نعيم النعيمي فهو عصامي في العلم. حجة على أن الذكاء والاستعداد يأتيان مع قليل من التعليم بالعجائب. والرجل مجموعة مواهب. لو نظمت في الصغر ووجهت لجاءت شهادة على أن لا مبالغة في كل ما يروى عن أفذاذ المتقدمين، فهو يحفظ الأحاديث بأسانيدها لا على طريقة عبد الحي. ويحفظ عدة ألفيات في السير وعلوم الأثر والنحو وغيرها. ويحفظ كثيرا من متون العلم. ويجد فهمها وتفهيمها ويحفظ جزءا غير قليل من اللغة

مع الثقة في التراكيب. ويحفظ أكثر مما يلزم الأديب حفظه من أشعار العرب قديمها وحديثها. ومن رسائل البلغاء، وينظم قطعا من الشعر كقطع الروض نقاء لغة. وصفاء وديباجة وحلاوة صيغة. وقد أسس له الرجز قيادة. فهو يأتي منه بالمطولات لزومية منسجمة سائغة في روية تشبه الارتجال. وهو ثاني اثنين من رجاز العرب في عصرنا هذا. ولو شئت لذكرت الأول... وإنما أثرت نعيما بهذه الكلمات لأنه ليست له شهادة فجئته بهذه الشهادة فقد كان موسوعي ويأخذ من كل علم بطرف وبقوة، كأنّ مايتوافر عليه الشيخ النعيم يمن علم غزير، هو الذي جعل الإمام الإبراهيمي يصطفيه للتدريس بمعهد ابن باديس رغم أنه لايحمل شهادة علمية، واعتبر الإمام ما قاله في الشيخ النعيمي «شهادة»، وما أعظم هذه الشهادة في حقه، كما قال فيه الشيخ أبويعلى الزواوي بأنه «الزمخشري ذات وصفة وفصاحة ولغة».

سنفصل الحديث أكثر على انتسابه إلى جمعية العلماء المسلمين: فلم يكن نعيم النعيمي يقف بعيدا عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. بل سرعان ما اشترك في اجتماعها التأسيسي عام 1931م، بصفته عضوا عاملا. وتقرب من الشيخ ابن باديس الذي أعجب بشخصيته وعلمه، فصار من دعاة الجمعية وأعضائها البارزين في الغرب الجزائري ثم في بسكرة، وعين أستاذًا في معهد ابن باديس منذ تأسيسه (1947)، وعمل مدرسًا في عدد من المدن الجزائرية، منها الشلف (الأصنام)، وطولقة، وبسكرة

كما شارك في ثورة التحرير منذ سنواتها الأولى، وأصبح بعد الاستقلال من كبار موظفي الشؤون الدينية، ومفتشًا في ولاية قسنطينة.

كان أحد أعضاء وفد جمعية العلماء المسلمين المشارك في المؤتمر الثقافي الإسلامي (تونس 1949).

وكان عضوًا في مجلس البحوث الإسلامية، ومثّل بلاده في عدد كبير من المؤتمرات الإسلامية منها مؤتمر تونس 1963م حول الشهور القمرية، ومؤتمر ماليزيا 1969م حول الصوم وعيد الفطر.

شغل منصب رئيس لجنة الإفتاء في المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر.

له قصائد نشرت في مجلة الأصالة - العدد 16 - 1973، وقصائد ومقطوعات (مخطوطة).

له نظم (قطر الندى وبلّ الصدى) في النحو وهو موضوع البحث، وله محاضرات حول تاريخ الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي والجزائر، ودروس في التفسير ألقاها على طلبة كلية الآداب بجامعة قسنطينة .

شعره ذو طابع تقليدي، اتسمت قصائده بالقصر، وغلب عليها المناسبات والمجاملات والإخوانيات والوصف، واعتمدت كثيرًا على الرجز، وسرت فيها خيوط من الدعابة وحسّ السخرية، وحافظت على العروض الخليلي والقافية الموحدة، وله محاضرات حول التاريخ الجزائري وبعض الدروس التي ألقاها على طلبة كلية الآداب بجامعة قسنطينة

كانت وفاته في 16 جمادى الأولى 1393 ه الموافق ل 17 جوان 1973م بقسنطينة ودفن بها. وقد حق فيه قول الإمام البشير الإبراهيمي: « يموت العظماء فلا يندثر فيهم إلا العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله وتبقى معانيهم الحية في الأرض. قوة تحرك. ورابطة تجمع. ونورا يهدي. وعطرا ينعش وهذا معنى العظمة. وهذا معنى كون العظمة خلودا»

بخولة بن الدين

المصادر:

- سليمان الصيد المحامي، صفحات من تاريخ الزيبان الثقافي، الشيخ نعيم النعيمي أنموذجا، المجلة الخلدونية، ع 2، 2003م.
- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج2.
- الشروق الصادر بتاريخ: 29 أكتوبر 2015، من الموقع الالكتروني: https: / /www.echoroukonline. com /echorouk-yawmi/ الاثنين-09-ديسمبر2024-

ي

■ يحيى بن محمّد بن الحاج أبي القاسم المصعبي (الشّيخ بابه بن محمّد) (و: 1129ه - 1716م /ت: 1207ه - 1792م)

الشّيخ يحيى بن محمّد بن الحاج أبي القاسم بن يحيى بن أبي القاسم بن محمّد بن موسى بن يحيى بن محمّد بن يونس بن علي المصعبي، الشّهير ب»بَابَه بن محمّد»، أصيل بلدة غرداية بمزاب، وأما «يونس بن علي» فهو الذي ينتهي إليه نسبه، وهو جدّ قبيلة «أولاد يونس» بغرداية، وهو نفوسيّ الأصل، ولد الشّيخ بابه ببلدة غرداية قبل سنة: 1129ه/ 1716م وهي السّنة التي توفّي فيها والدهُ، وتوفي الشّيخ «بابه» إلى رحمة ربه ضحوة يوم الأربعاء من أيّام شهر صفر سنة 1207ه، الموافق لشهر سبتمبر 1792م وكان عمره آنذاك يزيد على 78 عاماً، ودُفِن بمقبرة الشّيخ «بابا صالح» بغرداية.

نشأ الشّيخ بابه في عائلة علم وورع، وكانت البيئة التي ترعرع فيها بيئةَ علمٍ وصلاح وأخلاق، فوالدهُ الشّيخ «محمّد بنّ الحاج أبي قاسم» وهو الشّهير ب: «الشّيخ حمو والحاج» الغرداوي، كان شيخَ العزّابة في زمانه، وصاحبَ التآليف العديدة، أما جدُّه الشّيخُ أبو القاسم بن يحيى وهو كذلك عالمٌ ومؤلفٌ ومن عزّابة زمانه، فكان هذا الوسط من الدّوافع الأساسية التي جعلت «الشّيخ بابه» ينحو نحو والديه ويكون رجلَ علم ومجتمع.

أمّا تعلُّمه فكان على مراحل، أما المرحلة الأولى تتمثّل في تعلم الكتابة والقراءة ومبادئ اللغة، وحفظ القرآن الكريم بالمحضرة، تحت إشراف مُقرِئي حلقةِ العزّابة، والمرحلة الثّانية هي دراسة مختلف علوم الشّريعة في حلقة شيخ العزّابة ب"دار التلاميذ (إروان)" وذلك بعد استظهار القرآن الكريم والانخراط بذلك في هيئةِ التلاميذ (إروان)، هذا بالنّسبة للدراسة الابتدائية، أما الدّراسة الثّانوية والعليا فإن الشّيخ "بابه" قد زاولهما في معهد الشّيخ "أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي" ببني يزجن، وذلك ابتداء من سنة 1157ه أو قبلها، كما لا نستبعد أن يكون الشّيخ "بابه" قد أخذ نصيباً من العلم عن والده العالم الشّيخ "محمّد بن أبي القاسم" (ت: 1129ه)، وعن غيره من العلماء.

عاصر الشّيخ بابه رحمه الله من المشايخ والعلماء الكثير، نذكر أبرزهم: من قصر تغردايت: عمر بن صالح، وأبو بكر بن يوسف، وصالح بن سعيد...، ومِن قصر بني يسجن: عبد العزيز بن الحاج الثّميني، وموسى بن يحيى بن صالح الأفضلي، ويوسف بن حمو بن عدون، وإبراهيم بن بيحمان الثّميني، ومن قصر مليكة: عبد العزيز بن صالح، ويحيى بن إبراهيم، ومن قصر بنورة: موسى بن إسماعيل، ويحيى بن عيسى، ومِن قصر تجنينت: أبو بكر بن الشّيخ داود، وأبو عيسى بن إبراهيم، ومن قصر القرارة: بالحاج بن كاسي، وأخوه محمّد، وسليمان بن يوسف، ومن قصر بريان: إبراهيم بن سليمان، وأحمد بن قاسم.

أما أبرز العلماء الذين من تتلمذ الشّيخ بابه على أيديهم: والده الشّيخ محمّد بن أبي القاسم المعروف باسم «الشّيخ حمو والحاج»، وأبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي.

تقلّد الشّيخ «بابه» لمشيخة حلقة العزابة زمناً طويلاً فتخرّج على يديه كثير من الطّلبة، وخاصة من هيئة التلاميذ (إروان)، ونُدرِك ذلك إذا علمنا أنّ الشّيخ "بابه" هو رائد الحركة العلمية ببلدة غرداية بدُون منازع، وهذا إذا كان نشاط الشّيخ مُنحصِراً في المسجد وفي دار التلاميذ التابعة له، أما إذا تعدَّى إلى خارج إطار المسجد فلا شك أنّ عددهم يكون أكبر، ومع ذلك فإنّنا لم نقف على تخصيص اسم لواحد من هؤلاء التلاميذ.

من جانب تآليف الشّيخ فلم نقف له على شيء من ذلك، إلا: «قصيدة لامية» في مدح الشّيخ عمرو بن رمضان الجربي التلاتي (ت: 1187ه/ 1773م)، و»منظومة هائية" في أرش الجراحات، نظمها كذلك بأمر من شيخه "أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي"، وهي تحتوي على: 12 بيتاً، ومن الجدير بالذكر أنَّ الشّيخ بابه قد اهتم بنسخ كثير من الكتب، من ذلك: "شرح الجهالات" و"الموجز"، وكلاهما للشيخ "أبي عمار عبد الكافي الوارجلاني"، وقد انتهى من نسخهما عند الضّحى من يوم الأحد 13 شعبان 1157ه، وذلك بحضرة شيخه "أبي زكرياء يحيى بن صالح».

أعماله، ونضاله الاجتماعي: لما اكتملت عند الشّيخ «بابه» المؤهِّلات الأخلاقية والعلمية أُختِيرَ لقيادة المجتمع، إذالتحق بحلقة العزّابة، ثم أُسنِدَتْ إليه مشْيختُهَا،

هـذه المهمـة التـي تُعتَبَـرُ أعلـى وظيـفٍ في حلقـة العزابـة وأصعبَها في نفـس الوقت، إذ مـن مهامٍّ صاحبهـا الإفتاء وتحرير المسـائل على مسـتوى البلـدة، وإلقـاء دروس علميَّة وإرشـاديَّة في المسـجد، وتدريـس التلاميذ الـدّروس العليـا فـي مقرِّهـم -دار التلاميـذ (إروان)- وهكـذا، وبالجملـة فـإنّ شـيخ الحلقـة هو المشـرف العام علـى المجتمع، خاصـة مـن النّاحيـة الدّينيـة والاجتماعيـة والعلمية.

هذا على مسـتوى قصر غردايـة، أما على مسـتوى قصـور وادي مـزاب فـإن الشّـيخ «بابـه» قـد تبـوّأ رئاسـة (مجلـس الشّـيخ عمي سـعيد) والذي يهتمُّ بالنّوازل الشّـرعيَّة بالبحـث والفصـل فيهـا، وقـد حفِظَـت لنـا خزائـن المخطوطات مجموعـة من محاضِرِ بعـض جلسـات الأعيان علـى المسـتويين، تمتد فترة تاريخها بين سنتي: 1184ه و1202ه، وكان الشّـيخ «بابـه» وهـو المتصـدّر فيهـا والمشـرف عليهـا، وقـد نُقِلـت بعـض هذه المحاضر من خطِّ الشّيخ «بابه» نفسه.

رثاه صديقه الشّـيخ «إبراهيم بن بيحمان اليسجني" (ت: 1232ه) بقصيدة عينيّة بها 41 بيتا، يقول فيها:

نُعِيتُ بيومِ الأربِعاءِ مُبارَك
بِفَقْدِ ضِياء الدّينِ حَبْرٌ مُهذَّبٌ
هوَ الشّيخُ إبراهيمُ نجلُ محمّد
غداةَ صَباحٍ مِنهُ والشّمسُ تطلع
إمامٌ عظِيمٌ فاضلٌ متبرِّعُ
سلالةُ قاسمٍ خيرُ سُمَيْدِعِ

وقـال عنـه أيضا في رسـالة بعـث بها إلى سُـلطان عمـان الشّـيخ سـليمان بـن ناصـر الإسماعيلي، وذلك في معرض تَعْداد أعيان وادي مـزاب وعلمائـه: «...ومـن غردايـة شيخُ الطّريقة المسـتقيمة، للذّمار والحقيقة، العالـم العلامـة، الفاضـل الفهّامـة، الأعـزُّ الأمجد، الأكملُ الأسعد، كهفُ الأنَام، وبدرُ التمام، نورُ الدّين الشّـيخ إبراهيم بن الشّـيخ محمّد بـن أبي قاسـم الأكرميـن المنتخبين، ومـن الشّـجرة المباركـة المغروسـين. والعـارفُ النّقد، البصيـرُ بالأحـكام، النّاجدُ للأمـور، المقبِـلِ الكلام، الفاضـل القاضي، الوالـي لـكلِّ مـنَ الدّانـي والقاصـي، عمُّنـا عمر بن صالـح». واللّبيب الحاذق، الأديب الصّـادق، الرّفيع المحتى الكريـم المجتبى؛ أبو بكر بن يوسف...».

بشير بن موسى الحاج موسى.

المصدر:

- ديوان ابن بحمان، يحيى بن بهون حاج امحمّد، دار الهدى – عين مليلة، الجزائر، ط1، 2007.
- نحو دراسة حياة وآثار الشّيخ محمّد بن الحاج أبي القاسم، بشير بن موسى الحاج موسى، معهد عمي سعيد، غرداية.
- مجلة الأصالة والثّقافة، معهد عمي سعيد غرداية، العدد:25 / 1998م.

■ يحيى بوسحاقي
(و: 1354ه - 1935م/ت: 1380ه - 1960م)

كان ميـلاد الشّـهيد يحيى بوسـحاقي يوم 26 ماي 1935م بقرية الصّومعة، التابعة لبلدية الثّنيـة دائرة بـودواو ولاية بومـرداس حاليا. نشـأ الشّـاب بوسـحاقي فـي أحضان أسـرة متواضعـة امتهنت الفلاحة كمصدر أساسـي لتلبيـة مطالب الحيـاة الاجتماعية بين سـبعة أشقاء.

وما إن بلغ سـن السّـابعة من عمره حتى أدخلـه أبـوه كتـاب القريـة لحفـظ القـرآن وذلـك لمـدة سـت سـنوات أظهـر أثناءها ذكاء نـادرا وقـدرة فائقـة أهلتـه للالتحـاق بزاويـة بومـرداس -بلديـة بنـي عمـران، دائـرة الأخضريـة بولايـة البويـرة. وفـي هـذه الأخيـرة ازداد إدراكا أكثـر لما كانت تعيشـه بلادنـا من أوضاع مأسـاوية، وذلك مـن خـلال الـدّروس التـي كانت تشـهدها الزّاوية باسـتمرار. وبعد تسـع سـنوات من الدّراسـة في الزّاوية المذكورة، عاد الشّـهيد إلى مسـقط رأسـه لتحمل أعباء الحياة التي أصبح والده الشّـيخ عاجزا عـن القيام بها، فباشـر عمله بالحقل الى جانب أبيه، إلا أن رغبته الملحة فـي التعليم والتعلم دفعت به الـى الالتحـاق بمسـجد القرية، أيـن كانت تلقـى فيـه مبادئ فـي قواعـد اللغـة العربية علـى الأطفال الصّغار. وهنا قضى الشّـهيد زهـرة شـبابه يبحـث ويعلـم أبنـاء قريتـه مبـادئ علـوم الشّـريعة الإسـلامية ويـزرع في نفوسـهم حب الإيمـان، لأنه كان يدرك مدى خطـورة المرحلة التي يجتازها هؤلاء في وقـت غير بعيـد، خاصة ان الاسـتعمار الفرنسـي كان جاهـدا فـي بث سـمومه في أوسـاط الشّـبيبة خاصة. وكان الشّـهيد الى جانـب ذلك يلاحـظ بفكـره الثّاقـب مدى وحشـية الاسـتعمار الفرنسـي وقسـوته في معاملـة المواطنيـن الأبريـاء والنيـل مـن كرامتهـم، وهـذا مـا ألهـب في نفسـه روح الوطنيـة الصّادقـة، وزاده ايمانـا بالقضيـة الوطنية والبحـث عن متنفـس لتلبية رغباته المكبوتة.

وفـي عـام 1948 وجـد الشّـهيد ضالتـه المنشـودة، فانضم لصفـوف الحركة الوطنية التـي لعـب فيهـا دورا هامـا وتحمـل عـدة مسـؤوليات أثبـت اثناءهـا كفاءتـه العاليـة وإخلاصه وتضحياته.

ولمـا اندلعت ثـورة أول نوفمبر المجيدة كان الشّـهيد مـن الأوائـل الذيـن انضمـوا الى صفـوف جبهـة التحرير الوطنـي، حيث عمل بكل ما في وسـعه على بلـورة أفكارها والتعريـف بأهدافها فـي أوسـاط الذين كان يثق بهم أكثر. وقد تبلور نشاطه السّياسي أكثر بعد توجه المدعو "سي الرّشيد"، المسؤول السّياسي للناحية آنذاك، والذي كلف الشّـهيد بجمع الاسـلحة المتواجدة لدى المواطنين، كبنـادق الصّيـد، والمسدسـات، وكل مـا

تحتاجه الثّورة، والى جانب ذلك فقد قام الشّهيد إلى جانب إخوانه المجاهدين بعدة أعمال فدائية، زرعت الرّعب والهلع في أوساط المعمرين وأعوانهم، وتخريب الأعمدة الهاتفية، وحرق مزارع المعمرين، وتصفية الخونة جسديا، فقد سبق للشهيد أن شارك المجاهدين في الهجوم على ثكنات العدو: وحصار مدينة – الثّنية – التي لحق بمركزي الدّرك والشرطة فيها أضرار جسيمة.

وقد أسندت إلى الشّهيد بوسحاقي منذ الوهلة الأولى، مسؤولية سياسي بالقسم الثّاني، النّاحية الأولى، من المنطقة الأولى، الولاية الرّابعة فيما بعد حسب التقسيم النّظامي لجيش التحرير الوطني.

في مارس 1956 وضع الشّهيد رفقة جنود جيش التحرير الوطني متفجرات لقطار كان يحمل الجنود الفرنسيين قرب مدينة الثّنية، وقد تفجرت هذه العبوات في حينها فألحقت بالجنود الفرنسيين أضرارا جسيمة. ولم تمض إلا أيام قليلة حتى نصب كمينا لدورية عسكرية استهدف القضاء على ملازم أول فرنسي اشتهر بأعماله التعسفية وتصرفاته اللاإنسانية إزاء المواطنين، وقد تمكن جنود جيش التحرير الوطني من القضاء على معظم جنود الدّورية، وعادوا سالمين. وكانت من اهتمامات الشّهيد التعبئة الجماهيرية وإفشال كل مخططات الاستعمار الفرنسي، لأنه قد سبق له معرفة مدى ما تبذله فرنسا في بث دعايتها وتشويه سمعة الثّورة.

وبعد أن أثبت البطل أهليته، وبرهن على كفاءاته في ميدان العمليات الحربية، ولته قيادة المنطقة مسئول ناحية مكلف بالأخبار، وواصل نشاطاته وأعماله في مجابهة قوة الشّر والطغيان، حيث عمل بكل ما في وسعه على إبطال مزاعمها وإفشال خططها الرّامية الى إحباط معنويات الشّعب الذي لم تزده تصرفات الأعداء إلا عزما وتصميما على مواصلة الزّحف حتى تحقيق النّصر النّهائي. وإلى جانب هذا فقد قاد عدة معارك، منها معركة بني عراب التي وقعت في جانفي 1958، كان من نتائجها قتل 50 جنديا فرنسيا وإصابة عدد آخر بجروح واستشهاد أربعة مجاهدين.

وفي اليوم التالي اشتبك جنود جيش التحرير الوطني مع الجنود الفرنسيين في معركة شهيرة قرب بلدية بني عمران، دائرة الاخضرية، وكان من نتائجها قتل 150 جندي فرنسي، وإسقاط ثلاث طائرات وتدمير عدة آليات حربية، في حين لم يفقد المجاهدون إلا ثلاثة شهداء سقطوا في ميدان الشّرف. وكان لهذه المعركة وقع على نفسية الاستعمار الفرنسي الذي عاد كعادته إلى جمع المواطنين والتنكيل بهم، وحرق مزارعهم وبيوتهم، وتلك عادته بعد كل هزيمة يتلقاها. وبعد هذه الأعمال التي أثبت الشّهيد فيها بحق أهليته لتحمل المسؤوليات الجسام، أسندت اليه مسئولية عسكري بالمنطقة الأولى بالولاية الرّابعة، وكان ذلك في جوان 1960.

سقط الشّهيد البطل بوسحاقي يحيى في ميدان الشّرف يوم 28 ديسمبر 1960 بقرية – السّواكرية – قرب بلدية مفتاح، دائرة الأربعاء بولاية البليدة، وذلك على اثر اجتماع ضم مسئولي القسم الثّالث قصد تنظيم هجوم على ثكنة عسكرية، كان الشّهيد فيها على موعد بجنود جزائريين متواجدين في صفوف الجيش الفرنسي وبعد انتهاء الاجتماع واتخاذ كل التدابير اللازمة لتنفيذ هذه الخطة وضمان نجاحها، توزع جنود جيش التحرير الوطني ليلتقوا في اليوم الثّاني لشن الهجوم، إلا ان القدر حال دون ذلك فقد اكتشف الشّهيد نهارا من قبل السّلطات الاستعمارية التي أقدمت على المكان المتواجد فيه رفقة مجموعة من جنود جيش التحرير الوطني من بينهم – فراجي بلقاسم – مسئول بالقسم الثّالث، وبعد اشتباك دام قرابة نصف يوم، سقط الشّهيد في ميدان الشّرف بعد أن أدى واجبه المقدس ليلتحق بركب الخالدين.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

– عبد القادر ماجن، مجلّة أول نوفمبر، العدد 59 سنة 1983، ص22.

■ يوسف الدّمرجي
(و: 1341ه - 1922م/ت: 1378ه - 1958م)

ولد الشّهيد يوسف دمارجي في الثّاني والعشرين من شهر أوت سنة 1922، ببلدية ميلانة دائرة ميلانة ولاية الشّلف حاليا، وهو ينتمي لعائلة ميسورة الحال، انهى مرحلة الدّراسة الابتدائية بمسقط رأسه وفي سنة 1931 انتقل الى الجزائر العاصمة لمتابعة الدّراسة المتوسطة والثانوية، فالتحق بثانوية بن عكنون (عمارة رشيد حاليا)، ليطرد منها بعد أربع سنوات من الدّراسة بسبب عبارة "يسقط مدير الثّانوية" كتبها على حائط الثانوية، فتقرر تحويله إلى ثانوية «بيجو» الكائنة بباب الوادي – (الامير عبد القادر حاليا) وذلك في سنة 1935.

وشاء القدر أن يحرمه من أبيه الذي انتقل الى رحمة الله في سنة 1937. وهو لازال طالبا في المرحلة الثّانوية بعد، ولم تنل هذه المصائب من عزيمة الشّاب، بل كانت حافزا له من اجل مواصلة الطّريق الذي بدأت ملاحمه تتضح، تكفلت والدته بتربيته والاشراف عليه من اجل مواصلة

علمه الـذي اظهر فيـه تفوقا ملحوظا وسـط زملائه من الطلبة الفرنسيين وكان ذلك كفيلا بجعله محـل مراقبة وتتبع مـن طرف الادارة الفرنسـية وعندما حصل على شهادة الثانوية العامة البكالوريا بجزئيها في العام الدّراسي 1940 1941-. التحـق على أثرها بكلية الطّب بجامعـة الجزائـر، وكان هـذا سببا لحرمانه مـن متابعـة الدّراسـة بالكليـة المذكـورة، بحيـث لـم يـرق لأحـد أسـاتذة الطّـب مـن غلاة المسـتعمرين يدعـى «كوتى» أن هدده علانية بمنعه من متابعة الدّراسة بكلية الطّب أن الطّـب كمـا قال لـه ليـس بمثابـة القرآن، وبالفعل نفذ هذا الأسـتاذ تهديـده وتم طرده من كلية الطّب في نهاية العام الدراسي 1942 وذلـك باقدامـه على حبك مؤامـرة خبيثة، اذ طلـب منـه احضار بعـض الكتـب التي ليس فـي اسـتطاعته الحصـول عليهـا علـى حـد زعمه. وعندما جاء له بها قدمها للإدارة على أسـاس أنها من الكتب الممنوعـة، ولم يجد مفرا سـوى البحث عن عمل شريف يوفر له ولأسـرته العيـش الكريـم وبعد جهـد جهيد اهتـدى الـى عمل بسـوق الخضـر المركزى (ليهـال) فعمـل بـه وفـى نفـس الوقـت كان يتابع الدّراسة بطريق المراسلة فتحصل على اجازة في العلوم القانونية.

وفي السّـنة الدّراسـية 43 – 44، تمكن من اعادة التسـجيل بكلية الطّـب، وحتى يضمن مصاريف ذلك اشتغل كمراقب ليلى بالقسم الداخلي بثانويـة بن عكنون. وفي نهاية العام 1944 انضم الشّـهيد وهو طالب بكلية الطّب الى فرقة الكشـافة الإسـلامية الجزائرية التي عقدت اجتماعا لها بمدينة تلمسـان فيما بين شهر أوت، سبتمبر 1945.

ولمـا كانـت الجزائـر هـى الاخـرى قـد تضررت مـن جراء الحـرب العالميـة الثّانية فقد كان من الصّعب عليه متابعة الدّراسة في ظل هذه الظّروف الصّعبـة، ولذا قرر مغادرة الوطـن الـى فرنسـا لمواصلة دراسـته هناك، وكان ذلك في بداية السّنة الدّراسية 1946.

وهناك اصطدم الشّهيد بالحملة العنصرية التـي كان يقودهـا حاكـم باريـس المدعـو «الجنـرال بالبـول» ضد الاجانـب وخاصة الجزائرييـن منهـم وقد كادت هـذه الوضعية المزريـة أن تثنيـه عـن تحقيـق حلمـه، لـولا عزيمته و إرادته من أجل بلوغ الهدف، وشيئا فشـيئا إسـتأنف الشّـهيد نشـاطاته السّياسـية والثقافية، وسط العمال الجزائريين وكان من الشّـباب الأوائل الذين انضمـوا الى صفوف المنظمـة السّـرية «لـوس» بالمهجـر، التـي حملت على عاتقها تحضير الوسائل المادية والبشرية إستعدادا ليوم العودة من فرنسا..

فـي عـام 1950 تزوج الشّـهيد مع فرنسـية تدعـى الوسـات وهي أيضـا طبيبـة مختصة فـي التحليـل المخبـري خلـف منهـا بنتيـن وفـي سـنة 1952 عاد الـى أرض الوطن، ولم يسـتقر بالعاصمة كغيره من الاطـارات رغم الامكانيـات التي كانت بحوزته لكنه اسـتقر بمدينـة تيهـرت التـي اسـتأنف بها نشـاطاته السّياسـية وبذلـك اصبح محـل مراقبة دائمة مـن قبـل السّـلط الاسـتعمارية وتأكـد ذلك بصورة جلية عندما تقدم بطلب إلى السّلطات المحلية لمنحه محلا يستعمله عيادة يمارس فيهـا مهنتـه، فقوبـل طلبـه بالرفـض القاطع ولـم يجعله هذا التصرف من قبل السّـلطات الاسـتعمارية ييـأس أو يقلـل مـن نشـاطاته السّياسـية والمهنية، لانه كان علـى يقين بان هذا الوضع لن يدوم طويلا فقد كان الشّـهيد فـي سـنة 1954 علـى اتصـال وطيـد بطبيـب جزائـري يدعـى (الدّكتـور بـن تامـى) وهو طبيب وجراح يعمل بمستشفى مليانة، وكان الدّكتور بـن تامى الى جانب عمله الرّسـمى بمستشـفى مليانة يقوم بمعالجـة المناضلين والمجاهديـن فـى مخبـأ سـري وتواصلـت اتصالاتهمـا وازداد التعاون والتنسـيق بينهما أكثـر الـى أن أصبح الشّـهيد من جـراء ذلك جراحا هو الآخر.

يرجع أول اتصال رسـمى للشهيد يوسف دمارجي بالثـورة بمدينة تبهرت الى فترة عام 1955 كمـا يفيـد الاخ: حلـوز احمـد حيـث حضـر فـي هـذا العـام الـى منـزل المناضل المذكـور الـذى كان مركـزا للثـورة يـأوي مجاهديـن جرحـى مـن المنطقـة الرّابعـة، وكانـت اصاباتهـم بليغـة، تعـذر علاجهـم بالوسـائل العاديـة، وكان آنـذاك لا يوجـد بالمدينـة سـوى طبيبيـن جزائرييـن همـا الحكيمـان، الشّـهيد يوسـف دمارجي، وبن سـونة، وبعد دراسـة قضيـة الجرحـى قررنا الاتصال بالحكيم دمارجي، لما كنا نعهد فيه مـن قبل من حب جـارف للوطن فاتصلنا به، وعرضنا عليه الامر فوجدناه على اسـتعداد، وكأنـه كان على علـم بذلـك، وخاطبنا قائلا هـذا واجـب وطنـي، وفـى نفـس الليلـة قام بزيارة الجرحى بمنزل حلـوز احمد واجرى لهم الاسـعافات اللازمة، كما حدد لنا الايام التـي سـوف يزورهـم خلالهـا للأشـراف علـى علاجهـم، وذلـك بثـلاث مـرات فـي الاسـبوع". واسـتمر على هذه الحالة يؤدى واجبه بكل تفان واخلاص حتى تم شفاؤهم وغـادروا المنـزل الـى مواقعهـم، وفـي هذه الاثنـاء توطدت علاقتـه مع اعضـاء الخلية، الى درجة انه أصبح من المزودين الرّئيسـيين للثورة بالأدوية وغيرها من الحاجيات الطّبية وفى شـهر اكتوبر من سنة 1956 غادر المدينة والتحـق نهائيـا بجيـش التحريـر الوطنـي بالمنطقة السّابعة ثم استقر بالمنطقة السّادسة الى غاية استشهاده.

اسـتقبل نبأ التحاق الشّـهيد بركب الثّورة بارتياح كبير وسـط المجاهديـن بالمنطقتين السّـابعة والسادسـة لما يمتاز بـه من خصال وطنيـة اصيلـة وخبـرة كبيـرة فـي مجـال تخصصـه خاصة وان الثّـورة كانت في أمس الحاجـة لهذا النّوع مـن التخصصات النّادرة آنـذاك. وقـد اسـتندنا فـي الحصـول علـى المعلومات المتعلقة بنشـاطات الشّـهيد منذ التحاقـه بصفـوف جيـش التحريـر الوطنـي الى يوم استشـهاده علـى الاخوة المجاهدين الذيـن رافقـوه في هـذه الفتـرة الذيـن أكدوا علـى أن النّشـاطات التـي قـام بهـا الشّـهيد يوسـف دمارجـى لا يمكـن حصرهـا فـي مثل هـذه العجالـة، خاصة وانـه كان يناضل علـى الجبهات الثّلاث العسـكرية والصحية والاعلاميـة فعلى الجبهة العسـكرية شـارك الشّـهيد إلـى جانـب زملائـه فـي المعـارك التاليـة: معركـة جبل المرجة فـي 15 رمضان سـنة 1957، ومعركة بوجحيح في نفس العام أمـا فـى النّصـف الأول مـن سـنة 1958 فقد شـارك في معركتين: معركة مزرعة بالسـايح فـي بـن علـوش فـي صيـف 1958، والتـي خاضتهـا كيبة تابعـة للمنطقة السّـابعة بقيادة

زعطوط ومعركة جبل اللبة والتي استشهد فيها 29 مجاهدا، بالإضافة الى كمائن أخرى في المنطقتين.

أما في المجال الصحي فقد مارسه اول الامر بالمنطقة السّابعة وذلك لفترة يسيرة انتقل بعدها الى المنطقة السّادسة، اين اصبح هو المسؤول المباشر على جميع مراكز العلاج، التي كانت موزعة عبر تراب المنطقة ساعده في ذلك مجموعة من الممرضين والممرضات اشرف هو بنفسه على اعدادهم وتكوينهم تكوينا جيدا برهنوا فيما بعد على تفانيهم في أداء الواجب الوطني رغم الصّعوبات الجمة التي كانت تصادفهم، كالتنقل الدّائم والمستمر من مركز الى آخر، والحملات التفتيشية المكثفة التي كان العدو يقوم بها، بالإضافة الى النّقص في الادوية اللازمة للعلاج. وكذلك التجهيزات الطّبية وخاصة المتعلقة منها بعلاج بعض الحالات الخطيرة، والمعقدة، والى جانب عمله الاساسي المتمثل في العلاج واجراء العمليات الجراحية والاشراف على المراكز، التي جعل منها بحق مراكز تدريب وتكوين الاطارات شبه طبية وتخريج ممرضين وممرضات البالغ عددهن في تلك الفترة القصيرة سبعة عشر ممرضة بالإضافة الى عدد آخر من الممرضين وزعوا فور اتمام تدريباتهم على مختلف المراكز والوحدات المقاتلة، كما كان يؤدى خدمات اخرى للوطن، بحيث شملت رعايته الطّبية السّكان المدنيين فى كل قرية من قرى المنطقة يحل بها الا ويقوم بإجراء الفحوصات الطّبية على السّكان المدنيين وعلاج المرضى منهم بدون كلل أو ملل،.ويعد هذا تنفيذا لفكرة كانت تراود مخيلته منذ أن كان طالبا في كلية الطّب وجهر في الدّعوة لها منذ منتصف الخمسينات جسدها في مبادرته الوطنية في عام 1955، بدعوته الاطباء الجزائريين لعقد اجتماع، هدفه تكوين رابطة تحت شعار «الطب للجميع) وذلك بالجزائر العاصمة، الا أن السّلطات الاستعمارية التي كانت على علم بمغزى واهداف هذا التجمع، وضعت شتى العراقيل لإجهاض هذا المطلب النبيل ولم يقتصر عمل الشّهيد على ما كان يبذله من جهد كبير في ميدان الصّحة بل سخر قلمه لكتابة المناشير واللافتات التي كان يوجهها خاصة لجنود اللفيف الأجنبي العاملين ضمن قوات العدو، يشرح لهم فيها مغزى واهداف الثّورة يكشف لهم حقائق الدّعايات المضادة التي تبثها مصالح الاستخبارات الفرنسية وضباط الحرب النّفسية «لاصاص» واستطاع بفضل الحجج الدّامغة والاسلوب المبدع ان يقنع العديد منهم، ويفروا من معسكراتهم، ليلتحقوا بصفوف جيش التحرير الوطني الذي يزودهم بالحقائق والمعلومات عن الثّورة وتنظيماتها العصرية، ومطلبها الوطني المشروع. ثم تتخذ الاجراءات لترحيلهم لذويهم عبر التراب المغربي.. هكذا كان الشّهيد كتلة من النّشاط يعمل في كل الميادين بدون أن تبدو عليه يوما علامات العياء أو التراخي بل كان يتحلى دائما بالحزم والانضباط، والتصرف المنطقي عندما تعترضه المشاكل والمخاطر.

في نهاية الاسبوع الثّالث من شهر أوت سنة 1958 عرفت منطقة جبل تافرنت –الواقعة بالمنطقة السّادسة –غرب مدينة سعيدة حاليا –نشوب معركة كبيرة بين وحدة لجيش التحرير الوطني وقوات ضخمة للعدو، سقط خلالها عدد من الشّهداء، وكان من ضمنهم الشّهيد الحكيم يوسف دمارجي) وحسب إفادة السّيد الصّغير الجيلالي المعروف باسم اسماعيل (5) أن مقدماتها ونتائجها جرت على النّحو التالي: تم عقد اجتماع بمركز نافرنت في الفترة مابين 10 18–من شهر أوت سنة 1958 لمسؤولي المنطقة والنواحي. وكان الهدف من عقد هذا الاجتماع هو اعادة ترتيب الاوضاع ووضع تنظيم جديد للكتائب العاملة بالمنطقة، وفي 18 أوت انتهى الاجتماع وعاد المسؤولون إلى مراكزهم وبقي بمركز الاجتماع الأفراد الاتي ذكرهم:

– الشّهيد المجذوب المسؤول العسكري للمنطقة السّادسة الطّيب النّهاري مسؤول الاتصال والاخبار

– الشّهيد مولاي مصطفى مسؤول النّاحية الثّانية

– الشّهيد زين العابدين مسؤول النّاحية الأولى

– وبعض الجنود منهم جنديان مكلفان بجهاز اللاسلكي (عزيز وبوبكر).

وفي صباح يوم 19 اوت اخبرت الحراسة بوصول العدو الى مشارف المركز الواقع بدوار بنى مريان » بجبل تافرت فاستعد من كان با لمركز لمواجهته لكن العدو تمكن من محاصرة المركز من كل الجهات ولم يمر وقت طويل حتى يبدأ الاشتباك بين الطّرفين، في معركة رهيبة سقط خلالها الحكيم يوسف دمارجي وبعض رفاقه شهداء الوطن وتم على الفور نقل جثمانه من وسط الميدان من قبل قوات العدو، للمدينة هكذا شاء القدر أن تكون نهاية هذا البطل المقدام، في فترة كانت الثّورة في أمس الحاجة إليه وإلى أمثاله المخلصين من أبناء هذا الوطن.

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:

– الزوبير بوشلاغم، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 52 سنة 1981 ص 58.

■ يوسف بن صالح بن عيسى تربح
(و: 1340ه - 1922م/ت: 1436ه - 2015م)

يوسف بن صالح بن عيسى بن بهون بن عيسى، تربح. أمه: السّيدة الفاضلة: منّة بنت باحمد بن موسى، بجلود.

ولد بمدينة بريان ولاية غرداية، خلال سنة 1922م؛ وتوفّي يوم: 08 ربيع الثّاني 1436ه، الموافق ل 29 جانفي 2015م.

من عشيرة: آل حلّ عينهم، ببريان ولاية غرداية.

شاعر أديب، حافظ لكتاب الله، موثّق، عضو في حلقة العزّابة، من أعيان البلدة ومثقّفيها ووجهائها.

قضى طفولته الأولى بمسقط رأسه في أحضان والدته التي غرست فيه مبادئ الدّين الحيف، والقيم الاجتماعية، ثمَّ نقله والده إلى العاصمة حيث يشتغل تاجرا بحي القصبة، حيث تعرَّف على عالَمٍ أوسع، وثقافات جزائرية وغير جزائرية.

أوّل ما بدأ دراسته بالعاصمة في مدرسة الشّبيبة الجزائرية التي أسّسها الشّاعر الوطني: محمّد العيد آل خليفة سنة 1922م، ثمَّ التحق سنة 1931م بالمدرسة القرآنية «الفتح» التي كان والده: صالح بن عيسى تربح من تأسيسها سنة 1928م، ومنها انتقل سنة 1935م إلى الگرارة لمواصلة دراسته بمعهد الحياة الثّانوي، حيث تدرَّج في الحلقات العلمية العديدة فيه، حتّى تخرَّج سنة 1946م بعلم راسخ تحصَّل عليه من مشايخ أجلاَّء، وتكوين واسع في المجالين الثّقافي والاجتماعي تدرَّب عليهما في دار الطّلبة.

فكانت العشر سنوات التي قضاها في القرارة من أهمِّ الفترات وأثراها في تكوين شخصيته العلمية والفكرية والثقافية والاجتماعية، حيث كان ضمن النّخبة البارزة في المعهد ودار الطّلبة، والتي كانت تنجز أعمالا ثقافية متنوِّعة راقية، هذه الأعمال التي جعلت منه شاعرا فحلا، وفنّانا منشدا، ومؤلّفا

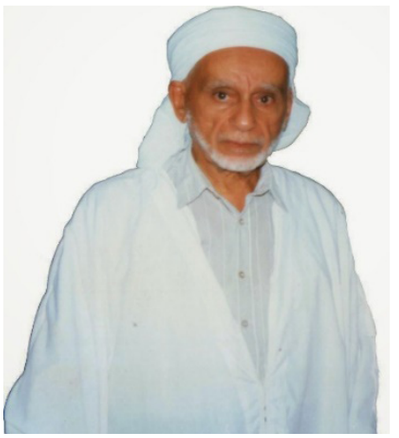

مسرحيا، وممثّلا بارعا، ومخرجا مسرحيا ناجحا.

وكان من زملائه ورفاقه في هذا النّشاط المكثَّف خلال تلك الفترة الذين أسَّس معهم جمعية «كوكب المسرح»: إبراهيم بن يحي الحاج إبراهيم (الڤرادي)، حمُّو بن عمر فخّار، علي يحي معمَّر النّفوسي الليبي، وغيرهم

وفور تخرُّجه من القرارة واصل على نفس المنوال في النّشاط العلمي الثّقافي، رغبة منه في إصلاح المجتمع وزرع الفكر الإصلاحي الذي تشبَّع منه من شيخه زعيم الإصلاح: الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، فأسَّس في مسقط رأسه سنة 1946م: «الجمعية الرّياضية»، متَّخذة من الرّياضة وسيلة تجمع الشّباب حولها لعمل دعويٍّ تربويٍّ إصلاحي.

عندما ولد في سنة 1922م كانت الحركة الوطنية في بداياتها، فتدرَّج معها، وتشبَّع بمبادئها من مشايخه وأساتذته الذين كانوا أبطالها وروَّادها وقادتها في الجنوب الجزائري، كما أدرك الحرب العالمية الثّانية وآثارها في خلال دراسته الابتدائية والمتوسِّطة، ونجد أثر ذلك في أشعاره وكتاباته وهو طالب في معهد الحياة، كما عاش أحداث الثّورة التحريرية وانتصر لها ولوطنه بيده، وقلمه، وعلمه، وكان ممَّن كانت يد مؤثِّرة فيها من موقع المسؤوليات في صفوفها، ومن موقع مسؤولياته أيضا في المجتمع.

وله في مرحلة الاستقلال حضور ودور كبيرين خلال مرحلة الجهاد الأكبر، لبناء وتشييد الجزائر، من خلال حلقة العزابة بالمسجد، ومجلس الأعيان في البلدة، وإدارة عشيرته، وبعض الجمعيات الثّقافية والاجتماعية.

أخذ العلم من أساتذة أجلاَّء، وشيوخ أفاضل كانت لهم قدم راسخة في العلم، فكان يوسف بن صالح تربح، الرّوح الوطنية والاصلاحية، والحاسَّة الأدبية الفنِّية الشّاعرية، وقوَّة الشّخصية، من هؤلاء الأساتذة والشيوخ نذكر منهم على سبيل المثال: محمّد العيد آل خليفة، عبد الرّحمن الجيلالي، محمّد الهادي السّنوسي، إبراهيم بن عمر بيُّوض، سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدُّون).... وغيرهم

ترك آثارا فكرية عديدة، على شكل مقالات نشرها في مجلَّة الشّباب التي كان يصدرها طلاَّب معهد الحياة، وقصائد شعرية وطنية وشبابية وطبيعية، إضافة إلى كلمات وخطابات شارك بها في احتفالات مختلفة ومناسبات دينية وطنية؛ غير أنَّ انتاجه الأدبي هذا لا يزال حبيس الأدراج في مكتبة معهد الحياة، وفي أرشيف الجمعيات التي كان ينتمي إليها، إلاَّ بعض القصائد التي حفظتها بعض المطبوعات المحلِّية ككتاب «باقة الأناشيد»و "مجلة الشّباب" قامت "جمعية الأمل الرّستمي الثّقافية» بجمعها وإخراجها في ديوان: «بلادي هي مُنايَ، حبُّ الوطن وصدق الوطنية».

نشاطه الثّقافي الكبير في دار البعثات العلمية بال گرارة، وحضوره الدّائم في كلِّ نشاط اجتماعي وثقافي وفكري يقام في مسقط رأسه، ومشاركاته الفعَّالة في التظاهرات

المختلفة، وخبرته الكبيرة في مجال القضاء الشّرعي والتوثيق، إضافة إلى حكمته ورجاحة عقله وصدق استشرافه، جعل كلُّ ذلك منه قطبا ومقصدا لأولي الحلِّ والعقد في ا لمنطقة .

فكان مقصد زملائه في حلقة العزَّابة، ومجلس الأعيان في البلدة وخارجها عند كلِّ أمرٍ يحلُّ بالمجتمع، فيصبح مهندس ومخرج الكثير من الأمور والاجتماعات والتظاهرات الثّقافية والاجتماعية، كالعرس الجماعي الأوَّل لتسعة عشر عريسا في خضمِّ احتفالات الجزائر بالاستقلال سنة 1962م، وزيارة الإمام غالب لوادي مزاب،... وغيرها.

بهذا أصبح الشّيخ يوسف تربح بعلمه الرّاسخ، وعقله الرّاجح، وكلامه الحكيم، وخبرته الكبيرة في مجالات عديدة، وبروحه الوطنية والإصلاحية التي كان من دعاتها اقتناعا بها، وانتصارا لشيخه رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري، الإمام: إبراهيم بن عمر بيُّوض، أصبح قدوة الشّباب والطلاَّب، ومقصد الخيِّرين في ا لمنطقة .

خلُدَ ذكره واسمه النّاصع في السّجل التاريخي لبلدته ومنطقته ووطنه الجزائر، فنشاطه الكبير في حياته، فقد أنتج عدَّة أناشيد وطنية خلال الحركة الوطنية، تدعو بصراحة إلى تحرير البلاد من نير الاستعمار الفرنسي الغاشم، والعديد من المسرحيات التاريخية والأدبية العربية والعالمية التي كان مؤلِّف بعضها، والممثِّل في بعضها، والمخرج لبعضها الآخر.

كما دخل التاريخ الوطني الجزائر بمشاركته في الثّورة التحريرية 1954/ 1962م، منذ بداياتها الأولى في مسقط رأسه بريان، فكان أحد أعضاء لجانها التي وضعها جيش التحرير الوطني لتنظيم العمل الثّوري مع أفراد الشّعب من مجاهدين، ومسبِّلين، ومنخرطين في صفوف الجيش على الجبال، وللإشراف على تموين الجيش بما يحتاجه من أموالٍ ومؤَنٍ وأدوية.

وفي كلِّ حياته، منذ أن كان طالبا، إلى السّنوات الأخيرة من عمره وهو قائم بأمور التوثيق في المنطقة، لم يترك طلب العلم، والمطالعة، والانضمام إلى النّدوات الأدبية خاصَّة، يسهم بإنتاجه الشّعري، ويستزيد بالمطالعة، وتصفح الكتب، ومقارعة الأفكار مع زملائه في قيادة المجتمع، مثل: عبد الرّحمن بن عمر بكلِّي، أحمد بن عمر أوراغ، بكير بن محمّد أرشوم، عمر بن سليمان بودي.

وفي هذه النّدوة والجلسات العلمية والأدبية، كانت النّخبة ترسم الوجه العلمي والثقافي للبلدة.

من نماذج شعره وأدبه، نسمع له نشيدا خالدا نظمه سنة 1957م، تردِّده المجموعات الصّوتية في مزاب كلِّه في عرسٍ، ولا يزال قائما إلى يومنا هذا بعد ستَّة عقود وتزيد، يقول في هذا النّشيد:

دَقَّتْ طُبُولُ البِشْرِ
فَاهْتِفْ بِالأَغَانِي
وَانْشُرْ بَاقَاتِ الزّهْر
فِي يَومِ القِرانِ
عُرْسٌ تَوَسَّم بِالإِبْتِهَاج
يُمْنًا وَسَعْدًا لِخَيرِ الأَزْوَاجِ
فِيهِ السّرُور يَعْلُو الصّدُور
يَسْمُو الجَمَالُ عَلَى التِيجَان
يَومٌ تُرَصَّع فِيهِ التَهَانِي
عُقُودَ نَظْمٍ مِنْ وَحْيِ الجَنَان
رَمْزُ النّفُوسِ إِلَى العَروس
فِي حَفْلٍ حَلَّ بِهِ القَمَران
أَخِي العَرُوس ذَا عَهْدٌ مُبَارَك
كُلٌّ يُهَنِّيكَ كُلٌّ يُبارك
طَابَ المَقَام دَامَ الوِئَام
يَا رَبِّ بَارِكْ مَدَى الأَزْمَان
يَا رَبِّ بَلِّغْنَا كُلَّ الأَمَاني
وَانْشُرْ سَلاَمَكَ فِي كُلِّ آن
عَلَى الأَنَام طُولَ الدّوَام
يَا رَبِّ كَمِّلْ بِالإِمْتِنَانِ

وعن وطنه وبلده يقول معبِّرا عن مشاعر صادقة:

بِلاَدِي هِي مُنَاي
بِلاَدِي هِيَ هَوايَ
أَصُدُّ عَنْهَا ضَرَّ البَلاَيَا
بِلاَدِي بِلاَدِي
أَنَا أَحْمِي حماها
وَأَفْنَى فِي هَوَاهَا
وَأَحْدُو بِمُنَاهَا
حَتَّى يَعْلُو سَنَاهَا
لَكَ عَلَيَّ حُقُوقٌ
لَسْتُ بِهَا ضِنّينَا
وَبِالوَفَاءِ خَلِيق
لاَ زِلْتَ بِهِ قَمِينَا
كُلُّ مَنْ رَمَاكَ بِضُرٍّ
أَحْبطَ اللهُ مَسْعَاه
وَمَنْ أَتَاكَ بِشَرٍّ
فَلاَ لاَقَى هُدَاه
قَلْبِي أَضْنَاهُ هَواه
بُثِّي شَكْواكَ إِلَيَّ
حُبُّ البِلاد أَرَاه
فَرْضًا حَتْما عَلَيَّ
هَواكَ فِي فُؤادي
أَزَالَ عَنِّي رَشَادِي
إِني بِمَجْدِكَ حَادِي
وَبِكَ طَابَ إِنْشَادي
كِدْتُ أُجَنُّ جُنُونَا
مِنْ فَرْطِ فِي هَوَاك
هَلاَّ عَلِمْتَ يَقِينَا
أَنّي أَمُوتُ فِدَاك
رَبَّاهُ مَاذَا أُعَانِي
وَأُلاَقِي فِي اشْتِيَاقِي
رُحْمَاكَ أَنِلْنِي أَمَاني
نهيل يَومَ الفِرَاق
بِلاَدِي أَلْبِسِينِي
تَاجًا مِنَ الفَخَار
وَمَجْدًا مُسْتَبِين
بِهِ سَامِي المَنار
إِنِّي أَجِدُّ لِنَشْرِ العِل

مِ فَوقَ رُبَاك
وَأَهْلِي بُنود النّصْر
بِهِ يَقْو هُنَاك
لِتَحيَ وَأَنْتِ حُرَّة
عَلَى سُرُرِ الأَمَاني
فَلاَ تَخْشَينَّ غِرَّة
عَلَى مَرِّ الزّمَان
فَلْتَهْنَئِي يَا بِلاَدِي
رَعَاك رَبُّ العِبادِ
ذِكْرَاكَ رَهْنَ فُؤَادِي
أُغَنِّي بِهَا وَأُنَادِي

وعن العرس الجماعي الخالد منذ سنة 1962م، يقول مثمِّنا الرّوح الجماعية التي تسود المجتمع:

اللهُ أَكْبَرُ فِي عُلاَه
خَلَقَ الكَوْنَ وَمَا حَواه
بِالفَضْلِ مَنَّ عَلَى مَوْلاَه
يَا رَبِّ فَانْعِمْ يَا رَبَّاه
اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ
عُرْسَ الجَمَاعَةِ عَدِّدُوا
وَمِنَ الأَوَاصِرِ وَحِّدُوا
فِي كُلِّ فَصْلٍ جَدِّدُوا
ذِكْرَى يُبَارِكُهَا الإِلَه
اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ
عُرسٌ سَعَى لَهُ مَسْجِدٌ
بِالرحبِ مُدَّتْ لَهُ اليَد
اللهُ هُوَ المُؤَيِّدُ
لِلْبِرِّ دَومًا لاَ سِوَاه
اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ
يَا نَشْءُ هُيِّئَتِ الظّرُوفْ
شَارِكْ كَفَاكَ مِنَ العُزُوفْ
وَاسْأَلْ غِنَاكَ مِن الرّؤُوفْ
يَرْزُقْكَ فِي كُلِّ اتجَاه
اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ
سُنَّةُ النّبِيءِ محمّد
يَا حَبَّذَا بِهِ فَاقْتَدِ
مِنْ هَدْيِهِ أَلاَ فَاهْتَدِي
تَغْمُرُكَ السّعَادَةُ في سَمَاه
اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ
عُرْسٌ كَبَاقَاتِ الزّهُور
بِالبِشْرِ تَطْفَحُ وَالحُبُورْ
في حَفْلٍ يَعْلُوهُ السّرُور
وَالحَمْدُ تُبْدِيهِ الشّفَاه
اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ
رَيَّانُ أَنْتِ لَدَى القُرى
رَمْزُ الأُخُوَّةِ في الوَرَى
وَمِنَ السّمَاحَةِ في الذُّرَى
يَحْمِيكِ رَبٌّ في حِمَاه
اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ
يَا رَبُّ أَنْتَ المُرتَجَى
في كُلِّ شَيءٍ يُرْتَجَى
بَلِّغ لِكُلِّ مَا رَجَا
مِنْ أَمْرِ دِينِه أَوْ دُنَاه
اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ

وفي رثاء صديقه الشّيخ بكير بن محمّد أرشوم، دفين البقيع بالمدينة المنوَّرة، يقول:

نَادَاكَ ربُّكَ فَاسْتَجَبْتَ إِلَى النّدَاء
مِنْ بَعدِ مَا أَخْلَصْتَ للهِ الوَلاَء
الحَقُّ أَنْجزَ وَعْدَهُ فِي عَبْدِه
يمْنًا وَتَكْرِيمًا مِنْ بَعدِ الابْتِلاء
تَوَسَّدْتَ أَبَا بَكْرٍ بِأَطْيَبَ تُرْبَةٍ
تَوَسَّدَها جُلُّ المُرْسَلِينَ وَأَنْبِياء
فَأَقِمْ وَلاَ تَخْشَ المَسَاسَ منَ الأَذَى
أَنْتَ المُجَاوِرُ لِلنَبيِّ يَومَ الإِيوَاء
وَتَرَكْتَ رَيَّانًا تُقَاسِي مِن الأَسى
وما علمت بالأمرِ إلاَّ بتنكيسِ اللواء

ومن نثره نقتطف قوله عن اليأس في إحدى مقالاته:

"إنَّ اليأس من الخصال المذمومة التي يجبُ على عموم البشر اجتنابها، وعلى كلِّ طالبِ علمٍ خصوصا، لأنَّ اليأس هو السّبب الوحيد في تقهقر الانسان وتخريب أنظمته وانقطاع آماله وأمانيه".

فمن أراد أن يعمل عملا فبانَ له أنَّه صعب المبدأ فتواكل وطمع أن يناله بلا كدٍّ ولا نصَبٍ، فقد يئس.

ولو أنَّ النّبيء صلَّى الله عليه وسلَّم لما أوحِيَ إليه وأُمر بالتبليغ ورأى قومه على ما هم فيه من عبادة الأوثان، وما بلغ بهم من الجهل والفساد يئسَ، لما هدى قومَه في أقرب، بل النّاسَ جميعا، فرجعهم كلَّهم عمَّا كانوا يفعلون ويعتقدون إلى الهدى وإلى سبيل الحقِّ والرشاد، مع رعاية الله سبحانه وتعالى إيَّاه.

وألمانيا وقد انتصرت وانهزمت في الحرب الكبرى، فلو تقاعدت عن العمل ويئست عن استرجاع مجدها وإحياء ذكرها، لما أصبحت اليوم وأكثر أوروبا تحت تصرُّفها وسلطانها.

ولقد رأينا كثيرا من الدّول المجاورة لها أخذتها نائبات الزّمان، فبكت ويئست عن استرجاع مجدها، فسقطت وهوَتْ إلى أسفل سافلين، فمحيَ اسمها من صفحات التاريخ.»-

وعن غايته يقول:

-"إنَّ النّفس الأبيَّة لتَعلو بالطبيعة إلى أسمى الأمور وأرفعها، وترمي إلى أبدع الغايات وأشرفها. ترى العزَّة والسؤدد في سيرها إلى تحقيق آمالها، وأنَّها ستنال أمنيتَها، ولتغمرها الغبطة متى تيقَّنت أنَّها على وشك النّجاح، أو هو قريب منها.

هذه طبيعة النّفسِ الطّامحة، وهذه أمنيتها وآمالها، وهذه غايتها.

نِعم الغاية والله، اصطفتْها نفوسٌ أدركت معنى الحياة وأسبابها، وعرفت كنه حقيقتها، وإلى ما تؤدِّي إليه نتيجتها.

وهل غايتي أنا إلاَّ كغاية هؤلاء النّاس؟؟»

بتصرف من مجلّة أوّل نوفمبر 1954

المصادر:
- يوسف بن يحي الواهج، بلادي هي منايَ، نشر جمعية الأمل الرّستمي الثّقافية، 2018م.

■ يوسف بوشوشي
(و: 1358ه - 1939 م /ت: 1438ه - 2017م)

ولد المخرج والمصور والكاتب السّينمائي الجزائري الكبير يوسف بوشوشي بمنطقة القصر

ولاية بجاية (الناصرية) القبائل الصّغرى بتاريخ 25 نوفمبر 1939 درس الطّفل يوسف المراحل الأولى من تعليمه الإبتدائي والمتوسط في مدينة القصر، ثم انتقل إلى الثّانوية التقنية بالعاصمة وهي مازالت تحت حكم الاحتلال الفرنسي وبداية من سنة 1956 وبحكم نشاطه في الكشافة الإسلامية انضم يوسف إلى المنظمة المدنية التابعة لجبهة التحرير الوطني، وفي مطلع عام 1961 أي عام قبل الإستقلال، التحق الشّاب يوسف بمؤسسة الإذاعة والتلفزيون الفرنسي(RTF) والتي تم إنشاؤها سنة 1956م في باريس.

ومن محاسن الأقدار أن هذه المؤسسة جمعته بكبيرين في فن الإخراج مصطفى بديع ومدني إسماعيل.

وبعد الإستقلال كان المخرج يوسف بوشوشي من أبرز المصورين الذين قاموا بتصوير الفرحة العارمة للجزائريين وهم يحتفون بعيد الإستقلال في شهر جويلية من عام 1962م ويجوبون الشّوارع وهم يلوحون بالراية الوطنية ويصرخون تحيا الجزائر مصحوبة بزغاريد النّسوة وصيحات الأطفال،

وفي نهاية شهر أكتوبر وبالضبط بتاريخ 28 أكتوبر 1962 قامت الإطارات الجزائرية التي عملت لدى مؤسسة الإذاعة والتلفزيون (RFF) الفرنسي، وذلك بالتعاون مع بعض ضباط «المالغ» ببسط سيطرتهم على المؤسسة والتي غيرت تسميتها فيما بعد إلى الإذاعة والتلفزيون الجزائري(RTA).

وبداية من سنة 1967 أصبح يوسف بوشوشي إسما لا معا في عالم الإخراج والتصوير خصوصا بعد المشاركة الفعالة

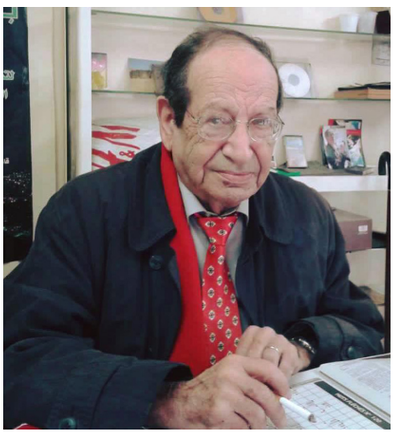

التي جمعته بالمخرج الإيطالي الكبير (جيلو بونتيكورفو) وذلك في فيلمه الشّهير "معركة الجزائر" الذي حصد الكثير من التكريمات والجوائز العالمية.

إنطلق بعدها المخرج بوشوشي في إخراج مجموعة من الأفلام والأشرطة الوثائقية مع المؤسسة الوطنية للصناعات السّينمائية وأخرى خاصة بالتلفزيون الجزائري، وفيما يلي نورد قائمة تضم أهم أعماله وأفلامه:

- المناطق العالية من الثّورة (Les Hauts lieux de la révolution)؛
- الهجرة النّبوية (El Hidjra du prophéte Mohamed)؛
- سليم وسليمة (Salim et Salima)؛
- صناعة الدّيون (L'industrie de la dette)؛
- السياحة الكبرى (Le grand tourisme)؛
- Labour des terrains déminés؛
- المشاريع الكبرى أرزيو 1971 (Les grands projets d'Arzew)؛
- لا بياض في الصّفحة الأولى (Pas de blanc à la une)؛
- Les retrouvailles؛
- فيلم بوليسي(al17)
- Qui est le coupable
- المولد النّبوي الشّريف، عادات و تقاليد تيميمون (El mawlid ennabawi coutumes et traditions à Timimoun.)؛
- ولد الحومة (Ould el houma)
- الجنوب الكبير حصة للتلفزيون سنة 1993 (Le grand sud)؛
- فنتازيا سلسلة تلفزيونية فكاهية سنة 2000 (FANTASIA) ؛
- الجارة فيلم لغوتي بن ددوش. (Ghaouti bendedouche la voisine)؛
- إنحراف العدالة نصوص للسيدة ليلى عسلاوي(Dérives de justice) ؛
- من سوف يحميكم سنة 2005 (Qui va vous protéger)؛

ثمن الحرية أعد من أجل تظاهرة سنة الجزائر عاصمة للثقافة العربية(Le prix de la liberté) دون أن ننسى حصته الشّهيرة نادي السّينما التي كان يقدمها الأستاذ الكبير أحمد بجاوي،و قد تم تكريمه من طرف الرّئيس الرّاحل عبد العزيز بوتفليقة في سنة 2003 في مدينة وهران و لم ينقطع بعد وفاته عن إبداعه على اعتبار أن ابن الفقيد يوسف بوشوشي هو المخرج الكبير أيضا لطفي بوشوشي الذي يعتبر خير خلف لخير سلف حيث قدم هو الآخر عدة أفلام على غرار فيلم البئر عام 2015 الذي رشح لجائزة أفضل فيلم أجنبي الأوسكارو نال في المدينة السّويدية مالمو جائزة الفيلم العربي في طبعته السّادسة وبهذا تستمر رحلة الإبداع الفني من جيل إلى جيل، فرحم الله يوسف بوشوشي الذي غادرنا إلى دار البقاء في 29 جويلية2017م عن عمر ناهز 77 سنة.

عبد الحكيم بحري

المصادر:

- كتاب Dictionnaire du Cinéma Algérien et des films étrangers sur l'algerie (ACHOUR CHEURFI) Casbah Editions.
- أرشيف السّيد عبد الحكيم بحري (لقاء مع السّيد عبد الغني مهداوي وحوار مع السّيد فيصل الشّريف).

■ يوسف عتيق
(و: 1366ه - 1947م/ت: 1444ه - 2022م)

ولد المرحوم يوسف عتيق يوم 24 جوان 1947 بعين طابية، دائرة تمالوس (ولاية سكيكدة). وقد أنهى دراسته الثّانوية عام 1968 وسجل بكلية العلوم في فرع يسمى "الرياضيات العامة والفيزياء" بجامعة الجزائر، وهو الفرع الذي يؤدي بصاحبه إلى الليسانس في الرّياضيات. وفي عام 1971–1972 تحصل على دبلوم الدّراسات المعمقة، ثم على دكتوراه الطّور الثّالث في الرّياضيات التطبيقية عام 1978 من جامعة الجزائر في موضوع خاص بالأوساط المسامية ذي العلاقة بالمحروقات. ثم تفرغ خلال الفترة 1991–1993 للحصول على دكتوراه الدّولة في الرّياضيات المجردة من جامعة بواتييه الفرنسية.

وظل المرحوم يدرّس خلال الفترتين 1971–1991/ 1993–2017 دون انقطاع، أي ما مجمله 44 سنة في ممارسة مهنة التدريس. وقد عُرف في الجانب المهني وحياته العامة بصرامته التي لا تضاهى واستقامته مع الجميع (الزملاء والطلبة والإداريين) وبدقة مواعيده في كل الظّروف. ولم يكتف المرحوم يوسف عتيق بأداء واجباته في باب التدريس، بل شمل نشاطه تسيير السّنة الأولى بالمدرسة العليا للأساتذة القبة من 1977 إلى 1989، ثم إدارة قسم الرّياضيات من 1985 إلى 1989.

كما شغل منصب نائبا لمدير المدرسة المكلف بالدراسات العليا، وكان مسؤول ماجستير الرّياضيات خلال الفترتين 1987–1998 و2011–2013، ورئيسا للمجلس العلمي للمدرسة خلال 1999–2000، ومديرا لمخبر المعادلات التفاضلية الجزئية وتاريخ الرّياضيات خلال 2000–2003، ورئيس الجمعية الوطنية لتاريخ الرّياضيات التي تأسست عام 1988، وكان مقرها بمدرسة القبة. ولا ننسى أن الفقيد كان أيضا عضوا مؤسسا للجمعية الجزائية للرياضيات عام 1988.

وليس هذا فحسب بل شغل كذلك منصب رئيس تحرير المجلة المغاربية للرياضيات خلال 10 سنوات (1994–2004). وقد عرفت هذه المجلة الفريدة نجاحا لم تعرفه إلا القليل من المجلات الأكاديمية. ومن المعلوم أنها كانت مجلة الرّياضيات الوحيدة على مستوى المغرب العربي إبان تلك الحقبة.

وخلال مشواره بمدرسة القبة، وبدءا من عام 1986 كان ينظم الملتقيات ذات العلاقة بتخصصه وبتاريخ الرّياضيات العربية الإسلامية. كما حضر العديد منها في داخل البلاد وخارجها. أما في مجال التكوين في الدّراسات العليا، فلم يتوقف عن تقديم المحاضرات لفائدة طلبة الماجستير والدكتوراه. وقد أشرف على مذكرات وأطروحات أزيد من 20 طالبا وطالبة في الدّراسات العليا، هم الآن منتشرون عبر المؤسسات الجامعية في البلاد كما هو حال آلاف أساتذة التعليم الثّانوي الذين أسهم الفقيد في تكوينهم منذ 1977. ولا يفوتنا أن نذكر، ونحن نستعرض حياة المرحوم ومنجزاته العلمية، أن الظّروف المادية دفعته، كما دفعت العديد من أمثاله، إلى العمل في الخليج العربي مدة 5 سنوات. وهكذا ظل يدرّس خلال الفترة 2003–2008 بجامعة أبها السّعودية فأبلى البلاء الحسن. وبالموازاة مع هذا النّشاط نجد في قائمة منشوراته الأكاديمية في مجال الرّياضيات البحتة والتطبيقية 15 بحثا صدرت في المجلات الأكاديمية العالمية خلال الفترة 1978–2022.

وما كان يميز الزّميل يوسف عتيق من النّاحية الوطنية هو نضاله المستميت من أجل تعريب تدريس العلوم بالجامعة. فمنذ افتتاح القسم المعرب عام 1971 في كلية العلوم بجامعة الجزائر انضم إليه مدرسا باللغة العربية وظل كذلك بالمدرسة العليا للأساتذة بالقبة دون انقطاع. وهذا رغم أن دراسته الجامعية قد تلقاها كلها باللغة الفرنسية مع اتقانه للغة الإنكليزية وإلمامه باللغة الرّوسية. وفي هذا السّياق، نجده قد أسهم منذ 1984 بترجمة 5 كتب رياضياتية إلى العربية أصدرها ديوان المطبوعات الجامعية في تلك الفترة.

من ذكرياتي مع الفقيد

في عام 1976 عدت من جامعة نيس مع 3 زملاء، وكان المشرف علينا الأستاذ الفرنسي بيير غريزفار (1940 Pierre Grisvard–1994) من اليساريين المتطرفين عكف على تكوين عدد كبير من الجزائريين من أجل خدمة بلدهم (ذلك كان مبدؤه). وبعد مناقشة الأطروحات قال لنا قولته الشّهيرة "أنتم أصبحتم الآن عمليين، فعودوا إلى بلدكم". وبعد التشاور قررنا الالتحاق جميعا بجامعة قسنطينة لتكوين "نواة" في اختصاصنا الضّيق لتكون جهودنا أكثر فعالية.

وفي سبتمبر 1976، التقيت أول مرة بالمرحوم يوسف عتيق في قسم الرّياضيات بجامعة قسنطينة حيث كان يدرس ... وكان العزم قائما على أن نكون في نفس النّواة، مع أنه كان منضما إلى فريق من 6 جزائريين آخرين يحضرون رسائل الدّكتوراه ويشرف عليه الأستاذ مارتن زرنير Martin Zerner (1932–2017) من جامعة نيس أيضا وهو رفيق بيير غريزفار. وكان فريق زرنير يعمل على موضوع الأوساط المسامية.

كان المرحوم يوسف عتيق قد أدى خدمته الوطنية خلال الفترة 1972–1974 لأنه لم يغادر البلاد قبل ذلك التاريخ، أما وضعي الشّخصي فيختلف إذ استفدت من منحة للخارج حتى عام 1976، وهو ما جعلني أؤجل الالتحاق بالجامعة وأداء الخدمة الوطنية خلال 1977–1979. وكان المرحوم عبد الحفيظ مصطفاي، مدير المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، أستاذا للرياضيات بالجامعة منذ الاستقلال، وكانت المدرسة في أمسّ الحاجة إلى مكونين. ولهذا طلبني من وزارة الدّفاع لأدّرس بالقبة خلال الخدمة الوطنية بدءا من سبتمبر 1977. وعند الالتحاق بها تفاجأت بوجود المرحوم يوسف عتيق بمدرسة القبة بعد أن غادر قسنطينة هو أيضا لأسباب أخرى! كما غادرت "النواة" قسنطينة والتحقت بالعاصمة بين جامعة باب الزّوار ومدرسة القبة.

وهكذا صرنا زملاء بالقبة منذ ذلك التاريخ، نتعاون وننسق تنسيقا كاملا كل الأعمال الخاصة بالدراسة وقسم الرّياضيات في المدرسة. فعلى سبيل المثال، كنا الاثنين مع المرحوم مصطفاي قد نظمنا بالمدرسة ندوة أسبوعية (سمنير) في الرّياضيات منذ 1977. وكنا بادرنا مع الزّميل عبد الحفيظ مقران على إعداد معجم فرنسي/ عربي في الرّياضيات منذ تلك الفترة، وكنا ثلاثتنا نلتقي خلال إعداده دائما في بيت المرحوم عتيق، وكان يبذل جهدا مضاعفا مقارنة بجهدنا حتى صدر المعجم لدى ديوان المطبوعات الجامعية وتكررت طبعاته. كما اشتركنا في ترجمة العديد من الكتب الرّياضياتية.

وفي منتصف الثّمانينيات، عندما كان المرحوم عتيق يترأس قسم الرّياضيات بالقبة، انصب الجهد على إدخال فرع تاريخ الرّياضيات العربية للمدرسة بالتعاون مع الأستاذ أحمد جبار المختص في هذا العلم. فتحقق ذلك وصارت المدرسة المؤسسة الجامعية الوحيدة على مستوى المغرب العربي التي تمنح فيها شهادة الماجستير، ثم الدّكتوراه في تاريخ الرّياضيات. وقد حرص الزّميل عبد الحفيظ مقران حرصا كبيرا بالتعاون مع المرحوم على فتح ماجستير في ذلك الوقت في اختصاص التحليل الدّالي والمعادلات التفاضلية الجزئية، ثم الدّكتوراه. فكان التعاون مثمرا وممتدا عبر السّنين. وظل هذا الاختصاص وكذا تاريخ الرّياضيات مفتوحا (شهادة الماجستير وشهادة الدّكتوراه) بالمدرسة حتى أزالت الوزارة شهادة الماجستير في نظام الشّهادات بالجزائر وعوضته بالماستر. وتخرج من المدرسة بفضل هذه الجهود التي كان المرحوم دائما في مقدمتها مئات الطّلبة.

كل تلك الأعمال التي قام بها المرحوم يوسف عتيق خلال نصف قرن في سبيل التعليم والتكوين الجاد ونشر الثّقافة العلمية والثقافية تعدّ صدقة جارية وعلما ينتفع به. رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

أبو بكر خالد سعد الله

■ يوسفي بوشريط (سي لحسن)
(و:1342ه - 1924م/ت: 1375ه - 1956م)

يوسفي بوشريط رمز الكفاح ومثال المجاهد وصورة الثّورة الشّعبية الحقيقية والميدانية، بوشريط من االذين باعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ومن أجل أن تحيا الجزائر حرة عربية مسلمة ولد سنة 1924 بأولاد سيد الحاج بن عامر ابن يوسفي محمّد ابن الحفيظ وخذير مبخوتة بنت دحمان وله ثلاثة إخوة –الجيلالي الملقب ببوحصيدة (الذي استشهد بسجن البيض سنة 1960) وفاطنة وهي مجاهدة وأرملة شهيد. كان متزوجا بامرأتين أنجب مع كل واحدة ابنا وبنتا.

ترعرع الشّهيد وسط أسرة متواضعة، متمسكة بالتقاليد العربية تعيش على فلح الأرض وتربية المواشي والصيد البري. تلقى تعليمه الأساسي في ربوع قبيلته فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم ومبادىء التعليم الدّيني حسب الظروف التعليمية آنذاك.

تأثر بوشريط بمحيط البيئة المتميزة بالمحافظة على المثل العربية الإسلامية العليا والتشبث بمكارم الأخلاق والتعلق بالنخوة والأنفة والرجولة وحب الفروسية والرماية والصيد والشعور بالمسؤولية منذ الصّغر والكره الأعمى لفرنسا وللمعمرين والقياد وأذناب الاستعمار وأتباع المستعمر وكل من يريد إبقاء الشّعب الجزائري على حالة الاستعمار والعبودية.

ولما بلغ أشده وأصبح في أوج شبابه دخل المسرح السّياسي تاركا وراءه القبيلة ومهام العمل الفلاحي لذويه بعد أن أحس بنيران الصّحة الوطنية في صدره واستجابة لواجب الجهاد في سبيل الله والوطن ووفاء لما عرف عنه من غيرة تحمس وتفان في خدمة الوطن والدنيا انخراط في « حزب الشّعب الجزائري « حوالي سنة 1945 فاتحا بذلك عهدا جديدا في حياته السّياسية وإثر الوضعية الصّعبة التي مر بها الحزب بعد الحرب العالمية الثّانية ومتابعته اليقظة للأحداث وتقييمه الحازم للأوضاع اندفع منظما إلى حركة (O S) المنظمة السّرية، «ORGANISATION SPECIALE» التي تنبت مهام ومشاق خطة متمثلة في ثورة مسلحة وطنية شاملة وعارمة، وبحكم الوضع الجديد على المسرح السّياسي، كان الشّهيد بوشريط على اتصال مستمر مع المناضل «مولاي محمّد"، الذي هو من قبيلته والذي كان همزة وصل بين الشّمال الغربي وجنوبه لتنظيم الثّورة وتهيئة الظروف المادية والمعنوية لاندلاعها، كما كان على اتصال دائم مع بعض قادة فروع الأحزاب «حزب البيان- جمعية العلماء» وكان يتابع تطورات الحركة الوطنية من خلال جرائدها، والتي كانت تصل إلى المنطقة كما هو معروف بشق الأنفس.

قرر الشّهيد بوشريط وضع حد نهائي للحياة المدنية فعمد إلى بيع ممتلكاته فباعها كلها وطلق زوجاته ولما قيل له لمن تركت أبناءك يا بوشريط أجاب بقولته المشهورة «إن ثورة الجزائر ثورة أبنائي إذا نجحت نجحوا "وبعد أن خفف على نفسه مسؤولية الممتلكات والأبناء والنساء شرع في العمل التنظيمي التوسعي والعسكري معا وكان هذا في أواخر سنة 1954 وبداية سنة 1955 ومن بين الأعمال العسكرية التي وقعت تحت إشرافه. في سنة 1955 هي

- تصفية أول متعاون مع الاستعمار:
- حرق شاحنات العمل الفرنسي بطريق الكراكدة
- قتل ضابط صف فرنسي إثر كمين بنواحي عربوات.
- قتل أب من آباء البيض وجسوس وضابط في المخابرات العسكرية إسمه يحيى.
- حرق ورشة الحلفاء بالحاسي الأبيض
- حرق حافلات في لكريمة والزرزور وهي ملك لليهودي«جاك ليفي»
- قطع الخطوط الهاتفية بمدخل مدينة البيض
- حرق خيام القياد المتعاملين مع فرنسا

ولقد اشتد ساعد الثّورة خاصة بعد التحاق شباب المنطقة بالثورة حيث شكل منهم القائد مولاي إبراهيم كتيبة منظمة و عاد بهم إلى أرض الوطن بعد أن أنهوا تدريبهم تحت إشراف قيادة الولاية الخامسة التي كان مقرها على الحدود مع المغرب بقيادة سي عبد الحفيظ بوصوف المدعو سي المبروك وسي سليمان (قائد أحمد) وغيرهم...و يذكر بأن الشّهيد محبوبي«الحاج بن عامر» ذهب مرتين إلى قيادة الولاية الخامسة بالمغرب قصد إبلاغها بأن المجاهدين والوطنيين بمنطقة البيض هم مستعدون ومسلحون وعازمون على بدء العمليات العسكرية بعد أن كشف أمرهم من قبل السّلطات الفرنسية من جهة وسجن الشّهيد «مولاي محمّد» من جهة أخرى وهو الذي كان همزة وصل بين المنطقة والقيادة بوهران.

بعث المجاهد «سي مبروك» مع الشّهيد «الحاج بن عامر» أسماء الثّوار وهم كالتالي:

- يوسفي بوشريط المدعو سي لحسن
- محمّد لعماري المدعو سي المقراني
- مولاي إبراهيم المدعو سي عبد الوهاب

ومن الخطط الحربية للشهيد «بوشريط» هو تنفيذ عمليات عسكرية متفرقة وفي وقت واحد مع ترك في أماكن العملية.رسالة تهديد ممضية باسمه إلى الجيش الفرنسي هذا ما سبب تكالب الاستعمار على قتله وجعل رأسه. غنيمة وإعطاء أكثر من خمسة ملايين فرنك لمن يقتله.ومن جرأته أصبح الجيش الفرنسي يلقبه ب»العقيد بوشريط" ويلقب أصحابه "بمثلث الباء" وهم:(بوشريط-إبراهيم-وبن جلول) وهؤلاء الثّلاثة هزوا الكيان الفرنسي طيلة سنة 1955 و1956 والدليل على ذلك مجلة «استوريا» الفرنسية بتاريخ 1956 وكذلك جريدة «نداء» وهران ولقد أتت قوة عسكرية هائلة من وهران إلى البيض مكتوب على آلياتها وشحناتها (قوة ضد بوشريط.

وفي سنة 1956 فلقد اشتد لهيب الثّورة وكثر عدد المجاهدين فقسموا إلى أربعة كتائب. واحدة لبوشريط والثانية لمولاي ابراهيم والثالثة للعماري والرابعة لمولاي عبد الله.

ومن بين العمليات التي قام بها هي: الهجوم على ثكنة عسكرية ببوسمغون غرب مدينة البيض. االإغارة على قرية الشّلالة عملية الزرزور جمع عدد من الأسلحة وإلخ.

بعد العمليات الشّجاعة التي شارك فيها الشّهيد توجه رفقة جماعة هم:النور عبد القادر،عبد العالي محمّد إلى كل من ولايتي تيارت وسعيدة ليزرع النّواة الأولى لتنظيم الجبهة وتهيئة النّفسيات.

والسلاح والرجال لمساعدة منطقة البيض التي تكالبت عليها فرنسا بالجنود والسلاح الفتاك والطائرات وأثناء هذه الجولة مر الشّهيد بمدينة سوقر ثم فرندة عند «قبيلة الأحرار» ثم الحساسنة عند قبيلة «أولاد سيد الحاج» ثم بوقطب عند قبيلة «طرافي» وبعد

هذه الجولة النّاجحة التي بذل فيها كل ما في وسعه لتوعية المناضلين أراد الالتحاق بجيش التحرير الذي كان ينتظره في «جبل تاسينة» قرب قرية «سيدي أحمد بلعباس» ودون أن ننسى أنه ترك المجاهد «نور البشير» على رأس كتيبة خلفا له وأثناء عودته شاء القدر أن يسقط في ميدان الشّرف إثر كمين نصب له في المكان المسمى «الخنيقات» (تاسينة) على بعد حوالي 30 كلم من جنوب البيض أحداث هذا الكمين مرت في ظروف غامضة وكان هذا في يوم 19 سبتمبر سنة 1956 حسب بعض الشّهادات.

لقد منع نشر خبروفاة هذا الشّهيد فى الجيش وجبهة التحرير الوطني والشعب معا حتى لا تنحط معنويات المناضلين والمجاهدين وبالفعل فلقد ذهب كل المجاهدين الذين كانوا في جبل تاسينة إلى نواحي آفلو (ولاية الأغواط) حيث لقنوا الجيش الفرنسي درسا حربيا لن ينسوه أبدا وهذا في المعركة الكبرى التي جرت في المكان المسمى «اشوابير» بمنطقة القعدة المعركة التي سماها الجيش الفرنسي «ديان بيان فو الجزائرية» وكان هذا يومي 2و 3 من أكتوبر سنة 1956.

خسرت فيها فرنسا أكثر من 1500 بين قتيل وجريح وتدمير أكثر من 98 شاحنة لحمل الجند والكثير من الأسلحة والعتاد.

تعتبر هذه المعركة واحدة من بين كبريات معارك جيش التحرير الوطني خاصة في السّنوات الأولى من اندلاع الثّورة المسلحة وبعد أسابيع قلائل من استشهاد الشّهيد البطل «يوسفي بوشريط» شارك فيها كل الشّباب الذين كونهم وسلحهم وزرع في نفوسهم حب الوطن والتضحية في سبيل الله. فهذه المعركة تعتبر إحدى الثّمرات الكبرى لهذا الشّهيد لما عرف عنه من تنظيم وصدق وإخلاص للوطن ولقد شاء القدر أن يختاره من بين الشّهداء الأوائل ليكن بجوار ربه وليترك من بعده جيشا منظما ومسلحا بالايمان ليواصل حمل مشعل الثّورة من بعده وبفضله وبفضل تضحيات الرّجال الأبطال نالت الجزائر حريتها وتشاء الأقدار أن تعلن في الذكرى الثّانية من استشهاد الشّهيد البطل بوشريط إنشاء الحكومة المؤقتة الأولى للجمهورية الجزائرية 19 سبتمبر 1958.

نظيرة شتوان

المصادر:

- فطيمة الزهراء حوتية، السّياسة الفرنسية في الجنوب الغربي الجزائري وردود فعل الثّورة التحريرية، اطروحة دكتوراه في تاريخ الثّورة الجزائرية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر 2017. ص 130.

الفهرس

دليل تشفير بعض الرموز و الأصوات المعمول بها دوليا	V
تنويه	VI

العلم	المكتتب	الصفحة
إبراهيم آق بكد	عبد الكامل عطية	11
إبراهيم بن أمحمّد بن إبراهيم بن يوسف، أطفيَّش (أبو إسحاق)	يحيى بن بهون حاج أمحمّد	12
إبراهيم بن علي، بوحديبة	صالح بن حمو بابا، وموسى.	13
إبراهيم بن محمد، طلاي	حاج أحمد حمو كروم	15
إبراهيم بن موسى، قزريط	أيوب بن سعيد الحاج سعيد.	16
ابن العنابي	حبيب مونسي	17
ابن ناجي الغويني	بوعمارة بوعيشة	18
أبو الأنوار بن عبد الكريم التّينلاني	قدي عبد المجيد	19
أبو الحسن علي بن عبد الرّحمان بن محمّد بن، والي الدّزيري ثم الوهراني	بن الدّين بخولة	20
أبو الفضل محمّد بن أبي القاسم بن عبد الصّمد المشدالي	إبراهيم مقلاتي	22

العلم	المكتتب	الصفحة
أبو بكر بن أحمد بن الميلود بن بلقاسم بن العربي الملقب بالتيجني المضاوي الوهراني	مليكة صالح	23
أبو زيان محمّد الأول	عامـــر بغـــدادي	25
أبو سعيد عثمان الأول	عامـــر بغـــدادي	26
أبو عبد الله البوعبدلي الرّزيوي	بخولة بن الدين	27
أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن مسايب	عبد الناصر بوعلي	28
أبو عبد الله محمّد بن عبد الحق بن سليمان البطيوي	نسيمة لوح	30
أبو عبد الله محمّد بن عمر بن محمّد بن خميس الحميري الحجري الرّعِيني	أحمد عزوز	31
أبو محمّد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان أبو محمّد القيسي الكُومي	أحمد عزوز	32
أپـولي مادور	وفاء بوغرارة	33
أحمد التّجاني التّماسيني	عبد الكامل عطية وأحمد غريسي	37
أحمد الرّفاعي شرفي	باديس فوغالي	42
أحمد السّرحاني	محمّد مدور	43
أحمد الشّريف سعدان	فاتح نواري	45
أحمد بن إبراهيم موسلمال (الأزعل)	يوسف بن يحي الواهج	47
أحمد بن الحسين بن قدُّور الزّمُّوري	شريف عبد الحفيظ	49
أحمد بن ديدِيَّ	رابح دوب	51
أحمد بن عبد الرّزاق (سي الحواس)	بتصرف م.أ.ن	52
أحمد بن مبارك بختي الشّهير بالعالم	قدي عبد المجيد	53
أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن موسى، عيسى	يحيى بن بهون حاج امحمّد	54
أحمد بن محمّد بن زَكْري	عبد النّاصر بوعلي	55
أحمد بن مَحمد بن عبد الرّحمان أبي نعامة	قدي عبد المجيد	56

العلم	المكتتب	الصفحة
أحمد بن محمّد، فرصوص	يحيى بن بهون حاج امحمّد	57
أحمد بوشعيب	نضيرة شتوان	57
أحمد بومعراف	بتصرف م.أ.ن	59
أحمد حمدي (أرسلان)	بتصرف م.أ.ن	60
أحمد خليفي	فاتح نواري	61
أحمد دحة	قدي عبد المجيد	62
أحمد عليلي (البغدادي)	بتصرف م.أ.ن	64
أحميدة غرمة	العيد بوده	65
ادريس ابن مهدي (مولاي العباس)	بتصرف م.أ.ن	66
إسماعيل بن محمّد بن أحمد، اسماوي	يحيى بن بهون حاج امحمّد	67
اعمر أومحند آث الشيخ	بتصرف م.أ.ن	86
اكلي أمقران	نظيرة شتوان	71
الأخضر بن الغويني (الأبقع)	حفيظة معمر	72
الأمين أحمد بن يحيى	ابن ادريسو مصطفى بن محمّد، وأحمد / دحة بن الحاج العربي الزّناني	73
الأمين بشيشي	سناء رمضاني	76
التهامي بن عبد القادر حينوني	قدي عبد المجيد	78
الجيلالي عبد الرّحمن	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	79
الحاج إبراهيم بن صالح بن امحمّد بن باباحمو، باباحمو أعزام	الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز	81
الحاج أمحمد بن الحاج أحمد دحة الزّناني	قدي عبد المجيد	83
الحاج امحمد بن مالك	العيد بوده	83

العلم	المكتتب	الصفحة
الحاج داود بن قاسم حواش	عيسى بن محمّد بوكراع	85
الحاج دحماني أمبيريك	العيد بوده	86
الحاج سليمان بن الحاج عمر بن بابا صالح بابزيز	الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز	87
الحاج عمر بن الطّالب أحمد حقيقة الرّويسي (الورگلي).	نسيمة لوح	88
الحسين روبيح	بتصرف م.أ.ن	90
الخليفة سي الشّريف	حبيب مونسي	91
الشّريف المقدم الكبير سيدي العيد بن الحاج بن سالم بن محمّد التّجاني الحسني	عبد الكامل عطية / ديدي السّعيد	93
الشيخ احمود (أمود)	عبد الكامل عطية	96
الطّاهر أق الحسن	العيد بوده	97
الطّاهر بلعبيدي	العيد بوده	98
الطّيب الجغلالي	بتصرف م.أ.ن	99
العربي بن صاري	عبد النّاصر بوعلي	102
العيد سي البشير	بوعمارة بوعيشة	103
المكي بن الصّديق الونجلي	محمد سيف الإسلام بوفلاقة	105
المكي شباح	نعيمة سعدية	106
المهدي سي أحمد	محمد سي أحمد	107
الموسوم محمّد بن رقية	ليلى بلقاسم	109
المولود الحافظي	محمّد الصّالح آيت علجت	112
النّاصح سيدي يحيى (بن صفية)	قويدر قيداري	113
النّاصر بن امحمّد حريزي	يوسف بن يحي الواهج	116
امحمد التجاني (الملقب بيايا الشّيخ)	عبد الكامل عطية	118

العلم	المكتتب	الصفحة
امحمّد بن الحاج سليمان بن بكير، مطهري	قاسم بن بابا عوف	120
امحمّد بن يوسف بن عيسى، أطفيَّش، (قطب الأيمـَّة)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	121
بابه بن إبراهيم، بوعروة (بابا تامر)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	125
باحمد بن حمو بن باسعيد، كروم	يحيى بن بهون حاج امحمّد	125
باحمد بن قاسم، حاج سعيد	حاج احمد بن حمو كروم	126
باقي بوعلام (سي جمال)	فاطمة الزهراء حوتية	127
بشير بن أحمد مسعودي	فاتح نواري	129
بشير كاشة الفرحي	جميلة غريّب	131
بعيسى بن داود، دودو	الهادي بن محمّد دودو.	133
بكر بن حماد الزناتي التاهرتي	أحمد عزوز	135
بكير بن علي، موسى وعلي	علي بن أحمد موسى وعلي.	136
بلاَّلة عبد الرّحمان	العيد بوده	137
بلحاج بن صالح بن باباعيسى. حاج عيسى	يحيى بن بهون حاج امحمّد	138
بلقاسم مولوج	بتصرف م.أ.ن	139
بن بروق الهاشمي	بتصرف م.أ.ن	140
بن حدو بوحجر	نظيرة شتوان	141
بن عودة بودربال	بتصرف م.أ.ن	143
بوجمعة جعلاب	باديس فوغالي	144
بوداود بوغفالة	بتصرف م.أ.ن	146
بودغن بن علي (العقيد لطفي)	بتصرف م.أ.ن	147
بوطالب بن يخلف	حبيب بوزوادة	149

العلم	المكتتب	الصفحة
بوعلام قانون	نظيرة شتوان	150
بوعـــــــلام منصور (تيتيش)	عبد الناصر بوعلي	151
بومدين بن سهلة	عبد الناصر بوعلي	151
بـية بنت باحمد بن قاسم موسلمال	فاطمة بنت صالح بورقيبة	153
تجيني الطّاهر	سمية خامس	155
تيبغورين بن عيسى بن داود الملشوطي	يحيى بن بهون حاج امحمّد	156
جميلة عمران دانيال مين	نجاة لحضيري	157
جَنُّون بن يَمْرِيَان اليهراسني الوارجلاني (أبو صالح)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	158
حابه أحمد بن إبراهيم	بتصرف م.أ.ن	159
حاج محمد بن باحمد، حاج سعيد	حاج أحمد حمو كروم	160
حبيب دلالي	بتصرف م.أ.ن	161
حسَّان الجيلاني	عبد الكريم عوفي	162
حسن شريف (علي الجزائري)	بتصرف م.أ.ن	164
حسين خمري	باديس فوغالي	165
حسين فيلالي	باديس فوغالي	166
حمادو بن محمّد بوسليم	قدي عبد المجيد	168
حمد بن محمّد بن عبد الرّحمان أبي نعامّة	قدي عبد المجيد	169
حمزة بن الحاج أحمد بن مالك	قدي عبد المجيد	170
حمو بن إبراهيم بن محمّد، تَامْتَلتْ	يحيى بن عيسى أزغار	171
حمو بن أحمد الزّعبي (الحاج عمر الزّعبي)	ياسين بن قاسم الزّعبي.	172
حمو بن باحمد، بابا وموسى	أبو القاسم بن أحمد العلواني	173

العلم	المكتتب	الصفحة
حمو بن عيسى الحاج سعيد (الشّيخ نْ آتَ مُوسى)	عبد الحميد بن بشير الحاج سعيد	174
حمو بن موسى، عمّي سعيد	الحاج سعيد أيوب بن مصطفى	176
حميد ناصر خوجة	باديس فوغالي	177
حميدة العَمّالي	عامـــر بغـــدادي	178
حميدة عبد القادر	محمّد بسكر	179
حناني عبد الرّحمان (عبد الله)	فاتح نواري	181
حنفي بن عيسى	مرزاق بقطاش	182
حيزيّة بوعكاز	صالح بلعيد	183
خـديـجـة بـقـطاش	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	185
خديجة بن عايدة (نورية قصدرلي)	هند موساوي	187
خليفة الزّناتي	محفوظ زاوش	188
خير الدّين باشا	عامـــر بغدادي	189
داود بن إبراهيم التّومي (عمي داود)	إبراهيم بن محمّد أويابة	191
ذوادي عبيرز	بتصرف م.أ.ن	193
رابح درياسة	سناء رمضاني	195
رمضان حمود	أمينة طيبي	196
رُوزلين ليلى قريش	محمّد سيف الإسلام بـوفلاقـة	200
زبيدة ولد قابلية	نجاة لحضيري	203
زغودة التّجاني	بشير خلف	204
زكريّا المجدوب	بتصرف م.أ.ن	206
زيلوخة بنت قاسم، أبو القاسم	حاج أحمد حمو كروم	207

العلم	المكتتب	الصفحة
ساعد فوغالي	باديس فوغالي	209
سعد الله بن عيسى بن عمر العلواني	خضير محمد بابا وموسى، ويوسف محمد حكيمي.	210
سعدي الطاهر حراث	باديس فوغالي	211
سعدي بن علي بن عبد العزيز	بتصرف م.أ.ن	213
سعدية الدّراجي	يحيى بن بهون حاج امحمد	214
سليمان بشنون	باديس فوغالي	215
سليمان بن أبي سماحة البكراوي	نسيمة لوح	217
سليمان سليماني(النّمر الأسود / الأكحل)	نسيمة لوح	218
سوفونيزب: سافان بعل	نجاة لحضيري	220
سي التلي بن بلكحل	بوعمارة بوعيشة	222
سي الخضر ميهوبي	بتصرف م.أ.ن	223
سي الشّريف بن الأحرش	بوعمارة بوعيشة	226
سي ثامر بن عمران	بتصرف م.أ.ن	228
سيد أحمد العالم أبختي	العيد بوده	231
سيد علي كويرات	هند موساوي	233
شريف اشناتلية	باديس فوغالي	235
صالح بن باسعيد بن حمودة، بهون علي	حاج أحمد حمو كروم	237
صالح بن بكير بن صالح بن بعمّور، بعمّورالشّيخ	جابر بن بكير بعمور الشّيخ	238
صالح خوالدية	نعيمة السعدية	239
عامر محفوظي	بوعمارة بوعيشة	241
عائشة بنت بلحاج، بوبكر	حاج أحمد حمو كروم	243

العلم	المكتتب	الصفحة
عائشة بنت حاج يحيى، حاج سعيد (عويشتي)	حاج سعيد رقية بنت إبراهيم بن سليمان	243
عائشة بنت عبد الرّحمان بلال	قدي عبد المجيد	244
عبد الحفيظ بوالصوف	كمال بوطارن	246
عبد الحق بن ربيع أحمد بن عمر الأنصاري المكنى (البجائي)	سعيد بحري	248
عبد الحميد الإبراهيمي	عامر بغدادي	249
عبد الحميد بن هدوقة	هند موساوي	250
عبد الحميد حاجيات	محمد سيف الإسلام بوفلاقة	251
عبد الرّحمان بركات	بتصرف م.أ.ن	253
عبد الرّحمان بن عيسى بن بكير، حوَّاش	زكرياء بن حسين أويابة	256
عبد الرّحمن بن إبراهيم حفصي	قدي عبد المجيد	257
عبد الرّحمن بن عبد الله هيباوي	قدي عبد المجيد	258
عبد الرّحمن بن محمد السّكوتي	نسيمة لوح	259
عبد الرّحمن بن محمّد الصّغَيِّر بن محمّد بن عامر الأخضري البنطيوسي البسكري الجزائري	أحمد أمين بوعلام الله	260
عبد الرّحمن بن محمد بن ابراهيم بابا عمر جلمام	يحيى بن بهون حاج امحمد	261
عبد الرّحيم مرزوق	باديس فوغالي	263
عبد الرّزاق مَنْصوري	عبد النّاصر بوعلي	264
عبد العزيز بوتفليقة	عامر بغدادي	266
عبد العزيز شكيري	بشير خلف	267
عبد القادر العمودي	فاتح نواري	269
عبد القادر بن إبراهيم	عامر بغدادي	271
عبد القادر بن محمد الهاشمي (ابن القاضي)	حبيب بوزوادة	276

العلم	المكتتب	الصفحة
عبد القادر بن محمد بلعالم	عبد المجيد قدي	277
عبد القادر بن محمد بن سليمان	نعيمة سعديّة	278
عبد القادر بودار (حميد)	طاطة جخدان	279
عبد القادر(ابقادي) بن الحاج عبد الله قدي	عبد المجيد قدي	281
عبد القادر(ابقدور) بن عبد الرّحمن بن عبد الكريم	قدي عبد المجيد	282
عبد الكريم الطّرفاوي البيضي	بن الدين يخولة	283
عبد الكريم هالي	بشير خلّف	284
عبد الله (محمّد عبد الله) الفزاري	قدي عبد المجيد	285
عبد الله القرطبي	سعيد بحري	286
عبد الله بن البركة بليلة	قدي عبد المجيد	287
عبد المالك معلومة	العيد بوده	289
عبد المجيد الشّافعي	باديس فوغالي	290
عبد الملك مرتاض	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	292
عبد الوهّاب بن عبد الرّحمن بن رستم	يحيى بن بهون حاج امحمّد	293
عبد الوهاب بن محمّد بن عبد النّبي (الزّيتوني)	قدي عبد المجيد	295
عبد الوهاب عمراوي (نجيب)	بتصرف م.أ.ن	295
عبيدي محمد الطّاهر (الحاج لخضر)	نعيمة سعدية	297
عتيقة لطرش (شافية بوذراع)	بوزيد سلامي	299
عثمان بهلول (رشيد)	لحسن بهلول	301
عقيدة بنت عبد الكريم بوشنة	قدي عبد المجيد	302
علي الثّليجي (عمار)	سمية خامس	303

العلم	المكتتب	الصفحة
عليُّ بن الفَحّام التّلِمْساني	.عبد النّاصر بوعلي	304
علي بن سعد الگماري السّوفي	محمّد بن عمّار ماني	306
علي بن يحي	بلعالية بن يحي	307
علي خوجة	نظيرة شتوان	309
علي زرماني	بتصرف م.أ.ن	310
علي شكيري	التّيجاني التّهامي	312
علي محساس	رابح دوب	313
علي مقران	بتصرف م.أ.ن	314
علي ملاح (سي شريف)	بتصرف م.أ.ن	315
عمّار بلّحسن	آمنة بلّعلى	316
عمار بن لزعر	بشير خلّف	318
عمر برجي	نظيرة شتوان	319
عمر بنُ البسكري العقبي	رويسات محمّد	320
عمر بن حمُّو بن باحمد بن عيسى بن بكلِّي	يحيى بن بهون حاج امحمّد	322
عمر بن سليمان بن حاج بكير، بهون علي	حاج أحمد بن محمد كروم	323
عمر بن قدّور	رابح دوب	324
عمر ديدوح	فاطمة سعدي وسعاد عباسي	326
عمر شكيري	التّيجاني التّهامي	327
عومر بن عطيَّة بن بلقاسم، مغازي	محمّد أولاد داود	329
عياض البوعبدلي	عامر بغدادي	330
عيسى بن سليمان، الحاج سعيد	فاتح نواري	331

العلم	المكتتب	الصفحة
عيسى بن محمّد بن عيسى، حاج إبراهيم	يحيى بن بهون حاج امحمّد	335
عيسى بن موسى التيجاني	هند موساوي	336
عيسى قدور	هند موساوي	338
غازي عثمانين	أبو بكر خالد سعد الله	339
غلام عبد اللي	باديس فوغالي	340
فريدة صابونجي	بوزيد سلامي	343
قاسم بن عمر الزّواوي	عامر بغـدادي	345
قاسمي إبراهيم	بتصرف م.أ.ن	346
قدّور بن عاشور	عبد الناصر بوعلي	347
قدور دحيري	الحاج دحيري	349
كريتلي مختار	نظيرة شتوان	351
لعريبي تومية	نظيرة شتوان	353
لعساكر إبراهيم بن باعلي لعساكر	يوسف بن يحي الواهج	354
لعماري محمّد	نظيرة شتوان	356
مامة بنت سليمان ابن إبراهيم، بَابَّاز	يحيى بن بهون حاج امحمّد	357
مبارك بن عبد القادر خويض	قدي عبد المجيد	358
مبارك بن قادي حمودة	قدي عبد المجيد	358
محمّد أبو عبد الله التلاليسي	أمينة طيبي	359
محمّد أبو عبد الله المغوفل	هند موساوي	360
محمّد الحسن بن محمّد بن مـالـك	قدي عبد المجيد	361
محمّد الرّايـس	حفيظة معمر	362

العلم	المكتتب	الصفحة
محمّد الزّيْقَـــم	الصّادق زيقـم	365
محمد السّعيد بن شايب	بتصرف م.أ.ن	366
محمّد الشّبوكي	حكيمة بوقرومة	368
محمد الشّريف (بوتسطة)	بتصرف م.أ.ن	370
محمّد الصّالح آيت علجت	سناء رمضاني	371
محمّد الصّالح بن أحمد بن مبارك بختي	قدي عبد المجيد	372
محمّد الصّديق بن يحي	سناء رمضاني	373
محمّد الصّغير بن الحاجّ	رابح دوب	374
محمّد الطّاهر آيت علجت	سناء رمضاني	375
محمد العربي بعرير	بتصرف م.أ.ن	377
محمّد العموري	بتصرف م.أ.ن	378
محمّد العيد محمّدي(الهرش)	عبد الكامل عطية	380
محمّد المصطفى (الدّحاوي)	حبيب بوزوادة	381
محمّد المكي بن مصطفى بن عزوز	توفيق جعمات	383
محمّد الهاشمي التلمساني	نسيمة لوح	384
محمّد أومايّة محمّد	العيد بوده	386
محمّد بابا عمر	هند موساوي	387
محمّد بلحاج عيسى	العيد بوده	388
محمد بن أُبَ المزمري	قدي عبد المجيد	389
محمّد بن إبراهيم بن يحيى ڤرادي، حاج أيوب	يحيى بن بهون حاج امحمّد	391
محمّد بن ابراهيم قرقر (الطّرابلسي)	فاطمة بنت صالح بورقيبة	392

العلم	المكتتب	الصفحة
محمّد بن أبي القاسم بن عبد الصّمد المشدالي	إبراهيم مقلاتي	394
محمد بن أبي يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب الحسني التلمساني	حبيب بوزوادة	395
محمّد بن أحمد البوكادي	قدي عبد المجيد	397
محمّد بن أحمد بن محمّد الحرشوي النّدرومي	نسيمة لوح	398
محمّد بن أحمد بن محمّد بن مرزوق العجيسي التلمساني الحفيد	آمنة شنتوف	399
محمّد بن أحمد همدي (التواتي محمّد)	قدي عبد المجيد	401
محمد بن أعمارة الوزلاجي	لحول تسعديت	402
محمّد بن البركة لحسين	قدي عبد المجيد	403
محمّد بن الحاج محمّد دادة	قدي عبد المجيد	405
محمّد بن الطّيب بودور	بتصرف م.أ.ن	406
محمّد بن رحال	نسيمة لوح	407
محمد بن رقية	ليلى بلقاسم	410
محمّد بن ساعي(حمودة)	محمّد بن ساعو	412
محمّد بن سحنون الكومي (النّدروميّ)	نسيمة لوح	414
محمّد بن سليمان التلمساني (ابن الصّائم)	نسيمة لوح	415
محمّد بن سليمان القايم	قدي عبد المجيد	417
محمّد بن عبد الجبار الفجيجي (الثّجيجي)	نسيمة لوح	418
محمّد بن عبد الجليل أبو عبد الله التنسي التلمساني	نسيمة لوح	418
محمّد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري التلمساني	نسيمة لوح	420
محمّد بن عبد الحقّ بن سليمان(البطّيوي)	نسيمة لوح	421
محمّد بن عبد الرّحمان أبو نعامة	قدي عبد المجيد	422

العلم	المكتتب	الصفحة
محمّد بن عبد الرّحمان الزّاوي	قدي عبد المجيد	424
محمّد بن عبد الرّحمن الأزهري	نسيمة لوح	424
محمّد بن عبد الرّحمن الحوضي التلمساني	نسيمة لوح	425
محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي زيان القندوسي (القنادسي بوزيان)	نسيمة لوح	427
محمد بن عبد العالي بختي	قدي عبد المجيد	428
محمّد بن عبد الكريم المغيلي (أبي عبد الله)	فاطمة برماتي	429
محمّد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري	نسيمة لوح	433
محمّد بن عبد الله بن أيوب، أبو عبد الله، المعروف بالمنور التلمساني	نسيمة لوح	434
محمّد بن عبد الله بن عبد النّور أبو عبد الله النّدروميّ (الصّنهاجيّ)	نسيمة لوح	436
محمد بن عرفة	بتصرف م.أ.ن	436
محمّد بن علي السّنوسي	باديس فوغالي	439
محمّد بن علي المجاجي	هند موساوي	441
محمّد بن عمار فرجاني	قدي عبد المجيد	442
محمّد بن عمر بن عيسى، حاج امحمّد	يحيى بن بهون حاج امحمّد	443
محمّد بن محمّد الحاج عقباوي الكنتي (ولد سيد الحاج)	قدي عبد المجيد	444
مُحمّد بن مُحمّد القبّاطي	عبد النّاصر بوعلي	446
محمّد بن محمّد المختار بن مالك	قدي عبد المجيد	447
محمّد بن محمّد بن أحمد بن العربي بن بولنوار	نظيرة شتوان	448
محمّد بن محمّد بن يحي أبو عبد الله الكوميّ النّدروميّ (التلمسانيّ)	نسيمة لوح	451
محمّد بن محمود بن محمّد بن حسين (ابن العنابي)	فاتح نواري	452
محمّد بن يوسف بن محمّد المصعبي المليكي الجربي (أبو عبد الله)	يحيى بن بهون حاج امحمّد	453

العلم	المكتتب	الصفحة
محمّد بوده	العيد بوده	454
محمّد توامة	عاشور توامة	455
محمّد خير الدّين البسكري	نعيمة سعدية	457
محمّد سعيداني	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	458
محمّد طالب البوسطجي	باديس فوغالي	459
محمّد طهاري	محمّد بسكر	461
محمّد عبد الرّحمن السّكوتي	نسيمة لوح	462
محمّد عبد القادر غرمة	العيد بوده	464
محمّد عصّامي	نعيمة سعدية	464
محمّد علي دبوز	حبيب مونسي	466
محمّد قتاتلية	نعيمة سعدية	468
محمّد لواج (فراج)	بتصرف م.أ.ن	469
محمّد محدة	باديس فوغالي	470
محمّد وعلي مداغ	محمّد الصّالح آيت علجت	471
محمّد يزيد	باديس فوغالي	472
محمود بوغابة	إلهام بوغابة	474
محمود زيدان	نعيمة سعديّة	475
محي الدّين باشطارزي	فاطمة الزهراء حبيب زحماني	476
محيي الدّين الجزائري	رابح دوب	477
محيي الدّين بن مصطفى الغريسي(الرّاشدي)	حبيب بوزوادة	478
مختار نويوات	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	480

العلم	المكتتب	الصفحة
مراد رايس	صرهودة يوسفي	482
مريم بن محمّد	نظيرة شتوان	483
مريم عبد العزيز	بتصرف م.أ.ن	484
مسروق محمد بلحاج عيسى	العيد بوده	486
مسعود بن محمد الصّالح بن عثمان الغاتي	قدي عبد المجيد	487
مسعودة موساوي	بتصرف م.أ.ن	488
مصطفى بن إبراهيم	أمينة طيبي	490
مصطفى بن عودة	نظيرة شتوان	491
مصطفى بومزراق	توفيق جعمات	491
مصطفى سريدي	نعيمة سعدية	492
مصطفى عاشوري	بتصرف م.أ.ن	493
مصيبسا بن ماسينيسا	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	495
مُعَمَّرُ حَنِي	بشير خلف	497
مكي الشّاذلي	نعيمة سعدية	498
منّة بنت الحاج محمد بوكراع	فاطمة بنت صالح بورقيبة	498
منصور آيت منقلات	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	500
موريس أودان	محمد اسلام بوفلاقة	500
موسى أغ أمستان	محمد سيف الإسلام بوفلاقة	501
مُوسى بن عـلي (اللالتي)	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	502
مُوسى بن عيسى (المازوني)	محمّد سيف الإسلام بوفلاقة	503
موسى زقاق	فاتح نواري	504

العلم	المكتتب	الصفحة
مولاي إبراهيم عبد الوهاب	نظيرة شتوان	505
مولاي الحاج محمّد	نظيرة شتوان	506
مولاي عبد الله الرّكاني	بوزيد سلامي	507
نعيم النعيمي	بخولة بن الدين	509
يحيى بن محمّد بن الحاج أبي القاسم المصعبي (الشّيخ بابه بن محمّد)	بشير بن موسى الحاج موسى.	511
يحيى بوسحاقي	بتصرف م.أ.ن	512
يوسف الدّمرجي	بتصرف م.أ.ن	513
يوسف بن صالح بن عيسى تربح	بتصرف م.أ.ن	516
يوسف بوشوشي	عبد الحكيم بحري	519
يوسف عتيق	أبو بكر خالد سعد الله	520
يوسفي بوشريط (سي لحسن)	نظيرة شتوان	521

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

جميع الحقوق محفوظة

الموسوعة الجزائرية

الأعلام

المجلد الثالث